

﴿ فهرست الجلد الرابع من التفسيرين الجليلين ﴾ الاول ﴿

﴿ المسمى بأنوار التنزيل واسرار التأويل ﴾ الثاني ﴿

﴿ المسمى بلباب التأويل ﴿

﴿ في معاني التنزيل ﴿

-
- ﴿ سورة بني اسرائيل ﴾ ٠٢
- ﴿ فصل في نزولها ﴾ ٠٠
- ﴿ فصل في ذكر حديث المعراج ﴾ ٠٤
- ﴿ فصل قال البغوي ﴾ ٠٩
- ﴿ فصل في شرح بعض الفاظ حديث المعراج ﴾ ١٠
- ﴿ فصل في ذكر الآيات التي ظهرت بعد المعراج ﴾ ١٢
- ١٤ تفسير قوله عز وجل (وآتيناموسى الكتاب) الآية
- ﴿ ذكر القصة في هذه الآيات على التفصيل ﴾ ١٦
- ٢٥ تفسير قوله عز وجل (وكل انسان أزمان طاره في عنقه) الآية
- ٢٨ تفسير قوله عز وجل (من كان يريد الماجة مجلنا له فيها ماشاء) الآية
- ٢٩ تفسير قوله عز وجل (وقضى ربك ألا تعبدوا الاياه) الآية
- ﴿ فصل في ذكر الاحاديث التي وردت في بر الوالدين ﴾ ٣١
- ٣٤ تفسير قوله عز وجل (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها) الآية
- ٣٥ تفسير قوله عز وجل (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق) الآية
- ٣٧ تفسير قوله عز وجل (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع) الآية
- ٣٨ تفسير قوله عز وجل (ولا تعش في الارض مرحا نك لن تحرق الارض) الآية
- ٤١ تفسير قوله عز وجل (تسجله السموات السبع والارض ومن فيهن) الآية
﴿ وفيه فوائد عظيمة وحدث حن الجندع ﴾
- ٤٥ تفسير قوله عز وجل (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) الآية
- ٤٦ تفسير قوله عز وجل (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة) الآية
﴿ وفيه بحث هلاك القرى في المدا رك ﴾
- ٤٨ تفسير قوله عز وجل (وما جعلنا الرؤيا التي اريناك) الآية
- ٥٠ تفسير قوله عز وجل (واذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم) الآية

- ٥٤ تفسير قوله عز وجل (ولقد كرمنا نبي آدم) الآية
- ٥٦ تفسير قوله عز وجل (يوم ندعوا كل أناس بأمامهم) الآية
- ٥٩ تفسير قوله عز وجل (اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل) الآية
- ٦٠ فصل في الاحاديث الواردة في قيام الليل
- ٦١ تفسير قوله عز وجل (عسى ان يمشك ربك مقاما محمودا) الآية
- وفيه ذكر الاحاديث التي وردت في الشفاعة
- ٦٥ تفسير قوله عز وجل (ونزل من القرآن ما هو شفاء) الآية
- ٦٦ تفسير قوله عز وجل (ويستلونك عن الروح قل الروح من امر ربي) الآية
- وفيه ذكر الاحاديث التي وردت في حق الروح
- ٦٩ تفسير قوله عز وجل (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) الآية
- ٧٠ تفسير قوله عز وجل (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينوبا) الآية
- ٧٣ تفسير قوله عز وجل (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء) الآية
- ٧٤ تفسير قوله عز وجل (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) الآية
- ٧٩ تفسير قوله عز وجل (ولا تجهر بصلواتك ولا تخافت بها) الآية
- ٨٠ تفسير سورة الكهف
- ٨٣ تفسير قوله عز وجل (ام حسبت ان اصحاب الكهف) الآية
- ٨٤ ذكر قصة اصحاب الكهف وسبب خروجهم اليه
- ١٠٢ تفسير قوله عز وجل (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم) الآية
- ١٠٥ تفسير قوله عز وجل (واضرب لهم مثلا رجلين) الآية
- ١١١ تفسير قوله عز وجل (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) الآية
- ١١٣ تفسير قوله عز وجل (واذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا) الآية
- ١١٦ تفسير قوله عز وجل (ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل) الآية
- ١١٨ تفسير قوله عز وجل (واذقال موسى لفتهاه) الآية
- ١٢٨ الجزء السادس عشر
- ١٣٣ تفسير قوله عز وجل (ويستلونك عن ذي القرنين) الآية
- ١٤٢ تفسير قوله عز وجل (انحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي) الآية
- ١٤٥ تفسير سورة مريم عليها السلام
- ١٥٠ تفسير قوله عز وجل (واذكر في الكتاب مريم اذا تبذرت) الآية

- ١٥٩ تفسير قوله عز وجل (وانذرهم يوم الحسرة) الآية
- ١٦٠ تفسير قوله عز وجل (واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نيا) الآية
- ١٦٤ تفسير قوله عز وجل (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا) الآية
- ١٦٥ تفسير قوله عز وجل (واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نيا) الآية
- ١٦٧ ﴿ فصل وسجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن ﴾
- ١٦٨ تفسير قوله عز وجل (فخلف من بعدهم خلف اضعوا الصلوة) الآية
- ١٧٠ تفسير قوله عز وجل (تلك الجنة التي نورث من عبادنا) الآية
- ١٧٣ تفسير قوله عز وجل (وان منكم الاواردها) الآية
- ﴿ وفيه عدة احاديث فليراجع اليها ﴾
- ١٨١ تفسير قوله عز وجل (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) الآية
- ١٨٥ ﴿ تفسير سورة طه ﴾
- ١٨٨ تفسير قوله عز وجل (وهل اتاك حديث موسى اذ رأى نارا) الآية
- ٢٠٩ تفسير قوله عز وجل (ولقد اوحينا الى موسى ان اسرب ابدى) الآية
- ٢١١ تفسير قوله عز وجل (وما اعجابك عن قومك يا موسى) الآية
- ٢١٧ تفسير قوله عز وجل (كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق) الآية
- ٢٢١ تفسير قوله عز وجل (وكذلك انزلناه قرآنا عربيا) الآية
- ٢٢٤ تفسير قوله عز وجل (وعصى آدم ربه فغوى) الآية
- ﴿ وفيه حديث مشهورين آدم وموسى عليهما السلام ﴾
- ٢٢٥ ﴿ فصل في بيان عصمة الانبياء عليهم السلام ﴾
- ٢٢٧ تفسير قوله عز وجل (ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا) الآية
- ٢٣٠ تفسير قوله عز وجل (ولا تمدن عينيك الى ما متغاباه) الآية
- ٢٣٤ ﴿ الم ; السابع عشر ﴾
- ٢٣٩ تفسير قوله عز وجل (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما الا عين) الآية
- ٢٤١ تفسير قوله عز وجل (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) الآية
- ٢٤٧ تفسير قوله عز وجل (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) الآية
- ٢٥١ تفسير قوله عز وجل (ونضع الموازين القسط ليوم القيمة) الآية
- ٢٥٣ تفسير قوله عز وجل (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل) الآية
- ٢٥٨ ﴿ ذكر القصة في ذلك ﴾
- ٢٦٢ تفسير قوله عز وجل (وداود وسليمان اذ يحكما في الحرف) الآية
- ٢٦٤ تفسير قوله عز وجل (وسليمان الريح عاصفة) الآية

- ٢٦٦ تفسير قوله عز وجل (وايوب اذ نادى ربه) الآية
 ٠٠٠ ﴿ ذكر قصة ايوب عليه السلام ﴾
- ٢٧٣ تفسير قوله عز وجل (واسمعيل وادريس وذا الكفل) الآية
 ٢٧٤ تفسير قوله عز وجل (وذا النون اذ ذهب مغاضبا) الآية
 ٢٧٧ تفسير قوله عز وجل (والتي احصنت فرجها) الآية
 ٢٧٨ تفسير قوله عز وجل (وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون حتى اذا قمحت
 يا جوج وما جوج) الآية
 ٠٠٠ ﴿ وفيه حديث الدجال وشرح غريب الفاظ الحديث ﴾
- ٢٨١ تفسير قوله عز وجل (ان الذين سبقتم لهم من الحسنى اولئك عنها مبعدون) الآية
 ٢٨٣ تفسير قوله عز وجل (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكركر) الآية
 ٢٨٤ تفسير قوله عز وجل (وما ارسلناك الا رجة للعالمين) الآية
- ٢٨٦ ﴿ تفسير سورة الحج ﴾
- ٢٩١ تفسير قوله عز وجل (ومن الناس من بعد الله على حرف) الآية
 ٢٩٥ ﴿ فصل هذه السجدة من عزائم سجود القرآن ﴾
- ٢٩٨ تفسير قوله عز وجل (ان الله يدخل الذين آمنوا وعلوا الصالحات) الآية
 ٣٠٠ تفسير قوله عز وجل (واذ بواالابراهيم مكان البيت) الآية
 ٣١٥ تفسير قوله عز وجل (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) الآية
 ﴿ وفيه بحث فليطالع ﴾
- ٣١٩ تفسير قوله عز وجل (والذين هاجروا في سبيل الله) الآية
 ٣٢٣ تفسير قوله عز وجل (وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم) الآية
 ٣٢٤ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الناس ضرب مثل فاستموا له) الآية
- ٣٢٧ ﴿ فصل فى حكم سجود التلاوة هنا ﴾
- ٣٣٣ ﴿ الجزء الثامن عشر ﴾
- ٣٣٧ تفسير قوله عز وجل (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) الآية
 ٣٤٠ تفسير قوله عز وجل (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه) الآية
 ٣٤٥ تفسير قوله عز وجل (ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا) الآية
 ٣٤٧ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الرسل كلوا من الطيبات) الآية
 ٣٥٩ تفسير قوله عز وجل (فاذا نفخ فى الصور فلانساب بينهم) الآية
- ٣٦٣ ﴿ تفسير سورة النور ﴾
- ٣٦٨ تفسير قوله عز وجل (والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء) الآية

مصارع الخطباء من العرب العرباء فيجد به قديرا * وأقم من تصدى لمعارضته من فضاء
عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسخييرا * ثم بين للناس منازل اليهم حسب
الاخلاق ونشر فضله في الآفاق وأزل عليه نورا هدى به من الضلالة وأنقذه من
الجهالة وحكم بالفوز والفلاح لمن اتبعه وبالخسران لمن أعرض عنه بعدما سمعه عجز
الخلائق عن معارضته حين تحداهم على ان يأتوا بسورة من مثله في مقابلته ثم سهل على
عباده المؤمنين مع اعجازه تلاوته ويسر على اللسان قراءته أمر فيه وزجر وبشر وأنذر
وذكر المواعظ ليتذكر وضرب فيه الامثال ليتدبر وقص فيه من أخبار الماضين ليعتبر
ودل فيه على آيات التوحيد ليتفكر ثم لم يرض منا بسرد حروفه دون حفظ حدوده
ولا بإقامة كتابه دون العمل بمحكماته ولا بتلاوته دون تدبر آياته في قراءته ولا بدراسته
دون تعلم حقائقه وتفهم دقائقه ولا حصول لهذه المقاصد منه الا بدراسة تفسيره وأحكامه
ومعرفة حاله وحرامه وأسباب نزوله وأقسامه والوقوف على ناسخه ومنسوخه في
خاصه وعامه فانه ارسخ العلوم أصلا وأسبغها فرعا وفصلا وأكرمها نتاجا وانورها سراجا
فلا شرف الا وهو السبيل اليه ولا خير الا وهو الدال عليه وقد قبض الله تعالى له رجالا موقنين
وبالحق ناطقين حتى صنفوا في سائر علومه المصنفات وجمعوا سائر فنونه المتفرقات كل
على قدر فهمه ومبلغ علمه نظرا للخلف واقتداء بالسلف فشكر الله سعيهم ورحم كآبهم * ولما
كان كتاب معالم التنزيل الذي صنفه الشيخ الجليل والخبر النبيل الامام العالم الكامل محي
السنة قدوة الامة وامام الأئمة مفتى الفرق ناصر الحديث ظهير الدين ابو محمد الحسين
ابن مسعود البغوي قدس الله روحه ونور ضريحه من أجل المصنفات في علم التفسير
واعلاها وأنبأها واستانها جامعا للصحح من الاقاويل عاريا عن الشبه والتصحيف والتدليل
محلي بالاحاديث النبوية مطرزا بالاحكام الشرعية موشى بالقصص الغريبة وأخبار
الماضين العجيبه مرصعا بحسن الاشارات مخرجا بوضع العبارات مفرغا في قالب الجمال
بافصح مقال فرحم الله تعالى مصنفه واجزل ثوابه وجعل الجنة متقلبه ومآبه * ولما
كان هذا الكتاب كما وصفت احببت ان انتخب من غرر قوائمه ودرر فرائده وزواهر
نصوصه وجواهر فصوصه مختصرا جامعا لمعاني التفسير ولباب التأويل والتعبير حاويا
خلاصة منقوله مبضمنا لنكته واصوله مع فوائده نقلتها وفرائده خصتها من كتب التفسير
المصنفة في سائر علومه المؤلفة ولم أجعل لنفسى تصرفا سوى النقل والانتخاب محتجا
حد التطويل والاسهاب وحذفت منه الاسناد لانه اقرب الى تحصيل المراد فأوردت
فيه من الاحاديث النبوية والاخبار المصطفوية على تفسير آية أو بيان حكم فان الكتاب
يطلب بيانه من السنة وعليها مدار الشرع واحكام الدين عزوته الى مخرجه وبينت
اسم ناقله وجعلت عوض كل اسم حرفا يعرف به ليهون على الطالب طلبه فما كان
من صحیح أبي عبدالله محمد بن اسمعيل البخاري فعلامته قبل ذكر اسم الصحابي الراوي
للحديث (خ) وما كان من صحیح أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فعلامته

والافهام المتصف بالالوهية
قبل كل موجود الباقي
بالنعوت السرمدية بعد كل
عبدالله الثقة ابن المأمون
الهروي قال أخبرنا أبي

ما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا * فكشف لهم قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن ام الكتاب * واخر متشابهات هن رموز الخطاب * تاويلا وتفسيرا * وبرز غوامض الحقائق * واطائف الدقائق * لينجلي لهم خفايا الملك

(م) وما كان مما اتفقا عليه فعلامته (ق) وما كان من كتب السنن كسنان أبي داود والترمذي والنسائي فاني اذ كر اسمه بغير علامة ومالم أجد في هذه الكتب ووجدت البغوي قد أخرجه بسندله انفرده قلت روى البغوي بسنده ومارواه البغوي بامتناد الثعلبي قلت روى البغوي باسناد الثعلبي وما كان فيه من أحاديث زائدة وألفاظ متغيرة فاعتمده فاني اجتهدت في تصحيح ما أخرجه من الكتب المعتمدة عند العلماء كالجمع بين الصحيحين للحميدى وكتاب جامع الاصول لابن الاثير الجزري * ثم انى عوضت عن حذف الاسناد شرح غريب الحديث وما يتعلق به ليكون أكمل فائدة في هذا الكتاب واسهل على الطلاب وسقته بابلغ ما قدرت عليه من اليجاز وحسن الترتيب مع التسهيل والتقريب * وينبغي لكل مؤلف كتابا في فن قد سبق اليه ان لا يخلو كتابه من خمس فوائد استنباط شئ كان معضلا أو جمعه ان كان متفرقا أو شرحه ان كان غامضا أو حسن نظم وتأليف او اسقاط حشو وتطويل وأرجو أن لا يخلو هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرت ﴿ وسميته لباب التأويل * في معاني التنزيل ﴾ والله تعالى أسأل التوفيق لاتمام ما قصدت و اليه ارجع في تيسير ما أردت وان يجعله خالصا لوجهه الكريم وان يتقبله منى انه هو السميع العليم وهو حسبي ونعم الوكيل عليه توكلت و اليه أئيب وقبل ان اشرع في الكلام على التفسير أقدم مقدمة تتضمن ثلاثة فصول

الفصل الاول في فضل القرآن وتلاوته وتعليقه

(م) عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يومافينا خطيبا بما يدعى خابين مكة والمدينة فحمد الله واثني عليه ووعظ وذكركم ثم قال اما بعد ألا أيها الناس انما أنا بشر نبيوشك ان يأتي نبي رسول ربي فاجيب واني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي * زاد في رواية كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأ ضل * وفي رواية كتاب الله هو جبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة * وفي رواية الترمذي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله جبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما (م) عن عمر بن الخطاب قال أما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين * وعن الحرث الاعور قال مررت في المسجد فاذا الناس ينحوضون في الاحاديث فدخلت على علي فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس

محدود الملك الذي طمست
سبحات جلاله الابصار
المتكبر الذي أزاحت
سطوات كبريائه الافكار
القديم الذي تعالى عن
قال أخبرنا أبو عبد الله قال
أخبرنا أبو عبد الله محمود

والملكوت وخبياي قدس الجبروت * ليتفكروا فيها تفكيرا * ومهد لهم قواعد الاحكام
واوضاعها * من نصوص الآيات والماعها * ليذهب عنهم الرجس ويبطهرهم تطهيرا *
من كان له قلب او التي السمع وهو شهيد * فهو في الدارين حيد وسعيد * ومن لم يرفع
اليه رأسه * واطفا نبراسه * يعش ذميا ويصلى سعيرا * فيا واجب الوجود * ويا فائض

قد خاضوا في الاحاديث قال أو قد فعلوها قلت نعم قال أما اني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ألانها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب
الله فيد نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من
تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو جبل الله المتين
وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيع به الاهواء ولا تلتبس
به الا لسنة ولا تشعب منه العداء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضى عجايبه هو الذي
لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجايبا يهدي الى الرشدا فآمننا به من
قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط
مستقيم خذها اليك يا أعور أخرجه الترمذي وقال حديث غريب واسناده
مجهول وفي الحرث مقال * قوله هو الفصل أي الفاصل بين الحق والباطل ليس
بالهزل أي هو جد كله ليس فيه شيء من الهزل والجبار في صفة آدمي هو المتسلط
العاني المتكبر على الناس قصمه الله أي أهلكه * قوله هو جبل الله المتين الجبل يرد
على وجوه منها العهد ومنها الامان فاذا اعتصم به الانسان آواه الله تعالى الى جواره
والذكر الشرف والحكيم المحكم العاري من الاختلاف والاضطراب والصراط المستقيم
الطريق الواضح ومعنى لا تزيع به الاهواء أي لا يميل عن الحق * عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل الذي ليس في جوفه شيء من
القرآن كالبيت الحرب أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (خ) عن عثمان
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه (ق) عن عائشة قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ
القرآن ويتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران * قوله الماهر بالقرآن يعني الخاذق الكامل
الحفظ الجيد التلاوة * وقوله مع السفرة جمع سافر وهو الرسول من الملائكة سمي بذلك
لانه يسفر برسالات الله الى أنبيائه وقيل السفرة الكتبة من الملائكة والبررة المطيعون
لله تعالى فيما يأمر به ومعنى كونه مع الملائكة أن له منازل في الجنة يكون فيها رفيقا
لهم * وقوله يتتبع أي يتردد في تلاوته لضعف حفظه له أجران يعني يحصل له أجر بسبب
القراءة وأجر بسبب تعبه فيها والمشقة التي تحصل له فيها وليس معناه ان له أجرا أكثر
من الماهر بل الماهر أفضل منه وأكثر أجرا (ق) عن أبي موسى الأشعري أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها
طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر

عائلة الحدثنان العظيم
الذي تنزه عن مماسة المكان
المتعالى عن مضاهاة الاجسام
ومشابهة الانام القادر
ابن محمد الرازى قال أخبرنا
عمار بن عبد المجيد الهروى
قال أخبرنا على بن اسحق

الجود * ويا غاية كل مقصود * صل عليه صلاة توازي غناه * وتجازى غناه وعلى من اعانه وقرر بنيانه تقريرا * وافض علينا من بركاتهم * واسلك بنا مسالك كراماتهم *
الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولاطم لها ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الخنظلة طعمها مر ولاريح لها * فيه دليل على فضيلة حفاظ القرآن واستحباب ضرب الامثال لايضاح المقاصد * عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب وقدر فعه بعضهم عن ابن مسعود ووقفه بعضهم عليه * عن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله أى الاعمال أحب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذى يضرب من أول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل أخرجه الترمذى * عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند الله آخر آية تقرؤها أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجي القرآن يوم القيامة فيقول يارب حله فلبس تاج الكرامة ثم يقول يارب زده فلبس حلة الكرامة ثم يقول يارب ارض عنه فيرضى عنه فيقال اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن * عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجا ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذى عمل بهذا أخرجه أبو داود * عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وليس له اسناد صحيح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به * معنى أذن في اللغة استمع ولا نحملة على الاصغاء فانه يستحيل على الله تعالى بل هو كناية عن تقريره قارى القرآن واجزال ثوابه في ذلك وذلك لان سماع الله لا يختلف فوجب تأويل الحديث * وقوله يتغنى بالقرآن أى يحسن صوته به ويكون ذلك مع تحزين وترقيق في القراءة وقيل معناه يستغنى به عن الناس والقول الاول أولى ويدل عليه سياق الحديث وهو قوله يجهر به (خ) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منامن لم يتغن بالقرآن

الفصل الثانى فى وعيد من قال فى القرآن برأيه من غير علم

ووعيد من أوتى القرآن فنسيه ولم يتعمده

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار * وفى روايه من قال فى القرآن برأيه أخرجه الترمذى

(وقال)

الذى لا يشار اليه بالتكليف
القاهر الذى لا يستل عن
التحميل والتكليف العليم
الذى خلق الانسان وعلمه
البيان الحكيم الذى نزل
القرآن شفاء للارواح
والابدان والصلاة والسلام
على المستل من أرومة
البلاغة والبراعة المحتل
السمرقندى عن محمد بن
سروان عن الكلبي عن أبي

وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا * وبعد * فان اعظم العلوم مقدارها وارتفاعها شرفها ومنارها * علم التفسير الذي هو ريس العلوم الدينية ورأسها * ومبنى قواعد الشرع واساسها *

وقال حديث حسن * قوله فليتبوا معناه فليتخذله مباءة أى منزلا من النار * عن جنذب ابن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فاصاب فقد أخطأ أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث غريب * وسئل أبو بكر الصديق رضى الله عنه عن قوله تعالى وفاكهة وأبا فقال أى سماء تظلمنى وأى ارض تظلمنى اذا قلت في كتاب الله بغير علم * قال العلماء النهى عن القول في القرآن بالرأى انما ورد في حق من يتأول القرآن على مراد نفسه وما هو تابع لهواه وهذا لا يخلو اما أن يكون عن علم او لافان كان عن علم كمن يتحجج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أن المراد من الآية غير ذلك لكن عرضه ان يلبس على خصمه بما يقوى حجته على بدعته كما يستعمله الباطنية والخوارج وغيرهم من أهل البدع في المقاصد الفاسدة ليغروا بذلك الناس وان كان القول في القرآن بغير علم لكن عن جهل وذلك بان تكون الآية محتملة لوجوه فيفسرها بغير ما تحتمل من المعانى والوجوه فهذان القسمان مذمومان وكلاهما داخل في النهى والوعيد الوارد في ذلك * فاما التأويل وهو صرف الآية على طريق الاستنباط الى معنى يليق بها محتمل لما قبلها وما بعدها وغير مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه أهل العلم فان الصحابة رضى الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ولكن على قدر ما فهموا من القرآن تكلموا في معانيه وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهم في الدين وعلمه التأويل فكان أكثر ما نقل عنه التفسير (ق) عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدوا هذا القرآن فوالذى نفس محمد بيده لهو أشد ثقلتا من الابل في عقلها (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة ان تعاهد عليها أمسكها وان أطلقها ذهبت الابل المعقلة التي حبست بالعقال وهذا مثل ضربه لصاحب القرآن ففيه الخث على تعاهد به بكثرة التلاوة والتكرار لثلاثينى (ق) عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بثما لاحدكم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي استدكروا القرآن فانه أشد تفصيلا من صدور الرجال من النعم من عقلها * وفي رواية لا يقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا بل هو نسي * قوله بثما لاحدكم أى بثست الحالة حالة من حفظ القرآن ثم غفل عنه حتى نسى * قوله لا يقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا معناه انما كره نسبة النسيان الى النفس لاجل أن الله تعالى هو المقدر للاشياء كلها وهو الذى أنساه اياه * وقيل أصل النسيان الترك فكره أن يقول تركت القرآن أو قصدت الى نسيانه * وقوله بل نسي هو بضم النون وتشديد السين وقبح اليباء أى عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه اولسوء

في مجبوحه النصاحة
والفصاحة محمد المبعوث
الى خليفته الداعى الى الحق
وطريقته صلى الله عليه
وسلم وعلى آله وشيعته (قال)
مولانا الشيخ الامام المعظم
والخبر الهمام المقدم أستاذ
أهل الارض محي السنة
والفرض كشاف حقائق
أسرار التنزيل مفتاح أسرار
صالح عن ابن عباس قال الباء
بهاء الله وبهجته وبلاؤه
وبركته وابتداء اسمه

لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه * الا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها * وفاق في الصناعات العربية * والقنون الادبية * بانواعها ولطال ما حدث

تمهده القرآن * وقوله أشد تفصيلا أى خروجا من صدور الرجال وفي معناه تفلتا من الابل في عقلها أى تحلصا من العقال وهو الحبل الذى تربط به * عن سعد بن عبادة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه الا لقي الله يوم القيامة أجنم أخرجه أبو داود * الاجنم قيل هو مقطوع اليد وقيل هو مقطوع الحجة وقيل هو الذى به جذام * عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت على أجور أمى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب أمى فلم أرفيها ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أو تيها رجل ثم نسيها أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث غريب (ق) عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسافروا بالقرآن الى أرض العدو مخافة أن ينال بسوء أراد بالقرآن المصحف فلا يجوز جله الى أرض العدو وهى بلاد الكفار للنهى الوارديه ولو كتب كتابا اليهم فيه آية من القرآن فلا بأس من ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل ملك الروم قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم * عن عمران بن حصين انه مر على رجل يقرأ ثم سأل فاسترجع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجي أقوام يقرؤن القرآن يسألون به الناس أخرجه الترمذى * عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما آمن بالقرآن من استحل محارمه أخرجه الترمذى وقال ليس اسناده بالقوى * عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب

الفصل الثالث في جمع القرآن وترتيب نزوله وفي كونه نزل على سبعة أحرف
(خ) عن زيد بن ثابت قال بعث الى أبوبكر لمقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبوبكر ان عمر جاءنى فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وانى أخشى أن يستحر القتل بالقراء في كل المواطن فيذهب من القرآن كثير وانى أرى أن تأمر بجمع القرآن قال قلت لعمر كيف أفعال شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل يراجعنى في ذلك حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر عمر ورأيت في ذلك الذى رأى عمر قال زيد فقال لى أبوبكر انك رجل شاب عاقل لا تهتمك قد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنتبع القرآن فاجمه قال زيد فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن فقلت كيف تنملان شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبوبكر هو والله خير فلم يزل أبوبكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر * وفي رواية فلم يزل عمر

حقائق التأويل ترجان
كلام الرجن صاحب علم
المعانى والبيان الجامع
بين الاصول والفروع
المرجوع اليه في المعقول
والمسموع حافظ الملة والدين
شيخ الاسلام والمسلمين

بارى السنين سناؤه وسومه
أى ارتفاعه وابتداء اسمه
سميع * الميم ملكه ومجده

نفسى ان اصنف في هذا الفن كتابا يحتوى على صفوة ما بلغنى من عظماء الصحابة وعلماء
 يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر ورأيت في ذلك الذى
 رأيا قال فتدبت القرآن أجده من الرقاق والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت
 آخر سورة التوبة مع خزيمه أو مع أبى خزيمه الانصارى فلم أجدها مع أحد غيره لقد
 جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر براءة فألحقها في سورتها قال فكانت الصحف عند
 أبى بكر حياته حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر * قال
 بعض الرواة اللخاف يعنى الخرف (خ) عن أنس ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان
 وكان يغازى أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة
 اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الامه قبل ان يختلفوا
 في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلى الينا
 بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فارسلت بها اليه فامر زيد بن ثابت وعبدالله
 ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحرث بن هشام رضى الله عنهم فنسخوها
 في المصاحف * وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شئ
 من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف
 في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وأرسل الى كل أفق بصحف مما نسخوا وأمر
 بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق * قال ابن شهاب وأخبرنى
 خارجة بن زيد انه سمع زيد بن ثابت يقول فقدت آية من سورة الاحزاب حين
 نسخت الصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتسناها فوجدناها
 مع خزيمه بن ثابت الانصارى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالحقناها
 في سورتها في المصحف قال في رواية ابن اليمان مع خزيمه بن ثابت الذى جعل رسول
 الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين * زاد في رواية قال ابن شهاب اختلفوا
 يومئذ في التابوت فقال زيد التابوت وقال عبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص التابوت
 فرفع اختلافهم الى عثمان فقال اكتبوه التابوت فانه بلسان قريش

شرح غريب ألفاظ الحديثين وما يتعلق بهما

قوله بعث الى أبوبكر لقتل أهل اليمامة أى لا وأن قتلهم وأراد به الوقعة التى كانت باليمامة
 في زمن أبى بكر الصديق وهى وقعة الردة مع أصحاب الردة فقتل فيها خلق كثير من قراء
 القرآن * واليمامة مدينة باليمن على يومين من الطائف وعلى أربعة أيام من مكة ولها عمائر
 وهى في عداد أرض نجد * قوله استحر القتل أى كثرت وينسب المكروه الى الحر والمحبوب
 الى البرد * وشرح الصدر سعة وقبوله الخير * قوله فتدبت القرآن أججمه من الرقاق جمع
 رقعة وهى ما يكتب فيها * والعسب بضم العين والسين المهملتين جمع عسيب وهو جريد
 النخل وسعفه * واللخاف حجارة بيض رقاق واحده لطفة * قوله يغازى أهل الشام أى
 مع أهل الشام * في فتح أرمينية بكسر الهمزة وتخفيف الياء لا غير سميت بارمين بن لمطى

وارث علوم الانبياء
 والمرسلين أكمل فجول
 المجتهدين قدوة قروم
 المحققين ذو السعادات
 والكرامات أبو البركات
 ومنتته على عباده الذين
 هداهم الله تعالى للايمان

التابعين * ومن دونهم من السلف الصالحين * وينطوى على نكت بارعة * ولطائف

ابن لومن بن يافث بن نوح وهو أول من نزل بها سميت باسمه * وأذربيجان بفتح الهمزة وسكون الذال وغير ذلك في ضبطها وقال ابن جنى فيها خمسة موانع من الصرف التعريف والتأنيث والعجمة والتركيب والالف والنون وهو موضع من بلاد العجم يشتمل على بلاد كثيرة * قوله حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمية أو مع أبي خزيمية الانصارى * وفي الحديث الآخر فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمية بن ثابت الانصارى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية * فاعلم أن المذكور في الحديث الاول غير المذكور في الحديث الثاني وهما قضيتان فاما المذكور في الحديث الاول فهو أبو خزيمية بن اوس بن زيد بن أصرم بن ثعلبة بن عمر بن مالك بن النجار الانصارى شهد بدرًا وما بعدها وتوفي في خلافة عثمان وهو الذي وجدت عنده آخر سورة التوبة كذا ذكره ابن عبد البر وأما المذكور في الحديث الثاني فهو أبو عمارة خزيمية بن ثابت ابن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الخطمي الاوسى الانصارى يعرف بنى الشهداءتين شهد بدرًا وما بعدها وقتل يوم صفين مع علي بن أبي طالب * قوله فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمية معناه انه كان يتطلب نسخ القرآن من الاصل الذي كتب بامر النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه فلم يجد تلك الآية الامع خزيمية وليس فيه اثبات القرآن بقول الواحد لان زيدا كان قد سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم موضعها من سورة الاحزاب بتعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح به الحديث قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها وتتبعه الرجال كان الاستظهار بالاستحداث علم لان القرآن العظيم كان محفوظا عند زيد وغيره من الصحابة فقد ثبت في الصحيح عن أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الانصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد وزيد بن جهمي ابن ثابت قلت لأنس من أبو زيد قال أحد عمومتى أخرجاه في الصحيحين اسم أبي زيد سعد بن عبيد * وأخرج الترمذى من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة قال حديث حسن صحيح وتقدم حديث زيد بن ثابت وفيه أنه استحر القتل بقراء القرآن فثبت بمجموع هذه الاحاديث ان القرآن كان على هذا التأليف والجمع في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ترك جمعه في مصحف واحد لان النسخ كان يرد على بعضه ويرفع الشيء بعد الشيء من التلاوة كما كان ينسخ بعض أحكامه فلم يجمع في مصحف واحد ثم لورفع بعض تلاوته أدى ذلك الى الاختلاف واختلاط أمر الدين لحفظ الله كتابه في القلوب الى انتضاء زمن النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم وثبت بالدليل الصحيح ان الصحابة انما جمعوا القرآن بين الدفتين كما أنزله الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من غير ان زادوا فيه أو

عبدالله بن أحمد بن محمود
النسفي نفع الله الاسلام
بطول بقاءه والمسلمين بين
وابتداء اسمه مجيد (الله)
معناه الخلق يألهون

رائعة * استنبطتها انا ومن قبلي من افاضل المتأخرين * وامثال المحققين * ويعرب عن

نقصوا منه شيئا والذي جعلهم على جمعه ماجاء ميينا في الحديث وهو انه كان مفرقا في العسب والخاف وصدور الرجال فحافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته ففرزوا الى خليفة رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم ابي بكر فدعوه الى جمعه فرأى في ذلك رأيهم فامر بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن قدموا أو آخروا شيئا أو وضعوا له ترتيبا لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل آية ان هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا فثبت ان سعى الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه فان القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على النحو الذي هو في مصاحفنا الآن وقد صح في حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام في كل عام مرة في رمضان وانه عرضه في العام الذي توفي فيه مرتين ويقال ان زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة التي عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام وهي العرضة التي نسخ فيها ما نسخ وبقى فيها ما بقى ولهذا اقام أبو بكر زيد بن ثابت في كتابة المصحف وألزمه بها لانه قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفي فيه مرتين فكان جمع القرآن سببا لبقائه في الامة رجة من الله تعالى لعباده وتحقيقا لوعده في حفظه على ما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون * واعلم ان الله تعالى أنزل القرآن المجيد من اللوح المحفوظ جملة واحدة الى سماء الدنيا في شهر رمضان في ليلة القدر ثم كان ينزله مفرقا على لسان جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم مدة رسالته نجوما عند الحاجة وحدث ما يحدث على ما شاء الله تعالى وترتيب نزول القرآن غير ترتيبه في التلاوة والمصحف * فاما ترتيب نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاول ما نزل من القرآن بمكة اقرأ باسم ربك الذي خلق * ثم نون والقلم * ثم يا أيها المزمل * ثم المدثر * ثم تبت يدا أبي لهب * ثم اذا الشمس كورت * ثم سبع اسم ربك الاعلى * ثم والليل اذا يعشى * ثم والفجر * ثم والضحى * ثم ألم نشرح * ثم والعصر * ثم والعاديات * ثم انا اعطيناك الكوثر * ثم الهاكم التكاثر * ثم رأيت الذي * ثم قل يا أيها الكافرون * ثم الفيل * ثم قل هو الله أحد * ثم والنجم * ثم عبس * ثم سورة القدر * ثم سورة البروج * ثم التين * ثم لا يلاف قريش * ثم القارعة * ثم القيامة * ثم الهزيمة * ثم المرسلات * ثم ق * ثم سورة البلد * ثم الطارق * ثم اقتربت الساعة * ثم ص * ثم الاعراف * ثم الجن * ثم يس * ثم الفرقان * ثم فاطر * ثم مريم * ثم طه * ثم الواقعة * ثم الشعراء * ثم النمل * ثم القصص * ثم سورة نبي اسرائيل * ثم يونس * ثم هود * ثم يوسف * ثم الحجر * ثم الانعام * ثم والصافات * ثم لقمان * ثم

لقائه قد سألتني ممن تتعين
اجابته كتابا وسطا في
التأويلات جامعا لوجوه

ويتألهون اليه أي يتضرعون
اليه عند الحوائج ونزول

وجوه القراآت المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين * والشواذ المروية عن القراء

سبأ * ثم الزمر * ثم المؤمن * ثم السجدة * ثم حم عسق * ثم الزخرف * ثم الدخان * ثم الجاثية * ثم الاحقاف * ثم الذاريات * ثم الفاشية * ثم الكهف * ثم النحل * ثم نوح * ثم ابراهيم * ثم الانبياء * ثم قدأ فلع المؤمنون * ثم تنزل السجدة * ثم الطور * ثم الملك * ثم الحاقة * ثم سأل سائل * ثم عم يتساءلون * ثم النازعات * ثم اذا السماء انفطرت * ثم اذا السماء انشقت * ثم الروم * ثم العنكبوت و اختلفوا في آخر ما نزل بمكة فقال ابن عباس العنكبوت وقال الضحاك وعطاء المؤمنون وقال مجاهد ويل للمطففين فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة فذلك ثلاث وثمانون سورة على ما استقرت عليه روايات الثقات * وأما ما نزل بالمدينة فاحد وثلاثون سورة فاول ما نزل بها سورة البقرة * ثم الانفال * ثم آل عمران * ثم الاحزاب * ثم الممتحنة * ثم النساء * ثم اذا زلزلت الارض * ثم الحديد * ثم سورة محمد صلى الله عليه وسلم * ثم الرعد * ثم سورة الرحمن * ثم هل أتى على الانسان * ثم الطلاق * ثم لم يكن * ثم الحشر * ثم الفلق * ثم الناس * ثم اذا جاء نصر الله والفتح * ثم النور * ثم الحج * ثم اذا جاءك المنافقون * ثم المجادلة * ثم الحجرات * ثم التحريم * ثم الصف * ثم الجمعة * ثم التغابن * ثم الفتح * ثم التوبة * ثم المائدة * منهم من يقدم المائدة على التوبة فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بالمدينة واختلفوا في شورى فتقبل نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة وسند ذكر ذلك في مواضعه ان شاء الله تعالى

فصل في كون القرآن نزل على سبعة أحرف وما قيل في ذلك

(ق) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذت أساوره في الصلاة فتربصت حتى سلم فلبيته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها قال أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأني على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرأ يا عمر فقرأت بقراءة التي أقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه * قوله فكذت أساوره في الصلاة أى أوأثبه وأقاتله وهو في الصلاة * والترص التثبت * قوله فلبيته بردائه هو بتشديد الباء الاولى ومعناه أخذت بمجامع رداؤه في عنقه وجذبت به مأخوذ من البة وفيه بيان ما كانوا عليه من الاعتناء بالقرآن والذب عنه والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غير عدول الى ما تجوزة العربية وأما أمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر

الاعراب والقراآت متضمنة لدقائق على البدع والاشارات حاليا باقويل أهل السنة والجماعة خاليا

الشدة (الرحن) العاطف على البر والفاجر بالرزق لهم ودفع الآفات عنهم

قوله فاحد وثلاثون فيه ان المعدود ثلاثون لا غير نعم سيد كران شورى نزلت بالمدينة على قول وعليه فهي احد وثلاثون اه صححه المصري

المعتبرين * الا ان قصور بضاعتى يثبطنى عن الاقدام * ويعنى عن الانتصاب فى هذا المقام
بارساله فلانه لم يثبت عنده ما يقتضى تعزيره ولان عمر انما نسبه الى مخالفته فى القراءة
والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم من جواز القراءة ووجوهها ما لا يعلمه عمر ولانه
اذا قرأ وهو يلبس لا يتمكن من حضور القلب وتحقيق القراءة تمكن المطلق * قوله ان
هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تبسر منه قال العلماء سبب انزاله على
سبعة أحرف التخفيف والتسهيل واختلفوا فى المراد بسبعة أحرف فقيل هو توسعة
وتسهيل ولم يقصد به الحصر وقال الاكثرون هو حصر العدد فى سبعة أحرف ثم قيل
هى فى سبع من المعانى كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والتقصص
والامثال والامر والنهى وقيل هى فى صورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القرآن
من ادغام وظهار وتفتيح وترقيق ومد وقصر وامالة لان العرب كانت تختلف اللغات
فى هذه الوجوه فيسر الله تعالى عليهم ليقرا كل انسان بما يوافق لفته ويسهل على لسانه
وقال أبو عبيدة هى سبع لغات من لغات العرب تميمها ومعناها وهى أفصح لغات العرب
وأعلاها وقيل هى لغة قريش وهوازن وهذيل وأهل اليمن وقيل السبعة كلها لمض
وحدها وهى متفرقة فى القرآن العزيز غير مجتمعة فى كلمة واحدة وقيل بل هى مجتمعة
فى بعض الكلمات كقوله تعالى وعبد الطاغوت ونزع ونلعب وباعد بين أسفارنا
وبعداب بئس وقيل هى سبع قراآت وهو الصحيح الموافق للحديث لان هذه السبعة
ظهرت واستفاضت عن النبي صلى الله عليه وسلم وضبطها عنه الصحابة وأثبتها عثمان
والجماعة فى المصاحف وأخبروا بصحتها وحذفوا منها ما لم يثبت متواترا وان هذه
الاحرف تختلف معانيها تارة وألفاظها أخرى وليست متضادة ولا متباينة فاما من
قال ان المراد بالاحرف سبعة معان مختلفة كالحكام والامثال والتقصص فخطأ محض لان
النبي صلى الله عليه وسلم أشار الى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وابدال
حرف بحرف وقد تقرر اجماع المسلمين على انه يحرم ابدال آية أمثال آية أحكام وقول
من قال ان المراد خواتيم الآتى فيجعل مكان غفور رحيم سميع عليم ففاسد أيضا وخطأ
للاجماع على انه لا يجوز تغيير نظم القرآن والله أعلم (ق) عن ابن عباس رضى الله
عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرأنى جبريل على حرف فراجعت
فزادنى فلم أزل أستزيد ويزيدنى حتى انتهى الى سبعة أحرف * معنى الحديث لم أزل
أطلب من جبريل ان يطلب من الله عز وجل الزيادة فى الاحرف للتوسعة والتخفيف
ويسأل جبريل ربه عز وجل فيزيده حتى انتهى الى السبعة (م) عن أبي بن كعب رضى
الله عنه قال كنت فى المسجد فدخل رجل يصلى فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر
فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت ان هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه فدخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه
فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما

عن أباطيل أهل البدع
والضلالة ليس بالطويل
الممل ولا بالتقصير المخل
(الرحيم) خاصة على
المؤمنين بالمغفرة وادخالهم

حتى سئخلى بعد الاستخارة ما صم به عزمى على الشروع فيما اردته * والايان بما قصدته فسقط في نفسى من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غشيتى ضرب في صدرى ففضت عرقا وكانما أنظر الى الله عز وجل فرقا فقال لى يا أبى ارسل الى ان أقرأ على حرف واحد فرددت اليه ان هوّن على أمتى فرد الى الثانية أن اقرأه على حرفين فرددت اليه أن هوّن على أمتى فرد الى الثالثة ان اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها فقلت اللهم اغفر لامتى اللهم اغفر لامتى وأخرت الثالثة ليوم ترغب الى الناس كلهم حتى ابراهيم * قوله فسقط في نفسى من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية معناه وسوس الى الشيطان تكذيبا للنبوة أشد مما كنت عليه في الجاهلية لانه كان في الجاهلية غافلا ومشككا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب وقيل معناه انه اعترته حيرة ودهشة ونزع الشيطان في قلبه تكذيبا لم يعتقدوه وهذه الخواطر اذا لم يستمر عليها الانسان لا يؤاخذ بها * قوله ضرب في صدرى ففضت عرقا * قال القاضى عياض ضربه صلى الله عليه وسلم في صدره تبيته حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم * قوله وكانما أنظر الى الله تعالى فرقا * الفرق بالتحريك الخوف والخشية والمعنى أنه غشيه من الهيبة والخوف والعظمة حين ضربه ما أزال عنه ذلك الخاطر * قوله تعالى ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها * معناه مسألة مجابة قطعاً وأما باقى الدعوات فرجوة الاجابة وليست قطعية الاجابة والله اعلم * روى البغوى بسنده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان القرآن نزل على سبعة أحرف لكل آية منه ويروى لكل حرف منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع قيل في معناه الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل في معناه الظهر ما حدث عن أقوام أنهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر وفي الباطن عظة وقيل الظهر التلاوة باللسان كما نزل والبطن التدبر والتفهم والتفكر بالقلب فالتلاوة باللسان كما تكون بالتعليم والتلقين والتدبر والتفهم تكون بصدق النية وتعظيم الحرمة وإخلاص العمل وطيب المطعم من الحلال المحض * قوله ولكل حد مطلع معناه مصعد يصعد اليه من معرفة علمه وقيل المطلع الفهم وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر في القرآن العزيز من التأويل والمعاني مالا يفهمه على غيره وفوق كل ذى علم دليم والله أعلم

فصل في معنى التفسير والتأويل

فاما التفسير فاصله في اللغة من الفسر وهو كشف ما غطى وهو بيان المعانى المعقولة فكل ما يعرف به الشيء ومعناه فهو تفسير وقد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغيرها تفسير وقيل هو من التفسرة وهو الدليل الذى ينظر فيه الطيب فيكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن معنى الآية وشأنها وقصتها * وأما التأويل فاشتقاقه من الاول وهو الرجوع الى الاصل يقال أولته قال أى صرقته فانصرف

وكنتم أقدم فيه رجلا
وأؤخر أخرى استقصارا
لقوة البشر عن درك هذا
الجنة ومعناه الذى يستر
عليهم الذنوب فى الدنيا

ناويا ان اسميه بعد ان اتمه به ﴿انوار التنزيل واسرار التأويل﴾

وهو رد الشيء الى الغاية والمراد منه بيان غايته المقصودة منه فالتأويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الآية * والفرق بين التفسير والتأويل ان التفسير يتوقف على النقل المسموع والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح والله أعلم

﴿ القول في الاستعاذة ﴾

ولفظها المختار أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لموافقة قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى أعوذ بالله التجيء اليه وأمتنع به مما أخشاه من عاذي أعوذ * والشيطان أصله من شطن أى تباعد من الرحة وقيل من شاطي شيط اذا هلك واحترق غضبا والشيطان اسم لكل عارم عات من الجن والانس وشيطان الجن مخلوق من قوة النار فلذلك فيه القوة الغضبية * الرجيم فعيل بمعنى فاعل أى يرجم بالوسوسة والشتر وقيل بمعنى مفعول أى مرجوم بالشبه عند استراق السمع وقيل مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم بمعنى مطروده عن الرحة وعن الخيرات وعن منازل الملائكة الاعلى * وأما حكم الاستعاذة ففيه مسائل ﴿ المسئلة الاولى ﴾ اتفق الجمهور على ان الاستعاذة سنة في الصلاة فلو تركها لم تبطل صلاته سواء تركها عمدا أو سهوا ويستحب لقارئ القرآن خارج الصلاة ان يتعوذ أيضا وحكى عن عطاء وجوبها سواء كانت في الصلاة أو غيرها وقال ابن سيرين اذا تعوذ الرجل في عمره مرة واحدة كفى في اسقاط الوجوب * دليل الوجوب ظاهر قوله تعالى فاستعذ والامر للوجوب وان النبي صلى الله عليه وسلم واظب على التعوذ فيكون واجبا * ودليل الجمهور ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة أعمال الصلاة وتأخير البيان عن وقته غير جائز * وأجيب عن قوله تعالى فاستعذ بان معناه عند جاهير العلماء اذا أردت القراءة فاستعذ كقوله اذا قمم الى الصلاة فاعسلوا معناه اذا أردتم القيام الى الصلاة * وأجيب عن مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم بانه صلى الله عليه وسلم واظب على أشياء كثيرة من أفعال الصلاة ليست بواجبة كتكبيرات الانتقالات والتسبيحات في الصلاة فكان التعوذ مثلها ﴿ المسئلة الثانية ﴾ وقت الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور سواء كان في الصلاة أو خارجها وحكى عن النخعي انه بعد القراءة وهو قول داود وأحدى الروایتين عن ابن سيرين * حجة الجمهور ماروى عن أبي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمديك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يقول الله أكبر كبيرا ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه أخرجه الترمذى وقال هذا الحديث أشهر حديث في الباب وقد تكلم في بعض رجاله وقال أحمد لا يصح ولا يابى داود والنسائى عن أبي سعيد نحوه * وعن جبير بن مطعم انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة قال عمر ولا أدري أى صلاة هى قال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا

الوطر وأخذ السبيل الحذر
عن ركوب متن الخطر حتى
شرعت فيه بتوفيق الله
والعوائق كثيرة وأتمته
في مدة يسيرة ﴿ وسميته
بمدارك التنزيل وحقائق
التأويل ﴾ وهو الميسر
لكل عسير وهو على ما يشاء
قدير وبالإجابة جدير
ويرجمهم في الآخرة
فيدخلهم الجنة

فها انا الآن اشعر وبحسن توفيقه اقول * وهو الموفق لكل خير ومعطى كل مسئول

سورة فاتحة الكتاب

وتسمى ام القرآن لانها مفتحة ومبدأ فكأنها اصله ومنشأه ولذلك تسمى اساسا ولانها أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهزمه * قال نفخه الكبير * ونفثه الشعر وهزمه الموتة أخرجه أبوداود وقيل الموتة الجنون لان من جن فقدمت عقله وقيل همزه هو الذي يوسوسه في الصلاة ونفخه هو الذي يلقيه من الشبه في الصلاة ليقطع عليه صلاته * واحتج مخالف الجمهور بظاهر قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وأجيب عنه بما تقدم * وقال مالك لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ في قيام رمضان بعد القراءة لنا ما تقدم من الادلة ❦ المسئلة الثالثة ❦ المختار من لفظ الاستعاذة عند الشافعي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبه قال أبو حنيفة لموافقة قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولحديث جبير بن مطعم * وقال أحد الاولي أن يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين هذه الآية وبين قوله تعالى فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ولحديث أبي سعيد وقال الثوري والاوزاعي الاولي ان يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وبالجملة فالاستعاذة تطهر القلب عن كل شئ يشغله عن الله تعالى ❦ ومن لطائف الاستعاذة ان قوله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بالجزع والضعف واعتراف من العبد بقدرة البارئ عز وجل وانه هو الغني القادر على دفع جميع المضرات والآفات واعتراف من العبد أيضا بان الشيطان عدو مبين ففي الاستعاذة التجاء الى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الغوي الفاجر وانه لا يقدر على دفعه عن العبد الا الله تعالى والله تعالى أعلم

تفسير سورة الفاتحة

وهي سبع آيات بالاتفاق وسبع وعشرون كلمة ومائة وأربعون حرفا * واختاب العلماء في نزولها فقيل نزلت بمكة وهو قول أكثر العلماء وقيل نزلت بالمدينة وهو قول مجاهد وقيل نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها ولها عدة أسماء وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى وفضله * فاول ذلك فاتحة الكتاب سميت بذلك لان بها افتتح القرآن وبها تفتح كتابة المصاحف وبها تفتح الصلاة * الثاني سورة الحمد سميت بذلك لافتتاحها بالحمد لله * الثالث أم القرآن وأم الكتاب سميت بذلك لانها أصل القرآن وأم كل شئ أصله وقيل هي امام لما يتلوها من السور * الرابع السبع المثاني سميت بذلك لانها تنفي في الصلاة ويقرأ بها في كل ركعة وقيل لان الله تعالى استثنى هذه الامة وادخرها لهم لم ينزلها على غيرهم وقيل لانها انزلت مرتين * الخامس الوافية سميت بذلك لانها لا تقسم في القراءة في الصلاة كما يقسم غيرها من السور * السادس الكافية سميت بذلك لانها تكفي عن غيرها في الصلاة ولا يكفي عنها غيرها

فاتحة الكتاب

مكية وقيل مدنية والاصح انها مكية ومدنية نزلت بمكة حين فرضت الصلاة ثم نزلت بالمدينة حين حولت القبلة الى العكبة وتسمى أم القرآن للحديث قال عليه السلام لا صلاة لمن لم يقرأ بام القرآن ولا شتمها على المعاني التي في القرآن وسورة الوافية والكافية لذلك وسورة الكنز لقوله

ومن سورة فاتحة

الكتاب وهي مدنية
ويقال مكية ❦

تشتمل على ما فيه من الثناء على الله سبحانه وتعالى والتعبد بامرته ونهيته وبيان وعده ووعدته
او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم
والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء * وسورة الكنز والواقية والكافية لذلك
وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلاة لوجوب قراءتها
واستحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عليه الصلاة والسلام هي شفاء من كل داء
والسبع المثاني لانها سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية دون انعمت عليهم

فصل في ذكر فضلها

عليه السلام كما عن الله
تعالى فاتحة الكتاب كنز
من كنوز عرشى وسورة
الشفاء والشافية لقوله عليه
السلام فاتحة الكتاب شفاء
من كل داء الا السام وسورة
المثاني لانها تنفي في كل
صلاة وسورة الصلاة لما
يروى ولانها تكون واجبة
أو فريضة وسورة الحمد
والاساس فانها اساس
القرآن قال ابن عباس
رضي الله عنهما اذا اعتلت
أو اشتكيت فعليك بالاساس
وأيها سبع بالاتفاق

(خ) عن أبي سعيد بن المعلى قال كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم أجبه ثم أتيتته فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي فقال ألم يقل الله استجبوا لله
وللرسول اذا دعاكم ثم قال لي لا علمتكم سورة هي أعظم السور في القرآن قبل ان يخرج
من المسجد ثم اخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له يا رسول الله ألم تقل لا علمتكم
سورة هي أعظم السور في القرآن قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن
العظيم الذي أوتيته * ورواه مالك في الموطأ عنه وقال فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم
نادى أبي بن كعب وهو يصلي وذكر نحوه وفيه حتى تعلم سورة ما أنزل في التوراة
ولا في الانجيل ولا في الزبور مثلها * ورواه الترمذي عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم خرج على أبي وهو يصلي وذكر نحو رواية الموطأ وقال فيه حديث حسن
صحيح * عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله في التوراة
ولا في الانجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي
ولعبدي ما سألت أخرجه الترمذي والنسائي * عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني أخرجه أبو داود
والترمذي وقال حديث حسن صحيح (م) عن ابن عباس قال بينا جبريل قاعد عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من
السماء فتح اليوم ولم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض
لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب
وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها الا أعطيته * قوله سمع نقيضا هو بالقاف
والضاد المعجمة أي صوتا كصوت فتح الباب (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج هي خداج
غير تمام قال فقلت يا أبا هريرة انا أحيانا نكون وراء الامام فغمز ذراعي وقال اقرأها
في نفسك يا فارسي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سألت فاذا
قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله جندني عبدني واذا قال الرحمن الرحيم قال أثنى
على عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال مجندني عبدي وربما قال فووض الى عبدي

ومنهم من عكس وتثنى في الصلاة او الانزال ان صح انها نزلت بركة حين فرضت الصلاة وبالمدينة حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ من الفاتحة ومن كل سورة وعليه قراءة مكة والكوفة وفقهاؤها وإمام ابن المبارك رحمه الله تعالى والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة رحمه الله تعالى فيه بشئ فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله تعالى ولنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة رضى الله عنها قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن اجلهما اختلف في انها آية برأسها أم بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله سبحانه وتعالى والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم تكب آمين * والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ لأن الذي يتلوه مقروء وكذلك يضم كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأه وذلك اولى من ان يضم ابدا لعدم ما يطابقه وما

التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك للابتداء بها وهو مذهب ابي حنيفة ومن تابعه رحمه الله ولذا لا يجهر بها عندهم في الصلاة وقراء مكة والكوفة على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي وأصحابه رحمه الله ولذا يجهرون بها في الصلاة وقالوا قد أثبتنا السلف في المحصف مع الامر بتجريد القرآن عما ليس منه وعن ابن

واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدى ولعبدى ما سأل واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل * قوله فهى خداج أى ناقصة * قوله فغمز ذراعى أى كبس ساعدى بيده * قوله قسمت الصلاة أراد بالصلاة هنا القراءة لانه فسرها بها ولان القراءة ركن من أركانها وجزء من أجزائها * قوله نصفين حقيقة هذه القسمة التى جعلها بينه وبين عبده راجعة الى المعنى لالى اللفظ لان هذه السورة من جهة المعنى نصفها ثناء ونصفها مستئلة ودعاء ووقسم الثناء انتهى عند قوله تعالى اياك نعبد وقوله واياك نستعين من قسم الدعاء ولهذا قال هذا بيني وبين عبدى ولعبدى ما سأل * قوله جدى عبدى ومجدنى أى أئى على لان الحمد هو الثناء بحمىل الفاعل والتمجيد الثناء بصفات الجلال وقيل التمجيد والتعظيم * قوله وربما قال فوض الى عبدى وجه مطابقة هذا لقوله مالك يوم الدين يقال فلان فوض أمره الى فلان اذا رد، اليه وعول فيه عليه وفي الحديث دليل على وجوب قراءة الفاتحة وأنها متعينة وهو مذهب الشافعي وجماعة وستأتى هذه المسئلة ان شاء الله تعالى بعد ذكر تفسير الفاتحة والله أعلم

عباس رضى الله عنهما من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله ولنا حديث ابي هريرة قال سمعت النبي عليه السلام يقول قال الله تعالى قسمت الصلاة أى الفاتحة بيني وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى جدى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى أئى على عبدى واذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدى ولعبدى ما سأل فاذا قال

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ الباء في بسم الله حرف خافض يخفض ما بعده مثل من وعن والمتعلق به مضمير محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره أبدا باسم الله أو باسم الله أبدا أو اقرأ وانما طولت الباء في بسم الله وأسقطت الالف طلبا للتحفة

اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدى (وقيل)

يدل عليه او ابتدأ لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما في قوله بسم الله مجراها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم ووافق للوجود فان اسمه سبحانه وتعالى مقدم على القراءة كيف لا وقد جعل آلهة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه تعالى لقوله عليه الصلاة والسلام كل امرئى بال لا يبدأ فيه بسم الله فهو ابر * وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله تعالى اقرأ وهذا وما بعده مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسئل من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها

وقيل لما أسقطوا الالف ردوا طولها على الباء ليدل طولها على الالف المحذوفة وأثبتت الالف في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لقلة استعماله وقيل انما طولوا الباء لانهم أرادوا أن يستفتحوا كتاب الله بحرف معظم وقيل الباء حرف منخفص الصورة فلما اتصل باسم الله ارتفع واستعلى وقيل ان عمر بن عبدالعزيز كان يقول لكتابه طولوا الباء من بسم الله وأظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله عز وجل والاسم هو المسمى عينه وذاته قال الله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال يا يحيى وقال سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك * وهذا القول ليس بقوى والصحيح المختار أن الاسم غير المسمى وغير التسمية فالاسم ما تعرف به ذات الشئ وذلك لان الاسم هو الاصوات المقطعة والحروف المؤلفة الدالة على ذات ذلك الشئ المسمى به فثبت بهذا أن الاسم غير المسمى وأيضا قد تكون الاسماء كثيرة والمسمى واحد كقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقد يكون الاسم واحدا والمسميات به كثيرة كالاسماء المشتركة وذلك يوجب المغايرة وأيضا فقوله فادعوه بها أمر أن يدعى الله تعالى باسمائه فالاسم آلة الدعاء والمدعو هو الله تعالى فالمغايرة حاصلة بين ذات المدعو وبين اللفظ المدعوه * وأجيب عن قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى بان المراد ذات الشخص المعبر عنه بحيى لانفس الاسم * وأجيب عن قوله تعالى سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك بان معنى هذه الالفاظ يقتضى اضافة الاسم الى الله تعالى واطافة الشئ الى نفسه محال وقيل كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى عن النقص فكذلك يجب تنزيه أسمائه وكون الاسم غير التسمية هو ان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشئ والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر واختلفوا في اشتقاق الاسم فقال البصريون من السمو وهو العلو فاسم الشئ ماعلاه حتى ظهر به وعلا عليه فكأنه علا على معناه وصار عماله وقال الكوفيون من السممة وهي العلامة فكأنه علامة لسماء وحة البصريين لو كان الاسم اشتقاقه من السممة لكان تصغيره وسيم ووجهه أوسام واجعوا على أن تصغيره سمي وجمعه أسماء وآسام

﴿ الله ﴾ هو اسم علم خاص لله تعالى تفرد به البارى سبحانه وتعالى ليس بمشتق ولا يشركه فيه أحد وهو الصحيح المختار دليله قوله تعالى هل تعلم له سميا يعنى لا يقال لغيره الله وقيل هو مشتق من أله يأله الالهة مثل عبد الرجل يعبد عبادة دليله ويدرك والاهتك أى

في قول وكان الامر بالقراءة أهم فكان تقديم الفعل أوقع ويجوز أن يحمل اقرأ على معنى اعمل القراءة وحققها كقولهم

واذا لم تكن من الفاتحة لانكون من غيرها اجاا والحديث مذكور في صحاح المصابيح وما ذكروا لا يضرنا لان التسمية آية من القرآن أنزلت للفصل بين السور عندنا ذكره فخر الاسلام في المبسوط وانما يرد علينا ان لو لم نجعلها آية من القرآن وتعام تقريره في الكافي وتعلقت الباء بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ أو اتلوا لان الذى يتلو التسمية مقروه كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله أحل وبسم الله أرتحل وكذا الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله باسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له وانما قدر المحذوف متأخر الان الا هم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به وكانوا يبدؤن باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات وباسم العزى فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذا بتقدمه وتأخير الفعل وانما قدم الفعل في اقرأ باسم ربك لانها أول سورة نزلت

فلان يعطى ويمنع غير متعد
 اقرأ الذى بعده واسم الله
 يتعلق بالقراءة تعلق الدهن
 بالانبات فى قوله تنبت
 بالدهن على معنى متبركا
 باسم الله اقرأ فقيه تعليم
 عباده كيف يتبركون باسمه
 وكيف يعظمونه وبنيت
 الباء على الكسر لانها
 تلازم الحرفية والجر
 فكسرت لتشابه حركتها
 عملها والاسم من الاسماء
 التى بنوا أوائلها على
 السكون كالابن والابنة
 وغيرهما فاذا نطقوا بها
 مبتدئين زادوا همزة تقاديا
 عن الابتداء بالساكن
 تمدوا واذا وقعت فى الدرج
 لم يفترق الى زيادة شئ
 ومنهم من لم يزد لها
 واستغنى عنها بتحرك
 الساكن فقال سم وسم
 وهو من الاسماء المحذوفة
 الاعجاز كيد ودم وأصله
 سهو بدليل تصرفه كاسماء
 وسمى وسميت واشتقاقه
 من السمو وهو الرفعة لان
 التسمية تنويه بالسمى
 واشادة بذكره وحذفت
 الالف فى الخط هنا
 وأثبتت فى قوله اقرأ باسم
 ربك لانه اجتمع فيها أى
 فى التسمية مع أنها تسقط
 فى اللفظ كثرة الاستعمال

بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلية على المظهر تفصلة بينهما
 وبين الام الابتداء * والاسم عند اصحابنا البصريين من الاسماء التى حذفت اعجازها لكثرة
 الاستعمال وبنيت أوائلها على السكون وادخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من
 دأبهم ان يتبدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصرفه على اسماء واسامى وسمى
 وسميت وجمي سمي كهدى لغة فيه قال

والله اسمك سمي مباركا * آترك الله به اشارك

والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعاره * ومن السمة عند
 الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله وورد بان

وعبادتك ومعناه المستحق للعبادة دون غيره وقيل من الواله وهو الفزع لان الخلق
 يولعون اليه أى يفزعون اليه فى حوائجهم قال بعضهم

ولهت اليكم فى بلايا تنونى * فالفيتكم فيها كرائم محتد

وقيل أصله أله يقال ألهت الى فلان أى سكنت اليه فكأن الخلق يسكنون اليه
 ويطمئنون بذكره وقيل أصله ولاء فابدلوا وهمة سمي بذلك لان كل مخلوق
 واله نحوه اما بالتحير أو بالارادة ومن هذا قيل الله محبوب كل الاشياء يدل عليه وان
 من شئ الأيسج بحمده * ومن خصائص هذا الاسم انك اذا حذفت منه شئبقى الباقي
 يدل عليه فان حذفت الالف بقى لله وان حذفت اللام وأثبت الالف بقى أله وان
 حذفتها بقى له وان حذفت الالف واللامين معا بقى هو والواو عوض عن الضمة وذهب
 بعضهم الى ان هذا الاسم هو الاسم الاعظم لانه يدل على الذات وباقي الاسماء تدل
 على الصفات ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال ابن عباس هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من
 الآخر قيل هما بمعنى مثل ندمان ونديم ومعناهما ذو الرحمة وأما جمع بينهما للتأكيد
 وقيل ذكر أحدهما بعد الآخر تطمينا لقلوب الراغبين اليه وقيل الرحمن فيه معنى العموم
 والرحيم فيه معنى الخصوص فالرحن بمعنى الرزاق فى الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق
 المؤمن والكافر والرحيم بمعنى الغفور الكافي للمؤمنين فى الآخرة فهو على الخصوص
 ولذلك قيل رحن الدنيا ورحيم الآخرة ورحمة الله ارادة الخير والاحسان لاهله وقيل
 هى ترك عقوبة من يستحق العقاب واسداء الخير والاحسان الى من لا يستحق فهو
 على الاول صفة ذات وعلى الثانى صفة فعل وقيل الرحمن بكشف الكروب والرحيم
 بغفر الذنوب وقيل الرحمن بتبيين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق

﴿ فصل فى حكم البسملة ﴾

وفيه مسئلتان ﴿ الاولى ﴾ فى كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور
 سوى سورة براءة اختلف العلماء فى ذلك فذهب الشافعى وجماعة من العلماء الى أنه
 آية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت فى أولها سوى سورة براءة وهو قول

حرف التعريف والاله
من أسماء الاجناس يقع على
كل معبود بحق أو باطل ثم
غلب على المعبود بالحق كما
ان النجم اسم لكل كوكب
ثم غلب على الثريا وأما الله
بحذف الهمزة فمختص
بالمعبود بالحق لم يطلق على
غيره وهو اسم غير صفة
لانك تصفه ولا تصف به
لاتقول شئ الله كما لاتقول
شئ رجل وتقول الله
واحد صمد ولان صفاته
تعالى لا بدالها من موصوف
تجرى فلو جعلتها كلها
صفات لبقيت صفات غير
جارية على اسم موصوف
بها وذا لا يجوز ولا
اشتقاق لهذا الاسم عند
الخليل والزجاج ومحمد
ابن الحسن والحسين بن
الفضل وقيل معنى
الاشتقاق ان ينظم الصيغتين
فصاعدا معنى واحدا
وصيغة هذا الاسم وصيغة
قولهم آله اذا تحيرت بينهما
معنى النخير والدهشة
وذلك ان الاوهام تتحير
في معرفة المعبود وتدهش
الظن ولذا كثر الضلال
وفشا الباطل وقل النظر
الصحيح وقيل هو من قولهم
آله ياله اله اذا عبد فهو

الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغائه سم وسم قال

بسم الذي في كل سورة سمه

والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الالم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشئ فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى تبارك اسم ربك وسبح اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى وصفاته عن

ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة وسعيد بن جبير وعطاء وابن المبارك وأحد في إحدى الروايتين عنه واسحق ونقل البيهقي هذا القول عن علي بن أبي طالب والزهري والثوري ومحمد بن كعب * وذهب الاوزاعي ومالك وأبو حنيفة الى ان البسملة ليست بآية من الفاتحة زاد أبو داود ولا من غيرها من السور وانما هي بعض آية في سورة النمل وانما كتبت للفصل والتبرك قال مالك ولا يستفتح بها في الصلاة المفروضة وللشافعي قول انها ليست من أوائل السور مع القطع بانها من الفاتحة * فأما حجة من منع كون البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها فحديث أنس المشهور المخرج في الصحيحين وحديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين قالوا ولان أول ما نزل به جبريل اقرأ باسم ربك الذي خلق ولم يذكر البسملة في أولها فدل على انها ليست قالوا ولان محل القرآن لا يثبت الا بالتواتر والاستفاضة ولان الصحابة أجمعوا على عدد كثير من السور منها سورة الملك ثلاثون آية وسورة الكوثر ثلاث آيات وسورة الاخلاص أربع آيات فلو كانت البسملة منها لكانت خسا * وأما حجة من ذهب الى اثباتها في أوائل السور من جهة النقل فقد صرح عن أم سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة وعدها آية منها * وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال هي فاتحة الكتاب قيل فابن السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم آخر جهما ابن خزيمة وغيره * وروى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فصل السورة وفي رواية انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم أخرجه أبو داود والحاكم أبو عبدالله في مستدركه وقال فيه انه صحيح على شرط الشيخين وروى الدارقطني عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأتم الحمد لله فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم فانها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها قال الدارقطني في رجال اسناده كلهم ثقات وروى موقوفا * وروى الدارقطني عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى آخرها قطعها آية آية وعدها عدا الاعراب وعده بسم الله الرحمن الرحيم آية ولم يعد عليهم * وأخرج مسلم في أفرادته عن

مصدر بمعنى ما لوه أى معبود كقولهم هذا خلق الله أى مخلوقه ونفخ لاه اذا كان قبلها فتحة أو ضمة وترق

التقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعه لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم مقحم كما في قول الشاعر

الى الحول ثم اسم السلام عليكما

وان اريد به الصفة كما هورأى الشيخ ابى الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ماهو نفس المسمى والى ماهو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه اول للفرق بين اليمين واليمين ولم تكتب الالف على ماهو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها * والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل ياالله بالقطع الا انه يختص بالمعبود بالحق والاله

أنس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا اذ غفا غفوة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال أنزلت على أنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيتك الكوثر الحديث قال البيهقي أحسن ما احتج به أصحابنا في ان بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وانها من فواتح السور سوى سورة براءة مارويناه في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف وانهم كتبوا فيها بسم الله الرحمن الرحيم على رأس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم انهم كتبوا فيها مائة وثلاثة عشر آية ليست من القرآن قال وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس أنه كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة وروى الشافعي بسنده عن ابن عمر أنه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لام القرآن والسورة التي بعدها زاد غيره عنه أنه كان يقول لما كتبت في المصحف لم لم تقرأ * وروى الشافعي عن ابن عباس أنه كان يفعله ويقول انتزع الشيطان منهم خير آية في القرآن * وفي افراد البخارى من حديث أنس أنه سئل كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم بمد الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم فقد ثبت بهذه الادلة الصحيحة الواضحة أن البسملة من الفاتحة ومن كل موضع ذكرت فيه وأيضا فاجع الصحابة على اثباتها في المصاحف وأنهم طلبوا بكتابة المصاحف تجريد كلام الله عز وجل المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قرآنا وتدوينه مخافة من أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه ولهذا لم يكتبوا فيه لفظة آمين وان كان قد ورد أنه كان يقولها بعد الفاتحة فلو لم تكن البسملة من القرآن في أوائل السور لما كتبوها وكان حكمها حكم آمين

المسئلة الثانية في حكم الجهر بالبسملة والاسرار

اذا ثبت بما تقدم من الادلة أن البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها من السور حيث كتبت كان حكمها في الجهر والاسرار حكم الفاتحة فيجهر بها مع الفاتحة في الصلاة الجهرية ويسر بها مع الفاتحة في الصلاة السرية وعن قال بالجهر بالبسملة من الصحابة أبوهريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين فن بعدهم سعيد بن جبير

اذا كان قبلها كسرة ومنهم من برقها بكل حال ومنهم من يفخم بكل حال والجمهور على الاول والرجحان على الرجم وهو الذي وسعت رحته كل شئ كغضبان من غضب وهو الممتلى غضبا وكذا الرحيم فعيل منه كريض من مريض وفي الرحمن من المسالفة ما ليس في الرحيم لان في الرحيم زيادة واحدة وفي الرحمن زيادتين وزيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى ولذا جاء في الدعاء يارحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وقالوا الرحمن خاص تسمية لانه لا يوصف به غيره وعام معنى لما بينا والرحيم بعكسه لانه يوصف به غيره ويخص المؤمنين ولذا قدم الرحمن وان كان أبلغ والقياس الترقى من الأدنى الى الأعلى

في اسله لكل معبود ثم غلب على المعبود بالحق واشتقاقه من الهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل من اله اذا تحير لان العقول تحير في معرفته او من الهت الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه والهه غيره اجاره اذا العائد يفرع اليه وهو يحيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا اولع بامه اذا العباد يولعون بالضرع اليه في الشدائد او من وله اذا تحير وتخط عقله وكان اصله ولاء فقلت الواو همزة لاستئصال الكسرة عليها استئصال الضمة في وجوه فقيل اله كعاء واشاح ويرده الجمع على آهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه سبحانه وتعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع عن كل شئ مما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر

حلفة من ابي رباح * يشهدا لاهه الكبار

وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا يبدل من اسم تجرى عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواء ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل لاله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والظاهر انه وصف في اصله لكنهما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار له كالعالم مثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته

يقال فلان عالم ذوفنون
تحرير لانه كالعالم للم يوصف
به غير الله ورجة الله
انعامه على عباده وأصلها
العطف وأما قول الشاعر
في مسيلة * وأنت غيث
الورى لازلت رجانا *

وأبو قلابة والزهرى وعكرمة وعطاء وطاوس ومجاهد وعلي بن الحسين وسالم بن عبدالله ومحمد بن كعب القرظي وابن سيرين وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمر وزيد ابن أسلم ومكحول وعمر بن عبد العزيز وعروة بن دينار ومسلم بن خالد واليه ذهب الشافعي وهو أحد قولي ابن وهب صاحب مالك ويحكي أيضا عن ابن المبارك وأبي ثور * وعن ذهب الى الاسرار بها من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم ومن التابعين فمن بعدهم الحسن والشعبى وابراهيم النخعي وقادة والاعمش والثوري واليه ذهب مالك وأبو حنيفة وأحمد وغيرهم * أما حجة من قال بالجهر فقد روى جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وابن عباس وأنس وعلي بن أبي طالب وسمرة بن جندب وأم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم جهر بالبسملة فمنهم من صرح بذلك ومنهم من فهم ذلك من عبارته ولم يرد في صريح الاسرار بها عن النبي صلى الله عليه وسلم الا روايتان احدهما ضعيفة وهي رواية عبدالله بن مغفل والاخرى عن أنس وهي في الصحيح وهي معلة بما أوجب سقوط الاحتجاج بها * وروى نعيم بن عبدالله الجمر قال صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن وذكر الحديث وفيه ثم يقول اذا سلم انى لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه النسائي وابن خزيمة في صحيحه وقال أما الجهر بسم الله الرحمن الرحيم فقد ثبت وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى الدارقطني بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ وهو يؤم الناس افتتح بسم الله الرحمن

من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقى او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لودل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله سبحانه وتعالى «وهو الله فى السموات معناحيها ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر فى المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لايها بالسريانية فحرف بحذف الالف الاخيرى وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله وانضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر الا لا بارك الله فى سهيل * اذا ما الله بارك فى الرجال

والرحن الرحيم اسمان بنيا للبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرجة فى اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضى التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التى هى افعال دون المبادئ التى تكون انفعالات والرحن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كفى قطع وقطع وكبار وكبار وذلك انما تؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يارحن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثانى قيل يارحن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخرى وكلها جسم اما النعم الدنيوية فجليلة وحقيقية وانما قدم والقياس يقتضى الترتى من الادنى الى الاعلى لتقدم رجة الدنيا ولانه صار كالعالم من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه النعم الحقيقى البالغ فى الرجة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستفيض بلفظه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جليل ثناء او يزيح رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة فى ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتقام بها والقوى التى بها يحصل الانتقام الا غير ذلك من

فباب من تعنتهم فى كفرهم
ورحن غير منصرف عند
من زعم ان الشرط انتفاء
فعالته اذ ليس له فعالته
ومن زعم ان الشرط
وجود فعلى صرفه اذ ليس
له فعلى والاول الوجه

الرحيم وذكر الحديث قال الدارقطنى اسناده كلهم ثقات * وعن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطنى وقال ليس فى روايته مجروح وأخرجه الحاكم أبو عبد الله وقال اسناده صحيح وليس له علة * وفى رواية عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الصلاة بيسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطنى وقال صحيح ليس فى اسناده مجروح وأخرجه الترمذى وقال ليس اسناده بذلك قال الشيخ أبو شامة أى لا يماثل اسناده ما فى الصحيح ولكن اذا انضم الى ما تقدم من الادلة رجح على ما فى الصحيح. وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة بيسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطنى وقال اسناده صحيح وفيه عن محمد بن أبى السرى العسقلانى قال صليت خلف المعتمر بن سليمان مالا أحصى صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها وسعت المعتمر يقول ما لوى أن أقتدى بصلاة أنس بن مالك وقال أنس بن مالك ما لوى أن أقتدى بصلاة رسول الله صلى الله عليه

(الحمد) الوصف بالجليل على جهة التفضيل وهو رفع بالابتداء واصله النصب وقد قرئ بضمار فعله على انه من المصادر المنصوبة بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا والعدول عن النصب الى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره والخبر (لله) واللام متعلق بمحذوف ﴿ ٢٥ ﴾ أى واجب { سورة الفاتحة } أو ثابت وقيل الحمد والمدح

اخوان وهو الثناء والنداء على الجليل من نعمة وغيرها تقول جدت الرجل على انعامه وحدثه على شجاعته وحسبه وأما الشكر فعمل النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال * أفادتكم النعمة منى ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا. أى القلب والحمد باللسان وحده وهو احدى شعب الشكر ومنه الحديث الحمد رأس الشكر ماشكر الله عبد لم يحمده وجعله رأس الشكر لان ذكر النعمة باللسان أشيع لها من الاعتقاد وآداب الجوارح خلفاء عمل القلب و ما فى عمل الجوارح من الاحتمال وتقيض الحمد الالذم وتقيض الشكر الكفران وقيل المدح ثناء على ما هو له من أوصاف الكمال ككونه باقيا قادرا عالما أبديا أزليا والشكر ثناء على ما هو منه من أوصاف الافضال والحمد يشملهما والالف واللام فيه للاستغراق عندنا خلافا للمعتزلة ولذا قرن باسم الله

خلقه لا يقدر عليها احد غيره اولان الرجن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالنعمه والرديف له او للمحافظة على رؤس الآى والاظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه بالله تعالى ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلاثة الحاقاله بما هو الغالب فى بابها وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به فى مجامع الامور هو المعبود الحقيق الذى هو مولى النعم كلها عاجلها و آجلها جليلها و حقيرها فيتوجه بشرائره الى جناب القدس وتمسك بجبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره ﴿ الحمد لله ﴾ الحمد هو الثناء على الجليل الاختيارى من نعمة او غيرها * والمدح هو الثناء على الجليل مطلقا تقول جدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول جدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولاً وعملاً واعتقاداً قال

افادتكم النعمة منى ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا

فهو اعم منهما من وجه واخص من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما فى آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال عليه الصلاة والسلام الحمد رأس الشكر ماشكر الله من لم يحمده * والذم تقيض الحمد والكفران تقيض الشكر ورفع بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التى تنصب بافعال مضمرة لانكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو اول الاستغراق اذا الحمد فى الحقيقة كله اذا من خير الا وهو موليه بوسط او بغير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى قادر مريد عالم اذا الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شأنه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان

وسلم أخرجه الدارقطنى وقال كلهم ثقات وأخرجه الحاكم أبو عبد الله وقال رواة هذا الحديث عن آخرهم كلهم ثقات قلت وفى الباب أحاديث وأدلة وإيرادات وأجوبة من الجانبين يطول ذكرها وفى هذا القدر كفاية وبالله التوفيق ﴿ قوله عز وجل ﴾ الحمد لله ﴿ لفظه خبر كأنه سبحانه وتعالى يخبر أن المستحق للحمد هو الله تعالى ومعناه الامرأى قولوا الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدونه * والحمد والمدح اخوان وقيل بينهما فرق وهوان ان المدح قد يكون قبل الاحسان وبعده والحمد لا يكون الا بعد الاحسان وقيل ان المدح قد

وباسناده عن ابن عباس (قا و حا ٤ ل) فى قوله تعالى (الحمد لله) يقول الشكر لله وهو ان صنع الى خلقه فحمدوه ويقال التكر لله بنعمه السوانغ على عباده الذين هداهم للايمان ويقال الشكر والوحدانية والالهية لله الذى لا اول له ولا شريك له ولا معين له ولا وزير له

معانزلة كلمة واحدة ﴿ رب العالمين ﴾ الرب في الاصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئاً فشيئاً ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نسبت من ربه ير به فهو رب كقولك نم يتم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما عنده ويرببه ولا يطلق على غيره تعالى الامقيدا كقوله ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به الصانع وهو اكل ماسواه من الجواهر والاعراض فانها لا مكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ماتحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم لجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوى العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عنى به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقرى رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذى دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مقتررة الى المحدث حال حدوثها فهي مقتررة الى المتيقن حال بقائها ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ كرهه للتعليل على ما سنده كره

يكون منها عنه وأما الحمد فأموره والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء بجميل الافعال تقول جدت الرجل على علمه وكرمه والشكر لا يكون الا على النعمة فالحمد أعم من الشكر اذ لا تقول شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدا وقيل الحمد باللسان قولاً والشكر بالاركان فعلاً والحمد ضد الذم واللام في الله لام الاستحقاق كقولك الدار لزيد يعنى انه المستحق للحمد لانه المحسن المتفضل على كافة الخلق على الاطلاق ﴿ رب العالمين ﴾ الرب بمعنى المالك كما يقال رب الدار ورب الشيء أى مالكة ويكون بمعنى التربية والاصلاح يقال رب فلان الضيعة يربها اذا أصلحها قاله تعالى مالك العالمين ورضيهم ومصلمهم ولا يقال الرب للمخلوق مع قابل يقال رب الشيء مضافاً * والعالمين جمع عالم لا واحده من لفظه وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع الخلق وقال ابن عباس هم الجن والانس لانهم المكلفون بالخطاب وقيل العالم اسم لذوى العلم من الملائكة والجن والانس ولا يقال للبهائم عالم لانها لاتعقل واختلف في مبلغ عددهم فقيل لله ألف عالم ستمائة عالم في البحر وأر بعائة في البر وقيل ثمانون ألف عالم أربعون ألفاً في البر ومثلهم في البحر وقيل ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران في الخراب الا كفسطاط في صحراء الفسطاط الحية واشتقاق العالم من العلم وقيل من العلامة وانما سمي بذلك لانه دال على الخالق سبحانه وتعالى ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ فالرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدور تلك النعمة من العباد والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور تلك النعمة من العباد فلا يقال لغير الله رحمن ويقال لغيره من العباد رحيم * فان قلت قد سمي مسيلة الكذاب برحمن اليمامة وهو قول شاعر هم فيه

لانه اسم ذات فيستجمع في مواضع (رب العالمين) الرب المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش أحب الى من أن يربني رجل من هوازن تقول ربه ربه ربا فهو رب ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في العبيد مع التقييد انه ربي أحسن مثواى قال ارجع الى ربك وقال الواسطي هو الخالق ابتداء والمر بي غداء والغافر انتهاء وهو اسم الله الاعظم والعالم كل ما عليه الخالق من الاجسام والجواهر والاعراض أو كل موجود سوى الله تعالى سمي به لانه علم على وجوده وانما جمع بالواو والنون مع انه يختص بصفات العقلاء أو ما في حكمها من الاعلام لمفيدة من معنى الوصفية وهي الدلالة على معنى العلم (الرحمن الرحيم) ذكرهما قدس وهو دليل على ان التسمية ليست من الفاتحة (رب العالمين) رب كل ذى روح دب على وجه الارض ومن أهل السماء ويقال سيد الجن والانس

اذلوكانت منها لما أعادها مخلو الاعادة عن ﴿ ٢٧ ﴾ - الافادة (مالك) {سورة الفاتحة}

عاصم وعلى ملك غيرهما وهو

الاختيار عند البعض
لاستغناءه عن الاضافة ولقوله
لمن الملك اليوم ولان كل
ملك مالك وليس كل مالك
ملكاً ولان أمر الملك ينفذ
على المالك دون عكسه وقيل
المالك أكثر ثواباً لانه
أكثر حروفاً وقرأ أبو

حنيفة والحسن رضى الله
عنهما ملك (يوم الدين)
أى يوم الجزاء ويقال كما
تدين تدين أى كما تفعل
تجازى وهذه اضافة اسم
الفاعل الى الظرف على
طريق الاتساع كقولهم *
ياسارق الليلة أهل الدار *
أى مالك الامر كله فى يوم
الدين والتخصيص بيوم
الدين لان الامر فيه لله
وحده وانما ساغ وقوعه
صفة للمعرفة مع أن اضافة
اسم الفاعل اضافة غير

حقيقية لانه أريد به الاستمرار
فكانت الاضافة حقيقية
فساغ أن يكون صفة للمعرفة
وهذه الاوصاف التى
اجريت على الله سبحانه
وتعالى من كونه رباً أى
مالكا للعالمين ومنعماً بالنعيم
كلها ومالكا للامر كله يوم
الثواب والعقاب بعد الدلالة
على اختصاص الحمد به فى
الرفيق (مالك يوم الدين)

قاضى يوم الدين وهو يوم الحساب والقضاء فيه بين الخلائق أى يوم يدين الناس باعمالهم لا قاضى غيره

﴿ مالك يوم الدين ﴾ قرأه عاصم والكسائى ويعقوب وبعضه قوله تعالى يوم لا تملك
نفس لنفس شياً والامر يومئذ لله * وقرأ الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل
الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم * والمالك هو المتصرف فى الاعيان
المملوكة كيف شاء من الملك * والمالك هو المتصرف بالامر والنهى فى الأمور
من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح أو الحال
ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر متبداً محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب
ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كاتدين تدين بيت الحلمة

ولم يبق سوى العدوا * ن دناهم كما دانوا

اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم
ياسارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة
اوله الملك فى هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه
صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص
اليوم بالاضافة اما لتعظيمه او لتفردته تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف
على الله تعالى من كونه موجداً للعالمين رباهم منعماً عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها
عاجلها وآجلها مالكا لأمورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد
لاحداً حق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته
له وللشاعر من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستأهل لان يحمده
فضلا عن ان يعبد ليكون دليلاً على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد
وهو الابدان والترتبة والثانى والثالث للدلالة على انه مفضل بذلك مختار فيه ليس
يصدر منه لا يجب بالذات او وجوب عليه قضية بسوا بق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع
لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة وتضمن الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين

وأنت غيث الورى لازلت رجانا

قلت هو من باب تعنتهم فى كفرهم ومبالغتهم فى مدح صاحبهم فلا يلتفت الى قولهم هذا
* فان قلت قد ذكر الرحمن الرحيم فى البسملة فما فائدة تكريره هنا مرة ثانية * قلت
ليعلم ان العناية بالرجة أكثر من غيرها من الامور وان الحاجة اليها أكثر فنبه سبحانه
وتعالى بتكرير ذكر الرجة على كثرتها وانه هو المتفضل بها على خلقه * قوله تعالى
﴿ مالك يوم الدين ﴾ يعنى انه تعالى صاحب ذلك اليوم الذى يكون فيه الجزاء
والمالك هو المتصرف بالامر والنهى وقيل هو القادر على اختراع الاعيان من العدم
الى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى وقيل مالك أوسع من ملك لانه يقال مالك
العبد والداية ولا يقال ملك هذه الاشياء ولانه لا يكون ملكاً لشيء الا وهو يملكه وقد
يكون مالكا لشيء ولا يملكه وقيل ملك أولى لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكاً
وقيل هما بمعنى واحد مثل فرهين وفرهين قال ابن عباس مالك يوم الدين قاضى

قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن أحداً حق منه بالحمد والثناء عليه (اياك نعبد واياك نستعين) ايا عند الخليل وسيبويه اسم مضمهر والكاف حرف خطاب عند سيبويه ولا محل له من الاعراب وعند الخليل هو اسم مضمهر أضيف ايا اليه لانه يشبه المظهر {الجزء الاول} لتقدمه على الفعل والفاعل ﴿ ٢٨ ﴾ وقال الكوفيون اياك بكما لها اسم

وتقديم المفعول لتقص
الاختصاص والمعنى نخصك
بالعبادة وهي أقصى غاية
الخصوع والتذلل ونخصك
بطلب المعونة و عدل
عن الغيبة الى الخطاب
للالتفات وهو قد يكون من
الغيبة الى الخطاب ومن
الخطاب الى الغيبة ومن
الغيبة الى التكلم كقوله
تعالى حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم بريح طيبة وقوله
والله الذي ارسل الرياح
فتثير سحابا فسقناه وقول
امرئ القيس * تطاول ليك
بالايمد * ونام الخلى ولم ترقد *
وبات وبات له ليلة * كليلة
ذى العائر الارمد * وذلك
من نبأ جاني * وخبرته عن
أبي الاسود * فالتفت في الايات
الثلاثة حيث لم يقل ليلي
وبت وجاءك والعرب
يستكثرون منه ويرون
الكلام اذا انتقل من
أسلوب الى أسلوب ادخل
في القبول عند السامع
وأحسن تطرية لثناطه
واملاء لاستلذاذ اصغائه
وقد تختص مواقفه بفوائده

﴿ اياك نعبد واياك نستعين ﴾ ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات تعلق العلم بمعلوم معين فخطوب بذلك اى يامن هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون أدل على الاختصاص وللترقى من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود وكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ما هو مبادئ حال العارف من الذكر والفكر والتأمل فى اسمائه والنظر فى آياته والاستدلال بصنائه على عظيم شأنه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهوان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويتاجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للآثر ومن عادة العرب التفنن فى الكلام والعدول من اسلوب الى آخر نظرية له وتنشيطا للسامع فتعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم وقوله والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس
تطاول ليك بالايمد * ونام الخلى ولم ترقد
وبات وبات له ليلة * كليلة ذى العائر الارمد
وذلك من نبأ جاني * وخبرته عن ابي الاسود

يوم الحساب وقيل الدين الجزاء ويقع على الخير والشر يقال كآدين تدان وقيل هو يوم لا ينفع فيه الا الدين وقيل الدين القهر يقال دنته فدان أى قهرته فدل * فان قلت لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للايام كلها * قلت لان ملك الاملاك يومئذ زائل فلا ملك ولا أمر يومئذ الا الله تعالى كما قال تعالى الملك يومئذ الحق للرحن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقد يسمى فى دار الدنيا آحاد الناس بالملك وذلك على المجاز لا على الحقيقة * قوله تعالى ﴿ اياك نعبد ﴾ رجع من الخبر الى الخطاب وفائدة ذلك من أول السورة الى هنا ثناء والثناء فى الغيبة أولى ومن قوله اياك نعبد دعاء والخطاب فى الدعاء أولى وقيل فيه ضمير أى قولوا اياك نعبد والمعنى اياك نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين لك والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل وسمى العبد عبداً لذته وانقياده وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذى يؤدى به الفرض لتعظيم الله تعالى فقول العبد اياك نعبد معناه لأعبد أحدا سواك والعبادة غاية التذلل من العبد ونهاية التعظيم للرب سبحانه وتعالى لانه العظيم المستحق للعبادة ولا تستعمل العبادة الا فى الخضوع لله تعالى لانه مولى أعظم النعم وهى ايجاد العبد من العدم الى الوجود ثم هده الى دينه فكان العبد حقيقا بالخضوع والتذلل له ﴿ اياك نستعين ﴾ أى منك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا

ولطائف قلما تتضح الا للحدائق المهرة والعلماء النخاير وقليل ما هم ومما اخص به هذا الموضوع أنه لما ذكر (فان) الحقيق بالحمد والثناء وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة (اياك نعبد) لك نوحد ولك نطيع (واياك نستعين) بك نستعين على عبادتك ومنك نستوثق على طاعتك

وايا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لاجل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في رأيتك وقال الخليل يامضاف اليها واحتم بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فايها وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضمائر وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اى مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة بطلب المعونة وهي اما ضرورية او غير ضرورية والضرورية ما لا يتأني الفعل دونه كاعتقاد الفاعل وتصوره وحصول آلة مادة يفعل بها فيها وعند اجتماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشى أو يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد بطلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات والضمير المستكن في الفلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة اوله ولسائر الموحدين ادرج عبادته في تضعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل بركتها ويحجب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة لامن حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة سنية بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حاله من أحواله الامن حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكي الله عن حبيبه حيث قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كلمه حيث قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الآى ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه او هم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهى لغة بنى تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم يضم فان قلت الاستعانة على العمل انما تكون قبل الشروع فيه فلم أخرج الاستعانة على العبادة وما الحكمة فيه قلت ذكر وافية وجوهاه أحدها ان هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن بمحمد الله نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتأخير والثاني ان الاستعانة نوع تعبد فكانه ذكر رحلة العبادة أو لاثم ذكر ما هو من تفاصيلها ثانيا

في المهمات فحوطب ذلك
المعلوم المتميز بتلك الصفات
فقيل اياك يامن هذه صفاته
نعبدونستعين لا غيرك وقدمت
العبادة على الاستعانة لان
تقديم الوسيلة قبل طلب
الحاجة أقرب الى الاجابة
أولنظم الآى كاقدم الرحمن
وان كان الابلغ لا يقدم
وأطلقت الاستعانة لتناول
كل مستعان فيدومجوز أن
يراد الاستعانة به وتوفيقه
على أداء العبادات ويكون
قوله اهدنا بيانا للمطلوب
من المعونة كأنه قيل كيف

مابعدھا ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ بيان للمعونة المطلوبة فكأنه قال كيف أعينكم فقالوا اهدنا وافرادهما المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على التهكم ومنه الهدية وهو ادى الوحش لمقدماتها والقمل منه هدى واصله ان يعدى باللام اولى فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله تعالى تنوع انواعها لا يحصيها عدك كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افادة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصلحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حديث قال وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستجبوا العمى على الهدى والثالث الهداية برسالة الرسل وانزال الكتب وايها عنى بقوله وجعلناهم امة يهدون باسراءنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحى أو الالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنبيه الانبياء والاولياء وايه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة مأمخوه من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف بالله الواصل عنى به ارشادنا طريق السير فيك لتحموعنا ظلمات احوالنا وتميط غواشى ابداننا لنستضيء بنور قدسك فترك بنورك والامر والدعاء يتشارك لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة * والصراط من سراط الطعام اذا ابتلعه فكأنه يسراط السابلة ولذلك سمى لتماما لانه يلتقيهم والصراط من قلب السين صاد ليطابق الطاء في الاطابق وقديم الصاد صوت الزاى ليكون اقرب الى المبدل منه وقرأ ابن كثير برواية قبل عنه وروى عن يعقوب بالاصل وحزة بالاشمام والباقون بالصاد وهولقة قريش والثابت في الامام وجمعه سراط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتأنيث * والمستقيم المستوى

* الثالث كأن العبد يقول شرعت في العبادة فانا أستعين بك على اتمامها فلا تمنعني من اتمامها مانع * الرابع ان العبد اذا قال اياك نعبد حصل له الفخر وذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك العجب فاردف ذلك بقوله واياك نستعين ليزول ذلك العجب الحاصل بسبب تلك العبادة ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ أى أرشدنا وقيل ثبتنا وهو كما تقول للقائم قم حتى أعود اليك ومعناه دم على ما أنت عليه وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى سؤال التثبيت وطلب مزيد الهداية لان اللطاف والهدايات من الله لاتنتهى وهذا مذهب اهل السنة * والصراط الطريق قال جرير

أمير المؤمنين على صراط * اذا اعوج الموارد مستقيم

أى على طريقة حسنة قال ابن عباس هو دين الاسلام وقيل هو القرآن وروى ذلك مرفوعا وقيل السنة والجماعة وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة

المستقيم) أى ثبتنا على المنهاج الواضح كقولك للقائم قم حتى أعود اليك أى أثبت على ما أنت عليه أو اهدنا في الاستقبال كما هديتنا في الحال وهدى يتعدى بنفسه الى مفعول واحد فاما تعديه الى مفعول آخر فقد جاء متعديا اليه بنفسه كهذه الآية وقد جاء متعديا باللام وبلى كقوله تعالى هدانا لهذا وقوله هداني ربي الى صراط مستقيم والصراط الجادة من سراط الشئ اذا ابتلعه كأنه يسراط السابلة اذا سلكوه والصراط من قلب السين صاد ليجانس الطاء في الاطابق لان الصاد والضاد والطاء والظاء من حروف الاطابق وقد تشتم الصاد صوت الزاء لان الزاء الى الطاء أقرب لانها مجهورتان وهى قراءة حزة والسين قراءة ابن كثير في كل القرآن وهى الاصل في الكلمة والباقون بالصاد الخالصة وهى لغة قريش وهى الثابتة في الصحف الاممية ويدكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو

(اهدنا الصراط المستقيم)
أرشدنا للدين القائم الذى

ترضاه وهو الاسلام ويقال ثبتنا عليه ويقال هو كتاب الله يقول اهدنا الى حلاله وحرامه وبيان ما فيه (صراط)

ملة الاسلام (صراط الذين أنعمت ﴿ ٣١ ﴾ عليهم) بدل من {سورة الفاتحة} الصراط وهو في حكم تكرير

العامل وفأئذته التأكيد
والاشعار بان الصراط
المستقيم تفسيره صراط
المسلمين ليكون ذلك شهادة
لصراط المسلمين بالاستقامة
على أبلغ وجهه وأكده وهم
المؤمنون والانبيا عليهم
السلام أو قوم موسى قبل
أن يغيروا (غير المغضوب
عليهم ولا الضالين) بدل
من الذين أنعمت عليهم يعني
ان المنعم عليهم هم الذين سلموا
من غضب الله والضلال
أوصفة للذين يعني أنهم جمعوا
بين النعمة المطلقة وهي
نعمة الايمان وبين السلامة
من غضب الله والضلال
وانما ساغ وقوعه صفة
للذين وهو معرفة وغير
لايتعرف بالاضافة لانه
اذا وقع بين متضادين
وكاها معرفتين تعرف
بالاضافة نحو عجبت من
الحركة غير السكون والمنعم

(صراط الذين أنعمت
عليهم) دين الذين مننت
عليهم بالدين وهم أصحاب
موسى من قبل ان تعير
عليهم نعم الله بان ظلل عليهم
النعيم وأنزل عليهم المن
والسلوى في التيه ويقال
هم النبيون (غير المغضوب
عليهم) غير دين اليهود
ولا دين النصراني الذين

والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ بدل
من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفأئذته
التوكيد والتخصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه
وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكأنه من اليبين الذي لاخفاء فيه ان الطريق
المستقيم ما يكون طريق المؤمنين * وقيل الذين أنعمت عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى
وعيسى عليهما الصلاة والسلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من أنعمت عليهم
والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه
من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
تخصر في جنسين دنيوي واخروي و الاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان
روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق
وجسماني كتحليق البدن والقوى الحالة فيه والهيات العارضة له من الصحة وكال
الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات
القاضية وتزيين البدن بالهيات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني
ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويؤاه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الآبدين
والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الآخر فان ما عدا ذلك يشترك
فيه المؤمن والكافر ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ بدل من الذين على معنى ان النعم
عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال اوصفة له مينة او مقيدة على معنى أنهم جمعوا
بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يصح
باحد تاويلين اجراء الموصول مجرى التكررة اذ لم يقصده معهود كالحلى في قوله

ولقد امر على اللئيم يسبني

وقولهم اني لامر على الرجل مثلك فيكر مني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف
الى ماله ضد واحد وهو المنعم عليه فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن

﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ هذا بدل من الاول أي الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق
وهم الانبياء والمؤمنون الذين ذكرهم الله تعالى في قوله فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين
لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ﴿ غير المغضوب
عليهم ﴾ يعني غير صراط الذين غضبت عليهم * والغضب في الاصل هو ثوران دم القلب
لارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب فانه جرة تنوقد في قلب ابن
آدم ألم تروا الى انتفاخ أوداجه وجره عينيه واذا وصف الله به فالمراد منه الانتقام فقط
دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لا يلحق عصاة المؤمنين وانما يلحق الكافرين
﴿ ولا الضالين ﴾ أي وغير الضالين عن الهدى وأصل الضلال الغيوبة والهلاك يقال
ضل الماء في اللبن اذا غاب فيه وهلك وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم

الذين غضبت عليهم وخذلتهم ولم تحفظ قلوبهم حتى تهودوا (ولا الضالين) ولا دين النصراني الذين

باعيانهم وغير المغضوب عليهم قريب من المعرفة للتخصيص الحاصل له باضافته لكل واحد منهما فيه ابهام من وجه واختصاص من وجه فاستويوا وعليهم الاولى محلها النصب على المفعولية ومحل الثانية الرفع على الفاعلية وغضب الله ارادة الانتقام من المكذبين وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على ما تحت يده وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل ولا زائدة عند البصريين للتوكيد وعند الكوفيين هي بمعنى غير (آمين) صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما ان رويده اسم لامهل وعن ابن عباس رضى الله عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وهو مبنى وفيه لغتان مد ألفه وقصرها وهو الاصل والمد باشباع الهززة قال * يارب لا تسلبني حبا أبدا * ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال آمين فزاد الله ما بيننا بعدا

ضلوا عن الاسلام (آمين)

كثير نصبه على الحال من الضمير الجرور والفاعل انعمت او باضمار اعنى او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القليلين * والغضب ثوران النفس لارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر * وعليهم في محل الرفع لانه نائب نائب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتأكيد ما في غير من معنى النفي فكأنه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز ان يزيدا غير ضارب كما جاز ان يزيدا لا ضارب وان امتنع انما يزيدا مثل ضارب وقرى وغير الضالين * والضلال العدول عن طريق السوى عمدا او خطأ وله عرض هريض والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روى مرفوعا ويجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له من اخلت احدى قوته العاقلة والعاملة والمحل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عددا وغضب الله عليه والمحل بالعلم جاهل ضال لقوله فاذا بعد الحق الا الضلال وقرى * ولا الضالين بالهزمة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ﴿ آمين ﴾ اسم للفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بنى على الفتح كآمين لا لتقاء الساكنين وجاء مدالفه وقصرها قال

ويرحم الله عبدا قال آمينا * وقال * آمين فزاد الله ما بيننا بعدا

وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه الصلاة والسلام على

النصارى * عن عدى بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضال اخرجهم الترمذى وذلك لان الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى بالضلال فقال ولا تبصوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والله أعلم

﴿ فصل في آمين وحكم الفاتحة ﴾

وفيه مستلطان ﴿ الاولى ﴾ السنة للقارىء بعد فراغه من الفاتحة أن يقول آمين مفصولا عنها بسكتة وهو مخفف وفيه لغتان المد والقصر قال في المد

ويرحم الله عبدا قال آمينا * وقال في القصر * آمين فزاد الله ما بيننا بعدا

ومعنى آمين اللهم اسمع واستجب وقال ابن عباس معناه كذلك يكون وقيل هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل هو خاتم الله تعالى على عباده يدفع به عنهم الآثام (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أمن الامام فأمنوا فان من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفرله ما تقدم من ذنبه قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين * وفي رواية للبخارى ان الامام اذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين فن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفرله

(ما تقدم)

كذلك تكون أمته ويقال فليكن كذلك ويقال ربنا افعل بنا كما سألتك والله أعلم

جبرائيل آمين عند فراغى من قراءة الفاتحة وقال انه كالتحتم على الكتاب وفي معناه قول على رضى الله عنه آمين ختم رب العالمين ختم بدماء عبده بقوله الامام ويجهربه في الجهرية لما روى عن وائل بن حجر انه عليه الصلاة والسلام كان اذا قرأ والاضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ابى حنيفة رضى الله عنه انه قال لايقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبدالله بن مغفل وانس والمأموم يؤمن معه لقوله عليه الصلاة والسلام اذا قال الامام والاضالين فقولوا آمين فان الملائكة يقولون آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه * وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الأخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذى اوتيته وعن ابن عباس قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا آتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته * وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليعث الله عليهم العذاب حتما مقيضا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمع الله تعالى فيرفع عنهم ذلك العذاب اربعين سنة

عليه السلام لقينى جبريل
آمين عند فراغى من قراءة
فاتحة الكتاب وقال انه
كالتحتم على الكتاب وليس
من القرآن بدليل انه لم
يثبت في المصاحف والله
تعالى اعلم بالصواب

ما تقدم من ذنبه * قوله فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة معناه وافقهم في وقت التأمين فأمن مع تأمينهم وقيل وافقهم في الصفة والخشوع والاخلاص والقول الاول هو الصحيح واختلفوا في هؤلاء الملائكة فقيل هم الحفظة وقيل غيرهم من الملائكة * قوله غفر له ما تقدم من ذنبه يعنى تغفر له الذنوب الصغائر دون الكبائر * وقول ابن شهاب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين معناه ان هذه صيغة تأمينه صلى الله عليه وسلم

المسئلة الثانية في حكم الفاتحة ﴿ اختلف العلماء في وجوب قراءة الفاتحة فذهب مالك والشافعي واحمد وجهور العلماء الى وجوب الفاتحة فانها متعينة في الصلاة ولا تجزى الا بها * واحتجوا بما روى عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب أخرجاه في الصحيحين * ومحدث ابى هريرة من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج ثلاثا غير تمام الحديث وقد تقدم في فضل سورة الفاتحة * وذهب أبو حنيفة الى أن الفاتحة لاتعين على المصلى بل الواجب عليه قراءة آية من القرآن طويلة أو ثلاث آيات قصار واحتج بقوله تعالى فاقرأ ما تيسر منه وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابى المسئء صلاته ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن أخرجاه في الصحيحين * دليل الجمهور ما تقدم من الاحاديث * فان قيل المراد من الحديث لا صلاة كاملة * قلت هذا خلاف ظاهر لفظ الحديث ومما يدل عليه حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزى صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب أخرجه الدارقطنى وقال اسناده صحيح * وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يخرج فينادى لا صلاة الا بفاتحة الكتاب فما زاد أخرجه اجدوا بوداود * وأجيب

(قوله وعن حذيفة الخ)
قال الخطيب في سراج
النير في الاعانة على معرفة
بعض معانى كلام ربنا
الحكيم ومارواه اليبضاوى
عن حذيفة بن اليمان الخ
حديث موضوع مصححه

سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم الم وسائر الالفاظ التي تتعجبى بها اسماء مسمياتها الحروف التي يتركب منها الكلام لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتكبير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابوعلى وماروى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به

عن حديث الاعرابى بانه محمول على الفاتحة فانها متيسرة أو على ما زاد على الفاتحة أو على العاجز عن قراءة الفاتحة والله أعلم

تفسير سورة البقرة

قال ابن عباس هي أول ما نزل بالمدينة قيل سوى آية وهي قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فانها نزلت يوم المحر بمكة في حجة الوداع وهي مائتان وست وقيل سبع وثمانون آية وستة آلاف ومائة واحدى وعشرون كلمة وخمسة وعشرون ألف حرف وخمسمائة حرف

فصل في فضلها

(م) عن أبي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه اقرؤا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما اقرؤا البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال معاوية بن سلام بانفى ان البطلة السحرة * قوله اقرؤا الزهراوين سميتا بذلك لنورهما يقال لكل مستنير زاهر * قوله كأنهما غمامتان أو غيابتان قال أهل اللغة الغمامة والغيابة كل شئ أظل الانسان فوق رأسه من سحابة وغيرها والمعنى ان ثوابهما يأتي كغمامتين * قوله فرقان من طير صواف الفرقان الجماعة من الطير والصواف جمع صافة وهي التي تصف أجنتها عند الطيران يحاجان الحاجة للمجادلة والمخاصمة واطهار الحجية * والبطلة السحرة كما جاء في الحديث مينا يقال أبطل اذا جاء بالبطل وفي الحديث دليل على جواز قول سورة البقرة وسورة آل عمران وكذا باقى السور وأنه لا كراهة في ذلك وكرهه بعض المتقدمين وقال انما يقال السورة التي يذكر فيها البقرة وكذا باقى السور والصواب هو الاول وبه قال الجمهور لورود النص به (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة * وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ سنام وان سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آى القرآن آية الكرسي أخرجه الترمذى وقال حديث غريب بسم الرحمن الرحيم * قوله عز وجل الم قيل ان حروف الهجاء في اوائل السور من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه وهي سر الله في القرآن

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) ونظائرهما أسماء مسمياتها الحروف المسوطة التي منار كبت الكلم فالف تذل على أول حروف قال والالف تذل على أوسط حروف قال واللام تذل على الحرف الاخير منه وكذلك ما شبهها والدليل على انها أسماء ان كلا منها يدل على معنى في نفسه ويتصرف فيها بالامالة والتخيم وبالتعريف والتكبير والجمع والتصغير وهي معربة وانما سكنت سكون زيد وغيره من الاسماء حيث

ومن السورة التي تذكرفيها البقرة وهي كلها مدنية ويقال مكية أيضا آياتها مائتان وثمانون وكلامها ثلاث آلاف ومائة و حروفها خمس وعشرون الفا وخمسمائة

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن عبدالله بن المبارك قال حدثنا علي بن اسحق السمرقندى عن محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى (الم) يقول الف الله لام جبريل ميم محمد ويقال الف آلاؤه لام لطفه ميم ملكه ويقال الف ابتداء اسمه الله لام ابتداء اسمه لطيف ميم ابتداء اسمه مجيد ويقال ان الله اعلم ويقال قسم اقسامه (ففتح)

صوت الغراب ثم الجهور
على أنها أسماء السور وقال
ابن عباس رضى الله عنها
أقسم الله بهذه الحروف
وقال ابن مسعود رضى الله
عنه أنها اسم الله الاعظم
وقيل انها من المتشابه
الذى لا يعلم تأويله الا الله
وما سميت مجمة الا لانها
وابهامها وقيل وروده
الاسماء على نمط التعديد
كالايضا لمن تحدى بالقرآن
والتحريك للنظر في ان
هذا المتلوعليم وقد عجزوا
عنه عن آخرهم كلام
منظوم من عين ما ينظرون
منه كلامهم ليؤدبهم النظر
الى ان يستيقنوا ان لم تساقط
مقدرتهم دونه ولم يظهر
عجزهم عن ان يأثوا بمثله
بعد المراجعات المتطاولة
وهم أمراء الكلام الا
لانه ليس من كلام البشر
وانه كلام خالق القوى
والقدر وهذا القول من
الخلافة بالقبول بمنزل وقيل
وانما وردت السور مصدرية
بذلك ليكون أول ما يقرع
الاسماء مستقلا بوجه من
الاعراب وتقدمة من
دلائل الاعجاز وذلك ان
النطق بالحروف أنفسها
كانت العرب فيه مستوية

غير المعنى الذى اصطلح عليه فان تخصيص الحرف به عرف متجدد بل المعنى الغوى
ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهى مركبة صدرت بها
ليكون تأديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستمرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء
بها وهى مالم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقده موجب ومقتضيه لكنها
قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب مبنى الاصل ولذلك قيل ص وقى مجموعا فيهما بين
ساكنين ولم يعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه
التي يتركب منها اقتضت السورة بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبها
على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله
لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه ويكون
اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسما الحروف مختص بمن
خط ودرس فاما من الامى الذى لم يحاط الكتاب فستبعد مستغرب خارق للعادة
كالكتابة والتلاوة سيما وقدر اعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الارب الفائق في فنه
وهو انه اورد في هذه القوائم اربعة عشر اسما هى نصف اسامى حروف المعجم ان
لم يعد فيها الالف حرفا برأسها فى تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف
مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهى ما يضعف الاعتماد على
مخرجه ويجمعها «ستشحك خصفه» نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف
ومن البواقي المجهورة نصفها تجمعه «لن يقطع امر» ومن الشديدة الثمانية المجموعة
في «اجدت طبقك» اربعة تجمعه «اقطك» ومن البواقي الرخوة عشرة تجمعه «خس على
نصره» ومن المطبقة التي هى الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقي المنقحة
نصفها ومن القلقة وهى حروف تضرب عند خروجها وتجمعها «قد طبع» نصفها
الاقبل لقلتها ومن اليتنين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهى التي يتصعد الصوت
بها في الحنك الاعلى وهى سبعة القاف والصاد والطاء والحاء والعين والضاد والظاء
نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهى احد عشر على
ما ذكره سيويه واختاره ابن جنى وتجمعها «اجد طويت» منها الستة الشائعة المشهورة
التي تجمعها «اهطمين» وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهى اللام في الاصيل والصاد
والزاء في صراط وزراط والفاء في اجداف والعين في أعن والثاء في ثروغ الدلو والياء
في باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد
والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المتقارب وهى خمسة عشر الهمزة والهاء والعين
والصاد والطاء والميم والياء والحاء والقين والضاد والفاء والظاء والسين والزاء

فمن تؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الايمان بها قال
أبو بكر السديق رضى الله عنه في كل كتاب سروسر الله في القرآن أوائل السور وقال
على بن أبى طالب رضى الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف

الاقدام الاميون منهم وأهل الكتاب بخلاف النطق باسما الحروف فانه مختص بمن قرأ وخط وخاط أهل الكتاب وتعلم

والواو نصفها الاقل وما يدغم فيها وهى الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والزون لما فى الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التى لاتدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهى الميم والزاء والسين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التى تعتمد عليها بذق اللسان وهى ستة يجمعها « رب منقل » والحلقية التى هى الحاء والحاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع فى الكلام ذكر ثلثيها ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التى يجمعها « اليوم تنساء » سبعة احرف منها تنبيهها على ذلك ولو استقرت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكشورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخاسية ايدانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التى اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلاث مفردات فى ثلاث سور لانها توجد فى الاقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون فى الحرف بلا حذف كبل وفى الفعل بحذف كقل وفى الاسم بغير حذف كمن وبه كدم فى تسع سور لوقوعها كل واحد من الاقسام الثلاثة على ثلاثة اوجه فى الاسماء من واذ وذو وفى الافعال كقل وبع وخف وفى الحروف ان ومن ومنذ على لغة من جربها وثلاث ثلاثيات لمحيثها فى الاقسام الثلاثة فى ثلاث عشرة سورة تنبيهها على ان اصول الابنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها للاسماء وثلاثة للافعال ورباعيتين وخاسيتين تنبيهها على ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وحنفل ولعلمها فرقت على السور ولم تعد باجمعها فى اول القرآن لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدى وتكرير التنييه والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هى اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلولم تكن وحيا من الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لولم تكن مفهومة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجى مع العربى ولم يكن القرآن باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدى به وان كانت مفهومة فاما ان يراد بها السور التى هى مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثانى باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له فى لغة العرب فظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القرآن نزل على لقمهم لقوله تعالى بلسان عربى مبين فلا يحمل على ما ليس فى لقمهم * لا يقال لم لا يجوز ان تكون مزيدة للتنييه والدلالة على انقطاع كلام واستئناف آخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات

التهجى * وأورد على هذا القول بانه لا يجوز أن يخاطب الله عباده بما لا يعلمون. وأجيب عنه بانه يجوز أن يكلف الله عباده بما لا يعقل معناه كرمى الجار فانه مما لا يعقل معناه والحكمة فيه هو كمال الانقياد والطاعة فكذلك هذه الحروف يجب الايمان بها ولا يلزم البحث عنها وقال آخرون من أهل العلم هى معرفة المعانى ثم اختلفوا فيها فقيل كل

بذلك مع اشتها انه عليه السلام لم يكن ممن اقتبس شيئا من أهله حكم الاقاصيص المذكورة فى القرآن التى لم تكن قريش ومن يضاهايم فى شئ فى ان ذلك من الاحاطة بها حاصله من جهة الوحى وشاهد لصحة نبوته واعلم ان المذكورة فى الفواتح نصف أسامى حروف المعجم وهى الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون فى تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهى مشتتة على انصاف أجناس الحروف فن المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المتفخمة نصفها الالف واللام والميم

والصا دو الطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والدين والسين والحاء والنون ومن
حروف الثقلمة نصفها القاف والطاء ﴿ ٣٧ ﴾ وغير المذكورة { سورة البقرة } من هذه الاجناس مكثورة

بالمذكورة منها وقد علمت
ان معظم الشئ ينزل منزلة
كله فكان الله تعالى عدد
على العرب الالفاظ التي
منها ترا كيب كلامهم اشارة
الى ماسر من التبيكت لهم
والزام الحججة اياهم وانما
جاءت مفرقة على السور
لان اعادة التنييه على ان
المخدى به مؤلف منها
لاغير أوصل الى الغرض
وكذا كل تكرير ورد في
القرآن فالمطلوب منه
تمكين المكرر في النفوس
وتقريره ولم يجيء على
وتيرة واحدة بل اختلفت
أعداد حروفها مثل ص
وق ون وطه وطس
ويس وحم والم والروطم
والمص والمر وكهيعص
وحم عسق فوردت على
حرف و حرفين وثلاثة
واربعة وخسة كعادة
اقتنائهم في الكلام وكما ان
أبنية كلماتهم على حرف
وحرفين الى خسة احرف
فسلك في الفواتح هذا
المسلك والم آية حيث
وقعت وكذا المص آية
والمر لم تعد آية وكذا المر
لم تعد آية في سورها
الخمس وطسم آية في
سورتها وطه ويس آيتان وكهيعص آية وص ون وق ثلاثها

هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله

قلت لها قفي فقالت قاف

كما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم
ملكه * وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن * وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في سائر
الفواتح * وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اى القرآن منزل
من الله بلسان جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام اولى مدد اقوام و آجال بحساب
الجل كما قاله ابو العالية متمسكا بما روى انه عليه الصلاة والسلام لما اتاه اليهود تلاعيم الم
البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة فبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلاندرى
بايها نأخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك
وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لا شتارها فيما بين الناس حتى العرب يلحقها
بالعربيات كالمشكاة والسجيل والقسطاس اودالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها
من حيث انها بسائط اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا * وان القول بانها اسماء السور
يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستكره عندهم ويؤدى
الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعى تأخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم يتأخر
عن المسمى بالرتبة * لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنييه والدلالة على الانقطاع
والاستثناف تلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضى ذلك ان لا يكون لها
معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم * اما الشعر فشاذا واما قول
ابن عباس فتنييه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادئ الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة
الائرى انه عد كل حرف من كلمات متبينة لا تفسير ولا تخصيص بهذه المعانى دون غيرها
اذ لا يخص لفظا ومعنى ولا الحساب الجمل فتلحق بالعربيات والحديث لادليل فيه لجواز
انه عليه السلام تبسم تجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير متمتع لكنه يحوج الى
اضمار اشياء لادليل عليها والتسمية بثلاثة اسماء انما تتمتع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا
عنى طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيويه بين التسمية
بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة
والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور

حرف منها مفتاح اسم من أسماء الله تعالى فالالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه
لعلي والميم مفتاح اسمه مجيد وقيل الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه ويؤيد
هذا ان العرب تذكر حرفا من كلمة تريد كلها قال الراجز

قلت لها قفي فقالت قاف * لا تحسى أنا نسينا الايحاف

قولها قاف أى وقفت فاكتفت بجزء الكلمة عن كلها والايحاف الاسراع في السير قال

سورتها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية وص ون وق ثلاثها

والوجه الاول اقرب الى التحقيق ووفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضح واحد فانه يعود بالنقض على ماهو مقصود بالعلمية وقيل انها اسماء القرآن ولذلك أخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا كرم الله وجهه كان يقول يا كهيعص وياحم عسق ولعله اراد يامنزلهما وقيل الالف من اقصى الخلق وهو مبدأ الخراج واللام من طرف اللسان وهو اوسطها والميم من الشفة وهو آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استأثر الله بعلمه وقدروى عن الخلفاء الاربعة وعن غيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلمهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ بعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القرآن او السور كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب او غيره كما ذكر او الجر على اضممار حرف القسم ويتأني الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد حكم فانها كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كانت في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على ما سر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن وتكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المتبذرة والمفردات الممدودة ويوقف عليها ووقف التمام اذا قدرت بحيث

ابن عباس الم أنا الله أعلم وقيل هي أسماء الله مقطعة لوعلم الناس تأليفها لعلوا اسم الله الاعظم ألا ترى أنك تقول الر وحم ون فيكون مجموعها الرحمن وكذلك سائرهما ولكن يتبها تأليفها جميعا وقيل أسماء السور وبه قال جماعة من المحققين وقال ابن عباس هي اقسام فليل أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لانها مباني كتبه المنزلة وأسمائه الحسنی وصفاته العليا وانما اقتصر على بعضها وان كان المراد كلها فهو كما تقول قرأت الحمد لله وتريد انك قرأت السورة بكما لها فكأنه تعالى أقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب هو الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ وقيل ان الله تعالى لما تحداهم بقوله فأتوا بسورة من مثله وفي آية بعشر سور مثله فججزوا عنه أنزل هذه الاحرف ومعناه ان القرآن ليس هو الامن هذه الاحرف وأنتم قادرون عليها فكنتم تحبون أن يأتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك على انه من عند الله لا من عند البشر وقيل انهم لما عرضوا عن سماع القرآن وأراد الله صلاح بعضهم أنزل هذه الاحرف فكانوا اذا سمعوا قالوا كالمعجبين اسمعوا الى ما يحيى به محمد فاذا أصغوا اليه وسمعوه رسخ في قلوبهم فكان ذلك سببا ليمانهم وقيل ان الله تعالى حير عقول الخلق في ابتداء خطابه ليعلموا أن لا سبيل لاحد الى معرفة خطابه الا باعترافهم بالجزء عن معرفة كنه حقيقة خطابه * واعلم أن

لم تعد آية وهذا عند الكوفيين ومن عداهم لم يعد شيئا منها آية وهذا علم تفوقيني لاجمال للقياس فيه كعرفة السور ويوقف على جميعها ووقف التمام اذا جلت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل أسماء للسور ونعق بها كما ينطق بالاصوات أو جعلت وحدها أخبار ابتداء محذوف كقوله الم الله أي هذه ألم ثم ابتداء فقال الله لا اله الا هو الحى القيوم ولهذه الفواتح محل من الاعراب فيمن جعلها أسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام وهو الرفع على الابتداء أو النصب أو الجر لصفة القسم بها وكونها منزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها أسماء للسور لم يتصور أن يكون لها محل في مذهبه كالا محل للجملة المتبذرة والمفردات

المعدودة (ذلك الكتاب) أى ذلك الكتاب الذى وعده به على لسان موسى عليهما السلام وأوذلك اشارة الى الم وانما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة لان الكتاب ان كان خبره كان ذلك فى معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه بالذكور والتأنيث وان كان صفته فالاشارة به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة به الى الجنس الواقع صفته تقول هذا ذلك الانسان أو ذلك الشخص فعل كذا ووجه تأليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانياً والكتاب خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول ومعناه أن ذلك هو الكتاب الكامل كان ما عده من الكتب فى مقابلته ناقص كما تقول هو الرجل ﴿ ٣٩ ﴾ أى الكامل { سورة البقرة } فى الرجولية الجامع لما يكون

فى الرجال من مرضيات الخصال وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف أى هذه الم يكون ذلك خبرا ثانياً او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم وجملة وذلك الكتاب جملة أخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب أى ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل (لاريب) لاشك وهو مصدر راجى اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه قوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمأنينة أى فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس

لا يحتاج الى ما بعدها وليس شئ منها آية عند غير الكوفيين واما عندهم فألم فى مواقعها والمص وكهيمص وطه وطسم وطس ويس وحم آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا توقيف لا محال للقياس فيه ﴿ ذلك الكتاب ﴾ ذلك اشارة الى الم ان اول المؤلف من هذه الحرف اوفسر بالسورة او القرآن فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدة اشيراليه بما يشار به الى البعيد وتذكيره متى اريد بالم سورة لند كبير الكتاب فانه صفته او خبره الذى هو هو الى الكتاب فيكون الكتاب صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بنحو قوله تعالى اناسلقت عليك قولا ثقيلاً ونحوه اوفى الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة وقيل فعال بنى للمفعول كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة ﴿ لاريب فيه ﴾ معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر

بمجموع الاحرف المنزلة فى أوائل السور أربعة عشر حرفا فى تسع وعشرين سورة وهى الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون وهى نصف حروف المعجم وسيأتى الكلام على باقىها فى مواضعها ان شاء الله تعالى ﴿ قوله تعالى ﴾ ذلك الكتاب ﴿ أى هذا الكتاب هو القرآن وقيل فيه اضممار والمعنى ان هذا الكتاب الذى وعدت به وكان الله قد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليه كتابا لا يحويه الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما أنزل القرآن قال هذا ذلك الكتاب الذى وعدت به وقيل ان الله وعد بنى اسرائيل ان ينزل عليهم كتابا ويرسل رسولا من ولد اسمعيل فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وبها من اليهود خلق كثير أنزل الله تعالى هذه الآية الم ذلك الكتاب أى هذا ذلك الكتاب الذى وعدت به على لسان موسى ان أنزله على النبي الذى هو من ولد اسمعيل . والكتاب مصدر بمعنى المكتوب وأصله الضم والجمع ومنه يقال للجد كتيبة لاجتماعها فسمى الكتاب كتابا لانه يجمع الحروف بعضها الى بعض والكتاب اسم من أسماء القرآن ﴿ لاريب فيه ﴾ أى لاشك فيه انه من عند الله وانه الحق

ويشخص بالقلوب من نوابد وانما نقى الريب على سبيل الاستغراق وقد ارتاب فيه كثير لان المنفى كونه متعلقا للريب فى مظنته لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه لان أحدا لا يرتاب وانما لم يقل (ذلك الكتاب) أى هذا الكتاب الذى يقرأ عليكم محمد صلى الله عليه وسلم (لاريب فيه) لاشك فيه انه من عندى فان آمنتم به هديتكم وان لم تؤمنوا به عذبتمكم ويقال ذلك الكتاب يعنى اللوح المحفوظ ويقال ذلك الكتاب الذى وعدتكم يوم الميثاق به أن أوحى اليك ويقال ذلك الكتاب يعنى التوراة والانجيل لاريبه فيه لاشك فيه ان فيهما صفة محمد ونقته

لا فيه ريب كما قال لافيا غول لان المراد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنده واثبات انه حق لا باطل كما يزعم الكفار
 واوولى الظرف لبعد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه ريب لافيه كما قال في قوله تعالى لافيا غول ففيه تفصيل خر الجنة
 على جور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتال العقول كما تغتالها هي والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم الهما ووقفا
 على لاريب ولا بد للواقف من أن ينوي خبر او التقدير لاريب فيه (فيه هدى) فيه باشباع كل هاء كناية مكي وواقفه حفص
 في فيه مهانا وهو الاصل كقولك مررت به ومن عنده وفي داره وكما لا يقال في داره ومن عنده وجب أن لا يقال فيه وقال
 سيويه ما قاله مؤدالي الجمع بين ثلاثة أحرف سواكن الياء قبل الهاء والهاء اذ الهاء المتحركة في كلامهم بمنزلة الساكنة لان
 الهاء خفية والخفي قريب من الساكن والياء بعدها والهدى مصدر على فعل كالبكا وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل
 وقوع الضلالة في مقابلته { الجزء الاول } في قوله أولئك الذين ﴿ ٤٠ ﴾ اشتروا الضلالة بالهدى وانما قيل

الصحیح في كونه وحيا بالغا حد الإعجاز لان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى
 وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الآية فانه ما ابعد الريب عنهم بل عرفهم
 الطريق المزيج له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبدلوا فيها غاية
 جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة
 وقيل معناه لاريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف
 الواقع صفة للمتنق * والريب في الاصل مصدر راجي الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي
 قلق النفس واضطرابها سمي بالشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفي الحديث
 دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمأنينة ومنه ريب الزمان لنوابه
 * هدى للمتقين * يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والتقى
 ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة في قوله
 تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدى الا لمن اهتدى الى المطلوب
 واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمتفنون بنصبه وان كانت دلالة عامة لكل
 ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال تعالى هدى للناس اولانه لا يتفجع بالتأمل
 فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الآيات والدلائل والنظر في المعجزات
 وتعرف النبوات فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجاب نفعا مالم تكن الصحة
 والصدق وقيل هو خبر بمعنى النهى أى لا ترتابوا فيه * فان قلت قدراتاب فيه قوم فما
 معنى لاريب فيه * قلت معناه انه في نفسه حق وصدق فمن حقق النظر عرف حقيقة
 ذلك * هدى للمتقين * الهداية عارة عن الدلالة وقيل دلالة بلطف وقيل الهداية
 الارشاد والمعنى هو هدى للمتقين وقيل هو هاد لاريب في هدايته والمتقى اسم فاعل

هدى (للمتقين) والمتقون
 مهتدون لانه كقولك للعزير
 المكرم أعزك الله وأكرهك
 تريد طلب الزيادة على
 ما هو ثابت فيه واستدامته
 كقوله اهدنا الصراط
 المستقيم اولانه سماهم عند
 مشارفهم لا كتساب لباس
 التقوى متقين كقوله
 عليه السلام من قتل قتيلا
 فله سلبه وقول ابن عباس
 رضى الله عنهما اذا أراد
 أحدكم الحج فليجعل فانه
 يعرض المريض فسمى
 المشارف للقتل والمرض
 قتيلا ومرضا ولم يقل
 هدى للضالين لانهم فريقان
 فريق علم بقاءهم على الضلالة
 وفريق علم ان مصيرهم الى
 الهدى وهو هدى لهؤلاء

فحسب فلوجىء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقليل هدى للصارئين الى الهدى بعد الضلال فاختصر (من وقاه)

الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فليل هدى للمتقين مع ان فيه تصديرا للسورة التي هي اولى الزهراوين وسنام
 القرآن بذكر أولياء الله والمتقى في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فأتقى فقاؤها واو ولا مهايها واذا بنيت من ذلك انتعل
 قلبت الواو تاء وأدغمها في التاء الاخرى فقلت اتقى والوقاية فرط الصيانة وفي الشريعة من يثق نفسه تعاطى ما يستحق به
 العقوبة من فعل أو ترك ومحل هدى الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف أو خبر مع لاريب فيه لذلك أو النصب على

(هدى للمتقين) يعنى القرآن بيان للمتقين الكفر والشرك والفواحش ويقال كرامة للمؤمنين ويقال رجة للمتقين لامة

محمد صلى الله عليه وسلم

الحال من الهاء في فيه والذي هو أرسخ عرقا في البلاغة أن يقال ان قوله ألم جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة حيث جئ بها متناسقة هكذا من غير حرف عطف ﴿ ٤١ ﴾ وذلك لمجيئها { سورة البقرة } متآخية آخذا بعضها بعنق

بعض فالثانية متحدة بالاولى معتقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبه أولا على انه الكلام المتهدى به ثم أشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريراً لجهة التحدى ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الرب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ولا نقص أقص مما للباطل والشبهة وقيل لعالم فيم لذتك قال حجة تبختر افضاحا في شبهة تتضائل افضاحا ثم أخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتب هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم الرشيق من نكدة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرض الى المطلوب بالطف وجه وفي الثانية مافي التعريف من الفخامة وفي الثالثة مافي تقديم

حاصلة وعلى هذا قوله تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدر ما فيه من الجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعيين المراد منه * والمتى اسم فاعل من قولهم وقاه فأتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب * الاولى التوقى عن العذاب الخلد بالتبرى من الشرك وعليه قوله تعالى والزهم كلمة التقوى * والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا * والثالثة ان يتزهد عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشرائره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى واتقوا الله حق تقاته وقد فسر المتقون ههنا على الاوجه الثلاثة * واعلم ان الآية تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون ألم مبتدأ على انه اسم القرآن أو السورة أو مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل أن الاخص لا يحتمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تأليفه البالغ أقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون ألم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا أوبدلا والكتاب صفة * ولا ريب في المشهورة مبنى لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لالنافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضها ولازمة للاسماء لزومها وفي قرآنة ابى الشعاء مرفوع بلائى بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى لافيهما غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب كما قصد به ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال أو الخبر محذوف كما في لاضير ولذلك وقف على لاريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتكثيره والتقدير لاريب فيه هدى للمتقين وان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى انه

من وقاه فأتقى * والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف وقيل التقوى في عرف الشرع حفظ النفس مما يؤثم وذلك بترك المحظور وبعض المباحات قال ابن عباس المتقى من يتقى الشرك والكبائر والفواحش وهو مأخوذ من الاتقاء وأصله الحجز بين الشيتين يقال أتقى بترسه اذا جملة حاجزا بينه وبين ما يقصده * وفي الحديث كنا اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم معناه انا كنا اذا اشتد الحرب جعلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجزا بيننا وبين العدو فكأن المتقى يجعل امثال أوامر الله واجتناب نواهيه حاجزا بينه وبين النار وقيل المتقى هو من لا يرى نفسه خيرا من أحد وقيل التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض وقيل التقوى ترك الاصرار على المنصية وترك الاعتزاز بالطاعة وقيل التقوى أن لا يراك مولاك حيث نهاك وقيل

الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف (قا و خا ٦ ل) ووضع المصدر الذى هو هدى موضع الوصف الذى هو هاد كأن نفسه هداية وإبراده منكرافيه اشعار بانه هدى لا يكتفه كنهه والايجاز في ذكر المتقين كما مر

(الذين) في موضع رفع أو نصب على المدح أي هم الذين يؤمنون أو أعنى الذين يؤمنون أو هو مبتدأ وخبره أولئك على هدى أو جر على أنه صفة للمتقين وهي صفة واردة بيانا وكشفا للمتقين كقولك زيد الفقيه المحقق لاشتمالها على ما است عليه حال المتقين من الايمان الذي هو أساس الحسنات والصلاة والصدقة فهما العبادات البدنية والمالية وهما المعيار على غيرهما ألا ترى ان النبي عليه الصلاة { الجزء الاول } والسلام سمي الصلاة ﴿ ٤٢ ﴾ عماد الدين وجعل الفاصل بين

الكتاب الكامل الذي يستأهل ان يسمى كتابا أوصفته وما بعده خبره والجملة خبر ألم أو يكون ألم خبر مبتدأ محذوف والاولى ان يقال انها أربع جل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فألم جملة دلت على ان المتحدي به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي بانه الكتاب المنعوت بغايت الكمال ثم سجل على كانه بنى الريب عند ولا ريب فيه جملة ثالثة تشهد على كماله لانه لا يكال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدره مبتدأ جملة رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله بأنه هدى للمتقين أو تستتبع كل واحدة منها ما تليها استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لمانبه أو لاعلى اعجاز المتحدي به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استتبع منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبه الريب بأطرافه اذ لا ينقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تأخير الظرف حذرا عن ايها الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمباغنة وايراده منكرًا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشأنه ﴿ الذي يؤمنون بالغيب ﴾ اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الحسنات وترك

التقوى الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه * وفي الحديث جامع التقوى في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وقيل المتقى هو الذي يترك ما لا بأس به حذرا مما به بأس وخص المتقين بالذكر تشريفا لهم لان مقام التقوى مقام شريف عزيز لانهم هم المنتفعون بالهداية ولولم يكن للمتقين فضل الاقوله تعالى هدى للمتقين لكفاهم * فان قلت كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون * قلت هو كقولك للعزيز الكريم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة له الى ما هو ثابت فيه كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ أي يصدقون بالغيب * وأصل الايمان في اللغة التصديق قال تعالى وما أنت بمؤمن لنا أي بمصدق فاذا فسر الايمان بهذا فانه لا يزيد ولا ينقص لان التصديق لا يجزأ حتى يتصور كماله مرة ونقصانه أخرى * والايمان في لسان الشرع عبارة عن التصديق بالقلب والافرار باللسان والعمل

الاسلام والكفر ترك الصلاة وسمى الزكاة قنطرة الاسلام فكان من شأنهما استتباع سائر العبادات ولذلك اختصر الكلام بان استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين أوصفة مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها كقولك زيد الفقيه المتكلم الطيب ويكون المراد بالمتقين الذين يجتنبون السيئات (يؤمنون) يصدقون وهو افعال من الامن وقولهم آمنه أي صدقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء تضمنه معنى اقر واعترف (بالغيب) بما غاب عنهم مما آناه به النبي عليه الصلاة والسلام من أمر البعث في النشور والحساب وغير ذلك فهو بمعنى الغائب تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا هذا ان جعلته صلة للايمان وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء أي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب (بالاركان)

(الذين يؤمنون بالغيب) بما غاب عنهم من الجنة والنار والصراط والميزان والبعث والحساب وغير ذلك ويقال الذين يؤمنون بالغيب بما أنزل من القرآن وبما لم ينزل ويقال الغيب هو الله

السيئات لاشتماله على ماهو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتعبة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلاة والسلام الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلاة وابتاء الزكاة بالذكر اظهار لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعنى او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما . والايمان في اللغة عبارة عن التصديق مأخوذ من الامن كأن المصدق أمن التصديق من التكذيب والمخالفة وتمديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يجيء بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق بالشيء صار ذا أمن

والايمان الصحيح أن يقر
باللسان ويصدق بالجنان
والعمل ليس بداخل
في الايمان

بالاركان واذا فسر بهذا فانه يزيد وينقص وهو مذهب أهل السنة من أهل الحديث وغيرهم . وفائدة هذا الخلاف تظهر في مسألة وهي ان المصدق بقلبه اذا لم يجمع الى تصديقه العمل بموجب الايمان من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك من أركان الدين هل يسمى مؤمنا أم لا فيه خلاف والختار عند أهل السنة انه لا يسمى مؤمنا لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ففني عنه اسم الايمان أو كمال الايمان وأنكر أكثر المتكلمين زيادة الايمان ونقصانه وقالوا متى قيل الزيادة والنقص كان ذلك شكا وكفرا وقال المحققون من متكلمي أهل السنة ان نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والايمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة الاعمال ونقصانها وبهذا أمكن الجمع بين ظواهر نصوص الكتاب والسنة التي جاءت بزيادة الايمان ونقصانه وبين اصله من اللغة وقال بعض المحققين ان نفس التصديق قد يزيد وينقص بكثرة النظر في الأدلة والبراهين وقلة امعان النظر في ذلك ولهذا يكون ايمان الصديقين أقوى وأثبت من ايمان غيرهم لانهم لا يعترهم شبهة في ايمانهم ولا تنزلزل وأما غيرهم من آحاد الناس فليس كذلك اذ لا يشك عاقل ان نفس تصديق أبي بكر رضى الله عنه لا يساويه تصديق غيره من آحاد الامة وقيل انما سمى الاقرار والعمل ايمانا لوجه المناسبة لانه من شرائعه . والدليل على ان الاعمال من الايمان ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا اله الا الله وأدناها امانة الاذى عن الطريق والحياة شعبة من ايمان أخرجهاء في الصحيحين * البضع بكسر الباء ما بين الثلاثة الى العشرة * والشعبة القطعة من الشيء . وامانة الاذى عن الطريق هو عزل الحجر والشوك ونحو ذلك عنه * والحياة بالدهو انقباض النفس عن فعل القبيح وانما جعل من الايمان وهو اكتساب لان المستحي ينزجر باستحيائه عن المعاصي فصار من الايمان وقيل الايمان مأخوذ من الامن فسمى المؤمن مؤمنا لانه يؤمن نفسه من عذاب الله والاسلام

(قوله او مسوقة للمدح بما
تضمنه) قال في عناية القاضي
اي المتقون وفي نسخة او
مادحة بما تضمنه والمعنى
واحد وهو معطوف على
مقيدة او موضحة (قوله
كأن المصدق الخ) الاول
بكسر الهمزة والثاني بفتحها
معجم

ومنه ما آمنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب «واما في الشرع
فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث
والجزاء ومجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين
والمعتزلة والخواارج فمن أدخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أدخل بالافرار فكافر ومن
أخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر
عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه وتعالى اضاف الايمان الى
القلب فقال اولئك كتب في قلوبهم الايمان ولبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما
يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقونه بالمعاصي
فقال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى
الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير وانه اقرب الى الاصل وهو متعين
الارادة في الآية اذ المعنى بالياء هو التصديق وفاقاه ثم اختلف في ان مجرد التصديق
القلبي هل هو كاف لانه المقصود ام لا بد من انضمام الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق

هو الانقياد والخضوع فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا ان لم يكن معه تصديق وذلك
ان الرجل قد يكون مسلما في الظاهر غير مصدق في الباطن (ق) عن أبي هريرة رضى الله
عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فأتاه رجل فقال يا رسول الله
ما الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسوله وتؤمن بالبعث الآخر قال
يا رسول الله ما الاسلام قال ان تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى
الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال يا رسول الله ما الاحسان قال ان تعبد الله كأنك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك قال يا رسول الله متى الساعة قال ما المسؤول عنها باعلم من السائل
ولكن سأحدثك عن اشراطها اذا ولدت الامة ربها فذاك من اشراطها واذا كانت الحفاة
العراة رؤس الناس فذاك من اشراطها واذا تطاول رعاء البهيم في البنيان فذاك من اشراطها
وخس لا يعلمن الا الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة وينزل
الغيث ويعلم ما في الارحام الى قوله علم خبير قال ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ردوا على هذا الرجل فاخذوا ليردوه فلم يروا شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم . وفي افراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب نحو
هذا الحديث ومعناه وقد تقدم الكلام على معنى الايمان والاسلام . وبقي أشياء تتعلق
بمعنى الحديث . فقوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا أى ظاهرا . وقوله
ان تؤمن بالله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر هو بكسر الخاء وقيل في الجمع بين قوله
وتؤمن بقاء الله وبالبعث فان اللقاء يحصل بمجرد الانتقال الى الدار الآخرة وهو الموت
والبعث هو بعده عند قيام الساعة وفي تقييده بالآخرة وجه آخر . وهو ان خروجه
الى الدنيا بعث من الارحام وخروجه من القبر الى الآخرة بعث آخر قوله ما الاحسان
هو هنا الاخلاص في العمل وهو شرط في صحة الايمان والاسلام لان من أتى بافظ

(قوله وانه) وفي بعض
النسخ فانه وفي بعضها
لانه قال في العناية على انه
تعليلا لما قبله مصححه

هو الثاني لان الله تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار
 لعدم الاقرار به للمتمكن منه والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى
 عالم الغيب والشهادة والعرب تسمى المظمن من الارض غيبا والخصبة التي تلي الكلية غيبا
 او فيعمل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهه العقل وهو
 قسمن قسم لادليل عليه وهو المعنى بقوله تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم
 نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله وهو المراد به في هذه الآية
 هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين
 بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا
 لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزون
 او عن المؤمن به لما روى ان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال والذي لا اله غيره ما آمن
 احد افضل من ايمان بغيث ثم قرأ هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى
 يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية
 وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للآلة * ويقومون الصلوة * اي يعدلون اركانها
 ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها مأخوذ
 من قامت السوق اذا انفقت واقيمتها اذا جعلتها نافقة قال

اقامت غزالة سوق الضراب * لاهل العراقيين حولا قيطا

فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضعيت كانت كالكاسد المرغوب

الشهادة واتى بالعمل من غير اخلاص لم يكن محسنا وقيل اراد بالاحسان المراقبة وحسن
 الطاعة فان من راقب الله حسن عمله وهو المراد بقوله فان لم تكن تراه فانه يراك *
 وأشراط الساعة علاماتها التي تظهر قبلها . قوله اذا ولدت الامة بها يعنى سيدها
 والمعنى ان الرجل تكون له الامة فتدله ولدا فيكون ذلك الولد ابنها وسيدها * ورعاء
 البهم بكسر الراء وقح الباء من البهم وهى الصغار من اولاد الضأن والمعنى أنه يبسط
 المال على أهل البادية وأشباههم حتى يتباهون فى البناء ويسودون الناس فذلك من
 أشراط الساعة والله أعلم * قوله تعالى بالغيب الغيب هنا مصدر وضع موضع الاسم فقيل
 للغائب غيب وهو ما كان مغيبا عن العيون قال ابن عباس الغيب هنا كل ما أمرت
 بالايمان به بما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصرراط والميزان
 وقيل الغيب هنا هو الله تعالى وقيل القرآن وقيل بالآخرة وقيل بالوحى وقيل بالقدر
 وقال عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد صلى الله
 عليه وسلم وما سبقوا به فقال عبد الله بن مسعود ان أمر محمد صلى الله عليه وسلم كان
 بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن أحد قط أفضل من ايمان بغيث ثم قرأ الم
 ذلك الكتاب لاريب فيه الى قوله واولئك هم المفلحون * ويقومون الصلوة * اي
 يداومون عليها فى مواقيتها بحدودها واتمام أركانها وحفظها من ان يقع فيها خلل

(ويقومون الصلوة) أي
 يؤديونها فعبء عن الاداء
 بالاقامة لان القيام بعض
 أركانها كما عبر عنه بالقنوت
 وهو القيام وبالركوع
 والسجود والتسبيح
 لوجودها فيها أو أريد
 باقامة الصلاة تعديل
 أركانها من أقام العود
 اذا قومه والودام عليها
 والمحافظة من قامت السوق
 اذا نفقت لانه اذا حوفظ
 عليها كانت كالنقى النافق
 الذى توجه اليه الرغبات
 واذا ضعيت كانت كالنقى
 الكاسد الذى لا يرغب
 فيه والصلوة فعلة من صلى
 كالزكاة من زكى وكتابتها
 بالواو على لفظ المفخم
 وحقيقة صلى حرك
 الصلوتين اى الاليتين لان
 المصلى يفعل ذلك فى
 ركوعه وسجوده وقيل
 للداعى مصل تشبيها له فى
 تحشعه بالراكم والساجد
 (ويقومون الصلوة) يتمون
 الصلوات الخمس بوضوئها
 وركوعها وسجودها وما
 يجب فيها من مواقيتها

عنه او يشتهرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جدد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن اداها بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعي حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذي هم عن صلاتهم ساهون ولذلك ذكر في سيباني المدح والمقيمون الصلاة وفي معرض الازم فويل للمصلين والصلاة فعلة من صلى اذا دعا كالزكاة من ذكى كتبها بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل أصل صلى حرك الصلوي لان المصلى يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاه في الاول لا يتقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تحشعه بالراكع والساجد ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ الرزق في اللغة الحظ قال تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا من الله تعالى ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وأمر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق الا ترى انه تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله قل ارايتم ما نزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتحسكوا الشمول الرزق له بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عمرو ابن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتعدى به طول عمره سرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقرت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهب والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف المال في سبيل الخير فرض كان او انقلا ومن فسره بالزكاة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها

(ومما رزقناهم) أعطيناهم
وما بمعنى الذي (ينفقون)
يتصدقون ادخل من
التبعية صيانة لهم عن
التبذير المنهى عنه وقدم
المفعول دلالة على كونه
أهم والمراد به الزكاة لا قربانه
بالصلاة التي هي أختها
أوهى وغيرهما من النفقات
في سبيل الخير لجيئه مطلقا
وانفق الشيء وانفذه اخوان
كنفق الشيء ونفذ وكل
ما جاء مما فاؤه نون وعينه
فاء فدا على معنى الخروج
والذهب ودلت الآية
على ان الاعمال ليست من
الايان حيث عطف الصلاة
والزكاة على الايمان والعطف

(ومما رزقناهم ينفقون)
ومما أعطيناهم من الاموال
يتصدقون ويقال يؤدون
زكاة أموالهم وهو
أبو بكر الصديق وأصحابه

في فرائضها وسننها وآدابها يقال قام بالامر وأقام الامر اذا أتى به معطى حقوقه والمراد به الصلوات الخمس * والصلاة في اللغة الدعاء والرحمة ومنه وصل عليهم أي ادع لهم وأصله من صليت العود اذا لينته فكان المصلى يلين ويخشع * وفي الشرع اسم لافعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء مع النية ﴿ومما رزقناهم﴾ أي أعطيناهم من الرزق وهو اسم لما ينتفع به من مال وولد وأصله الحظ والنصيب ﴿ينفقون﴾ أي يخرجون ويتصدقون في طاعة الله تعالى وسبيله ويدخل فيه انفاق الواجب كالزكاة والندى والانفاق على النفس وعلى من يجب نفقته عليه والانفاق في الجهاد اذا وجب عليه والانفاق في المنسوب

يقتضى المغايرة (والذين يؤمنون) هم مؤمنوا أهل الكتاب كعبدالله بن سلام واضرابه من الذين آمنوا بكل وحي أنزل من عند الله وأيقنوا بالآخرة إيقاناً زال معه ﴿٤٧﴾ ما كانوا عليه من أنه {سورة البقرة} لا يدخل الجنة الا من كان

هوذا او نصارى وان النار لن تسهم الا أياما معدودات ثم ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا في جملة المتقين وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا فكانه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما أنزل اليك أو المراد به وصف الاولين ووسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وقوله الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتبية في المزدحم والمعنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه (بما أنزل اليك) يعنى القرآن والمراد جميع القرآن لا القدر الذى سبق انزاله وقت ايمانهم لان الايمان بالجميع واجب وانما عبر عنه بلفظ الماضى وان كان بعضه مترقبا لتعليق الوجود على مالم يوجد ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظرا لنزول جعل كأن كله قد نزل (وما أنزل من قبلك) يعنى سائر الكتب المنزلة على النبيين (وبالآخرة) وهى تأييد الآخر الذى هو ضد الاول وهى صفة والموصوف محذوف وهو

لاقتراؤه بما هو شقيمتها وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الآتى وادخال من التبعضية عليه لكلف عن اسراف المنهى عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جمع المعاون التى منحهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال وما خصصناهم به من انوار المعرفة فيضون ﴿﴾ والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ﴿﴾ هم مؤمنوا أهل الكتاب كعبدالله بن سلام رضى الله تعالى عنه واصحابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد بأولئك الذين آمنوا عن الشرك والانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما او على المتقين وكأنه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الكتاب ويحتمل ان يراد بهم الاولون بأعيانهم ووسط العاطف كما وسط في قوله

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتبية في المزدحم

وقوله يالهنف زيابة للحارث * الصابح فالغائم فالآيب

على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والآيتان بما يصدق من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تعابير القبيلين وتباين السيلين او طائفة منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذا ذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشأنهم وترغيبا لمثالهم والانزال نقل الشئ من الاعلى الى الاسفل وهو انما يلحق المعانى بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به على الرسل فيلقنه والمراد بما انزل اليك القرآن باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضى وان كان بعضه مترقبا لتعليق الوجود على مالم يوجد وتنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى اناسمنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما أنزل من قبلك التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السابقة والايمان بهما جملة فرض عين وبالاول دون الثانى تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وفساد المعاش ﴿﴾ وبالآخرة

وهو صدقة التطوع وهو اساة الاخوان وهذه كلها مما يدع بها وادخل من التى هى للتبعض صيانة لهم وكفلسن السرف والتبذير المنهى عنهما فى الانفاق ﴿﴾ والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ﴿﴾ اى يصدقون بالقرآن المنزل عليك وبالكتب المنزلة على الانبياء من قبل كالتوراة والانجيل والزبور وصحف الانبياء كلها فيجب الايمان بذلك كله ﴿﴾ وبالآخرة ﴿﴾ يعنى وبالدار الآخرة سميت آخرة لتأخرها عن الدنيا وكونها

(والذين يؤمنون بما أنزل اليك) من القرآن (وما أنزل من قبلك) على سائر الانبياء من الكتب (وبالآخرة)

الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع أنه خففها بان حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام (هم يوقنون) الايقان اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه (أولئك على هدى) الجملة في محل الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب { الجزء الاول } مبتدأ والا فلا ﴿ ٤٨ ﴾ محل لها ويجوز أن يجرى الموصول

الاول على المتقين وأن يرتفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره ويجمل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لا يؤمنون بنبوته رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله ومعنى الاستعلاء في على هدى مثل لتكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به بحيث شبت حالهم بحال من اعلى الشئ وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا «وامتنى الجهل وغوى» واقعد غارب الهوى ومعنى الهدى (من ربه) أى أوتوه من عنده ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه كأنه قيل على أى هدى ونحوه لقد وقعت على لجم أى على لجم عظيم (وأولئك هم المفلحون) أى الظافرون بما طلبوا الناجون عما هربوا فالفلاح

هم يوقنون ﴿ أى يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة أهو من جنس نعيم الدنيا وغيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض لمن عداهم من اهل الكتاب وبأن اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفى الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك لا يوصف به علم البارئ تعالى ولا العلوم الضرورية * والآخرة تأنيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة وألقاه حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقت ونظيره
لحب المؤقدان الى مؤسى * وجمعة اذا اضاء هما الوقود

﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفعولا عن المتقين خبره وكأنه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون الى آخر الآيات والا فاستئناف لاجل لها فكأنه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستأنف باعادة اسم وحده لما فيه من بيان المقتضى وتلخيصه بان ترتب الحكم على الوصف ايدان بأنه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعلى الشئ وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل وغوى * واقعد غارب الهوى

وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم فكأنه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يتقادر قدره ونظيره قول الهذلي

فلا وأبى الطير المربة بالضحى * على خالد لقد وقعت على لجم

وأكد تعظيمه بان الله تعالى مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ كرر فيه اسم الاشارة تبيينها على ان اتصافهم بتلك الصفات

بعدها ﴿ هم يوقنون ﴾ من الايقان وهو العلم والمعنى يستيقنون ويعلمون انها كائنة ﴿ أولئك ﴾ أى الذين هذه صفتهم ﴿ على هدى من ربهم ﴾ أى على رشاد ونور من ربهم وقيل على استقامة ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ أى الناجون الفائزون بنجوا

هم يوقنون) وبالبعث بعد الموت ونيمة الجنة هم يصدقون وهو عبدالله بن سلام واصحابه (أولئك) (من) اهل هذه الصفة (على هدى من ربهم) على كرامة ورجة وبيان نزل من ربهم (وأولئك هم المفلحون) الناجون من السخط والعذاب ويقال أولئك الذين ادركوا ووجدوا ما طلبوا ونجوا من شر مامنهم هربوا وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

درك البغية والمفلح الفائز بالبغية كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذا أخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى وجاء بالعطف هنا بخلاف قوله أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون لاختلاف الخبرين المقتضين ﴿ ٤٩ ﴾ للعطف هنا { سورة البقرة } واتحاد الغفلة والتشبيه

بالهائم ثم فكانت الثانية مقررة للاولى فهي من العطف بمنزل وهم فصل وفأندته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لصفة والتوكيد وإيجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره أو هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبية على اختصاص المتقين بنيل ما يناله أحد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره ففيه تنبيه على انهم كآبت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة

لهم بالفلاح وتعريف المفلحون ففيه دلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب اى هو الذى أخبرت بتوبته

يقتضى كل واحدة من الاثرتين وأن كلا منهما كاف في تمييزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون فإن التسمييل بالغفلة والتشبيه بالهائم شئ واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلان تناسب العطف * وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك * والمفلح بالحاء والهميم الفائز بالمطلوب كأنه الذى انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على أن المتقين هم * الناس الذين بلغك أنهم المفلحون في الآخرة أو الاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم * (تنبيه) * تأمل كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل ما يناله احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاطهار قدرهم والترغيب في اقتفاء أثرهم وقد تشبث به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب ورد بأن المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صقمه لاعدم الفلاح له رأساً ان الذين كفروا ﴿ لما ذكر خاصة عبادته وخالصه اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم بأضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغنى عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله سبحانه وتعالى ان الابرار

من النار وقازوا بالجنة * والمفلح الظافر بالمطلوب أى الذى انفتحت له وجوه الظفر ولم تستقل عليه ويكون الفلاح بمعنى البقاء قال الشاعر

لو كان حى مدرك الفلاح * أدركه ملاعب الرماح

يريد البقاء فيكون المعنى أولئك هم الباقون في النعيم المقيم والفلاح والظفر وإدراك البغية من السعادة والعز والبقاء والغنى وأصل الفلاح الشق كما قيل ان الحديد بالحديد يفلح

أى يقطع فعلى هذا يكون المعنى أولئك هم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة * واعلم ان الله عز وجل صدر هذه السورة بأربع آيات أنزلها في المؤمنين وبآيتين أنزلها في الكافرين وبثلاث عشرة آية أنزلها في المنافقين * فأما التي في الكفار فقوله تعالى ﴿ ان الذين كفروا ﴿ اى جحدوا وانكروا وأصل الكفر في اللغة السترة والتغطية

وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ليصرك (قا وخال) مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا اللهم زيننا بلباس القوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة لما قدم ذكر أوليائه بصفاتهم المقربة اليه وبين ان الكتاب هدى لهم قفى على أثره بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى بقوله (ان الذين كفروا) وثبتوا على الكفر

(ان الذين كفروا) وثبتوا على الكفر

لني نعيم وأن الفجار لني جحيم لبيانهما في الغرض فأن الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه
والاخرى مسوقة لشرح عمر دهم وانهما كهم في الضلال. وأن من الحروف التي شابهت الفعل
في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعمد خاصة في دخولها على
اسمين ولذلك اعلمت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذاناً بأنه فرع في العمل
دخيل فيه. وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان صرفوا بالخبرية وهي بعد باقية
مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف. واجيب بأن اقتضاء الخبرية الرفع
مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفانتهما
تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم وتصدرها الاجوبة وتذكر في معرض
الشك مثل قوله تعالى ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً
أنا مكناله في الارض وقال موسى يا فرعون أنى رسول من رب العالمين * قال المبرد
قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وأن عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه
وأن عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس
بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود اول الجنس متناولا
من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما أسند اليه. والكفر لغة
ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة
كافور. وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس القيار وشد
الزناز ونحوهما كفراً لانها تدل على التكذيب فأن من صدق الرسول صلى الله عليه وسلم
لا يجترى عليها ظاهراً لانها كفر في انفسها. واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ
الماضى على حدوثه لاستدعائه سابقة الخبر عنه. واجيب بأنه مقتضى التعلق وحدثه

الكفر ستر الحق بالجحود
والتركيب دال على الستر
ولذا سمي الزراع كافراً
وكذا الليل ولم يأت
بالمعاطف هنا كما في قوله
ان الابرار لني نعيم وان
الفجار لني جحيم لان الجملة
الاولى هنا مسوقة بيانا
لذكر الكتاب لاخبراعن
المؤمنين وسيقت الثانية
للاخبار عن الكفار بكذا
فبين الجملتين تفاوت في المراد
وهما على حد لا مجال
للعطف فيه وان كان
مبتدأ على تقدير فهو كالجارى
عليه والمراد بالذين كفروا
اناس بأعيانهم علم الله انهم
لا يؤمنون كأبي جهل وأبي

ومنه سمي الليل كافراً لانه يستر الاشياء بظلمته قال الشاعر

في ليلة كفر النجوم غمامها

أى سترها. والكفر على أربعة أضرب. كفر انكار وهو أن لا يعرف الله أصلاً ككفر
فرعون وهو قوله ما علمت لكم من اله غيرى * وكفر جمود وهو أن يعرف الله بقلبه
ولا يقربلسانه ككفر ابليس * وكفر عناد وهو أن يعرف الله بقباه ويقربلسانه ولا يدين
به ككفر أمية بن أبي الصلت وأبي طالب حيث يقول في شعره

ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحاً بذلك مينا

* وكفر نفاق وهو أن يقربلسانه ولا يستقد صحة ذلك بقلبه فجميع هذه الانواع
كفر. وحاصله أن من جحد الله أو أنكر وحدانيته أو أنكر شيئاً مما أنزله على رسوله
أو أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو أحد من الرسل فهو كافر فان مات على ذلك
فهو في النار خالداً فيها ولا يغفر الله له نزلت في مشركي العرب وقيل في اليهود

لهب واضراهما (سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم) بهمزة تنوين كوفي وسواء بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى الى كلمة سواء أى مستوية ﴿٥١﴾ وارتقاءه على انه خبر لان {سورة البقرة} وأنذرتهم أم لم تنذرهم مرتفع

به على الفاعلية كأنه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه أو يكون سواء خبرا مقدما وأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع الابتداء أى سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان وانما جاز الاخبار عن الفعل مع انه خبرا بديلا عنه من جنس الكلام المحجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسخ عنها معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء فى قولك اللهم اغفر لنا أيتها العصابة يعنى ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما جرى ذلك على صورة النداء والانداء وعقاب الله بالزجر عن المعاصى (لا يؤمنون) جملة مؤكدة للجملة قبلها أو خبر اعتراض أو خبر بعد خبر والحكمة فى الانذار مع العلم بالاصرار اقامة الحججة وليكون الارسال عاما وليشاب الرسول (ختم الله على قلوبهم) الزجاج الختم

لا يستلزم حدوث الكلام كما فى العلم ﴿سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ خبر أن وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كأنعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بأنه خبر أن وما بعده مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل أن الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه أو بأنه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سنان عليهم والفعل أنما يمتنع الاخبار عنه اذا أريد به تمام ما وضع له أما لو أطلق وأريد به اللفظ أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم فى الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى وأذا قيل لهم آمنوا وقوله يوم ينفع الصادقين صدقتهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه وأنما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وأم عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده فأنهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص فى قولهم اللهم اغفر لنا أيتها العصابة والانداء التحوييف أريد به التحوييف من عذاب الله تعالى وأنما اقتصر عليه دون البشارة لانه أوقع فى القلب وأشد تأثيرا فى النفس من حيث أن دفع الضرر أهم من جذب النفع فأذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع أولى «وقرى أنذرتهم بتحقيق الهمزتين وتحفيف الثانية بين وبين قلبها ألفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه يؤدى الى جمع الساكنين على غير حده وتوسيط ألف بينهما محقتين وتوسيطها والثانية بين بين وبجذف الاستفهامية وبجذفها وأثناء حركتها على الساكن قبلها ﴿لا يؤمنون﴾ جملة مفسرة لاجال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها أو حال مؤكدة أو بدل منه أو خبر أن والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فإنه سبحانه وتعالى أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون وأسرهم بالايان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بأنهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالمتنع لذاته وأن جاز عقلا من حيث أن الاحكام لا تستدعى غرضا سيما الامثال ولكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشئ أو عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره سبحانه وتعالى عما يفعله هو والعبد بأختياره وفائدة لانذار بعد العلم بأنه لا ينجع الزوام الحججة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قل سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبد الاصلام سواء عليكم أذعوتهم أم أنتم صامتون وفى الآية اخبار بالغيب على ما هو به أن اريد بالموصول أشخاص بأعيانهم فهى من المعجزات ﴿ختم الله على قلوبهم﴾

﴿سواء عليهم﴾ أى متساو لديهم ﴿أنذرتهم﴾ أى خوفتهم وحذرتهم والانداء اعلام مع تحوييف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذر ﴿أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ أى لا يصدقون وهذه الآية فى أقوام حقت عليهم كلمة العذاب فى سابق علم الله الا انهم لا يؤمنون ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال تعالى ﴿ختم الله على قلوبهم﴾

(سواء عليهم) العظة (أنذرتهم) خوفهم بالقرآن (أم لم تنذر) لم تخوفهم (لا يؤمنون) لا يريدون ان يؤمنوا ويقال لا يؤمنون فى علم الله (ختم الله على قلوبهم) طبع الله

الغطية لان في الاستيثاق من الشيء يضرب الخاتم عليه تغطية له لئلا يطلع عليه وقال ابن عباس طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير يعني ان الله طبع عليها فجعلها بحيث لا يخرج منها ما فيها من الكفر ولا يدخلها ما ليس فيها من الايمان وحاصل الختم والطبع خلق الظلمة والضيق في صدر العبد عندنا فلا يؤمن مادامت تلك الظلمة في قلبه وعند المعتزلة اعلام محض على القلوب بما يظهر للملائكة انهم كفار فيلعنونهم ولا يدعون لهم بخير وقال بعضهم ان اسناد الختم الى الله تعالى مجاز والخاتم في الحقيقة الكافر الا انه تعالى لما كان هو الذي أقدره ومكنه أسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب فيقال بنى الامير المدينة { الجزء الاول } لان للفعل ملبسات ﴿ ٥٢ ﴾ شتى يلبس الفاعل والمفعول به

وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴿ ٥٢ ﴾ تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه * والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى أنه آخر فعل يفعل في احرازه * والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولاختم ولا تغطية على الحقيقة وإنما المراد بهما أن يحدث في نفوسهم هيئة تمنعهم على استجاب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وأنهما كهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فاجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق وأسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنها مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة لهم في الانفس والآفاق

أى طبع الله عليها فلا ترى خيرا ولا تفهمه * وأصل الختم التغطية وحقيقته الاستيثاق من الشيء لكي لا يخرج منه ما حصل فيه ولا يدخله ما خرج منه ومنه ختم الكتاب قال أهل السنة ختم الله على قلوبهم بالكفر لما سبق في عمله الازلي فيهم وانما خص القلب بالختم لانه محل الفهم والعلم ﴿ ٥٢ ﴾ وعلى سمعهم ﴿ ٥٢ ﴾ أى وختم على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا يتفهمون به لانها تجبه وتنبو عن الاضغاء اليه كأنها مستوثق منها بالختم أيضا وذكر السمع بلفظ التوحيد ومعناه الجمع قيل انما وحده لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع ﴿ ٥٢ ﴾ وعلى أبصارهم غشاوة ﴿ ٥٢ ﴾ هذا ابتداء كلام * والغشاوة

والمصدر والزمان والمكان والمسبب له قاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء مجازا لمضاهاتها الفاعل في ملبسة الفعل كما يضاهى الرجل الاسد في جرائته فيستعاره اسمه وهذا فرع مسألة خلق الافعال (وعلى سمعهم) وحاد السمع كواحد البطن في قوله * كلوا في بعض بطونكم تفوا * لامن اللبس ولان السمع مصدر في أصله يقال سمعت الشيء سمعا وسمعا والمصدر لا يجمع لانه اسم جنس يقع على

القليل والكثير فلا يحتاج فيه الى التثنية والجمع فلجم الاصل وقيل المضاف محذوف أى وعلى مواضع سمعهم (الغطاء) وقرئ على اسماعهم (وعلى أبصارهم غشاوة) بالرفع خبر ومبتدأ والبصر نور العين وهو ما يبصر به الراى كان البصرة نور القلب وهى ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى فيهما آلتين للابصار والاستبصار والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة والقلادة والاسماع داخلة في حكم الختم لافى حكم التغطية لقوله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم ونصب المفضل وحده غشاوة باختمار جعل وتكرير الجار في قوله وعلى سمعهم دليل على شدة الختم في الموضوعين قال الشيخ الامام أبو منصور بن على رحمه الله الكافر لما لم يسمع قول الحق ولم ينظر في نفسه وغيره من المخلوقات ليرى آثار الحدوث فيعلم أن لا بد له من صانع جعل كأن على بصره وسمعه غشاوة وان لم يكن ذلك حقيقة وهذا دليل على ان الاسماع عنده داخلة في حكم التغطية والآية حجة لنا على المعتزلة في الاصلح فانه أخبر انه ختم على قلوبهم ولا شك ان ترك الختم أصح لهم

على قلوبهم (وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) غطاء

كاجتليها أعين المستبصرين فتصير كأنها غطى عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية أو مثل قلوبهم ومشاعرهم المثوفة بها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستفقاغ بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وبالاعغال في قوله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالأقساء في قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث أن الممكنات بأسرها مستندة الى الله سبحانه وتعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة عما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكرها وجوها من من التأويل الاول أن القوم لما عرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقى المجبول عليه الثاني أن المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن أو قلوب مقدره ختم الله عليها ونظيره سال به الوادى اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه بأقداره سبحانه وتعالى أيه أسند اليه أسناد الفعل الى المسبب الرابع أن أعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الاجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فإنه سد لايمانهم وفيه اشعار على تراى أمرهم في النى وتناهى أنهما كرم في الضلال والبنى الخامس أن يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله سبحانه وتعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب الآية السادس أن ذلك في الآخرة وأما أخبر عنه بالمانى لتحققه وتيقن وقوعه ويشهده قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عيا وبكما وسمما السابع أن المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبعضونهم ويتفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله سبحانه وتعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله سبحانه وتعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما عندهما من خاص فعلهما الختم الذى يمنع عن جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون أدل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحده السمع للأمن من اللبس واعتبار الاصل فإنه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع أو على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد النظاء ومنه غاشية السرج أى وجعل على أبصارهم غشاوة فلا يرون الحق وهي

بهما في الآية العنصو لانه أشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ماهو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما في قوله سبحانه وتعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب واتماجاز امالهما مع الصاد لان الرءاء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير «وغشاوة رفع بالابتداء عندسيويه وبالجار والمجرور عندالاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية * وقرى بالنصب على تقدير وجعل على أبصارهم غشاوة أو على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم على أبصارهم بغشاوة * وقرى بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما الغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المحجمة { ولهم عذاب عظيم } وعيد وبيان لما يستحقونه * والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول عذب عن الشيء ونكل عنه اذا أمسك ومنه الماء العذب لانه يجمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاها وفرا تائم اتسع فأطلق على كل ألم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يرايه رددع الجاني عن المعاودة فهو أعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازاله العذب كالتقذبة والتمريض * والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما أن الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به أنه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جبهده وحقر بالاضافة اليه ومعنى التكرير في الآية أن على أبصارهم نوع غشاء ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامى عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله { ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر } لما افتتح سبحانه وتعالى بشرح حال الكتاب وساق بيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله تعالى وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم وثى بأصدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفته رأسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين هم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم أخبث

غشاء التعامى عن آيات الله ودلائل توحيده { ولهم عذاب عظيم } يعنى في الآخرة وقيل الاسر والقتل في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى وحقيقة العذاب هو كل مايؤلم الانسان ويعيبه ويشق عليه وقيل هو الايجاع الشديد وقيل هو ما يمنع الانسان من مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع العطش والعظيم ضد الحقير * قوله عز وجل { ومن الناس من يقول آمنا بالله } نزلت في المنافقين عبد الله بن أبى ابن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس وأصحابهم وذلك انهم أظهروا كلمة الاسلام ليسلموا بها من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأسروا الكفر واعتقدوه وأكثرهم من اليهود * وصفة المنافق أن يعترف بلسانه بالايان ويتربه وينكره بقلبه ويصبح على حال ويمسى على غيرها * والناس جمع انسان سمي به لانه عهد اليه فنسى قال الشاعر

وسميت انسانا لانك ناسي

وقيل سمي انسانا لانه يستأنس بعثله { وباليوم الآخر } أى وآمنا باليوم الآخر وهو يوم القيامة سمي بذلك لانه يأتي بعد الدنيا وهو آخر الايام المحدودة الممدودة

{ ولهم عذاب عظيم } عن الشيء اذا أمسك عنه كما تقول نكل عنه والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم يقابل الحقير والكبير يقابل الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثة والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جسده أو خطره ومعنى التتكير ان على أبصارهم نوعا من التغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامى عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم من العذاب لا يعلم كنهه الا الله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) افتتح سبحانه وتعالى بذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ثم ثى بالكافرين تلو باو السنة ثم ثلث بالمنافقين الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم أخبث الكفرة لانهم خلطوا بالكفر استهزاء وخداعا ولذا نزل فيهم ان المنافقين

{ ولهم عذاب عظيم } شديد في الآخرة وهم اليهود كعب ابن الاشرف وحى بن أخطب وجدى بن أخطب ويقال هم مشركوا أهل مكة تبة

وشيبة والوليد (ومن الناس من يقول آمنا بالله) في السرو صدقنا بما نأمن بالله (ورالروم الآخر) وبالبعث بعد الموت الذى (وما)

في الدرك الاسفل من النار وقال مجاهد أربع آيات من اول السورة في نعت المؤمنين وآياتن في ذكر الكافرين وثلاث عشرة آية في المنافقين نعى عليهم فيها نكروهم وخبثهم وسفهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمهم ودعاهم صما بكما عيا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة وأصل ناس أناس حذفت همزته تخفيفا ﴿٥٥﴾ وحذفها كاللازم مع لام ﴿سورة البقرة﴾ التعريف لا يكاد يقال الا

ناس ويشهد لاصله انسان وأناسي وانس وسموا به لظهورهم وانهم يؤنسون أى يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول فانك

تقول وزن قه افعال وليس ملك الا العين وهو من أسماء الجمع ولام التعريف فيدل للجنس ومن موصوفة الذين كفروا ومن موصولة أريد بها ابن أبى وأصحابه ونظراؤه فانهم من حيث أنهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المحتوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا يابى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تنوع بزيادات تختلف فيها ابعاضها فلي هذا تكون الآية الكريمة تقسيما للقسم الثاني واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بأنهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايدان بأنهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لا اعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وأن الجنة لا يدخلها غيرهم وأن النار لن تمسهم الا أياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين أنهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لاعلى وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عميتهم لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصلة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللرأى والمذهب مجازاه والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهى أو الى ان يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة ﴿وما هم بمؤمنين﴾ انكار مادعوه ونفى ما تحلوا اثباته وكان أصله وما آمنوا ليطلق وما بعده فلا حمله ولا آخر قال الله تعالى ردا على المنافقين ﴿وما هم بمؤمنين﴾

الكفرة وأبغضهم الى الله سبحانه وتعالى لانهم هو الكفر وخطاوبه خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بأفعالهم وسجل على غيهم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم أن المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصيرين * والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسي فحذفت الهمزة حذفتها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله

ان المنايا يطلع * ن على الاناس الآمينا

شاذ وهو اسم جمع كرجال أذلم ثبت فعان في ابنية الجمع مأخوذ من أنس لانهم يستأنسون بأفعالهم أو أنس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سمو ابشرا كما سمي الجن جننا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة أذلا عهد فكأنه قال ومن الناس ناس يقولون أولاهم والمعهودهم الذين كفروا ومن موصولة أريد بها ابن أبى وأصحابه ونظراؤه فانهم من حيث أنهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المحتوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا يابى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تنوع بزيادات تختلف فيها ابعاضها فلي هذا تكون الآية الكريمة تقسيما للقسم الثاني واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بأنهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايدان بأنهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لا اعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وأن الجنة لا يدخلها غيرهم وأن النار لن تمسهم الا أياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين أنهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لاعلى وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عميتهم لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصلة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللرأى والمذهب مجازاه والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهى أو الى ان يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة ﴿وما هم بمؤمنين﴾ انكار مادعوه ونفى ما تحلوا اثباته وكان أصله وما آمنوا ليطلق وما بعده فلا حمله ولا آخر قال الله تعالى ردا على المنافقين ﴿وما هم بمؤمنين﴾

بالصانع وصفاته وأسمائه ومسائل المعاد وهى العلم بالنشور والبعث من القبور والصراط والميزان وسائر أحوال الآخرة وفي تكرير الباء اشارة الى انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام وانما طبق قوله (وما هم بمؤمنين) وهوى ذكر شأن الفاعل لا الفاعل قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهوى ذكر شأن الفعل لا الفاعل لان المراد انكار مادعوه ونفيه

فيه جزاء الاعمال (وما هم بمؤمنين) في السر ولا مصدقين

على أبلغ وجهه وأكده وهو إخراج ذواتهم من أن تكون طائفة من المؤمنين ونحوه قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها فهو أبلغ من قولك وما يخرجون منها وأطلق الإيمان في الثاني بعد تقييده في الأول لأنه يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه ويحتمل أن يراد نفي أصل الإيمان وفي ضمنه نفي المذكور أولاً والآية تنفي قول الكرامية أن الإيمان هو الاقرار باللسان لا غير لأنه نفي عنهم اسم الإيمان مع وجود الاقرار منهم وتؤيد قول أهل السنة أنه اقرار اللسان وتصديق بالجان دخلت الباء في خبر مأموكدة للنفي لأنه يستدل به السامع على الجحد إذا غفل عن أول الكلام ومن موحد اللفظ فلذا قيل يقول وجمع وما هم بمؤمنين نظراً إلى معناه (يخادعون الله) أي رسول الله فحذف المضاف كقوله وأسأل القرية كذا قاله أبو علي رحمه الله وغيره أي يظهر غير ما { الجزء الأول } في أنفسهم فالخداع ﴿ ٥٦ ﴾ اظهر غير ما في النفس

قولهم في التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيذا ومبالغة في التكذيب لأن إخراج ذواتهم من عداد المؤمنين أبلغ من نفي الإيمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك أكد النفي بالباء وأطلق الإيمان على معنى أنهم ليسوا من الإيمان في شيء ويحتمل أن يقيد بما قيدوا به لأنه جوابه والآية تدل على أن من ادعى الإيمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمناً لأن من تقوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافق أو ينافيه لم يكن مؤمناً والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا ينهض حجة عليهم ﴿ يخادعون الله والذين آمنوا ﴾ الخداع أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتزله عما هو فيه أو عما هو بصده من قولهم خدع الضب إذا توارى في فجره وضب خادع وخدع إذا أوهم الحارث اقباله عليه ثم خرج من باب آخر وأصله الاخفاء ومنه الخدع للخزانة والخداع لعرقين خفيين في العنق والخداعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله سبحانه وتعالى ليس على ظاهره لأنه لا يخفى عليه خافية ولا أنهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما خداعة رسوله صلى الله عليه وسلم على حذف المضاف أو على ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وأما أن صورة صنعهم مع الله سبحانه وتعالى من اظهار الإيمان واستبطان الكفر وضع الله معهم بأجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده أخبث الكفار وأهل الدرك الأسفل من النار استدراجاً لهم وامثال الرسول صلى الله عليه وسلم نفي عنهم الإيمان بالكلية ﴿ يخادعون الله والذين آمنوا ﴾ أي يخالفون الله والخذية الحيلة والمكر وأصله في اللغة الاخفاء والخداع يظهر عندما يضمير ليتخلص فهو بمنزلة النفاق وهو خادعهم أي يظهر لهم نعيم الدنيا ويجعلهم بخلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة * فان قلت الخداعة مفاعلة وانما تجيء في الفعل المشترك والله تعالى منزّه عن المشاركة قلت المفاعلة قد ترد لاعلى وجه المشاركة تقول عافاك الله وطارقت النعل

وقد رفع الله منزلة النبي صلى الله عليه وسلم حيث جعل خداعه خداعه وهو كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم وقيل مناه يخادعون الله في زعمهم لأنهم يظنون ان الله ممن يصح خداعه وهذا المثال يقع كثيرا لغير اثنين نحو قولك عاقبت اللص وقد قرئ يخادعون الله وهو بيان ليقول أو مستأنف كانه قيل ولم يدعون الإيمان كاذبين وما منفعتهم في ذلك فقيل يخادعون الله ومنفعتهم في ذلك متاركتهم عن المحاربة التي كانت مع من سواهم من الكفار واجراء أحكام المؤمنين عليهم ونيلهم من الغنائم وغير ذلك قال صاحب

الوقوف الوقت لازم على المؤمنين لأنه لو وصل لصار التقدير وما هم بمؤمنين مخادعين فينتق الوصف (وعاقبت) كقولك ما هو رجل كاذب والمراد نفي الإيمان عنهم وأثبت الخداع لهم ومن جعل يخادعون حالا من الضمير في يقول والعامل فيها يقول والتقدير يقول آمناً بالله مخادعين أو حالا من الضمير في المؤمنين والعامل اسم الفاعل فيها والتقدير وما هم بمؤمنين في حال خداعهم لا يقف والوجه الأول (والذين آمنوا) أي يخادعون رسول الله والمؤمنين باظهار الإيمان واضمار الكفر

في إيمانهم (يخادعون الله) يخالفون الله ويكذبونه في السر ويقال اجترأوا على الله حتى ظنوا أنهم يخادعون الله (والذين آمنوا) أبابكر وسائر اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

المشبهة معاملة المخادعين
الأنفسهم لان ضررها
يلحقهم وحاصل خداعهم
وهو العذاب في الآخرة
يرجع اليهم فكأنهم خدعوا
أنفسهم وما يخذعون أبو
عمرو ونافع ومكي للمطابقة
وعذر الاولين ان خدع
وخادع هنا بمعنى واحد
والنفس ذات الشيء
وحقيقته ثم قيل للقلب
والروح النفس لان النفس
بهما والدم نفس لان قوامها
بالدم وللماء نفس لفرط
حاجتها اليه والمراد بالنفس
ههنا ذواتهم والمعنى بخداعهم
ذواتهم أن الخداع لاصق
بهم لا يبدوهم الى غيرهم
(وما يشعرون) ان حاصل
خداعهم يرجع اليهم
والشعور علم الشيء علم احس
من الشعار وهو ثوب يلي
الجسد ومشاعر الانسان
حواسه لانها آلات الشعور
والمعنى ان حقوق ضرر ذلك
بهم كالحسوس وهم لتمادي
غفلتهم كاذبي لاحس له
(في قلوبهم مرض) أي
شك ونفاق لان الشك
تردد بين الامرين والمنافق
متردد في الحديث مثل
المنافق كمثل الشاة العائرة
بين القمين والمريض متردد
بين الحياة والموت ولان

تعالى عليه وسلم والمؤمنين امر الله سبحانه وتعالى في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم
مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المخادعين ومحتمل أن يراد يخذعون لانه بيان ليقول
أو استئناف بذكر ما هو الغرض منه ألا أنه أخرج في زنة فاعل للمقابلة فأن الزنة
لما كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه كان أبلغ منه أذ جاء بلا مقابلة معارض ومبار
استحيت ذلك وبعضه قراءة من قرأ يخذعون وكان غرضهم في ذلك أن يدفعوا عن
أنفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وأن يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام
والاعطاء وأن يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على أسرارهم ويندبوا اليه منابذهم الى غير
ذلك من الاغراض والمقاصد ﴿وما يخذعون الأنفسهم﴾ قراءة نافع وابن كثير
وأبي عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم أرأنهم في ذلك
خدعوا أنفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم أنفسهم حيث حدثهم بالاماني النارعة
وجلهم على مخادعة من لا يخفي عليه خافيةه وقرأ الباقون وما يخذعون لان المخادعة
لا تصور إلا بين اثنين وقرئ ويخذعون من خدع ويخذعون بمعنى يخذعون ويخذعون
ويخذعون على البناء للمفعول ونصب أنفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته
ثم قيل للروح لان نفس الحى به وللقلب لانه محل الروح أو متعلقه والدم لان قوامها به
وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأى في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها أو يشبه
ذاتا تأمره وتشير عليه فالمراد بالنفس ههنا ذواتهم ويحتمل جعلها على ارواحهم
وآرائهم ﴿وما يشعرون﴾ لايحسون بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع
ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالحسوس الذي لا يخفى إلا على مثوف الحواس والشعور
الاحساس ومشاعر الانسان حواسه وأصله الشعر ومنه الشعار ﴿في قلوبهم مرض

وعاقبت اللص فالمخادعة هنا عبارة عن فعل الواحد والله تعالى منزه عن أن يكون منه
خداع فان قلت كيف يخذع الله وهو يعلم الضمائر والاسرار فخذع الله متمتعاً فكيف
يقال يخذعون الله قلت أن الله تعالى ذكر نفسه وأراد به رسوله صلى الله عليه وسلم
وذلك تقييد لاسره وتعظيم لشأنه وقيل أراد به المؤمنين وأذا خادعوا المؤمنين فكأنهم
خادعوا الله تعالى وذلك أنهم ظنوا أن النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لم يعلموا حالهم
وتجربى عليهم أحكام الاسلام في انظارهم وهم على خلافه في الباطن ﴿وما يخذعون
الأنفسهم﴾ أي أن الله تعالى يجازيهم على ذلك ويعاقبهم عليه فلا يكونون في الحقيقة
الأخادعين أنفسهم وقيل أن وبال ذلك الخداع راجع اليهم لان الله تعالى يطلع نبيه
صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيقتضون في الدنيا ويستوجبون العقاب في الآخرة والنفس
ذات الشيء وحقيقته وقيل للدم نفس لان به قوة البدن ﴿وما يشعرون﴾ أي لا يعلمون
أن وبال خداعهم راجع عليهم ﴿في قلوبهم مرض﴾ أي شك ونفاق وأصل المرض
الضعف والخروج عن الاعتدال الخاص بالانسان وسمى الشك في الدين والنفاق

المرض ضد الصحة والفساد يقابل الصحة فصار (قا و حا دل) المرض اسماً لكل فساد والشك والنفاق فساد في القلب

(وما يخذعون) يكذبون (الأنفسهم وما يشعرون) وما يعلمون ان الله يطلع نبيه على سر قلوبهم (في قلوبهم مرض)

(فزادهم الله مرضاً) أى ضعفان الانتصار وعجزا عن الاقتدار وقيل المراد به بخلق النفاق في حالة البقاء بخلق أمثاله كما عرف في زيادة الايمان (ولهم عذاب {الجزء الاول} أليم) فعيل بمعنى ﴿٥٨﴾ مفعل اى مؤلم (بما كانوا يكذبون) كوفي اى يكذبهم

فزادهم الله مرضاً المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في أفعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المماص لانها مانعة عن نيل الفضائل أو مؤدية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية والآية الكريمة تحملهما فأقربهم كانت متألمة تحرقا على ما فاتت عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات أمر الرسول صلى الله عليه وسلم واستعلاء شأنه يوماً فيوماً وزاد الله سبحانه وتعالى غمهم بما زاد في أعلاء أمره وأشادة ذكره ونفوسهم كانت مثوقة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم ونحوها فزاد الله سبحانه وتعالى في ذلك بالطبع أو بأزيد التكليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله سبحانه وتعالى من حيث أنه مسبب من فعله سبحانه وتعالى واسنادها الى السورة في قوله تعالى فزادتهم رجسا ليكونا سبياً ويحتمل أن يراد بالمرض ما تدخل قلوبهم من الحزن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وأمداد الله عز وجل لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسول الله صلى الله عليه وسلم نصرة على الأعداء وتبسطا في البلاد ﴿٥٩﴾ ولهم عذاب أليم ﴿٦٠﴾ اى مؤلم يقال ألم فهو أليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله

تحية بينهم ضرب وجيع

على طريقة قولهم جد جده ﴿٦١﴾ بما كانوا يكذبون ﴿٦٢﴾ قرأها عاصم وحزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم أو ببدله جزاء لهم وهو قولهم آمناء قرأ الباقر يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بقلوبهم وأذا خلوا الى شياطين دينهم أو من كذب الذي هو للمبالغة أو للتكثير مثل بين الشيء وموت البهائم أو من كذب الوحشى إذا جرى شوطا ووقف لينظر الى ما وراءه فأن المنافق تميم مرتد والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روى أن أبراهيم عليه الصلاة والسلام كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به ﴿٦٣﴾ وأذ قيل لهم لا تفسدوا في الارض ﴿٦٤﴾ عطف على يكذبون أو يقول وما روى عن سلمان أن أهل هذه الآية

مرضاً لانه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن ﴿٦٥﴾ فزادهم الله مرضاً ﴿٦٦﴾ يعنى أن الآيات كانت تنزل تترى أى آية بعد آية فكلموا كفروا بآية ازدادوا بعد ذلك كفرا ونفاقا ﴿٦٧﴾ ولهم عذاب أليم ﴿٦٨﴾ أى مؤلم يخلص وجعه الى قلوبهم ﴿٦٩﴾ بما كانوا يكذبون ﴿٧٠﴾ أى بتكذيبهم الله ورسوله في السر وقرىء بالتخفيف اى يكذبهم اذ قالوا آمنا وهم غير مؤمنين ﴿٧١﴾ وأذا قيل لهم ﴿٧٢﴾ يعنى المنافقين وقيل اليهود والمعنى إذا قال لهم المؤمنون ﴿٧٣﴾ لا تفسدوا في الارض ﴿٧٤﴾ اى بالكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله

في قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر فاما مع الفعل معنى المصدر والكذب الاخبار عن الشيء على خلاف ما هو به يكذبون غيرهم أى بتكذيبهم النبي عليه السلام فيما جاءه وقيل هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين (واذ قيل لهم) معطوف على يكذبون ويجوز أن يعطف على يقول آمنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم (لا تفسدوا في الارض) لكان صحيحا والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعابه وضده الصلاح وهو الحصول على الحال المستقيمة النافعة والفساد في الارض هي الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض وانثناء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدينية وكان فساد المنافقين في الارض

شك ونفاق وخلاف وظلمة (فزادهم الله مرضاً) شكاً ونفاقاً وخلافاً وظلمة (ولهم عذاب أليم) وجيع في الآخرة يخلص وجعه

الى قلوبهم (بما كانوا يكذبون) في السر وهم المنافقون عبدالله بن أبي وجيد بن قيس ومعتب بن قشير (واذا) (عليه) قيل لهم (يعنى اليهود) (لا تفسدوا في الارض) بتعويق الناس عن دين محمد صلى الله عليه

انهم كانوا يملون الكفار ويغالونهم على المسلمين بأفشاء أسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم (قالوا انما نحن
مصلحون) بين المؤمنين والكافرين بالمدارة يعني ﴿٥٩﴾ ان صفة المصلحين {سورة البقرة}

شأنه قاذح فيها من وجه
من وجوه الفساد لان انما
لقصر الحكم على شيء
او لقصر الشيء على حكم
كقولك انما ينطلق زيد
وانما زيد كاتب وما كافة
لانها تكفيها عن العمل
(ألا انهم هم المفسدون
ولكن لا يشعرون) أنهم
مفسدون فحذف المفعول
للعلم به الأمر كمن همة
الاستفهام وحروف النفي
لاعطاء معنى التنيبه على
تحقق ما بعدها والاستفهام
اذا دخل على النفي أفاد
تحققا كقوله تعالى أليس
ذلك بقادر ولكونها
في هذا المنصب من
التحقيق لاتقع الجملة بعدها
المصدرية بنحو ما يتلقى به
القسم وقد رد الله ما دعوه
من الانتظام في جملة المصلحين
أبلغ رد وأدله على سخط
عظيم والمبالغة فيه من جهة
الاستئناف وما في الأوان
من التأكيذ وتعريف الخبر
وتوسيط الفصل وقوله
لا يشعرون (واذا قيل لهم
آمنوا كما آمن الناس

لم يأتوا بعد فعله أراد به أن أهله ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله
حاليهم لان الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال
والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب
والفتن بمخادعة المسلمين وممالأة الكفار عليهم بأفشاء الاسرار اليهم فأن ذلك يؤدي
الى فساد ما في الارض من الناس والدواب والحرف ومنه اظهار المعاصي والاهانة
بالدين فأن الاخلال بالشرائع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل
بنظام العالم والقائل هو الله سبحانه وتعالى أو الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أو بعض
المؤمنين ﴿قالوا انما نحن مصلحون﴾ جواب لاذا ورد لناصح على سبيل المبالغة
والمعنى أنه لا يصح مخاطبتنا بذلك فأن شأننا ليس ألا الاصلاح وأن حالنا متمحضة عن
شوائب الفساد لان انما تفيد قصر مادخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما
ينطلق زيدوا انما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض
كأقال الله سبحانه وتعالى أفن زين له سوء عمله فرآه حسنا ﴿ألا انهم هم المفسدون ولكن
لا يشعرون﴾ رد لما ادعوه أبلغ رد الاستئناف به وتصديره بحرفي التأكيد ألا المنبهة على
تحقيق ما بعدها فأن همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي أفادت تحقيقا
ونظير ما ليس ذلك بقادر ولذلك لانكاد تقع الجملة بعدها المصدرية بما يتلقى بها القسم وأختها
أما التي هي من طلائع القسم وأن المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في
قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بالاشعرون ﴿واذا قيل لهم
آمنوا﴾ من تمام النصح والارشاد فأن كمال الايمان بمجموع اميرين الاعراض عما لا ينبغي
وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والايان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا ﴿كما آمن
الناس﴾ في حيز النصب على المصدر وما مصدرية أو كافة مثلها في ربما واللام في الناس
للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فأن اسم الجنس كما
يستعمل لسماء مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك
يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بأنسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عي ونحوه
وقد جمعها الشاعر بقوله

عليه وسلم وبالقرآن ﴿قالوا انما نحن مصلحون﴾ يعني يقولونه كذبا ﴿ألا﴾ كلمة
تنيبه ينبه بها المخاطب ﴿أنهم هم المفسدون﴾ يعني في الارض بالكفر وهو أشد
الفساد ﴿ولكن لا يشعرون﴾ وذلك لانهم يظنون أن ما هم عليه من النفاق وابطان
الكفر صلاح وهو عين الفساد وقيل لا يشعرون ما أعد الله لهم من العذاب ﴿وإذا
قيل لهم﴾ يعني المنافقين وقيل اليهود ﴿آمنوا كما آمن الناس﴾ يعني المهاجرين
والانصار وقيل عبدالله بن سلام وأصحابه من مؤمن أهل الكتاب * والمعنى أخلصوا

وسلم (قالوا انما نحن
مصلحون) لها بالطاعة

(ألا انهم) بلى انهم (هم المفسدون) لها بالتعويق (ولكن لا يشعرون) لا يعلم سفلتهم ان رؤساهم هم الذين يضلونهم
(واذا قيل لهم) لليهود (آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (كما آمن الناس) عبدالله بن سلام

قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء (نصحوهم من وجهين أحدهما تصحيح ما كانوا عليه لبعده عن الصواب وجره الى الفساد وثانيهما تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوى الاحلام فكان من جوابهم ان سفهوهم لتماذى جهلهم وفيه تسلية للعالم مما يلقي من الجهلة وانما صح اسناد قيل الى لا تسدوا وآمنوا مع ان اسناد الفعل الى الفعل لا يصح لانه اسناد الى لفظ الفعل والمتنع اسناد الفعل الى معنى الفعل فكانه قيل واذا قيل لهم هذا القول ومنه زعموا مطية الكذب وما في كافة كما في ربما أو مصدرية كما في بما رحبت واللام في الناس للهدى اى كما آمن الرسول ومن معه وهم ناس معهودون أو عبد الله بن سلام واشياعه اى كما آمن الجزء الاول أصحابكم واخوانكم أو للجنس ﴿٦٠﴾ اى كما آمن الكاملون فى الانسانية

اذ الناس ناس والزمان زمان

أول العهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه أو من آمن من أهل جلدتهم كابن سلام وأصحابه * والمعنى آمنوا ايماناً مقروناً بالاخلاص متمحضاً عن شوائب النفاق مماثلاً لايمانهم * واستدل به على قبول توبة الزنديق وأن الاقرار باللسان ايمان والالم يفد التقييد ﴿ قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ﴾ الهمة فيه للانكار واللام مشاربها الى الناس أو الجنس بأسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم أو لتحقير شأنهم فان أكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم مولى كصهيب وبلال أو للجملة وعدم المبالاة بمن آمن منهم أن فسر الناس بعبد الله بن سلام وأشياعه * والسفه خفة وسخافة رأى يقتضيها نقصان العقل والحلم يقابله ﴿ ألا أنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ﴾ رد ومبالغة فى تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع أعظم ضلالة وأتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فأنه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر وانما فصلت الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه أكثر طباقاً لذكر السفه ولان الوقوف على أمر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر وأما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فأنما يدرك بأذى تظن وتأمل فيما يشاهد من أقوالهم وأفعالهم ﴿ وأذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ﴾ بيان لما ملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به

فى ايمانكم كما أخلص هؤلاء فى ايمانهم لان المنافقين كانوا يظهرون الايمان ﴿ قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ﴾ أى الجهال. فان قلت كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم أنؤمن كما آمن السفهاء * قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك فرد الله ذلك عليهم بقوله ﴿ ألا أنهم هم السفهاء ﴾ يعنى الجهال * وأصل السفه خفة العقل ورقة العلم وانما سمى الله المنافقين سفهاء لانهم كانوا عند أنفسهم عقلاء رؤساء فقلت ذلك عليهم وسماهم سفهاء ﴿ ولكن لا يعلمون ﴾ يعنى أنهم كذلك * قوله تعالى ﴿ وأذا لقوا الذين آمنوا ﴾ يعنى هؤلاء المنافقين اذا لقوا المهاجرين والانصار ﴿ قالوا آمنا ﴾ كما يأتكم

او جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم والكاف فى كما فى موضع النصب لانه صفة مصدر محذوف اى ايماناً مثل ايمان الناس ومثله كما آمن السفهاء والاستفهام فى أنؤمن للانكار واللام فى السفهاء مشاربها الى الناس وانما سفهوهم وهم العقلاء المراجيح لانهم لجهلهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفياً والسفه سخافة العقل وخفة الحلم (ألا أنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) أنهم هم السفهاء وانما ذكر هنا لا يعلمون وفيما تقدم لا يشعرون لانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن

طباقه ولان الايمان يحتاج فيه الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة أما الفساد فى الارض (وأذا) فأمر مبنى على العادات فهو كالحسوس والسفهاء خبران. وهم فصل أو مبتدأ والسفهاء خبرهم والجملة خبران (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) وقرأ أبو حنيفة

وأصحابه (قالوا أنؤمن) بمحمد عليه السلام والقرآن (كما آمن السفهاء) الجهال الخرقى (ألا أنهم) بلى أنهم (هم السفهاء) الجهال الخرقى (ولكن لا يعلمون) ذلك (واذا لقوا) يعنى المنافقين (الذين آمنوا) يعنى أبابكر وأصحابه (قالوا آمنا) فى السر

رحه الله واذا لقوا يقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريباً منه الآية الاولى في بيان مذهب المنافقين والترجة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون مع المؤمنين من الاستهزاء بهم ولقائهم بوجود المصادقين وايهامهم انهم معهم (واذا خلوا الى شياطينهم) خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه والى ابلغ لان فيه دلالة الابتداء والانهاء أى اذا خلوا من المؤمنين الى شياطينهم ويجوز أن يكون من ﴿ ٦١ ﴾ خلا بمعنى مضى ﴿ سورة البقرة ﴾ وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين

في تمردهم وهم اليهود وعن سيويه ان نون الشياطين أصلية بدليل قولهم تشيطن وعنه انها زائدة واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير أو من شاط اذا بطل ومن أسمائه الباطل (قالوا أنا معكم) انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم وانما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان لانهم في خطابهم مع المؤمنين في ادعاء حدوث الايمان منهم لا في ادعاء انهم أوحيون في الايمان اما لان أنفسهم لاتساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائد هم باعث ومحرك واما لانه لا يروج عنهم لوقالوه على لفظ التأكيد والمباغة وكيف يطعمون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار واما خطابهم مع اخوانهم فقد كان عن رغبة وقد كان متقلاً منهم راجحاً عنهم

القصة فساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير * روى أن ابن أبي وأصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقيتموه انظروا كيف أورد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبي بكر رضى الله عنه وقال مرحباً بالصديق سيدى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفار البازل نفسه وماله لرسو الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال مرحباً بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دينه البازل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد على رضى الله عنه فقال مرحباً ببن عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وختته سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتونى فأتوا عليه خيراً فنزلت * واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه ألقيته اذا طرحتة فأنتك بطرحه جعلته بحيث يلتقى ﴿ وأذا خلوا الى شياطينهم ﴾ من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه أو من خلاك ذم أى عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية أو من خلوت به اذا سخرت منه وعدى بألى تضمنين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين فى تمردهم وهم المظهرون كفرهم واصفاقهم اليهم للمشاركة فى الكفر أو كبار المنافقين والقائلون صفارهم * وجعل سيويه نونه تارة أصلية على أنه من شطن اذا بعد فإنه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن وأخرى زائدة على أنه من شاط اذا بطل ومن أسمائه الباطل ﴿ قالوا أنا معكم ﴾ أى فى الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بأن لانهم قصدوا بالاولى دعوى احدث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولاتوقع رواج ادعاء الكمال فى الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار ﴿ أعما نحن مستهزؤون ﴾ تأكيد لما قبله لان المستهزىء بالثىء المستخف به مصر على خلافه

﴿ وأذا خلوا ﴾ أى رجعوا وقيل هو من الخلوة ﴿ الى ﴾ قيل بمعنى الباء أى ﴿ شياطينهم ﴾ وقيل بمعنى مع أى مع شياطينهم والمراد بشياطينهم رؤسائهم وكهنتهم قال ابن عباس وهم خمسة نفر كعب بن الاشرف من اليهود بالمدينة وأبو بردة فى بنى أسلم وعبد الدار فى جهينة وعوف بن عامر فى بنى أسد وعبد الله بن السواد بالشام ولا يكون كاهن الاومعه شيطان تابع له وقيل هم رؤسائهم الذين شابهوا الشياطين فى تمردهم ﴿ قالوا أنا معكم ﴾ أى على دينكم ﴿ أعما نحن مستهزؤون ﴾ أى بمحمد وأصحابه بما نظر لهم

فكان مظنة للتحقيق ومثمة للتأكيد وقوله (أعما نحن مستهزؤون) تأكيد لقوله

وصدقنا بايماننا كما أمتم فى السر وصدقتم به (واذا خلوا) رجعوا (الى شياطينهم) كهنتهم ورؤسائهم وهم خمسة نفر كعب بن الاشرف بالمدينة وأبو بردة الاسلمى فى بنى أسلم وابن السوداء بالشام وعبد الدار فى جهينة وعوف بن عامر فى بنى عامر (قالوا) لرؤسائهم (أنا معكم) على دينكم فى السر (أعما نحن مستهزؤون) بمحمد عليه السلام واصحابه

انا معكم لان معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزؤن رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزى
بالشيء المستخف به منكره ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته أو استئناف كانهم اعترضوا
عليهم بقولهم حين قالوا { الجزء الاول } لهم انا معكم ﴿ ٦٢ ﴾ ان كنتم معنا فلم توافقون

أوبدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر أو استئناف فكان الشياطين قالوا
لهم لما قالوا انا معكم أن صح ذلك فبالكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فأجابوا
بذلك «والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزئت واستهزأت بمعنى كأجبت واستجبت
وأصل الخفة من الهز وهو القتل السريع يقال هزأ فلان أذامات على مكانه وناقته
تهزأ به أى تسرع وتخف ﴿ الله يستهزى بهم ﴾ يجازيهم على استهزائهم سمي
جزاء الاستهزاء باسمه كاسمى جزء السيئة سيئة أمالمقابلة للفظ باللفظ أولكونه
مماثله في القدر أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون الله تقدس وتعالى كالمستهزى بهم
أو ينزل بهم العقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء والغرض منه أو يعاملهم معاملة
المستهزى أما في الدنيا فبأجراء أحكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة
على التامدى في الطغيان وأما في الآخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فسرعون
نحوه فإذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من
الكفار يضمكون وأما استؤنف به ولم يعطف ليدل على أن الله تعالى تولى مجازاتهم
ولم يحوج المؤمنين إلى أن يعارضوهم وأن استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة مايفعل الله
بهم ولعله تعالى لم يقل الله مستهزى بهم ليطابق قولهم ايعاء بأن الاستهزاء يحدث حالا
فحالا ويتجدد حيناً بعد حين وهكذا كانت نكيات الله فيهم كما قال تعالى أولابرون انهم يفتنون

من الاسلام لنا من شرهم ونقف على سرهم وتأخذ من غنائمهم وصدقاتهم * قال
ابن عباس نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبى وأصحابه وذلك أنهم خرجوا ذات
يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن أبى
لاصحابه انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فأخذ بيد أبى بكر الصديق
فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الغار البازل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر فقال
مرحبا بسيد بنى عدى بن كعب الفاروق القوى في دين الله البازل نفسه وماله لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد على فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه
وسيد بنى هاشم ماخلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له على اتق الله يا عبد الله
ولاشفاق فأن المنافقين شر خليفة الله تعالى فقال مهلا يا أبى الحسن أنى لأقول هذا نفاقا
والله أن ايماننا كما يمانكم وتصدقنا كتصديقكم ثم تفرقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف
رأيتونى فعلت فأنشوا عليه خيرا ﴿ الله يستهزى بهم ﴾ أى يجازيهم جزاء استهزائهم
بالمؤمنين فسمى الجزء باسمه لانه في مقابله قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فإذا

ولما كانت نكيات الله وبلاياه تنزل عليهم ساعة فساعة قيل الله يستهزى بهم ولم يقل الله مستهزى (انتهوا)
بهم ليكون طبقا لقوله انما

بلا الله الا الله (الله يستهزى بهم) في الآخرة يعنى يفتح لهم بابا الى الجنة ثم يغلِق لهم دونهم فيستهزى بهم

المؤمنين فقالوا انما نحن
مستهزؤن والاستهزاء
السخرية والاستخفاف
وأصل الباب الخفة من
الهزء وهو القتل السريع
وهزأ يهزأ مات على المكان
(الله يستهزى بهم) أى
يجازيهم على استهزائهم
فسمى جزء الاستهزاء
باسمه كقوله تعالى وجزاء
سيئة سيئة مثلها فن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه فسمى
جزاء السيئة سيئة وجزاء
الاعتداء اعتداء وان لم
يكن الجزء سيئة واعتداء
وهذا لان الاستهزاء
لايجوز على الله تعالى من
حيث الحقيقة لانه من باب
العبث وتعالى عنه قال
الزجاج هو الوجه المختار
واستئناف قوله الله يستهزى
بهم من غير عطف في غاية
الجزالة والفضامة وفيه
ان الله تعالى هو الذى
يستهزى بهم الاستهزاء
الابلغ الذى ليس استهزأؤهم
اليه باستهزاء لما ينزل بهم
من النكال والذل والهوان

نحن مستهزؤون (ويعدهم) أي يمهلمهم ﴿٦٣﴾ عن الزجاج (في طغيانهم) {سورة البقرة} في غلوهم في كفرهم (يعمبون)

حال أي يتحيرون ويترددون وهذه الآية حجة على المعتزلة في مسألة الاصلح (أو لئلك) مبتدأ خبره (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أي استبدلوا بها واختاروها عليه وإنما قال اشتروا الضلالة بالهدى ولم يكونوا على هدى لأنها في قوم آمنوا ثم كفروا أو في اليهود الذي كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما جاءهم كفروا به أو جعلوا التمكن منه كأن الهدى قائم فيهم فتركوه بالضلالة وفيه دليل على جواز البيع تعاطيا لانهم لم يتلفظوا بلفظ الشراء ولكن تركوا الهدى بالضلالة عن اختيارهم وسمى ذلك شراء فصار دليلا لنا على أن من أخذ شيئا من غيره وترك عليه عوضه برضاه فقد اشتراه وان لم يتكلم به والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين (فارتحت تجارتهم) المؤمنون (ويعدهم في طغيانهم) يمهون (يتركهم في الدنيا في كفرهم وضلالاتهم) يمهون يمشون عمه

في كل عام مرة أو مرتين ﴿ويعدهم في طغيانهم يمهون﴾ من مد الجيش وأمده إذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لامن المد في العمر فإنه يعدى باللام كأمل لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويعدهم * والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طريق التوفيق على أنفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم زيغا وظلمة تتزايد قلوب المؤمنين اشراحو نورا أو ممكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا أسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم أن اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصدق ذلك أنه لما أسند المد الى الشياطين أطلق النفي وقال واخوانهم يعدونهم في النفي أو كأن أصله يعدلهم بمعنى على لهم ويعدهم في اعمارهم كي ينهبوا أو يطيعوا فزادوا الاطغيانا وعمها فحذفت اللام وعدى الفعل بنفسه كما في قوله تعالى واختار موسى قومه أو التقدير يعدهم استصلاحا وهم مع ذلك يمهون في طغيانهم * والظغيان بالضم والكسر كظيان ولقيان تجاوز الحد في العصيان والغلو في الكفر وأصله تجاوز الشيء عن مكانه قال تعالى انما لمظني الماء حملناكم والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وأرض عمها لامنارها قال اعى الهدى بالجاهلين العمه

﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ اختاروها عليه واستبدلوا به وأصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فإن كان أحد العوضين ناصتا تعين من حيث أنه لا يطلب لعينه أن يكون ثمنا وبذله اشتراء والافأى العوضين تصورته بصورة الثمن فبذله مشتروا وأخذته بائع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به غيره سواء كان من المعاني أو من الاعيان ومنه

أخذت بالجمة رأسا أزعرا * وبالثنايا الواضحات الدر درا وبالطويل العمر عمرا جيزرا * كما اشترى المسلم اذ تنصرا

ثم أتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره * والمعنى أنهم أدخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين بالضلالة التي ذهبوا اليها واختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى ﴿ فارتحت تجارتهم ﴾ ترشيع للمجاز لما استعمل

اشتهوا اليه سد عنهم وردوا الى النار ﴿ويعدهم﴾ أي يتركهم ويعلمهم * والمد والامداد واحد واصله الزيادة وأكثر ما يأتي المد في الشر والامداد في الخير ﴿ في طغيانهم ﴾ أي في ضلالهم وأصل الطغيان مجاوزة الحد ﴿ يمهون ﴾ أي يترددون في الضلالة متحيرين ﴿ أولئك ﴾ يعني المنافقين ﴿ الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ أي استبدلوا الكفر بالايان * وإنما أخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لان الشراء فيه اعطاء بدل وأخذ آخره فإن قلت كيف قال اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى * قلت جعلوا التمكن منه كأنه في أيديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوه بها والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء ﴿ فارتحت تجارتهم ﴾ أي ماربحوا في تجارتهم * والريح الفضل عن رأس

لا يبصرون ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ اختاروا الكفر على الايمان وباعوا الهدى بالضلالة (فارتحت تجارتهم)

الريح الفضل على رأس المال والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشترى للريح واسناد الريح الى التجارة من الاسناد المجازي ومعناه
فارجحوا في تجارتهم اذ التجارة لا تريح ولما وقع شراء الضلالة بالهدى محاز اتبعه ذكر الريح والتجارة ترشيحاه كقوله ولما رأيت
النسر عز ابن دأية * وعشش الجزء الاول في وكرهه جاش له صدرى * ٦٤ * لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالقراب

أتبعه ذكر التعشيش والوكر
(وما كانوا مهتدين) لطرق
التجار كما يكون التجار
المتصرفون العاملون بما ربح
فيه ويخسر والمغنى ان
مطلوب التجار سلامة
رأس المال والريح وهؤلاء
قد أضعوا هماغراضهم
الهدى ولم يبق لهم مع
الضلالة واذا لم يبق لهم
الا الضلالة لم يوصفوا
باصابة الريح وان ظفروا
بالاغراض الدنيوية لان
الضلال خاسرون ولانه لا يقال
لمن لم يسلم له رأس ماله
قد ربح وقيل الذين صفة
أولئك وفارحت تجارتهم
الى آخر الآية في محل
الرفع خبر أولئك (مثلهم
كمثل الذي استوقد ناراً)
لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها
بضرب المثل زيادة في
الكشف وتمييز للبيان
ولضرب الامثال في ابراز
خفيات المعاني ورفع الاستار
عن الحقائق تأثير ظاهر
ولقد كثرت ذلك في الكتب
السمائية ومن سور الانجيل
سورة الامثال والمثل
في أصل كلامهم هو المثل

الاشتراف في معاملتهم اتبعه بما يشاكله تمثيلاً لخسارتهم ونحوه

ولما رأيت النسر عز ابن دأية * وعشش في وكرهه جاش له صدرى

والتجارة طاب الريح بالبيع والشراء والريح الفضل على رأس المال ولذلك سمي شفا
واسناده الى التجارة وهو لا ربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل أو ما شبهتها اياه من حيث
انها سبب الريح والخسران * (وما كانوا مهتدين) لطرق التجارة فأن المقصود منها
سلامة رأس المال والريح وهؤلاء أضعوا الطلبيتين لان رأس مالهم كان الفطرة السليمة
والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقولهم ولم يبق
لهم رأس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين من الريح
فاقدين للاصل * مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً * لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب
المثل زيادة في التوضيح والتقرير فأنه أوقع في القلب وأقع للخصم الالذ لانه يريك المتخيل
محققاً والمعقول محسوساً ولا حراماً كثر الله في كتبه الامثال وفشت في كلام الانبياء والحكماء
* والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشيء وشبه وشبيه ثم قيل للقول
السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغير
ثم استعير لكل حال أو قصة أو صفة لها شأن وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة
التي وعد المتقون وقوله تعالى والله المثل الاعلى * والمعنى حالهم الجحيم الشأن كحال من
استوقد ناراً والذي بمعنى الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذى خاضوا * ان جعل مرجع
الضمير في بنورهم وأما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائم لانه غير مقصود
بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل
هو كاجزاء منه فحقه أن لا يجمع كالم يجمع أخواته ويستوى فيه الواحد والجمع وليس الذين
جمعاً المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابداء على اللغة الفصيحة
التي عليها التزليل ولكونه مستطالاً بصلته استحق التخميف ولذلك بولغ فيه فخذت ياؤه ثم
كسرتة ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين أو قصد به جنس المستوقدين
أو الفوج الذي استوقد * والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار

المال وأضاف الريح الى التجارة لان الريح فيها يكون * (وما كانوا مهتدين) أي مصيبين
في تجارتهم لان رأس المال هو الايمان فلما أضعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن
الهدى وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالهم * قوله عز وجل * مثلهم كمثل الذي استوقد
ناراً * المثل عبارة عن قول يشبه ذلك القول قولاً آخر بينهما مشابهة لبيان احدهما الآخر
ويصوره ولهذا ضرب الله تعالى الامثال في كتابه وهو أحد أقسام القرآن السبعة ولما ذكر
الله تعالى حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان لانه

لم يربحوا في تجارتهم بل خسروا (وما كانوا مهتدين) من الضلالة (مثلهم) مثل المنافقين مع بحمد على الله (يؤثر)
عليه وسلم (كمثل الذي استوقد ناراً) أو قد ناراً في ظلمة لكي يأمن بها على أهله وماله ونفسه

وهو انظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضر به بمورده مثل ولم يضربوا مثلاً الا قولاً فيه غرابة ولذا حوفظ عليه فلا يغير وقد استعير المثل للحال أو الصفة أو القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم الجعية الشأن كحال الذي استوقد ناراً وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون أي فيما قصصنا عليك من الجحائب قصة الجنة العجيبة الشأن ثم أخذ في بيان عجائبيها والله المثل الاعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والحلاوة ووضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا فلا يكون تمثيل الجماعة بالواحد أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الفوج الذي استوقد ناراً على أن ذوات المناققين لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت بقصة المستوقد ومعنى استوقد أو قد ووقود النار سطوعها والنار جوهر لطيف ﴿٦٥﴾ مضيء حار محرق واشتقاقها {سورة البقرة} من نارينور اذا انفر لان فيها

حركة واضطراباً (فلما أضاءت ماحوله) الاضاءة فرط الانارة ومصادقه قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وهي في الآية متعددة ويحتمل أن تكون غير متعددة مسندة الى ماحوله والتأنيث للحمل على المعنى لان ماحول المستوقد أما كن وأشياء وجواب فلما (ذهب الله بنورهم) وهو ظرف زمان والعالم فيه جوابه مثل اذا وما موصولة وحوله نصب على الظرف أو نكرة موصوفة والتقدير فلما أضاءت شيئاً بان ماحوله وجع الضمير وتوحيدته للحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى والنور ضوء النار وضوء كل نير ومعنى أذهب

وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نارينورنورا اذا انفر لان فيها حركة واضطراباً فلما أضاءت ماحوله ﴿ اي النار ماحول المستوقد ان جعلتها متعددة والا يمكن ان تكون مسندة الى ما والتأنيث لان ماحوله أشياء وأماكن أو الى ضمير النار وما موصولة في معنى الامكنة نصب على الظرف أو مزيدة وحوله ظرف وتأنيث الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ جواب لما والضمير للذي وجهه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها أو استئناسها أجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفأت ناره أو بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمناققين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وأمن الالباس واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله أو لان الاطفاء حصل بسبب خفي أو أمر سماوي كريح أو مطر أو للبالغة ولذلك عدى الفعل بالياء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمسك يقال ذهب السلطان بماله اذا أخذه وأمسكه وما أخذه الله فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فإنه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم رأساً لا ترى كيف قرر ذلك وأكد بقوله ﴿ وتركهم في ظلمات يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه ولان المثل تشبيه الشيء الخفي بالجلي فيتأكد الوقوف على ماهيته وذلك هو النهاية في الايضاح وشرطه أن يكون قولاً فيه غرابة من بعض الوجود كمثل الذي استوقد ناراً لينتفع بها ﴿ فلما أضاءت ﴾ يعني النار ﴿ ماحوله ﴾ يعني حول المستوقد ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ فان قلت كيف وحداً ولا تم جمع ثانياً قلت يجوز وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا وقيل انما شبهت بقصة المستوقد وقيل معناه مثل الواحد منهم كمثل الذي استوقد ناراً ﴿ وتركهم في ظلمات

أزاله وجعله ذاهباً ومعنى ذهب به استحببه ومضى به (قا وخا ٩ ل) والمعنى أخذ الله بنورهم وأمسكه وما أمسك فلا مرسل له فكان أبلغ من الاذهاب ولم يقل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت لان ذكر النور أبلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة والمراد ازالة النور عنهم رأساً ولو قيل ذهب الله بضوئهم لا وهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا لا ترى كيف ذكر عقبيه (وتركهم في ظلمات) والنظيمة عرض

فلما أضاءت ماحوله) استضاءت ورأى ماحوله وأمن به على نفسه وأهله وماله طفئت ناره فكذلك المناقون آمنوا بحمد عليه السلام والقرآن فأنموا به على أنفسهم وأموالهم وأهاليهم من السبي والقتل فلما ماتوا (ذهب الله بنورهم) بمنفعة إيمانهم (وتركهم في ظلمات) في شدائد القبر

وهو قوله (لا يبصرون) وترك بمعنى طرح وخلي اذا علق بواحد فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجربى مجرى أفعال القلوب ومنه وتركهم في ظلمات أصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزأين والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطروح لا من قبيل المقدر النوى كان الفعل غير متعاصلا وانما شبهت حالهم بحال المستوقد لانهم غب الاضاءة وقعوا في ظلمة وحيرة نعم المناق في ظلمات الكفر

لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانظماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بأنها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شيطان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلي وله مفعول واحد فمضى معنى صير فيجربى مجرى أفعال القلوب كقوله تعالى وتركهم في ظلمات لا يبصرون وقول الشاعر
فتركته جزر السباع ينشئه

والظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك أن تفعل كذا أي مامنك لانها تسد البصر وتنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم أو ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمدى أو ظلمة شديدة كأنها ظلمات متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكأن الفعل غير متعمد والآية مثل ضربه الله لمن آتاه ضربا من الهدى فأضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقى متخييرا متحسرا تقيرا وتوضيحا لما تضمنته الآية الاولى ويدخل تحت عمومها هؤلاء المناقون فانهم أضاعوا ما نطقت به أسنتهم من الحق بأستبطان الكفر واطهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن آثار الضلالة على الهدى المجهول له بالفطرة أو ارتد عن دينه بعدما آمن ومن صح له أحوال الارادة فادعى أحوال المحبة فأذهب الله عنه ما أشرق عليه من نور الارادة أو مثل لا يمانهم من حيث أنه يعود عليهم بمحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في الغنائم والاحكام بالنار الموقدة الاستضاءة ولذهاب اثره وانظماسه بنوره بأهلاكم

أبدوا ولكن المراد ما استضاءا به قليلا من الانفعال بالكلمة المجرأة على أسنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه

لا يبصرون قال ابن عباس نزلت في المناققين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفا ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف فيينا هو كذلك اذ طفئت ناره فبقى في ظلمة حائراً متخوفاً فكذلك حال المناققين أظهروا كلمة الايمان فأمنوا بها على أنفسهم وأولادهم وأولادهم وناكحوا المسلمين وقاسمهم في الغنائم فذلك نورهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم ظهور عقيدتهم للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ذهاب نورهم في القبر أو على الصراط فان قلت ما وجه تشبيه الايمان بالنور والكفر بالظلمة قلت وجه تشبيه الايمان بالنور ان النور أبلغ الاشياء في الهداية الى المحجة القصوى والى الطريق المستقيم وازالة الحيرة وكذلك الايمان هو الطريق الواضح الى الله تعالى والى جنانه وشبه الكفر بالظلمة لان الضلال عن الطريق المسلوكة في الظلمة لا يزداد إلا حيرة وكذلك الكفر لا يزداد صاحبه في الآخرة إلا حيرة وفي ضرب المثل للمناققين بالنار ثلاث حكم احداها ان المستضى بالنار مستضى بنور غيره فاذا ذهب ذلك بقي هو في ظلمته فكأنهم لما أقروا بالايمان من غير اعتقاد قلوبهم كان ايمانهم كالمستعار الثانية ان النار تحتاج في دوامها الى مادة الخطب لتدوم فكذلك الايمان يحتاج الى مادة الاعتقاد ليدوم الثالثة ان الظلمة الحادثة بعد الضوء أشد على الانسان من ظلمة لم يجد قلبها ضياء فشبها حالهم بذلك ثم وصفهم الله تعالى

(لا يبصرون) الرضاء بعد ذلك ويقال مثلهم أي مثل اليهود مع محمد صلى الله عليه وسلم كمثل رجل أقام علما في هزيمة فاجتمع اليه منهزمون فقبلوا عليهم فذهبت منفعتهم وأمنهم به كذلك اليهود كانوا يستنصرون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن قبل خروجه فلما خرج كفروا به فذهب الله بنورهم برغبة ايمانهم

ومنفعة ايمانهم لانهم أرادوا أن يؤمنوا بمحمد عليه السلام فلم يؤمنوا وتركهم في ظلمات في ضلالة اليهودية (فقال)

الكلمة ظلمة النفاق المفضية بهم الى ظلمة العقاب السرمدي ولاية تفسير آخر وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم ﴿٦٧﴾ الذي باعوه بالنار المضئئة {سورة البقرة} ما حول المستوقد والضلالة التي

اشتروها بذهب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتكبير النار للتعظيم (صم بكم عمى) أي هم صم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم وان ينظروا ويتصروا بعيونهم جعلوا كأنما ايفت مشارعهم وطريقته عند علماء البيان طريقة قولهم هم ليوث للشحمان وبحور للاسحياء الا أن هذا في الصفات وذلك في الاسماء وما في الآية تشبيه بليغ في الاصح لاستعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام (فهم لا يرجعون) لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه أو عن الضلالة بعد أن اشتروها لتتوع الرجوع الى الشيء وعنه أو أراد أنهم تمخرون بقوا خامدين في مكانهم لا

وافشاء حالهم باطفاء الله سبحانه وتعالى اياها واذهاب نورها ﴿صم بكم عمى﴾ لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم ويتصروا الآيات بإبصارهم جعلوا كأنما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا وكقوله

أصم عن الشيء الذي لا أريده * وأسمع خلق الله حين أريد واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة أذن شرطها أن يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير لدى أسد شاكي السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم ومن عمه ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابوتام الطائي ويصعد حتى يظن الجهول * بأن له حاجة في السماء وههنا وان طوى ذكره بجذف المتبدا لكنه في حكم المنطوق به ونظيره أسد على وفي الحروب نعامه * فتخاء تنفر من صفير الصافر

هذا اذا جملت الضمير للمنافقين على أن الآية فذلكة التمثيل وتبيجه وأن جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها * والمعنى أنهم لما أوقدوا نارا ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة أدهشهم بحيث اختلت حواسهم وانتقضت قواهم * وثلاثها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم * والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر أصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سبيه أن يكون باطن الصناخ مكتنزا لانجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بموجده * والبكم الخرس * والعشى عدم البصر عما من شأنه أن يبصر وقد يقال لعدم البصيرة ﴿فهم لا يرجعون﴾ لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه أو عن الضلالة التي اشتروها أو فهم تمخرون لا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون والى حيث ابتدأ منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على أن اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لمخبرهم واحتباسهم

فقال ﴿صم﴾ أي عن سماع الحق لانهم لا يقبلونه واذا لم يقبلوه فكأنهم لم يسموه ﴿بكم﴾ أي خرس عن النطق بالحق فهم لا يقواونه ﴿عمى﴾ أي لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له فهو أعمى كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن سماع الحق آذانهم وأبوا أن تنطق به ألسنتهم وان ينظروا اليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهب ادراكه قال الشاعر
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء كلهم أذن
﴿فهم لا يرجعون﴾ أي عن ضلالهم ونفاقهم ﴿قوله تعالى

يرجعون ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون

يلاصرون الهدى (صم) يتصامون (بكم) يتباكون (عمى) يتعامون (فهم لا يرجعون) عن كفرهم وضلالهم

(أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق) ثنى الله سبحانه وتعالى في شأنهم بتمثيل آخر لزيادة الكشف والايضاح وشبه المناقق في التمثيل الاول بالمستوقد ناراً واطهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار وهناشبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيي به حياة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيبهم من الافزاع والبلايا من جهة أهل الاسلام بالصواعق والمعنى أو كمثل ذوى صيب فحذف مثل لدلالة العطف عليه وذوى لدلالة يجعلون عليه والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء بهذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فهذا تشبيه أشياء بأشياء الا انه لم يصرح بذكر المشبهات كما صرح {الجزء الاول} في قوله وما يستوى الاعى ﴿٦٨﴾ والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا

﴿أو كصيب من السماء﴾ عطف على الذى استوقد أى كمثل ذوى صيب لقوله يجعلون أصابعهم في آذانهم وأوفى الاصل للتساوى في الشك ثم اتسع فيها فأطلقت للتساوى من غير شك مثل جالس الحسن أو ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً فأنها تفيد التساوى في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله أو كصيب ومعناه أن قصة المناققين مشبهة بهاتين القصتين وأنهما سواء في صحة التشبيه بهما وأنت مخبر في التمثيل بهما أو بأيهما شئت والصيب فيعمل من الصوب وهو النزول يقال للمطر والسحاب قال الشماخ

وأصحح دان صادق الرعد صيب

وفي الآية يحتملها وتنكيره لانه أريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على أن الغمام مطبق أخذ بأفاق السماء كلها فأن كل أفق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء قال

ومن بعد أرض بيننا وسماء

أمدّ به ما في الصيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتكبير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية ﴿فيه ظلمات ورعد وبرق﴾ أن أريد بالصيب المطر

﴿أو كصيب﴾ أى كاصحاب صيب وهو المطر وكل ما نزل من الاعلى الى الاسفل فهو صيب ﴿من السماء﴾ أى من السحاب لان كل ما علاك فاظلك فهو سماء ومنه قيل لسقف البيت سماء وقيل من السماء بعينها وانما ذكر الله تعالى السماء وان كان المطر لا ينزل الا منها ليرد على من زعم ان المطر ينعد من أنجرة الارض فابطل مذهب الحكماء بقوله من السماء ليعلم ان المطر ليس من أنجرة الارض كما زعم الحكماء ﴿فيه﴾ أى الصيب ﴿ظلمات﴾ جمع ظلمة ﴿ورعد﴾ هو الصوت الذى يسمع من السحاب ﴿وبرق﴾ يعنى النار التى تخرج منه قال ابن عباس الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من

المسوق وقول امرئ القيس
* كأن قلوب الطير رطبا
ويابسا * لدى وكرها
العناب والحشف البالى *
بل جاء به مطويا ذكره على
سنن الاستعارة والصحيح ان
التمثيلين من جملة التمثيلات
المركبة دون المفرقة لا
يتكلف لواحد واحدشئ
يقدر شبهه به بيانه ان
العرب تأخذ أشياء فرادى
معزولا بعضها من بعض
لم يأخذ هذا بحجزة ذاك
فتشبهها بنظرها كما فعل
امرؤ القيس وتشبه كيفية
حاصلة من مجموع أشياء
قد تضامت وتلاصقت
حتى عادت شياً واحدا
باخرى مثلها كقوله تعالى
مثل الذين حلوا التوراة ثم
لم يحملوها الآية فالمراد تشبيهه
حال اليهود في جهلها بما

معها من التوراة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوى الحالتين عنده من جل (نور)

اسفار الحكمة وجل ماسواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بد فيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء

(أو كصيب من السماء) وهذا مثل آخر يقول مثل المناققين واليهود مع القرآن كصيب كطر نزل من السماء ليلا على قوم في مفازة (فيه) في الليل (ظلمات ورعد وبرق) كذلك القرآن نزل من الله فيه ظلمات بيان الفتن ورعد زجر وتخويف وبرق بيان

فالمراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فهو تشبيهه كيفية بكيفية فأما أن يراد تشبيهه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شياً واحداً فلا فكذلك لما وصف وقوع المناقنين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق والتمثيل الثاني أبلغ لانه أدل على فرط الحيرة وشدة الامر ولذا أخرجهم يتدرجون في مثل هذا من الاهون الى الاغلظ وعطف أحد التمثيلين على الآخر بأولائها في أصلها لتساوي شيئين فصاعداً في الشك عند البعض ثم استعيرت لجرد التساوي كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين تريد أيهما سيان في استصواب أن يجالساً وقوله تعالى ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً أي الآثم والكفور سيان في وجوب العصيان فكذا هنا معناه أن كيفية قصة المناقنين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وان الكيفيتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبأيتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعاً فكذلك والصيب المطر الذي يصوب أي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب أيضاً وتنكير صيب لانه نوع من المطر شديد هائل كأنكرت النار في التمثيل الاول والسماء هذه المظلمة وعن الحسن انها موج مكفوف والقائدة في ذكر السماء والصيب لا يكون الا من السماء انه جاء بالسماء معرفة فافاد أنه غمام أخذ بأفاق السماء ونفى ان يكون من سماء أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق لان كل أفق من آفاقها سماء في التعريف بمبالغة ﴿٦٩﴾ كافي تنكير صيب وتركيبه وبنائه وفيه {سورة البقرة} دليل على أن السحاب من السماء يتحدر ومنها يأخذ

فظلماته ظلمة تكأفئه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجماله مكانا للرعد والبرق لانهما في أعلاه ومنحدره ملتبسين به وأن أريد به السحاب فظلماته سمحته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف * والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور أن سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدثها الريح من الارتعاد * والبرق ما يطلع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا ﴿٦٩﴾ يجعلون أصابعهم في آذانهم ﴿٦٩﴾ الضمير لاصحاب الصيب نور يزجر به السحاب وقيل الرعد اسم ملك يزجر السحاب اذا تبددت جمعها وضمها فاذا اشتد غضبه يخرج من فيه النار فهي البرق والصواعق وقيل الرعد تسبج الملك وقيل اسمه ﴿٦٩﴾ يجعلون أصابعهم في آذانهم

يسوق السحاب والبرق الذي يطلع من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع والضمير في فيه يعود الى الصيب فقد جعل الصيب مكانا للظلمات فان أريد به السحاب فظلماته اذا كان اسم مطبقا ظلمات سمحته وتطبيقه مضمرة اليها ظلمة الليل وأما ظلمات المطر فظلمة تكأفئه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل وجعل الصيب مكانا للرعد والبرق على ارادة السحاب به ظاهر وكذا ان أريد به المطر لانها ملتبسان به في الجملة ولم يجمع الرعد والبرق لانها مصدران في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقاً فروعى حكم الاصل بان ترك جمعهما ونكرت هذه الاشياء لان المراد انواع منها كأنه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف (يجعلون أصابعهم في آذانهم) الضمير لاصحاب الصيب وان كان محذوفا كما في قوله وهم قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه ولا محل ليجعلون لكونه مستأنفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكان قائلاً قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون أصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف حالهم

وتبصرة ووعد (يجعلون أصابعهم في آذانهم)

(قوله وكلاهما مصدر) قال في العناية في الكشف لما سأل لم لم يجمع الرعد والبرق كما جمعت الظلمات فالظاهر أن يكون على نمط واحد وايضا الجمع ابلغ فلم عدل عنه اجاب بأن فيه وجهين أحدهما ان يراد العينان والثاني ان يراد الحدتان اه بتصرف مصححه

مع مثل ذلك البرق فقال يكاد البرق يخطف أبصارهم وإنما ذكر الاصابع ولم يذكر الانامل ورؤس الاصبع هي التي تجعل في الآذان اتساعا كقوله فاقطعوا أيديهما والمراد الى الرسغ ولان في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل وإنما لم يذكر الاصبع الخاص الذي تسد به الاذن لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بأداب القرآن ولم يذكر المسبحة لانها مستعمدة غير مشهورة (من الصواعق) متعلق بيجعلون أى من أجل الصواعق يجعلون { الجزء الاول } أصابعهم في آذانهم ﴿ ٧٠ ﴾ والصاعقة قصفة رعد تنقض معها

وهو وأن حذف لفظه وأقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز أن يعول عليه كاعول حسان في قوله

يسقون من ورد البريض عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل
حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استئناف فكأنه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فأجيب بها وإنما أطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة ﴿ من الصواعق ﴾ متعلق بيجعلون أى من أجلها يجعلون كقولهم سقاهم من العيمة والصاعقة قصيفة رعد هائل معها نار لا تمر بشئ إلا أتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد تطلق على كل هائل مسموع أو مشاهد ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق أو شدة الصوت وقرئ من الصواعق وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البناءين في التصرف يقال صعق الديك وخطيب مصقع وصعقته الصاعقة وهي في الاصل اما صفة الرعد أو الرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية أو مصدر كالعافية والكاذبة ﴿ حذر الموت ﴾ نصب على العلة كقوله

وأغفر عوزاء الكريم اذخاره * وأصغح عن شتم اللثيم تكريما

* والموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله سبحانه وتعالى خلق الموت والحياة * ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة ﴿ والله محيط بالكافرين ﴾ لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها ﴿ يكاد البرق يخطف ابصارهم ﴾ استئناف ثان كأنه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق * وكاد من أفعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود اعروض سببه ولكنه لم يوجد أما فقد شرط أو لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض

من الصواعق ﴿ جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت كل من يسمعها أو يشئ عليه وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشاء * عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك اخرجہ الترمذى وقال حديث غريب ﴿ حذر الموت ﴾ اى مخافة الهلاك ﴿ والله محيط بالكافرين ﴾ اى عالم بحالهم وقيل يحدهم ويعذبهم ﴿ يكاد البرق ﴾ اى يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل ﴿ يخطف ابصارهم ﴾

شقة من نار قالوا تنقح من السحاب اذا اصطكت أجرامه وهي نار لطيفة جديدة لا تخربشى الأتت عليه الا أنها مع حدتها سريعة الخمود يحكى أنها سقطت على نخلة نأحرقت نحو نصفها ثم طفت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق أى مات أما بشدة الصوت أو بالاحراق (حذر الموت) مفعول له والموت فساد بنية الحيوان أو عرض لا يصح معه احساس معاقب للحياة (والله محيط بالكافرين) يعنى أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط فهو مجاز وهذه الجملة اعتراض لا محل لها (يكاد البرق يخطف ابصارهم) الخطف الاخذ بسرعة وكاد يستعمل لتقريب الفعل جدا وموضع يخطف من الصواعق (من صوت

الرعد (حذر الموت) مخافة البوائق والموت كذلك المناقون واليهود كانوا يجعلون أصابعهم (اى يختلسها) فى آذانهم من الصواعق من بيان القرآن ووعده ووعيد حذر الموت مخافة ميل القلب اليه (والله محيط بالكافرين) والمناقين أى عالم بهم وجامعهم فى النار (يكاد البرق) النار (يخطف ابصارهم) يذهب بابصار الكافرين كذلك البيان أراد أن يذهب بابصار

نصب لانه خبر كاد (كما أضاء لهم) كل ظرف وما نكرة موصوفة معناها الوقت والماند محذوف أى كل وقت أضاء لهم فيه والعامل فيه جوابها وهو ﴿ ٧١ ﴾ (مشوا فيه) أى فى ضوءه { سورة البقرة } وهو استئناف ثالث كأنه

جواب لمن يقول كيف يصنعون فى تارتى خفوق البرق وخفته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين كشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التجر والجهل بما يأتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف أن يخطب أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خنى وقتلما نه بقوا واقفين وأضاء متعدأى كما نور لهم مشى ومسلكاً أخذوه والمفعول محذوف أو غير متعدأى كالمع لهم مشوا فى مطروح نوره والمشى جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو حسى فاذا ازداد فهو عدو (واذا أظلم عليهم) أظلم غير متعد وذكر مع اضاء كما ومع أظلم اذا انهم حراس على وجود ما همم به معقود مع امكان المشى فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف (قاموا) وقفوا وثبتوا فى مكانهم ومنه ضلالتهم (كما أضاء لهم) البرق (مشوا فيه) فى ضوء

ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعاً تنبها على انه المقصود بالقرب من غير أن لؤكد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه جلا لها على عسى كما يحمل عليها بالخذف من خبرها المشار كتها فى اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بسرعة وقرئ يخطب بكسر الطاء ويخطف بفتح الياء والخاء على انه يخطف فقلت فحتمه التاء الى الخاء ثم ادغمت فى الطاء ويخطف بكسر الخاء لانتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويخطف ﴿ كما أضاء لهم مشوا فيه وأذا أظلم عليهم قاموا ﴾ استئناف ثالث كأنه قيل ما يفعلون فى تارتى خفوق البرق وخفته فاجيب بذلك واء امام تعد والمفعول محذوف بمعنى كما نور لهم مشى أخذوه أو لازم بمعنى كالمع لهم مشوا فى مطروح نوره وكذلك أظلم فإنه جاء متعدياً منقولاً من ظلم الليل ويشهد له قراءة أظلم على البناء للمفعول وقول أبى تمام

هما أظلما حالى ثم اجليا * ظلاميهما عن وجه أمر دأشيب *

فأنه وأن كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد أن يجعل مايقوله بمنزلة ما يرويه وإنما قال مع الاضاءة كما ومع الاظلام اذا لانهم حراس على المشى فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركبت وقام الماء اذا

أى يختلسها والخطف استلاب الشئ بسرعة ﴿ كما ﴾ أى متى ما جاء ﴿ اضاء لهم ﴾ يعنى البرق ﴿ مشوا فيه ﴾ أى فى اضاءته ونوره ﴿ واذا اظلم عليهم قاموا ﴾ أى وقفوا متميزين وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين ووجه التمثيل ان الله عز وجل شبههم فى كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا فى مفازة فى ليلة مظلمة اصابهم مطر فيه ظلمات وهى ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة تلك الظلمات ان السارى لا يمكنه المشى فيها ورعد من صقته ان يضمر سامعوه اصابهم الى آذانهم من هوله وبرق من صقته ان يخطف ابصارهم ويعميها من شدته فهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه فالمر هو القرآن لانه حياة القلوب كان المطر حياة الارض والظلمات ما فى القرآن من ذكر الكفر والشرك والفاق والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة فالكافرون والمنافقون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن وسماعه مخافة ان تمل قلوبهم اليه لان الايمان به عندهم كفر والكفر موت وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للاسلام فالمر هو الاسلام والظلمات ما فيه من البلاء والحزن والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف فى الآخرة والبرق ما فيه من الوعيد يجعلون أصابهم فى آذانهم يعنى المنافقين اذا رأوا فى الاسلام بلاء وشدة هربوا حذر من الهلاك والله محيط بالكافرين يعنى لا ينفعهم الهرب لان الله من ورأهم يجمعهم ويمدبهم يكاد البرق يعنى دلائل الاسلام تزعمهم الى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كما أضاء لهم يعنى المنافقين واءته لهم هو تركهم

البرق (واذا أظلم عليهم قاموا) بقوا فى الظلمة كذلك المنافقون لما آمنوا مشوا فيما بين المؤمنين لانهم تقبل

قام الماء اذا جمده (واو شاء الله {الجزء الاول} لذهب بسمعهم) بقصيف ٧٢ الرعد (وأبصارهم) بوميض البرق ومفعول

جد ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم﴾ وأبصارهم ﴿أى لو شاء الله أن يذهب بسمعهم﴾ بقصيف الرعد
وأبصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد
تكاثر حذفه في شاء وأراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشئ المستغرب كقوله
ولو شئت أن أبكي دما لبكيت

ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتهاء الثاني ضرورة
انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ لاذهب بأسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى
ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم
وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على أن تأثير الاسباب في مسبباتها مشروط
بعشيتة سبحانه وتعالى وأن وجودها مرتبط بأسبابها واقع بقدرته تعالى وقوله ﴿أن الله على
كل شئ قدير﴾ كالتصريح به والتقرير له والشئ يختص بالوجود لانه في الاصل
مصدر شاء أطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ تناول البارئ سبحانه وتعالى كما قال تعالى قل اى شئ
أكبر شهادة قل الله شهيد وبمعنى مشئ أخرى أى مشئ وجوده وما شاء الله
وجوده فهو موجود في الجملة و عليه قوله سبحانه وتعالى ان الله على كل شئ قدير الله
خالق كل شئ فهما على عمومهما بلا مشوية والمعتزلة لما قالوا الشئ ما يصح ان
يوجد وهو يع الواجب والممكن أو ما يصح أن يعلم ونحوه فيع الممتنع ايضا لزومهم
التخصيص بالممكن في الموضوعين بدليل العقل * والقدرة هو التمكن من ايجاد الشئ
وقيل صفة تقتضى التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة
الله سبحانه وتعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذى ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل
والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير البارئ سبحانه وتعالى واشتقاق القدرة
من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته أو على مقدار ما تقتضيه مشيئته
وفيه دليل على أن الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وأن مقدور
العبد مقدور الله سبحانه وتعالى لانه شئ وكل شئ مقدور والظاهر ان التمثيلين من جملة
التمثيلات المؤلفة وهو أن تشبه كيفية مترعة من مجموع تضامات اجزائه وتلاصقت حتى
صارت شيئا واحدا بأخرى مثلها كقوله سبحانه وتعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم
لم يحملوها الآية فإنه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة بحال الحمار
في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة والغرض منها تمثيل حال المنافقين من الخيرة
والشدة بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة أو بحال من اخذته السماء

بلا ابتلاء ولا امتحان مشوا فيه يعنى على المسألة باظهار كلمة الايمان وقيل كلانا لولا غنمة
وراحة في الاسلام ثبتوا وقالوا أنا معكم واذا اظلم عليهم قاموا يعنى اذا رأو شدة وبلاء
تأخروا ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم﴾ أى بصوت الرعد ﴿وابصارهم﴾
بوميض البرق وقيل لذهب باسماعهم وابصارهم الظاهرة كما ذهب اسماعهم وابصارهم
الباطنة ﴿ان الله على كل شئ قدير﴾ أى هو الفاعل لما يشاء لا منزع له فيه

شاء محذوف لدلالة الجواب
عليه أى ولو شاء الله
أن يذهب بسمعهم وابصارهم
لذهب بهما ولقد تكاثر
هذا الحذف في شاء وأراد
لا يكادون يبرزون المفعول
الا في الشئ المستغرب
كنحو قوله ﴿فلو شئت أن
أبكي دما لبكيت﴾ عليه
ولكن ساحة الصبر أوسع
وقوله تعالى لو أردنا أن
تتخذ لهما ولو اراد الله
أن يتخذ ولدا (ان الله على
كل شئ قدير) أى ان الله
قادر على كل شئ لما
عدد الله فرق المكلفين
من المؤمنين والكفار
والمنافقين وذكر صفاتهم
وأحوالهم وما اختصت به
كل فرقة مما يسعدها
ويشقيها ويحظيها عند الله
ويردبها أقبل عليهم بالخطاب
وهو من الالتفات المذكور
ايانهم فلما ماتوا بقوا في ظلمة
القبر (ولو شاء الله لذهب
بسمعهم) بارعد (وأبصارهم)
بالبرق كذلك لو شاء
الله لذهب بسمع المنافقين
واليهود جز ما في القرآن
ووعيد ما فيه وأبصارهم
بالبان (ان الله على كل
شئ) من ذهاب السمع
والبصر (قدير)

(قوله)

(قوله بلا مشوية) قال في العناية المشوية كالمعنوية بمعنى الاستثناء صرح به اهل اللغة * محذوفه

فقال (يا أيها الناس) قل علمتم ما في القرآن يا أيها الناس فهو خطاب لاهل مكة وما فيه يا أيها الذين آمنوا فهو خطاب لاهل المدينة وهذا خطاب لمشركي مكة ويأحرف وضم لنداء البعيد وأى والهمزة للتقريب ثم استعمل في مناداة من غفل وسها وان قرب ودنا تنزيلا له منزلة من بعدونأى فاذا نودى به ﴿٧٣﴾ القريب المقاطن فذلك للتوكيد {سورة البقرة} المؤذن بان الخطاب الذى

يتلوه معتنى به جدا وقول الداعى يارب وهو أقرب اليه من جبل الوريد استقصار منه لنفسه واستبعاد له اعن مظان الزلتي هضما لنفسه واقرار اعلاها بالتقريب مع فرط الهالك على استجابة دعوته وأى وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما أن ذووالذى وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يزيل ابهامه فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجرى مجراه يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء فالذى يعمل فيه يا أى والتابع له صفته نحو يا زيد الطريف الأنا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك عن الصفة وكلمة التنيه المتحممة بين الصفة وموصوفها لتأكيد معنى النداء وللعوض عما يستحقه أى من الاضافة وكثير النداء في القرآن على هذه الطريقة لان ما نادى الله به عباده من او امره ونواهي ووعده ووعيد

في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو أن تأخذ اشياء فرادى فتشبهها بأمثالها كقوله سبحانه وتعالى وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الخور ووقول امرى القيس كأن قلوب الطير رطبا ويا يسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

بأن يشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واطهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك بأضاعة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب بأهلاكهم وأفشاء حالهم وأبقائهم في الخسار الدائم والعذاب السرمدي بأطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثانى انفسهم بأصحاب الصيب وأيمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث أنه وأن كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضرا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواعم من الكفرة يجعل الاصابع في الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث أنه لا يرد من قدر الله تعالى شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما يأتون ويندرون بأنهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف أن تخلف أبصارهم فخطوا خطأ يسيرة ثم اذا خفي وفتلمعانه بقوا متقيدين لاجراك لهم * وقيل شبه الايمان والقرآن وسائر ما أوقى الانسان من المعارف التى هى سبب الحياة الابدية بالصيب الذى به حياة الارض وما ارتبكت بها من شبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشككة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد أذنه عنها مع أنه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلعب لهم من رشد يدركونه أو رقد يطمح اليه أبصارهم بمشيم في مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة أو تمن لهم مصيبة بتوقفهم اذا أظلم عليهم ونبه بقوله سبحانه وتعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم على أنه سبحانه وتعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم أنهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التى يجعلونها فأنه على ما يشاء قدير ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾

* قوله عز وجل ﴿يا أيها الناس﴾ قال ابن عباس يا أيها الناس خطاب لاهل مكة ويا أيها الذين آمنوا خطاب لاهل المدينة وهو هنا خطاب عام لسائر المكلفين ﴿اعبدوا ربكم﴾ قال ابن عباس وحدوا ربكم وكل ماء ورد

أمور عظام وخطوب جسام يجب عليهم أن (قاو خا ١٠ ل) يتقظوا لها ويميلوا بقلوبهم اليها وهم عنها غافلون فانقضت الحال أن ينادوا بالآكد الابلاغ (اعبدوا ربكم) وحدوه قال ابن عباس رضى الله عنهما كل عبادة في القرآن

يا أيها الناس) يا أهل مكة ويقال هم اليهود (اعبدوا ربكم) وحدوا

لما عدّد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف أمورهم أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هذا للسامع وتنشيط له واهتماما بأمر العبادة وتفخيما لشأنها وجبرا لكلفة العبادة بلذّة المخاطبة * ويأحرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تزيلا له منزلة البعيد أما عظيّمته كقول الداعي يارب ويا الله وهو أقرب إليه من جبل الوريد أو لغفلته وسوء فهمه أو للاعتناء بالمدعوله وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جلة مفيدة لأنه نائب نائب فعل وأى جمل وصلّة الى نداء المعرف باللام فإن ادغخال يا عليه متعذر تعدد الجمع بين حرفي التعريف فأنهما كثلين وأعطى حكم المنادى وأجرى عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه أشمارا بأنه المقصود وأقمت بينهما هاء التثنية تأكيدا وتعويضا عما يستحقه أى من المضاف اليه وانما كثرة النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله بأوجه من التأكيد وكل ما نادى له الله سبحانه وتعالى عباده من حيث انها أمور عظام من حقها أن يتفظنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها وأكثرهم عنها غافلون حقيق بأن ينادى له بالآكد الابليغ والجموع وأسمائها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يفيد العموم كقوله سبحانه وتعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون واستدلال الصحابة رضى الله عنهم بعمومها شائعا دائما فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه الصلاة والسلام أن مقتضى خطابه وأحكامه شامل للقيدين ثابت الى قيام الساعة إلا ما خصه الدليل وما روى عن علقمة والحسن أن كل شىء نزل فيه يأبها الناس فكى ويأبها الذين آمنوا فمدنى أن صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولأمرهم بالعبادة فإن الأمور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع تعالى فإن من لوازم وجوب الشىء وجوب ما لا يتم إلا به وكما أن الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تبيينا على أن الموجب للعبادة هي التربية ﴿الذى خلقكم﴾ صفة جرت على الرب للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح أن خص الخطاب بالمشركين وأريد بالرب أعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها أربابا والخلق إيجاد الشىء على تقدير واستواء وأصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس ﴿والذين من قبلكم﴾ متناول لكل ما يتقدم الانسان بالذات أو الزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة أخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترا فهم به كما قال ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض في القرآن من العبادة فعناه التوحيد وأصل العبودية التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها الا من له غاية الافضال والإنعام وهو الله تعالى ﴿الذى خلقكم﴾ أى ابتدع خلقكم على غير مثال سبق ﴿والذين من قبلكم﴾ أى وخلق الذين من قبلكم

(لعلكم)

فهو توحيد (الذى خلقكم) صفة موضحة مميزة لانهم كانوا يسمون الآلهة أربابا وخلق إيجاد المعدوم على تقدير واستواء وعند المعتزلة إيجاد الشىء على تقدير واستواء وهذا بناء على أن المعدوم شىء عندهم لأن الشىء ما صح أن يعلم ويخبر عنه عندهم وعندنا هو اسم للموجود خلقكم بالادغام أبو عمرو (والذين من قبلكم) احتج عليهم بأنه خالقهم وخالق من قبلهم لانهم كانوا مقرين بذلك فقيل لهم أن كنتم مقرين بأنه خالقكم فاعبده

ربكم (الذى خلقكم) نسما من النطفة (والذين من قبلكم) وخلق الذين من

(قوله هذا للسامع) قال في الكفاية اصل معناه الحريك بمركات متواليه ثم كنى به عن ادخال المسرة كما في قول ابن الرومي ذهب الذين يزهم مداحهم ههنا الكفاية عوالى المران اه (قوله التربية) مصدر وفي نسخة الربوبية بضم الراء كالمخصوصية وهي مصدر ايضا وفي نسخة الربوبية مصححة

ليقولن الله أولتمكنهم من العلبه بأدنى نظر وقرى من قبلكم على الحاق الموصول الثاني بين الاول وصلته تأكيدا كما احم جرير في قوله

ياتم تيم عدى لأبا لكم

تيم الثاني بين اول وما اضيف اليه ﴿لعلكم تتقون﴾ حال من الضمير في اعبدوا كأنه قال اعبدوا ربكم راجين أن تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله سبحانه وتعالى نبيه على أن التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبرى من كل شئ سوى الله سبحانه وتعالى الى الله وأن العابد ينبغي أن لا يغير بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال سبحانه وتعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه أو من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى أنه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح أمره باجتماع أسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للحق أي خلقكم لكي تتقوا كما قال سبحانه وتعالى وما خلقت الجن والانس ألا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله سبحانه وتعالى والعلم بوحديته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق عليه بعبادته ثوابا فأنها لما وجبت عليه شكرا لمساعدته عليه من النعم السابقة فهو كأجير أخذ الاجرة قبل العمل ﴿الذي جعل لكم الارض فراشا﴾ صفة ثانية أو مدح منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يحى على ثلاثة أوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله

وقد جعلت قلوب بني سهيل * من الاكوار مرعتها قريب

وبمعنى أوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور ومعنى صير فيتعدى الى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول والعقد أخرى ومعنى جعلها فراشا أن جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيئة لان يقعدوا ويناموا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعى كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تأتي الاقتراش عليها ﴿والسما بناء﴾ قبة مضروبة عليكم * والسما اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد

ولا تعبدوا الاصنام (لعلكم تتقون) أي اعبدوا على رجاء أن تتقوا فتنجوا بسببه من العذاب ولعل للترجي والاطمئاع ولكنه اطمئاع من كريم فيجربى مجربى وعده المحتوم وفاؤه وبه قال سيئوبه وقال قطرب هو بمعنى كى أى لكي تتقوا (الذى جعل لكم الارض) أى صير ومحل الذى نصب على المدح أرفع باضمار هو (فراشا) بساطا تقعدون عليها وتنامون وتتقبلون وهو مفعول ثان لجعل وليس فيه دليل على ان الارض مسطحة أو كرية اذ الافتراض يمكن على التقديرين (والسما بناء) سقفا كقوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهو مصدر سمي به المبني

﴿لعلكم﴾ لعل وعسى حرفا ترج وهما أى كل منهما من الله واجب ﴿تتقون﴾ أى لكي تنجوا من العذاب وقيل معناه تكونوا على رجاء التقوى بأن تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿الذى جعل لكم الارض فراشا﴾ أى خلق لكم الارض بساطا ووظا مذلة ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها * والحزن ما غلظ من الارض ﴿والسما بناء﴾ أى سقفا مرفوعا قيل اذا تأمل الانسان المتفكر في العالم وجده كالبيت المعمور فيه كل ما يحتاج اليه فالسما مرفوعة كالسقف والارض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والانسان كالكال بيت وفيه ضروب النبات المهيئة

(وأُنزل من السماء ماء) مطرا (فأخرج به) بالماء نعم خروج الثمرات بقدرته ومشيئته وإيجاده ولكن جعل الماء سببا في خروجها كما الفحل في خلق الولد {الجزء الاول} وهو قادر على انشاء الكل ﴿٧٦﴾ بلا سبب كما أنشأت نفوس الاسباب والمواد

كالدينار والدرهم وقيل جمع سماء والبناء مصدر سمي به المبنى بيتا كان أوقبة أو خباء ومنه بنى على أهله لانهم كانوا اذ اتزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا ﴿٧٦﴾ وأُنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ﴿٧٦﴾ عطف على جعل وخروج الثمرات بقدرته الله تعالى ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في أخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بأن أجرى عادته بأفاضات صورها وكيفياتها على المادة الممزوجة منها أو أبدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما أنواع الثمار وهو سبحانه وتعالى قادر على أن يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما أبدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكم يحدد فيها لأولى الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك في ايجادها دفعة ومن الأولى للابتداء سواء أريد بالسماء السحاب فإن ما علاك سماء أو أفلتلك فإن المطر يتدنى من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على مادلت عليه الظواهر أو من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من أعماق الارض الى جوالهواء فتتعد سحابا مطرا ومن الثانية للتبعض بدليل قوله سبحانه وتعالى فأخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له أعنى ماء ورزقا كأنه قال وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا أخرج بالمطر كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا أو للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك أنفقت من الدراهم ألفا وأما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه أراد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك أدركت ثمرة بستانه ويثيده قراءة من قرأ من الثمرة على التوحيد أو لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله ثلاثة قروء أو لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا أن أريد به المرزوق ومفعوله أن أريد به المصدر كأنه قال رزقا أيكم ﴿٧٦﴾ فلا تجعلوا لله أندادا ﴿٧٦﴾ متعلق باعبدوا على أنه نهى معطوف عليه أو نفي منصوب بأضمار أن جواب له وأبلع على أن نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله سبحانه وتعالى لعل أبلغ الاسباب اسباب السموات فأطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لا شترأ كما في أنها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا له أندادا أو بالذمى جعل لكم ان استأنفت به على انه نهى وقع خبرا على تأويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية أدخلت عليه لتضمن المتبدا معنى الشرط والمعنى ان من خصكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام

لمنفعه وأصناف الحيوان مصروفة في مصالحه فيجب على الانسان المسخر له هذه الاشياء شكر الله تعالى عليها ﴿٧٦﴾ وأنزل من السماء ﴿٧٦﴾ يعني السحاب ﴿٧٦﴾ ماء ﴿٧٦﴾ يعني المطر ﴿٧٦﴾ فأخرج به ﴿٧٦﴾ أى بذلك الماء ﴿٧٦﴾ من الثمرات ﴿٧٦﴾ يعني من ألوان الثمرات وأصناف النبات ﴿٧٦﴾ رزقا لكم ﴿٧٦﴾ أى وعلفا لردوا بكم ﴿٧٦﴾ فلا تجعلوا لله أندادا ﴿٧٦﴾ يعني أمثالا

ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما وعبرا للنظار يعون الاستبصار ومن في (من الثمرات) للتبعض أو للبيان (رزقا) مفعول له أن كانت للتبعض ومفعول به لا يخرج أن كانت للبيان وإنما قيل الثمرات دون الثمر والثمار وأن كان الثمر المخرج بماء السماء كثيرا لان المراد جماعة الثمرة ولان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لا لتأها في الجمعية (لكم) صفة جارية على الرزق أن أريد به العين وأن جعل اسم للمعنى فهو مفعول به كأنه قيل رزقا أيكم (فلا تجعلوا لله أندادا) هو متعلق بالامر أى اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له أندادا لان أصل العبادة وأساسها التوحيد وأن لا يجعل له ند ولا شريك ويجوز أن يكون الذى رفعا على الابتداء وخبره فلا تجعلوا ودخول الفاء لان الكلام يتضمن الجزاء أى الذى حلفكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة

مرفوعا (وأُنزل من السماء ماء) مطرا (فأخرج به) فأثبت بالمطر (من الثمرات) من ألوان الثمرات (رزقا لكم) (تعبدونهم) طعاما لكم ولسائر الحق (فلا تجعلوا لله أندادا) فلا تقولوا لله أعدالا وأشكالا

الشاهدة بالوحدانية فلا اتخذوا له شركاء وانما تعلمون (وأنت تعلمون) ٧٧ ﴿﴾ أنها لا تخلق شيئاً ولا {سورة البقرة} تزرق. والله الخالق الرازق أو نفى ما يسد مسده ونفى ما ينافيه (وأنت تعلمون)

مفعول تعلمون متروك

أي وأنت من أهل العلم

وجعل الاصنام لله أندادا

غاية الجهل والجملة حال من

الضمير في فلا تجعلوا ولما

احتج عليهم بما ثبت

الوحدانية ويبتل الاشرار

خلقتهم أحياء قادرين

وخلق الارض التي هي

مشواهم ومستقرهم وخلق

السماء التي هي كالقبة

المضروبة والخيمة المطبنة

على هذا القرار وما سواه

عز وجل من شبه عقد

النكاح بين المقتلة والمظلة

باززال الماء منها عليها

والاخراج به من بطنها

اشباه النسل من الثمار

رزقا لبني آدم فهذا

كله دليل موصل الى

التوحيد مبطل للاشراك

لان شيئاً من المخلوقات

لا يقدر على ايجاد شيء

منها عطف على ذلك ما

هو الحججة على اثبات نبوة

محمد صلى الله عليه وسلم

وما يقرر اعجاز القرآن

تقال (وان كنتم في ريب

وأشباها (وأنت تعلمون)

أني صانع هذه الاشياء ويقال

وأنت تعلمون في كتابكم

ينبغي أن لا يشرك به* والند المثل المناوى قال جرير

أتما تجعلون الىّ ندا * وما تيم لذي حسب نديد

من ند ندودا اذ انفر وناددت الرجل خالفته خص للمخالف المماثل في الذات كما خص
المساوى للمماثل في القدر وتسمية ما يعبد المشركون من دون الله أندادا وما زعموا أنها
تساويه في ذاته وصفاته ولا أنها تخالفه في أفعاله لانهم لما تركوا عبادته تعالى الى عبادتها وسموها
آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد أنها ذوات واجبة بالذات قادرة على أن تدفع
عنهم بأس الله وتخضع ما لم يرد الله بهم من خير فتعبد بهم وشنع عليهم بأن جعلوا
أندادا لمن يتمتع أن يكون له ند ولهذا قال موحدا الجاهلية يزيد بن عمرو بن نفيل

أربا واحدا أم الف رب * أدين اذا تقسمت الامور

تركت اللات والعزى جيعا * كذلك يفعل الرجل البصير

﴿ وأنت تعلمون ﴾ حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح أي وحالكم أنكم
من أهل العلم والنظر واصابة الرأي فلو تأملتم أدنى تأمل اضطر عقلكم الى اثبات
موجد للممكنات منفرد بوجود الذات متعال عن مشابهة المخلوقات أو منوى وهو
أنها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله سبحانه وتعالى هل من شركائكم من يفعل من
ذلكم من شيء وعلى هذا فالمتصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره
عليه فإن العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف* واعلم أن مضمون الآيتين
هو الامر بعبادة الله سبحانه وتعالى والنهي عن الاشرار به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضى
وبيانه أنه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بأنها العلة لوجوبها ثم بين
ربوبيته بأنه سبحانه وتعالى خالقهم وخالق أهولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقتلة
والمظلة والمطاعم والملابس فإن الثمرة أعم من المطعوم والرزق أعم من المأكول والمشروب
ثم لما كانت هذه الامور التي لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته سبحانه وتعالى رتب عليها
النهي عن الاشرار به ولعله سبحانه وتعالى أراد من الآية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسبق
فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما أفاض عليه من المعاني والصفات
على طريقة التمثيل فنقل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما أفاض عليه
من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى
النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفصلة
بقدره الفاعل المختار فإن لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حدم مطلقا ﴿ وان كنتم في ريب

تعبدونهم كعبادته* والند المثل ﴿ وأنت تعلمون ﴾ يعني أنكم بقولكم تعلمون أن هذه الاشياء
والامثال لا يصح جعلها أندادا لله وأنه واحد خالق لجميع الاشياء وأنه لا مثل له ولا ضده
* قوله تعالى ﴿ وان كنتم في ريب ﴾ أي ان كنتم في شك لان الله تعالى علم أنهم

أند ليس له ولد ولا شبيهه ولاند (وان كنتم في ريب) في شك

مما نزلنا) ما في نكرة موصوفة أو بمعنى الذي (على عبدنا) محمد عليه السلام والعبد اسم للمملوك من جنس العقلاء والمملوك موجود قهراً بالاستيلاء وقيل نزلنا دون أنزلنا لأن المراد به النزول على سبيل التدرج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدى وذلك أنهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله لم ينزل هكذا نجوم سورة بعد سورة وآيات عقيب آيات على حسب النوازل وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حيناً فحيناً شيئاً وشياً لا يلقى الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمى الناثر بخطبه ضربة فلو أنزله الله لا نزله جلة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جلة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على تدرج (فأتوا بسورة) أي فها تواترتم نوبة واحدة من نوبه وهلوا نجماً فرداً من نجومه سورة من أصغر السور والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات وواوها ان كانت أصلاً فاما ان {الجزء الاول} تسمى بسور المدينة وهو ﴿٧٨﴾ حائطها لاها طائفة من القرآن محدودة محوذة

مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة ﴿٧٨﴾ لما قرر وحدانيته سبحانه وتعالى وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقبيه ما هو الحججة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطق وأخام من طوب بما رضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافرطهم في المضادة والمضارة وتها لكهم على المعازة والمعاراة وعرف ما يتعرف به اعجازهم ويتيقن انه من عند الله سبحانه وتعالى كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجماً فجمما بحسب الوقائع على ما نرى عليه أهل الشعر والخطابة بما يريهم كما حكى الله عنهم فقال وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جلة واحدة فكان الواجب تحديدهم على هذا الوجه أزا حة للشبهة وأزما للحجة وأضاف العبد الى نفسه تعالى تنويهاً بذكره وتنبهاً على أنه مختص به منقاد لحكمه تعالى وقرئ عبادنا يريد محمد صلى الله عليه وسلم وأمه * والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات وهي أن جمعت واوها أصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوذة على حيالها أو محتوية على أنواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها أو من السورة التي هي الرتبة قال ولرهب حراب وقدسورة * في المجد ليس غرابها بطار

شاكون ﴿٧٨﴾ مما نزلنا على عبدنا ﴿٧٨﴾ أي محمد صلى الله عليه وسلم * لما تقرر أثبات الربوبية لله سبحانه وتعالى وأنه الواحد الخالق وأنه لا ضله ولا ند أتبعه بأقامة الحججة على أثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزاً وأنه من عند الله تعالى لا من عند نفسه كما تدعون فيه وقوله على عبدنا اضافة تشرية لمحمد صلى الله عليه وسلم وان القرآن منزل عليه من عند الله سبحانه وتعالى ﴿٧٨﴾ فأتوا ﴿٧٨﴾ أمر تعجيز ﴿٧٨﴾ بسورة ﴿٧٨﴾ والسورة قطعة من القرآن معلومة الاول والآخر وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة

على حيالها كالبلد المسور أولانها محتوية على فنون من العلم وأجناس من الفوائد كاحتواء سور المدينة على ما فيها وأما ان تسمى بالسورة التي هي الرتبة لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي أضافي نفسها مرتبة طوائف وأوساط وقصار أو لرفعة شأنها وجلالة محلها في الدين وان كانت منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطائفة من القرآن كالسورة التي هي البقية من الشيء وأما الفائدة في تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً فهي كثيرة ولذا أنزل الله تعالى التوراة والانجيل والزابور وسائر

مأوحاه الى أبيائه مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم أبواباً موشحة الصدور (ومنه) بالتراجم منها ان الجنس اذا انطوت تحته أنواع واشتمل على أصناف كان أحسن من أن يكون بياناً واحداً ومن ان القارئ اذا ختم سورة أو باباً من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأبعث على الدرس والتحصيل منه لو استقر على الكتاب بطوله ومن ثم جزأ القراء القرآن اسباعاً واجزاء وعشوراً واجناساً ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقدانه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فأنمحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويحجل في نفسه ومنه حديث أنس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جل فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلاة

(مما نزلنا) مما نزلنا جبريل (على عبدنا) محمد أنه يختلقه من تلقاء نفسه (فأتوا بسورة)

بسورة تامة أفضل (من مثله) متعلق ﴿٧٩﴾ بسورة صفة لها والضمير لما نزلنا {سورة البقرة} أي بسورة كأثة من مثله يعني

فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم أو لعبدنا أي فأتوا عن هو على حاله من كونه أميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ورد الضمير الى المنزل أولى لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله فأتوا بعشر سور مثله على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان الكلام مع رد الضمير الى المنزل أحسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل لافي المنزل عليه وهو مسوق اليه فان المعنى وان ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم نبذا مما عائله وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولان هذا التفسير يلائم قوله (وادعوا شهداءكم) جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة (من دون الله) أي غير الله وهو متعلق بشهداءكم أي

لان السور كالمنازل والمراتب يترتق فيها القارىء أولها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وأن جعلت مبدلة من الهمزة فن السورة التي هي البقية والقطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سورا أفراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجابوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك عنه كالمسافر اذا علم أنه قطع ميلا أو طوي بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد أنه أخذ من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوائد ﴿ من مثله ﴾ صفة سورة أي بسورة كأثة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض أو للتبيين وزائدة عند الاخفش أي بسورة مماثلة للقرآن العظيم في البلاغة وحسن النظم أو لعبدنا ومن للابتداء أي بسورة كأثة ممن هو على حاله عليه الصلاة والسلام من كونه بشرا أميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم أو صلة فأتوا والضمير لعبد صلى الله عليه وسلم والرد الى المنزل لانه المطابق لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله ولسائر آيات التحدى ولان الكلام فيه لافي المنزل عليه فحقه أن لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بأن يأتوا بمثل ما أتى به واحد من أبناء جلدتهم أبلغ في التحدى من أن يقال لهم ليأتى بنحو ما أتى به هذا آخر مثله ولانه مجزى في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله سبحانه وتعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوم أمكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلايمه قوله تعالى ﴿ وادعوا شهداءكم من دون الله ﴾

ومنه سور البلد لارتفاعه سميت سورة لان القارئ ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن ﴿ من مثله ﴾ أي مثل القرآن وقيل الضمير في مثله راجع الى عبدنا يعني من مثل محمد صلى الله عليه وسلم أي لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلماء ولم يأخذ العلم عن أحد ورد الضمير الى القرآن لوجه وأولى ويدل عليه ان ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة في التحدى وأما وقع الكلام في المنزل ألا ترى أن المعنى وأن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فأتوا أنتم بسورة مما عائله ويجانسه ولو كان الضمير مردودا الى محمد صلى الله عليه وسلم لقال وأن ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا مثل محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على كون القرآن مجزأ ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة في طرفي الإيجاز والإطالة فتارة يأتي بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود الاول وأنه فارقت أساليبه أساليب الكلام وأوزانه أوزان الاشعار والخطب والرسائل ولهذا تحدث العرب به فجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة ولهم النظم والنثر من الاشعار والخطب والرسائل حتى قال الوليد بن المغيرة في وصف القرآن والله أن له حلاوة وأن عليه لطلاوة وأن أصله لمغدق وأن أعلاه لمثمر ﴿ وادعوا شهداءكم من دون الله ﴾ أي استعينوا بأهتكم التي تعبدونها من دون الله

ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق أو من يشهد لكم بانه مثل

(من مثله) لجيؤا بسورة من مثله سورة البقرة (وادعوا شهداءكم) واستعينوا بأهتكم التي

عندهم وتقلعوا جزم بل لانها واجبة الاعمال مخصصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالدخول على الجموع وكأنه قال تعالى فأن تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما * ولن كلا في نفى المستقبل غير أنه أبلغ وهو حرف مقتضب عند سيويه والخليل في إحدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى أصله لأن وعند الفراء لأفادت ألفها نونا * والوقود بالفتح ما توقده النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيويه وسمعا من يقول

وقدت النار وقودا عاليا

والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر أن المراد به الاسم وأن أريد به المصدر فعلى حذف مضاف أى وقودها احتراق الناس * والحجارة وهى جمع حجر كجمالة جمع جبل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التى نحتوها وقرنوا بها أنفسهم وعبدها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار لمكانتهم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى أنكم وما تمبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ لهم كما عذب الكاذبون بما كانوا يكفرون أو بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التى كانوا يكفرونها ويعتزون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وأبطال للمقصود اذ الغرض تهويل شأنها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وأن ضمنت فأن صح هذا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنها فاعله عنى به أن الاجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله سبحانه وتعالى في سورة التحريم نار او قودها الناس والحجارة وسموه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة نأما يجب أن تكون قصة معلومة * أعدت للكافرين * هئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ * أعدت من العدة بمعنى العدة والجملة استئناف أوحال بأضمار قد من النار لا الضمير الذى فى وقودها وأن جملة مصدر للفصل بينهما بالخبر * وفى الآيتين دليل على النبوة من وجوه * الاول ما فهمنا من التحدى والتحريض على الجذ وبذل الوسع فى المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض أقصر سورة من سور القرآن العزيز ثم أنهم مع كثرتهم واشتغالهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا لمعارضته والتجؤا الى جلاء الوطن وبذل المبيح * والثانى تضمنهما الاخبار عن الغيب على ما هو به فأنهم لو عارضوه بشئ لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه أكثر من الذابيين عنه فى كل عصر * والثالث أنه صلى الله عليه وسلم لوشك فى أمره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة أن يعارض فتدحض حجته * وقوله تعالى أعدت للكافرين دل على أن

جملة الله عذابهم فى نار جهنم * أعدت * أى هئت * للكافرين * قوله عز وجل

(وبشر)

أبلاغا فى ايادهم) أعدت للكافرين) هئت لهم وفيه دليل على أن النار مخلوقة خلافا لما يقوله جهنم سنة الله فى كتابه أن يذكر الترغيب مع التهيب تنشيطا لاكتساب ما يزلف وتنشيطا عن اقرار ما يتلف فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب قفاه بذكر المؤمنين وأعمالهم

(أعدت) حلفت وهئت وأعدت وقدرت (للكافرين) ثم ذكر كرامة المؤمنين

(قوله وقيل حجارة الكبريت) مرصه وأخره لضعفه عنده لانه تخصيص بغير دليل كما ستسعه وتبع فيه الزمخشرى وقيل عليه أن الفريضة العقلية قائمة عليه لانه لا يتقد من الحجارة غيره مع أنه الثابت فى التفاسير المأثورة دون غيره فأنه أخرج مسندا فى السنن وصحح روايته عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم الطبرانى والحاكم والبيهقى وابن جرير وابن المنذر وغيرهم ومثل هذا التفسير الوارد عن الصحابي فيما يتعلق بأمر الآخرة له حكم الرفع بأجماع المحدثين وقد رجحه كثير من الفسرين وعلوه بأنه أشد حرا وأكثر اتهابا وأسرع اقادا مع تنريحه وكثرة دخانه وكثافته وشدة الصقاه بالابدان فلتنخصه وجه بل وجوه رواية وذرية اه عناية بعبارة مصححه

وتبشيرهم بقوله (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات) والمأمور بقوله وبشر الرسول عليه السلام أو كل أحد وهذا أحسن لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفحامة شأنه محقوق بأن يبشره كل من قدر على البشارة به وهو معطوف على فاتقوا كما تقول يا بني تم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يافلان بنى أسد بأحسانى اليهم أو جملة وصف ثواب المؤمنين معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كقولك زيد يعاقب بالقييد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق والبشارة الاخبار بما يظهر سرور الخبز به ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده أياكم بشروني بقدم فلان فهو حر فبشره فرادى عتق أولهم لأنه هو الذى أظهر سروره بخبره دون الباقيين ولو قال أخبرني مكان بشرني عتقوا جميعا لانهم أخبره ومنه البشارة لظاهر الجلد وتبشير ﴿ ٨٣ ﴾ الصبح مظهر من أوائل {سورة البقرة} ضوئه وأما فبشرهم بعذاب

أليم فمن العكس في الكلام الذى يقصده الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به كما يقول الرجل لعدوه بأبشر بقتل ذريتك ونهب مالك والصالحة نحو الحسنه في جريها مجرى الاسم والصالحة كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس والآية حجة على من جعل الاعمال أيماناً لأنه عطف الاعمال الصالحة على الايمان والمعطوف غير المعطوف عليه ولا يقال أنكم تقولون يجوز أن يدخل المؤمن الجنة بدون الاعمال الصالحة والله تعالى بشر بالجنة لمن آمن وعمل صالحاً لان البشارة المطلقة بالجنة شرطها اقتران الاعمال

النار مخلوقة معدة الآن لهم ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات ﴾ عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن العظيم ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من أن يشفع الترتيب بالترهيب تنشيطاً لاكتساب ما ينجي وتثبيتاً عن اقتراف ما يردى لا عطف الفعل نفسه حتى يجب أن يطالبه ما يشاكله من أمر أو نهى فيعطف عليه أو على فاتقوا لأنهم اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التمدى ظهر اعجزاه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعى أن يخوف هؤلاء وبشر هؤلاء وأما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أو عالم كل عصر أو كل أحد يقدر على البشارة بأن يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيماً لشأنهم وأيضاً بأنهم أحقاء بأن يبشروا ويهتؤا بما أعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفاً على أعدت فيكون استئنافاً والبشارة الخبر السار فإنه يظهر أمر السرور في البشارة ولذلك قال الفقهاء البشارة هي الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدم ولدى فهو

﴿ وبشر الذين آمنوا ﴾ أى أخبر المؤمنين وهذا أمر للنبي صلى الله عليه وسلم والبشارة ايراد الخبر السار على سامع يستبشره ويظهر السرور في بشرة وجهه لان الانسان اذا فرح بشئ وسر به ظهر ذلك على بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخير والشر ومنه قوله وبشرهم بعذاب أليم ولكن هو في السرور والخير أغلب ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ أى الفعلات الصالحات وهى الطاعات قيل العمل الصالح ما كان فيه أربعة أشياء العلم والنية والصبر والاخلاص وقال عثمان بن عفان وعملوا الصالحات أى أخلصوا الاعمال يعنى عن الرياء ﴿ أن لهم جنات ﴾ جمع جنة وهى البستان الذى فيه أشجار مثمرة سميت جنة لاجتنانها وتسترها بالأشجار والاوراق وقيل الجنة ما فيه نخل

الصالحة بالايمان ولا نجعل لصاحب الكبيرة البشارة المطلقة بل ثبت بشارة مقيدة بمشيئة الله أن شاء غفرله وأن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة (أن لهم جنات) أى بأن لهم جنات وموضع أن وما علمت فيه النصب يبشر عند سيوبه خلافاً للخليل وهو كثير فى التنزيل والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف والتركيب دأثر على معنى السور ومنه الجن والجنون والجنين والجنة والجنان

فى الجنة فقال (وبشر الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم ويقال الصالحات من الاعمال (أن لهم) بأن لهم (جنات) بساتين

حر فأخبروه فرادى عتق أولهم ولو قال من أخبرني عتقوا جميعا وأما قوله تعالى فبشرهم بعباد آليم فعلى التهكم أو على طريقة قوله

تحية بينهم ضرب وجيع

والصالحات جمع صالحة وهى من الصفات الغالبة التى تجرى مجرى الاسماء كالجنة قال الخطيب

كيف الهجاء وماتفك صالحة * من آل لأم بظهر الغيب تأنيبى

وهى من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتأنيبها على تأويل الخصلة أو الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما أشعرا بأن السبب فى استحقاق هذه البشارة بمجموع الامرين والجمع بين الوصفين فأن الايمان الذى هو عبارة عن التحقيق والتصديق أس والعمل الصالح كإبناؤه عليه ولاغناء بأس لابناء عليه ولذلك قلما ذكرنا منفردين وفيه دليل على أنها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل أن الشيء لا يعطف على نفسه ولا على ما هو داخل فيه * أن لهم منصوب بنزع الخافض وأفضاء الفعل اليه أو مجرور بأخباره مثل الله لا فعلن * والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنة اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف أغصانه للمباغلة كأنه يستر ماتحته ستره واحدة قال زهير

كأن عيني فى غربى مقننة * من النواضح تسقى جنة سمحقا

أى نخلطوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظلمة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر فى الدنيا ما أعد فيها للبشر من أفنان النعم كما قال سبحانه وتعالى فلانعم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وجمعها وتكبيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفى كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم أياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لانداته فأنه لا يكافى النعم السابقة فضلا عن أن يقتضى ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل يجعل الشارع ومقتضى وعده تعالى ولاعلى الاطلاق بل بشرط أن يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن بقوله سبحانه وتعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فبئس ما كافر فأولئك حبطت أعمالهم وقوله تعالى لئن لم يقيد ههنا استغناءها تجرى من تحتها الانهار * أى من تحت أشجارها كاتراها جارية تحت الاشجار النسابة على شواطئها * وعن مسروق أنهار الجنة تجرى فى غير أخدود واللام فى الانهار للجنس كما فى قولك لفلان بستان فيه الماء الجارى أول المعهد والمعهود هو الانهار المذكورة فى قوله تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن الآية * والنهر بالفتح والسكون والفردوس ما فيه كرم * تجرى من تحتها * أى من تحت أشجارها ومساكنها * الانهار * أى تجرى المياه فى الانهار لان الانهار لا تجرى وقيل معناه تجرى بأمرهم

تعالى اسكن أنت وزوجك الجنة خلافا لبعض المعتزلة ومعنى جمع الجنة وتكبيرها أن الجنة اسم لدار الثواب كلها وهى مشتقة على جنان كثيرة مرتبة مراتب بحسب أعمال العالمين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان (تجرى من تحتها الانهار) الجملة فى موضع النصب صفة لجنات والمراد من تحت أشجارها كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وأنهار الجنة تجرى فى غير أخدود وأنزه البساتين ما كانت أشجارها مظلة والانهار فى خلالها مطردة والجري الاطراد والنهر الجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال للنيل نهر مصر واللغة العالية نهر ومدار التركيب على النسبة وأسناد الجرى الى الانهار مجازى وأما عرف الانهار لانه يحتمل أن يرادها أنهارها فموض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا وأشار باللام الى الانهار المذكورة فى قوله تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن الآية والماء الجارى من النعمة العظمى واللذة الكبرى

ولذا قرن الله تعالى الجنات بذكر الانهار الجارية وقدمه على سائر نعمتها (كمارزقوا) صفة ثانية لجنات أو جنة مستأنفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم ينخل خلد السامع ﴿ ٨٥ ﴾ أن يقع فيه أثمار { سورة البقرة } تلك الجنات أشباه ثمار جنات

الدينا أم أجناس آخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل أن ثمارها أشباه ثمار جنات الدينا أي أجناسها وأن تناوتت الى غاية لا يعلمها إلا الله (منها) من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي) أي كلما رزقوا من الجنات أي من أي ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو غير ذلك رزقا قالوا ذلك فن الاولي والثانية كلتاهما لا ابتداء الغاية لان

الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة ونظيره أن تقول رزقني فلان فيقال لك من أين فتقول من بستانه فيقال من أي ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وليس المراد من الثمرة التفاحة الواحدة أو الرمان الغدة وأن المراد نوع من أنواع الثمار (رزقنا) أي رزقناه فحذف العائد (من قبل) أي من قبل هذا فلما قطع عن الاضافة بنى والمعنى هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله (وأنوابه متشابهها) وهذا كقولك أبو يوسف أبو

المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاغمار أو المجرى أنفسها وأسناد الجرى اليها مجاز كما في قوله سبحانه وتعالى وأخرجت الارض أثقالها ﴿ كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا ﴾ صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدأ محذوف أو جلة مستأنفة كأنه لما قيل أن لهم جنات وقع في خلد السامع أثمارها مثل ثمار الدينا أو أجناس آخر فأزج بذلك وكما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولي والثانية لا ابتداء واقعتان موقع الحال وأصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدئا من الجنات مبتدئا من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدئا من الجنات وابتداءه منها بابتدائه من ثمرة فيها فصاحب الحال الاولي رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل أن يكون من ثمرة بيانا تقدم كافي قولك رأيت منك أسدا وهذا إشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فأنت لاتفى به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وأن كانت الإشارة الى عينه والمعنى هذا مثل الذي رزقنا ولكن لما استحکم الشبه بينهما جعل ذاته كقولك أبو يوسف أبو حنيفة ﴿ من قبل ﴾ أي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه أول ما ترى فإن الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره وتبين لها مزية وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يمهذ ظن أنه لا يكون إلا كذلك أو في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كالحكي عن الحسن رضى الله تعالى عنه أن أحدهم يؤتى بالصحنه فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الاولي فيقول ذلك فتقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف أو كما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال والذي نفس محمد بيده أن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فامى واصلة الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها فلمهم اذا رأوها على الهيئة الاولي قالوا ذلك والاول أظهر لمحافظة على عموم كلما فإنه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم وبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة ﴿ وأنوابه متشابهها ﴾ اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فإنه مدلول

وفي الحديث ان أثمار الجنة تجرى في غير أحدود أي في غير شق والحد الشق ﴿ كلارزقوا ﴾ أي أطمعوا ﴿ منها ﴾ أي من الجنة ﴿ من ثمرة رزقا ﴾ أي طعاما ﴿ قالوا هذا الذي رزقنا من قبل ﴾ أي في الدنيا وقيل أن ثمار الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم فإذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الاولي ﴿ وأنوابه ﴾ أي بالرزق ﴿ متشابهها ﴾ قال ابن عباس مختلفا في الطعم وقيل يشبه بعضه بعضا في الجودة لارداة فيها وقيل يشبه ثمار الدنيا في الاسم لا في الطعم (م) عن جابر

والماء (كلارزقوا منها) كلما اطمعوا فيها في الجنة (من ثمرة) من ألوان الثمرات (رزقا) طعاما (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) أطمعنا من قبل هذا (وأنوابه) جيؤابه بالطعام (متشابهها) في اللون مختلفا في الطعم

حينئذ تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته والضمير في به يرجع الى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل أنطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين وإنما كان ثمار الجنة مثل ثمار الدنيا ولم تكن أجناسا اخر لان الإنسان بالملأوف آس والى المعهود أميل واذا رأى مالم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا شاهد ما سلفه به عهد ورأى فيه مزبة ظاهرة وتفاوتا بينا كان استجابته به أكثر واستغرابه أوفر وتكريرهم هذا القول عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهى الاسم وتماهى الحال { الجزء الاول } في ظهور المزية ﴿ ٨٦ ﴾ وعلى أن ذلك التفاوت العظيم هو الذى

عليه بقوله هذا الذى رزقنا من قبل ونظيره قوله عز وجل ان يكن غنيا أو فقيرا قاله أولى بهما أى بجنسى الغنى والفقر وعلى الثانى الى الرزق * فأن قيل التشابه هو التماثل فى الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليس فى الجنة من أطعمة الدنيا ألا الاسماء * قلت التشابه بينهما حاصل فى الصورة التى هى مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف فى اطلاق التشابه هذا وأن للآية الكريمة محلا آخر وهو أن مستلذات أهل الجنة فى مقابلة ما رزقوا فى الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة فى اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل أن يكون المراد من هذا الذى رزقنا أنه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما فى الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا فى الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون فى الوعيد ﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة ﴾ مما يستقذر من النساء ويذم من أحوالهن كالحيض والدرن وندس الطبيعة وسوء الخلق فأن التطهير يستعمل فى الاجسام والاخلاق والافعال وقرىء مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال وأذا العذارى بالذخان تقنعت * واستجمعت نصب القدر فأت

فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة * ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متظهرة ومطهرة أبغ من طاهرة ومتظهرة للاشعار بأن مطهرا طهرهن وليس

ابن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتخبطون ولا يبرزقون يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشاء ورشح كرشح المسك وفى رواية ورشحهم المسك * قوله يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس أى يجرى على ألسنتهم كما يجرى النفس فلا يشغلهم عن شئ * كأن النفس لا يشغل عن شئ * قوله طعامهم جشاء يعنى أن فضول طعامهم يخرج فى الجشاء وهو تنفس المعدة والرشح العرق * وقوله تعالى ﴿ ولهم فيها ﴾ أى فى الجنات ﴿ أزواج ﴾ أى من الحور العين ﴿ مطهرة ﴾ يعنى من البول والغائط والحيض والولد وسائر الاقذار وقيل هن عجائز كم الغمص العمش طهرن من قدرات الدنيا وقيل طهرن من مساوى الاخلاق قيل فى الجنة جاع ماشئت ولا ولد

يستعملى تجسيم فى كل أو ان أو الى الرزق كأن هذا إشارة الى المعنى أن ما رزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا فى نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى أحدهم بالصفحة فيأكل منها ثم يؤتى بالآخرى فيقول هذا الذى أتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلام والذى نفس محمد بيده أن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فاهى بواصلة الى فيه حتى يبدلها الله مكانها مثلها فاذا ابصر وهاو الهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك وقوله وأنوابه متشابهة معترضة للتقرير كقولك فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من رأى كذا وكان صوابا ومنه وجعلوا أعزة أهلها أذلة

وكذلك يفعلون (ولهم فيها أزواج) أزواج مبتدأ أولهم الخبر وفيها ظرف للاستقرار (مطهرة) من (وهم)

مساوى الاخلاق لا طمحات ولا مرحات أو مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من البول والغائط وسائر الاقذار والادناس ولم تجمع الصفة كالموصوف لانها لغتان فصيحتان ولم يقل طاهرة لان مطهرة أبغ لانها تكون للكثير وفيها أشعار بأن مطهرا طهرهن وما ذلك الا الله

(ولهم فيها) فى الجنة (أزواج) جوار (مطهرة) مهذبة من الحين والادناس

عز وجل (وهم فيها خالدون) الخلد ﴿٨٧﴾ والخلود البقاء الدائم (سورة البقرة) الذي لا ينقطع وفيه بطلان

قول الجهمية فأهم يقولون بقاء الجنة وأهلها لأنه تعالى وصف بأنه الأول والآخر وتحقيق وصف الأولية بسبقه على الخلق أجمع فيجب تحقيق وصف الآخرة بالتأخر عن سائر مخلوقات وذا إنما يتحقق بعد فناء الكل فوجب القول به ضرورة ولأنه تعالى باق وأوصافه باقية فلو كانت الجنة باقية مع أهلها لوقع التشابه بين الخالق والمخلوق وذا محال قلنا الأول في حقه هو الذي لا ابتداء لوجوده والآخر هو الذي لا انتهاء له وفي حقا الأول هو الفرد السابق والآخر هو الفرد اللاحق واتصافه بهما لبيان صفة الكمال ونفي النقيصة والزوال وذا في تنزيهه عن احتمال الحدوث والفناء لا فيما قالوه وأنى يقع التشابه في البقاء وهو تعالى باق لذاته وبقائه واجب الوجود وبقاءه الخلق به وهو جائز الوجود لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب به مثلا ضحك اليهود وقالوا ما يشبه هذا

هو أوالله عز وجل * والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لماله قرين من جنسه كزوج الخنف * فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة * قلت مطامع الجنة ومناحكها وسائر أحوالها إنما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى بأسمائها على سبيل الاستعارة والتشبيه ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها ﴿ وهم فيها خالدون ﴾ دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام أولم يدم ولذلك قيل للآثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله مادام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد في قوله تعالى خالدين فيها أبدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقت مخلد يوجب اشتراكا أو مجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم للانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد منه الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنة * فان قيل الابدان مركبة من أجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان * قلت أنه سبحانه وتعالى يعيدها بحيث لا يتورها الاستحالة بأن يجعل أجزائها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شئ منها على أحالة الآخر متعاقبة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كإشهاد في بعض المعادن هذا وأن قهاس ذلك العالم وأحواله على ما يجده ونشأته من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم أنه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن

﴿ وهم فيها خالدون ﴾ أى لا يخرجون منها ولا يموتون * والخلد البقاء الدائم الذي لا انقطاع له (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى في السماء أضاءه لا يبصقون ولا يتخطون ولا يتغوطن ولا يبولون أمشاطهم الذهب ورشهم المسك ومجامرهم الالوة وأزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد وعلى صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء * وفي رواية لكل واحد منهم زوجتان يرى من سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشا (ق) عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أن للمؤمن في الجنة نخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا * عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله مم خلق الله الخلق قال من الماء * قلت الجنة ما بناؤها قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الاذفرو حصبائها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم أخرجه الترمذى بزيادة وقال ليس أسناده بذلك القوى * عن عبادة بن الصامت

(وهم فيها) في الجنة (خالدون) دائمون لا يموتون ولا يخرجون * ثم ذكر انكار اليهود لامثال

كلام الله فنزل (أن الله لا يستحي أن يضرب مثلا مابعوضة) أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحي أن يمثّل بها لحقارتها وأصل الحياء { الجزء الأول } تغير وانكسار ﴿ ٨٨ ﴾ يعترى الانسان من تخوف ما يعاب به ويدم

والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله النبات والدوام فإن كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية عن شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما عدلهم في الآخرة بأبهي ما يستلذبه منها وأزال عنهم خوف الفوات بوعدا الخلود ليدل على كآلهم في التتم والسرور ﴿ أن الله لا يستحي أن يضرب مثلا مابعوضة ﴾ لما كانت الآيات السابقة متضمنة لأنواع من التمثيل عقب ذلك بيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو أن يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فإن التمثيل إنما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وأبرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فإن المعنى الصريح أنما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لأن من طبعه الميل الى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفتت في عبارات البلاغ واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثّل العظيم بالعظيم وأن كان الممثل أعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدر بالثخالة والقلوب القاصية بالخصاة ومخاطبة السفهاء بأثارة الزنابير وجاء في كلام العرب أسمع من قراد وأطيش من فراشة وأعز من مخ البعوض لاما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين وأصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف بيت العنكبوت وجعلها أقل من الذباب وأخس قدرا منه الله سبحانه وتعالى أعلى وأجل من أن يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وأيضا لما أرشدهم الى ما يدل على أن المتحمدي به وحى منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور أمره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال تعالى أن الله لا يستحي أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحي أن يمثّل بها لحقارتها * والحياء انقباض النفس

رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كابين السماء والارض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش فإذا سأتم الله فاسأله الفردوس أخرجه الترمذي (م) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتمخو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجالا فيرجعون الى أهليهم وقد أزدادوا حسنا وجالا فيقول لهم أهلوهم والله لقد أزددتم بعدنا حسنا وجالا فيقولون وأنتم والله لقد أزددتم بعدنا حسنا وجالا * عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن في الجنة لمجتمعا للحوار العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلانبيد ونحن النائمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكناله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب ﴿ قوله تعالى ﴿ أن الله لا يستحي أن يضرب مثلا مابعوضة

ولا يجوز على التقديم التغير وخوف الذم ولكن الترك لما كان من لوازمه عبر عنه به ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفارة فقالوا أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة وأطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وفيه لغتان التعدي بنفسه وبالجار يقال استحيته واستحييت منه وهما محتملتان هنا وضرب المثل صنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وما هذه ايهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة أبهمتها أيها ما وزادته عموما كقولك أعطيت كتابا ما تريد أي كتاب كان أو صلة للتأكيد كالتى في قوله تعالى فيما نقصهم ميثاقهم كأنه قال لا يستحي أن يضرب مثلا لئلا يبعوضة عطف بيان لئلا أو مفعول يضرب ومثلا حال من النكرة مقدمة عليه القرآن فقال (أن الله لا يستحي) لا يترك وكيف يستحي من ذكر شئ لو اجتمع الخلائق كلهم على تخليفه ما قدروا عليه ولا يمتعه الحياء (أن يضرب مثلا) أن يبين للخلاق مثلا (مابعوضة) في بعوضة (فا)

عن القبيح مخافة الدم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والحجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة فإنه انكسار يعترى القوة الحيوانية فيردها عن أفعالها فقبل حي الرجل كما قيل نسي وحشى اذا اعتلت نساء وحشاه واذا وصف به البارئ سبحانه وتعالى كما جاء في الحديث أن الله يستحي من ذى الشبية المسلم أن يعذب به أن الله حي كريم يستحي اذا رفع العبيديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كأن المراد من رحته وغضبه أصابة المعروف والمكروه اللازمين لغيرهما ونظيره قول من يصف أبلا

اذا ما استحين الماء يعرض نفسه * كره عن بسبب في أناء من الورد

وأما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة وتحتمل الآية خاصة أن يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم وأعله وقع شيء على آخر وأن بصلتها مخفوض المحل عند الخليل بأخبار من منصوب بأفشاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وماأ بهامية تزيد النكرة أبهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك أعطنى كتابا ما أى اى كتاب كان أو مزيدة للتأكيد كالتى في قوله سبحانه وتعالى فبما رحمة من الله ولانعى بالمزيد اللغو الضائع فأن القرآن كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه. وأما وضعت لان تذكر مع غيرها فتفيدله وثاقفة وقوة وهو زيادة فى الهدى غير قاذح فيه * وبعوضة عطف بيان لمثلا أو مفعول ليضرب * ومثلا حال تقدمت عليه لانه نكرة أوهما مفعولاه تضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على أنه خبر مبتدأ وعلى هذا تحتل ما وجوها آخر أن تكون موصولة حذف صدر صلتها كاحذف في قوله تعالى تماما على الذى احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدأ كأنه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فافوقها حتى لا يضرب به المثل بل له أن يمثل بما هو أحقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب مادينا رودي ناران * والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخמוש * فافوقها * عطف على بعوضة أو ما أن جعلت اسما ومعناه وما زاد عليها فى الجنة كالذباب والعنكبوت كأنه قصد به ردما استنكروه والمعنى أنه لا يستحي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو أكبر منه أو فى المعنى الذى جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فإنه عليه الصلاة والسلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره فى الاحتمالين ماروى أن رجلا بمنى خر على طنب فسظاظ فقالت عائشة

فافوقها * سبب نزول هذه الآية أن الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وذكر النحل والتمل قالت اليهود ما أراد الله بذكر هذه الاشياء الخسيسة وقيل قال المشركون أن لا نعبد الها يذكر هذه الاشياء وذلك لان الكفار واليهود كانوا متفقين على أيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذلك فأنزل الله تعالى أن الله لا يستحي الحياء تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به ويذم عليه وقيل هو انقباض النفس عن القبائح هذا أصله

أوانتصا مفعولين على أن ضرب بمعنى جمل واشتقاقها من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه والبعوض فى أصله صفة على فصول كالتقوع فغلبت (فافوقها) فأتجاوزها وزاد عليها فى المعنى الذى ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة أو فافوقها على الحجم كأنه أراد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما أكبر من البعوضة ولا يقال كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهو النهاية فى الصغر لان جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(فافوقها) فكيف ما فوقها

يعنى الذباب والعنكبوت

مثلا للدنيا (فأما الذين { الجزء الاول } آمنوا فيعلمون ﴿ ٩٠ ﴾ أنه الحق) الضمير للمثل أولان يضرب

رضى الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فإنه يحتمل ما يجاوز الشوكة في الأثم كالخروج أو ما زاد عليها في القلة كمنحة النملة لقوله عليه الصلاة والسلام ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياها حتى نخبة النملة ﴿ فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ﴾ أما حرف تفصيل يفصل ما أجمل ويؤكده صدره ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيويه أما زيد فذهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب أي هو ذاهب لا محالة وأنه منه عزيمة وكان الأصل دخول الفاء على الجملة لأنها الجزاء لكن كرهوا أيلاءها حرف الشرط فأدخلوا الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملة به أحاد لاسر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في أنه للمثل أولان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ إنكاره يعم الأعيان الثابتة والأفعال الصائبة والأقوال الصادقة من قولهم حق الأمر إذا ثبت ومنه ثوب محقق أي محكم النسيج ﴿ وأما الذين كفروا فيقولون ﴾ كان من حقه وأما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل إليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه ﴿ ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ يحتمل وجهين أن تكون ما استفهامية وذات معنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبر ما وأن تكون مامع

في وصف الإنسان والله تعالى منزه عن ذلك كله فأذا وصف الله تعالى به يكون معناه الترك وذلك لأن لكل فعل بداية ونهاية فبداية الحياء هو النفي الذي يلحق الإنسان من خوف أن ينسب إليه ذلك الفعل القبيح ونهايته ترك ذلك الفعل القبيح فإذا ورد وصف الحياء في حق الله تعالى فليس المراد منه بدايته وهو التنوير والخوف بل المراد منه ترك الفعل الذي هو نهاية الحياء وغايته فيكون معنى أن الله لا يستحي أن يضرب مثلا أي لا يترك المثل لقول الكفار واليهود ما قيل ماصلة فيكون المعنى أن يضرب مثلا بعوضة وقيل ليس هي بصلاة بل هي للإيهام والكرة والبعوض صفار البق وهو من عجيب خلق الله تعالى فإنه في غاية الصغر وله خرطوم مجوف وهو مع صغره يعوض خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجل فيبلغ منه الغاية حتى أن الجمل يموت من قرصه * فما فوقها يعني الذباب والنعكوت وما هو أعظم منهما في الجثة وقيل معناه فادونها وأصغر منها وهذا القول أشبه بالآية لأن الغرض بيان أن الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الصغير الحقير وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا بجناح البعوضة وهو أصغر منها وقد ضربت العرب المثل بالمحقرات فقيل هو أحقر من ذرة وأجمع من نملة وأطيش من ذبابة وألح من ذبابة ﴿ فأما الذين آمنوا ﴾ يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ﴿ فيعلمون أنه ﴾ يعني ضرب المثل ﴿ الحق ﴾ يعني الصدق ﴿ من ربهم ﴾ الثابت الذي لا يجوز إنكاره لأن ضرب المثل من الأمور المستحسنة في العقل وعند العرب ﴿ وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ أي بهذا المثل

والحق الثابت الذي لا يسوغ أنكاره يقال حق الأمر إذا ثبت ووجب (من ربهم) في موضع نصب على الحال والعامل معنى الحق وذو الحال الضمير المستتر فيه (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) ويوقف عليه إذ لو وصل إصراع ما بعده صفة له وليس كذلك وفي قولهم ماذا أراد الله بهذا مثلا استحقاق كإقالت عائشة رضي الله عنها في عبد الله بن عمرو يا عجب لابن عمرو هذا محقرة له ومثلا نصب على التمييز أو على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وأما حرف فيه معنى الشرط ولذا يجاب بالفاء وفأنته في الكلام أن يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فأذا قصدت توكيده وأنه لا محالة ذاهب قلت أما زيد فذهب ولذا قال سيويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير يفيد كونه تأكيدا وأنه في معنى

ويقال مادونها (فأما الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (فيعلمون أنه) يعني المثل (الحق) أي هو الحق (من ربهم وأما الذين كفروا)

محمد والقرآن (فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) أي بهذا المثل قل يا محمد إن الله أراد بهذا المثل أنه (يضل)

الشرط وفي اراد الجملتين مصدرتين به وأن لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احاد عظيم لاسر
المؤمنين واعتداد ببلغ بعلمهم أنه الحق ونعى على الكافرين اغفالهم حظههم ورميهم بالكلمة الحقاء وماذا فيدوجهان أن
يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي وما استفهاما فيكون كئيبين وأن تكون ذامر كبة مع ما مجملتين اسما واحدا للاستفهام
فيكون كلمة واحدة فاعلى الاول رفع بالابتداء وخبره ذامع صلته أى أراد والعائد محذوف وعلى الثانى منصوب المحل بأراد
والتقدير أى شىء أراد الله والارادة مصدر أردت الشىء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وهى عند المتكلمين معنى
يقتضى تخصيص المفعولات بوجه دون وجه والله تعالى موصوف بالارادة على الحقيقة عند أهل السنة وقال معتزلة بغداد أنه
تعالى لا يوصف بالارادة على الحقيقة فأذا قيل أراد الله كذا فأن كان فعله فعنائه أنه فعل وهو غير ساه ولا مكره عليه
وأن كان فعل غيره فعنائه أنه أمر به (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا) جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما
وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وأن العلم بكونه حقا من باب الهدى
وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة ﴿٩١﴾ وأهل الهدى كثير {سورة البقرة} فى أنفسهم وأما يوصفون بالقلّة

بالقياس الى اهل الضلال
ولان القليل من المهتدين
كثير فى الحقيقة وأن قلوبوا
فى الصورة أن الكرام كثير
فى البلاد وأن قلوبوا كما
غيرهم قل وان كثروا
والاضلال خلق فعل
الضلال فى العبد والهداية
خلق فعل الاهتداء هذا
هو الحقيقة عند أهل السنة
وسياق الآية لبيان أن ما
استنكره الجهلة من الكفار
واستغربوه من ان تكون

ذا اسما واحدا بمعنى أى شىء منصوب المحل على المفعولية مثل ما أراد الله والاحسن
فى جوابه الرفع على الاول والنصب على الثانى ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع
النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه وتقال للقوة التى هى مبدأ النزوع والاول
مع الفعل والثانى قبله وكلا المعنيين غير متصورات صاف البارى سبحانه وتعالى به ولذلك
اختلف فى معنى ارادته سبحانه وتعالى فقيل ارادته لافعاله أنه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره
أمره بها فعلى هذا لم تكن المعاصى بأرادته وقيل علمه باشمال الامر على النظام الاكل والوجه
الاصح فأنه يدعو القادر الى تحصيله والحق أنه ترجيح أحد مقدوريه على الآخر
وتخصيصه بوجه دون وجه أو معنى يوجب هذا الترجيح وهى أعم من الاختيار فأنه
ميل مع تفضيل وفى هذا استحقاق واستبدال ومثالا نصب على التمييز أو الحال كقوله هذه
نافذة الله لكم آية ﴿يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا﴾ جواب ماذا أى أضلال كثير
وأهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد أو بيان للجملتين
المصدرتين بأما وتسجيل بأن العلم بكونه حقا هدى وبيان وأن الجهل بوجه اراده

﴿يضل به كثيرا﴾ أى من الكفار وذلك أنهم يكذبونه فيزدادون به ضلالا
﴿ويهدى به كثيرا﴾ يعنى المؤمنين يصدقونه

الاستنكار والاستغراب لان التمثيل أعما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى وأدناه المتوهم من المشاهد فأن كان الممثل له عظيما
كان الممثل به كذلك وأن كان حقيرا كان الممثل به كذلك ألا ترى ان الحق لما كان واخفا جليا تمثل له بالضياء والنور
وان الباطل لما كان بضد صفته تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التى جعلها الكفار أنداد الله لاحتاح أحقر منها وأقل
ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها فى الضعف والوهن وجعلت أقل من الذباب وضربت لها البعوضة فالذى دونها مثلا
لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للممثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب فى تمثيله محق فى قوله سائق للئيل على
قضية مضربه وبيان أن المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والنظر فى الامور بناظر العقل اذا سمعوا بهذا التمثيل علموا أنه الحق
وأن الكفار الذين غلب الجهل على عقولهم كارتوا وعاندوا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وأن ذلك سبب هدى
المؤمنين وضلال الفاسقين والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور وخشاش
الارض فقالوا أجمع من زرة وأجرا

(يضل به كثيرا) من اليهود عن الدين (ويهدى به كثيرا)

من الذباب وأسمع من قراد وأضعف من فراشة وآكل من السوس وأضعف من البعوضة وأعز من مخ البعوض ولكن دينن المحجوج والمبهوت أن يرضى { الجزء الاول } لفرط الحيرة ﴿ ٩٢ ﴾ بدفع الواضح وانكار اللامع (وما يضل به

ألا الفاسقين) هو مفعول يضل وليس منصوب على الاستثناء لان يضل لم يستوف مفعوله والفسق الخروج عن القصد وفي الشريعة الخروج عن الامر بأرتكاب الكبيرة وهو النزاع بين المنزلتين أى بين منزلة المؤمن والكافر عند المعتزلة وسير عليك ما يبطله أن شاء الله (الذين يتقضون عهد الله) النقض الفسخ وفك التركيب والعهد الموثق والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعتنون أو منافقهم أو الكفار جميعا وعهد الله ما ركز في عقولهم من الحججة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم اذا بعث اليهم رسول يصدق الله بمحجزاته صدقوا واتبعوه ولم يكتموا ذكره أو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة عهود العهد الاول الذى أخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بأن يقرؤا بربوبيته وهو قوله تعالى واذا أخذ ربك من بنى

والانكار لحسن مورده ضلال وفسق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى أنفسهم لا بالقياس الى مقابلهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى أهل الضلال كما قال سبحانه وتعالى وقليل من عبادى الشكور ويحتمل أن يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال

قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا

وقال أن الكرام كثير في البلاد وأن قلوبا غيرهم قل وأن كثروا

﴿ وما يضل به ألا الفاسقين ﴾ أى الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى أن المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن فشرها اذا خرجت وأصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوارا

والفاسق فى الشرع الخارج عن أمر الله سبحانه وتعالى بأرتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث * الاولى التغابى وهو أن يرتكبها أحيانا مستقبها أياها والثانية الانهماك وهو أن يعتاد ارتكابها غير مبال بها * والثالثة الجحود وهو أن يرتكبها مستصوبا أياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربة الايمان من عنقه ولا بس الكفر ومادام هو فى درجة التغابى أو الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذى هو مسمى الايمان لقوله تعالى وأن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجوده جموله قسما ثالثا نازلا بين منزلة المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما فى بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتسا على صفة الفسق يدل على أنه الذى أعدهم للاضلال وأدى بهم الى الضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق وأصرارهم بالباطل صرفت وجوه أفكارهم عن حكمة المثل الى حقارة المثل به حتى رسخت به جهالتهم وأزدادت ضلالتهم فأنكروه واستهزؤا به وقروا يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع ﴿ الذين يتقضون عهد الله ﴾ صفة للفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب وأصله فى طاقات الحبل واستعماله فى أبطال العهد من حيث أن العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط أحد المتعاهدين بالآخر فأن أطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وأن ذكر مع العهد كان رمزا الى ماهو من روادفه وهو أن العهد حبل فى ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس أقرانه وعالم يفترف منه الناس فأن فيه تنيها على أنه أسد فى شجاعته بجر بالنظر الى أفادته * والعهد الموثق ووضع لما من شأنه أن يراعى ويتعهد كالموصية واليمين ويقال للدار من حيث أنها تراعى بالرجوع

ويعلون أنه حق ﴿ وما يضل به ألا الفاسقين ﴾ يعنى الكافرين وقيل المنافقين وقيل اليهود والفسق الخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصفهم فقال تعالى ﴿ الذين يتقضون ﴾ أى يخالفون ويتركون * وأصل النقض الفسخ وفك المركب ﴿ عهد الله ﴾

آدم الاية وعهد خص به النبيين أن يبلغوا الرسالة ويقبوا الدين وهو قوله تعالى واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به (أى)

من المؤمنين (وما يضل به) بالمثل (ألا الفاسقين) اليهود (الذين يتقضون عهد الله) فى هذا النبي صلى الله عليه

العلماء وهو قوله تعالى واخذ الله ميثاق الذين اتوا الكتاب لئيبينه للناس ولا تكتمونه (من بعد ميثاقه) أصله من الوثاقة وهي احكام الشئ والضمير للعهد ﴿٩٣﴾ وهو ما وثقوا به { سورة البقرة } عهد الله من قبوله والزامه

انفسهم ويجوز أن يكون بمعنى توثقتهم كما أن الميعاد بمعنى الوعد أو الله تعالى أي من بعد توثقتهم عليهم ومن لا ابتداء الغاية (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل هو قطعهم الارحام وموالاته المؤمنين أو قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة و الاجتماع على الحق في أيامهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل بقول مخصوص على سبيل الاستعلاء وما نكرة موصوفة أو بمعنى الذي وأن يوصل في موضع جبر بدل من الهاء أي بوصله أو في موضع رفع أي هو أن يوصل (ويفسدون في الارض) بقطع السبيل والتعويق عن الايمان (أولئك) مبتدأ (هم) فصل والخبر (الخاسرون) أي المغبونون حيث استبدلوا النقص بالوفاء والقطع باوصل والفساد بالصالح والعقاب بالثواب وسلم (من بعد ميثاقه) تغليظه وتشديده وتأكيده (ويقطعون ما أمر الله به) من الايمان والارحام وأن يوصل) بمحمد (ويفسدون

اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد أما العهد المأخوذ بالعتل وهو الحجة القائمة على عبادة الدالة على توحيد ووجوب وجوده وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وعليه أول قوله تعالى وأشهدهم على انفسهم أو المأخوذ بالرسول على الامم بأنهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمحجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا أمره ولم يخالفوا حكمه واليه أشار بقوله تعالى واذا اخذ الله ميثاق الذين اتوا الكتاب ونظائر وقيل عهد الله تعالى ثلاثة عهد أخذ على جميع ذرية آدم بأن يقرؤا بربوبيته وعهد أخذ على النبيين بأن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد أخذ على العلماء بأن يبينوا الحق ولا يكتموه ﴿٩٣﴾ من بعد ميثاقه ﴿٩٣﴾ الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب أو ما وثقوا به من الالتزام والقبول ويحتمل أن يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فإن ابتداء النقص بعد الميثاق ﴿٩٣﴾ ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ﴿٩٣﴾ يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله سبحانه وتعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاته المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما يرضى خيرا أو تعطى شر فإنه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فإنه مما يؤمر به كما قيل له شأن وهو الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على أنه بدل من ما أو ضميره والثاني أحسن لفظا ومعنى ﴿٩٣﴾ ويفسدون في الارض ﴿٩٣﴾ بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العلم وصلاحيه ﴿٩٣﴾ أولئك هم الخاسرون ﴿٩٣﴾ الذين خسروا بأهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الابدية واستبدال الانكار والظعن في الآيات بالايمان بها والنظر في حقائقها والاقبال من أنوارها واشتراء النقص بالوفاء

أي أمر الله وأصل العهد حفظ الشئ ومراعاته حالا بعد حال ﴿٩٣﴾ من بعد ميثاقه ﴿٩٣﴾ أي من بعد عقده وتوكيده وفي معنى هذا العهد أقوال ﴿٩٣﴾ أحدها أنه الذي أخذه عليهم يوم الميثاق وهو قوله تعالى ألسنت بربكم قالوا بلى الثاني المراد به الذي أخذه على أخبار اليهود في التوراة أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويبنوا نعتيه وصفته الثالث المراد به الكفار والمنافقون الذين نقضوا عهدها أبرمها الله تعالى وأحكمه بما أنزل في كتابه من الآيات الدالة على توحيد ﴿٩٣﴾ ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ﴿٩٣﴾ يعني الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود وقيل أراد به قطع الارحام التي أمر الله بوصلها ﴿٩٣﴾ ويفسدون في الارض ﴿٩٣﴾ يعني بالمعاصي وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ﴿٩٣﴾ أولئك هم الخاسرون ﴿٩٣﴾ أي المغبونون وأصل الخسار النقص ﴿٩٣﴾ ثم قال تعالى لمشركي العرب

في الارض) بتعويق الناس عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (أولئك هم الخاسرون) المغبونون بذهاب

(كيف تكفرون بالله) معنى {الجزء الاول} الهمزة التي في كيف ﴿٩٤﴾ مثله في قولك أنكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن

والفساد بالصالح والعقاب بالثواب ﴿كيف تكفرون بالله﴾ استخبار فيه أنكار وتعجب لكفرهم بأنكار الحلال التي يقع عليها على الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فإذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزام ذلك أنكار وجوده فهو أبلغ وأقوى في أنكار الكفر من أنكفرون وأوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريق الالتفات ووجههم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى أخبروني على أي حال تكفرون ﴿وكنتم أمواتا﴾ أي أجساما لا حياة لها عناصر وأغذية وأخلاقا ونظفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة ﴿فأحياكم﴾ بخلق الارواح ونفخها فيكم وأما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير مترخ عنه بخلاف البواقي ﴿ثم يميتكم﴾ عند تقضى آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ بالنشور يوم نفخ الصور أو للسؤال في القبور ﴿ثم اليه ترجعون﴾ بعد الحشر فيجازيكم بأعمالكم أو تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فأن قيل أن علوا أنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم يميتهم لم يعلموا أنه يحييهم ثم اليه يرجعون * قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة عليهم في اراحة الذر سببا وفي الآية تنبيه على ما يدل على صحتها وهو أنه سبحانه وتعالى لما قدر على أحيائهم ولا قدر على ان يحييهم ثانيا فأن بدأ الخلق ليس بأهون عليه من أعادته أو الخطاب مع القبلين فأن سبحانه وتعالى لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان وأوعدهم على الكفر أكد ذلك بأن عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقم صدور الكفر منهم واستبداه عنهم مع تلك النعم الجليلة فأن عظم النعم بوجب عظم معصية المنعم فأن قيل كيف تمد الامانة من النعم المقتضية للشكر * قلت لما كانت وسعة الى الحياة الثانية التي هي الحياة الحقيقية كإقال الله سبحانه وتعالى وأن الدار الآخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع أن المددود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة بأسرها كأن الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فأن بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح أن يقع حالا أو مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم أمواتا أي جهالا فأحياكم بما أعادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحياة الحقيقية ثم اليه ترجعون فينصركم بعلا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحياة حقيقة في القوة الحساسة أو ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجازا

على وجه التعجب لكن فيه تبيك وتعنيف لهم ﴿كيف تكفرون بالله﴾ يعني بعد نصب الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته ثم ذكر الدلائل فقال تعالى ﴿وكنتم أمواتا﴾ يعني نظفا في أصلاب آباءكم ﴿فأحياكم﴾ يعني في الارحام والدينا ﴿ثم يميتكم﴾ أي عند انقضاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ يعني بعد الموت للبعث ﴿ثم اليه ترجعون﴾ أي تردون في الآخرة فيجزىكم بأعمالكم ﴿قوله عز وجل

الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار والتعجب ونظيره قولك تطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح والواو في (وكنتم أمواتا) نظفا في أصلاب آباءكم للحال وقد مضى الموت والاموات جميع ميت كالأقوال جمع قول ويقال لعادم الحياة أصلا ميت أيضا كقوله تعالى بلدة ميتا (فأحياكم) في الارحام (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) للبعث (ثم اليه ترجعون) تصيرون الى الجزاء أو ثم يحييكم في قبوركم ثم اليه ترجعون للنشور وأما كان العطف الاول بالفاء والبواقي بـثم لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بالترخ وأما الموت فقد ترخى عن الحياة والحياة الثانية كذلك ترخى عن الموت أن أريد النشور وأن أريد أحياء القبر فنه يكتسب العلم بتاريخه والرجوع الى الجزاء أيضا مترخ عن النشور وإنما أنكر اجتماع

الدينا والآخرة (كيف تكفرون بالله) على وجه التعجب (وكنتم أمواتا) نظفا في أصلاب آباءكم (فأحياكم) في أرحام

أمهاتكم (ثم يميتكم) عند انقطاع آجالكم (ثم يحييكم) للبعث (ثم اليه ترجعون) في الآخرة فيجزىكم بأعمالكم ثم (هو)

آيات بنات تصرفهم عن الكفر ولانها تشتمل على نعم حسام حقها أن تشكر ولا تكفر (هو الذي خلق لكم ما في الارض) أى لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم أما الاول فظاهر وأما الثاني فالنظر فيه وما فيه من العجائب الدالة على صانع قادر حكيم عليم وما فيه من التذكير بالآخرة لان ملاذها تذكر ثوابها ومكارها تذكر عقابها وقد استدل الكرخي وأبو بكر الرازي والمعتزلة بقوله خلق لكم على أن الاشياء التي يصح أن ينفع بها خلقت مباحة في الاصل (جميعا) نصب على الحال من ما (ثم استوى الى السماء) الاستواء الاعتدال

والاستقامة يقال استوى العود قام واعتدال ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل أى قصده قصدا مستويا من غير أن يلوى على شئ ومنه قوله تعالى ثم استوى

ذكرمنة عليهم فقال (هو الذي خلق لكم) سخر لكم (ما في الارض) من الدواب والنبات وغير ذلك (جميعا) منة منه (ثم استوى الى السماء) أى ثم عمد الى خلق

في النومة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايان من حيث أنها كالجواهر والموت بأزائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال سبحانه وتعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها وقال أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها البراري تعالى أريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا أو معنى قائم بذاته يقتضى ذلك على الاستعارة وقرأ يعقوب ترجمون بفتح التاء في جميع القرآن ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ﴾ بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فأنها خلقتهم أحياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح أبدانكم بوسط أو بغير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلايها من لذات الآخرة وآلامها لا على وجه الغرض فأن الفاعل لغرض مستكمل به بل على أنه كالغرض من حيث أنه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضى أباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فإنه يدل على أن الكل للكل لأن كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض لا الارض ألا اذا أريد بها جهة السفلى كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثاني ﴿ ثم استوى الى السماء ﴾ قصد اليها بأرادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير أن يلوى على شئ وأصل الاستواء طلب السواء وأطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهران

والاول أوفق للاصل والصلة المعنى بها والتسوية المترتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العاوية أو جهات العلو ﴿ ثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق اسماء على خلق الارض كقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا لا للترخي في الوقت فإنه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فإنه يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها ألا أن تستأنف بدحاها مقديرا لنصب الارض فعلا آخر دل عليه أنتم أشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر أمرها

﴿ هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ﴾ يعنى من المعادن والنبات والحيوان والحيال والبحار والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الارض جميعا لتذنبوا به في مصالح الدين والدنيا أما مصالح الدين فهو الاعتبار والفكر في عجائب مخلوقات الله تعالى الدالة على وحدانيته وأما مصالح الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها ﴿ ثم استوى الى السماء ﴾ أى قصد وأقبل على خلقها وقيل عمد وقال ابن عباس ارتفع وفي رواية عنه صعد قال الازهرى معناه صعد أمره وكذا ذكره صاحب المحكم وذلك أن الله

إلى السماء أرى أقبل وعمد إلى خلق السموات بعدما خلق ما في الأرض من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهة العلو كأنه قيل ثم استوى إلى فوق والضمير في (فسواهن) مبهم بفسره (سبع سموات) كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع إلى السماء ولفظها { الجزء الأول } واحد ﴿ ٩٦ ﴾ ومعناها الجمع لأنها في معنى الجنس ومعنى تسويتهن

بمد ذلك لكنه خلاف الظاهر ﴿ فسواهن ﴾ عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفظور وهن ضمير السماء أن فسرت بالأجرام لأنه جمع أو هو في معنى الجمع والأفهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا ﴿ سبع سموات ﴾ بدل أو تفسير * فإن قيل أليس أن أصحاب الارصاد أثبتوا تسعة أفلاك * قلت فيما ذكره شكوك وأن صح فليس في الآية نفي الزائد مع أنه أن ضم إليها العرش والكرسى لم يبق خلاف ﴿ وهو بكل شيء عليم ﴾ فيه تعليل كأنه قال ولكونه عالما بكنهه الأشياء كلها خلق ما خلق على هذا النظم الاكمل والوجه الانفع * واستدلال بأن من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فإن اتقان الافعال وأحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور إلا من حكيم عليم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من أن الابدان بعد ما تبددت وتفتتت أجزاءها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع أجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشدشئ منها ولا يضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله سبحانه وتعالى وهو بكل خلق عليم * واعلم أن صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الآيتين * اما الاولى فهي أن مواد الابدان قابلة للجمع والحياة وأشار إلى البرهان عليها بقوله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم فإن تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحياة عليها يدل على أنها قابلة لها بذاتها وما بالذات يأبى أن يزول ويتغيره وأما الثانية والثالثة فإنه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها وحياتها وأشار إلى وجه اثباتهما بأنه سبحانه وتعالى قادر على أبدانهم وأبدانها هو أعظم خلقا وأعجب صنعا فكان أقدر على اعادتهم وأحيائهم وأنه تعالى خلق ما خلق خلقا مستويا تحكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهى علمه وكال حكمته تعالى خلق الأرض أولا ثم عمد إلى خلق السماء * فإن قلت كيف الجمع بين هذا وقوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها * قلت الدحو البسط فيحتمل أن الله تعالى خلق جرم الأرض ولم يبسطها ثم خلق السماء وبسط جرم الأرض بعد ذلك * فإن قلت هذا مشكل أيضا لأن قوله تعالى خلق لكم ما في الأرض جميعا يقتضى أن ذلك لا يكون إلا بعد الدحو * قلت يحتمل أنه ليس هنا ترتيب وإنما هو على سبيل تعداد النعم كقول الرجل لمن يذكره ما أنعم به عليه ألم أعطك ألم أرفع قدرك ألم أدفع عنك ولعل بعض هذه النعم متقدمة على بعض والله أعلم ﴿ فسواهن سبع سموات ﴾ خلقهن سبع سموات مستويات لاصدع فيها ولا فطور وسيأتي ذكر خلق الأرض عند قوله تعالى قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين في صورة حم السجدة أن شاء الله تعالى ﴿ وهو بكل شيء عليم ﴾ يعنى يعلم الجزئيات

تتمديد خلقهن وتقويمه واخلاعه من العوج والفتور أو أتمام خلقهن وتم هنا لبيان فضل خلق السموات على خلق الأرض ولا يناقض هذا قوله والأرض بعد ذلك دحاها لأن جرم الأرض تقدم خلقه خلق السماء وأما دحوها فتأخر وعن الحسن خلق الله الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملترق بهائم أصد الدخان وخلق منها السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض فذلك قوله تعالى كأننا رتقا وهو الاتراق (وهو بكل شيء عليم) فمن ثم خلقهن خلقا مستويا تحكما من غير تفاوت مع خلق ما في الأرض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم وهو وأخواته مدني غير ورش وأبو عمرو وعلى جعلوا الواو كأنها من نفس الكلمة فصار بمنزلة عضدوهم بقولون في عضد عضد بالسكون ولما خلق الله تعالى الأرض أسكن فيها الجن وأسكن في السماء الملائكة فأفادت

الجن في الأرض فبعث إليهم طائفة من الملائكة فطردهم إلى جزائر البحار ورؤس الجبال وأقاموا ﴿ كما ﴾

السماء (فسواهن) فجعلهن (سبع سموات) مستويات على الأرض (وهو بكل شيء) من خلق السموات والأرض (عليم) ثم ذكر قصص الملائكة الذين أمروا بالسجود لآدم فقال

مكانهم فأمر نبيه عليه السلام أن يذكر قصتهم ﴿٩٧﴾ فقال (وأذقال ربك ﴿سورة البقرة﴾ للملائكة) اذنصب بأضمار اذ كر

والملائكة جمع ملائكة
كالشمائل جمع شمال والحاق
التاء لتأنيث الجمع (أنى
جاعل) أى مصير من
جعل الذى له مفعولان
وهما (فى الارض خليفة)
وهو من يخلف غيره فعيلة
بمعنى فاعلة وزيدت الهاء
للمبالغة والمعنى خليفة منكم
لانهم كانوا سكان الارض
فخلفهم فيها آدم وذريته
ولم يقل خلائف أو خلفاء
لانه أريد بالخليفة آدم
واستغنى بذكره عن ذكر
بنيه كما تستغنى بذكر أبى
القييلة فى قولك مضر
وهاشم أو أريد من يخلفكم
أو خلفا يخلفكم فوحد
لذلك أو خليفة منى لان آدم
كان خليفة الله فى أرضه
وكذلك كل نبي قال الله تعالى
ياداود أنا جعلناك خليفة
فى الارض وأما أخبرهم
بذلك ليسألوا ذلك السؤال
ويجابوا بما أجيبوا به فيعرفوا
حكيمته فى استخلافهم قبل
كونهم أو يعلم عباده المشاورة
فى أمورهم قبل أن يقدموا
عليها وأن كان هو بقله
وحكيمته البالغة غنيا عن

(وأذ قال) وقد قال
(ربك للملائكة) الذين
كانوا فى الارض (أنى جاعل)
خالق أخلق (فى الارض)

جلت قدرته ودقت حكمته وقدسكن نافع وأبو عمرو والكسائى الهاء من نحو فهو
وهو تشبيهه باله بعضد ﴿٩٧﴾ وأذقال ربك للملائكة أنى جاعل فى الارض خليفة ﴿٩٧﴾ تعداد
لنعمة ثلاثة تعم الناس كلهم فأن خلق آدم وأكرامه وتفضيله على ملائكته بأن أمرهم
بالسجود أنعام بعم ذريته واذظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه أخرى كماوضع
اذا لزمان نسبة مستقبلية يقع فيه أخرى ولذلك يجب إضافتهما الى الجمل كيث فى المكان
وبينا تشبيها لهما بالموصلات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلها النصب أبدا
بالظرفية فأنهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه وأما قوله تعالى واذكر أخطاء
اذا نذر قومه ونحوه فعلى تأويل اذ ذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث وأقيم
الظرف مقامه وعامله فى الآية قالوا أو اذ كر على التأويل المذكور لانه جاء معمولا له
صريحا فى القرآن كثيرا أو ضمردل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم
اذقال وعلى هذا فالجمل معطوفة على خلق لكم داخلية فى حكم الصلة وعن معمر أنه من زيد
والملائكة جمع ملائكة على الاصل كالشمائل جمع شمال والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب مالك
من الالوكة وهى الرسالة لانهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس فهم رسل الله سبحانه وتعالى
أو كالرسل اليهم واختلف الناس فى حقيقتهم بعد اتفاقهم على أنها ذوات موجودة قائمة
بأنفسها فذهب أكثر المسلمين الى أنها أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة
مستدلين بأن الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هى النفوس الفاضلة
البشرية المفارقة للأبدان وزعم الحكماء أنها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة فى الحقيقة
منقسمة الى قسمين شأنهم الاستغراق فى معرفة الحق سبحانه وتعالى والتزه عن الاشتغال

كايعلم الكليات ﴿٩٧﴾ قوله تعالى ﴿٩٧﴾ وأذ قال ربك ﴿٩٧﴾ أى واذكر يا محمد أذقال ربك وكل
ماورد فى القرآن من هذا النحو فهذا سبيله وقيل اذ زائدة والاول أوجه ﴿٩٧﴾ للملائكة ﴿٩٧﴾
جميع ملك وأصله مالك من المألركة والالوكة وهى لفظ البغوى وهى الرسالة وأراد
بالملائكة الذين كانوا فى الارض وذلك أن الله تعالى خلق الارض والسماء وخلق الملائكة
والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الارض فعبدوا دهرها طويلا ثم ظهر فيهم
الحسد والبغى فأفسدوا واقتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة يقال لهم الجنان
ورأسهم أبلوس وهم خزان الجنان فهبطوا الى الارض وطردوا الجن الى جزائر البحور
وشعوب الجبال وسكنوهم الارض وخفف الله عنهم العبادة وأعطى الله أبلوس ملك
الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان رئيسهم ومرشدهم وأكثرهم علما
فكان يعبد الله تارة فى الارض وتارة فى السماء وتارة فى الجنة فدخله العجب وقال فى نفسه
مأعطانى الله هذا الملك الألاتنى أكرم الملائكة عليه فقال له ولجنده ﴿٩٧﴾ أنى جاعل
فى الارض خليفة ﴿٩٧﴾ أى أنى خالق خليفة يعنى بدلامنكم ورافعكم الى فكرهوا ذلك
لانهم كانوا أهون الملائكة عبادة والمراد بالخليفة هنا آدم عليه الصلاة والسلام لانه
خلف الجن وجاء بعدهم وقيل لانه يخلفه غيره والصحيح أنه أنما سمي خليفة لانه خليفة

بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال سبحانه وتعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقرَّبون وقسم بدر الاحمر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات أمرافنهم سماوية ومنهم أرضية على تفصيل أثبتته في كتاب الطواع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم الخصاص وقيل ملائكة الارض وقيل أبلّيس ومن كان معه في محاربة الجن فإنه تعالى أسكنهم في الارض أو لافأفسدوا فيها فبعث عليهم أبلّيس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزائر والجبال* وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة أعمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعمد على مسند اليه ويجوز أن يكون بمعنى خالق* والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه الصلاة والسلام لانه كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبي استخلفهم الله في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم للحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقى أمره بغير وسط ولذلك لم يستنبي ملكا كما قال الله سبحانه وتعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا لأتري أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام لما فاقت قوتهم واشتملت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار أرسل اليهم الملائكة ومن كان منهم أعلى رتبة كلمة بلا واسطة كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام في الميقات ومجدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة أن العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الفُضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطى ذلك أو خليفة من سكن الارض قبله أو هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم أو يخلف بعضهم بعضا وأفراد اللفظ أما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغنى بذكر أبي القيسلة في قولهم مضر وهاشم أو على تأويل من يخلفكم أو خلقا يخلفكم وفائدة قوله هذه الملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شأن الجمول بأن بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه وأظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاصد بسؤالهم وجوابه وبين أن الحكمة تقتضى إيجاد ما يغلّب خيره فأن ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شرك كثير الى غير ذلك ﴿ قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ تجب من أن يستخلف لعمارة الارض وأصلاحها من يفسد فيها أو يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاصد والقنها واستخبار عما يرشدهم ويزجج شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله سبحانه وتعالى ولا طعن في نبي آدم على وجه الغيبة فأنهم أعلى من أن يظن بهم ذلك لقوله سبحانه وتعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وأنما عرفوا ذلك بأخبار من الله سبحانه وتعالى أو تلقى

المشاورة (قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها) تجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يجهل وأنما عرفوا ذلك بأخبار من الله تعالى أو من جهة اللوح أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر (ويسفك الدماء) أى يصب والواو في

من الارض (خليفة) بدلا منكم (قالوا أنجعل فيها) أتخلق فيها (من يفسد فيها) بالمعاصي (ويسفك الدماء)

الله في أرضه لاقامة حدوده وتنفيذ قضاياه ﴿ قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها ﴾ أى بالمعاصي ﴿ ويسفك الدماء ﴾ أى بغير حق كما فعل الجن ﴿ فأن قلت من أين عرفوا ذلك

من اللوح أو استنباط مما ركز في عقولهم أن العصمة من خواصهم أو قياس لاحد الثقلين على الآخر * والسفك والسبك والسفح والشن أنواع من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من أعلى والشن في الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرى يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جبل موصولا أو موصوفا محذوفا أى يسفك الدماء فيهم * ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك * حال مقررة لجهة الاشكال كقولك أحسن الى أعدائك وأنا الصديق المحتاج القديم والمعنى أنستخلف عصاة ونحن معصومون أحقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكأنهم علموا أن المجهول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار أمره شهوية وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تؤديه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضى الحكمة أيجاده فضلا عن استخلافه وأما باعتبار القوة العقلية فمخن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا

(ونحن نسبح) للحال كما تقول
أتحسن الى فلان وأنا
أحق منه بالاحسان
(بحمدك) في موضع الحال
أى نسبح حامدين لك
ومتلبسين بحمدك كقوله
تعالى وقد دخلوا بالكفر
أى دخلوا كافرين
(ونقدس لك) ونظهر
أنفسنا لك وقيل التسبيح
والتقديس تبعيد الله من
السوء من سبغ في الارض
وقدس فيها اذا ذهب
بالظلم (ونحن نسبح بحمدك)
نصلى لك بأمرك (ونقدس
لك) ونذكرك بالطهارة

حتى قالوا هذا القول * قلت يحتمل أن يكونوا عرفوا ذلك بأخبار الله أيهم أو قاسوا الشاهد على الغائب وقيل أنهم لما رأوا أن آدم خلق من أخلط مراكبة علموا أنه يكون فيه الحقد والغضب ومنها يتولد الفساد وسفك الدماء فهذا قالوا ذلك وقيل لما خلق الله تعالى النار خافت الملائكة وقالوا لمن خلقت هذه النار قال لمن عصاني فلما قال أنى جاعل في الارض خليفة قالوا هو ذلك * فأن قلت الملائكة معصومون فكيف وقع منهم هذا الاعتراض * قلت ذهب بعضهم الى أنهم غير معصومين واستدل على ذلك بوجوه منها قوله أنجمل فيها من يفسد فيها ومن ذهب الى عصمتهم أجاب عنه بأن هذا السؤال إنما وقع على سبيل التعجب لا على سبيل الانكار والاعتراض فأنهم تعجبوا من كمال حكم الله تعالى وأحاطة علمه بما خفي عليهم ولهذا أجابهم بقوله أنى أعلم ما لا تعلمون وقيل أن العبد المخلص في حب سيده يكره أن يكون له عبد آخر يعصيه فكان سؤالهم على وجه المبالغة في أعظام الله عز وجل * ونحن نسبح بحمدك * أى نقول سبحان الله وبحمده وهى صلاة الخلق وعليها يرزقون (م) عن أبي ذر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أى الكلام أفضل قال ما اطلقى الله لملائكته أو لعبادته سبحان الله وبحمده قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ما جاء في القرآن من التسبيح فالمراد مند الصلاة فيكون المعنى ونحن نصلى لك وقيل أصل التسبيح تنزيه الله عما لا يليق بجلاله فيكون المعنى ونحن ننزهك عن كل سوء ونقيصة ومعنى بحمدك حامدين لك أو متلبسين بحمدك فإنه لولا أنعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك * ونقدس لك * أصل التقديس التطهير أى نطهرك عن النقائص وكل سوء ونصفك بما يليق بعزك وجلالك من العلو

أن التركيب يفيد ما تقصر عنه الآحاد كالأحاطة بالجزئيات واستنباط الضناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه أشار تعالى اجبالا بقوله ﴿قال أنى أعلم ما لا تعلمون﴾ والتسبيح تسبيح الله سبحانه وتعالى عن السوء والنقصان وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وأبعد ويقال قدس اذا ظهر لان مظهر الشئ مبعده عن الاذوار ويحمدك في موضع الحال أى متبسين بحمدك على ما ألهمتنا معرفتك ووقفنا لتسبيحك تداركوا به ما وهم أسناد التسبيح الى أنفسهم وندس لك نظهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كأنهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذى هو أعظم الافعال الذميمة بتطهير

والعظمة واللام صلة وقيل معناه نظهر أنفسنا لطاعتك وعبادتك ﴿قال أنى أعلم ما لا تعلمون﴾ قيل أنه جواب لقول الملائكة أنجمل فيها فقال تعالى أعلم من وجوه المصلحة والحكمة ما لا تعلمون وقيل أعلم أن فيهم من يعبدنى ويطيعنى وهم الانبياء والاولياء والصالحون ومن يعصينى منكم وهو أبلس وقيل أعلم أنهم يذنبون ويستغفرون فأغفر لهم

﴿فصل فى ماهية الملائكة وقصة خلق آدم عليه الصلاة والسلام﴾

قيل أن الملائكة أجسام لطيفة هوائية خلقت من النور تقدر أن تتشكل بأشكال مختلفة مسكنهم السموات عن أبي ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى أرى ما لاترون وأسمع ما لاتسمعون أظت السماء وحق لها أن تظ ما فيها موضع أربع أصابع ألاملك واضع جبهته لله ساجدا أخرجه الترمذى بزيادة وقال حديث حسن غريب وأما صفة خلق آدم عليه الصلاة والسلام فقال وهب بن منبه لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم أوحى الى الارض أنى خالق منك خليفة منهم من بطيعنى ومنهم من يعصينى فمن أطاعنى أدخلته الجنة ومن عصانى أدخلته النار قالت الارض أنخلق منى خلقا يكون للنار قال نعم فبكت الارض فانفجرت منها العيون الى يوم القيامة فبعث الله اليها جبريل ليأتيه بقبضة منها من أحرها وأسودها وطيها وخيشها فلما أتاها ليقبض منها قالت أعوذ بعزة الله الذى أرسلك الى أن لاتأخذ منى شيأ فرجع جبريل الى مكانه وقال يارب استعذت بك منى فكرهت أن أقدم عليها فقال الله تعالى لميكائيل انطلق فأتى بقبضة منها فلما أتاها ليقبض منها قالت له مثل ما قالت لجبريل فرجع الى ربه فقال ما قالت له فقال لعزرائيل انطلق فأتى بقبضة من الارض فلما أتاها قالت له الارض أعوذ بعزة الله الذى أرسلك أن لاتأخذ منى شيأ فقال وأنا أعوذ بعزته أن أعصى له أمر او قبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذبها ومالحها وحلوها ومرها وطيها وخيشها وصعد بها الى السماء فسأله ربه عز وجل وهو أعلم بما صنع فأخبره بما قالت له الارض وبما ورد عليها فقال الله تعالى وعزتى وجلالى لا أخلقن مما جئت به خلقا ولا أسطنتك على قبض أرواحهم لقله رحمتك ثم جعل الله تلك القبضة نصفها فى الجنة ونصفها فى النار ثم تركها ما شاء الله ثم أخرجها

فيها وأبعد (قال أنى أعلم ما لا تعلمون) أى أعلم من الحكم فى ذلك ما هو خفى عليكم يعنى يكون فيهم الانبياء والاولياء والعلماء وما يعنى الذى وهو مفعول أعلم والمعاند محذوف أى ما لا تعلمونه أنى (قال أنى أعلم) ما يكون من ذلك، الخليفة (ما لا تعلمون

حجازي وأبو عمرو (وعلم آدم) هو ﴿١٠١﴾ اسم أعجمي وأقرب {سورة البقرة} أسره أن يكون على فاعل

كآزر واشتقاقهم آدم
من أديم الارض أو من
الادمة كاشتقاقهم يعقوب
من العقب وأدريس من
الدرس وأبليس من الابلاس
(الاسماء كلها) أي أسماء
المسميات فحذف المضاف
اليه لكونه معلوما مدلولاً
عليه بذكر الاسماء اذ
الاسم يدل على المسمى
وعوض منه اللام كقوله
تعالى واشتعل الرأس شيباً
ولا يصح أن يقدر وعلم آدم
مسميات الاسماء على حذف
المضاف وأقامة المضاف اليه
مقامه لان التعليم تعلق
بالاسماء لا بالمسميات لقوله
تعالى أنبئوني بأسماء هؤلاء
وأنبئهم بأسمائهم ولم يقل
أنبئوني بهؤلاء وأنبئهم
بهم ومعنى تعليمه أسماء
المسميات أنه تعالى أراه
الاجناس التي خلقها وعلمه
أن هذا اسمه فرس وهذا
اسمه بعير وهذا اسمه كذا
وهذا اسمه كذا وعن ابن
عباس رضي الله عنهما علمه
اسم كل شيء حتى القصعة

وعلم آدم الاسماء كلها
اسماء الذرية ويقال اسماء
الدواب وغير ذلك حتى
القصعة والقصعة

النفس عن الآثام وقيل تقدسك واللام مزيدة ﴿١٠١﴾ وعلم آدم الاسماء كلها ﴿١٠١﴾ أما يخلق
علم ضروري بها فيه أو ألقاه في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل * والتعليم
فعل يترتب عليه العلم غالباً ولذلك يقال علمته فلم يعلم * وآدم اسم أعجمي كآزر وشالح

فجعلها طينا لازبامدة ثم جأسنونا مائة ثم صلصالا ثم جعلها جسدا وألقاه على باب الجنة
فكانت الملائكة يعجبون من صفة صورته لانهم لم يكونوا رأوا مثله وكان إبليس يمر عليه
ويقول لامرما لخلق هذا ونظر اليه فإذا هو أجوف فقال هذا خلق لا يملك وقال يوماً
للملائكة أن فضل هذا عليكم ما تصنعون فقالوا نطيع ربنا ولا نعصيه فقال إبليس
في نفسه لئن فضل علي لأعصينه ولئن فضلت عليه لأهلكته فلما أراد الله تعالى أن ينفخ
فيه الروح أمرها أن تدخل في جسد آدم فنظرت فرأت مدخلا ضيقا فقالت يارب
كيف أدخل هذا الجسد قال الله عز وجل لها ادخليه كرها وستخرجين منه كرها
فدخلت في يافوخه فوصلت الى عينيه فجعل ينظر الى سائر جسده طينا فسارت الى أن
وصلت متخريه فعضت فلما بلغت لسانه قال الحمد لله رب العالمين وهي أول كلمة قالها
فناداه الله تعالى ربك يا أبا محمد ولهذا خلقتك ولما بلغت الروح الى الركبتين
هم ليقوم فلم يقدر قال الله تعالى خلق الانسان من عجل فلما بلغت الى الساقين والقدمين
استوى قائماً بشراً سوياً لحماً ودماً وعظاماً وعروقاً وعصبا وأحشاء وكسى لباساً من ظفر
يزداد جسده جالاً وحسناً كل يوم وجعل في جسده تسعة أبواب سبعة في رأسه
وهي الاذان يسمع بها والعينان يبصر بها والمنخران يشم بهما والقم فيه اللسان
يتكلم به والاسنان يطحن بها ما يأكله ويجذ لذة المطعومات بها وبابين في أسفل
جسده وهما القبل والذبر يخرج منهما ثقل طعامه وشرابه وجعل عقله في دماغه
وفكره وصرامته في قلبه وشرهه في كليته وغضبه في كبده ورغبته في رسته وضحكه
في طحاله وفرحه وحزنه في وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظمه ويبصر بشحمه وينطق
بلحمه ويعرف بدمه وركب فيه الشهوة وحجزه بالحياء (ق) عن ابى هريرة رضي الله
عنه قال خلق الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام وطوله ستون ذراعاً ثم قال اذهب فسلم على
أولئك نفر من الملائكة فاستمع ما يحيونك به فأنها تحيتك وتحيية ذريتك فقال السلام
عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة
آدم قال فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن (م) عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما صور الله آدم تركه ماشاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطوف
به ينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف أنه لا يملك * عن ابى موسى رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن الله تبارك وتعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع
الارض نجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك
والسهل والحزن والخيث والطيب أخرجه الترمذي وأبو داود ﴿١٠١﴾ قوله عز وجل
﴿١٠١﴾ وعلم آدم الاسماء كلها ﴿١٠١﴾ سمي آدم لانه خلق من أديم الارض وقيل لانه كان
آدم اللون وكنيته أبو محمد وقيل أبو البشر * ولما خلق الله آدم وتم خلقه علمه أسماء الاشياء

واشتقاقه من الادمه أو الادمه بالفتح بمعنى الاسوة أو من أديم الارض لما روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه سبحانه وتعالى قبض قبضة من جيع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه أخيافاً أو من الادم أو الادمه بمعنى الالفه تعسف كاشتقاق إدريس من الدرر ويعقوب من العقب وأبليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشئ ودليلاً يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفاً في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركباً أو مفرداً مخبراً عنه أو خبراً أو رابطة بينهما واصطلاحاً في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الازمنة الثلاثة والمراد في الآية أما الاول والثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني والمعنى أنه سبحانه وتعالى خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعداً لادراك أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمنجليات والموهومات وألهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها وأسماؤها وأصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آياتها ﴿ ثم عرضهم على الملائكة ﴾ الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمناً اذ التقدير أسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيباً لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما أن أريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء أو مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما شتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهم وعرضها على معنى عرض مسمياتهن أو مسمياتها ﴿ فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء ﴾ بتكيب لهم وتنبه على عجزهم عن أمر الخلافة فأن التصرف والتدبير وأقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالحال والانباء أخبار فيه أعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما ﴿ أن كنتم صادقين ﴾ في زعمكم أنكم أحق بالخلافه لعصمتكم أو أن خلقهم واستخلافهم

كلها وذلك أن الملائكة قالوا ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقاً أكرم عليه منا وأن كان فحن أعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره فأظهر الله فصل آدم عليهم بالعلم وفيه دليل لمذهب أهل السنة أن الانبياء أفضل من الملائكة وأن كانوا رسلاً قال ابن عباس رضى الله عنهما علمه اسم كل شئ حتى القصعة والقصيعة وقيل خلق الله كل شئ من الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم آدم أسماءها كلها فقال يا آدم هذا بئير وهذا فرس وهذه شاة حتى أتى على آخرها وقيل علم آدم أسماء الملائكة وقيل أسماء ذريته وقيل علمه اللغات كلها ﴿ ثم عرضهم ﴾ يعني تلك الاشخاص وأما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان المسميات اذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل عبر عنه بلفظ من يعقل لتغليب العقلاء عليهم كما يعبر عن الذكور والاناث بلفظ الذكور ﴿ على الملائكة فقال ﴾ يعني تعجيزاً لهم ﴿ أنبؤني ﴾ أي أخبروني ﴿ بأسماء هؤلاء ﴾ يعني تلك الاشخاص ﴿ أن كنتم صادقين ﴾ أي أني لم أخلق خلقاً إلا كنتم أفضل منه وأعلم

والمعرفة (ثم عرضهم على الملائكة) أي عرض المسميات وأما ذكر لان في المسميات العقلاء فعليهم وأما استنباهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت (فقال أنبؤني) أخبروني (بأسماء هؤلاء أن كنتم صادقين) في زعمكم أني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء وفيه رد عليهم وبيان أن فيمن يستخلفه من القوائد العلية التي هي اصول القوائد كلها ما يستأهلون والسكرجة (ثم عرضهم) على مذهب الشخصوس (على الملائكة) الذين أسروا بالسجود (فقال أنبؤني) أخبروني (بأسماء هؤلاء) الخلق والذرية (أن كنتم صادقين) في مقاتلهم الاول

لاجله أن يستخفوا (قالوا سبحانك) تنزيها ﴿١٠٣﴾ لك أن يخفى عليك شئ {سورة البقرة} أو عن الاعتراض عليك

وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم فتيبنوا وهو وأن لم يصر حوايه لكنه لازم مقاتلهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعترى الانشآت ﴿قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾ اعتراف بالعجز والقصور وأشعار بأن سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وأنه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه وأظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه سبحانه وتعالى وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل ألامضا فامنصوبا بأضمار فعله كما ذلل الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر

وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه الصلاة والسلام سبحانك تبك اليك وقال يونس عليه الصلاة والسلام سبحانك أنى كنت من الظالمين ﴿أنك أنت العلم﴾ الذى لا يخفى عليه خافية ﴿الحكيم﴾ المحكم لمبدعته الذى لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة وأنت فصل وقيل تأكيد للكاف كما في قولك مررت بك أنت وأن لم يجز مررت بأنت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جازيا هذا الرجل ولم يجزيا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر أن ﴿قال يا آدم أبئثم بأسمائهم﴾ أى أعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما ﴿فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم أنى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ استحضار لقوله أعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه أيسر ليكون كالجملة عليه فإنه تعالى لما علم ما خفي عليهم من أمور السموات والارض وما ظهر لهم من أحوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو أن يتوقفوا مترصدين لان بين لهم وقيل ما تبدون قولهم أنجمل فيها من ينسد فيها وما تكتمون استبطانهم أنهم أحقاء بالخلافة وأنه سبحانه وتعالى لا يخلق خلقا أفضل منهم وقيل ما ظهروا من الطاعة وأسرأ بليس منهم من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فأفادت الاثبات والتقريب واعلم أن هذه

﴿قالوا﴾ يعنى الملائكة ﴿سبحانك﴾ تنزيها لك وذلك لما ظهر عجزهم ﴿لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾ أى أنك أنت الذى لا يخفى عليك شئ من علمك إلا ما علمتنا ﴿أنك أنت العلم﴾ أى بخلقك وهو من بأسماء الصفات التامة وهو المحيط بكل المعلومات ﴿الحكيم﴾ أى فى أمرك وله معنيان أحدهما أنه القاضى العدل والثانى المحكم للأمر كيلا يتطرق اليه الفساد ﴿قال﴾ يعنى الله تعالى ﴿يا آدم أبئثم بأسمائهم﴾ وذلك لما ظهر عجز الملائكة فسمى كل شئ باسمه وذكر وجه الحكمة التى خلق لها ﴿فلما أنبأهم بأسمائهم قال﴾ يعنى الله تعالى ﴿ألم أنى أقل لكم﴾ يعنى يا ملائكتى ﴿أنى أعلم غيب السموات والارض﴾ يعنى ما كان وما سيكون وذلك أنه سبحانه وتعالى علم أحوال آدم قبل أن يخلقها فلماذا قال لهم أعلم ما لا تعلمون ﴿وأعلم ما تبدون﴾ يعنى قول الملائكة أنجمل فيها ﴿وما كنتم تكتمون﴾ يعنى قولكم لن يخلق الله تعالى خلقا أكرم عليه منا وقال ابن عباس رضى الله عنهما أعلم ما تبدون من الطاعة

في تدبيرك وأفادتنا الآية أن علم الاسماء فوق التخلي للعبادة فكيف بعلم الشريعة وانتصابه على المصدر تقديره سبحت الله تسبيحا (لا علم لنا إلا ما علمتنا) وليس فيه علم الاسماء وما يعنى الذى والعلم يعنى المعلوم أى لا معلوم لنا إلا الذى علمتنا (أنك أنت العلم) غير المعلم (الحكيم) فيما قضيت وقدرت والكاف اسم أن وأنت مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبر أن وأنت فصل والخبر العليم والحكيم خبر ثان (قال يا آدم أبئثم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم) سمي كل شئ باسمه (قال ألم أقل لكم أنى أعلم غيب السموات والارض) أى أعلم ما غاب فيهما عنكم مما كان وما يكون (وأعلم ما تبدون) تظهرون (وما كنتم تكتمون)

(قالوا سبحانك) تبنا اليك من ذلك (لا علم لنا إلا ما علمتنا) الهمتنا (أنك أنت العلم) بناوهم (الحكيم) بأمرنا وبأمرهم (قال يا آدم أبئثم) أخبرهم (بأسمائهم فلما أنبأهم) أخبرهم (بأسمائهم قال ألم أقل لكم أنى أعلم غيب السموات والارض) غيب ما يكون فى السموات والارض (وأعلم ما تبدون) ما تظهرون لربكم من الطاعة لآدم (وما كنتم تكتمون) منه ويقال ما أبدى لهم أبليس وما كتم منهم

الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وأنه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وأن التعليم يصح أسناده الى الله تعالى وأن لم يصح إطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وأن اللغات توقيفية فأن الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص أو عموم وتعليمها ظاهر في ألقائها على المتعلم ميثاله معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي أن يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله سبحانه وتعالى وأن مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم وألأكثر قوله أنك أنت العليم الحكيم وأن علوم الملائكة وكالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحلوا عليه قوله سبحانه وتعالى وما من آله مقام معلوم وأن آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه أعلم منهم والاعلم أفضل لقوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وأنه سبحانه وتعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها ﴿ وأذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ لما أنبأهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا أمرهم بالسجود له اعترافا بفضله وأداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل أمرهم به قبل أن يسوي خلقه لقوله سبحانه وتعالى فأذاسويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحاناً لهم وأظهاراً لفضله والاعطف على الظرف على الظرف السابق أن نصبته بضمير وألأعطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة بأسرها على القصة الاخرى وهي نعمة راعة عدها عليهم والسجود في الاصل تدلل مع تطامن قال الشاعر

ترى الاكف فيها سجد السجوافر

وقال

وقلن له اسجد ليلي فأسجدا

يعنى البعير اذا طأ طأ رأسه « وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأموره أما المعنى الشرعى فالسجود له بالحقية هو الله سبحانه وتعالى وجعل آدم قبلة سجدتهم تفخيماً لشأنه وأسبباً لوجوبه فكأنه سبحانه وتعالى لما خلقه بحيث يكون أنموذجاً للبدعات كلها بل الموجودات بأسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما بينوا فيه من المراتب والدرجات أمرهم بالسجود تدللاً لمارأوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكراً لما أنعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان رضى الله تعالى عنه

أليس أول من صلى لقبلكم « وأعرف الناس بالقرآن والسنن

أو في قوله تعالى أقم الصلوة لدلوك الشمس وأما المعنى اللغوى وهو التواضع لآدم تحية وتعظيماً له كسجود أخوة يوسف له أو التذلل والانقياد بالسعى في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كالههم والكلام في أن المأمورين بالسجود للملائكة كلهم أو طائفة منهم

وما كنتم تكتمون يعنى أبليلس من المعصية ﴿ قوله عز وجل ﴾ وأذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴿ قيل هذا الخطاب كان مع الملائكة الذين كانوا ساكن الارض والاصح أنه

تسرون (وأذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) أى اخضعوا له وأقروا بالفضل له عن أبي بن كعب وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان ذلك انحناء ولم يكن خروراً على الذقن والجمهور على أن المأمور به وضع الوجه على الارض وكان السجود تحية لآدم عليه السلام في الصحيح اذ لو كان لله تعالى لما امتنع عنه أبليلس وكان سجد التحية جائزاً فيما مضى ثم نسخ بقوله عليه السلام لسلمان حين أراد أن يسجد له لا ينبغي لمخلوق أن يسجد لآدم إلا لله تعالى (وأذ قلنا) وقد قلنا (للملائكة اسجدوا لآدم) سجدة التحية

(فسجدوا لأبليس) الاستثناء متصل لانه ﴿١٠٥﴾ كان من الملائكة كذا قاله {سورة البقرة} على وابن عباس وابن مسعود

رضى الله عنهم ولان الاصل أن الاستثناء يكون من جنس المستثنى منه ولهذا قال مامنك ألا تسجداً ذمراً لك وقوله كان من الجن معناه صار من الجن كقوله فكان من المغرقيين وقيل الاستثناء منقطع لانه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن بالنص وهو قول الحسن وقتادة ولانه خلق من نار والملائكة خلقوا من النور ولانه أبى وعصى واستكبر والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ولا يستكبرون عن عبادته ولانه قال أفتخذونه وذريته أولياء من دوني ولانسل للملائكة وعن الجاحظ أن الجن والملائكة جنس واحد فن طهر منهم فهو ملك ومن خبث فهو شيطان ومن كان بين بين فهو جن (أبى) امتنع مما أمر به (واستكبر) تكبر عنه (وكان من الكافرين) وصار من الكافرين بأبائه واستكباره ورده الامر

(فسجدوا لأبليس أبى) عن أمر الله (واستكبر) تعظم عن السجود لآدم (وكان من الكافرين) بعد وصار من الكافرين بأبائه عن أمر الله ويقال وكان

مسبق ﴿فسجدوا لأبليس أبى واستكبر﴾ امتنع عما أمر به إستكباراً من أن يتخذ وصلة في عبادة ربه أو يعظمه ويتلقاه بالتحية أو يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر أن يرى الرجل نفسه أكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع ﴿وكان من الكافرين﴾ أى فى علم الله تعالى أو صار منهم باستقباحه أمر الله تعالى آياه بالسجود لآدم واعتقاداً بأنه أفضل منه والأفضل لا يحسن أن يؤمر بالتخضع للفضول والتوسل به كما أشعر به قوله أنا خير منه جواباً لقوله مامنك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين لا يترك الواجب وحده والآية تدل على أن آدم أفضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه وأن إبليس كان من الملائكة وألا لم يتناول أمرهم ولم يصح استثناءه منهم ولا يرد على ذلك قوله سبحانه وتعالى لأبليس كان من الجن لجواز أن يقال أنه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا لان ابن عباس رضى الله تعالى عنهم روى أن من الملائكة ضربا يتو دون يقال لهم الجن ومنهم إبليس ولمن زعم أنه لم يكن من الملائكة أن يقول أنه كان جنيا نشأ بين أظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فقلبواعليه والجن أيضا كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فإنه اذا علم أن الاكبر مأمورون بالتبدل لأحد والتوسل به علم أن الاصغر أيضا مأمورون به والضمير فى فسجدوا راجع الى القليلين فكأنه قال فسجد المأمورون بالسجود لأبليس وأن من الملائكة من ليس بمعصوم وأن كان الغالب فيهم العصمة كما أن من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وإنما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن

خطاب مع جميع الملائكة بدليل قوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون لأبليس ﴿فسجدوا﴾ يعنى الملائكة وفى هذا السجود قولان أصحهما أنه كان لآدم على الحقيقة ولم يكن فيه وضع الجبهة على الارض وإنما هو الانحناء وكان سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة كسجود أخوة يوسف له فى قوله وخرؤا له سجدا فلما جاء الاسلام أبطل ذلك بالسلام وفى سجود الملائكة لآدم معنى الطاعة لله تعالى والامتثال لامره والقول الثانى أن آدم كان كالقبة وكان السجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله تعالى وفى هذا الآية دليل لمذهب أهل السنة فى تفضيل الانبياء على الملائكة ﴿لأبليس﴾ سمي به لانه أبلس من رجة الله أى يئس وكان اسمه عزرايل بالسريانية وبالعربية الحارث فلما عصى غير اسمه فسمى إبليس وغيرت صورته قال ابن عباس رضى الله عنهما كان إبليس من الملائكة بدليل أنه استثناء منهم وقيل أنه من الجن لانه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور ولانه أصل الجن كما أن آدم أصل الانس والاول أصح لان الخطاب كان مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استثناء منهم ﴿أبى﴾ أى امتنع من السجود فلم يسجد ﴿واستكبر﴾ أى تكبر وتعظم عن السجود لآدم ﴿وكان من الكافرين﴾ أى فى علم الله تعالى فإنه وجبت له النار لسابق علم الله تعالى بشقاوته ﴿م﴾ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال

يشملهما وكان إبليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فلذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط من محله كما أشار اليه بقوله عز وعلا ألا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة رضى الله تعالى عنها أنه عليه الصلاة والسلام قال خلقت الملائكة من النور وخلقت الجن من مارج من نار لانه كالتشيل لما ذكرت فأن المراد بالنور الجوهر المضى والنار كذلك غير أن ضوأها مكدر معمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصعبه من فرط الحرارة والاحراق فإذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومضى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفى نورها ويبقى الدخان الصريف وهذا أشبه بالصواب وأوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله سبحانه وتعالى ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وأنه قد يفضى بصاحبه الى الكفر والحث على الأتجار لامره وترك الخوض في سره وأن الامر للوجوب وأن الذى علم الله من حاله أنه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذا عبرة بالخواتيم وأن كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا أبى الحسن الاشعري رحمه الله تعالى ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ السكنى من السكون لانها استقرار وليث وأنت تأكيد أكذبه المستكن ليصح العطف عليه وأما لم يخاطبها أولا تنيها على أنه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم أنها لم تخلق بعد قال أنه بستان كان بأرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى أرض الهند كما فى قوله تعالى

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول ياويله وفي رواية ياويلناه أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فصيت فى النار ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ أى اتخذها مأوى ومنزلا وليس معناه الاستقرار لانه لم يقل أسكتك الجنة لانه خلق لعمارة الارض ﴿ولما أسكن الله آدم فى الجنة بقى وحده ليس معه من يستأنس به وبجالسه فألقى الله عليه النوم ثم أخذ ضلعا من أضلاع جنبه الايسر وهو الاقصر فخلق منه زوجته حواء ووضع مكان الضلع لحما من غير أن يحس بذلك آدم ولم يجد ألما ولو وجد ألما لعطف رجل على امرأة قط وسميت حواء لانها خلقت من حى فلما استيقظ آدم من نومه ورأها جالسة كأحسن ما خلق الله تعالى فقال لها من أنت قالت أنا زوجتك حواء قال ولما ذا خلقت قالت لتسكن الى وأسكن اليك واختلفوا فى الجنة التى أمر آدم بسكنائها فقيل أنها جنة كانت فى الارض بدليل أنه لو كانت الجنة التى هى دار الجزاء والثواب لما أخرج منها وأجاب صاحب هذا القول عن قوله تعالى اهبطوا بأن المراد من الهبوط التحول والانتقال فهو كقوله تعالى اهبطوا مصرا والقول الصحيح أنها الجنة التى هى دار الجزاء والثواب لان الالف واللام للعهد والجنة بين المسلمين وفى عرفهم التى

لا يترك العمل بالامر لأن ترك السجود لا يخرج من الايمان ولا يكون كفرا عند أهل السنة خلافا للمعتزلة والخوارج أو كان من الكافرين فى علم الله أى وكان فى علم الله أنه يكفر بعد ايمانه لأنه كان كافرا أبدا فى علم الله وهى مسألة الموافاة (وقلنا يا آدم اسكن) أمر من سكن الدار يسكنها سكنى اذا أقام فيها ويقال سكن المنحرك سكنونا (أنت) تأكيد للمسكن فى اسكن ليصح عطف (وزوجك) عليه (الجنة) هى جنة الخلد التى وعدت للمتقين للنقل المشهور وللأم التعريف وقالت المعتزلة كانت بستانا باليمن لان الجنة لا تكليف فيها ولا خروج عنها قلنا أما لا يخرج منها من دخلها جزاء وقد دخل النبي عليه السلام ليلة المعراج ثم خرج منها وأهل الجنة يكلفون المعرفة فى علم الله أنه يصير من الكافرين ويقال كان من أول الكافرين ثم ذكر قصة آدم وحواء فقال (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) أدخل

والتوحيد (وكلانها) من ثمارها حذف مضاف ﴿١٠٧﴾ (رغدا) وصف {سورة البقرة} للمصدر أى كلاً رغدا واسما

(حيث شتتا) شتتا وبابه بغير همز أبو عمرو وحيث للمكان المهم أى أى مكان من الجنة شتتا (ولا تقربا هذه الشجرة) أى الخنطة ولذا قيل كيف لا يعصى الانسان وقوته من شجرة العصيان أو الكرمه لانها أصل كل فتنة أو التينة (فتكونا) جزم عطف على تقربا وأرصب جواب للنهى (من الظالمين) أى من الذين ظلوا أنفسهم أو من الضارين أنفسهم (فأزلهما الشيطان عنها) أى عن الشجرة أى فحلها الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فأصدر الشيطان

زلتهما عنها أو فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبها عنها وأبعدهما فأزلهما جزء وزلة آدم بالخطأ فى التأويل أما يحمل النهى على التنزيه دون التحريم أو بحمل اللام على تعريف العهد وكان الله تعالى أراد الجنس والاول الوجه وهذا

أنت وحواء الجنة (وكلا منهارغدا) موسعا عليكما (حيث شتتا) متى شتتا (ولا تقربا هذه الشجرة) لانا كلاً من هذه الشجرة شجرة العلم عليها من كل

اهبطوا مصرا ﴿ وكلا منها رغدا ﴾ واسعا رافها صفة مصدر محذوف ﴿ حيث شتتا ﴾ أى مكان من الجنة شتتا وسع الامر عليهما أراحة لليلة والعذر فى تناول من الشجرة المنهى عنهما من بين أشجارها الفاتئة للحصر ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ فيه مبالغت تعليق النهى بالقرب الذى هو من مقدمات تناول مبالغة فى تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبهها على أن القرب من الشئ يورث داعية وميلا يأخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كإروى حيك الشئ يعمى ويصم فينبغى أن لا يجوز ما حرم الله عليها مخافة أن يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلوا أنفسهم بارتكاب المعاصى أو بنقص حظهما بالاتبان بما يحل بالكرامة والنعيم فأن الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهى أو الجواب له * والشجرة هى الخنطة أو الكرمه أو التينة أو شجرة من أكل منها أحدث والاولى أن لاتعين من غير قاطع كما لم تعين فى الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذى بالياء ﴿ فأزلهما الشيطان عنها ﴾ أصدر زلتهما عن الشجرة وحلها على الزلة بسببها ونظيرة عن هذه فى قوله تعالى وما فعلته عن أمرى أو أزلهما عن الجنة بمعنى أذهبها وبعضه قراءة جزء فأزلهما وهما متقاربان فى المعنى غير أن زل يقتضى عثرة مع الزوال وأزاله قوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله مانها كما ربكما عن هذه الشجرة لأن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ومقاسمته أيهما بقوله أنى لكما لمن الناصحين * واختلف فى أنه تمثل لهما فقاو لهما بذلك أو أنقاه

هى دار الجزاء والثواب وقيل كلال القولين ممكن فلا وجه للقطع ﴿ وكلا منها رغدا ﴾ أى واسعا كثيرا ﴿ حيث شتتا ﴾ أى كيف شتتا ومتى شتتا وأين شتتا والمقصود منه الاطلاق فى الاكل من الجنة بلا منع إلا ما نهى عنه وهو قوله تعالى ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ يعنى للاكل قيل أما وقع هذا النهى عن جنس الشجرة وقيل عن شجرة مخصوصة قال ابن عباس رضى الله عنهما هى السنبله وقيل الكرمه وقيل هى شجرة التين وقيل هى شجرة العلم وقيل الكافور وقيل ليس فى ظاهر الكلام ما يدل على التبيين اذ لا حاجة اليه لانه ليس المقصود تعرف عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصودا لا يجب بيانه ﴿ فتكونا من الظالمين ﴾ يعنى أن أكلتما من هذه الشجرة ظلتما أنفسكما فن جوز ارتكاب الذنوب على الانبياء قال ظم نفسه بالمعصية وأصل الظم موضع الشئ فى غير موضعه ومن لم يجوز ذلك على الانبياء حل الظلم على أنه فعل ما كان الاول أن لا يفعله وقيل يحمل على أنه فعل هذا قبل النبوة * فأن قلت هل يجوز وصف الانبياء بالظلم أو بظلم أنفسهم * قلت لا يجوز أن يطلق عليهم ذلك لما فيه من الذم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ فأزلهما الشيطان ﴾ أى استزل آدم وحواء ودعاهما الى الزلة وهى الخطيئة وسأنى الكلام أن شاء الله تعالى على عصمة الانبياء والجواب عما صدر منهم عند قوله عز وجل وعصى آدم ربه فغوى فى سورة طه ﴿ عنها ﴾ أى الجنة

لون وفن (فتكونا من الظالمين) فتصيرا من الضارين لانفسكما (فأزلهما) فاستزلهما (الشيطان عنها)

(قوله الشجرة هى الخنطة) رأيت فى بعض التفاسير أنه شجرة العلم فكانت فى التأمل فى تعقدها رمة من الزمان حتى رأيت ليلة أن ذهبى الى السماء ثم ذهب الى السماء سماوا لاق فيه نبيا حتى انتهت فى سماء أن هناك آدم عليه الصلاة والسلام فلاقته وسأته عن شجرة العلم الذى نهى عن أن تجرب منه قال كان شاقى فى معرفته تعالى مشاهدته ومنعت عن التوجه اليه بدون المشاهدة مكتفيا بالعلم فقرأ كتحفت بالعلم فعوتبت واخرجت عن الجنة اعمام بعبارة محصية

دليل على أنه يجوز إطلاق {الجزء الاول} اسم الزلزلة على الانبياء ﴿١٠٨﴾ عليهم السلام كقول مشايخ بخارى فإنه اسم لفعل

يقع على خلاف الامر
من غير قصد الى الخلاف
كزلة الماشى في الطين وقال
مشايخ سمرقند لا يطلق
اسم الزلزلة على أفعالهم
كما لا تطلق المعصية وانما
يقال فعلوا الفاضل وتركوا
الافضل فعوتبوا عليه
(فأخرجهما مما كانا فيه)
من النعيم والكرامة أو
من الجنة أن كان الضمير
لشجرة في عنها وقد توصل
الى ازالتهما بعد ما قيل له
أخرج منها فأنتك رجيم
لانه منع عن دخولها على
جهة التكرمة كدخول
الملائكة لاعن دخولها
على جهة الوسوسة ابتلاء
لآدم وحواء وروى انه
أراد الدخول ففتته الخزنة
فدخل في فم الحية حتى
دخلت به وقيل قام عند
الباب فنادى (وقلنا
اهبطوا) الهبوط النزول
الى الارض والخطاب
لآدم وحواء وأبليس
وقيل والحية والصحيح
لآدم وحواء والمراد هما
وذريتهما لانهما لما كانا
أصل الانس ومنشعبهم
جعلنا كأنهما الانس كلهم
وبدل عليه قوله تعالى قال
أهبطا منها جميعا (بعضكم
لبعض عدو) المراد به
عن الجنة (فأخرجهما

الهما على طريق الوسوسة وأنه كيف توصل الى ازالتهما بعد ما قيل له أخرج منها فأنتك
رجيم فقيل أنه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع
أن يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل
بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل
أرسل بعض أتباعه فأزلهما والعلم عند الله سبحانه وتعالى ﴿فأخرجهما مما كانا فيه﴾ أى من
الكرامة والنعيم ﴿وقلنا اهبطوا﴾ خطاب لآدم عليه الصلاة والسلام وحواء لقوله سبحانه وتعالى
قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما أصلا الانس فكأنهما الانس كلهم أو لهما وأبليس أخرج
منها نانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة وأدخلها مسارقا ومن السماء ﴿بعضكم لبعض عدو﴾

﴿فأخرجهما مما كانا فيه﴾ يعنى من النعيم وذلك أن إبليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس
لآدم وحواء ففعه الخزنة فأنى الحية وكانت صديقة لابليس وكانت من أحسن الدواب
لها أربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة فسألها أن تدخله الجنة في فيها فأدخلته
ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون وقيل أنما رأهما على باب الجنة لانهما كانا يخرجان منها
وكان إبليس يقرب الباب فوسوس لهما وذلك أن آدم لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم
قال لو أن خلدا فاغتم ذلك الشيطان منه وأناه من قبل الخلد وقيل لما دخل الجنة وقب
على آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه إبليس فبكى وناح نياحة أحزنتهما وهو أول من
ناح فقالا ما يبكيك قال أبكى عليكما لانكما تموتان فتفارقان ما أتما فيه من النعمة فوقع
ذلك فى أنفسهما واغتما ومضى إبليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال يا آدم هل أدلك على
شجرة الخلد فأبى أن يقبل منه فقاسمهما بالله أى لكما لمن الناصحين فاغترا وماظنا أن
أحد يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم ناولت آدم فأكل منها قال إبراهيم
ابن أدهم أورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا قال ابن عباس رضى الله عنهما قال الله تعالى يا آدم
ألم يكن فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يارب وعزتك ولكن ماظننت
أن أحدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لانسال العيش فيها
الآنكدا فأهبط من الجنة وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع وسقى حتى
إذا بلغ واشتد حصده ثم درسه ثم زراه ثم طحنه ثم مجننه وخبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ
منه الجهد وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن آدم لما أكل من الشجرة التى
نهى عنها قال الله تعالى يا آدم ما حلك على ما صنعت قال يارب زينته لى حواء قال فأنى أعقبها
أن لا تحمل ألاكرها ولا تضع ألاكرها ودميتها فى الشهر مرتين ففرت حواء عند
ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك والرنة الصوت فلما أكل من الشجرة تهاقت عنهما
شبابهما وبدت سوأتهم وأخرجها من الجنة فذلك قوله عز وجل ﴿وقلنا اهبطوا﴾
أى انزلوا الى الارض يعنى آدم وحواء وأبليس والحية فهبط آدم بسر نديب من
أرض الهند على جبل يقال له نود وأهبطت حواء بمجدة وأبليس بالابلة من أعمال
البصرة والحية بأصهبان ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ يعنى العداوة التى بين المؤمنين

مما كانا فيه) من الرغد (وقلنا) لآدم وحواء وطاوس وحية وأبليس (اهبطوا) انزلوا الى الارض (بعضكم لبعض عدو) (من)

ماعليه الناس من التباغي والتعادي وتضليل بعضهم لبعض والجملة في موضع الحال من الواو في أهبطوا أي أهبطوا متعادين (ولكم في الارض مستقر) موضع استقرار أو مستقر (١٠٥) استقرار (ومتاع) وتمتع بالعيش {سورة البقرة} (الى حين) الى يوم القيامة

أو الى الموت قال إبراهيم بن أدهم أو رثنا تلك الاكلة حزنا طويلا (فتلقى آدم من ربه كلمات) أي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل على أنها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل سبحانه اللهم وبمحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاعفروا له لا يغفر الذنوب إلا أنت وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال يارب ألم تخلفني بيديك قال بلى قال يارب ألم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يارب ألم تسبق رجعتك غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال يارب أن تبت وأصلحت أراجعي أنت الى الجنة قال نعم وأصل الكلمة الكلم وهو التأثير المدرك من ذرية آدم وبين إبليس واليه الإشارة بقوله عز وجل أن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والعداوة التي بين ذرية آدم والحية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس مناماسا المناهن منذ حاربناهن أخرجه أبو داود وله عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقلوا الحيات كلهن فمن خاف من نارهن فليس مني وفي رواية اقلوا الكبار كلها إلا الجان الأبيض الذي كأنه قضيب فضة (م) عن ابن سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن بالمدينة جنا قد أسلموا فأذار أيتيم منهم شيئا فأذوه ثلاثة أيام فأن بدل لكم بعد ذلك فاقتلوه فأنما هو شيطان وفي رواية أن بهذه البيوت عوامر فأذار أيتيم منها شيئا فخرجوا عليه ثلاثا فأن ذهب مولا فاقتلوه فإنه كافر ﴿ولكم في الارض مستقر﴾ أي موضع قرار ﴿ومتاع﴾ أي بلغة وسمتيع ﴿الى حين﴾ أي الى وقت انقضاء آجالكم ﴿قوله عز وجل﴾ فتلقى آدم ﴿أي فتلقن والتلقى هو قبول عن فطنة وفهم وقيل هو التعلم﴾ من ربه كلمات ﴿أي كانت سبب توبته وقيل أن تلك الكلمات هي قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل هي لأله إلا أنت سبحانه وبمحمدك رب عملت سوا وظلمت نفسي فب على أنك أنت التواب الرحيم لأله إلا أنت سبحانه وبمحمدك رب عملت سوا وظلمت نفسي فاعفروا له لا يغفر الذنوب إلا أنت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يارب ألم تخلفني بيديك قال بلى قال يارب ألم تنفخ في من روحك قال بلى قال يارب ألم تسبق رجعتك غضبك ألم تسكني جنتك وهو تعالى يقول بلى قال بلى قال فلم أخرجني من الجنة قال بشؤم معصيتك قال فلو تبت أراجعي أنت

ولكم في الارض مستقر) منزل (ومتاع) منفعة ومعاش (الى حين) الى

حال استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبني بعضهم على بعض تتضليله ﴿ولكم في الارض مستقر﴾ موضع استقرار أو استقرار ﴿ومتاع﴾ أي تمتع ﴿الى حين﴾ يريد به وقت الموت أو القيامة ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير ينصب آدم ورفع الكلمات على أنها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل سبحانه اللهم وبمحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاعفروا له لا يغفر الذنوب إلا أنت وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال يارب ألم تخلفني بيديك قال بلى قال يارب ألم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يارب ألم تسبق رجعتك غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال يارب أن تبت وأصلحت أراجعي أنت الى الجنة قال نعم وأصل الكلمة الكلم وهو التأثير المدرك

من ذرية آدم وبين إبليس واليه الإشارة بقوله عز وجل أن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والعداوة التي بين ذرية آدم والحية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس مناماسا المناهن منذ حاربناهن أخرجه أبو داود وله عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقلوا الحيات كلهن فمن خاف من نارهن فليس مني وفي رواية اقلوا الكبار كلها إلا الجان الأبيض الذي كأنه قضيب فضة (م) عن ابن سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن بالمدينة جنا قد أسلموا فأذار أيتيم منهم شيئا فأذوه ثلاثة أيام فأن بدل لكم بعد ذلك فاقتلوه فأنما هو شيطان وفي رواية أن بهذه البيوت عوامر فأذار أيتيم منها شيئا فخرجوا عليه ثلاثا فأن ذهب مولا فاقتلوه فإنه كافر ﴿ولكم في الارض مستقر﴾ أي موضع قرار ﴿ومتاع﴾ أي بلغة وسمتيع ﴿الى حين﴾ أي الى وقت انقضاء آجالكم ﴿قوله عز وجل﴾ فتلقى آدم ﴿أي فتلقن والتلقى هو قبول عن فطنة وفهم وقيل هو التعلم﴾ من ربه كلمات ﴿أي كانت سبب توبته وقيل أن تلك الكلمات هي قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل هي لأله إلا أنت سبحانه وبمحمدك رب عملت سوا وظلمت نفسي فب على أنك أنت التواب الرحيم لأله إلا أنت سبحانه وبمحمدك رب عملت سوا وظلمت نفسي فاعفروا له لا يغفر الذنوب إلا أنت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يارب ألم تخلفني بيديك قال بلى قال يارب ألم تنفخ في من روحك قال بلى قال يارب ألم تسبق رجعتك غضبك ألم تسكني جنتك وهو تعالى يقول بلى قال بلى قال فلم أخرجني من الجنة قال بشؤم معصيتك قال فلو تبت أراجعي أنت

حين الموت (فتلقى آدم من ربه) حفظ آدم من ربه ويقال لفن فتلقن وألهم فتلقم (كلمات) لكي تكون سيياله ولاولاده الى التوبة

بأحدى الحاستين السمع والبصر كالكلال والجراحة والحركة ﴿فتاب عليه﴾ رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وأما رتبته بالفاء على تلتقى الكلمات لتضمنته معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على أن لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حواء كانت تبعاله في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة ﴿أنه هو التواب﴾ الرجوع على عباده بالمغفرة أو الذي يكثر اعانتهم على التوبة وأصل التوبة الرجوع فأذا وصف بها العبد كان رجوعاً عن المعصية واذا وصف بها البارى تعالى أريد بها الرجوع عن العقوبة الى المغفرة ﴿الرحيم﴾ المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعدل للتائب بالاحسان مع العفو ﴿قلنا اهبطوا منها جميعا﴾ كرر للتأكيد أو لاختلاف المقصود فأن الاول دل على أن هبوطهم الى دار بولية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني أشعر بأنهم أهبطوا للتكليف فن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والنييه على أن مخافة الاهباط المقترن بأحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم أن توقعه عن مخالفة حكم الله سبحانه وتعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم يخلده عزما وأن كل واحد منهما كفى به نكالا لمن أراد أن يذكرو قيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كاترى * وجميعا حال في اللفظ تأكيد في المعنى كأنه قيل أهبطوا أتم أجحون ولذلك لا يستدعى اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤا جميعا ﴿فأما يأتينكم منى هدى﴾

الى السماء حياء من الله تعالى وقيل هي ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبكاء قال ابن عباس رضى الله عنهما بكي آدم وحواء على ما فاتهما من نعم الجنة مائتي سنة ولم يشر بأربعين يوما وقيل لو أن دموع أهل الارض جمعت لكنت دموع داود أكثر منها حيث أصاب الخطيئة ولو أن دموع داود ودموع أهل الارض جمعت لكنت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله من الجنة ﴿فتاب عليه﴾ أى قبحاوز عنه وغفرله وأصل التوبة من تاب يتوب اذا رجع فكان التائب رجع عن ذلك الذنب الذى كان عليه ولا تتحقق التوبة منه إلا بثلاثة أمور علم وحال وعمل أما العلم فهو أن يعلم العبد ضرر الذنب وأنه حجاب عن الله تعالى فأذا حصل هذا العلم تألم القلب فعند ذلك يحصل الدم وهو الحال فيترك العبد الذنب ويعزم في المستقبل أن لا يعود اليه وهو العمل فأذا تحققت هذه الثلاثة الامور حصلت التوبة وسيأتى بسط هذا عند قوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا في سورة التبريم أن شاء الله تعالى ﴿أنه هو التواب﴾ أى الرجوع على عباده بقبول التوبة والتواب في وصف الله سبحانه وتعالى المبالغ في قبول توبة عباده ﴿الرحيم﴾ أى بخلقه وصف سبحانه وتعالى نفسه مع كونه توابا بأنه رحيم ﴿قلنا اهبطوا منها جميعا﴾ يعنى هؤلاء الاربعة وقيل أن الهبوط الاول من الجنة الى السماء الدنيا والهبوط الثانى من السماء الدنيا الى الارض وفيه ضعف لانه قال في الهبوط الاول ولكم فى الارض مستقر فدل على أنه كان من الجنة الى الارض والاصح أنه للتأكيد ﴿فأما يأتينكم منى هدى﴾ فيه تنبيه على عظم نعم الله على آدم وحواء كأنه قال وأن أهبطتكم من الجنة

اليها قال نعم (فتاب عليه) فرجع عليه بالرحمة والقبول واكتفى بذكر توبة آدم لان حواء كانت تبعاله وقد طوى ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة لذلك (أنه هو التواب) الكثير القبول للتوبة (الرحيم) على عباده (قلنا اهبطوا منها جميعا) حال أى مجتمعين وكرر الامراء بالهبوط للتأكيد أولان الهبوط الاول من الجنة الى السماء والثانى من السماء الى الارض أو لما نيط به من زيادة قوله (فأما يأتينكم منى هدى) أى رسول أبغته اليكم أو كتاب أنزله عليكم بدليل قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا

(فتاب عليه) فبحاوز عنه (أنه هو التواب) المتجاوز (الرحيم) لمن مات على التوبة (قلنا) لآدم وحواء وحية وطلوس وأبليس (أهبطوا منها) من السماء (جميعا) ثم ذكر ذرية آدم فقال (فأما يأتينكم) فلما يأتينكم وحين يأتينكم وكلما يأتينكم (منى هدى) كتاب ورسول

بآياتنا في مقابلة قوله (فن تبع هداى) أى بالقبول والايان به (فلاخوف عليهم) فى المستقبل (ولا هم يحزنون) على ما خلفوا والشرط الثانى مع جوابه جواب الشرط الاول كقولك أن جنتنى فإن قدرت أحسنت اليك فلاخوف بالفتح فى كل القرآن يعقوب (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك) مبتدأ والخبر (أصحاب النار) أى أهلها ومستحقوها والجملة فى موضع الرفع خبر المبتدأ أعنى والذين (هم فيها خالدون

(فن تبع هداى) الكتاب والرسول (فلاخوف عليهم) فيما يستقبلهم من العذاب (ولا هم يحزنون) على ما خلفوا من خلفهم ويقال فلاخوف عليهم بالدوام ولا هم يحزنون بالدوام ويقال فلاخوف عليهم اذا ذبح الموت ولا هم يحزنون اذا طبقت النار (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) بالكتاب والرسول (أولئك أصحاب النار) أهل النار (هم فيها خالدون) فى النار دائمون لا يموتون ولا يخرجون ثم ذكر منته على

فن تبع هداى فلاخوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿ الشرط الثانى مع جوابه جواب الشرط الاول وما من يدته أدت به أن ولذلك حسن تأكيد الفعل بالتون وأن لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى أن يأتينكم منى هدى بأنزال أو إرسال فن تبعه منكم نجاة وفاز وأتما جى بحرف الشك واتيان الهدى كائن لاحتماله لانه محتمل فى نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضر لانه أراد بالثانى أعم من الاول وهو ما أنى به الرسل واقتضاه العقل أى فن تبع ما أتاه مراعىا فيه ما يشهد به العقل فلاخوف عليهم فضلا من أن يحل بهم مكروه ولا هم ممن يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فلاخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفي عنهم العقاب وأثبت لهم الثواب على آكد وجه وأبلغه وقرى هدى على لغة هذيل ولاخوف بالفتح ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ عطف على فن تبع الى آخره قسيم له كأنه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا بآياته أو كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور * والآية فى الاصل العلامة الظاهرة وتقال للمصنوعات من حيث أنها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من أى لانها تبين أيامن أى أو من أوى اليه وأصلها أية أو أوية كقمره فأبدلت عنها أفعالى غير قياس أو أوية أو أوية كرمكة فأعلت أو آية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد بآياتنا الآيات المنزلة أو ما يعمرها والمعقولة * ﴿ بنىه ﴾ وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من وجوه * الاول أن آدم عليه الصلاة والسلام كان نبيا وارثك المنهى عنه والمرتكب له عاص * والثانى أنه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى ألعنة الله على الظالمين * والثالث أنه تعالى أسند اليه العصيان والنفى فقال وعصى آدم ربه فغوى * والرابع أنه تعالى لقنه التوبة وهى الرجوع عن الذنب والندم عليه * والخامس اعترافه بأنه خاسر لولا مغفرة الله تعالى آياه بقوله وأن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة * والسادس أنه لولم يذنب لم يجز عليه ماجرى * والجواب من وجوه * الاول أنه لم يكن نبيا حينئذ والمدعى مطالب بالبيان * والثانى أن النهى للترهيب وأتماسمى ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاول له وأما أسناد النفى والعصيان اليه فسيأتى الجواب عنه فى موضعه أن شاء الله تعالى وأتما أمر بالتوبة تلافيا لمافات عنه وجرى عليه ماجرى معاتبه له على ترك

الى الارض فقد أنعمت عليكم بهدايتى التى تؤدبكم الى الجنة مرة أخرى على الدوام الذى لا ينقطع وقيل المخاطب هم ذرية آدم يعنى ياذرية آدم أما يأتينكم منى رشد وبيان وشريعة وقيل كتاب ورسول ﴿ فن تبع هداى فلاخوف عليهم ﴾ يعنى فيما يستقبلهم ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ أى على ما خلفوا وقيل لاخوف عليهم ولا هم يحزنون فى الآخرة ﴿ والذين كفروا ﴾ أى جحدوا ﴿ وكذبوا بآياتنا ﴾ أى بالقرآن ﴿ أولئك أصحاب النار ﴾ أى يوم القيامة ﴿ هم فيها خالدون ﴾ أى لا يخرجون منها ولا يموتون فيها

الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خنقه * والثالث أنه فعله ناسيا لقوله سبحانه وتعالى فنبئهم
نجده عز ما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن أسباب النسيان ولعله وأن حط عن الامه لم يحط
عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام لم نظم قدرهم كما قال عليه افضل الصلاة والسلام أشد الناس
بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل أو أدى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية
المقدرة دون المؤاخذه كتناول السم على الجهل بشأنه * لا يقال أنه باطل بقوله تعالى ماتها كما
ربكما وقاسمهما الآيتين لأنه ليس فيهما ما يدل على أن تناوله حين ما قاله أبلّس فعل مقاله
أورث فيه ميلا طبيعيا ثم أنه كف نفسه عن مراعاة لحكم الله تعالى الى أن نسي ذلك وزال المانع
فحمله الطبع عليه * والرابع أنه عليه الصلاة والسلام أقدم عليه بسبب اجتهاد أخطأ فيه فإنه ظن
أن النهي للتنزيه أو الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها
الاشارة الى النوع كما روى أنه عليه الصلاة والسلام أخذ حريرا وذها بيده وقال هذان
حرامان على ذكورا متى حل لاناها وأما جرى عليه ما جرى تقطعا لشأن الخطيئة ليحتملها
أولاده * وفيها دلالة على أن الجنة مخلوقة وأنها في جهة عالية وأن التوبة مقبولة وأن متبع
الهدى مأمون العاقبة وأن عذاب النار دائم والكافريه مخلد وأن غيره لا يخلد فيه بمفهوم
قوله تعالى هم فيها خالدون * واعلم أنه سبحانه وتعالى لم ذكر دلائل التوحيد والنبوة
والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقرير لها وتأكيدها فأنها من حيث أنها حوادث
محكمة تدل على محمّد حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث أن الاخبار
بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها أخبار بالغيب معجز
تدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتغالها على خلق الانسان وأصوله وما هو أعظم من
ذلك تدل على أنه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب أهل العلم والكتاب
منهم وأمرهم أن يذكروا نعم الله تعالى عليهم ويوفوا بعهوده في اتساع الحق واقتفاء
الحجج ليكونوا أول من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه فقال ﴿ يا بني
إسرائيل ﴾ أي أولاد يعقوب والابن من البناء لأنه مبنى أبيه ولذلك ينسب المصنوع الى
صانمه فيقال أبو الحرب وبنو الفكر * واسرائيل لقب يعقوب عليه الصلاة والسلام ومعناه
بالعبرية صفوة الله وقيل عبدالله وقرئ اسرائيل بحذف الياء واسرائيل بحذفهما واسرائيل
بقلب الهمزة ياء ﴿ اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ أي بالتفكر فيها والقيام بشكرها والتقييدهم
لان الانسان غيور حسود بالطبع فإذا نظر الى ما أنعم الله سبحانه وتعالى على غيره حله الغيرة
والحسد على الكيران والسخط وأن نظر الى ما أنعم الله به عليه حله حب النعمة على الرضا والشكر

يا بني اسرائيل) هو
يعقوب عليه السلام وهو
لقب له ومعناه في لسانهم
صفوة الله أو عبد الله فأسرا
هو العبد أو الصفوة وأيل
هو الله بالعبرية وهو غير
منصرف لوجود العلمية
والجمعة (اذكروا نعمتي
التي أنعمت عليكم) ذكرهم
النعمه أن لا يخلوا بشكرها
ويطعموا ما منحها وأراد بها
ما أنعم به على آباؤهم مما عدد
عليهم من الانجاء من فرعون
وعذابه ومن الفرق ومن
العفو عن انخاذ الجمل
والتوبة عليهم وما أنعم به
عليهم من أدراك زمن محمد
صلى الله عليه وسلم المبشر به

بني اسرائيل فقال (يا بني
إسرائيل) يا أولاد يعقوب
(اذكروا نعمتي) اشكروا
واحفظوا مني (التي
أنعمت عليكم) مننت عليكم
بالكتاب والرسول والنجاة
من فرعون والفرق والمن
والساوي وغير ذلك

قوله عز وجل ﴿ يا بني اسرائيل ﴾ اتفق المفسرون على أن اسرائيل هو يعقوب بن
اسحق بن ابراهيم صلى الله عليهم وسلم أجمعين ومعنى اسرائيل عبدالله وقيل صفوة الله
والمعنى يا أولاد يعقوب ﴿ اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ أي اشكروا نعمتي وأغا
عبر عنه بالذكر لان من ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحدتها فقد كفرها وقيل الذكر
يكون بالقلب ويكون باللسان ووحده النعمة لانها المنفعة المفعولت على جهة الاحسان الى الغير

وقيل اراد بها ما أنعم الله به على آباؤهم من الانجاء من فرعون والفرق ومن العفو عن اتخاذ الجبل وعليهم من أدراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم وقرى ادكروا والاصل افعلوا ونعمتني باسكان اليباء وقفنا واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك اليباء المكسور ما قبلها ﴿ وأوفوا بعهدى ﴾ بالايان والطاعة ﴿ أوف بعهدكم ﴾ بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فإنه تعالى عهد اليبم بالايان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عرض فأول مراتب الوفاء منا هو الايان بكلمتى الشهادة ومن الله سبحانه وتعالى حقن الدم والمال وآخرها منا الاستغراق فى بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله سبحانه وتعالى الفوز باللقاء الدائم وماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أوفوا بعهدى فى أتباع محمد صلى الله عليه وسلم أوف بعهدكم فى رفع الآصار والاعلال وعن غيره أوفوا بأداء الفرائض وترك الكبرأى أوف بالمغفرة والثواب وأوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم أوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى أوفوا بما عاهدتمونى من الايمان والقيام بالطاعة أوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين فى سورة المائدة قوله سبحانه وتعالى ولقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل الى قوله ولا دخلنكم

ومعناه ان المضرة المحضنة لا تكون نعمة ولو فعل الانسان منفعة وقصد نفسه بها لا تسمى نعمة اذا لم يقصد بها الخير ثم ان النعم ثلاثة نعمة تفرد بها الله تعالى وهى ايجاد الانسان ورزقه ونعمة وصلت الى الانسان بواسطة الغير لكن الله يمكنه من ذلك فالنعم بها فى الحقيقة هو الله تعالى ونعمة حصلت للانسان بسبب الطاعة وهى أيضا من الله تعالى فالله هو النعم المطلق فى الحقيقة لان أصول النعم كلها منه وأما النعم المختصة بنى اسرائيل فكثيرة لان قوله اذكروا نعمتى لفظها واحد ومعناها الجمع فمن النعم ان الله تعالى أنقذهم من فرعون وخلق البحر لهم وأغرق فرعون وتظليلهم بالعمام وانزال المن والسلوى فى التيه عليهم وانزال التوراة ونعم غير هذه كثيرة فان قلت اذا فسرت النعمة بهذا فاذا كانت على مخاطبين هابل كانت على آباؤهم فكيف تكون نعمة عليهم حتى يذكروها وهى قلت انما ذكرنا مخاطبين بها لان فخر الآباء فخر الابناء ولان الابناء اذا تيقنوا ان الله قد أنعم على آباؤهم بهذه النعم فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها وقيل ان هذه النعمة هى ادراك المخاطبين بها زمن محمد صلى الله عليه وسلم وذكرها الايمان به ﴿ وأوفوا بعهدى ﴾ أى امثلوا أمرى ﴿ أوف بعهدكم ﴾ أى بالقبول والثواب وأصل العهد حفظ الشئ ومرعته حالا بعد حال ومنه سمي الموثق الذى تلزم مرعته عهدا. وقيل أراد بالعهد جميع ما أمر الله به من غير تخصيص ببعض التكليف دون بعض وقيل أراد به ما ذكر فى سورة المائدة وهو قوله ولقد أخذنا الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله لا كفرن عنكم سيئاتكم فهذا قوله أوف بعهدكم وقيل هو قوله واخذنا ميثاقكم ورفنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة يعنى شريعة التوراة وقيل هو قوله واخذنا

فى التوراة والانجيل (وأوفوا)
أدوا وايانا ما يقال وفيت له
بالعهد فأوف به وأوفيت له
بالعهد فأوف به والاختيار
أوفيت وعليه نزل التنزيل
(بعهدى) بما عاهدتمونى
عليه من الايمان بنى والطاعة
أو من الايمان بنى الرحمة
والكتاب المجز (أوف
بعهدكم) بما عاهدتكم عليه
من حسن الثواب على
حسناتكم والعهد يضاف
الى المعاهد والمعاهد جميعا
وعن قتادة هما لئن أقم
ولا كفرن وقال أهل
الاشارة أوفوا فى دار محنتى
على بساط خدمتى بحفظ
حرمتى أوف فى دار نعمتى
على بساط كرامتى بسرور
(وأوفوا بعهدى) اتعوا
عهدى فى هذا النبى صلى الله
عليه وسلم (أوف بعهدكم)

جنت تجري من تحتها الأنهار * وقرى أوف بالتشديد للمبالغة ﴿ وأياي فارهبون ﴾ فيما تأتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو أكد في أفادة التخصيص من أياك نعبد لمافيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل أن كنتم راهبين شيئا فارهبون * والرهبة خوف مع تمرز والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وأن المؤمن ينبغي أن لا يخاف أحدا إلا الله سبحانه وتعالى ﴿ وآمنوا بما أنزلت مصدقا لمامعكم ﴾ أفراد للإيمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهد وتقييد المنزل بأنه مصدق لمامعهم من الكتب الالهية من حيث أنه نازل حسب الامانت فيها أو مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث أن كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في أيام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لو كان موسى حيا لما وسعه ألاتباعي تنبيه على أن اتباعها لا ينافي الايمان به بل بوجهه ولذلك عرض بقوله ﴿ ولاتكونوا أول كافر به ﴾ بأن الواجب أن يكونوا أول من آمن به ولانهم كانوا أهل النظر في معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه * وأول كافر به وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير أول فريق أو فوج أو بتأويل

ميثاق بني إسرائيل لاتعبدون إلا الله وقيل أراد هذا العهد بما أثبتته في كتب الانبياء المتقدمة من وصف محمد صلى الله عليه وسلم وأنه مبعوث في آخر الزمان وذلك أن الله عهد الى بني إسرائيل على لسان موسى عليه الصلاة والسلام أن يبعث من بني اسماعيل نبيا ميا فمن تبعه وصدق النور الذي يأتي به غفرت له ذنبه وأدخلته الجنة وجعلت له أجرين اثنين وهو قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس يعني أمر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ﴿ وأياي فارهبون ﴾ أي فخافون في نقضكم العهد ﴿ وآمنوا بما أنزلت ﴾ يعني بالقرآن ﴿ مصدقا لمامعكم ﴾ يعني أن القرآن موافق لما في التوراة من التوحيد والنبوة والاحبار ونعت النبي صلى الله عليه وسلم فالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن تصديق للتوراة لان التوراة فيها الاشارة الى نعت النبي صلى الله عليه وسلم وأنه نبي مبعوث فن آمن به فقد آمن بما في التوراة ومن كذبه وكفر به فقد كذب التوراة وكفر بها ﴿ ولاتكونوا أول كافر به ﴾ اخطاب لليهود نزلت في كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود والمعنى ولاتكونوا يامعشر اليهود أول من كفر به * فان قلت كيف جعلوا أول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركوا العرب من أهل مكة وغيرهم * قلت هذا تعريض لهم والمعنى كان يجب أن تكوا اول من آمن به لانكم تعرفون صفته ونعته بخلاف غيركم وكنتم تستفتحون به على الكفار فلما بعث كان أمر اليهود بالعكس وقيل معناه ولاتكونوا أول كافر به من اليهود فيتبعكم غيركم على ذلك

أو كدفي افادة الاختصاص من أياك نعبد وأياي منصوب بفعل مضمر دل عليه ما بعده وتقديره فارهبوا أياي فارهبون وحذف الاول لان الثاني يدل عليه وانما لم ينتصب بقوله فارهبون لانه أخذ مفعوله وهو الياء المحذوفة وكسرة النون دليل الياء كالألحوز نصب زيد في زيذا فاضربه باضرب الذي هو ظاهر (وآمنوا بما أنزلت) يعنى القرآن (مصدقا) حال مؤكدة من الهاء المحذوفة كأنه قيل انزلته مصدقا لما معكم) من التوراة يعنى فى العبادة والتوحيد والنبوة وأمر محمد عليه السلام (ولاتكونوا أول كافر به) أى أول من كفر به أو أول حزب أو فوج كافر به أو ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به وهذا تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفةهم به وبصفته والضمير فى به

أدخلكم الجنة (وأياي فارهبون) نخافونى فى نقض العهد ولاتخافوا غيرى (وآمنوا بما أنزلت) جبريل به (مصدقا) موافقا بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم

ونعته وبعض الشرائع (لمامعكم) من الكتاب (ولاتكونوا أول كافر به) بمحمد صلى الله عليه وسلم (فتبوا)

يعود الى القرآن (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا (بآياتي) بتغييرها وتحويلها (ثمنا قليلا) قال الحسن هو الدنيا بخلافها وقيل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها القوات لو اتبعوا رسول الله (وأيى فأتقون) فخافوني فارهوني وكذلك كل ياء محذوفة في الخط يعقوب (ولا تلبسوا الحق بالباطل) لبس الحق بالباطل خلطه والباء ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتى في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه والقرآن (ولا تشتروا بآياتي) بكتمان صفة محمد ونتمه (ثمنا قليلا) عوضا يسيرا من المآكلة (وأيى فأتقون) فخافوني في هذا النبي صلى الله عليه وسلم (ولا تلبسوا الحق بالباطل) لا تخطوا الباطل بالحق صفة الدجال بصفة محمد

لا يكن كل واحد منكم أول كافر به كقولك، كسانا حلة* فأن قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب* قلت المراد به التعريض لالدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك أما أنا فلست بجاهل أو ولا تكونوا أول كافر من أهل الكتاب أو بمن كفر بعامه فأن من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه أو مثل من كفر من مشركى مكة* وأول أفعال لافعل له وقيل أصله أو أل من وأل فأبدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسى أو أول من آل فقلبت همزته واوا وأدغمت ﴿ ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ﴾ ولا تستبدلوا بالايان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وأن جلت قليلة مستردلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها عليه وقيل كانوا يأخذون الرشا فيمرفون الحق ويكتمونه ﴿ وأيى فأتقون ﴾ بالايان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادئ لما فى الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لماعم العالم والمقلد أمرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك والخطاب بالثانية لما خص أهل العلم أمرهم بالتقوى التي هي متنهاه ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ﴾ عطف على ما قبله * واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخطوا الحق المنزل

فتبوءا بأئتمكم وأئتم غيركم من تبعكم على ذلك ﴿ ولا تشتروا ﴾ أى ولا تستبدلوا ﴿ بآياتي ﴾ أى ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي في التوراة ﴿ ثمنا قليلا ﴾ أى عوضا يسيرا من الدنيا لان الدنيا بالنسبة الى الآخرة كالشيء اليسير الحقيق الذي لا قيمة له والذي كانوا يأخذونه من الدنيا كالشيء اليسير بالنسبة الى جميعها فهو قليل القليل فلهذا قال الله تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وذلك أن كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود وعلماءهم كانوا يصيبون المآكل من سفلتهم وجهالهم وكانوا يأخذون منهم في كل سنة شيئا معلوما من زرعهم وثمارهم وتقودهم وضروعهم فخافوا أن يبنوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه أن تقوتهم تلك المآكل فغيروا نعمته وكتموا اسمه واختاروا الدنيا على الآخرة وأصروا على الكفر ﴿ وأيى فأتقون ﴾ أى فخافون في أمر محمد صلى الله عليه وسلم* والتقوى قريب من معنى الرهبة والفرق بينهما ان الرهبة خوف مع حزن واضطراب والتقوى جعل النفس في وقاية مما تخاف ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولا تلبسوا الحق بالباطل ﴿ أى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم وقيل معناه ولا تخطوا الحق الذي انزل عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة بالباطل الذي تكتبونه بأيديكم من تغيير صفته وقيل لا تخطوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي الحق بالباطل أى بصفة الدجال وذلك أنه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده اليهود وقالوا ليس هو الذى تنتظره وإنما هو المسيح بن داود يعنى الدجال وكذبوا فيما قالوا

(وتكتموا الحق) هو مجزوم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا أو منسوب بأخمار أن والواو بمعنى الجمع أى ولا تجتمعوا بين لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وهما أمران مميزان لأن لبس الحق بالباطل ماذ كرنا من كتبهم في التوراة مما ليس منها وكتمانهم الحق أن يقولوا لا نجد في التوراة صفة مجدأ وحكم كذا (وأنتم تعلمون) في حال علمكم انكم لا بسرون وكتامون وهو الجزء الاوّل {أفبع لهم لان الجهل بالتبعية بما عذر ١١٦} مرتكبه (واقموا الصلوة وآتوا الزكاة)

الباطل الذي تخترعونه وتكتمونه حتى لا يعز بينهما أو ولا تجعلوا الحق ملتبساً بسبب خلط الباطل الذي تكتمونه في خلاله أو تدكرونه في تأويله ﴿وتكتموا الحق﴾ جزم داخل تحت حكم النهي كأنهم أمروا بالإيمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتأيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه أو نصب بأخمار أن على أن الواو للجمع أى لا تجتمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه وبعضه أنه في صحيف ابن مسعود رضى الله عنه وتكتمون أى وأنتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه أشعار بأن استقباح اللبس لما يحبه من كتمان الحق ﴿وأنتم تعلمون﴾ علمين بأنكم لا بسرون كاتمون فإنه أقيح اذ الجهل قديعذر ﴿واقموا الصلوة وآتوا الزكاة﴾ يعنى صلاة المسلمين وركاتهم فإن غيرهما كلا صلاة ولا زكاة أمرهم بفروع الاسلام بعد ما أمرهم بأصوله* وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بها* والزكاة من زكا الزرع اذا نما فإن أخرجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم أو من الزكاء بمعنى الطهارة فأنها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل ﴿واركعوا مع الراكعين﴾ أى في جاعتهم فإن صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلاة بالركوع احترازاً عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدى لا تدل الضعيف عليك أن * تركع يوماً والدهر قد رفعه

﴿أناأمرون الناس بالبر﴾ تقرير مع توبخ وتعجيب* والبر التوسع في الخير من البر

﴿وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾ يعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي مرسل وفيه تنبيه لسائر الخلق وتحذير من مثله فصار هذا الخطاب وان كان خاصاً في الصورة لكنه عام في المعنى فملى كل أحد أن لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتم الحق لما فيه من الضرر والفساد وفيه دلالة أيضاً على ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ومحرم عليه كتمانها ﴿واقموا الصلوة﴾ يعنى الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها وجميع أركانها ﴿وآتوا الزكاة﴾ أى أدوا الزكاة المفروضة عليكم في أموالكم ﴿واركعوا مع الراكعين﴾ أى صلوا مع المصلين يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعبر عن الصلاة بالركوع لانه ركن من أركانها وهذا خطاب لليهود لان صلاتهم ليس فيها ركوع فكانه قال لهم صلوا صلاة ذات ركوع فهذا المعنى أعاده بعد قوله واقموا الصلوة لان الاول خطاب الكافة والثاني خطاب قوم مخصوصين وهم اليهود وفيه حث على اقامة الصلاة في الجماعة فكانه قال صلوا مع المصلين في الجماعة ﴿قوله عز وجل﴾ أناأمرون الناس بالبر ﴿الاستفهام فيه للتقرير مع التبرير

أى صلاة المسلمين وركاتهم (واركعوا مع الراكعين) منهم لان اليهود لا ركع في صلاتهم أى أسلموا واعملا عمل أهل الاسلام وراز أن يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون أمرا بالصلاة مع المصلين يعنى في الجماعة أى صلوا مع المصلين لامفردين والهمزة في (أناأمرون الناس) للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم (بالبر) أى سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يأمرون من نصوه في السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد عليه الصلاة والسلام ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا أتوا بالصدقات ليقروها خانوا فيها

صلى الله عليه وسلم (وتكتموا الحق) ولا تكتموا الحق

(وأنتم تعلمون) بكتمانهم ذكر لزوم الشرائع عليهم بعد الايمان فقال (واقموا الصلوة) أتموا الصلوات (والتعجب)

الخمسة (وآتوا الزكاة) أعطوا زكاة أموالكم (واركعوا مع الراكعين) صلوا الصلوات الخمس مع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الجماعة ثم ذكر قصة رؤساء اليهود فقال (أناأمرون الناس) سفلة الناس (بالبر) بالتوحيد واتباع محمد صلى الله عليه

وهو الفناء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله سبحانه وتعالى
وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب ﴿وتنسون أنفسكم﴾ وتتركونها من البر
كالمنسيات وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت في أخبار المدينة كانوا يأمرون
سرا من نكوه باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة
ولا يتصدقون ﴿وأنتم تتلون الكتاب﴾ تبيكت كقوله وأنتم تعلمون أى تتلون
التوراة وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل ﴿أفلا تعقلون﴾
قبح صنيعكم فيصدكم عنه أو أفلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل فى
الاصل الحبس سمي به الادراك الانسانى لانه يحبس عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم
القوة التى بها النفس تدرك هذا الادراك والآية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه
سوء صنيعه وخبت نفسه وأن فعله فعل الجاهل بالشرع أو الاجح الخالى عن العقل
فأن الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال
عليها بالتكميل لتقوم فقيم غيره لامنع الفاسق عن الوعظ فأن الاخلال بأحد الامرين

(وتنسون أنفسكم)
وتتركونها من البر كالمنسيات
(وأنتم تتلون الكتاب)
تبيكت أى تتلون التوراة
وفيها نعت محمد عليه السلام
أو فيها الوعيد على الخيانة
وترك البر ومخالفة القول
العمل (أفلا تعقلون)
أفلا تقطنون لتعجب ما قدمتم
عليه حتى يصدكم استباحه
عن ارتكابه وهو توبخ

وسلم (وتنسون أنفسكم)
تتركون أنفسكم فلا تتبعونه
(وأنتم تتلون) تقرأون
(الكتاب) عليهم (أفلا
تعقلون) فليس لكم ذهن

والتعجب من حالهم * والبراسم جامع لجميع أعمال الخير والطاعات نزلت هذه الآية فى
علماء اليهود وذلك ان الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المسلمين اذا سأله عن
أمر محمد صلى الله عليه وسلم أثبت على دينه فأن أمره حق وقوله صدق وقيل أن جماعة
من اليهود قالوا لمشركى العرب أن رسولا سيظهر منكم ويدعوكم الى الحق وكانوا يرغبونهم
فى اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به فبكتهم الله ووبخهم
بذلك حيث أنهم كانوا يأمرون الناس باتباعه قبل ظهوره فلما ظهر تركوه وأعرضوا
عنه وقيل كانوا يأمرون الناس بالطاعة والصلاة والزكاة وأنواع البر ولا يفعلونه فوبخهم الله
بذلك ﴿وتنسون أنفسكم﴾ أى وتعلمون عملها فيه نفع والنسيان عبارة عن السهو
الحادث بعد حصول العلم والمعنى أتركون أنفسكم ولا تتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم
﴿وأنتم تتلون الكتاب﴾ يعنى تقرأون التوراة وتدرسونها وفيها نعت محمد صلى الله عليه
وسلم وصفته وفيها أيضا الحث على الافعال الحسنة والاعراض عن الافعال القبيحة والاثم
﴿أفلا تعقلون﴾ يعنى أنه حق فتتبعونه * والعقل قوة تهى قبول العلم ويقال للعلم الذى
يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ومنه قول على بن أبى طالب رضى الله عنه

وان العقل عقلان * فطبوع ومسموع * ولا ينفع مطبوع

اذا لم يك مسموع * كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

وأصل العقل الامسك لانه مأخوذ من عقل الدابة كعقل البعير بالعقل لينعه من الشرود
فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود والافعال القبيحة. ومعنى الآية أن المقصود
من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر هو ارشاد الغير الى تحصيل المصلحة وتحذيره عما
يوقعه فى المفسدة والاحسان الى النفس أولى من الاحسان الى الغير وذلك لان الانسان
اذا وعظ غيره ولم يتعظ هو فكأنه أنى يفعل متناقض لا يقبله العقل فلهذا قال أفلا تعقلون

المأمور بهما لا يوجب الاخلال بالآخر ﴿ واستعينوا بالصبر والصلوة ﴾ متصل بما قبله كأنهم لما أمروا بما شق عليهم لما فيه من الكفاية وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلوا على الله سبحانه وتعالى أو بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والاتجاه اليها فأنا جامعة لأنواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واطهار الخشوع بالجوارح وأخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب * روى أنه عليه الصلاة والسلام كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ويجوز

وقيل أن من وعظ الناس يجتهد ان تنفيذ موعظته الى القلوب فاذا خالف قوله فعله كان ذلك سبب تنفير القلوب عن قبول موعظته (ق) عن اسامة بن زيد رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوماً القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدورها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع اليها أهل النار فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمر الناس بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت أمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية * قوله فتندلق أى تخرج أقتاب بطنه أى أمعاء بطنه واحدها قتب * وروى البغوى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بي رجلاً تقرض شفاهم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون قيل مثل الذى يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضىء للناس ويحرق نفسه وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نذت سهامه وقال بعضهم

ابداً بنفسك فانها عن غيبا * فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويقتدى * بالقول منك وينفع التعليم

﴿ قوله عز وجل ﴾ واستعينوا بالصبر والصلوة ﴿ قيل أن المخاطبين بهذا هم المؤمنون لان من ينكر الصلاة والصبر على دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يقال له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم وجب صرفه الى من صدق محمداً صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل يحتمل أن يكون الخطاب لبنى إسرائيل لان صرف الخطاب الى غيرهم يوجب تفكيك نظم القرآن ولان اليهود لم ينكروا أصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم غير صلاة المؤمنين فعلى هذا القول أن الله تعالى لما أمرهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتمام شريعته وترك الرياسة وحب الجاه والمال قال لهم استعينوا بالصبر أى بحبس النفس عن اللذات وأن ضمتم الى ذلك الصلاة هان عليكم ترك ما أنتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال وعلى القول الاول يكون معنى الآية واستعينوا على حوائجكم الى الله وقيل على ما يشغلكم من أنواع البلاء وقيل على طلب الآخرة بالصبر وهو حبس النفس عن اللذات

(وترك)

عظيم (واستعينوا) على حوائجكم الى الله (بالصبر والصلوة) أى بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقتها وما يجب فيها من اخلاص القلب ودفع الوسوس الشيطانية والهواجس النفسانية ومرعاة الآداب والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي جبار السموات والارض وأستعينوا على البلى والنوائب بالصبر عليها والاتجاه الى الصلاة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه نعى اليه أخوه قثم وهو فى سفر فاسترجع وصلى ركعتين ثم قال واستعينوا بالصبر والصلوة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر وقيل الصلاة الدعاء أى استعينوا على البلى بالصبر والاتجاه الى الدعاء والابتهاج الى الله فى دفعه الانسانية (واستعينوا بالصبر) على أداء فرائض الله وترك الماصى (والصلوة) وبكثرة الصلاة على تحميم

(وأنها) الضمير للصلاة أو الاستعانة (لكبيرة) لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الامر (الأعلى الخاشعين) لانهم يتوقعون مادخر للصابرين على متاعها قهون عليهم ﴿١١٩﴾ ألا ترى الى قوله {سورة البقرة} (الذين يظنون أنهم ملاقور بهم)

أن يراد بها الدعاء ﴿وأنها﴾ أى الاستعانة بهما أو الصلاة وتخصيصها برد الضمير اليها اعظم شأنها واستجماعها ضروريا من الصبر أو جملة ما أمروا بها ونهوا عنها ﴿لكبيرة﴾ لثقل شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ﴿الأعلى الخاشعين﴾ أى الخجبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والالتقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب ﴿الذين يظنون أنهم ملاقور بهم﴾ أى يتوقعون لقاء الله سبحانه وتعالى ونيل ما عنده أو يتيقنون أنهم يحشرون الى الله سبحانه وتعالى فيجازيهم ويؤيدهم أن في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه بضمين معنى التوقع فالأوس بن حجر فأرسلته مستيقن الظن أنه * مخالط ما بين الشر أسيف جائف

وأما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فإن نفوسهم مرانضة بأمثالها متوقمة في مقابلاتها ما يستحق لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعها ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلاة ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم﴾ كرهه للتأكيد وتذكير التفضيل الذى هو أجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها وأخل بحقوقها ﴿وأنى فضلتكم﴾ عطف على نعمتى

وترك المعاصى وقيل بالصبر على أداء الفرائض وقيل الصبر هو الصوم لان فيه حبس النفس عن المفطرات وعن سائر اللذات وفيه انكسار النفس والصلاة أى اجعوا بين الصبر والصلاة وقيل معناه واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى ما يجب فيها من تحجج النية واحضار القلب ومراعاة الاركان والآداب مع الخشوع والخشية فأن من اشتغل بالصلاة ترك ما سواها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة أى اذا أهمه أمر لجأ الى الصلاة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه نعى له أخوه قثم وهو في سفره فاسترجع ثم تمنى عن الطريق فضلى ركعتين أطال فيها السجود ثم قام الى راحلته وهو يقول استعينوا بالصبر والصلاة ﴿وأنها﴾ يعنى الصلاة وقيل الاستعانة ﴿لكبيرة﴾ أى ثقيلة ﴿الأعلى الخاشعين﴾ يعنى المؤمنين وقيل الخاشعين وقيل المطيعين المتواضعين لله وأصل الخشوع السكون فالخاشع ساكن الى الطاعة وقيل الخشوع الضراعة وأكثر ما تستعمل في الجوارح وانما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين لان من لا يرجولها ثوابا ولا يخاف على تركها عقابا فهى ثقيلة عليه وأما الخاشع الذى يرجولها ثوابا ويخاف على تركها عقابا فهى سهلة عليه ﴿الذين يظنون﴾ أى يستيقنون وقيل يعلمون ﴿أنهم ملاقور بهم﴾ يعنى فى الآخرة وفيه دليل على ثبوت رؤية الله تعالى فى الآخرة ﴿وأنهم اليه راجعون﴾ يعنى بعد الموت فيجزئهم بأعمالهم قوله عز وجل ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم﴾ أما أعاد هذا الكلام مرة أخرى توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وأنى فضلتكم

أى يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفسريظنون بيقينون لقراءة عبد الله يعلمون أى يعلمون انه لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك وأما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خاصة والخشوع الاخبات والتطامن وأما الخضوع فاللين والالتقياد وفسر اللقاء بالرؤية وملاقو ربهم بعمائتوه بلا كيف) وأنهم اليه راجعون) لا يملك أمرهم فى الآخرة أحد سواه (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) التكرير للتأكيد (وأنى فضلتكم) نصب عطف على نعمتى أى

الذنوب (وأنها) يعنى الصلاة (لكبيرة) لثقلها (ألا على الخاشعين) المتواضعين (الذين يظنون) يعلمون ويستيقنون (أنهم ملاقور بهم) مما ينو ربهم (وأنهم اليه راجعون) بعد الموت ثم ذكر أيضا منته على بنى اسرائيل فقال (يا بني إسرائيل)

يا أولاد يعقوب (اذكروا نعمتى) احفظوا منى (التى أنعمت عليكم) مننت عليكم (وأنى فضلتكم) بالكتاب والرسول

اذكروا نعمتي وتفضيلي (على العالمين) على الجم الغفير من الناس يقال رأيت عالماً من الناس والمراد الكثرة (واقتوا يوماً) أي يوم القيامة وهو {الجزء الاول} مفعول به لا ظرف ﴿١٢٠﴾ (لا تجزى نفس) مؤمنة (عن نفس)

﴿على العالمين﴾ أي عالمي زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا في عصر موسى عليه الصلاة والسلام وبعده قبل أن يغيروا بما منحهم الله تعالى من العلم واليمان والعمل الصالح وجعلهم أنبياء وملوكاً مقسطين* واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف ﴿واقتوا يوماً﴾ أي ما فيه من الحساب والعذاب ﴿لا تجزى نفس عن نفس شيئاً﴾ لا تقضى عنها شيئاً من الحقوق أو شيئاً من الجزاء فيكون نسبته على المصدر* وقرئ لا تجزى من أجزاء عنه إذا أغنى وعلى هذا تعين أن يكون مصدراً وأيراده من كرامع تكثير النفسين للتعميم والاقتطاع الكلي والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لا تجزى فيه (ولا يقبل منها شفاعته) ولا تقبل بالتاء مكي وبصري والضمير في منها يرجع إلى النفس المؤمنة أي لا تقبل منها شفاعته للكافرة وقيل كانت اليهود تزعم أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم فأؤيسوا فهو كقوله فانتفعهم شفاعته الشافعين وتثبت المعتزلة بالآية في نفي الشفاعته للعصاة مردود لان المنفي شفاعته الكفار وقد قال عليه السلام شفاعتي لاهل الكبار من أمتي من كذب بهالم ينلها (ولا يؤخذ منها عدل) أي فدية لانها معادلة للفدى (ولا هم ينصرون) يعانون وجمع لدلالة النفس المنكرة على النفوس الكثيرة وذكر معنى العباد والانسى (وأذنبناكم

على العالمين) يعني على عالمي زمانكم وهذا التفضيل وان كان في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف للابناء ﴿واقتوا يوماً﴾ أي واخشوا عذاب يوم ﴿لا تجزى﴾ أي لا تقضى ﴿نفس عن نفس شيئاً﴾ يعني حقاً لزمها وقيل معناه لا تنوب نفس عن نفس يوم القيامة ولا ترد عنها شيئاً مما أصابها بل يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ﴿ولا تقبل منها شفاعته﴾ أي في ذلك اليوم والمعنى لا تقبل الشفاعته اذا كانت النفس كافرة وذلك أن اليهود قالوا يشفع لنا آباؤنا فرد الله عليهم ذلك بقوله ولا تقبل منها شفاعته وقيل أن طاعة المطيع لا تقضى عن العاصي ما كان واجبا عليه وقيل معناه أن النفس الكافرة لو جاءت بشفيح لا يقبل منها ﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ أي فدية وهو ماثلة الشيء بالشيء ﴿ولا هم ينصرون﴾ أي لا يمنعون من العذاب ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿وأذنبناكم﴾ أي واذكروا اذ خلاصنا أسلافكم وأجدادكم فاعتدها نعمة ومنة عليهم لانهم نجوا بنجاة أسلافهم

من اليهودية (لا تجزى نفس عن نفس شيئاً) لا تقضى نفس كافرة عن نفس كافرة من عذاب الله شيئاً (ولا يقبل (من) منها شفاعته) لا يشفع لها شافع (ولا يؤخذ) لا يقبل (منها عدل) فداء (ولا هم ينصرون) يمنعون من عذاب الله (واذنبناكم

من آل فرعون) أصل آل أهل ولذلك ﴿١٢١﴾ يصغر بأهيل فابذلت هاؤه {سورة البقرة} ألفا وخص استعماله بأولى الخطر

كالمملوك وأشباههم فلا يقال
آل الاسكاف والحجام
وفرعون علم لمن ملك العمالة
كقيصر ملك الروم وكسرى
ملك الفرس (يسومونكم)
حال من آل فرعون أي
يولونكم من سامه خسفا
إذا أولاه ظلما وأصله
من سام السلعة إذا طلبها
كانه بمعنى ينفونكم (سوء
العذاب) ويزيدونكم
عليه ومساومة البيع
مزايمة أو مطالبة وسوء
مفعول ثان ليسومونكم
وهو مصدر سيي يقال
أعوذ بالله من سوء الخلق
وسوء الفعل يراد قبحهما
ومعنى سوء العذاب
والعذاب كله سيي أشده
وأفظعه (يذبحون أبناءكم)
بيان لقوله يسومونكم
ولذا ترك العاطف (ويستحيون
نساءكم) يتركون بناتكم
أحياء للخدمة وإنما فعلوا
بهم ذلك لأن الكهنة أذنبوا
فرعون بأنه يولد مولود
يزول ملكه بسببه كأذنبوا
نمرود فلم يعن غهما
اجتهادهما في التحفظ وكان
ما شاء الله (وفي ذلكم بلاء)

من آل فرعون) من
فرعون وقومه (يسومونكم
سوء العذاب) يعذبونكم
بأشد العذاب ثم ذكر
(وفي ذلكم بلاء)

من آل فرعون ﴿ تفصيل لما أجهه في قوله اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وعطف
على نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة ﴾ وقرئ أنجيتكم ونجيتكم وأصل آل أهل لان
تصغيره أهيل وخص بالاضافة إلى أولى الخطر كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمملوك وفرعون
لقب لمن ملك العمالة ككسرى وقيصر ملكي الفرس والروم ولعنوهم اشتق منه تفرعن
الرجل إذا عتا وتجرى * وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل أبه وليد من بقايا عاد
وفرعون يوسف عليه الصلاة والسلام ريان وكان بينهما أكثر من أربع مائة سنة ﴿ يسومونكم ﴾
يبغونكم من سامه خسفا إذا أولاه ظلما * وأصل السوم الذهب في طلب الشيء ﴿ سوء
العذاب ﴾ أفضعه فإنه قبيح بالاضافة إلى سائر * والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على
المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم أو من آل فرعون أو منهما جميعا
لان فيها ضمير كل واحد منهما ﴿ يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ بيان ليسومونكم
ولذلك لم يعطف * وقرئ يذبحون بالتحفيف وإنما فعلوا بهم ذلك لان فرعون رأى
في المنام أو قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا
﴿ وفي ذلكم بلاء ﴾ محنة أن أشير بذلكم إلى صنيعهم ونعمة أن أشير به إلى الانجاء

﴿ من آل فرعون ﴾ أي من أتباعه وأهل دينه وفرعون اسم علم كان يملك مصر
من القبط والعماليق وفرعون هذا كان اسمه الوليد بن مصعب بن الريان وعمراً أكثر
من أربع مائة سنة ﴿ يسومونكم ﴾ أي يكلفونكم ويذيقونكم ﴿ سوء العذاب ﴾
أي أشد العذاب وأسوأه وقيل يصرفونكم في العذاب مرة كذا ومرة كذا وذلك
أن فرعون جعل بني إسرائيل خدما وخولا وصنفهم في الاعمال أصنافا صنف يبنون
ويزرعون وصنف يخدمونه ومن لم يكن في عمل وضع عليه الجزية وقال ابن وهب كانوا
أصنافا في أعمال فرعون فذووا القوة يسلمون السوارى من الجبال حتى تقرحت أيديهم
وأعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها وصنف ينقلون الحجارة والطين يبنون
له القصور وطائفة يضربون اللبن ويطنجون الآجر وطائفة نجارون وحدادون
والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج يعني الجزية ضريبة يؤديونها كل يوم فن غربت عليه
الشمس قبل أن يؤدي ضرب يئده غلت يدها إلى عنقه شهر أو النساء يغزلن الكتان وينسجنه وقيل
تفسير يسومونكم سوء العذاب ما بعده وهو قوله عز وجل ﴿ يذبحون أبناءكم ويستحيون
نساءكم ﴾ أي يتركونهن أحياء وذلك أن فرعون رأى في منامه كأن نارا أقبلت
من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطنى ما ولم تتعرض لبني إسرائيل فهاله
ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد غلام يكون على يديه هلاكك وزوال ملكك
فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل ووكل بالقوابل فكان يفعل ذلك حتى
قتل في طلب موسى اثنى عشر ألفا وقيل سبعين ألفا وأسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل
فدخل رؤساء القبط على فرعون وقالوا أن الموت قد وقع ببني إسرائيل فتذبح صغارهم
ويعوت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة
فولد هارون في السنة التي لا يذبح فيها وولد موسى في سنة التي يذبح فيها ﴿ وفي ذلكم بلاء
عذابه عليهم فقال (يذبحون أبناءكم) (قا وخا ١٦ ل) صغارا (ويستحيون) يستخدمون (نساءكم) (كبارا) (وفي ذلكم بلاء)

وأصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله تعالى عباده تارة بالحنّة وتارة باللمحة أطلق عليهما ويجوز أن يشار بذلك إلى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما ﴿من ربكم﴾ بتسليطهم عليكم أو ببعث موسى عليه الصلاة والسلام وتوفيقه لتخليصكم أو بهما ﴿عظيم﴾ صفة لبلاء وفي الآية تنبيه على أن ما يصيب العبد من خير أو شر اختبار من الله سبحانه وتعالى فعليه أن يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين ﴿وأذفرقناكم البحر﴾ فللقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوكم فيه أو بسبب انجائكم أو ملتبساً بكم كقوله تدوس بنا الحجاجم والتربا

من ربكم عظيم ﴿أي اختبار وامتحان* والبلاء يطلق على النعمة العظيمة وعلى الحنة الشديدة ليختبر الله العبد على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر فإن حل قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم على صنع فرعون كان من البلاء والحنّة وأن حل على الانجاء كان من النعمة ﴿قوله عز وجل﴾ وأذفرقنا بكم البحر ﴿أي فصلنا بعضه من بعض وجعلنا فيه مسالك بسبب دخولكم البحر وسمى بحرا لاتساعه

ذكر سياق القصة

وذلك أنه لما دنا هلاك فرعون أمر الله موسى عليه الصلاة والسلام أن يسرى بني إسرائيل من مصر بالليل فأمر موسى قومه أن يسرجوا في بيوتهم السرج إلى الصبح وأن يستعروا حلى القبط لتتق لهم أوليتبعوهم لاجل المال وأخرج الله كل ولد زنا كان في القبط من بني إسرائيل إلى بني إسرائيل وكل ولد زنا كان في بني إسرائيل من القبط إلى القبط حتى يرجع كل ولد إلى أبيه وألقى الله الموت على القبط فأت كل بكرى لهم فاشتغلوا بدفنه وقيل بلغ ذلك فرعون فقال لا أخرج في طلبهم حتى يصبح الديك فما صاح تلك الليلة ديك وخرج موسى في بني إسرائيل وهم ستمائة ألف وعشرون ألفا لا يعدون ابن عشرين سنة لصغره ولا ابن ستين سنة لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين أنسانا ما بين رجل وامرأة فلما أرادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى مشيخة بني إسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا أن يوسف لما حضره الموت أخذ على أخوته عهدا أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك أنشد علينا الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلوه فقام موسى ينادى أنشد الله كل من يعلم أين قبر يوسف ألا أخبرني به ومن لم يعلم صمت أذناه عن سماع قولي فكان يمر بالرجل وهو ينادى فلا يسمع صوته حتى سمعته عجوز منهم فقالت له رأيتك أن دلتك على قبره أتعطيني كل ما أسألك فأبي عليها وقال حتى أسأل ربي فأمره أن يعطيها سؤالها فقالت أنى عجوز لا يستطيع المشى فأجلني معك واخرجني من مصر هذا في الدنيا وأما في الآخرة فأسألك أن لاتنزل غرفة من غرف الجنة إلا نزلتها معك قال نعم قالت أنه في النيل في جوف الماء فادع الله أن يحسر عنه الماء فدعا الله فحسر عنه الماء ودعا الله أن يؤخر عنه طلوع

حنّة ان أشير بذلك إلى صنع فرعون ونعمة أن أشير به إلى الانجاء (من ربكم) صفة لبلاء (عظيم) صفة ثانية (وأذفرقنا) فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرى فرقتا أي فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط (بكم البحر) كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكم فكأنما فرق بهم أوفرقتا بسبيكم أوفرقتاه ملتبساً بكم فيكون في موضع الحال روى أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام أين أصحابنا فنحن لا نرضى حتى نراهم فأوحى الله اليه ان قل بمصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى قتراؤا وتسامعوا بلية (من ربكم عظيم) عظيمة ويقال نعمة من ربكم عظيمة ثم ذكر منة النجاة من العرق وغرق فرعون وقومه فقال (وأذفرقنا) فلقتنا (بكم البحر)

«وقرى فرقتنا على بناء الكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط ﴿ فأنجيناكم
وأغرقتنا آل فرعون ﴾ أراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بأنه كان أولى
به وقيل شخصه كإروى أن الحسن رضى الله تعالى عنه كان يقول اللهم صل على آل
محمد أى شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ ذلك أو غرقهم

الفجر حتى يفرغ من أمر يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجوه وهو
في صندوق من مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام فعند ذلك فتح لهم الطريق فسار موسى
عليه الصلاة والسلام بنى إسرائيل هو في ساقمهم وهارون في مقدمتهم ثم خرج فرعون في
طلبهم في ألف ألف وسبعمائة ألف وكان فيهم سبعون ألفاً من دهم الخيل سوى سائر الشيات
وقيل كان معهم مائة ألف حصان أدهم وكان فرعون في الدهم وكان على مقدمة عسكره
هامان وكان فرعون في سبعة آلاف ألف وكان بين يديه مائة ألف ألف ناشب ومائة
ألف ألف حراب ومائة ألف ألف معهم الأعمدة وسار بنو إسرائيل حتى وصلوا البحر
والماء في غاية الزيادة ونظروا حين أشرقت الشمس فاذا هم بفرعون في جنوده فبقوا
متحيرين وقالوا يا موسى أين ما وعدتنا به فكيف نصنع هذا فرعون خلفنا أن أدركنا
قتلنا والبحر أمامنا ان دخلناه غرقنا فأوحى الله إلى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضر به
فلم يطعه فأوحى الله إليه أن كنه فضربه وقال انطلق يا أبأخالد فانطلق فكان كل فرق
كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط منهم طريق وارتفع الماء بين كل
طريقين كالجبل وارسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صارت يساوا خاضت بنوا
إسرائيل البحر كل سبط في طريق عن جوانبهم الماء كالجبال الضخم لا يرى بعضهم بعضاً
فخافوا وقال كل سبط منهم قدهلك أخواننا فأوحى الله إلى جبال الماء أن تشبكي فصار الماء
كالشباك يرى بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر تسالين فذلك
قوله تعالى وأذ فرقتنا بكم البحر ﴿ فأنجيناكم ﴾ يعنى من فرعون ﴿ وأغرقتنا آل فرعون ﴾
وذلك أن فرعون لما وصل إلى البحر فرآه منطلقاً قال لقومه انظروا إلى البحر كيف انطلق
من هيبتي حتى أدرك عبيدى الذين أبقوا منى ادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوا
وقيل قالوا له أن كنت ربا فادخل البحر كادخل موسى وكان فرعون على حصان أدهم ولم
يكن في خيل فرعون فرس أثنى فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام على فرس أثنى وديق فتقدمه
وخاض البحر فلما شم أدهم فرعون ريحها اقتحم البحر في أثرها ولم يملك فرعون من أمره
شيئاً واقتمت الخيول خلفه في البحر وجاء ميكائيل خلفهم يسوقهم وهو على فرس
ويقول الحقوا بأصحابكم حتى صاروا كلهم في البحر وخرج جبريل من البحر وهم أولهم
بالخروج فامر الله البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم وأغرقتهم أجمعين وكان بين طرفي البحر
أربع فراسخ وهو بحر القلزم وهو على طرف من بحر فارس وقيل هو بحر من وراء
مصر يقال له اساف وكان اغراق آل فرعون بمرأى من بنى إسرائيل فذلك قوله
﴿ وأنتم تنظرون ﴾ يعنى إلى هلاكهم وقيل إلى مصارعهم وقيل أن البحر قد فتم حتى

كلامهم ﴿ فأنجيناكم وأغرقتنا
آل فرعون وأنتم تنظرون ﴾
إلى ذلك وتشاهدونه ولا
تسكون فيه وإنما قال
﴿ فأنجيناكم ﴾ من الغرق
(وأغرقتنا آل فرعون)
وقومه (وأنتم تنظرون)
اليهم بعد ثلاثة

وأطبق البحر عليهم أو انفلاق البحر عن طرق يابسة مذلة أو جشهم التي قذفها البحر الى الساحل أو ينظر بعضكم بعضاً روى أنه تعالى أمر موسى عليه الصلاة والسلام أن يسرى ببنى إسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده فصادفوه على شاطئ البحر فأوحى الله تعالى اليه أن أضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقاً يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف أن يفرق بعضنا فلانعلم ففتح الله سبحانه وتعالى فيها كوى فتراوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون وراه منفلقا اتخيم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم وأغرقهم أجمعين، وواعلم أن هذه الواقعة من أعظم ما أنعم الله سبحانه وتعالى به على بنى إسرائيل ومن الآيات المجلية الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه الصلاة والسلام ثم أنهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى ترى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم مع أن ما تواتر من معجزاته أمور نظرية دقيقة مثل القرآن والتخدي به والفضائل المجتمعة فيه الشاهدة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تدرجها الاذكياء وأخباره عليه الصلاة والسلام عنهما من جلة معجزاته على ما مر تقريره وأذ وعادنا موسى أربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعدالله موسى أن يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقراً ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحزرة والكسائي واعدنا لانه سبحانه وتعالى

نظروا اليهم ووافق ذلك يوم عاشوراء فصام موسى عليه الصلاة والسلام ذلك اليوم شكراً لله تعالى قوله عز وجل ﴿ وأذ واعدنا ﴾ من المواعدة وهو من الله الامر ومن موسى القبول وذلك أن الله وعده بمجيء المقاتل موسى اسم عبري معرب فوسى بالعبرية الماء والشجر سمي موشى لانه أخذ من بين الماء والشجر ثم قلبت للشين سيناً فسمى موسى ﴿ أربعين ليلة ﴾ أى انقضاء أربعين ليلة ثلاثين من ذى القعدة وعشر من ذى الحجة وقرن التاريخ بالليل دون النهار لان الاشهر العربية وضعت على سير القمر وقيل لان الظلمة أقدم من الضوء

ذ ك ر القصة في ذلك

قال العلماء لما أنجى الله بنى إسرائيل من البحر وأغرق عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينبتون اليها وعدالله موسى أن ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه أنى ذاهب الى ميقات ربي لا يتكلم منه بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تدررون ووعدهم أربعين ليلة واستخلف عليهم أخاه هارون فلما جاء الموعد أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيئاً لآحي ليذهب بموسى الى ميقات ربه فرآه السامرى وكان صائفاً اسمه ميخاو قال ابن عباس رضى الله عنهما اسمه موسى بن ظفر وقيل كان من أهل ما حرا وقيل كerman وقيل من بنى إسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وكان منافقا يظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فلما رأى جبريل على ذلك الفرس وراى موضع قدم الفرس يخضر في الحال فقال في نفسه أن لهذا لسأنا وقيل رأى جبريل حين دخل البحر قدام فرعون فقبض قبضة

(وأذ واعد ناموسى) لان الله تعالى وعده الوحي ووعده هو المجيء للميقات الى الطور واعدنا حيث كان بصرى لما دخل بنوا إسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعدالله تعالى موسى ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة وقال (أربعين ليلة) لان الشهور غررها بالليالي وأربعين مفعول ثان لواعدنا لا ظرف لانه ليس معناه واعدناه في أربعين ليلة

أيام (وأذ واعدنا) وقد واعدنا (موسى أربعين ليلة) بأعطاء الكتاب

وعده الوحي ووعده موسى عليه الصلاة والسلام المحيي الميقات الى الطور ﴿ ثم اتخذتم العجل ﴾ ألهاء معبودا ﴿ من بعده ﴾ من بعد موسى عليه الصلاة والسلام أو مضية ﴿ وأنتم ظالمون ﴾ بأشراككم ﴿ ثم عفونا عنكم ﴾ حين تبتم * والعفو نحو الجرعة من عفا إذا درس ﴿ من بعد ذلك ﴾ أى الاتخاذ ﴿ لعلمكم تشكرون ﴾ أى لكي تشكروا عفوه

(ثم اتخذتم العجل) أى ألهاء فحذف المفعول الثانى لاتخاذتم وبابه بالظهار مكى وحفص (من بعده) من بعد ذهابه الى الطور (وأنتم ظالمون) أى بوضعكم العبادة غير موضعها والجملة حال أى عبدتموه ظالمين (ثم عفونا عنكم) محونا ذنوبكم عنكم (من بعد ذلك) من بعد اتخاذكم العجل (لعلمكم تشكرون) لكي تشكروا النعمة في العفو

(ثم اتخذتم العجل) عبدتم العجل (من بعده) من بعد انطلاقه الى الجبل (وأنتم ظالمون) ضارون (ثم عفونا عنكم) تركناكم ولم تستأصلكم (من بعد ذلك) من بعد عبادتكم العجل (لعلمكم تشكرون) لكي

من تراب فرسه وألقى في روعه أنه إذا ألقى في شئ حي فلما ذهب موسى الى الميقات ومكث على الطور أربعين ليلة وأنزل الله عليه التوراة في الألواح وكانت الألواح من زبرجد وقربه نجيا وأسمعه صرير الأقدام وقيل أنه بقى أربعين ليلة لم يحدث فيها حدثا حتى هبط من الطور وكان بنوا إسرائيل قد استعاروا حليا كثيرا من القبط حين أرادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فلما هلك فرعون وقومه بقى ذلك الحلى في أيديهم فلما فصل موسى قال لهم السامرى أن الحلى الذى استعتموه من القبط غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفيرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى ويرى فيها رأيه وقيل ان هارون أمرهم بذلك فلما اجتمعت الحلى أخذها السامرى وصاغها عجلا في ثلاثة أيام ثم ألقى فيها القبضة التى أخذها من تراب فرس جبريل عليه الصلاة والسلام فصار عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر وخارخورة وقيل كان يخور ويمشى فقال لهم السامرى هذا ألهكم وأله موسى فنسى أى فكره ههنا وخرج يطلبه وكان بنوا إسرائيل قد خلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا في الفتنة وقيل كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنهم في تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا أنه قد مات ورأوا العجل وسبعوا قول السامرى فمكف عليه ثمانية آلاف رجل يعبدونه وقيل عبده كلهم الأهارون مع اثني عشر ألف رجل وهذا أصح فذلك قوله عز وجل ﴿ ثم اتخذتم العجل ﴾ يعنى ألهاء ﴿ من بعده ﴾ أى من بعد موسى ﴿ وأنتم ظالمون ﴾ أى وأنتم ضارون لانفسكم بالمعصية حيث وضعتم العبادة في غير موضعها ﴿ ثم عفونا عنكم ﴾ أى محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم ﴿ من بعد ذلك ﴾ أى من بعد عبادتكم العجل ﴿ لعلمكم تشكرون ﴾ أى لكي تشكروا عفوى عنكم وحسن صنيعى اليكم * وأصل الشكر هو تصور النعمة وأظهارها ويزاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها والشكر على ثلاثة أضرب شكر القلب وهو تصور النعمة وشكر اللسان وهو الثناء على النعمة وشكر بسائر الجوارح وهو مكافاة النعمة بقدر استحقاقها وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر وحكى أن موسى عليه الصلاة والسلام قال ألهى أنعمت على النعم السوابغ وأمرتني بالشكر وأما شكرى أياك نعمة منك فأوحى الله تعالى اليه يا موسى تعلت العلم الذى لا فوقه علم حسبي من عبدى أن يعلم أن مابه من نعمة فهى منى وقال داود عليه الصلاة والسلام سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة وقال الفضيل شكر كل نعمة أن لا يعصى الله بعدها بتلك النعمة وقيل

عنكم (وأذا آتينا موسى الكتاب والفرقان) يعنى الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل وهو التوراة ونظيره رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجرأة أو التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات {الجزء الاول} أو الشرع الفارق ﴿١٢٦﴾ بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفلاق البحر أو

﴿ وأذ آتينا موسى الكتاب والفرقان ﴾ يعنى التوراة الجامع بين كونه كتابا منزلا ووجهة يفرق بين الحق والباطل وقيل أراد بالفرقان مجزأته الفارقة بين الحق والمبطل في الدعوى أو بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام أو النصر الذى يفرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر ﴿ لعلمكم تهتدون ﴾ لى تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات ﴿ وأذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم ﴾ فأعز موا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا من التفاوت وممزا بعضكم عن بعض بصور وهيئات مختلفة وأصل التركيب لخلوص الشئ عن غيره أما على سبيل التفصى كقولهم برى المريض من مرضه والمديون من دينه أو الانشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين أو فتوبوا ﴿ فاقتلوا أنفسكم ﴾ تماما لتوبتكم بالجمع أو قطع الشهوات كاقيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحياها وقيل أمرها أن يقتل بعضهم بعضا وقيل أمر من لم يعبد العجل أن يقتل العبدة* روى أن الرجل كان يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المضى لامر الله سبحانه وتعالى فيه فأرسل الله ضيابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فأخذوا يقتلون من الغداة الى العشى حتى دعا موسى وهارون فكشف السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين ألفا* والغاء الاولى للتسيب والثانية للتعقيب ﴿ ذلكم خير لكم عند بارئكم ﴾ من حيث أنه طهرة من الشرك ووصلة الى

شكر النعمة ذكرها وقيل شكر النعمة أن لا يراها البتة ويرى المنعم وقيل الشكر لمن فوقك بالطاعة والثناء ولنظيرك بالمكافاة ولمن دونك بالاحسان والافضل ﴿ قواه عز وجل ﴾ وأذ آتينا موسى الكتاب ﴿ يعنى التوراة ﴾ والفرقان ﴿ قيل هو نعت الكتاب والواو زائدة والمعنى الكتاب المفرق بين الحلال والحرام والكفر والايمان وقيل الفرقان هو النصر على الاعداء والواو أصلية ﴿ لعلمكم تهتدون ﴾ يعنى بالتوراة ﴿ وأذ قال موسى لقومه ﴾ يعنى الذين عبدوا العجل ﴿ يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ﴾ يعنى ألهها تعبدونه فكأنهم قالوا ما نضع قال ﴿ فتوبوا الى بارئكم ﴾ أى ارجعوا الى خالقكم بالتوبة قالوا كيف نتوب قال ﴿ فاقتلوا أنفسكم ﴾ يعنى ليقتل البرئ منكم المجرم* فأن قلت التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح والعزم على أن لا يعود اليه وهذا ما غير للقتل فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل* قلت ليس المراد تفسير التوبة بالقتل بل بيان أن توبتهم لا تتم إلا بالقتل وأما كان كذلك لان الله أوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام ان توبة المرتد لا تتم إلا بالقتل* فان قلت التائب من الردة لا يقتل فكيف استحقوا القتل وقد تابوا من الردة* قلت ذلك مما يختلف فيه الشرائع فعمل شرع موسى كان يقتضى أن يقتل التائب من الردة اما عاما في حق الكل أو خاصا في حق الذين عبدوا العجل ﴿ ذلكم خير لكم عند بارئكم ﴾

النصر الذى يفرق بينه وبين عدوه (لعلمكم تهتدون) لى تهتدوا (وأذ قال موسى لقومه) للذين عبدوا العجل (يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) معبودا (فتوبوا الى بارئكم) هو الذى خلق الخلق بريثامن التفاوت وفيه تقريع لما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذى برأهم ابراء من التفاوت الى عبادة البقر الذى هو مثل فى العباوة والبلادة (فاقتلوا أنفسكم) قيل هو على الظاهر وهو البجع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل أمر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة فقتل سبعون ألفا (ذلكم) التوبة والقتل (خير لكم عند بارئكم) من الاصرار

تشكروا عفوى (وأذ آتينا موسى الكتاب) أعطينا موسى التوراة (والفرقان) يعنى بينا فيها الحلال والحرام والامر والنهى وغير ذلك ويقال النصررة والدولة على فرعون (لعلمكم تهتدون) لى تهتدوا من الضلالة ثم ذكر

قصة موسى مع قومه فقال (وأذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم) ضررتم أنفسكم (باتخاذكم العجل) بعبادتكم (يعنى) العجل فقالوا لموسى فاذا تأمرنا فقال لهم (فتوبوا الى بارئكم) الى خالقكم قالوا كيف نتوب فقال لهم (فاقتلوا أنفسكم) فليقتل الذى لم يعبد العجل الذى عبده (ذلكم) التوبة والقتل (خير لكم عند بارئكم) خالقكم

الحياة الابدية والبهجة السرمدية ﴿فتاب عليكم﴾ متعلق محذوف أن جعلته من كلام موسى عليه الصلاة والسلام لهم تقديره أن فعلتم ما أمرتم به فقد تاب عليكم وعطف على محذوف أن جعلته خطابا من الله تعالى لهم على طريق الالتفات كأنه قال ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم بارتئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه أشعار بأنهم بلغوا غاية الجهالة والعبادة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في العبادة وأن من لم يعرف حق منعمه حقيق بأن يسترد منه ولذلك أمروا بالقتل وفك التركيب ﴿أنه هو التواب الرحيم﴾ الذي يكثر توفيق التوبة أو قبولها من المذنبين ويسالغ في الانعام عليهم ﴿وَأَذَقْتُمْ ياموسى لن تؤمن لك﴾ لاجل قولك أولن نقرلك ﴿حتى نرى الله جهرة﴾ عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للعبادة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية أو الحال من الفاعل أو المفعول * وقرئ جهرة بالفتح على أنها مصدر كالعلة أو جمع جاهر كالكتابة فتكون حالا والقاتلون هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه الصلاة والسلام للليقات وقيل عشرة

يعنى القتل وتحمل هذه الشدة لأن الموت لا بد منه فلما أمرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله تعالى فجلسوا محتبين من الحبوة وهو ضم الساق الى البطن بثوب وقيل لهم من حل حبوته أو مد طرفه الى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته وأصلت القوم الخناجر والسيوف وأقبلوا عليهم فكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره فيرق له فما يمكنهم المضى لامر الله تعالى فقالوا ياموسى كيف نفعل فارسل الله تعالى عليهم سحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلون الى المساء فلما كثرت القتل دعا موسى وهارون الله وبكىوا وتضرعا اليه وقالوا يارب هلكت بنوا إسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم أن يكفوا عن القتل فكشفت عن ألوف من القتلى قال على بن أبي طالب رضى الله عنه كان عدد القتلى سبعين ألفا فاشتد ذلك على موسى فأوحى الله اليه أميرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقى مكفرا عنه ذنوبه فذلك قوله عز وجل ﴿فتاب عليكم﴾ أى فعلتم ما أمرتم به ف تجاوز عنكم ﴿أنه هو التواب﴾ أى الرجاء بالمغفرة القائل للتوبة ﴿الرحيم﴾ بخلقه ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿وَأَذَقْتُمْ ياموسى لن تؤمن لك﴾ أى لن نصدقك ﴿حتى نرى الله جهرة﴾ أى عيانا وذلك أن الله عز وجل أمر موسى أن يأتيه في ناس من بنى إسرائيل يعتذرون اليه من عبادة الجبل فاختر موسى من قومه سبعين رجلا من خيارهم وقال لهم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا وخرج بهم موسى الى طور سيناء لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا أن نسمع كلام ربنا قال افعل فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله فدخل موسى فى الغمام وقال للقوم ادنوا حتى دخلو تحت الغمام وخروا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع فلا يستطيع أحد أن ينظر اليه ف ضرب دونهم الحجاب وسمعوه يكلم موسى بأمره ونيهاه وأسمعهم الله تعالى أنى أن الله لأله ألا أنا ذوبكة أخرجتكم من أرض مصر بيد شديدة فاعبدونى ولا تعبدوا غيرى

على المعصية (فتاب عليكم أنه هو التواب) الفضل بقبول التوبة وإن كثرت (الرحيم) بغو الحوبة وإن كبرت والفاء الاولى للتسيب لان الظلم سبب التوبة والثانية لتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم اذ الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم والثالثة متعلقة بشرط محذوف كأنه قال فإن فعلتم فقد تاب عليكم (وَأَذَقْتُمْ ياموسى لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة) عيانا وانتصبا على المصدر كاتنصب القر فضاء بفعل الجلوس أو على الحال من نرى أى ذوى

(فتاب عليكم) ف تجاوز عنكم (أنه هو التواب) الم تجاوز لمن تاب (الرحيم) على من مات على التوبة (وَأَذَقْتُمْ ياموسى لن تؤمن لك) لن نصدقك فيما تقول (حتى نرى الله جهرة) معاينة كما رأيت

جهرة (فأخذتكم الصاعقة) أي الموت قيل هي نار جاءت من السماء فأحرقتهم روى أن السبعين الذين كانوا مع موسى عليه السلام عند الانطلاق إلى الجبل قالوا له نحن لم نعبد العجل كما عبده هؤلاء فأرنا الله جهرة فقال موسى سألته ذلك فأباه على فقالوا أنك رأيت الله تعالى فلن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبعث الله عليهم صاعقة فأحرقتهم وتعلقت المعتزلة بهذه الآية في نفى الرؤية لأنه لو كان جائز الرؤية { الجزء الأول } لما عذبوا بسؤال ﴿ ١٢٨ ﴾ ما هو جائز الثبوت قلنا إنما عوقبوا

بكفرهم لأن قولهم أنك رأيت الله فلن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة كفر منهم ولأنهم امتنعوا عن الايمان بموسى بعد ظهور معجزته حتى يروا ربهم جهرة والايان بالانبياء واجب بعد ظهور معجزاتهم ولا يجوز اقتراح الآيات عليهم ولأنهم لم يسألوا سؤال استرشاد بل سؤال تعنت وعناد (وأنتم تنظرون) اليها حين نزلت (ثم بعثناكم) حينناكم وأصله الاثارة (من بعد موتكم لعلكم تشكرون) بعد الموت (وظلنا عليكم الغمام) جعلنا الغمام يظلمكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير يسيرهم يظلمهم من الشمس وينزل بالليل عود من نار يسرون في ضوءه وثيابهم لا تنسخ ولا تبلى (وأزلنا عليكم المن) الترنجبين وكان ينزل عليهم مثل الثلج من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لكل انسان صاع (والسلوى)

آلاف من قومه والمؤمنين به أن الله الذي أعطاك التوراة وكلك أو أنك نبي ﴿ فأخذتكم الصاعقة ﴾ لغرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فأنهم ظنوا أنه سبحانه وتعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرأى وهي محال بل الممكن أن يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة ولافراد من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فأحرقتهم وقيل صحبة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخر واصعقن ميتين يوما وليلة ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ ما أصابكم بنفسه أو بأثره ﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم ﴾ بسبب الصاعقة وقيد البعث لأنه قد يكون عن أعماه أو نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ نعمة البعث أو ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة ﴿ وظلنا عليكم الغمام ﴾ سخر الله سبحانه وتعالى لهم السحاب يظلمهم من الشمس حين كانوا في التيه ﴿ وأزلنا عليكم المن والسلوى ﴾ الترنجبين والسماى قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع وتبعث الجنوب عليهم السماى

فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة وانما قالوا جهرة توكيدا للرؤية لئلا يتوهم متوهم أن المراد بالرؤية العلم ﴿ فأخذتكم الصاعقة ﴾ قيل هي الموت وفيه ضعف لان قوله وأنتم تنظرون يردده اذ لو كان المراد منها الموت لا تمتنع كونهم ناظرين اليها وقيل أن الصاعقة هي سبب الموت واختلفوا في ذلك السبب فقيل أن نارا نزلت من السماء فأحرقتهم وقيل جاءت صحبة من السماء وقيل أرسل جوعا من الملائكة فسمعوا بحسيسهم فخرروا صعقن ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ أي ينظر بعضكم الى بعض كيف يأخذ الموت فلما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع ويقول ألهى ماذا أقول لبي أسراييل اذا أتيتهم وقد هلك خيارهم لوشئت أهلكتهم من قبل وأيأى أهلكتنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناشده حتى أحياهم الله رجلا بعد رجل بعدما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى ﴿ ثم بعثناكم ﴾ أي أحييناكم ﴿ من بعد موتكم ﴾ أي لتستوفوا بقية آجالكم وأرزاقكم ولو أنهم كانوا قد ماتوا لانقضاء آجالهم لم يبعثوا الى يوم القيامة ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ قوله عز وجل ﴿ وظلنا عليكم الغمام ﴾ يعني في التيه يقيكم حر الشمس وذلك أنه لم يكن لهم في التيه شئ يستترهم ولا يستظلون به فشكوا الى موسى فأرسل الله غماما أبيض رقيقا يستترهم من الشمس وجعل لهم عودا من نور يضئ لهم بالليل اذالم يكن قر ﴿ وأزلنا عليكم المن والسلوى ﴾ أي في التيه والاكثر على أن المن هو

كان يبعث الله عليهم الجنوب فحشر عليهم السلوى وهي السماى فيذبج الرجل منها ما يكفيه وقلنا لهم (الترنجبين)

(فأخذتكم الصاعقة) فأحرقتكم النار (وأنتم تنظرون) اليها (ثم بعثناكم) أحييناكم (من بعد موتكم) حرقكم (لعلكم تشكرون) لكي تشكروا احيائى (وظلنا عليكم الغمام) في التيه (وأزلنا عليكم المن والسلوى) في التيه

يعنى فظلموا بأن كفروا هذه
النم وما ظلمونا (ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون) أنفسهم
مفعول يظلمون وهو خبر كان
(وأذقلنا) لهم بعد ما خرجوا
من التيه (ادخلوا هذه
القرية) أى بيت المقدس
أو أريحا والقرية المجتمع
من قريت لأنها تجمع الخلق
أمرؤا بدخولها بعد التيه
(فكلوا منها) من طعام
القرية وثمارها (حيث
شتم رعدا) واسعا (وادخلوا
الباب) باب القرية
أوباب القبة التى كانوا
يصلون إليها ولم يدخلوا
بيت المقدس فى حياة موسى
عليه السلام وإنما دخلوا
الباب فى حياته ودخلوا
بيت المقدس بعده (سجدا)
حال وهو جمع ساجد
أمرؤا بالسجود عند الانتهاء
الى الباب شكرا لله تعالى

(كلوا من طيبات) حالات
(مارزقناكم) أعطيناكم
ولا ترفضوا لقد فرغوا
(وما ظلمونا) وما نقصونا
بما رفضوا (ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون) يضرون
(وأذقلنا) أدخلوا هذه
القرية (قرية أريحا
(فكلوا منها حيث شتم)
وقى ماشتم (رعدا)
موسعا عليكم (وادخلوا
الباب سجدا) ركعا

وينزل بالليل عمود نار يسرون فى ضوءه وكانت ثيابهم لاتسرخ ولا تبلى ﴿كلوا من طيبات مارزقناكم﴾ على أرادة القول ﴿وما ظلمونا﴾ فيه اختصار وأصله فظلموا بأن كفروا هذه النم وما ظلمونا ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بالكفران لأنه لا يتخطاهم ضرره ﴿وأذقلنا ادخلوا هذه القرية﴾ يعنى بيت المقدس وقيل أريحا أمرؤا به بعد التيه ﴿فكلوا منها حيث شتم رعدا﴾ واسعا ونصبه على المصدر أو الحال من الواو ﴿وادخلوا الباب﴾ أى باب القرية أو القبة التى كانوا يصلون إليها فأنهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى عليه الصلاة والسلام ﴿سجدا﴾ متطامنين مخبتين أو ساجدين

الترنجبين وقيل هو الشئ كالصمغ يقع على الشجر طمعه كالشهد وقال وهب هو الخبز الرقاق وأصل المن هو ما يعن الله به من غير تمب (ق) عن سعيد بن زيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكمة من المن وماؤها شفاء للعين ومعنى الحديث ان الكمة شئ أبتته الله من غير سعى أحد ولا مؤنة وهو بمنزلة المن الذى كان ينزل على بنى إسرائيل وقوله وماؤها شفاء للعين معناه أن يخلط مع الادوية فينتفع به لأنه يتقطر ماؤها بخا فى العين وقيل أن تقطيره فى العين ينفع لكن لوجع مخصوص وليس يوافق كل وجع فى العين وكان هذا المن ينزل على أشجارهم فى كل ليلة من وقت السحر الى طلوع الشمس كالثلج لكل أنسان صاع فقالوا يا موسى قد قتلنا هذا المن بمحلاوته فادع لنا ربك أن يطعمنا اللحم فارسل الله عليهم السلوى وهو طائر يشبه السمانى وقيل هو السمانى بعينه فكان الرجل يأخذ ما يكفيه يوما ليلة فإذا كان يوم الجمعة يأخذ ما يكفيه ليومين لأنه لم يكن ينزل يوم السبت شئ ﴿كلوا﴾ أى وقلنا لهم كلوا ﴿من طيبات﴾ أى حالات ﴿مارزقناكم﴾ أى ولا تدخروا لقد فمخالفوا وادخروا فدود وفسد فقطع الله عنهم ذلك (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنوا إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخبز اللحم ولولا حواء لم تخن أثنى زوجها الدهر قوله لم يخبز اللحم لم ينتن ولم يتغير ﴿وما ظلمونا﴾ أى وما بنحسوا حقنا ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يعنى بأخذهم أكثر مما حد لهم فاستحقوا بذلك عذابى وقطع مادة الرزق الذى كان ينزل عليهم بلامؤنة ولا تعب فى الدنيا ولا حساب فى المقبي ﴿قوله عن وجهه﴾ وأذقلنا ادخلوا هذه القرية ﴿سميت قرية لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس رضى الله عنهما هى أريحا قرية الجبارين وقيل كان فيها قوم من بنية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق فعلى هذا يكون القائل يوشع بن نون لأنه هو الذى قبح أريحا بعد موت موسى لأن موسى مات فى التيه وقيل هى بيت المقدس وعلى هذا فيكون القائل موسى والمعنى اذا خرجتم من التيه بعد مضى الاربعين سنة ادخلوا بيت المقدس ﴿فكلوا منها حيث شتم رعدا﴾ أى موسعا عليكم ﴿وادخلوا الباب﴾ فمن قال أن القرية أريحا قال ادخلوا من أى باب كان من أبوابها وكان لها سبعة أبواب ومن قال أن القرية هى بيت المقدس قال هو باب حطة ﴿سجدا﴾ منحنين خضعات متواضعين كالرا كع

وتواضعه (وقولوا حطة) فعلة من الحط كالجلسة وهي خبره بدأ محذوف أي مسئلتنا حطة وأمرنا حطة والاصل نصب وقد قرئ به بمعنى حط عناذون بنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات وقيل أمرنا حطة أي أن نحط في هذه القرية ونستقر فيها وعن علي رضي الله عنه هو بسم الله الرحمن الرحيم وعن عكرمة هو لا إله إلا الله (تغفر لكم خطاياكم) جمع خطيئة وهي الذنب يغفر مدني تغفر شامي (وسنزيد المحسنين) أي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة (فبدل الذين ظلموا { الجزء الاول } قولاً غير الذي ﴿ ١٣٠ ﴾ قيل لهم) فيه حذف وتقديره

فبدل الذين ظلموا بالذي قيل لهم قولاً غير الذي قيل لهم فبدل يتعدى إلى مفعول واحد بنفسه وإلى آخر الباء فالذي مع الباء متروك والذي بغير باء موجود يعني وضوا مكان حطة قولاً غيرها أي أمرها بقول معناه التوبة والاستغفار فخالقوه إلى قول ليس معناه معنى ما أمروا به ولم يمتثلوا أمر الله وقيل قالوا ما كان حطة حطة وقيل قالوا بالنبطية حطاً سميحاً أي حنطة حراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدوا عن طلب ما عند الله إلى طلب ما يشتهون من أعراض الدنيا (فأنزلنا على الذين ظلموا رجلاً) عذاباً وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقييد أمرهم وإيذان بأنزال الرجز عليهم لظلمهم (من السماء) صفة لرجز (بما كانوا يفسقون) بسبب

لله سبحانه وتعالى شكراً على أخرجكم من التيه ﴿وقولوا حطة﴾ أي مسألتنا حطة وأمرنا حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقيل بالنصب على الأصل بمعنى حط عناذون بنا حطة أو على أنه مفعول قولوا أي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه أمرنا حطة أي أن نحط في هذه القرية ونقيم بها ﴿تغفر لكم خطاياكم﴾ بسجودكم ودعائكم * وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول * وخطايا أصله خطايي كخضائع فعند سيويبه أنه أبدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فأبدلت الثانية ياء ثم قلبت ألفا وكانت الهمزة بين ألفين فأبدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهماما ذكر ﴿وسنزيد المحسنين﴾ ثواباً جعل الامتثال توبة للشيء وسبب زيادة الثواب للمحسن وأخرجه عن صورة الجواب إلى الوعد أيهما بأن المحسن بصدد ذلك وأن لم يفعل فكف إذا فعله وأنه يفعله للاحالة ﴿فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم﴾ بدلوا بما أمروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من أعراض الدنيا ﴿فأنزلنا على الذين ظلموا﴾ كرهه مبالغة في تقييد أمرهم وأشعاراً بأن الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه أو على أنفسهم بأن تركوا ما يوجب نجاتها إلى ما يوجب هلاكها ﴿رجلاً من السماء﴾ بما كانوا يفسقون ﴿عذاباً مقدرًا من السماء﴾ بسبب

ولم يرد به نفس السجود ﴿وقولوا حطة﴾ أي حط عنا خطايانا أمروا بالاستغفار وقال ابن عباس رضي الله عنهما قولوا لا إله إلا الله لا تخط الذنوب والخطايا على تقدير مسئلتنا حطة ﴿تغفر لكم خطاياكم﴾ أي نسترها عليكم من الغفر وهو الستر لأن المغفرة تستر الذنوب ﴿وسنزيد المحسنين﴾ يعني ثواباً ﴿فبدل﴾ أي فغير ﴿الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم﴾ أي قالوا قولاً غير ما قيل لهم وذلك أنهم بدلوا قول الحطة بالحنطة وقالوا بلسانهم حطاً سميحاً أي حنطة حراء وذلك استخفافاً منهم بأمر الله تعالى وقيل طوطى لهم الباب ليخفصوا رؤسهم فأبوا ذلك ودخلوا زحفاً على استاهم فخالقوا في الفعل كما خالفوا في القول وبدلوه (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبي أسراييل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على استاهم وقالوا حبة في شعرة ﴿فأنزلنا على الذين ظلموا رجلاً من السماء﴾ يعني عذاباً من السماء قيل أرسل الله عليهم طاعوناً فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً ﴿بما كانوا يفسقون﴾

(أي)

فسقهم روى أنه مات منهم في ساعة بالطاعون أربعة وعشرون ألفاً وقيل

(وقولوا حطة) ان تحط عنا خطايانا ويقال لا إله إلا الله (تغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين) في حسناتهم (فبدل الذين ظلموا) أنفسهم وهم أصحاب الحطة (قولاً غير الذي قيل لهم) أمر لهم فقالوا حطة سميحاً يعني الحنطة الحراء (فأنزلنا على الذين ظلموا) غيروا القول وهم أصحاب الحطة (رجلاً) طاعوناً (من السماء) بما كانوا يفسقون

سبعون ألفا (وأذ استسقى موسى ﴿ ١٣١ ﴾ لقومه) موضع { سورة البقرة } اذ نصب كأنه قيل واذكروا

اذ استسقى أى استدعى
أن يستقى قومه (فقلنا اضرب
بعصاك الحجر) عطشوا
في التيه فدعا لهم موسى
بالسقى فقيل له اضرب
بعصاك الحجر واللام للعهد
والإشارة الى حجر معلوم
فقد روى أنه حجر طورى
جمله معه وكان مر بها له
أربعة أوجه كانت تنبع
من كل وجه ثلاث أعين
لكل سبط عين وكانوا
ستمائة ألف وسعة المعسكر
اثنا عشر ميلا أو للجنس
أى اضرب الشيء الذى
يقال له الحجر وهذا أظهر
في الحجّة وأبين في القدرة
(فانفجرت) الفاء متعلقة
بمخدوف أى فضرب
فانفجرت أى سالت بكثرة
أو فأن ضربت فقد انفجرت
وهى على هذا فاء فصيحة
لاتقع ألا فى كلام بليغ
(منه اثنا عشرة عينا) على
عدد الاسباط وقرئ
بكسر الشين وقبحها وهما

يغيرون ما أمر وابه (وأذ
استسقى موسى لقومه)
في التيه (فقلنا اضرب
بعصاك الحجر) الذى معك
وكان حجرا أعطاه الله عليه
اثنا عشر ثديا كثدى المرأة

فسقهم * والرجز فى الأصل ما يعاف عنه وكذلك الرجز وقرئ بالضم وهو لغة فيه
والمراد به انطاعون روى أنه مات به فى ساعة أربعة وعشرون ألفا ﴿ وأذ استسقى
موسى لقومه ﴾ لما عطشوا فى التيه ﴿ فقلنا اضرب بعصاك الحجر ﴾ اللام فيه
للعهد على ما روى أنه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان ينبع من كل وجه ثلاث
أعين تسيل كل عين فى جدول الى سبط وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر
ميلا أو حجرا أهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب عليه الصلاة والسلام فأعطاه أياه مع العصا
أو الحجر الذى فربثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به بما رموه به من الأدره
فأشار اليه جبريل عليه الصلاة والسلام بحمله أو للجنس وهذا أظهر فى الحجّة قيل لم يأمره
أن يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو أفضينا الى الأرض لاجارة بها
حل حجرا فى مخالته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل
فيبسى فقالوا أن فقد موسى عصاه متنا عطشا فأوحى الله سبحانه وتعالى اليه لا تقرع الحجر
وكلمه يطعك لعلمهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا فى ذراع والعصا
عشرة أذرع على طول موسى عليه الصلاة والسلام من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان فى الظلمة
﴿ فانفجرت منه اثنا عشرة عينا ﴾ متعلق بمخدوف تقديره فأن ضربت فقد
انفجرت أو فضرب فانفجرت كما مر فى قوله سبحانه وتعالى فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين

أى يعصون ويخرجون عن أمر الله تعالى ﴿ قوله عز وجل ﴾ وأذ استسقى
موسى لقومه ﴿ أى طلب السقى لقومه وذلك أنهم عطشوا فى التيه فسألوا موسى أن
يستسقى لهم ففعل فأوحى الله اليه كما قال مينا ﴿ فقلنا اضرب بعصاك ﴾ وكانت العصا
من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى عليه الصلاة والسلام ولها شعبتان
تتقدان فى الظلمة نورا واسمها عليق وقيل نبتة جعلها آدم معه من الجنة فتوارها الأنبياء
حتى وصلت الى شعيب فأعطاه موسى ﴿ الحجر ﴾ قال وهب لم يكن حجرا معنا بل كان موسى
يضرب أى حجر كان فينفجر عيوننا لكل سبط عين وكانوا اثني عشر سبطا وقيل كان
حجرا معنا بدليل أنه عرفه بالالف واللام قال ابن عباس رضى الله عنهما كان حجرا خفيفا مر بها قدر
رأس الرجل وكان موسى عليه الصلاة والسلام يضعه فى مخلاة فأذا احتاجوا الى الماء
وضعه وضربه بعصاه وقيل كان للحجر أربعة وجوه فى كل وجه ثلاثة أعين لكل
سبط عين وقيل كان من الرخام وقيل كان من الكدبان وهى الحجارة اللينة وقيل
هو الحجر الذى وضع عليه موسى ثوبه ليغتسل ففربه فأراه جبريل وقال أن الله يأمرك
أن ترفع هذا الحجر فى فيه قدرة ولك فيه معجزة فوضعه فى مخلاة فلما سأله السقى
قيل اضرب بعصاك الحجر فكان اذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه فتنفجر
منه عيون لكل سبط عين تسيل اليهم فى جدول وكان اذا أراد حمله يضربه بعصاه
فيذهب الماء ويبسى الحجر فذلك قوله تعالى ﴿ فانفجرت منه اثنا عشرة عينا ﴾ يعنى
على عدد أسباط بنى إسرائيل والمعنى فضربه فانفجرت قال المفسرون انفجرت وانبجست

يخرج من كل ثدى نهر اذا ضرب عليه (فانفجرت منه اثنا عشرة عينا) نهر

لقتان وعينا تمييز (قد علم كل أناس) كل سبط (مشربهم) عنهم التي يشربون منها وقلنا لهم (كلوا) من المن والسلوى (واشربوا) من ماء العيون (من رزق الله) أي الكل مما رزقكم الله (ولا تشوا في الأرض) لا تشدوا فيها والعيث أشد الفساد (مفسدين) حال مؤكدة { الجزء الاول } أي لا تشدوا في الفساد ﴿١٣٢﴾ في حال فسادكم لأنهم كانوا امتادين فيه

وقحها وهما لقتان فيه ﴿قد علم كل أناس﴾ كل سبط ﴿مشربهم﴾ عنهم التي يشربون منها ﴿كلوا واشربوا﴾ على تقدير القول ﴿من رزق الله﴾ يريد به ما رزقهم الله من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لأنه يشرب ويؤكل ما ينبت به ﴿ولا تشوا في الأرض مفسدين﴾ لا تشدوا حال أفسادكم وإنما قيده لأنه وأن غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كقبالة الظالم المعتدى بفعله ومنه ما يتضمن صلاحاً راجحاً كقتل الخضر عليه الصلاة والسلام الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير أنه يغلب فيما يدرك حساً ومن أنكر أمثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله سبحانه وتعالى وقلة تدبره في عجائب صنعته فإنه لما يمكن أن يكون من الأحجار ما يحلق الشعر وينفر من الخلل ويجذب الحديد لم يتمتع أن يخلق الله حجراً يسخره لجذب الماء من تحت الأرض أو لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك ﴿وأذ قلم ياموسى لن نصبر على طعام واحد﴾ يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحده أنه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الأمير واحد يريدون أنه لا يتغير ألوانه ولذلك أجوا أو ضرب واحد لانهما معاطام أهل التلذذ وهم كانوا فلاحه قنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما أفوه ﴿فادع لئار بك﴾ سله لئابدعائك آياه ﴿يخرج لنا﴾ يظهر لنا ويوجد وجزمه بأنه جواب فادع فأن دعوته سبب الاجابة ﴿مما تنبت الأرض﴾ من الاسناد المجازى وأقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبويض

بمعنى واحد وقيل انجست أي عرقت وانفجرت أي سالت ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ أي موضع شربهم لا يدخل سببط على غيره ﴿كلوا واشربوا﴾ أي وقلنا لهم كلوا واشربوا ﴿من رزق الله﴾ يعني المن والسلوى والماء فهذا كله من رزق الله كان يأتيم بلا مشقة ولا كلفة ﴿ولا تشوا في الأرض مفسدين﴾ العيث أشد الفساد * في هذه الآية معجزة عظيمة لموسى عليه الصلاة والسلام حيث انفجر من الحجر الصغير ماروى منه الجمع الكثير ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعظم لأنه انفجر الماء من بين أصبعيه فروى منه الجم الغفير لان انفجار الماء من الدم واللحم أعظم من انفجاره من الحجر * قوله عز وجل ﴿وأذ قلم ياموسى لن نصبر على طعام واحد﴾ وذلك انهم سئموا من المن والسلوى وملوه فاشتبهوا عليه غيره لان المواظبة على الطعام الواحد تكون سببا لنقصان الشهوة * فأن قلت هما طعامان فما بالهم قالوا على طعام واحد قلت أرادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل عدة ألوان يداوم عليها في كل يوم لا يتبدلها كانت بمنزلة الطعام الواحد ﴿فادع لئار بك﴾ أي فاسأل لئار بك ﴿يخرج لنا مما تنبت الأرض﴾

(وأذ قلم ياموسى لن نصبر على طعام واحد) هو ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وإنما قالوا على طعام واحد وهما طعامان لانهم أرادوا بالواحد ما لا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يتبدلها يقال لا يأكل فلان الاطعاما واحدا ويراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف أو أرادوا أنهما ضرب واحد لانهما معا من طعام أهل التلذذ والتترف وكانوا من أهل الزراعات فأرادوا ما أفوه من البقول والحبوب وغير ذلك (فادع لئار بك) سله وقل له أخرج لنا (يخرج لنا) يظهر لنا ويوجد (مما تنبت الأرض)

(قد علم كل أناس) سبط (مشربهم) من نهرهم قال الله لهم (كلوا) من المن والسلوى (واشربوا) من الأنهار كلها (من رزق الله) لكم (ولا تشوا في الأرض مفسدين) ولا تشوا في الأرض بالفساد وخلق في أم موسى (وأذ قلم)

وقد قلم ياموسى لن نصبر على طعام واحد) على أكل طعام واحد المن والسلوى (فادع) (من) أي أسأل (لئار بك يخرج لنا مما تنبت الأرض) مما تخرج الأرض

من بقلها) هو ما أنبتته الارض من الخضر والمراد به أطيب البقول كالنناع والكرفس والكراث ونحوها مما يأكل الناس (وقثاً) يعني الخيار (وفومها) هو الخنطة أو الثوم لقراءة ابن مسعود وثومها (وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى) أقرب منزلة وأدون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار (بالذي هو خير) أرفع وأجل (اهبطوا مصرا) من الامصار أى انحدروا اليه من التيه ﴿١٣٣﴾ وبلاد ما بين بيت { سورة البقرة } المقدس الى قنسرين وهى

اثنا عشر فرسخاً في ثمانية فراسخ وأمصرفرعون وانما صرفه مع وجود السيين وهما التأنيث والتعريف لارادة البلد أو لسكون وسطه كنوح ولوط وفيها العجمة والتعريف (فإن لم) فيها (ماسأتم) أى فان الذى سأتم يكون فى الامصار لافى التيه (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) أى الهوان والفقر يعنى جعلت الذلة محيطة بهم مشتتة عليهم فهم فيها كما يكون فى القبة من ضربت عليه أو ألصقت بهم حتى لزمهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة وفقرا ما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفقرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية عليهم الذلة حزة وعلى وكذا كل ما كان قبل الهامه ياء ساكنة وبكسر الهاء والميم أبو عمرو وبكسر الهاء

﴿ من بقلها وقثاً وفومها وعدسها وبصلها ﴾ تفسيره وبين وقوع موقع الحال وقيل بدل بأعادة الجارة والبقيل ما أنبتته الارض من الخضر والمراد به أطيبه التى تؤكل والفوم الخنطة ويقال للخبز ومنه فرموا لنا وقيل الثوم وقرئ وقثاً بالضم وهولفة فيه ﴿ قال ﴾ أى الله أو موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ أتستبدلون الذى هو أدنى ﴾ أقرب منزلة وأدون قدر أو أصل الدنو القرب فى المكان فاستعير للحسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ أدنا من الدناءة ﴿ بالذى هو خير ﴾ يريد به المن والسلوى فإنه خير فى اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعى ﴿ اهبطوا مصرا ﴾ انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادى اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم وأصله الحد بين الشيتين وقيل أراد به العلم وإنما صرفه لسكون وسطه أو على تأويل البلد ويؤيده أنه غير منون فى مصحف ابن مسعود رضى الله عنه وقيل أصله مصرا ثم فرب ﴿ فان لكم ماسأتم ﴾ وضربت عليهم الذلة والمسكنة ﴿ أحيطت بهم أحاطة القبة بمن ضربت عليه أو ألصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازة لهم على كفران النعمة واليهود فى غالب الامر أذلاء مساكين أما على الحقيقة أو على التكلف مخافة أن تضاعف

من بقلها وقثاً وفومها ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما الفوم الخبز وقيل هو الخنطة وقيل هو الثوم ﴿ وعدسها وبصلها ﴾ انما طلبوا هذه الانواع لانها تين على تقوية الشهوة أولانهم ملوا من البقاء فى التيه فسألوا هذه الاطعمة التى لا توجد الا فى البلاد وكان غرضهم الوصول الى البلاد لتلك الاطعمة ﴿ قال ﴾ يعنى موسى ﴿ أتستبدلون الذى هو أدنى ﴾ أى الذى هو أخس وأردأ وهو الذى طلبوه ﴿ بالذى هو خير ﴾ يعنى بالذى هو أشرف وأفضل وهو ما هم فيه ﴿ اهبطوا مصرا ﴾ يعنى ان أيتيم أاذلك فأتوا مصرا من الامصار وقيل بل هو مصر البلد الذى كانوا فيه ودخول التنوين عليه كدخوله على نوح ولوط والقول هو الاول ﴿ فان لكم ماسأتم ﴾ يعنى من نبات الارض ﴿ وضربت عليهم الذلة ﴾ أى جعلت الذلة محيطة بهم مشتتة عليهم والزموا الذل والهوان وقيل الذلة الجزية وسمى اليهودية وفيه بعد لانهم تكن ضربت عليهم الجزية بعد ﴿ والمسكنة ﴾ أى الفقر والفاقة وسمى الفقير مسكيناً لان الفقرا سكنه وأقعدته عن الحركة فترى اليهود وأن كانوا أغنياء مياسير كأنهم فقراء فلا ترى أحداً من أهل الملل أذل ولا أحرص على المال من اليهود

(من بقلها وقثاً وفومها) أى ثومها (وعدسها وبصلها قال) لهم موسى (أتستبدلون الذى هو أدنى) أردأ الثوم والبصل (بالذى هو خير) أفضل وأشرف المن والسلوى أى تسألون الذى هو الردى وتتركون الذى هو الشريف (اهبطوا مصرا) الذى خرجتم منه ويقال مصرا من الامصار (فإن لكم ماسأتم) فان ماسأتم لكم ثمة (وضربت عليهم الذلة) جعلت عليهم المذلة بالجزية (والمسكنة)

وضم الميم غيرهم (وباؤا بغضب من الله) من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بأن يقتل به مساواته له أى صاروا أحقاء بغضبه وعن الكسائى حفوا (ذلك) اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلقة بالغضب (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين) بالهمزة نافع وكذا بابه أى ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود شعيا و زكريا ويحيى صلوات الله عليهم والنبي { الجزء الاول } من النبأ لانه يخبر عن الله ﷻ ١٣٤ تعالى فعيل بمعنى مفعول أو بمعنى

مفعول أو من بنا أى ارتفع والنبوة المكان المرتفع (بغير الحق) عندهم أيضا فأنهم لو أنصفوا لم يذكروا شيئا يستحقون به القتل عندهم في التوراة وهو في محل النصب على الحال من الضمير في يقتلون أى يقتلونهم مبطلين (ذلك) تكرر للاشارة (بما عصوا) وكانوا يعتدون) بسبب ارتكابهم أنواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شئ مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز أن يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على أن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حين قست قلوبهم فحسروا على جحود الآيات وقتلهم الانبياء أو ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا زى الفقر (وباؤا بغضب)

جزتهم ﴿ وباؤا بغضب من الله ﴾ رجعوا به أو صاروا أحقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بأن يقتل به وأصل البواء المساواة ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب ﴿ بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ﴾ بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جلتها ما عد عليهم من فلق البحر وأظلال الغمام وأنزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر أو بالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان وآية الرجم والتي فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقتلهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فأنهم قتلوا شعيا و زكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وأما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما أشار اليه بقوله ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ أى جرهم العصيان والتماذى والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فأن صغار الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب كبارها كأن صغار الطاعات أسباب مؤدية الى تحرى كبارها وقيل كرا الاشارة للدلالة على أن ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله سبحانه وتعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وأما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تأويل ما ذكر أو تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة يصف بقرة فيها خطوط من سواد وبلق * كأه في الجلد توليع البهق والذي حسن ذلك أن تنية الضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة

﴿ وباؤا ﴾ أى رجعوا ولا يقال باء الأ بشر ﴿ بغضب من الله ﴾ وغضب الله ارادة الانتقام ممن عصاه ﴿ ذلك ﴾ أى الغضب ﴿ بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ﴾ أى بصفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم التي في التوراة ويكفرون بالانجيل والقرآن ويقتلون النبيين ﴿ النبي معناه المخبر من أسأ بنى ﴾ وقيل هو معنى الرفيع مأخوذ من النبوة وهو المكان المرتفع ﴿ بغير الحق ﴾ أى بغير جرم. فأن قلت قتل الانبياء لا يكون إلا بغير حق فإ فائدة ذكره. قلت ذكره وصفالقتل والقتل بوصف تارة بالحق وهو ما أمر الله به وتارة بغير الحق وهو قتل العدوان فهو كقوله قل رب احكم بالحق فالحق وصف للحكم لأن حكمه ينقسم الى حق وجور يروى أن اليهود قتلت سبعين نبيا في أول النهار وقامت الى سوق بقلها في آخره وقتلوا زكريا ويحيى وشعيا وغيرهم من الانبياء ﴿ ذلك بما عصوا ﴾ أى ذلك القتل والكفر بما عصوا أمرى ﴿ وكانوا يعتدون ﴾

استوجبوا اللعنة (من الله ذلك) اللعنة والذلة والمسكنة (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) (أى) يجحدون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ويقتلون النبيين بغير الحق) بغير حق ولا جرم (ذلك) الغضب (بما عصوا) (الله في السبت) (وكانوا يعتدون) بقتل الانبياء واستحلال المعاصي ثم ذكر الذين آمنوا منهم

(قوله وانما جوزت الاشارة الخ) الاصل في اسم الاشارة والضمير اذا كانا مفردين ان يرجعا لما هو مطابق لهما لكنهما قديما جدا عن متعدد بتأويل المذكور ونحوه مما هو مفرد لفظا مجموع معنا وهو في اسم الاشارة كثير وقديما جدا في الضمير جملا عليه ولذا قال ونظيره واسم الاشارة هنا لاعتداد في سائر الوجوه فهذا توجيه لها كلها لا للاخير فقط اه كفايه مصححي

(أن الذين آمنوا) بألسنتهم من غير مواطاة القلوب وهم المنافقون (والذين هادوا) تهودوا يقال هاديهم وتهود إذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود ﴿١٣٥﴾ (والنصارى) جمع نصران {سورة البقرة} كندمان ونداى يقال رجل

نصران وامرأة نصرانة واليساء في نصراني للبالغة كالتى في أجرى سموانصارى لانهم نصروا المسيح (والصائبين) الخارجين من دين مشهور الى غيره من صبا إذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة وقيل هم يقرؤن الزبور (من آمن بالله واليوم الآخر) من هؤلاء الكفرة

ولذلك جاء الذى بمعنى الجمع ﴿أن الذين آمنوا﴾ بألسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة ﴿والذين هادوا﴾ تهودوا يقال هاد وتهود إذا دخل في اليهودية ويهود أماعربى من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل وأما عرب يهودا وكانهم سموا باسم أكبر أولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام ﴿والنصارى﴾ جمع نصران كالتداهى والياء في نصراني للبالغة كما في أجرى سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه الصلاة والسلام أولانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران أو ناصرة فسموا باسمها أو من اسمها ﴿والصائبين﴾ قوم بين النصرى والمجوس وقيل أصل دينهم دين نوح عليه الصلاة والسلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو أن كان عربيا فن صبا إذا خرج * وقرأ نافع وحده بالياء أما لانه خفف الهمزة وأبدلها ياء أرلانه من صبا إذا مال لانهم مالوا عن سائر الاديان الى دينهم أو من الحق الى الباطل ﴿من آمن بالله واليوم الآخر

أى يتجاوزون أمرى ويرتكبون محارمى ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿أن الذين آمنوا والذين هادوا﴾ يعنى اليهود سموا بذلك لقولهم أنا هدنا اليك أى ملنا اليك وقيل هادوا أى تابوا عن عبادة العجل وقيل أنهم مالوا عن دين الاسلام ودين موسى عليه الصلاة والسلام ﴿والنصارى﴾ سموا بذلك لقول الحواريين نحن أنصار الله وقيل لاعتنائهم الى قرية يقال لها ناصرة وكان المسيح ينزلها ﴿والصائبين﴾ أصله من صبا إذا خرج من دين الى دين آخر سموا بذلك لخروجهم من الدين قال عمرو ابن عباس رضى الله عنهم هم قوم من أهل الكتاب قال عمر ذبأحهم ذبأح أهل الكتاب وقال ابن عباس لا تحل ذبأحهم ولا منا كتحتم وقيل هم قوم بين اليهود والنصارى يحلقون أو ساط رؤسهم وقيل هم قوم يقرؤن بالله ويقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون الى الكعبة أخذوا من كل دين شيأ والاقرب أنهم قوم يعبدون الكواكب وذلك أنهم يعتقدون أن الله تعالى خلق هذا العالم وجعل الكواكب مدبرته فيجب على البشر عبادتها وتعظيمها وأنها هى التى تقرب الى الله تعالى ولما ذكر هذه الوظائف قال ﴿من آمن بالله واليوم الآخر﴾ * فأن قلت كيف قال في أول الآية أن الذين آمنوا وقال في آخرها من آمن بالله فما فائدة التعميم أو لاثم التخصيص آخر * قلت اختلف العلماء في حكم الآية فلهم فيه طريقتان * أحدهما أنه أراد أن الذين آمنوا على التحقيق ثم اختلفوا فيهم فليلهم هم الذين آمنوا في زمن الفترة وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وبحيرا الراهب وأبى ذر الغفارى وسلمان الفارسى رضى الله عنهم فمهم من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه فكانه تعالى قال أن الذين آمنوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل المبدل من اليهود والنصارى والصائبين من آمن منهم الزبور ويعبدون الملائكة يقولون صبأت قلوبنا أى رجعت قلوبنا الى الله (من آمن) منهم (بالله واليوم الآخر

فقال (أن الذين آمنوا) بموسى وسائر الانبياء فلهم أجرهم ثوابهم عند ربهم فى الجنة ولا خوف عليهم بالدينام ولا هم يحزنون بالدينام ويقال ولا خوف عليهم فيما يستقبلهم من العذاب ولا هم يحزنون على ما خلفوا من خلفهم ويقال ولا خوف عليهم اذا ذبح الموت ولا هم يحزنون اذا أطبقت النار ثم ذكر الذين لم يؤمنوا بموسى وسائر الانبياء فقال (والذين هادوا) مالوا عن دين موسى وهم اليهود الذين تهودوا (والنصارى) الذين تنصروا (والصائبين) قوم من النصرى يحلقون وسط رؤسهم ويقرؤن

إيماناً خالصاً (وعمل صالحاً) فلم { الجزء الاول } أجروهم ﴿ ١٣٦ ﴾ ثوابهم (عند ربهم) في الآخرة (ولا خوف

وعمل صالحاً ﴿ من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ مصدقاً بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملاً بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة إيماناً خالصاً ودخل في الإسلام دخولاً صادقاً ﴿ فلم أجروهم عند ربهم ﴾ الذي وعد لهم على إيمانهم وعملهم ﴿ ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتقويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلم أجروهم والجملة خبر أن أو بدل من اسم أن وخبرها فلم أجروهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيويه دخولها في خبر أن من حيث أنها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى أن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ﴿ وأخذنا ميثاقكم ﴾ باتباع موسى عليه الصلاة والسلام والعمل بالتوراة ﴿ ورفعنا فوقكم الطور ﴾ حتى أعطيتم الميثاق روى أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل عليه الصلاة والسلام فقلع الطور فظلمه فوقعهم حتى قبلوا ﴿ خذوا ﴾ على أرادة القول ﴿ ما آتيناكم ﴾ من الكتاب ﴿ بقوة ﴾ بجد وعزيمة ﴿ واذكروا ما فيه ﴾

بالله واليوم الآخر وبمحمد صلى الله عليه وسلم فلم أجروهم عند ربهم وقيل هم المؤمنون من الأمم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الأمة والذين هادوا يعني الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصابئين يعني في زمن استقامة أمرهم من آمن منهم ومات وهو مؤمن لأن حقيقة الإيمان تكون بالوفاة وأما الطريقة الثانية فقالوا ان المذكورين بالإيمان في أول الآية إنما هو على طريق المجاز دون الحقيقة وهم الذين آمنوا بالانبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل هم المنافقون الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصابئين فكأنه تعالى قال هؤلاء المطلوبون كل من آمن منهم الإيمان الحقيقي صار مؤمناً عند الله وقيل أن المراد من قوله ان الذين آمنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة حين الماضي وثبتوا على ذلك في المستقبل وهو المراد من قوله تعالى من آمن بالله واليوم الآخر ﴿ وعمل صالحاً ﴾ أي في إيمانه ﴿ فلم أجروهم عند ربهم ﴾ أي جزاء أعمالهم ﴿ ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ أي في الآخرة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وأخذنا ميثاقكم ﴾ أي عهدكم بامعشر اليهود ﴿ ورفعنا فوقكم الطور ﴾ يعني الجبل العظيم قال ابن عباس رضي الله عنهما أمر الله جبلاً من جبال فلسطين فأنقلع من أصله حتى قام على رؤسهم وسبب ذلك ان الله تعالى لما أنزل التوراة على موسى وأمرهم أن يعملوا بأحكامها فأبوا أن يقبلوها لما فيها من الآصار يعني الأثقال والتكاليف الشاقة أمر الله تعالى جبريل عليه الصلاة والسلام أن يقلع جبلاً على قدر عسكرهم وكان قدره فرسخاً في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم قدر قامة كالظلة وقيل لهم ان لم تقبلوا ما في التوراة والا أرسلت هذا الجبل عليكم ﴿ خذوا ﴾ أي قلنا لهم خذوا ﴿ ما آتيناكم ﴾ أي ما أعطيناكم ﴿ بقوة ﴾ أي بجد واجتهاد ﴿ واذكروا ما فيه ﴾ أي ادرسوا ما فيه

عليهم ولا هم يحزنون) ومحل من آمن الرفع ان جعلته مبتدأ خبره فلم أجروهم والنصب ان جعلته بدلاً من اسم أن والمعطوف عليه فخير ان في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلم والفاء لتضمن من معنى الشرط (وأخذنا ميثاقكم) بقبول ما في التوراة (ورفعنا فوقكم الطور) أي الجبل حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق وذلك أن موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام فقلع الطور من أصله ورفع فظلمه فوقعهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا ألقى عليكم حتى قبلوا وقلنا لكم (خذوا ما آتيناكم) من الكتاب أي التوراة (بقوة) بجد وعزيمة (واذكروا ما فيه) واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه

وعمل صالحاً) فيما بينهم وبين ربهم (فلم أجروهم) ثوابهم أيضاً (عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ثم ذكر أخذ الميثاق عليهم فقال (وأخذنا ميثاقكم) وقد

أخذنا أقراركم (ورفعنا) قلنا وجبنا (فوقكم) فوق رؤسكم (الطور) الجبل بأخذ الميثاق (خذوا ما آتيناكم) اعملوا بما (لعلكم) أعطيناكم من الكتاب (بقوة) بجد ومواظبة النفس (واذكروا ما فيه) من الثواب والعقاب واحفظوا ما فيه من الحلال والحرام

(لعلكم تتقون) رجاء منكم ان تكونوا متقين (ثم توليتهم) ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به (من بعد ذلك) من بعد القبول (فلولا فضل الله عليكم ورحته) بتأخير العذاب عنكم ﴿١٣٧﴾ أو بتوفيقكم {سورة البقرة} للتوبة (لكنتم من الخاسرين)

الهاكئين في العذاب (ولقد علمتم) عرقتم فيتعدى الى مفعول واحد (الذين اعتدوا منكم في السبت) هو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وقد اعتدوا فيه أي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرّد للعبادة وتطهيره واشتغلوا بالصيد وذلك أن الله تعالى نهاهم أن يصيدوا في السبت ثم ابتلاهم فكان يبق حوت في البحر الا أخرج خرطوم يوم السبت فإذا مضى تفرقت الحيتان فحياض عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت لأنها من الصيد فكانوا يسدون مشارعها من البحر فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم

(لعلكم تتقون) لكي تتقوا من الخط والمذاب وتطيعوا الله (ثم توليتهم) أعرضتم عن الميثاق (من بعد ذلك فلولا فضل الله) من الله (عليكم) بتأخير العذاب (ورحته)

ادرسوه ولا تنسوه أو تفكروا فيه فإنه ذكر بالقلب أو اعلموه ﴿ لعلكم تتقون ﴾ لكي تتقوا المعاصي أو رجاء منكم أن تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة أن يتعلق بالقول المحذوف أي قلنا خذوا واذكروا أرادة أن تتقوا ﴿ ثم توليتهم من بعد ذلك ﴾ أعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد أخذه ﴿ فلولا فضل الله عليكم ورحته ﴾ بتوفيقكم للتوبة أو بمحمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه ﴿ لكنتم من الخاسرين ﴾ المغبونين بالانهماك في المعاصي أو بالخطب والضلال في فترة من الرسل * ولو في الاصل لامتاع الشيء لامتاع غيره فإذا دخل على لاافاد أثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت ﴾ اللام موطئة للقسم * والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم

﴿ لعلكم تتقون ﴾ أي لكي تتجوا من الهلاك في الدنيا والمذاب في العقبى والأرض تحت رؤسكم بهذا الجبل فلما رأوا ذلك نازل بهم قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجدوا فصار ذلك سنة في سجود اليهود لا يسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب ﴿ ثم توليتهم ﴾ أي أعرضتم ﴿ من بعد ذلك ﴾ أي من بعد ما قبلتم التوراة ﴿ فلولا فضل الله عليكم ورحته ﴾ أي بالامهال ﴿ لكنتم من الخاسرين ﴾ أي المغبونين بذهاب الدنيا والمذاب في العقبى قوله عز وجل ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم ﴾ أي جاوزوا الحد ﴿ في السبت ﴾ يقال سبت اليهود لانهم يعظمونه ويقطعون فيه أعمالهم وأصل السبت القطع

ذكر الاشارة الى القصة

قال العلماء بالاخبار انهم كانوا في زمن داود عليه الصلاة والسلام بقريّة بأرض أيلة وحرّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك حتى لا يرى الماء من كثرتها فإذا مضى السبت تفرقت الحيتان ولزمن قعر البحر فذلك قوله تعالى اذا تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعوا يوم لا يستنون لانأتهم ثم ان الشيطان وسوس اليهم وقال انما نهيتهم عن أخذها يوم السبت ولم تنهوا عن أخذها في غيره فممد رجال منهم فحفروا حياضا كبيرا حول البحر وشرعوا منه اليها أنهارا فإذا كان عشية الجمعة قعموا تلك الانهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان الى تلك الحياض فيقعن فيها ولا يقدرن على الخروج منها لعمقها فإذا كان يوم الاحد أخذوها وقيل انهم كانوا ينصبون الشخوص والحبال يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل بهم عقوبة فبجروا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قدأ حل لنا فأخذوا ولمحواوا وكلوا وباعوا واشتروا فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية

يارسال سجد صلى الله عليه وسلم اليكم (قا و خا ١٨ ل) (لكنتم من الخاسرين) لصرتهم من المغبونين بالعقوبة (ولقد علمتم) عرقتم وسمعت عقوبة (الذين اعتدوا منكم) بأخذ الميثاق (في السبت) يوم السبت في زمن داود

(فقلنا لهم كونوا) بتكويننا اياكم (قردة خاسئين) خبر كان أى كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطررد (فجعلناها) يعنى المسخحة (نكالا) عبرة تشكل من اعتبر بها اى تمنعه (لما بين يديها) لما قبلها (وما خلفها) وما بعدها من الامم {الجزء الاول} والقرون لان مسختهم ﴿ ١٣٨ ﴾ ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا

السبت وأصله القطع أمروا بأن يجرده للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه الصلاة والسلام واشتغلوا بالصيد وذلك أنهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها أيلة وإذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر إلا حضر هناك وأخرج خرطومه فإذا مضى تفرقت فحفر واحياضا وشرعوا فيها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد ﴿ فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطررد قال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل أسفارا وقوله كونوا ليس بأمر اذ لا قدرة لهم عليه وإنما المراد به سرعة التكوين وأنهم صاروا كذلك كما أراد بهم * وقرى قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز ﴿ فجعلناها ﴾ أى المسخحة أو العقوبة ﴿ نكالا ﴾ عبرة تشكل المعتبر بها أى تمنعه ومنه النكل للقيد ﴿ لما بين يديها وما خلفها ﴾ لما قبلها وبعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم في الآخرين أولعاصريهم ومن بعدهم أو لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها أو لاهل تلك القرية وما حولها أو لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها ﴿ وموعظة للمتقين ﴾ من قومهم أو لكل متق سمعها ﴿ وأذ قال موسى لقومه

بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين (وموعظة للمتقين) الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحى قومهم أو لكل متق سمعها (وأذ قال موسى لقومه) أى واذكروا أذ قال موسى وهو معطوف على نعمتى في قوله اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم كأنه قال اذكروا ذلك واذكروا اذ قال موسى وكذلك هذا في الظروف التى مضت أى اذكروا نعمتى واذكروا وقت انجاننا اياكم واذكروا وقت فرقنا واذكروا نعمتى واذكروا وقت استسقاء موسى ربه لقومه والظروف التى تاتى الى قوله واذ

ثلاثة أصناف وكانوا نحو سبعين ألفا صنف أمسك عن الصيد ونهى عن الاصطياد وصف أمسك ولم ينه وصف انهم كوا فى الذنب وهتكوا الحرمة وكان الصنف الناهون اثني عشر ألفا فلما أبى المجرمون قبول نصيحتهم قالوا والله لانسا كنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بمجادر فغبروا على ذلك سنين ثم لنهم داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يفتحوا الباب فلما أبطؤا تسوروا عليهم الجدار فأذاهم جميع قردة لهم أذئاب وهم يتعاونون وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير فكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاث ولم يتوالدوا قال الله عز وجل ﴿ فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ أمر تحويل وتكوين ومعنى خاسئين مبغدين مطرودين وقيل فيه تقديم وتأخير معناه كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل خاسئات ﴿ فجعلناها ﴾ يعنى عقوبتهم بالمسخ ﴿ نكالا ﴾ أى عقوبة وعبرة ﴿ لما بين يديها وما خلفها ﴾ قيل معناه عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم وقيل جعلنا عقوبة قرية أصحاب السبت عبرة لمن بين يديها من القرى التى كانت عامرة فى الحال وما خلفها أى ما يحدث بعدها من القرى ليتعظوا بذلك وهو قوله عز وجل ﴿ وموعظة للمتقين ﴾ أى المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم للثلاث يفعلوا مثل فعلهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ وأذ قال موسى لقومه

(فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) صيروا قردة ذليلين صاغرين (فجعلناها) قردة (نكالا) عقوبة (لما بين يديها) لما قبلها من الذنوب (وما خلفها) ولكى يكونوا عبرة لمن خلفهم لئلا يقتدوا بهم (وموعظة للمتقين) عظة

(ان الله)

ونها للمتقين لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه * ثم ذكر قصة البقرة

فقال (وأذ قال) وقد قال (موسى لقومه

ابتلى ابراهيم ربه (أن الله
 يأمركم أن) أي بأن
 (تذبحوا بقرة) قال
 المفسرون أول القصة
 مؤخر في التلاوة وهو
 قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم
 فادارأتم فيها وذلك ان
 رجلا موسرا اسمه عاميل
 قتله بنوعه ليرثوه
 وطرحوه على باب مدينة ثم
 جاؤا يطالبون بدينه
 فأمرهم الله ان يذبحوا
 بقرة ويضربوه ببعضها
 ليحيي فيخبرهم بقاتله (قالوا
 أتتخذنا هزوا) أتجملنا
 مكان هزة أو أهل هزة
 أو الهزة نفسه لفرط
 الاستهزاء هزأ بسكون الزاي
 والهمزة حزة وبضمتين
 والواو حفص غيرهما
 بالثقل والهمزة (قال أعوذ
 بالله) الصاذ والياذ من واد
 واحد (أن أكون من
 الجاهلين) لان الهزة في مثل
 هذا من باب الجهل والسفه
 وفيه تعريض بهم أي أنهم
 جاهلون حيث نسبوني الى
 أن الله يأمركم أن تذبحوا
 بقرة) من البقور (قالوا
 أتتخذنا هزوا) أتستهزئ
 بنا يا موسى (قال)
 موسى (أعوذ بالله) امتنع
 بالله (ان أكون من
 الجاهلين) من المستهزئين
 بالمؤمنين فلما علموا انه

أن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴿ أول هذه القصة قوله سبحانه وتعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وإنما فككت عنه وقدمت عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامثال ﴿ وقصته أنه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنوا أخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فأمرهم الله سبحانه وتعالى أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيي فيخبر بقاتله ﴿ قالوا أتتخذنا هزوا ﴿ أي مكان هزوا أو أهله أو مهزوا بنا أو الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به * وقرأ حزة وأسماعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا ﴿ قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ﴿ لان الهزؤ في مثل ذلك جهل وسفه نفي عن نفسه مارحى به على طريقة البرهان وأخرج ذلك أن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴿ البقرة واحدة البقروهي الاثني وأصلها البقر وهو الشق سميت بذلك لانها تشق الارض للحرثة

ذكر الاشارة الى القصة في ذلك

قال علماء السير والاخبار انه كان في زمن نبي اسرائيل رجل غني ولده ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه ووجهه الى قرية أخرى وألقاء على بابها ثم أصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى يدعي عليهم بالقتل فجددوا واشتبه أمر القتل على موسى عليه الصلاة والسلام فسألوا موسى أن يدعو الله ليين لهم ما أشكل عليهم فسأل موسى ربه في ذلك فأمره بذبح بقرة وأمره ان يضربه ببعضها فقال لهم أن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴿ قالوا أتتخذنا هزوا ﴿ أي نحن نسألك أمر القتل وأنت تستهزئ بنا وتأمرنا بذبح بقرة وإنما قالوا ذلك بعد ما بين الامرين في الظاهر ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه ﴿ قال ﴿ يعني موسى ﴿ أعوذ بالله ﴿ أي امتنع بالله ﴿ أن أكون من الجاهلين ﴿ أي المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لاعلى وفق السؤال فلما علموا أن ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه بأياها ولو أنهم عمدوا الى أي بقرة كانت فذبحوها لاجزأت عنهم ولكن شددوا فشدد عليهم وكان في ذلك حكمة لله عز وجل وذلك انه كان رجل صالح في نبي اسرائيل ولده ابن طفل وله عجلة فأتى بها غيضة وقال اللهم أنى استودعتك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات ذلك الرجل وصارت العجلة في الغيضة عوانا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك الطفل وكان بارا بأمه وكان يقسم ليله ثلاثة أجزاء يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فإذا أصبح انطلق فيعطب ويأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله فيتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطى أمه ثلثه فقالت له أمه يوما ابني ان أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع أهله ابراهيم واسماعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها أنك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلد ها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال أعزم عليك بأهله ابراهيم واسماعيل واسحق فاقبلت البقرة حتى وقفت بين يديه فقبض على قرنها يقودها فتكلمت

الاستهزاء (قالوا ادع لنا { الجزء الاول } ربك بين لنا ﴿ ١٤٠ ﴾ ماهي) سؤال عن حالها وصفها لانه

في صورة الاستعاذة استفظاعه ﴿ قالوا ادع لنا ربك بين لنا ماهي ﴾ أي ما حالها وصفها وكان حقه أن يقولوا أي بقرة هي أو كيف هي لأن ما يسئل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ما مروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه أجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله ﴿ قال أنه يقول أنها بقرة لافارض ولا بكر ﴾ لامسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كأنها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة ﴿ عوان ﴾ نصف قال

طوال مثل أعناق البهادى ونوعا بين أبكار وعون

﴿ بين ذلك ﴾ أي بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك أضيف اليه بين فإنه لا يضاف إلا الى متعدد وعود هذه الكنايات وأجراء تلك الصفات على بقرة بدل على أن المراد بهامعينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن أنكر ذلك زعم أن المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فأن التخصيص أبطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي الثاني

البقرة بأذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بأمة اركبني فإنه أهون عليك فقال الفتى ان أمي لم تأمرني بذلك فقالت البقرة والله لوركبتني ما كنت تقدر على أبدا فأنطلق فانك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله لانقلع لبرك بأملك فسار الفتى بها الى أمه فقالت له أمه أنك رجل فقير ولا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع البقرة فقال بكم أبيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتى وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الفتى الى السوق وبعث الله ملكا ليرى خلقه قدرته وليخبر الفتى كيف بره بأمة وهو أعلم فقال له الملك بكم هذه البقرة قال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا أمي فقال له الملك لك ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال له الفتى لو أعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمي ورجع الفتى الى أمه فأخبرها بالثمن فقالت له ارجع فبعها بستة دنانير ولا تبعها الا برضا أمي فرجع بها الى السوق وأتى الملك فقال له استأمرت أمك فقال الفتى نعم أنها أمرتني ان لا أتقصها عن ستة على رضاها فقال الملك أني أعطيتك اثني عشر دينارا ولا تستأمرها فأبى الفتى ورجع الى أمه فأخبرها بذلك فقالت له أمه ان الذي يأتيك ملك في صورة آدمي ليجربك فإذا أتاك فقل له أتأمرنا ان نبيع هذه البقرة أم لا ففعل فقال له الملك اذهب الى أمك فقل لها امسكي هذه البقرة فأن موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل في بني إسرائيل فلا تبعها الا بعل مسكها ذهباء والمسك الجلد فامسكتها وقدر الله على بني إسرائيل ذبح البقرة بعينها فإزالوا يستوصفون البقرة حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها مكافاة لذلك الفتى على بره بأمة فضلا من الله تعالى ورجة فذلك قوله تعالى ﴿ قالوا ادع لنا ربك بين لنا ماهي ﴾ أي ما سنها ﴿ قال ﴾ يعنى موسى ﴿ أنه يقول ﴾ يعنى الله عز وجل ﴿ أنها بقرة لافارض ولا بكر ﴾ أي لا كبيرة ولا صغيرة والافارض المسنة التي لم تلده والبكر الفتية التي لم تلده ﴿ عوان ﴾ أي نصف ﴿ بين ذلك ﴾

كانوا عالين بما هيها لان ما وان كانت سؤالا عن الجنس وكيف عن الوصف ولكن قد تقع ما موقع كيف وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب بعضها ميت فيحي فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشأن وما هي خبر ومبتدأ (قال أنه يقول أنها بقرة لافارض) مسنة وسيت فارض لانها فرضت سنها أي قطعتها وبلغت آخرها وارتفع فارض لانه صفة لبقرة وقوله (ولا بكر) فتية عطف عليه (عوان) نصف (بين ذلك) بين الفارض والبكر ولم يقل بين ذينك مع ان بين يقتضى شيئين فصاعدا لانه أراد بين هذا المذكور وقد يجرى الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال أبو عبيدة قلت لرؤبة في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق ان أردت الخطوط فقل كأنها وان أردت السواد والبلق فقل كأنهما فقال

صادق (قالوا ادع لنا ربك) سل لنا ربك (بين لنا ماهي) صغيرة أو كبيرة هي (قال) موسى (أنه يقول) أي يقول الله (أنها

بقرة لافارض) لا كبيرة (ولا بكر) ولا صغيرة (عوان بين ذلك) نصف أي وسط بين الصغير (أي)

أردت كأن ذلك (فأفعلوا ما تؤمرون) أي تؤمرونه بمعنى تؤمرون به أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الأمير (قالوا ادع لنا ربك بيننا مالونها) موضع ما رفع لان معناه الاستفهام تقديره ادع لنا ربك بيننا أي شئ لونها (قال أنه يقول أنها بقرة صفراء فاقع لونها) الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصمه يقال في التوكيد أصفر فاقع وهو توكيد لصفراء وليس خبرا عن اللون الا انه ارتفع اللون به ﴿١٤١﴾ ارتفع الفاعل {سورة البقرة} ولا فرق بين قولك صفراء فاقعة

وصفراء فاقع لونها وفي ذكر اللون فأئدة التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديدة

الصفرة صفرتها فهو من قولك جدجده (تسر الناظرين) لحسنها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه عن على رضى الله عنه من لبس نلأصفراء قل همه لقوله تعالى تسر الناظرين (قالوا ادع لنا ربك بيننا ما هي) تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي عليه السلام لوا عترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشد الله عليهم والاستقصاء شؤم (أن البقر تشابه علينا) ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشبهه علينا (و أنا أن شاء الله لمهتدون) الى البقرة المراد ذبحها أو الى ما خفي علينا من أمر

ظاهر اللفظ والمروى عنه عليه الصلاة والسلام لو ذبحوا أى بقرة أرادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على أنفسهم فشد الله عليهم وتقريهم بالتماذى وزجرهم عن المراجعة بقوله ﴿فأفعلوا ما تؤمرون﴾ أى ما تؤمرونه بمعنى ما تؤمرون به من قولهم أمرتك الخير فاقعل ما أمرت به • فقد تركت ذامال وذان شب أو أمركم بمعنى مأموركم ﴿قالوا ادع لنا ربك بيننا مالونها قال أنه يقول أنها بقرة صفراء فاقع لونها﴾ الفقوع نصوع الصفرة ولذلك تؤكده فيقال أصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي أسناده الى اللون وهو صفة صفراء ملابسته بها فضل تأكيد كأنه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله سبحانه وتعالى جهالات صفراء قال الاعشى
تلك خبلى منه وتلك ركابي • هن صفراء أولادها كالزبيب

ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته أولان سواد الابل تلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع ﴿تسر الناظرين﴾ أى تعجبهم • والسرور أصله لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه من السر ﴿قالوا ادع لنا ربك بيننا ما هي﴾ تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله ﴿أن البقر تشابه علينا﴾ اعتذار عنه أى أن البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشبهه علينا • وقرى أن البقر وهو اسم لجماعة البقر والابقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها في الشين على التذكير والتأنيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبه ومتشبهة ﴿وأنا أن شاء الله لمهتدون﴾ الى المراد ذبحها أو الى القتال وفي الحديث لو لم يستنوا لما بينت لهم آخر الابد • واحتج به أصحابنا على أن الحوادث بأرادة الله سبحانه وتعالى وأن الامر قد ينفك عن الارادة وألا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعزلة والكرامية على حدوث الارادة • وأجيب بأن التعليق

أى بين السنين ﴿فأفعلوا ما تؤمرون﴾ أى من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال ﴿قالوا ادع لنا ربك بيننا مالونها قال أنه يقول أنها بقرة صفراء فاقع لونها﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما شديدة الصفرة وقيل لونها صاف وقيل الصفراء السوداء والاول أصح لانه يقال اصفر فاقع واسود حالك ﴿تسر الناظرين﴾ أى يعجبهم حسنها وصفاء لونها ﴿قالوا ادع لنا ربك بيننا ما هي﴾ أى سأئمة أو عاملة ﴿أن البقر تشابه علينا﴾ أى ألبس واشتبه أمرها علينا ﴿وأنا أن شاء الله لمهتدون﴾ أى الى وصفها قال رسول الله

القتال وان شاء الله اعترض بين اسم ان وخبرها

والكبير (فأفعلوا ما تؤمرون) ولا تسألوا (قالوا ادع لنا ربك) سل لنا ربك (بين لنا مالونها) مالون البقرة (قال انه يقول انها بقرة صفراء) النطف والقرن سوداء البدن (فاقع لونها) صاف لونها (تسر الناظرين) تعجب الناظرين اليها (قالوا ادع لنا ربك) سل لنا ربك (بين لنا ما هي) عاملة هي أم لا (ان البقر تشابه علينا) تشاكل علينا (وأنا أن شاء الله لمهتدون) الى وصفها ويقال الى قتال

وفي الحديث لولم يستنوا لما بينت لهم آخر الأبدى لولم يقولوا ان شاء الله (قال أنه يقول أنها بقرة لاذلول تشير الارض) لاذلول
صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكرب وانارة الارض (ولاتسقى الحرث) ولا هي من النواضع التي يسنى عليها
لسقى الحرث ولا الاولى نافية والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لاذلول تشير الارض أي ثقلها للزراعة وتسقى الحرث
على ان الفعلان صفتان لذلول كأنه قيل لاذلول مثيرة وساقية (مسلمة) عن العيوب وآثار العمل (لاشية فيها) الملمعة في نقيبها من
لون آخر سوى الصفرة { الجزء الاول } فهي صفراء كلها ﴿ ١٤٢ ﴾ حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل

باعتبار التعلق ﴿ قال أنه يقول أنها بقرة لاذلول تشير الارض ولا تسقى الحرث ﴾
أي لم تذلل للكرب وسقى الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية
مزيدة لتأكيد الاولى والفاعلان صفتا ذلول كأنه قيل لاذلول مثيرة وساقية وقرى
لاذلول بالفتح أي حيث هي كقولك مررت برجل لا يخيل ولا جبان أي حيث هو
وتسقى من أسقى ﴿ مسلمة ﴾ سلمها الله سبحانه وتعالى من العيوب وأهلها من العمل أو أخلص
لونها من سلمه كذا اذا اخلص له ﴿ لاشية فيها ﴾ لالون فيها يخالف لون جلدها وهي
في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخره ﴿ قالوا الآن جئت
بالحق ﴾ أي بحقيقة وصف البقرة وحققها لنا وقرى ﴿ الآن بالمد على الاستفهام والآن
بجذف الهمزة وألقاء حركتها على اللام ﴾ فذبحوها ﴿ فيه اختصار والتقدير فخلصوا
البقرة المنعوتة فذبحوها ﴾ وما كادوا يفعلون ﴿ لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم وأخوف
الفضيحة في ظهور القاتل أولغلاء ثمنها أذروى أن شيخا صالحا منهم كان له عجلة فأنى
بها الفضية وقال اللهم أنى استودعتكما لابنى حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك
الصفات فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بعل جلدتها ذبا وكانت البقرة اذذاك
بثلاثة دنانير * وكاد من أفعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فأذا دخل عليه
النقى قيل معناه الأثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح أنه كسائر الأفعال ولا ينافى قوله
وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى أنهم ما قاربوا أن يفعلوا
حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل

مصدر وشاه وشيا وشية
اذا خلط بلونه لونا آخر
(قالوا الآن جئت بالحق)
أي بحقيقة وصف البقرة
وما بقى اشكال في أمرها
جئت وبابه بغير همز
أبو عمرو (فذبحوها)
فخلصوا البقرة الجامعة
لهذه الاضاف كلها فذبحوها
(وما كادوا يفعلون) لغلاء
ثمنها أو خوف الفضية
في ظهور القاتل روى أنه
كان في بنى اسرائيل شيخ
صالح له عجلة فأنى بها الفضة
وقال اللهم انى استودعتكما
لابنى حتى يكبر وكان
برا بوالديه فشبت
البقرة وكانت من أحسن
البقر وأسمنه فساوموها
اليتيم وأمه حتى اشتروها
بعل مسكها ذبا وكانت
البقرة اذذاك بثلاثة دنانير
وكانوا طلبوا البقرة
الموصوفة أربعين سنة
وهذا البيان من قبيل تقييد

صلى الله عليه وسلم وإيم الله لولم يستنوا لما بينت لهم آخر الدهر ﴿ قال أنه يقول أنها
بقرة لاذلول ﴾ أي ليست مذلة بالعمل ﴿ تشير الارض ﴾ أي ثقلها للزراعة ﴿ ولا
تسقى الحرث ﴾ أي ليست بسانية والسانية هي التي تستسقى الماء من البئر لسقى الارض
﴿ مسلمة ﴾ أي بريئة من العيوب ﴿ لاشية فيها ﴾ أي لالون فيها غير لونها ﴿ قالوا
الآن جئت بالحق ﴾ أي بالبيان التام الذى لا اشكال فيه فطلبوها فلم يجدوا بقرة بكمال
وصفها الا بقرة ذلك الفتى فاشتروها منه بعل مسكها ذبا ﴿ فذبحوها وما كادوا
يفعلون ﴾ أي وما قاربوا أن يفعلوا ما أمروا به قيل لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضية

(وقيل)

المطلق فكان نسحا والنسخ قبل الفعل جائز وكذا قبل التمكّن منه عندنا خلافا

عاميل (قال أنه يقول أنها بقرة لاذلول) لامذلة (تشير الارض) تحرث الارض (ولاتسقى الحرث)
لايستسقى عليها بالسواقي الحرث (مسلمة) من كل عيب (لاشية فيها) لاوضح فيها ولا بياض (قالوا
الآن جئت بالحق) الآن تبين لنا الصفة فطلبوها واشتروها بعل مسكها ذبا (فذبحوها وما كادوا يفعلون)
في بدء الامر ويقال من غلاء ثمنها ثم ذكر المقتول فقال

للمعتزلة (واذ قتلتم نفسا) بتقدير واذكروا خو طبت الجماعة لوجود القتل فيهم (فادارأتم فيها) فاختلفتم واختصمتم في شأنها لان المتخاصمين يدرا بعضهم بعضا أى يدفع أو تدافعت بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فيدفع المطروح عليه الطارح أو لان الطرح في نفسه دفع وأصله تدارأتم ثم أرادوا التخفيف فقلبوا التاء دالا لتصير من جنس الدال التي هي فاء الكلمة ليتمكن الادغام ثم سكنوا الدال اذ شرط الادغام أن يكون الاول ساكنا وزيدت همزة الوصل لانه لا يمكن الابتداء بالسكن فادارأتم بغير همز أبو عمرو (والله مخرج ما كنتم تكتمون) مظهر لاحالة ما كنتم من أمر القتل لا يتركه مكتوما وأعمل مخرج على حكاية ما كان ١٤٣ ﴿﴾ مستقبلا في وقت {سورة البقرة} التدارى وهذه الجملة

اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما اذادارأتم (وقتلنا) والضمير في (اضربوه) يرجع الى النقص والتذكير بتأويل الشخص والانسان أو الى القتل لمادل عليه ما كنتم تكتمون (بعضها) بعض البقرة وهو لسانها أو فخذها اليمنى أو عجبها

﴿وأذ قتلتم نفسا﴾ خطاب الجمع لوجود القتل فيهم ﴿فادارأتم فيها﴾ اختصمتم في شأنها اذا المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا أو تدافعت بأن طرح كل قتلها عن نفسه الى صاحبه وأصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل ﴿والله مخرج ما كنتم تكتمون﴾ مظهره لاحالة وأعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما أعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية ﴿فقلنا اضربوه﴾ عطف على أدارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تأويل الشخص أو القتل ﴿بعضها﴾ أى بعض كان وقيل بأصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب ﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾ يدل على ما حذف وهو فضربروه فحي والخطاب مع من حضر حياة القتل أو نزول الآية ﴿ويريكم آياته﴾ دلالته على كمال قدرته ﴿لعلكم تعقلون﴾ لكي يكمل عقلكم وتعلموا أن من قدر على احياء نفس

والمعنى فضربروه فحي فحذف ذلك لدلالة ذلك على يحيي الله الموتى (عليه روى انهم لما ضربوه قام بأذن الله تعالى وقال قتلنى فلان وفلان لابنى عمه ثم سقط ميتا فاخذوا قتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك وقوله كذلك يحيي الله الموتى اما أن يكون خطابا للمكركين في زمن النبي عليه السلام واما أن يكون خطابا للذين حضروا حياة القتل بمعنى

وقيل لعزة وجودها بهذه الاوصاف جميعا قوله عز وجل ﴿وأذ قتلتم نفسا﴾ خو طبت لجماعة بذلك لوجود القتل فيهم ﴿فادارأتم فيها﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما أى اختلفتم واختصمتم من الدره وهو الدفع لان المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا ﴿والله مخرج ما كنتم تكتمون﴾ أى مظهر ما كنتم من أمر القتل لاحالة ولا يتركه مكتوما ﴿فقلنا اضربوه﴾ يعنى القتل ﴿بعضها﴾ أى بعض البقرة قال ابن عباس رضى الله عنهما ضربوه بالعظم الذى يلى العضروف وهو أصل الاذن وقيل ضربوه بلسانها وقيل بعجب الذنب وقيل بفخذها اليمين والاقرب أنهم كانوا مخيرين في ذلك البعض وأنهم اذا ضربوه بأى جزء منها أجزأ وحصل المقصود وانه ليس في القرآن ما يدل على ذلك البعض ما هو وذلك يقتضى التخيير وفي الآية اضممار تقديره فضربروه فحي وقام بأذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان يبنى ابن عمه ثم سقط ميتا مكانه فحرم قاتله الميراث وفي الخبر ماورث قاتل بعد صاحب البقرة ﴿كذلك﴾ أى كما أحياء الله عاميل صاحب البقرة ﴿يحيي الله الموتى﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾ أى تمنعون أنفسكم عن المعاصى . فان قلت كان حق هذه القصة أن يقدم ذكر القتل

وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة (ويريكم آياته) دلالته على انه قادر على كل شئ (لعلكم تعقلون) فتعملون على قضية عقولكم وهي أن

(وأذ قتلتم نفسا) عاميل (فادارأتم فيها) فاختلفتم في قتلها (والله مخرج) مظهر (ما كنتم تكتمون) من قتلها (فقلنا اضربوه) عنى المقتول (بعضها) بعض من اعضاءها ويقال بذنبها ويقال بلسانها (كذلك) كما أحيى الله عاميل (يحيي الله الموتى) للبعث (ويريكم آياته) احياءه (لعلكم تعقلون) لكي تصدقوا بالبعث بعد الموت

من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء جميعها لعدم الاختصاص والحكمة في ذبح البقرة وضربه ببعضها وان قدر على احيائه بلا واسطة التقرب به والاشعار بحسن تقديم القرية على الطلب والتعليم لعباده ترك التشديد في الامور والمصارعة الى امثال اوامر الله { الجزء الاول } من غسير تفتيش ١٤٤ وتكثير سؤال وغير ذلك وقيل

قدر على احياء الانفس كلها وتعملون على قضيته ولعله سبحانه وتعالى انما لم يحبه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم واليتيم على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قرية والتقرب ان يعجز الاحسن ويفالي ثمنه كاروى عن عمر رضى الله تعالى عنه انه ضحى بنجية اشتراها بثلاثمائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى والاسباب امارات لا اثر لها ومن اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعى في امانته الموت الحقيقى فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التى هى القوة الشهوية حين زال عنها شرة الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذلة في طلب الدنيا مسلة عن دنسها لاسمها بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه قهبي حياة طيبة وتعرب عما به ينكشف الحال

اولا ثم ذكر ذبح البقرة بعد ذلك فما وجه ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب قلت وجهه ان الله لما ذكر من قصص نبي اسرائيل وما وجد من خياناتهم تقريبا لهم على ذلك وما وجد فيهم من الآيات العظيمة وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقرير وان كانتا متصلتين متحدثين في نفس الامر فالاولى لتقريرهم على ترك المصارعة الى امثال الامر وما يتبعه والثانية لتقريرهم على قتل النفس المحرمة فلو قدم قصة القتل على قصة الذبح لكانت قصة واحدة ولذهب الفرض من تندية التقرير فلماذا قدم ذكر الذبح اولاً ثم عقبه بذكر القتل * فان قلت ما فائدة ضرب القتل ببعض البقرة والله تعالى قادر على ان يحويه ابتداء من غير ضرب بشئ * قلت الفائدة فيه ان تكون الحجية اوكد وعن الحيلة بعد لاحتمال ان يتوهم متوهم ان موسى عليه الصلاة والسلام انما احياء بضرب من السحر والحيلة فاذا احيى القتل عندما ضرب ببعض البقرة انتفت الشبهة وعلم ان ذلك من عند الله تعالى وبأمره كان ذلك * فان قلت هلا امرؤا يذبح غير البقرة قلت الكلام في غير البقرة لو امرؤا به كالقلام في البقرة ثم في ذبح البقرة فوائد منها التقرب بالقرابين على ما كانت العادة جارية عندهم ومنها ان هذا القرابين كان عندهم من اعظم القرابين ومنها تحمل المشقة العظيمة في تحصيلها بتلك الصفة ومنها حصول ذلك المال العظيم الذى اخذه صاحبها من ثمنها

فصل في حكم هذه المسئلة في شريعة الاسلام اذا وقعت

وذلك انه اذا وجد قتيل في موضع ولا يعرف قاتله فان كان ثمة لوث على انسان ادعى به واللوث ان يغلب على الظن صدق المدعى بان اجتمع جماعة في بيت او صحراء ثم تفرقوا عن قتيل فيغلب على الظن ان القاتل فيهم او وجد قتيل في محلة او قرية وكلهم اعداء القاتل

نكتته بعد ما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها ان وصلت بالاولى بضمير البقرة لاسمها الصريح (لا يخاطبهم) في قوله اضربوه ببعضها ليعلم انها قصتان فيما يرجع الى التقرير وقصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة وقيل هذه القصة تشير الى ان من اراد احياء قلبه بالمجاهدات فليت نفسه بانواع المجاهدات ومعنى

انما امرؤا يذبح البقرة دون غيرها من البهائم لانها افضل قرابينهم ولعبادتهم العجل فأراد الله تعالى ان يكون معبودهم عندهم وكان ينبغي ان يقدم ذكر القتل والضرب ببعض البقرة على الامر يذبحها وان يقال واذقتهم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها ولكنه تعالى انما قص قصص نبي اسرائيل تمديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريبا لهم عليها وهاتان القصتان وان كانتا متصلتين فاستقل كل واحدة منهما بنوع من التقرير فالاولى لتقريرهم على الاستهزاء وترك المصارعة الى الامثال وما يتبع ذلك والثانية للتقرير على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآيات العظيمة وانما قدمت قصة الامر يذبح البقرة على ذكر القتل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب المراد في تندية التقرير ولقد رويت

(ثم قست قلوبكم)
استبعاد القسوة (من بعد)
ما ذكر مما يوجب لين
القلوب ورقتها وصفة
القلوب بالقسوة مثل لنبوها
عن الاعتبار والاعتاظ من
بعد (ذلك) اشارة الى

احياء القتل أو الى جميع
ما تقدم من الآيات المعدودة
(فهي كالحجارة) فهي
في قسوتها مثل الحجارة
(أو أشد قسوة) منها
وأشد معطوف على الكاف
تقديره أو مثل أشد قسوة
فحذف المضاف وأقيم
المضاف اليه مقامه أو هي
في أنفسها أشد قسوة يعني
ان من عرف حالها شهبها
بالحجارة أو بجوهر أقى
منها وهو الحديد مثلاً
أو من عرفها شهبها بالحجارة
أو قال هي أقى من الحجارة
وانما لم يقل أقى لكونه
أبين وأدل على فرط القسوة
وترك ضمير المفضل عليه
لعدم الالباس كقولك زيد

(ثم قست) جفت
ويست (قلوبكم من بعد
ذلك) من بعد احياء
عاميل واعلامكم قاله
(فهي كالحجارة) في الشدة
(أو أشد قسوة) بل أشد
قسوة ثم عذرا الحجارة وذكر
منفعتها وعاب على القلوب

ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارى والنزاع ﴿ ثم قست قلوبكم ﴾ القساوة
عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار
وتم لاستبعاد القسوة ﴿ من بعد ذلك ﴾ يعني أحياء القتل أو جمع ما عدد من الآيات
فأنها مما يوجب لين القلب ﴿ فهي كالحجارة ﴾ في قسوتها ﴿ أو أشد قسوة ﴾ منها
والمعنى أنها في القساوة مثل الحجارة أو أزيد عليها أو أنها مثلها أو مثل ما هو أشد

لا يخالطهم غيرهم فيغلب على الظن أنهم قتلوه فأن ادعى الولي على بعضهم حلف خسين يمينا
على من يدعى عليه وان كان الاولياء جماعة توزع الايمان عليهم فإذا حلفوا أخذوا
الدية من عاقلة المدعى عليه ان ادعوا قتل خطأ وان ادعوا قتل عمد فمن مال المدعى
عليه ولا قود عليه في قول الاكثرين وذهب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى وجوب
القود وبه قال مالك وأجدر جهما الله فان لم يكن ثمة لوث فالقول قول المدعى عليه لان الاصل
براءة ذمته من القتل وهل يحلف يمينا واحدة أم خسين يمينا فيه قولان أحدهما
أنه يحلف يمينا واحدة كما في سائر الدعاوى والثاني أنه يحلف خسين يمينا تغليظا لامر القتل
وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى لا حكم للوثة ولا يبدأ بيمين المدعى بل اذا وجد قتل
في محلة يختار الامام خسين رجلا من صلحاء أهلها فيحلفهم أنهم ما قتلوه ولا يعرفون له
قاتلا فأن حلفوا والا أخذ الدية من سكانها والدليل على أن البداء بيمين المدعى عند
وجود اللوثة ما روى عن سهل بن أبي خيشمة قال انطلق عبد الله بن سهل ومحبيصة
ابن مسعود الى خيبر وهي يومئذ صلح فتفرقا فأتى محبيصة الى عبد الله بن سهل وهو
يتشخط في دمه قتيلاً فدفعه ثم قدم المدينة فانطلق عبدالرحمن بن سهل ومحبيصة وحوبيصة
ابنا مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبدالرحمن يتكلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كبركبر هو احدث القوم سنا فسكت فتكلمما فقال أتخلقون وتستحقون
قاتلكم أو قال صاحبكم قالوا كيف نحلف ولم نشهد ولم نر قال فتبرئتم يهود بايمان
خسين منهم قالوا كيف نأخذ بايمان قوم كفار فعقله النبي صلى الله عليه وسلم من عنده
وفي رواية يقسم خسون منكم على رجل منهم فيدفع برتمه وذكر نحوه * وزاد في رواية
فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبطل دمه فوداه بمائة من ابل الصدقة أخرجاه
في الصحيحين * ووجه الدليل من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ بايمان المدعين
ليقوى جانبهم باللوثة لان اليمين أبدا تكون لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوثة تكون من
جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل براءة ذمته فكان القول قوله مع يمينه والله أعلم
﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ثم قست قلوبكم ﴾ أى يست وجفت وقساوة القلب انتزاع الرحمة
منه وقيل معناه غلظت واسودت ﴿ من بعد ذلك ﴾ أى من بعد ظهور الدلالات التي
جاءها موسى عليه الصلاة والسلام وقيل هي اشارة الى احياء القتل بعد ضربه ببعض البقرة
﴿ فهي ﴾ يعني القلوب في الغلظ والشدة ﴿ كالحجارة ﴾ أى كالشيء الصلب الذي
لا تخلخل فيه ﴿ أو ﴾ قيل أو بمعنى بل وقيل بمعنى الواو أى و ﴿ أشد قسوة ﴾

كريم وعروا كرم (وأن من الحجارة) بيان لزيادة قسوة قلوبهم على الحجارة (لما يتفجر منه الانهار) ما بمعنى الذي في موضع
النصب وهو اسم ان واللام { الجزء الاول } للتوكيد والتفجير ﴿ ١٤٦ ﴾ التفجع بالسمعة والكثرة (وأن منها لما يشقق)

منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الاعمش
بالفتح عطفًا على الحجارة وأعمالم يقل أقمى لما في أشد من المبالغة والدلالة على
اشتداد القسوتين واشتغال المفضل على زيادة وأوللتخير أو للتريد بمعنى أن من عرف
حالتها شبهها بالحجارة أو بما هو أقمى منها ﴿ وأن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار
وأن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وأن منها لما يهبط من خشية الله ﴿ تعليل
للتفضيل والمعنى أن الحجارة تتأثر وتتفعل فأن منها ما يشقق فينبع منه الماء ويتفجر
منه الانهار ومنها ما يتردى من أعلى الجبل انقيادا لما أراد الله تعالى به وقلوب
هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن أمره تعالى * والتفجر التفجع بسعة وكثرة والخشية مجاز
عن الانقياد * وقرئ أن على أنها الخففة من الثقلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين

﴿ فان قلت لم شبه قلوبهم بالحجارة ولم يشبهها بالحديد وهو أشد من الحجارة وأصلب * قلت
لان الحديد قابل للين بالنار وقد لان لداود عليه الصلاة والسلام والحجارة ليست قابلة
للين فلاتلين قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسى فقال ﴿ وأن من الحجارة لما يتفجر
منه الانهار ﴿ قيل أراد به جميع الحجارة وقيل أراد به الحجر الذي كان يضرب عليه
موسى ليسقى الاسباط * والتفجير التفجع بالسمعة والكثرة ﴿ وأن منها لما يشقق فيخرج
منه الماء ﴿ يعنى العيون الصغار التي هي دون الانهار ﴿ وأن منها لما يهبط من خشية الله ﴿
أى ينزل من أعلى الجبل الى أسفله وخشيته عبارة عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع
عما يريد منها وقلوبكم يامعشر اليهود لاتلين ولا تخشع * فأن قلت الحجر جاد لا يعقل ولا يفهم
فكيف يخشى * قلت أن الله تعالى قادر على افهام الحجر والجمادات فتعقل وتخشى
بالحمامه لها ومذهب أهل السنة ان الله تعالى أودع في الجمادات والحيوانات علما
وحكمة لا يقف عليها غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية يدل عليه قوله وأن من شئ
ألا يسبح بحمده وقال تعالى والطيور صافات كل قد علم صلاته وتسميته فيجب على المرء
الايمان به وبكل علمه الى الله تعالى (م) عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث وأنى لأعرفه
الآن * عن علي رضى الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ففخر جنالى بعض
نواحيها فاستقبله شجروا ولا جبل ألا وعوقول السلام عليك يا رسول الله أخرجه الترمذى
وقال حديث غريب (خ) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال كان في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم جذع في قبلته يقوم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته
فلما وضع المنبر سمعنا للجذع حيننا مثل صوت العشار حتى نزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوضع يده عليه وفي رواية صاححت النخلة صياح الصبي فنزل صلى الله عليه وسلم حتى أخذها
فضمها اليه فجعلت تن أنين الصبي الذي لا يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت تسمع
من الذكر قال مجاهد ما ينزل حجر من أعلى الى أسفل إلا من خشية الله وذلك يشهد لما قلنا

أصله يشقق وبه قرأ الاعمش
فقلبت التاء شيئا وأدغمت
(فيخرج منه الماء) يعنى ان
من الحجارة ما فيه خروج
واسعة يتدفق منها الماء
الكثير ومنها ما ينشق
انشقاقا بالطول أو بالعرض
فينبع منه الماء أيضا وقلوبهم
لاتندى (وأن منها لما يهبط)
يتردى من أعلى الجبل
(من خشية الله) قيل
هو مجاز عن انقيادها
لامر الله وانها لا تمتنع على
ما يريد فيها وقلوب هؤلاء
لا تنقاد ولا تفعل ما أمرت
به وقيل المراد به حقيقة
الخشية على معنى انه
يخلق فيها الحياة والتميز
وليس شرط خلق الحياة
والتميز في الجسم ان يكون
على بنية مخصوصة عند
أهل السنة وعلى هذا
قوله لو أنزلنا هذا القرآن
على جبل الآية يعنى وقلوبهم

فقال (وأن من الحجارة)
حجارة (لما يتفجر) يخرج
(منه الانهار وأن منها لما
يشقق) يقول يتصدع
(فيخرج منه الماء وأن منها
لما يهبط) يقول يتدحرج
من أعلى الجبل الى أسفله
(من خشية الله وقلوبكم

لا تخشى (وما الله بغافل عما تعملون) ﴿١٤٧﴾ وبالبايع مكي وهو وعيد {سورة البقرة} {أقتطمعون} الخطاب لرسول الله

والمؤمنين (أن يؤمنوا لكم) أن يؤمنوا لاجل دعوتكم ويستحيوا لكم كقوله تعالى فآمن له لوط يعني اليهود (وقد كان فريق منهم) طائفة فيمن سلف منهم (يسمعون كلام الله) أي التوراة (ثم يحرفونه) كاحرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم (من بعد ما علقوه) من بعد ما بعقولهم بضبطه بعقولهم (وهم يعلمون) أنهم كاذبون مقترون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا قائلهم سابقة في ذلك (واذ القوا) أي المنافقون أو اليهود (الذين آمنوا) أي المخلصين من أصحاب محمد عليه السلام (قالوا) أي المنافقون (آمننا) بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول

(وما الله بغافل) بتارك عقوبة (عما تعملون) من المعاصي ويقال ما تكتمون من المعاصي (أقتطمعون أن يؤمنوا لكم) أفترجو يا محمد أن تؤمن بك اليهود (وقد كان فريق منهم) وهم السبعون الذين كانوا مع موسى (يسمعون كلام الله) قراءة موسى لكلام الله (ثم يحرفونه) يغيرونه (من بعد ما علقوه) علموه وفهموه (وهم يعلمون) أنهم يغيرونه ثم ذكر منافق

أن النافية ويهبط بالضم ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابوبكر بالياء ضمنا إلى ما بعده والباقون بالتاء ﴿أقتطمعون﴾ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿أن يؤمنوا لكم﴾ أن يصدقوكم أو يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود ﴿وقد كان فريق منهم﴾ طائفة من أسلافهم ﴿يسمعون كلام الله﴾ يعني التوراة ﴿ثم يحرفونه﴾ كنعث محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم أو تأويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله تعالى حين كلم موسى عليه الصلاة والسلام بالطور ثم قالوا سمعنا الله تعالى يقول في آخره أن استطعتم أن تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وأن شئتم فلا تفعلوا ﴿من بعد ما علقوه﴾ أي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة ﴿وهم يعلمون﴾ أنهم مقترنون مبطلون ومعنى الآية أن اجبار هؤلاء ومقدمهم كانوا على هذه الحالة فإذ انك بسفلتهم وجهالهم وأنهم أن كفروا وحرفوا قائلهم سابقة في ذلك ﴿وأذا القوا الذين آمنوا﴾ يعني منافقهم ﴿قالوا آمنا﴾

﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ فيه وعيد وتهديد والمعنى ان الله بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لا عملهم حتى يجازيهم بها في الآخرة ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿أقتطمعون﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لانه هو الداعي الى الايمان وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لانهم كانوا يدعونهم الى الايمان أيضا ومعنى أقتطمعون أفترجون ﴿أن يؤمنوا لكم﴾ أي يصدقكم اليهود بما تخبرونهم وقيل معناه أقتطمعون أن يؤمنوا لكم مع انهم لم يؤمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام وكان هو السبب في خلاصهم من الذل وظهور المعجزات على يده ﴿وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله﴾ قيل المراد بالفريق هم الذين كانوا مع موسى يوم الميقات وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى وقيل المراد بهم الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاقرب لان الضمير راجع اليهم في أقتطمعون أن يؤمنوا لكم فعلى هذا يكون معنى يسمعون كلام الله يعني التوراة لانه يصح أن يقال لمن يسمع التوراة يسمع كلام الله ﴿ثم يحرفونه﴾ أي يغيرون كلام الله ويبدلونه فنفس الفريق الذين يسمعون كلام الله بالفريق الذين كانوا مع موسى عليه الصلاة والسلام استدل بقول ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه وذلك لانهم لما رجعوا الى قومهم بعدما سمعوا كلام الله أما الصادقون منهم فأنهم أدوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله يقول في آخر كلامه ان استطعتم أن تفعلوا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فكان هذا تحريفهم ومن فسر الفريق الذين كانوا يسمعون كلام الله بالذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان تحريفهم تبديلهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم وآية الرجم في التوراة ﴿من بعد ما علقوه﴾ أي علموا صحة كلام الله ومراده فيه ثم مع ذلك خالفوه ﴿وهم يعلمون﴾ أي فساد مخالفتهم ويعلمون أيضا أنهم كاذبون ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿وأذا القوا الذين آمنوا قالوا آمنا﴾

أهل الكتاب ويقال سفاة أهل الكتاب فقال (واذ القوا الذين آمنوا) يعني أبابكر وأصحابه (قالوا آمنا) بنبيكم وصفته ونعته

المبشر به (وإذا خلا بعضهم) الذين لم ينافقوا (الى بعض) الى الذين ناققوا (قالوا) عاتبين عليهم (أتحدثونهم) أتخبرون أصحاب محمد عليه السلام (بما فتح الله {الجزء الاول} عليكم) بما بين الله لكم ﴿١٤٨﴾ في التوراة من صفة محمد عليه السلام

بأنكم على الحق وأن رسولكم هو المبشر به في التوراة ﴿﴾ وأذا خلا بعضهم الى بعض قالوا ﴿﴾ أى الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من ناقق ﴿﴾ أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ﴿﴾ بما بين لكم في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم أو الذين ناققوا لاعتقابهم أظهارا للتصلب في اليهودية ومنعاهم عن أبداء ما وجدوا في كتابهم فيناققون الفريقين فالاستفهام على الاول تقرير وعلى الثانى أنكار ونهى ﴿﴾ ليحاجوكم به عند ربكم ﴿﴾ ليحججوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محتاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به أنه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم أو بما عند ربكم أو بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم يوم القيامة وفيه نظر اذا الاخفاء لا يدفعها ﴿﴾ أفلا تعقلون ﴿﴾ أما من تمام كلام اللامنين وتقديره أفلا تعقلون أنهم يحاجونكم به فيحججونكم أو خطاب من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين متصل بقوله أقتطمعون والمعنى أفلا تعقلون حالهم وأن لا مطمع لكم في ايمانهم ﴿﴾ أو لا يعلمون ﴿﴾ يعنى هؤلاء المنافقين أو اللامنين أو كليهما أو أيهم والمحرفين ﴿﴾ أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴿﴾ ومن جلتها أسرارهم الكفر وأعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف

نزلت هذه الآية في اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنهما ان منافق اليهود كانوا اذا لقوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم آمنا بالذى آمتم به وان صاحبكم صادق وقوله حق وانا نجد نعتة وصفته في كتابنا ﴿﴾ واذا خلا بعضهم الى بعض ﴿﴾ يعنى كعب بن الاشرف وكعب بن أسد ووهب ابن يهودا ورؤساء اليهود لاموا منافق اليهود على ذلك و ﴿﴾ قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ﴿﴾ يعنى قص الله عليكم في كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وقوله صدق ﴿﴾ ليحاجوكم به ﴿﴾ أى ليخاصمكم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحججوا عليكم بقولكم فيقولون لكم قد أقررتم انه نبي حق في كتابكم لم لا تتبعونه وذلك ان اليهود قالوا لاهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به فإنه نبي حق ثم لام بعضهم بعضا وقالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم ﴿﴾ عند ربكم ﴿﴾ أى في الدنيا والآخرة وقيل هو قول يهود بنى قريظة بعضهم لبعض حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا اخوان القردة واخنازير قالوا من أخبر محمدا بهذا هذا ما خرج الأمانكم وقيل ان اليهود أخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به من الجنائيات فقال بعضهم لبعض أتحدثونهم بما قضى الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لانفسهم عليكم عند الله ﴿﴾ أفلا تعقلون ﴿﴾ أى ان ذلك لا يليق بما أنتم عليه ﴿﴾ أولا يعلمون ﴿﴾ يعنى اليهود ﴿﴾ أن الله يعلم ما يسرون ﴿﴾ أى ما يخفون ﴿﴾ وما يعلنون ﴿﴾ أى ما يبشرون وما يظهرون ﴿﴾ قوله عز وجل

(ليحاجوكم به عند ربكم) ليحججوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله الأتراك تقول هو في كتاب الله تعالى هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد وقيل هذا على اضمار المضاف أى عند كتاب ربكم وقيل ليحاجوكم ويخاصمكم به بما قلتم لهم عند ربكم في الآخرة يقولون كفرتم به بعد ان وفقتم على صدقه (أفلا تعقلون) ان هذه حجة عليكم حيث تعترفون به ثم لا تتبعونه (أو لا يعلمون ان الله يعلم) جميع (ما يسرون وما يعلنون) ومن ذلك أسرارهم الكفر واعلانهم الايمان في كتابنا (وأذا خلا بعضهم الى بعض) اذا رجع السفلة الى رؤسائهم (قالوا) قال الرؤساء للسفلة (أتحدثونهم) أتخبرون محمدا وأصحابه (بما فتح الله عليكم) بما بين الله لكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في كتابكم (ليحاجوكم) حتى يخاصمكم (به عند

ربكم) من عند ربكم مقدم ومؤخر (أفلا تعقلون) أفليس لكم ذهن الانسانية قال الله تعالى (أو لا يعلمون) (ومنهم) يعنى الرؤساء (أن الله يعلم ما يسرون) فيما بينهم (وما يعلنون)

(ومنهم) ومن اليهود (أميون) لا يحسنون ﴿١٤٩﴾ الكتب فيطالعوا التوراة {سورة البقرة} ويتحققوا ما فيها (لا يعلمون

الكتاب) التوراة (الأماني) الأمام عليه من أمانيهم وان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا تمسهم النار إلا أياما معدودة أو الأوكاذيب مخلقة سمعوا من علمائهم فتقبلوها على التقليد ومنه قول عثمان رضى الله عنه ماتت منذ أسلمت أو الأمايقرون من قوله * تمى كتاب الله أول ليلة * وآخرها لاقى جام المقادر * أى لا يعلمون هؤلاء حقيقة المنزل وانما يقرون أشياء أخذوها من

الكلم عن مواضعه ومعانيه * ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب * جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها أو التوراة * الأماني * استثناء منقطع * والاماني جمع أمنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك تطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون أكاذيب أخذوها تقليدا من المحرفين أو مواعيد فارغة سمعوا منهم من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة وقيل ألا ما يقرون قراءة عاريت عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمى كتاب الله اول ليلة * تمى داود الزبور على رسل

وهو لا يناسب وصفهم بأنهم أميون * وأنهم الأيظنون * ما هم إلا قوم يظنون لاعلم لهم وقد يطلق الظن بأزاء العلم على كل رأى واعتقاد من غير قاطع وأن جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائع عن الحق لشبهة * فويل * أى تحسر وهلك ومن قال أنه واد أو جبل في جهنم فعناه أن فيها موضعا يتوأ فيها من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لافعل له وأنما ساع الابتداء به نكرة لانه دعاء * للذين يكتبون الكتاب * يعنى المحرف ولعله أراد به ما كتبه من التاويلات الزائفة * بأيديهم * تأكيد كقولك كتبه يمى

* ومنهم * أى من اليهود * أميون * أى لا يحسنون الكتابة ولا القراءة جمع أى وهو المنسوب الى أمه كانه باق على ما انفصل من الام لم يتعلم كتابة ولا قراءة * لا يعلمون الكتاب إلا أماني * جمع أمنية وهي التلاوة ومنه قول الشاعر تمى كتاب الله اول ليلة * تمى داود الزبور على رسل

أى تلا كتاب الله وقال ابن عباس رضى الله عنهم معناه غير عارفين بمعاني كتاب الله تعالى وقيل الاماني الاحاديث الكاذبة المخلقة وهي الاشياء التى كتبها علماءهم من عند أنفسهم وأضافوها الى الله تعالى وذلك من تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقيل هو من التمى وهو قولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودة وغير ذلك مما تنوه فعلى هذا يكون المعنى لا يعلمون الكتاب لكن يظنون أشياء لا تحصل لهم * وأنهم الأيظنون * أى ليسوا على يقين * فويل * الويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة وأصلها في اللغة العذاب والهلاك وقال ابن عباس رضى الله عنهما الويل شدة العذاب وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قبره أخرجه الترمذى وقال حديث غريب * الخريف سنة * للذين يكتبون الكتاب بأيديهم * تأكيد للكتابة لانه يحتمل أن يأمر غيره بأن يكتب فقال بأيديهم لنفى هذه الشبهة والمراد بالذين يكتبون الكتاب اليهود وذلك ان رؤساء اليهود خافوا ذهاب ما كلهم وزواك رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق سفلتهم عن الايمان به فعمدوا الى صفته في التوراة فغيروها وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر أكل

عمحمد وأصحابه (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب) لا يحسنون قراءة الكتاب ولا كتابته (الأماني) أحاديث بلا أصل (وأنهم الأيظنون) وما يتكلمون إلا بالظن يتلقين رؤسائهم (فويل) فشدّة العذاب

ويقال واد في جهنم (للذين يكتبون الكتاب) يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في الكتاب (بأيديهم

أن يكون منزلا وذكر الأيدي للتأكيد وهو من مجاز التأكد (ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) عوضا يسيرا (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) من الرشا (وقالون تمسنا النار ألا أياما معدودة) أربعين يوما عدد أيام عبادة العجل وعن مجاهد {الجزء الأول} رضي الله تعالى عنه كانوا **١٥٠** يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة

﴿ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا﴾ كي يحصلوا به عرضا من أعراض الدنيا فإنه وأن جل قليل بالنسبة إلى ما استوجبه من العقاب الدائم ﴿فويل لهم مما كتبت أيديهم﴾ يعني المحرف ﴿وويل لهم مما يكسبون﴾ يريد الرشا ﴿وقالون تمسنا النار﴾ المس اتصال الشيء بالشيء بالشجرة بحيث تتأثر الحاسة به واللس كالطلب له ولذلك يقال ألمسه فلا أجده ﴿ألا أياما معدودة﴾ محصورة قليلة روى أن بعضهم قالوا نغذب بعدد أيام عبادة العجل أربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وأنما نغذب مكان كل ألف سنة يوما ﴿قل أتعلمون أم تقولون﴾ فلن يخلف الله عهدهم ﴿جواب شرط مقدر أي أن اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهدهم وفيه دليل على أن الخلف في خبره محال﴾ أم تقولون على الله ما لا تعلمون ﴿أم معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى أي الأمرين كأن على سبيل التقرير للعلم بوقوع أحدهما أو منقطعة بمعنى بل أتقولون على التقرير والتقرير ﴿بلى﴾ أثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه أعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتخص بجواب النفي ﴿من كسب سيئة﴾ قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة أنها قد تقال فيما يقصد بالذات

العنين ربة فغيروا ذلك وكتبوا مكانه طوال أزرق العينين سبط الشعر فكانوا إذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرؤا عليهم ما كتبوا ﴿ثم يقولون هذا من عند الله﴾ يعني هذه الصفة التي كتبوها فأذا نظروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى تلك الصفة وجدوه مخالفا لها فيكذبونه ويقولون إنه ليس به ﴿ليشتروا به﴾ أي بما كتبوا ﴿ثمنا قليلا﴾ أي المآكل والرشا التي كانوا يأخذونها من سفلتهم قال الله تعالى ﴿فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ قوله عز وجل ﴿وقالوا﴾ أي اليهود ﴿إن تمسنا﴾ أي لن تصيبنا ﴿النار ألا أياما معدودة﴾ أي قدرا مقدرا ثم يزول عنا العذاب قال ابن عباس رضي الله عنهما قالت اليهود مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وأنا نغذب بكل ألف سنة يوما ثم ينقطع عنا العذاب بعد سبعة أيام وقيل أنهم عنوا بالأيام الأربعين يوما التي عبدوا فيها العجل وقيل أن اليهود زعموا أن الله تعالى عتب عليهم في أمر فاقسم ليعذبهم أربعين يوما تحلة القسم فقل الله ردا عليهم وتكذيبا لهم ﴿قل﴾ أي يا محمد لليهود ﴿أتعلمون أم تقولون﴾ أي موثقا أن لا يعذبكم إلا هذه المدة ﴿فلن يخلف الله عهدهم﴾ أي وعده ﴿أم تقولون على الله ما لا تعلمون بلى﴾ أثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار والمعنى بلى تمسكم النار أبدا ﴿من كسب سيئة﴾ السيئة اسم يتناول جميع المعاصي كبيرة كانت أو صغيرة والسيئة هنا الشرك في قول

وإنما نغذب مكان كل ألف سنة يوما (قل أتعلمون عند الله عهدا) أي عهدا إليكم أنه لا يعذبكم إلا هذا المقدار (فلن يخلف الله عهدهم) متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهدهم (أم تقولون على الله ما لا تعلمون) أم ما ان تكون معادلة أي أتقولون على الله ما تعلمون أم تقولون عليه ما لا تعلمون أو منقطعة أي بل أتقولون على الله ما لا تعلمون (بلى) أثبات لما بعد النفي وهو لن تمسنا النار أي بلى تمسكم أبدا بدليل قوله هم فيها خالدون (من كسب سيئة) شركا عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما رضي الله

﴿ثم يقولون هذا﴾ في الكتاب الذي جاء (من عند الله ليشتروا به) بتغييره وكتابتها (ثمنا قليلا) عرضا يسيرا من المآكل والفضول (فويل لهم) فشددة العذاب لهم (مما كتبت أيديهم) مما غيرت أيديهم (وويل لهم) مما شدة العذاب لهم (مما يكسبون) يصيبون من الحرام أو الرشوة (وقالوا) يعني ليهود (لن تمسنا النار) لن تصيبنا النار (ألا أياما معدودة) قدر

أربعين يوما التي عبد فيها آباءنا العجل (قل) يا محمد (أتعلمون أم تقولون) على ما تقولون (فلن يخلف الله عهدهم) ان (ابن) كان لكم عند الله عهد (أم تقولون) بل أتقولون (على الله ما لا تعلمون) في كتابكم (بلى) رد عليهم (من كسب سيئة) أي أشرك

عنهم (وأحاطت به خطيئته) وسدت عليه مسالك النجاة بأن مات على شركه فأما اذا مات مؤمنا فأعظم الطاعات وهو الايمان معه فلا يكون الذنب محيطا به فلا يتناول النص وبهذا التأويل يبطل تشبث المعتزلة والخوارج وقيل استولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة خطيئته ﴿١٥١﴾ مدني (فأولئك أصحاب {سورة البقرة} النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات

والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطأ والكسب استجاب النفع وتعليقه بالسبيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب أليم ﴿وأحاطت به خطيئته﴾ أي استولت عليه وشملت جملة أحواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا إنما يصح في شأن الكافر لان غيره أن لم يكن له سوى تصديق قلبه وأقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك أن من أذنب ذنبا ولم يقع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو أكبر منه حتى تستولى عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا أياها معتقدا أن للذة سواها مبغض لمن ينعم عنها كما ذكرنا في كتابنا في بيان سببها وتعالى ثم كان عاقبة الذين أساؤا السواي أن كذبوا بآيات الله * وقرأ نافع خطيئة وقرئ خطيئته وخطيئته على القلب والادغام فيهما ﴿فأولئك أصحاب النار﴾ ملازموها في الآخرة كما أنهم ملازمون أسبابها في الدنيا ﴿هم فيها خالدون﴾ دائمون أولابثون لبثا طويلا والآية كما ترى لاجبة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ جرت عادته سبحانه وتعالى على أن يشفع وعيده بوعده لترجي رحته ويخشي عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن سماء ﴿وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله﴾ أخبار في معنى النهي كقوله سبحانه وتعالى ولا يضار كاتب

ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وأحاطت به خطيئته﴾ أي أحدقت به من جميع جوانبه قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الشرك يموت عليه صاحبه وقيل أحاطت به أي أهلكته خطيئته واحببت ثواب طاعته فعلى مذهب أهل السنة يتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك لقوله تعالى ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ فإن الخلود في النار هو للكفار والمشركين ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ * فأن قلت العمل الصالح خارج عن اسم الايمان لانه تعالى قال والذين آمنوا وعملوا الصالحات فلودل الايمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعد الايمان تكرارا قلت أجب بعضهم بأن الايمان وان كان يدخل فيه جميع الاعمال الصالحة الا ان قوله آمن لا يفيد إلا انه فعل فعلا واحدا من أفعال الايمان ولهذا حسن أن يقول والذين آمنوا وعملوا الصالحات وقيل ان قوله آمنوا يفيد الماضي وعملوا الصالحات يفيد المستقبل فكانه تعالى قال آمنوا أولا ثم داوموا عليه آخرا ويدخل فيه جميع الاعمال الصالحات ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ قوله عز وجل ﴿وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ يعني في التوراة والميثاق العهد الشديد ﴿لا تعبدون إلا الله﴾

(والذين آمنوا) بمحمد والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) دائمون لا يموتون ولا يخرجون منها ثم ذكر أيضا ميثاقه على بني إسرائيل فقال (وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله) لا توحدون إلا الله ولا تشركون به شيئا

ولاشييد وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من إيهام ان المنهى سارع الى الانتهاء فهو يجبر عنه ويعضده قراءة لاتعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على أرادة القول وقيل تقديره أن لاتعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله

ألا أيها الزاجري احضر الوغي * وأن أشهد اللذات هل أنت مخلد
ويدل عليه قراءة أن لاتعبدوا فيكون بدلا من الميثاق أو معمولا به بحذف الجار وقيل أنه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قال حلفناهم لاتعبدون * وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب ﴿ وبالوالدين أحسانا ﴾ متعلق بمضمر تقديره وتحسنون أو وأحسنوا ﴿ وذى القربى واليتامى والمساكين ﴾ عطف على الوالدين * واليتامى جميع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر أسكنه ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ أى قولوا لحسنا وسماه حسنا للبالغة * وقرأ جزءة والكسائى ويعقوب حسنا بفتحيم وقرئ حسنا بضمين وهو لغة أهل الحجاز وحسنا وحسنى على المصدر كشرى والمراد به ما فيه تخلق وأرشاد

أى أمر الله تعالى بعبادته فيدخل تحته النهى عن عبادة غيره لان الله تعالى هو المستحق للعبادة لا غيره ﴿ وبالوالدين احسانا ﴾ أى برا بهما ورجة لهما ونزول عند امرهما فيما لا يخالف أمر الله تعالى ويوصل اليهما ما يحتاجان اليه ولا يؤذيهما ألبتة وان كانا كافرين بل يجب عليه الاحسان اليهما من الاحسان أن يدعوهما الى الايمان بالرفق واللين وكذا ان كانا فاسقين يأمرهما بالمعروف بالرفق واللين من غير عنف وانما عطف بر الوالدين على الامر بعبادته لان شكر المنعم واجب ولله على عبده أعظم النعم لانه هو الذى خلقه وأوجده بعد العدم فيجب تقديم شكره على شكر غيره ثم ان للوالدين على الولد نعمة عظيمة لانهما السبب في كون الولد ووجوده ثم ان لهما عليه حق التربية أيضا فيجب شكرهما ثانيا ﴿ وذى القربى ﴾ أى القرابة لان حق القرابة تابع لحق الوالدين والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالدين فلهذا حسن عطف القرابة على الوالدين ﴿ واليتامى ﴾ جمع يتيم وهو الذى مات أبوه وهو طفل صغير فأذابغ الحلم زال عنه اليتيم وتجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة أمور لصغره وجمه وخلوه عن يقوم بمصلحته اذ لا يقدر هو أن يتنفع بنفسه ولا يقوم بحوائجه ﴿ والمساكين ﴾ جمع مسكين وسيأتى بيانه ان شاء الله تعالى وانما تأخرت درجة المساكين عن اليتامى لانه قديمكم أن يتنفع بنفسه ويتنفع غيره بالخدمة ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ فيه وجهان أحدهما أنه خطاب للحاضرين من اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فلهذا عدل من الغيبة الى الحضور والمعنى قولوا حقا وصدقا في شأن محمد صلى الله عليه وسلم فمن سألكم عنه فاصدقوه وبنوا صفتهم ولا تكتموه ها قاله ابن عباس رضى الله عنهما والوجه الثانى ان المخاطبين بهم الذين كانوا في زمن موسى عليه الصلاة والسلام وأخذ عليهم الميثاق وانما عدل من الغيبة الى الحضور على طريق الالتفات كقوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم وقيل فيه حذف تقديره وقتلنا لهم فى الميثاق وقولوا للناس حسنا ومعناه مروهم بالمعروف وأنهم وهم

(وبالوالدين احسانا)
أى وأحسنوا ليتيم عطف
الامر وهو قوله وقولوا
عليه (وذى القربى) القرابة
(واليتامى) جمع يتيم وهو
الذى فقد أباه قبل الحلم الى
الحلم لقوله عليه السلام لا يتم
بعد البلوغ (والمساكين)
جمع مسكين وهو الذى
أسكنته الحاجة (وقولوا
لناس حسنا) قولوا هو
حسن فى نفسه لا فرط
حسنه حسنا حجة وعلى

(وبالوالدين احسانا)
براهما (وذى القربى)
وصلة الرحم للقرابة
(واليتامى) والاحسان
الى اليتامى (والمساكين)
والاحسان الى المساكين
(وقولوا للناس حسنا)
فى شأن محمد صلى الله عليه
وسلم حقا ويقال حسنا

(وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ثم توليتم) عن المشاق ورفضتموه (ألقيلاً منكم) قيل هم الذين أسلموا منهم (وأنتم معرضون) وأنتم قوم عادتكم الاعراض والتولية عن المواثيق (وأذا أخذنا ميثاقكم لانسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أي لا يفعل ذلك بعضهم ببعض جعل غير الرجل ﴿١٥٣﴾ نفسه إذا اتصل به {سورة البقرة} أصلاً أو دينا وقيل إذا قتل

غيره فكأنما قتل نفسه لأنه يقتض منه (ثم أقررتهم) بالميثاق واعترفتهم على أنفسهم بلزومه (وأنتم تشهدون) عليها كاقول فلان مقرر على نفسه بكذا شاهد عليها أو وأنتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار أسلافكم بهذا الميثاق (ثم أنتم هؤلاء) استبعادا لأسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم أنتم مبتدأ وهؤلاء بمعنى الذين (تقتلون أنفسكم) صلة هؤلاء وهؤلاء مع صلته خبراً أنتم (وتخرجون فريقتنا منكم من ديارهم)

صدقا (وأقيموا الصلوة)

عن المنكر وقيل هو اللين في القول والعشرة وحسن الخلق ﴿وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة﴾ ولما أمرهم الله تعالى بهذه التكاليف الثمانية لتكون لهم المنزلة عنده بما اتزموا به أخبر عنهم أنهم ما وفوا بذلك بقوله تعالى ﴿ثم توليتهم﴾ أي عرضت عن العهد ﴿ألقيلاً منكم﴾ يعني من الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه فأنهم وفوا بالعهد ﴿وأنتم معرضون﴾ أي كاعراض آباءكم ﴿قوله عز وجل﴾ (وأذا أخذنا ميثاقكم) قيل هو خطاب لمن كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وقيل هو خطاب لأبائهم وفيه تفرغ لهم ﴿لانسفكون﴾ أي لا تريقون ﴿دماءكم﴾ أي لا يسفك بعضهم دم بعض وقيل معناه لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكأنكم أنتم سفكتم دماء أنفسكم ﴿ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ أي لا تخرج بعضهم بعضاً من داره وقيل لا تفعلوا شيئاً فتخرجوا بسببه من دياركم ﴿ثم أقررتهم﴾ أي بهذا العهد أنه حق ﴿وأنتم تشهدون﴾ يعني أنتم يا معشر اليهود اليوم تشهدون على ذلك ﴿ثم أنتم هؤلاء﴾ يعني ياهؤلاء اليهود ﴿تقتلون أنفسكم﴾ أي يقتل بعضهم بعضاً ﴿وتخرجون فريقتنا منكم من ديارهم﴾

﴿وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة﴾ يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ﴿ثم توليتهم﴾ على طريقة الالتفات أو لعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب أي عرضت عن المشاق ورفضتموه ﴿ألقيلاً منكم﴾ يريد به من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن أسلم منهم ﴿وأنتم معرضون﴾ قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة وأصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض ﴿وأذا أخذنا ميثاقكم لانسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ على نحو ما سبق والمراد به أن لا يتعرض بعضهم بعضاً بالقتل والاجلاء عن الوطن وإنما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لانتصافه به نسبا أو دينا أولانه يوجه قصاصاً وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيع سفك دماءكم وأخر أجركم من دياركم أو لا تفعلوا ما يردكم ويصرفكم عن الحياة الابدية فإنه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فإنه الجلاء الحقيقي ﴿ثم أقررتهم﴾ بالميثاق واعترفتهم بلزومه ﴿وأنتم تشهدون﴾ توكيد كقولك اقر فلان شاهداً على نفسه وقيل وأنتم أيها الموجودون تشهدون على اقرار أسلافكم فيكون أسناد الاقرار اليهم مجازاً ﴿ثم أنتم هؤلاء﴾ استبعاداً لارتكوبه بعد الميثاق والاقاربه والشهادة عليه ﴿وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى أنتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك أنت ذلك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما أسند اليهم حضوراً وباعتبار ما سيجي عنهم غيباً وقوله تعالى ﴿تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقتنا منكم من ديارهم﴾

عن المنكر وقيل هو اللين في القول والعشرة وحسن الخلق ﴿وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة﴾ ولما أمرهم الله تعالى بهذه التكاليف الثمانية لتكون لهم المنزلة عنده بما اتزموا به أخبر عنهم أنهم ما وفوا بذلك بقوله تعالى ﴿ثم توليتهم﴾ أي عرضت عن العهد ﴿ألقيلاً منكم﴾ يعني من الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه فأنهم وفوا بالعهد ﴿وأنتم معرضون﴾ أي كاعراض آباءكم ﴿قوله عز وجل﴾ (وأذا أخذنا ميثاقكم) قيل هو خطاب لمن كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وقيل هو خطاب لأبائهم وفيه تفرغ لهم ﴿لانسفكون﴾ أي لا تريقون ﴿دماءكم﴾ أي لا يسفك بعضهم دم بعض وقيل معناه لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكأنكم أنتم سفكتم دماء أنفسكم ﴿ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ أي لا تخرج بعضهم بعضاً من داره وقيل لا تفعلوا شيئاً فتخرجوا بسببه من دياركم ﴿ثم أقررتهم﴾ أي بهذا العهد أنه حق ﴿وأنتم تشهدون﴾ يعني أنتم يا معشر اليهود اليوم تشهدون على ذلك ﴿ثم أنتم هؤلاء﴾ يعني ياهؤلاء اليهود ﴿تقتلون أنفسكم﴾ أي يقتل بعضهم بعضاً ﴿وتخرجون فريقتنا منكم من ديارهم﴾

أي بعضهم بعضاً (من دياركم) من (قا و خا ٢٠ ل) منازلكم يعني بنى قريظة والنضير (ثم أقررتهم) قبلتم (وأنتم تشهدون) تعلمون ذلك (ثم أنتم هؤلاء) ياهؤلاء (تقتلون أنفسكم) بعضهم بعضاً (وتخرجون فريقتنا منكم من ديارهم)

غير مراقبين ميثاق الله (تظاهرون عليهم) بالتخفيف كوفي أي تتعاونون وبالتشديد غيرهم فمن خفف فقد حذف إحدى التاءين ثم قيل هي الثانية لان الثقل بها { الجزء الاول } وقيل الاولى ومن شدد ﴿١٥٤﴾ قلب التاء الثانية ظاء وأدغم (بالاثم

والعدوان) بالمعصية والظلم (وأن يأتوكم أسارى تقادوهم) تقادوهم أبو عمرو وأسرى تقدوهم مكي وشامى أسرى تقدوهم على حزة أسارى تقادوهم على فدى وفادى بمعنى وأسارى حال وهو جمع أسير وكذلك أسرى والضيم في (وهو محرم عليكم) للشان أو هو ضمير مبهم تفسيره (أخراجهم أقتومون ببعض الكتاب) بفساء الأسرى (وتكفرون ببعض) بالقتال والاجلاء قال السدي أخذ الله عليهم أربعة عقود ترك القتل وترك الإخراج وترك المظاهرة وفداء الأسير فاعرضوا عن كل ما أمروا به

أى يخرج بعضكم بعضاً من ديارهم ﴿تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان﴾ أى تتعاونون عليهم بالمعصية والظلم ﴿وان يأتوكم أسارى﴾ جمع أسير ﴿تقدوهم﴾ أى بالمال وهو استنقاذهم بالشراء * وقرئ تقادوهم أى تبادلوهم وهو مفاداة الأسير بالأسير ومعنى الآية أن الله تعالى أخذ على بنى إسرائيل فى التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضاً ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم وأيامعبد أو أمة من بنى إسرائيل وجدتموه فاشتروه بما قام من ثمنه وأعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والضيم حلفاء الخزرج وكان بين الاوس والخزرج حروب فكانت بنو الضيم تقاتل مع خلفائهم وبنو قريظة تقاتل مع خلفائهم فأذا غلب أحد الفريقين أخرجه من ديارهم وخربوها وكان اذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له ما لا يقدونه به فغيرتهم العرب وقالوا كيف تقاتلونهم ثم تقدونهم فقالوا أنا امرنا ان نفيدهم فقالوا كيف تقاتلونهم فقالوا أنا نسحقى أن نذل حلفائنا فغيرهم الله تعالى فقال ثم أتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وفى الآية تقديم وأنا خير تقديره وتخرجون فريقانكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان ﴿وهو محرم عليكم اخراجهم﴾ وان يأتوكم أسارى تقدوهم فكان الله تعالى أخذ عليهم أربعة عقود ترك القتل وترك الإخراج وترك المظاهرة مع أعدائهم وفك أسراهم فاعرضوا عن الكل الا الفداء قال الله عز وجل ﴿أقتومون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾ معناه أن وجدتموه فى يد غيركم فديتموهم وأنتم تقتلونهم بأيديكم فكان أيمانهم الفداء وكفرهم قتل بعضهم بعضاً فذمهم على مناقضة أفعالهم لآعلى أصحابكم ولا تقادونهم ويقال

أقتومون ببعض الكتاب مما بهوى أنفسكم وتكفرون ببعض بما لا بهوى أنفسكم (الفداء)

الافداء (فاجزاء من يفعل ذلك) هو اشارة الى الايمان ببعض والكفر ببعض (منكم الاخرى) فضيحة وهو ان (في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) وهو الذي لا روح فيه ولا فرح أو الى أشد من عذاب الدنيا (وما الله بغافل عما تعملون) بالياء مكى ونافع وأبو بكر (أولئك ﴿١٥٥﴾ الذين اشتروا الحياة الدنيا {سورة البقرة} بالآخرة) اختاروها على الآخرة

اختيار المشتري (فلا يخفف

عنه العذاب ولا هم ينصرون)

ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم

(ولقد آتينا موسى الكتاب)

التوراة آتاه جلة (وقفينا

من بعده بالرسول) يقال فقاه

إذا اتبعه من القفا نحو ذنبه

من الذنب وقفاه به إذا أتبعه

أياه يعنى وأرسلنا على أثره

الكثير من الرسل وهم

يوشع وأشموبل وشعون

وداود وسليمان وشعيا

وأرميا وعزير وحزقيل

وألياس واليسع ويونس

وزكريا ويحيى وغيرهم

(وآتينا عيسى ابن مريم

البنات) هى بمعنى الخادم

ووزن مريم عند النحويين

مفعل لان فعلا لم يثبت فى

الابنية البنات المعجزات

الواضحات كاحياء الموتى

وابراء الاكبه والابرص

(فما جزاء من يفعل ذلك

منكم الاخرى فى الحياة

الدنيا) الاعذاب فى الدنيا

بالقتل والسبي (ويوم القيامة

يردون) يرجعون (الى أشد

العذاب) أسفل العذاب

(وما الله بغافل عما تعملون) (عما تعملون) من المعاصى

﴿فاجزاء من يفعل ذلك منكم الاخرى فى الحياة الدنيا﴾ كقتل بنى قريظة وسبيهم وأجلاء

بنى النضير وضرب الجزية على غيرهم وأصل الخزى ذل يستحي منه ولذلك يستعمل فى كل

منهما ﴿ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب﴾ لان عصيانهم أشد ﴿وما الله بغافل

عما تعملون﴾ تأكيد للوعيد أى الله سبحانه وتعالى بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم ﴿وقرأ عاصم

فى رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم • وابن كثير ونافع وشعبة عن عاصم

ويعقوب يعملون على أن الضمير لمن ﴿أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة﴾

آثروا الحياة الدنيا على الآخرة ﴿فلا يخفف عنهم العذاب﴾ بنقص الجزية فى الدنيا

والتعذيب فى الآخرة ﴿ولا هم ينصرون﴾ بدفعهم عنهم ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾

أى التوربة ﴿وقفينا من بعده بالرسول﴾ أى أرسلنا على أثره الرسل كقوله سبحانه وتعالى ثم

أرسلنا رسلا تترى يقال فقاه إذا اتبعه وقفاه به إذا أتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب

﴿وآتينا عيسى ابن مريم البنات﴾ المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وأبراء

الاكبه والابرص والابخار بالمغيبات أو الانجيل وعيسى بالعبرية أيشوع ومريم بمعنى

الفداء لانهم أتوا ببعض ماوجب عليهم وتركوا البعض ﴿فما جزاء من يفعل ذلك

منكم﴾ يعنى يامعشر اليهود ﴿الاخرى فى الحياة الدنيا﴾ أى عذاب وهو ان فكان

خزى بنى قريظة القتل والسبي وخزى بنى النضير الاجلاء والنفي من منازلهم الى أريحاء

وأذرعات من أرض الشام ﴿ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب﴾ يعنى عذاب النار

﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ فيه وعيد وتهديد عظيم ﴿أولئك الذين اشتروا﴾

أى استبدلوا ﴿الحياة الدنيا بالآخرة﴾ لان الجمع بين لذات الدنيا والآخرة غير

ممكن فمن اشتغل بتحصيل لذات الدنيا فاتته لذات الآخرة ﴿فلا يخفف عنهم العذاب﴾

أى فلا يهون عليهم ﴿ولا هم ينصرون﴾ أى ولا يمتنعون من عذاب الله تعالى ﴿قوله

عز وجل ﴿ولقد آتينا﴾ أى أعطينا ﴿موسى الكتاب﴾ يعنى التوراة جلة واحدة

﴿وقفينا﴾ أى واتبعنا من التقية وهو أن يقفوا أثر الآخر ﴿من بعده بالرسول﴾ يعنى

رسولا بعد رسول وكانت الرسل من بعد موسى الى زمن عيسى عليهم الصلاة والسلام

متواترة يظهر بعضهم فى أثر بعض والشريعة واحدة قيل ان الرسل بعد موسى يوشع بن

نون واشموبل هوداود وسليمان وأرميا وحزقيل وألياس ويونس وزكريا ويحيى

وغيرهم وكانوا يحكمون بشريعة موسى الى أن بعث الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام

لنجاهم بشريعة جديدة وغير بعض أحكام التوراة فذلك قوله تعالى ﴿وآتينا عيسى

ابن مريم البنات﴾ أى الدلالات الواضحات وهى المعجزات من احياء الموتى

ويقال ما تكتمون (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) اختاروا الدنيا على الآخرة والكفر على الايمان (فلا يخفف

لا يهون ويقال لا يرفع عنهم العذاب ولا هم ينصرون) يمتنعون من عذاب الله (ولقد آتينا) أعطينا (موسى الكتاب) التوراة

(وقفينا) أتبعنا وأرسلنا (من بعده بالرسول وآتينا) أعطينا (عيسى ابن مريم البنات) الامر والنهى والنجائب والعلامات

والاخبار بالمغيبات (وأيدناه { الجزء الاول { بروح القدس) أى ﴿١٥٦﴾ الطاهرة وبالسكون حيث كان مكي

الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة

قلت ليزير لم تصله مريمه

وزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل ﴿ وأيدناه ﴾ وقويناه = وقريء أيدناه بالمد ﴿ بروح القدس ﴾ بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق وأراد به جبريل وقيل روح عيسى عليه الصلاة والسلام ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان أو لكرامته على الله سبحانه وتعالى ولذلك أضافها الى نفسه تعالى أولانه لم تضمه الاصلاب ولأرحام الطوامث أو الانجيل أو اسم الله الاعظم الذى كان يحيى به الموتى * وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان فى جميع القرآن ﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم ﴾ بما لا تحبه يقال هوى بالكسر هوى اذا أحب وهوى بالفتح هوى بالضم اذا سقطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به تويحنا لهم على تعقيهم ذلك بهذا وتجييا من شأنهم ويحتمل أن يكون استثناء الفاء للعطف على مقدر ﴿ استكبرتم ﴾ عن الايمان واتباع الرسل ﴿ ففريقا كذبتم ﴾ كوسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام والفاء للسببية أو للتفصيل ﴿ وفريقا تقتلون ﴾ كزكريا ويحيى وأما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها فى النفوس فأن الامر فظيع ومراعاة للفواصل أو للدلالة على أنكم بعد فيه فأنكم تحومون حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا أنى أعصمه منكم ولذلك سحرتموه

وابراء الاكبه والابرص وقيل هى الانجيل واسم عيسى بالسريانية أيشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل هو اسم علم لها كزيد من الرجال ﴿ وأيدناه ﴾ أى وقويناه ﴿ بروح القدس ﴾ قيل اراد بالروح الذى تنفخ فيه والقدس هو الله تعالى وأضاف روح عيسى اليه تشريفا وتكريما وتخصيصاله كما تقول عبدالله وأمة الله وبيت الله وناقدة الله وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو اسم الله الاعظم الذى كان عيسى يحيى به الموتى وقيل هو الانجيل لانه حياة القلوب سماه روحا كما سمي القرآن روحا وقيل هو جبريل ووصف بالقدس وهو الطهارة لانه لم يقترف ذنبا قط وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبريل كما تقول عبدالله سمي جبريل روحا للطاقة لانه روحانى خلق من النور وقيل سمي روحا لمكانه من الوحي الذى هو سبب حياة القلوب وحل روح القدس هنا على جبريل أولى لانه تعالى قال وأيدناه أى قويناه بجبريل وذلك أنه أمر أن يكون مع عيسى ويسير معه حيث سار فلم يفارقه حتى صعده الى السماء فلما سمعت اليهود بذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما زعم علمت ولا كما تقص علينا من أخبار الانبياء فعلت فأتينا بما أتى به عيسى ان كنت صافا قال الله تعالى ﴿ أفكلما جاءكم ﴾ بمعنى يامعشر اليهود ﴿ رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ﴾ أى تعظمتم عن الايمان به ﴿ ففريقا كذبتم ﴾ يعنى مثل عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وفريقا تقتلون ﴾ يعنى مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوه وذلك أن اليهود كانوا اذا جاءهم رسول بما لا يهوىون كذبوه فان تهيأ لهم قتله قتلوه وانما كانوا كذلك لارادتهم الدنيا وطلب الرياسة

أى بالروح المقدسة كما يقال حاتم الجود ووصفها بالقدس للاختصاص والتقريب أو بجبريل عليه السلام لانه يأتي بما فيه حياة القلوب وذلك لانه رفعه الى السماء حين قصد اليهود قتله أو بالانجيل كما قال فى القرآن روحا من أمرنا أو باسم الله الاعظم الذى كان يحيى الموتى بذكره (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم) تعظمتم عن قبوله (ففريقا كذبتم) كعيسى ومحمد عليهما السلام (وفريقا تقتلون) كزكريا ويحيى عليهما السلام ولم يقل قتلتم لوفاء الفواصل ولان المراد وفريقا تقتلونه بعد لانكم تحومون حول قتل محمد عليه السلام لولا أنى أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسمتم له الشاة والمعنى ولقد آتينا يا بنى اسرائيل انبياءكم ما آتيناكم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان به فوسط بين الفاء وما

(وأيدناه) قويناه وأعناه (بروح القدس) بجبرائيل المطهر (أفكلما جاءكم) يامعشر اليهود (رسول بما لا تهوى أنفسكم) بما لا يوافق قلوبكم ودينكم

(استكبرتم) تعظمتم عن الايمان به (ففريقا كذبتم) يقول كذبتم فريقا محمد صلى الله عليه وسلم وعيسى (وفريقا تقتلون) وفريقا (وقالوا)

تعلقت به همزة التوبيخ والتعجب من شأنهم (وقالوا قلوبنا غلف) جمع أغلف أي هي خلقته معشاة بأغطية لا يتوصل إليها ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه مستعار من الأغلب الذي لم يختن (بل لعنهم الله بكفرهم) فرد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لأنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق وانما طردهم بكفرهم وزيفهم (فقليلًا ما يؤمنون) فقليلًا صفة مصدر محذوف أي فأيمانًا قليلًا يؤمنون وما من بدء وهو أيمانهم بعض ١٥٧ الكتاب وقيل القلة بمعنى {سورة البقرة} العدم وقيل غلف تخفيف غلف

وقرى به جمع غلاف أي قلوبنا أوعية للعلوم فتحن مستغنون بما عندنا عن غيره أو أوعية للعلوم فلو كان ما جئت به حقا قبلنا (ولما جاءهم) أي اليهود (كتاب من عند الله) أي القرآن (مصدق لما معهم) من كتابهم لا يخالفه (وكانوا من قبل) يعني القرآن (يستفتحون على الذين كفروا) يستنصرون على المشركين إذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعمة في التوراة ويقولون لاعدائهم المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فقتلكم معه قتل عاد وأرم (فلما جاءهم ما عرفوا) قتلتم يحيى وذكريا (وقالوا) يعني اليهود (قلوبنا غلف) من قولك يا محمد أي قلوبنا أوعية لكل علم وهي لا تبي علمك وكلامك (بل) رد عليهم (لعنهم الله) طبع الله على قلوبهم (بكفرهم) عقوبة لكفرهم (فقليلًا ما يؤمنون) ما يؤمنون قليلًا ولا كثيرا ويقال

وسمتم له الشاة * وقالوا قلوبنا غلف * مغشاة بأغطية خلقية لا يصل إليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الأغلب الذي لم يختن وقيل أصله غلف جمع غلاف فحذف والمعنى أنها أوعية العلم لا تسمع علما لأوعته ولا تبي ما تقول أو نحن مستغنون بما فيها عن غيره * بل لعنهم الله بكفرهم * رد لما قالوه والمعنى أنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فأبطل استعدادهم أو أنها لم تأب قبول ما تقوله لخلل فيه بل لان الله تعالى خذلهم بكفرهم كما قال تعالى فأصمهم وأعمى أبصارهم أو هم كفرة ملعونون فن أين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك * فقليلًا ما يؤمنون * فأيمانًا قليلًا يؤمنون وما من بدء للبالغة في التقليل وهو أيمانهم بعض الكتاب وقيل أراد بالقلة العدم * ولما جاءهم كتاب من عند الله * يعني القرآن * مصدق لما معهم * من كتابهم * وقرى بالنصب على الحال من كتاب لتخصيصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية * وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا * أي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المبعوث في التوراة أو يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبيًا يبعث فيهم وقد قرب زمانه والسين للبالغة والاشعار بأن الفاعل يسئل ذلك عن نفسه * فلما جاءهم ما عرفوا *

* وقالوا * يعني اليهود * قلوبنا غلف * جمع أغلف وهو الذي عليه غشاوة فلا يبي ولا يفقه قال ابن عباس رضى الله عنهما غلف بضم اللام جمع غلاف والمعنى ان قلوبنا أوعية للعلم فلا تحتاج الى علمك وقيل أوعية من الوعى لا تسمع حديثا لأوعته الأحديثك فأنها لا تعيه ولا تعقله ولو كان خيرا لفهمته ووعته قال الله تعالى * بل لعنهم الله بكفرهم * أي طردهم وأبعدهم من كل خير وسبب كفرهم أنهم اعترفوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم أنكروه وجحدوه فلهذا لعنهم الله تعالى * فقليلًا ما يؤمنون * أي لم يؤمن منهم إلا قليل لان من آمن من المشركين كان أكثر منهم * قوله عز وجل * ولما جاءهم كتاب من عند الله * يعني القرآن * مصدق لما معهم * يعني التوراة وهذا التصديق في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان نبوته وصفته ثابتة في التوراة * وكانوا * يعني اليهود * من قبل * أي من قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم * يستفتحون * أي يستنصرون به * على الذين كفروا * يعني مشركي العرب وذلك أنهم كانوا إذا أحزتهم أمرودهمهم عدو يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فقتلكم معه قتل عاد وأرم * فلما جاءهم ما عرفوا * أي الذي عرفوه

ما يؤمنون بقليل ولا بكثير (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق) موافق (لما معهم) من الكتاب بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وبعض الشرائع كفروا به (وكانوا من قبل) من قبل محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (يستفتحون) يستنصرون بمحمد والقرآن (على الذين كفروا) من عدوهم أسد وعظفان ومنينة وجهينة (فلما جاءهم ما عرفوا) صفته ونعته

ماموصولة أى ما عرفوه وهو فاعل جاء (كفروا به) بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة (فلعنة الله على الكافرين) أى عليهم وضعا للظاهر موضع المضمرة للدلالة على أن لعنة لحقهم لكفرهم واللام للعهد أو للعهد ودخلوا فيه دخولا أوليا وجواب لما الأولى مضمرة وهو نحو كذوبه أو أنكروه أو كفروا جواب الأولى والثانية لان مقتضاهما واحد وما فى (بئس ما) نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس أى بئس شيا (اشتروا به أنفسهم) أى باعوه والمخصوص بالذم (أن يكفروا بما أنزل الله) يعنى القرآن (بغيا) مفعول له { الجزء الاول } أى حسدا وطلبا ﴿ ١٥٨ ﴾ لماليس لهم وهو علة اشتروا (أن

ينزل الله) لان ينزل أو على أن ينزل أى حسدوه على ان ينزل الله (من فضله) الذى هو الوحي (على من يشاء من عباده) وهو محمد عليه السلام (فياؤا بغضب على غضب) فصاروا أحقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه أو كفروا بمحمد بعد عيسى عليهما السلام أو بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يدالله مغلولة وغير ذلك (وللكافرين عذاب مهين) مذل بئس ما وباه غير مهموز أبو عمرو وينزل بالتخفيف مكى وبصرى (وأذا قيل لهم) لهؤلاء اليهود (آمنوا بما أنزل الله) يعنى القرآن أو هو مطلق يتناول كل كتاب (قالوا تؤمن بما أنزل علينا) أى فى كتابهم (كفروا به) جحدوا به (فلعنة الله

من الحق) ﴿ كفروا به ﴾ حسدا وخوفا على الرياسة ﴿ فلعنة الله على الكافرين ﴾ أى عليهم وأتى بالمظهر للدلالة على أنهم لعنوا لكفرهم فتكون اللام للعهد ويجوز أن تكون للجنس ويدخلون فيه دخولا أوليا لان الكلام فيهم ﴿ بئس ما اشتروا به أنفسهم ﴾ مانكرة بمعنى شئ مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا أو اشتروا بحسب ظنهم فأنهم ظنوا أنهم خلصوا أنفسهم من العقاب بما فعلوا ﴿ أن يكفروا بما أنزل الله ﴾ هو المخصوص بالذم ﴿ بغيا ﴾ طلبا لماليس لهم وحسدا وهو علة أن يكفروا دون اشتروا للفصل ﴿ أن ينزل الله ﴾ لان ينزل أى حسدوه على أن ينزل الله * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالتخفيف ﴿ من فضله ﴾ يعنى الوحي ﴿ على من يشاء من عباده ﴾ على من اختاره للرسالة ﴿ فياؤا بغضب على غضب ﴾ للكفر والحسد على من هو أفضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد عيسى عليه الصلاة والسلام أو بعد قولهم عزير ابن الله ﴿ وللكافرين عذاب مهين ﴾ يراد به أذلالهم بخلاف عذاب العاصى فإنه طهرة لذنوبه ﴿ وأذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله ﴾ يعم الكتب المنزلة بأسرها ﴿ قالوا تؤمن بما أنزل علينا ﴾ أى بالتوراة

يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم عرفوا نعمته وصفته وأنه من غير بنى إسرائيل ﴿ كفروا به ﴾ أى جحدوه وأنكروه بغيا وحسدا ﴿ فلعنة الله على الكافرين بئس ما اشتروا به أنفسهم ﴾ أى بئس شئ اشتروا به أنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق واشتروا بمعنى باعوا والمعنى بئس ما باعوا به حظ أنفسهم ﴿ ان يكفروا بما أنزل الله ﴾ يعنى القرآن ﴿ بغيا ﴾ أى حسدا ﴿ أن ينزل الله من فضله ﴾ يعنى الكتاب والنبوة ﴿ على من يشاء من عباده ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ فياؤا ﴾ أى فرجموا ﴿ بغضب على غضب ﴾ أى مع غضب قال ابن عباس رضى الله عنهما الغضب الاول بتضييعهم التوراة وتبديلها والثانى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاول بكفرهم بعيسى والانجيل والثانى بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل الاول بعبادتهم الجمل والثانى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وللكافرين ﴾ يعنى الجاحدين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم ﴿ عذاب مهين ﴾ أى يهانون فيه ﴿ وأذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله ﴾ يعنى بالقرآن وقيل بكل ما أنزل الله ﴿ قالوا تؤمن بما أنزل علينا ﴾ يعنى التوراة

سخطة الله وعذابه (على الكافرين) على اليهود (بئس ما اشتروا به أنفسهم) باعوا به أنفسهم (أن يكفروا) بأن (وما) كفروا (بما أنزل الله) من الكتاب والرسول (بغيا) حسدا (أن ينزل الله من فضله) بأن نزل الله جبريل بفضله الكتاب والنبوة (على من يشاء من عباده) يعنى محمدا (فياؤا بغضب على غضب) فاستوجبوا لعنة على أئر لعنة (وللكافرين عذاب مهين) يهانون به ويقال شديد (وأذا قيل لهم) يعنى اليهود (آمنوا بما أنزل الله) يعنى القرآن (قالوا تؤمن بما أنزل علينا)

التوراة (ويكفرون بما وراءه) أى قالوا ذلك والحال أنهم يكفرون بما وراء التوراة (وهو الحق مصدقا لما معهم) غير مخالف له وفيه رد لمقاتلهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ومصداقا حال مؤكدة (قل فلم تقتلون أنبياء الله) أى فلم تقتلتم فوضع المستقبل موضع الماضي ويدل عليه قوله (من قبل أن كنتم مؤمنين) أى من قبل محمد عليه الصلاة والسلام اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء قيل قتلوا في يوم واحد ثلاثمائة نبي في بيت ﴿١٥٩﴾ المقدس (ولقد جاءكم {سورة البقرة} موسى بالبينات) بالآيات

التسع وأدغم الدال في الجيم حيث كان أبو عمرو وحزة وعلى (ثم اتخذتم العجل) ألقاها (من بعده) من بعد خروج موسى عليه السلام الى الطور (وأنتم ظالمون) هو حال أى عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة غير موضعها أو اعترض أى وأنتم قوم عادتكم الظلم (وأذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة) تكرر ذكر رفع الطور لما ينط به من زيادة ليست مع الاول (واسمعوا)

يعنى التوراة (ويكفرون بما وراءه) يعنى سوى التوراة (وهو الحق) يعنى القرآن (مصدقا) موافقا بالتوحيد (لما معهم) من الكتاب قالوا يا محمد آياتنا كانوا مؤمنين قال الله (قل) يا محمد (فلم

﴿ويكفرون بما وراءه﴾ حال من الضمير فى قالوا ووراء فى الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يوارى به وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد ﴿وهو الحق﴾ الضمير لما وراءه والمراد به القرآن ﴿مصدقا لما معهم﴾ حال مؤكدة تضمن رد مقاتلهم فانهم لما كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ﴿قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين﴾ اعترض عليهم بقتل الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع ادعاء الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغه وإنما اسنده اليهم لانه فعل آياتهم وأنهم راضون به عازمون عليه * وقرأنا نافع وحده أنبياء الله مهموزا فى جميع القرآن ﴿ولقد جاءكم موسى بالبينات﴾ يعنى الآيات التسع المذكورة فى قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴿ثم اتخذتم العجل﴾ أى ألقاها ﴿من بعده﴾ بعد مجئ موسى أو ذهابه الى الطور ﴿وأنتم ظالمون﴾ حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته أو بالاخلاق بالآيات الله تعالى أو اعترض بمعنى وأنتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية أيضا لابطال قولهم تؤمن بما أنزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول طريقة أسلافهم مع موسى عليهما الصلاة والسلام لا تكرر القصة وكذا ما بعدها ﴿وأذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا﴾ أى قلنا لهم خذوا ما أمرتم به فى التوراة

وما أنزل على أنبيائهم ﴿ويكفرون بما وراءه﴾ أى بما سواه من الكتب وقيل بما بعده يعنى الانجيل والقرآن ﴿وهو الحق﴾ يعنى القرآن ﴿مصدقا لما معهم﴾ يعنى التوراة ﴿قل﴾ يا محمد ﴿فلم تقتلون أنبياء الله من قبل﴾ انما أضاف القتل للمخاطبين من اليهود وان كان سلفهم قتلوا لانهم رضوا بخلعهم قبل اذا علمت المعصية فى الارض فن كرهما وأنكرها برى منها ومن رضىها كان من أهلها ﴿أن كنتم مؤمنين﴾ أى بالتوراة وقد نهيتهم فيها عن قتل الانبياء ﴿قوله عز وجل﴾ ولقد جاءكم موسى بالبينات ﴿أى بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة﴾ ثم اتخذتم العجل من بعده ﴿أى من بعد موسى لما ذهب الى الميقات﴾ وأنتم ظالمون ﴿انما كرره تبيكتا لهم وتأكيذا للحجة عليهم﴾ وأذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ﴿أى استجبوا وأطيعوا

تقتلون) قتلتهم (أنبياء الله من قبل) من قبل هذا (أن كنتم مؤمنين) أن كنتم مصدقين فى مقاتلهم (ولقد جاءكم موسى بالبينات) بالامر والنهي والعلامات (ثم اتخذتم العجل) عبدتم العجل (من بعده) من بعد انطلاقة الى الجبل (وأنتم ظالمون) كافرون (وأذ أخذنا ميثاقكم) اقراركم (ورفضنا) تلغنا ورفعنا وحبسنا (فوقكم) فوق رؤسكم (الطور) الجبل (خذوا ما آتيناكم) اعلموا بما أعطيناكم من الكتاب (بقوة) النفس (واسمعوا) أطيعوا ما تؤمرون

ما أمرتم به في التوراة (قالوا سمعنا) قولك (رعصينا) أمرك وطابق قوله جوابهم من حيث أنه قال لهم اسمعوا وليكن
سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لاسماع طاعة (وأشربوا في قلوبهم الجمل) أي تداخلهم حبه والحرص
على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب والمضاف وهو الحب محذوف (بكفرهم)
بسبب كفرهم واعتقادهم { الجزء الاول } التشبيه (قل بئس ما) ﴿ ١٦٠ ﴾ يا مريم به أيمانكم (بالتوراة

بجد وعزيمة واسمعوا سماع طاعة ﴿ قالوا سمعنا ﴾ قولك ﴿ وعصينا ﴾ أمرك ﴿ وأشربوا في قلوبهم الجمل ﴾ تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط
شفههم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان
الاشراب كقوله تعالى أنما يأكلون في بطونهم نارا ﴿ بكفرهم ﴾ بسبب كفرهم
وذلك لانهم كانوا مجسمة وحلولية ولم يروا جسما أعجب منه فتمكن في قلوبهم ماسول
لهم السامري ﴿ قل بئس ما يأمركم به ايمانكم ﴾ أي بالتوراة والمخصوص بالذم محذوف
نحو هذا الامر أو ما يعنه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلاث الزاماعليم
﴿ أن كنتم مؤمنين ﴾ تقرير للقدح في دعواهم الايمان بالتوراة وتقديره أن كنتم
مؤمنين بها ما أمركم به بهذه القبائح ورخص لكم فيها ايمانكم بها أو أن كنتم مؤمنين
بها فبئس ما يأمركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي أن لا يتعاطى الاما يقتضيه ايمانه
لكن الايمان بها لا يأمر به فإذا لستم بمؤمنين ﴿ قل أن كانت لكم الدار الآخرة عند الله
خالصة ﴾ خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الخال من الدار
﴿ من دون الناس ﴾ سائرهم أو المسلمين واللام للمهد ﴿ فتمنوا الموت أن كنتم صادقين ﴾

أي فيما أمرتم به ﴿ قالوا سمعنا ﴾ يعني قولك ﴿ وعصينا ﴾ يعني أمرك وقيل انهم
لم يقولوا بألسنتهم ولكن لما سمعوه وتلقوه تلقوه بالعصيان فنسب ذلك اليهم ﴿ وأشربوا
في قلوبهم الجمل بكفرهم ﴾ أي تداخل حبه في قلوبهم والحرص على عبادته كما
يتداخل الصبغ في الثوب وقيل ان موسى أمر أن يبرد الجمل وينزى في النهر وأمرهم
أن يشربوا منه فن بقي في قلبه شيء من حب الجمل ظهر سمالة الذهب على شاربه
﴿ قل بئس ما يأمركم به ايمانكم ﴾ أي بأن تعبدوا الجمل والمعنى بئس الايمان ايمان يأمر
بعبادة الجمل ﴿ أن كنتم مؤمنين ﴾ أي بزعمكم وذلك انهم قالوا تؤمن بما أنزل
علينا فكذبهم الله تعالى بذلك في قوله تعالى ﴿ قل ان كانت لكم الدار الآخرة
عند الله خالصة من دون الناس ﴾ وذلك أن اليهود ادعوا دعوى باطلة منها قولهم
لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه فكذبهم الله وألزمهم
الحجة فقال قل يا محمد لليهود ان كانت لكم الدار الآخرة يعني الجنة خالصة لكم دون
الناس ﴿ فتمنوا الموت ﴾ أي فاطلبوه واسألوه لان من علم أن الجنة مأواه وأنها لحن
الها ولا سبيل الى دخولها الا بدم الموت فاستجلا بالتمنى ﴿ أن كنتم صادقين ﴾

لانه ليس في التوراة عبادة
الجمل واطافة الامر الى
ايمانهم تهكم وكذا اضافة
الايمان اليهم (أن كنتم
مؤمنين) تشكيك في ايمانهم
وقدح في صحة دعواهم له
(قل أن كانت لكم الدار
الآخرة) أي الجنة (عند الله)
ظرف ولكم خبر كان
(خالصة) حال من الدار
الآخرة أي سالمة لكم
ليس لاحد سواكم فيها
حق يعني ان صح قولكم
لن يدخل الجنة الا من
كان هودا (من دون الناس)
هو للجنس (فتمنوا الموت
أن كنتم صادقين) فيما
تقولون لان من يقن أنه من
أهل الجنة اشتاق اليها تخلصا
من الدار ذات الشوائب
كما نقل عن العشرة المبشرين
بالجنة ان كل واحد منهم
يحب الموت ويحن اليه
(قالوا سمعنا وعصينا)
كأنهم يقولون اولا الجبل
لسمعنا قولك وعصينا أمرك

(وأشربوا في قلوبهم الجمل بكفرهم) أدخل في قلوبهم حب عبادة الجمل بكفرهم عقوبة لكفرهم (أي)
(قل) يا محمد ان كان حب عبادة الجمل يعدل حب خالقكم (بئس ما يأمركم به ايمانكم) يعني عبادة الجمل (أن كنتم
مؤمنين) مصدقين في مقاتلتكم بأن آباءنا كانوا مؤمنين (قل أن كانت لكم الدار الآخرة) الجنة (عند الله خالصة)
خاصة (من دون الناس) من دون المؤمنين بمحمد وأصحابه (فتمنوا الموت) فاسألوا الموت (ان كنتم صادقين) في مقاتلتكم

(ولن يتمنوه أبدا) هو نصب على الظرف أى لن يتمنوه ما عاشوا (بما قدمت أيديهم) بما أسلفوا من الكفر بمحمد عليه السلام وتحريف كتاب الله وغير ذلك وهو من المعجزات لأنه أخبار بالغيب وكان كما أخبر به كقولهم ولن تقموا ولو تمنوه لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث (والله عليم ﴿١٦١﴾ بالظالمين) تهديد لهم {سورة البقرة} (ولتجدنهم أحرص الناس)

مفعولا وجدهم وأحرص (على حياة) التنكير يدل على ان المراد حياة مخصوصة وهى الحياة المتطاولة ولذا كانت القراءة بها أو وقع من قراءة أبى على الحياة (ومن الذين أشركوا) هو محمول على المعنى لان معنى أحرص الناس أحرص من الناس نعم قد دخل الذين أشركوا تحت الناس ولكنهم أفردوا بالذكر لان حرصهم شديد كما ان جبريل وميكائيل خصا بالذكر وان دخلا تحت الملائكة أو أريدوا أحرص من الذين أشركوا فحذف لدلالة أحرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فأذا زاد في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بأعظم التوبيخ وانما زاد حرصهم على الذين أشركوا لانهم علموا أنهم صارتون الى النار لعلمهم بحالهم والمشركون

لان من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاقها وأحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال على رضى الله تعالى عنه لأبى سبطت على الموت أو سقط الموت على وقال عمار رضى الله عنه بصفين الآن الأياحبة * محمدا وحرزبه
وقال حذيفة رضى الله عنه حين احتضر

جاء حبيب على فاقة * لا أفلح من قد ندم

أى على التنى سيما اذا علم أنها سالمة له لا يشاركه فيها غيره ﴿ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم﴾ من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وتحريف التوراة ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرة بها عامة صنائمه ومنها أكثر منافع عبر بها عن النفس تارة والقدرة أخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما أخبر لانهم لو تمنوا الموت لنقل واشتهر فان التنى ليس من عمل القلب ليخفى بل هو أن يقول ليت لى كذا ولو كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فبات مكانه وما بقى على وجه الارض يهودى ﴿والله عليم بالظالمين﴾ تهديد لهم وتنبه على أنهم ظالمون فى دعوى ما ليس لهم ونفيه عن هولهم ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ من وجد بعقله الجارى مجرى علم ومفعولاهم وأحرص الناس وتنكير حياة لانه أريد بها فرد من افرادها وهى الحياة المتطاولة * وقرئ باللام ﴿ومن الذين أشركوا﴾ محمول على المعنى فكأنه قال أحرص من الناس على الحياة ومن الذين أشركوا وأفرادهم

أى فى قولكم ودعواكم * روى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه وما بقى على وجه الارض يهود الأمامات قال الله تعالى ﴿ولن يتمنوه أبدا﴾ أى لعلمهم أنهم فى دعواهم كاذبون ﴿بما قدمت أيديهم﴾ يعنى من الاعمال السيئة وانما أضاف العمل الى اليد لان أكثر جناياات الانسان تكون من يده ﴿والله عليم بالظالمين﴾ فيه تحوير وتهديد لهم وانما خصهم بالظلم لانه أعم من الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافر فلهذا كان أعم وكانوا أولى به ﴿ولتجدنهم﴾ اللام للتقسيم والنون للتوكيد تقديره والله لتجدنهم يا محمد يعنى اليهود ﴿أحرص الناس على حياة﴾ أى حياة متطاولة والحرص أشد الطاب ﴿ومن الذين أشركوا﴾ قيل هو متصل بما قبله ومعطوف عليه والمعنى وأحرص من الذين أشركوا * فان قلت الذين أشركوا قد دخلوا تحت الساس فى قوله أحرص الناس فلم أفردهم بالذكر * قلت أفردهم

(ولن يتمنوه) لن يسألوا الموت (أبدا بما قدمت أيديهم) (قا وخا ٢١ ل) بما عملت أيديهم فى اليهودية (والله عليم بالظالمين) باليهود (ولتجدنهم) يا محمد يعنى اليهود (أحرص الناس على حياة) على بقاء فى الدنيا (ومن الذين أشركوا) وأحرص من الذين أشركوا



لا يعلون ذلك وقوله (يودأحدهم لويصر ألف سنة) بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف وقيل أراد بالذين أشركوا الجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش ألف نيروز وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو قول الاعاجم ذه هزار سال وقيل ومن الذين أشركوا كلام { الجزء الاول } مبتدأ أى ومنهم ناس ﴿ ١٦٢ ﴾ يود أحدهم على حذف الموصوف

والذين أشركوا على هذا
مشاركه الى اليهود لانهم
قالوا عزير بن الله والضمير
في (وما هو بمنزحه من
العذاب) لاحدهم وقوله
(أن يعمر) فاعل بمنزحه
أى وما أحدهم بمن
يزحزحه من النار تعميره
ويجوز أن يكون هو
مبها وأن يعمر موضعه
والزحزحة التبديد والانجاء
قال في جامع العلوم وغيره
لويصر بمعنى أن يعمر فلو هنا
ناثبة عن ان وان مع
الفعل في تأويل المصدر
وهو مفعول يود أى يود
أحدهم تعبير ألف سنة
(والله بصير بما يعملون)
أى يعمل هؤلاء الكفار
فيجازيهم عليه وبالشاء
يعقوب (قل من كان عدوا
لجبريل) بفتح الجيم وكسر
الراء بلا همز مكى وفتح
الراء والجيم والهمز مشعا
كوفى غير حفص وبكسر
الراء والجيم بلا همز غيرهم
ومنع الصرف للتعريف
والجمة ومعناه عبدالله
لان جبرهوا العبد بالسريانية
مشركى العرب (يود





بالذكر للمبالغة فأن حرصهم شديد اذ لم يعرفوا ألالحياة العاجلة والزياة في التوبخ
والتقريع فإنه لما زاد حرصهم وهم مقررون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على
علمهم بأنهم صآرون الى النار ويجوز أن يراد وأحرص من الذين اشركوا فحذف
لدلالة الاول عليه وأن يكون خبر مبتدأ محذوف صفته ﴿ يود أحدهم ﴾ على أنه
أريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير بن الله أى ومنهم ناس يود أحدهم
وهو على الاول بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف ﴿ لويصر ألف سنة ﴾
كقولاك حلف بالله ليفعلن ﴿ وما هو بمنزحه من العذاب أن يعمر ﴾ الضمير
لاحدهم وأن يعمر فاعل بمنزحه أى وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره أو
لمادل عليه يعمر وأن يعمر بدل منه أو مبهم وأن يعمر موضعه وأصل سنة سنة لقولهم
سنوات وقيل سنة كجبهة لقولهم سانهته وتسنته النخلة اذا أت عليها السنون والزحزحة
التبديد ﴿ والله بصير بما يعملون ﴾ فيجازيهم ﴿ قل من كان عدوا لجبريل ﴾ نزل
في عبدالله بن صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ينزل عليه فقال جبريل
فقال ذاك عدونا عادانا مرارا وأشهدنا أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخرجه بختصر

بالذكر لشدة حرصهم وفيه توبيخ عظيم لليهود لان الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا يعرفون
ألالحياة الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها فأذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو
مقر بالبعث والجزاء كان حقيقا بالتوبخ العظيم وقيل ان الواو واواستئناف تقديره ومن
الذين أشركوا أناس ﴿ يودأحدهم ﴾ وهم الجوس سماوا بذلك لانهم يقولون بالنور
والظلمة يود أى يتمنى أحدهم ﴿ لويصر ألف سنة ﴾ أى تعبير ألف سنة وانما
خص الالف لانها نهاية العقود ولانها تحية الجوس فيما بينهم يقولون « زه هزار
سال » أى عش ألف سنة أو ألف نيروز أو ألف مهرجان فهذه تحيتهم والمعنى أن اليهود
أحرص من الجوس الذين يقولون ذلك ﴿ وما هو بمنزحه ﴾ أى بمعاذته ﴿ من
العذاب ﴾ أى النار ﴿ أن يعمر ﴾ أى لو عمر طول عمره لا ينتقذه من العذاب ﴿ والله
بصير بما يعملون ﴾ أى لا يخفى عليه خافية من أحوالهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ قل من كان
عدوا لجبريل ﴿ قال ابن عباس رضي الله عنهما سب نزول هذه الآية ان عبدالله بن صوريا حبر
من أخبار اليهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم أى ملك يأتيك من السماء قال جبريل قال
ذاك عدونا ولو كان ميكائيل لا مثابك أن جبريل ينزل بالعذاب والشدة والخسف وانه
عادانا مرارا وأشد ذلك علينا ان الله أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخرّب على

أحدهم) يتمنى أحدهم (لويصر ألف سنة) أن يعيش ألف نيروز ومهرجان (وما هو بمنزحه) (يد)
بمعاذته (من العذاب أن يعمر) أن عاش الف سنة (والله بصير بما يعملون) من المعاصي والاعتداء وما يكتسبون من صفة
محمد صلى الله عليه وسلم ونعمته ثم نزل في قواهم وهو قول عبدالله بن صوريا أن جبريل عدونا (قل) يا محمد (من كان عدوا لجبريل

وايل اسم الله روى ان ابن سوريا  ١٦٣  من احبار اليهود { سورة البقرة } حاج النبي صلى الله عليه

وسلم وسأله عن يهبط عليه
بالوحي فقال جبريل فقال
ذاك عدونا ولو كان غيره
لا منابك وقد عذانا مرارا
وأشدها انه انزل على نبينا
ان بيت المقدس سيخر به
بختصر فبعثنا من يقتله
فلقية ببابل غلاما مسكينا
فدفع عنه جبريل وقال ان
كان ربكم أمره بهلاككم
لا يسلطكم عليه وان لم
يكن آياه فعلى أى ذنب
تقتلونه (فأنه نزله) فان
جبريل نزل القرآن ونحو
هذا الاضمار أعنى اضمار
مالم يسبق ذكره فيه فخامة
حيث يجعل لفرط شهرته
كأنه يدل على نفسه ويكتفى
عن اسمه الصريح بذكر شئ
من صفاته (على قلبك) أى
حفظه أياك وخص القلب
لانه محل الحفظ كقوله نزل به
الروح الامين على قلبك
وكان حق الكلام ان يقال على
قلبي ولكن جاء على حكاية
كلام الله كما تكلم به وانما
استقام أن يقع فأنه نزله
جزاء للشرط لان تقديره
ان عادى جبريل أحد من
أهل الكتاب فلا وجه
لمعاداته حيث نزل كتابا
مصدقا للكتب بين يديه
فلو أنصفوا لاحبوه
وشكروا له صنيعه في انزاله

فبعثنا من يقتله فرآه بسابل فدفع عنه جبريل وقال أن كان ربكم أمره بهلاككم
فلا يسلطكم عليه والأفيم تقتلونه وقيل دخل عمر رضى الله تعالى عنه مدارس اليهود
يوما فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وأنه صاحب كل
خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله قالوا
جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا
بعدوين ولا تم أكفر من الحير ومن كان عدوا أحدهما فهو عدو الله ثم رجع عمر
فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه الصلاة والسلام لقد وافقتك ربك يا عمر وفي جبريل
ثمانى لغات قرئى بهن أربع في المشهور جبريل كلسييل قراءة حمزة والكسائي
وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئيل كجهمرش قراءة عاصم
برواية أبى بكر وجبريل كقنديل قراءة الباقر وأربع في الشواذ جبرئيل وجبرائيل
كجبراعيل وجبرائل وجبرين ومنع صرفه للجمعة والتعريف ومعناه عبد الله  فإنه
نزله  البارز الاول لجبريل والثانى للقرآن وأضماره غير مذكور يدل على فخامة
شأنه كأنه لتعيينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره  على قلبك  فإنه القابل

يد رجل يقال له بختصر فلما كان زمنه بعثنا من يقتله بلباب غلاما مسكينا فأخذه
ليقتله فدفع عنه جبريل وقال ان كان الله أمره بهلاككم فلن تسلط عليه وان لم يكن
هو فعلى أى حق تقتله فلما كبر ذلك الغلام وقوى غزانا وخرّب بيت المقدس فهذا
تخذنا عدوا فأنزل الله هذه الآية وقيل قالوا أن الله أمره أن يجعل النبوة فينا فجعلها
في غيرنا فأتخذناه عدوا وقيل أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان له أرض بأعلى المدينة
وكان عمره اليها على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا ابو ماما فى أصحاب
محمد أحب الينامك وانا لنطمع فيك فقال عمر والله ما أتيتكم لحبكم ولا أسألكم لاني
شاك في ديني وانما أدخل عليكم لازداد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى
آثاره في كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذى يأتيه من الملائكة قال جبريل قالوا ذلك
عدونا يطلع محمدا على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وشدة وأن ميكائيل
يحيى بالخصب والسلامة فقال لهم تعرفون جبريل وتكفرون محمدا صلى الله عليه وسلم
قالوا نعم قال فأخبروني عن منزلة جبريل وميكائيل من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه
وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر اشهد أن من كان عدوا لاحدهما
كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر الى النبي صلى الله عليه
وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات
وقال لقد وافقتك ربك يا عمر فقال عمر والله لقد رأيتنى بعد ذلك في ديني أصلب من الحجر
والاقرب ان سبب هذه العداوة كون جبريل كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم
بالوحي لان قوله فأنه نزله على قلبك مشعر بذلك وقوله  فإنه نزله  يعنى جبريل
نزل بالقرآن كناية عن غير مذكور  على قلبك  يا محمد وانما خص القلب بالذكر

فأنه (عدو الله) (نزله على قلبك) (نزل الله جبريل عليك بالقرآن)

ما ينفهم ويصحح المنزل عليهم وقيل جواب الشرط محذوف تقديره من كان عدوا لجبريل فليت غيظا فانه نزل الوحي على قلبك
(بأذن الله) بأمره (مصدقا) { الجزء الاول } لما بين يديه (وهدي) ﴿ ١٦٤ ﴾ وبشرى للمؤمنين (رد على اليهود

الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام
الله تعالى كأنه قال قل ما تكلمت به ﴿ بأذن الله ﴾ أى بأمره وتيسيره حال من فاعل نزله
﴿ مصدقا لما بين يديه وهدي وبشرى للمؤمنين ﴾ أحوال من مفعوله والظاهر أن
جواب الشرط فأنه نزله والمعنى أن من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف
أو كفر بجماعته من الكتاب بعمادته آياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا
للكتب المتقدمة فحذف الجواب وأقيم علقته مقامه أو من عاداه فالسبب في عداوته
أنه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليت غيظا أو فهو عدولى أو أنا عدوه كما قال
﴿ من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكايل فأن الله عدو للكافرين ﴾
أراد بعبادة الله مخالفته عنادا أو معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره
تفخيما لشأنهم كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وأفرد المللكان بالذكر
لفضلهما كأتهما من جنس آخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر
واستجلاب العداوة من الله تعالى وأن من عادى أحدهم فكأنه عادى الجميع اذ الموجب
لعداوتهم ومحبتهم على الحقيقة واحد ولان الحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع
المضمر للدلالة على أنه تعالى عاداهم لكفرهم وأن عداوة الملائكة والرسول ككفر ﴿ وقرأ نافع
ميكايل ميكايل وأبو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكايل كي عباد والباقون ميكايل بالهمزة
والياء بعد ها وقرئ ميكل ميكل وميكييل ميكييل وميكايل ﴾ ولقد أنزلنا إليك آيات بينات

حين قالوا أن جبريل ينزل
بالحرب والشدة فقيل فأنه
ينزل بالهدى والبشرى
أيضا (من كان عدوا لله
وملائكته ورسوله وجبريل
وميكايل) بصرى وحفص
وميكايل باختلاس الهمزة
كيكايل مدنى وميكايل
بالماء وكسر الهمزة مشبعة
غيرهم وخض المللكان
بالذكر لفضلهما كأنهما من
جنس آخر اذ التغاير في
الوصف ينزل منزلة التغاير
في الذات (فأن الله عدو
للكافرين) أى لهم نجاء
بالظاهر ليدل على ان الله انما

لانه محل الحفظ ﴿ بأذن الله ﴾ أى بأمره ﴿ مصدقا ﴾ أى موافقا ﴿ لما بين يديه ﴾
أى لما قبله من الكتب ﴿ وهدي وبشرى للمؤمنين ﴾ أى في القرآن هداية للمؤمنين
الى الاعمال الصالحة التى يترتب عليها الثواب وبشرى لهم بشوابها اذا أتوا بها ﴿ من
كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكايل ﴾ لما بين فى الآية الاولى ان من كان
عدوا لجبريل لاجل انه نزل بالقرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وجب أن يكون
عدوا لله لان الله تعالى هو الذى نزله على محمد بين فى هذه الآية ان كل من كان عدوا
لاحد هؤلاء فأنه عدو لجميعهم وبين ان الله عدوه بقوله ﴿ فأن الله عدو للكافرين ﴾ فأما
عداوتهم لله فأنها لا تضره ولا تؤثر وعداوتهم لله تؤديهم الى العذاب الدائم الذى
لا ضرر أعظم منه وقيل المراد من عداوتهم لله عداوتهم لاوليائه وأهل طاعته فهو
كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله أى يحاربون أولياء الله وأهل طاعته
وقوله وملائكته ورسوله يعنى ان من عادى واحدا منهم فقط عادى جميعهم ومن كفر
بواحد منهم فقد كفر بجميعهم وجبريل وميكايل انما خصهما بالذكر وان كانا داخلين
فى جملة الملائكة لبيان شرفهما وعلو منزلتهما وقدم جبريل على ميكايل لفضله
عليه لان جبريل ينزل بالوحي الذى هو غذاء الارواح وميكايل ينزل بالمطر الذى
هو سبب غذاء الابدان وجبريل وميكايل اسمان أعجميان ومعناه عبد الله وعبد الله لان جبر
وميك بالسرانية هو العبد وأيل هو الله ﴿ ولقد أنزلنا إليك آيات بينات ﴾ قال ابن

عاداهم لكفرهم وان عداوة
الملائكة كفر كعبادة الانبياء
ومن عاداهم عاداه الله ولقد
أنزلنا اليك آيات بينات

(بأذن الله) بأمر الله
(مصدقا) موافقا بالتوحيد
(لما بين يديه) من الكتاب
(وهدي) من الضلالة
(وبشرى) بشارة للمؤمنين
بالجنة (من كان عدوا لله
وملائكته (ورسوله)
ورسوله (وجبريل)
وجبريل (وميكايل)
وميكايل (فأن الله عدو
للكافرين) لليهود وأيضا
رسله وجبريل وميكايل

وسائر المؤمنين أعداء لهم (ولقد أنزلنا إليك آيات) جبريل بآيات (بينات) ميينات واضحات بالامر (عباس)

وما يكفر بها إلا الفاسقون) المتمردون من الكفرة واللام للجنس والاحسن أن تكون إشارة إلى أهل الكتاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن سوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئنا بشئ نعرفه وما أنزل عليك من آية فتتبعك بها فنزلت الوافي (أو كما) لا عطف على ﴿١٦٥﴾ محذوف تقديره أكفروا {سورة البقرة} بالآيات البينات وكما

(عاهدوا عهد انبذه) نقضه ورفضه وقال (فريق منهم) لأن منهم من لم ينقض (بل أكثرهم لا يؤمنون) بالتوراة وليسوا من الدين في شئ فلا يعدون نقض المواثيق ذنباً ولا يباليون به (ولما جاءهم رسول من عند الله) محمد صلى الله عليه وسلم (مصديق لمامعهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب) أي التوراة والذين أوتوا الكتاب اليهود (كتاب الله) يعني التوراة لانهم بكفروهم

برسول الله صلى الله عليه وسلم المصدق لمامعهم كافرون بها نابذون لها أو كتاب الله القرآن نبذوه بعدم التزامهم تقيده بالقبول (وراء ظهورهم) مثل لتزكمهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات

والنهي (وما يكفر بها) يحجب بالآيات (ألا الفاسقون) الكافرون اليهود (أو كما عاهدوا عهداً) يعني الرؤساء من اليهود مع محمد (نبذه) طرحه ونقضه (فريق منهم بل أكثرهم) كلهم (لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله مصديق)

وما يكفر بها إلا الفاسقون ﴿ أي المتمردون من الكفرة ﴾ والفسق إذا استعمل في نوع من المعاصي دل على عظمه كأنه متجاوز عن حده نزل في ابن سوريا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئنا بشئ نعرفه وما أنزل عليك من آية فتتبعك ﴿ أو كما عاهدوا عهداً ﴾ الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره أكفروا بالآيات وكما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على أن التقدير ألا الذين فسقوا أو كما عاهدوا وقرئ عاهدوا وعهدوا ﴿ نبذه فريق منهم ﴾ نقضه وأصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وإنما قال فريق لأن بعضهم لم ينقض ﴿ بل أكثرهم لا يؤمنون ﴾ رد لما يتوهم من أن الفريق هم الاقلون أو أن من لم ينبذ جهاراً فهم مؤمنون به خفاء ﴿ ولما جاءهم رسول من عند الله مصديق لمامعهم ﴾ كميبي ومحمد عليهما الصلاة والسلام ﴿ نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله ﴾ يعني التوراة لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفروها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسول المؤيد بالآيات وقيل مامع الرسول صلى الله عليه وسلم كالقرآن وراء ظهورهم ﴿ مثل لاعراضهم عنه رأساً بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر

عباس رضي الله عنهما هذا جواب ابن سوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئنا بشئ نعرفه وما أنزل عليك من آية بينة فتتبعك بها فأنزل الله هذه الآيات ومعنى بينات واضحات مفصلات بالحلل والحرام والحدود والاحكام ﴿ وما يكفر بها ﴾ أي وما يحجب بهذه الآيات ﴿ ألا الفاسقون ﴾ أي الخارجون عن طاعتنا وما مرواه ﴿ أو كما عاهدوا عهداً ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخذ عليهم من اليهود في محمد صلى الله عليه وسلم وان يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله ما عهد اليه في عهد فأنزل الله هذه الآية أو كما استفهام انكار عاهدوا عهداً هو قولهم أنه قد أظلم زمان نبي مبعوث وأنه في كتابنا وقيل أنهم عاهدوا الله عهداً كثيرة ثم نقضوها ﴿ نبذه ﴾ أي طرح العهد ونقضه ﴿ فريق منهم ﴾ يعني اليهود ﴿ بل أكثرهم لا يؤمنون ﴾ يعني كفر فريق منهم بنقض العهد وكفر فريق منهم بالمحمد للحق ﴿ ولما جاءهم رسول من عند الله ﴾ يعني محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ مصديق لمامعهم ﴾ يعني مصديق بصحة التوراة ونبوة موسى عليه الصلاة والسلام وقيل أن التوراة بشرت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كان مجرد مبعثه مصدقاً للتوراة ﴿ نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم ﴾ قيل أراد بالكتاب القرآن وقيل التوراة وهو الاقرب لان النبذ لا يكون الا بعد التمسك ولم يتمسكوا بالقرآن أما نبذهم التوراة فأنهم كانوا يقرؤنها ولا يعملون بها وقيل أنهم

موافق بالصفة والنعمة (لمامعهم) من الكتاب (نبذ) طرح (فريق من الذين أوتوا الكتاب) أعطوا الكتاب (كتاب الله) يعني التوراة (وراء ظهورهم) خلف ظهورهم لم يؤمنوا بما فيه من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ولم يبينوا

لعدم الالتفات اليه ﴿ كأنهم لا يعلمون ﴾ أنه كتاب الله يعني أن علمهم به رصين و يقين لكن يتجاهلون عنادا. واعلم أنه تعالى دل بالآيتين على ان جنل اليهود أربع فرق * فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها ككثرتهم لا يؤمنون * وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطى حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذهم فربق منهم * وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون ﴿ واتبعوا ما تلو الشياطين ﴾ عطف على نبذ أي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها أو تتبعها الشياطين من الجن أو الانس أو منهما ﴿ على ملك سليمان ﴾ أي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ماسموا أ كاذب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمان عليه الصلاة والسلام حتى قيل أن الجن يعلمون الغيب وأن ملك سليمان تم بهذا العلم وأنه تسخر به الجن والانس والريح ﴿ وما كفر سليمان ﴾ تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على أنه كفر وأن من كان نبيا

أدرجوها في الحرير وحلوا بالذهب ولم يعملوا بما فيها ﴿ كأنهم لا يعلمون ﴾ يعني أنهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم به ومعرفة وانما جعلهم على ذلك عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وهم علماء اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكتبوا أمره وكان أولئك نفر قليلا ﴿ قوله عز وجل ﴾ واتبعوا ما تلو الشياطين ﴿ يعني اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تلو الشياطين ومعنى تتلو تقرأ من التلاوة وقيل معناه تفتري وتكذب ﴿ على ملك سليمان ﴾ وهو قولهم ان سليمان ملك الناس بالسحر وقيل على ملك سليمان أي على عهده وزمانه * وقصة ذلك ان الشياطين كتبوا السحر والتبرنجيات على لسان آصف هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك وكتبوه ودفنوه تحت كرسيه وذلك حين نزع الله عنده الملك ولم يشعر بذلك وقيل ان نبي إسرائيل اشتغلوا بتعليم السحر في زمانه فنتعهم سليمان من ذلك وأخذ كتبهم ودفنها تحت سريره فلذات استخرجها الشياطين وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه فأما صلحاء نبي إسرائيل وعلماءهم فانكروا ذلك وقالوا معاذ الله أن يكون هذا العلم من علم سليمان وأما السفلة منهم فقالوا هذا هو علم سليمان وأقبلوا على تعليمه وتركوا كتب أنبيائهم وفشت الملامة لسليمان فلم تنزل هذه حالهم الى ان بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه براءة سليمان عليه الصلاة والسلام فقال تعالى واتبعوا ما تلو الشياطين على ملك سليمان ﴿ وما كفر سليمان ﴾ يعني بالسحر ولم يعمل به وفيه تنزيه سليمان عن السحر وذلك ان اليهود أنكروا نبوة سليمان وقالوا انما حصل له هذا الملك وسخرت الجن والانس له بسبب السحر وقيل ان السحرة من اليهود زعموا أنهم أخذوا السحر عن سليمان فبرأه الله من ذلك وقيل ان بعض أحبار اليهود قال ألا تعجبون من محمد يزعم أن سليمان كان نبيا وما كان ألساحرا فأُنزل الله تعالى وما كفر سليمان يعني ان سليمان كونه نبيا ينافي كونه ساحرا كافرا ثم بين

اليه (كأنهم لا يعلمون) انه كتاب الله (واتبعوا ما تلو الشياطين) أي نبذ اليهود كتاب الله واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها (على ملك سليمان) أي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ماسموا أ كاذب ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وماتم لسليمان ملكه الابن هذا العلم وبه سخر الجن والانس والريح (وما كفر سليمان) تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر

(كأنهم) جهلاء (لا يعلمون) تركت اليهود كتب الانبياء كلها (واتبعوا ما تلو الشياطين) عملوا بما كتبت الشياطين (على ملك سليمان) في ذهاب ملك سليمان أربعين يوما من السحر والتبرنجيات (وما كفر سليمان) ما كتب سليمان

كان معصوماً منه ﴿ ولكن الشياطين كفروا ﴾ باستعماله ﴿ وقرأ ابن عامر وحزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين ﴾ يعلمون الناس السحر ﴿ أغواء وأضلالاً والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب إلا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فإن التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي وأما ما يتعجب منه كما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية أو يريه صاحب خفة اليد فقير مذموم وتسميته سحرا على التجوز أو لما فيه من الدقة لانه في الاصل

الله تعالى ان الذي برأه منه لاحق بغيره فقال ﴿ ولكن الشياطين كفروا ﴾ يعني ان الذين اتخذوا السحر لانفسهم هم الذين كفروا ثم بين سبب كفرهم فقال تعالى ﴿ يعلمون الناس السحر ﴾ يعني ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر وقيل يحتمل أن يكون يعلمون يعني اليهود الذين عنوا بقوله واتبعوا وسمى السحر سحرا خلفاء سببه فلا يفعل إلا في خفية وقيل معنى السحر الازالة وصرف الشئ عن وجهه تقول العرب ما سحرك عن كذا أى ما صرفك عنه فكان الساحر لما رأى الباطل في صورة الحق فقد سحر الشئ عن وجهه أى صرفه هذا أصله من حيث اللغة وأما حقيقته فقد قيل أنه عبارة عن التمويه والتخييل ومذهب أهل السنة أنه وجودا وحقيقة والعمل به كفر وذلك اذا اعتقد ان الكواكب هى المؤثرة في قلب الاعيان وروى عن الشافعى أنه قال السحر نجبل ويعرض وقد يقتل حتى أوجف القصاص على من قتل به وقيل ان السحر يؤثر في قلب الاعيان فيجعل الانسان على صورة الحمار والحمار على صورة الكلب وقد يطير الساحر في الهواء وهذا القول ضعيف عند أهل السنة لانهم قالوا أن الله تعالى هو الخالق الفاعل لهذه الاشياء عند عمل الساحر لذلك لأن الساحر هو الفاعل لها المؤثر فيها والاصح ان السحر نجبل ويؤثر في الابدان بالامراض والجنون والموت ويدل على ذلك ان للكلام تأثيرا في الطباع فقد يسمع الانسان ما يكره فيجيم وقد مات قوم بكلام سمعه فالسحر بمنزلة العلل في الابدان * وأما حكمه فإنه من الكبائر التى نهى عنها ويحرم تعلمه لما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الاشرار بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الألباحق وأكل مال اليتيم والزنا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات أخرجه في الصحيحين فعذر رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر من الكبائر وشناه بالشرك وأمرنا باجتنابه * وقوله الموبقات يعنى المهلكات * والسحر على قسمين أحدهما يكفر به صاحبه وهو أن يعتقد أن القدرة لنفسه في ذلك وهو المؤثر أو يعتقد ان الكواكب هى المؤثرة الفعالة فإذا انتهى به السحر الى هذه الغاية صار كافرا بالله تعالى ويجب قتله لما روى عن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حدا الساحر ضرب به بالسيف أخرجه الترمذى * والقسم الثانى من السحر وهو التخييل الذى يشاكل النيرانجيات والشعبذة ولا يعتقد صاحبه نفسه فيه قدرة ولا أن الكواكب هى المؤثرة ويعتقد

والعمل به (ولكن الشياطين) هم الذين (كفروا) باستعمال السحر وتدوينه ولكن بالتخفيف الشياطين بالرفع شامى وحزة وعلى (يعلمون الناس السحر) فى موضع الحال أى كفروا معلمين الناس السحر قاصدين به

السحر والنيرانجيات (ولكن الشياطين كفروا) كتبوا (يعلمون الناس) يعنى الشياطين ويقال اليهود (السحر)

اغواهم واضلالهم (وما أنزل { الجزء الاول } على الملكين) ﴿ ١٦٨ ﴾ الجمهور على ان ما معنى الذى وهو

لما خفي سيده ﴿ وما أنزل على الملكين ﴾ عطف على السحر والمراد بهما واحدا والفظ
لتغاير الاعتبار أو به نوع أقوى منه أو على ماتلو وهما ملكان أنزلا لتعليم
السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة * وماروى أنهما مثلا بشرين
وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصى والشرك
ثم صعدت الى السماء بما تعلت منهما فحكى عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله
لا يخفى على ذوى البصائر وقيل رجلان سمي ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة
الملكين بالكسر وقيل ما أنزل نقي معطوف على ما كافر سليمان تكذيب لليهود في هذه
القصة ﴿ ببابل ﴾ ظرف أحوال من الملكين أو الضمير فى أنزل والمشهور أنه بلد
من سواد الكوفة ﴿ هاروت وماروت ﴾ عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للجمعة والعلمية

أن القدرة لله تعالى وانه هو المؤثر فهذا القدر لا يكفر به صاحبه ولكنه معصية وهو
من الكبائر ويحرم فعله فأن قتل بسحره قتل قاصدا لماروى عن مالك انه بلغه ان حفصة
زوج النبی صلی الله علیه وسلم قتلت جارية لها سحرتها وقد كانت دبرتها فأمرت بها
فقتلت أخرجه فى الموطأ ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وما أنزل على الملكين ﴾ أى ويعلمون
الذى أنزل على الملكين * والانزال هنا بمعنى الالهام والتعليم أى ما ألهما وعلما * وقرئ
فى الشاذ الملكين بكسر اللام قال هما رجلان ساحران كانا ببابل وقيل علجان ووجهه أن
الملائكة لا يعلمون السحر والقراءة المشهورة بفتح اللام * فأن قلت كيف يجوز أن يضاف
الى الله تعالى أنزال ذلك على الملائكة وكيف يجوز للملائكة تعليم السحر * قلت قال ابن جرير
الطبرى ان الله تعالى عرف عباده جميعا أمرهم به وجميع ما نهاهم عنه ثم أمرهم ونهاهم بعد
العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه ولو كان الامر على غير ذلك لما كان الامر والنهى معنى
مفهوم والسحر مما نهى عباده من نى آدم عنه فغير منكر أن يكون الله تعالى علمه الملكين اللذين
سماهما فى تنزيله وجعلهما فتنة لعباده من نى آدم كما أخبر عنهما انهما يقولان لمن جاء يتعلم ذلك
منهما انما نحن فتنة فلا تكفر ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن السحر وعن التفريق
بين المرء وزوجه فيتحسس المؤمن بتركه التعليم منهما ويجرى للكافر بتعلمه الكفر
والسحر منها ويكون الملكان فى تعليمهما ما علما من ذلك مطيعين لله تعالى أذ كان عن أذن
الله تعالى لهما بتعليم ذلك وغير ضارهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما بعد نهيهما
أياه عنه بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر اذ كانا قد أديا ما أمرنا به وقال غيره انهما لا يتعمدان
ذلك بل يصفان السحر ويدكران بطلانه وأمران باجتنابه فالشقي من ترك نصحهما
وتعلم السحر من وصفهما والسعيد من قبل نصحهما وترك تعلم السحر منها وقيل ان الله
تعالى امتحن الناس بهما فى ذلك الزمان فالشقي من تعلم السحر منها فيكفر به والسعيد
من تركه فيبقى على ايمانه والله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء كما امتحن نبي إسرائيل بنهر
طالوت بقوله فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني ﴿ ببابل ﴾ قيل هى
بابل العراق بأرض الكوفة سميت بذلك لتبليد الاسنة بها عند سقوط صرح عمرد
وقيل انها بابل نهاوند والاول أصح وأشهر ﴿ هاروت وماروت ﴾ اسمان سريانان

نصب عطف على السحر
أى ويعلمونهم ما أنزل على
الملكين أو على ماتلو أى
وأتبعوا ما أنزل على الملكين
(ببابل هاروت وماروت)
علمان لهما وهما عطف
بيان للملكين والذى أنزل
عليهما هو علم السحر ابتلاء
من الله للناس من تعلمه منهم
وعمل به كان كافرا أن كان
فيه رد ما لزم فى شرط الايمان
ومن تجنبه أو تعلمه لئلا يعمل
به ولكن ليتوقاه ولئلا يقتربه
كان مؤمنا قال الشيخ
أبو منصور الماترىدى رجه
الله القول بأن السحر على
الاطلاق كفر خطأ بل يجب
البحث عن حقيقته فأن كان
فى ذلك رد ما لزم فى شرط
الايمان فهو كفر والافلاثم
السحر الذى هو كفر يقتل
عليه الذكور لا الاثا وما
ليس بكفر وفيه اهلاك النفس
ففيه حكم قطاع الطريق
ويستوى فيه المذكور
والمؤنث وتقبل توبته اذا
تاب ومن قال لا تقبل فقد غلط
فأن سحرة فرعون قبلت
توبتهم وقيل أنزل أى قذف
فى قلوبهم مع النهى عن العمل
قيل انهما ملكان اختارتهما
الملائكة لتركب فيهما الشهوة

وما أنزل على الملكين (ولم ينزل على الملكين السحر واليرنجات ويقال يعلمون ما لهم الملكان أيضا) (ببابل هاروت وماروت) (وقصة)

ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل مانافية ابدلها من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض* وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وقصة الآية على ما ذكره ابن عباس رضى الله عنهما وغيره قالوا ان الملائكة لما رأوا ما يصعد الى السماء من اعمال بنى آدم الخبيثة في زمن ادريس عليه الصلاة والسلام عيروهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم في الارض واخترتهم وهم يعصونك فقال الله تعالى لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ماركبت فيهم لركبتم مثل ما ركبوا قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاخترنا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض فاخترنا هاروت وماروت وكانا من اصلح الملائكة وأعبدهم وكان اسم هاروت عزرا وماروت عزرايا فغير اسمهما لما قارفا الذنب وركب الله فيهما الشهوة وأهبطهما الى الارض وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومهما فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا الى السماء فامر عليهما شهر حتى افتتنا وقيل بل افتتنا في أول يوم وذلك أنه اختصم اليها امرأة يقال لها الزهرة وكانت من أجل أهل فارس وقيل كانت ملكة فلما رأياها أخذت بقلوبهما فقال أحدهما لصاحبه هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فأبت وقالت لألأ أن تعبدا هذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لاسبيل الى هذه الاشياء فأن الله تعالى قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح خمر وفي أنفسهما من الميل اليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا فلما انتشيا وقعا بالمرأة فزنيابها فرأهما أنسان فقتلاه خوف الفضيحة وقيل أنهما سجدا للصنم وقيل جاءتهما امرأة من أحسن الناس تخصم زوجها فقال أحدهما للآخر هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم قال هل لك أن تقضى لها على زوجها فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسألاها نفسها فقالت لألأ أن تقضيا لي على زوجي فقضيا ثم سألاها نفسها فقالت لألأ أن تقتلاه فقال أحدهما لصاحبه أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فقتلاه ثم سألاها نفسها فقالت لألأ أن لي صنما أعبده أن أتما صليتما معي عنده فعلمت فقال أحدهما لصاحبه مثل القول الاول فرد عليه مثله فصليا معها عنده فمسخت شهابا وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه قالت لهما لن تدر كانى حتى تجربانى بالذى تصعدان به الى السماء فقالا اسم الله الاكبر قالت فما أتما بمدركى حتى تعلمانى آياه فقال أحدهما للآخر علمها فقال انى أخاف الله فقال الآخر فأين رحمة الله فعلمها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسحتها الله كوكبا فذهب بعضهم الى أنها هى الزهرة بعينها وأنكر آخرون ذلك وقالوا أن الزهرة من الكواكب السيارة السبعة التى أسمى =

حين عبرت بنى آدم فكانا يحكما بين فى الارض ويصعدان بالليل فهو يازهرة فحملتهما على شرب الخمر فزنيا فرأهما أنسان فقتلاه فاخترنا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة ففهما يعذبان منكوسين فى جب ببابل وسميت ببابل لتبليل الاسن بها

== الله بها فقال فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس والتي فتنت هاروت وماروت كانت امرأة تسمى الزهرة لجمالها وحسنها فلما بغت مسيخها الله تعالى شهابا قالوا فلما أمسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدتا أدريس النبي عليه الصلاة والسلام وأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما الى الله عز وجل وقال له رأينا يصعدك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الارض فاشفع لنا الى ربك ففعل ذلك أدريس فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا اذ علما أنه ينقطع فهما يبابل يعذاب قيل أنهما معلقان يشعورهما الى قيام الساعة وقيل أنهما منكوسان يضربان بسياط الحديد وقيل أن رجلا قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بأرجلهما منزقة عيونهما مسودة جلودهما ليس بين ألسنتهما وبين الماء الا قدر أربع أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله فقال لأله الأله فلما سمعا كلامه قال لأله الأله من أنت قال رجل من الناس فقلا من أى أمة أنت قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال أوقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فقلا الحمد لله وأظهرا الاستبشار فقال الرجل م استبشار كما قال أن نبى الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا

فصل فى القول بعصمة الملائكة

أجمع المسلمون على أن الملائكة معصومون فضلاء واتفق أئمة المسلمين على أن حكم الرسل من الملائكة حكم النبيين سواء فى العصمة فى باب البلاغ عن الله عز وجل وفى كل شئ ثبت فيه عصمة الانبياء فكذلك الملائكة وأنهم مع الانبياء فى التبليغ اليهم كالانبياء معهم ثم اختلفوا فى غير المرسلين من الملائكة فذهب طائفة من المحققين وجميع المعتزلة الى عصمة جميع الملائكة عن جميع الذنوب والمعاصى واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية وذهب طائفة الى أن غير المرسلين من الملائكة غير معصومين واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية منها قصة هاروت وماروت عن على رضى الله عنه وما نقله أهل الاخبار والسير ونقله ابن جرير الطبرى فى تفسيره عن جماعة من الصحابة والتابعين فنقل قصة هاروت وماروت بالفاظ متقاربة عن على بن أبى طالب وابن مسعود وكعب الاخبار والسدى والربيع ومجاهد رضوان الله تعالى عليهم أجمعين * وأجاب من ذهب الى عصمة جميع الملائكة عن قصة هاروت وماروت بأن ما نقله المنسرون وأهل الاخبار فى ذلك لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شئ وهذه الاخبار انما أخذت من اليهود وقد علم افتراءهم على الملائكة والانبياء وقد ذكر الله عز وجل فى هذه الآيات افتراء اليهود على سليمان أو لاثم عطف على ذلك قصة هاروت وماروت ثانيا قالوا ومعنى الآية وما كفر سليمان يعنى بالسحر الذى افعله عليه الشياطين واتبعتهم فى ذلك اليهود فأخبر عن افتراءهم وكذبهم وذكروا أيضا فى الجواب عن هذه القصة وأنها باطلة وجوهها الاول أن فى القصة أن الله تعالى قال للملائكة لو ابليت بما ابليت به بنو آدم لعصيتونى قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا

(أن)

(وما يعلمان من أحد) وما يعلم الملكان أحدا (حتى يقولوا) حتى ينهيه وينصحه ويقول له (أنا نحن فتنة) ابتلاء واختبار من الله (فلا تكفر) يتعلمه والعمل به على وجه يكون كفرا (فيتعلمون منهما) الفاء عطف على قوله يعلمون الناس السحر أى يعلمونهم فيتعلمون من السحر والكفر اللذين دل ﴿ ١٧١ ﴾ عليهما قوله كفروا {سورة البقرة} ويعلمون الناس السحر أو

على مضمرة والتقدير فيأتون
 يتعلمون والضمير لما دل
 عليه من أحد أى فيتعلم
 اناس من الملكين (ما
 يفرقون به بين المرء
 وزوجه) أى علم السحر
 الذى يكون سببا فى
 التفريق بين الزوجين
 بأن يحدث الله عنده النشور
 والخلاف ابتلاء منه وللسحر
 حقيقة عند أهل السنة
 كثرة الله وعند المعتزلة
 قعم الله هو تخييل وتوهم
 (وما هم بضارين به) بالسحر
 (من أحد) بالأذن (الله) بعلمه
 ومشيئته (ويتعلمون ما يضرهم
 ولا ينفعهم) فى الآخرة
 وفيه دليل على أنه واجب
 الاجتناب كتعلم الفلسفة

﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولوا أنا نحن فتنة فلا تكفر ﴾ فعناه على الاول وما يعلمان
 أحدا حتى ينصحه ويقول له أنا نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى
 عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به * وفيه دليل على أن تعلم السحر
 وما لا يجوز اتباعه غير محذور وإنما المنع من اتباعه والعمل به * وعلى الثانى ما يعلمانه حتى يقولوا
 أنا مفتونان فلا تكن مثلنا ﴿ فيتعلمون منهما ﴾ الضمير لما دل عليه من أحد ﴿ ما يفرقون به
 بين المرء وزوجه ﴾ أى من السحر ما يكون سبب تفريقهما ﴿ وما هم بضارين به من
 احد إلا بأذن الله ﴾ لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بأمره تعالى
 وجعله * وقرئ بضارى على الاضافة الى أحد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف
 ﴿ ويتعلمون ما يضرهم ﴾ لانهم يقصدون به العمل أولان العلم يجرالى العمل غالبا
 ﴿ ولا ينفعهم ﴾ اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع فى الدارين وفيه أن التحرز عنه
 أن نصيحك وفيه رد على الله تعالى وذلك كفرو قد ثبت أنهم كانوا مصومين قبل ذلك
 فلا يقع هذا منهم * الوجه الثانى أنهما خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وذلك
 فاسد لان الله تعالى لا يخير من أشرك وأن كان قد صحت توبتهما فلا عقوبة عليهما * الوجه
 الثالث أن المرأة لما فحرت فكيف يعقل أنها صعدت الى السماء وصارت كوكبا وعظم
 الله قدرها بحيث أقسم بها فى قوله فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس فبان بهذه الوجوه
 ركة هذه القصة والله أعلم بصحة ذلك وسقمه والاولى تنزيه الملائكة عن كل ما لا يليق
 بمنصبهم ﴿ وقوله عز وجل ﴾ ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولوا ﴾ يعنى وما يعلمان أحدا حتى
 ينصحه أولا ويقولوا ﴿ أنا نحن فتنة ﴾ أى ابتلاء ومحنة ﴿ فلا تكفر ﴾ أى لا تتعلم السحر
 فتعمل به فتكفر قيل يقولان أنا نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات فأن أبى قبول نصحهما
 وصم على التعليم يقولان له أنت هذا الرماد قبل عليه فإذا فعل ذلك خرج منه نور
 ساطع فى السماء فذلك الايمان والمعرفة وينزل شئ أسود مثل الدخان حتى يدخل مسامعه
 وذلك غضب الله تعالى ﴿ فيتعلمون منهما ﴾ يعنى من الملكين ﴿ ما يفرقون به بين
 المرء وزوجه ﴾ أى علم السحر الذى يكون سببا فى التفريق بين الزوجين كالتوهم
 والتخييل والفتن فى العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده البغضاء والنشور والخلاف
 بين الزوجين ابتلاء من الله تعالى لأن السحر له تأثير فى نفسه بدليل قوله ﴿ وما هم
 يعنى السحرة ﴾ بضارين به ﴿ أى بالسحر ﴾ من أحد ﴿ أى أحدا ﴾ إلا بأذن الله ﴿
 أى بعلمه وقضائه وتكوينه فالساحر يسحر والله تعالى يقدر ويكون ذلك بقضائه تعالى
 وقدرته ومشيئته ﴿ ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ﴾ يعنى السحر لانهم يقصدون به

وما يعلمان من أحد)
 ما يصفان يعنى الملكين
 لاحد (حتى يقولوا)
 اولاً (أنا نحن فتنة)
 ابتلاء بهذه الدعوة ندعو
 بها لكن لانشد العذاب
 على أنفسنا (فلا تكفر)
 فلا تتعلم ولا تعمل به
 (فيتعلمون منهما) بغير
 تعليمهما (ما يفرقون بين المرء وزوجه) ما يأخذ به الرجل على المرأة (وما هم بضارين به) بالسحر والفرقة (من أحد)
 لاحد (إلا بأذن الله) ألا بأرادة الله وعلمه (ويتعلمون) يعنى الشياطين واليهود والسحرة بعضهم من بعض
 (ما يضرهم) فى الآخرة (ولا ينفعهم) فى الدنيا

التي تجر الى الغواية (ولقد علموا) أى اليهود (لمن اشتراه) أى استبدل ماتلو الشياطين على كتاب الله (ماله فى الآخرة من خلاق) من نصيب (ولبس ما شروا به أنفسهم) باعواها وانما فى العلم عنهم بقوله (لو كانوا يعلمون) مع اثباته لهم بقوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمى لان معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم لا يعلمون (ولو أنهم آمنوا) برسول الله والقرآن (واتقوا) الله {الجزء الاول} فتركوا ما هم عليه من ﴿ ١٧٢ ﴾ نبد كتاب الله واتباع كتب الشياطين

(مثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون) أن ثواب الله خير تمام فيه وقد علموا لكنه جهلهم لما تركوا العمل بالعلم والمعنى لا يبيوا من عند الله ما هو خير وأوثرت الجملة الاسمية على الفعلية فى جواب لو لما فيها من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها ولم يقل لمثوبة الله خير لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم وقيل لو بمعنى التمنى كأنه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدأ المثوبة من عند الله خير (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا

أولى ﴿ ولقد علموا ﴾ أى اليهود ﴿ لمن اشتراه ﴾ أى استبدل ماتلو الشياطين بكتاب الله والظاهر أن اللام لام الابتداء علق علموا عن العمل ﴿ ماله فى الآخرة من خلاق ﴾ نصيب ﴿ ولبس ما شروا به أنفسهم ﴾ يحتمل المعنيين على مامهم ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ يتفكرون فيه أو يعلمون قبحه على التعيين أو حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم أولا على التوكيد القسمى العقل الفريزى أو العلم الاجمالى بقبح الفعل أو ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فإن من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ﴿ ولو أنهم آمنوا ﴾ بالرسول والكتاب ﴿ واتقوا ﴾ بترك المعاصى كنبذ كتاب الله واتباع السحر ﴿ لمثوبة من عند الله خير ﴾ جواب لو وأصله لا يبيوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به أنفسهم فحذف الفعل وركب الباقى جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة والحزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من أن ينسب اليه وتكثير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لوللتمنى ومثوبة كلام مبتدأ * وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزء ثوبا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ أن ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك التدبر أو العمل بالعلم ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا

ولافى الآخرة (ولقد علموا) أى اليهود (لمن اشتراه) أى استبدل ماتلو الشياطين على كتاب الله (ماله فى الآخرة من خلاق) من نصيب (ولبس ما شروا به أنفسهم) باعواها وانما فى العلم عنهم بقوله (لو كانوا يعلمون) مع اثباته لهم بقوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمى لان معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم لا يعلمون (ولو أنهم آمنوا) برسول الله والقرآن (واتقوا) الله {الجزء الاول} فتركوا ما هم عليه من ﴿ ١٧٢ ﴾ نبد كتاب الله واتباع كتب الشياطين

الشر ﴿ ولقد علموا ﴾ أى اليهود ﴿ لمن اشتراه ﴾ أى اختار السحر ﴿ ماله فى الآخرة من خلاق ﴾ نصيب فى الجنة ﴿ ولبس ما شروا به أنفسهم ﴾ أى باعوا حظ أنفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ * فإن قلت كيف أثبت الله لهم العلم أولا فى قوله ولقد علموا على التوكيد القسمى ثم نفاه عنهم آخر فى قوله لو كانوا يعلمون * قلت قد علموا أن من اشترى السحر ماله فى الآخرة من خلاق ثم مع هذا العلم خالفوا واشتغلوا بالسحر وتركوا العمل بكتاب الله تعالى وما جاء به الرسل عنادا منهم وبغيا وذلك على معرفة منهم بالملن فعل ذلك منهم من العقاب فكأنهم حين لم يعملوا بعلمهم كانوا منسلحين منه ﴿ ولو أنهم ﴾ أى اليهود ﴿ آمنوا ﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ﴿ واتقوا ﴾ أى اليهودية والسحر وما يؤتمم ﴿ لمثوبة من عند الله ﴾ أى لكان ثواب الله أيهم ﴿ خير ﴾ لهم معنى هذا الثواب ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ معنى ذلك * قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا ﴾ سبب نزول هذه الآية أن المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله من المراعاة

يعلمون) ولكن لا يعلمون ويقال وقد كانوا يعلمون فى كتابهم (ولو أنهم) أى اليهود (آمنوا) بمحمد ﴿ أى ﴾ والقرآن (واتقوا) تابوا من اليهودية والسحر (لمثوبة من عند الله) لكان ثوابهم عند الله (خير) من السحر واليهودية (لو كانوا يعلمون) يصدقون بثواب الله ولكن لا يعلمون ولا يصدقون ويقال قد كانوا يعلمون فى كتابهم * ثم ذكر نهيهم للمؤمنين عن لغة اليهود فقال (يا أيها الذين آمنوا) محمد والقرآن (لا تقولوا) لمحمد (راعنا)

وقولوا انظرونا) كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى عليهم شيئا من العلم راغنا يا رسول الله أى راقبنا وانظرنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة ﴿١٧٣﴾ يتسابون بها عبرانية {سورة البقرة} أو سريانية وهى راغنا

فلما سمعوا يقول المؤمنون راغنا افترضوه وخطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنبى المؤمنون عنها وأمرها بما هو فى معناها وهو انظرنا من نظره اذا انظره (واسمعوا) وأحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقى عليكم من المسائل بأذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة أو واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكون سماعكم كسماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا (وللكافرين)

ولليهود الذين سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم (عذاب أليم) مؤلم (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم) وبالتخفيف مكى وأبو عمرو (من خير من ربكم) من الاولى للبيان

سمعك يابى الله (وقولوا انظرونا) أى انظر الينا واسمع منا يابى الله وكان بلغتهم راغنا اسمع لا سمعت فن ذلك نهى الله المؤمنين عن لغة اليهود (واسمعوا) ماتؤمرون به وأطيعوا (وللكافرين) لليهود (عذاب أليم) وجمع يخلص

وقولوا انظرونا ﴿الرعى﴾ حفظ الغير لمصطلحه وكان المسلمون يقولون للرسول عليه الصلاة والسلام راغنا أى راقبنا وتأن بنا فيما لقننا حتى نفهمه وسمعوا اليهودنا فترضوه وخطبوا به مردين نسبته الى الرعن أو سبه بالكلمة العبرانية التى كانوا يتسابون بها وهى راغنا فنهى المؤمنون عنها وأمرها بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التليس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا أو انظرنا من نظره اذا انتظره * وقرئ انظرنا من الانظار أى أمهلنا للحفظ * وقرئ راغونا على لفظ الجمع للتوقير وراغنا بالتثنية أى قولا ذارعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شبه قولهم راغنا وتسبب للسبب ﴿واسمعوا﴾ وأحسنوا الاستماع حتى لا تنفروا الى طلب المراعاة أو واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود أو واسمعوا ما أمرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتهم عنه ﴿وللكافرين عذاب أليم﴾ يعنى الذين تهاونوا بالرسول عليه الصلاة والسلام وسبوه ﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين﴾ نزلت تكذبا لجمع من اليهود يظهرن مودة المؤمنين ويزعمون أنهم يودون لهم الخير * والود محبة الشئ مع تحميه ولذلك يستعمل فى كل منهما ومن للتبيين كما فى قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ﴿أن ينزل عليكم من خير من ربكم﴾ مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر

أى راغنا سمعك وفرغه لكلامنا وكانت هذه اللفظة سابقا بما بلغه اليهود ومعناها عندهم اسمع لا سمعت وقيل من الرعوناة اذا أرادوا أن يحتمقوا أنسانا قالوا راغنا يعنى أحق فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين قالوا فيما بينهم كنا سب محمدا سرا فاعلنوا به الآن فكانوا يأتونه ويقولون راغنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ رضى الله تعالى عنه فظن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود لئن سمعنا من أحد منكم يقولها الرسول الله صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه فقالوا أولستم تقولونها فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راغنا أى لى لا يجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم رسول الله عليه وسلم ﴿وقولوا انظرونا﴾ أى انظر الينا وقيل معناه انظرنا وتأن بنا وفهمنا ﴿واسمعوا﴾ أى ماتؤمرون به وأطيعوا نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يقولوا لنبى محمد صلى الله عليه وسلم راغنا ثلاثا يتطرق أحد الى شتمه وأمرهم بتوقيره وتعظيمه وأن يتخبروا خطابه صلى الله عليه وسلم من الالفاظ أحسنها ومن المعانى أدقها وأن سألوه يسألوه بتجليل وتعظيم ولين ولا يخاطبوه بما يسر اليهود ﴿وللكافرين﴾ يعنى اليهود ﴿عذاب أليم﴾ أى مؤلم ﴿ما يود﴾ أى ما يحب ﴿الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ يعنى اليهود ﴿ولا المشركين﴾ يعنى عبدة الاوثان لان الكفر اسم جنس تحته نوعان أهل كتاب وهم الذين بدلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعبدة الاوثان وهم من عبدوا غير الله ﴿أن ينزل عليكم من خير من ربكم﴾ يعنى ما أنزل الله عز وجل على نبىه صلى الله

وجعه الى قلوبهم (ما يمتنى) (الذين كفروا من أهل الكتاب) كعب بن الاشرف وأصحابه (ولا المشركين) مشركى العرب أبو جهل وأصحابه (أن ينزل عليكم) أن ينزل الله جبريل على نبيكم (من خير) بخير بالنبوة والاسلام والكتاب (من ربكم)

لان الذين كفروا جنس تحته نوعان أهل الكتاب والمشركون والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية
والخير الوحي وكذلك الرحمة (والله يختص برحمته من يشاء) يعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى اليهم فيحسدونكم
وما يحبون أن ينزل عليكم شئ من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء (والله ذو الفضل العظيم) فيه اشعار بأن ابتداء النبوة
من الفضل العظيم ولما ظعنوا في النسخ فقالوا ألا ترون الى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا
ويرجع عنه غدا نزل { الجزء الاول } (ما ننسخ من آية أو ننسها) ﴿ ١٧٤ ﴾ تفسير النسخ لغة التبديل وشرعية بيان

انتهاء الحكم الشرعى
المطلق الذى تقرر فى
أوهامنا استمراره بطريق
التراخي فكان تبديلا فى
حقنا بيانا محضافى حق
صاحب الشرع وفيه جواب
عن البداء الذى يدعيه
منكروه أعنى اليهود ومجمله
حكم يحتمل الوجود
والعدم فى نفسه لم يلحق به
ماينا فى النسخ من توقيت
أو تأييد ثبت نصا أو دلالة
وشرطه التمكن من عقد
القلب عندنا دون التمكن
من الفعل خلافا للمعتزلة
وانما يجوز النسخ بالكتاب
والسنة متفقا ومختلفا
وجوز نسخ التلاوة
والحكم والحكم دون التلاوة
والتلاوة دون الحكم ونسخ
وصف بالحكم مثل الزيادة على
النص فإنه نسخ عندنا خلافا
للشافعى رحمه الله والانساء أن
يذهب بخفضها عن القلوب
أو نساها مكى وأبو عمرو وأى
تؤخرها من نساها أى أخرت

عليه وسلم من الوحي والنبوة وانما كرهت اليهود وأتباعهم من المشركين ذلك حسدا
وبغيا منهم على المؤمنين وذلك أن المسلمين قالوا لخلقائهم من اليهود آمنوا بمحمد صلى الله
عليه وسلم قالوا ما هذا الذى تدعوننا اليه بخير مما نحن فيه ولوددنا لو كان خيرا فانزل الله
تعالى هذه الآية تكذيبا لهم ﴿ والله يختص برحمته من يشاء ﴾ يعنى أنه تعالى يختص
بنبوته ورسالاته من يشاء من عباده ويتفضل بالايان والهداية على من أحب من خلقه
رحمة منه لهم ﴿ والله ذو فضل العظيم ﴾ يعنى أن كل خير ناله عباده فى دينهم ودنياهم
فأنه منه ابتداء وتفضلا عليهم من غير استحقاق أحد منهم لذلك بل له الفضل والمنة على خلقه
﴿ قوله عز وجل ﴾ ما ننسخ من آية أو ننسها ﴿ الآية ﴾ وسبب نزولها أن المشركين قالوا
ان محمدا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه
غدا ما يقول الأمان تلقاه نفسه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم
بما ينزل قالوا انما أنت مفتر فانزل ما ننسخ من آية فبين بهذه الآية وجه الحكمة فى النسخ
وأنه من عنده لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم وأصل النسخ فى اللغة يكون بمعنى النقل =

والله يختص برحمته) يختار لدينه والنبوة والاسلام والكتاب (من يشاء) من كان أهلا لذلك يعنى محمدا صلى الله (والجواب)
عليه وسلم (والله ذو الفضل العظيم) ذو المن الكبير بالنبوة والاسلام على محمد ثم ذكر ما ننسخ من القرآن وما لم ينسخ بمقالة قرئش
تأمرنا يا محمد بأمر ثم نهانا عنه فقال (ما ننسخ من آية) مانسخ من آية وقد عمل بها فلا تعمل بها (أو ننسها) نتركها غير منسوخة للعمل بها

ونسكها بأظهار المفعولين ﴿ نأت بخير منها أو مثلها ﴾ أى بما هو خير للعباد فى النفع والثواب أو مثلها فى الثواب «وقرأ أبو عمرو بقلب الهمزة ألفا ﴿ ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير ﴾ فيقدر على النسخ والائمان بمثل المنسوخ أو بما

فأيدكروا منها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فعدوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السورة رفعت بتلاوتها وحكمها أخرج البغوى بغير سند وقيل أن سورة الاحزاب كانت مثل سورة البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكامها الوجه الثانى مارفع تلاوته وبقى حكمه مثل آية الرجم * روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأها ووعيناها وعلقناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجنا بعده فاخشى أن طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وان الرجم فى كتاب الله حق على من زنى اذا أحسن من الرجال والنساء اذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف أخرجه مسلم وللبخارى نحوه * الوجه الثالث مارفع حكمه وثبت خطه وتلاوته وهو كثير فى القرآن مثل آية الوصية للاقربين ونسخت بآية الميراث عند الشافعى وبالسنه عند غيره وآية عدة الوفاة بالحلول نسخت بآية أربعة أشهر وعشرا وآية القتال وهى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون بغلبوا ما أتت الآياتة نسخت بقوله الآن خفف الله عنكم وعلم أن فىكم ضعفا الآية ومثل هذا كثير فى القرآن «وأما معنى الآية فقوله ما ننسخ من آية أى نرفعها ونرفع حكمها أو ننسخها قرى بضم النون وكسر السين ومعناها تبتها على قلبك وقال ابن عباس رضى الله عنهما تتركها لانسخها وقيل معناه نأمر بتركها فعلى هذا يكون النسخ الاول رفع الحكم واقامة غيره مقامه والانساء نسخ من غير اقامة غيره مقامه «وقرى نساها بفتح النون والسين وبالهمزة ومعناها تؤخرها فلا تنزلها أو نرفع تلاوتها وتؤخر حكمها كآية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الاول بمعنى رفع التلاوة والحكم قال سعيد بن المسيب وعطاء رضى الله عنهما ما ننسخ من آية فهو ما نزل من القرآن جعلناه من نسخ الكتاب اذا نقلته الى كتاب آخر ونساها أى تؤخرها وتتركها فى اللوح المحفوظ فلا تنزلها ﴿ نأت بخير منها ﴾ أى بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لاجوركم وليس معناه أن آية خير من آية لان كلام الله تعالى كله واحد ﴿ أو مثلها ﴾ أى فى المنفعة والثواب «فانسخ الى الايسر كان أسهل فى العمل كالذى كان على المؤمنين من فرض قيام الليل ثم نسخ ذلك فكان خير الهم فى عاجلهم لسقوط التعب والمشقة عليهم «وما ننسخ الى الاشق كان أكمل فى الثواب كالذى كان عليهم من صيام أيام معدودات فى السنه فنسخ ذلك وفرض صيام شهر رمضان فكان صوم شهر كامل فى كل سنة أثقل على الابدان وأشق من صيام أيام معدودات فكان ثوابه أكمل وأكثره أما المثل فكأنسخ التوجه الى بيت المقدس وصرفه الى المسجد الحرام واستواء الاجر فى ذلك لان على المصلى التوجه الى حيث أمره الله تعالى ﴿ ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير ﴾ أى على النسخ والتبديل والمعنى ألم تعلم

(نأت بخير منها)
أى نأت بآية خير منها
للعباد أى بآية العمل بها
أكثر للثواب (أو مثلها)
فى ذلك اذا لفضيلة لبعض
الآيات على البعض (ألم تعلم
أن الله على كل شىء قدير)
أى قادر فهو يقدر على

(نأت بخير منها) أى
نرسل جبريل بانفع من
المنسوخ وأهون فى العمل
بها (أو مثلها) فى الثواب
والنفع والعمل (ألم تعلم)
يا محمد (أن الله على كل
شىء) من النسخ والمنسوخ
(قدير)

على الخير وعلى مثله (ألم تعلم
أن الله له ملك السموات
والارض) فهو ملك أموركم
ويدبرها وهو أعلم بما
يتبعكم به من ناسخ أو منسوخ
(ومالكم من دون الله من ولي)
يلي أمركم (ولانصير)
ناصر يمنعكم من العذاب
(أم تريدون) أم منقطعة
وتقديره بل أتريدون
(أن تسألوا رسولكم
كاسئل موسى من قبل)
روى أن قريشا قالوا يا محمد
اجعل لنا الصفا ذهابا ووسع
لنا أرض مكة فنهوا أن
يقترحوا عليه الآيات كما
اقترح قوم موسى عليه حين

هو خير منه* والآية دلت على جواز النسخ وتأخير الانزال إذ الاصل اختصاص
أن وما تضمنها بالامور المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح
العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار
والاشخاص كأسباب المعاش فأن النافع في عصر قديصر في عصر غيره واحتج به من منع
النسخ بالابدل أو ببدل أنقل ونسخ الكتاب بالسنة فأن الناسخ هو المأني به بدلا
والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم أو الاثقل أصل والنسخ قديصر
بغيره والسنة مما أتى به الله تعالى وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ
والمعتزلة على حدوث القرآن فأن التغير والتفاوت من لوازمه* وأجيب بأنهما من عوارض
الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم ﴿ ألم تعلم ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمراد هو وأمه لقوله ومالكم وأنما أفردته لانه أعلمهم ومبدأ علمهم ﴿ أن الله له
ملك السموات والارض ﴾ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله أن الله
على كل شيء قدير أو على جواز النسخ ولذلك ترك العاطف ﴿ ومالكم من دون الله
من ولي ولا نصير ﴾ وأنما هو الذي يملك أموركم ويجريها على ما يصلحكم* والفرق بين
الولي والنصير أن الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون أجنبيا عن المنصور
فيكون بينهما عموم من وجه ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كاسئل موسى من قبل ﴾
أم معادلة للهمزة في ألم تعلم أي ألم تعلموا أنه مالك الامور قادر على الاشياء كلها أمر وينهى
كأراد ألم تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحتم اليهود على موسى عليه الصلاة والسلام

ألم تعلم) يا محمد (أن الله له ملك
السموات والارض) يعنى
خزان السموات والارض
يأمر عباده بما يشاء لانه
عليم بصلاحهم (ومالكم)
يامعشر اليهود (من دون
الله) من عذاب الله
(من ولي) من قريب ينفعكم
ولا حافظ يحفظكم (ولا
نصير) مانع يمنعكم (أم
تريدون) أتريدون (أن
تسألوا رسولكم) رؤية
الرب وكلامه وغير ذلك
(كاسئل موسى) كاسأل
من موسى بنو إسرائيل
(من قبل) من قبل محمد

يا محمد أنى قادر على تعويضك مما نسخت من أحكامى وغيرته من فرائضى التى كنت افترضتها
عليك ما أشاء مما هو خير لك ولعبادى المؤمنين وأنفع لك ولهم عاجلا وأجلا ﴿ ألم تعلم
أن الله له ملك السموات والارض ﴾ يعنى أنه تعالى هو المتصرف فى السموات والارض وله
سلطانها دون غيره يحكم فيها وفيما فيها بما شاء من أمر ونهى ونسخ وتبديل وهذا
الخبر وأن كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب لليهود الذى أنكروا
النسخ وجمحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فأخبرهم الله أن له ملك السموات
والارض وان اخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه يحكم فيها بما يشاء وعلبهم السمع والطاعة
﴿ ومالكم ﴾ يعنى يامعشر الكفار عند نزول العذاب ﴿ من دون الله ﴾ أى مما سوى الله
﴿ من ولي ﴾ أى قريب وصديق وقيل من وال وهو المقيم بالامور ﴿ ولا نصير ﴾ أى
ناصر يمنعكم من الذاب وقيل فى معنى الآية وليس لكم أيها المؤمنون بعد الله من قيم يأمركم
ولا نصير يؤيدكم ويقويكم على أعدائكم ﴿ قوله عز وجل ﴾ أم تريدون أن تسألوا رسولكم ﴿
نزلت فى اليهود وذلك أنهم قالوا يا محمد أتينا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة وقيل
أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن تؤمن لك حتى تأتى بالله والملائكة قبلا
كسأل قوم موسى فقالوا أرنا الله جهرة فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى أتريدون
وقيل بل تريدون أن تسألوا رسولكم يعنى محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ كاسئل موسى من قبل ﴾

قالوا اجعل لنا لها (ومن {الجزء الاول} يتبدل الكفر بالايان) ومن ترك ﴿١٧٨﴾ الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح

أو منقطعة والمراد أن يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت في أهل الكتاب حين سألوا أن ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لنؤمن لربك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ﴿ومن يتبدل الكفر بالايان فقد ضل سواء السبيل﴾ ومن ترك الثقة بالآيات البيئات وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى الآية لا تقترحوا فضلوا وسط السبيل ويؤدى بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايان وقريء يبدل من أبدا ﴿ود كثير من أهل الكتاب﴾ يعنى أحبارهم ﴿لو يردونكم﴾ أن يردوكم فأن لو تنوب عن أن في المعنى دون اللفظ ﴿من بعد أيمانكم كفارا﴾ مرتدين وهو حال من ضمير الخطابين ﴿حسدا﴾ علة ود ﴿من عند أنفسهم﴾ يجوز أن يتعلق بـود أى تمنوا ذلك من عند أنفسهم وتشهيمهم لان قبل التدين والميل مع الحق أو بحسدا أى حسدا بالغا منبعثا من أصل نفوسهم ﴿من بعد ما تبين لهم الحق﴾ بالمجزات والنعوت المذكورة في التوراة

وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام سأله قومه فقالوا أرنا الله جهرة في الآية منهم ونهيم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلالات والمجزات وثبوت الحجج والبراهين على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ومن يتبدل﴾ أى يستبدل ﴿الكفر بالايان فقد ضل سواء السبيل﴾ أى أخطأ قصد الطريق وقيل أن قوله ومن يتبدل الكفر بالايان خطاب للمؤمنين أعلمهم أن اليهود أهل غش وحسد وأنهم يمتنون للمؤمنين المكراه فهاهم الله تعالى أن يقبلوا من اليهود شيئا ينصحونهم به في الظاهر وأخبرهم أن من ارتد عن دينه فقد أخطأ قصد السبيل ﴿قوله عز وجل﴾ ود كثير من أهل الكتاب ﴿نزلت هذه الآية في نفر من اليهود وذلك أنهم قالوا الحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر رضى الله عنهما بعد وقعة أحد لو كنتم على الحق ما هربتم فارجموا الى ديننا فحن أهدي سبيلا منكم فقال عمار بن ياسر كيف نقض العهد فكم قالوا شديد قال أى عاهدت أن لا اكفر بحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت قالت اليهود أما هذا فقد ضبا وقال حذيفة أما أنا فقد رضيت بالله ربوا بحمد رسولا وبالاسلام ديننا وبالقرآن أما ما وبالكمة قلة وبالمؤمنين أخوانا ثم أنهما أتيار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بذلك فقال اصبتما الخير وافتحتما فانزل الله تعالى ودأى تمنى كثير من أهل الكتاب يعنى اليهود ﴿لو يردونكم﴾ أى يامعشر المؤمنين ﴿من بعد أيمانكم كفارا﴾ أى ترجعون الى ما كنتم عليه من الكفر ﴿حسدا﴾ أى يحسدونكم حسدا * وأصل الحسد تمنى زوال النعمة عن يستحقها وربما يكون مع ذلك سعى في ازالتها والحسد مذموم لما روى عن أنى هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب أخرجه أبو داود فأذا أنعم الله على عبده نعمة فتمنى آخرز والها عنه فهذا هو الحسد وهو حرام فإن استعان بتلك النعمة على الكفر والمعاصي فتمنى آخرز والها عنه فليس يحسد ولا يحرم ذلك لانه لم يحسده على تلك النعمة من حيث أنها نعمة بل من حيث أنه يتوصل بتلك النعمة الى الشر والفساد وقوله عز وجل ﴿من عند أنفسهم﴾ أى من تلقاء أنفسهم لم يأمرهم الله بذلك ﴿من بعد ما تبين لهم الحق﴾ يعنى في التوراة أن قول محمد صلى الله عليه

غيرها (فقد ضل سواء السبيل) قصده ووسطه (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم) أن يردوكم (من بعد أيمانكم كفارا) حال من كم أى يردونكم عن دينكم كافرين نزلت حين قالت اليهود للمسلمين بعد وقعة أحد ألم تروا الى ما أصابكم ولو كنتم على الحق لما هزتم فارجموا الى ديننا فهو خير لكم (حسدا) مفعول له أى لاجل الحسد وهو الاسف على الخير عند الغير (من عند أنفسهم) يتعلق بـود أى ودوا من عند أنفسهم ومن قبل شهوتهم لان قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك (من بعد ما تبين لهم الحق) أى من

صلى الله عليه وسلم (ومن يتبدل الكفر بالايان) اختار الكفر على الايمان (فقد ضل سواء السبيل) ترك قصد طريق الهدى (ود) تمنى (كثير من أهل الكتاب) كعب بن الاشرف وأصحابه وفتحاص ابن عادوزاء وأصحابه (لو يردونكم) ان يردوكم يا عمار يا حذيفة ويا معاذين جبل (من بعد أيمانكم) بحمد والقرآن (كفارا) حتى ترجعوا كفارا الى دينهم (حسدا من عند أنفسهم) حسدا منهم (من بعد ما تبين لهم الحق) (وسلم)

حتى ترجعوا كفارا الى دينهم (حسدا من عند أنفسهم) حسدا منهم (من بعد ما تبين لهم الحق) (وسلم)

بعد علمهم بأنكم على الحق أو بحسداً أي حسداً متبالمنا من أصل نفوسهم (فاعفوا واصفحوا) فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة (حتى يأتي الله بأمره) بالقتال (أن الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على الانتقام منهم (واقبوا الصلوة وآتوا الزكوة وما تقدموا لأنفسكم من خير) من حسنة صلاة أو صدقة أو غيرهما (تجدوه عند الله) تجدوا ثوابه عنده (أن الله بما تعملون بصير) فلا يضيع ﴿١٧٩﴾ عنده عمل عامل والضمير {سورة البقرة} في (وقالوا لن يدخل الجنة

الأمم كان هوداً أو نصارى) لاهل الكتاب من اليهود والنصارى أي وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله وأما من الإلباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما صاحبه ألا ترى إلى قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهود جمع هاند كما نذ وعود ووحده اسم كان للفظ من وجمع الخبر لمعناه (تلك أمانهم) في كتابهم أن محمداً ودينه وفته وصفته هو الحق (فاعفوا) فاتركوا (واصفحوا) أعرضوا (حتى يأتي الله بأمره) بعذابه على بني قريظة والنضير من القتل والسبي والاجلاء (أن الله على كل شيء) من القتل والاجلاء (قدير واقبوا الصلوة) آتموا الصلوات الخمس (وآتوا الزكوة) أعطوا

﴿فاعفوا واصفحوا﴾ العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم أو قتل قريظة وأجلاء بني النضير وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه منسوخ بآية السيف وفيه نظر إذ الأمر غير مطلق ﴿أن الله على كل شيء قدير﴾ فيقدر على الانتقام منهم ﴿واقبوا الصلوة وآتوا الزكوة﴾ عطف على فاعفوا كأنه أمرهم بالصبر والمخالفة واللجأ إلى الله تعالى بالعبادة والبر ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير﴾ كصلاة وصدقة وقرئ تقدموا من أقدم ﴿تجدوه عند الله﴾ أي ثوابه ﴿أن الله بما تعملون بصير﴾ لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا ﴿وقالوا﴾ عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى ﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى﴾ لف بين قولي الفريقين كافي قوله تعالى وقالوا كونوا هوداً أو نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هاند كعود وعائد وتوحيد الاسم المضمرة وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى ﴿تلك أمانهم﴾ وسلم ودينه حق لا يشكون فيه فكفروا به حسداً وبغياً ﴿فاعفوا واصفحوا﴾ أي فقبضوا ووما كان منهم من إساءة وحسد وكان هذا الأمر بالعفو والصفح قبل أن يؤمر بالقتال ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ أي بعذابه وهو القتل والسبي لبني قريظة والاجلاء والنبي لبني النضير قال ابن عباس رضي الله عنهما هو أمر الله بقتالهم في قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية ﴿أن الله على كل شيء قدير﴾ فيه وعيد وتهديد لهم ﴿واقبوا الصلوة وآتوا الزكوة﴾ لما أمر الله المؤمنين بالعفو والصفح عن اليهود أمرهم بما فيه صلاح أنفسهم من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة الواجبتين ونبه بذلك على سائر الواجبات ثم قال تعالى ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير﴾ أي من طاعة وعمل صالح وقيل أراد بالخير المال يعني صدقة التطوع لأن الزكاة تقدم ذكرها ﴿تجدوه عند الله﴾ يعني ثوابه وأجره حتى التمرة واللقمة مثل أحد ﴿أن الله بما تعملون بصير﴾ أي لا يخفى عليه شيء من قليل الأعمال وكثيرها ففيه ترغيب في الطاعات وأعمال البر وجرع من المعاصي ﴿قوله عز وجل﴾ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ﴿يعني يهودياً وقيل هو جمع هاند﴾ أو نصارى ﴿وذلك أن اليهود قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً ولادين الأدين اليهودية وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارياً ولادين الأدين النصرانية قيل نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا مع اليهود في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب بعضهم بعضاً في دعواه قال الله ﴿تلك أمانهم﴾

زكاة أموالكم (وما تقدموا لأنفسكم) تسلفوا لأنفسكم (من خير) من عمل صالح وزكاة وصدقة (تجدوه) تجدوا ثوابه (عند الله) من عند الله (أن الله بما تعملون) تنفقون من الصدقة والزكاة (بصير) بنياتكم (وقالوا) يعني اليهود (لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً) إلا من مات على اليهودية بزعمهم (أو نصارى) وكذلك قالت النصارى (تلك أمانهم) تمنهم أي تمنوا على الله ما ليس في

أشير بها إلى الاماني المذكورة وهي أمنيته ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأمنيته ان لا يدخل الجنة غيرهم أي تلك الاماني الباطلة أمانهم والامنية أفعولة من التقي مثل الاضحوكة (قل هاتوا برهانكم) هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة { الجزء الاول } وهات بمنزلة هاء ﴿ ١٨٠ ﴾ في معنى احضر وهو متصل بقولهم

اشارة الى الاماني المذكورة وهي أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأن يردوهم كفارا وأن لا يدخل الجنة غيرهم أو الى ما في الآية على حذف المضاف أي أمثال تلك الامنية أمانهم والجملة اعتراض والامنية أفعولة من التقي كالاضحوكة والاعجوبة ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ على اختصاصكم بدخول الجنة ﴿ أن كنتم صادقين ﴾ في دعواكم فإن كل قول لادليل عليه غير ثابت ﴿ بلى ﴾ أثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة ﴿ من أسلم وجهه لله ﴾ أخلص له نفسه أو وقصده وأصله العضو ﴿ وهو محسن ﴾ في عمله ﴿ فله أجره ﴾ الذي وعدله على عمله ﴿ عند ربه ﴾ ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من أن كانت شرطية وخبرها أن كانت موصولة والفاء فيها حينئذ تضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز أن يكون من أسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من أسلم ﴿ ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ في الآخرة ﴿ وقالت اليهود ليست النصراني على شيء ﴾ وقالت النصراني ليست اليهود على شيء ﴿ أي على أمر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاهم أخبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك

أي شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير حق ﴿ قل ﴾ يعني يا محمد ﴿ هاتوا برهانكم ﴾ أي حجتكم على دعواكم أن الجنة لا يدخلها إلا من كان يهوديا أو نصرانيا دون غيرهم ﴿ أن كنتم صادقين ﴾ يعني فيما تدعون ﴿ ثم قال تعالى ردا عليهم ﴾ بلى ﴿ أي ليس الامر كما تزعمون ولكن ﴾ من أسلم وجهه لله وهو محسن ﴿ فإنه الذي يدخل الجنة وينعم فيها ومعنى أسلم وجهه لله أخلص في دينه لله وقيل أخلص عبادته لله وقيل خضع وتواضع لله لان أصل الاسلام الاستسلام وهو الخضوع وانما خص الوجه بالذكر لانه أشرف الاعضاء واذا جاد الانسان بوضع وجهه على الارض في السجود فقد جاد بجميع أعضائه قال عمرو بن نفيل

وأسلمت وجهي لمن أسلمت * له الارض تحمل صخرها ثقلا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت * له المزن تحمل عذبا زلالا

يعني بذلك استسلمت اطاعته الارض والمزن وهو محسن أي في عمله لله ﴿ فله أجره عند ربه ﴾ أي ثواب عمله ﴿ ولا خوف عليهم ﴾ أي في الآخرة ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ أي على ما فاتهم من الدنيا ﴿ قوله عز وجل ﴾ وقالت اليهود ليست النصراني على شيء وقالت النصراني ليست اليهود على شيء ﴿ نزلت في يهود المدينة ونصارى نجران وذلك أن وفد نجران لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم أخبار اليهود وتناظروا حتى ارتفعت

لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وتلك أمانهم اعتراض (أن كنتم صادقين) في دعواكم (بلى) أثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة (من أسلم وجهه لله) من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره (وهو محسن) مصدق بالقرآن (فله أجره) جواب من أسلم وهو كلام مبتدأ متضمن لمعنى الشرط وبلى رد لقولهم (يعتد به ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقالت اليهود ليست النصراني على شيء وقالت النصراني ليست اليهود على شيء (أي على شيء يصح ويعتد به

كتابهم) (قل) يا محمد لكلا الفريقين (هاتوا برهانكم) يعني حجتكم من كتابكم (أن كنتم صادقين) في مقالكم (بلى) ليس كما قنتم ولكن (من أسلم وجهه لله) من أخلص دينه وعمله لله (وهو محسن) في القول والفعل (فله أجره) ثوابه (عند ربه) في الجنة (ولا خوف عليهم) بخلود النار (ولا هم يحزنون) بذهاب الجنة * ثم ذكر مقالة اليهود والنصارى

(أصواتهم)

في خصوصتهم في الدين فقال (وقالت اليهود) يهود أهل المدينة (ليست النصراني على شيء) من (أصواتهم) من دين الله ولادين دين الله ولادين الألبودية (وقالت النصراني) نصارى أهل نجران (ليست اليهود على شيء) من دين الله ولادين

والواو في (وهم يتلون الكتاب) للحال والكتاب للجنس أى قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب وحق من جل التوراة والانجيل و آمن به أن لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للآخر (كذلك) مثل ذلك القول الذى سمعت به قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) أى الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة قالوا الاهل كل دين ليسوا على شئ وهذا توبيخ عظيم لهم ﴿ ١٨١ ﴾ حيث نظموا أنفسهم مع ﴿سورة البقرة﴾ علمهم في سلك من لا يعلم

(فالله يحكم بينهم يوم القيامة) فيما كانوا فيه يختلفون) أى بين اليهود والنصارى بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب اللائق به (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) موضع من رفع على الابتداء وهو استهزام وأظلم خبره والمعنى أى أحد أظلم وان يذكر ثانى مفعولى منع لانك تقول منعه كذا ومثله وما منعنا أن نرسل بالآيات وما منع الناس أن يؤمنوا ويحوز أن يحذف حرف الجر مع ان أى من أن يذكر وان تنصبه مفعولاً له بمعنى منعه كراهة أن يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه طرح النصارى في بيت المقدس الاذى ومنعهم الناس أن يصلوا فيه أو منع المشركين رسول الله أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية وانما قيل مساجد الله وكان المنع على مسجد

﴿وهم يتلون الكتاب﴾ الواو للحال والكتاب للجنس أى قالوا ذلك وهم من أهل العلم والكتاب ﴿كذلك﴾ ذلك مثل ﴿قال الذين لا يعلمون مثل قولهم﴾ كعبدة الاصنام والمعطلة ونجهم على المكابرة والتشبه بالجهال * فأن قيل لم ونجهم وقد صدقوا فأن كلا الدينين بعد النسخ ليس بشئ * قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الآخر من أصله والكفر بنبيه وكتابه مع أن مالم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به ﴿فالله يحكم﴾ يفصل ﴿بينهم﴾ بين الفريقين ﴿يوم القيامة﴾ فيما كانوا فيه يختلفون ﴿بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم أن يكذبهم ويدخلهم النار﴾ ومن أظلم ممن منع مساجد الله ﴿عام لكل من خرب مسجدا أو سعى في تعطيل مكان مرشح للصلاة وأن نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا أهله أو في المشركين لما منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية﴾ أن يذكر فيها اسمه ﴿ثانى مفعولى منع

أصواتهم فقالت اليهود للنصارى ما أتم على شئ من الدين وكفروا بيسى والانجيل وقالت النصارى لليهود ما أتم على شئ من الدين وكفروا بموسى والتوراة فانزل الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ ﴿وهم يتلون الكتاب﴾ يعنى وكلا الفريقين يقرؤن الكتاب وليس في كتابهم هذا الاختلاف فدل ذلك تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم لما فيه على كفرهم وكونهم على الباطل وقيل أن الانجيل الذى تدين بصدقه النصارى يحقق ما فى التوراة من نبوة موسى وما فرض الله فيها على بنى إسرائيل من الفرائض وان التوراة التى تدين بصدقها اليهود تحقق نبوة عيسى وما جاء به من عند ربه من الاحكام ثم كلا الفريقين قالوا ما أخبر الله عنهم بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ مع علم كل واحد من الفريقين بظلمان ما قاله ﴿كذلك قال الذين لا يعلمون﴾ يعنى مشركى العرب قالوا فى نبى محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم ليسوا على شئ ﴿مثل قولهم﴾ يعنى مثل قول اليهود للنصارى والنصارى لليهود وقيل أم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا فى انبيائهم ليسوا على شئ ﴿فالله يحكم﴾ أى يقضى ﴿بينهم يوم القيامة﴾ يعنى بين الحق والباطل ﴿فما كانوا فيه يختلفون﴾ يعنى من أمر الدين ﴿قوله عز وجل﴾ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ﴿نزلت

الانصرانية (وهم يتلون الكتاب) وكلا الفريقين يقرؤن الكتاب ولا يؤمنون ويقولون ما ليس فيه (كذلك) هكذا قال الذين لا يعلمون (توحيد الله من آياتهم ويقال كتاب الله من غيرهم (مثل قولهم) شبه قولهم (فالله يحكم) يقضى (بينهم) بين اليهود والنصارى (يوم القيامة فيما كانوا فيه) من الدين (يختلفون) يخالفون. ثم ذكر ططوس بن اسبيانوس الرومى ملك النصارى الذى خرب بيت المقدس فقال (ومن أظلم) فى كفره (ممن منع مساجد الله) خرب بيت المقدس (أن يذكر فيها اسمه) لكيلا يذكر فيها اسمه بالتوحيد

واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام لان الحكم ورد عاما وان كان السبب خاصا كقوله تعالى ويل لكل همزة والمنزل فيه الاخنس بن شريق (وسعى { الجزء الاول } في خرابها) بانقطاع ﴿ ١٨٢ ﴾ الذكر والمراد بمن العموم كأريد

﴿ وسعى في خرابها ﴾ بالهدم أو التعطيل ﴿ أولئك ﴾ أى المانعون ﴿ ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ﴾ ما كان ينبغي لهم أن يدخلوها إلا بخشية وخشوع فضلا عن أن يجترؤا على تخريبها أو ما كان الحق أن يدخلوها إلا خائفين من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا عن أن يمنعهم منها أو ما كان لهم في حكم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد أنجز وعده وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلاف الأئمة فيه فجوز أبو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره رحمه الله تعالى ﴿ لهم في الدنيا خزي ﴾ قتل وسى أو ذلة بضرب الجزية ﴿ ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ بكفرهم وظلمهم

في خراب بيت المقدس وذلك أن ططوس الرومى غزا بنى إسرائيل فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم وحرق التوراة وخرب بيت المقدس فلم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانزل الله تعالى ومن أظلم أى ومن أكفر وأبغى ممن منع مساجد الله يعنى بيت المقدس ومحاربه أن يذكر فيها اسمه أى يعبد ويصلى له فيها ﴿ وسعى في خرابها ﴾ وقيل أن مختصر المجوسى من أهل بابل هو الذى غزا بنى إسرائيل وخرب بيت المقدس وأعانه على ذلك النصارى من أجل أن اليهود قتلوا يحيى بن زكريا ﴿ أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ﴾ وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى وزيارتهم قال ابن عباس رضى الله عنهم لم يدخلها بعد عمارتها رومى أو نصرانى إلا خائفا أن علم به قتل وقيل أخيفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذمى والقتل على الحربى وقيل خوفهم هو فتح مدائنهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية ﴿ لهم في الدنيا خزي ﴾ يعنى الصغار والذل والقتل والسبى ﴿ ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ يعنى النار وقيل أن الآية نزلت في مشركى مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام وذلك أنهم منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ان يصلوا فيه في ابتداء الاسلام ومنعواهم من حجه والصلاة فيه عام الحديدية واذا منعوا من يعمره بذكر الله تعالى وصلواته فيه فقد سعوا في خرابه أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين يعنى مشركى مكة يقول الله تعالى أقمها عليكم أيها المسلمون حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم فقمها عليهم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادى بالموسم لما نزلت سورة براءة ألا لا يحجن البيت بعد هذا العام مشرك فكان هذا خوفهم وثبت في الشرع أن لا يمكن مشرك من دخول الحرم * فأن قلت كيف قيل مساجد الله واتما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو أما بيت المقدس أو المسجد الحرام * قلت يجوز أن يجىء الحكم عاما وأن كان السبب خاصا كما تقول لمن أذى صالحا واحدا ومن أظلم ممن أذى الصالحين * فأن قلت أى القولين أرجح * قلت رجح الطبرى القول الاول

العموم بمساجد الله (أولئك) المانعون (ما كان لهم أن يدخلوها) أى ما كان ينبغي لهم أن يدخلوها مساجد الله (الأخائفين) حال من الضمير في يدخلوها أى على حال التهيؤ وارتعاد الفرائض من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويعنفوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق ألا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم روى أنه لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى الامتكرأ خيفة ان يقتل وقال قتادة لا يوجد نصرانى في بيت المقدس إلا بولغ ضربا ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا يحجن بعدها العام مشرك وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول والتخلى بينهم وبينه كقوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله (لهم في الدنيا خزي) قتل وسبى للحربى وذلة بضرب الجزية للذمى (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) أى النار

والإذان (وسعى) عمل (في خرابها) في خراب بيت المقدس من البقاء الجيف فيها فكان خرابا الى زمان عمر (أولئك) أهل الروم (ما كان

لهم) أمن (ان يدخلوها) يعنى بيت المقدس (الأخائفين) مستخفين من المؤمنين مخافة القتل لو علم به لقتل (لهم في الدنيا) (وقال) خزي) عذاب خراب مدائنهم قسطنطينية وعمورية ورومية (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) شديد أشد مالمهم في الدنيا ثم ذكر

(ولله المشرق والمغرب أي)

بلاد المشرق والمغرب كلها له وهو مالهما ومتوليها (فأئماً) شرط (تولوا) مجزوم به أي ففي أي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره والجواب (فتم وجه الله) أي جهته التي أمر بها ورضيها والمعنى أنكم إذا منعمتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو في بيت المقدس فقد جعلت لكم الأرض مسجداً فاصلوا في أي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فإن التولية ممكنة في كل مكان (أن الله واسع

قبلته فقال (ولله المشرق والمغرب) قبلة لمن لا يعلم القبلة (فأئماً تولوا) تحولوا وجوهكم في الصلاة بالتحري (فتم وجه الله) فتلك الصلاة برضاء الله نزلت في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا في سفر إلى غير القبلة بالتحري ويقال ولله المشرق والمغرب يقول الله لاهل المشرق والمغرب قبلة وهو الحرم فأئماً تولوا وجوهكم في الصلاة إلى الحرم فتم وجه الله قبلة الله (أن الله واسع) بالقبلة

﴿ولله المشرق والمغرب﴾ يريد بهما ناحيتي الأرض أي له الأرض كلها لا يختص به مكان دون مكان فإن منعم أن تصلوا في المسجد الحرام أو الاقصى فقد جعلت لكم الأرض مسجداً ﴿فأئماً تولوا﴾ في أي مكان فعلتم التولية شطر القبلة ﴿فتم وجه الله﴾ أي جهته التي أمر بها فإن أمكان التولية لا يختص بمسجد أو مكان أو فتم ذاته أي هو عالم مطلع بما يفعل فيه ﴿أن الله واسع﴾ بأحاطته بالأشياء أو برحمته يريد التوسعة على عباده

وقال أن النصراني هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس بدليل أن مشركي مكة لم يسعوا في خراب المسجد الحرام وإن كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات من الصلاة فيه وأيضاً فإن الآية التي قبل هذه والتي بعدها في ذم أهل الكتاب ولم يجر لمشركي مكة ذكروا للمسجد الحرام فتعين أن يكون المراد بهذه بيت المقدس ورجح غيره القول الثاني بدليل أن النصراني يعظمون بيت المقدس أكثر من اليهود فكيف يسعون في خرابه وهو موضع محهم وذكر ابن العربي في أحكام القرآن قولاً ثالثاً وهو أنه كل مسجد قال وهو الصحيح لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتحصيه ببعض المساجد أو ببعض الازمنة محال ﴿قوله عز وجل﴾ ولله المشرق والمغرب فأئماً تولوا فتم وجه الله ﴿سبب نزول هذه الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما خرج نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قبل تحويل القبلة إلى الكعبة فأصابهم الضباب وحضرت الصلاة فتمروا بالقبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم أنهم لم يصيبوا فلما قدموا سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية وعن عامر بن ربيعة عن أبيه رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة فصلى كل رجل منا على حiale فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فأئماً تولوا فتم وجه الله أخرج الترمذي وقال حديث غريب وقال ابن عمر رضي الله عنه نزلت في المسافر يصلى التطوع حيثما توجهت به راحته (ق) عن ابن عمر رضي الله عنه قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر راحته حيث كان وجهه يوميء وكان ابن عمر يفضله * وفي رواية لسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى على دابته وهو مقبل من مكة إلى المدينة حيثما توجهت وفيه نزلت فأئماً تولوا فتم وجه الله الآية وقيل نزلت في تحويل القبلة إلى الكعبة وذلك أن اليهود عبرت المؤمنين وقالوا ليس لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة يستقبلون هكذا فنزل الله هذه الآية وقيل أنها نزلت في تخيير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليصلوا حيث شاؤوا من النواحي ثم أنها نسخت بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام ومعنى الآية أن لله المشرق والمغرب وما بينهما خلقاً وملكاً وانما خص المشرق والمغرب اكتفاء عن جميع الجهات لانه كلها وما بينهما خلقه وعبيده وأن على جميعهم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه فأمرهم باستقباله فهو القبلة فإن القبلة ليست قبلة لذاتها بل لان الله تعالى جعلها قبلة وأمر بالتوجه إليها فأئماً تولوا فتم وجه الله أي فهناك قبلة الله التي وجهكم إليها وقيل معناه فتم وجه الله تعالى بعلمه وقدرته والوجه صفة ثابتة لله تعالى لا من حيث الصورة وقيل فتم رضاه الله أي يريدون بالتوجه إليه رضاه ﴿أن الله واسع﴾ من السعة وهو المعنى

عليه) أي هو واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده وهو عليم بمصالحهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما نزلت في صلاة المسافر على
الراحلة أينما توجهت وقيل { الجزء الاول } عمت القبلة على قوم ﴿ ١٨٤ ﴾ فصلوا الى انحاء مختلفة فلما أصبحوا

﴿ عليم ﴾ بمصالحهم وأعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما
أنها نزلت في صلاة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عمت عليهم القبلة فصلوا الى
انحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطاهم وعلى هذا لو أخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم
يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود أن يكون في حيز وجهة
﴿ وقالوا اتخذ الله ولدا ﴾ نزلت لما قالت اليهود عزيز ابن الله والنصارى المسيح
ابن الله ومشركوا العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود أو منع أو مفهوم قوله
تعالى ومن أظلم ﴿ وقرأ ابن عامر بغير واو ﴾ سبحانه ﴿ تنزيهه عن ذلك فإنه يقتضى
التشبيه والحاجة وسرعة الفناء ألا ترى أن الاجرام الفلكية مع أمكانها وفنائها لما كانت
باقية مادام العالم لم يتخذ ما يكون لها كالولد اتخذ الحيوان والنبات اختيارا أو طبعا
﴿ بل له ما فى السموات والارض ﴾ ردلما قالوه واستدلال على فساده والمعنى أنه تعالى
خالق ما فى السموات والارض الذى من جلته الملائكة وعزير والمسيح ﴿ كل له قانتون ﴾
متقادون لا يمتنعون على مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه

أى يسع خاقه كلهم بالكفاية والافضال والجود والتدبير وقيل واسع المغفرة
﴿ عليم ﴾ أى بأعمالكم ونياتكم حينما تصلوا وتدعوا لا يغيب عنه منها شئ

مسئلة تتعلق بحكم الآية

وهى أن المسافر اذا كان فى مفازة أو بلاد الشرك واشتبهت عليه القبلة فإنه يجتهد فى طلبها بنوع من
الدلائل ويصلى الى الجهة التى أدى اليها جهاده ولا إعادة عليه وأن لم يصادف القبلة فأن جهة
الاجتهاد قبلته وكذا العريق فى البحر اذا بقى على اللوح فإنه يصلى على حسب حاله وتصح صلاته
وكذلك المشدود على جذع بحث لا يمكنه الاستقبال ﴿ قوله عز وجل ﴾ وقالوا اتخذ الله ولدا ﴿
نزلت فى يهود المدينة حيث قالوا عزير ابن الله وفى نصارى نجران حيث قالوا
المسيح ابن الله وفى مشركى العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿ سبحانه ﴾ أى
تنزيها لله فنهى الله نفسه عن اتخاذ الولد وعن قولهم واقتراهم عليه ﴿ خ ﴾ عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني
ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه أى فزعم أنى لأقدر أن أعيدته كما كان وأما شتمه أى فقول له ولد
فسمي أنى أن اتخذ صاحبة أو ولدا ﴿ بل له ما فى السموات والارض ﴾ يعنى عبدا وملكا
فكيف ينسب اليه الولد وهو داخل فيهما وقيل أن الولد لا بد وأن يكون من جنس
الوالد والله تعالى منزه عن الشبيه والنظير وقيل أن الولد إنما يتخذ للحاجة اليه والانتفاع
به عند عجز الوالد وكبره والله تعالى منزه عن ذلك كله فاضافة الولد اليه محال ﴿ كل له
قانتون ﴾ يعنى أن أهل السموات والارض مطيعون لله ومقرون له بالعبودية وأصل
القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع وقيل أصله القيام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم

تبينوا خطاهم فعندوا
وهو حجة على الشافعى
رحه الله فيما اذا استدبر
وقيل فأينما تولوا للدعاء
والذكر ﴿ وقالوا اتخذ الله
ولدا ﴾ يريد الذين قالوا
المسيح ابن الله وعزير
ابن الله قالوا شامى فأثبت
الواو باعتبارانه قصة
مطوفة على ما قبلها وحذفه
باعتبار أنه استئناف قصة
أخرى ﴿ سبحانه ﴾ تنزيهه
عن ذلك وتبعيد ﴿ بل له
ما فى السموات والارض ﴾
أى هو خالقه ومالكه
ومن جلته المسيح وعزير
والولادة تنافى الملك ﴿ كل
له قانتون ﴾ متقادون لا يمتنع
شئ منهم على تكوينه وتقديره
والتوطين فى كل عوض عن
المضاف اليه أى كل ما فى
السموات والارض أو كل
من جعلوه لله ولدا له قانتون
مطيعون عابدون مقرون
بالربوبية منكرون لما أضافوا
اليهم وجاء بما الذى لغير

(عليم) بنياتهم * ثم ذكر
مقالة اليهود والنصارى
عزير ابن الله والمسيح ابن الله
فقال (وقالوا) يعنى اليهود

والنصارى (اتخذ الله ولدا) عزير او مسيحا (سبحانه) نزه نفسه عن الولد والشريك (أفضل)

(بل) ليس كما قلتم ولكن (له) عبدا (ما فى السموات والارض) من الخلق (كل له قانتون) مقرون له بالعبودية والتوحيد

أولى العلم مع قوله قانتون كقوله سبحانه مسخر كن لنا (بديع السموات والارض) أى مخترعهما ومبدعهما لاعلى مثال سبق وكل من فعل ما لم يسبق اليه يقال له أبدعت ﴿١٨٥﴾ ولهذا قيل لمن خالف {سورة البقرة} السنة والجماعة مبتدع لانه

يأتى في دين الاسلام ما لم يسبقه اليه الصحابة والتابعون رضى الله عنهم (وأذا قضى أمرا) أى حكم أو قدر (فأما يقول له كن فيكون) هو من كان التامة أى احدث فيحدث وهذا مجاز عن سرعة التكوين وتمثيل ولا قول ثمه وإنما المعنى ان ما قضاه من الامور وأراد كونه فأما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما أن المأمور المطيع الذى يؤمر فيمثل ولا يكون منه اياه وأكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت صفاته مبيانة لصفات الاجسام فأنى يتصور التوالد ثمه والوجه الرفع فى فيكون وهو قراءة العامة على الاستئناف أى فهو يكون أو على العطف على يقول ونصبه ابن عامر على لفظ كن لانه أمر وجواب الامر بالفاء نصب وقلنا أن كن ليس بأمر حقيقة اذ لا فرق بين أن يقال واذا قضى أمرا فأما يتكون وبين أن يقال فأما يقول له كن فيكون واذا كان كذلك فلا معنى للنصب

الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد أن يجانس والده وأما جاء بما الذى تغير أولى العلم وقال قانتون على تغليب أولى العلم تحقيرا لشأنهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه أى كل ما فيما ويجوز أن يراد كل من جعلوه ولداله مطيعون مقرون بالعبودية فيكون أنزاما بعد إقامة الحججة والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة أوجه واحتج بها الفقهاء على أن من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفي الولد بأبواب الملك وذلك يقتضى تنافيهما ﴿بديع السموات والارض﴾ مبدعهما ونظيره السميع فى قوله

أمن ريحانة الداعي السميع • يؤرقنى وأصحابى هجوع

أوبديع سمواته وأرضه من بديع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها أن الوالد عنصر الولد المنفصل بانفصال مادته عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا* والابداع اختراع الشئ لاعن شئ دفعة وهو أليق بهذا الموضع من الصنع الذى هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذى يكون بتغيير وفى زمان غالباً وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير فى له ومنصوبا على المدح ﴿وأذا قضى أمرا﴾ أى أراد اشياً وأصل القضاء اتمام الشئ قولاً كقوله تعالى وقضى ربك أوفعلا كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات وأطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشئ من حيث أنه يوجبه ﴿فأما يقول له كن فيكون﴾

أفضل الصلاة طول القنوت فعلى هذا يكون معنى الآية كل له قانتون بالشهادة ومقرون له بالوحدانية وقيل قانتون أى مذللون مسخرون لما خلقوا* واختلف العلماء فى حكم الآية فقال بعضهم هو خاص ثم سلخوا فى تخصيصه طريقتين أحدهما قالوا هو راجع الى عزيز والمسيح والملائكة الثانى قال ابن عباس رضى الله عنهما هو راجع الى أهل طاعته دون سائر الكفار وذهب جماعة الى أن حكم الآية عام لان لفظة كل تقتضى الشمول والاحاطة ثم سلخوا فى الكفار طريقتين أحدهما أن ظلالمهم تسجد لله وتطيعه والثانى أن هذه الطاعة تكون فى يوم القيامة ومن ذهب الى تخصيص حكم الآية أجاب عن لفظة كل بأنها لا تقتضى الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى وأوتيت من كل شئ ولم تؤت ملك سليمان فدل على أن لفظة كل لا تقتضى ذلك ﴿قوله عز وجل﴾ بديع السموات والارض* أى خالقها ومبدعها ومنشؤها على غير مثال سبق وقيل البديع الذى يبدع الاشياء أى يحدتها ما لم يكن ﴿وأذا قضى أمرا﴾ أى قدره وأراد خلقه وقيل اذا أحكم أمرا وحمته وأتقنه وأصل القضاء الحكم والفراغ والقضاء فى اللغة على وجوه كلها ترجع الى انقطاع الشئ وتامه والفراغ منه ﴿فأما يقول له كن فيكون﴾ أى اذا أحكم أمرا وحمته فأما يقول له كن فيكون ذلك الامر على ما أراد الله تعالى وجوده* فان قلت

(بديع السموات والارض) ابتدعهما ولم يكونا (قا وخا ٢٤ ل) شياً (وأذا قضى أمرا) اذا أراد أن يخلق ولدا بلا أب مثل المسيح (فأما يقول له كن فيكون) ولدا بلا أب كآدم كان بلا أب وأم

وهذا لانه لو كان أمرا { الجزء الاول } فأما أن يخاطب به ﴿ ١٨٦ ﴾ الموجود والموجود لا يخاطب بكن

من كان التسامة أى أحدث فيحدث وليس المراد به حقيقة أمر وامثال بل تمثيل حصول ما تعلق به أرادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وأيماء الى حجة خامسة وهو أن اتخاذ الولد بما يكون بأطوار ومهلة وفعله تعالى يستغنى عن ذلك «وقرأ ابن عامر فيكون بفتح النون * واعلم أن السبب في هذه الضلالة أن أرباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار أنه السبب الاول حتى قالوا أن الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه وتعالى هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم أن المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد ﴿ وقال الذين لا يعلمون ﴾ أى جهلة المشركين أو المتجاهلون من أهل الكتاب ﴿ لولا يكلمنا الله ﴾ هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة أو يوحى الينا بأنك رسوله ﴿ أو تأتينا آية ﴾ حجة على صدقك والاول استكبار والثانى جمود بأن ما أتاهم آيات الله استهانة به وعنادا ﴿ كذلك قال الذين من قبلهم ﴾ من الامم الماضية ﴿ مثل قولهم ﴾ فقالوا أرنا الله جهرة هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ﴿ تشابهت قلوبهم ﴾ قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العمى والعناد «وقرى بتشديد الشين ﴿ قد بينا الآيات لقوم يوقنون ﴾ أى يطلبون اليقين أو يوقنون الحقائق لا يعتبرهم شبهة ولا عناد وفيه إشارة الى أنهم ما قالوا ذلك خلفاء فى الآيات أو لطلب مزيد اليقين وأما قوله عتوا وعنادا ﴿ أنا أرسلناك بالحق ﴾ ملتبسا مؤيداه

المعدوم لا يخاطب فكيف قال فأما يقول له كن فيكون «قلت أن الله تعالى عالم بكل ما هو كائن قبل تكوينه واذا كان كذلك كانت الاشياء التى لم تكن كأنها كائنة لعلمه بها فجاز أن يقول لها كوني ويأمرها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود وقيل لللام فى قوله له لام أجل فيكون المعنى اذا قضى أمرا فأما يقول لاجل تكوينه وارادته له كن فيكون فعلى هذا يذهب معنى الخطاب ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وقال الذين لا يعلمون ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم النصارى وقيل هم مشركوا العرب ﴿ لولا ﴾ أى هلا ﴿ يكلمنا الله ﴾ أى عيانا بأنك رسوله ﴿ أو تأتينا آية ﴾ أى دلالة وعلامة على صدقك ﴿ كذلك قال الذين من قبلهم ﴾ أى كفار الامم الخالية ﴿ مثل قولهم ﴾ وذلك أن اليهود سألوا موسى أن يريهم الله جهرة وأن يسممهم كلام الله وسألوه من الآيات ما ليس لهم مسئلة فأخبر الله عن الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا مثل ما قال من كان قبلهم ﴿ تشابهت قلوبهم ﴾ يعنى أن المكذبين للرسول تشابهت أقوالهم وأفعالهم وقيل تشابهت فى الكفر والقسوة والتكذيب وطلب المحال ﴿ قد بينا الآيات ﴾ أى الدلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ لقوم يوقنون ﴾ يعنى أن آيات القرآن وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباهرات كافية لمن كان طالبا لليقين وأما خص أهل الايقان بالذكور لانهم هم أهل الثبوت فى الامور ومعرفة الاشياء على يقين ﴿ قوله عز وجل ﴾ أنا أرسلناك بالحق ﴿ أى بالصدق وقال ابن عباس رضى الله عنهما بالقرآن وقيل بالاسلام وقيل

أو المعدوم والمعدوم لا يخاطب (وقال الذين لا يعلمون) من المشركين أو من أهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به (لولا يكلمنا الله) هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا (أو تأتينا آية) جمودا لان يكون ما أتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم) أى قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العمى (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) أى لقوم ينصفون فيوقنون أنها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها (أنا أرسلناك بالحق

(وقال الذين لا يعلمون) توحيد الله يعنى اليهود (لولا يكلمنا الله) معاينة (أو تأتينا آية) علامة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا منابه (كذلك) هكذا (قال الذين من قبلهم) من آباؤهم (مثل قولهم) شبه قولهم (تشابهت قلوبهم) استوت كلمتهم وتوافقت قلوبهم مع آباؤهم (قد بينا الآيات) العلامات الامر

(معناه)

والهى وصفاتك فى التوراة (لقوم يوقنون) يصدقون (أنا أرسلناك) يا محمد (بالحق)

بشيرا) للمؤمنين بالثواب (ونذيرا) للكافرين بالعقاب (ولاستئسل عن أصحاب الجحيم) ولا نسألك عنهم ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت وبلغت جهنك في دعوتهم وهو حال كنديرا وبشيرا وبالحق أى وغير مسئول أو مستأنف قراءة نافع ولا تسأل على النهى ومعناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب ﴿١٨٧﴾ كما تقول كيف فلان سائلا {سورة البقرة} عن الواقع في بلية فيقال لك

لا تسأل عنه وقيل نهى الله نبيه عن السؤال عن أحوال الكفرة حين قال ليت شعري ما فعل أبواى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) كأنهم قالوا لن ترضى عنك وأن أبلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناط منهم لرسول الله عن دخولهم في الاسلام فذكر الله عز وجل كلامهم (قل أن هدى الله) الذى رضى لعباده (هو الهدى) أى الاسلام وهو الهدى كله ليس وراءه هدى والذى تدعون الى اتباعه ما هو هدى انما هو هوى الأترى الى قوله (ولئن اتبعت أهواءهم) أى أقوالهم التى هى أهواء وبدع

بالقرآن والتوحيد (بشيرا) بالجنة لمن آمن بالله (ونذيرا) من النار لمن كفر بالله (ولاستئسل عن أصحاب الجحيم) لا ينسئلى أن تسئل عن أصحاب الجحيم ويقال لاستئسل عن أصحاب الجحيم عن غفران أصحاب الجحيم (ولن ترضى عنك

بشيرا ونذيرا) فلا عليك أن أصروا أو كبروا ﴿ ولا تسئل عن أصحاب الجحيم ﴾ ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت * وقرأ نافع ويعقوب ولا تسأل على أنه نهى للرسول صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال أبوبه أو تعظيم لعقوبة الكفار كأنها لفظاعتها لا يقدر أن يخبر عنها أو السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاء عن السؤال والجحيم المتأجج من النار ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ مبالغة في اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم من أسلامهم فأنهم اذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملتهم ولعلمهم قالوا مثل ذلك فخكى الله تعالى عنهم ولذلك قال ﴿ قل ﴾ تعليما للجواب ﴿ أن هدى الله هو الهدى ﴾ أى هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ماتدعون اليه ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم ﴾ آراءهم الزائفة والملة ما شرعه الله تعالى لعباده على لسان أنبيائه من أملاّت الكتاب اذا أمليته والهوى رأى يتبع الشهوة

معناه أنالم ترسلك عبنا بل أرسلناك بالحق ﴿ بشيرا ﴾ أى مبشرا لاوليائى وأهل طاعنى بالثواب العظيم ﴿ ونذيرا ﴾ أى منذرا ونخوفا لاعدائى وأهل معصيتى بالعذاب الأليم ﴿ ولا تسأل ﴾ قرى بفتح التاء على النهى قال ابن عباس رضى الله عنهما وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعري ما فعل أبواى فنزلت هذه الآية والمعنى أنا أرسلناك لتبليغ ما أرسلت به ولا تسأل عن أصحاب الجحيم * وقرى ﴿ ولا تسئل بضم التاء ورفع اللام على الخبر وقيل على النفي والمعنى أنا أرسلناك بالحق لتبليغ ما أرسلت به فأتما عليك البلاغ ولست مسئولاً عن كفر ﴾ عن أصحاب الجحيم ﴿ أى عن أهل النار سميت النار جحيماً لشدة تاججها وقيل الجحيم معظم النار ﴾ قوله عز وجل ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ وذلك أنهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه أنه أن أمهلمهم تبعوه فانزل الله هذه الآية والمعنى أنك وأن هادنتم فلا يرضون بها وانما يطلبون ذلك تعللا ولا يرضون منك إلا باتباع ملتهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما هذا في أمر القبلة وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يصلى الى بيت المقدس فلما صرف الله القبلة الى الكعبة أيسوا منه أن يوافقهم على دينهم فانزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهود يعنى أبا اليهودية ولا النصارى يعنى أبا النصرانية وهذا شئ لا يتصور اذ لا يجتمع في رجل واحد شيان في وقت واحد وهو قوله حتى تتبع ملتهم يعنى دينهم وطريقتهم ﴿ قل ﴾ أى يا محمد ﴿ أن هدى الله ﴾ يعنى دين الله الذى هو الاسلام ﴿ هو الهدى ﴾ أى يصح أن يسمى هدى ﴿ ولئن اتبعت ﴾ يا محمد ﴿ أهواءهم ﴾ يعنى أهواء اليهود والنصارى فيما يرضيه عنك وقيل أهواءهم أقوالهم التى هى أهواء وبدع

اليهود) يهود أهل المدينة (ولا النصارى) نصارى أهل نجران (حتى تتبع ملتهم) دينهم وقبيلهم (قل) يا محمد (أن هدى الله هو الهدى) دين الله هو الاسلام وقبلة الله هى الكعبة (ولئن اتبعت أهواءهم)

(بعد الذي جاءك من العلم) أى من العلم بأن دين الله هو الاسلام أو من الدين المعلوم صحته بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة (مالك من الله) من عذاب الله (من ولى ولا نصير) ناصر (الذين) مبتدأ (آيتناهم الكتاب) علمته وهم مؤمنوا أهل الكتاب وهو التوراة والانجيل أو أصحاب النبي عليه السلام والكتاب القرآن (يتلونه) حال مقدرة من هم لانهم لم يكونوا تالين له وقت ايتائه ونصب { الجزء الاول } على المصدر (حق تلاوته) ﴿١٨٨﴾ أى يقرؤنه حق قراءته فى الترتيل

﴿ بعد الذي جاءك من العلم ﴾ أى الوحي أو الدين المعلوم صحته ﴿ مالك من الله ﴾ من ولى ولا نصير ﴿ يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن ﴾ الذين آيتناهم الكتاب ﴿ يريد به مؤمنى أهل الكتاب ﴾ يتلونه حق تلاوته ﴿ براعاة اللفظ عن التحريف والتدبر فى معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده أو خبر على أن المراد بالموصول مؤمنوا أهل الكتاب ﴿ أولئك يؤمنون به ﴾ بكتابتهم دون المحرفين ﴿ ومن يكفره ﴾ بالتحريف والكفر بما صدقه ﴿ فأولئك هم الخاسرون ﴾ حيث اشتروا الكفر بالايمان ﴿ يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ﴾

﴿ بعد الذي جاءك من العلم ﴾ أى البيان بأن دين الله هو الاسلام وأن القبلة هى قبة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهى الكعبة ﴿ مالك من الله من ولى ﴾ يعنى على أمرك ويقوم بك ﴿ ولا نصير ﴾ أى ينصرك ويمنعك من عقابه وقيل فى قوله ولئن اتبعت أهواءهم أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته والمعنى أياكم أخطب ولكم أؤدب وأنهى فقد علمتم أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق والصدق وقد عصمته فلا تتبعوا أئتم أهواء الكافرين ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءكم من العلم والبيانات مالكم من الله من ولى ولا نصير ﴿ قوله عز وجل ﴾ الذين آيتناهم الكتاب ﴿ قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وكانوا أربعين رجلا ثمانون رجلا من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب وقيل هم مؤمنوا أهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام وأصحابه وقيل هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل هم المؤمنون عامة ﴿ يتلونه حق تلاوته ﴾ أى يقرؤنه كما أنزل لا يغيرونه ولا يحرفونه ولا يبدلون مافيه من نعت رسول الله عليه وسلم وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بحكمه ويؤمنون بتمشابهه ويقفون عنده ويكفون علمه الى الله تعالى وقيل معناه تدبروه حق تدبره وتفكروا فى معانيه وحقائقه وأسراره ﴿ أولئك ﴾ يعنى الذين يتلونه حق تلاوته ﴿ يؤمنون به ﴾ أى يصدقون به فأن قلنا أن الآية فى أهل الكتاب فيكون المعنى أن المؤمن بالتوراة الذى يتلوها حق تلاوتها هو المؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لان فى التوراة نعت وصفته وأن قلنا أنها نزلت فى المؤمنين عامة فظاهر ﴿ ومن يكفره ﴾ أى يحجده مافيه من فرائض الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ فأولئك هم الخاسرون ﴾ أى خسروا أنفسهم حيث استبدلوا الكفر بالايمان ﴿ قوله عز وجل ﴾ يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ﴿

وأداء الحروف والتدبر والتفكر أو يعملون به ويؤمنون بما فى مضمونه ولا يغيرون مافيه من نعت النبي صلى الله عليه وسلم (أولئك) مبتدأ خبره (يؤمنون به) والجملة خبر الذين ويجوز أن يكون يتلونه خبرا والجملة خبر آخر (ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون) حيث اشتروا الضلالة بالهدى (يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) أى أنعمتها عليكم

دينهم وقلبتهم (بعد الذي جاءك من العلم) من البيان أن دين الله هو الاسلام وقبلة الله هى الكعبة (مالك من الله) من عذاب الله (من ولى) قريب ينقطع (ولا نصير) مانع يمنع ثم ذكر مؤمنى أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه وبحيرا الراهب وأصحابه والنجاشى وأصحابه فقال (الذين آيتناهم

الكتاب) أعطيناهم علم الكتاب يعنى التوراة (يتلونه حق تلاوته) يصفونه حق صفته ولا يحرفونه (أى) أى يبينون حلاله وحرامه وأمره ونهيه لمن سألهم ويعلمون بحكمه ويؤمنون بتمشابهه (أولئك يؤمنون به) بمحمد والقرآن (ومن يكفره) بمحمد والقرآن (فأولئك هم الخاسرون) المقبونون بذهاب الدنيا والآخرة ثم ذكر منته على نبي اسرائيل فقال (يا بنى اسرائيل) يا أولاد يعقوب (اذكروا نعمتى) احفظوا منى (التي أنعمت عليكم)

(وأني فضلتكم على العالمين) وتفضيلي أيكم على عالمي زمانكم (واقفوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعا ولا هم ينصرون) هم رفع بالابتداء والخبر ينصرون والجل الرابع وصف ليوما أي واقفوا يوماً لا تجزي فيه ولا يقبل فيه ولا تنفعها فيه ولا هم ينصرون فيه وتكرير هاتين الآيتين لتكرار المعاصي منهم وختم قصة نبي إسرائيل بما بدأ به (واذ) أي ﴿١٨٩﴾ واذكراذ (ابتلى إبراهيم ربه ﴿سورة البقرة﴾ بكلمات) اختبره بأوامر ونواه

والاختبار من الظهور ما لم نعلم ومن الله لاظهار ما قد علم وعاقبة الابتلاء ظهور الامر الخفي في الشاهد والغائب جميعا فلذا تجوز اضافته الى الله تعالى وقيل اختبار الله عبده مجاز عن تمكنه من اختبار أحد الامرين ما يريد الله تعالى وما يشبهه العبد كأنه يتمكنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه إبراهيم ربه برفع إبراهيم وهي قراءة ابن عباس رضى الله عنهما أي دعاه بكلمات من الدعاء فعلى المختبر هل يجيبه الهن أم لا

وأني فضلتكم على العالمين واقفوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعا ولا هم ينصرون ﴿١﴾ لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر من أضرارها والخوف من الساعة وأهوالها كرر ذلك وختم به الكلام مهمم بالغة في النصح وأيدنا بأنه فذللكة القصة والمقصود من القصة ﴿٢﴾ وأذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات ﴿٣﴾ كلفه بأوامر ٤ ونواه ٥ والابتلاء في الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظاً وأن تأخر رتبة لان الشرط أحد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله تعالى التائبون العابدون الآية وقوله تعالى أن المسلمين والمسلمات الى آخر الآية وقوله قد أفلح المؤمنون الى قوله أولئك هم الوارثون كما فسرت بها في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سنته وبتماسك الحج وبالنكوب والقميرين وذبح الولد والنار والحجرة على أنه تعالى عامله بها معاملة المختبرين وبما تضمنته الآيات التي بعدها ﴿٤﴾ وقرئ إبراهيم ربه على أنه دعا ربه بكلمات مثل أرني كيف تحيي الموتى واجعل هذا البلد آمناً ليرى هل يجيبه ﴿٥﴾ وقرأ ابن عامر إبراهيم بالالف في جميع

أي أيدي لديكم وصنعى بكم واستنقذى أيكم من أيدي عدوكم في نعم كثيرة أنعمت بها عليكم ﴿٦﴾ وأني فضلتكم على العالمين ﴿٧﴾ أي واذكروا تفضيلي أيكم على عالمي زمانكم وفي هذه الآية عظة لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكررها في أول السورة وهنالك تؤكد وتذكير النعم ﴿٨﴾ واقفوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ﴿٩﴾ وفي هذه الآية تهريب لهم والمعنى يا معشر بني إسرائيل المبدلين كسابي المحرفين له خافوا عذاب يوم لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئاً ﴿١٠﴾ ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعا ﴿١١﴾ أي لا يقبل منها فدية ولا يشفع لها شافع وهذا من العام الذي يراد به الخاص كقوله تعالى ولا تنفع الشفاعا عنده إلا لمن أذن له ومعنى الآية ولا تنفعها شفاعا اذا وجب عليها العذاب ولم تستحق سواه وقيل أنه رد على اليهود في قولهم أن آباءنا يشفعون لنا ﴿١٢﴾ ولا هم ينصرون ﴿١٣﴾ أي ولا ناصر لهم ينصرهم من الله اذا انتقم منهم ﴿١٤﴾ قوله عز وجل ﴿١٥﴾ وأذا بتلى إبراهيم ربه بكلمات

نفس صالحة شيئاً ويقال والد عن ولده ولا مولود عن والده شيئاً من عذاب الله (ولا يقبل منها عدل) فداء (ولا تنفعها شفاعا) ولا يشفع لها شافع ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد صالح (ولا هم ينصرون) تمنعون مما يراد بهم ثم ذكر مته على إبراهيم خليله فقال (واذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات) أي أمره بعشر خصال خمس في الرأس وخمس في الجسد

ما في هذه السورة ﴿ فأتهمن ﴾ فأما هن كلاً وقام بهن حق القيام لقوله تعالى وأبراهيم الذي وفي وفي القراءة الاخيرة الضمير لربه أي أعطاه جميع مادته

فأتهمن ﴿ أبراهيم اسم أعجمي ومعناه أب رحيم وهو أبراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناخور بن شاروع بن ارغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وكان مولداً أبراهيم بالسوس من أرض الالهواز وقيل ببابل وقيل بكوثي وهي قرية من سواد الكوفة وقيل بجران ولكن أباه نقله الى أرض بابل وهي أرض نمرود الجبار وأبراهيم عليه الصلاة والسلام تعترف بفضله جميع الطوائف قديماً وحديثاً فأما اليهود والنصارى فأنهم مقرون بفضله ويتشرفون بالنسبة اليه وأنهم من أولاده وأما العرب في الجاهلية فأنهم أيضاً يعترفون بفضله ويتشرفون على غيرهم به لانهم من أولاده ومن ساكني حرمه وخدام بيته ولما جاء الاسلام زاده الله شرفاً وفضلاً حتى الله تعالى عن أبراهيم أموراً توجب على المشركين والنصارى واليهود قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه لان ما أوجه الله على أبراهيم عليه الصلاة والسلام هو من خصائص دين محمد صلى الله عليه وسلم وفي ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركي العرب في وجوب الانقياد لمحمد صلى الله عليه وسلم والايان به وتصديقه وأصل الابتلاء الامتحان والاختبار ليعرف حال الانسان فإذا قيل ابتلى فلان بكذا يتضمن أمرين أحدهما تعرف حاله والوقوف على ما يحمله من أمره والثاني ظهور جودته وردائه وابتلاء الله العباد ليس ليعلم أحوالهم والوقوف على ما يحمله منها لانه عالم بجميع المعلومات التي لانهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد ولكن ليعلم العباد أحوالهم من ظهور جودة وردائه وعلى هذا ينزل قوله تعالى واذا ابتلى أبراهيم ربه بكلمات واختلفوا في تلك الكلمات التي ابتلى الله بها أبراهيم عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس رضي الله عنهما هي ثلاثون سهماً من شرائع الايمان لم يبتل بها أحد فأقامها كلها لأبراهيم فكتب الله له البراءة فقال وأبراهيم الذي وفي ومعنى هذا الكلام أنه لم يبتل أحد قبل أبراهيم فأما بعده فقد أتى الانبياء بجميع ما مروا به من الدين خصوصاً نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم فقد أتى بجميع ما أمر به وهي عشرة مذكورة في سورة براءة في قوله التائبون العابدون الآية وعشرة في سورة الاحزاب في قوله أن المسلمين والمسلمات الآية وعشرة في سورة المؤمنين في قوله قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الآيات وهي مذكورة أيضاً في سورة سأل سائل وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً قال ابتلاه الله بعشرة أشياء هن الفطرة خمس في الرأس وقص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وخمس في الجسد تقويم الاظفار ونبذ الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفطرة خمس وفي رواية خمس من الفطرة الختان والاستحداد وقص الشارب

(فأتهمن) أي قام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأييد من غير تفریط وتوان ونحوه وأبراهيم الذي وفي ومعناه في قراءة أبي حنيفة رحمه الله فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئاً والكلمات على هذا ما سأل أبراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلداً آمناً واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا منهم ربنا تقبل منا والكلمات على القراءة المشهورة خمس في الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في الجسد الختان وتقليم الاظفار ونبذ الابط وحلق العانة والاستنجاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي ثلاثون سهماً من الشرائع عشر في براءة التائبون الآية وعشر في الاحزاب أن المسلمين والمسلمات الآية وعشر في المؤمنين والمعارج الى قوله يحافظون وقيل (فأتهمن) فعمل بهن ويقال واذا ابتلى أبراهيم ربه بكلمات بكل كلمة دعا ربه بها في القرآن فأتهمن فوفي بهن ويقال فدعا بهن

﴿ قال أنى جاعلك للناس أماما ﴾ استئناف أن أضمرت ناصب إذ كأنه قيل فإذا قال له رب حين آتمهن فأجيب بذلك أو بيان لقوله ابتلى فتكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت

وتقايم الاظافر ونسف الابط (م) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك والاستنشاق بالماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونسف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء يعنى الاستنجاء قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة قال وكيع انتقاص الماء يعنى الاستنجاء قال العلماء الفطرة السنة وقيل الملة وقيل الطريقة وهذه الاشياء المذكورة فى الحديث وأنها من الفطرة قيل كانت على إبراهيم عليه الصلاة والسلام فرضا وهى لنا سنة وانفقت العلماء على أنها من الملة وأما ما عابها فقد قيل أما قص الشارب واعفاء اللحية فمخالفة للاعاجم فأنهم كانوا يقصون لحاهم ويوفرون شواريهم أو يوفرونها معا وذلك عكس الجمال والنظافة وأما السواك والمضمضة والاستنشاق فلتنظيف الفم والانتف من الطعام والقلم والوسخ وأما قص الاظفار فللجمال والزينة فأنها اذا طالت قبح منظرها واحتوى الوسخ فيها وأما غسل البراجم وهى العقد التى فى ظهور الاصابع فإنه يجتمع فيها الوسخ ويشين المنظر وأما حلق العانة ونسف الابط فلتنظيف عما يجتمع من الوسخ فى الشعر وأما الاستنجاء فلتنظيف ذلك المحل عن الاذى وأما الختان فلتنظيف القلفة عما يجتمع فيها من البول واختلف العلماء فى وجوبه فذهب الشافعى الى أن الختان واجب لانه يتكشف له العورة ولا يباح ذلك الا فى الواجب وذهب غيره الى أنه سنة وأول من ختن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ولم يمتحن أحد قبله (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختن إبراهيم بالقدم يروى القدم بالتخفيف والتشديد فمن خفف ذهب الى أنه اسم للألة التى يقطع بها ومن شدد قال أنه اسم موضع عن يحيى ابن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول كان إبراهيم خليل الرحمن أول الناس ضيف الضيف وأول الناس قص شاربه وأو الناس رأى الشيب قال رب ما هذا قال الرب تبارك وتعالى وقار يا إبراهيم قال يارب زدنى وقارا أخرجه مالك فى الموطأ وقيل فى الكلمات أنها مناسك الحج وقيل ابتلاء الله بسبعة أشياء بالكوكب والقمر والشمس فأحسن النظر فيهن وبالنار والهجرة وذبح ولده والختان فصبر عليها وقيل أن الله اختبر إبراهيم بكلمات أوحاها اليه وأمره أن يعمل بهن فآتمهن أى أداهن حق التأدية وقام بموجبهن حق القيام وعمل بهن من غير تفريط وتوان ولم ينقص منهن شيئا واختلفوا هل كان هذا الابتلاء قبل النبوة أو بعدها فقيل كان قبل النبوة بدليل قوله فى سياق الآية أنى جاعلك للناس أماما والسبب يتقدم على المسبب وقيل بل كان هذا الابتلاء بعد النبوة لان التكليف لا يعلم إلا من جهة الوحي الالهى وذلك بعد النبوة والصواب أنه أن فسر الابتلاء بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وأن فسر بما وجب عليه من شرائع الدين كان ذلك بعد النبوة ﴿ وقوله تعالى ﴿ قال أنى جاعلك للناس أماما ﴾

هى مناسك الحج (قال أنى جاعلك للناس أماما) هو اسم من يؤتم به أى يؤتمون بك فى دينهم

ثم (قال) له (أنى جاعلك للناس أماما) خليفة

(قال ومن ذريتي) أى وأجعل من ذريتي أماما يقتدى به ذرية الرجل أولاده ذكورهم وأناهم فيه سواء فعيلة من الذرة أى الخلق فأبدلت الهمزة ياء (قال لاينال عهدى الظالمين) بسكون الياء حزة وحفص أى لا تصيب الامامة أهل الظلم من ولدك أى أهل الكفر أخبر أن امامة المسلمين لا تثبت لاهل الكفر وأن من أولاده المسلمين والكافرين قال الله تعالى وباركنا عليه وعلى أسحق { الجزء الاول } ومن ذريتهما محسن وظالم ﴿ ١٩٢ ﴾ لنفسه مبین والمحسن المؤمن والظالم

الكافر قالت معتزلة هذا دليل على أن الفاسق ليس بأهل للامامة قالوا وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام إنما هو لكف الظلمة فإذا نصب من كان ظلما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذنب ظلم ولكننا نقول المراد بالظالم الكافر هنا اذ هو الظالم المطلق وقيل أنه سأل أن يكون ولده نبيا كما كان هو فأخبر أن الظالم لا يكون نبيا (وأذ جعلنا البيت) أى الكعبة وهو اسم غالب لها كالنجم للثريا (مثابة للناس) مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يتوبون اليه (وأمنا) وموضع آمن فإن الجاني يأوى اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وهو دليل لنا في الملتجئ الى الحرم

ورفع قواعده والاسلام وأن نصيبته يقال فالجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذى له مفعولان * والامام اسم لمن يؤتم به وأمامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي إلا كان من ذريته مأمورا باتباعه ﴿ قال ومن ذريتي ﴾ عطف على الكاف أى وبعض ذريتي كما تقول وزيدا فى جواب سأكرمك * والذرية نسل الرجل فعيلة أو فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كفى تقضيت من الذر بمعنى التفريق أو فعولة أو فعيلة قلبت همزتها ياء من الذرة بمعنى الخلق * وقرئ ذريتي بالكسر وهى لغة ﴿ قال لاينال عهدى الظالمين ﴾ أجابة الى ملتسه وتنبه على أنه قد يكون من ذريته ظلمة وأنهم لاينالون الامامة لانها أمانة من الله تعالى وعهد والظالم لا يصلح لها وإنما ينالها البررة الاتقياء منهم * وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبراء قبل البعثة وأن الفاسق لا يصلح للامامة * وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل مانالك فقد نلته ﴿ وأذ جعلنا البيت ﴾ أى الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا ﴿ مثابة للناس ﴾ مرجعا يشوب اليه أعيان الزوار أو أمثالهم أو موضع ثواب يشابون بحججه واعتباره * وقرئ مثابات أى لانه مثابة كل أحد ﴿ وأمنا ﴾ وموضع آمن لا يتعرض لاهله كقوله تعالى حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أو يأمن حاجه من عذاب الآخرة من حيث أن الحج يجب ما قبله أو لا يؤاخذ الجاني الملتجئ اليه حتى يخرج وهو مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه

أى يقتدى بك فى الخير ويأتمون بسنتك وهديك والامام هو الذى يؤتم به ﴿ قال ومن ذريتي ﴾ أى قال إبراهيم واجعل من ذريتي وأولادى أئمة يقتدى بهم ﴿ قال ﴾ الله ﴿ لاينال ﴾ أى لا يصيب ﴿ عهدى ﴾ أى نبوتى وقيل الامامة ﴿ الظالمين ﴾ يعنى من ذريتك والمعنى لاينال ما عاهدت اليك من النبوة والامامة من كان ظلما من ذريتك وولدك ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وأذ جعلنا البيت ﴾ يعنى البيت الحرام وهو الكعبة ويدخل فيه الحرم فإن الله تعالى وصفه بكونه آمنا وهذه صفة جميع الحرم ﴿ مثابة للناس ﴾ أى مرجعا من تاب يشوب اذا رجع والمعنى يتوبون اليه من كل جانب يحجونه ﴿ وأمنا ﴾ أى موضعا ذا أمن يأمنون فيه من أذى المشركين فأنهم كانوا لا يتعرضون لأهل مكة ويقولون هم أهل الله وقال ابن عباس رضى الله عنهما معاذنا وملجأ (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بجرمة الله تعالى الى يوم القيامة وأنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ولم يحل لي الأساعة

يقتدى بك (قال) إبراهيم (ومن ذريتي) واجعل من ذريتي أيضا أماما يقتدى به (قال) الله (لاينال

عهدى) لاينال عهدى اليك ووعدى اليك وكرامتى اليك ورحتى (الظالمين) من ذريتك ويقال لا تجعل أماما ظلما (من) من ذريتك ويقال لاينال عهدى الظالمين فى الآخرة وأما فى الدنيا فينالهم * ثم أمر الخلق أن يقتدوا به فقال (وأذ جعلنا البيت مثابة) مرجعا (للناس) يتوبون اليه ويشتاقون اليه (وأمنا) لمن دخل فيه

﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ على إرادة القول أو عطف على المقدر عاملا
 لاذ أو اعتراض معطوف على مضمرة تقديره ثوبوا إليه واتخذوا على أن الخطاب لامة
 محمد صلى الله عليه وسلم وهو أمر استحباب ومقام إبراهيم هو الحجر الذي فيه أثر قدمه والموضع
 الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس إلى الحج أو رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روى
 أنه عليه الصلاة والسلام أخذ بيد عمر رضي الله تعالى عنه وقال هذا مقام إبراهيم
 فقال عمر أفلا تتخذة مصلى فقال لم أو مر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد
 به الأمر بركعتي الطواف لما روى جابر رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من طوافه
 عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خافه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى
 وللشافعي رحمه الله تعالى في وجوبهما قولان وقيل مقام إبراهيم الحرم كله وقيل مراوق الحج
 واتخذها مصلى أن يدعى فيها ويتقرب إلى الله تعالى * وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ
 الماضي عطفًا على جعلنا أي واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبله يصلون إليها

(واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقلنا اتخذوا منه موضع
 صلاة تصلون فيه وعنه
 عليه السلام أنه أخذ بيد
 عمر فقال هذا مقام إبراهيم
 فقال عمر أفلا تتخذة مصلى
 فقال عليه السلام لم أو مر
 بذلك فلم تغب الشمس حتى
 نزلت وقيل مصلى مدعى
 ومقام إبراهيم الحجر الذي
 فيه أثر قدميه وقيل الحرم
 كله مقام إبراهيم واتخذوا
 شامى ونافع بلفظ الماضي
 عطفًا على جعلنا أي واتخذ
 الناس من مكان إبراهيم
 الذي وسم به لاهتمامه به
 واسكان ذريته عنده قبله
 يصلون إليها

(واتخذوا) يأمة محمد (من)
 مقام إبراهيم مصلى (قبله

من نهار فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته
 إلا من عرفها ولا يختلي خلاه فقال العباس رضي الله عنه يا رسول الله ألا الاذخر فإنه لقيتهم
 وبيوتهم فقال ألا الاذخر معنى الحديث أنه لا يحل لاحد أن ينصب القتال والحرب
 في الحرم وإنما أحل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قمع مكة فقط ولا يحل
 لاحد بعده * قوله لا يعضد شوكه أي لا يقطع شوك الحرم وأراد به
 ما لا يؤذى منه أما ما يؤذى منه كالعوسج فلا بأس بقطعه * قوله ولا ينفر صيده أي
 لا يتعرض له بالاصطياد ولا يهاج * قوله ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها أي ينشدها
 والنشد رفع الصوت بالتعريف واللقطة في جمع الارض لا تحل إلا لمن يعرفها حولا
 فإن جاء صاحبها أخذها وألا انتفع بها الملتقط بشرط الضمان وحكم مكة في اللقطة أن
 يعرفها على الدوام بخلاف غيرها من البلاد فإنه محدود بسنة * قوله ولا يختلي خلاه
 الخلى مقصور الرطب من النبات الذي يرعى وقيل هو اليابس من الحشيش وخلاه
 قطعه * وقوله لقيتهم القين الحداد * وقوله تعالى ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾
 قيل الحرم كله مقام إبراهيم وقيل أراد بمقام إبراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة
 والمزدلفة والرمي وسائر المشاهد والصحيح أن مقام إبراهيم هو الحجر الذي يصلى عنده الأئمة
 وذلك الحجر هو الذي قام إبراهيم عليه الصلاة والسلام عليه عند بناء البيت وقيل كان أثر
 أصابع رجل إبراهيم عليه الصلاة والسلام فيه فأندرست بكثرة المسح بالأيدي وقيل إنما مروا
 بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله (ق) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال
 قال عمر رضي الله عنه وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم
 مصلى فنزلت واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى الحديث وكان بدو قصة المقام
 على ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أول ما اتخذت
 النساء المنطق من قبل أم أسمة عليل اتخذت منطلقا لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها =

أبراهيم وبأنها أسمعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحه فوق زمزم من
أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بهاماء فوضعها هناك ووضع عندهما جرابا
فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم منطلقا فتبعته أم أسمعيل فقالت يا إبراهيم الى أين
تذهب وتركننا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شئ فقالت له ذلك صارا وجعل
لا يلتفت اليها فقالت له الله أمراء بمننا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق
إبراهيم حتى اذا كان عند الثانية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء
الدعوات فرجع يديه وقال رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع حتى بلغ
يشكرون وجعلت أم أسمعيل ترضع أسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفذ
ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت
كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم
استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادى
ورفعت طرف درعها وسعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة
فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس
رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على
المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسك ثم سمعت فسمعت أيضا فقالت يا من قد
أسمعت أن كان عندك غواث فأذاهى بالملك عند موضع زمزم فبحث بقبه أو قال
بمخاضه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تعرف من الماء
فى سقائها وهو يفور بعد ما تعرف قال ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه
وسلم يرحم الله أم أسمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تعرف من الماء لكنت زمزم
عينا معنا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافى الضيعة فان ههنا
يتالله بينه هذا الغلام وأبوه وأن الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الارض
كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم
رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى أسفل مكة
فرأوا طائرا عائفا فقالوا أن هذا الطائر ليدور على ماء لهدانا بهذا الوادى وما فيه
ماء فإرسلوا جريا أو جريين فأذاهم بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا وأم أسمعيل
عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن نزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم فى الماء قالوا نعم قال ابن
عباس رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم فألقى ذلك أم أسمعيل وهي تحب الانس
فأرسلوا الى أهلهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم
العربية منهم وأنسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجته امرأة منهم وماتت أم
أسمعيل فجاء إبراهيم بعد ما تزوج أسمعيل يطالع تركته فلم يجد أسمعيل فسأل امرأته
عنه فقالت خرج يتغنى لنا وفى رواية ذهب يصيد لنا ثم سألهما عن عيشهم وهيتهم فقالت
نحن بشر نحن فى ضيق وشدة وشكت اليه فقال اذا جاء زوجك اقرئى عليه السلام
وقولى له يعير عتبة بابه فلما جاء أسمعيل كأنه آنس شيا فقال هل جاءكم من أحد قالت =

(نعم)

= نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد
 وشدة فقال هل أوصاك بشيء قالت نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول لك غير
 عتبة بابك قال ذلك أبي وقد أمرني أن أفارقك ألحق بأهلك فطلقها وتزوج منهم
 أخرى فلبث عنهم إبراهيم ماشاء الله أن يلبث ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته
 فسأل عنه فقالت خرج يتبني لنا قال كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت
 نحن بخير وسعة وأئنت على الله عز وجل فقال وما طعامكم قالت اللحم قال وما
 شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن
 لهم يومئذ حب ولو كان لهم حب دعالهم فيه قال فهمما لا يخلو عليهما أحد
 بغير مكة إلا لم يوافقاه وفي رواية فجاء فقال أين اسمعيل فقالت امرأته قد ذهب يصيد
 فقالت امرأته ألا تنزل عندنا قطع وتشررب قال وما طعامكم وشرابكم قالت طعامنا
 اللحم وشرابنا الماء قال اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم قال فقال أبو القاسم بركة
 دعوة إبراهيم قال فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومرهه أن يثبت عتبة بابه فلما
 جاء اسمعيل قال هل أتاكم من أحد قالت نعم أنا أنا شيخ حسن الهيئة وأئنت عليه
 فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم
 يقر عليك السلام ويأمرك أن تبت عتبة بابك فقال ذلك أبي وأنت العتبة أمرني أن
 أمسكك ثم لبث عنهم ماشاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يرى نبلا له تحت دوحة قريبا
 من زمزم فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسمعيل أن الله
 أمرني بأمر قال فاسمع ما أمرك ربك قال وتعينني قال وأعينك قال فإن الله أمرني أن
 أبني بيتا ههنا وأشار إلى مكة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت
 فجعل اسمعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء إبراهيم بهذا
 الحجر فوضعه له فقام إبراهيم عليه وهو يبني واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا
 تقبل منا أنك أنت السميع العليم وفي رواية حتى إذا ارتفع البناء وضعف الشيخ
 عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا
 أنك أنت السميع العليم وقيل أن امرأة اسمعيل قالت لإبراهيم انزل أغسل رأسك
 فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعه عن شقه الايمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه
 الايمن ثم حولته الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فبقى أثر قدميه عليه
 عن عبد الله بن عمرو العاص رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 أن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولم يطمس نورهما لاضاء
 ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال هذا يروى عن ابن عمر رضى الله عنهما موقوفا
 * واختلفوا في قوله مصلى فمن فسر المقام بمشاهد الحج ومشاعره قال مصلى مدعى من الصلاة
 التي هي الدعاء ومن فسر المقام بالحجر قال معناه واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى قبلة
 أمروا بالصلاة عنده وهذا القول هو الصحيح لان لفظ الصلاة اذا أطلق لا يعقل منه
 إلا الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود ولان مصلى الرجل هو الموضع الذي يصلى فيه

﴿ وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ﴾ امرنا هما ﴿ أن طهرا بيتي ﴾ بأن طهرا بيتي ويجوز أن تكون أن مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به أو إخلاصه ﴿ للطائفتين ﴾ حوله ﴿ والعاكفتين ﴾ المقيمين عنده أو المعتكفين فيه ﴿ والركع السجود ﴾ أى المصلين جمع راع وساجد ﴿ وأذقال ابراهيم رب اجعل هذا ﴾ يريد البلد أو المكان ﴿ بلدا آمنا ﴾

﴿ وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ﴾ أى امرناهما والزمنهما وأوجنا عليهما قيل أنما سمي اسمعيل لان ابراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولدا ويقول في دعائه اسمع يا ايل وأيل بلسان السريانية هو الله فلما رزق الولد سماه به ﴿ أن طهرا بيتي ﴾ يعنى الكعبة أضافه اليه تشريفا وتفضيلا وتخصيصا أى ابناءه على الطهارة والتوحيد وقيل طهراه من سائر الاقدار والانجاس وقيل طهراه من الشرك والاثوان وقول الزور ﴿ للطائفتين ﴾ يعنى الدائرین حوله ﴿ والعاكفتين ﴾ يعنى المقيمين به والمجاورين له ﴿ والركع السجود ﴾ جمع راع وساجد وهم المصلون وقيل الطائفتين يعنى الغرباء الواردين الى مكة والعاكفتين يعنى أهل مكة المقيمين بها قيل أن الطواف للغرباء أفضل والصلاة لاهل مكة بمكة أفضل ﴿ قوله عز وجل ﴾ وأذقال ابراهيم رب اجعل هذا ﴿ اشارة الى مكة وقيل الى الحرم ﴿ بلدا آمنا ﴾ أى ذا أمن يأمن فيه أهله وأنادعا ابراهيم له بالامن لانه بلديس فيه زرع ولا ثم فأذا لم يكن آمنا لم يجلب اليه شئ من النواحي فيتعذر المقام به فأجاب الله تعالى دعاء ابراهيم وجعله بلدا آمنا فاقصده جبار الأقصمه الله تعالى كاقبل بأصحاب الفيل وغيرهم من الجبابرة * فأن قلت قد غزا مكة الحجاج وخرب الكعبة * قلت لم يكن قصده بذلك مكة ولا أهلها ولا أضراب الكعبة وإنما كان قصده خلع ابن الزبير رضى الله عنهما من الخلافة ولم يتمكن من ذلك إلا بذلك فلما حصل قصده أعاد بناء الكعبة فيها وشيدها وعظم حرمتها وأحسن الى أهلها واختلفوا هل كانت مكة محرمة قبل دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام أو حرمت بدعوته على قولين * أحدهما أنها كانت محرمة قبل دعوته بدليل قوله صلى الله عليه وسلم أن الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام أنى أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم فهذا يقتضى أن مكة كانت محرمة قبل دعوة ابراهيم * القول الثانى أنها إنما حرمت بدعوة ابراهيم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم أن ابراهيم حرم مكة وأنى حرمت المدينة وهذا يقتضى أن مكة كانت قبل دعوة ابراهيم حلالا كغيرها من البلاد وإنما حرمت بدعوة ابراهيم ووجه الجمع بين القولين وهو الصواب أن الله تعالى حرم مكة يوم خلقها كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله أن الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولكن لم يظهر ذلك التحريم على لسان أحد من أنبيائه ورسله وإنما كان تعالى يمنعها من أرادها بسوء ويدفع عنها وعن أهلها الآفات والعقوبات فلم يزل ذلك من أمرها حتى بوأها الله تعالى ابراهيم وأسكن بها أهله فحينئذ سأل ابراهيم ربه

(وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل) أمرناهم (أن طهرا بيتي) بفتح الياء مدنى وخفض أى بأن طهرا أى طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والنجاسات والانجاس كلها (للطائفتين) للدائرین حوله (والعاكفتين) المجاورين الذين عكفوا عنده أى أقاموا لا يرحون أو المعتكفين وقيل للطائفتين للنزاع اليه من البلاد والعاكفتين والمقيمين من أهل مكة (والركع السجود) والمصلين جمع راع وساجد (وأذقال ابراهيم رب اجعل هذا) أى اجعل هذا البلد أو هذا المكان (بلدا آمنا) ذا أمن كعيشة راضية أو آمنا من فيه كقولك ليل نائم فهذا مفعول أول وبلدا مفعول

(وعهدنا الى ابراهيم) أمرنا ابراهيم (واسماعيل) أى بيتي (للطائفتين) من الاصنام (والعاكفتين) المقيمين (والركع السجود) لاهل الصلوات الخمس من جملة البلدان (وأذقال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا)

(من آمن منهم بالله واليوم الآخر) من أهله بدل البعض من الكل أي وارزق المؤمنين من أهله خاصة قاس الرزق على الامامة فخص المؤمنين به قال الله تعالى جوابا له (قال ومن كفر) أي وارزق من كفر (فأتمته قليلا) تمتعا قليلا أو زمانا قليلا الى حين أجله فأتمته شامى (ثم أضطره) ألجئه الى عذاب النار وبئس المصير) المرجع الذي يصير اليه النار فالخصوص بالذم محذوف (وأذيرفع) حكاية حال ماضية (أبراهيم القواعد) هي جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبية ومعناها الثابتة ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بنى عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاوت بعد التقاصر (من البيت) بيت الله وهو الكعبة (وأسمعيل) من أن يهاج فيه (وارزق أهله من الثمرات) من ألوان الثمرات (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) بالبعث بعد الموت (قال) الله (ومن كفر) أيضا (فأتمته قليلا) فسأرزقه قليلا في الدنيا (ثم أضطره) ألجؤه

ذا أمن كقوله في عيشة راضية أو آنا أهله كقولك ليل نائم ﴿ وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ﴾ أبدل من آمن من أهله بدل البعض للتخصيص ﴿ قال ومن كفر ﴾ عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس إبراهيم عليه الصلاة والسلام الرزق على الامامة فنبه سبحانه وتعالى على أن الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين أو مبتدأ متضمن معنى الشرط ﴿ فأتمته قليلا ﴾ خبره والكفر وأن لم يكن سبب التمتع لكنه سبب تقيده بأن يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ﴿ ثم اضطره الى عذاب النار ﴾ أي الزهال به من المضطر لكفره وتضييعه مآتمته به من النعم وقليلا نصب على المصدر أو الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على أنه من دعاء إبراهيم وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر فأتمته من أمتع وقرئ فتمته ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة وأطره بأدغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس ﴿ وبئس المصير ﴾ المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب ﴿ وأذيرفع إبراهيم القواعد من البيت ﴾ حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبية من القواعد بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فإنه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل أن يراد بها سافات البناء فإن كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته وأظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي أبهام القواعد وتبينها تفخيم لشأنها ﴿ وأسماعيل ﴾ كان بناوله الحجارة ولكنه

عز وجل أن يظهر تحريم مكة لعباده على لسانه فأجاب الله تعالى دعوته وأزيم عباده تحريم مكة فصارت مكة حراما بدعوة إبراهيم وفرض على الخلق تحريمها والامتناع من استعمالها واستحلال صيدها وشجرها فهذا وجه الجمع بين القولين وهو الصواب والله أعلم ﴿ وارزق أهله من الثمرات ﴾ أنما سأل إبراهيم ذلك لان مكة لم يكن بهازرع ولا ثمر فاستجاب الله تعالى له وجعل مكة حراما آنا يجي اليه ثمرات كل شيء ﴿ من آمن منهم بالله واليوم الآخر ﴾ يعنى ارزق المؤمنين من أهله خاصة وسبب هذا التخصيص أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما سأل ربه عز وجل أن يجعل النبوة والامامة في ذريته فأجابه الله بقوله لا ينال عهدى الظالمين صار ذلك تأديبا له في المسئلة فلا جرم خص ههنا بدعائه المؤمنين دون الكافرين ثم أعلمه أن الرزق في الدنيا يستوي فيه المؤمن والكافر بقوله ﴿ قال ومن كفر فأتمته ﴾ أي سأرزق الكافر أيضا ﴿ قليلا ﴾ أي في الدنيا الى منتهى أجله وذلك قليل لانه ينقطع ﴿ ثم اضطره الى عذاب النار ﴾ أي ألجئه وأكرهه وأدفعه الى عذاب النار والمضطر هو الذي لا يمكن لنفسه الامتناع مما اضطر اليه ﴿ وبئس المصير ﴾ أي وبئس المكان الذي يصير اليه الكافر وهو العذاب ﴿ قوله تعالى ﴾ وأذيرفع إبراهيم القواعد من البيت وأسمعيل ﴿ وكانت قصة بناء البيت على ما ذكر العلماء

ألجؤه (الى عذاب النار وبئس المصير) صار اليه (وأذيرفع إبراهيم القواعد من البيت) بنى إبراهيم أساس البيت (وأسمعيل)

لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين أو على التناوب ﴿ ربنا
تقبل منا ﴾ أى يقولان ربنا تقبل منا وقد قرئ به وبالجملة حال منهما

وأصحاب السير أن الله تعالى خلق موضع البيت قبل أن يخلق الارض بألفى عام
فكانت زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحتها فلما أهبط الله آدم الى
الارض استوحش فشكا الى الله تعالى فانزل البيت المعمور وهو من ياقوته من
يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر باب شرقى وباب غربى فوضعه على موضع
البيت وقال يا آدم أنى أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشى وتصلى عنده
كما يصلى عند عرشى وأنزل الله عليه الحجر الاسود وكان أبيض فأسود من مس الحيز
في الجاهلية فتوجه آدم عليه الصلاة والسلام من الهند ماشيا الى مكة وأرسل الله اليه ملكا
يدله على البيت فحج آدم البيت وأقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا له برجك
يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام قال ابن عباس رضى الله عنهما حج آدم أربعين
حجة من الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى أيام الطوفان فرفعه الله الى السماء
الرابعة وهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه وبعث الله
جبريل حتى خبا الحجر الاسود في جبل أبى قيس صيانة له من العرق فكان موضع
البيت خاليا الى زمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ثم أن الله تعالى أمر إبراهيم
بعدما ولد له إسماعيل وأسحق ببناء بيت يذكر فيه ويبعد فسأل الله أن يبين له موضعه
فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهى ريح خجوج لها رأسان تشبه الحية
والخجوج من الرياح هى الشديدة السريعة الهبوب وقيل هى المتلوية فى هبوبها وأمر
إبراهيم أن يبنى حيث تستقر السكينة فتبعها إبراهيم حتى أتت موضع البيت فتطوقت
عليه كتطويق الحنيفة وقال ابن عباس رضى الله عنهما بعث الله سبحانه وتعالى سبحانه على
قدر الكعبة فجعلت تسير وإبراهيم يمشى فى ظلها الى أن وقفت على موضع البيت ونودى
منها يا إبراهيم ابن على قدر ظلها لا تزدد ولا تنقص وقيل أن الريح كنت له ماحول
الكعبة حتى ظهر له أساس البيت الاول فذلك قوله تعالى واذبونا لآبراهيم مكان
البيت فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت فكان إبراهيم يبنيه وإسماعيل يناوله الحجارة
فذلك قوله تعالى واذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت جمع قاعدة وهى أس البيت
وقيل جذرة من البيت قال ابن عباس رضى الله عنهما بنى إبراهيم البيت من خمسة أجبل
من طور سيناء وطور زيباء ولبنان جبل بالشام والجودى جبل بالجزيرة وبنى قواعد
من حراء جبل بمكة فلما انتهى إبراهيم الى موضع الحجر الاسود قال لإسماعيل ائتني
بحجر حسن يكون للناس علما فأناه بحجر فقال ائتني بأحسن منه فضى إسماعيل
ليطلب حجرا أحسن منه فصاح أبو قيس يا إبراهيم أن لك عندي وديعة فخذها
فقدف بالحجر الاسود فأخذه إبراهيم فوضعه مكانه وقيل أن الله تعالى أمد إبراهيم
وإسماعيل بسبعة أملاك يعينونهما فى بناء البيت فلما فرغا من بنائه قال ﴿ ربنا تقبل منا ﴾

هو عطف على إبراهيم وكان
إبراهيم بنى وإسماعيل يناوله
الحجارة (ربنا) أى يقولان
ربنا وهذا الفعل فى محل
النصب على الحال وقد
أظهره عبد الله فى قرأته
ومعناه يرفعانها قائلين ربنا
(تقبل منا) تقربنا اليك
يعينه فلما فرغا قالوا (ربنا)
يا ربنا (تقبل منا) بناء ما

ببناء هذا البيت (أنك أنت السميع) ﴿ ١٩٩ ﴾ لدعائنا (العليم) { سورة البقرة } بضماثرنا وبناتنا وفي ابهام

القواعد وتبينها بعد الابهام
تفخيم لشأن الميين (ربنا
واجعلنا مسلمين لك) مخلصين
لك أوجهنا من قوله أسلم
وجهه لله أو مستسلمين يقال
أسلمه واستسلم اذا خضع
وأذعن والمعنى زدنا تخلصا
واذعاناً لك (ومن ذريتنا)
واجعل من ذريتنا (أمة
مسلمة لك) ومن للتبويض
أوللتبيين وقيل أراد بالامة
أمة محمد عليه السلام وإنما
خصنا بالدعاء ذريتهما لانهم
أولى بالشفقة كقوله تعالى
قوا أنفسكم وأهليكم نارا
(وأرنا مناسكنا) منقول من
رأى بمعنى أبصر أو عرف
ولذا لم يتجاوز مفعولين أى
وبصرنا متعبداتنا في الحج
أو عرفناها وواحد المناسك
منسك بفتح السين وكسرهما
وهو المتعبد ولهذا قيل للعابد
ناسك وأرنا منى قاسمه على
فخذنى فخذوا بوعمرو ویشم

بيتك (أنك أنت السميع)
لدعائنا (العليم) بالاجابة
ويقال العليم بناتنا لبناتنا
بيتك (ربنا) يا ربنا (واجعلنا
مسلمين) مطيعين مخلصين
(لك) بالتوحيد والعبادة
(ومن ذريتنا أمة مسلمة)
مطبعة مخلصه (لك) بالتوحيد
والعبادة (وأرنا مناسكنا)

﴿ أنك أنت السميع ﴾ لدعائنا ﴿ العليم ﴾ بناتنا ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ﴾ مخلصين
لك من أسلم وجهه أو مستسلمين من أسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة
في الاخلاص والاذعان أو الثبات عليه وقرئ مسلمين على أن المراد أنفسهم وهاجر
أو أن الثانية من مراتب الجمع ﴿ ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾ أى واجعل بعض
ذريتنا وأما خصا الذرية بالدعاء لانهم أحق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع
وخصا بعضهم لما أعلمنا أن في ذريتهما ظلمة وعلما أن الحكمة الالهية لا تقتضى الاتفاق
على الأخلاص والاقبال الكلى على الله تعالى فإنه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا
الحقى غربت الدنيا وقيل أراد بالامة أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن تكون
من اللتين كقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم قدم على الميين وفصل به بين العاطف
والمطوف كما في قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن ﴿ وأرنا ﴾ من
رأى بمعنى أبصر أو عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين ﴿ مناسكنا ﴾ متعبداتنا في الحج
أو مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد
عن العادة * وقرأ ابن كثير والسوسى عن أبي عمرو ويعقوب أرنا قياسا على فخذنى فخذ
وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرأ الدورى عن

وفي الآية اضمار تقديره ويقولان ربنا تقبل منا أى ما عملناك وتقبل طاعتنا أياك
وعبادتناك ﴿ أنك أنت السميع ﴾ أى لدعائنا ﴿ العليم ﴾ يعنى بناتنا ﴿ قوله عز وجل
﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ﴾ يعنى موحدين مخلصين مطيعين خاضعين لك * فأن قلت
الاسلام أمان يكون المراد منه الدين والاعتقاد أو الاستسلام والانقياد وقد كانا
كذلك حالة هذا الدعاء فمافائدة هذا الطلب قلت فيه وجهان أحدهما أن الاسلام
عرض قائم بالقلب وقد لا يبقى فقوله واجعلنا مسلمين لك يعنى في المستقبل وذلك لا ينافى
حصوله في الحال الوجه الثانى يحتمل أن يكون المراد منه طلب الزيادة في الايمان
فكأنهما طلبا زيادة اليقين والتصديق وذلك لا ينافى حصوله في الحال ﴿ ومن ذريتنا ﴾
أى من أولادنا ﴿ أمة ﴾ أى جماعة ﴿ مسلمة ﴾ أى خاضعة منقادة ﴿ لك ﴾ وإنما
أدخل من التى هى للتبويض لان الله تعالى أعلمهما بقوله لا ينال عهدى الظالمين أن فى
ذريتهما الظالم فلها خص بعض الذرية بالدعاء * فأن قلت لم خص ذريتهما بالدعاء
* قلت لانهم أحق بالشفقة والنصيحة قال الله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا أولان أولاد
الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم ألا ترى أن المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا
على السداد كيف يتسبون لسداد من وراءهم وقيل أراد بالامة أمة محمد صلى الله
عليه وسلم بدليل قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم ﴿ وأرنا ﴾ أى علمنا وبصرنا
﴿ مناسكنا ﴾ أى شرائع ديننا وأعلام حجنا وقيل مناسكنا يعنى مذابحنا والنسك الذبيحة
وقيل متعبداتنا وأصل النسك العبادة والناسك العابد فأجاب الله دعاهما وبعث جبريل
فأراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرف يا إبراهيم قال إبراهيم نعم فسمى ذلك

(قوله وفيه اجحاف) بتقديم الجيم أى زيادة تغيير وتبع فيه الزمخشري قال في العناية وليس كما يبنى لانها من القراءات المتواترة مصححه

الكسرة (وتب علينا) { الجزء الاول } ما فرط منا من ﴿ ٢٠٠ ﴾ التقصير أو استتابا لذريتهما (أنك

أبي عمرو بالاختلاس ﴿ وتب علينا ﴾ استتابا لذريتهما أو عما فرط منهما سهوا
ولعلمهما قالا هضما لانفسهما وأرشادا لذريتهما ﴿ أنك أنت التواب الرحيم ﴾ لمن
تاب ﴿ ربنا وابعث فيهم ﴾ في الامة المسئلة ﴿ رسولا منهم ﴾ ولم يبعث من ذريتهما
غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المحاب به دعوتهما كما قال أنادعوة أبي إبراهيم وبشرى
عيسى ورؤياى ﴿ يتلو عليهم آياتك ﴾ يقرأ عليهم ويلغهم ما يوحى اليه من دلائل

الوقت عرفة والموضع عرفات ﴿ وتب علينا ﴾ أى تجاوزنا ﴿ أنك أنت التواب ﴾
أى المتجاوز عن عباده ﴿ الرحيم ﴾ بهم * واحتج بقوله وتب علينا من جوز الذنوب
على الانبياء ووجهه أن التوبة لا تطلب من الله إلا بعد تقدم الذنب فلولا تقدم الذنب
لم يكن لطلب التوبة وجه * وأجيب عنه بأن العبد وأن اجتهد في طاعة ربه عزوجل
فأنه لا ينفك عن تقصير في بعض الاوقات أما على سبيل السهو أو ترك الاولى
والافضل وكان هذا الدعاء لاجل ذلك وقيل يحتمل أن الله تعالى لما أعلم إبراهيم
أن في ذريته من هو ظالم فلا جرم سأل ربه التوبة لاوئك الظلمة والمعنى وتب
على الظلمة من أولادنا حتى يرجعوا الى طاعتك فيكون ظاهر الكلام الدعاء لانفسهما
والمراد به ذريتهما وقيل يحتمل أنهما لما رفا قواعدا البيت وكان ذلك المكان
أحرى الاماكن بالاجابة دعوا الله بذلك الدعاء ليجعل ذلك سنة وليقتدى من
بعدهما بهما في ذلك الدعاء لان ذلك المكان هو موضع التنصل من الذنوب وسؤال
التوبة والمغفرة من الله تعالى ﴿ قوله عزوجل ﴾ ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ﴾ يعنى
وابعث في الامة المسئلة أو الذرية وهم العرب من ولد اسمعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة
والسلام وقوله رسولا منهم يعنى ليدعوهم الى الاسلام ويكمل الدين والشرع واذا كان
الرسول منهم يعرفون نسبه ومولده ومنشأه كان أقرب لقبول قوله ويكون هو أشفق عليهم
من غيره وأجمع المفسرون على أن المراد بقوله رسولا منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم لان إبراهيم
عليه الصلاة والسلام أنادعا لذريته وهو بمكة ولم يبعث من ذريته بمكة غير محمد صلى الله
عليه وسلم فدل على أن المراد به محمد صلى الله عليه وسلم * وروى البغوى بأسناد عن العرياض
ابن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنى عند الله مكتوب خاتم النبيين
وأن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم بأول أمرى أنادعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا
أى التى رأت حين وضعتى وقد خرج لهانور ساطع أضاءت لهامنه قصور الشام
* وقوله لمنجدل في طينته معناه أنه مطروح على وجه الارض صورة من طين لم تجر فيه
الروح وأراد بدعوة إبراهيم قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب الله دعاء إبراهيم
وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم في آخر الزمان وأتقدمهم به من الكفر والظلم وأراد ببشارة
عيسى عليه الصلاة والسلام قوله في سورة الصف ومبشرا برسول يأتي من بعدى
اسمه أحمد ﴿ يتلو عليهم ﴾ أى يقرأ عليهم ﴿ آياتك ﴾ يعنى ما يوحى اليه وهو القرآن
الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لان الذى كان يتلوه عليهم هو القرآن فوجب

أنت التواب الرحيم ربنا
وابعث فيهم) في الامة
المسئلة (رسولا منهم)
من أنفسهم فبعث الله فيهم
محمدا عليه السلام قال عليه
السلام أنادعوة أبي إبراهيم
وبشرى عيسى ورؤياى
(يتلو عليهم آياتك) يقرأ
عليهم ويلغهم ما يوحى
اليه من دلائل وحدانيتك
وصدق أنبيائك ورسلك

علمنا سنننا (وتب علينا)
تجاوزنا تقصيرنا (أنك
أنت التواب) المتجاوز
(الرحيم) بالمؤمنين (ربنا)
ياربنا (وابعث فيهم) في
ذرية اسمعيل (رسولا منهم)
من نسبهم (يتلو عليهم آياتك)

(قوله استتابا لذريتهما) لما
كانت التوبة تقضى الذنب
وهم معصومون على الاصح
قلها وبعدها أوله بما ذكره
بتقدير مضاف أو من اطلاق
اسم الاب على الذرية كما قال
تيمم للقبيلة وبقية الوجوه ظاهرة
وقوله لمن تاب متعلق بالرحيم
ولو قال فترحم من تاب كان
أولى (قوله ولم يبعث من ذريتهما)
أى من ذريتهما معاً بأن يكون
ابن اسمعيل بن إبراهيم عليهما
الصلاة والسلام لان ذرية
كل منهما فأن في أولاد اسحق
أنبياء ورسلا وقال دعوة أبي
إبراهيم في الحديث اقتصار
على الاعظم والأفوه دعوة
اسمعيل عليهما الصلاة والسلام
ايضا وأن اردت التفصيل
فارجع الى العناية مصححه

(ويعلمهم الكتاب) القرآن ﴿٢٠١﴾ (والحكمة) السنة وفهم {سورة البقرة} القرآن (ويزكهم) ويطهرهم

من الشرك وسائر الارجاس
(أنت العزیز)
الغالب الذي لا يقبل
(الحكيم) فيما اوليت
(ومن يرغب عن ملة إبراهيم)
استفهام بمعنى الحمد
وانكار أن يكون في العقلاء
من يرغب عن الحق الواضح
الذي هو ملة إبراهيم والملة
السنة والطريقة كذا عن
الزجاج (الأمين) في محل
الرفع على البدل من الضمير
في يرغب وصح البدل لان
من يرغب غير موجب
كقولك هل جاءك أحد
أزيد والمعنى وما يرغب
عن ملة إبراهيم إلا من
(سفه نفسه) أي جهل
نفسه أي لم يفكر في نفسه
فوضع سفه موضع جهل

القرآن (ويعلمهم الكتاب)

القرآن (والحكمة) الحلال

والحرام (ويزكهم) يطهرهم
بالتوحيد والزكاة من الذنوب
(أنت العزیز)
بالنقمة لمن لا يجيب رسولك
الذي ترسله اليهم (الحكيم)
في ارسال الرسول فاستجاب
الله دعاه وبعث فيهم
محمدا صلى الله عليه وسلم
وهن تلك الكلمات التي
ابتلاه الله بها فأتعمن فدعا
بن (ومن يرغب عن

التوحيد والنبوة ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ ما تكمل به نفوسهم
من المعارف والاحكام ﴿ويزكهم﴾ عن الشرك والمعاصي ﴿أنت العزیز﴾
الذي لا يقهر ولا يقبل على ما يريد ﴿الحكيم﴾ المحكم له ﴿ومن يرغب عن ملة
إبراهيم﴾ استبعاد وانكار لان يكون أحد يرغب عن ملته الواضحة الغراء أي
لا يرغب أحد عن ملته ﴿الأمين سفه نفسه﴾ الأمان استهتها وأذلها واستخف بها
قال المبرد وتعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبير

جله عليه ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ يعني معاني الكتاب وحقائقه لان المقصود الاعظم
تعليم مافي القرآن من دلائل التوحيد والنبوة والاحكام الشرعية فلما ذكر الله تعالى
أولا أمر التلاوة وهي حفظ القرآن ودراسته ليقى مصوناً عن التحريف والتبديل
ذكر بعده تعليم حقائقه وأسراره ﴿والحكمة﴾ أي ويعلمهم الحكمة وهي الاصابة
في القول والعمل ولا يسمى الرجل حكيماً إلا اذا اجتمع فيه الامران وقيل الحكمة
هي التي ترد عن الجهل والخطأ وذلك انما يكون بما ذكرناه من الاصابة في القول
والعمل ووضع كل شئ موضعه وقيل الحكمة معرفة الاشياء بحقائقها واختلاف
المفسرون في المراد بالحكمة ههنا فروى ابن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة
قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له وقال قتادة الحكمة هي السنة وذلك
لان الله تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه الحكمة فوجب أن
يكون المراد بها شئاً آخر وليس ذلك إلا السنة وقيل الحكمة هي العلم بأحكام الله
تعالى التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والمعرفة بها منه وقيل
الحكمة هي الفصل بين الحق والباطل وقيل هي معرفة الاحكام والقضاء وقيل هي
فهم القرآن والمعنى ويعلمهم مافي القرآن من الاحكام والحكمة وهي مافيه من المصالح
الدينية والاحكام الشرعية وقيل كل كلمة وعظمتك أودعتك الى مكرمة أو نجتك
عن قبيح فهي حكمة ﴿ويزكهم﴾ أي ويطهرهم من الشرك وعبادة الاوثان
وسائر الارجاس والردائل والنقائص وقيل يزكهم من التزكية أي يشهد لهم
يوم القيامة بالعدالة اذ شهدوا للانبياء بالبلاغ ثم ختم إبراهيم الدعاء بالثناء على الله تعالى
فقال ﴿أنت العزیز﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما العزیز الذي لا يوجد مثله وقيل
هو الذي يقهر ولا يقهر وقيل هو المنيع الذي لا تناله الايدي وقيل العزیز القوي والعزة
القوة من قولهم أرض عزاز أي صلبة قوية ﴿الحكيم﴾ أي العالم الذي لا تخفى عليه
خافية وقيل هو العالم بالاشياء ويجادها على غاية الاحكام قوله عز وجل ﴿ومن يرغب
عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾ سبب نزول هذه الآية أن عبد الله بن سلام رضي الله
عنه دعاه إلى أخيه إلى الاسلام مهاجراً وسلمة وقال لهما قد علمتا أن الله تعالى قال في التوراة
أني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه أجدفن آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون
فأسلم سلمة وأبي مهاجر أن يسلم فانزل الله تعالى ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم أي يترك دينه

ملة إبراهيم) من يزهد في دين إبراهيم (قا و خا ٢٦ ل) وسنته (الأمين سفه نفسه) الأمان خسر نفسه وذهب عقله

وعدى كما عدى أو معناه سفه في نفسه فحذف في كما حذف من في قوله واختار موسى قومه أى من قومه وعلى في قوله ولا تعزموا عقدة النكاح { الجزء الاول } أى على عقدة النكاح ﴿ ٢٠٢ ﴾ والوجهان عن الزجاج وقال الفراء

أن تسفه الحق وتعمض الناس وقيل أصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه وقول جرير

ونأخذ بعده بذناب عيش * أجب الظهر ليس له سنام

أوسفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلًا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي ﴿ ولقد اصطفيناه في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ حجة وبيان لذلك فإن من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيامة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الأسفيه أو متسفه أذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر ﴿ أذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ﴾ ظرف لاصطفيناه وتعليل له أو منصوب بأضمار اذ كر كأنه قيل اذ كذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى

وشريته وفيه تعريض باليهود والنصارى ومشركي العرب لان اليهود والنصارى يتفخرون بالانساب الى أبراهيم والوصلة اليه لانهم من نبي إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام والعرب يتفخرون به لانهم من ولد اسمعيل بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام واذا كان كذلك كان أبراهيم هو الذي طلب بعثة هذا الرسول في آخر الزمان فمن رغب عن الايمان بهذا الرسول الذي هو دعوة أبراهيم فقد رغب عن ملقة أبراهيم ومعنى يرغب عن ملقة أبراهيم أى يترك دينه وشريته يقال رغب في الشيء اذا أراد ورغب عنه اذا تركه الا لمن سفه نفسه قال ابن عباس رضى الله عنهما خسر نفسه وقيل أهلك نفسه وقيل امتنها واستخف بها وأصل السفه الخفة وقيل الجهل وضعف الرأى فكل سفه جاهل لان من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعترف بأن الله خالقها وقد جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه ومعناه أن يعرف نفسه بالذل والحجز والضعف والفناء ويعرف ربه بالعز والقدرة والقوة والبقاء ويدل على هذا أن الله تعالى أوحى الى داود عليه الصلاة والسلام اعرف نفسك واعرفنى قال يارب وكيف أعرف نفسى وكيف أعرفك قال اعرف نفسك بالعجز والضعف والفناء واعرفنى بالقوة والقدرة والبقاء ﴿ ولقد اصطفيناه ﴾ أى اخترناه ﴿ في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ يعنى الفائزين وقيل مع الانبياء في الجنة ﴿ أذ قال له ربه أسلم ﴾ أى استقم على الاسلام وأثبت عليه لانه كان مسلما لان الانبياء انما نشؤوا على الاسلام والتوحيد قال ابن عباس رضى الله عنهما قال له ذلك حين خرج من السرب وذلك عند استدلاله بالكواكب والشمس والقمر واطلاعه على أمارات الحدوث فيها واقتقارها الى محدث مدبر فلما عرف ذلك قال له ربه أسلم ﴿ قال أسلمت لرب العالمين ﴾ أى قال أبراهيم خضعت بالطاعة وأخلصت العبادة لملك الخلائق ومدبرها ومحدثها وقيل معنى أسلم أخلص دينك وعبادتك لله واجعلها سلمية وقيل الايمان من صفات القلب والاسلام من صفات الجوارح وأن أبراهيم كان مؤمنا

هو منصوب على التمييز وهو ضعيف لكونه معرفة (ولقد اصطفيناه في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين) بيان لخطأ رأى من يرغب عن ملته لان من جمع كرامة الدارين لم يكن أحد أولى بالرغبة في طريقته منه (أذ قال) ظرف لاصطفيناه وانصب بأضمار اذ كر كأنه قيل اذ كذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذى لا يرغب عن ملته مثله (له ربه أسلم) اذ عن أو اطع أو أخلص دينك لله (قال أسلمت لرب العالمين) أى

وسفه رأيه (ولقد اصطفيناه) اخترناه يعنى أبراهيم (في الدنيا) بالخلقة ويقال اخترناه في الدنيا بالنبوة والاسلام والذرية الطيبة (وأنه في الآخرة لمن الصالحين) مع آباءه المرسلين في الجنة (أذ قال له ربه) حين خرج من السرب (أسلم) فرد في مقاتك وقل لأله أوالله (قال أسلمت لرب العالمين) فردت في مقاتى لله رب العالمين ويقال قال

له ربه حين دعا قومه الى التوحيد أسلم أخلص دينك وعملك لله قال أسلمت أخلصت دينى وعملى (بقلبه) لله رب العالمين ويقال قال له ربه حين أتى فى النار أسلم نفسك الى قال أسلمت نفسى لله رب

اخلصت أو انقذت (ووصى)

وأوصى مدني وشامي (بها)
بالملة أو بالكلمة وهي أسلمت
لرب العالمين (أبراهيم بنيه
ويعقوب) هو معطوف على
أبراهيم داخل في حكمه
والمعنى ووصى بها يعقوب
بنيه أيضا (يا بني) على أخصار
القول (أن الله اصطفى لكم
الدين) أي أعطاكم الدين
الذي هو صفوة الأديان
وهو دين الإسلام ووفقكم
للاخذ به (فلا تتونن إلا وأنتم
مسلمون) فلا يمكن موتكم إلا
على حال كونكم ثابتين على
الإسلام فالنهي في الحقيقة
عن كونهم على خلاف حال
الإسلام إذا ماتوا كقولك
لا تتصل إلا وأنت خاشع
فلاتنه عن الصلاة ولكن
عن ترك الخشوع في صلاته

العالمين (ووصى بها إبراهيم)
بلا اله إلا الله (بنيه) عند
الموت (ويعقوب) أبناءه
أيضا قال (يا بني أن الله
اصطفى لكم الدين)
اختار لكم دين الإسلام
(فلا تتونن إلا وأنتم مسلمون)
فأثبتوا على الإسلام حتى
توتوا مسلمين مخلصين
له بالتوحيد والعبادة ثم
ذكر خصومة اليهود بدين

(قوله في صحيفة ٢٠٢ وقول
جرير) كذا بالنسخ وهو سهو
فإن الشعر للتابعة الذيباني

الصالح المستحق للإمامة والتقدم وأنه نال ما نال بالمبادرة إلى الأذغان وأخلاص السرحين
دعاه ربه وأخطر به الله دلائله المؤدية إلى المعرفة الداعية إلى الإسلام * روى أنها نزلت لما دعا
عبد الله بن سلام رضى الله عنه ابن أخيه سلمة ومهاجرا إلى الإسلام فأسلم سلمة وأبي مهاجر
﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ﴾ التوصية هي التقدم إلى الغير بفعل فيه صلاح وقربة وأصلها
الوصل يقال وصاه إذا وصله وفصاه إذا فصله كأن الموصى يصل فعله بفعل الوصى والضمير
فيها للملة أو لقوله أسلمت على تأويل الكلمة أو الجملة * وقرأ نافع وابن عامر وأوصى
والأول أبلغ ﴿ ويعقوب ﴾ عطف على إبراهيم أي وصى هو أيضا بهابيه * وقرئ
بالنصب على أنه ممن وصاه إبراهيم ﴿ يا بني ﴾ على أخصار القول عند البصريين
متعلق بوصى عند الكوفيين لأنه نوع منه ونظيره

رجلان من ضبة أخبرانا * أنا رأينا رجلا عريانا

بالكسر وبنو إبراهيم كانوا أربعة اسماعيل وأسمحق ومدين ومدان وقيل ثمانية
وقيل أربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويشوخون
وزبولون وزواي وفتوفى وكودا وأوشيز وبنيامين ويوسف * أن الله اصطفى
لكم الدين ﴿ دين الإسلام الذي هو صفوة الأديان لقوله ﴾ فلا تتونن إلا وأنتم
مسلمون ﴿ ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الإسلام والمقصود هو النهي

بقلبه عارفا بالله فأمره الله أن يعمل بجوارحه وقيل معناه أسلم نفسك إلى الله تعالى
وفوض أمرك إليه قال أسلمت أي فوضت أمرى لرب العالمين قال ابن عباس رضى الله
عنهما وقد حقق ذلك حيث لم يستعن بأحد من الملائكة حين ألقى في النار * قوله
عز وجل ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ﴾ يعنى بكلمة الإخلاص وهي لا اله إلا الله
وقيل هي الملة الخفيفة وكان لإبراهيم ثمانية أولاد اسمعيل وأمه هاجر القبطية وأسمحق وأمه
سارة ومدين ومدان ويقنان وزمران وشيق وشوخ وأمه قطورا بنت يقطن الكنعانية
تزوجها إبراهيم حين وفاة سارة * فأن قلت لم قال وصى بها إبراهيم بنيه ولم يقل أمرهم * قلت
لان لفظ الوصية أو كدم لفظ الأمر لان الوصية إنما تكون عند الخوف من الموت وفي ذلك
الوقت يكون احتياط الإنسان لولده أشد وأعظم وكانوا هم إلى قبول وصيته أقرب
وإنما خص بنيه بهذه الوصية لان شفقة الرجل على بنيه أكثر من شفقة غيره وقيل
لانهم كانوا أئمة يقتدى بهم فكان صلاحهم صلاحا لغيرهم ﴿ ويعقوب ﴾ أي ووصى
يعقوب بمثل ما وصى به إبراهيم وسمى يعقوب لانه هو والعيص كانا توأمين في بطن
واحد فتقدم العيص وقت الولادة في الخروج من بطن أمه وخرج يعقوب على أثره
آخذا بعقبه قال ابن عباس رضى الله عنهم وقيل سمي يعقوب لكثرة عقبه وكان له من الولد
اثنا عشر وهم روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا وربالون ويشجوردان وفتالي وجادو أشر
ويوسف وبنيامين ثم خاطب يعقوب بنيه فقال ﴿ يا بني أن الله اصطفى لكم الدين ﴾ أي
اختار لكم دين الإسلام ﴿ فلا تتونن إلا وأنتم مسلمون ﴾ أي مؤمنون مخلصون فالمعنى

(أم كنتم شهداء أذ حضر يعقوب الموت) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أي ما كنتم حاضرين يعقوب الجزء الأول عليه السلام أذ حضره ﴿ ٢٠٤ ﴾ الموت أي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى

عن أن يكونوا على خلاف تلك الحال إذا ماتوا والأمر بالثبات على الإسلام كقولك لا اتصل الأوت خاشع وتغير العبارة للدلالة على أن موتهم لأعلى الإسلام موت لاخير فيه وأن من حقه أن لا يحل بهم ونظيره في الأمرت وأنت شهيد وروى أن اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألسنت تعلم أن يعقوب أوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ﴿ أم كنتم شهداء أذ حضر يعقوب الموت ﴾ أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار أي ما كنتم حاضرين أذ حضر يعقوب الموت وقال لبيه ماقال فلم تدعون اليهودية عليه أو متصلة بمخدوف تقديره أكنتم غائبين أم كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شهدتم ذلك وأما علمتموه بالوحي * وقرئ حضر بالكسر ﴿ أذ قال لبيه ﴾ بدل من أذ حضر ﴿ ما تعبدون من بعدى ﴾ أي شئ تعبدونه أراد به تقريرهم على التوحيد والإسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شئ ما لم يعرف فأذا عرف خص العقلاء بمن إذا سئل عن تعيينه وأن سئل عن وصفه قيل ما زيد أفضيه أم طيب ﴿ قالوا نعبد ألهك وأله آبائك إبراهيم وأسماعيل وأسحق ﴾ المتفق على وجوده تعالى وألوهيته ووجوب عبادته وعد اسماعيل من آباءه تغليبا للاب والجد أولانه كالأب لقوله عليه الصلاة والسلام عم الرجل صنأبيه كإقال عليه الصلاة والسلام

دوموا على أسلامكم حتى يأتكم الموت وأنتم مسلمون لانه لا يعلم في أي وقت يأتي الموت على الانسان وقيل في معنى وأنتم مسلمون أي محسنون الظن بالله عز وجل يدل عليه ما روى عن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه أخرجاه في الصحيحين ﴿ قوله عز وجل ﴾ أم كنتم شهداء ﴿ جمع شهيد بمعنى الحاضر أي ما كنتم حاضرين ﴾ أذ حضر يعقوب الموت ﴿ أي حين احتضر وقرب من الموت ﴾ نزلت في اليهود وذلك لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية فانزل الله تعالى هذه الآية تكذيبا لهم والمعنى أم كنتم يا معشر اليهود شهودا على يعقوب اذ حضره الموت أي أنكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على أنبيائى ورسلى الأباطيل وتنسبهم الى اليهودية فأنى ما ابتعثت خليلى إبراهيم وولده وأولادهم الأبدن الإسلام وبذلك وصوا أولادهم وبه عهدوا اليهم ثم بين ماقال يعقوب لبيه فقال تعالى ﴿ أذ قال ﴾ يعنى يعقوب ﴿ لبيه ﴾ يعنى لا أولاده الاثنى عشر ﴿ ما تعبدون ﴾ أي شئ تعبدون ﴿ من بعدى ﴾ قيل أن الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الحياة والموت فلما خير يعقوب وكان قد رأى أهل مصر يعبدون الاوثان واليران فقال انظرنى حتى أسأل ولدى وأوصيه فأمهله فجمع ولده وولدولده وقال لهم قد حضر أجلي ما تعبدون من بعدى ﴿ قالوا نعبد ألهك وأله آبائك إبراهيم وأسماعيل وأسحق ﴾ انما قدم اسماعيل لانه كان أكبر من أسحق وأدخله في جملة

ما شهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي أو متصلة ويقدر قبلها مخدوف والخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الأعالى اليهودية كأنه قيل أئدعون على الانبياء اليهودية أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت (أذ قال) بدل من اذ الأولى والعامل فيهما شهداء أو ظرف لحضر (لبيه ما تعبدون) ما استفهام في محل النصب بتعبدون أي شئ تعبدون وما عم في كل شئ أو هو سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد أفضيه أم طيب (من بعدى) من بعد موتى (قالوا نعبد ألهك وأله آبائك) اعيد ذكر الاله لئلا يعطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار (إبراهيم وأسماعيل وأسحق) عطف بيان لآبائك وجعل اسماعيل من جملة آباءه وهو عمه لان العم أب قال عليه السلام في العباس

إبراهيم فقال (أم كنتم شهداء) أكنتم يا معشر اليهود حضراء (أذ حضر يعقوب الموت) بماذا أوصى بنيه باليهودية أو الإسلام (أذ قال لبيه ما تعبدون

من بعدى) من بعد موتى (قالوا نعبد ألهك) الذى تعبده (وأله آبائك إبراهيم وأسماعيل وأسحق) لها (الآباء)

هذا بقية آباء (أهلوا احدا) بدل من آله آباءك كقوله بالنصية ناصية كاذبة أو نصب على الاختصاص أى يزيد بأله آباءك ألهما واحدا (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبد أو جملة معطوفة على نعبد أو جملة اعتراضية مؤكدة (تلك) إشارة الى الامة المذكورة التى هى إبراهيم ويعقوب ﴿٢٠٥﴾ وبنوهما الموحدون {سورة البقرة} (أمة قدخلت) مضت (لها)

ما كسبت ولكم ما كسبتم) أى أن أحدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان أو متأخرا فكما أن أولئك لا ينفعهم إلا ما اكتسبوا كذلك أنتم لا ينفعكم إلا ما اكتسبتم وذلك لا يفخارهم بأبائهم (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) ولا تؤاخذون بسيئاتهم (وقالوا كونوا هودا أو نصارى) أى قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى وجزم (تهتدوا) لأنه جواب الامر (قل بل ملة إبراهيم)

فى العباس رضى الله عنه هذا بقية آباءى * وقرئ أيبك على أنه جمع بالواو والنون كما قال

ولماتين أصواتنا * بكين وفديننا بالآئينا

أو مفرد وأبراهيم وحده عطف بيان ﴿أهلوا احدا﴾ بدل من آله آباءك كقوله تعالى بالنصية ناصية كاذبة وفأنته التصريح بالتوحيد ونفى التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتأكيد أو نصب على الاختصاص ﴿ونحن له مسلمون﴾ حال من فاعل نعبد أو مفعوله أو منهما ويحتمل أن يكون اعتراضا ﴿تلك أمة قدخلت﴾ يعنى إبراهيم ويعقوب وبنيهما والامة فى الاصل المقصود وسمى بها الجماعة لان الفرق تأمها ﴿لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾ لكل أجير عمله والمعنى أن اتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم بأعمالهم وإنما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه الصلاة والسلام لا يأتينى الناس بأعمالهم وتأتونى بأنسابتكم ﴿ولا تسئلون عما كانوا يعملون﴾ أى لا تؤاخذون بسيئاتهم كالاتابون بحسناتهم ﴿وقالوا كونوا هودا أو نصارى﴾ الضمير الغائب لأهل الكتاب وأول التتويج والمعنى مقاتلهم أحد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى ﴿تهتدوا﴾ جواب الامر ﴿قل بل ملة إبراهيم﴾

الآباء وأن كان عملهم لان العرب تسمى العم أبواخاللة أما قال رسول الله عليه وسلم عم الرجل صنو أبيه وقال فى عمه العباس ردوا على أبى ﴿أهلوا احدا ونحن له مسلمون﴾ أى مخلصون العبودية ﴿تلك﴾ إشارة الى الامة المذكورة يعنى إبراهيم وأسماعيل وأسحق ويعقوب وولدهم ﴿أمة قدخلت﴾ أى مضت لسبيلها والمعنى يامعشر اليهود والنصارى دعوا ذكر إبراهيم وأسماعيل وأسحق والمسلمين من أولادهم ولا تقولوا عليهم ما ليس فيهم ﴿لها ما كسبت﴾ يعنى من العمل ﴿ولكم﴾ يعنى يامعشر اليهود والنصارى ﴿ما كسبتم﴾ أى من العمل ﴿ولا تسئلون عما كانوا يعملون﴾ يعنى كل فريق يسئل عن عمله لاعتن عمل غيره ﴿قوله عز وجل﴾ وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا ﴿قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى رؤساء اليهود كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وأبى ياسر بن أخطب وفى نصارى نجران السيد والعاقب وأصحابهما وذلك أنهم خاصموا المؤمنين فى الدين فكل فريق منهم يزعم أنه أحق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى أفضل الانبياء وكتابتنا التوراة أفضل الكتب وديننا أفضل الاديان وكفروا بيسى والانجيل ومحمد والقرآن وقالت النصارى كذلك وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين إلا ذلك فانزل الله عز وجل ﴿قل﴾ يعنى يا محمد ﴿بل ملة إبراهيم﴾

واحد) أى نعبد ألهما واحدا (ونحن له مسلمون) مقرون لله بالعبادة والتوحيد (تلك أمة) جماعة (قدخلت) قدمضت (لها ما كسبت) من الخير (ولكم ما كسبتم) من الخير (ولا تسئلون) يوم القيامة (عما كانوا يعملون) ويقولون * ثم ذكر خصومة اليهود والنصارى مع المؤمنين

الآباء وأن كان عملهم لان العرب تسمى العم أبواخاللة أما قال رسول الله عليه وسلم عم الرجل صنو أبيه وقال فى عمه العباس ردوا على أبى ﴿أهلوا احدا ونحن له مسلمون﴾ أى مخلصون العبودية ﴿تلك﴾ إشارة الى الامة المذكورة يعنى إبراهيم وأسماعيل وأسحق ويعقوب وولدهم ﴿أمة قدخلت﴾ أى مضت لسبيلها والمعنى يامعشر اليهود والنصارى دعوا ذكر إبراهيم وأسماعيل وأسحق والمسلمين من أولادهم ولا تقولوا عليهم ما ليس فيهم ﴿لها ما كسبت﴾ يعنى من العمل ﴿ولكم﴾ يعنى يامعشر اليهود والنصارى ﴿ما كسبتم﴾ أى من العمل ﴿ولا تسئلون عما كانوا يعملون﴾ يعنى كل فريق يسئل عن عمله لاعتن عمل غيره ﴿قوله عز وجل﴾ وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا ﴿قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى رؤساء اليهود كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وأبى ياسر بن أخطب وفى نصارى نجران السيد والعاقب وأصحابهما وذلك أنهم خاصموا المؤمنين فى الدين فكل فريق منهم يزعم أنه أحق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى أفضل الانبياء وكتابتنا التوراة أفضل الكتب وديننا أفضل الاديان وكفروا بيسى والانجيل ومحمد والقرآن وقالت النصارى كذلك وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين إلا ذلك فانزل الله عز وجل ﴿قل﴾ يعنى يا محمد ﴿بل ملة إبراهيم﴾

فقال (وقالوا) يعنى اليهود للمؤمنين (كونوا هودا) تهتدوا من الضلالة (أو نصارى) مقدم ومؤخر وقالت النصارى كذلك (تهتدوا قل) يا محمد ليس كما قلتم (بل ملة إبراهيم حنيفا) مسلما ولكن اتبعوا دين إبراهيم حنيفا مسلما مخلصا تهتدوا

(وما كان من المشركين) تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لان كلامهم يدعى اتباع ملة ابراهيم وهو على الشرك (قولوا)
هذا خطاب للمؤمنين أو للكافرين { الجزء الاول } أى قولوا لتكونوا ﴿٢٠٦﴾ على الحق والأفانتم على الباطل (آمنّا)

أى بل تكون ملة ابراهيم أى أهل ملته أو بل تتبع ملة ابراهيم * وقرى بالرفع
أى ملته ملتنا أو عكسه أو نحن ملته بمعنى نحن أهل ملته ﴿حنيفا﴾ مائلا عن
الباطل الى الحق حال من المضاف أو المضاف اليه كقوله ونزعنا ما فى صدورهم
من غل أخوانا ﴿وما كان من المشركين﴾ تعريض بأهل الكتاب وغيرهم
فأنهم يدعون اتباعه وهم مشركون ﴿قولوا آمنّا بالله﴾ الخطاب للمؤمنين
لقوله تعالى فأن آمنوا بمثل ما آمنتم به ﴿وما أنزل الينا﴾ القرآن قدم ذكره
لانه أول بالاضافة الينا أو سبب للإيمان بغيره ﴿وما أنزل الى ابراهيم وأسمعيل
وأسمحق ويعقوب والاسباط﴾ الخف وهى وأن نزلت الى ابراهيم لكنهم لما كانوا
متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت أحكامها فهى أيضا منزلة اليهم كأن القرآن منزل
الينا * والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب أو أبناءه وذريتهم
فأنهم حفدة ابراهيم وأسمحق ﴿وما أوتى موسى وعيسى﴾ التوراة والانجيل
أفردهما بحكم أبلغ لان أمرهما بالاضافة الى موسى وعيسى معاير لما سبق والنزاع
وقع فيها ﴿وما أوتى النبيون﴾ جملة المذكورين منهم وغير المذكورين ﴿من ربهم﴾

يعنى اذا كان لابد من الاتباع فتتبع ملة ابراهيم لانه جمع على فضله ﴿حنيفا﴾ أصله
من الحنف وهو ميل واعوجاج يكون فى القدم قال ابن عباس رضى الله عنهما الحنيف
المائل عن الاديان كلها الى دين الاسلام قال الشاعر

ولكننا خلقنا اذ خلقنا * حنيفا ديننا عن كل دين

والعرب تسمى كل من حج أو اختن حنيفا تنبها على أنه على دين ابراهيم وقيل الحنيفة
الختان واقامة المناسك مسما يعنى أن الحنيفة هى دين الاسلام وهودين ابراهيم عليه
الصلاة والسلام ﴿وما كان من المشركين﴾ يعنى ابراهيم وفيه تعريض لليهود والنصارى
 وغيرهم ممن يدعى اتباع ملة ابراهيم وهو على الشرك * ثم علم المؤمن طرائق الايمان
 فقال تعالى ﴿قولوا آمنّا بالله﴾ يعنى قولوا أيها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى
الذين قالوا لكم كونوا هودا أو نصارى تهتدوا آمنّا بالله أى صدقنا بالله ﴿وما أنزل
الينا﴾ يعنى القرآن ﴿وما أنزل الى ابراهيم﴾ يعنى وآمنّا بما أنزل الى ابراهيم وهو
عشر صحائف ﴿وأسمعيل وأسمحق ويعقوب والاسباط﴾ وهم أولاد يعقوب الاثنا
عشروا حدهم سبط وكانوا أنبياء وقيل السبط هو ولد الولد وهو الحافد ومنه قيل للحسن
والحسين رضى الله عنهما سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط فى بنى إسرائيل كالقبائل
 فى العرب من بنى اسمعيل وكان فى الاسباط أنبياء ﴿وما أوتى موسى﴾ يعنى التوراة
 ﴿وعيسى﴾ يعنى الانجيل ﴿وما أوتى النبيون من ربهم﴾ والمعنى آمنّا أيضا بالتوراة
 والانجيل والكتب التى أوتى جميع النبيين وصدقنا أن ذلك كله حق وهدى ونور
 وأن الجميع من عند الله وأن جميع

بالله وما أنزل الينا) أى القرآن
(وما أنزل الى ابراهيم
وأسمعيل وأسمحق ويعقوب
والاسباط) السبط الحافد وكان
الحسن والحسين رضى الله
عنهما سبطى رسول الله صلى
الله عليه وسلم والاسباط حفدة
يعقوب ذرارى أنبائه الاثنى
عشر ويعدى أنزل بألى
وعلى فلذا ورد هنا بألى
وفى آل عمران بعلى (وما أوتى
موسى وعيسى وما أوتى
النبيون من ربهم

(وما كان من المشركين)
على دينهم * ثم علم المؤمنين
مجرى التوحيد لكى تكون
لليهود والنصارى دلالة
الى التوحيد فقال (قولوا
آمنّا بالله وما أنزل الينا) يعنى
بمحمد والقرآن (وما أنزل الى
ابراهيم) يعنى بأبراهيم
وكتابه (وأسمعيل) وبأسمعيل
وكتابه (وأسمحق) وبأسمحق
وكتابه (ويعقوب)
ويعقوب وكتابه (والاسباط)
وبأولاد يعقوب وكتبهم
(وما أوتى موسى) يعنى
بموسى والتوراة (وعيسى)
يعنى وبعيسى والانجيل (وما
أوتى النبيون) يعنى وبجملة
النبيين وكتبهم (من ربهم

قوله الخطاب للمؤمنين) ردد على

الزمخشرى اذ جوز ان يكون للكافرين فأن قوله فأن آمنوا الخ يقتضى خلافاً فيحتاج الى تأويله بأنه داخل فى مقول (ما ذكر)
قل أى وقل لهم قولوا ويكون قوله وما أنزل الينا واردا على عبارة الامر دون الأمور اه ان اردت التفصيل فارجع الى الكفايه

لانفرق بين أحد منهم) أى لا تؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى وأحد في معنى الجماعة ولذا صح دخول بين عليه (ونحن له مسلمون) لله مخلصون (فأن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) ظاهر الآية مشكل لأنه يجب أن يكون لله تعالى مثل وتعالى عن ذلك فقيل الباء ﴿٢٠٧﴾ - زائدة ومثل صفة مصدر {سورة البقرة} محذوف تقديره فأن آمنوا

أيامنا مثل إيمانكم والهاء يعود الى الله عز وجل وزيادة الباء غير عزير قال الله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة مثلها والتقدير جزاء سيئة مثلها كقوله في الآية الأخرى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقيل المثل زيادة أى فأن آمنوا بما آمنتم به يؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه بما آمنتم به وما معنى الذى يدل على قراءة أى بالذى آمنتم به وقيل الباء للاستعانة كقولك كتبت بالقلم أى فأن دخلوا في الإيمان بشهادة مثل شهادتكم التى آمنتم بها (وأن تولوا) عما تقولون لهم ولم ينصفوا أو أن تولوا عن الشهادة والدخول في الإيمان بها (فأنما هم في شقاق) أى فهم الأفي خلاف وعداوة وليسوا من طلب الحق في شىء (فسيكفيكم الله) ضمان من الله لاظهار رسوله

منزلا عليهم من ربهم ﴿لانفرق بين أحد منهم﴾ كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض * وأحد لوقوعه في سياق النفي عام فسلخ أن يضاف اليه بين ﴿ونحن له﴾ أى لله ﴿مسلمون﴾ مذبذجون مخلصون ﴿فأن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا﴾ من باب التجيز والتبكيك كقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولادين كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون التمدية والمعنى أن تحروا الايمان بطريق يهدى الى الحق مثل طريقكم فأن وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق أو مزيدة للتأكيد كقوله تعالى جزاء سيئة مثلها والمعنى فأن آمنوا بالله أيامنا مثل إيمانكم به أو المثل مقحم كافي وقوله وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله أى عليه وتشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به وبالذى آمنتم به ﴿وأن تولوا﴾ فأنما هم في شقاق ﴿أى أن أعرضوا عن الإيمان أو عما تقولون لهم فهم الأفي شقاق الحق وهى المناوأة والمخالفة فأن كل واحد من المخالفين في شق غير شق الآخر ﴿فسيكفيكم الله﴾ تسليية وتسكين للمؤمنين ووعدهم بالحفظ والنصرة على من

ما ذكر الله من أنبيائه كانوا على هدى وحق ﴿لانفرق بين أحد منهم﴾ أى لا تؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعض كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وأقرت ببعض الانبياء وكما تبرأت النصارى من محمد صلى الله عليه وسلم وأقرت ببعض الانبياء بل تؤمن بكل الانبياء وأن جميعهم كانوا على حق وهدى ﴿ونحن له مسلمون﴾ أى ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة مذبذجون له بالعبودية (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل انبىا الآية ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿فأن آمنوا﴾ يعنى اليهود النصارى ﴿بمثل ما آمنتم به﴾ أى بما آمنتم به ومثل صفة فهو كقوله ليس كمثل شىء أى ليس مثله شىء وقيل فأن آمنوا بإيمان كما إيمانكم وتوحيد كتحديدكم ﴿فقد اهتدوا﴾ والمعنى أن حصلوا دينا آخر يساوى هذا الدين في الصحة والسادد فقد اهتدوا ولكن لما استحتم أن يوجد دين آخر يساوى هذا الدين في الصحة والسادد استحتم الاهتداء بغيره لان هذا الدين مبناه على التوحيد والاقرار بكل الانبياء وما أنزل اليهم وقيل معناه فأن آمنوا بكتابتكم كما آمنتم بكتابتهم فقد اهتدوا ﴿وأن تولوا﴾ أى أعرضوا ﴿فأنما هم في شقاق﴾ أى في خلاف ومنازعة وقيل في عداوة ومحاربة وقيل في منال وأصله من الشق كأنه صار في شق غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل هو من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه ﴿فسيكفيكم الله﴾ أى يكفيك الله يا محمد شر اليهود

لانفرق بين أحد منهم) وبين الله بالنبوة والتوحيد ويقال لانكفر بأحد منهم (ونحن له

مسلمون) مقرون له بالعبادة والتوحيد (فأن آمنوا) يعنى أهل الكتاب (بمثل ما آمنتم به) بجملة الانبياء وكتبهم (فقد اهتدوا) من الضلالة بدين محمد وأبراهيم (وأن تولوا) أعرضوا عن الإيمان بالنبيين وكتبهم (فأنما هم في شقاق) في خلاف من الدين (فسيكفيكم الله)

عليهم وقد أنجز وعده بقتل بعضهم وأجلاء بعضهم ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة وأن تأخر الـ إلى حين (وهو السميع) لما ينطقون به (العليم) بما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه فهو وعيد لهم أو وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي يسمع ما تدعوه ويعلم نيتك وما تريد من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك (صبغة الله) دين الله وهو مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان { الجزء الأول } يطهر النفوس والاصل ﴿ ٢٠٨ ﴾ فيه أن النصارى كانوا يغمسون

أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم فأذاعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وحي بلفظ الصبغة للمشاكله كقولك لمن يفرس الاشجار أغرس كما يفرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام (ومن أحسن من الله صبغة) تميز أي لصبغة أحسن من صبغته يريد الدين أو التطهير (ونحن له عابدون) عطف على آمنا بالله وهذا العطف يدل على أن قوله صبغة الله داخل في مفعول قولوا آمنا أي قولوا هذا وهذا ونحن له عابدون ويرد قول من زعم أن صبغة الله بدل من ملأ إبراهيم أو نصب على الاعراء بمعنى عليكم صبغة الله لمافية من فك النظم واخراج الكلام عن أتمامه وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيده والقول ما قلت حذام (قل) (قالوا)

ناوهم ﴿ وهو السميع العليم ﴾ أما من تمام الوعد بمعنى أنه يسمع أقوالكم ويعلم أخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة أو وعيد للمرضين بمعنى أنه يسمع ما يبذون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه ﴿ صبغة الله ﴾ أي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها فأما حلية الانسان كما أن الصبغة حلية المصبوغ أو هدايا الله هدايته وأرشدنا بحته أو طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر أثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب أو للمشاكله فان النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم ونصبها على أنه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاعراء وقيل على البدل من ملأ إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ ومن أحسن من الله صبغة ﴾ لاصبغة أحسن من صبغته ﴿ ونحن له عابدون ﴾ تعريض لهم أي لانشرك به كشرركم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضى دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاعراء أو البدل أن يضم قولوا معطوفا على الزموا أو اتبعوا ملأ إبراهيم وقولوا آمنابدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب ﴿ قل

والنصارى وهو ضمان من الله تعالى لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اذا تكفل بشئ أنجزه وهو أخبار بغير فيه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد أنجز الله وعده بقتل بنى قريظة وسبيهم وأجلاء بنى النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى ﴿ وهو السميع ﴾ لا قوالهم ﴿ العليم ﴾ بأحوالهم يسمع جميع ما ينطقون به ويعلم جميع ما يضمرون من الحسد والغل وهو مجازيهم ومعاقبهم عليه ﴿ قوله عز وجل ﴾ صبغة الله ﴿ قال ابن عباس رضى الله عنهما دين الله وانما سماه الله صبغة لان أثر الدين يظهر على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب وقيل فطرة الله وقيل سنة الله وقيل أراد به الختان لانه يصبغ المختن بالدم قال ابن عباس رضى الله عنهما أن النصارى اذا ولد لاحدهم مولود وأتى عليه سبعة أيام غمسوه في ماء لهم أصفر يسمونه ماء المعمودية وصبغوه به ليظهره به مكان الختان فإذا فعلوا ذلك به قالوا الآن صار نصرانيا حقا فأخبر الله أن دينه الاسلام لا ماتفعله النصارى ﴿ ومن أحسن من الله صبغة ﴾ أي ديننا وقيل تطهيرا لانه يطهر من أوساخ الكفر ﴿ ونحن له عابدون ﴾ أي مطيعون ﴿ قل ﴾ يعنى يا محمد لليهود والنصارى الذين

فك النظم واخراج الكلام عن أتمامه وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيده والقول ما قلت حذام (قل) (قالوا)

يقول سيرفع الله عنك مؤنتهم بالقتل والاجلاء (وهو السميع) لمقاتلهم (العليم) بعقوبتهم (صبغة الله) اتبعوا دين الله (ومن أحسن من الله صبغة) ديننا (ونحن له عابدون) وقولوا نحن موحدون مقرون له بالعبادة والتوحيد (قل)

أتحاجوننا في الله) أي أتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لازل علينا وترونكم أحق بالنبوة منا (وهو ربنا وربكم) نشترك جميعا في أننا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحته وكرامته من يشاء من عباده (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعني أن العمل هو أساس الأمر وكما أن لكم أعمالا فلنا كذلك (ونحن له مخلصون) أي نحن له موحدون نخلصه بالآيمان ﴿٢٠٩﴾ وأتم به مشركون والمخلص {سورة البقرة} أخرى بالكرامة وأولى

بالنبوة من غيره (أم تقولون) بالنساء شامى وكوفي غير أبي بكر وأم على هذا معادلة للهمزة في أتحاجوننا يعني أي الامرين تأتون المحاجة في حكم الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء أو منقطعة أي بل يقولون غيرهم بالياء وعلى هذا لا تكون الهمزة إلا منقطعة (أن ابراهيم واسماعيل وأصحق

يعقوب والاسباط كانوا هودا أونصاري) ثم أمر نبيه عليه السلام أن يقول مستفهما راداعليهم بقوله (قل أنتم أعلم أم الله) يعني أن الله شهد لهم عملة الاسلام في قوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن

يا محمد لليهود والنصارى (أتحاجوننا في الله) أتخاصموننا في دين الله (وهو ربنا وربكم) الله ربنا وربكم (ولنا أعمالنا) ديننا (واكم أعمالكم) عليكم أعمالكم دينكم (ونحن له مخلصون) مقرون له بالعبادة والتوحيد

أتحاجوننا ﴿ في الله ﴾ في شأنه واصطفائه نبيامن العرب دونكم روى أن أهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منافلو كنت نبيالكنت منافزت ﴿ وهو ربنا وربكم ﴾ لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحته من يشاء من عباده ﴿ ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾ فلا يبعد أن يكرمنا بأعمالنا كأنه أزمهم على كل مذهب يتخونه أتحاما وتبكيئا فإن كرامة النبوة أمانفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء وأما افاضة حق على مستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتجلى بالاخلاص فكما أن لكم أعمالا ربما يعتبرها الله في أعطائها فلنا أيضا أعمال ﴿ ونحن له مخلصون ﴾ أي موحدون نخلصه بالآيمان والطاعة دونكم ﴿ أم يقولون أن ابراهيم واسماعيل وأصحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أونصاري ﴾ أم منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحزة والكسائي وحفص بالتاء محتمل أن تكون معادلة للهمزة في أتحاجوننا بمعنى أي الامرين تأتون المحاجة أو ادعاء اليهودية أو النصرانية على الانبياء ﴿ قل أنتم أعلم أم الله ﴾ وقد نفى الامرين عن ابراهيم بقوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه أتباعه

قالوا أن دينهم خير من دينكم وأمرؤكم باتباعهم ﴿ أتحاجوننا في الله ﴾ أي أتخاصموننا وتجادلوننا في دين الله الذي أمرنا أن نتدين به والحاجة للمجادلة لاظهار الحقبة وذلك أنهم قالوا أن ديننا أقدم من دينكم وأن الانبياء منا وعلى ديننا فنحن أولى بالله منكم فأمر الله تعالى المؤمنين أن يقولوا لهم أتحاجوننا في الله ﴿ وهو ربنا وربكم ﴾ أي ونحن وأنتم في الله سواء فإنه ربنا وربكم ﴿ ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾ يعني أن لكل أحد جزء عمله ﴿ ونحن له مخلصون ﴾ أي مخلصوا الطاعة والعبادة له وفيه توبخ لليهود والنصارى والمعنى وأنتم به مشركون * والاخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله لله تعالى فلا يشرك في دينه ولا يرائى بعمله قال الفضيل بن عياض قدس الله سره ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلاص أن يعافيك الله منهما وهذه الآية منسوخة بآية السيف ﴿ قوله عز وجل ﴾ أم تقولون ﴿ يعني اليهود والنصارى وهو استفهام ومعناه التوبيخ ﴿ أن ابراهيم واسماعيل وأصحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أونصاري ﴾ يعني أن ابراهيم ونبيه كانوا على دينكم وملتكم وانما حدثت اليهودية والنصرانية بعدهم فثبت كذبكم يا معشر اليهود والنصارى على ابراهيم ونبيه ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ أنتم أعلم ﴾ يعني بدينهم ﴿ أم الله ﴾ أي الله أعلم بذلك وقد أخبر أن ابراهيم ونبيه

(أم تقولون) يا معشر اليهود والنصارى (قا وخا ٢٧ ل) (أن ابراهيم واسماعيل وأصحق ويعقوب والاسباط) أولاد يعقوب (كانوا هودا أونصاري) كاتقولون

(قوله على كل مذهب) يعني من مذهب أهل الحق في أن النبوة بفضل من الله يختص من يشاء ومذهب الحكماء من أنها تترك بالمجاهدة وتصفية الباطن من كدر العقائد والاخلاق ٤

كان حنيفا مسلما (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) أي كتم شهادة الله التي عنده أنه شهد بها وهي شهادة الله لآبراهيم
بالحنيفية والمعنى أن أهل {الجزء الأول} الكتاب لأحد أظلم منهم ﴿٢١٠﴾ لانهم كتموا هذه الشهادة وهم علمون بها

أو أنا لو كتمنا هذه الشهادة
لم يكن أحد أظلم منا فلا
نكتمها وفيه تعريض بكتبتهم
شهادة الله لمحمد عليه السلام
بالنبوة في كتبهم وسائر
شهادته ومن في قوله من الله
مثلها في قولك هذه شهادة
منى لفلان اذا شهدت
له في أنها صفة له (وما الله
بغافل عما تعملون) من تكذيب
الرسول وكتمان الشهادة (تلك
أمة قد دخلت لها ما كسبت
ولكم ما كسبتم ولا تستلون
عما كانوا يعملون) كررت
للتأكيد ولأن المراد بالاول
الانبياء عليهم السلام وبالثاني
أسلاف اليهود والنصارى

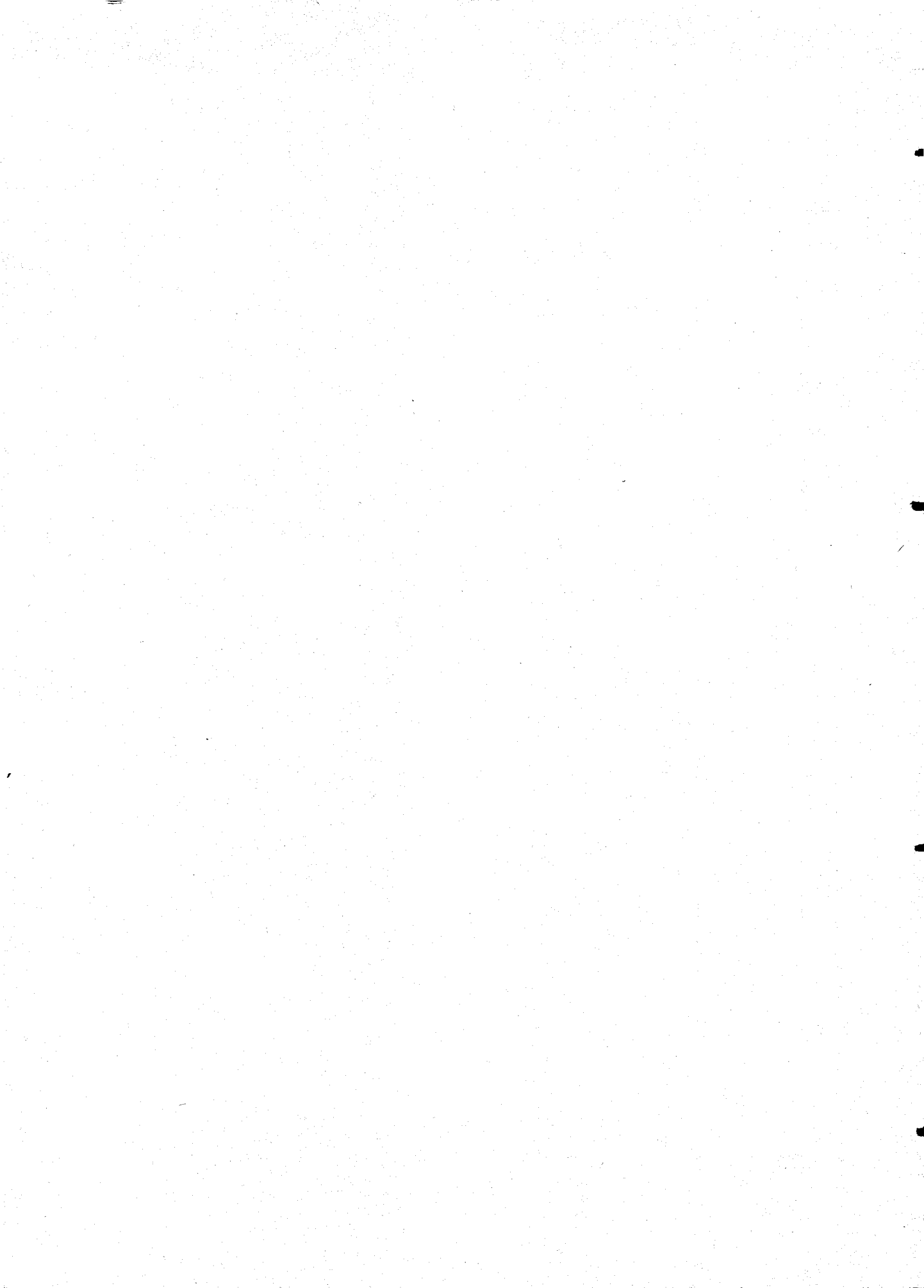
(قل) يا محمد (أأنتم أعلم)
بدينهم (أم الله) وقد
أخبرنا الله ما كان آبراهيم
يهوديا ولا نصرانيا (ومن
أظلم) في كفره واعق واجرا
على الله (من كتم شهادة
عنده من الله) في التوراة
في هذا النبي صلى الله عليه
وسلم (وما الله بغافل)
بسا (عما تعملون) تكتمون
من الشهادة (تلك أمة)
جاعة (قد دخلت) قد

في الدين وفاقا ﴿٢١٠﴾ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴿٢١٠﴾ يعني شهادة الله لآبراهيم
بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لأحد أظلم من أهل الكتاب لانهم
كتموا هذه الشهادة أو منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتبتهم شهادة الله لمحمد
عليه الصلاة والسلام بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن الابتداء كافي قوله تعالى براءة
من الله ورسوله ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ وعيد لهم ﴿وقرىء بالياء﴾ تلك أمة قد
دخلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تستلون عما كانوا يعملون ﴿تكرير
للمبالغة في التحذير والزجر عما استحکم في الطباع من الافتخار
بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق
لهم وفي هذه الآية لنا تحذير عن الاقتداء بهم
وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء
وفي الثاني أسلاف اليهود
والنصارى

لم يكونوا على اليهودية والنصرانية ولكن كانوا مسلمين حنفاء ﴿ومن أظلم ممن كتم﴾
يعنى أخفى ﴿شهادة عنده من الله﴾ وهي علمهم بأن آبراهيم وبنه كانوا مسلمين وأن
مجدا أحق بنعته وصفته وجدوا ذلك في كتبهم وكتموه وجحدوه والمعنى ومن أظلم ممن
كتم شهادة جئاته من عند الله فكتمها وأخفاها ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ يعني من كتمانكم
الحق فيما أزمكم به في كتابه من أن آبراهيم وبنه كانوا مسلمين حنفاء وأن الدين هو الاسلام
لا اليهودية والنصرانية والمعنى وما الله بغافل عن عملكم بل هو محصيه عليكم ثم يعاقبكم عليه
في الآخرة ﴿تلك أمة قد دخلت﴾ يعني آبراهيم وبنه ﴿لها ما كسبت﴾ أي جزاء
ما كسبت ﴿ولكم ما كسبتم﴾ أي جزاء ما كسبتم ﴿ولا تستلون عما كانوا
يعملون﴾ يعني أن كل إنسان انما يسئل يوم القيامة عن كسبه وعمله لا عن كسب
غيره وعمله وفيه وعظ وزجر لليهود ولمن يتكل على فضل الآباء
وشرفهم أي لا تتكلوا على فضل الآباء فكل يؤخذ بعمله وانما
كررت هذه الآية لانه اذا اختلف مواطن الحجج
والمجادلة حسن تكريره للتذكير به وتأكيد
وقيل انما كرره تنبيها لليهود لثلاث
يفتروا بشرف آباؤهم

مضت (لها ما كسبت) من الخير (ولكم ما كسبتم) من الخير (ولا تستلون) يوم القيامة (عما كانوا يعملون) في الدنيا

والذي يشعر بالاول قوله ربنا وربكم والذي بشر بالثاني الاعمال وقوله بنتحوه بالمهمله يعني يقصدونه وقوله روى الخ قال السيوطي
لم تنفع عليه في كتب الحديث اه عناه مصححه



الجزء الثاني

فارزقا من عندك

﴿سيقول السفهاء من الناس﴾ الذين خفت أحلامهم واستمهنوا بالتقليد والاعراض عن النظر يريد به المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس وأعداد الجواب ﴿ماولاهم﴾ ما صرفهم ﴿عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ يعني بيت المقدس * والقبلة في الاصل الحال التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه اليه للصلاة ﴿قل لله المشرق

﴿قوله عز وجل﴾ سيقول السفهاء من الناس ﴿أى الجهال من الناس﴾ والسفهاء خفة في النفس لنقصان العقل في الامور الدينية والدنيوية ولا شك أن ذلك في باب الدين أعظم لان العادل عن الامر الواضح في أمر دينه يعد سفيا فمن كان كذلك في أمر دينه كان أولى بهذا الاسم فلا كفرا أو هو سفيه ولهذا أمكن حل هذا اللفظ على اليهود والمشركين والمنافقين فقيل نزلت هذه الآية في اليهود وذلك أنهم طعنوا في تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة لانهم لا يرون النسخ وقيل نزلت في مشركي مكة وذلك أنهم قالوا قدر تدعى على محمد أمره واشتاق مولده وقد توجه الى نحو بلدكم فلعله يرجع الى دينكم وقيل نزلت في المنافقين وانما قالوا ذلك استهزاء بالاسلام وقيل يحتمل أن لفظ السفهاء للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود ويحتمل وقوع هذا الكلام من كلهم اذ الفائدة في التخصيص ولان الاعداء يبالعون في الطعن والتدح فأذا وجدوا مقالا قالوا أو مجالا جالوا ﴿ماولاهم﴾ يعني أى شئ صرفهم ﴿عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ يعني بيت المقدس * والقبلة هي الجهة التي يستقبلها الانسان وانما سميت قبلة لان المصلى يقابلها وتقبله ولما قال السفهاء ذلك رد الله تعالى عليهم بقوله ﴿قل﴾ يا محمد ﴿لله المشرق

(سيقول السفهاء من الناس) الخفاف الاحلام فأصل السفه الخفة وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وأنهم لا يرون النسخ أو المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء أو المشركون لقولهم رغب عن قبلة آباءه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم وفائدة الاخبار بقولهم قبل وقوعه توطين النفس اذ المفاجأة بالمشركه أشد وعداد الجواب قبل الحاجة اليه أقطع للخصم فقبل الرمي يراش السهم (ماولاهم) ما صرفهم (عن قبلتهم التي كانوا عليها) يعنون بيت المقدس والقبلة الجهة التي يستقبلها الانسان في الصلاة لان المصلى يقابلها (قل لله المشرق

(سيقول السفهاء من الناس) الجهال من اليهود ومشركي العرب (ماولاهم) ما حولكم (عن قبلتهم التي كانوا عليها) ألا يرجعوا الى دين آباءهم ويقال ماولاهم أى شئ

حولهم عن قبلتهم التي كانوا عليها صلوا اليها يعني بيت المقدس (قل) يا محمد (لله المشرق) الصلاة (والغرب)

والمغرب) أى بلاد المشرق والمغرب والارض كلها له (يهدى من يشاء) من أهلها (الى صراط مستقيم) طريق مستو أى يرشد من يشاء الى قبلة الحق وهى الكعبة التى أمرنا بالتوجه اليها أو الاماكن كلها لله فى أمر بالتوجه الى حيث شاء فتارة الى الكعبة وطورا الى البيت المقدس ﴿ ٢١٣ ﴾ لا اعتراض عليه {سورة البقرة} لانه المالك وحده (وكذلك

جعلناكم) ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم بالكاف للتشبيه وذاجر بالكاف واللام للفرق بين الاشارة الى القريب والاشارة الى البعيد والكاف للخطاب لامل لهما من الاعراب (أمة وسطا) خيارا وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والايواسط

حجة أى كما جعلت قبلكم خيرا للقبول جعلتكم خيرا للام أو عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها أقرب من بعض أى كما جعلنا قبلكم متوسطة بين المشرق والمغرب جعلناكم أمة متوسطة بين الغلو والتقصير فأنكم لم تغلوا غلو النصارى

حيث وصفوا المسبح بالالوهية ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا صريم بالزنا وعيسى بأنه ولد الزنا (تكونوا شهداء) غير منصرف لمكان ألف التأنيث (على الناس)

الى الكعبة (والمغرب) الصلاة التى صليتم الى بيت

المقدس كلاهما بأمر الله (يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) يثبت من يشاء على دين وقبلة مستقيمة (وكذلك) يعنى كما أكرمناكم بدين إبراهيم الاسلام وقبلته (جعلناكم أمة وسطا) عدلا (تكونوا) لى تكونوا (شهداء) للنبيين (على الناس ويكون الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم

والمغرب لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع إقامة غيره مقامه وإنما العبرة بارتسام أمره لا بخصوص المكان (يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة أخرى ﴿ وكذلك ﴾ إشارة الى مفهوم الآية المتقدمة أى كما جعلناكم مهدين الى الصراط المستقيم أو جعلنا قبلكم أفضل القبيل ﴿ جعلناكم أمة وسطا ﴾ أى خيارا أو عدولا من كين بالعلم والعمل وهو فى الاصل اسم المكان الذى تستوى اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للنخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي أفرط وتفریط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والخبث ثم أطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التى وصف بها واستدل به على أن الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لاثبتت به عدالتهم ﴿ لتكونوا شهداء على الناس

والمغرب ﴾ يعنى أن له قطرى المشرق والمغرب وما بينهما ملكا فلا يستحق شىء أن يكون لذاته قبلة لان الجهات كلها شىء واحد وإنما تصير قبلة لان الله تعالى هو الذى جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وهو قوله ﴿ يهدى من يشاء ﴾ يعنى من عباده ﴿ الى صراط مستقيم ﴾ يعنى الى جهة الكعبة وهى قبلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله عز وجل ﴾ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴿ الكاف فى قوله وكذلك كاف التشبيه جاء لمثبه به وفيه وجوه أحدها أنه معطوف على ما تقدم من قوله فى حق إبراهيم ولقد اصطفتناه فى الدنيا وكذلك جعلناكم أمة وسطا الثانى أنه معطوف على قوله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك هديناكم وجعلناكم أمة وسطا الثالث قيل معناه كما جعلنا قبلكم وسطا بين المشرق والمغرب كذلك جعلناكم أمة وسطا يعنى عدولا خيارا وخير الامور أو وسطها قال زهير

هم وسط رضى الانام بحكمهم * اذ انزلت أحدى الليالى بمعظم

وقيل متوسطة والمعنى أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان فى أمر الدين لا كغلو النصارى فى عيسى ولا كتقصير اليهود فى الدين وهو تحريفهم وتبديلهم * وسبب نزول هذه الآية أن رؤساء اليهود قالوا المعاذ بن جبل رضى الله عنه مات ترك محمدا قبلتنا لا حسدا وأن قبلتنا قبلة الانبياء ولقد علم محمدا أن أعدل الناس فقال معاذنا على حق وعدل فانزل الله تعالى هذه الآية وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول وأن هذه الامة توفى سبعين امة هى آخرها وخيرها وأكرمها على الله تعالى ﴿ قوله عز وجل ﴾ لتكونوا شهداء على الناس ﴿ يعنى يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم وقيل أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم

صلاة شهداء (ويكون الرسول عليكم شهيدا) عطف على لتكونوا روى أن الامم يوم القيامة يحجدون بتبليغ الانبياء فيطاب الله الانبياء بالبينه على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى بأمة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول الامم من أين عرفتم فيقولون علينا ذلك بأخبار الله تعالى في كتابه {الجزء الثاني} الناطق على لسان نبيه الصادق ﴿٢١٤﴾ فيؤتى بمحمد عليه السلام فيستل

عن حال أمته فيزيكهم ويشهد بعد التهم والشهادة قد تكون بلا مشاهدة كالشهادة بالتسامع في الاشياء المعروفة ولما كان الشهيد كالرقيب جى بكلمة الاستعلاء كقوله تعالى كنت أنت الرقيب عليهم وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيمالا يصح الأبشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزيكهم ويعلم بعد ائكم واستدل الشيخ أبو منصور رحمه الله بالآية على أن الاجماع حجة لان الله تعالى وصف هذه الامة بالعدل والعدل هو المستحق للشهادة وقبولها فاذا اجتمعوا على شئ وشهدوا به لزم قبوله وأخرت صلاة الشهادة أولا وقدمت آخر الان المراد في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها) أي وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فالتى كنت عليها ليست

ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴿ علة للجعل أى لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وأنزل عليكم من الكتاب أنه تعالى ما يخجل على أحد وما ظلم بل أوضع السبل وأرسل الرسل فبلغوا ونصحو ولكن الذين كفروا حلهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين من قبلكم أو بعدكم روى أن الامم يوم القيامة يحجدون بتبليغ الانبياء فيطاب لهم الله بينة التبليغ وهو أعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من أين عرفتم فيقولون علما ذلك بأخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته فيشهد بعد التهم وهذه الشهادة وأن كانت لهم لكن لما كان الرسول عليه الصلاة والسلام كالرقيب المهيمن على أمته عدى بعلى وقدمت الصلاة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها ﴾ أى الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فإنه عليه الصلاة والسلام كان يصلى اليها بمكة ثم لما هاجر أمر بالصلاة الى الصخرة تألفا لليهود أو الصخرة لقول ابن عباس رضى الله عنهما كانت قبلته بمكة بيت المقدس شهداء على من ترك الحق من الناس أجمعين ﴿ ويكون الرسول ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ عليكم شهيدا ﴾ يعنى عدلا من قبلكم وذلك أن الله تعالى يجمع الاولين والآخريين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم ألم يأتكم نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسأل الله الانبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو أعلم بهم اقامة للحجة فيقولون أمة محمد تشهدنا فيؤتى بأمة محمد عليه الصلاة والسلام فيشهدون لهم بأنهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من أين علموا وانما أتوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون أرسلت الينا رسولا وأنزلت عليه كتابا أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته فيزيكهم ويشهد بصدقهم (خ) عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بنوح وأمته يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم أى رب فيسأل أمته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال لنوح من شهدك فيقول محمد وأمته فيجاء بكم فتشهدون ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا زاد الترمذى وسطا عدولا ﴿ قوله عز وجل ﴾ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها ﴿ أى وما جعلنا صرفك عن القبلة التي كنت عليها وهي بيت المقدس وانما حذف ذكر الصرف اكتفاء بدلالة اللفظ عليه وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي

بصفة للقبلة بل هي ثانی مفعولى جعل روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى بمكة (كنت) الى الكعبة ثم أمر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول

(عليكم شهيدا) لكم من قبلكم عدلا (وما جعلنا) ما حولنا (القبلة التي كنت عليها) صليت اليها تسعة عشر

الى الكعبة (ألا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) أى وما جعلنا القبلة التى تحب أن تستقبلها الجهة التى كنت عليها أولاً بركة إلا امتحاناً للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه من هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقلته يرجع فيرتد عن الاسلام عند تحويل ﴿٢١٥﴾ القبلة قال الشيخ أبو منصور {سورة البقرة} رحمه الله معنى قوله لنعلم أى لنعلم

كأننا أو موجوداً ما قد علمناه أنه يكون ويوجد فالله تعالى عالم فى الازل بكل ما أراد وجوده أنه يوجد فى الوقت الذى شاء وجوده فيه ولا يوصف بأنه عالم فى الازل أنه موجود كأن لانه ليس بموجود فى الازل فكيف يعلم موجوداً فأذا صار موجوداً يدخل تحت علمه الازل فيصير معلوماه موجوداً كأننا والتغير على المعلوم لا على العلم أو لتيز التابع من الناكص كما قال تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التميز لان بالعلم به يقع التميز أو يعلم رسول الله عليه الصلاة والسلام والمؤمنون وانما أسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه أو هو على ملاطفة الخطاب لمن لا يعلم كقولك لمن ينكر ذوب الذهب فليلقه فى النار لنعلم أيدوب (وأن كانت) أى التحويلة أو الجملة أو القبلة وأن هى المخففة واللام فى (لكبيرة) أى ثقيلة شاقة وهى خبر كان فارقة

شيراً (ألا لنعلم) لى نرى وتميز (من يتبع الرسول)

ألا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالخبر به على الاول الجمل الناسخ وعلى الثانى المنسوخ والمعنى أن أصل أمرك أن تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلك بيت المقدس ﴿ألا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾ ألا لنمتحن به الناس ونعلم من يتبعك فى الصلاة اليها ممن يرتد عن دينك آفا لقبلة آباءه أولنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى التى كنت عليها ألا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقله وضعف ايمانه . فإن قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجمل وهو لم يزل عالماً . قلت هذا وأشباهه باعتبار التعلق الحالى الذى هو مناط الجزاء والمعنى ليعلمنا به موجوداً وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون ولكنه أسنده الى نفسه لانهم خواصه أولنميز الثابت من المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب . فوضع العلم موضع التميز المسبب عنه وبشده قراءة ليعلم على البناء للفعل . والعلم أما بمعنى المعرفة أو معلق لما فى من من معنى الاستفهام أو مفعوله الثانى ممن ينقلب أى لنعلم من يتبع الرسول متميزاً ممن ينقلب ﴿وأن كانت لكبيرة﴾ أن هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفاصلة وقال الكوفيون هى النافية واللام بمعنى ألا والضمير لمداد عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التى كنت عليها من الجملة أو التولية أو التحويلة أو القبلة . وقرئ لكبيرة بالرفع فتكون كان زائدة

كنت عليها منسوخة وقيل معناه وما جعلنا القبلة التى كنت عليها وهى الكعبة ﴿ألا لنعلم من يتبع الرسول﴾ . فإن قلت ما معنى قوله ألا لنعلم وهو عالم بالاشياء كلها قبل كونها . قلت أراد به العلم الذى يتعلق به الثواب والعقاب فإنه لا يتعلق بما هو عالم به فى الغيب انما يتعلق بما يوجد والمعنى لنعلم العلم الذى يستحق العامل عليه الثواب والعقاب وقيل العلم هنا بمعنى الرؤية أى لى ونميز من يتبع الرسول فى القبلة ممن ينقلب على عقبيه وقيل معناه ألا تعلم رسلى وحزبى وأوليائى من المؤمنين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكان من شأن العرب اضافة مافعله الاتباع الى الكبير كقولهم قمع عمر العراق وجى خراجها وانما فعل ذلك اتباعه عن أمره وقيل انما قال ألا لنعلم وهو بذلك عالم قبل كونه على وجه الرفق بعباده ومعناه ألا لتعلموا أتم اذ كنتم جهالاً به قبل كونه فاضافة العلم الى نفسه رفقا بعباده المخاطبين وقيل معناه لعلمنا لانه تعالى سبق فى علمه أن تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة آخرين ومعنى من يتبع الرسول أى يطيعه فى أمر القبلة وتحويلها ﴿ممن ينقلب على عقبيه﴾ أى يرجع الى ما كان عليه من الكفر فيرتد وفى الحديث أنه لما تحولت القبلة الى الكعبة ارتد قوم الى اليهودية وقالوا يرجع محمد الى دين آباءه ﴿وأن كانك﴾ أى وقد كانت ﴿لكبيرة﴾ يعنى تولية القبلة ثقيلة شاقة وقيل هى التولية من بيت المقدس الى الكعبة وقيل الكبيرة هى القبلة التى وجهها اليها قبل التحول وهى بيت المقدس وأنث الكبيرة لتأنيث القبلة وقيل

فى القبلة (ممن ينقلب) يرجع (على عقبيه) الى دينه وقيلته الاولى (وأن كانت) وقد كانت صرف المقيولة (لكبيرة) لثقيلة

(الأعلى الذين هدى الله) أى هداهم الله فحذف العائد أى الأعلى الثابتين الصادقين فى اتباع الرسول (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أى صلاتكم الى بيت المقدس سمي الصلاة إيماناً لان وجوبها على أهل الإيمان وقبولها من أهل الإيمان وأداؤها فى الجماعة {الجزء الثانى} دليل الإيمان ﴿٢١٦﴾ ولما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى

﴿الأعلى الذين هدى الله﴾ الى حكمة الاحكام الثابتين على الإيمان والاتباع ﴿وما كان ليضيع إيمانكم﴾ أى ثباتكم على الإيمان وقيل إيمانكم بالقبلة المنسوخة وأصلاكم اليه الماروى أنه عليه الصلاة والسلام لما وجهه الى الكعبة قالوا كيف عن مات يارسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت فقال (أن الله بالناس لرؤف رحيم) فلابيضع أجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو أبلغ محافظة على الفواصل وقرأ الحريمان وابن عامر وحفص لرؤف بالمد والباقون بالنصر ﴿قد نرى﴾ ربما نرى ﴿تقلت وجهك فى السماء﴾ تردد وجهك فى جهة السماء تطلعا للوحى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع فى روعه ويتوقع من ربه أن يحوله الى الكعبة لانها قبلة أبيه إبراهيم وأقدم القبلتين وأدعى للعرب الى الإيمان لتأنيث التولية ﴿الأعلى الذين هدى الله﴾ يعنى الصادقين فى اتباع الرسول ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ يعنى صلاتكم الى بيت المقدس ذلك أن حبي بن أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين أخبرونا عن صلاتكم الى بيت المقدس أن كانت على هدى فقد تحولتم عنه وأن كانت على ضلالة فقد دتم الله بها مدة ومن مات عليها فقدمت على ضلالة فقال المسلمون انما الهدى فيما أمر الله به والضلالة فيما نهى الله عنه قالوا فاشهادكم على من مات منكم على قبلتنا وكان قدمات قبل أن تحول القبلة الى الكعبة أسعد بن زرارة من بنى النجار والبراء بن معرور من بنى سلمة رضى الله عنهما وكانا من النقباء ورجال آخرون فانطلق عشائهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله قد صرفك الله الى قبلة إبراهيم فكيف بأخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم يعنى صلاتكم الى بيت المقدس ﴿أن الله بالناس لرؤف رحيم﴾ يعنى لا يضيع أجورهم * والرأفة أخص من الرحمة وقيل الرأفة أشد من الرحمة وقيل الرأفة الرحمة وقيل فى الفرق بين الرأفة والرحمة أن الرأفة مبالغة فى رحمة خاصة وهى دفع المكروه وازالة الضرر وأما الرحمة فأنها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه أيضا جميع الافضال والانعام فذكر الله الرأفة أولا يعنى أنه لا يضيع أعمالهم ثم ذكر الرحمة ثانيا لئلا يعمر وأشملى قوله عز وجل ﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء﴾ سبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة أحب أن يستقبل بيت المقدس يتألف بذلك اليهود وقيل أن الله تعالى أمره بذلك ليكون أقرب الى تصديق اليهود آياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون من نعمة وصفته فى التوراة فصلى الى بيت المقدس بعد الهجرة ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يجب أن يتوجه الى الكعبة لانها قبلة أبيه إبراهيم وقيل كان يجب ذلك من أجل أن اليهود قالوا يخالفنا محمد فى ديننا ويتبع قبلتنا فقال

الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت ثم عل ذلك فقال (أن الله بالناس لرؤف) مهموز مشبع مجازى وشامى وحفص رءف غيرهم بوزن فعل وهما للمبالغة (رحيم) لا يضيع أجورهم والرأفة اشد من الرحمة وجمع بينهما كافي الرحمن الرحيم (قد نرى) تقلب وجهك فى السماء) تردد وجهك وتصرف نظرك فى جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه أن يحوله الى الكعبة موافقة لإبراهيم ومخالفة لليهود ولانها ادعى للعرب الى الإيمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم

(الأعلى الذين هدى الله) حفظ الله قلوبهم (وما كان الله ليضيع إيمانكم) ليبتل إيمانكم كقبل نسخ الشرائع ويقال وما كان الله ليضيع لينسخ إيمانكم ولكن نسخ شرائع إيمانكم ويقال ما نسخ إيمانكم صلاتكم نحو بيت المقدس ولكن نسخ قبلتكم بيت المقدس (أن الله بالناس) بالمؤمنين

(لرؤف رحيم) لا ينسخ إيمانكم كقبل نسخ الشرائع * ثم ذكر دعاء نبيه فى تحويل القبلة الى الكعبة فقال (رسول) (قد نرى تقلب وجهك فى السماء) رفع بصرك الى السماء لتزول جبريل

(فلنولينك) فلنعطينك ولنكننك من ﴿٢١٧﴾ استقباليها من قولك وليته {سورة البقرة} كذا اذا جعلته واليه او فلنجعلك

تلى سمها دون سمت بيت المقدس (قبلة ترضاها) تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضرمتها ووافقت مشيئة الله وحكمته (قول وجهك شطر المسجد الحرام) أي نحوه وشطر نصب على الظرف أي اجعل تولية الوجه تلقاه المسجد أي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة متعسر على النائي وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين روى أنه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه

بمحويل القبلة (فلنولينك) فلنحولك في الصلاة (قبلة) الى قبلة (ترضاها) تهواها قبلة ابراهيم (قول وجهك) فحول وجهك في الصلاة (شطر) نحو المسجد الحرام

(قوله وقد صلى الخ) قال السيوطي هذا تحريف للحديث فان قصة بنى سلمة لم يكن فيها النبي صلى الله عليه وسلم اماما ولا هو الذي تحول في الصلاة اخرج النسائي عن أبي سعيد بن المعلى قال كنا لعدو الى المسجد فررنا يوما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد على المنبر فقلت لقد حدثت أمرا فجلست فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية قد نرى قلب وجهك في السماء الآية فقلت لصاحي تعال تركه ركعتين

ولخالفه اليهود وذلك يدل على كمال أدبه حيث انتظر ولم يسأل ﴿ فلنولينك قبلة ﴾ فلنكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليه او فلنجعلك تلي جهتها ﴿ ترضاها ﴾ تحبها وتشوق اليها لمقاصد دينية ووافقت مشيئة الله وحكمته ﴿ قول وجهك ﴾ اصرف وجهك ﴿ شطر المسجد الحرام ﴾ نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطوره أي منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وأن لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم أي محرم فيه القتال أو ممنوع من الظلمة أن يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه الصلاة والسلام كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب * روى أنه عليه الصلاة والسلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى صلى الله عليه وسلم بأصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتمحول في الصلاة واستقبل الميزاب وتبادل

رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت لو حولني الله الى الكعبة فأنها قبلة أبي ابراهيم فقال جبريل صلى الله عليه وسلم انما أنا عبد مملوك وأنت كريم على ربك فسل أنت ربك فأنت عند الله بمكان ثم عرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء أن ينزل جبريل بما يجب من أمر القبلة فانزل الله عز وجل قد نرى قلب وجهك في السماء يعني تردد وجهك وتصرف نظرك في السماء أي الى جهة السماء وهذه الآية وأن كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى لانها رأس القصة وأول ما نسخ من أحكام الشرع أمر القبلة ﴿ فلنولينك ﴾ أي فلنحولك ولنصرفك ﴿ قبلة ﴾ أي ولنصرفك عن بيت المقدس الى قبلة ﴿ ترضاها ﴾ أي تحبها وتميل اليها ﴿ قول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ أي نحوه وتلقاه وأراد به الكعبة (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه ولما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة وقال هذه القبلة يعني أن أمر القبلة قد استقر على هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم فصلوا الى الكعبة أبدأ فهي قبلتكم (ق) عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على اجداده وقال أخواله من الانصار وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فرعى أهل مسجد قباء وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد اعجبهم اذ ذاك أنه يصلى قبل بيت المقدس وهي قبلة أهل الكتاب فلما ولي وجهه قبل البيت انكروا ذلك قال البراء في حديثه هذا والله مات على القبلة قبل أن تمحول رجال وقتلوا فلم يندر ما تقول فيهم فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم * واختلف العلماء في وقت تحويل القبلة فقال الاكثر كان في يوم

قيل ان ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكون (قاو خا ٢٨ ل) اول من صلى فتوارينا فصليناها ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل للناس الظهر يومئذ واخرج بو داود في النسخ عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون نحو بيت المقدس فلما نزلت

الى الكعبة (وحيث ما كنتم) من {الجزء الثاني} الارض وأردتم الصلاة ﴿٢١٨﴾ (قولوا وجوهكم شطره وأن

الرجال والنساء صفوفهم فسمى المسجد مسجد القبلتين ﴿وحيث ما كنتم قولوا وجوهكم شطره﴾ خص الرسول بالخطاب تعظيما له وإيجابا لرغبته ثم عم تصريحا بعموم الحكم وتأكيد الامر القبلية وتحضيضا للامة على المتابعة ﴿وأن الذين أتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم﴾ جلة لعلمهم بأن عاده تعالى تخصيص كل شريعة بقبلته وتفصيلا لتضمن كتبهم أنه صلى الله عليه وسلم يصلى الى القبلتين والضمير للتحويل أو التوجه ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ وعد ووعد للفريقين * وقرأ ابن عامر وحزرة والكسائي بالياء ﴿ولئن آتيت الذين أتوا الكتاب بكل آية﴾ برهان وحجة على أن الكعبة قبله واللام موثقة للقسم

الاثنين بعد الزوال للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل كان يوم الثلاثاء لثمانية عشر شهرا وقيل كان لسة عشر شهرا وقيل لثلاثة عشر شهرا وقيل نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بنى سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين ووصل الخبر الى أهل قباء في صلاة الصبح (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال بينما الناس بقاء في صلاة الصبح اذ جلهم آت فقال أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة ﴿قوله عز وجل﴾ (وحيث ما كنتم) أى من برأوى بحر مشرق أو مغرب ﴿قولوا وجوهكم شطره﴾ أى نحو البيت وتلقاه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قيل أراد بالمشرق مشرق الشتاء في أقصر يوم من السنة والمغرب مغرب الصيف في أطول يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت عن يمينه ومشرق الشتاء عن يساره كان مستقبلا للقبلة وهذا في حق أهل المشرق لان المشرق الشوى جنوبي متباعد عن خط الاستواء بمقدار الميل والمغرب الصنفي شمالي متباعد عن خط الاستواء والذي بينهما مقوسها مكة والفرض لمن بمكة في القبلة اصابة عين الكعبة ولن بعد من مكة اصابة الجهة ويعرف ذلك بدلائل القبلة وليس هذا موضع ذكرها ولما تحولت القبلة الى الكعبة قالت اليهود يا محمد ما هو الأشى ابتدعته من تلقاء نفسك فتارة تصلى الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكننا نرجو أن تكون صاحبنا الذى نتظره فانزل الله تعالى ﴿وأن الذين أتوا الكتاب﴾ يعنى اليهود والنصارى ﴿ليعلمون أنه الحق من ربهم﴾ يعنى أمر القبلة وتحويلها الى الكعبة ثم هددهم فقال تعالى ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ يعنى وما أنا بساهم عايفعل هؤلاء اليهود فأنا أجازيهم عليه في الدنيا والآخرة * وقرئ تعملون بالياء قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد أنكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم فأنا أتيكم على طاعتكم أفضل الثواب وأجزيتكم أحسن الجزاء ﴿قوله عز وجل﴾ (ولئن آتيت الذين أتوا الكتاب﴾ يعنى اليهود والنصارى ﴿بكل آية﴾ أى بكل معجزة وقيل بكل حجة

الذين أتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق) أى التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة أنبيائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يصلى الى القبلتين (من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) بالياء مكى وأبو عمرو ونايع وعاصم وبالياء غيرهم فالاول وعيد للكافرين بالعقاب على الجحود والاباء والثاني وعد للمؤمنين بالثواب على التبول والاداء (ولئن آتيت الذين أتوا الكتاب) أراد ذوى العناد منهم (بكل آية) برهان قاطع أن التوجه

وحيث ما كنتم) في برأوى بحر (قولوا وجوهكم) في الصلاة (شطره) نحوه (وأن الذين أتوا الكتاب) اعطوا الكتاب (ليعلمون أنه) يعنى الحرم (الحق من ربهم) هو قبلة إبراهيم ولكن يكتمونه (وما الله بغافل عما تعملون) تكتمون (ولئن آتيت الذين أتوا الكتاب) جئت الذين اعطوا الكتاب (بكل آية) علامة طلبوا

٢ هذه الآية مر رجل بنى سلمة فناداهم وهم ركوع في صلاة الفجر نحو بيت المقدس فان القبلة قد حولت الى الكعبة فأتوا تكلمهم ركوعا الى الكعبة وأخرج الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما قال بينما الناس بقاء في صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال أن النبي صلى الله عليه

وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة اه فقد (برهان) علمت ان ما ذكره المصنف ليس موافقا للروايات الصحيحة فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتحول في صلاته وأن التحول كذا في صلاة الفجر مصححه

الى الكعبة هو الحق (ماتبعوا قبلك) لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بأيراد الحجّة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك أنك على الحق وجواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط (وما أنت بتابع قبلكم) حسم لاطماعهم اذ كانوا اضطربوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلكم لكننا نرجوا أن يكون صاحبنا الذي ننظره وطموحا في رجوعه الى قبلكم ووجدت القبلة وان كان لهم قبلكم فاليهود قبلة وللنصارى قبلة لا تحادهم في البطلان (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) يعنى أنهم مع اتفاقهم على ﴿٢١٩﴾ مخالفتك مختلفون في شأن {سورة البقرة} القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا ترجى موافقتهم لك

فاليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم) أى من بعد وضوح البرهان والاحاطة بأن القبلة هي الكعبة وأن دين الله هو الاسلام (أنك إذا لمن الظالمين) لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وتهييج للثبات على الحق وتحذير لمن يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وقيل الخطاب في الظاهر للنبي عليه السلام والمراد أمته ولزم الوقف على الظالمين اذ لو وصل لصار (الذين آتيناهم الكتاب) صفة للظالمين وهو مبتدأ والخبر (يعرفونه) أى محمدا عليه الصلاة والسلام أو القرآن أو تحويل القبلة

﴿ماتبعوا قبلك﴾ جواب القسم المضمر والقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط والمعنى ماتركوا قبلك لشبهة تزيلها الحجّة وانما خالفوك مكابرة وعنادا ﴿وما أنت بتابع قبلكم﴾ قطع لاطماعهم فأنهم قالوا لو ثبت على قبلكم لكننا نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننظره تعريرا له وطمعا في رجوعه وقبلكم وأن تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق ﴿وما بعضهم بتابع قبلة بعض﴾ فإن اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى موافقتهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم﴾ على سبيل الفرض والتقدير أى ولئن اتبعتهم مثلا بعدما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي ﴿أنك إذا لمن الظالمين﴾ وأكده يديه وبالغ فيه من سبعة أوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا من متابعة الهوى واستفظاا لصدور الذنب عن الانبياء ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ يعنى علماءهم ﴿يعرفونه﴾ الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأن لم يسبق ذكره

وبرهان وذلك بأنهم قالوا اثنا بآية على ماتقول فانزل الله تعالى هذه الآية ﴿ماتبعوا قبلك﴾ يعنى الكعبة ﴿وما أنت بتابع قبلكم﴾ يعنى أن اليهود تصلى الى بيت المقدس والنصارى الى المشرق وأنت يا محمد تصلى الى الكعبة فكيف يكون سبيل الى اتباع قبلة أحد هؤلاء مع اختلاف جهاتها فالزم أنت قبلكم التى أمرت بالصلاة اليها ﴿وما بعضهم بتابع قبلة بعض﴾ يعنى وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى بتابعة قبلة اليهود لان اليهود والنصارى لا يجتمعون على قبلة واحدة ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ يعنى مرادهم ورضاهم لو رجعت الى قبلكم ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ أى فى أمر القبلة وقيل معناه من بعد ما وصل اليك من العلم بأن اليهود والنصارى مقيمون على باطل وعناد للحق ﴿أنك إذا لمن الظالمين﴾ يعنى أنك أن فعلت ذلك كنت بمنزلة من ظلم نفسه وضرها قيل هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة لانه صلى الله عليه وسلم لا يتبع أهواءهم أبدا وقيل هو خطاب له خاصة فيكون ذلك على سبيل التذكير والتنبيه ﴿قوله عز وجل﴾ الذين آتيناهم الكتاب يعنى علماء اليهود والنصارى وقيل أراد به مؤمنى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه رضى الله عنهم ﴿يعرفونه﴾ أى يعرفون محمدا

منك (ماتبعوا قبلك) ماصلوا الى قبلك وما دخلوا في دينك (وما أنت بتابع) يحصل (قبلكم) قبلة اليهود والنصارى (وما بعضهم بتابع) يحصل (قبلة بعض) يعنى اليهود والنصارى (ولئن اتبعت أهواءهم) بعد ما نهيتك فصليت على قبلكم (من بعد ما جاءك من العلم) البيان أن الحرم هو قبلة إبراهيم (أنك إذا) أن فعلت ذلك حينئذ (لمن الظالمين) الضارين لنفسك ثم ذكر مؤمنى أهل الكتاب فقال (الذين آتيناهم الكتاب) أعطيناهم علم التوراة عبد الله بن سلام وأصحابه (يعرفونه) يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم

به منى بابني فقال له عمرو لم قال
لاني لست أشك في محمداً أنه
سبي فأما ولدي فلعل والدته
خانت فقبل عمر رأسه
(وأن فريقاً منهم) أي الذين
لم يسلموا (ليكتبون الحق)
حسدًا واعداء (وهم يعلمون)
أن الله تعالى بينه في كتابهم
(الحق) مبتدأ خبره (من
ربك) واللام للجنس أي
الحق من الله لا من غيره
يعني أن الحق ما ثبت أنه
من الله كالذي أنت عليه
ومالم يثبت أنه من الله كالذي
عليه أهل الكتاب فهو
الباطل أو للعهد والاشارة
الى الحق الذي عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم أو
خبر مبتدأ محذوف أي
هو الحق ومن ربك خبر
بمذخبراً وحال (فلا تكون
من המתرين) الشاكين في
أنه من ربك (ولكل) من
أهل الاديان المختلفة (وجهة)
وقبله وقرئ بها والضمير
بصفته ونعته (كما يعرفون
أبناءهم) بين الغلمان (وأن
فريقاً منهم) من أهل الكتاب
(ليكتبون الحق) صفة
محمد صلى الله عليه وسلم
ونعته (وهم يعلمون) في
كتابهم (الحق من ربك)
أي أنك نبي مرسل من الله
(فلا تكون من המתرين)

لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم أو القرآن أو التحويل ﴿ كما يعرفون أبناءهم ﴾ يشهد
للاول أي يعرفونه بأوصافه كعرفتهم أبناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم • عن عمر رضي الله
تعالى عنه أنه سأل عبدالله بن سلام رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنا
أعلم به منى بابني قال ولم قال لاني لست أشك في محمد صلى الله عليه وسلم أنه نبي فأما ولدي فلعل
والدته قد خانت فقبل رأسه ﴿ وأن فريقاً منهم ليكتبون الحق وهم يعلمون ﴾ تخصيص
لمن عاند واستثناء لمن آمن ﴿ الحق من ربك ﴾ كلام مستأنف والحق أما مبتدأ خبره
من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول صلى الله عليه وسلم أو الحق الذي
يكتبونه أو للجنس والمعنى أن الحق ما ثبت أنه من الله تعالى كالذي أنت عليه لا ما
لم يثبت كالذي عليه أهل الكتاب وأما خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق ومن ربك
حال أو خبر بمذخبر • وقرئ بالنصب على أنه بدل من الاول أو مفعول يعلمون ﴿ فلا
تكون من המתرين ﴾ الشاكين في أنه من ربك أو في كتابهم الحق علمين به وليس المراد به
نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد
واختيار بل أما لتحقيق الامر وأنه بحيث لا يشك فيه ناظر أو أمر الامة باكتساب
المعارف المزيحة للشك على الوجه الابغ ﴿ ولكل وجهة ﴾ ولكل أمة قبلة والتنون

صلى الله عليه وسلم معرفة جلية بالوحي المعين الذي يجدونه عندهم ﴿ كما يعرفون
أبناءهم ﴾ أي لا يشكون فيه ولا يشبهه عليهم كالاتشبه عليهم أبناءهم من أبناء غيرهم
روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لعبدالله بن سلام أن الله أنزل على نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فكيف هذه المعرفة
فقال عبدالله بن عمر لقد عرفته حين رأيته كما عرف ابني ومعرفتي بمحمد صلى الله عليه وسلم
أشد من معرفتي بابني فقال عمر وكيف ذلك فقال أشهد أنه رسول الله حق من الله وقد نعته
الله في كتابنا ولا أدري ما تصنع النساء فقبل عمر رأس عبدالله وقال وفقك الله يا بن سلام
فقد صدقت وقيل الضمير في يعرفونه يعود الى أمر القبلة والمعنى أن علماء اليهود والنصارى
يعرفون أن القبلة التي صرفت اليها هي قبلة إبراهيم وقبلة الانبياء قبلك كما يعرفون
أبناءهم لا يشكون في ذلك ﴿ وأن فريقاً منهم ﴾ أي من علماء أهل الكتاب ﴿ ليكتبون
الحق ﴾ يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل أمر القبلة ﴿ وهم يعلمون ﴾ يعني
أن كتمان الحق معصية وقيل يعلمون أن صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم
في التوراة والانجيل وهم مع ذلك يكتبونه ﴿ الحق ﴾ أي الذي يكتبونه هو الحق
﴿ من ربك فلا تكون من המתرين ﴾ أي من الشاكين في أن الذين تقدم ذكرهم علموا صحة
نبوتك وقيل يرجع الى أمر القبلة والمعنى أن بعضهم عاندوكم الحق فلا تشك في
ذلك ﴿ فأن قلت النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت ولم يشك فامعنى هذا النبي قلت هذا
الخطاب وأن كان للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد غيره والمعنى فلا تشكوا أنتم
أيها المؤمنون وقد تقدم نظير هذا قوله عز وجل ﴿ ولكل وجهة ﴾ أي ولكل

في (هو) لكل وفي (موليا) للوجهة أي هو موليا وجهه فحذف أحد المفعولين أو هو لله تعالى أي الله موليا أي هو موليا شامى أي هو مولى تلك الجهة قدولها والمعنى ولكل أمة قبلة يتوجه إليها منكم ومن غيركم (فاستبقوا) أنتم الخيرات) فاستبقوا إليها غيركم ﴿٢٢١﴾ من أمر القبلة وغيره (أيما {سورة البقرة} تكونوا) أنتم وأعداؤكم

(يأت بكم الله جميعا) يوم القيامة يفصل بين المحق والمبطل أو ولكل منكم بأمة محمد وجهه جهة يصلى إليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية فاستقبلوا الفاضلات من الجهات وهي الجهة المسامحة للكعبة وإن اختلفت أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا ويجمعكم ويجعل صلاتكم كأنها إلى

جهة واحدة وكأنكم تصلون حاضري المسجد الحرام (أن الله على كل شيء قدير ومن حيث خرجت) ومن أي بلد خرجت للسفر (فول وجهك شطر المسجد الحرام) إذا صليت (وأنه) وأن هذا الأمر به (للحق من ربك

(هو موليا) مستقبلها بهوى نفسه ويقال ولكل وجهة لكل نبي قبلة وهي الكعبة هو موليا أمر أن يستقبلها (فاستبقوا الخيرات) فبادروا بالطاعات بأمة محمد من جميع الأمم (أيما

بذل الاضافة أو لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة ﴿هو موليا﴾ أحد المفعولين محذوف أي هو موليا وجهه أو الله موليا أيه ﴿وقرى﴾ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وظل وجهة الله موليا أهلها واللام مزيدة للتأكيد جبرا لضمف العامل ﴿وقرأ ابن عامر هو موليا أي هو مولى تلك الجهة أي قدولها﴾ فاستبقوا الخيرات من أمر القبلة وغيره مما تنال به سعادة الدارين أو الفاضلات من الجهات وهي المسامحة للكعبة ﴿أيما تكونوا يأت بكم الله جميعا﴾ أي في أي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومفترقا يحشركم الله إلى المحشر للجزاء أو أينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض أرواحكم أو أينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم كأنها إلى جهة واحدة ﴿أن الله على كل شيء قدير﴾ فيقدر على الامامة والاحياء والجمع ﴿ومن حيث خرجت﴾ ومن أي مكان خرجت للسفر ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ إذا صليت ﴿وأنه﴾ وأن هذا الامر ﴿للحق من ربك﴾

أهل ملة قبلة والوجهة اسم للتوجه إليه وقيل الوجهة الهيئة والحالة في التوجه إلى القبلة وقيل في قوله ولكل وجهة أن المراد به جميع المؤمنين أي ولكل أهل جهة من الآفاق وجهة من الكعبة يصلون إليها وقيل المراد بالوجهة المنهاج والشرع والمعنى ولكل قوم شريعة وطريقة لان الشرائع مصالح للعباد فلهذا اختلفت الشرائع بحسب اختلاف الزمان والاشخاص ﴿هو موليا﴾ أي مستقبلها والمعنى أن لكل أهل ملة وجهة هو مول وجهه إليها وقيل متوليا أي مختارها وقيل أن هو عائد على اسم الله تعالى والمعنى أن الله موليا أيه ﴿وقرى﴾ موليا أي مصروف إليها ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ أي بادروا بالطاعة وقبول الاوامر وفيه حث على المبادرة إلى الاولوية والافضلية فعلى هذا تكون الآية دليلا لمذهب الشافعي في أن الصلاة في أول الوقت أفضل لقوله فاستبقوا الخيرات لان ظاهر الامر للوجوب فإذا لم يتحقق الوجوب فلا أقل من الندب ﴿أيما تكونوا﴾ يعني أنتم وأهل الكتاب ﴿يأت بكم الله جميعا﴾ يعني يوم القيامة فهو وعد لاهل الطاعة بالثواب ووعد لاهل المعصية بالعقاب ﴿أن الله على كل شيء قدير﴾ أي على الاعادة بعد الموت والاثابة لاهل الطاعة والعقاب لمستحق العقوبة ﴿قوله عز وجل﴾ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴿أي من أي موضع خرجت في سفر وغيره فول وجهك يا محمد قبل المسجد الحرام ونحوه﴾ وأنه ﴿يعنى التوجه إليه﴾ للحق من ربك ﴿أي الحق الذي

تكونوا) في بر أو بحر (يأت بكم الله) يحيى بكم ويجمعكم الله (جميعا) فيجزىكم بالخيرات (أن الله على كل شيء) من جمعكم وغيرى (قدير) ومن حيث خرجت فول وجهك) في الصلاة (شطر) نحو (المسجد الحرام وأنه) يعنى الحرم (للحق

من ربك) أنه قبله أبراهيم

وما لله بغافل عما تعملون) وبالباء أبو عمرو (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) وهذا الجزء الثاني { التكرير لتأكيد أمر القبلة ﴿٢٢٢﴾ وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة

وما لله بغافل عما تعملون ﴿﴾ وقرأ أبو عمرو بالباء ﴿﴾ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴿﴾ ككرر هذا الحكم لتعدد علله فإنه تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع مرضاته وجرى العادة الالهية على أن يولى أهل كل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها وتميزها ودفع حجج المخالفين على ما ينسبها وقرن بكل علة معلولها كإشترن المدلول بكل واحد من دلالاته تقريبا وتقريراً مع أن القبلة لها شأن والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحرى أن يؤكد أمرها ويعاد ذكرها مرة بعد أخرى ﴿﴾ لئلا يكون للناس عليكم حجة ﴿﴾ علة لقوله فولوا والمعنى أن التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بأن المنعوت في التوراة قبلته الكعبة وأن محمداً يمجّد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشرّكين بأنه يدعى ملة إبراهيم ويخالف قبلته ﴿﴾ ألا الذين ظلّموا منهم ﴿﴾

لا شك فيه فحافظ عليه ﴿﴾ وما لله بغافل عما تعملون ﴿﴾ أى ليس هو بساه عن أعمالكم ولكنه محصيا لكم. وعليكم فيجازيكم بها يوم القيامة ﴿﴾ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴿﴾. فإن قلت هل في هذا التكرار فائدة قلت فيه فائدة عظيمة جليلة وهى أن هذه الواقعة أول الوقائع التى ظهر النسخ فيها فى شرعنا فدعت الحاجة الى التكرار لاجل التأكيد والتقرير وازالة الشبهة وايضاح البيان فحسن التكرار فيه لنقلهم من جهة الى جهة ﴿﴾ لئلا يكون للناس عليكم حجة ﴿﴾ قيل أراد بالناس أهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش واليهود فأما قريش فقالوا رجع محمد الى الكعبة لانه علم أنها الحق وأنها قبله أبيه وسيرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا وقالت اليهود لم ينصرف محمد عن بيت المقدس مع علمه أنه حق إلا أنه يعمل برأيه فعلى هذا يكون الاستثناء فى قوله ألا الذين ظلّموا منهم متصلاً صحيحاً والمعنى لاجهة لاحد عليكم ألا مشركوا قريش واليهود فأنتهم يجادلونك بالباطل والظلم وانما سمى الاحتجاج بالباطل حجة لان اشتقاقها من حجة اذا غلبه فكما تكون صحيحة فكذلك تسمى حجة وتكون باطلة قال الله تعالى حجّتهم داخضة عند ربهم وقيل هذا الاستثناء منقطع عن الكلام الاول ومعناه لكن الذين ظلّموا منهم يجادلونكم بالباطل كما قال النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتاب

أى لكن سيوفهم بهن فلول وليس بيب وقيل فى معنى الآية أن اليهود عرفوا أن الكعبة قبله إبراهيم ووجدوا فى التوراة أن محمداً سيحول اليها فتكون حجّتهم أنهم يقولون أن النبي الذى نبهنا سيحول الى الكعبة ولم تحول أنت فلما حول الى الكعبة ذهبت حجّتهم ﴿﴾ ألا الذين ظلّموا منهم ﴿﴾ أى ألا أن يظلموا فيكتبوا

والشبهة فكرر عليهم ليثبتوا على أنه نيط بكل واحد ما لم ينيط بالأخر فاختلفت فولانها (لئلا يكون للناس عليكم حجة) أى قد عرفكم الله جل ذكره أمر الاحتجاج فى القبلة بما قد بين فى قوله ولكل وجهة هو موليها لئلا يكون للناس لليهود عليكم حجة فى خلاف ما فى التوراة من تحويل القبلة وأطلق اسم الحججة على قول المعاندين لانهم يسوقونه سياق الحججة (ألا الذين ظلّموا منهم) استثناء من الناس أى لئلا يكون حجة

صلوات الله عليه (وما لله بغافل) بساه (عما تعملون) عما تكتمون من قبله إبراهيم وغيرها (ومن حيث خرجت) كنت (فول وجهك) فى الصلاة (شطر المسجد الحرام) وحيث ما كنتم (فى بر أو بحر) فولوا وجوهكم (فى الصلاة) شطره (نحوه) (لئلا يكون للناس) لعبد الله بن سلام وأصحابه (عليكم حجة) فى تحويل القبلة لان فى كتابهم أن الحرم هو قبله إبراهيم فأذا

صليت اليه لاتكون لهم عليكم حجة (ألا الذين ظلّموا) والا الذين ظلّموا فى المقالة (منهم) كتب بن الاشراف وأصحابه (ماعر فوا)

لاحد من اليهود الالماعدين منهم القائلين ماترك قبلتنا الى الكعبة الاميلا الى دين قومه وحبائلده ولوكان على الحق للزم
بلة الانبياء عليهم السلام أو معناه ﴿٢٢٣﴾ لتلا يكون للعرب عليكم حجة {سورة القرة} واعتراض في ترككم التوجه

الى الكعبة التي هي قبلة
ابراهيم واسمعيلى ابي العرب
الا الذين ظلوا منهم وهم
اهل مكة حين يقولون بداله
فرجع الى قبلة آباءه ويوشك
أن يرجع الى دينهم ثم
استأنف منها بقوله (فلا
تخشوهم) فلا تخافوا
مطاعنهم في قبلكم فانهم
لا يضرونكم (واخشوني)
فلا تخافوا امرى (ولا اتم
نعمتى عليكم) أى عرفكم
لتلا يكون عليكم حجة ولا تم
نعمتى عليكم بهدايتى أياكم
الى الكعبة (ولعلمكم تهتدون)
ولكى تهتدوا الى قبلة ابراهيم
الكاف في (كما أرسلنا فيكم)
أما أن يتعلق بما قبله أى
ولا تم نعمتى عليكم في الآخرة
بالثواب كما أنتمتكم عليكم في
الدين بأرسال الرسول أو
بما بعده أى كما ذكرتمكم
بأرسال الرسول فاذكرونى
بالطاعة أذكركم بالثواب
فعلى هذا يوقف على تهتدون
وعلى الاول لا (رسولا
منكم) من العرب

استثناء من الناس أى لتلا يكون لاحد من الناس حجة الالماعدين منهم فانهم يقولون
ماتحول الى الكعبة الاميلا الى دين قومه وحبائلده أو بداله فرجع الى قبلة آباءه
ويوشك أن يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله تعالى حجتهم داخضة عند
ربهم لانهم يسوقون مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للبالغة
في نفي الحجة رأسا كقوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

للعلم بأن الظالم لا حجة له * وقرى الأالذين ظلوا منهم على أنه استئناف بحرف التنبية
﴿ فلا تخشوهم ﴾ فلا تخافوهم فأن مطاعنهم لا تضركم ﴿ واخشوني ﴾ فلا تخافوا ما
أمرتكم به مصلحة لكم ﴿ ولا اتم نعمتى عليكم ولعلمكم تهتدون ﴾ علة محذوف أى
وأمرتكم لا تمام النعمة عليكم ورا دتى اهتداءكم أو عطف علة على مقدره مثل واخشوني
لا حفظكم منهم ولا تم نعمتى عليكم أولثلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة
وعن على رضى الله تعالى عنه تمام النعمة الموت على الاسلام ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم ﴾

ما عرفوا من الحق ﴿ فلا تخشوهم ﴾ أى فلا تخافوهم في انصرافكم الى الكعبة
في تظاهرهم عليكم بالمجادلة الباطلة فأنى وليكم وناصركم أظهركم عليهم بالحجة والنصرة
﴿ واخشوني ﴾ أى احذروا عقابى أن أتم عدلتم عما ألزمتكم به وفرضته عليكم
﴿ ولا اتم نعمتى عليكم ﴾ أى ولكى أتم نعمتى عليكم بهدايتى أياكم الى قبلة ابراهيم
لتم لكم الملة الخيفية وقيل تمام النعمة الموت على الاسلام ثم دخول الجنة ثم رؤية
الله تعالى ﴿ ولعلمكم تهتدون ﴾ أى لى تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله
واجب ﴿ قوله عز وجل ﴾ كما أرسلنا فيكم ﴿ كاف التشبيه تحتاج الى شىء ترجع
اليه فقيل ترجع الى ما قبلها ومعناه ولا اتم نعمتى عليكم كما أرسلنا فيكم وقيل أن ابراهيم
قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة
مسلمة لك فبعث الله فيهم رسولا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعدده اجابة
الدعوة الثانية بأن يجعل في ذريته أمة مسلمة والمعنى كما أجمت دعوته ببعثة الرسول
كذلك أجمت دعوته بأن أهدىكم لدينه وأجعلكم مسلمين وأتم نعمتى عليكم ببيان
شرائع الملة الخيفية وقيل أن الكاف متعلقة بما بعدها وهو قوله فاذكرونى أذكركم
والمعنى كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكرونى ووجه التشبيه أن النعمة بالذكر
جارية مجرى النعمة بأرسال الرسول وأن قلنا أنها متعلقة بما قبلها كان وجه التشبيه أن
النعمة فى أمر القبلة كالنعمة بالرسالة وفيكم خطاب لاهل مكة والعرب وكذا قوله
منكم وفى إرساله رسولا منهم نعمة عظيمة عليهم لما فيه من الشرف لهم ولان المعروف
من حال العرب الإنفة الشديدة من الانقياد للغير فكان بعثة الرسول منهم وفيهم أقرب
الى قبول قوله والانقياد له والمعنى كما أرسلنا فيكم يامعشر العرب ﴿ رسولا منكم ﴾

ومشركوا العرب
(فلا تخشوهم) فى صرف
القبلة (واخشوني) فى
تركها (ولا اتم نعمتى)
لكى أتم نعمتى (عليكم)
بالقبلة كما أنتمت عليكم

بالدين (ولعلمكم تهتدون) الى قبلة ابراهيم (كما أرسلنا فيكم رسولا) يقول اذكرونى كما أرسلنا اليكم رسولا (منكم) من نسبكم

متصل بما قبله أي ولاتم نعمتي عليكم في أمر القبلة أوفي الآخرة كما أتمتها بأرسال رسول منكم أو بما بعده أي كما ذكرتمكم بالارسال فاذا كروني ﴿ يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ﴾ يحملكم على ما تصيرون به أذكياه قدمه باعتبار القصد وأخره في دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام باعتبار الفعل ﴿ ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على أنه جنس آخر ﴿ فاذا كروني ﴾ بالطاعة ﴿ اذكركم ﴾ بالثواب

القرآن (ويزكيكم ويعلمكم الكتاب) القرآن (والحكمة) السنة والفقہ (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) ما لا سبيل الى معرفته الا بالوحي (فاذا كروني) بالمعذرة (اذكركم) بالمعذرة أو بالثناء والعطاء أو بالسؤال والنوال أو بالتوبة وعفو الحوبة أو بالاخلاص والخالص أو بالمناجات والنجاة

يعني سجدا صلى الله عليه وسلم ﴿ يتلوا عليكم آياتنا ﴾ يعني القرآن وذلك من أعظم النعم لانه معجزة باقية على الدهر ﴿ ويزكيكم ﴾ أي ويطهركم من دنس الشرك والذنوب وقيل يعلمكم ما اذا فعلتموه صرتم أذكياه مثل محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ﴿ ويعلمكم الكتاب ﴾ يعني أحكام الكتاب وهو القرآن وقيل أن التعليم غير التلاوة فليس بتكرار ﴿ والحكمة ﴾ يعني السنة والفقہ في الدين ﴿ ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ يعني يعلمكم من أخبار الامم الماضية والقرون الخالية وقصص الانبياء والخير عن الحوادث المستقبلية ما لم تكونوا تعلمون وذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ فاذا كروني ﴾ قيل الذكر يكون باللسان وهو أن يسبحه ويحمده ويعجده ونحو ذلك من الاذكار ويكون بالقلب وهو أن يتفكر في عظمة الله تعالى وفي الدلائل الدالة على وحدانيته ويكون بالجوارح وهو أن تكون مستغرقة في الاعمال التي أمروا بها مثل الصلاة وسائر الطاعات التي للجوارح فيها فعل ﴿ اذكركم ﴾ أي بالثواب والرضا عنكم قال ابن عباس رضى الله عنهما اذ كروني بطاعتي اذ كركم بمعوتى وقيل اذ كروني في النعمة والرخاء اذ كركم في الشدة والبلاء وقال أهل المعاني اذ كروني بالتوحيد والايان اذ كركم بالجنان والرضوان وقيل اذ كروني بالاخلاص اذ كركم بالاخلاص اذ كروني بالقلوب اذ كركم بغفران الذنوب اذ كروني بالدعاء اذ كركم بالعطاء (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وأن ذكرني في ملاذ ذكرته في ملاخي منه وأن تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وأن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا وأن أناني يمشي أتيته هرولة ﴿ قوله عز وجل أنا عند ظن عبدي قیل معناه بالفقران اذا استغفر وبالقبول والاجابة اذا دعا وبالکفاية اذا طلب الكفاية وقيل المراد منه تحقيق الرجاء وتأميل المفو وهذا اصح ﴿ قوله وأمامه اذا كرنى يعني بالرجحة والتوفيق والهداية والاعانة. وقوله فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي النفس في اللغة لها معان منها ذات الشيء والله تعالى له ذات حقيقة ومنها الغيب فعلى هذا يكون المعنى فان ذكرني خاليا ذكرته بالانابة والمجازاة مما لا يطلع عليه أحد. قوله وأن ذكرني في ملاذ ذكرته في ملاخي منه الملاذ اشرف الناس وعظماؤهم الذين يرجع الى رأيهم وهذا مما استدلت به المعتزلة ومن واقفهم على تفضيل الملائكة على الانبياء وأجيب عنه بأن الذكر غالبا يكون في جماعة لانبي فيهم ﴿ قوله وأن تقرب الى شبرا الارسال وارادة الامام من اقامة السبب مقام السبب والمناسبة بين القبلة التي هي قبله آباؤهم وارسال رسول منهم تمام على تمام (تقربت)

(يتلوا عليكم) يقرأ عليكم (آياتنا) يعني القرآن بالامر والهي (ويزكيكم) يطهركم بالتوحيد والزكاة والصدقة من الذنوب (ويعلمكم الكتاب) يعني القرآن (والحكمة) الحلال والحرام (ويعلمكم) من الاحكام والحدود وأخبار الامم الماضية (ما لم تكونوا تعلمون) قبل القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم (فاذا كروني) بالطاعة (اذكركم) بالجنة ويقال فاذا كروني في الرخاء

(قوله متصل بما قبله الخ) اختلف في هذه الكاف فقيل للتعليل وقيل للتشبيه وهو الظاهر ولذا اقتصر عليه المصنف رحمه الله ووجهه ظاهر وأوله بالانتماء المذكور ليم الانتظام وقوله أو بما بعده والتقدير اذ كروني ذكر كما مثل ذكرى لكم بالارسال خذف منه قال أبو البقاء والفاء غير مانعة من عمل ما بعدها فيا قبلها وفيه كلام في النحو وقوله بالارسال اشارة الى ان ما مصدرية وذكر

(واشكروا) ما أنعمت به عليكم (ولا تكفرون) ﴿٢٢٥﴾ ولا تحمدوا ﴿سورة البقرة﴾ نعماني (يا أيها الذين آمنوا استعينوا

بالصبر) فيه تنال كل فضيلة (والصلوة) فأنها تنهى عن كل رذيلة (أر الله الصابرين) بالنصر والمعونة (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله) نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلا (أموات) أي هم

أذكركم في الشدة (واشكروا لي) نعمتي (ولا تكفرون) لا تركوا شكرها (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر) على أداء فرائض الله وترك المصاعب وعلى المرازى (والصلوة) وبكثرة صلاة التطوع بالليل والنهار على تحميم الذنوب (أن الله مع الصابرين) معين وحافظ وناصر للصابرين على المرازى ثم ذكر مقالة المناقنين لشهداء بدر وأحد والمشهد كلهما فلان وذهب عنه النعيم والسرور لكي يقيم به المخلصون فقال الله (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله) في طاعة الله يوم بدر والمشهد كلها (أموات) كسائر الأموات

(قوله صلى الله عليه وسلم قتل الحى والميت) وفي نسخة المشكاة مثل الحى والميت قال شارحه لف ونشر مرتب فالحي يزبن ظاهره بنور الحياة والنصر التام فيما يريد وباطنه بنور العلم والادراك وكذا الذائر

﴿واشكروا لي﴾ ما أنعمت به عليكم ﴿ولا تكفرون﴾ ولا تحمدوا ﴿سورة البقرة﴾ نعماني (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر) عن المعاصي وحظوظ النفس ﴿والصلوة﴾ التي هي أم العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ﴿أن الله مع الصابرين﴾ بالنصر واجابة الدعوة ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات﴾ أي هم أموات

تقربت إليه ذراعا الخ ﴿وهذا من أحاديث الصفات ويستحيل أرادته ظاهره فلا بد من الأويل فعلى هذا يكون ذكر الشبر والذراع والباع والمشى والهرولة استعارة ومجازا فيكون المراد بقرب العبد من الله تعالى القرب بالذكر والطاعة والعمل الصالح والمراد بقرب الله من العبد قرب نعمه وأطفاه وبره وكرمه وأحسانه إليه وفيض مواهبه ورحمته عليه . والمعنى كلما زاد بالطاعة والذكر زدت بالبر والاحسان وأن أتاني عشي في طاعتي أتيت هرولة أي صبت عليه الرحمة صبا وسبقته بها (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بي شفتاه (ق) عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه كمثل الحى والميت (م) عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذى ذكر الله كثيرا والذاكرات * المفردون الذين ذهب القرن الذى كانوا فيه وبقوا وهم يذكرون الله تعالى ويقال تفرد الرجل اذا تفقه واعتزل ﴿قوله عز وجل﴾ واشكروا لي ﴿يعنى بالطاعة﴾ ولا تكفرون ﴿أى بالمعصية فنأطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره﴾ قوله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة﴾ انما خصهما بذلك لما فيهما من المعونة على العبادات أما الصبر فهو حبس النفس على احتمال المكارة في ذات الله وتوطئتها على تحمل المشاق في العبادات وسائر الطاعات وتجنب الجزع وتجنب المحظورات ومن الناس من جل الصبر على الصوم وفسره به ومنهم من جلّه على الجهاد وأما الاستعانة بالصلاة فلانها تجب أن تفعل على طريق الخضوع والتذلل للمعبود والاخلاص له وقيل استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض وبالصلوات الخمس في مواقيتها على تحميم الذنوب ﴿أن الله مع الصابرين﴾ أى بالعون والنصر ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات﴾ نزلت فيمن قتل ببدر من المسلمين وكانوا أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وهم عبيدة بن الحرث بن عبدالمطلب وعير بن أبى وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة الزهرى أخو سعد بن أبى وقاص وذو الشمالين واسمه عير بن عبد عمرو بن العاص بن نضلة بن عمرو بن خزاعة ثم بنى غبشان وعاقل بن البكير من بنى سعد بن ليث بن كنانة ومهجع مولى لعمر بن الخطاب وصفوان بن بيضاء من بنى الحرث بن فهر رضى الله عنهم ومن الانصار ثمانية وهم سعد ابن خيثمة ومبشر بن عبد بن المنذر ويزيد بن قيس بن فسيح وعير بن الحمام ورافع

مزين ظاهره بنور الطاعة وباطنه بنور المعرفة (قاوفا ٢٩ ل) وغير الذائر ظاهره عاطل وباطنه باطل وقيل موقع التشبيه النفع بان بواله والضرب لمن يعاديه وليس ذلك في الميت ويمكن ان يقال في الحديث ايماء الى أن مداومة ذكر الحى الذى لا يموت تورث الحياة الحقيقية التى لانفائها كما قيل اولياء الله لا يموتون ولكن ينقلون من دار الى دار مصححه

﴿ بل أحياء ﴾ بل هم أحياء ﴿ ولكن لا تشعرون ﴾ ما حالهم وهو تنبيه على أن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هى أمر لا يتدرك بالعقل بل بالوحى وعن الحسن أن الشهداء أحياء عند ربهم تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والآية نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر وفهاد لالة على أن الارواح جواهر قائمة بأنفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراية وعلمه جهور العجايب والتابعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد البهجة والكرامة ﴿ ولنبلونكم ﴾ ولنصيبيكم اصابة من يختبر لحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء ﴿ بشئ ﴾

ابن المعلى وحارثة بن سراقه وعوف ومعوذ ابنا الحرث بن رفاعه بن سواد وهما ابنا عفرأ وهى أمهم ارضى الله عنهم كان الناس يقولون لمن قتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذا انها نزل الله تعالى هذه الآية وقيل أن الكفار والمنافقين قالوا أن الناس يقتلون أنفسهم ظلم المرأة محمد من غير فائدة فنزلت هذه الآية وأخبر أن من قتل في سبيل الله فإنه حتى بقوله تعالى ﴿ بل أحياء ﴾ وانما أحياءهم الله تعالى عز وجل في الوقت لا يصل الثواب اليهم وعن الحسن أن الشهداء أحياء عند الله تعالى تعرض أرزاقهم على أرواحهم ويصل اليهم الروح والريحان والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع ففيه دليل على أن المطيعين لله يصل اليهم ثوابهم وهم في قبورهم في البرزخ وكذا العصاة يعذبون في قبورهم «فإن قلت نحن نراهم موتى فامعنى قوله بل أحياء وما وجه النهى في قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات «قلت معناه لا تقولوا أموات بمنزلة غيرهم من الاموات بل هم أحياء تصل أرواحهم الى الجنان كما ورد أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة فهم أحياء من هذه الجهة وأن كانوا أمواتا من جهة خروج الروح من أجسادهم «وجواب آخر وهو أنهم أحياء عند الله تعالى في عالم الغيب لانهم صاروا الى الآخرة فعنهم لان شاهدهم كذلك ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ ولكن لا تشعرون ﴾ أى لا ترونهم أحياء فقتلوا ذلك حقيقة وانما تعلمون ذلك بأخبارى أياكم به «فإن قلت أليس سائر المطيعين من المسلمين لله يصل اليهم من نعيم الجنة في قبورهم فلم يخص الشهداء بالذكر «قلت انما خصهم لان الشهداء فضلوا على غيرهم بمزيد النعيم وهو أنهم يرزقون من مطاعم الجنة وما كلها وغيرهم ينعمون بما دون ذلك «وجواب آخر وهو أنه رد لقول من قال أن من قتل في سبيل الله قدمته وذهب عنه نعيم الدنيا ولذا انها فآخبر الله تعالى بقوله بل حياء بأنهم في نعيم دائم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولنبلونكم ﴿ أى ولنختبرنكم بأمة محمد واللام جواب القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلاء لاظهار الطائع من العاصى لا يعلم شيأ لم يكن عالما به فإنه سبحانه وتعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها وحدونها ﴿ بشئ ﴾ انما قال بشئ ولم يقل بأشياء لئلا يؤهم أن أشياء تدل على ضروب من الخوف وكذا الباقى فلما قال بشئ كان التقدير بشئ من الخوف وبشئ من الجوع

الشهيد لا تعلم حسا عن الحسن رضى الله عنه أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها (ونبلونكم) ولنصيبيكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لحوالكم هل تصبرون على ما أنتم عليه من الطاعة أم لا (بشئ) تقليل من كل واحدة من هذه البلايا وطرف منه وقلل ليؤذن أن كل بلاء أصاب الانسان وأن جل ففوقه ما يقل اليه ويربهم أن رحمة معهم في كل حال وأعلمهم بوقوع البلاء قبل وقوعها ليوطنوا نفوسهم

(بل أحياء) بل هم كاحياء أهل الجنة في الجنة يرزقون من الثمن (ولكن لا تشعرون) لا تعلمون بكرامتهم وحالهم ثم ذكر ابتلاء المؤمنين فقال (ونبلونكم) لنختبرنكم (بشئ)

عليها (من الخوف) خوف الله والعدو (والجوع) أي القحط أو صوم شهر رمضان (ونقص من الاموال) بموت المواشي أو الزكاة وهو عطف على شيء أو على الخوف ﴿٢٢٧﴾ أي وشيء من نقص (سورة البقرة) الاموال (والانفس) بالقتل

والموت أو بالمرض والشيب
(والثمرات) ثمرات الحرث أو
موت الاولاد لان الولد ثمرة
الفؤاد (وبشر الصابرين)

على هذه البلايا أو المسترجعين
عند البلايا لان الاسترجاع
تسليم واذعان وفي الحديث
من استرجع عند المصيبة
جبر الله مصيبته وأحسن
عقابه وجعل له خلفا صالحا

يرضاه وطفى سراج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال
ان الله وانا اليه راجعون
فقليل أمصيبة هي قال نعم
كل شيء يؤذى المؤمن فهو
مصيبة والخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم أو لكل
من يتأذى منه البشارة
(الذين) نصب صفة للصابرين
ولا وقت عليه بل يوقف على
راجعون ومن ابتدأ بالدين
وجعل الخبر أولئك يقف
على الصابرين لا على
راجعون والاول الوجه لان
الذين وما بعد بيان للصابرين
(أذا أصابهم مصيبة) مكروه
اسم فاعل من أصابته شدة
أي لحقته ولا وقت على

من الخوف خوف العدو
(والجوع) في حط السنين
(ونقص من الاموال)
ذهاب الاموال (والانفس)
وذهاب الانفس بالقتل

من الخوف والجوع ﴿﴾ أي بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم منه
ليخفف عليهم ويربهم أن رجته لاتفارقهم أو بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الآخرة
وانما أخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ﴿﴾ ونقص من الاموال والانفس
والثمرات ﴿﴾ عطف على شيء أو الخوف وعن الشافعي رضى الله تعالى عنه الخوف خوف الله
والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الصدقات والزكوات ومن الانفس
الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد
قال الله تعالى للملائكة أقبضتم روح ولد عبدي فيقولون نعم فيقول الله أقبضتم ثمرة فؤاده
فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا
لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد ﴿﴾ وبشر الصابرين الذين اذا أصابهم مصيبة

وقيل معناه بشيء قليل من هذه الاشياء ﴿﴾ من الخوف ﴿﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما
يعنى خوف العدو والخوف توقع مكروه يحصل منه ألم فى القلب ﴿﴾ والجوع ﴿﴾ يعنى
القحط وتعذر حصول القوت ﴿﴾ ونقص من الاموال ﴿﴾ يعنى بالهلاك والخسران
﴿﴾ والانفس ﴿﴾ أى ونقص من الانفس بالموت أو القتل ﴿﴾ والثمرات ﴿﴾ يعنى الجوائع
فى الثمار وقيل قديكون بالجدب أيضا وترك العمل والعمارة فى الاشجار وحكى عن الشافعي
رضى الله عنه فى تفسير هذه الآية قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام شهر رمضان
ونقص من الاموال يعنى اخراج الزكاة والصدقات والانفس يعنى بالامراض والثمرات
يعنى موت الاولاد لان الولد ثمرة القلب ﴿﴾ عن أبى موسى الاشعري رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته أقبضتم ولد عبدي
قالوا نعم قال أقبضتم ثمرة فؤاده قالوا نعم قال فاذا قال قالوا حمدك واسترجع قال ابنوا له
بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد أخرجه الترمذى وقال حديث حسن «فان قلت ما الحكمة
فى تقديم تعريف هذا الابتلاء فى قوله ولنبلونكم «قلت فيه حكم منها أن العبد اذا علم
انه مبتلى بشيء وطن نفسه على الصبر فاذا نزل به ذلك البلاء لم يجزع ومنها أن الكفار
اذا شاهدوا المؤمنين مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول البلاء صابرين له علموا بذلك
صحة الدين فيدعوهم ذلك الى متابعتهم والدخول فيه ومنها أن الله تعالى أخبر
بهذا الابتلاء قبل وقوعه فاذا وقع كان ذلك اخبارا عن غيب فيكون معجزة للنبي صلى الله
عليه وسلم ومنها أن المنافقين انما أظهروا الايمان طمعا فى المال وسعة الرزق من الغنائم فلما
أخبر الله أنه مبتلى عباده فمنذ ذلك تميز المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب ومنها أن
الانسان فى حال الابتلاء أشد اخلاصا لله منه فى حال الرخاء فاذا علم أنه مبتلى دام على التضرع
والابتهاج الى الله تعالى لينجيته مما عسى أن ينزل به من البلاء ثم قال تعالى ﴿﴾ وبشر الصابرين ﴿﴾
يعنى عند نزول البلاء والمعنى وبشر يا محمد الصابرين على امتحاني بما أمتحنهم به من الشدائد
والمكاره ثم وصفهم بقوله تعالى ﴿﴾ الذين اذا أصابهم مصيبة ﴿﴾ أى نائبة وابتلاء

والموت والامراض (والثمرات) وذهاب الثمرات ثم قال (وبشر) يا محمد (الصابرين الذين اذا أصابهم مصيبة) مما

مصيبة لان (قالوا) جواب { الجزء الثاني } اذا واذا وجوابها ﴿٢٢٨﴾ صلاة الذين (أنا لله) اقرار له بالملك

(وأنا اليه راجعون) اقرار على نفوسنا بالهلك (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) الصلاة الخنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة بعد رحمة (وأولئك هم المهتدون) لطريق الصواب حيث استرجعوا وأذعنوا لامر الله قال عمر رضي الله عنه نعم العدلان ونعم العلاوة أي الصلاة

ذكرت (قالوا أنا لله) نحن عبيد الله (وأنا اليه راجعون) بعد الموت وأن لم نرض بقضائه لا يرضى عنا بأعمالنا (أولئك) أهل هذه الصفة (عليهم صلوات) مغفرة (من ربهم) في الدنيا (ورحمة) من العذاب في الآخرة (وأولئك هم المهتدون) للاسترجاع * ثم ذكر كراهية المؤمنين للطواف بين الصفا والمروة من قبل الصنمين اللذين

(قوله في الاصل الدعاء) اشارة الى ما قال الراغب ان أكثر أهل اللغة ان معنى الصلاة هو الدعاء والتمجيد يقال صليت عليه أي دعوت وزكيت وصلاة الله للمسلمين هي في التحقيق تركيته والمراد بالتركية محو السيئات وتطهيرها اه شهاب

قالوا أنا لله وأنا اليه راجعون ﴿الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أول من تتأتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه الصلاة والسلام كل شيء يؤذى المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل به وبالقلب بأن يتصور ما خلق لاجله وأنه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما بقي عليه أضعاف ما استرده منه فيهن على نفسه ويستسلمه والمبشر به محذوف دل عليه ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ﴾ الصلاة في الاصل الدعاء ومن الله تعالى التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبتيه وأحسن عقابه وجعل له خلفا صالحا خيرا ﴿ وأولئك هم المهتدون ﴾

﴿قالوا أنا لله﴾ أي عبيد أو ملك ﴿وأنا اليه راجعون﴾ يعني في الآخرة (م) عن أم سلمة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول أنا لله وأنا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيرا منها إلا أجره الله في مصيبتيه وأخلف له خيرا منها قيل ما أعطى أحد ما أعطيت هذه الامة يعني الاسترجاع عند المصيبة ولو أعطى أحد لا أعطى يعقوب عليه الصلاة والسلام ألا تسمع الى قوله عند فقد يوسف يا أسفا على يوسف وقيل في قول العبد أنا لله وأنا اليه راجعون تفويض منه الى الله وأنه راض بكل ما نزل به من المصائب ﴿ أولئك ﴾ يعني من هذه صفتهم ﴿ عليهم صلوات من ربهم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما أي مغفرة من ربهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى أي اغفر لهم وارحمهم وانما جمع الصلوات لانه عنى مغفرة بعد مغفرة ورحمة بعد رحمة ﴿ ورحمة ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ونعمة والرحمة من الله انعامه وافضاله واحسانه ومن الآدميين رقة وتعطف وقيل انما ذكر الرحمة بعد الصلوات لان الصلاة من الله الرحمة لاتساع المعنى واتساع اللفظ وتفعل ذلك العرب كثيرا اذا اختلف اللفظ واتفق المعنى وقيل كررها لأكيد أي عليهم رحمة بعد رحمة ﴿ وأولئك هم المهتدون ﴾ يعني الى الاسترجاع وقيل الى الجنة الفائزون بالثواب وقيل المهتدون الى الحق والصواب وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه نعم العدلان ونعمت العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلامة الهداية

فصل ﴿﴾

في ذكر أحاديث وردت في ثواب أهل البلاء وأجر الصابرين (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يريد الله به خيرا يصب منه يعني يتلبه بالمصائب حتى يأجره على ذلك (ق) عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله عنه بها خطاياها بالنصب التعب والاعياء والوصب المرض (ق) عن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فمساؤه إلا حط الله به عنه من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها

(ق)

والرجة ولا هتداء (أن الصفا
والمروة) هما علمان للجبلين
(من شعائر الله) من أعلام
مناسكه ومتعبده جمع

شعيرة وهي العلامة (فمن
حج البيت) قصد الكعبة
(أو اعتمر) زار الكعبة فالحج
القصد والاعتمر الزيارة
ثم غلبا على قصد البيت
وزيارته للنسكين المعروفين
وهما في المعاني كالنجم والبيت
في الاعيان (فلا جناح عليه)

كانا عليهما فقال (أن الصفا
والمروة) يقول الطواف
بين الصفا والمروة (من
شعائر الله) مما أمر الله
تعالى من مناسك الحج
(فمن حج البيت أو اعتمر
فلا جناح عليه) لا مأثم

(قوله علما جبلين الخ) قال
في العاية لما ذكر الصرعية
بالحج لاقية من الامور المحتاجة
اليه وكونهما بالغية لان اصل
معناها نوع من الحجارة مطلقا
فثغرهما اللام والشعائر جمع
شعيرة أو شعارة بمعنى علامة
يطلق على ما يعلم به موطنه كما
هنا وعلى نفس اعماله
واضافتهما الى الله لانه جعلهما
علامة مع ما فيه من التنظيم
وتغليب الحج والعمرة بمعنى
اشتهارهما في نوع مخصوص منهما
كالادابة لأنهما علمان مصححه

للحق والصواب حيث استرجعوا وأسلموا لقضاء الله تعالى ﴿ أن الصفا والمروة ﴾ هما
علما جبلين بمكة ﴿ من شعائر الله ﴾ من أعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة
﴿ فمن حج البيت أو اعتمر ﴾ الحج لغة القصد والاعتمر الزيارة فغلبا شرعا على قصد
البيت وزيارته على الوجهين الخصوصين ﴿ فلا جناح عليه

(ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن
كمثل الزرع لا تزال الريح تفيثه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل المناق كمثل شجرة
الارزة لا تهتز حتى تحصد الارزة شجر معروف بالشأم ويعرف في العراق ومصر بالصنوبر
والصنوبر ثمرة الارزة وقيل الارزة الثابتة في الارض ﴿ عن أنس رضى الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أراد الله ببدخيرا عجل له العقوبة في الدنيا واذا أراد الله
بعبدا مسلما أمسك عنه حتى يوافي يوم القيامة ﴿ وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أن
عظم الجزاء مع عظم البلاء وأن الله اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله
السخط أخرجه الترمذى ﴿ وله عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا
بالمقاريض ﴿ وله عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزال
البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده حتى يلتقى الله وما عليه خطيئة وقال حديث حسن صحيح
(خ) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
مالعبدى المؤمن عندي جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه ألاجنة ﴿ عن
سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أى الناس أشد بلاء قال الانبياء ثم
الامثل فالمثل يتلى الرجل على حسب دينه فأن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وأن كان
في دينه رقة هون عليه فأيبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمضى على الارض وما عليه خطيئة
أخرجه الترمذى وقال حديث حسن ﴿ قوله عز وجل ﴿ أن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾
الصفا جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة المساء وقيل هي الحجارة الصافية والمروة الحجر
الرخو وجهما مرو ومروات وهذا أصلهما في اللغة واتماعتى الله بهما الجبلين المعروفين
مكة في طرفي المسمى ولذلك أدخل فيها الالف واللام وشعائر الله أعلام دينه وأصلها
من الاشعار وهو الاعلام واحدها شعيرة وكل ما كان معلما لقربان يتقرب به الى الله
تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة من شعائر الله ومشاعر الحج معاملة الظاهرة
للحواس ويقال شعائر الحج فالطواف والموقف والمنحرف كلها شعائر والمراد بالشعائر
هنا المناسك التي جعلها الله أعلاما لطاعته فالصفا والمروة منها حيث يسعى بينهما
﴿ فمن حج البيت ﴾ أى قصد البيت هذا أصله في اللغة وفي الشرع عبارة عن أفعال
مخصوصة لاقامة المناسك ﴿ أو اعتمر ﴾ أى زار البيت والعمرة الزيارة ففي الحج والعمرة
المشروعين قصد زيارة ﴿ فلا جناح عليه ﴾ أى فلا ثم عليه وأصله من جمع اذا مال

أن يطوف بهما * كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية اذا سوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تخرج المسلمون أن يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجاع على أنه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فمن أجد أنه سنة وبه قال أنس وابن عباس رضى الله عنهم لقوله فلا جناح عليه فإنه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخلى فى معنى الوجوب فلا يدفعه وعن أبى حنيفة رحمه الله تعالى أنه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعى رحمهما الله

عن القصد المستقيم * أن يطوف بهما * أى يدور بهما ويسعى بينهما * وسبب نزول هذه الآية أنه كان على الصفا والمروة صفتان يقال لهما اساف ونائلة فكان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصفتين فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تخرج المسلمون عن السعى بين الصفا والمروة فأنزل الله هذه الآية وأذن فى السعى بينهما واخبر أنه من شعائر الله (ق) عن عاصم بن سليمان الاحول رضى الله عنه قال قلت لانس رضى الله عنه أكنتم تكرهون السعى بين الصفا والمروة فقال نعم لانها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله أن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما * وفى رواية قال كانت الانصار يكرهون أن يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت أن الصفا والمروة من شعائر الله

فصل

اختلف العلماء فى حكم السعى بين الصفا والمروة فى الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة رضى الله عنهم وبه قال الحسن واليه ذهب مالك والشافعى وذهب قوم الى أنه تطوع وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما وبه قال ابن سيرين وذهب الثورى وأبو حنيفة رضى الله عنهما الى أنه ليس بركن وعلى من تركه دم وروى عن ابن الزبير ومجاهد وعطاء أن من تركه فلا شئ عليه واختلفت الرواية عن أجد فى ذلك فروى عنه أن من ترك السعى بين الصفا والمروة لم يجزه حجه وروى عنه أنه لا شئ فى تركه عمدا ولا سهوا ولا يبنى أن يتركه ونقل الجمهور عنه أنه تطوع * وسبب هذا الاختلاف أن قوله تعالى فلا جناح عليه يصدق عليه أنه لا اثم عليه فى فعله فدخل تحته الواجب والمندوب والمباح فظاهر هذه الآية لا يدل على أن السعى بين الصفا والمروة واجب أو ليس بواجب لان اللفظ الدال على القدر المشترك بين الاقسام الثلاثة لا دلالة فيه على خصوصية أحدهما فأذا لابد من دليل خارج يدل على أن السعى واجب أو غير واجب فحجة الشافعى ومن وافقه فى أن السعى بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة ما روى الشافعى بسنده عن صفية بنت شيبة رضى الله عنها قالت أخبرتنى بنت أبى نجرارة وأسمها حبيبة إحدى نساء بنى عبد الدار قالت دخلت مع نسوة من قريش دار آل أبى حسين فنظر الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرأيتة يسعى وأن مؤثره ليدور من شد السعى حتى لا يقول أنى لارى ركبته وسمعتة يقول اسعوا فإن الله كتب عليكم السعى وصححه

فلا اثم عليه (أن يطوف بهما) أى تطوف فادغم التاء فى الطاء وأصل الطوف المشى حول الشئ والمراد ههنا السعى بينهما قيل كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صفتان يروى أنهما كانا رجلا وامرأة زنيا فى الكعبة فخنفا بحجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان أهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية فرفع عنهم الجناح بقوله فلا جناح وهو دليل على أنه ليس بركن كما قال مالك والشافعى رحمهما الله تعالى

عليه (أن يطوف بهما)

قوله كان اساف على الصفا (الح) قال فى الكفاية اساف بكسر الهمزة وخفة السين المهملة وألف بعدها فاء ونائلة بتون وألف يليهما همزة مكسورة ولام الاول اسم رجل سعى به صنم على الصفا والثانى اسم امرأة سعى به صنم على المروة قيل ولدانث مصححه

أنه ركن لقوله عليه الصلاة والسلام اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي ﴿ ومن تطوع خيراً ﴾ أى فعل طاعة فرضاً كان أو نفلاً أو زاد على ما فرض الله عليه من حج أو عمرة أو طواف أو تطوع بالسعي أن قلنا أنه سنة وخيراً نصب على أنه صفة مصدر محذوف أو محذوف الجار وياصل الفعل اليه أو بتعدية الفعل لتضمنه معنى أتى أو فعل * وقرأ حزة والكسائي ويعتوب يطوع وأصله يتطوع فأدغم مثل يطوف ﴿ فإن الله شاكر عليم ﴾ مثيب على الطاعة لا تخفى عليه ﴿ أن الذين يكتُمون ﴾ كأخبار اليهود

الدارقطنى (ق) عن عمرو بن الزبير رضى الله عنه قال قلت لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أرأيت قول الله أن الصفا والمروة من شعائر الله فن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما فما أرى على أحد شيئاً أن لا يطوف بهما فقالت عائشة كلا لو كان كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما فأنزلت هذه الآية في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذوة قديد وكانوا يتخرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنزل الله تعالى أن الصفا والمروة من شعائر الله الآية (م) عن جابر رضى الله عنه في حديثه الطويل في صفة حجة الوداع قال ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ أن الصفا والمروة من شعائر الله أبداً بابتداء الله به فبدأ بالصفا الحديث فأذا ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم سعى وجب علينا السعي لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه خذوا عني مناسككم والامر للوجوب ومن القياس أن السعي أشواط شرعت في بقعة من بقاع الحرم ويؤتى به في احرام كامل فكان ركنا كطواف الزيارة واحتج أبو حنيفة رضى الله عنه ومن لا يرى وجوب السعي بقوله فلا جناح عليه أن يطوف بهما وهذا لا يقال في الواجبات ثم أنه تعالى أكد ذلك بقوله ﴿ ومن تطوع خيراً ﴾ فبين أنه تطوع وليس بواجب * وأجيب عن الاول بأن قوله تعالى فلا جناح عليه ليس فيه إلا أنه لا ثم على فعله وهذا القدر مشترك بين الواجب وغيره كاتقدم بيانه فلا يكون فيه دلالة على نفي الوجوب * وعن الثاني وهو التمسك بقوله تعالى ومن تطوع خيراً فضعيف لان هذا لا يقتضى أن يكون المراد من هذا التطوع هو الطواف المذكور أو لابل يجوز أن يكون المقصود منه شيئاً آخر يدل على ذلك قول الحسن أن المراد بقوله ومن تطوع خيراً جميع الطاعات في الدين يعنى فعل فعلاً زائداً على ما افترض عليه من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة وطواف وغير ذلك من أنواع الطاعات وقال مجاهد ومن تطوع خيراً بالطواف بهما وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما فرضاً وقيل معناه ومن تطوع خيراً فزاد في الطواف بعد الواجب والقول الاول أولى للعموم ﴿ فإن الله شاكر ﴾ أى مجاز على الطاعة ﴿ عليم ﴾ أى بنيتة وحقيقة الشاكر في اللغة هو المظهر للانعام عليه والشكر هو تصور النعمة واظهارها والله تعالى لا يوصف بذلك لانه لا يلحتمه المنافع والمضار فالشاكر في صفة الله تعالى مجاز فأذا وصف به أريد به أنه المجازى على الطاعة بالثواب لأن اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد مظهرة في الاحسان اليهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ أن الذين يكتُمون

وكذا قوله (ومن تطوع خيراً) أى الطواف بهما مشعر بأنه ليس بركن ومن يطوع حزة وعلى أى يتطوع فأدغم التاء في الطاء (فإن الله شاكر) مجاز على القليل كثيراً (عليم) بالاشياء صغيراً أو كبيراً (أن الذين يكتُمون) من بينهما (ومن تطوع خيراً) من زاد على الطواف الواجب (مأن الله شاكر) يقبله (عليم) بنياتكم ويقال فإن الله شاكر يشكر اليسير ويجزى الجزيل (أن الذين يكتُمون)

(قوله مثيب الخ) قال الراغب اذا وصف الله بالشكر فاعاينى به انعامه على عباده وجزاؤه لهم وقوله لا يخفى عليه تفسير لعليم مصححه

أحبار اليهود (ما أنزلنا) { الجزء الثاني } في التوراة (من ﴿ ٢٣٢ ﴾ بينات) من الآيات الشاهدة على

﴿ ما أنزلنا من بينات ﴾ كآيات الشاهدة على أمر محمد صلى الله عليه وسلم
﴿ والهدى ﴾ وما يهدى الى وجوب اتباعه والايان به ﴿ من بعدما بيناه للناس ﴾
نخصناه ﴿ في الكتاب ﴾ في التوراة ﴿ أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ أى
الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين ﴿ الأالذين تابوا ﴾ عن الكتمان
وسأر ما يجب أن يتاب عنه ﴿ وأصلحوا ﴾ ما أفسدوا بالتدارك ﴿ وبينوا ﴾ ما بينه
الله في كتابهم لتم توبتهم وقيل ما أحدثوه من التوبة ليمحو به سمة الكفر عن
أنفسهم ويقتدى بهم أضرابهم ﴿ فأولئك أتوب عليهم ﴾ بالقبول والمغفرة ﴿ وأنا
التواب الرحيم ﴾ المبالغ في قبول التوبة وإفاضة الرحمة

ما أنزلنا من بينات والهدى ﴿ نزلت في العلماء اليهود الذين كتبوا صفة محمد صلى الله عليه
وسلم وآية الرجم وغيرها من الاحكام التي كانت في التوراة وقيل أن الآية على العموم
فبين كتم شيئاً من أمر الدين لان اللفظ عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب ومن قال بالقول الاول وأنها في اليهود قال أن الكتم لا يصح إلا منهم لانهم
كتبوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الكتمان ترك اظهار الشيء مع الحاجة
الى بيانه واظهاره فن كتم شيئاً من أمر الدين فقد عظمت مصيبيته (ق) عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال لولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدثت شيئاً أبداً أن الذين يكتبون
ما أنزلنا من بينات والهدى وقوله واذا أخذنا الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه
للناس ولا تكتمونه الى آخر الآيتين وهل اظهار علوم الدين فرض كفاية أو فرض
عين فيه خلاف والاصح أنه اذا ظهر للبعض بحيث يتمكن كل واحد من الوصول
اليه لم يبق مكتوماً وقيل متى سئل العالم عن شيء يعلم من أمر الدين يجب عليه
اظهاره والأفلا ﴿ من بعدما بيناه للناس في الكتاب ﴾ يعنى في التوراة من صفة محمد
صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المراد بالناس علماء بني إسرائيل ومن قال أن
المراد بالكتاب جميع ما أنزل الله على أنبيائه من الاحكام قال المراد بالناس العلماء كافة
﴿ أولئك ﴾ يعنى الذين يكتبون ما أنزل الله من بينات والهدى ﴿ يلعنهم الله ﴾
أى يعذبهم من رحته وأصل اللعن في اللغة الطرد والابعاد ﴿ ويلعنهم اللاعنون ﴾ قال ابن
عباس رضي الله عنه جميع الخلائق الأالجن والانس وذلك أن البهائم تقول انما منعنا
القطر بمعاصي بني آدم وقيل اللاعنون هم الجن والانس لانه وصفهم بوصف
من يعقل وقيل ماتا عن اثنان من المسلمين أالرجعت الى اليهود والنصارى الذين
كتبوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنى فقال تعالى ﴿ الأالذين تابوا ﴾ أى
ندموا على ما فعلوا فرجعوا عن الكفر الى الاسلام ﴿ وأصلحوا ﴾ يعنى الاعمال فيما بينهم
وبين الله تعالى ﴿ وبينوا ﴾ يعنى ما كتبوا من العلم ﴿ فأولئك أتوب عليهم ﴾ أى
ألتجاوز عنهم وأقبل توبتهم ﴿ وأنا التواب ﴾ أى المتجاوز عن عبادى الرجاء
بقلوبهم المنصرفه عنى الى ﴿ الرحيم ﴾ يعنى بهم بعد اقبالهم على قوله عز وجل

أمر محمد عليه السلام
(والهدى) الهداية الى
الاسلام بوصفه عليه السلام
(من بعدما بيناه) أو صحناه
(للناس في الكتاب) في
التوراة لم ندع فيه موضع
اشكال فعمدوا الى ذلك
المبين فكتموه (أولئك
يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)
الذين يتأتى منهم اللعن وهم
الملائكة والمؤمنون من
الثقلين (الأالذين تابوا)
عن الكتمان وترك الايمان
(وأصلحوا) ما أفسدوا من
أحوالهم وتداركوا ما فرط
منهم (وبينوا) وأظهروا
ما كتبوا (فأولئك أتوب
عليهم) أقبل توبتهم (وأنا
التواب الرحيم

ما أنزلنا) بينا (من بينات)
من الامر والنهي والعلامات
في التوراة (والهدى)
صفة محمد صلى الله عليه
وسلم ونعته (من بعدما
بيناه للناس) لبني إسرائيل
(في الكتاب) في التوراة
(أولئك يلعنهم الله)
يعذبهم الله في القبر (ويلعنهم
اللاعنون) يلعنهم الخلائق
غير الجن والانس اذا سمعوا
أصواتهم في القبر (الأالذين
تابوا) من اليهودية (وأصلحوا)
وحدوا (وبينوا) صفة
محمد ونعته (فأولئك أتوب عليهم)
ألتجاوز عنهم (وأنا التواب) المتجاوز لمن تاب (الرحيم) لمن مات على التوبة (ان)

أن الذين كفروا وماتوا وهم كفار ﴿ ٢٣٣ ﴾ يعني الذين {سورة البقرة} ماتوا من هؤلاء الكافرين

ولم يتوبوا (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) ذكر لعنتهم أحياء ثم لعنتهم أمواتا والمراد بالناس المؤمنون أو المؤمنون والكافرون اذ بعضهم يلعن بعضا يوم القيامة قال الله تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها

(خالدين) حال من هم في عليهم (فيها) في اللعنة أو في النار ألا أنها أضمرت تقريبا لشأنها وتهويلها (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) من الانظار أي لا يعملون أولا ينظرون ليعتذروا أولا ينظر اليهم نظر رجة (وألهم أله واحد)

فرد في ألوهيته لا شريك له فيها ولا يصح أن يسمى غيره

(أن الذين كفروا وماتوا وهم كفار) بالله ورسله (أولئك عليهم لعنة الله عذاب الله (والملائكة) لعنة الملائكة (والناس أجمعين) لعنة المؤمنين بعضهم بعضا ترجع عليهم (خالدين فيها) في اللعنة (لا يخفف عنهم العذاب) لا يرفع ولا يرفه ولا يهون عليهم العذاب (ولا هم ينظرون) يؤجلون من العذاب ثم وحد نفسه

﴿ أن الذين كفروا وماتوا وهم كفار ﴾ أي ومن لم يتب من الكافرين حتى مات ﴿ أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ استقر عليهم اللعن من الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنتهم أحياء وهذا لعنتهم أمواتا وقرئ والملائكة والناس أجمعون عطفًا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك أعجبنى ضرب زيد وعمرو أو فاعلا لفعل مقدر نحو وتلعنهم الملائكة ﴿ خالدين فيها ﴾ أي في اللعنة أو النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشأنها وتهويلها أو كفاء بدلالة اللعن عليها ﴿ لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴾ أي لا يعملون أولا ينظرون ليعتذروا أولا ينظر اليهم نظر رجة ﴿ وألهم أله واحد ﴾ خطاب عام أي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له

﴿ أن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ قيل هذا اللعن يكون يوم القيامة يؤتى بالكافر فيوقف فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس أجمعون. فأن قلت الكافر لا يلعن نفسه ولا يلعنه أهل دينه وملته فا معنى قوله والناس أجمعين قلت فيه أوجه أحدها أنه أراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون الثاني أن الكفار يلعن بعضهم بعضا يوم القيامة الثالث أنهم يلعنون الظالمين والكفار من الظالمين فيكون قد لعن نفسه ﴿ خالدين فيها ﴾ أي مقبين في اللعنة وقيل في النار وانما أضمرت لعظم شأنها ﴿ لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴾ أي لا يعملون ولا يؤجلون وقيل لا ينظرون ليعتذروا وقيل لا ينظر اليهم نظر رجة

فصل فيما يتعلق بهذه الآية من الحكم

قال العلماء لا يجوز لعن كافر معين لان حاله عند الوفاة لا يعلم فلعنه يموت على الاسلام وقد شرط الله في هذه الآية اطلاق اللعنة على من مات على الكفر ويجوز لعن الكفار يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملواها فباعوها وذهب بعضهم الى جواز لعن انسان معين من الكفار بدليل جواز قتاله وأما العصاة من المؤمنين فلا يجوز لعنة أحد منهم على التعيين وأما على الاطلاق فيجوز لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة والحبل فتقطع يده ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة وآكل الربوا وموكله ولعن من غير منار الارض ومن انتسب لغير أبيه وكل هذه في الصحيح قوله عز وجل ﴿ وألهم أله واحد ﴾ سبب نزول هذه الآية أن كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فأنزل الله هذه الآية وسورة الاخلاص ومعنى الوحدة الانفراد وحقيقة الواحد هو الشيء الذي لا يتبعض ولا ينقسم والواحد في صفة الله أنه واحد لا نظيره وليس كمثل شيء وقيل واحد في ألوهيته وربوبيته ليس له شريك لان المشركين أشركوا معه الآلهة فكذبهم الله تعالى بقوله وألهم أله واحد يعني لا شريك له في ألوهيته ولا نظيره في الربوبية والتوحيد هو نفي الشريك والتقسيم والشبيه

(قاو خا ٣٠ ل) حين جحدوا وحدانيته فقال (وألهم أله واحد)

ألهـا (لألهـ الأهو) تقرير { الجزء الثاني } للوحدانية بنفى غيره ﴿ ٢٣٤ ﴾ وإثباته وموضع هورفع لانه بدل

يصح أن يعبد أو يسمى ألهـا ﴿ لألهـ الأهو ﴾ تقرير للوحدانية وأزاحة لان يتوهم أن في الوجود ألهـا ولكن لا يستحق منهم العبادة ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ كاللحجة عليها فإنه لما كان مولى النعم كلها أصولها وفروعها وماسواه أما نعمة أو منعم عليه لم يستحق العبادة أحد غيره وهما خبران آخران لقوله ألهـكم أو لمبتدأ محذوف وقيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا أن كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت ﴿ أن في خلق السموات والارض ﴾ أنما جمع السموات وأفراد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ تعاقبهما كقوله تعالى جعل الليل والنهار خلفه ﴿ والفلك التي تجري في البحر

فألهـ تعالى واحد في أفعاله لاشريك له يشاركه في مصنوعاته وواحد في ذاته لا قسم له وواحد في صفاته لا يشبهه شيء من خلقه ﴿ لألهـ الأهو ﴾ تقرير للوحدانية بنفى غيره من الالهوية وإثباته سبحانه وتعالى ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ يعنى أنه المولى لجميع النعم وأصولها وفروعها فلا شيء سواه بهذه الصفة لان كل ماسواه أما نعمة وأمانم عليه وهو المنعم على خلقه الرحيم بهم ﴿ عن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين وألهـكم ألهـ واحد لألهـ الأهو الرحمن الرحيم وفاتحة آل عمران أم الله لألهـ الأهو الحى القيوم أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث صحيح وقيل لما نزلت هذه الآية قال المشركون أن محمدا يقول ألهـكم ألهـ واحد فليأتنا بآية أن كان صادقا فنزل الله تعالى ﴿ أن في خلق السموات والارض ﴾ وعلمه كيفية الاستدلال على وحدانية الصانع وردهم الى التفكير في آياته والنظر في عجائب مصنوعاته واتقان أفعاله فى ذلك دليل على وحدانيته اذ لو كان فى الوجود صانعان لهذه الافعال لاستحال اتفاقهما على أمر واحد ولا تمتع فى أفعالهما التساوى فى صفة الكمال فثبت بذلك أن خالق هذا العالم والمدبر له واحد قادر مختار ﴿ فبين سبحانه وتعالى من عجائب مخلوقاته ثمانية انواع ﴾ أولها قوله أن فى خلق السموات والارض وانما جمع السموات لانها أجناس مختلفة كل سماء من جنس غير جنس الاخرى ووحيد الارض لانها جنس واحد وهو التراب والآية فى السماء هى سمكها وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآية فى الارض مدها وبسطها على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والانهار والاشجار والثمار والنبات ﴿ النوع الثانى قوله تعالى ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ أى تعاقبهما فى المحي والذهب وقيل اختلافهما فى الطول والقصر والزيادة والنقصان والنور والظلمة وانما قدم الليل على النهار لان الظلمة أقدم والآية فى الليل والنهار أن انتظام أحوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة يكون فى النهار وطلب النوم والراحة يكون فى الليل فاختلف الليل والنهار انما هو لتحصيل مصالح العباد ﴿ النوع الثالث قوله تعالى ﴿ والفلك التي تجري فى البحر ﴾ أى السفن واحده وجعه سواء وسى البحر بحرا لاتساعه وانبساطه والآية فى الفلك تسخيرها

من موضع لاله ولا يجوز
النصب هنا لان البدل يدل
على أن الاعتماد على الثانى والمعنى
فى الآية على ذلك والنصب
يدل على ان الاعتماد يدل على
الاول ورفع (الرحمن الرحيم)
أى المولى لجميع النعم أصولها
وفروعها ولا شيء سواه
بهذه الصفة فاسواه أما نعمة
وأمانم عليه على أنه خبر
مبتدأ أو على البدل من هو
لاعلى الوصف لان المضمر
لا يوصف ولما عجب المشركون
من ألهـ واحد وطلبوا
آية على ذلك نزل (أن فى
خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار)
فى اللون والطول والقصر
وتعاقبهما فى الذهاب والمحي
(والفلك التي تجري فى البحر)

بلاولده ولاشريك (لألهـ
الأهو الرحمن) العاطف
(الرحيم) العطوف ثم
ذكر علامة وحدانيته
فقال (أن فى خلق السموات
والارض) يقول فى تخليقهما
ويقال فيما خلق فيها
(واختلاف الليل والنهار)
فى تقليب الليل والنهار
وزيادتهما ونقصانتهما
(والفلك) وفى السفن
(التي تجري) تسير (فى البحر)

بما ينفع الناس ﴿ أي بنفعهم أو بالذي ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر وأحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر في غالب الامر وتأنيث الفلك لانه بمعنى السفينة «وقرى» بضمين على الاصل أو الجمع وضمه الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين ﴿ وما أنزل الله من السماء من ماء ﴾ من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو ﴿ فأحيى به الارض بعد موتها ﴾ بالنبات ﴿ وبث فيها من كل دابة ﴾ عطف على أنزل كأنه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات في الارض أو على أحيى فأن الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحياة * والبث النثر والتفريق ﴿ وتصريف الرياح ﴾ في مهاهبها وأحوالها * وقرأ حزة والكسائي على الافراد

وجريانها على وجه الماء وهي موقرة بالاثقال والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة وتسخير البحر لحل الفلك مع قوة ساطان الماء وهيجان البحر فلا ينبجى منه إلا الله تعالى * النوع الرابع قوله تعالى ﴿ بما ينفع الناس ﴾ يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات لطاب الارباح والآية في ذلك أن الله تعالى لو لم يقو قلب من يركب هذه السفن لماتم الغرض في تجارتهم ومنافعهم وأيضاً فأن الله تعالى خص كل قطر من أقطار العالم بشئ معين وأحوج الكل الى الكل فصار ذلك سبباً يدعوهم الى اقتحام الاخطار في الاسفار من ركوب السفن وخوض البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع لانه يريح والمحمول اليه ينتفع بما حل اليه * النوع الخامس قوله تعالى ﴿ وما أنزل الله من السماء من ماء ﴾ يعني المطر قيل أراد بالسماء السحاب سمي سماء لان كل ماء الاك فأظلك فهو سماء خلق الله الماء في السحاب ومنه ينزل الى الارض وقيل أراد السماء بعينها خلق الله الماء في السماء ومنه ينزل الى السحاب ثم منه الى الارض ﴿ فأحياه ﴾ أي بالماء ﴿ الارض بعد موتها ﴾ أي يسها وجدبها سماء موتاً مجازاً لانها اذا لم تثبت شيئاً ولم يصبها المطر فهي كالميتة والآية في انزال المطر وأحياء الارض به أن الله تعالى جعله سبباً لحياء الجميع من حيوان ونبات ونزوله عند وقت الحاجة اليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقاء والدعاء وانزاله بمكان دون مكان * النوع السادس قوله تعالى ﴿ وبث ﴾ أي فرق ﴿ فيها ﴾ أي في الارض ﴿ من كل دابة ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد كل مادب على وجه الارض من جميع الخلق من الناس وغيرهم والآية في ذلك أن جنس الانسان يرجع الى أصل واحد وهو آدم ثم ما فهم من الاختلاف في الصور والاشكال والالوان والالسنه والطبائع والاخلاق والاوصاف الى غير ذلك ثم يقاس على بنى آدم سائر الحيوان * النوع السابع قوله تعالى ﴿ وتصريف الرياح ﴾ يعني في مهاهبها قبولا ودبوراً وشمالاً وجنوباً ونكباء وهي الريح التي تأتي من غير مهب صحيح فكل ريح تختلف مهاهبها تسمى نكباء وقيل تصريفها في أحوال مهاهبها لينة وعاصفة وحارة وباردة وسميت ريحاً لانها تريح قال ابن عباس رضى الله عنهما أعظم جنود الله الريح وقيل ما هبت

بما ينفع الناس) بالذي
ينفعهم مما يحمل فيها أو ينفع
الناس ومن في (وما أنزل
الله من السماء) لابتداء الغاية
وفي (من ماء) مطر لبيان الجنس
لان ما ينزل من السماء مطر
وغيره ثم عطف على أنزل
(فأحياه) بالماء (الارض
بعد موتها) يسها ثم
عطف على فأحياء (وبث)
وفرق (فيها) في الارض
(من كل دابة) هي كل
ما يدب (وتصريف الرياح
الريح حزة وعلى أي وتقليبها
في مهاهبها قبولا ودبوراً
وجنوباً وشمالاً وفي أحوالها
حارة وباردة وعاصفة ولينة
وعقماً ولواقح وقيل تارة
بالرحة وطورا بالعذاب

بما ينفع الناس) في معاشهم
(وما أنزل الله) وفيما
أنزل الله (من السماء من ماء)
مطر (فأحياه) بالمطر
(الارض بعد موتها) بعد
قطعها ويوبستها (وبث
فيها) خلق فيها (من كل
دابة) ذكر وأنثى (وتصريف
الرياح) وفي تقليب الرياح
يميناً وشمالاً قبولا ودبوراً

(والسحاب المسخر) المذلل
المتقاد لمشيئة الله تعالى
فيطر حيث شاء (بين السماء
والارض) في الهواء (لايات
لقوم يعقلون) ينظرون
بعيون عقولهم ويعتبرون
فيستدلون بهذه الاشياء
على قدرة موجدها وحكمة
مبدعها ووحداية منشئها
وفي الحديث ويل لمن قرأ
هذه الآية فمج بها أي
لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها
(ومن الناس) أي ومع هذا
البرهان النير من الناس
(من يتخذ من دون الله أندادا)

﴿ والسحاب المسخر ﴾ المذلل ﴿ بين السماء والارض ﴾ لا ينزل ولا ينقع مع أن
الطبع يقتضى أحدهما حتى يأتي أمر الله تعالى وقيل مسخر للرياح تقبله في الجو
بمشيئة الله واشتقاقه من السحب لان بعضه يجرح بعضا ﴿ لايات لقوم يعقلون ﴾
يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم * وعنه صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه
الآية فمج بها أي لم يتفكر فيها * واعلم أن دلالة هذه الآيات على وجود الاله ووحده
من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل أنها أمور ممكنة وجه كل منها
بوجه مخصوص من وجوه محتملة وأنحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا أن لا تتحرك
السموات أو بعضها كالارض وأن تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة
مارة بالقطبين وأن لا يكون لها أوج وحضيض أصلا أو على هذا الوجه لبساطتها
وتساوي أجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته
وتقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه
الآخر فأن توافقت أرادهما فالقول أن كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على أثر
واحد وأن كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لالهيته
وأن اختلفت لزم التمانع والتطارد كما أشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله
لفسدنا وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام وأهله وحث على البحث والنظر فيه
﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا ﴾ من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا

سرة بالعذاب وحرمة
بالرحمة (والسحاب المسخر)
وفي السحاب المذلل (بين
السماء والارض) يقول
في كل هؤلاء (لايات)
لعلامات لوحدانية الرب
(لقوم يعقلون) يصدقون
أنها من الله ثم ذكر حب
الكفار لمبودهم في الدنيا
وتبرأ بعضهم من بعض في
الآخرة فقال (ومن
الناس) يعنى الكفار
(من يتخذ) يعبد (من دون
الله أندادا) أصناما

ريح الأشفاء سقيم أوضده وقيل البشارة في ثلاث رياح الصبا والشمال والجنوب
والدبور هي الريح العقيم التي أهلكت بها عاد فلا بشارة فيها * والآية في الريح أنها
جسم لطيف لا يمسك ولا يرى وهي مع ذلك في غاية القوة تقلع الشجر والصخر
وتخرب البنيان العظيم وهي مع ذلك حياة الوجود فلو أمسكت طرفة عين لمات كل
ذى روح وأنتن ما على وجه الارض * النوع الثامن قوله تعالى ﴿ والسحاب
المسخر بين السماء والارض ﴾ أي الغيم المذلل سمي سحابا لسرعة سيره كأنه يسحب
والآية في ذلك أن السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الاودية العظيمة
يبقى معلقا بين السماء والارض ففي هذه الانواع الثمانية المذكورة في هذه الآية
دلالة عجيبة على وجود الصانع القادر المختار وأنه الواحد في ملكه فلا شريك له ولا
نظير وهو المراد من قوله وألهكم اله واحدا لله الأهو وقوله ﴿ لايات ﴾ أي فيما ذكر
من دلائل مصنوعاته الدالة على وحدانيته قبل انما جمع آيات لان في كل واحد مما ذكر
من هذه الانواع آيات كثيرة تدل على أن لها خالقا مدبرا مختارا ﴿ لقوم يعقلون ﴾
أي ينظرون بصفاء عقولهم ويتفكرون بقلوبهم فيعلمون أن لهذه الاشياء خالقا ومدبرا
مختارا وصانعا قادرا على ما يريد * قوله عز وجل ﴿ ومن الناس ﴾ يعنى المشركين
﴿ من يتخذ من دون الله أندادا ﴾ يعنى أصناما يعبدونها والند المثل المنازع فعل
هذا الاصنام أنداد بعضها لبعض وليست أندادا لله تعالى وتعالى الله أن يكون له ند أوله

أمثالا من الاصنام (يحبونهم) ﴿٢٣٧﴾ يعظمونهم ويخضعون لهم {سورة البقرة} تعظيم المحبوب (كحب الله)

كتعظيم الله والخضوع له
أى يحبون الاصنام كما يحبون
الله يعنى يسوون بينهم وبينه
في محبتهم لانهم كانوا يقرون
بالله ويتقربون اليه وقيل
يحبونهم كحب المؤمنين الله
(والذين آمنوا أشد حبا لله)
من المشركين لآلهتهم لانهم
لا يعبدون عنه الى غيره
بحال والمشركون يعبدون
عن أندادهم الى الله عند
الشدايد فيفزعون اليه
ويخضعون له (ولو يرى)

ترى نافع وشاى على خطاب
الرسول أو كل مخاطب أى
ولو ترى ذلك لرأيت أمرا
عظيما (الذين ظلوا) اشارة
الى متخذى الانداد (اذيرون)
يرون شاى (العذاب أن
القوة لله جميعا) حال

(يحبونهم كحب الله) كحب
المؤمنين المخلصين لله (والذين
آمنوا أشد) أودم (حبا لله)
من الكفار لاصنامهم ويقال
نزلت هذه الآية في المنافقين
الذين اتخذوا الدراهم
والدنانير كنزا وكهفا ويقال
اتخذوا رؤساءهم ألهما
من دون الله (ولو يرى
الذين ظلوا) لو يعلم الذين
أشركوا (أذيرون العذاب)
يوم القيامة (أن القوة)
والقدرة والمنعة (لله جميعا)

يطيعونهم لقوله تعالى اذتبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد أعم منهما
وهو ما يشغله عن الله ﴿يحبونهم﴾ يعظمونهم ويطيعونهم ﴿كحب الله﴾ كتعظيمه
والميل الى طاعته أى يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من
الحب استيعار لجة القلب ثم اشتق منهم الحب لانه أصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله
تعالى أرادة طاعته والاعتناء بتحصيل مرضيه ومحبة الله للعبد أرادة اكرامه
واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصى ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ لانه لا ينقطع
محبتهم لله تعالى بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بأذى
سبب ولذلك كانوا يعبدون عن آلهتهم الى الله تعالى عند الشدايد ويعبدون الصنم
زمانا ثم يرفضونه الى غيره ﴿ولو يرى الذين ظلوا﴾ ولو يعلم هؤلاء الذين ظلوا
بأخذ الانداد ﴿أذيرون العذاب﴾ أذاعينوه يوم القيامة وأجرى المستقبل مجرى
الماضى لتحققه كقوله تعالى ونادى أصحاب الجنة ﴿أن القوة لله جميعا﴾ ساد مسد
مفعولى يرى وجواب لو محذوف أى لو يعلمون أن القوة لله جميعا أذاعينوا العذاب

مثل منازع وقيل الانداد الاكفاء من الرجال وهم رؤساءهم وكبرائهم الذين
يطيعونهم في معصية الله تعالى ﴿يحبونهم﴾ أى يودونهم ويعلمون اليهم والحب تقيض
البعض وأحببت فلانا أى جعلته معرضا بأن تحبه والمحبة الارادة ﴿كحب الله﴾ أى
كحب المؤمنين الله والمعنى يحبون الاصنام كما يحب المؤمنون ربهم عز وجل وقيل
معناه يحبونهم كحب الله فيكون المعنى أنهم يسوون بين الاصنام وبين الله في المحبة فن
قال بالقول الاول لم يثبت للكفار محبة الله تعالى ومن قال بالقول الثانى أثبت للكفار
محبة الله تعالى لكن جعلوا الاصنام شركاء له في الحب ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾
أى أثبت وأدوم على محبته لانهم لا يختارون مع الله سواء والمشركون اذا اتخذوا
صنما ثم رأوا آخر أحسن منه طرحوا الاول واختاروا الثانى وقيل أن الكفار يعبدون
عن أصنامهم في الشدايد ويقبلون الى الله تعالى كما أخبر عنهم فأذا ركبوا في الفلك
دعوا الله مخلصين له الدين والمؤمنون لا يعبدون عن الله تعالى في السراء ولا في الضراء
ولا في الشدة ولا في الرخاء وقيل أن المؤمنين يوحدون ربهم والكفار يعبدون أصناما
كثيرة فتتقص المحبة لصنم واحد وقيل انما قال والذين آمنوا أشد حبا لله لان الله أحبهم
أولا فأحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم وسيأتى بسط الكلام في معنى
المحبة عند قوله يحبهم ويحبونه ﴿ولو يرى الذين ظلوا﴾ قرئ بالتاء والمعنى ولو ترى
يا محمد الذين ظلوا يعنى أشركوا في شدة العذاب لرأيت أمرا عظيما وقرئ بالياء ومعناه
ولو يرى الذين ظلوا أنفسهم عند رؤية العذاب حين يقذف بهم في النار لعرفوا
مضرة الكفر وأن ما اتخذوه من الاصنام لا ينفعهم ﴿أذيرون العذاب أن القوة لله
جميعا﴾ معناه لو رأى الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرون
العذاب أن القوة ثابتة لله جميعا والمعنى أنهم شاهدوا من قدرة الله تعالى ما يتقنوا معه

(وأن الله شديد العذاب) شديد عذابه أي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله تعالى على كل شيء من الثواب والعقاب دون أن ينداهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذا عابوا العذاب يوم القيامة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة فحذف الجواب لأن لو اذاجاء فيما يشوق اليه أو يخوف منه قلما يوصل بجواب ليذهب القلب فيه كل مذهب ولو يلبها الماضي وكذا اذ وضعها { الجزء الثاني } لتدل على الماضي ﴿٢٣٨﴾ وانما دخلنا على المستقبل هنا لان اخبار

لندموا أشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا أن ينادهم لاتنفع لعلوا أن القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقراً ابن عامر ونافع ويعقوب ولوترى على أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي ولوترى ذلك لرأيت أمراً عظيماً وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب أن بالكسر وكذا ﴿ وأن الله شديد العذاب ﴾ على الاستئناف أو اختمار القول ﴿ اذتبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ﴾ بدل من اذ يرون أي اذتبرأ المتبوعون من الاتباع وقريء بالعكس أي تبرأ الاتباع من الرؤساء ﴿ ورأوا العذاب ﴾ أي رأيناه والواو للحال وقد مضى وقيل عطف على تبرأ ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ يحتمل العطف على تبرأ أو رأوا أو الحال والاول أظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والاعراض الداعية الى ذلك وأصل السبب الحبل الذي يرتقي به الشجر وقريء وتقطعت على البناء للمفعول ﴿ وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا ﴾ لولتني ولذلك أجيب بالفاء أي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الآراء القطيع ﴿ يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ﴾ ندامات وهي نالت مفاعيل يرى أن كان من رؤية القلب والأفعال

الله تعالى عن المستقبل باعتبار صدقه كالمضى (اذتبرأ) مدغمة الذال في التاء حيث وقعت عراقى غير عاصم وهو بدل من اذ يرون العذاب (الذين اتبعوا) أي المتبوعون وهم الرؤساء (من الذين اتبعوا) من الاتباع (ورأوا العذاب) الواو فيه للحال أي تبرأوا في حال رؤيتهم العذاب (وتقطعت) عطف على تبرأ (بهم الأسباب) الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والحجاب (وقال الذين اتبعوا) أي الاتباع (لو أن لنا كرة) رجعة الى الدنيا (فنتبرأ) نصب على جواب التثنية لان لوفى معنى التثنية والمعنى ليت لنا كرة فنتبرأ (منهم كما تبرأوا منا) الآن (كذلك) مثل ذلك الإبراء القطيع (يريهم الله أعمالهم) أي عبادتهم الاوثان (حسرات عليهم) ندامات وهي مفعول

أن القوة له جميعاً وأن الامر ليس على ما كانوا عليه من الشرك والجمود ﴿ وأن الله شديد العذاب ﴾ قوله عز وجل ﴿ اذتبرأ ﴾ أي تنزهه وتباعد ﴿ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب ﴾ أي القادة من مشركي الانس من الاتباع وذلك يوم القيامة حين يجمع القادة والاتباع فيتبرأ بعضهم من بعض عند نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن أنفسهم فكيف عن غيرهم وقيل هم الشياطين يتبرؤون من الانس والقول هو الاول ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ يعني الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا يتواصلون بها من قرابة وصداقة وقيل الاعمال التي كانت بينهم يعملونها في الدنيا وقيل اليهود والحلف التي كانت بينهم يتوادون عليها وأصل السبب في اللغة الحبل الذي يصعد به النخل وسمى كل ما يتوصل به الى شيء من ذريعة أو قرابة أو مودة سبباً تشبهاً بالحبل الذي يصعد به ﴿ وقال الذين اتبعوا ﴾ يعني الاتباع ﴿ لو أن لنا كرة ﴾ أي رجعة الى الدنيا ﴿ فنتبرأ منهم ﴾ أي من المتبوعين ﴿ كما تبرأوا منا ﴾ اليوم ﴿ كذلك يريهم الله ﴾ أي كما أراهم العذاب يريهم الله ﴿ أعمالهم حسرات عليهم ﴾ لانهم أيقنوا

(بالحلاك)

نالت ليريهوم ومعناه أن أعمالهم تنقلب عليهم حسرات فلا يرون إلا حسرات مكان

وأن الله شديد العذاب) في الآخرة لا آمنوا في الدنيا (اذتبرأ الذين اتبعوا) يعني القادة (من الذين اتبعوا) يعني السفلة (ورأوا) يعني القادة والسفلة (العذاب) في الآخرة (وتقطعت بهم الأسباب) العهد والالفة بينهم في الدنيا (وقال الذين اتبعوا) يعني السفلة (لو أن لنا كرة) رجعة الى الدنيا (فنتبرأ منهم) من القادة في الدنيا (كما تبرأوا منا) في الآخرة (كذلك) هكذا (يريهم الله أعمالهم حسرات) ندامات (عليهم)

أعمالهم (وما هم بخارجين من النار) بل هم فيها دائمون ونزل فيمن حرموا على أنفسهم الجائر ونحوها (يا أيها الناس كلوا) أمر
إباحة (مما في الأرض) من للتبعض لأن كل مما في الأرض ليس بما كول (حلالا) مفعول كلوا أو حال مما في الأرض (طيبا)
ظاهرا من كل شهة (ولا تتبعوا ﴿٢٣٩﴾ خطوات الشيطان) طرقه {سورة البقرة} التي يدعوكم إليها يسكون

الطاء أبو عمرو وغير عباس
ونافع وحزة وأبو بكر
والخطوة في الاصل ما بين
قدمي الخاطي يقال اتبع
خطواته اذا اقتدى به واستن
بسنه (أنه لكم عدوميين)
ظاهر العداوة لاختفاء به
وأبان تعدوا ولا ينقض
هذه الآية قوله تعالى والذين
كفروا أولياؤهم الطاغوت
أي الشيطان لانه عدو للناس
حقيقة ووليم ظاهرا فإنه
يرهم في الظاهر الموالة
ويزين لهم أعمالهم ويريد
نذلك هلاكهم في الباطن
(انما يأمركم) بيان اوجوب
الانتهاء عن اتباعه وظهور
عداوته أي لا يأمركم بخير
قط انما يأمركم (بالسوء)
بالقبیح (والفحشاء) وما
يتجاوز الحد في القبح من
العظام وقيل السوء مالا
حديه والفحشاء ما فيه حد

في الآخرة (وما هم بخارجين)
القادة والسفلة (من النار)
ثم ذكر تحليل الحرث
والانعام فقال (يا أيها
الناس) يا أهل مكة
(كلوا مما في الأرض)

﴿وما هم بخارجين من النار﴾ أصله وما يخرجون فعُدل به الى هذه العبارة للبالغة في الخلود
والاقنطاع عن الخلاص والرجوع الى الدنيا ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا﴾ نزلت
في قوم حرموا على أنفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا أو صفة مصدر
مخدوف أو حال مما في الأرض ومن للتبعض اذ لا يؤثر كل كل مما في الأرض ﴿طيبا﴾
يستطيعه والشرع أو الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ﴿ولا تتبعوا خطوات
الشيطان﴾ لا تقتدوا به في اتباع الهوى فحرموا الحلال وتحلوا الحرام وقرأنا نافع
وأبو عمرو وحزة والبرقي وأبو بكر حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة
وهي ما بين قدمي الخاطي وقري بضمين وهمزة جعلت ضمة الطاء كأنها عليها
ويفتحين على أنه جمع خطوة وهي المرة من الخطو ﴿أنه لكم عدوميين﴾ ظاهر العداوة
عند ذوى البصيرة وأن كان يظهر الموالاتين يعويه ولذلك سماه وليا في قوله تعالى
اولياؤهم الطاغوت ﴿انما يأمركم بالسوء والفحشاء﴾ بيان لعداوته ووجوب
التحرز عن متابعتة واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا
لشأنهم والسوء والفحشاء ما أنكره العقل واستبحه الشرع والمعظف لاختلاف

بالهالك والحسرة الغم على ما فاتهم وشدة الندم عليه كأنه انحسر عنه الجهل الذي حله
على ما ارتكبه والمعنى أن الله تعالى يرهم السيئات التي عملوها وارتكبوها في الدنيا
فيتحسرون لم عملوها وقيل يرهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على تضييعها
وقيل يرفع لهم منازلهم في الجنة فيقال لهم تلك مساكنكم لو أطعتم الله ثم تقسم بين
المؤمنين فذلك حين يحسرون ويندمون على ما فاتهم ولا ينفعمهم الندم ﴿وما هم
بخارجين من النار﴾ قوله عز وجل ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا
طيبا﴾ نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبنى مدلج فيما حرموا على
أنفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام والحلال المباح الذي
أهله الشرع وانحلت عقدة الحظر عنه وأصله من الحل لدى هو تقيض القدر والطيب
ما يستلذ المسلم لا يستطيب ألال الحلال ويعاف الحرام وقيل الطيب هو الظاهر لان
النفس تكرهه النفس وتعافه ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أي لا تسلكوا
سبيله وقيل معناه لا تأتوا به ولا تتبعوا آثاره وزلاته والمعنى احذروا أن تعدوا
ما أحل الله لكم الى ما يدعوكم اليه الشيطان قيل هي الذنور في المعاصي وقيل هي
المحقرات من الذنوب ثم بين علة هذا التحذير بقوله تعالى ﴿أنه لكم عدوميين﴾ أي
ظاهر العداوة وقد أظهر الله تعالى عداوته بأية السجود لا دم ثم بين عداوته
ما هي فقال تعالى ﴿انما يأمركم بالسوء﴾ يعني بالاثم والسوء ما يسوء صاحبه ويخزيه
﴿والفحشاء﴾ يعني بها المعاصي وما وقع من قول أو فعل قال ابن عباس رضي الله عنهما
السوء مالا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وقيل الفحشاء الزنا وقيل هو البخل

من الحرث والانعام (حلالا طيبا) بغير تحريم من الله (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) تزيين الشيطان ووسوسته في تحريم الحرث
والانعام (أنه لكم عدوميين) ظاهر العداوة (انما يأمركم) الشيطان (بالسوء) بالقبیح من الفعل (والفحشاء) المعاصي

تعلمون) هو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله تعالى مما لا يجوز عليه (وأذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريق الالتفات قيل هم المشركون وقيل طائفة من اليهود لما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان واتباع القرآن (قالوا بل نتبع ما ألفينا) وجدنا (عليه آباءنا) فأنهم كانوا اخبرنا وأعلم فرد الله عليهم بقوله (أو لوكان آباؤهم) الوالواللحال والمهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه أتبعونهم ولوكان آباؤهم (لا يعقلون شيئاً) من الدين (ولا يهتدون) للصواب ثم ضرب لهم مثلاً فقال (وأن تقولوا على الله) من الكذب (مالا تعلمون) ذلك (وأذا قيل لهم) لمشركى العرب (اتبعوا ما أنزل الله) اتبعوا تحليل ما بين الله من الحرث والانعام (قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه) وجدنا عليه (آباءنا) من التحريم قال الله (أو لوكان آباؤهم) أو ليس كان آباؤهم وقد كان آباؤهم (لا يعقلون شيئاً) من الدين (ولا يهتدون) فكيف يتبعونهم ويقال وان كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً من الدين ولا يهتدون (ثم)

الوصفين فإنه سوء لا عتق العاقل به وفحشاء باستقبحه آياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما يجاوز الحد في القبح من الكبار وقيل الاول ملاحده فيه والثاني ما شرع فيه الحد ﴿وأن تقولوا على الله مالا تعلمون﴾ كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأساً وأما اتباع المجتهد لما أدى اليه ظن مستند الى مدرك شرعى فوجوبه قطعى والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية ﴿وأذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله﴾ الضمير للناس وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالهم كأنه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحقى ماذا يجيبون ﴿قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾ ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين أمروا باتباع القرآن وسائر ما أنزل الله من الحجج والآيات فجنحوا الى التقييد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا اتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خير اماناً وأعلم على هذا فيم ما أنزل الله التوراة لانها أيضاً تدعو الى الاسلام ﴿أو لوكان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾ الوالواللحال أو العطف والمهمزة للرد والتعجب أى لا ينبغي أن يكون اتبعهم لهم وهم جهلة لا يهتدون وجواب لو محذوف أى لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في أمر الدين ولا يهتدون الى الحق لا تبعوهم وهو دليل على المنع ﴿وأن تقولوا على الله مالا تعلمون﴾ يعنى من تحريم الحرث والانعام ويتناول ذلك جميع المذاهب الفاسدة التى لم يأذن فيها الله ولم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم أن أمر الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر التى يجدها الانسان فى قلبه وماهية هذه الخواطر حروف وأصوات منتظمة خفية تشبه الكلام فى الخارج ثم أن فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى وهو المحدث لها فى باطن الانسان وانما الشيطان كالعرض والله هو المقدر له على ذلك وقد ورد فى الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وانما أقدر على ذلك لا يصل هذه الخواطر الى باطن الانسان ﴿قوله عز وجل﴾ (وأذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) هذه قصة مستأنفة والضمير فى لهم يعود الى غير مذكور قال ابن عباس رضى الله عنهما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام فقال رافع بن خارجه ومالك بن عوف بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فهم كانوا خيراً منا وأعلم منا فأنزل الله هذه الآية وقيل ان الآية متصلة بما قبلها والضمير فى لهم يعود الى قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا وهم مشركوا العرب قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا يعنى من عبادة الاصنام وقيل بل الضمير فى لهم يعود على قوله يا أيها الناس كلوا مما فى الارض والمعنى واذا قيل لهم اتبعوا أنزل الله يعنى فى تحليل ما حرموا على أنفسهم ﴿قالوا بل نتبع ما ألفينا﴾ يعنى وجدنا ﴿عليه آباءنا﴾ من التحريم والتحليل قال الله تعالى ﴿أو لوكان آباؤهم﴾ يعنى الذين يتبعونهم ﴿لا يعقلون شيئاً﴾ يعنى لا يعلمون شيئاً من أمر الدين لفنله عام ومعناه خاص وذلك أنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا ﴿ولا يهتدون﴾ أى الى الصواب

(ثم) (ولا يهتدون) لسنه نبي فكيف يتبعونهم ويقال وان كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً من الدين ولا يهتدون (ثم)

(ومثل الذين كفروا) المضاف محذوف أى ومثل داعى الذين كفروا (كمثل الذى ينطق) يصيح والمراد (بما لا يسمع ألدعاء ونداء) البهائم والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان فى أنهم لا يسمعون من الدعاء الأجرس النعمة ودوى الصوت من غير أذنان ولا استبصار كمثل ﴿٢٤١﴾ الناقع بالبهائم التى لا تسمع {سورة البقرة} ألدعاء الناقع ونداء

الذى هو تصويت بهاوزجر لها ولا تفقه شيئاً آخر كما تفهم القلاء والنسيق التصويت يقال نطق المؤذن ونطق الراعى بالضأن والنداء ما يسمع والدعاء قد يسمع وقد لا يسمع (صم) خبر متدا مضمير أى هم صم (بكم) خبر ثان (عمى) عن الحق خبر ثالث (فهم لا يعقلون) الموعظة ثم بين أن ما حرمه المشركون

من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد وأما اتباع الغير فى الدين اذا علم بدليل ما أنه محق كالانبياء والمجاهدين فى الاحكام فهو فى الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما أنزل الله ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينطق بما لا يسمع ألدعاء ونداء﴾ على حذف مضاف تقديره ومثل داعى الذين كفروا كمثل الذى ينطق أو مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذى ينطق والمعنى أن الكفرة لانها كهم فى التقليد لا يلقون أذنانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما يقرر معهم فهم فى ذلك كالبهائم التى ينطق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم فى اتباع آباءهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التى تسمع الصوت ولا تفهم ما تحتها أو تمثيلهم فى دعائهم الاصنام بالناقع فى نطقه وهو التصويت على البهائم وهذا يعنى عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله ألدعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع ألا أن يجعل ذلك من باب التثليل المركب ﴿صم بكم عمى﴾ رفع على الزم ﴿فهم لا يعقلون﴾ أى مما يعقل

لسنة نبى فكيف يتبعونهم ويقال وان كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً من الدين ولا يهتدون لسنة نبى انهم يتبعونهم ثم ضرب مثل الكفار مع محمد صلى الله عليه وسلم فقال (ومثل الذين كفروا) مع محمد صلى الله عليه وسلم (كمثل الذى ينطق بما لا يسمع) يقول كمثل المنعوق وهو الابل والغنم مع الناقع وهو الراعى الذى ينطق بصوت بما لا يسمع أى لا يفهم كلامه أى كلام الراعى اذا قال له كل أو اشرب (ألا دعاء ونداء صم) عن الحق

ثم ضرب لهم مثلاً فقال تعالى ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينطق بما لا يسمع ألدعاء ونداء﴾ النسيق صوت الراعى بالغنم ولا يقال نطق الألالراعى بالغنم وحدها ومعنى الآية ومثلك يا محمد ومثل الكفار فى وعظهم ودعائهم الى الله كمثل الراعى الذى ينطق بالغنم وهى لا تسمع الأصوات فصار الداعى الى الله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعى وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها ووجه المثل أن الغنم تسمع الصوت ولا تظن للمراد وكذلك الكفار يسمعون صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لا يتفهمون به وقيل معناه ومثل الذين كفروا فى قلة عقلهم وفهمهم عن الله ورسوله كمثل المنعوق به من البهائم التى لا تفهم من الامر والنهى إلا الصوت فيكون المعنى بالمثل المنعوق به خارج عن الناقع وقيل معناه ومثل الذين كفروا فى دعائهم الاصنام التى لا تفقه ولا تعقل كمثل الناقع بالغنم فهو لا يتفهم من نطقه بشئ غير أنه عنى من الدعاء والنداء فكذلك الكافر ليس له من دعاء الاصنام وعبادتها إلا العناء والبلاء والقرق بين هذا القول والقول الذى قبله أن المحذوف هنا هو المدعو وهى الاصنام وفى القول الاول المحذوف هو الداعى وهو الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿صم بكم عمى﴾ لما شبههم بالبهائم زاد فى تبكيهم فقال صم لانهم اذا سمعوا الحق ودعاء الرسول ولم يتفهموا به صاروا بمنزلة الاصم الذى لا يسمع يقال لمن يسمع ولا يعقل كأنه أصم بكم أى عن النطق بالحق عمى أى عن طريق الهدى ﴿فهم لا يعقلون﴾ قيل المراد به العقل الكسى لان العقل

(بكم) عن الحق (عمى) عن الهدى أى يتصاممون (قا و خا ٣١ ل) ويتباكون ويتعامون عن الحق والهدى (فهم لا يعقلون) لا يفقهون أمر الله ودعوة النبى صلى الله عليه وسلم كما لا تعقل الابل والغنم كلام الراعى ثم ذكر أيضاً تحليل الحرت والانعام

حلال بقوله (يا أيها الذين آمنوا) الجزء الثاني { آمنوا كلوا من ﴿ ٢٤٢ ﴾ طيبات مارزقناكم } من مستلذاته أو من

للإخلاق بالنظر ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم ﴾ لما وسع الأمر على الناس كافة وأباح لهم ما في الأرض سوى ما حرم عليهم أمر المؤمنين منهم أن يتحروا طيبات مارزقوا ويقوموا بحقوقها فقال ﴿ واشكروا لله ﴾ على مارزقكم وأحل لكم ﴿ أن كنتم آياه تعبدون ﴾ أن صبح أنكم تخصصونه بالعبادة وتقرون أنه معطى النعم ثم بين المحرم فقال ﴿ أنما حرم عليكم الميتة ﴾ وهي كل ما فارقه الروح من غير ذكاة مما يذبح وإنما لإثبات المذكور ونفي ما عداه أي ما حرم عليكم الميتة (والدم) يعني السائل لقوله في موضع آخر أودما مسفوحا وقد حلت الميتتان والدمان بالحديث أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والعين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا إلا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ ﴿ والدم ولحم الخنزير ﴾ إنما خص اللحم بالذكر لأنه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر أجزائه كالتابع له ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ أي رفع الصوت به عند ذبحه للصنم والاهلال أصله رؤية الهلال يقال أهل الهلال وأهلته لكن لما جرت العادة

حلالاته (واشكروا لله) الذي رزقكموها (أن كنتم آياه تعبدون) أن صبح أنكم تخصصونه بالعبادة وتقرون أنه معطى النعم ثم بين المحرم فقال (أنما حرم عليكم الميتة) وهي كل ما فارقه الروح من غير ذكاة مما يذبح وإنما لإثبات المذكور ونفي ما عداه أي ما حرم عليكم الميتة (والدم) يعني السائل لقوله في موضع آخر أودما مسفوحا وقد حلت الميتتان والدمان بالحديث أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال (ولحم الخنزير) يعني الخنزير بجميع أجزائه وخص اللحم لأنه المقصود بالأكل (وما أهل به لغير الله) أي ذبح للأصنام فذكر عليه غير اسم الله وأصل الاهلال رفع الصوت أي رفع به الصوت للصنم وذلك قول أهل الجاهلية باسم اللات

الطبيعي كان حاصلها فهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم ﴿ قيل أن الأمر في قوله كلوا قديكون للوجوب كالأكل لحفظ النفس ودفع الضرر عنها وقديكون للنسب كالأكل مع الضيف وقديكون للإباحة إذا خلا من هذه العوارض والطيب هو الحلال (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله طيب ولا يقبل إلا الطيب وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك * قوله أشعث أغبر هو البعيد العهد بالدهن والغسل والنظافة وقيل الطيب المستلذذ من الطعام فلعل قوما تنزهوا عن أكل المستلذذ من المطاعم فأباح الله تعالى لهم ذلك ﴿ واشكروا لله ﴾ يعني على نعمه ﴿ أن كنتم آياه تعبدون ﴾ أي اشكروا الله الذي رزقكم هذه النعم أن كنتم تخصصونه بالعبادة وتقرون أنه الهكم لغيره وقيل أن كنتم عارفين بالله وبنعمه فاشكروه عليها ﴿ قوله عز وجل ﴾ أنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ﴿ لما أمرنا الله تعالى في الآية التي تقدمت بأكل الطيبات التي هي الحلالات بين في هذه الآية أنواعا من المحرمات أما الميتة فكل ما فارقه روحه من غير ذكاة مما يذبح وأما الدم فهو الجاري وكانت العرب تجعل الدم في المصارين ثم تشويهه وتأكله فحرم الله الدم وأما الخنزير فإنه أراد بلحمه جميع أجزائه وإنما خص اللحم بالذكر لأنه المقصود لذاته بالأكل ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ يعني وما ذبح للأصنام والطواغيت وأصل

فقال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات) من حلالات (مارزقناكم) أعطيناكم من الحرث والانسام (واشكروا لله) بذلك (أن كنتم) اذ كنتم (آياه تعبدون) ويقال ان كنتم تريدون بتحرير عبادته فلا تحرموها فإن عبادة الله في تحليلها ثم بين ما حرم عليهم فقال (أنما

حرم عليكم الميتة) التي أمر بذببحها (والدم) دم المسفوح (ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله) ما ذبح لغير اسم الله عند الأصنام (الاهلال)

وحزة وعاصم لانتقاء

الساكنين أعنى النون
والضاد ويضمها غيرهم
لضممة الطاء (غير) حال أى
فأكل غير (باغ) للذة
وشهوة (ولاعاد) متعد
مقدار الحاجة وقول من
قال غير باغ على الامام

ولاعاد في سفر حرام ضعيف
لان سفر الطاعة لا يبيح
بالضرورة والحبس بالحضر
يبيح بلا سفر ولان بفيه
لا يخرج عن الايمان فلا
يستحق الحرمان والمضطر

يباح له قدر ما يقع به القوام
وتبقى معه الحياة دون ما فيه
حصول الشبع لان الإباحة
للاضطرار فيقدر بقدر
ما تندفع الضرورة (فلا
أثم عليه) في الاكل
(أن الله غفور) للذنوب
الكبائر فأتى يؤاخذ بتناول
الميتة عند الاضطرار (رحيم)
حيث رخص ونزل في
رؤساء اليهود وتغييرهم
نعت النبي عليه السلام
وأخذهم على ذلك الرشا

(فن اضطر) أجهد الى
أكل الميتة (غير باغ) غير
خارج ولا مستعمل (ولا
عاد) بقول ولا قاطع الطريق
ولا متعدد لا كلها بغير
الضرورة (فلا أثم عليه)
فلا حرج عليه بأكل الميتة

ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رؤى سمي ذلك أهلالاً ثم قيل لرفع الصوت وان كان
بغيره ﴿فن اضطر غير باغ﴾ بالاستئثار على مضطر آخر وقرأ عاصم وأبو عمرو
وحزة بكسر النون ﴿ولاعاد﴾ سد الرمي أو الجوعة وقيل غير باغ على الوالى
ولاعاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصى بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعى
وقول أحد رجهما الله تعالى ﴿فلا أثم عليه﴾ في تناوله ﴿أن الله غفور﴾ للمفعل
﴿رحيم﴾ بالرخصة فيه فأن قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكرتم من حرام
لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لامطلاقاً أو قصر حرمة

الاهلال رفع الصوت وذلك أنهم كانوا يرفعون أصواتهم بذكر آلهتهم اذا ذبحوا
لها فجرى ذلك مجرى أمرهم وحالهم حتى قيل لكل ذابح مهمل وان لم يجهر
بالتسمية ﴿فن اضطر﴾ يعنى الى أكل الميتة وأحوج اليها ﴿غير باغ﴾ أصل
البنى الفساد ﴿ولاعاد﴾ أصله من العدوان وهو الظلم ومجازة الحد ﴿فلا أثم
عليه﴾ أى فأكل فلا أثم عليه أى فلا حرج في أكلها ﴿أن الله غفور﴾ أى لما
أكله في حال الضرورة ﴿رحيم﴾ يعنى حيث رخص لعباده في ذلك

فصل في حكم هذه الآية وفيه مسائل

الاولى في حكم الميتة أجمعت الامة على تحريم أكل الميتة وأنها نجسة واستثنى
الشرع منها السمك والجراد أما السمك فلقوله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور
ماؤه الحل ميتته أخرجه الجماعة غير البخارى ومسلم قال الترمذى فيه حديث حسن
صحيح وأما الجراد فلما روى عن ابن أبى أوفى رضى الله عنه قال غزونا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أوستا وكنا نأكل الجراد ونحن معه أخرجه
في الصحيحين واختلف في السمك الميت الطافي على الماء فقال مالك والشافعى لا بأس
به وقال أبو حنيفة وأصحابه والحسن بن صالح بن جنى انه مكروه وروى عن على
بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال ما طفا من صيد البحر فلا تأكله وعن ابن عباس وجابر بن
عبد الله رضى الله عنهم مثله وروى عن أبى بكر الصديق وأبى أيوب رضى الله عنهما إباحته
واختلف في الجراد فقال الشافعى وأبو حنيفة لا بأس بأكل الجراد كله ما أخذته وما
وحدته ميتا وروى مالك أن ما وجد ميتا فلا يحل وما أخذ حيا يذكى ذكاة مثله بأن يقطع
رأسه ويشوى فأن غفل عنه حتى يموت فلا يحل

المسئلة الثانية في حكم الدم

اتفق العلماء على أن الدم حرام نجس لا يؤكل ولا يتنفع به قال الشافعى تحرم جميع
الدماء سواء كان مسفوحا أو غير مسفوح وقال أبو حنيفة دم السمك ليس بحرام
قال لانه اذا يبس أبيض واستثنى الشارع من الدم الكبد والطحال روى الدارقطنى
عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال أحل لنا من الدم دمان ومن الميتة ميتتان الحوت والجراد =

عند الضرورة شبعاً ولا يتزود منها شيئاً (ان الله غفور) بأكله فوق القوت (رحيم) حين رخص له

== ومن الدم الكبد والطحال وفي لفظ آخر أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالجراد والحوت وأما الدمان فالطحال والكبد أخرجه ابن ماجه وأحمد بن حنبل قال أحمد وعلي بن المديني عبد الرحمن بن زيد ضعيف وأخوه عبد الله بن زيد قوى ثقة وقد أخرج الدارقطني هذا الحديث من رواية عبد الله بن زيد عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً وضعف أبو بكر بن العربي هذا الحديث وقال يروى عن ابن عمر مرفوعاً لا يصح سنده وقال البيهقي يروى هذا الحديث عن ابن عمر موقوفاً ومرفوعاً والصحيح الموقوف واختلف في تخصيص هذا العموم في الكبد والطحال فقال مالك لا تخصيص لان الكبد والطحال لحم ويشهد لذلك العيان الذي لا يفتقر الى برهان وقال الشافعي هما دمان ويشهدله الحديث فهو تخصيص من العموم

المسئلة الثالثة في الخنزير

أجمعت الامة على أن الخنزير بجميع أجزائه محرم وانما ذكر الله تعالى لحمه لان معظم الانتفاع متعلق به ثم اختلفوا في نجاسته فقال جمهور العلماء أنه نجس وقال مالك أنه طاهر وكذا كل حيوان عنده لان علة الطهارة هي الحياة وللشافعي قولان في ولوغ الخنزير الجديد أنه كالكلب والقديم يكنى في ولوغه غسلة واحدة والفرق بينهما أن التغليظ في الكلب لان العرب كانت تألفه بخلاف الخنزير وقيل أن التغليظ في الكلب تمبدي لا يعقل معناه فلا يتمدى الى غيره

المسئلة الرابعة في حكم قوله وما أهل به لغير الله

من الناس من زعم أن المراد بذلك ذبائح عبدة الاوثان التي كانوا يذبحونها لاصنامهم وأجاز ذبيحة النصراني اذا سمي عليها باسم المسيح وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن والشعي وسعيد بن المسيب لعموم قوله وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة لا يحل ذلك والحجة فيه أنهم اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد أهلوا به لغير الله فوجب أن يحرم وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تأكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون

المسئلة الخامسة في حكم المضطر

المضطر هو المكلف بالشيء الملبأ اليه المكروه عليه والمراد بالمضطر في قوله فمن اضطر أى خاف التلف حتى قيل من اضطر الى أكل الميتة فلم يأكل منها حتى مات دخل النار والمضطر على ثلاثة أقسام أما بأكره أو بجوع في محصة أو بفقر لا يجد شيئاً البتة فان التحريم يرتفع مع وجود هذه الاقسام بحكم الاستثناء في قوله فلا تأثم عليه وتباح له الميتة فأما الاكره فيبيح ذلك الى زوال الاكره وأما المحصة فلا يخلو أن كانت دائمة فلا خلاف في جواز الشبع منها وأن كانت نادرة فاختلف العلماء فيه وللشافعي قولان أحدهما أنه يأكل ما يسد به الرمق وبه قال أبو حنيفة والثاني يأكل قدر الشبع وبه قال مالك

المسئلة السادسة في قوله غير باغ ولا عاد

(قال)

على حال الاختيار كأنه قيل إنما حرم عليكم هذه الأشياء ما لم تضطروا إليها ﴿ أن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنًا قليلًا ﴾ عوضًا حقيرًا ﴿ أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ﴾ أما في الحال لأنهم أكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار كقوله

أكلت دما أن لم أركع بضرة * بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

يعنى الدية أو في المال أى لا يأكلون يوم القيامة إلا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال أكل في بطنه وأكل في بعض بطنه كقوله

كلوا في بعض بطنكمو تفوا * فأن زمانكم زمن خيصر

﴿ ولا يكلمهم الله يوم القيامة ﴾ عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابلهم في الكرامة والزلفى من الله ﴿ ولا يزكهم ﴾ لا يثني

قال ابن عباس رضى الله عنهما معنى غير باغ غير خارج على السلطان ولا عاد أى معتد يعنى العاصى بسفوره بأن يخرج لقطع الطريق أو أبق من مولاة فلا يجوز للعاصى بسفوره أن يأكل من الميتة إذا اضطر إليها ولا يترخص برخص المسافرين حتى يتوب وبه قال الشافعى لأن أباحه الميتة لها عانة له على فساده وذهب قوم الى أن البنى والعدوان يرجعان الى الاكل وبه قال أبو حنيفة وأباح أكل الميتة للمضطروا كان عاصيا وقيل فى معنى قوله غير باغ أى غير طالب الميتة وهو يجد غيرها ولا عاد أى غير متعد ما حد له وقيل غير مستعمل لها ولا مترود منها ﴿ قوله عز وجل ﴾ أن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ﴿ نزلت فى رؤساء اليهود وعلمائهم وذلك أنهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والمال كل وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو من غيرهم خافوا على ذهاب ما كلهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتموها فانزل الله أن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب أى فى الكتاب من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعتة ووقت نبوته هذا قول المفسرين قال الامام فخر الدين الرازى وعند المتكلمين هذا متبع لان التوراة والانجيل قد بلغا من الشهرة والتواتر الى حيث تمذر ذلك فيهما بل كانوا يكتُمون التأويل لانه قد كان منهم من يعرف الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا يذكرون لها تأويلات باطلة ويصرفونها عن محالها الصحيحة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا هو المراد بالكتمان فبصير المعنى أن الذين يكتُمون معانى ما أنزل الله من الكتاب ﴿ ويشترون به ﴾ أى بالكتمان وقيل يعود الضمير الى ما أنزل الله من الكتاب ﴿ ثمنًا قليلًا ﴾ أى عوضًا يسيرًا وهى المال كل التى كانوا يأخذونها من سفلتهم ﴿ أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ﴾ يعنى ما يؤديهم الى النار وهو الرشا والحرام فلما كان يفضى بهم ذلك الى النار فكأنهم أكلوها ﴿ ولا يكلمهم الله يوم القيامة ﴾ أى كلام رجة وما يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وهو قوله اخسؤا فيها وقيل أراد به الغضب يقال فلان لا يكلم فلانا اذا غضب عليه ﴿ ولا يزكهم ﴾ أى ولا يظهرهم من دنس الذنوب

(ويشترتون به ثمنًا قليلًا) أى عوضًا أو ذائن (أولئك ما يأكلون فى بطونهم) ملء بطونهم تقول أكل فلان فى بطنه وأكل فى بعض بطنه (ألا النار) لانه اذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار ومنه قولهم أكل فلان الدم اذا أكل الدية التى هى بدل منه قال * يأكلن كل ليلة اكافا * أى ثمن اكاف فسماه اكافا لتلبسه به بكونه ثمناله (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) كلاما يسرهم ولكن بنحو قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون (ولا يزكهم) ولا يظهرهم من دنس ذنوبهم أو لا يثني

أكل الميتة (أن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب) ما بين الله فى التوراة من صفة محمد ونعتة (ويشترتون به) بكتمانه (ثمنًا قليلًا) عوضًا يسيرًا نزلت فى كعب بن الاشرف وحي بن أخطب وحدى بن أخطب (أولئك ما يأكلون) ما يدخلون (فى بطونهم إلا النار) الا الحرام ويقال الا ما يكون نارًا فى بطونهم يوم القيامة (ولا يكلمهم الله)

بكلام طيب (يوم القيامة ولا يزكهم) ولا يبرئهم من الذنوب، ويقال ولا يثني عليهم شاء حسنا

عليهم (ولهم عذاب أليم) مؤلم فحرف النبي مع الفعل خبر أولئك وأولئك مع خبره خبر أن والجلل الثلاث معطوفة على خبر أن فقد صار لان أربعة أخبار من الجمل (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) بكتمان نعت محمد عليه الصلاة والسلام (فأصبرهم على النار) فأى شئ أصبرهم على عمل يؤدي الى النار وهذا استفهام معناه التوبيخ (ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق) أى {الجزء الثانى} ذلك العذاب بسبب ﴿٢٤٦﴾ ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق

(وأن الذين اختلفوا) أى أهل الكتاب (فى الكتاب) هو للجنس أى فى كتب الله فقالوا فى بعضها حق وفى بعضها باطل (لنى شقاق) خلاف (بعيد) عن الحق أو كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه لنى شقاق بعيد عن الهدى (ليس البر أن تولوا) أى ليس البر توليتكم (وجوهكم قبل المشرق والمغرب) والخطاب لاهل الكتاب لان قبلة النصرارى

﴿ولهم عذاب أليم﴾ مؤلم ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ فى الدنيا ﴿والعذاب بالمغفرة﴾ فى الآخرة بكتمان الحق للطامع والاعراض الدنيوية ﴿فأصبرهم على النار﴾ تعجب من حالهم فى الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وماتامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شرأهر ذاناب أو استفهامية وما بعدها الخبر أو موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف ﴿ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق﴾ أى ذلك العذاب بسبب أن الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب أو الكتمان ﴿وأن الذين اختلفوا فى الكتاب﴾ اللام فيه أمال للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله تعالى وكفرهم ببعض أو للعهد والاشارة أما الى التوراة واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم فى تأويلها أو خلفوا خلاف ما أنزل الله تعالى مكانه أى حرفوا ما فيها وأما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر وأساطير الاولين ﴿لنى شقاق بعيد﴾ لنى خلاف بعيد عن الحق ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ البر كل فعل مرضى والخطاب لاهل الكتاب فأنهم أكثروا الخوض فى أمر القبلة حين

﴿ولهم عذاب أليم﴾ أى وجميع يصل ألمه الى قلوبهم ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة﴾ معناه انهم اختاروا الضلالة على الهدى واختاروا العذاب على المغفرة لانهم كانوا عالمين بالحق ولكن كتموه وأخفوه وكان فى اظهاره الهدى والمغفرة وفى كتمان الضلالة والعذاب فلما أقدموا على اخفاء الحق وكتمانهم كانوا بائعين الهدى بالضلالة والمغفرة بالعذاب ﴿فأصبرهم على النار﴾ أى ما الذى صبرهم وأى شئ جسدهم على النار حتى تركوا الحق وآتبعوا الباطل فهو استفهام بمعنى التوبيخ وقيل أنه بمعنى التعجب من حالهم فى التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم فلما أقدموا على ما يوجب النار مع علمهم بذلك صاروا كالراضين بالعذاب والصابرين عليه تعجب من حالهم بقوله فأصبرهم على النار ﴿ذلك بأن الله نزل الكتاب﴾ يعنى ذلك العذاب بسبب أن الله نزل الكتاب ﴿بالحق﴾ فكفروا به وأنكروه وقيل معناه فعلنا بهم ذلك لان الله أنزل الكتاب بالحق فحرفوه فعلى هذا يكون المراد بالكتاب التوراة ﴿وأن الذين اختلفوا فى الكتاب﴾ يعنى اختلفوا فى معانيه وتأويله فحرفوها وبدلوا وقيل آمنوا ببعض وكفروا ببعض ﴿لنى شقاق﴾ أى خلاف ومنازعة ﴿بعيد﴾ يعنى عن الحق ﴿قوله عز وجل﴾ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ﴿هذا خطاب لاهل الكتاب لان النصرارى تصلى قبل المشرق واليهود قبل

(ولهم عذاب أليم) وجميع يخلص وجمعه الى قلوبهم (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) الكفر بالايان (والعذاب بالمغفرة) اليهودية بالاسلام ويقال اختاروا ما تحب به النار على ما تحب به الجنة (فأصبرهم على النار) يقول فأجرهم على النار ويقال فما الذى أجرهم على النار ويقال فأعلمهم بعمل أهل النار (ذلك) العذاب (بأن الله نزل الكتاب) أى نزل

جبرائيل بالقرآن والتوراة (بالحق) ببيان الحق والباطل فكفروا به (وأن الذين اختلفوا) (المغرب) فى الكتاب) خالفوا ما فى الكتاب من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونتمه وكتموا (لنى شقاق بعيد) لنى خلاف بعيد عن الهدى (ليس البر) كل البر ويقال ليس البر ليس الايمان (أن تولوا وجوهكم) فى الصلاة (قبل المشرق) نحو الكعبة (المغرب)

مشرق بيت المقدس وقبة اليهود مغربه وكل واحد من الفريقين يزعم أن البر التوجه الى قبلته فرد عليهم بأن البر ليس فيما أنتم عليه فإنه منسوخ (ولكن البر) ﴿٢٤٧﴾ بر (من آمن بالله) أو ذا ﴿سورة البقرة﴾ البر من آمن والقولان على

حولت وادعى كل طائفة أن البر هو التوجه الى قبلته فرد الله تعالى عليهم وقال ليس البر ما أنتم عليه فإنه منسوخ ولكن البر ما بينه الله واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين أى ليس البر مقصوراً بأمر القبلة أو ليس البر العظيم الذى يحسن ان تدهلوا بشأنه عن غيره أمرها وقرأ حزة وحفص البر بالنصب ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين ﴾ أى ولكن البر الذى ينبغى أن يهتم به بر من آمن بالله أولئك ذا البر من آمن ويؤيده قراءة من قرأ ولكن البار والاول أفوق وأحسن والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر ﴿ وآتى المال على حبه ﴾ أى على حب المال كقَالَ عليه الصلاة والسلام لماسئل أى الصدقة أفضل قال أن تؤتيه وأنت صحيح صحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل

المغرب الى بيت المقدس وزعم كل طائفة منهم ان البر فى ذلك فأخبر الله تعالى ان البر ليس فيما زعموا ولكن فيما بينه فى هذه الآية وقال ابن عباس رضى الله عنهما وهو خطاب للمؤمنين وذلك ان الرجل كان فى ابتداء الاسلام اذا أتى بالشهادتين وصلى الى أى جهه كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرائض وصرفت القبلة الى الكعبة أنزل الله هذه الآية فقال تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم أى فى صلاتكم قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا ذلك ﴿ ولكن البر ﴾ يعنى ما بينته لكم والبر اسم جامع لكل الطاعات وأعمال الخير المقربة الى الله الموجبة للثواب والمؤدية الى الجنة ثم بين خصالا من البر فقال تعالى ﴿ من آمن بالله ﴾ أى ولكن البر من آمن بالله فالمراد بالبر هنا الايمان بالله والتقوى من الله ﴿ واليوم الآخر ﴾ وانما ذكر الايمان باليوم الآخر لان عبدة لاوثان كانوا يتكرون البعث بعد الموت ﴿ والملائكة ﴾ أى ومن البر الايمان بالملائكة كلهم لان اليهود قالوا أن جبريل عدونا ﴿ والكتاب ﴾ قيل اراد به القرآن وقيل جميع الكتب المنزلة لسياق ما بعده وهو قوله ﴿ والنبين ﴾ يعنى أجمع وانما خص الايمان بهذه الامور الخمسة لانه يدخل تحت كل واحد منها أشياء كثيرة مما يلزم المؤمن أن يصدق بها ﴿ وآتى المال على حبه ﴾ يعنى من أعمال البر ايتاء المال على حبه قيل ان الضمير راجع الى المال فالتقدير على هذا وآتى المال على

حب المال (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أى الصدقة أعظم أجرا قال أن تصدق وأنت صحيح صحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا هو كناية عن الموصى له وقوله وقد كان لفلان كناية عن الوارث وقيل الضمير فى حبه راجع الى الله تعالى أى وآتى المال على حب الله وطلب

بالبعث بعد الموت (والملائكة) بجملة الملائكة (والكتاب) بجملة الكتاب (والنبين) بجملة النبيين ثم ذكر الواجبات بعد الايمان فقال (وآتى المال على حبه) يقول البر بعد الايمان أعطاه المال على حبه

بأعطائه (ذوى القربى) أى {الجزء الثانى} القرابة وقدمهم لانهم أحق ﴿٢٤٨﴾ قال عليه الصلاة والسلام صدقتك على

المسكين صدقة وعلى ذوى
رحمتك صدقة ووصلة (واليتامى)
والمراد الفقراء من ذوى
القربى واليتامى وانما أطلق
لعدم الالباس (والمساكين)
المسكين الدائم السكنون
الى الناس لانه لاشئ له
كالمسكين للدائم السكر
(وابن السبيل) المسافر
المنقطع وهو جنس وان كان
مفردا لفظا وجعل انسا
للسبيل لملازمته له والضيف
(والسائلين) المستطعمين
(وفى الرقاب) وفى معاونة
المكاتبين حتى يفكوا رقابهم
أو فى فك الاسارى (وأقام
الصلوة) المكتوبة (وأتى
الزكوة) المفروضة قيل
هو تأكيد للاول وقيل
المزاد بالاول نوافل الصدقات

مرضاته ﴿ذوى القربى﴾ يعنى أهل قرابة المعطى وانما قدمهم لانهم أحق بالاعطاء
* عن سلمان بن عامر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة
على المسكين صدقة وعلى ذوى الرحم ثنتان صدقة وصلة أخرجه النسائى (ق) أن
ميمونة رضى الله عنها أعتقت وليدة ولم تستأذن النى صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها
الذى يدور عليها فيه قالت أشعرت يارسول الله أنى أعتقت وليدتى قال أو قد فعلت قالت نعم
قال أما أنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لاجرك * الوليدة الجارية ﴿واليتامى﴾
اليتيم هو الذى لأب له مع الصغر وقيل يقع على الصغير والبالغ أى وآتى الفقراء
من اليتامى ﴿والمساكين﴾ جميع مسكين سمي بذلك لانه دائم السكنون الى الناس
لانه لاشئ له ﴿وابن السبيل﴾ يعنى المسافر المنقطع عن أهله سمي المسافر ابن السبيل
لملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل لانه انما وصل اليه من السبيل وهو
الطريق والاول أشبه لان ابن السبيل اسم جامع جعل للمسافر ﴿والسائلين﴾ يعنى
الطالبيين المستطعمين * عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال للسائل حق ولو جاء على فرس أخرجه أبو داود * عن زيد بن أسلم رضى الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطوا السائل ولو جاء على فرس أخرجه مالك فى الموطأ
* عن أم نجيد رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله أن المسكين ليقوم على بابى فلم أجد شياً
أعطيه أياه قال ان لم تجدى الا ظلفا محرقة فاذا دفعه اليه فى يده أخرجه أبو داود والترمذى وقال
حديث حسن صحيح * وفى رواية مالك فى الموطأ عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ردوا المسكين ولو بظلف محرقة * قوله ردوا المسكين لم يردبه ردا لحرمان وانما أراد به
ردوه بشئ تعطونه أياه ولو كان ظلفا وهو الشاة وفى كونه محرقة ما يعطى
﴿وفى الرقاب﴾ يعنى المكاتبين وقيل هو فك النسمة وعق الرقبة وفداء الاسارى
﴿وأقام الصلوة﴾ يعنى المفروضة فى أوقاتها ﴿وأتى الزكوة﴾ يعنى الواجبة

(والموفون)

على قلبه وشهوته (ذوى
القربى) ذا القرابة فى
الرحم (واليتامى) يتامى
المؤمنين (والمساكين)
المستغففين (وابن السبيل)
ما الطريق الضيف النازل
(والسائلين) الذين
يسألون مالك (وفى الرقاب)
للمكاتبين والغزاة * ثم ذكر
الشرائع بعد الواجبات
فقال (وأقام الصلوة) يقول
البر بعد الواجبات تمام
الصلوات الخمس (وأتى
الزكوة) أعطى الزكاة

والمبار (والموفون) عطف على من آمن ﴿٢٤٩﴾ (بمهدهم اذا عاهدوا) الله أو ﴿سورة البقرة﴾ الناس (والصابرين) نصب على

المدح والاختصاص اظهارا
لفضل الصبر في الشدائد
ومواطن القتال على سائر
الاعمال (في البأساء) الفقر
والشدّة (والضراء) المرض
والزمانة (وحيث البأس)
وقت القتال (أولئك الذين
صدقوا) أي أهل هذه
الصفة هم الذين صدقوا
في الدين (وأولئك هم المتقون)
روى أنه كان بين حيين من
أحياء العرب دماء في الجاهلية
وكان لاحدهما طول على
الآخر فاقسموا النقتلن الحر
منكم بالعبد والذكر بالانثى
والانثى بالواحد فتحاكوا
الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين جاء الله بالاسلام
فنزّل (يا أيها الذين آمنوا
كتب) أي فرض (عليكم
القصاص) وهو عبارة عن
المساواة وأصله من قص
أثره واقتصه اذا تبعه
ومنه القاص لأنه يتبع
الآثار والاخبار (في القتلى)

وما يشبه ذلك (والموفون
بمهدهم) المتقون عهدهم
فيما بينهم وبين الله وفيما بينهم
وبين الناس (اذا عاهدوا
والصابرين في البأساء)
يعني الخوف والبلايا والشدائد
(والضراء) الامراض
والاوجاع والجوع (وحيث
البأس) عند القتال (أولئك
الذين صدقوا) وفوا

الزكاة وفي الحديث نسخت الزكاة كل صدقة ﴿والموفون بمهدهم اذا عاهدوا﴾
عطف على من آمن ﴿والصابرين في البأساء والضراء﴾ نصبه على المدح ولم يعطف
لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهرى البأساء في الاهوال كالفقر والضراء
في الانفس كالمرض ﴿وحيث البأس﴾ وقت مجاهدة العدو ﴿وأولئك الذين صدقوا﴾
في الدين واتباع الحق وطلب البر ﴿وأولئك هم المتقون﴾ عن الكفر وسائر الرذائل
والآية كما ترى جامعة للكلمات الانسانية بأسرها دالة عليها صريحا أو ضمنا فأنها
بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة أشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس
وقد أشير الى الاول بقوله من آمن بالله الى والنيين والى الثاني بقوله وآتى المال
الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله وأقام الصلاة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع
لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع
الحق واليه اشار بقوله عليه الصلاة والسلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان
﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى﴾

﴿والموفون بمهدهم﴾ يعني مأخذه الله من العهود على عباده بالقيام بحدوده والعمل
بطاعته وقيل أراد بالعهد ما يجعله الانسان على نفسه ابتداء من نذر وغيره وقيل
العهد الذي كان بينه وبين الناس مثل الوفاء بالمواعيد وأداء الامانات ﴿اذا عاهدوا﴾
يعني اذا وعدوا أنجزوا واذا نذروا أوفوا واذا حلفوا بروا في ايمانهم واذا قالوا صدقوا
في أقوالهم واذا أتمنوا أدوا ﴿والصابرين في البأساء﴾ أي في الشدة والفقر والفاقة
﴿والضراء﴾ يعني المرض والزمانة ﴿وحيث البأس﴾ يعني القتال والحرب في سبيل
الله وسمى الحرب بأسما لما فيه من الشدة (ق) عن البراء رضى الله عنه قال كنا والله اذا
أجر البأس نتقى به وان الشجاع منا الذي يخاذى به يعني النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله أجر البأس أي اشتد الحرب ونتقى به أي نجعله وقاية لنا من العدو ﴿وأولئك
الذين صدقوا﴾ أي أهل هذه الاوصاف هم الذين صدقوا في ايمانهم ﴿وأولئك هم
المتقون﴾ ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى﴾
نزلت في حيين من أحياء العرب اقتتلوا في الجاهلية بسبب قتل فكانت بينهم قتلى
وحروب وجراحات كثيرة ولم يأخذ بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام وقيل نزلت
في الاوس والخزرج وكان لاحد الحيين طول على الآخر في الكثرة والشرف وكانوا
ينكحون نساءهم بغير مهر وأقسموا النقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا
الرجلين وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات أولئك فرفعوا أمرهم الى النبي صلى الله
عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وأمره بالمساواة فرضوا وسلموا وقيل انما نزلت هذه
الآية لازالة الاحكام التي كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان اليهود
كانوا يوجبون القتل فقط بلا عفو والنصارى يوجبون العفو بلا قتل والعرب في
الجاهلية كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون أخذ الدية تارة وكانوا يتعدون في الحكمين

(وأولئك هم المتقون) عن نقض العهود (يا أيها الذين آمنوا كتب) فرض (عليكم القصاص) القود (في القتلى)

الحرب بالحر والعبد بالعبد والاثني بالاثني * كان في الجاهلية بين حينين من أحياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالاثني فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت وأمرهم ان يتبا ووا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالاثني كالاتدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي رضي الله تعالى عنهما قتل الحر بالعبد سواء كان عبده أو عبده غيره لما روى عن علي رضي الله تعالى عنه ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده به وروى عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بندي عهد ولا حر بعبد ولان أبابكر وعمر رضي الله تعالى عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين أظهر الصحابة من غير تكبير والقياس على الاطراف ومن سلم دلالة فليس له دعوى نسخته بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التوراة فلا ينسخ ما في القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه واجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه * وقرئ * كتب على البناء للفاعل والقصاص

فان وقع القتل على شريف قتلوا به عددا وأخذون دية الشريف أضعاف دية الخسيس فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أوجب الله رعاية العدل وسوى بين عباده في حكم القصاص فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم أي فرض عليكم القصاص في القتلى * فان قلت كيف يكون القصاص فرضا والولى مخير فيه بين العفو والقصاص وأخذ الدية * قلت ان القصاص فرض على القاتل للولى لاعلى الولى وقيل اذا أردتم القصاص فقد فرض عليكم والقصاص المساواة والمائلة في القتل والدية والجراح من قص الاثر اذا تبعه فالفعل به يتبع ما فعل فيفعل به مثل ذلك فلو قتل رجل رجلا بعضا أو خنقه أو شذخ رأسه بحجر فأتى القاتل بمثل الذين قتل به وهو قول مالك والشافعي وأحدى الروايتين عن أحد وقيل يقتل بالسيف وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه والرواية الثانية عن أحد * الحرب بالحر والعبد بالعبد والاثني بالاثني * ومعناه انه اذا تكافأ الدمان من الاحرار المسلمين أو العبيد من المسلمين أو الاحرار من المعاهدين أو العبيد منهم فيقتل كل صنف اذا قتل بمثله الذكر بالذكر والاثني بالاثني وبالذكر ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد ويقتل الذمي بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد هذا مذهب مالك والشافعي وأحمد ويدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن أبي جحيفة قال سألت عليا رضي الله عنه هل عندكم من النبي صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ألا أن يؤتى الله عبدا فهما في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في هذه الصحيفة قال العقل وفك الاسير وأن لا يقتل مؤمن بكافر وقد أخرج مسلم عن علي رضي الله عنه نحوه هذا من غير رواية أبي جحيفة * العقل هنا هو الدية والعاقلة الجماعة من اولياء القاتل الذين يعقلون * عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقام الحدود في المساجد ولا يشتل الوالد بالولد أخرجه

جمع قتيل والمعنى فرض عليكم اعتبار المماثلة والمساواة بين القتلى (الحر بالحر) مبتدأ وخبر أى الحر مأخوذ أو مقتول بالحر (والعبد بالعبد والاثني بالاثني) وقال الشافعي رحمه الله لا يقتل الحر بالعبد لهذا النص وعندنا يجري القصاص بين الحر والعبد بقوله تعالى أن النفس بالنفس كما بين الذكر والاثني وبقوله عليه السلام المسلمون تكافأ دماؤهم وبأن التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وبأن تخصيص الحكم بنوع لا ينفيه عن نوع آخر بل يبقى الحكم فيه موقوفة على ورود دليل (الحر بالحر) عمدا (والعبد بالعبد) (والاثني بالاثني) عمدا نزلت في حين من العرب وهى منسوخة بقوله النفس

آخر وقد ورد كما بينا (فن عني له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه بأحسان) قالوا العفو ضد العقوبة يقال عفوت عن فلان اذا صفحت عنه واعرضت عن ان تعاقبه وهو يتعدى بعن الى الجاني والى الجناية ثم عفونا عنكم ويعفو عن السيئات واذا اجتمعا عدى الى الاول باللام فتقول عفوت له عن ذنبه ومنه الحديث عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق وقال الزجاج من عني له أى من ترك له القتل بالدية وقال الازهرى ﴿٢٥١﴾ العفو فى اللغة الفضل {سورة البقرة} ومنه يسألونك ماذا ينفقون

قل العفو ويقال عفوت لفلان بما اذا أفضلت له وأعطيته وعفوت له عن مالى عليه اذا تركته ومعنى الآية عند الجمهور فن عني له من جهة أخيه شيء من العفو على ان الفعل مسند الى المصدر كما فى سير يزيد بعض السير والآخر الى المقتول وذكر بلفظ الاخوة بمثاله على العطف لما بينهما من الجنسية والاسلام ومن هو القاتل المعفوله عما جنى وترك المفعول الآخر استغناء عنه وقيل أقيم له مقام عنه والضمير فى له وأخيه لمن وفى اليه للاخ أو للمتبع الدال عليه فاتباع لان المعنى فليتبع الطالب القاتل بالمعروف بأن يطالبه مطالبة جيلة وليؤد اليه المطلوب أى القاتل بدل الدم اداء بأحسان بأن لا يعطله ولا يخسه وانما قيل شيء من العفو ليعلم انه اذا عفا عن بعض الدم وأعفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ومن فسر

بالنصب وكذا كل فعل جاء فى القرآن ﴿فن عني له من أخيه شيء﴾ أى شيء من العفو لان عفا لازم وفأندته الاشعار بأن بعض العفو كالعفو التام فى اسقاط التصاص وقيل عني بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل أعفاه وعفا يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فأذا عدى به الى الذنب عدى الى الجاني باللام وعليه ما فى الآية كأنه قيل فمن عني له عن جنائته من جهة أخيه يعنى ولى الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرقوله ويعطف عليه ﴿فاتباع بالمعروف وأداء اليه بأحسان﴾ أى فليكن اتباع أو فالامر اتباع والمراد به وصية العاقب بأن يطالب الدية بالمعروف

الترمذى وذهب أصحاب الرأى الى أن المسلم يقتل بالذمى والحر بالعدو وهذه الآية مع الاحاديث حجة لمذهب الشافعى ومن وافقه ويقولون هى مفسرة لما أجم فى قوله النفس بالنفس وان تلك وارادة لحكاية ما كتب على بنى اسرائيل فى التوراة وهذه الآية خطاب للمسلمين بما كتب عليهم وذهب أصحاب الرأى الى أن هذه منسوخة بقوله النفس بالنفس وتقتل الجماعة بالواحد يدل عليه ما روى البخارى فى صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنه ان غلاما قتل غيلة فقال عمر لو اشترك فيها أهل صنعاء لقتلتم به قال البخارى وقال مغيرة بن حكيم عن أبيه ان أربعة قتلوا صبيا فقال عزمثله وروى مالك فى الموطأ عن ابن المسيب ان عمر رضى الله عنه قتل نفرا خمسة أو سبعة برجل واحد قتلوه غيلة وقال لو تمألا عليه أهل صنعاء لقتلتم جميعا الغيلة ان يقتل الرجل خديعة ومكرا من غير أن يعلم ما يراد به وقوله لو تمألا أى تعاونوا واجتمعوا عليه قوله عز وجل ﴿فن عني له من أخيه شيء﴾ أى ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو التصاص فى قتل العمد ورضى بالدية أو العفو عنها أو قبول الدية فى قتل العمد من أخيه أى من دم أخيه وأراد بالاخ ولى المقتول وانما قيل له أخ لانه لا يسه من قبل انه ولى الدم والمطالب به وقيل انما ذكره بلفظ الاخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بما هو ثابت بينهما من الجنسية وأخوة الاسلام وفى قوله شيء دليل على ان بعض الاولياء اذا عفا سقط القود وثبتت الدية لان شيئا من الدم قد بطل ﴿فاتباع بالمعروف﴾ أى فليتبع الولى القاتل بالمعروف فلا يأخذ أكثر من حقه ولا يعنفه ﴿وأداء اليه بأحسان﴾ أى على القاتل أداء الدية الى ولى الدم من غير ماطلة أمر كل واحد منهما بالاخسان فيماله وعليه وقيل فى تقدير

عني بترك جعل شيء مفعولا به وكذا من فسر به بأعطى يعنى

بالنفس (فن عني له من أخيه شيء) يقول من ترك له من حق أخيه شيء يعنى القتل أى عني القتل وأخذ الدية (فاتباع بالمعروف) أمر الطالب ان يطلب منه بالمعروف فى ثلاث سنين ان كان دية تامة وان كان ثلثى الدية أو نصفا فى سنتين وان كان ثلثها فى عامه ذلك (وأداء اليه) أمر المطلوب ان يؤدى الى اولياء المقتول حقهم (بأحسان) بغير تقاض

أن الولي إذا أعطى له شيء من مال أخيه يعني القاتل بطريق الصلح فليأخذه بمعروف من غير تعنيف وليؤده القاتل إليه بلا تسويق وارتفاع اتباع. أنه خبر مبتدأ مضمراً أي فالواجب اتباع (ذلك) الحكم المذكور من العفو وأخذ الدية (تخفيف من ربكم ورحمة) فإنه كان في التوراة القتل { الجزء الثاني } لا غير وفي الانجيل ﴿ ٢٥٢ ﴾ العفو بغير بدل لا غير وأبمع لـ

فلا يعنف والمعفو عنه بأن يؤديها بالاحسان وهو ان لا يعطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية أحد مقتضى العمد والامارتب الامر بأدائها على مطلق العفو وللشافعي رضى الله تعالى عنه في المسئلة قولاً ﴿ ذلك ﴾ أي الحكم المذكور في العفو والدية ﴿ تخفيف من ربكم ورحمة ﴾ لمافيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصرارى العفو مطلقاً وخيرت هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيراً علمهم وتقديراً للحكم على حسب مراتبهم ﴿ فن اعتدى بعد ذلك ﴾ قتل بعد العفو وأخذ الدية ﴿ فله عذاب أليم ﴾ في الآخرة وقيل في الدنيا بأن يقتل لاحالة لقوله عليه الصلاة والسلام لأعافى أحداً قتل بعد أخذ الدية ﴿ ولكم في القصاص حيوة ﴾ كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحياة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعاً من الحياة عظيماً وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حياة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل

الآية واذا عفاولى الدم عن شيء يتعلق بالقاتل وهو وجوب القصاص فليتبع القاتل ذلك العفو بمعروف وليؤد ماوجب عليه من الدية الى ولى الدم بأحسان من غير مطل ولا مدافعة وفي الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافراً وان الفاسق مؤمن * ووجه ذلك من وجوه * الاول أن الله تعالى خاطبه بعد القتل بالايان وسماه مؤمناً بقوله يأياها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فسماه مؤمناً حال ماوجب عليه من القصاص وانما وجب عليه بعد صدور القتل منه وقتل العمد والعدوان من الكبار بالاجاع فدل على ان صاحب الكبيرة مؤمن * الوجه الثاني أنه تعالى أثبت الاخوة بين القاتل وولى الدم بقوله فن عفى له من أخيه شيء وأراد بالاخوة أخوة الايمان فلولا ان الايمان باق على القاتل لم تثبت له الاخوة والوجه الثالث انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل والعفو لا يليق إلا عن المؤمن لاعتن الكافر قوله عز وجل ﴿ ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ﴾ يعنى الذى ذكر من الحكم بشرع القصاص والعفو عن القصاص وأخذ الدية تخفيف من ربكم يعنى في حقكم ورحمة وذلك لان العفو وأخذ الدية كان حراماً على اليهود وكان القصاص حتماً في التوراة وكان في شرع النصرارى أخذ الدية ولم يكتب عليهم القصاص وقيل كان عليهم العفودون القصاص وأخذ الدية فخير الله هذه الامة بين القصاص أو العفو وأخذ الدية توسعة عليهم وتيسيراً وتفضيلاً لهم على غيرهم ﴿ فن اعتدى بعد ذلك ﴾ يعنى بعد هذا التخفيف فقتل الجانى بعد العفو أو قبول الدية ﴿ فله عذاب أليم ﴾ وهو ان يقتل قصاصاً ولا تقبل منه دية ولا يعفى عنه وقيل المراد بالعذاب الاليم عذاب الآخرة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولكم في القصاص حيوة ﴿ أى بقاء وذلك ان القاصد للقتل اذا علم

القصاص والعفو وأخذ المال بطريق الصلح توسعة وتيسيراً والآية تدل على على أن صاحب الكبيرة مؤمن للوصف بالايان بعد وجود القتل وبقاء الاخوة الثابتة بالايان ولاستحقاق التخفيف والرحمة (فن اعتدى بعد ذلك) التخفيف ف تجاوز ماشرع له من قتل غير القاتل أو القتل بعد أخذ الدية (فله عذاب أليم) نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة (ولكم في القصاص حيوة) كلام فصيح لما فيه من الغرابة اذاقصاص قتل وتقويت للحياة وقد جعل طرفاً للحياة وفي تعريف القصاص وتنكير الحياة بلاغة بيّنة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذى هو القصاص حياة عظيمة لمنعه عما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا فكان القصاص حياة وأى حياة أو نوع من الحياة وهى الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالقصاص من القاتل

لانه اذاهم بالقتل فتذكر الاقتصاص ارتدع فلم صاحبه من القتل وهو من القود فكان شرع القصاص (انه)

وتعب (ذلك) العفو (تخفيف) تهوين (من ربكم ورحمة) للقاتل من القتل (فن اعتدى بعد ذلك) بعد أخذ الدية واعتدائه أن يأخذ الدية ويقتل أيضاً (فله عذاب أليم) يقتل ولا يعفى عنه ولا يؤخذ منه الدية (ولكم في القصاص حيوة) بقاء

والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فإذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحياة الاخرية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الآخرة ولكم في القصاص حياة يحتمل ان يكونا خبرين لحياة وان يكون أحدهما خيرا والآخرة صلة له أو حالا من الضمير المستكن فيه * وقرئ في القصاص أى فيما قص عليكم من حكم القتل حياة أوفى القرآن حياة للقلوب ﴿ياأولى الالباب﴾ ذوى العقول الكاملة ناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس ﴿لعلكم تتقون﴾ في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له أو عن القصاص فكفوا عن القتل ﴿كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت﴾ أى حضر اسبابه وظهرت اماراته ﴿أن ترك خيرا﴾ أى مالا وقيل مالا كثيرا لما روى عن على بن ابي طالب عن الله تعالى انه اذا اراد ان يوصى وله سبعمائة درهم فنعته وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رجلا اراد ان يوصى فسأته كم مالك فقال ثلاثة آلاف فقالت كم عيالك قال أربعة قالت انما قال الله تعالى أن ترك خيرا فان هذا لشيء يسير فاتركه لعيالك

انه اذا قتل قتل ترك القتل وامتنع عنه فيكون فيه بقاؤه وبقاء من هم بقتله وقيل ان نفس القصاص سبب للحياة وذلك ان القاتل اذا اقتص منه ارتدع غيره ممن كان يهجم بالقتل * واعلم أن هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص الذى هو القتل بل يدخل فيه جميع الجراح والشجاج وغير ذلك وذلك لان الجراح اذا علم انه اذا جرح جرح لم يجرح فيصير ذلك سببا لبقاء الجراح والجروح وربما أفضت الجراحة الى الموت فيقتص من الجراح وقيل فى معنى الآية ان الحياة سلامته من قصاص الآخرة فإنه اذا اقتص منه فى الدنيا لم يقتص منه فى الآخرة وفى ذلك حياته واذا لم يقتص منه فى الدنيا اقتص منه فى الآخرة ﴿ياأولى الالباب﴾ أى ذوى العقول الذين يعرفون الصواب لان العاقل لا يريد اتلاف نفسه بانلاف غيره ﴿لعلكم تتقون﴾ يعنى لعلكم تتقون عن القتل خوف القصاص * قوله عز وجل ﴿كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت﴾ أى قرب ودنا منه وظهرت آثاره عليه من العلل والامراض المخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لانه فى ذلك الوقت يجز عن الايصاء ﴿أن ترك خيرا﴾ يعنى مالا قليل يطلق على القليل والكثير وهو قول الزهرى فوجب الوصية فى الكل وقيل ان لفظة الخير لا تطلق إلا على المال الكثير وهو قول الاكثرين واختلفوا فى مقدار الكثير الذى تقع فيه الوصية فقليل ألف درهم فإزاد عليها وقيل سبعمائة فافوقها وقيل ستون دينارا فما فوقها وقيل انه من خمسمائة الى ألف وقيل انه المال الكثير الفاضل عن العيال روى ان رجلا قال لعائشة رضى الله عنها انى أريد أن أوصى فقالت كم مالك قال ثلاثة آلاف درهم قالت كم عيالك قال أربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وهذا شيء يسير فاتركه

سبب حياة نفسين (ياأولى الالباب) ياذوى العقول (لعلكم تتقون) القتل حذرا من القصاص (كتب) فرض (عليكم) اذا حضر أحدكم الموت (أى اذا دنا منه فظهرت أماراته (أن ترك خيرا) مالا كثيرا لما روى عن على بن ابي طالب عن الله تعالى انه اذا اراد ان يوصى وله سبعمائة درهم فنعته وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وليس لك مال وفاعل كتب

وعبرة (ياأولى الباب) ذوى العقول من الناس (لعلكم تتقون) لكي تتقوا قتل بعضكم بعضا مخافة القصاص (كتب عليكم) فرض (عليكم) اذا حضر أحدكم الموت (عند الموت) (أن ترك خيرا) مالا

﴿ الوصية للوالدين والاقربين ﴾ مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل أو على تأويل ان يوصى أو الايضاء ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله

«من يفعل الحسنات الله يشكرها» * والشر بالشر عندالله سيان

ورد بأنه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ بآية الموارث وبقوله عليه الصلاة والسلام ان الله أعطى كل ذى حق حقه الا الوصية لوارث وفيه نظر لان آية الموارث لاتعارضه بل تؤكد من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد وتلقى الامتلاء بالقبول لا يلحقه بالتواتر ولعله احتراز عنه من فسر الوصية بما أوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله

لعياك ﴿ الوصية ﴾ أى الايضاء والوصية التقدم الى الغير بما يعمل به وقيل هى القول المبين لما يستأنف من العمل والقيام به بعد الموت ﴿ للوالدين والاقربين ﴾ كانت الوصية فى ابتداء الاسلام فريضة للوالدين والاقربين على من مات وله مال وسبب ذلك ان أهل الجاهلية كانوا يوصون للابعدين طلبا للفخر والشرف والرياء ويتركون الاقربين فقراء فأوجب الله تعالى الوصية للاقربين ثم نسخت هذه الآية بآية الموارث وماروى عن عمرو بن خارجة رضى الله عنه قال كنت آخذنا بزمام ناقه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فسمعت يقول ان الله أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث اخرجته النسائي وللترمذى نحوه وذهب ابن عباس رضى الله عنهما الى ان وجوبها صار منسوخا فى حق من يرث وبقى وجوبها فى حق من لا يرث من الوالدين والاقربين وهو قول الحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار ووجه هؤلاء ان الآية دالة على وجوب الوصية للوالدين والاقربين ثم نسخ ذلك الوجوب فى حق من يرث بآية الميراث والحديث المذكور فوجب ان تبقى الآية دالة على وجوب الوصية للقرىب الذى لا يرث فعلى قول هؤلاء النسخ يتناول بعض أحكام الآية وذهب الاكثرون من المفسرين والعلماء وفقهاء الحجاز والعراق الى ان وجوبها صار منسوخا فى حق الكافة وهى مستحبة فى حق من لا يرث ويدل على استحباب الوصية والحث عليها ماروى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شئ يوصى فيه وفى رواية له شئ يريد أن يوصى به ان بيت ليلتين وفى رواية ثلاث ليل الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبدالله بن عمر رضى الله عنهما يقول ما مررت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا ووصيتى مكتوبة عندى اخرجها الجماعة وقوله ما حق امرئ الحق يشتمل معناه على الوجوب والتدب والحث فيعمل هنا على الحث فى الوصية لانه لا يدري متى يأتيه الموت فرما أنه بفتة فيمنعه عن الوصية ﴿ قوله

(الوصية للوالدين والاقربين)

وكانت الوصية للوارث فى بدء الاسلام فنسخت بآية الموارث كما بيناه فى شرح المنار وقيل هى غير منسوخة لانها نزلت فى حق من ليس يوارث بسبب الكفر لانهم كانوا حديثى عهد بالاسلام يسلم الرجل ولا يسلم أبواه وقرائبه والاسلام قطع الارث فشرعت الوصية فيما بينهم قضاء لحق القرابة ندبا وعلى هذا لا يراد بكتب

(الوصية للوالدين والاقربين)

فرض (بالمعروف) بالعدل وهو ان لا يوصى للغنى ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث (حقاً) مصدر مؤكّد أى حق ذلك حقاً (على المتقين) على الذين يتقون الشرك ﴿٢٥٥﴾ (فمن بدله) فمن غير الايضاء {سورة البقرة} عن وجهه ان كان موافقاً

للشروع من الاوصياء والشهود (بعد ما سمعه) أى الايضاء (فأثماً ثمة على الذين يبدلونه) فإثم التبديل الاعلى مبدليه دون غيرهم من الموصى والموصى له لانهما بريتان من الحيف (أن الله سمع) لقول الموصى (عليم) بمجور المبدل (فمن خاف) علم وهذا شائع في كلامهم يقولون أخاف ان لا ترسل السماء ويزيدون الظن الغالب الجارى، مجرى العلم (من موص) موص كوفى غير حفص (جنفاً) ميلا عن الحق بالخطأ فى الوصية (أو اثماً) تعمداً للحيف (فأصلح بينهم) بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقرّبون بأجرائهم على طريق الشرع (بالمعروف) للموالمدين افضل واكثر (حقاً على المتقين) الموالمدين وهذه الآية منسوخة بآية الموالمدين (فمن بدله) غير وصية الميت (بعد ما سمعه فأثماً ثمة) وزره (على الذين يبدلونه) يغيرونه ونجا الميت منه (أن الله سمع) لوصية الميت ومقالته (عليم) ان جاراً وعدل ويقال علم يفعل الوصى فكانوا ينفذون

يوصيكم الله أو بايضاء المختصر لهم بتوفير ما أوصى به الله عليهم ﴿بالمعروف﴾ بالعدل فلا يفضل الغنى ولا يتجاوز الثلث ﴿حقاً على المتقين﴾ مصدر مؤكّد أى حق ذلك حقاً ﴿فمن بدله﴾ غيره من الاوصياء والشهود ﴿بعد ما سمعه﴾ أى وصل اليه وتحقق عنده ﴿فأثماً ثمة على الذين يبدلونه﴾ فإثم الايضاء المغير أو التبديل الأعلى مبدله لانه هو الذى حاف وخالف الشرع ﴿أن الله سمع عليهم﴾ وعيد للمبدل بغير حق ﴿فمن خاف من موص﴾ أى توقع وعلم من قولهم أخاف ان ترسل السماء * وقرأ حجة والكسائى ويعقوب وأبو بكر موص مشدداً ﴿جنفاً﴾ ميلا بالخطأ فى الوصية ﴿أو اثماً﴾ تعمداً للجنف ﴿فأصلح بينهم﴾ بين الموصى لهم بأجرائهم على نهج الشرع

عز وجل ﴿بالمعروف﴾ أى بالعدل الذى لا وكس فيه ولا شطط فلا يزيد على الثلث ولا يوصى للغنى ويدع الفقير (ق) عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذنى عام حجة الوداع من وجع اشتدبى فقلت يا رسول الله انى قد بلغ بى من الوجع ماترى وأنا ذومال ولا يرثى إلا ابنتى أفأتصدق بثلثى مالى قال لا قلت فالشطر يا رسول الله قال لا قلت فالثلث قال الثلث والثلث كثير أوقال والثلث كبير انك ان تذر ذريتك أغنياء خير من ان تذرهم عائلة يتكففون الناس * العائلة الفقراء * وقوله يتكففون الناس التكفف المسئلة من الناس كأنه من الطلب بالاكف (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال فى الوصية لو ان الناس غضوا من الثلث الى الربع فأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسعد والثلث كثير وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه لان أوصى بالثلث أحب الى من ان أوصى بالربع ولان أوصى بالربع أحب الى من ان أوصى بالثلث فن أوصى بالثلث فلم يترك وقيل يوصى بالسدس وبالثلثس أو الربع ﴿حقاً﴾ أى ثابتاً بثبوت نذب لا بثبوت فرض ووجوب ﴿على المتقين﴾ أى على المؤمنين الذين يتقون الشرك ﴿فمن بدله﴾ أى غير الوصية من الاولياء والاوصياء وذلك التغيير يكون أما فى الكتابة أو فى قسمة الحقوق او الشهود بأن يكتبوا الشهادة أو يغيروها وانما ذكر الكناية فى بدله مع ان الوصية مؤنثة لان الوصية بمعنى الايضاء كقوله فمن جاءه موعظة أى وعظ والتقدير فمن بدل قول الميت أو ما أوصى به ﴿بعد ما سمعه﴾ أى من الموصى وتحققه ﴿فأثماً ثمة على الذين يبدلونه﴾ أى ان اثم ذلك التبديل لا يعود الأعلى المبدل والموصى والموصى له بريتان منه ﴿أن الله سمع﴾ يعنى لما أوصى به الموصى ﴿عليم﴾ يعنى بتبديل المبدل ﴿فمن خاف﴾ أى علم وهو خطاب عام لجميع المسلمين ﴿من موص جنفاً﴾ يعنى جوراً فى الوصية وعدولاً عن الحق * والجنف الميل ﴿أو اثماً﴾ أى ظملاً ﴿فأصلح بينهم﴾ وقيل الجنف الخطأ فى الوصية والاثم العمد وقيل فى معنى الآية انه اذا حضر رجل

الوصية كما كانت وان جار مخافة الوزر حتى نزل قوله (فمن خاف من موص) علم من الميت (جنفاً) ميلا وخطأ (أو اثماً) عمدا فى الجنف (فأصلح بينهم) بين الورثة وبين الموصى له أى رده الى الثلث والعدل (فلائم عليه) فلا حرج عليه فى رده

{ الجزء الثاني } تبدليه بتبديل باطل الى ﴿ ٢٥٦ ﴾ حق ذكر من يبدل بالبطل ثم من

﴿ فلا أثم عليه ﴾ في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ﴿ أن الله غفور رحيم ﴾ وعدل للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ يعنى الانبياء والائمة من لدن آدم عليه الصلاة والسلام وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطبيب على النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنزع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات بياض

مريضاً وهو يوصى فرآه يميل في وصيته أما بتقصير أو اسراف أو وضع الوصية في غير موضعها فلا حرج عليه ان يأمره بالعدل في وصيته وينهاه عن الجحف والميل وقيل انه اراد به اذا أخطأ الميت في وصيته أو حاف متمعداً فلا حرج على وليه أو وصيه أو ولي أمور المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم ويرد الوصية الى العدل والحق ﴿ فلا أثم عليه ﴾ أى فلا حرج عليه في الصلح ﴿ أن الله غفور رحيم ﴾ أى لمن أصح وصيته بعد الجحف والميل ﴿ عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل والمرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ أبو هريرة من بعد وصية يوصى بها أو دين الى قوله ذلك الفوز العظيم أخرجه أبو داود والترمذى قوله فيضاران المضارة ايصال الضرر الى شخص ومعنى المضارة في الوصية أن لا تمضى أو ينقص بعضها أو يوصى لغير اهلها أو يحيف في الوصية ونحو ذلك ﴿ قوله عز وجل ﴾ يا أيها الذين آمنوا كتب ﴿ أى فرض ﴾ عليكم الصيام ﴿ والصوم في اللغة الامساك يقال صام النهار اذا اعتدل وقام قائم الظهيرة ومنه قوله تعالى انى نذرت للرجن صوما أى صمتاً لانه امساك عن الكلام والصوم في الشرع عبارة عن الامساك عن الاكل والشرب والجماع في وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع النية ﴿ كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ يعنى من الانبياء والائمة من لدن آدم الى عهدكم والمعنى ان الصوم عبادة قديمة أى في الزمن الاول ما أخلى الله أمة لم يفرضه عليهم كإفرضه عليكم وذلك لان الصوم عبادة شاقة والشئ الشاق اذا عم سهل عمله وقيل ان صيام شهر رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فصاموا رمضان زماناً فرجماً وقع في الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق ذلك عليهم في أسفارهم ويضرهم في معاشهم فاجتمع رأى علمائهم ورؤسائهم أن يجعلوه في فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتاء فجعلوه في فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصاموا أربعين يوماً ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فنه جعل لله عليه أن هو برأمن وجهه أن يزيد في صومهم أسبوعاً فبرأ فزاد فيه اسبوعاً ثم مات ذلك الملك بعد زمان ووليهم ملك آخر فقال ماشأن هذه الثلاثة أيام أتموه خسين يوماً فتموه وقيل أصابهم موتان فقاتلوا زيدوا في صيامكم فزادوا عشراً قبله وعشراً بعده وقيل أن النصارى فرض الله عليهم صوم رمضان فصاموا

يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم وقيل هذا في حال حياة الموصى أى فن حضر وصيته فرآه على خلاف الشرع فهناه عن ذلك وحله على الصلاح فلا أثم على هذا الموصى بما قال أولاً (أن الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا كتب) أى فرض (عليكم الصيام) هو مصدر صام والمراد صيام شهر رمضان (كما كتب) أى كتابة مثل ما كتب فهو صفة مصدر محذوف (على) الذين من قبلكم (على الانبياء والائمة من لدن آدم عليه السلام الى عهدكم فهو عبادة قديمة والتشبيه باعتبار ان كل أحده صوم أيام أى أتم متعبدون بالصيام في أيام كما تعبد من كان قبلكم

(أن الله غفور) للميت ان جاروا خطأ (رحيم) بفعل الموصى ويقال غفور للموصى رحيم حين رخص عليه الرد الى الثلث والعدل (يا أيها الذين آمنوا كتب) فرض (عليكم الصيام) كما كتب (على الذين من قبلكم) بالعدد ويقال كتب عليكم الصيام فرض عليكم الصيام بترك الاكل

والشرب والجماع بعد صلاة العتمة أو النوم قبل صلاة العتمة كما كتب فرض على الذين من قبلكم من (قبله)

(لعلكم تتقون) المعاصى بالصيام لان ﴿٢٥٧﴾ الصيام أظلم لنفسه {سورة البقرة} وأردع لها من مواقعة

السوء أو لعلكم تنتظمون
في زمرة المتقين اذ الصوم
شعارهم وانتصاب (أياماً)
بالصيام أى كتب عليكم
ان تصوموا أياماً (معدودات)

مواقعات بعدد معلوم أى
قلائل وأصله ان المال القليل
يقدر بالعدد لا الكثير (فن
كان منكم من يضاً يخاف من
الصوم زيادة المرض (أعلى
سفر) أو راكب سفر (فعدة)
فعليه عدة أى فأفطر فعليه
صيام عدد أيام فطره والعدة
بمعنى المعدود أى أمر أن

يصوم أياماً معدودة مكانها
(من أيام آخر) سوى أيام
مرضه وسفره وأخر
لا ينصرف للوصف والعدل
عن الالف واللام لان الاصل
في فعلى صفة ان تستعمل في
الجمع بالالف واللام كالكبرى
والكبرى والصغرى والصغر

أهل الكتاب (لعلكم
تتقون) لكي تتقوا الاكل
والشرب والجماع بعد
صلاة العشاء أو النوم قبل
صلاة العشاء وهذا منسوخ
بقوله أحل لكم ليلة الصيام
الرفث وبقوله وكلوا واشربوا
حتى يتبين لكم الخيط
الابيض (أياماً معدودات)
ثلاثين يوماً مقدماً ومؤخراً
(فن كان منكم مريضاً أو

النهار فأنها معظم ما تشتهي النفس ﴿لعلكم تتقون﴾ المعاصى فإن الصوم يكسر
الشهوة التي هي مبدؤها كما قال عليه الصلاة والسلام فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء أو
الاخلاق بأدائه لا صلاته وقدمه ﴿أياماً معدودات﴾ موقعات بعدد معلوم أو قلائل فإن
القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيبلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل
بينهما بل باضمار صوموا للدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان أو ما يجب صومه قبل
وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء أو ثلاثة أيام من كل شهر أو بكمنا كتب على الظرفية
أو على أنه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد
الايام لما روى أن رمضان كتب على النصارى فوق في برد أو حر شديد فحولوه الى
الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان أصابهم ﴿فن
كان منكم مريضاً﴾ مرضاضره الصوم ويعسر معه ﴿أعلى سفر﴾ أو راكب سفر
وفيه أعمال الى أن من سافر أثناء اليوم لم يفطر ﴿فعدة من أيام آخر﴾ أى فعليه صوم
عدة أيام المرض أو السفر من أيام أخر أن أفطر فخذف الشرط والمضاف والمضاف
اليه لعلكم بها وقرئ بالنصب أى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب
واليه ذهب الظاهرية وبه قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه

قبله يوماً وبعده يوماً ثم لم يزالوا يزيدونه يوماً بعد يوم حتى بلغ خمسين فلذلك
نهي عن صوم يوم الشك ﴿لعلكم تتقون﴾ يعنى ما حرم عليكم في صيامكم لان
الصوم وصلة الى التقوى لما فيه من كسر النفس وترك الشهوات من الاكل
والجماع وغيرهما وقيل معناه لعلكم تتقون ما فعله النصارى من تغيير الصوم وقيل
لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم من شعارهم ﴿أياماً معدودات﴾ أى
مقدرات وقيل قليات قيل أنه كان في ابتداء الاسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر
واجبا وصوم يوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بفريضة صوم شهر رمضان قال ابن عباس
رضى الله عنهما أول ما نسخ بعد الهجرة أمر القبلة ثم الصوم (ق) عن عائشة رضى الله
عنها قالت كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصومه في الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وأمر
بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشوراء فن شاء صامه ومن شاء تركه وقيل أن
المراد من قوله أياماً معدودات أيام شهر رمضان ووجهه أن الله تعالى قال أولاً كتب
عليكم الصيام وهذا يحتل صوم يوم أو يومين ثم بينه بقوله معدودات على أنه أكثر
من ذلك لكنها غير منحصرة بعدد ثم بين حصرها بقوله شهر رمضان فإذا أمكن ذلك
فلأوجه لحل الايام المعدودات على غير رمضان فتكون الآية غير منسوخة يقال ان
فريضة رمضان نزلت في السنة الثانية من الهجرة وذلك قبل غزوة بدر بشهر وأيام وكانت
غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان على رأس ثمانية عشر شهراً
من الهجرة ﴿فن كان منكم مريضاً أو على سفر﴾ أى فافطر ﴿عليه﴾ عدة
من أيام آخر ﴿يعنى غير أيام مرضه وسفره

على سفر فعدة من أيام آخر) فليصم (قا وخا ٣٣ ل) من أيام آخر بقدر ما أفطر من رمضان

(وعلى الذين يطيقونه) { الجزء الثاني } وعلى المطيعين للصيام ﴿ ٢٥٨ ﴾ الذين لا عذر لهم ان أفطروا (فدية

﴿ وعلى الذين يطيقونه ﴾ وعلى المطيعين للصيام أن أفطروا ﴿ فدية طعام مسكين ﴾ نصف صاع من بر أو صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك في أول الامر للأمر بالوصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ * وقرأ نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين * وقرأ ابن عامر برواية هشام مساكين بغير اضافة الفدية الى الطعام والباقون بغير اضافة وتوحيد مسكين * وقرئ يطوقونه أى يكلفونه أو يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة أو القلادة ويتطوقونه أى يتكلفونه أو يتقلدونه ويتطوقونه بالادغام ويطيقونه ويتطيقونه على أن أصلهما يطوقونه ويتطيقونه من فاعل وتفعل بمعنى يتطيقونه وعلى هذه القراءات تحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهدوه وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد أول به القراءة المشهورة أى يصومونه جهدهم وطاقتهم

﴿ وعلى الذين يطيقونه ﴾ أى يطيقون الصوم واختلف العلماء في حكم هذه الآية فذهب أكثرهم الى أنها منسوخة وهو قول عمر بن الخطاب وسلمة بن الأكوع رضى الله عنهما وغيرهما وذلك أنهم كانوا في ابتداء الاسلام يخبرين بين أن يصوموا وبين أن يفطروا ويفدوا وانما خيرهم الله تعالى لثلاث شق عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التحجير ونزلت العزيمة بقوله تعالى فن شهد منكم الشهر فليصمه فصارت هذه الآية ناسخة للتحجير (ق) عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من أراد أن يفطر ويفتدى فعل حتى نزلت هذه الآية التي بعدها فسختها وفي رواية حتى نزلت هذه الآية فن شهد منكم الشهر فليصمه وقال قتادة هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذى لا يطيق الصوم ولكن يشق عليه رخص له أن يفطر ويفتدى ثم نسخ ذلك وقال الحسن هذا في المريض الذى يقع عليه اسم المرض وهو يستطيع الصوم خير بين الصيام وبين أن يفطر ويفتدى ثم نسخ وذهب جماعة منهم ابن عباس رضى الله عنهما الى أن الآية محكمة غير منسوخة ومناها على الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب ثم عجزوا عنه عند الكبر فعليه الفدية بدل الصوم وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما وعلى الذين يطوقونه بضم الياء وفتح الطاء وبالواو المشددة المفتوحة عوض الياء ومعناه يكلفون الصوم (خ) عن عطاء أنه سمع ابن عباس رضى الله عنهما يقرأ وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين قال ابن عباس رضى الله عنهما ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا ﴿ فدية طعام مسكين ﴾ الفدية الجزاء وهو القدر الذى يبذله الانسان ليقب به نفسه من تقصير وقع منه في عبادة ونحوها ويجب على من أفطر في رمضان ولم يقدر على القضاء لكبر أن يطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من غالب قوت البلد وهذا قول فقهاء الحجاز وقال بعض فقهاء العراق عليه لكل مسكين نصف صاع عن كل يوم وقال بعضهم نصف صاع من البر وصاع من غيره وقال ابن عباس رضى الله

طعام مسكين) نصف صاع من بر أو صاع من غيره فطعام بدل من فدية فدية طعام مساكين مدني وابن ذكوان وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية ثم نسخ التحجير بقوله فن شهد منكم الشهر فليصمه ولهذا كرر قوله فن كان منكم مريضاً أو على سفر لانه لما كان مذكورا مع المنسوخ ذكر مع الناسخ لبدل على بقاء هذا الحكم وقيل معناه لا يطيقونه فاضمر للقراءة حفصة كذلك وعلى هذا

(وعلى الذين يطيقونه) يعنى يطيقون الصوم (فدية طعام مسكين) فإطعم مكان كل يوم أفطر نصف صاع من خنطة مسكين وهذه منسوخة بقوله فن شهد منكم الشهر فليصمه ويقال وعلى الذين يطيقونه يعنى الفدية ولا يطيقون الصوم مثل الشيخ الكبير والجوز الكبيرة لا يطيقان الصوم فدية طعام مسكين فليطعما مكان كل يوم أفطرا من رمضان نصف صاع من

(عنهما)

لا يكون منسوخا (فن تطوع خيرا) ﴿٢٥٩﴾ فزاد على مقدار الفدية {سورة البقرة} (فهو خير له) فالتطوع

أو الخير خير له يطوع بمعنى يتطوع حزة وعلى (وأن تصوموا) أيها المطيعون (خير لكم) من الفدية وتطوع الخير وهذا في الابتداء وقيل وأن تصوموا في السفر والمرض خير لكم لانه أشق عليكم (أن كنتم تعلمون) شرط محذوف الجواب (شهر رمضان) مبتدأ خبره (الذي أنزل فيه القرآن) أي ابتدئ فيه أنزله وكان ذلك في ليلة القدر أو أنزل في شأنه القرآن وهو قوله تعالى كتب عليكم الصيام وهو بدل من الصيام أو خير مبتدأ محذوف أي هو شهر ورمضان مصدر مرض اذا احترق من الرضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون وسموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته ولانهم سمو الشهور بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام

﴿ فن تطوع خيرا ﴾ فزاد في الفدية ﴿ فهو ﴾ فالتطوع أو الخير ﴿ خير له وأن تصوموا ﴾ أيها المطيعون أو المطوقون وجهتم طاقتكم أو المرخصون في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر ﴿ خير لكم ﴾ من الفدية أو تطوع الخير أو منهما ومن التأخير للقضاء ﴿ أن كنتم تعلمون ﴾ ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله أي اخترتموه وقيل معناه أن كنتم من أهل العلم والتدبر علمتم أن الصوم خير من ذلك ﴿ شهر رمضان ﴾ مبتدأ خبره ما بعده أو خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان أو بدل من الصيام على حذف المضاف أي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا أو على أنه مفعول وأن تصوموا وفيه ضعف أو بدل من أيام معدودات والشهر من الشهرة ورمضان مصدر مرض أي احترق فأضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما للفراب للعلمية والتأنيث وقوله عليه الصلاة والسلام من صام رمضان فلي حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك أما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش أو لارتماض الذنوب فيه أو لوقوعه أيام مرض الحر حيثما تقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة ﴿ الذي أنزل فيه القرآن ﴾ أي ابتدئ فيه أنزله

عنهما يعطى كل مسكين عشاءه وسموره ﴿ فن تطوع خيرا فهو خير له ﴾ يعني زاد على مسكين واحد فأطعم عن كل يوم مسكينين فأكثره وقيل فن زاد على قدر الواجب عليه فأطعم صاا وعليه مد فهو خير له ﴿ وأن تصوموا خير لكم ﴾ قيل هو خطاب مع الذين يطيقونه فيكون المعنى وأن تصوموا أيها المطيعون وتحملوا المشقة فهو خير لكم من الافطار والفدية وقيل هو خطاب مع الكافة وهو الاصح لان اللفظ عام فرجوعه الى الكل أولى ﴿ أن كنتم تعلمون ﴾ يعني أن الصوم خير لكم وقيل معناه اذا صتمت علم ما في الصوم من المعاني المورثة للخير والتقوى وواعلم أنه لا رخصة لاحد من المسلمين المكلفين في أظفار رمضان بغير عذر والاعذار المبيحة للفطر ثلاثة أحدها السفر والمرض والحيض والنفاس فهؤلاء اذا أفطروا فليهم القضاء دون الكفارة * الثاني الحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما أفطرتا و عليهما القضاء والكفارة واليه ذهب الشافعي وذهب أهل الرأي الى أنه لا فدية عليهما الثالث الشيخ الكبير والعجز الكبيرة والمريض الذي لا يرجى برؤه فليهم الكفارة دون القضاء * قوله عز وجل ﴿ شهر رمضان ﴾ يعني وقت صيامكم شهر رمضان سمي الشهر شهرا لشهرته يقال للسر اذا أظهره شهره وسمى الهلال شهرا لشهرته وبيانه وقيل سمي الشهر شهرا باسم الهلال وأما رمضان فاشتقاقه من الرضاء وهي الحجارة المحمأة في الشمس وقيل أنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام مرض الحر فسموه به وقيل أن رمضان اسم من أسماء الله تعالى فيكون معناه شهر الله والاصح أن رمضان اسم لهذا الشهر كسفر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴿ لما خص الله شهر رمضان بهذه العبادة العظيمة بين

حنطة لمسكين (فن تطوع خيرا) زاد على منوب (فهو خير له) بالثواب (وأن تصوموا خير لكم) من الفدية (أن كنتم تعلمون) اذ كنتم تعلمون (شهر

رمضان الذي) هو الذي (أنزل فيه القرآن) جبريل بالقرآن جملة الى سماء الدنيا فأملاه على السفرة ثم نزل به

رمضان الحز فان قلت ماوجه { الجزء الثاني } ماجاء في الحديث ﴿ ٢٦٠ ﴾ من صام رمضان ايمانا واحتسابا مع

وكان ذلك ليلة القدر أو أنزل فيه جلة الى السماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض أو أنزل في شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين والانجيل ثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ أو صفته والخبر فن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بأن الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه ﴿ هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ حالان من القرآن أى أنزل وهو هداية للناس بأعجازه وآيات واضحات مما يهدى الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام ﴿ فن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ فن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه

سبب تخصيصه بأنزال أعظم كتبه فيه والقرآن اسم لهذا الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عن الشافعي أنه كان يقول القرآن اسم وليس بمهموز وليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والانجيل فعلى هذا القول أنه ليس بمشتق وذهب الاكثرون الى انه مشتق من القرء وهو الجمع فسمى قرآنا لانه يجمع السور والآيات بعضها الى بعض ويجمع الاحكام والقصص والامثال والآيات الدالة على وحدانية الله تعالى قال ابن عباس رضى الله عنهما أنزل القرآن جلة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة وذلك قوله فلا قسم بمواقع النجوم وروى أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنزلت صحف إبراهيم في ثلاث ليال مضين من رمضان وفي رواية في أول ليلة من رمضان وأنزلت توراة موسى في ست ليال مضين من رمضان وأنزل أنجيل عيسى في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان وأنزل زبور داود في ثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وأنزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة والعشرين لست بقين بعدها فعلى هذا يكون ابتداء نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان وهو قول ابن أسحق وأبي سليمان الدمشقي وقيل في معنى الآية شهر رمضان الذي نزل بضره صيامه القرآن كما تقول نزلت هذه الآية في الصلاة والزكاة ونحو ذلك من الفرائض يروى ذلك عن مجاهد والضحاك وهو اختيار الحسن بن الفضل ﴿ هدى للناس ﴾ يعنى من الضلال ﴿ وبينات من الهدى والفرقان ﴾ فان قلت هذا فيه أشكال وهو أنه يقال ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت أنه تعالى ذكر أولاً أنه هدى ثم الهدى على قسمين تارة يكون هدى جلياً وتارة لا يكون كذلك فكانه قال هو هدى في نفسه ثم قال هو المبين من الهدى الفارق بين الحق والباطل وقيل أن القرآن هدى في نفسه فكانه قال أن القرآن هدى للناس على الاجال وبينات من الهدى والفرقان على التفصيل لان البيئات هي الدلالات الواضحات التي تبين الحلال والحرام والحدود والاحكام ومعنى الفرقان الفارق بين الحق والباطل ﴿ قوله عز وجل ﴿ فن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ أى فن كان حاضرا مقيما غير مسافر فأدركه الشهر

ان التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا قلت هو من باب الحذف لامن الالباس القرآن حيث كان غير مهموز مكى وانتصب (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) على الحال أى أنزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدى الى الحق ويفرق بين الحق والباطل ذكر أولاً انه هدى ثم ذكر انه بينات من جلة ما هدى به الله وفرق بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال (فن شهد منكم الشهر فليصمه) فن كان شاهداً أى حاضراً مقيماً غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يلفظ والشهر منصوب على الظرف وكذا الهاء في ليصمه ولا يكون مفعولاً به لان المقيم والمسافر كلاهما بعد ذلك على محمد صلى الله عليه وسلم يوماً بيوم آية وآيتين وثلاثاً وسورة (هدى للناس) القرآن يبين من الضلالة للناس (وبينات من الهدى) واضحات من أمر الدين (والفرقان) الحلال

والحرام والاحكام والحدود والخروج من الشبهات (فن شهد منكم الشهر) في الحضر (فليصمه) (فليصمه)

والاصل فن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمحل الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف أجزا ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل فن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على أنه مفعول به كقولك شهدت الجمعة أى صلاتها فيكون ﴿ ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾ مخصصا لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك أولئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه

فليصمه والشهود الحضور وقيل هو محمول على العادة بمشاهدة الشهر وهى رؤية الهلال ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته أخرجه في الصحيحين ولاخلاف أنه يصوم رمضان من رأى الهلال ومن أخبر به واختلف العلماء في وجه الخبر عنه منهم من قال يجزى فيه خبر الواحد قاله أبو ثور ومنهم من أجراه مجرى الشهادة في سائر الحقوق قاله مالك ومنهم من أجرى أوله مجرى الاخبار فقبل فيه خبر الواحد وأجرى آخره مجرى الشهادة فلا يقبل في آخره أقل من اثنين قاله الشافعى وهذا للاحتياط في أمر العبادة لدخولها وخروجها ﴿ ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾ انما كرره لان الله تعالى ذكر في الآية الاولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نصح تخيير المقيم الصحيح بقوله فن شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر على هذا لاحتمل ان يشمل النسخ الجميع فأعاد بعد ذكر النسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم أن الحكم باق على ما كان عليه

فصل في حكم الآية وفيه مسائل * الاولى

اختلفوا في المرض المبيح للفطر على ثلاثة أقوال أحدها وهو قول أهل الظاهر أى مرض كان وهو ما يطلق عليه اسم المرض فله أن يفطر تنزيلا للفظ المطلق على أقل أحواله واليه ذهب الحسن وابن سيرين القول الثاني وهو قول الاصم أن هذه الرخصة مختصة بالمريض الذى لو صام لوقع فى مشقة عظيمة تنزيلا للفظ المطلق على أقل أحواله القول الثالث وهو قول أكثر الفقهاء أن المرض المبيح للفطر هو الذى يؤدى الى ضرر فى النفس أو زيادة علة غير محتملة كالحموم اذا خاف أنه لو صام اشتدت جاه وصاحب وجع العين يخاف لو صام أن يشتد وجع عينه فالمراد بالمرض ما يؤثر فى تقويته قال الشافعى اذا أجهده الصوم أفطر وألفهوا كالصحيح

المسئلة الثانية

الفطر فى السفر مباح والصوم جائز وبه قال عامة العلماء وقال ابن عباس وأبو هريرة رضى الله عنهم وبعض أهل الظاهر لا يجوز الصوم فى السفر ومن صام فعليه القضاء واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام فى السفر وجهه عامة العلماء على من يجهد الصوم فى السفر فالاولى له الفطر ويدل على ذلك ما روى عن جابر رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فرأى زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا صائم قال ليس من البر الصيام فى السفر أخرجه البخارى

شاهدان للشهر (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) فعدة مبتدأ والخبر محذوف أى فطيه عدة أى صوم عدة

ومن كان مريضا فى شهر رمضان (أو على سفر فعدة) فليصم (من أيام أخر) بقدر

﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ أى يريد أن يسر عليكم ولا يعسر عليكم
فلذلك أباح الفطر في السفر والمرض

ومسلم ووجه الجمهور على جواز الصوم والفطر في السفر ماروى عن أنس رضى الله عنه
قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر
ولا المفطر على الصائم أخرجه في الصحيحين

المسئلة الثالثة

اختلف العلماء في قدر السفر المبيح للفطر فقال داود الظاهري أى سفر كان ولو كان
فرسحا وقال الاوزاعي السفر المبيح للفطر مسيرة يوم واحد وقال الشافعي وأحمد
ومالك أقله مسيرة ستة عشر فرسحا يومان وقال أبو حنيفة وأصحابه أقله مسيرة ثلاثة أيام

المسئلة الرابعة

إذا استهل الشهر وهو مقيم ثم أنشأ السفر في أثناءه جازله أن يفطر حالة السفر
ويجوزله أن يصوم في بعض السفر وأن يفطر في بعضه ان أحب يدل عليه ماروى
عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة
عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر وأفطر الناس معه وكانوا
يأخذون بالاحدث فالاحدث من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه
في الصحيحين الكديد اسم موضع وهو على ثمانية وأربعين ميلا من مكة

المسئلة الخامسة

اختلفوا في الأفضل فذهب الشافعي الى أن الصوم أفضل من الفطر في السفر وبه قال
مالك وأبو حنيفة وقال أحمد الفطر أفضل من الصوم في السفر وقالت طائفة من العلماء هما
سواء وأفضل الامرين أيسرهما لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر

المسئلة السادسة

بيح الفطر كل سفر مباح ليس سفر معصية ولا يجوز للعاصي بسفره أن يترخص
برخص الشرع وقوله تعالى فعدة من أيام أخر معناه فأفطر فعليه عدة من أيام
أخر فظاهر هذا أنه يجوز قضاء الصوم متفرقا وأن كان التابع أولى وفيه أيضا
وجوب القضاء من غير تعيين لزمان القضاء فيدل على جواز التراخي في القضاء ويدل
عليه أيضا ماروى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان يكون على الصوم من رمضان
فما أستطيع أن أقضى الا في شعبان ذلك من الشغل بالنبي صلى الله عليه وسلم أخرجه
في الصحيحين ﴿ يريد الله بكم اليسر ﴾ أى التسهيل في هذه العبادة وهى أباحة الفطر
للمسافر والمريض ﴿ ولا يريد بكم العسر ﴾ أى وقد نفي عنكم الحرج في أمر الدين
قيل ماخير رجل بين أمرين فاختر أيسرهما الا كان ذلك أحب الى الله تعالى

(يريد الله بكم اليسر) حيث
أباح الفطر بالسفر والمرض
(ولا يريد بكم العسر) ومن
فرض الفطر على المريض
والمسافر حتى لو صام ما تجب
عليهما الاعادة فقد عدل

ما فطر (يريد الله بكم اليسر)
اراد الله بكم رخصة الافطار
في السفر ويقال اختار الله
لكم الافطار في السفر (ولا
يريد بكم العسر) لم يرد
ان يكون لكم العسر في الصوم
في السفر ويقال لم يختركم

عن موجب هذا (وتكلموا

العدة) عدة ما أفطرتم
بالقضاء اذا زال المرض
والسفر والفعل المعلل محذوف
مدلول عليه بما سبق تقديره
تعللوا وتكلموا العدة
(وتكبروا الله على ما هداكم
ولعلمكم تشكرون) شرع
ذلك يعني جملة ما ذكر من
أمر الشاهد بصوم الشهر

وأمر المرخص له بمراعاة
عدة ما أفطرتم فيها بعد السفر والمرض والحيض لتقضا
بعدها وقيل أراد عددا أيام الشهر (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفتروا
حتى تروه فإن غم عليكم فاقدروا له وفي رواية فاكلوا العدة ثلاثين ﴿وتكبروا الله﴾
فيه قولان أحدهما انه تكبير ليلة العيد قال ابن عباس رضي الله عنهما حق على
المسلمين اذ رأوا هلال شؤال أن يكبروا وقال الشافعي واجب أظهار التكبير
في العيدين وبه قال مالك وأحمد وأبو يوسف ومحمد وقال أبو حنيفة لا يكبر في عيد
الفرط ويكبر في عيد الاضحى حجة الشافعي ومن وافقه قوله تعالى وتكلموا العدة
وتكبروا الله على ما هداكم قالوا معناه وتكلموا عدة صوم رمضان وتكبروا
الله على ما هداكم الى آخر هذه العبادة القول الثاني في معنى قوله وتكبروا الله أي
وتعظموا الله شكرا على ما أنعم به عليكم ووقفكم للقيام بهذه العبادة ﴿على ما هداكم﴾
أي أرشدكم الى طاعته والى ما يرضى به عنكم ﴿ولعلمكم تشكرون﴾ الله على نعمه
على ما هداكم الىه وتكلموا

بالتشديد أبو بكر ولما قال
اعرابي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم أقرب ربنا
فتناجيه أم بعيد فتناجيه نزل

الصوم في السفر (وتكلموا
العدة) لكي تصوموا
في الحضر عدة ما أفطرتم
في السفر (وتكبروا الله)
لكي تعظموا الله (على
ما هداكم) كما هداكم لدينه
ورخصته (ولعلمكم
تشكرون) لكي تشكروا

﴿وتكلموا العدة وتكبروا الله على ما هداكم ولعلمكم تشكرون﴾ علل لفعل
محذوف دل عليه ما سبق أي وشرع جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر
والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما أفطرت فيه والترخيص تكلموا العدة الى آخره على
سبيل اللف فإن قوله وتكلموا العدة علة الامر بمراعاة العدد وتكبروا الله علة
الامر بالقضاء وبيان كفيته ولعلمكم تشكرون علة الترخيص والتيسير أو لافعال كل
لفعله أو معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم أو لتعلموا ما تعملون وتكلموا
العدة ويجوز أن يعطف على اليسر أي ويريد بكم تكلموا كقوله تعالى يريدون
ليطفؤا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدى بعل وقيل تكبير يوم
الفرط وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر أي الذي هداكم اليه وعن

﴿وتكلموا العدة﴾ أي عدد الايام التي أفطرتم فيها بعد السفر والمرض والحيض لتقضا
بعدها وقيل أراد عددا أيام الشهر (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفتروا
حتى تروه فإن غم عليكم فاقدروا له وفي رواية فاكلوا العدة ثلاثين ﴿وتكبروا الله﴾
فيه قولان أحدهما انه تكبير ليلة العيد قال ابن عباس رضي الله عنهما حق على
المسلمين اذ رأوا هلال شؤال أن يكبروا وقال الشافعي واجب أظهار التكبير
في العيدين وبه قال مالك وأحمد وأبو يوسف ومحمد وقال أبو حنيفة لا يكبر في عيد
الفرط ويكبر في عيد الاضحى حجة الشافعي ومن وافقه قوله تعالى وتكلموا العدة
وتكبروا الله على ما هداكم قالوا معناه وتكلموا عدة صوم رمضان وتكبروا
الله على ما هداكم الى آخر هذه العبادة القول الثاني في معنى قوله وتكبروا الله أي
وتعظموا الله شكرا على ما أنعم به عليكم ووقفكم للقيام بهذه العبادة ﴿على ما هداكم﴾
أي أرشدكم الى طاعته والى ما يرضى به عنكم ﴿ولعلمكم تشكرون﴾ الله على نعمه
على ما هداكم الىه وتكلموا

فصل في فضل شهر رمضان وفضل صيامه

(ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل شهر رمضان
صفدت الشياطين وفتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار الصفد الغل أي شدت بالاغلاق
(ق) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من
ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه قوله ايمانا واحتسابا أي
طلبا لوجه الله تعالى وثوابه وقيل ايمانا بأنه فرض عليه واحتسابا ثوابه عند الله
وقيل معناه نية وعزيمة وهو أن يصوم على التصديق به والرغبة في ثوابه طيبة بهانفسه غير
كارهة (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل عمل ابن آدم له
يضاعف الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف قال الله تعالى ألا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به
يدع شهوته وطعامه من أجلي للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه
وخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك زاد في رواية والصيام جنة فإذا كان
يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فإن شتمه أحد أو قاتله فليقل أي صائم

عاصم برواية أبي بكر وتكملوا بالتشديد ﴿ وأذا سألتك عبادي عنى فأنى قريب ﴾ أى فقل لهم أنى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم روى أن أعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه

• قوله كل عمل ابن آدم له معناه أنه فيه حظا لا اطلاع الخلق عليه الا الصوم فإنه لا يطلع عليه أحد وانما خص الصوم بقوله تعالى لى وان كانت جميع الأعمال الصالحة وهو يجزى عليها لان الصوم لا يظهر من ابن آدم بقول ولا فعل حتى تكتبه الحفظة وانما هو من أعمال القلوب بالنية ولا يطلع عليه الا الله تعالى لقول الله تعالى انما أتولى جزاءه على ما أحب لا على حساب ولا كتاب له وقوله ولنصائم فرحتان فرحة عند فطره أى بالطعام لما بلغ به من الجوع لتأخذ النفس حاجتها منه وقيل فرحة بما وفق له من اتعام الصوم الموعود عليه بالثواب وهو قوله وفرحة عند لقاء ربه لما يرى من جزيل ثوابه • وقوله وخلوف بضم الخاء وفتحها لعتان وهو تغير طعم الفم وريحه لتأخير الطعام ومعنى كونه أطيب عند الله من ريح المسك هو الثناء على الصائم والرضا بفعله لتلايمت من المواظبة على الصوم الجالب للخلوف والمعنى أن خلوف فم الصائم أبلغ عند الله فى القبول من ريح المسك عند أحدكم • قوله الصيام جنة أى حصن من العاصى لان الصوم يكسر الشهوة فلا يواقع المعاصى • قوله فلا يرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الانسان من المرأة وقيل هو التصريح بذكر الجماع والصخب الضجير والجلبة والصيح (ق) عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فى الجنة باب يقال له باب الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة يقال أين الصائمون فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلا يدخل منه أحد • وفى رواية أن فى الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون • عن أنى أمامة رضى الله عنه قال آيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرنى بأمر ينفعنى الله به قال عليك بالصوم فإنه لا مثل له • وفى روايه أى العمل أفضل فقال عليك بالصوم فإنه لا عدل له أخرجه النسائى • قوله عز وجل ﴿ وأذا سألتك عبادي عنى فأنى قريب ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما قال يهود المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وأن غلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقيل سأل بعض الصحابة النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا أقرىب ربنا فتناجيه أم بعيد فنناديه وقيل انهم سألوه فى أى ساعة ندعو ربنا فنزلت وقيل أنهم قالوا أين ربنا فنزلت هذه الآية وهذا السؤال لا يخلو اما أن يكون عن ذات الله أو عن صفاته أو عن أفعاله أما السؤال عن ذات الله فهو سؤال عن القرب والبعد بحسب الذات وأما السؤال عن صفاته تعالى فهو أن يكون السائل سأل هل يسمع ربنا دعاءنا وأما السؤال عن أفعاله تعالى فهو أن يكون السائل سأل هل يجب ربنا اذا دعوانه فقوله تعالى وأذا سألتك عبادي عنى فيحتمل هذه الوجوه كلها وقوله تعالى فأنى قريب معناه قريب بالعلم والحفظ لا يخفى على شىء وفيه اشارة الى سهولة اجابته لمن دعاه وانجاح

(وأذا سألتك عبادي عنى فأنى قريب) علما واجابة لتعالیه عن القرب مكانا

رخصته (واذا سألتك عبادي) اهل الكتاب (عنى) اقريب انا ام بعيد (فانى قريب) فاعلمهم يا محمد انى قريب بالاجابة

(أجيب دعوة الداع إذا دعان) الداعي ﴿٢٦٥﴾ دعاني في الحالين {سورة البقرة} سهل ويعتوب وواقفهما

أبو عمرو ونافع غير قالون في الوصل غيرهم بغيرياء في الحالين ثم اجابة الدعاء وعد صدق من الله لا خلف فيه غير أن اجابة الدعوة تخالف قضاء الحاجة فأجابة الدعوة أن يقول العبد يارب فيقول الله ليك عبدى وهذا أمر موعود موجود لكل مؤمن وقضاء الحاجة أعطاه المراد وذا قد يكون ناجزا وقد يكون بعمدة وقد يكون في الآخرة وقد تكون الخيرة له في غيره (فليستجيبوا لى) اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما أنى أجيبهم اذا دعونى لحوائجهم (وليؤمنوا بى) واللام فيها للامر (لعلهم يرشدون) ليكونوا على رجاء من اصابة الرشدهو ضد الفنى كان الرجل اذا أمسى حل له الاكل والشرب والجماع الى أن يصلى العشاء الآخرة أو يرقد فأذ اصلاها أو رقد ولم يفرط حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم أن عمر رضى الله عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل أخذ بيكى ويلوم نفسه فأتى النبي عليه السلام واخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك فقتل

وسلم أقرب ربنا فتناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت ﴿أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ تقرير للقرب ووعد للداعى بالاجابة ﴿فليستجيبوا لى﴾ اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما أجيبهم اذا دعونى لمهماتهم ﴿وليؤمنوا بى﴾ أمر بالثبات والمداومة عليه ﴿لعلهم يرشدون﴾ راجين اصابة الرشدهو اصابة الحق وقوى بفتح الشين وكسرهما واعلم أنه تعالى لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية المدالة على أنه تعالى خير بأحوالهم سميع لأقوالهم مجيب

حاجة من سأله (ق) عن ابى موسى الاشعري رضى الله عنه قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر او قال توجه الى خيبر اشرف الناس على وادفروا أصواتهم بالتكبير الله أكبر لا إله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس اربعوا على أنفسكم فأنكم لا تدعون اصم ولا غابا انكم تدعون سميما بصيرا قريبا وهو معكم قوله اربعوا على أنفسكم أى ارقبواها وقيل معناه أمسكوا عن الجهر فإنه قريب يسمع دعاءكم قوله تعالى عز وجل ﴿أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ أى اسمع دعاء عبدى الداعى اذا دعانى وقيل الدعاء عبارة عن التوحيد وثناء على الله تعالى كقول العبد يا الله لا إله الا أنت فقولك يا الله فيه دعاء وقولك لا إله الا أنت فيه توحيد وثناء على الله تعالى فسمى هذا دعاء بهذا الاعتبار وسمى قبوله اجابة لتجانس اللفظ وفيه اشارة الى أن العبد يعلم أن له ربا ومدبرا يسمع دعاءه اذا دعاه ولا يجيب رجاءه من رجاءه وذلك ظاهر فإن العبد اذا دعاه هو يعلم أن له ربا بأخلاص وتضرع أجاب الله دعوته * فأن قلت انارى الداعى يبالغ فى الدعاء والتضرع فلا يجاب له فواجه قوله أجيب دعوة الداع وقوله تعالى ادعونى أستجب لكم * قلت ذكر العلماء فيه أجوبة * أحدها أن هذه الآية مطلقة وقد وردت آية أخرى مقيدة وهى قوله بل أياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه أن شاء والمطلق يحمل على المقيد * وثانيها ان معنى الدعاء هنا هو الطاعة ومعنى الاجابة هو الثواب وذلك فى الآخرة * وثالثها ان معنى الآيتين خاص وأن كان لفظهما عاما فيكون معناه أجيب دعوة الداعى اذا وافق القضاء أو أجيبه أن كانت الاجابة خيرا له أو أجيبه اذا لم يسأل انما أو محالا * ورابعها أن معناها عام أى اسمع وهو معنى الاجابة المذكورة فى الآية وأما أعطاء الامنية فليس بذكر فالاجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد يجيب السيد عبده ولا يعطيه سؤله * وخامسها أن للدعاء آدابا وشرائط وهى أسباب الاجابة فمن استكملها وأتى بها كان من أهل الاجابة ومن أخطأها كان من أهل الاعتداء فى الدعاء فلا يستحق الجواب والله اعلم * قوله عز وجل ﴿فليستجيبوا لى﴾ يعنى اذا دعوتهم الى الايمان والطاعة كما أنى اجبتهم اذ دعونى لحوائجهم والاجابة فى اللغة الطاعة فالاجابة من العبد الطاعة ومن الله الاثابة والعطاء ﴿وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون﴾ أى لى يهتدوا الى مصالح دينهم ودنياهم

فصل فى فضل الدعاء وآدابه

(أجيب دعوة الداع اذا دعان)

فليستجيبوا لى (فليطيعوا رسولى (وليؤمنوا بى) (قا وا ٣٤ ل) ورسولى قبل الدعوة (لعلهم يرشدون) لى يهتدوا

== (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فأغفر له هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء * أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يجب الايمان به وبأنه حق على ما يليق به ونكل عمله الى الله تعالى ورسوله وأن ظاهره المتعارف في حقنا غير مراد ولا نتكلم في تأويله مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوقين وعن الانتقال والحركات * والمذهب الثاني مذهب أكثر المتكلمين وجاعة من السلف انها تؤول على ما يليق فعلى هذا نقل عن مالك وغيره أن معناه تنزل رجليه وأمره وملائكته وقيل أنه على الاستعارة ومعناه الاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وفي الحديث الحث على الدعاء والترغيب فيه * عن سلمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ربكم حي كريم يستحي من عبده اذا رفع اليه يديه ان يردهما صفا خائبين اخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب * الصفر الخالي يقال بيت صفر ليس فيه متاع * عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما على الارض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله أياها أو صرف عنه من الشر مثلها ما لم يدع بأثم أو قطيعة رحم فقال رجل من القوم اذا نكثرت قال الله أكثر أخرجه الترمذي * قوله الله أكثر معناه الله أكثر اجابة * عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب * عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء أكرم على الله من الدعاء اخرجه الترمذي * وله عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء مع العبادة * وله عن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قمع له باب من الدعاء قمت له أبواب الرحمة وما سئل الله شيأ أحب اليه من أن يسئل العافية وأن الدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل * وله عن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر * وله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يسأل الله يفضب عليه (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لأحدكم ما لم يجعل بقوله قد دعوت فلم يستجب لي * ولمسلم قال لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بأثم أو قطيعة رحم ما لم يستجمل قيل يا رسول الله ما الاستجمال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء * قوله يستحسر أي يستنكف عن السؤال وأصله من حسر الطرف اذا كل وضف (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي أن شئت اللهم ارحمني أن شئت ولكن يعزم المسئلة فإن الله لا مكره له زاد البخاري ارزقني ان شئت يعزم مسئلته فإنه يفعل ما يشاء لا مكره له * قوله يعزم المسئلة أي لا تكن في دعائك ربك مترددا بل اعزم وجد في المسئلة * عن فضالة

(أحل لكم ليلة الصيام الرفث)

اي الجماع (الى نسائكم)
 عدى بألى تضمنه معنى
 الافضاء وانما كنى عنه
 بلفظ الرفث الدال على معنى
 القبح ولم يقل الافضاء الى
 نسائكم استباحا لما وجد
 منهم قبل الاباحة كما سماه
 اختيانا لانفسهم ولما كان
 الرجل والمرأة يعتقان
 ويشتمل كل واحد منهما
 على صاحبه في عناقه شبه
 باللباس المشتمل عليه بقوله
 تعالى (هن لباس لكم وأنتم
 لباس لهن) وقيل لباس أى
 ستر عن الحرام وهن لباس
 لكم استئناف كاليان لسبب
 الاحلال وهو أنه اذا كان
 بينكم وبينهن مثل هذه
 المخالطة والملابسة قل
 صبركم عنهن وصعب عليكم
 اجتنابهن فلذا رخص لكم
 في مباشرتهن (علم الله أنكم
 كنتم تختانون أنفسكم)
 تظلمونها بالجماع وتنقصونها
 حظها من الخير والاختيان
 من الخيانة كالاكتساب
 من الكسب فيه زيادة وشدة

لدعائهم مجازيهم على أعمالهم تأكيداً له وحثاً عليه ثم بين أحكام الصوم فقال ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم﴾ روى أن المسلمين كانوا اذا امسوا أحل لهم الاكل والشرب والجماع الى أن يصلوا العشاء أو يرقدوا ثم أن عمر رضى الله تعالى عنه باشر بعد صلاة العشاء فندم وأتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائماً والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب أن يكنى عنه وعدى بألى تضمنه معنى الافضاء واثاره ههنا لتقبيح ما ارتكبه ولذا سماه خيانة وقوى الرفث ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ استئناف مبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمرأة يعتقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدى اذا ما الضمير شئ عطفها * تثبت فكانت عليه لباسا

أولان كل واحد منهما يستر حال صاحبه ويمتنع عن الفجور ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم﴾ تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقص حظها من الثواب والاختيان

ابن عبيد رضى الله عنه قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له أولغيره اذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح ﴿قوله عز وجل ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم﴾ سبب نزول هذه الآية أنه كان في ابتداء الامر بالصوم اذا أفطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع الى أن يصل العشاء الاخرة أو يرقد قبلها فإذا صلى أو رقد حرم عليه ذلك كله الى الليلة القابلة ثم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه واقع أهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أعترت الى الله واليك من هذه الخطيئة أنى رجعت الى أهلى بعد ما صليت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسولت لى نفسى فجامعت أهلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت بذلك جديراً يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثل ذلك فنزلت في عمر وأصحابه أحل لكم أى أبيع لكم ليلة أراد باليلة لىلى الصيام الرفث الى نسائكم الرفث كلام يستقيم لفظه من ذكر الجماع ودواعيه وهو هنا كناية عن الجماع قال ابن عباس رضى الله عنهما أن الله تعالى حيي كريم يكنى فما ذكره من المباشرة والملابسة وغير ذلك انما هو الجماع ﴿هن لباس لكم﴾ أى سكن لكم ﴿وأنتم لباس لهن﴾ أى سكن لهن قيل لا يسكن شئ الى شئ كسكون أحد الزوجين الى الآخر وسمى كل واحد من الزوجين لباساً لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد وقيل اللباس اسم لما يوارى فيكون كل واحد منهما ستر للصاحبه عمالاً يحل كما جاء في الحديث من تزوج فقد أحرز ثلثى دينه ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد فيما اتتمتكم

كنتم تختانون أنفسكم (بالجماع بعد صلاة

(قتاب عليكم) حين يتم { الجزء الثاني } مما ارتكبتم من ﴿ ٢٦٨ ﴾ المحظور (وعفا عنكم) ما فعلتم قبل

أبلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب ﴿ قتاب عليكم ﴾ لما تبتم بما اقترتموه ﴿ وعفا عنكم ﴾ ومحا عنكم أثره ﴿ فالآن باشروهن ﴾ لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة أذواق البشرية بالبشرة كقوله عن الجماع ﴿ وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾ واطلبوا ما قدره لكم وأثبتته في اللوح المحفوظ من الولد والمعنى أن المباشر ينبغي أن يكون غرضه الولد فإنه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النبي عن العزل وقيل عن غير المأثني والتقدير وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود

عليه وخيانتهم أنهم كانوا يباشرون في ليالي الصوم والمعنى يظلمونها بالجماعة بعد العشاء وهو من الخيانة وأصل الخيانة أن يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدي فيه الامانة ويقال للعاصي خائن لانه مؤتمن على دينه ﴿ قتاب عليكم ﴾ أي قتبتم قتاب عليكم وتجاوز عنكم ﴿ وعفا عنكم ﴾ أي محاذنوبكم (خ) عن البراء رضى الله عنه قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله فكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم قتاب عليكم وعفا عنكم الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما فكان ذلك مما نفع الله به الناس ورخص لهم ويسر ﴿ فالآن باشروهن ﴾ أي جامعوهن فهو حلال لكم في ليالي الصوم وسميت الجماعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد بصاحبه ﴿ وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾ أي ما قضى لكم في اللوح المحفوظ يعنى الولد وقيل وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم بأباحة الاكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ وقيل اطلبوا ليلة القدر ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ﴾ نزلت في صرمة بن قيس بن صرمة الانصارى رضى الله عنه ويقال قيس بن صرمة وذلك أنه ظل يعمل في أرض له وهو صائم فلما أمسى رجع الى أهله بتمر وقال لاهله قدى الطعام فأرادت المرأة أن تطعمه شيئاً سخناً فأخذت تعمل له ذلك فلما فرغ فأذا هو قد نام وكان قد أعيا من التعب فأيقظته فكره أن يعصى الله ورسوله وأبى أن يأكل وأصبح صائماً مجهوداً فلم ينتصف النهار حتى غشى عليه فلما أفاق أتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما آه قال يا ابا قيس مالك أمسيت طليحاً فذكر له حاله فاعتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية * وقوله طليحاً أي مهزولاً مجهوداً (خ) عن البراء رضى الله عنه قال كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائماً فحضر الافطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وان قيس بن صرمة الانصارى كان صائماً فلما حضر الافطار أتى امرأته افضال عندك طعام قالت لا ولكن أنطلق فأطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه فجاءته امرأته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشى عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ففرحوا بها فرحاً شديداً ونزلت وكلوا واشربوا

الرخصة (فالآن باشروهن) جامعوهن في ليالى الصوم وهو أمر اباحه وسميت الجماعة مباشرة لتلاصق بشرتهما (وابتغوا ما كتب الله لكم) واطلبوا ما قسم الله لكم وأثبت في اللوح من الولد بالمباشرة أى لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لا ابتغاء ما وضع الله النكاح من التناسل أو وابتغوا المحل الذى كتبه الله لكم وحله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض) هو أول ما يبدو من الفجر المتعرض في الافق كالخيط الممدود (من الخيط الأسود) وهو ما يعتد من سواد الليل شهابيخطين أبيض وأسود لا امتدادهما

العتمة (قتاب عليكم) تجاوز عنكم (وعفا عنكم) خيانتكم ولم يماقبكم (فالآن) حين أحلت لكم (باشروهن) جامعوهن (وابتغوا) اطلبوا (ما كتب الله لكم) ما قضى الله لكم من ولد صالح نزلت في عمر ابن الخطاب (وكلوا واشربوا) من حين يدخل الليل (حتى يتبين لكم

(حتى)

الخيط الأبيض من الخيط الأسود) يعنى يتبين لكم بياض النهار من سواد الليل

من الفجر ﴿ شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخطين أبيض وأسودوا كتنى بيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز أن تكون من التبويض فأن ما يبدو بعض الفجر وماروى أنها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خطين أسود وأبيض ولا يزالون يأكلون ويشربون حتى يتبيننا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت الحاجة جائز أو اكنفى أو لا باجتهادهم في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تأخير الفسل

(من الفجر) بيان ان الخيط الابيض من الفجر لا من غيره واكنفى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان أحدهما بيان للآخر أو من للتبويض لانه بعض الفجر وأوله وقوله من الفجر أخرجه من باب الاستعارة وصيره تشبيها ببلغا كما أن قولك رأيت أسدا مجاز فأذا زدت من فلان رجح تشبيها وعن عدى بن حاتم قال عدت الى عقالين أبيض وأسود فجملتهما تحت وسادتي فنظرت اليهما فلم يتبين لي الابيض من الاسود فأخبرت النبي عليه السلام بذلك فقال أنك لعريض القفا أى سليم القلب لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته انما ذلك بياض النهار (من الفجر)

حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ومعنى الآية وكلوا واشربوا في ليالي الصوم حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود بياض النهار من سواد الليل وسما خطين لان كل واحد منهما يبدو في الافق عمدا كاخيط قال الشاعر فلما أضاءت لنا سدفه * ولاح من الصبح خيط أنارا

السدف اختلاط الظلام وأسدف الفجر أضاه (ق) عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال لما نزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا أرادوا الصوم ربط أحداهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود ولا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل الله عز وجل بعده ﴿من الفجر﴾ فعملوا أنه انما يعنى الليل والنهار (ق) عن عدى بن حاتم رضى الله عنه لما نزلت حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عدت الى عقال أسود وعقال أبيض فجملتهما تحت وسادتي وجعلت أنظر في الليل فلا يتبين لي فعدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال انما ذلك سواد الليل وبياض النهار (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن بلا لا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم قال وكان ابن أم مكتوم رجلا أعمى لا ينادى حتى يقال له أصبحت * واعلم أن الفجر الذى يحرم به على الصائم الطعام والشراب والجماع هو الفجر الصادق المستطير المنتشر في الافق سريعا لا الفجر الكاذب المستطيل * فأن قلت كيف شبه الصبح الصادق بالخيط والخيط مستطيل والصبح الصادق ليس بمستطيل * قلت أن القدر الذى يبدو من البياض وهو أول الصبح يكون رقيقا صغيرا ثم ينتشر فلماذا شبه بالخيط والفرق بين الفجر الصادق والفجر الكاذب ان الفجر الكاذب يبدو في الافق فيرتفع مستطيلا ثم يضمحل ويذهب ثم يبدو الفجر الصادق بعده منتشرا في الافق مستطيرا (م) عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفرنكم من سحوركم أذان بلال ولا بياض الافق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا وحكاه جاد بيديه قال يعنى معترضا * وفي رواية الترمذى لا يمتكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الافق فإذا تحقق طلوع الفجر الثانى وهو الصادق حرم على الصائم الطعام والشراب والجماع الى غروب الشمس وهو قوله تعالى ثم أتوا الصيام الى الليل يعنى منتهى الصوم الى

اليه وصحة صوم المصعب جنباً ﴿ ثم أتموا الصيام الى الليل ﴾ بيان آخر وقته واخراج الليل عنه فانتقى صوم الوصال ﴿ ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ﴾ متكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القرية والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة كان الرجل يتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على أن الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان

الليل فإذا دخل الليل حل الفطر (ق) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم وهل يلزم الصائم أن يتناول عند تحقق غروب الشمس شيئاً فيه وجهان أحدهما نعم يلزم ذلك لئمه صلى الله عليه وسلم عن الوصال والثاني لا لانه قد حصل الفطر بمجرد دخول الليل سواء أكل أو لم يأكل وتمسكت الحنفية بهذه الآية في أن الصوم النقل يجب اتامه وقالوا لان قوله تعالى ﴿ ثم أتموا الصيام الى الليل ﴾ أمر وهو للوجوب وهو يتناول كل الصيام أجاب أصحاب الشافعي عنه بان هذا اتمورد في بيان أحكام صوم الفرض فكان المراد منه صوم الفرض ويدل على أباحة الفطر من الفل ماروى عن عائشة رضى الله عنها قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل عندكم شئ قلنا لا قال فأنى اذا صائم ثم أنانا يوماً آخر فقلت يا رسول الله اهدى لنا حيس قال أرنيه فلقد أصبحت صائماً فأكل أخرجه مسلم * الحيس هو خلط الاقط والتمر والسمن وقد يجعل عوض الاقط دقيق أو قثيت وقيل هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول أعرف ﴿ قوله عز وجل ﴿ ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ﴾ الاعتكاف هو الاقبال على الشئ والملازمة له على سبيل التعظيم وهو في الشرع عبارة عن الاقامة في المسجد على عبادة الله تعالى وسبب نزول هذه الآية أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يتكفون في المسجد فإذا عرض لرجل منهم حاجة الى أهله خرج اليها وخالها ثم اغتسل ورجع الى المسجد فنهوا عن ذلك حتى يفرغوا من اعتكافهم * واعلم أن الله تعالى بين ان الجماع يحرم على الصائم بالنهار ويباح له في الليل فكان يحتمل ان يكون حكم الاعتكاف حكم الصوم فبين الله تعالى في هذه الآية أن الجماع يحرم على المتكف في النهار والليل حتى يخرج من اعتكافه

﴿ فصل في حكم الاعتكاف ﴾

الاعتكاف سنة ولا يجوز في غير المسجد وذلك لان المسجد تميز عن سائر البقاع بالفضل لانه بنى لاقامة الطاعات والعبادات فيه ثم اختلفوا فنقل عن على رضى الله عنه أنه لا يجوز الا في المسجد الحرام لقوله وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود فخصه به وقال عطاء لا يجوز الا في المسجد الحرام ومسجد المدينة وقال حذيفة يجوز في هذين المسجدين ومسجد بيت المقدس وقال الزهرى لا يصلح الا في الجامع وقال أبو حنيفة رجه الله تعالى لا يجوز الا في مسجد له أمام ومؤذن وقال الشافعي ومالك وأجد يجوز في سائر

وسواد الليل وفي قوله (ثم أتموا الصيام الى الليل) أى الكف عن هذه الاشياء دليل على جواز التنية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تأخير الفصل الى الفجر وعلى نفي الوصال وعلى وجوب الكفارة في الاكل والشرب وعلى ان الجنابة لا تنافي الصوم (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد) متكفون فيما بين أن الجماع يحل في ليالى رمضان لكن لغير المتكف والجملة في موضع الحال وفيه دليل على أن الاعتكاف لا يكون الا في المسجد وأنه لا يختص به

ثم أتموا الصيام الى الليل) الى دخول الليل نزلت في صرمة بن مالك ابن عدى (ولا تباشروهن) ولا تجمعوهن (وأنتم عاكفون) متكفون (في المساجد) ليلا ونهارا

الوطء يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد ﴿ تلك حدود الله ﴾ أى الاحكام التى ذكرت ﴿ فلا تقربوها ﴾ نهى أن يقرب الحد الحاذق بين الحق والباطل لئلا يدانى الباطل فضلا عن أن يتخطى عنه كما قال عليه الصلاة والسلام أن لكل ملك حى وأن حى الله محارمه فمن رتع حول الحى يوشك أن يقع فيه

المساجد لعموم قوله وأنتم عاكفون في المساجد لأن المسجد الجامع أفضل حتى لا يحتاج الى الخروج من معتكفه لصلاة الجمعة (ق) عن عائشة رضی الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه بعده (ق) عن ابن عمر رضی الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان ﴿ فروع ﴾ الاول يجوز الاعتكاف بغير صوم والافضل أن يصوم معه وقال أبو حنيفة الصوم شرط في الاعتكاف ولا يصح إلا به ووجه الشافعي ما روى عن ابن عمر قال يا رسول الله أنى نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام قال فأوف بنذرك أخرجاه في الصحيحين ومعلوم أنه لا يصح الصوم في الليل ﴿ الفرع الثاني ﴾ لا يقدر للاعتكاف زمان عند الشافعي وأقله لحظة ولا حداً أكثره فلو نذر اعتكاف ساعة صح نذره ولو نذر أن يعتكف مطلقاً يخرج من نذره باعتكاف ساعة قال الشافعي وأحب أن يعتكف يوماً وإنما قال ذلك للخروج من الخلاف فإن أقل زمن الاعتكاف عند مالك وأبي حنيفة يوم بشرط أن يدخل فيه قبل طواع الفجر ويخرج منه بعد غروب الشمس ﴿ الفرع الثالث ﴾ الجماع حرام في حال الاعتكاف ويفسده وأما ما دون الجماع كالتقبلة ونحوها فمكروه ولا يفسده عند أكثر العلماء وهو أظهر قول الشافعي والثاني يبطل به وهو قول مالك وقيل أن أنزل بطل اعتكافه وأن لم ينزل فلا وهو قول أبي حنيفة وأما الملامسة بغير شهوة فحائز ولا يفسده الاعتكاف لما روى عن عائشة رضی الله عنها أنها كانت ترجل النبي صلى الله عليه وسلم وهي حائض وهو معتكف في المسجد وهي في حجرتها يناولها رأسه زاد في رواية وكان لا يدخل البيت إلا الحاجة إذا كان معتكفاً وفي رواية وكان لا يدخل البيت إلا الحاجة الإنسان أخرجاه في الصحيحين الترجيل تسريح الشعر وقولها الحاجة حوائج الإنسان كثيرة والمراد منها هنا كل ما يضطر الإنسان اليه مما لا يجوز له فعله في المسجد وموضع معتكفه ﴿ قوله عز وجل ﴾ تلك حدود الله ﴾ يعنى تلك الاحكام التى ذكرت في الصيام والاعتكاف من تحريم الاكل والشرب والجماع حدود الله وقيل حدود الله فرائض الله وأصل الحد في اللغة المنع والحد الحاذق بين الشئين الذى يمنع اختلاط أحدهما بالآخر وحد الشئ الوصف المحيط بمنه المميزه عن غيره وقيل معنى حدود الله المقادير التى قدرها ومنع من مخالفتها ﴿ فلا تقربوها ﴾ أى فلا تأتوها ولا تنفسوها فأن قلت في الآية أشكالان أما الاول فهو أنه قال تلك حدود الله وهو إشارة الى ما تقدم من الاحكام وبعضها فيه اباحة وبعضها فيه حظر فكيف قال في الجمع فلا تقربوها

مسجد دون مسجد (تلك)
الاحكام التى ذكرت
(حدود الله) أحكامه
المحدودة (فلا تقربوها)
بالمخالفة والتغير

(تلك حدود الله) تلك
المباشرة معصية الله
(فلا تقربوها) فاتركوا
مباشرة النساء ليلا ونهارا
حتى تفرغوا من الاعتكاف

وهو أبلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بمحدود الله محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين بين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاواسر والنواهي ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل أي ولا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يجهه الله تعالى وبين نصب على الظرف أو الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكم عطف على المنهى او نصب باضمار أن والادلاء الالتقاء أي ولا تلقوا

الاشكال الثاني هو أنه تعالى قال في هذه الآية تلك حدود الله فلا تقربوها وقال في آية أخرى تلك حدود الله فلا تعتدوها وقال في آية أخرى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت الجواب عن السؤالين من وجهين أما الاشكال الاول فجابوه أن الاحكام التي تقدمت فيما قبل وان كانت كثيرة الا أن أقربها الى هذه الآية قوله تعالى ولا تبشروهن وأنتم عاكفون في المساجد وذلك يوجب تحريم الجماع في حال الاعتكاف وقال قبلها ثم أنموا الصيام الى الليل وذلك يوجب تحريم الاكل والشرب في النهار فلما كان الاقرب الى هذه الآية جانب التحريم قال تلك حدود الله فلا تقربوها والجواب عن الاشكال الثاني أن من كان في طاعة الله تعالى والعمل بفرائضه فهو منصرف في حيز الحق فنهى أن يتعداه فيقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهى أن يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل فيقع فيه فهو كقوله صلى الله عليه وسلم كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه وقيل أراد بمحدوده هنا محارمه ومناهيه لقوله ولا تبشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ونحو هذا من التحريم فهي حدود لا تقرب كذلك أي كابين لكم ما أمركم به ونهاكم عنه كذلك بين الله آياته أي معالم دينه واحكام شريعته للناس مثل هذا البيان الشافي الوافي لعلهم يتقون أي لكي يتقوا ما حرم عليهم فينجوا من العذاب قوله عز وجل ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل نزلت في امرئ القيس بن عابس الكندي ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحضرمي ألك بينة قال لا قال فلك يمينه فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان حلف على ماله لياكله ظلما ليقين الله وهو عنه معرض فأنزل الله هذه الآية والمعنى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل أي من غير الوجه الذي أباحه الله وأصل الباطل الشئ الذاهب

فصل

أما حكم الآية فأكل المال بالباطل على وجوه • الاول أن يأكله بطريق التمدي والنهب والنصب الثاني أن يأكله بطريق اللهو كالتمار واجرة المغني وثمان الخمر والملاهي ونحو ذلك الثالث أن يأكله بطريق الرشوة في الحكم وشهادة انزور • الرابع الخيانة وذلك في الوديمة والامانة ونحو ذلك وانما عبر عن أخذ المال بالاكل لانه المقصود الاعظم ولهذا وقع في التعارف فلان يأكل أموال الناس بمعنى يأخذها بشئ حلها وتدلوا بها الى الحكم

(أي)

(كذلك بين الله آياته) شرايمه (لناس لعلهم يتقون) المحارم (ولا تأكلوا أموالكم بينكم) أي لا يأكل بعضكم مال بعض (بالباطل) بالوجه الذي لم يجهه الله ولم يشرعه (وتدلوا بها الى الحكم) ولا تدلوا بها فهو مجزوم داخل في حكم النهي يعني ولا تلقوا أسرها والحكومة

(كذلك) هكذا (بين الله آياته) أمره ونهيه (لناس) كما بين هذا (لعلهم يتقون) لكي يتقوا معصية الله نزلت في نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على بن ابي طالب وعمار بن ياسر وغيرهما كانوا معتكفين في المسجد فيأتون الى أهاليهم اذا احتاجوا ويحامون نسأهم ويفتسلون فيرجعون الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك ثم نزل في عبدان بن الاشوع وامرئ القيس (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) بالظلم والسرقة والنصب والحلف الكاذب وغير ذلك (وتدلوا بها) الى الحكم

(تأكلوا) بالحكم (فريقا) طائفة (من أموال الناس بالاثم) بشهادة الزور أو بإيمان الكاذبة أو بالضعف مع العلم بأن المتقاضى له ظالم وقال عليه **﴿ ٢٧٣ ﴾** السلام للخصمين انما { سورة البقرة } أنا بشر وأنتم تختصمون الى

ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه فنقضت له بشئ من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئا فإن ما أقضى له قطعة من نار فبئس ما قال كل واحد منهما حتى لصاحبه

وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكاهم السوء على وجه الرشوة يقال ادلى دلوه أى ألقاه فى البئر للاستسقاء (وأنتم تعلمون) أنكم على

الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقمع وصاحبه بالتوبيخ أحق قال معاذ بن جبل يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلي

ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ لا يكون على حالة واحدة كالشمس فتزل (يسألونك عن الاهلة)

جمع هلال سمى به لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته (قل هي مواقيت للناس

لتأكلوا فريقا) لكى تأكلوا طائفة (من أموال الناس بالاثم) بالحلف الكاذب (وأنتم تعلمون)

ذلك فامرؤ القيس بالمال ينزول هذه الآية (يسألونك عن الاهلة) عن زيادة الاهلة

للقضاء دينهم وعدة لنسائهم

حكومتها الى الحكم **﴿ تأكلوا ﴾** بالتحاكم **﴿ فريقا ﴾** طائفة **﴿ من أموال الناس بالاثم ﴾** بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة أو ملتبسين بالاثم **﴿ وأنتم تعلمون ﴾** انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها أقمع روى ان عبدان الحضرمى ادعى على امرئ القيس الكندى قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرئ القيس فهم به فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمنا قليلا الآية فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهى دليل على ان حكم القاضى لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام انما أنا بشر وأنتم تختصمون الى ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه فنقضت له بشئ من حق أخيه فانما أقطع له قطعة من النار فليحملها أو يذرها **﴿ يسألونك عن الاهلة ﴾** سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم رضى الله عنهما فقلنا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ **﴿ قل هي مواقيت للناس**

أى وتلقوا أمور تلك الاموال التى فيها الحكومة الى الحكم قال ابن عباس رضى الله عنهما هذا فى الرجل يكون عليه المال وليس عليه بينة فيمجد ويخاصم الى الحكم وهو يعلم أن الحق عليه وهو آثم بمنعه وقيل هو أن يقيم شهادة الزور عند الحاكم وهو يعلم ذلك وقيل معناه ولا تأكلوا المال بالباطل وتنسوه الى الحكم وقيل لا تدل بما لك أخيك الى الحاكم وأنت تعلم أنك ظالم فان قضاه لا يحل حراما وكان شريح القاضى يقول أنى لا قضى لك وأنى لا ظنك ظالما ولكنى لا يسعنى إلا أن أقضى بما يحضرنى من البينة وأن قضائى لا يحل لك حراما (ق) عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج اليهم فقال انما أنا بشر وأنه يأتينى الخصم فلعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض * وفى رواية ألحن بحجته من بعض فأحسب أنه صادق فأقضى له فنقضت له بحق مسلم فانما هى قطعة من النار فليحملها أو يذرها * قولها سمع جلبة خصم يعنى أصوات خصم * قوله ألحن بحجته يقال فلان ألحن بحجته من فلان أى أقوم بهامنه وأقدر عليها من ألحن بفتح الحاء وهو الفطنة **﴿ لتأكلوا فريقا ﴾** أى طائفة و قطعة **﴿ من أموال الناس بالاثم ﴾** يعنى بالظلم وقال ابن عباس رضى الله عنهما باليمين الكاذبة وقيل بشهادة الزور **﴿ وأنتم تعلمون ﴾** يعنى أنكم على الباطل * قوله عز وجل **﴿ يسألونك ﴾** أى يا محمد **﴿ عن الاهلة ﴾** نزلت فى معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين رضى الله عنهما قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلي نورا ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقا كما بدأ ولا يكون على حال واحدة فأنزل الله يسألونك عن الاهلة وكان هذا سؤالا منهم على وجه الفائدة عن وجه الحكمة فى تبين حال الهلال فى الزيادة والنقصان * والاهلة جمع هلال وهو أول حال القمر حين يراه الناس أول ليلة من الشهر **﴿ قل هي مواقيت للناس ﴾** جمع ميقات والمعنى أنافعنا ذلك لمصالح دينية وديوية ليعلم الناس أوقات

وتقصانها لما ذا (قل) يا محمد (هي مواقيت (ق او خا ٣٥) للناس) علامات للناس

والحج (أى معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدة نسائهم وأيام حيضهن ومدة حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس من

والحج (أى انهم سألوا عن الحكمة فى اختلاف حال القمر وتبدل أمره فأمره الله ان يجيب بأن الحكمة الظاهرة فى ذلك ان تكون معالم للناس يوقتون بها أمورهم ومعالم للعبادات الموقته يعرف بها أوقاتها وخصوصا الحج فأن الوقت مراعى فيه أداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لاسر (ق) وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها (ق) وقرأ ابو عمرو وورش وحفص بضم الباء والباقون بالكسر

الانصار اذا حرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا قسطا من باب فان كان من أهل المدر نقب نقبا فى ظهر بيته منه يدخل ويخرج وان كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فنزل (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) أى ليس البر بتخرجكم من دخول الباب ولا خلاف فى رفع البر هنا لان الآيه ثمة تحتل الوجهين كما بينا فجاز الرفع والنصب ثمة وهذه لا تحتل الاوجها واحدا وهو الرفع اذ الباء لا تدخل الاعلى خبر ليس

صومهم وافتارهم ومحال ديونهم وأجارتهم وعدة النساء وأوقات الحيض وغير ذلك من الاحكام المتعلقة بالاهلة ولهذا خالف بينه وبين الشمس التى هى دائمة على حالة واحدة (والحج) أى وللحج وانما أفرده بالحج بالذكر وان كان داخلا فى جملة العبادات لفائدة عظيمة وهى ان العرب فى الجاهلية كانت تحج بالعدد وتبدل الشهور فأبطل الله ذلك من فعلهم وأخبر ان الحج مقصور على الاشهر التى عينها لفرص الحج بالاهلة وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر التى عينها الله تعالى له كما كانت العرب تفعل بالنسبة (ق) وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها (ق) عن البراء رضى الله عنه قال نزلت هذه الآيه فىنا فكانت الانصار اذا حجوا نجأوا لم يدخلوا من قبل أبواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكانه غير بذلك فنزلت وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها . وفى رواية كانوا اذا أحرموا فى الجاهلية أتوا البيوت من ظهورها فأنزل الله هذه الآيه وقيل كان الناس فى الجاهلية وفى أول الاسلام اذا أحرم الرجل منهم لم يدخل حائطا ولا دارا ولا قسطا من بابه فان كان من أهل المدر نقب نقبا فى ظهر بيته منه يدخل ويخرج أو يتخذ سلما يصعد منه وان كان من أهل الوبر دخل وخرج من خلف الخباء ولا يدخل ولا يخرج من الباب ويرون ذلك برا وكانت الحس وهم قريش وكنانة وخزاعة ومن دان بدينهم سموا حسا لتشد يدهم فى دينهم . والحاسة الشدة كانوا اذا أحرموا لم يدخلوا بيتا البتة ولم يستظلوا بظل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حائطا فدخل رجل من الانصار معه وقيل كانت الحس لا يبالون بذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتا فدخل على اثره رجل من الانصار يقال له رفاعه بن التابوت من الباب وهو محرم فانكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وأنت محرم فقال رأيتك دخلت فدخلت على اثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى احسب فقال الرجل ان كنت احسبيا فأنا احسبى رضيت بهديك وسمتك ودينك فأنزل الله تعالى هذه الآيه وقال الزهري كان ناس من الانصار اذا أهلوا بالعمرة لم يجعلوا بينهم وبين السماء شيا وكان الرجل يخرج مهلا بالعمرة فتبدوله الحاجة بعدما خرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجره من أجل سقف الباب ان يحول بينه وبين السماء فيفتح الجدار من ورأه ثم يقوم فى حجرته فيأمر بحاجته ثم بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل

وصومهم وافتارهم (والحج) وللحج نزلت فى معاذ بن جبل حين سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك (وليس البر) الطاعة والتقوى (بأن تأتوا البيوت من ظهورها) بان تدخلوا البيوت من ظهورها من

(ولكن البر) بر (من اتقى) ما حرم الله البيوت وبابه مدني وبصري وحفص وهو الاصل مثل كعب وكعوب ومن كسر الباء فلما كان الياء بعدها ولكن هي توجب الخروج من كسر الى ضم وكأ انه قيل لهم عند سؤالهم عن الالهة وعن الحكمة في نقصانها وتامها معلوم ان كل ما يفعله الله تعالى لا يكون الاحكامه فدعوا السؤال عنه وانظروا في خصلة واحدة تفعلونها مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها برا فهذا وجه اتصاله بما قبله ويحتمل ان يكون ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت الحج لانه كان من أفعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخل من ظهره والمعنى ليس البر ﴿٢٧٥﴾ وما ينبغي ان تكونوا {سورة البقرة} عليه بأن تعكسوا في مسائلكم

ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله (وأثوا البيوت من أبوابها) وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب الاعتقاد بان جميع أفعاله تعالى حكمة ووصاب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يستل عنه ما في السؤال من الاتهام بمقارنة الشك لا يستل عما يفعل وهم يستلون (واتقوا الله) فيما أمركم به ونهاكم عنه (لعلكم تفلحون) لتفوزوا بالتعميم السرمدي (وقاتلوا في سبيل الله) المقاتلة في سبيل الله الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين (الذين يقاتلونكم) خلفها في الاحرام (لكن البر) الطاعة في الاحرام (من اتقى) الصيد وغير ذلك (وأثوا البيوت)

ولكن البر من اتقى ﴿٢٧٥﴾ وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف ولكن ورفع البر كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب أو فرجة وراءه ويمدون ذلك برا فيبين لهم انه ليس ببر وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألو عن الامرين أو انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا أيضا من أفعالهم في الحج ذكره للاستطراد أو انهم لماسألوا عما لا يضيئهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعينهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا عن امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها وان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال بتمثيل حالهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر ان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله ﴿٢٧٥﴾ وأثوا البيوت من أبوابها ﴿٢٧٥﴾ اذ ليس في المدول برفباشروا الامور من وجوهها ﴿٢٧٥﴾ واتقوا الله ﴿٢٧٥﴾ في تغيير احكامه والاعتراض على أفعاله ﴿٢٧٥﴾ لعلكم تفلحون ﴿٢٧٥﴾ لكي تظفروا بالهدى والبر ﴿٢٧٥﴾ وقاتلوا في سبيل الله ﴿٢٧٥﴾ جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه ﴿٢٧٥﴾ الذين يقاتلونكم ﴿٢٧٥﴾ قيل كان ذلك قبل ان أمروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء أو الكفرة كلهم فأنهم بصدد قتال المسلمين

حجرة فدخل رجل من الانصار من بني سلمة على اثره فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك قال لاني رأيتك دخنت فقال عليه الصلاة والسلام اني أحسى فقال الانصارى وانا أحسى يقول أنا على دينك فأنزله الله تعالى وليس البر بأن تأثروا البيوت من ظهورها ﴿٢٧٥﴾ ولكن البر من اتقى وأثوا البيوت من أبوابها ﴿٢٧٥﴾ يعني في حال الاحرام وغيره ﴿٢٧٥﴾ واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴿٢٧٥﴾ قوله عز وجل ﴿٢٧٥﴾ وقاتلوا في سبيل الله ﴿٢٧٥﴾ أى في طاعة الله وطلب رضوانه (ق) عن ابي موسى الاشعري رضى الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حية ويقاتل رياء أى ذلك في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ﴿٢٧٥﴾ الذين يقاتلونكم ﴿٢٧٥﴾ كان في ابتداء الاسلام أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالكف عن قتال المشركين ثم لما

ادخلوا البيوت (من أبوابها) التي كنتم تدخلونها وتخرجون منها قبل ذلك (واتقوا الله) واخشوا الله في الاحرام (لعلكم تفلحون) لكي تنجوا من السخط والعذاب نزلت في نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كنانة وخزاعة كانوا يدخلون بيوتهم في الاحرام من خلفها أو من سطحها كما فعلوا في الجاهلية (وقاتلوا في سبيل الله) في طاعة الله في الحلال والحرم (الذين يقاتلونكم) يبدوونكم بالقتال

يناجزونكم القتال دون

المحاذرين وعلى هذا يكون

منسوخا بقوله تعالى وقتلوا

المشركين كافة وقيل هي

أول آية نزلت في القتال

فكان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقاتل من قاتل

ويكف عن كف أو الذين

يناصبونكم القتال دون

من ليس من أهل المناصب

من الشيوخ والصبيان

والرهبان والنساء والكفرة

كلهم لانهم قاصدون لمقاتلة

المسلمين فهم في حكم المقاتلة

(ولا تمتدوا) في ابتداء

القتال أو بقتال من نهيتهم

عنه من النساء والشيوخ

ونحوهما أو بالمثلثة (أن الله

لا يحب المعتدين واقتلوهم

حيث تقفتموهم) وجدتموهم

والتقف الوجود على وجه

الاخذ والقبلة (وأخرجوكم

من حيث أخرجوكم) أي

من مكة وعدهم الله تعالى

فتح مكة بهذه الآية وقد

فعل رسول الله صلى الله

عليه وسلم بمن لم يسلم منهم

(ولا تمتدوا) لا ابتدوا

(ان الله لا يحب المعتدين)

المبتدئين بالقتال في الحل

والحرم (واقتلوهم) ان

بدؤكم (حيث تقفتموهم)

وجدتموهم في الحل والحرم

(واخرجوهم) من مكة

(من حيث أخرجوكم)

وعلى قصده ويؤيد الاول ماروي ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام

الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخولوا له مكة شرفها الله ثلاثة أيام فرجع

لعمره القضاء وخاف المسلمون ان لا يوفوا لهم وبقاتلوهم في الحرم أو الشهر الحرام

وكرهوا ذلك فنزلت ﴿ ولا تمتدوا ﴾ بابتداء القتال أو بقتال المعاهد أو المفاجأة به

من غير دعوة أو المثلثة أو قتل من نهيتهم عن قتله ﴿ أن الله لا يحب المعتدين ﴾ لا يريد بهم

الخير ﴿ واقتلوهم حيث تقفتموهم ﴾ حيث وجدتموهم في حل أو حرم وأصل التقف

الحذق في ادراك الشيء علما كان أو علما فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال

فاما تقفوني فاقفوني * فن اتقف فليس الى خلود

﴿ وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ﴾ أي من مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم

هاجر الى المدينة أمر بقتال من قاتله منهم بهذه الآية قال الربيع بن أنس هذه أول آية

نزلت في القتال ثم أمر الله بقتال المشركين كافة قاتلوا أو لم يقاتلوا بقوله تعالى وقتلوا

المشركين كافة وبقوله واقتلوهم حيث تقفتموهم فصارت آية السيف فاسخة لهذه الآية

وقيل انها محكمة ومعناها على هذا القول وقاتلوا في سبيل الله الذين اعتدوا أنفسهم

للقتال فأما من لم يعد نفسه للقتال كالرهبان والشيوخ والزمنى والمكافيف والمجانين فلا

تقاتلوهم لانهم لم يقاتلوكم وهو قوله تعالى ﴿ ولا تمتدوا ﴾ وقال ابن عباس رضى الله

عنها لا تقتلوا النساء والصبيان والشيوخ والرهبان ولا من أتى اليكم السلام (م) عن

بريدة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميرا على جيش او

سرية او صاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا بالله في سبيل

الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تملوا ولا تمتدوا ولا تملوا ولا تقتلوا وليدا * قوله

ولا تملوا الغلول الخيانة وهو ما يخفيه أحد التزاة من الغنية * قوله ولا تمتدوا أي ولا

تتقضوا العهد وقيل في معنى الآية لا تمتدوا أي لا تبدؤهم بالقتال فعلى هذا القول تكون

الآية منسوخة بآية القتال قال ابن عباس رضى الله عنهما لما صد المشركون رسول الله

صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخولوا له مكة ثلاثة أيام

يطوف بالبيت فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لعمره القضاء خافوا ان

لا تفي قريش بما قالوا ويصدوهم عن البيت وكره المسلمون قتالهم في الشهر الحرام وفي

الحرم فأ نزل الله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فأطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم

في الشهر الحرام وفي الحرم ورفع عنهم الحرج والجناح في ذلك وقال ولا تمتدوا

بابتداء القتال ﴿ أن الله لا يحب المعتدين ﴾ قوله عز وجل ﴿ واقتلوهم

حيث تقفتموهم ﴾ أي حيث وجدتموهم وأدركتموهم في الحل والحرم وتحقيق

القول فيه أن الله تعالى أمر بالجهاد في الآية الاولى بشرط أقدام الكفار على القتال

وفي هذه الآية أمرهم بالجهاد معهم سواء قاتلوا أو لم يقاتلوا واستثنى منه المقاتلة عند

المسجد الحرام ﴿ وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ﴾ أي وأخرجوهم من ديارهم

يوم القمع (والفتنة أشد من القتل) أى شركهم بالله أعظم من القتل الذى يحل بهم منكم وقيل الفتنة عذاب الآخرة وقيل المحنة والبلاء الذى ينزل بالانسان فيعذب به أشد عليه من القتل وقيل الحكيم ما أشد من الموت قال الذى يتنى فيه الموت فقد جعل الاخراج من الوطن من ﴿ ٢٧٧ ﴾ الفتن التى يتنى عندها {سورة البقرة} الموت (ولا تقاتلوهم عند

المسجد الحرام حتى يقاتلوكم المسجد الحرام حتى يقاتلوكم (فيه) أى ولا تبدؤا بقتالهم فى الحرم حتى يبدؤا فعندنا المسجد الحرام يقع على الحرم كله (فإن قاتلوكم فاقتلوهم) فى الحرم فعندنا يقتلون فى الاشهر الحرم لا فى الحرم الا أن يبدؤا بالقتال معنا فيحنئذ نقتلهم وان كان ظاهر قوله وقاتلوهم حيث تففقوهم يبيح القتل فى الامكنة كلها لكن لقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه خص الحرم الا عند البداءة منهم كذا فى شرح التاويلات (كذلك جزاء الكافرين) مبتدأ وخبر ولا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فإن قاتلوكم جزاء وعلى (فإن انتهوا) عن الشرك والقتال (فإن الله غفور) للمسلم من طغيانهم (رحيم) يقبل توبتهم واعمانهم (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) شرك وكان تامة وحتى بمعنى كى أو الى

كما أخرجوكم (والفتنة) الشرك بالله وعبادة الاوثان (أشد) اشر (من القتل)

فى الحرم (ولا تقاتلوهم) بالابتداء (عند المسجد الحرام) فى الحرم (حتى يقاتلوكم فيه) فى الحرم بالابتداء (فإن قاتلوكم) بالابتداء (فاقتلوهم كذلك) هكذا (جزاء الكافرين) بالقتل (فإن انتهوا) عن الكفر والشرك وتابوا (فإن الله غفور) لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة (وقاتلوهم) بالابتداء منهم فى الحل والحرم (حتى لا تكون فتنة)

الفتح ﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾ أى المحنة التى يفتن بها الانسان كالاخراج من الوطن أصب من القتل لدوام تمبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم فى الحرم وصددهم اياكم عند أشد من قتلهم اياهم فيه ﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ﴾ أى لا تقاتلوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام ﴿ فإن قاتلوكم فاقتلوهم ﴾ فلا تبالوا بقتالهم ثمة فأنهم الذين هتكوا حرمة وقرأ حجة والكسائى ولا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو أسد ﴿ كذلك جزاء الكافرين ﴾ مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا ﴿ فإن انتهوا ﴾ عن القتال والكفر ﴿ فإن الله غفور رحيم ﴾ يفرلهم ما قد سلف ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ شرك

كما أخرجوكم من دياركم ﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾ يعنى أن شركهم بالله أشد وأعظم من قتلهم اياهم فى الحرم والاحرام وانما سمي الشرك بالله فتنة لانه فساد فى الارض يؤدى الى الظلم وانما جعل أعظم من القتل لان الشرك بالله ذنب يستحق صاحبه الخلود فى النار وليس القتل كذلك والكفر يخرج صاحبه من الامة وليس القتل كذلك فثبت أن الفتنة أشد من القتل ﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ﴾ اختلف العلماء فى هذه الآية فذهب مجاهد فى جماعة من العلماء الى أنها محكمة وانه لا يحل أن يقاتل فى المسجد الحرام الا من قاتل فيه وهو قوله ﴿ فإن قاتلوكم فاقتلوهم ﴾ أى فقاتلوهم وثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أن مكة لا تحل لاحد قبل ولا تحل لاحد بعدى وانما أحلت لى ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيامة فثبت بهذا تحريم القتال فى الحرم ألا أن يقاتلوا فيقاتلوا ويكون دفعا لهم وذبح قتادة الى أن هذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فأمر بقتالهم فى الحل والحرم وقيل أنها منسوخة بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴿ كذلك جزاء الكافرين فإن انتهوا ﴾ يعنى عن القتال وقيل عن الشرك والكفر ﴿ فإن الله غفور ﴾ يعنى لما سلف ﴿ رحيم ﴾ يعنى بعباده حيث لم يعاجلهم بالمقوبة ﴿ وقاتلوهم ﴾ أى وقاتلوا المشركين ﴿ حتى لا تكون فتنة ﴾ أى شرك والمعنى وقاتلوهم حتى يسلموا ولا يقبل من الوثنى إلا الاسلام أو القتل بخلاف الكتابى والفرق بينهما أن أهل الكتاب معهم كتب منزلة فيها شرائع وأحكام يرجعون اليها وأن كانوا قد حرفوا وبدلوا فأمرهم الله تعالى بجرمة تلك الكتب من القتل وأمر بأصغارهم وأخذ الجزية منهم لينظروا فى كتبهم ويتدبروها فيقفوا على الحق منها فيتبعوه كفعل مؤمنى أهل الكتاب الذين عرفوا الحق فأسلموا وأما عبدة الاصنام فلم يكن لهم كتاب يرجعون

أن (ويكون الدين لله) خالصا ليس للشيطان فيه نصيب أى لا يعبد دونه شئ (فإن انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين) فإن امتنعوا عن الكفر فلا تقاتلوهم فإنه لا عدوان الا على الظالمين ولم يبقوا ظالمين أو فلا تظلموا الا الظالمين غير المشركين سمي جزاء الظالمين ظلما للمشاكله كقوله { الجزء الثاني } فن اعتدى ﴿٢٧٨﴾ عليكم فاعتدوا عليه قاتلهم المشركون عام الحديبية

في الشهر الحرام وهو ذو القعدة

﴿ ويكون الدين لله ﴾ خالصا ليس للشيطان فيه نصيب ﴿ فإن انتهوا ﴾ عن الشرك ﴿ فلا عدوان الا على الظالمين ﴾ أى فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن أن يظلم الأيمن ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمى جزاء الظلم باسمه للمشاكله كقوله فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم أو أنكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام ﴾ قاتلهم المشركون عام حديبية في ذى القعدة واتفق خروجهم لعمره القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم فيه لحرمة فقيل لهم هذا الشهر بذلك وهتكه بهتكم فلا تبالوا به ﴿ والحرمات قصاص ﴾ احتجاج عليه أى كل حرمة وهو ما يجب أن يحافظ عليها يجرى فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة وقاتلوهم أن قاتلوكم كما قال ﴿ فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ وهو فذلك التقرير

فقيل لهم عند خروجهم لعمره القضاء وكرهتهم القتال وذلك في ذى القعدة (الشهر الحرام) متداخيره (بالشهر الحرام) أى هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكم يعنى تهتكون حرمة عليهم كما هتكوا حرمة عليكم (والحرمات قصاص) أى وكل حرمة يجرى فيها القصاص من هتك حرمة أى حرمة كانت اقتض منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا أو أكد ذلك بقوله (فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) من شرطية والباء غير زائدة والتقدير بعقوبة مماثلة لعدوانهم أو زائدة وتقديره عدوانا

اليه ويرشدهم الى الحق فكان أمهالهم زيادة في شركهم وكفرهم فأبى الله عز وجل أن يرضى منهم ألا بالاسلام أو القتل ﴿ ويكون الدين لله ﴾ أى الطاعة والعبادة لله وحده فلا يعبد من دونه شئ ﴿ فإن انتهوا ﴾ يعنى عن القتال وقيل عن الشرك والكفر ﴿ فلا عدوان ﴾ أى فلا سبيل ﴿ الا على الظالمين ﴾ قاله ابن عباس رضى الله عنهما فعلى القول الاول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى القول الآخر الآية محكمة وقيل معناه فلا تظلموا الا الظالمين سمي جزاء الظالمين ظلما على سبيل المشاكله وسمى الكافر ظلما لوضعه العبادة في غير موضعها ﴿ قوله عز وجل ﴾ الشهر الحرام بالشهر الحرام ﴿ نزلت في عمرة القضاء وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا في ذى القعدة سنة ست من الهجرة فصدته المشركون عن البيت بالحديبية فصالح أهل مكة على أن ينصرف عامه ذلك ويرجع من قابل فيقضى عمرته فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع في ذى القعدة سنة سبع فقضى عمرته وذلك قوله تعالى الشهر الحرام يعنى ذا القعدة الذى دخلتم فيه مكة وقضيت عمرتكم بالشهر الحرام الذى صدتم فيه عن البيت ﴿ والحرمات ﴾ جمع حرمة وانما جعت لانه أراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الاحرام ﴿ قصاص ﴾ القصاص المساواة والمماثلة وهو أن يفعل بالفاعل مثل ما فعل والمعنى أنهم لما منعوكم عن العمرة وأضاعوا هذه الحرمات في سنة ست فقد وقفتم حتى قضيتوها على رءوسكم في سنة سبع وقيل هذا في القتال ومعناه فإن بدؤكم بالقتال في الشهر الحرام فقاتلوهم فيه فإنه قصاص ﴿ فن اعتدى عليكم ﴾ أى بالقتال ﴿ فاعتدوا عليه ﴾ أى قاتلوهم ﴿ بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ سمي الجزاء بالاعتداء على

الشرك بالله في الحرم (ويكون الدين لله) يكون الاسلام والعبادة لله في الحرم (فإن انتهوا) عن قتالكم في الحرم (فلا عدوان) فلا سبيل لكم بالقتل (الا على الظالمين) المنتهين بالقتل (الشهر الحرام) الذى دخلت فيه لقضاء العمرة (بالشهر الحرام) الذى صدوك عنه

(والحرمات قصاص) بدل (فن اعتدى) ابتدأ (عليكم) بالقتل في الحرم (فاعتدوا) فابتدؤا (عليه) (سبيل)

بمثل ما اعتدى عليكم) بالقتل (واتقوا الله) واخلشوا الله بالابتداء (واعلموا أن الله مع المتقين) معين المتقين بالنصرة

﴿واتقوا الله﴾ في الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ فحرسهم ويصلح شأنهم ﴿وانفقوا في سبيل الله﴾ ولا تمسكوا كل الامساك ﴿ولاتقوا بأيديكم الى التهلكة﴾ بالاسراف وتضييع وجه المعاش أو بالكف عن الغزو والاتفاق فيه فان ذلك يقوى العدو ويسلطهم على أهلاككم ويؤيده ماروى عن أبي أيوب الانصارى رضى الله عنه انه قال لما أعز الله الاسلام وكثر أهله رجعتنا الى أهلنا وأموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت أو بالامساك وحب المال فإنه يؤدى الى الهلاك المؤبد ولذلك سمى الجحل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشئ في الفساد والالقاء طرح الشئ وعدى بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بأيدي الانفس والتهلكة والهلاك والهالك واحد فهى مصدر كالنضرة والتسرة أى لا توقعوا أنفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة

سبيل المشاكلة ﴿واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ قوله عز وجل ﴿وانفقوا في سبيل الله﴾ يعنى به الجهاد وذلك أن الله تعالى لما أمر بالجهاد والاشتغال به يحتاج الى الانفاق فأمر به والانفاق هو صرف المال في وجوه المصالح الدينية كالانفاق في الحج والعمرة وصلة الرحم والصدقة وفي الجهاد وتجهيز الغزاة وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة لله تعالى لان كل ذلك مما هو في سبيل الله لكن إطلاق هذه اللفظة ينصرف الى الجهاد (خ) عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتسب فرسا في سبيل الله أيمانا واحتسابا بالله وتصديقا بوعده فإن شيعه وربيه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات ﴿عن خريم بن فاتك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق نفقة في سبيل الله كتب الله له سبعمائة ضعف أخرجه الترمذى والنسائى ﴿ولاتقوا بأيديكم الى التهلكة﴾ قيل الباء زائدة ومعناه لاتلقوا أيديكم الى التهلكة والمراد بالايدي الانفس والمعنى ولاتلقوا أنفسكم الى التهلكة عبر بالايدي عن الانفس وقيل الباء على أصلها وفي الكلام حذف تقديره ولاتلقوا أنفسكم بأيديكم الى التهلكة كما يقال أهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب في هلاكها وقيل التهلكة كل شئ تصير عاقبته الى الهلاك وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه ومعنى الآية النهى عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الاهلاك قال ابن عباس رضى الله عنهما انفق في سبيل الله وان لم يكن لك الاسهم أو مشقص ولا يقول أحدكم لأجد شيئاً السهم هنا هو ما يرمى به والمشقص سهم فيه نصل عمر يرض وقيل كان رجال يخرجون في البعوث بغير نفقة فأما أن ينقطع بهم وأما أن يكونوا عائلة فأمرهم الله تعالى بالانفاق على أنفسهم في سبيل الله ومن لم يكن عنده شئ ينفق عليه في الغزو فلا يخرج لئلا يلقى نفسه في التهلكة وهو أن يهلك من الجوع والعطش والمشى وقيل نزلت الآية في ترك الجهاد (ت) عن أبي عمران واسمعة أسلم رضى الله عنه قال كنا بمدينة الروم فأخرجوا لنا سقا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر وعلى أهل مصر عقبه بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد

مثل عدوانهم (واتقوا الله) في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يخل لكم (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصر (وانفقوا في سبيل الله) تصدقوا في رضاه الله وهو عام في الجهاد وغيره (ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة) أى أنفسكم والباء زائدة أو ولا تقتلوا أنفسكم بأيديكم كما يقال أهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهى عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك أو عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله أو عن الاخطار بالنفس أو عن ترك الغزو الذى هو تقوية للعدو والتهلكة والهلاك والهالك واحد (وانفقوا في سبيل الله) في طاعة الله لقضاء العمرة (ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة) يقول لاتخذوا أيديكم عن النفقة في سبيل الله قتلها ويقال لاتلقوا أنفسكم بأيديكم في التهلكة ويقال لاتهلكوا أى لا تأسوا من رحمة الله قتلها

(وأحسنوا) الظن بالله في الاخلاف (أن الله يحب المحسنين) الى المحتاجين (وأتموا الحج والعمرة لله) وأدوهم أتامين بشرأطهما وفرائضهما لوجه الله تعالى بلاتوان ولا نقصان وقيل الاتمام يكون بعد الشروع فهو دليل على أن من شرع فيها لزمه اتمامها وبه تقول أن العمرة تلزم بالشروع ولا تمسك للشافعي رحمه الله بالآية على لزوم العمرة لانه أمر بأتمامها وقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع أو اتمامها أن تحرم بهما من دويرة أهلك أو أن تفرد لكل واحد منهما سفرا أو أن تنفق فيها حلالا أو أن لا تجر معهما

(واحسنوا) أى بالنفقة في سبيل الله ويقال احسنوا الظن في الله ويقال احسنوا النفقة في سبيل الله (أن الله يحب المحسنين) بالنفقة في سبيل الله نزلت من قوله وقتلوا في سبيل الله الى ههنا في المحرمين مع النبي صلى الله عليه وسلم لقضاء العمرة بعد عام الحديبية (وأتموا الحج والعمرة لله) لتقبل الله بالاخلاص واتمام الحج الى آخره واتمام العمرة الى البيت

بأيديكم أو لاتلقوا بأيديكم أنفسكم اليها فحذف المفعول ﴿ وأحسنوا ﴾ اعمالكم واخلاقكم أو تفضلوا على المحايير ﴿ أن الله يحب المحسنين ﴾ وأتموا الحج والعمرة لله ﴿ أى اثنوا بهما تأمين مستجيبى المناسك لوجه الله تعالى وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ وأقيموا الحج والعمرة لله وماروى جابر رضى الله تعالى عنه انه قيل يارسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك فعارض بما روى أن رجلا قال لعمر رضى الله تعالى عنه انى وجدت الحج والعمرة مكتوبين على أهلت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدانها مكتوبين بقوله أهلت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب أهلاله بهما لانه رتب الأهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الأهلال دون العكس وقيل اتامهما ان تحرم بهما من دويرة أهلك أو ان تفرد لكل منهما سفرا وان تجرده لهما لا تشوبهما بفرض دنيوى أو ان تكون النفقة حلالا

فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس سبحان الله يلقي بيديه الى التهلكة فقام أبو أيوب الانصارى رضى الله عنه فقال أيها الناس أنكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل وانما نزلت هذه الآية فينا مشر الانصار لما أعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أموالنا قد ضاعت وأن الله قد أعز الاسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها فأنزله الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم يرد علينا ما قلنا وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة فكانت التهلكة الاقامة على الاموال وأصلاحها وتركنا الغزو فزال أبو أيوب شاخصا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم وقال حديث غريب صحيح * مات أبو أيوب في آخر غزوة غزاها بأرض قسطنطينية ودفن في أصل سورها فهم يتبركون بقبره ويستسقون به (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق قال ابن المبارك فزى أن ذلك كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الالتقاء الى التهلكة هو أن يقنط من رحمة الله وهو أن الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لى توبة فيأس من رحمة الله وينهمك على المعاصى فهو القنوط فهى الله عن ذلك وقيل فى معنى الآية أنفقوا في سبيل الله ولا تقولوا انا نخاف الفقر ان أنفقنا فهلك فهو ان يحملوا أنفسهم هالكين بالانفاق (خ) عن حذيفة رضى الله عنه قال أنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة قال نزلت فى النفقة ﴿ وأحسنوا ﴾ أى بالانفاق على من تلزمكم مؤنته ونفقتة وقيل أحسنوا فى الانفاق ولا تسرفوا ولا تقتروا نهوا عن الاسراف والاقتراف وقيل معناه وأحسنوا فى أداء فرائض الله تعالى ﴿ أن الله يحب المحسنين ﴾ أى يشبههم على أحسانهم * قوله عز وجل ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنه هو أن يتمها عناسكهما وحدودهما وسننهما وقيل اتامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك وقيل هو أن تفرد =

لكل واحد منهما سفرا وقيل اتامهما أن تكون النفقة حلالا وتنتهي عما نهى الله عنه
وقيل اتامهما أن تخرج من أهلك لهما للتجارة ولا الحاجة وقيل إذا شرع فيهما
وجب عليه الاتام

﴿فصل وافتقت الامة على وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا﴾

(م) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس
قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أفي كل عام يارسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوقات نعم لوجب ولما استطعتم * وفي وجوب
العمرة قولان للشافعي أحدهما أنها واجبة وهو قول علي وابن عمر وابن عباس والحسن
وابن سيرين وعطاء وطاوس وسعيد بن جبيرة ومجاهد واليه ذهب أحمد بن حنبل رضى الله
عنه * والقول الثاني أنها سنة ويروى ذلك عن ابن مسعود وجابر وابراهيم والشعبي واليه
ذهب مالك وأبو حنيفة رضى الله عنهم * حجة من أوجب العمرة ماروى في حديث الضبي
ابن معبد أنه قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه انى وجدت الحج والعمرة مكتوبين على
وانى أهلت بهما فقال هديت لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود
والنسائي بأطول من هذا * وجه الدليل انه أخبر عن وجوبهما عليه وصوبه عمر
وبين انه مهتد بما رآه في وجوبهما عليه لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن ابن عباس
رضى الله عنهما انها كقرينها في كتاب الله وأتموا الحج والعمرة لله وعن ابن عمر رضى الله عنهما
قال الحج والعمرة فريضة وعنه ليس أحد من خلق الله الا وعليه حجة وعمرة واجبتان
من استطاع الى ذلك سبيلا وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال العمرة واجبة كوجوب
الحج وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابموا بين
الحج والعمرة فأنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب
والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة اخرجه النسائي والترمذي * وزاد وما
من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه وقال حديث حسن صحيح * وجه
الدليل انه أمر بالتابعة بين الحج والعمرة والامر للوجوب ولانها قد نظمت مع الحج
في الامر بالاتام فكانت واجبة كالحج * ووجه من قال بأنها سنة ماروى عن جابر رضى
الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة واجبة هي قال لا وان تعتمروا
خير لكم أخرجه الترمذي * وأجيب عنه بأن هذا الحديث يرويه جهاج بن ارطاة
وجهاج ليس ممن يقبل منه ما تفرد به لسوء حفظه وقلة مراعاته لما يحدث به واجتمعت
الامة على جواز أداء الحج والعمرة على ثلاثة أنواع افراد وتمتع وقران فصورة
الافراد أن يحج ثم بعد فراغه منه يعتمر من أدنى الحل أو يعتمر قبل أشهر الحج ثم
يحج في تلك السنة وصورة التمتع أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج ويأتى بأعمالها فإذا
فرغ من أعمالها أحرم بالحج من مكة في تلك السنة وانما سمي تمتعا لانه يستمتع بمحظورات
الاحرام بعد التحلل من العمرة الى أن يحرم بالحج وصورة القران أن يحرم بالحج
والعمرة معا في أشهر الحج فينويهما بقلبه وكذلك لو أحرم بالعمرة في أشهر الحج =

ثم أدخل عليها الحج قبل أن يفتح الطواف فيصير قارنا واختلفوا في الأفضل فذهب مالك والشافعي إلى أن الأفراد أفضل ثم التمتع ثم القران يدل عليه ما روى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد الحج أخرجه مسلم * وله عن ابن عمر رضي الله عنهما قال أهلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج مفردا * وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بالحج مفردا * وله عن جابر رضي الله عنه قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصرخ بالحج صراخا * وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال افضلوا بين حجكم وعمرتكم فان ذلك أم الحج أحدكم وأتم لعمرته أن يعتمر في غير أشهر الحج أخرجه مالك في الموطأ وذهب الثوري وأبو حنيفة إلى أن القران أفضل يدل عليه ما روى عن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى بالحج والعمرة جميعا * وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك عمرة وجا أخرجاه في الصحيحين * وذهب أحمد بن حنبل وأسمق بن راهويه إلى أن التمتع أفضل يدل عليه ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فأول من نهى عنهما معاوية أخرجه الترمذي (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج واهدى فساق معه الهدى من ذي الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة إلى الحج وكان من الناس من أهدى ومنهم من لم يهد فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس من كان منكم أهدي فإنه لا يحل من شيء حرم منه حتى يقضى حجه ومن لم يكن منكم أهدي فليطف بالبيت والصفة والمروة وليقصر وليتحلل ثم ليل بالحج وليهد فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة فاستلم الركن أول شيء ثم خب ثلاثة أطواف من السبع ومشي أربعة أطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فأتى الصفا فطاف بالصفة والمروة سبعة أشواط ثم لم يحل من شيء حرم منه حتى قضى حجه ونحر هديه يوم النحر وأفاض وطاف بالبيت ثم حل من كل شيء حرم منه وفعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهدي فساق الهدى من الناس * اختلفت الروايات في حجة النبي صلى الله عليه وسلم هل كان مفردا أو متمعا أو قارنا وهي ثلاثة أقوال للعلماء بحسب مذاهبهم السابقة ورجحت كل طائفة نوعا وادعت أن حجة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك وطريق الجمع بين روايات الصحابة واختلافهم في حجته صلى الله عليه وسلم أنه كان أولا مفردا ثم أنه صلى الله عليه وسلم أحرم بالعمرة بعد ذلك وأدخلها على الحج فصار قارنا فمن روى أنه كان مفردا فهو الأصل ومن روى القران اعتمد آخر الأمر ومن روى التمتع أراد التمتع اللغوي وهو الانتفاع والارتفاق وقد ارتفق بالقران كارتفاق التمتع وزيادة وهو الاقتصار

﴿فأن أحصرتم﴾ منعتم يقال حصره العدو وأحصره إذا حبسه ومنعه من المضى مثل صده وأصدده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي رحمهما الله تعالى لقوله تعالى فاذا امنتم ولنزوله في الحديث ولقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو أو مرض أو غيرهما عند أى حنيفة رحمه الله تعالى لما روى عنه عليه الصلاة والسلام من كسر أو عرج فقد حل و عليه الحج من قابل وهو ضعيف مؤول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه الصلاة والسلام لضباعة بنت الزبير جى واشترطى وقولى اللهم محلى حيث حبستى

فأن أحصرتم (يقال
أحصر فلان إذا منعه أمر
من خوف أو مرض أو عجز
وحصر إذا حبسه عدو عن
المضى وعندنا الاحصار
يثبت بكل منع من عدو أو
مرض أو غيرهما لظاهر
النص وقد جاء في الحديث
من كسر أو مرض فقد حل
أى جازله أن يحل و عليه
الحج من قابل وعند
الشافعي رحمه الله الاحصار
بالعدو وحده و ظاهر النص
يدل على أن الاحصار
يتحقق في العمرة أيضا
لانه ذكر عقبهما

﴿فأن أحصرتم﴾ حبستم عن
الحج والعمرة من عدو

على فعل واحد وبهذا أمكن الجمع بين الاحاديث المختلفة في صفة حجة الوداع وهو الصحيح وذكر الشافعي في كتاب اختلاف الحديث كلاما موجزا في ذلك فقال أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتنع وكل كان يأخذ منه أمر نسكه ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل اليه على معنى أنه أمر به وأذن فيه ويجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الأمر به كما تجوز اضافته الى فاعله كما يقال بنى فلان داره وأريد به أنه أمر ببنائها وماروى أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزنا وانما أمر برجمه واختار الشافعي الافراد واحتج في ترجمه بأنه صح ذلك من رواية جابروا بن عمر وابن عباس وعائشة رضى الله عنهم وهؤلاء لهم منزلة في حجة الوداع على غيرهم فاما جابر رضى الله عنه فهو أحسن الصحابة سياقة لرواية حديث حجة الوداع فإنه ذكرها من حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى آخرها فهو أضعفها من غيره وأما ابن عمر رضى الله عنهما فصح عنه أنه كان أخذ بالحطام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وانما سمعه يلبى بالحج وأما ابن عباس رضى الله عنهما فصحله من العلم والفقهاء والدين معروف مع كثرة بحثه عن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عائشة رضى الله عنها فقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف واطلاعا على باطن أمره وظاهره مع كثرة فقهما وعلما ومن دلائل ترجيح الافراد أن الخلفاء الراشدين أفردوا الحج بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وواظبوا عليه * وأركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعى بين الصفا والمروة وحلق الرأس أو التقصير في أصح القولين * وأركان العمرة أربعة الاحرام والطواف والسعى والحلق أو التقصير وهذه الاركان تمام الحج والعمرة ﴿قوله تعالى﴾ ﴿فأن أحصرتم﴾ أصل الحصر في اللغة الحبس والتضييق ثم اختلف أهل اللغة في الحصر والاحصار فقيل اذا رد الرجل عن وجهه يريد فقد أحصر واذا حبس فقد حصر وقال ابن السكيت أحصره المرض اذا منعه من السفر أو حاجة يريد بها وحصره العدو اذا ضيق عليه وقال الزجاج الرواية عن أهل اللغة يقال للذى يمنعه الخوف أو المرض أحصر والمحبوس حصر وقال ابن قتيبة في قوله ﴿فأن أحصرتم﴾ هو أن يعرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرض أو كسر أو عدو يقال أحصر فهو محصر فأن حبس في دار أو سجن قيل حصر فهو محصور وذهب

﴿ فاستيسر من الهدى ﴾ فمليكم ما استيسر أو فالواجب ما استيسر أو فاهدوا ما استيسر والمعنى ان أحصر المحرم وأراد ان يتحلل بتحلل بذبح هدى ما تيسر عليه من بدنة أو بقرة أو شاة حيث أحصر عند الأكثر لانه عليه الصلاة والسلام ذبح عام الحديبية بها وهى من الحل وعند أبى حنيفة رجه الله تعالى يبعث به ويجعل للبعوث

قوم الى أنهما بمعنى واحد قال الزجاج يقال للرجل من حصرك هنا ومن أحصرك وقال أحمد بن يحيى أصل الحصر والاحصار الحبس وحصر فى الحبس أقوى من أحصر وقيل الاحصار يقال فى المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن كالمرض والحصر لا يقال إلا فى المنع الباطن وأما قوله فأن أحصرتهم فمحمول على الأمرين وبجسب اختلاف أهل اللغة فى معناها اختلف الفقهاء فى حكمها فذهب قوم الى أن كل مانع من عدو أو مرض أو ذهاب نفقة فإنه يبيح له التحلل من احرامه وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب أبى حنيفة ويدل عليه ما روى عن عكرمة قال حدثنى الحجاج بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كسر أو عرج فقد حل وعليه حجة أخرى قال عكرمة فذكرت ذلك لابي هريرة وابن عباس رضى الله عنهم فقالا صدق أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن وذهب قوم الى أنه لا يباح له التحلل إلا بحبس العدو وهو قول ابن عمر وابن عباس وأنس رضى الله عنهم وبه قال مالك والليث والشافعى وأحمد وقالوا الحصر والاحصار بمعنى واحد واحتجوا بأن نزول الآية كان فى قصة الحديبية فى سنة ست وكان ذلك حبسا من جهة الدولان كفار مكة منعوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الطواف بالبيت فنزلت هذه الآية فحل النبي صلى الله عليه وسلم من عمرته ونحره هديه وقضاها من قابل ويدل عليه أيضا سياق الآية وهو قوله فإذا أمنتم والأمن لا يكون إلا من خوف وثبت عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لا حصر إلا حصر العدو وثبت بذلك أن المراد من الاحصار وهو حصر العدو دون المرض وغيره وأجيب عن حديث الحجاج بن عمرو بأنه محمول على من شرط التحلل بالمرض ونحوه حال احرامه ويدل على جواز الاشتراط فى الاحرام ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن ضباعة بنت الزبير أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله أنى أريد الحج فأشترط قال نعم قالت كيف أقول قال قولى ليلك اللهم ليلك محلى من الارض حيث تحبسنى أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وانفرد أن ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حجبى واشترطى وقولى اللهم محلى حيث حبستنى فذهب الشافعى وأحمد وأسحق اذا اشترط فى الحج فعرض له مرض أو عذران يتحلل ويخرج من احرامه ثم المحصر يتحلل بذبح الهدى وحلق الرأس وهو المراد من قوله تعالى ﴿ فاستيسر من الهدى ﴾ ومعنى الآية فأن أحصرتهم دون تمام الحج أو العمرة فحلتم فعليكم ما استيسر من الهدى والهدى ما يهدى الى البيت وأعداه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة قال ابن عباس رضى الله عنهما شاة لانه أقرب الى اليسر

(فاستيسر من الهدى)
فأيسر منه يقال يسر
الأمر واستيسر كما يقال
صعب واستصعب والهدى
جمع هدية يعنى فأن منعم
من المضى الى البيت وأنتم
محرمون بحج أو عمرة فعليكم
إذا أردتم التحلل ما استيسر
من الهدى من بغير أو بقرة
أو شاة فما رفع بالابتداء
أى فعليكم ما استيسر أو
نصب أى فاهدوا ما استيسر

أو مرض (فاستيسر
من الهدى) فعليكم ما استيسر
من الهدى شاة أو بقرة أو

(ولا تخلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى ﴿٢٨٥﴾ محله) الخطاب {سورة البقرة} للمحصرين أى لا تخلقوا بخلق

الرأس حتى تعلموا أن الهدى الذى بعثتموه الى الحرم بلغ محله أى مكانه الذى يجب نحره فيه وهو الحرم وهو حجة لنا فى أن دم الاحصار لا يذبح الا فى الحرم على الشافعى رحمه الله اذ عنده يجوز فى غير الحرم (فمن كان منكم مريضا) فمن كان منكم به مرض يحوجه الى الخلق (أوبه أذى من رأسه) وهو القمل أو الجراحة (فقدية) فعليه اذا حلق فدية (من صيام) ثلاثة أيام (أو صدقة) على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر (أو نسك) شاة وهو مصدر أو جمع بعير لترك الحرم (ولا تخلقوا رؤسكم) فى الحبس (حتى يبلغ الهدى) الذى تبعثون به (محله) منحره (فمن كان منكم مريضا) لا يستطيع ان يقوم مقامه فى الحبس فيرجع الى بيته قبل ان يبلغ هديه الى محله (أوبه أذى من رأسه) أو فى رأسه قمل يحلق رأسه نزلت فى كعب بن عجرة وكان فى رأسه قمل فحلق رأسه فى الحرم (فقدية من صيام) ففداؤه صيام ثلاثة أيام (أو صدقة) على ستة مساكين من أهل مكة (أو نسك) شاة يبعث بها

على يده يوم أمار فأذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ﴿ ولا تخلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله ﴾ أى لا تخلقوا حتى تعلموا أن الهدى المبعوث الى الحرم بلغ محله أى مكانه الذى يجب ان ينحرفه وحل الاولون بلوغ الهدى محله على ذبحه حيث يحل الذبح فيه حلالا كان أو حراما أو اقتصره على الهدى دليل على عدم القضاء وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدى جمع هدية كجدي وجديّة* وقرئ من الهدى جمع هدية كطى فى مطية ﴿ فمن كان منكم مريضا ﴾ مرضا يحوجه الى الخلق ﴿ أو به أذى من رأسه ﴾ كجراحة وقمل ﴿ ففدية ﴾ فعليه فدية ان حلق ﴿ من صيام أو صدقة أو نسك ﴾ بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روى انه عليه الصلاة والسلام قال لكعب بن عجرة

ومحل ذبح هدى المحصر حيث أحصر و اليه ذهب الشافعى لان النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الهدى عام الحديبية بها وذهب أبو حنيفة الى أنه يقيم على أحرامه ويبعث بهديه الى الحرم ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل فى ذلك الوقت ﴿ ولا تخلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله ﴾ أى مكانه الذى يجب أن يذبح فيه وفيه قولان أحدهما أنه الحرم فأن كان حاجا فحله يوم النحر وأن كان معتمرا فحله يوم يبلغ هديه الى الحرم وهو قول أبو حنيفة والقول الثانى محل ذبحه حيث أحصر سواء كان فى الحل أو فى الحرم ومعنى محله يعنى حيث يحل ذبحه وأكله وهو قول مالك والشافعى وأجد ويدل عليه ما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرين فحال كفار قريش دون البيت فحمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلق رأسه أخرجه البخارى ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ﴾ معناه ﴿ ولا تخلقوا رؤسكم فى حال الاحرام ألا أن تضطروا الى حلقه لمرض أو أذى وهو القمل أو الصداع ﴾ ففدية ﴿ فيه اضمحار تقديره فحلق رأسه فعليه فدية نزلت هذه الآية فى كعب بن عجرة رضى الله عنه ﴿ ق ﴾ عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أوقد تحت قدرلى والقمل يتناثر على وجهى فقال أيؤذيك هوام رأسك قال قلت نعم قال فاحلق وصم ثلاثة أيام أو أطم ستة مساكين أو أنسك نسيكة لأدرى بأى ذلك بدأ * وفى رواية قال فى نزلت هذه الآية فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك وذكر نحوه * وفى أخرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو بالحديبية قبل أن يدخل مكة وهو محرم وذكره * وفى أخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما كنت أرى أن الوجع بلغ منك ما أرى أو ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك ما أرى أتجد شاة قلت لا قال فصم ثلاثة أيام أو أطم مساكين لكل مسكين نصف صاع قال كعب فنزلت فى خاصة وهى لكم عامة ومعنى قوله تعالى ففدية ﴿ من صيام ﴾ أى صوم ثلاثة أيام ﴿ أو صدقة ﴾ يعنى أطعام ثلاثة أصوع ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع ﴿ أو نسك ﴾ واحدها نسيكة أى ذبيحة وأعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة وهذه الفدية

تسيكة (فأذا أمتم) الإحصار { الجزء الثاني } أي فإذا لم تحصروا ﴿ ٢٨٦ ﴾ وكنتم في حال أمن وسعة (فن

لعلك اذاك هوامك قال نعم يارسول الله قال احلق وصم ثلاثة ايام أو تصدق بفرق على ستة مساكين أو انسك شاة والفرق ثلاثة أصع ﴿ فأذا أمتم ﴾ الإحصار أو كنتم في حال سعة وأمن ﴿ فن تمتع بالعمرة الى الحج ﴾ فن استمتع وانفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في أشهره وقيل فن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج ﴿ فاستيسر من الهدى ﴾ فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا أحرم بالحج ولا يأكل منه وقال أبو حنيفة رجه الله تعالى انه دم نسك فهو كالأضحية ﴿ فن لم يجد ﴾ أي الهدى ﴿ فصيام ثلاثة أيام في الحج ﴾ في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال أبو حنيفة رجه الله في اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذى الحجة

على التخير أن شاء ذبح أو صام أو تصدق وكل هدى أو طعام يلزم المحرم فإنه لمساكين الحرم الأهدى المحصر فإنه يذبحه حيث أحصر واما الصوم فله ان يصوم حيث شاء ﴿ قوله تعالى ﴾ ﴿ فأذا أمتم ﴾ يعني من خوفكم وبرأتكم من مرضكم وقيل اذا أمتم من الإحصار ﴿ فن تمتع بالعمرة الى الحج ﴾ قال ابن الزبير رضى الله عنهما معناه فن احصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة فخرج من احرامه بعمل عمرة فاستمتع بأحلاله ذلك بتلك العمرة الى السنة المستقبلية ثم حج فيكون متمتعا بذلك الاحلال الى احرامه الثاني في العام المقبل وقيل معناه فأذا أمتم وقد احلتم من احرامكم بعد الاحصار ولم تعتمروا في تلك السنة ثم اعترتم في السنة القابلة في اشهر الحج ثم احلتم فاستمتعتم بأحلالكم الى الحج ثم احرمتم بالحج فعليكم ما استيسر من الهدى وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو الرجل يقدم معتمرا من أفق من الآفاق في اشهر الحج ففضى عمرته واقام بمكة حلالا حتى انشأ منها الحج فحج من عامه ذلك فيكون مستعابا للاحلال من العمرة الى احرامه بالحج ومعنى التمتع في اللغة هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة والتلذذ بما كان محظورا عليه في حال الاحرام الى احرامه بالحج ﴿ فاستيسر من الهدى ﴾ يعني فعليه ما استيسر من الهدى وهو شاة يذبحها يوم النحر فلذبح قبله بعدما أحرم بالحج أجزاء عند الشافعي كدم الجبرانات ولا يجوز ذبحه عند أبي حنيفة قبل يوم النحر كدم الأضحية ولو جوب دم التمتع خسر شرائط أحدها ان يقدم العمرة على الحج الثاني ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج الثالث ان يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة الرابع ان يحرم بالحج من مكة ولا يعود الى ميقات بلده فان رجع الى الميقات واحرم منه لم يكن متمتعا الخامس ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام فهذه الشروط معتبرة في وجوب دم التمتع ومتى فقد شئ منها لم يكن متمتعا ودم التمتع دم جبران عند الشافعي فلا يجوز ان يأكل منه وقال أبو حنيفة هو دم نسك فيعوز ان يأكل منه وقوله ﴿ فن لم يجد ﴾ يعني الهدى ﴿ فصيام ثلاثة أيام في الحج ﴾ أي فعليه صيام ثلاثة ايام في وقت اشتغاله بالحج قيل يصوم يوما قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وقيل بل المستحب أن يصوم في ايام الحج بحيث يكون في يوم عرفة مفظرا فان لم يصم قبل يوم النحر فليل يصوم أيام التشريق وبه قال لك وأجد

تمتع (استمتع) بالعمرة (الى الحج) واستمتع بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل انتفاعه بالتقرب بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى أن يحرم بالحج (فما استيسر من الهدى) هو هدى المتعة وهو نسك يؤكل منه ويذبح يوم النحر (فن لم يجد) الهدى (فصيام ثلاثة أيام في الحج) فعليه صيام ثلاثة أيام في وقت الحج وهو أشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام

الى محله (فأذا أمتم) من العدو وبرأتكم من المرض فاقضوا ما أوجب الله عليكم من حج أو عمرة من العام القابل (فن تمتع) بالطيب واللباس (بالعمرة) بعد قضاء العمرة (الى الحج) الى ان يحرم بالحج (فما استيسر من الهدى) فعليه دم المتعة ودم القران والمتعة سواء بقرة أو شاة أو بعير (فن لم يجد) فن لم يستطع ان يفعل من هذه الثلاثة شيئا (فصيام ثلاثة أيام) فليصم ثلاثة ايام متتابعات (في الحج) في عشر الحج (قوله هوامك) جمع هامة بتشديد الميم وهى صغار

الدواب غير ذوات النمل من هم بمعنى دب وفي الحديث اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة والفرق بفتح الفاء (وهو) والراء وتسكن والناف مكيال يسع ثلاثة أصع وانسك بمعنى اذبح واصع جمع صاع وهو مكيال معروف مصححه

وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وأيام والتشريق عند الأكثرين ﴿ وسبعة أذرجتم ﴾ الى أهليكم وهو أحد قولى الشافعى رضى الله تعالى عنه أو فترتم وفرغتم من أعماله وهو قوله الثانى ومذهب أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه وقرئ سبعة بالنصب عطفًا على محل ثلاثة أيام ﴿ تلك عشرة ﴾ فذلك الحساب وقائدتها ان لا يتوهم متوهم ان الواو بمعنى أو كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فأن أكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فإنه يطلق لها ﴿ كاملة ﴾ صفة مؤكدة تفيد المبالغة فى محافظة العدد أو مينة كمال العشرة فإنه أول عدد كامل اذبه تنهى الآحاد وتتم مراتبها أو مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدى ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه لانه لا تمتة ولا قران لحاضرى المسجد الحرام عنده فن فعل ذلك أى التمتع منهم فعليه دم جنابة ﴿ لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ﴾ وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا فإنه مقيم الحرم أو فى حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده وأهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك

وهو أحد قولى الشافعى وقيل بل يصوم بعد أيام التشريق وهو رواية عن أحد والقول الآخر للشافعى ﴿ وسبعة أذرجتم ﴾ يعنى وصوموا سبعة أيام اذا رجعت الى أوطانكم وأهليكم قاله ابن عباس رضى الله عنهما وبه قال الشافعى فلوصام قبل الرجوع الى أهله لم يجزئه عنده وقبل المزارد من الرجوع هو الفراغ من أعمال الحج والاخذ فى الرجوع فعلى هذا يجزئه أن يصوم السبعة أيام بعد الفراغ من أعمال الحج وقبل الرجوع الى أهله وبه قال أبو حنيفة رحمه الله ﴿ تلك عشرة كاملة ﴾ يعنى فى الثواب والاجرو وقيل كاملة فى قيامها مقام الهدى لانه قديحتمل أن يظن ظان أن الثلاثة قد قامت مقام الهدى فأعلم الله أن العشرة بكما لهاهى القائمة مقام الهدى وقيل فأئدة التكرار التوكيد كقول الفرزدق ثلاث واثنان فهن خمس * وسادسة تميل الى سهام

ولان القرآن أنزل بلفظة العرب وان العرب تكرر الشئ تريده التوكيد وقيل فأئدة ذلك الفذلكة فى علم الحساب وهو أن يعلم العدد مفصلا ثم يعلمه جملة ليمتاطبه من جهتين فكذلك قوله تعالى فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعت تلك عشرة كاملة وقيل أن العرب لما كانوا لا يعلمون الحساب وكانوا يحتاجون الى زيادة بيان وايضاح فلذلك قال تلك عشرة كاملة وقيل لفظه خبر ومعناه أمر أى أكادوها ولا تتقصوها ﴿ ذلك ﴾ أى هذا الحكم الذى تقدم ﴿ لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ﴾ قيل حاضروا المسجد الحرام هم أهل مكة وهو قول مالك وقيل هم أهل الحرم وبه قال طاوس وقال ابن جريج هم أهل عرفه والرجيع وضجبان ونخلة وقال الشافعى كل من كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر فهو من حاضرى المسجد الحرام وقيل هم من دون الميقات وقال أبو حنيفة رحمه الله حاضروا المسجد الحرام أهل الميقات والمواقيت ذوالخليفة والجحفة وقرن ويلم وذات عرق فمن كان من أهل

الحج (وسبعة أذرجتم) اذا فترتم وفرغتم من أعمال الحج (تلك عشرة كاملة) فى وقوعها بدلا عن الهدى أو فى الثواب أو المراد رفع الايام فلا يتوهم فى الواو أنها بمعنى الاباحة كما فى جالس الحسن وابن سيرين إلا ترى انه لو جالسا أو أحدا منهما كان متمشلا (ذلك) اشارة الى التمتع اذ لا تمتع ولا قران لحاضرى المسجد الحرام عندنا وعند الشافعى رحمه الله الى الحكم الذى هو وجوب الهدى أو الصيام ولم يوجب عليهم شيا (لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) هم أهل المواقيت فمن دنها

آخرها يوم عرفة (وسبعة اذا رجعت) الى أهليكم فى الطريق أو فى أهليكم (تلك عشرة كاملة) مكان الهدى (ذلك) يعنى دم المتعة (لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) لمن لم يكن أهله ومنزله فى الحرم لانه ليس على أهل

﴿ واتقوا الله ﴾ في المحافظة على أوامره ونواهيه وخصوصا في الحج ﴿ واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ لمن لم يتقّه كي يصدكم العلم به عن العصيان ﴿ الحج أشهر ﴾ أى وقته كقولك البرد شهران ﴿ معلومات ﴾ معروفات وهى شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند أبي حنيفة رضى الله تعالى عنه وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف على أن المراد بوقته وقت احرامه أو وقت اعماله ومناسكه أو مالا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فإن مالكا كره العمرة فى بقية ذى الحجة وأبو حنيفة رضى الله عنه وأن صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض شهر

هذه المواضع فادونها الى مكة فهو من حاضرى المسجد الحرام وقيل حاضروا المسجد الحرام من تلمذه الجمعة فيه ومعنى الآية ان المشار اليه فى قوله ذلك يرجع الى أقرب مذكور وهو لزوم الهدى أو بدله على التمتع وهو الآفاقى فأما المكى اذا تمتع أو قرن فلاهدى عليه ولا بدله لانه لا يجب عليه أن يحرم من الميقات فأقدمه على التمتع لاوجب خلافا فى حجه فلا يجب عليه الهدى وبدل على ذلك ما أخرجه البخارى تعليقا من حديث عكرمة قال سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن متعة الحج فقال أهل المهاجرون والانصار وأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وأهلنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا أهلالكم بالحج عمرة ألا من قلدا الهدى فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب وقال من قلدا الهدى فإنه لا يحل من شئ حتى يبلغ الهدى محله ثم أمرنا عشية التروية أن نهمل بالحج فإذا فرغنا من المناسك جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وقد تم حجتنا وعلينا الهدى كما قال تعالى فاستيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم الى أمصاركم والشاة تجزى فجمعوا بين النسكين فى عام بين الحج والعمرة فأن الله أنزله فى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأباحه للناس من غير أهل مكة قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام وفى الحديث زيادة قال الحميدى قال أبو مسعود الدمشقى هذا حديث غريب ولم أجده إلا عند مسلم بن الحجاج ولم يخرج فى صحيحه من أجل عكرمة فإنه لم يرو عنه فى صحيحه وعندى أن البخارى انما أخذه من مسلم قوله عز وجل ﴿ واتقوا الله ﴾ أى فيما فرضه عليكم ونهاكم عنه فى الحج وفى غيره ﴿ واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ يعنى لمن خالف أمره وتهاون بمجوده وارتكب مناهيه ﴿ قوله عز وجل ﴾ الحج أشهر معلومات ﴿ يعنى أشهر الحج أشهر معلومات وقيل وقت الحج أشهر معلومات وهى شوال وذو القعدة وعشر ليل من ذى الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر وبه قال عبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهم ومن التابعين الحسن وابن سيرين والشعبي وهو قول الشافعى والثورى وأبى ثور وحجة الشافعى ومن واقفه أن الحج يفوت بطلوع الفجر الثانى من يوم النحر والعبادة لاتفوت مع بقاء وقتها فدل

الى مكة (واتقوا الله) فيما أمركم به ونهاكم عنه فى الحج وغيره (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن لم يتقّه (الحج) أى وقت الحج كقولك البرد شهران (أشهر معلومات) معروفات عند الناس لايشكلن عليهم وهى شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة وقائدة توقيت الحج بهذه الاشهر ان شياً من أفعال الحج لا يصح الا فيها وكذا الاحرام عند الشافعى رحه الله وعندنا وان انعقد لكنه مكروه ووجعت أى الاشهر لبعض الثالث أو لوان اسم الجمع يشترك فيه ماوراء الواحد بدليل قوله تعالى

الحرم هدى التمتع (واتقوا الله) اخشوا الله فى ترك ما أمرتم (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن ترك ما أمر من هدى أو صوم (الحج أشهر معلومات) للحج أشهر معروفات يحرم فيها بالحج شوال وذو القعدة

أشهرها إقامة لبعض مقام الكل أو اطالاقا للجمع على ما فوق الواحد ﴿ فمن فرض
فيهن الحج ﴾ فمن أوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا أو بالتلبية أو سوق الهدى
عند أبي حنيفة رضي الله عنه وهو دليل على ما ذهب إليه الشافعي رحمه الله تعالى

على ان يوم النحر ليس من أشهر الحج وأيضا فإن الاحرام بالحج فيه لا يجوز فدل
على انه وما بعده ليس من أشهر الحج وقال ابن عباس رضي الله عنهما أشهر الحج
شوال وذو القعدة وعشرة ايام من ذى الحجة آخرها يوم النحر وبه قال ابن عمر
وعروة بن الزبير وطاوس وعطاء والنخعي وقتادة ومكحول والضحاك والسدي وأبو
حنيفة وأحمد بن حنبل وهي إحدى الروايتين عن مالك وحجة هذا القول ان يوم
النحر هو يوم الحج الاكبر ولان فيه يقع طواف الافاضة وهو تمام أركان الحج وقيل
ان أشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله وهو رواية عن ابن عمر وبه قال
الزهري وهي الرواية الاخرى عن مالك وحجة هذا القول ان الله تعالى ذكر أشهر
الحج بلفظ الجمع وأقل الجمع المطلق ثلاث ولان كل شهر كان أوله من أشهر الحج
كان آخره كذلك * فأن قلت هنا أشكال وهو أن الله تعالى قال قبل هذه الآية
يسألونك عن الالهة قل هي مواقيت للناس والحج فجعل الالهة كلها مواقيت للحج
* قلت قوله هي مواقيت للناس والحج عام وهذه الآية وهي قوله تعالى الحج أشهر
معلومات خاص واخص مقدم على العام وقيل أن الآية الاولى بجملة وهذه الآية
مفسرة لها * فان قلت انما قال الحج أشهر بلفظ الجمع وعند الشافعي أشهر الحج
شهران وعشر ليال وعند أبي حنيفة وعشرة أيام فوجه هذا * قلت أن لفظ
الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صفت قلوبكما وقيل أنه
نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا وانما رآه في ساعة منها ولا
أشكال فيه على القول الثالث وهو قول من قال ان أشهر الحج ثلاث شوال
وذو القعدة وذو الحجة بكماله ﴿ فمن فرض فيهن الحج ﴾ يعني فمن ألزم نفسه وأوجب
عليها فيهن الحج والمراد بهذا الفرض ما به يصير حاجا وهو فعل يفتله ثم اختلفوا
في ذلك الفعل فقال الشافعي ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى التلبية
ووجهه أن فرض الحج عبارة عن النية فوجب أن تكون النية كافية في انعقاد الحج
وقال أبو حنيفة رحمه الله لا يصح الشرع في الاحرام بمجرد النية حتى تنضم اليه التلبية
أوسوق الهدى ووجهه أن الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا بد من انضمام شيء
الى النية كتكبيرة الاحرام مع النية في الصلاة وفي الآية دليل على أن الاحرام بالحج
لا ينعقد إلا في أشهره وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما واليه ذهب الشافعي وأحمد
وأسمحق لان الله تعالى خص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها
لم يكن لهذا التخصيص وجه ولا فائدة وقال مالك والثوري وأبو حنيفة ينعقد
أحرامه بالحج في جميع شهور السنة ووجهه أن الاحرام الزام الحج فجاز تقديمه
على الوقت كالنذر لان الله تعالى جعل الالهة كلها مواقيت للحج بقوله هي مواقيت

فقد صفت قلوبكما (فمن
فرض) الزم على نفسه
بالاحرام (فيهن الحج) في
وعشر من ذى الحجة (فمن
فرض فيهن الحج) فمن
احرم فيهن بالحج

هذه الاشهر (فلارفت) { الجزء الثاني } هو الجماع أو ذكره ﴿ ٢٩٠ ﴾ عند النساء أو الكلام الفاحش

وان من أحرم الحج لزمه الاتمام ﴿ فلارفت ﴾ فلا جماع أو فلا فحش من الكلام ﴿ ولا فسوق ﴾ ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات ﴿ ولا جدال ﴾ ولا مرء مع الخدم والرفقة ﴿ في الحج ﴾ في أيامه نفي الثلاثة على قصد النهي للبالغة وللدلالة على انها حقيقة بأن لا تكون وما كانت منها مستحقة في نفسها ففي الحج أقبح تكليس الحرير في الصلاة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والاولين بالرفع على معنى لا يكون رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك أن قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر

للناس والحج وقد تقدم الجواب عنه وقوله تعالى ﴿ فلارفت ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما الرفث الجماع * وفي رواية عنه أن الرفث غشيان النساء والتقبيل والغمز وأن يعرض لهن بالفحش من الكلام فعلى هذا القول التلغظه في غيبة النساء لا يكون رفثا قال حصين بن قيس أخذ ابن عباس رضى الله عنهما بذنب بعيره يلويه وهو يحذو ويقول

وهن يمشين بنا هميسا * أن يصدق الطيرنك لميسا

فقلت أرفث وأنت محرم فقال أن الرفث ما قيل عند النساء * وقوله لميسا هو اسم امرأة وقيل الرفث كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه * وقوله فلارفت يحتمل أن يكون نهي عن تعاطي الجماع وأن يكون نهي عن الحديث في ذلك لانه من دواعيه وقيل الرفث هو الفحش والخنا والقول القبيح وقيل الرفث اللغو من الكلام ويبدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب ﴿ ولا فسوق ﴾ أصله الخروج عن الطاعة قال ابن عباس رضى الله عنهما هي المعاصي كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهرى والربيع والقرظى وقال ابن عمر رضى الله عنهما هو ما نهى عنه المحرم في حال الاحرام من قتل الصيد وتقليم الاظافر وأخذ الشعر وما أشبه ذلك وقيل هو السباب والتنازب باللقاب (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج ولم يرفث ولم يفسق رجح كيوم ولدته أمه ﴿ ولا جدال في الحج ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما الجدال هو المرء وهو ان يمارى الرجل صاحبه ويخاصمه حتى يفضبه وقيل هو قول الرجل الحج اليوم ويقول آخر الحج غدا وقيل هو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع وقد أحرموا بالحج اجعلوا اهللكم بالحج عمره الا من قلده الهدى قالوا كيف نجعلها عمره وقد سمينا الحج فهذا كان جدالهم وقيل هو ما كان عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذى القعدة وبعضهم في ذى الحجة وكل يقول الصواب فيما فعلته فأنزله الله ولا جدال في الحج فأخبر ان امر الحج قد استقر على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا خلاف فيه بعده وذلك معنى قول النبي صلى الله عليه

(ولا فسوق) هو المعاصي أو السباب لقوله عليه السلام سباب المؤمن فسوق أو التنازب باللقاب لقوله تعالى بئس الاسم الفسوق (ولا جدال في الحج) ولا مرء مع الرفقاء والخدم والمكاريين وانما أمر بأجتنب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لانه مع الحج أسبح تكليس الحرير في الصلاة والتطريب في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب انتفائها وانها حقيقة بأن

لا تكون وقرأ أبو عمرو ومكي الاولين بالرفع فخملاهما على معنى النهي كأنه قيل فلا يكون رفث ولا فسوق والثالث بالنصب على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج ثم حث على الخير عقيب النهي عن الشر وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة بقوله

(فلارفت) فلا جماع في الاحرام (ولا فسوق) لاسباب ولا تنازب (ولا جدال) لامرئ مع صاحبه (في الحج) في احرام الحج ويقال لاجدال

يجازيكم عليه ورد قول من نفي عنه بالجزئيات كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فنزل فيهم (وتزودوا) أي تزودوا واتقوا الاستطعام وابرأتم الناس والتثقل عليهم (فإن خير الزاد التقوى)

أي الاتقاء عن الأبرام والتثقل عليهم أو تزودوا للبعد باتقاء المحظورات فإن خير الزاد اتقاؤها (واتقون) وخافوا عقابي وهو مثل دعان (يا أولى الألباب) يا ذوى العقول يعني أن قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الألباب فكأنه لالب له ونزل في قوم زعموا أن لاجج لجال وتاجر وقالوا هؤلاء الداج وليسوا

في قضية الحج (وما تفعلوا من خير) ماتركوا من رقت وفسوق وجدال في الحرم (يعلمه الله) يقبله الله (وتزودوا يا أولى الألباب) من زاد الدنيا مقدم ومؤخر يقول تزودوا من الدنيا ماتكفون به وجوهكم عن المسئلة يا ذوى

العقول من الناس والآنوكوا على الله (فإن خير الزاد التقوى) فإن التوكل خير زاد من زاد الدنيا (واتقون) اخشوني في الحرم (يا أولى

الحرام فارتفع الخلاف بأن أسروا بأن يتقفوا أيضا بعرفة ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ حث على الخير عقيب النهى عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ وتزودوا للمعادكم التقوى فإنه خير زاد وقيل نزلت في أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فأسروا أن يتزودوا ويتقوا الأبرام في السؤال والتثقل على الناس ﴿ واتقون يا أولى الألباب ﴾ فإن قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم أمرهم بأن يكون المقصود بها هو الله تعالى فيتبرأوا من كل شيء

وسلم إلا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض وقيل معناه ولا شك في الحج انه في ذى الحجة فأبطل النسب وقيل ظاهر الآية خبر ومعناه نهى أى لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج وانما نهى عن ذلك وأمر باجتنابه في الحج وان كان اجتناب ذلك في كل الأحوال والأزمان واجبا لان الرفث والفسوق والجدال في الحج أسمج وأفظع منه في غيره ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ أى لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وهو الذى يجازيكم عليها حث الله على فعل الخير عقيب النهى عن الشر وهو ان يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة وقيل جعل فعل الخير عبارة عن ربط النفس عن الشر حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وقيل انما ذكر الخير وان كان عالما بجميع أفعال العباد من الخير والشر لفائدة وهى انه تعالى اذا علم من العبد الخير ذكره وشهره واذا علم منه الشر ستره واخفاه فإذا كان هذا فعله مع عبده في الدنيا فكيف يكون في العقب وهو أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ نزلت في أناس من أهل اليمن كانوا يخرجون للحج من غير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نخرج بيت ربنا فلا يظعننا فاذا قدموا مكة سألوا الناس وربما أفضى بهم الحال الى النهب والغصب فأنزل الله وتزودوا أى ماتتقفون به وتكفون به وجوهكم عن الناس واتقوا أبرامهم والتثقل عليهم فإن خير الزاد التقوى وقيل في معنى الآية وتزودوا من التقوى فإن الانسان لا بد له من سفر في الدنيا ولا بد فيه من زاد ويحتاج فيه الى الطعام والشراب والمركب وسفر من الدنيا الى الآخرة ولا بد فيه من زاد أيضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد أفضل من الزاد الاول فإن زاد الدنيا يوصل الى مراد النفس وشهواتها وزاد الآخرة يوصل الى النعيم المقيم في الآخرة وفي هذا المعنى قال الاعشى

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولا قيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثلته * وأنت لم ترصد كما كان أرصدا

﴿ واتقون ﴾ أى وخافوا عقابي وقيل معناه واشتغلوا بتقواى وفيه تنبيه على كمال عظمة الله جل جلاله ﴿ يا أولى الألباب ﴾ يا ذوى العقول الذين يعلمون حقائق

الألباب) نزلت هذه الآية في أناس من أهل اليمن كانوا يحجون بغير زاد فيصيبون في الطريق من أهل المنزل ظلما فنهأهم الله

سواء وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص أولى الالباب بهذا الخطاب ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا ﴾ في أن تبتغوا أى تطلبوا ﴿ فضلا من ربكم ﴾ عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة قيل كان عكاظ ومجنة وذوالحجاز أسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معاشهم منها فلما جاء الاسلام تأموا منه فنزلت ﴿ فأذا أفضتم من عرفات ﴾ دفعتم منها بكثرة من أفضت الماء اذا صيبته بكثرة وأصله أفضتم أنفسكم فحذف المفعول كاحذف في دفعت من البصرة. وعرفات جمع سمى به كاذرعات وانامون وكسر وفيه العلية والتأنيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لاتنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهب الكسرة

الامور ﴿ قوله عز وجل ﴾ ليس عليكم جناح ﴿ أى حرج ﴾ أن تبتغوا فضلا من ربكم ﴿ يعنى رزقا ونفعا وهو الربح في التجارة ﴾ (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت عكاظ ومجنة وذوالحجاز أسواقا في الجاهلية فلما كان الاسلام فكأنهم تأموا أن يتجروا في المواسم فنزلت ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج وقرأها ابن عباس رضى الله عنهما هكذا * وفي رواية أن تبتغوا في مواسم الحج فضلا من ربكم * وعكاظ سوق معروف بقرب مكة * ومجنة بفتح الميم وكسرها سوق بقرب مكة ايضا قال الازرقى هي بأسفل مكة على بريد منها وذوالحجاز سوق عند عرفة كانت العرب في الجاهلية يتجرون في هذه الاسواق ولها مواسم فكانوا يقيمون بعكاظ عشرين يوما من ذى القعدة ثم ينتقلون الى مجنة فيقيمون بها ثمانية عشر يوما عشرة أيام من آخر ذى القعدة وثمانية أيام من أول ذى الحجة ثم يخرجون الى عرفة في يوم التروية وقال الداودى مجنة عند عرفة وعن أبي أمامة التيمي قال كنت رجلا أكرى في هذا الوجه وكان الناس يقولون لى انه ليس لك حج فلقيت ابن عمر رضى الله عنهما فقلت لى يا أبا عبد الرحمن أى رجل أكرى في هذا الوجه وان أناس يقولون انه ليس لك حج فقال ابن عمر أليس تحرم وتلبى وتطوف بالبيت وتقيض من عرفات وترى الجمار فقلت بلى قال فأن لك حجما جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن مثل ما سألتنى عنه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه حتى نزلت هذه الآية ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فأرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه وقال لك حج أخرجه أبو داود والترمذى وقال بعض العلماء ان التجارة ان أوقعت نقصا في أعمال الحج لم تكن مباحة وان لم توقع نقصا فيه كانت من المباحات التى الاولى تركها لتجريد العبادة عن غيرها لان الحج بدون التجارة أفضل وأكمل ﴿ قوله عز وجل ﴾ فأذا أفضتم ﴿ أى دفعتم والاقاضة دفع بكثرة ﴿ من عرفات ﴾ جمع عرفة سميت بذلك وأن كانت بقعة واحدة لان كل موضع من تلك المواضع عرفة فسمى مجموع تلك المواضع عرفات وقيل أن اسم الموضع عرفات واسم اليوم عرفة قال عطاء كان جبريل يرى إبراهيم المناسك ويقول له عرفت فقول عرفت فسمى

بالحاج (ليس عليكم جناح أن تبتغوا) في ان تبتغوا (فضلا من ربكم) عطاء وتفضيلا وهو النفع والربح بالتجارة والكراء (فأذا أفضتم) دفعتم بكثرة من افاض الماء وهو صبه بكثرة وأصله أفضتم أنفسكم فترك ذكر المفعول (من عرفات) هى علم للموقف سمى بجمع كاذرعات وانما صرفت لان التأنيث فيها ليست للتأنيث بل هى مع الالف قبلها علامة جمع المؤنث وسميت بذلك لانها وصفت لابراهيم عليه السلام فلما رآها عرفها وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وفيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لاتكون الا بعدة

عن ذلك (ليس عليكم جناح) حرج (ان تبتغوا) تطلبوا (فضلا من ربكم) بالتجارة في الحرم نزلت في اناس كانوا لا يرون البيع والشراء في الحرم فرخص الله لهم ذلك (فأذا أفضتم من عرفات) فاذا رجعت من عرفات الى المشعر الحرام

تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك أولان التأنيث
أما أن يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها
علامة جمع المؤنث أو بناء مقدره كافي سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة
تتمعه من حيث أنها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كما ثبت وانما سمي الموقف
عرفة لانه نعت لابراهيم عليه الصلاة والسلام فلما أبصره عرفه أولان جبريل
عليه السلام كان يدور به في المشاعر فلما أراه قال عرفت أولان آدم وحواء التقيا
فيه فتعارفا أولان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء
المرتبلة الآن يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة
لا تكون الا بعدة وهي مأمور بها بقوله ثم افيضوا ومقدمة الذكر المأمور به واجبة
وفيه نظر اذا الذكر غير واجب بل مستحب وعلى تقدير أنه واجب فهو واجب مقيد

ذلك المكان عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك أن آدم لما أهبط وقع بالهند وحواء
بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات في يوم عرفة فتعارفا فسمى
اليوم عرفة والموضع عرفات وقال السدي أن ابراهيم لما أذن في الناس بالحج وأجابوه
بالتلبية وأبى من أبى أمره الله تعالى أن يخرج الى عرفات ونعتاله فخرج فلما بلغ
الشجرة استقبله الشيطان يرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوق
على الجرة الثانية فرماه وكبر فطار فوق على الجرة الثالثة فرماه وكبر فطار فلما رأى
الشيطان أنه لا يطيعه ذهب فانطلق ابراهيم حتى أتى ذا الحجاز فنظر اليه فلم
يعرفه فجازه فسمى ذا الحجاز ثم انطلق ابراهيم حتى وقع بعرفات فعرفها بالعت
فسمى الوقت عرفة والموضع عرفات حتى اذا أمسى ازدلف الى جمع فسمى ذلك
الموضع المزدلفة وفي رواية عن ابن عباس رضى الله عنه أن ابراهيم رأى ليلة التروية
في منامه أنه يؤمر بذيح ولده فلما أصبح تروى يومه أجمع أى تفكر هل هذه الرؤيا من الله تعالى أم
من الشيطان فسمى يوم التروية ثم رأى ذلك في ليلة عرفة فلما أصبح عرف ان ذلك من الله فسمى
اليوم عرفة وقيل سمي بذلك لان الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم وقيل سمي عرفة
من العرف وهو الطيب وسميت منى لما عني فيها من الدماء أى يصب فيكون فيه الفروث
والدماء فلا يكون الموضع طيبا وعرفات طاهرة عن مثل هذا فتكون طيبة * واعلم
أن الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج ولا يتم الحج إلا به ومن فاته الوقوف في وقته
فقد فاته الحج ويدخل وقت الوقوف بعرفة بزوال الشمس من يوم عرفة ويمتد الى
طلوع الفجر الثاني من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة فن وقف بعرفات
في هذا الوقت والولحظة واحدة من ليل أو نهار فقد حصل له الوقوف ويتم حجه وقاله
أحد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوعه من يوم النحر ووقت
الافاضة من عرفات بعد غروب الشمس فإذا غربت الشمس دفع من عرفات وأخر صلاة
المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بمزدلفة (ق) عن اسامة بن زيد رضى الله عنهما
قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توطأ

لا واجب مطلق حتى يجب مقدمته والامر به غير مطلق ﴿ فاذا ذكروا الله ﴾ بالتلبية والتهيل والدعاء وقيل بصلاة العشاءين ﴿ عند المشعر الحرام ﴾ جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزى عرفه ووادي محسر ويؤيد الاول ماروى جابر رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام لما صلى الفجر يعنى بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا

ولم يسبغ الوضوء فقلت الصلاة يارسول الله فقال الصلاة امامك ثم ركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم أناخ كل أنسان بعيره في منزله ثم أقيمت العشاء فصلى ولم يصل بينهما شيئا * قوله عز وجل ﴿ فاذا ذكروا الله عند المشعر الحرام ﴾ سمي مشعرا من الشعار وهى العلامة لانه من معالم الحج وأصل الحرام المنع فهو ممنوع من أن يفعل فيه مالم يؤذن فيه والمشعر الحرام هو ما بين جبلى المزدلفة من مأزى عرفه الى وادى محسر وليس المأزمان ولا وادى محسر من المشعر الحرام وقيل المشعر الحرام هو المزدلفة وسماء الله بذلك لان الصلاة والميت به والدعاء عنده من معالم الحج وقيل المشعر الحرام هو قزح وهو آخر حد المزدلفة والاول أصح وسميت المزدلفة من الازدلاف وهو الاقتراب لانها منزلة من الله تعالى وقربة وقيل لنزول الناس بهازلف الليل وقيل لاجتماع الناس بها وتسمى المزدلفة جمعا لانه يجمع فيها بين المغرب والعشاء قيل المراد بالذكر عند المشعر الحرام هو الجمع بين صلاتى المغرب والعشاء هناك ويدل عليه أن قوله فاذا ذكروا الله أمر وهو للوجوب ولا يجب هناك إلا الصلاة والذي عليه جمهور العلماء أن المراد بالذكر هو الدعاء والتلبية والتسبيح والتحميد والتهيل والتكبير ﴿ ق ﴾ عن ابن عباس رضى الله عنهما أن اسامة بن زيد كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفه الى المزدلفة ثم أردف الفضل من المزدلفة الى منى فكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جرة العقبة * عن جابر رضى الله عنه قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان واقامة ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده ولم يزل واقفا حتى اسفر جدا ودفع قبل ان تطلع الشمس هذا الحديث ذكره البغوى بغير سند ولم اجده في الاصول قال طاوس كانوا في الجاهلية يدفعون من عرفه قبل ان تقيب الشمس ومن المزدلفة بعد طلوعها وكانوا يقولون اشرق شير كيانغير فنسخ الله تعالى احكام الجاهلية فأخرا الافاضة من عرفه الى ما بعد غروب الشمس وقدم الافاضة من المزدلفة الى ما قبل طلوعها وشير جبل بمكة ومعنى قولهم اشرق شير ادخل ايها الجبل فى الشروق وهو نور الشمس وقولهم كيانغير اى ندفع للنحر يقال اغار اذا أسرع ودفع فى عدوه

(فاذا ذكروا الله) بالتلبية والتهيل والتكبير والثناء والدعوات أو بصلاة المغرب والعشاء (عند المشعر الحرام) هو قزح وهو الجبل الذى يقف عليه الامام وعليه الميمنة والمشعر المعلم لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمة وسميت المزدلفة وجمعا لان آدم عليه السلام اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها أى دنا منها أو (فاذا ذكروا الله) بالقلب واللسان (عند المشعر الحرام

لانه يجمع فيها بين الصلاتين أولان ﴿٢٩٥﴾ الناس يزدلفون الى {سورة البقرة} الله تعالى أى يتقربون

بالوقوف فيها (وأذكروه كما هداكم) مامصدرية أو كافة أى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة أو اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه ولا تعدلوا عنه (وأن كنتم من قبله) من قبل الهدى (لمن الضالين) الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان مخففة من الثقلة واللام فارقة (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) ثم لتكن أفاضتكم من حيث أفاض الناس ولا تكن من المزدلفة قالوا هذا أمر لقريش بالافاضة من عرفات الى جمع وكانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفات ويقولون نحن قطان حرمة فلا نخرج منه وقيل الافاضة من عرفات مذكورة فهي الافاضة من جمع الى منى والمراد بالناس على هذا الحس ويكون الخطاب

لانه معمل العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فإنه أفضل وألا فالزلفة كلها موقب الأواذى محسر ﴿واذكروه كما هداكم﴾ كما علمكم أو اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها ومامصدرية أو كافة ﴿وأن كنتم من قبله﴾ أى الهدى ﴿لمن الضالين﴾ الجاهلين بالايان والطاعة وان هى المخففة من الثقلة واللام هى الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله تعالى وان نظنك لمن الكاذبين ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ أى من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة وبرون ذلك ترغبا عليهم فأمروا بأن يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كافي قولك أحسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام * وقرئ الناس بالكسر أى الناسى يريد آدم من قوله سبحانه وتعالى فسى

(خ) عن عمرو بن ميمون رضى الله عنه قال قال عمر رضى الله عنه كان اهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس وكانوا يقولون اشرف نبيير فخالقهم النبي صلى الله عليه وسلم فأفاض قبل طلوع الشمس ﴿قوله عز وجل﴾ واذكروه كما هداكم ﴿أى اذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكرتم بالهداية فهذا لكم لدينه ومناسك حجه﴾ وان كنتم من قبله لمن الضالين ﴿أى لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه والهاء فى من قبله راجعة الى الهدى وقيل الى الرسول أى من قبل ارسال الرسول لمن الضالين وهو كناية عن غير مذكور وقيل يرجع الى القرآن والمعنى واذكروه كما هداكم بكتابه الذى انزله عليكم وان كنتم من قبل انزاله لمن الضالين ﴿قوله عز وجل﴾ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴿أى لتكن أفاضتكم من حيث أفاض الناس﴾ وفى المحاطين بهذا قولان * احدهما انه خطاب لقريش قال اهل التفسير كانت قريش ومن دان بدينها وهم الحس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل الله وقطان حرمة فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه ويتعاطمون أن يقفوا مع سائر الناس بعرفات وكان سائر الناس يقفون بعرفات فاذا أفاض الناس من عرفات أفاض الحس من المزدلفة فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات مع سائر الناس ثم يفيضوا منها الى جمع وأخبرهم أنه سنة إبراهيم وأسمعيل عليهما الصلاة والسلام ﴿ق﴾ عن عائشة رضى الله عنها قالت كان قريش ومن دان بدينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحس وكانت سائر العرب يقفون بعرفة فلما جاء الاسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأتى عرفات فيقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس * قولها كانوا يسمون الحس هو جمع أحس وأصله من الشدة والشجاعة وانما سميت قريش وكنانة حسا لتشدهم فى دينهم فعلى هذا القول الناس معنهم جميع العرب سوى الحس * والقول الثانى أنه خطاب لسائر المسلمين أمرهم الله أن يفيضوا من حيث أفاض إبراهيم وهو المراد بقوله من حيث أفاض الناس وقيل الناس هنا آدم وحده بدليل قراءة سعيد بن جبير ثم أفيضوا من حيث أفاض الناسى

واذكروه كما هداكم) على ما هداكم (وان كنتم) وقد كنتم (من قبله) من قبل محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والاسلام (لمن الضالين) الكافرين (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) يقول ارجعوا من حيث رجع

والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه ﴿ واستغفروا الله ﴾ من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ﴿ أن الله غفور رحيم ﴾ يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه ﴿ فإذا قضيت مناسككم ﴾ فإذا قضيت العبادات الحجية وفرغتم منها

بالباء وقال هو آدم عهد اليه فنتى ووجه هذا أن الوقوف بعرفات والافاضة منها شرع قديم وما سواه مبتدع محدث وقيل المراد من هذه الآية ان الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرى والنحر و اراد بالناس أبراهيم وأسعمل واتباعهما لانه كانت افاضتهم من المزدلفة قبل طلوع الشمس ووجه هذا القول ان الافاضة من عرفات قد تقدم ذكرها في قوله فإذا افضتم من عرفات ثم قال بعد ذلك ثم افيضوا من حيث افاض الناس فدل على ان هذه الافاضة من المزدلفة الى منى لكن القول الاول هو الاصح الذي عليه جمهور المفسرين * فأن قلت على القول الاول الذي هو قول جمهور المفسرين اشكال وهو ان ظاهر الكلام لا يقتضى ذلك لان قوله فإذا افضتم من عرفات فاذكروا الله والافاضة من عرفات قبل الافاضة من جع فكيف قال ثم افيضوا من حيث افاض الناس فكانه قال فاذا افضتم من عرفات فافيضوا من عرفات وذلك غير جائز قلت أجيب عن هذا الاشكال بأن فيه تقدما وتأخيرا وتقديره ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله أن الله غفور الرحيم ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا افضتم من عرفات فاذكروا الله فعلى هذا الترتيب يصح أن تكون هذه الافاضة تلك الافاضة بينها وقيل أن ثم في قوله ثم افيضوا بمعنى الواو أى وأفيضوا كقوله ثم كان من الذين آمنوا والافاضة الدفع (ق) عن هشام بن عروة عن أبيه قال سئل اسامة بن زيد رضى الله عنهما وأنا جالس كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في حجة الوداع قال كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق العنق بفتح العين ضرب من السير سريع وهو أشد من المشى والفجوة الفرجة وهى المتسع من الارض والنص السير السريع حتى يستخرج من الناقة اقصى وسعها (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما انه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وراءه زجرا شديدا وضربا للابل فأشار بسوطه اليهم وقال يا أيها الناس عليكم بالسكينة فأن البر ليس بالايضاع الايضاع السير السريع الشديد قوله تعالى ﴿ واستغفروا الله ﴾ أى من مخالفتكم في الموقف ولجميع ذنوبكم ﴿ أن الله غفور رحيم ﴾ يعنى ان الله هو السائر لذنوب عباده برجته والغفور يفيد المبالغة في الغفر وكذا الرحيم وفيه دليل على انه تعالى يقبل التوبة عن عباده التائبين ويغفر لهم لانه تعالى أمر المذنب بالاستغفار ثم وصف نفسه تعالى بأنه كثير الغفران كثير الرحمة فدل ذلك على انه تعالى يغفر للمستغفرين ويرحم المذنبين بمنه وكرمه ﴿ قوله عز وجل ﴿ فإذا قضيت مناسككم ﴾ أى فرغتم من حركم وعبادتكم وذبحت مناسككم أى ذبايحكم وذلك بعد رمى جرة العقبة والاستقرار

للمؤمنين (واستغفروا الله) من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم أو من تقصيركم في أعمال الحج (أن الله غفور رحيم) بكم (فإذا قضيت مناسككم) فاذا فرغتم

أهل اليمن (واستغفروا الله) لذنوبكم (أن الله غفور) لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة نزلت في أناس يقال لهم الحمسيون كانوا لا يرون الخروج من الحرم الى عرفات للحجهم فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم ان يذهبوا الى عرفات ويرجموا من معه (فإذا قضيت مناسككم) فاذا فرغتم من سنن حركم

من عباداتكم التي أمرتم بهافي ﴿٢٩٧﴾ الحج ونفرتم (فاذكروا الله {سورة البقرة} كذكرتم آباءكم) أى

فاذكروا الله ذكرا مثل
ذكرتم آباءكم والمعنى
فاكثرتم من ذكر الله
وبالوقوف فيه كما تقولون في
ذكر آباءكم ومفاخرهم
وايامهم وكانوا اذا قضاوا
مناسكهم وقفا بين المسجد
بني وبين الجبل فيعددون
فضائل آباءهم ويذكرون
محاسن ايامهم (أو أشد
ذكرا) أى اكثر وهو في
موضع جر عطف على
ما اضيف اليه الذكر في قوله
كذكرتم كما يقولون كذكر
قريش آباءهم أو قوم اشد
منهم ذكرا وذكرا تمييز
(فن الناس من يقول) فن
الذين يشهدون الحج من
يسأل الله حفظ الدنيا
فيقول (ربنا آتنا في الدنيا)
اجعل آياتنا أى اعطنا
في الدنيا خاصة يعنى الجاه

(فاذكروا الله) فقولوا
يا الله (كذكرتم آباءكم)
بآباءه ويقال اذكروا
الله بالاحسان اليكم كذكرتم
آباءكم كما ذكرتم آباءكم
في الجاهلية بالاحسان
(أو أشد ذكرا) بل اكثر
ذكرا من ذكر آباءكم
(فن الناس من يقول)
في الموقف (ربنا آتنا)
اعطنا (في الدنيا) ابلا
وبقرا وغنما وعبدا واماه

﴿ فاذكروا الله كذكرتم آباءكم ﴾ فاكثرتم ذكره وبالوقوف فيه كما تقولون بذكر
آباءكم في المناخرة وكانت العرب اذا قضاوا مناسكهم وقفوا بين المسجد والجبل
فيذكرون مفاخر آباءهم ومحاسن ايامهم ﴿ أو أشد ذكرا ﴾ اما مجرور معطوف على
الذكر يحمل الذكر ذا كرا على الجواز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكرتم آباءكم أو كذكر أشد
منه وأبلغ أو على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى أو كذكر قوم أشد منكم ذكرا واما منصوب
بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى أو كذكرتم أشد مذكورا من
آباءكم أو يحصر دل عليه المعنى تقديره أو كونوا أشد ذكرا لله منكم لا يأتكم ﴿ فن الناس
من يقول ﴾ تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب
به خيرا دارين والمراد الحث على الاكثار والارشاد اليه ﴿ ربنا آتنا في الدنيا ﴾

بمعنى ﴿ فاذكروا الله ﴾ يعنى بالتحميد والتحميد والتكبير والثناء عليه
﴿ كذكرتم آباءكم ﴾ قال أهل التفسير كانت العرب في الجاهلية اذا فرغوا من
حجهم وقفوا بين المسجد بني وبين الجبل وقيل عند البيت فيذكرون مفاخر
آباءهم وما ثرهم وفضائلهم ومحاسنهم ومناقبهم فيقول أحد هم كان أبى
كبير الجفنة رجب الفناء يقربى الضيف وكان كذا وكذا يعد مفاخره ومناقبه
ويتناشدون الاشعار في ذلك ويتكلمون بالمشور والمنظوم من الكلام الفصيح وغيرهم
الشهرة والسمة والرفعة بذكر مناقب سلفهم وآباءهم فلما من الله عليهم بالاسلام
أمرهم ان يكون ذكرا لله لا آباءهم وقال اذكرونى فأنا الذى فعلت ذلك بكم وبهم
وأحسنت اليكم واليه قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان
الصغار الآباء وذلك ان الصبي أول ما يفصح بالكلام يقول أبه أمه لا يعرف غير ذلك
فأمرهم ان يذكروه كذكر الصبيان الصغار الآباء ﴿ أو أشد ذكرا ﴾ أى بل اشد
ذكرا وقيل أى بمعنى الواو اشد ذكرا أى واكثر ذكرا للآباء لانه هو المنعم عليهم
وعلى الآباء فهو المستحق للذكر والحمد مطلقا وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن
هذه الآية قيل له قد يأتى على الرجل اليوم ولا يذكر فيه آباءه فقال ليس كذلك
ولكن أن تفضب الله عز وجل اذا عصى أشد من غضبك لو اديك اذا شتما ﴿ فن
الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا ﴾ يعنى أن المشركين كانوا يسألون الله في
حجهم الدنيا ونعيمها كانوا يقولون اللهم أعطنا ابلا وغنما وبقرا وعبيدا واماه وكان
أحدهم يقوم فيقول اللهم أن أبى كان عظيم الفنة كبير الجفنة كثير المال فأعطني مثل ما أعطيته
قال قتادة هذا عبد بنيت الدنيا لها أنفق ولها عمل ونصب (خ) عن أبى هريرة رضى
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخيصة أن
أعطى رضى وأن لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتكس * قوله
تعس عبد الدينار هذا دعاء عليه بالهلاك وهو الوقوع على الوجه من العثار والخيصة
ثوب من خبز أو صوف معلم * قوله وانتكس هذا دعاء عليه أيضا لان من انتكس

والغنى (وماله في الآخرة { الجزء الثاني } من خلاق) نصيب ﴿ ٢٩٨ ﴾ لان همه مقصور على الدنيا لكفره

اجعل ابتاءنا ومنحتنا في الدنيا ﴿ وماله في الآخرة من خلاق ﴾ أي نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا أو من طلب خلاق ﴿ ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة ﴾ يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير ﴿ وفي الآخرة حسنة ﴾ يعني الثواب والرجة ﴿ وقتنا عذاب النار ﴾ بالعمو والمغفرة وقول على رضى الله تعالى عنه الحسنه في الدنيا المرأه الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار المرأه السوء وقول الحسن الحسنه في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقتنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار أمثلة للمراد بها

على رأسه أوفى أمره فقد خاب وخسر * قوله واذا شيك هذا فعل مالم يسم فاعله تقول شاكته الشوكة اذ دخلت في جسمه والانتقاش اخراج الشوكة من الجسم وانما كان سؤال المشركين للدنيا ولم يطلبوا التوبة والمغفرة ونعيم الآخرة لانهم كانوا ينكرون البعث ﴿ وماله في الآخرة من خلاق ﴾ أي وماله في الآخرة من حظ ولا نصيب ﴿ ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار ﴾ يعني المؤمنين * واعلم أن الله تعالى قسم الداعين فريقين فريق اقتصر وفى الدعاء على طلب الدنيا وهم الكفار لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والآخرة والفريق الثاني هم المؤمنون الذين جمعوا في الدعاء بين طلب الدنيا والآخرة وذلك لان الانسان خلق ضعيفا محتاجا لاطاقة له بالآلام الدنيا ومتاعها فالاولى له أن يستعذ بالله من شرها وآلامها لانه لو اضطرب على الانسان عرق من عرقه لشوش عليه حياته في الدنيا وتعطل عن الاشتغال بطاعة الله تعالى فثبت بذلك أن طلب الدنيا في الدعاء من أمر الدين فلذلك قال الله تعالى اخبارا عن المؤمنين ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة قيل أن الحسنه في الدنيا عبارة عن الصحة والامن والكفاية والتوفيق الى الخير والنصر على الاعداء والولد الصالح والزوجة الصالحة (م) عن عبدالله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأه الصالحة وقيل الحسنه في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقيل الحسنه في الدنيا الرزق الحلال والعمل الصالح وفي الآخرة المغفرة والثواب وقيل من آتاه الله الاسلام والقرآن وأهلا ومالا فقد أوفى في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة يعني في الدنيا عافية وفي الآخرة عافية (م) عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عادر جلا من المسلمين قد خف فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعو الله بشئ أو تسأله أياه قال نعم كنت أقول اللهم ما كنت معاقبني به في الآخرة فمجله لى في الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه أفلا قلت اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار قال فدعا الله به فشفاه (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم آتنا في الدنيا حسنة

بالآخرة والمعنى أكثروا ذكر الله ودعاه لان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الاغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين أى من الذين قيل فيهم (ومهم) ومن الذين يشهدون الحج (من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة) نعمة وعافية أو علما وعبادة (وفي الآخرة حسنة) عفوا ومغفرة أو المال والجنة أو ثناء الخلق ورضا الحق أو الايمان والامان أو الاخلاص والخلاص أو السنة والجنة أو القناعة والشفاعة والمرأة الصالحة والحور العين أو العيش على سعادة والبعث من القبور على بشاره (وقنا عذاب النار) احفظنا من عذاب جهنم أو عذاب النار

ومالا (وماله في الآخرة من خلاق) من نصيب في الجنة بحجه (ومنهم من يقول ربنا آتنا) اعطنا (في الدنيا حسنة) العلم والعبادة والعصمة من الذنوب والشهادة والغنية (وفي الآخرة حسنة) الجنة ونعيمها (وقنا عذاب النار) ادفع عنا عذاب القبر

من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذى هو المنافع الحسنة أو من أجل ما كسبوا وسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب ويجوز أن يكون أولئك للفريقين أو ان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا (والله سريع الحساب) يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة أو وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الخذر من تقمته وروى انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروى في مقدار لمحمة (واذكروا الله في أيام معدودات) هى أيام التشريق وذكر الله فيها التكبير في أديار الصلوات

وعذاب النار (أولئك) أهل هذه الصفة (لهم نصيب) حظ وافر في الجنة (مما كسبوا) من جهنم (والله سريع الحساب) يقول اذا حاسب فحسابه سريع ويقال سريع الحفظ ويقال شديد العقاب لاهل الرياء (واذكروا الله)

﴿ أولئك ﴾ إشارة الى الفريق الثانى وقيل اليهما ﴿ لهم نصيب مما كسبوا ﴾ أى من جنسه وهو جزاؤه أو من أجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا أو مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال ﴿ والله سريع الحساب ﴾ يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة أعمالهم فى مقدار لمحمة أو يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات ﴿ واذكروا الله فى أيام معدودات ﴾ كبروه أديار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمى الجمار وغيرها فى أيام

وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴿ عن عبدالله بن السائب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين الركنين ربنا آتينا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أخرجه أبو داود ﴾ أولئك ﴾ إشارة الى المؤمنين الداعين بالحسنتين ووجه هذا القول ان الله ذكر حكم الفريق بكماله فقال وماله فى الآخرة من خلاق وقيل يرجع الى الفريقين ﴿ لهم ﴾ جميعا أى لكل فريق من هؤلاء ﴿ نصيب ﴾ أى حظ ﴿ مما كسبوا ﴾ يعنى من الخير والدعاء بالثواب والجزاء على الدعاء بالدنيا من جنس ما كسب ودعا ﴿ والله سريع الحساب ﴾ ذكروا فى معنى الحساب أن الله تعالى يعلم العباد بما لهم وعليهم يعنى أن الله تعالى يخلق العلوم الضرورية فى قلوبهم بمقادير أعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير ما لهم من الثواب وعليهم من العقاب وقيل أن المحاسبة عبارة عن المجازاة ويدل عليه قوله تعالى وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وقيل أن الله تعالى يكلم عباده يوم القيامة ويعرفهم أحوال أعمالهم ومالهم من الثواب والعقاب وقيل أنه تعالى اذا حاسب عباده فحسابه سريع لانه تعالى لا يحتاج الى عقديد وروية فكر وصف الله نفسه تعالى بسرعة الحساب مع كثرة الخلائق وكثرة أعمالهم ليدل بذلك على كمال قدرته لانه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولا يحتاج الى آلة ولا مادة ولا مساعد فلا جرم كان قادرا على ان يحاسب جميع الخلائق فى اقل من لمحمة البصر وروى انه تعالى يحاسب الخلائق فى قدر حلب شاة أو ناقة وقيل فى معنى كونه تعالى سريع الحساب أى سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وذلك انه تعالى يسأل السائلون فى الوقت الواحد كل واحد منهم أشياء مختلفة من أمور الدنيا والآخرة فيعطى كل واحد مطلوبه من غير ان يشغبه عليه شئ من ذلك لانه تعالى عالم بجميع أحوال عباده وأعمالهم وقيل فى معنى الآية أن أتينا القيامة قريب لان كل ما هو كائن وآت قريب لا محالته ووفيه إشارة الى المبادرة بالدعاء والذكر وسائر الطاعات وطلب الآخرة ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذكروا الله ﴿ يعنى بالتوحيد والتعظيم والتكبير فى أديار الصلوات وعند رمى الجمرات وذلك أنه يكبر مع كل حصاة من حصى الجمار فقد ورد فى الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كبر مع كل حصاة ﴿ فى أيام معدودات ﴾ يعنى أيام التشريق وهى أيام منى ورمى الجمار سميت معدودات لقاتن وهى ثلاثة أيام بعد يوم النحر أولها اليوم الحادى عشر من ذى الحجة وهو قول

بالتكبير والتهليل والتحميد (فى أيام معدودات) معلومات أيام التشريق وهى خمسة أيام يوم عرفة ويوم النحر وثلاثة أيام

التشريق ﴿ فن تجل ﴾ فن استجّل النفر ﴿ في يومين ﴾ يوم القروالذي بعده أي
فن نفر في نأى أيام التشريق بمدرى الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده
﴿ فلا أتم عليه ﴾ باستجّاله

ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم والحسن وعطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب الشافعى
وقيل أن الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده وهو قول على بن أبى طالب رضى الله عنه
ويروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أيضا وهو مذهب أبى حنيفة (م) عن نبيشة الهذلى
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام التشريق أيام أكل وشرب
وذكر الله ومن الذكر في هذه الايام التكبير (خ) عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان
يكبر بنى تلك الايام وخلف الصلوات وعلى فراشه وفي فسطاطه وفي مجلسه وفي مشاه
في تلك الايام جميعا * وفي رواية أنه كان يكبر في قبته فيسبغ مع أهل المسجد فيكبرون ويكبر
أهل الاسواق حتى ترنج منى أخرجه البخارى بغير أسناد وأجمع العلماء على أن المراد
بهذا هو التكبير عند رمى الجمار وهو أن يكبر مع كل حصة يرمى بها في جميع أيام التشريق واجموا
أيضا على أن التكبير في عيد الاضحي وفي هذه الايام في أديار الصلوات سنة واختلفوا في
وقت التكبير فقول يتدأ به من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق
فيكون التكبير على هذا القول في خمس عشرة صلاة وهو قول ابن عباس وابن عمر
رضى الله عنهم وبه قال الشافعى في أصح اقواله قال الشافعى لان الناس فيه تبع للحاج وذكر
الحاج قبل هذا الوقت هو الثانية ويأخذون في التكبير يوم النحر من صلاة الظهر
وقيل أنه يتدأ به من صلاة المغرب ليلة النحر ويحتم صلاة الصبح من آخر أيام
التشريق وهو القول الثانى للشافعى فيكون التكبير على هذا القول في ثمانية عشر
صلاة والقول الثالث للشافعى أنه يتدأ بالتكبير من صلاة الصبح يوم عرفة ويحتم به
بعد صلاة العصر من آخر أيام التشريق فيكون التكبير على هذا القول في ثلاث وعشرين
صلاة وهو قول على بن أبى طالب رضى الله عنه ومكحول وبه قال أبو يوسف ومحمد
وقال ابن مسعود يتدأ به من صبح يوم عرفة ويحتم بصلاة العصر من يوم النحر فعلى هذا
القول يكون التكبير في ثمان صلوات وبه قال أبو حنيفة وقال احمد بن حنبل اذا كان حلالا
كبر عقيب ثلاث وعشرين صلاة أولها الصبح من يوم عرفة وآخرها صلاة العصر من
آخر أيام التشريق وان كان محرما كبر عقيب سبع عشرة صلاة أولها الظهر من يوم النحر
وآخرها أيام التشريق ولفظ التكبير عند الشافعى ثلاثا نسقا لله أكبر الله أكبر الله أكبر
وهو قول سعيد بن جبير والحسن وهو قول أهل المدينة قال الشافعى وما زاد من ذكر الله
فحسن ويروى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه يكبر مرتين فيقول الله أكبر الله أكبر
وهو قول أهل العراق قوله عز وجل ﴿ فن تجل في يومين ﴾ أي فن تجل النفر
الاول وهو في الثانى من أيام التشريق ﴿ فلا أتم عليه ﴾ أي فلا حرج عليه وذلك أنه
يجب على الحاج المبيت بنى الليلة الاولى والثانية من ليلى أيام التشريق ليرى كل يوم

وعند الجمار (فن تجل) فن
عجل في النفر أو استجّل
النفر وتجل واستجّل
يحيثان مطاوعين بمعنى عجل
يقال تجل في الامر
واستجّل ومتعدين يقال
تجلل الذهاب واستجّله
والمطاوعة أوفق بقوله
ومن تأخر (في يومين)
من هذه الايام الثلاثة فلم
يمكث حتى يرمى في اليوم
الثالث واكتفى برمى الجمار
في يومين من هذه الايام
الثلاثة (فلا أتم عليه) فلا
يأتم بهذا التجليل

بعدهما (فن تجل) برجوعه
الى اهله (في يومين) بعد
يوم النحر (فلا أتم عليه)

(قوله عنده) قال في الكفاية
أى عند أبى حنيفة والمقام
مقام الاظهار مصححه

(ومن تأخر) حتى رمى في
اليوم الثالث (فلا أثم عليه
لمن اتقى) الصيد أو الرفث
والفسوق أو هو مخير في
التجمل والتأخر وان كان
التأخر أفضل فقد يقع
التخير بين الفاضل والافضل
كماخير المسافر بين الصوم
والإفطار وان كان الصوم

أفضل وقيل كان أهل
الجاهلية فريقين منهم
من جعل التجمل آثماً ومنهم
من جعل التأخر آثماً فورد
القرآن بنفي المأثم عنهما
(واتقوا الله) في جميع
الامور (واعلموا أنكم اليه
تتحشرون) حين يعثكم
من القبور كان الاخس
ابن شريق حلوا المنطق
اذالتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الأئله القول
وادعى انه يحبه وانه مسلم
وقال يعلم الله انى صادق

بتجمله (ومن تأخر) الى
اليوم الثالث (فلا أثم عليه)
بتأخره ويقال فلاعتب
عليه بتأخره يخرج مغموراً
(لمن اتقى) يقول التجمل
لمن اتقى الصيد الى اليوم
الثالث (واتقوا الله)
واخشوا الله في اخذ الصيد
الى اليوم الثالث (واعلموا
أنكم اليه تحشرون)

﴿ومن تأخر فلا أثم عليه﴾ ومن تأخر النفر حتى رمى في اليوم الثالث بعد الزوال
وقال أبو حنيفة رضى الله عنه يجوز تقديم رمية على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتجمل والتأخير
التخير بينهما والرد على أهل الجاهلية فإن منهم من أثم التجمل ومنهم من أثم
التأخر ﴿لمن اتقى﴾ أى الذى ذكر من التخير أو من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج
على الحقيقة والمتفعل به أولاً حتى لا يتضرر بترك ما يهيمه منهما ﴿واتقوا الله﴾
في مجامع أموركم ليعابكم ﴿واعلموا أنكم اليه تحشرون﴾ للجزاء بعد الاحياء وأصل
الحشر الجمع وضم المتفرق

بعد الزوال إحدى وعشرين حصاة برى عند كل جرة سبع حصيات ثم من رمى
في اليوم الثاني وأراد أن ينفر ويدع البيوتة الليلة الثالثة ورمى يومها فذلك واسع له
لقوله تعالى فمن تجمل في يومين فلا أثم عليه يعنى فلا أثم على من تجمل فنفر في اليوم
الثاني في تجمله ﴿ومن تأخر فلا أثم عليه﴾ يعنى ومن تأخر الى النفر الثاني
وهو اليوم الثالث من أيام التشريق فلا أثم عليه في تأخره * وأعلم أنه انما يجوز التجمل
لمن نفر بعد الزوال من اليوم الثاني من أيام التشريق وقبل غروب الشمس من ليلة
ذلك اليوم وأن غربت عليه الشمس وهو بمنى لزمه المبيت بها لرمى اليوم الثالث هذا
مذهب الشافعى وأكثر الفقهاء وقال أبو حنيفة يجوز له أن ينفر ما لم يطلع الفجر لانه
لم يدخل وقت الرمي بعد ورخص لرعاة الابل وأهل سقاة الحاج ترك المبيت بمعنى ليلالى
منى * فإن قلت قوله ومن تأخر فلا أثم عليه فيه أشكال وهو أن الذى أتى بأفعال
الحج كاملة تامة فقد أتى بما يلزمه فما معنى قوله فلا أثم عليه انما يخاف من الاثم
من قصر فيما يلزمه * قلت فيه أجوبة * أحدها انه تعالى لما أذن في التجمل
على سبيل الرخصة احتمل ان يخطر ببال قوم ان من لم يجر على موجب هذه
الرخصة فإنه يأثم فأزال الله تعالى هذه الشبهة وبين انه لا اثم عليه في الامرين
فإن شاء عجل وإن شاء أخره الجواب الثاني ان من الناس من كان يتجمل ومنهم من
كان يتأخر وكل فريق يصوب فعله على فعل الفريق الآخر فيبين الله تعالى ان كل واحد
من الفريقين مصيب في فعله وانه لا اثم عليه * الجواب الثالث انما قال ومن تأخر فلا
اثم عليه لمشكلة اللفظة الاولى فهو كقوله وجزاء سيئة مثلها ومعلوم ان جزاء السيئة
ليس بسيئة * الجواب الرابع ان فيه دلالة على جواز الامرين فكأنه تعالى قال
فتعجلوا أو تأخروا فلا اثم في التعجيل ولا في التأخير ﴿لمن اتقى﴾ أى ذلك التخير
ونفى الاثم للحاج المتقى وقيل لمن اتقى ان يصيب في حجه شيئاً مانهاه الله عنه من قتل صيد وغيره
مما هو محظور في الحج وقيل معناه أنه ذهب أتمه أن اتقى فيما يقى من عمره وذلك أن الحاج يرجع
مغموراً له بشرط أن لا يرتكب ما نهى عنه فيما يقى من عمره وهو قوله ﴿واتقوا الله﴾
أى في المستقبل والتقوى عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات ﴿واعلموا أنكم
اليه تحشرون﴾ أى فيجازيكم بأعمالكم وفيه حث على التقوى ﴿قوله عز وجل

نزل فيه (ومن الناس من يعجبك قوله) يروك ويعظم في قلبك ومنه الشئ العجيب الذي يعظم في النفس (في الحياة الدنيا) في تعلق بالقول أى يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لأنه يطلب بادعاء المحبة حظ الدنيا ولا يريد به الآخرة أو يعجبك أى يعجبك حلوه كلامه في الدنيا لا { الجزء الثانى } في الآخرة لما يرهقه ﴿ ٣٠٢ ﴾ في الموقف من الحبسة والكنة (ويشهد

﴿ ومن الناس من يعجبك قوله ﴾ يروك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب المتعجب منه ﴿ في الحياة الدنيا ﴾ متعلق بالقول أى ما يقوله في أمور الدنيا وأسباب المعاش أو في معنى الدنيا فأنها مراده من ادعاء المحبة وأظهار الايمان أو يعجبك أى يعجبك قوله في الدنيا حلوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة أولانه لا يؤذنه في الكلام ﴿ ويشهد الله على ما في قلبه ﴾ يحلف ويستشهد الله على أن ما في قلبه موافق لكلامه ﴿ وهو ألد الخصام ﴾ شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المحاصمة ويجوز أن يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى أشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلوه المنطق يوالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعى الاسلام وقيل في المنافقين كلهم ﴿ وأذاتولى ﴾ أدبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا ﴿ سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ﴾ كما فعله الاخنس بتقيف اذ بيتهم وأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم أو كما يفعلها لولة السوء بالقتل

﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ﴾ نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي حليف بنى زهرة واسمه أبى وانما سمي الاخنس لانه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بنى زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه أشار على بنى زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم أن محمداً ابن أختكم فأن يك كاذبا كفاكموه الناس وأن يك صادقا كنتم أسعد الناس به قالوا نعم مارأيت قال أنى سأخنس بكم فاتبعونى فخنس فسمى الاخنس بذلك وكان الاخنس حلوه الكلام حلوه المنظر وكان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجالسه ويظهر الاسلام ويقول انى لاجبك ويحلف بالله على ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدين مجلسه وكان الاخنس مناقفا فنزل فيه ومن الناس من يعجبك قوله أى يروك وتستحسنه ويعظم في قلبك في الحياة الدنيا يعنى ان حلوة كلامه فيما يتعلق بأمر الدنيا ﴿ ويشهد الله على ما في قلبه ﴾ يعنى قوله والله انى بك مؤمن ولك محب ﴿ وهو ألد الخصام ﴾ أى شديد الجدال فى الباطل وقيل هو كاذب القول وقيل هو شديد القسوة فى المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة (ق) عن عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أبغض الرجال الى الله الى الله الاله الخصم يعنى الشديد فى الخصومة ﴿ واذا تولى ﴾ أى أدبر وأعرض عنك بعد الالة المنطق وحلوة المنطق ﴿ سعى فى الارض ﴾ أى سار ومشى فى الارض ﴿ ليفسد فيها ﴾ يعنى بقطع الارحام وسفك دماء المسلمين ﴿ ويهلك الحرث والنسل ﴾ وذلك ان الاخنس بن شريق كان بينه وبين تقيف

الله على ما فى قلبه) أى يحلف ويقول الله شاهد على ما فى قلبى من محبتك ومن الاسلام (وهو ألد الخصام) شديد الجدال والعداوة للمسلمين والخصام والمحاصمة والاضافة بمعنى فى لان أفضل يضاف الى ما هو بمضه تقول زيد أفضل القوم ولا يكون الشخص بعض الحدث فتقديره ألد فى الخصومة أو الخصام جمع خصم كصعب وصعاب والتقدير وهو أشد الخصوم خصومة (واذا تولى) عنك وذهب بعد الالة القول واحلاء المنطق (سعى فى الارض ليفسد فيها) كما فعل بتقيف فإنه كان بينه وبينهم خصومة فيبتهم ليلا وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم (ويهلك الحرث والنسل) أى الزرع والحيوان أو اذا كان واليا فعل ما يفعله لولة السوء من الفساد فى الارض بأهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم بعد الموت (ومن الناس من يعجبك قوله) كلامه وحديثه وعلايته (فى الحياة الدنيا) ويشهد الله على ما فى قلبه (يحلف بالله انى احبك وانا بعبك) وهو ألد الخصام) جدل بالباطل شديد الخصومة (واذا تولى) غضب (خصومة) (سعى) مشى (فى الارض ليفسد فيها) بالمعاصى (ويهلك الحرث) الزرع والكدس بالحرق (والنسل) يهلك الحيوان

ما فى قلبه) يحلف بالله انى احبك وانا بعبك (وهو ألد الخصام) جدل بالباطل شديد الخصومة (واذا تولى) غضب (خصومة) (سعى) مشى (فى الارض ليفسد فيها) بالمعاصى (ويهلك الحرث) الزرع والكدس بالحرق (والنسل) يهلك الحيوان

حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل (والله لا يحب الفساد وإذا قيل له) للاخس (اتق الله) في الافساد والاعلاك (أخذته العزة بالاثم) جلته ﴿٣٠٣﴾ النخوة وحية الجاهلية على {سورة البقرة} الاثم الذي ينهى عنه وأزمته

ارتكابه أو الباء للسبب أى أخذته العزة من أجل الاثم الذى فى قلبه وهو الكفر (فحسبه جهنم) أى كافيته (ولبئس المهاد) أى الفراش جهنم ونزل فى صهيب حين أراد المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فاشترى نفسه بماله منهم وأتى المدينة أوفين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل (ومن الناس من يشرى) يبيعها (نفسه ابتغاء) لابتغاء (مرضات الله)

بالقتل (والله لا يحب الفساد) والمفسد (وإذا قيل له اتق الله) فى صنعك (أخذته العزة بالاثم) الحمية بالتكبر (فحسبه جهنم) مصيره الى جهنم (ولبئس المهاد) الفراش والمصير نزلت هذه الآية فى اخنس بن شريق وكان حسن المنظر حلوا المنطق وكان يعجب النبي صلى الله عليه وسلم كلامه بأنى احبك وابايعك فى السر ويحلف بالله على ذلك وكان منافقا زعموا انه احرق كدس قوم وقتل جار القوم (ومن الناس من يشترى

والاثم) أو بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل ﴿والله لا يحب الفساد﴾ لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه ﴿وأذ قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم﴾ جلته الانفة وحية الجاهلية على الاثم الذى يؤمر باتقائه لجاحا من قولك أخذته بكذا اذا جلته عليه والزمته آياه ﴿فحسبه جهنم﴾ كفته جزاء وعذابا * وجهنم علم لدار العقاب وهى فى الاصل مرادف للنار وقيل معرب ﴿ولبئس المهاد﴾ جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به * والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب ﴿ومن الناس من يشترى نفسه﴾ يبيعها أى يبذلها فى الجهاد أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ﴿ابتغاء مرضات الله﴾ طلبا لرضاه قيل أنها نزلت فى صهيب بن سنان الرومى رضى الله عنه أخذ المشركون وعذوبه ليرتد فقال أنى شيخ كبير لا ينفعكم أن كنت معكم ولا يضركم أن كنت عليكم فخلونى وما أنا

خصومة فيتم ليلا فأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم وقيل خرج الى الطائف مقتضيا دينا كان له على غريم فأحرق له كدسا وعقرله أنانا وقيل معناه اذا تولى أى صار واليا وملك الامر سعى فى الارض ليفسد فيها يعنى بالظلم والعدوان كما يفعله ولاية السوء والظلمة وقيل يظهر ظلمه حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل بسبب منع المطر وقيل أن الآية عامة فى حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات المذكورة ولا يتنع ان تنزل فى رجل واحد ثم تكون عامة فى حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات ﴿والله لا يحب الفساد﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما لا يرضى بالمعاصى واحتجت المعتزلة بهذه الآية على أن المحبة عبارة عن الارادة وأجيب عنه بأن الارادة معنى غير المحبة فأن الانسان قد يريد شيا ولا يحبه وذلك لانه قد يتناول الدواء المر ولا يحبه قبان الفرق بين الارادة والمحبة وقيل أن المحبة مدح الشئ وتعظيمه والارادة بخلاف ذلك ﴿وأذ قيل له اتق الله﴾ أى خف الله فى شرك وعلايتك ﴿أخذته العزة بالاثم﴾ أى جلته العزة وحية الجاهلية على فعل الاثم وقيل بأن يعمل الاثم وهو الظلم وترك الاتفات الى الوعظ وعدم الاصغاء اليه وأصل العزة المنعة والتكبر ﴿فحسبه جهنم﴾ أى كافيته جهنم جزاء وعذابا * وجهنم اسم من أسماء النار التى يعذب بها الكفار فى الآخرة وقيل هى اسم أعجمى وقيل بل هى عربى سميت النار بذلك لبعدها قعرها ﴿ولبئس المهاد﴾ أى الفراش والمهاد التوطئة أيضا والمعنى أن العذاب بالنار يجعل تحته وفوقه قال ابن مسعود رضى الله عنه ان من أكبر الذنوب عند الله ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وروى انه قيل لعمر اتق الله فوضع خده على الارض تواضعا لله تعالى ﴿قوله عز وجل﴾ ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضات الله ﴿قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الآية فى سرية الرجيع وكانت بعد أحد (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن

(نفسه) بماله (ابتغاء مرضات الله) طلب رضا الله نزلت فى صهيب بن سنان وأصحابه اشترى نفسه بماله من أهل مكة

الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتفوا آثارهم حتى أنوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا أثرهم حتى لحقوهم فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجؤا الى فدند وجاء القوم فاحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ان لا نقتل منكم رجلا فقال عاصم أما أنا فلا انزل في ذمة كافر اللهم أخبر عنا رسولك فقاتلوهم فرموهم حتى قتلوا عاصما في سبعة نفر بالنبل وبقى خبيب وزيد ورجل آخر فاعطوهم العهد والميثاق فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا اليهم فلما استمكنوا منهم حلوا اوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذي معهم هذا أول الغدر فأبى ان يصحبهم فحجروه وعالجوه على ان يصحبهم فإيفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشتري خبيبا بنو الحرث ابن عامر بن نوفل وكان خبيب هو الذي قتل الحرث يوم بدر فكث عندهم أسيرا حتى اذا اجتمعوا على قتله استعار موسى من بعض بنات الحرث ليستجد بها فأعارته قالت ففعلت عن صبي لي فدرج اليه حتى أتاه فوضعه على فخذه فلما رأته فرزعت فرزعة عرف ذلك منى وفي يده الموسى فقال أتخشين منى ان اقتله ما كنت لافعل ذلك ان شاء الله تعالى وكانت تقول ما رأيت اسيرا قط خيرا من خبيب لقد رأيت ياكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ تمره وأنه لموثق في الحديد وما كان الارزقا رزقه الله خبيبا فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال دعوني أصلى ركعتين فصلى ركعتين ثم انصرف فقال لولا ترون أن ما بي جزع من الموت لزدت فكان أول من سن ركعتين عند القتل وقال اللهم أحصهم عددا وقال

فلمست أبالي حين أقتل مسلما * على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الاله وأن يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام اليه عقبة بن الحرث فقتله وبعث قريش الى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده بعد موته وكان قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فختمته من رسلهم فإيقدروا منه على شيء * زاد في رواية وأخبر يعنى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم أصيبوا خبرهم * الفدند الموضع الذي فيه غلظ وارتفاع * وقوله عالجوه أي مارسوه وأراد به انهم يخدعونه ليتبعهم فأبى * وقوله ليستجد الاستجداد حلق العانة * والقطف العنقود من العنب * قوله على أوصال شلو الشلو العضو من أعضاء الانسان والمزع المفرق والظلة الشيء الذي يظل من فوق الانسان * والدبر جماعة الخمل والزناير * وقال أهل التفسير أن كفار قريش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة انا قد أسلمنا تابعث الينا نقر من علماء أصحابك يعلمون دينك وكان ذلك مكرامهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب بن عدى الانصارى ومرشد بن أبي مرشد القنوي وخالد بن بكر وعبدالله بن طارق بن شهاب البلوى وزيد بن الدثنة وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي أفلح الانصارى رضى الله عنهم وذكر =

عن حديث البخاري وزاد عليه فقالوا نصلب خبيبا حيا فقال اللهم انك تعلم انه ليس لي أحد حولي يبلغ سلامي رسولك فأبلغه سلامي فقام اليه أبو سرة وعقبه بن الحرث فقتله ويقال كان رجل من المشركين يقال له أبو ميسرة سلامان معه رمح فوضعه بين يدي خبيب فقال له خبيب اتق الله فإزاده ذلك الاعتوا فطعنه فأنفذه فذلك قوله تعالى وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم يعني سلامان هو أما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية ابن خلف فبعثه مع مولاه يسمى بنسطاس الى التميم ليقتله في الحل واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل أنشدك الله يا زيد أتحب محمداً الآن مكانك يضرب عنقه وانك في أهلك فقال زيد والله ما أحب ان محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانا جالس في أهلي فقال أبو سفيان ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً ثم قتله بنسطاس فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لأصحابه أيكم ينزل خبيبا عن خشبته وله الجنة فقال الزبير أنا يا رسول الله وصاحب المقداد بن الاسود فخرجوا يمشيان الليل ويكتمان النهار حتى أتيا التميم ليلا فاذا حول الخشبة أربعون من المشركين نشاوى وهم نيام فانزلاه عن خشبته فاذا هو رطب يتنى ولم يتغير منه شيء بعد أربعين يوما ويده على جراحته وهي تبض دما اللون لون الدم والريح ريح المسك فحمله الزبير على فرسه وسار فاتبه الكفار وقد فقدوا خبيبا فأخبروا قريشا فركب معهم سبعون فارسا فلما لحقوهم قذف الزبير خبيبا فابتلعت الارض فسمى بليغ الارض وقال الزبير ما أجرأكم علينا يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن رأسه وقال انا الزبير بن العوام وامى صفة بنت عبد المطلب وصاحب المقداد بن الاسود أسدان ضاريان يدفعا عن أشبالهما فان شتمنا ضلتكم وان شتمنا نزلتكم وان شتمنا انصرتكم فانصرفوا الى مكة وقدم الزبير وصاحبه المقداد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده فقال يا محمد ان الملائكة لتباهي بهذين من أصحابك ونزل في الزبير والمقداد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله حين شريا انفسهما بانزال خبيب عن خشبته وقال اكثر المفسرين نزلت في صهيب بن سنان الرومي وانما نسب الى الروم لان منازلهم كانت بارض الموصل فاغارت الروم على تلك الناحية فسبوه وهو غلام صغير فنشأ بالروم وانما كان من العرب ابن النمر بن قاسط قال سعيد بن المسيب وعطاء اقبل صهيب مهاجرا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونزل ما كان في كنانته وقال والله لا اتصلوا الي أو أرمى بكل سهم معي ثم أضرب بسيفي ما يبق في يدي وان شتمت دللتكم على مال دفنته بمكة وخليتم سبيلي فقالوا نعم ففضل فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع أبا يحيى وتلا عليه هذه الآية وقال الحسن أندرون فيما نزلت هذه الآية نزلت في المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لا اله الا الله فيأبى أن يقولها فيقول المسلم والله

عليه وخذوا مالي فقبلوه منه وأتى المدينة ﴿ والله رؤف بالعباد ﴾ حيث أرشدهم الى مثل هذا الشراء وكلفهم بالجهد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾ السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون * وكافة اسم للجمله لانها تكلف الاجزاء عن التفرق حال من الضمير أو السلم لانها تؤنث كالحرب قل السلم تأخذ منها مارضيت به * والحرب يكفيك من أنفسها جرع والمعنى استسلموا لله وأطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمناققين أو ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخطوا به غيره والخطاب لمؤمني أهل الكتاب فأنهم بعد أسلامهم عظموا السبب وحرموا الابل وألبانها أو في شرائع الله كلها بالإيمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لأهل الكتاب أو في شعب الاسلام وأحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب

لأشربن نفسى لله فقدم فقتل وحده حتى قتل وقيل نزلت هذه الآية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ابن عباس رضى الله عنهما أرى من يشترى نفسه ابتغاء مرضات الله يقوم فيأمر هذا بتقوى الله فاذالم يقبل وأخذته العزة بالاثم قال وأنا أشترى نفسى لله فقاتله وكان على كرم الله وجهه اذا قرأ هذه الآية يقول اقتلا ورب الكعبة وسمع عمر رضى الله عنه راجعونا اليه راجعون قام رجل فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فقتل فقال عمر ان الله وانا اليه راجعون قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعظم الجهاد * عن أبي سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * وأما تفسير الآية فذكر المفسرون ان المراد بهذا الشراء البيع ومنه قوله وشروه بثمن أى باعوه والمعنى ان المسلم باع نفسه بثواب الله تعالى في الدار الآخرة وهذا البيع هو أن يبذل نفسه في طاعة الله من صلاة وصيام وحج وجهاد وأمر بمعروف ونهى عن المنكر فكان ما يبذله من نفسه كالساعة فصار كالبائع والله تعالى المشتري والتمن هو ثواب الله تعالى في الآخرة ابتغاء مرضات الله أى طلب رضا الله ﴿ والله رؤف بالعباد ﴾ أى من رافة الله بعباده ان جعل النعيم الدائم في الجنة جزاء على العمل القليل المنقطع ومن رافته أنه يقبل توبة عبده ومن رافته ان نفس العباد وأموالهم له ثم انه تعالى يشتري ملكه بملكه فضلا منه ورجة واحسانا * قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾ نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه وذلك لما أسلموا أقاموا على تعظيم شرائع موسى فعظموا السبب وكرهوا لحوم الابل وألبانها وقالوا أن ترك هذه الاشياء مباح في الاسلام وواجب في التوراة وقالوا أيضا يارسول الله أن التوراة كتاب الله دعنا فننتم به في صلاتنا بالليل فأنزل الله هذه الآية وأمرهم أن يدخلوا في السلم أى في شرائع الاسلام ولا يمتسكوا بالتوراة فانها منسوخة والمعنى استسلموا لله وأطيعوه فيما أمركم به وقيل هو خطاب لمن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل

والله رؤف بالعباد) حيث أنابهم على ذلك (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم) وبقبح السنين حجازى وعلى وهو الاستسلام والطاعة أى استسلموا لله وأطيعوه أو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتبهم أو للمناققين لانهم آمنوا بألسنتهم (كافة) لا يخرج أحد منكم يده عن طاعته حال من الضمير في ادخلوا أى جميعا أو من السلم لانها تؤنث كأنهم أسروا أن يدخلوا في الطاعات كلها أو في شعب الاسلام وشرائعه كلها وكافة من الكف كأنهم كفوا ان يخرج منهم أحد باجتماعهم

(والله رؤف بالعباد) الذين قتلوا بمكة نزلت في أبوي عمار بن ياسر وسمية وغيرهم قتلهم مشركوا اهل مكة (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) في شرائع دين محمد صلى الله عليه وسلم جميعا

(ولا تتبعوا خطوات الشيطان) وسأوسه ﴿٣٠٧﴾ (أنه لكم عدو مبين) {سورة البقرة} ظاهر العداوة (فإن زلتم) ملتم

عن الدخول في السلم (من)
بعد ما جاء تكلم الينبات) أى
الحجج الواضحة والشواهد
اللائحة على ان ادعيتم الى
الدخول فيه هو الحق
(فاعلموا أن الله عزيز)
غالب لا يمنع شئ من
عذابكم (حكيم) لا يعذب
الاجح وروى ان قارئا
قرأ غفور رحيم فسمعه
اعرابي لم يقرأ القرآن
فانكره وقال ليس هذا
من كلام الله اذ الحكيم
لا يذكر الغفران عند الزلل
والعصيان لانه اغراء عليه
(هل ينظرون) ما ينتظرون
(الا أن يأتيهم الله) أى
أمر الله وبأسه كقوله أو
يأتى أمر ربك فجاءها بأسنا
والمأتى به محذوف بمعنى
ان يأتيهم الله بأسه للدلالة
عليه بقوله أن الله عزيز

(ولا تتبعوا خطوات الشيطان)
تزيين الشيطان في تحريم
السبت ولحم الجمل وغير
ذلك (أنه لكم عدو مبين)
ظاهر العداوة (فإن زلتم)
ملتم عن شرائع دين محمد
صلى الله عليه وسلم (من)
بعد ما جاء تكلم الينبات)
بيان ما في كتابكم (فاعلموا
أن الله عزيز) بالنقمة
لمن لا يتابع رسوله (حكيم)
في نسخ شرائع الاول نزلت

للمسلمين ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ بالفرق والتفريق ﴿أنه لكم عدو مبين﴾
ظاهر العداوة ﴿فإن زلتم﴾ عن الدخول في السلم ﴿من بعد ما جاء تكلم الينبات﴾
الآيات والحجج الشاهدة على انه الحق ﴿فاعلموا أن الله عزيز﴾ لا يجزه الانتقام
﴿حكيم﴾ لا يتقم الأبحق ﴿هل ينظرون﴾ استفهام في معنى النفي ولذلك جاء
بعده ﴿ألا أن يأتيهم الله﴾ أى يأتيهم أمره وأبسه كقوله تعالى أو يأتي أمر ربك فجاءها

الكتاب والمعنى يأبها الذين آمنوا بموسى وعيسى ادخلوا في السلم كافة أى في الاسلام
﴿وروى جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتاه عمر رضى الله
عنه فقال انا نسمع أحاديث من يهود وتعجبنا فترى ان نكتب بعضها فقال صلى الله
عليه وسلم أتتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو أن
موسى حى ما وسعه الا تابعى * قوله أتتهوكون أى تخيرون أتم في دينكم حتى تأخذوه
من اليهود والنصارى * وقوله لقد جئتكم بها يعنى بالملة الحنفية بيضاء نقية أى لا تحتاج
الى شئ * وقيل يحتمل أن يكون خطابا للنافقين من المؤمنين والمعنى يأبها الذين
آمنا بالسلم ادخلوا في السلم أى الانقياد والطاعة لان أصل السلم الاستسلام
وهو الانقياد كافة أى بأجمعكم ولا تفرقوا وقيل يحتمل ان يرجع الى الاسلام والمعنى
ادخلوا في أحكام الاسلام وشرائعه كافة وهذا المعنى أليق بظاهر التفسير لانهم
أسروا بالقياس بها كلها قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية للاسلام ثمانية
أسهم فعل الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر قال وقد خاب من لاسهم له ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ يعنى
آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغير ذلك وقيل ولاتلتفتوا الى
الشبهات التى يلقبها اليكم أصحاب الضلالة والنعوية والاهواء المضلة لان من اتبع سنة
أنسان فقد تبع أثره ﴿أنه لكم عدو مبين﴾ يعنى الشيطان * فأن قلت عداوته بايصال
الضرر وألقاء الوسوسة فكيف يصح ذلك مع الاعتقاد بأن الله هو الفاعل لجميع الاشياء
* قلت أنه يحاول ايصال الضرر والبلاء النساء ولكن الله منعه عن ذلك وأما معنى
الوسوسة فمعلوم أنه يزين المعاصى وألقاء الشبهات وكل سبب لوقوع الانسان في مخالفة
الله تعالى فيصده بذلك عن الثواب فهذا من أعظم جهات العداوة * فأن قلت كيف
يصح وصف الشيطان بأنه مبين مع اننا نراه * قلت ان الله تعالى بين عداوته ما هى
فكانه بين وأن لم يشاهد ﴿فإن زلتم﴾ أى ملتم وذلتم وقال ابن عباس رضى الله
عنها أشركتم ﴿من بعد ما جاء تكلم الينبات﴾ أى الدلالات الواضحات ﴿فاعلموا أن الله
عزيز﴾ أى في قتمته من خالفه غالب لا يجزه شئ ﴿حكيم﴾ يعنى أنه لا يتقم الا
بحق والحكيم ذوا الصابة في الامور كلها وفي الآية وعيد وتهديد لمن في قلبه شك
ونفاق أو عنده شبهة في الدين * قوله عز وجل ﴿هل ينظرون﴾ أى ينظرون
التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان ﴿ألا أن يأتيهم الله

في عبد الله بن سلام وأصحابه لكرهتهم السبت ولحم الجمل وغير ذلك (هل ينظرون) هل ينتظرون أهل مكة (ألا أن يأتيهم الله) بلا

بأسنا أو يأتيهم الله ببأسه فحذف المأني به للدلالة عليه بقوله تعالى أن الله عزيز حكيم ﴿ في ظلل ﴾ جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما أظلك * وقرئ ظلال كقلال ﴿ من الغمام ﴾ السحاب الأبيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحة فإذا جاء منه العذاب كان أفظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان أصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير ﴿ والملائكة ﴾ فأنهم الواسطة في أتيان أمره أو الآتون

في ظلل جمع ظلة ﴿ من الغمام ﴾ يعني السحاب الأبيض الرقيق سمي غماما لانه يغم ويستبر ويقبل هو شئ غير السحاب ولم يكن الابنئ اسرائيل في تيههم وهو كهيئة الضباب الأبيض ﴿ والملائكة ﴾ أي وتأتيهم الملائكة * وروى الطبرى في تفسيره بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من الغمام طاقات يأتي الله عزوجل فيها محفوقا وذلك قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الامر قال عكرمة والملائكة حوله وقيل معناه حول الغمام وقيل حول الرب تبارك وتعالى * واعلم أن هذه الآية من آيات الصفات وللعلماء في آيات الصفات وأحاديث الصفات مذهبان * أحدهما وهو مذهب سلف هذه الامة واعلام أهل السنة الايمان والتسليم لما جاء في آيات الصفات وأحاديث الصفات وانه يجب علينا الايمان بظاهرها ونؤمن بها كاجاءت ونكل علمها الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم مع الايمان والاعتقاد بان الله تعالى منزه عن سمات الحدوث وعن الحركة والسكون قال الكلبي هذا من الذى لا يفسر وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه فى كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لاحد أن يفسره الا الله ورسوله وكان الزهرى والاوزاعى ومالك وابن المبارك وسفيان الثورى والليث ابن سعد وأجد بن حنبل وأسحق بن راهويه يقولون فى هذه الآية وأمثالها اقرؤها كاجاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل هذا مذهب أهل السنة ومعتقد سلف الامة وأنشد بعضهم فى المعنى

عقيدتنا أن ليس مثل صفاته * ولا ذاته شئ عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات بأسرها * وأخبارها للظاهر المتقارب
ونؤيس عنها كنه فهم عقولنا * وتأويلنا فعل الليب المغالب
ونركب للتسليم سفنا فانها * لتسليم دين المرء خير المراكب

* المذهب الثانى وهو قول جمهور علماء المتكلمين وذلك أنه أجمع جميع المتكلمين من العقلاء والمعتبرين من أصحاب النظر على أنه تعالى منزه عن المجي * والذهاب ويدل على ذلك أن كل ما يصح عليه المجي * والذهاب لا ينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث والله تعالى منزه عن ذلك فيستحيل ذلك فى حقه تعالى فثبت بذلك أن ظاهر الآية ليس مرادا فلا بد من التأويل على سبيل التفصيل فعلى هذا قيل فى معنى الآية هل ينظرون الا أن يأتيهم الله بالآيات فيكون مجي الآيات مجيئ الله

(فى ظلل) جمع ظلة وهى ما أظلك (من الغمام) السحاب وهو للتحويل اذا الغمام مظنة الرحة فاذا أنزل منه العذاب كان الامر أفظع وأهول (والملائكة) أى وتأتى الملائكة الذين وكلوا بتعذيبهم أو المراد حضورهم

كيف يوم القيامة (فى ظلل من الغمام والملائكة)

يوم القيامة (وقضى الامر) أي ﴿ ٣٠٩ ﴾ وتم أمر أهلاكهم وفرغ منه ﴿سورة البقرة﴾ (والى الله ترجع الامور) أي

انه ملك العباد بعض الامور
فترجع اليه الامور يوم
التشور ترجع الامور
حيث كان شامى وحزة
وعلى (سل) أصله اسأل
فنقلت فتحة الهمة الى
السين بعد حذفها
واستغنى عن همزة الوصل
فصار سل وهو أمر
للرسول أو لكل أحد وهو
سؤال تقرير كايستل
الكفرة يوم القيامة (بنى
اسرائيل كم آتيناهم من
آية بينة) على أيدي
أنبيائهم وهي معجزاتهم
أو من آية في الكتب شاهدة
على صحة دين الاسلام وكم
استفهامية أو خبرية (ومن
يبدل نعمة الله) هي آياته
وهي أجل نعمة من الله
لأنها أسباب الهدى والنجاة
من الضلالة وتبديلهم أيها
أن الله أظهرها لتكون
مقدم ومؤخر (وقضى
الامر) فرغ من الامر
ادخل أهل الجنة الجنة
وأهل النار النار (والى
الله ترجع الامور) عواقب
الامور في الآخرة (سل
بنى اسرائيل) قل لاولاد
يعقوب (كم آتيناهم من
آية بينة) كم من مرة
كلمناهم بالامر والنهى
واكر مناهم بالدين في

على الحقيقة بأسه * وقرئ بالجرج عظفا على ظلل أو النعم * وقضى الامر *
أتم أمر أهلاكهم وفرغ منه وضع الماضى موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه
* وقرئ وقضاء الامر عطف على الملائكة * والى الله ترجع الامور * قرأ ابن كثير
ونافع وأبو عمرو وعاصم على البناء للمفعول على أنه من الرجوع * وقرأ الباقون على
البناء لتفاعل بالتأنيث غير يعقوب على انه من الرجوع * وقرأ أيضا بالتذكير
وبناء المفعول * سل بنى اسرائيل * أمر للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد
والمراد بهذا السؤال تقريرهم * كم آتيناهم من آية بينة * معجزة ظاهرة أو آية
في الكتب شاهدة على الحق والصواب على أيدي الانبياء وكم خبرية أو استفهامية
مقررة ومحلها النصب على المفعولية أو الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر الى
الابتداء وآية يميزها ومن للفصل * ومن يبدل نعمة الله * أى آيات الله فأنها سبب

تعالى على سبيل التفضيم لشأن الآيات وقيل معناه الأأن يأتيهم أمر الله * ووجه هذا
التأويل أن الله تعالى فسره في آية أخرى فقال هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة
أو يأتي أمر ربك فصار هذا الحكم مفسرا لهذا الجمل في هذه الآية وقيل معناه
يأتيهم الله بما أوعدهم من الحساب والعقاب فحذف ما يأتي به تهويلا عليهم اذ لو ذكر
ما يأتي به كان أسهل عليهم في باب الوعيد اذا لم يذكر كان أبلغ وقيل يحتمل ان تكون
الفاء بمعنى الباء لان بعض الحروف يقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون الا
ان يأتيهم الله بظلل من النعمام والملائكة والمراد العذاب الذى يأتي من النعمام مع
الملائكة وقيل معناه ما ينظرون الا ان يأتيهم قهر الله وعذابه في ظلل من النعمام * فان
قلت لم كان آتيان العذاب في النعمام * قلت لان النعمام مظنة الرحمة ومنه ينزل المطر
فأذا نزل منه العذاب كان أعظم وأفظع وقيل ان نزول النعمام علامة لظهور القيامة
وأهو الها * وقضى الامر * أى وجب العذاب وفرغ من الحساب وذلك فصل الله
القضاء بين العباد يوم القيامة * والى الله ترجع الامور * أى الى الله تصير أمور
العباد في الآخرة. فان قلت هل كانت ترجع الى غيره * قلت ان أمور جميع العباد
ترجع اليه في الدنيا والآخرة ولكن المراد من هذا اعلام الخلق انه المجازى على الاعمال
بالثواب والعقاب * وجواب آخر وهو انه لما عبد قوم غيره في الدنيا اضافوا أفعالهم الى
سواه ثم فإذا كان يوم القيامة انكشف الغطاء ودوا الى الله ما اضافوه الى غيره في الدنيا
* قوله عز وجل * سل بنى اسرائيل * الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يسأل
يهود المدينة وليس المراد بهذا السؤال العلم بالآيات لانه كان صلى الله عليه وسلم قد علمها بأعلام
الله أيهاه ولكن المراد بهذا السؤال التقرير والتوبيخ والمبالغة في الزجر عن الاعراض عن
دلائل الله وترك الشكر وقيل المراد بهذا السؤال التقرير وتذكير النعم التي أنعم بها على
سلفهم * كم آتيناهم من آية بينة * أى من دلالة واضحة على نبوة موسى عليه الصلاة
والسلام مثل العصا واليد البيضاء وقلق البحر وانزال المن والسلوى * ومن يبدل نعمة الله

زمان موسى فبدلوا ذلك بالكفر (ومن يبدل نعمة الله) من يغير دين الله وكتابه بالكفر

الهدى الذى هو أجل النعم يجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس أو بالتحريف والتأويل الزائغ ﴿ من بعدما جاءت ﴾ من بعدما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بأنهم بدلوها بعدما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل ﴿ فأن الله شديد العقاب ﴾ فيعاقبه أشد عقوبة لانه أرتكب أشد جريمة ﴿ زين للذين كفروا الحياة الدنيا ﴾ حسنت في أعينهم وأشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها وأعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ مان من شئ الأوهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلقه الله فيها من الامور البهيمية والاشياء الشهوية مزين بالعرض ﴿ ويسخرون من الذين آمنوا ﴾ يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب أى ويستزدلونهم يستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبي ومن للابتداء كأنهم جعلوا مبدأ السخرية

من بعدما جاءت ﴿ يعنى يغير الآيات التى جاءت من الله لانها هى سبب الهدى والنجاة من الضلالة وقيل هى حجج الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنهم انكروها وبدلوها وقيل المراد بنعم الله عنده الذى عهد اليهم فلم يفوا به ﴿ فأن الله شديد العقاب ﴾ يعنى لمن بدل نعمته الله ﴿ قوله عز وجل ﴾ زين للذين كفروا الحياة الدنيا ﴿ نزلت فى مشركى العرب أبى جهل وأصحابه لانهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم فى الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد وقيل نزلت فى المنافقين عبد الله بن أبى وأصحابه وقيل نزلت فى رؤساء اليهود ويحتمل انها نزلت فى الكل والمزين هو الله تعالى بدليل قراءة من قرأ زين بفتح الزاى وذلك انه لا يتمتع ان يكون الله تعالى هو المزين لهم بما أظهره فى الدنيا من الزهرة والضارة والطيب واللذة وخلق الاشياء الجميلة والمناظر الحسنة وانما فعل ذلك ابتلاء لعباده وذلك انه جعل دار الدنيا دار ابتلاء وامتحان وركب فى الطباع الميل الى اللذات وحب الشهوات لاعلى سبيل الاجاء والقسر الذى لا يمكن تركه بل على سبيل التجب الذى تميل النفس اليه مع امكان ردها عنه فنظر الخلق الى الدنيا اكثر من قدرها فأعجبهم حسناتها وزهرتها وزينتها فأحبوها وفتنوا بها وقيل أن المراد من التزين انه تعالى أمهلهم فى الدنيا حتى اقبلوا عليها واحبوها فكان هذا الامهال هو التزين وقيل ان المزين هو الشيطان وغواية الجن والانس وذلك انهم زينوا للكفار الحرص على الدنيا وطلبها وقبحوا لهم أمر الآخرة وقيل أو هم وهم ان لا آخرة ليقبلوا على لذات الدنيا وطلب الحرص عليها وهذا التأويل ضعيف لان قوله تعالى زين للذين كفروا يتناول جميع الكفار فيدخل فيه الشيطان وغواية الجن والانس وأن كلهم مزين لهم وهذا المزين لا بد وأن يكون مغايرا لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة ﴿ ويسخرون من الذين آمنوا ﴾ يعنى أن الكفار يستهزؤن بفقراء المؤمنين قال ابن عباس رضى الله عنهما مثل عبدالله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيب وبلال ونظرائهم رضى الله عنهم وقيل كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين يزعم محمدانه

أى وحرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد عليه السلام (من بعدما جاءت) من بعد ما عرفها وصحت عنده لانه اذا لم يعرفها فكأنها غائبة عنه (فأن الله شديد العقاب) لمن استحقه (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها فى أعينهم بوساوسه وحبها اليهم فلا يريدون غيرها أو الله تعالى يخلق الشهوات فيهم ولان جميع الكائنات منه ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحياة الدنيا (ويسخرون من الذين آمنوا) كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين ابن مسعود وعمار وصهيب ونحوهم أى لا يريدون غير الدنيا وهم يسخرون ممن لاحظله فيها أو ممن يطلب غيرها

(من بعد ما جاءت) من بعدما جاءت محمديه (فان الله شديد العقاب) لمن كفر به (زين) حسن للذين كفروا) ابى جهل واصحابه (الحياة الدنيا) ما فى الحياة الدنيا من سعة (ويسخرون من الذين) على الذين (آمنوا) سلمان وبلال وصهيب واصحابهم بضيق المعيشة

(والذين اتقوا) عن الشرك

وهم هؤلاء الفقراء (فوقهم يوم القيامة) لانهم في جنة عالية وهم في نار هاوية (والله يرزق من يشاء بغير حساب) بغير تقدير يعنى انه يوسع على من اراد التوسعة عليه كماوسع على قارون وغيره وهذه التوسعة عليكم من الله لحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان المؤمنون أحق بها منكم (كان الناس امة واحدة) متفقين على دين الاسلام من آدم الى نوح عليهما السلام أوهم نوح ومن كان معه في السفينة فاختلوا

(والذين اتقوا) الكفر

والشرك يعنى سلمان واصحابه (فوقهم) في الحجية في الدنيا والقدر والمنزلة في الجنة (يوم القيامة والله يرزق من يشاء) يوسع المال على من يشاء (بغير حساب) بغير حزم وتكلف ويقال ويرزق من يشاء في الجنة بغير حساب بغير فوت ولا اهتداء (كان الناس) في زمن نوح و ابراهيم (امة واحدة) على ملة واحدة ملة الكفر ويقال كانوا في زمن ابراهيم مسلمين

منهم ﴿ والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ﴾ لانهم في عليين وهم في أسفل السافلين أولانهم في كرامة وهم في مذلة أولانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخرُوا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على أنهم متقون وأن استعلاءهم للتقوى ﴿ والله يرزق من يشاء ﴾ في الدارين ﴿ بغير حساب ﴾ بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء أخرى ﴿ كان الناس امة واحدة ﴾ متفقين على الحق فيما بين آدم وأدريس أو نوح أو بعد الطوفان أو متفقين على الجهالة

يغلب بهم ﴿ والذين اتقوا ﴾ يعنى الفقراء من المؤمنين ﴿ فوقهم ﴾ أى فوق الكفار ﴿ يوم القيامة ﴾ لان الفقراء في عليين والكفار والمنافقين في أسفل السافلين (ق) عن حارثة بن وهب رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لابره ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ جمعطرى مستكبر العتل الفظ الغليظ الشديد في الخصومة الذى لا ينقاد لخير والجواظ الفاجر المختال في مشيته وقيل هو القصير البطين والجعطرى الفظ الغليظ وقيل هو الذى يتمدح بما ليس فيه أو عنده (ق) عن اسامة ابن زيد رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجدد محبوسون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم الى النار وقت على باب النار فأذا عامة من دخلها النساء الجدد بفتح الجم هو الحظ والغنى وكثرة المال ﴿ والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يعطى كثيرا بغير مقدار لان كل ما يدخل عليه الحساب فهو قليل والمعنى أنه يوسع لمن يشاء من عباده وقيل يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة وقيل معناه أنه يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب وقيل معناه أنه يرزقه بغير استحقاق وقيل معناه أنه تعالى لا يخاف نفاذ ما في خزائنه حتى يحتاج الى حساب لما يخرج منها لان الحساب انما يكون ليعلم قدر ما يعطى والله غنى عالم بما يعطى ولا يخاف نفاذ خزائنه لانها بين الكاف والنون وقيل معناه أن الله يقتر الرزق على من يشاء وبسط الرزق لمن يشاء ولا يعطى كل أحد على قدر حاجته بل يعطى الكثير لمن لا يحتاج اليه ولا معارض له في حكمه ويحاسب فيما رزق ولا يقال له لم أعطيت هذا وحرمت هذا ولا لم أعطيت هذا أكثر من ذلك لانه تعالى لا شريك له في ملكه ينازعه ولا يستل عما يفعل وقيل يحتمل أن يكون المراد منه ما يعطى الله المتقين في الآخرة من الثواب والكرامة بغير محاسبة منه لهم على ما من به عليهم وذلك ان نعيم الجنة لا نفاذ له ولا انقطاع وقيل انه تعالى يعطى أهل الجنة الثواب والاجر بقدر أعمالهم ثم يتفضل عليهم فذلك الفضل منه اليهم بغير حساب ﴿ قوله عز وجل ﴾ كان الناس امة واحدة ﴿ أى على دين واحد قيل هو آدم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد الى أن قتل قابيل هايل فاختلوا وقيل كان الناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من وقت آدم الى مبعث نوح ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وهو أول

(فبعث الله النبيين) ويدل على حذفه قوله تعالى ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقراءة عبدالله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا وقوله تعالى وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا أو كان الناس أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول الاوجه (مبشرين) بالثواب للمؤمنين (ومندرين) بالعقاب للكافرين وهما حالان () وأنزل معهم الكتاب) أى مع كل واحد منهم كتابه (بالحق) بتبيان الحق (ليحكم) الله وأل الكتاب أو النبي المنزل عليه (بين الناس فيما اختلفوا فيه) في دين الاسلام الذى اختلفوا فيه بعد الاتفاق

(فبعث الله النبيين) من ذرية نوح و ابراهيم (مبشرين) بالجنة لمن آمن بالله (ومندرين) من النار لمن لم يؤمن بالله (وأنزل معهم الكتاب) انزل عليهم جبرائيل بالكتاب (بالحق) مينا الحق والباطل (ليحكم) كل نبي بكتابه (بين الناس فيما اختلفوا فيه) في الدين ويقال ليحكم الكتاب وان قرأت بآتاء اراديه النبي صلى الله عليه وسلم

والكفر في فترة أدريس أونوح ﴿ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ﴾ أى فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذى علمته من عدد الانبياء مائة وأربعة وعشرون ألفا والمرسل منها ثلاثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون ﴿ وأنزل معهم الكتاب ﴾ يريد به الجنس ولا يريد به أنه أنزل مع كل واحد كتابا يخصه فإن اكثرهم لم يكن معهم كتاب يخصهم وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم ﴿ بالحق ﴾ حال من الكتاب أى ملتبسا بالحق شاهدا به ﴿ ليحكم بين الناس ﴾ أى الله أو النبي المبعوث أو كتابه ﴿ فيما اختلفوا فيه ﴾ في الحق الذى اختلفوا فيه وفيما التبس عليهم

رسول بعث ثم بعث بعده الرسل وقيل هم أهل السفينة الذين كانوا مع نوح وكانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاته وقيل ان العرب كانت على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى ان غيره عمرو بن لحي وقيل كان الناس أمة واحدة حين أخرجوا من ظهر آدم لاخذ الميثاق فقال ألتست بربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا أمة واحدة غير ذلك اليوم ثم لما ظهروا الى الوجود اختلفوا بسبب البنى والحسد وقيل ان آدم وحده كان أمة واحدة يعنى اماما وقدة يقتدى به وانما ظهر الاختلاف بعده وقيل كان الناس أمة واحدة على الكفر والباطل بدليل قوله فبعث الله النبيين * فأن قيل أليس قد كان فيهم من هو مسلم نحو هابيل وشيث وأدريس ونحوهم * فالجواب ان الغالب في ذلك الزمان كان الكفر والحكم للغالب وقيل ان الآية دلت على ان الناس كانوا أمة واحدة وليس فيها ما يدل على أنهم كانوا على ايمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج ﴿ فبعث الله النبيين ﴾ وجلهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر المذكورون منهم في القرآن باسماء الاعلام ثمانية وعشرون نبيا ﴿ مبشرين ﴾ يعنى بالثواب لمن آمن وأطاع ﴿ ومنذرين ﴾ يعنى مخوفين بالعقاب لمن كفر وعصى وانما قدم البشارة على الانذار لان البشارة تجرى بحرى حفظ الصحة للابدان والانذار يجرى بحرى ازالة المرض ولاشك ان المقصود هو الاول فكان أولى بالتقديم ﴿ وأنزل معهم الكتاب ﴾ أى الكتب أو يكون التقدير وأنزل مع كل واحد الكتاب ﴿ بالحق ﴾ أى بالعدل والصدق وجلة الكتب المنزلة من السماء مائة وأربعة كتب أنزل على آدم عشر صحائف وعلى شيث ثلاثون وعلى أدريس خسون وعلى موسى عشر صحائف والتوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم القرآن ﴿ ليحكم بين الناس ﴾ يعنى الكتاب وانما أضيف الحكم الى الكتاب وان كان الحاكم هو الله تعالى لانه أنزله والمعنى ليحكم الله بالكتاب الذى أنزله وقيل معناه ليحكم بين الناس كل نبي بكتابه المنزل عليه فاسناد الحكم الى الكتاب أو النبي مجاز والله هو الحاكم في الحقيقة ﴿ فيما اختلفوا فيه ﴾ أى في الحق الذى اختلفوا فيه من بعدما كانوا متفقين عليه

(وما اختلف فيه) في الحق (الالدين ﴿٣١٣﴾ أوتوه) أي {سورة البقرة} الكتاب المنزل لازالة الاختلاف

أي ازدادوا الاختلاف لما نزل عليهم الكتاب (من بعد ما جاءتهم البينات) على صدقته (بغيا بينهم) مفعول له أي حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) أي هدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف فيه (من الحق) بيان لما اختلفوا فيه (بأذنه) بعله (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

﴿ وما اختلف فيه ﴾ في الحق أو الكتاب ﴿ الالدين أوتوه ﴾ أي الكتاب المنزل لازالة الخلف أي عكسوا الامر فجعلوا ما نزل من محاملا للاختلاف سببا لاستحكامه ﴿ من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ﴾ حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا ﴿ فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه ﴾ أي للحق الذي اختلف فيه من اختلف ﴿ من الحق ﴾ بيان لما اختلفوا فيه بأذنه بأمره أو إرادته و لطفه ﴿ والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ﴾ لا يضل

﴿ وما اختلف فيه ﴾ أي في الحق ﴿ الالدين أوتوه ﴾ أي أعطوا الكتاب والمراد به التوراة والانجيل والذين أوتوه اليهود والنصارى واختلفوا هو تكفير بعضهم بعضا بغيا وحسدا وقيل اختلفوا هو تحريفهم وتبديلهم وقيل الكناية فيه راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اختلف في أمر محمد صلى الله عليه وسلم بعد وضوح الدلالات على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم الا اليهود الذين أوتوا الكتاب بغيا منهم وحسدا ﴿ من بعد ما جاءتهم البينات ﴾ أي الدلالات الواضحات على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ بغيا بينهم ﴾ أي أنهم لم يبق لهم عذر في العدول عنه وترك ما جاء به وانما تركوا اتباعه بغيا وحسدا وهو طلب الدنيا وطلب الرياسة ﴿ فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه ﴾ أي الى ما اختلفوا فيه ﴿ من الحق ﴾ والمعنى فهدى الله الذين آمنوا لمعرفة ما اختلفوا فيه من الحق وقيل هو من المقلوب والمعنى فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلفوا فيه وكان اختلفوا الذي اختلفوا فيه الجمعة فهدى الله تعالى هذه الامة الاسلامية اليها (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتينا من بعدهم فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله فهدانا لليهود وبعد غد للنصارى * وفي رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له زاد النسائي يعني يوم الجمعة ثم اتفقا فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد (م) عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصل الله عن يوم الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الله الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا الاولون يوم القيامة المقضى لهم يوم القيامة قبل الخلائق وقيل اختلفوا في شأن القبلة فصلت اليهود نحو المغرب الى بيت المقدس وصلت النصارى الى المشرق وهدانا الله الى الكعبة وقيل اختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا في ابراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا الله الى الحق فقلنا كان حنيفا مسلما واختلفوا في عيسى بن مريم فاليهود فرطوا فيه والنصارى أفرطوا فيه فهدانا الله في ذلك كله للحق والمعنى فهدى الله الذين آمنوا الى الحق الذي اختلف فيه من اختلف ﴿ بأذنه ﴾ يعني بعله وأمره وإرادته ﴿ والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ﴾ قوله عز وجل

(وما اختلف فيه) في الدين ومحمد صلى الله عليه وسلم (الالدين أوتوه) أعطوه يعني الكتاب (من بعد ما جاءتهم البينات) مافي كتابهم (بغيا بينهم) حسدا منهم فكفروا به (فهدى الله الذين آمنوا) بالبينين (لما اختلفوا فيه) من الاختلاف في الدين (من الحق) الى الحق ويقال فهدى الله الذين آمنوا فحفظ الله الذين آمنوا بالبينين لما اختلفوا فيه من الاختلاف في الدين من الحق الى الباطل (بأذنه) بكرامته وإرادته

(والله يهدي من يشاء) من كان أهلا لذلك ويقال (قا وخا ٤٠ ل) ثبت من يشاء الى صراط مستقيم على دين

أم حسبتم) أم منقطعة لا متصلة لان شرطها أن يكون قبلها همزة الاستفهام كقولك أعندك زيد أم عمرو أي أيهما عندك وجوابه زيدان كان عنده زيداً وعمروان كان عنده عمر وواما أم المنقطعة فتقع بعد الاستفهام وبعد الخبر وتكون بمعنى بل والهمزة والقدير بل احسبتم ومعنى الهمزة فيها للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشبيهاً بالرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم { الجزء الثاني } على طريق ﴿ ٣١٤ ﴾ الالتفات التي هي أبلغ أم حسبتم (ان

سالكة ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ﴾ خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بعدما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الآيات تشبيهاً لهم على الثبات مع مخالفيهم وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ﴿ ولما يأتكم ﴾ ولم يأتكم وأصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد ﴿ مثل الذين خلوا من قبلكم ﴾ حالهم التي هي مثل في الشدة ﴿ مستهم البأساء والضراء ﴾ بيان له على الاستئناف ﴿ وزلزلوا ﴾ وازعجوا ازعجا شديدا بما اصابهم من الشدائد ﴿ حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه ﴾ لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت جبال الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه ﴿ متى نصر الله ﴾

﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ﴾ نزلت في غزوة الاحزاب وهي غزوة الخندق وذلك ان المسلمين اصابهم ما اصابهم من الجهد والشدة والخوف والبرد وضيق العيش الذي كانوا فيه يومئذ وقيل نزلت في غزوة أحد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه المدينة في أول الهجرة اشتد عليهم الضرا لايم خرجوا بلا مال وتركوا أموالهم وديارهم بأيدي المشركين وآتروا رضال الله ورسوله وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآثر قوم النفاق فأنزل الله هذه الآية تطيباً لقلوبهم ومعنى الآية أحسبتم والميم صلة وقيل هل حسبتم والمعنى أظنتم أي المؤمنون ان تدخلوا الجنة بمجرد الايمان ولم يصبكم مثل ما أصاب من كان قبلكم من اتباع الانبياء والرسول من الشدائد والمحن والابتلاء والاختبار وهو قوله ﴿ ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ﴾ أي شبه الذين مضوا قبلكم من النبيين وأتباعهم من المؤمنين ومثل محنتهم ﴿ مستهم البأساء ﴾ أي اصابهم الفقر أو الشدة والمسكنة وهو اسم من البؤس ﴿ والضراء ﴾ يعني المرض والزمانة وضروب الخوف ﴿ وزلزلوا ﴾ أي وحركوا بأنواع البلايا والرزايا واصل الزلزلة الحركة وذلك لان الخائف لا يستقر بل لا يزال يضطرب ويحرك لقلقه ﴿ حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ﴾ وذلك لان الرسل أثبت من غيرهم وأصبر وأضبط للنفس عند نزول البلاء وكذا اتباهم من المؤمنين والمعنى انه بلغ بهم الجهد والشدة والبلاء ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية القصوى في الشدة فلما بلغ بهم الحال

تدخلوا الجنة ولما يأتكم) أي ولم يأتكم وفي لما معنى التوقع يعني أن آتيا ذلك متوقع منتظر (مثل الذين خلوا) مضوا أي حالهم التي هي مثل في الشدة (من قبلكم) بيان للمثل (مستهم) بيان للمثل وهو استئناف كأن قائلًا قال كيف كان ذلك المثل قليل مستهم (البأساء) أي البؤس (والضراء) المرض والجوع (وزلزلوا) وحركوا بأنواع البلايا وازعجوا ازعجا شديدا شيئا بالزلزلة (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه) الى الغاية التي قال الرسول ومن معه من المؤمنين (متى نصر الله) أي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة قليل لهم

قائم يرضيه (أم حسبتم) أظنتم يا معشر المؤمنين

يعني عثمان وأصحابه (ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) أي لم تبتلوا بمثل ما ابتلى (في) الذين مضوا من قبلكم من المؤمنين (مستهم) اصابتهم (البأساء) الخوف والبلايا والشدائد (والضراء) الامراض والالوجاع والجوع (وزلزلوا) حركوا في الشدة (حتى يقول الرسول) حتى قال رسولهم (والذين آمنوا معه) به (متى نصر الله) على الاعداء قال الله لذلك النبي

(ألا ان نصر الله قريب) اجابة لهم الى طلبهم ﴿ ٣١٥ ﴾ من عاجل النصر {سورة البقرة} يقول بالرفع نافع على حكاية

حال ماضية نحو شربت
الابل حتى اتجى بعير يجر
بطنه وغيره بالنصب على
اضمار أن ومعنى الاستقبال
لان أن علم له ولما قال
عمرو بن الجوح وهو شيخ
كبير وله مال عظيم ماذا
تنفق من أموالنا وأين
نضعها نزل (يسئلونك ماذا
ينفقون قل ما أنفقتم من
خير فلوالدين والاقربين
واليتامى والمساكين وابن
السييل) فقد تضمن قوله ما
أنفقتم من خير بيان ما
ينفقونه وهو كل خير
ونبي الكلام على ماهو
أهم وهو بيان المصرف
لان النفقة لا يعتد بها الا أن
تقع موقعها عن الحسن
هي في التطوع (وماتفعلوا
من خير فإن الله به عليم)

(ألا ان نصر الله) على الاعداء
بنجاتكم (قريب يسئلونك)
يا محمد وكان هذا السؤال قبل
آية المواريث (ماذا ينفقون)
على من يتصدقون (قل
ما أنفقتم من خير) من مال
(فلوالدين) فلي الوالدين
(والاقربين) وعلى
الاقربين ثم نسخت الصدقة
بعد ذلك على الوالدين
بآية المواريث (واليتامى)
يقول تصدقوا على اليتامى
يتامى الناس (والمساكين)
مساكين الناس (وابن

استبظاءه لتأخره ﴿ ألا ان نصر الله قريب ﴾ استئناف على ارادة القول أى قليل
لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله
والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه
الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ﴿ يسئلونك ماذا ينفقون ﴾
عن ابن عباس رضى الله عنهما أن عمرو بن الجوح الانصارى رضى الله عنه كان شيخا هما
ذامال عظيم فقال يارسول الله ماذا تنفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت ﴿ قل ما أنفقتم من
خير فلوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السيل ﴾ سئل عن المنفق فأجيب
بينان المصرف لانه أهم فأن اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو وأن
لم يكن مذكورا في الآية واقصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما أنفقتم من خير
﴿ و ماتفعلوا من خير ﴾ في معنى الشرط ﴿ فإن الله به عليم ﴾ جوابه أى أن تفعلوا

في الشدة الى هذه الغاية واستبظوا النصر قيل لهم ﴿ ألا ان نصر الله قريب ﴾ اجابة
لهم في طلبهم والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء والشدة عن دينهم الى
ان يأتيهم نصر الله فكونوا يامعشر المؤمنين كذلك وتحملوا الاذى والشدة والمشقة في
طلب الحق فإن نصر الله قريب (خ) عن خباب بن الارت رضى الله عنه قال
شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برده في ظل الكعبة فقلنا
ألا تنصرتنا ألا تدعونا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض
فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد
مادون لحمه وعظمه ما يصدده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب
من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون
﴿ قوله عز وجل ﴾ يسئلونك ماذا ينفقون ﴿ نزلت في عمرو بن الجوح رضى الله عنه
وكان شيخا كبيرا ذامال فقال يارسول الله بما ذانتصدق وعلى من تنفق فانزل الله
تعالى يسألونك ماذا ينفقون ﴿ قل ما أنفقتم من خير ﴾ أى مال والمعنى و ماتفعلوا
من انفاق شئ من المال قل أوكثر ﴿ فلوالدين ﴾ وانما قدم الانفاق على الوالدين
لوجوب حقهما على الولد لانهما كانا السبب في اخراجه من العدم الى الوجود
﴿ والاقربين ﴾ وانما ذكر بعد الوالدين الاقربين لان الانسان لا يقدر أن يقوم بمصالح
جميع الفقراء فتقديم القرابة أولى من غيرهم ﴿ واليتامى ﴾ وانما ذكر بعد الاقربين
اليتامى لصغرهم ولانهم لا يقدرون على الاكتساب ولالهم أحد ينفق عليهم
﴿ والمساكين ﴾ وانما أخرهم لان حاجتهم أقل من حاجة غيرهم ﴿ وابن السيل ﴾
يعنى المسافر فإنه بسبب انقطاعه عن بلده قد يقع في الحاجة والفقر فانظر الى هذا
الترتيب الحسن العجيب في كيفية الانفاق ﴿ ثم لما فصل الله هذا التفصيل الحسن
الكامل اتبعه بالاجال فقال تعالى ﴿ و ماتفعلوا من خير فإن الله به عليم ﴾ و ماتفعلوا
من خير مع هؤلاء أو غيرهم طلبا لوجه الله تعالى ورضوانه فإن الله به عليم فيجازيكم

السييل) الضيف النازل (وماتفعلوا من خير) ماتفقوا من مال على هؤلاء (فإن الله به عليم) أى علم به وبنياتكم يحزنكم

خيرا فإن الله يعلم كنهه ويوفى ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكاة لينسخ به ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ﴾ شاق عليكم مكروه طبعاً وهو مصدر نعت به للمبالغة أو فعل بمعنى مفعول كالحبز * وقرئ بالفتح على أنه لفة فيه كالضعف والضعف أو

عليه وذكر علماء التفسير ان هذه الآية منسوخة قال ابن مسعود رضى الله عنه نسختها آية الزكاة وقال الحسن انها محكمة ووجه أحكامها ان الله ذكر فيها من تجب النفقة عليه مع فقره وهما الوالدان وقال ابن زيد هذا في النفل وهو ظاهر الآية فمن أحب التقرب الى الله تعالى بالانفاق فالاولى به ان ينفق في الوجوه المذكورة في الآية فيقدم الاول فالاول * ((بقي في الآية سؤال)) وهو انه كيف طابق السؤال الجواب وهوانهم سألو عن بيان ما يتفق فأجيبوا ببيان المصرف وأجيب عن هذا السؤال بأنه قد تضمن قوله ما أنفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو المال ثم ضم الى جواب السؤال ما يكمل به المقصود وهو بيان المصرف لان النفقة لا تمد نفقة الا أن تقع موقعها قال الشاعر

أن الصنعة لا تمد صنعة * حتى يصاب بها طريق المصنع

* قوله عز وجل ﴿ كتب عليكم القتال ﴾ أى فرض عليكم الجهاد واختلف العلماء في حكم الآية فقال عطاء الجهاد تطوع والمراد من الآية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب الثوري وحكى عن الاوزاعي نحوه ووجه هذا القول ان قوله كتب يقتضى الايجاب ويكفى العمل به مرة واحدة ووجه من أوجبه على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوله عليكم يقتضى تخصيص هذا الخطاب بالموجودين في ذلك الوقت وقيل بل الآية على ظاهرها والجهاد فرض على كل مسلم وبدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أو فاجراً أخرجه أبو داود بزيادة فيه (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا وقيل ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط الفرض عن الباقين وهذا القول هو المختار الذى عليه جمهور العلماء قال الزهرى كتب الله القتال على الناس جاهدوا أو لم يجاهدوا فمن غزاها ونعمت ومن قعد فهو عدة ان استعين به أغان وان استنفر نفر وان استغنى عنه قعد قال الله تعالى فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعد تاركاً فرضاً لم يعده بالحسنى واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على ثلاثة أقوال * أحدها انها محكمة ناسخة للفقهاء عن المشركين * القول الثانى انها منسوخة لان فيها وجوب الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة * القول الثالث انها ناسخة من وجهه ومنسوخة من وجهه فالناسخ منها ايجاب الجهاد مع المشركين بعد المنع منه والمنسوخ ايجاب الجهاد على الكافة * قوله عز وجل ﴿ وهو كره لكم ﴾ أى القتال شاق عليكم وهذا الكره انما حصل

فيجزى عليه (كتب عليكم القتال) فرض عليكم جهاد الكفار (وهو كره لكم) من الكراهة فوضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها

* فانما هي أقبال وأدبار * كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له أو هو فعل بمعنى مفعول كالحبز بمعنى الخبز أى وهو

به (كتب) فرض (عليكم القتال) في أوقات النفي العام مع النبي صلى الله عليه وسلم (وهو كره لكم)

مكروه لكم (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) فأنتم تكروهون الغزو وفيه إحدى الحسينين أما الظفر والغنيمة
وأما الشهادة والجنة (وعسى أن تحبوا شيئاً) وهو القعود عن الغزو (وهو شر لكم) لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والأجر
(والله يعلم) ما هو خير لكم (وأنتم لا تعلمون) ذلك فبادروا إلى {سورة البقرة} ما يأمركم به وإن شق عليكم

ونزل في سرية بعثها رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فقاتلوا المشركين وقد أهل
هلال رجب وهم لا يعلمون
ذلك فقالت قريش قد
استحل محمد عليه السلام
الشهر الحرام شهراً يأمّن
فيه الخائف (يستلونك
عن الشهر الحرام) أي
يسألك الكفار أو المسلمون
عن القتال في الشهر الحرام
(قتال فيه) بدل الاشتغال
من الشهر وقرئ عن
قتال فيه على تكرير العامل
كقوله للذين استضعفوا
لمن آمن منهم

أو بمعنى الإكراه على المجاز كأنهم أكرهوا عليه لشدة وعظم مشقته كقوله تعالى جلته
أمه كرها ووضعته كرها ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾ وهو جميع
ما كلفوا به فأن الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم ﴿وعسى أن تحبوا
شيئاً وهو شر لكم﴾ وهو جميع ما نهوا عنه فأن النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها
إلى الردى وإنما ذكر عسى لأن النفس إذا ارتاضت ينعكس الأمر عليها ﴿والله يعلم﴾
ما هو خير لكم ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ ذلك وفيه دليل على أن الأحكام تتبع المصالح الراجعة
وأن لم تعرف عنها ﴿يستلونك عن الشهر الحرام﴾ روى أنه عليه الصلاة والسلام
بعث عبدالله بن جحش ابن عمته على سرية في جادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليرصد
عير القريش فيهم عمرو بن عبدالله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا
العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنون من جادى الآخرة

من حيث نفور الطبع عن القتال لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح
والخوف لأنهم كرهوا أمر الله وقيل نسخ هذا الكره بقوله تعالى أخبرا عنهم وقالوا
سمعنا وأطعنا وقيل إنما كان كراهتهم القتال قبل أن يفرض عليهم لما فيه من الخوف
والشدة وكثرة الأعداء فبين الله تعالى أن الذي تكروهون من القتال هو خير لكم
من تركه لئلا يكرهونه بعد أن يفرض عليهم ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾
لفظة عسى توهم الشك مثل لعل وهى من الله يقين وقيل إنها كلمة مطمعة فهى
لا تدل على حصول الشك للقائل وتدل على حصول الشك للمستمع والمعنى إن الغزو
فيه إحدى الحسينين أما الظفر والغنيمة وأما الشهادة والجنة وقيل ربما كان الشيء
شاقاً في الحال وهو سبب المنافع الجليلة في المستقبل ومثله شرب الدواء المر فإنه ينفر
عنه الطبع في الحال ويكرهه لكن يتحمل هذه الكراهة والمشقة لتوقع حصول
الصحة في المستقبل ﴿وعسى أن تحبوا شيئاً﴾ يعنى القعود عن الغزو ﴿وهو شر لكم﴾
يعنى لما فيه من فوت الغنيمة والأجر وطمع العدو فيكم لأنه إذا علم ميلكم إلى الراحة
والدعة والسكون قصد بلادكم وحاول قتالكم وإذا علم أن فيكم شهامة وجلادة على
القتال كف عنكم ﴿والله يعلم﴾ يعنى ما في الجهاد من الغنيمة والأجر والخير ﴿وأنتم
لا تعلمون﴾ يعنى ذلك والمعنى إن العبد إذا علم قصور عمله وكال علم الله ثم إن الله تعالى
أمره بأمر كان ذلك الأمر فيه مصلحة عظيمة فيجب على العبد امتثال أمر الله تعالى وإن
كان يشق على النفس في الحال ﴿قوله عز وجل﴾ يستلونك عن الشهر الحرام قتال فيه ﴿
سبب نزول هذه الآية إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبدالله بن جحش رضى الله
عنه وهو ابن عمته في سرية في جادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين وأمره على السرية

شاق لكم (وعسى أن
تكرهوا شيئاً) الجهاد في
سبيل الله (وهو خير لكم)
تصيبون الشهادة والغنيمة
(وعسى أن تحبوا شيئاً)
الجلوس عن الجهاد (وهو
شر لكم) لا تصيبون الشهادة
ولا الغنيمة (والله يعلم) إن
الجهاد خير لكم (وأنتم
لا تعلمون) إن الجلوس شر لكم
نزلت في سعد بن ابى
وقاص والمقداد بن الأسود
وأصحابهما ثم نزلت في شأن
عبدالله بن جحش وأصحابه

وقتلهم عمرو بن الحضرمي وسؤالهم عن القتال في الشهر الحرام يعنى رجباً آخر عشية جادى الآخرة قبل رؤية هلال رجب
وملامة المشركين لهم بذلك فقال (يستلونك) يا محمد (عن الشهر الحرام

وكتب له كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب فاقرأه على أصحابك ثم امض لما أمرتك به ولا تستكرهن أحدا منهم على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فأذافيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فسر على بركة الله تعالى بمن معك من أصحابك حتى تنزل بطن نخلة فارصد بها عير القريش لعلك تأتينا منها بخير فقال سمعا وطاعة ثم قال لأصحابه ذلك وقال انه نهاني أن أستكره أحدكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كان يكره فليرجع ثم مضى ومضى أصحابه معه وكانوا ثمانية رهط ولم يتخلف عنه أحد منهم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له نجران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعقبانه فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ببقية أصحابه حتى نزل في بطن نخلة بين مكة والطائف فيبيناهم كذلك اذمرت بهم عير لقريش تحمل زيبيا وأدما وتجارة من تجارة الطائف وفي العير عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله الحزوميان فلما رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فقال عبد الله ابن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم وليتعرض بهم فاذا رأوه مخلوقا أمنوا فحلقوا رأس عكاشة بن محصن ثم أشرف عليهم فلما رأوه أمنوا وقالوا قوم عمار فلا بأس علينا وكان ذلك في آخر يوم من جادى الآخرة وكانوا يرون انه من رجب فتشاور القوم فيهم وقالوا متى تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليتعنن منكم فأجمعوا أمرهم في مواقة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله فكان أول قتيل من المشركين وأسرا الحكم بن كيسان وعثمان وكانا أول أسيرين في الاسلام وأفلت نوفل فاعجزهم واستتاق المسلمون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام وسفك الدماء وأخذ الحرائب يعني المال وعير بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحلتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه فيبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعبد الله بن جحش وأصحابه ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وأبي أن يأخذ شيئا من ذلك وعنف المسلمون أصحاب السرية فيما صنعوا وقالوا لم صنعتهم ما لم تؤمروا به فعظم ذلك على أصحاب السرية وظنوا أنهم قد هلكوا وسقط في أيديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا هلال رجب فلا ندري أفي رجب أصبناه أم في جادى وأكثر الناس في ذلك فانزل الله هذه الآية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس وكان أول خمس في الاسلام وأول غنية قسمت فقسم الباقي على أصحاب السرية وبعث أهل مكة في فداء أسيرهم فقال بل نبيهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدا ما قتلنا هما بهما فلما قدما فاداها فاما الحكم بن كيسان فاسلم وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا رضي الله عنه واما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق

(قل قتال فيه كبير) أى اثم كبير ﴿ ٣١٩ ﴾ قتال مبتدأ وكبير {سورة البقرة} خبره وجاز الابداء بالتركه

لانها قدوصفت بفيه
وأكثر الاقويل على أنها
منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم
(وصد عن سبيل الله)
أى منع المشركين رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأصحابه
عن البيت عام الحديبية
وهو مبتدأ (وكفر به)
أى بالله عطف عليه
(والمسجد الحرام)
عطف على سبيل الله أى
وصد عن سبيل الله وعن
المسجد الحرام وزعم
القراء أنه معطوف على الهاء
فى به أى كفر به وبالمسجد
الحرام ولا يجوز عند
البريين العطف على
الضمير المجرور الا باعادة
الجار فلا تقول صرته به
وزيد ولكن تقول وزيد
ولو كان معطوفا على الهاء
هنا لقل وكفر به وبالمسجد
الحرام (وأخرج أهله)
أى أهل المسجد الحرام وهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنون وهو عطف عليه
أيضا (منه) من المسجد
الحرام وخبر الاسماء الثلاثة

قتال فيه) يقول يسألونك
عن القتال فى الشهر الحرام
يعنى رجبا (قل قتال فيه)
فى رجب (كبير) فى العقوبة
(وصد عن سبيل الله)

فقال قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويذعر فيه الناس
الى معايشهم وشق على أصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله
صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت أخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنمية وهى أول غنمية فى الاسلام والسائلون هم المشركون
كتبوا اليه فى ذلك تشنعا وتعييرا وقيل أصحاب السرية ﴿ قتال فيه ﴾ بدل اشتمال
من الشهر الحرام. وقرئ عن قتال بتكرير العامل ﴿ قل قتال فيه كبير ﴾ أى ذنب
كبير والاكثر على أنه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء
وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الآية على حرمة القتال فيه
مطلقا فإن قتالا فيه نكرة فى حيز مثبت فلايم ﴿ وصد ﴾ صرف ومنع ﴿ عن سبيل
الله ﴾ أى الاسلام أو ما يوصل العبد الى الله من الطاعات ﴿ وكفر به ﴾ أى بالله
﴿ والمسجد الحرام ﴾ على أرادة المضاف أى وصد المسجد الحرام كقول أبى داود
أكل امرئ تحسين امرأ * ونار توقد بالليل نارا

ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يقدم
العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء فى به فإن العطف على الضمير
المجرور انما يكون بأعادة الجار ﴿ وأخرج أهله منه ﴾ أهل المسجد وهم النبي صلى الله

فوقع فى الخندق مع فرسه فحطما جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خيىث الجيفة خيىث الدينة * وأما تفسير
الآية فقوله تعالى يستلونك يعنى يا محمد عن الشهر الحرام يعنى رجبا وسمى بذلك لتحريم
القتال فيه وفى السائلين رسول الله صلى الله عليه وسلم قولان * أحدهما أنهم المسلمون سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أخطؤا أم أصابوا وقيل ان المسلمين كانوا يعلون ان
القتال فى الحرم وفى الشهر الحرام لا يحل فلما كتب عليهم القتال سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن القتال فى الشهر الحرام فنزلت هذه الآية * والقول الثانى ان
السائلين هم المشركون وانما سألوه على وجه العيب على المسلمين فنزلت هذه الآية
يستلونك عن الشهر الحرام قتال فيه ﴿ قل ﴾ أى قل لهم يا محمد ﴿ قتال فيه كبير ﴾
أى عظيم مستكبر واختلف العلماء فى حكم هذه الآية على قولين * أحدهما انها محكمة
وانه لا يجوز الغزو فى الشهر الحرام الا أن يقاتلوا فيه فيقاتلوا على سبيل الدفع روى
عن عطاء انه كان يحلف بالله ما يحل للناس أن يعزوا فى الشهر الحرام ولا أن يقاتلوا
فيه وما نسخت. والقول الثانى الذى عليه جمهور العلماء وهو الصحيح انها منسوخة قال
سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار القتال جائز فى الشهر الحرام وهذه الآية منسوخة
بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله وقاتلوا المشركين كافة يعنى فى الاشهر
الحرم وغيرها ﴿ وصد عن سبيل الله ﴾ هذا ابتداء كلام والمعنى وصدكم المسلمين عن
الحج أو وصدكم عن الاسلام من يريد ﴿ وكفر به ﴾ أى بالله ﴿ والمسجد الحرام ﴾
أى وصدكم عن المسجد الحرام ﴿ وأخرج أهله منه ﴾ يعنى رسول الله صلى الله عليه

ولكن صرف الناس عن دين الله وطاقته (وكفر به والمسجد الحرام) وصد الناس عن المسجد الحرام (وأخرج أهله منه

(أكبر عند الله) أى مافعلته السرية من القتال فى الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن (والفتنة) الاخراج أو الشرك (أكبر من القتل) فى الشهر الحرام أو تعذيب الكفار المسلمين أشد قبحاً من قتل هؤلاء المسلمين فى الشهر الحرام (ولا يزالون يقاتلونكم { الجزء الثانى } حتى يردوكم عن دينكم) ﴿ ٣٢٠ ﴾ أى الى الكفر وهو اخبار

عنه عليه وسلم والمؤمنون ﴿ أكبر عند الله ﴾ مافعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبار قريش * وأفضل مما يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿ والفتنة أكبر من القتل ﴾ أى ما ترتكبونه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ﴾ أخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوكم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعد الله حتى أدخل الجنة لقوله ﴿ أن استطاعوا ﴾ وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه أن ظفرت بي فلاتبق على وايدان بأنهم لا يردونهم ﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه فميت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم ﴾ قيد الردة بالموت عليها فى أحباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي رحمه الله والمراد بها الاعمال النافعة * وقرئ حبطت بالفتح وهى لغة فيه ﴿ فى الدنيا ﴾ لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدينية ﴿ والآخرة ﴾ بسقوط الثواب

وسلم والمؤمنين حين آذوهم حتى هاجروا وتركوا مكة وانما جعلهم الله أهله لانهم كانوا هم القاعنين بمحقوق المسجد الحرام دون المشركين ﴿ أكبر عند الله ﴾ أى أعظم وزر عند الله من القتال فى الشهر الحرام ﴿ والفتنة ﴾ أى الشرك الذى أنتم عليه ﴿ أكبر من القتل ﴾ يعنى قتل ابن الحضرمي فى الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كتب عبدالله بن أنيس وقيل عبدالله بن جحش الى مؤمنى مكة ان غيركم المشركون بالقتال فى الشهر الحرام فعبروهم أنتم بالكفر وبأخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة والمسلمين ومنعهم أيامهم من البيت ﴿ ولا يزالون ﴾ يعنى مشركى مكة ﴿ يقاتلونكم ﴾ يعنى ياء عشر المؤمنين ﴿ حتى يردوكم عن دينكم ﴾ يعنى الى دينهم وهو الكفر ﴿ ان استطاعوا ﴾ يعنى ان قدروا على ذلك وفيه استبعاد لاستطاعتهم فهو كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلاتبق على وهو واثق انه لا يظفر به ﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه فميت وهو كافر ﴾ يعنى ومن يطاوعهم منكم فيرجع الى دينهم فميت على ردة قبل أن يتوب ﴿ فأولئك حبطت أعمالهم ﴾ أى بطلت أعمالهم ﴿ فى الدنيا والآخرة ﴾ وهو أن المرتد يقتل وتبين زوجته منه ولا يستحق الميراث من أقاربه المؤمنين ولا ينصر ان استنصر ولا يمدح ولا يثنى عليه ويكون ماله فى المسلمين هذا فى الدنيا ولا يستحق الثواب على أعماله ويحبط أجرها فى الآخرة وظاهر الآية يقتضى ان الارتداد انما تنفرد عليه الاحكام اذ مات المرتد على الكفر أما اذا أسلم بعد الردة لم يثبت عليه شىء من أحكام الردة وفيه دليل للشافعي ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت المرتد على ردة وعند أبي حنيفة ان الردة تحبط العمل وان أسلم

عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل نحو فلان بعد الله حتى يدخل الجنة أى يقاتلونكم كي يردوكم وقوله تعالى (ان استطاعوا) استبعاد لاستطاعتهم كقولك لعدوك ان ظفرت بي فلاتبق على وأنت واثق بأنه لا يظفر بك (ومن يرتدد منكم عن دينه) ومن يرجع عن دينه الى دينهم (فميت وهو كافر) أى يموت على الردة (فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة) لما يفوتهم بالردة مما للمسلمين فى الدنيا من ثمرات الاسلام وفى الآخرة من الثواب

أكبر عقوبة (عند الله) من قتل عمرو بن الحضرمي (والفتنة) الشرك بالله (أكبر من القتل) من قتل عمرو بن الحضرمي (ولا يزالون) يعنى أهل مكة (يقاتلونكم حتى يردوكم) يرجوكم (عن

دينكم) الاسلام (ان استطاعوا) قدروا (ومن يرتدد منكم عن دينه) الاسلام (فميت) (وأولئك)

(وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم) بطلت أعمالهم وردت حسناتهم (فى الدنيا والآخرة) ولا يجوزون بها فى الآخرة

وحسن المآب (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وبها احتج الشافعي رحمه الله على أن الردة لا تحبط العمل حتى يموت عليها وقتلنا قد علق الحبط بنفس الردة بقوله تعالى ومن يكفر بالآيمان فقد حبط عمله والاصل عندنا أن المطلق لا يحمل على المقيد وعنده يحمل عليه فهو بناء على هذا ولما قالت السرية أيكون لنا أجر المجاهدين في سبيل الله نزل (أن الذين آمنوا والذين هاجروا) تركوا مكة وعشائرهم (وجاهدوا في سبيل الله) مع المشركين ولا وقف عليه لان (أولئك يرجون رحمت الله) خبران قيل من رجا طلب ومن خاف هرب (والله غفور رحيم) نزل في الخمر أربع آيات نزل بمكة ومن ثمرات ﴿٣٢١﴾ النخيل والاعناب تخذون {سورة البقرة} منه سكر فكان المسلمون

يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمرو نفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله أفتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزل (يسئلونك عن الخمر والميسر) فشرها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبدالرحمن بن عوف جماعة فشربوها وسكروا فأم بعضهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبدوا تعبدون فنزل لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك جماعة فلما سكروا منها تخاصموا وضاربوا فقتل عمر اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزل انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم متبهون فقال عمر انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنت مكانها

﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ كسائر الكفرة ﴿أن الذين آمنوا﴾ نزلت أيضاً في أصحاب السرية لما ظن بهم أنهم أن سلوا من الاثم فليس لهم أجر ﴿والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله﴾ كرر الموصل لتعظيم الهجرة والجهاد كأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء ﴿وأولئك يرجون رحمت الله﴾ ثوابه أثبت لهم الرجاء اشعاراً بأن العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والمبرة بالخطواتيم ﴿والله غفور﴾ لما فعلوا خطأ وقلة احتياط ﴿رحيم﴾ بأجزاء الاجر والثواب ﴿يسئلونك عن الخمر والميسر﴾

﴿وأولئك أصحاب النار﴾ يعني الذين ماتوا على الردة والكفرهم أصحاب النار ﴿هم فيها خالدون﴾ أي لا يخرجون منها أبداً ﴿ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله﴾ نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه رضي الله عنهم وذلك ان أصحاب السرية قالوا يا رسول الله هل نؤجر على وجهنا هذا ونطمع أن يكون لنا عز وفانزل الله هذه الآية ﴿وعن جندب ابن عبد الله رضي الله عنه قال لما كان من أمر عبد الله بن جحش وأصحابه وأمر ابن الحضرمي ما كان قال بعض المسلمين ان لم يكونوا أصابوا في سفرهم وزر افليس لهم فيه أجر فأنزل الله هذه الآية ان الذين آمنوا والذين هاجروا أي فارقوا مساكنهم وعشائرهم وأموالهم وفارقوا مساكنة المشركين في أمصارهم ومجاورتهم في ديارهم فتحولوا عن المشركين وعن بلادهم الى غيرها وجاهدوا يعني المشركين في سبيل الله أي في طاعة الله فجعل الله لأصحاب هذه السرية جهاداً ﴿وأولئك يرجون رحمت الله﴾ أي يطمعون في نيل رحمة الله أخبر أنهم على رجاء الرحمة وقيل المراد من الرجاء هنا القاطع في أصل الثواب وانما دخل الظن في كنيته ووقته قال قتادة أني الله تعالى على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحسن الثناء فقال ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله هؤلاءهم خيار الامة هذه ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب ﴿والله غفور﴾ أي لذنوب عباده ﴿رحيم﴾ بهم والمعنى أنه تعالى غفر لعبد الله بن جحش وأصحابه رضي الله عنهم ما لم يطلبوا به قوله عز وجل ﴿يسئلونك عن الخمر والميسر﴾ الآية نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل

منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر (قاو خا ٤١ ل) ثم جف ونبت فيه الكلاء لم أرعه والخمر

(وأولئك أصحاب النار) أهل النار (هم فيها خالدون) مقيمون لا يموتون ولا يخرجون ثم نزل أيضاً في شأن عبد الله بن جحش وأصحابه فقال (أن الذين آمنوا) بالله ورسوله (والذين هاجروا) من مكة الى المدينة (وجاهدوا في سبيل الله) في قتل عمرو بن الحضرمي الكافر (أولئك يرجون رحمت الله) ينالون جنة الله (والله غفور) لصنيعهم (رحيم) بهم اذ لم يعاقبهم (يسئلونك عن الخمر والميسر) نزلت في شأن عمر بن الخطاب لقوله اللهم أرنا ربك في الخمر فقال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم

والميسر القمار مصدر
من يسر كالموعد من فصله
يقال يسره اذا قرته
واشتقاقه من اليسر لانه
أخذ مال الرجل يسر
وسهولة بلاكد وتعب
أو من اليسار كأنه سلب
يساره وصفة الميسر أنه
كانت لهم عشرة أقداح
سبعة منها عليها خطوط
وهو الفذ وله سهم والتوأم
وله سهمان والرقب وله
ثلاثة والحلس وله أربعة
والنافس وله خمسة والمسبل
وله ستة والملى وله سبعة
وثلاثة أغفال لانصيب لها
وهى المنج والسقيع والوعد
فيعملون الاقداح في خريطة
ويضعونها على يدعدل ثم
يجلجها ويدخل يده ويخرج
بأسم رجل قدحاً قدحاً منها
فنخرج له قدح من ذوات
الانصباء أخذ النصيب
الموسوم به ذلك القدح
ومن خرج له قدح مما لا
نصيب لم يأخذ شيئاً وغرم
ثمن الجزور كله وكانوا
يدفعون تلك الانصباء الى
الفقراء ولا يأكلون منها
ويقفخرون بذلك ويندمون
من لم يدخل فيه وفي حكم
الميسر أنواع القمار من
الزرد والشطرنج وغيرهما
والمعنى يسألونك عما في تعاطيها بدليل

روى أنه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً
حسناً فأخذ المسلمون يشربونها ثم أن عمر ومعاذ في نفر من الصحابة رضى الله عنهم قالوا
أفتنا يا رسول الله في الخمر فأنها مذهب للعقل فنزلت هذه الآية فشر بها قوم وتركها آخرون
ثم دعا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ناساً منهم فشربوا فسكروا فأمر أحدهم فقراً أعبد
ماتعدون فنزلت لاتقربوا الصلوة وأنتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك
سعد بن أبى وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فأنشد سعد شعراً فيه هجاء
الانصار فضربه أنصاري بلحى بعير فشجبه فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر
رضى الله عنه اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم متبهون
فقال عمر رضى الله عنه انتم بينا يارب. والخمر في الاصل مصدر خره اذا ستره سمي بها عصير
العنب والتمر اذا اشتد وعلى كأنه يخمر العقل كما سمي سكراً لانه يسكره أى يحجزه وهى حرام
مطلقاً وكذا كل ما سكر عند أكثر العلماء وقال أبو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى
ذهب ثلثاهم اشتد حل شربه مادون السكر* والميسر أيضاً مصدر كالموعد سمي به القمار
لانه أخذ مال الغير يسر أو سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيها لقوله تعالى

وجاعة من الانصار رضى الله عنهم أو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله
أفتنا في الخمر والميسر فانها مذهب للعقل مسلبة للمال فأنزل الله تعالى هذه الآية وأصل
الخمر في اللغة الستر والتغطية وسميت الخمر خرا لانها تخامر العقل أى تخاطبه وقيل
لانها تستره وتغطيه وجلة القول في تحريم الخمر ان الله عز وجل أنزل في الخمر
أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراً فكان
المسلمون يشربونها في أول الاسلام وهى لهم حلال ثم نزل بالمدينة في جواب سؤال عمر
ومعاذ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فتركها قوم لقوله اثم كبير
وشربها قوم لقوله ومنافع للناس ثم ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه
صنع طعاماً ودعا اليه ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطعمهم
وسقاهم الخمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا أحدهم ليصلى بهم فقرأ قل
يا أيها الكافرون اعبد ما تعبدن بحذف حرف لا الى آخر السورة فأنزل الله
عز وجل يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم
الله السكر في أوقات الصلوات فكان الرجل يشربها بعد صلاة المشاء فيصبح وقد
زال سكره فيصلى الصبح ويشربها بعد صلاة الصبح فيصبح وقت صلاة الظهر ثم ان
عتبان بن مالك أخذ صنيعاً يعنى وليمة ودعا رجلاً من المسلمين وفيه سعد بن أبى
وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم
فاقتخروا عند ذلك واتسبوا وتناشدوا الاشارة فأنشد سعد قصيدة فيها فخر قومه
وهجاء الانصار فأخذ رجل من الانصار لحى البعير فضرب به رأس سعد فشجبه
موضحة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الانصاري فقال =

== عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا* ويروى أن حزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه شرب الخمر يوما وخرج فلقى رجلا من الانصار وبيده ناضح له والانصارى يمثل بيبتين لكعب بن مالك يمدح قومه وهما

جمعنا مع الايواء نصرا وهجرة * فلم يرحى مثلنا في المعاصر

فأحياؤنا من خيرا أحياء من مضى * وأمواتنا من خيرا أهل المقابر

فقال حزة أولئك المهاجرون وقال الانصارى بل نحن الانصار فتنازعا فجزد حزة سيفه وعدا على الانصارى فهرب الانصارى وتركنا ضحاه فقطعه حزة فجاء الانصارى مستعديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بفعل حزة فغرم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ناضحا فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فأنزل الله تعالى الآية التى فى المائدة الى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يارب وذلك بعد غزوة الاحزاب بأيام والحكمة فى وقوع التحريم على هذا الترتيب ان الله تعالى علم أن القوم كانوا قد ألفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فعلم أنه لو منعهم من الخمر دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فلا جرم استعمل هذا التدرج وهذا الرفق قال أنس رضى الله عنه حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش أعجب منها وما حرم عليهم شئ أشد من الخمر (ق) عن أنس رضى الله عنه قال ما كان لنا خير غير فضيخكم وانى لقاكم أسقى أباطحة وأبا أيوب وفلانا وفلانا اذ جاء رجل فقال حرمت الخمر فقالوا أهرق هذه القلال يا أنس فاسألوا عنها ولا راجعوا بعد خبر هذا الرجل* الفضيخ بالضاد والخاء المجتمين شراب يتخذ من بسر مطبوخ والمفضوخ والمشدوخ والمكسور والاهراق الصب والقلال جمع قلة وهى الجرة الكبيرة

فصل فى تحريم الخمر ووعيد من شربها

أجمت الامة على تحريم الخمر وانه يحد شاربها ويفسق بذلك مع اعتقاد تحريمها فان استعملها كفر بذلك ويجب قتله (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر فى الدنيا ومات وهو يد منها ولم يتب منها لم يشربها فى الآخرة لفظ مسلم (م) عن جابر رضى الله عنه ان رجلا قدم من جيشان وجيشان من اليمن فسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزرق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسكر هو قال نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال قالوا وما طينة الخبال يا رسول الله قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار * وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا بنحست صلاته أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال يا رسول الله قال صديد أهل النار أخرجه أبو داود * عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر =

= فجعلها في بطنه لم تقبل منه صلاة سبعا وان مات فيها مات كافرا فان اذبت عقله عن شئ من الفرائض وفي رواية عن القرآن لم تقبل صلاته أربعين يوما وان مات فيها مات كافرا أخرجه النسائي * عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال اجتنبوا الخمر فانها أم الخبائث فانها والله لا يجتمع الايمان وادمان الخمر الا يوشك ان يخرج أحدهما صاحبه أخرجه النسائي موقوفا عليه وفيه قصة * عن أنس رضى الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وساقها وحاملها والمحمولة اليه وبائتمها ومبتاعها وواهبها وآكل ثمنها أخرجه الترمذى

﴿ فصل في احكام تتعلق بالخمر ﴾ وفيه مسائل { الاولى في ماهيتها } ﴿

قال الشافعي الخمر عبارة عن عصير العنب النى الشديد الذى قذف بالزبد وكذلك نقيع الزبيب والتمر المتخذ من العسل والحنطة والشعير والارز والذرة وكل ما أسكر فهو خمر وقال أبو حنيفة الخمر من العنب والرطب ونقيع التمر والزبيب فان طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه والمسكر منه حرام واحتج على ذلك بما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كتب الى بعض عماله أن ارزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وفي رواية أما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحد أخرجه النسائي الطلاء بكسر الطاء والمد الشراب المطبوخ من عصير العنب الذى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه واحتج أيضا بما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والسكر من كل شراب أخرجه النسائي واستدل أيضا على ان السكر حرام بما روى عن أبي الاحوص عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بردة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اشربوا ولا تسكروا وعن عائشة رضى الله عنهما نحوه أخرجه النسائي وقال هذا حديث غير ثابت واستدل الشافعي على ان الخمر من عدة أشياء بما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان عمر قال على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد أيها الناس انه نزل تحريم الخمر وهى من خمسة العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا انتهى اليه الجذ والكلاية وأبواب من أبواب الربا أخرجه البخارى ومسلم (ق) عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن البتع فقال كل شراب أسكر فهو حرام البتع شراب يتخذ من العسل كان أهل اليمن يشربونه * عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من العنب خرا وان من البرخرا وان من الشعير خرا وان من التمر خرا أخرجه أبو داود وزاد في رواية والذرة وانى أنها كم عن كل مسكر وللترمذى نحوه وزاد وان من العسل خرا (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما انه سئل عن الباذق فقال سبق حكم محمد الباذق فما أسكر فهو حرام عليك والشراب الحلال الطيب ليس بعد الحلال الطيب الا الحرام الخبيث قال صاحب =

(المطالع)

المطالع الباذق بفتح الذال المجمة هو الطلاء المطبوخ من عصير العنب كان أول من صنعه وسماه بنو أمية لينقلوه عن اسم الخمر وكل ما أسكر فهو خمر لان الاسم لا ينقله عن معناه الموجود فيه وقال ابن الاثير في النهاية الباذق الخمر تعريب باذ وهو اسم للخمر بالفارسية أى لم يكن في زمانه أوسبق قوله فيها وفي غيرها من جنسها وقيل معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم ان ما أسكر فهو حرام * عن أم سلمة رضي الله عنها قالت نبي رسول الله صلى الله عنه وسلم عن كل مسكر ومفترا أخرجه أبو داود * والمفترا كل شراب اجى الجسد وصار فيه فتور وضعف وانكسار واستدل الشافعي على ما اسكر كثيره فقليله حرام بما روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أسكر كثيره فقليله حرام أخرجه الترمذي وأبو داود * عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فل الكف منه حرام أخرجه أبو داود والنسائي * وفي رواية له والحسوة منه حرام الفرق بالتحريك مكيال يسع تسعة عشر رطلا بالبغدادي * وأجيب عن حديث عمر في الطلاء بأنه معارض بما روى عن السائب بن يزيد ان عمر رضي الله عنه قال وجدت من فلان ريح شراب وزعم انه شرب الطلاء وأناسئل عنه فأن كان يسكر جلده ففأسأل عنه فقليله انه يسكر فجلده عمر الحد تاما أخرجه مالك في الموطأ * وأما حديث ابن عباس رضي الله عنهما فموقوف عليه ومعارض بما روى عنه في الباذق * وقوله والسكر من كل شراب قدرواه الحفاظ السكر بفتح السين قال صاحب الغريرين السكر خمر الاعاجم ويقال لما يسكر السكر وروى هذا الحديث ابن جنبل وقال فيه والمسكر من كل شراب وقال موسى بن هارون وهو الصواب وأما حديث أبي الاحوص ففيه وهمان أحدهما في سنده حيث قال عن أبي بردة وانما يرويه سماك عن القاسم عن أبي بريدة عن أبيه والوهم الثاني في منته حيث قال اشربوا ولا تسكروا وانما يرويه الناس ولا تشربوا مسكرا ويدل على صحة هذا ما روى مسلم في صحيحه عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتم عن الاشربة في ظروف الادم فاشربوا في كل وعاء غير ان لا تشربوا مسكرا وقال النسائي في حديث أبي الاحوص هذا حديث منكر غلط فيه أبو الاحوص سلام بن سليم لا يعلم ان أحدا تابعه عليه من أصحاب سماك وأما حديث عائشة فيه فهو غير ثابت كما تقدم في قول النسائي

المسئلة الثانية في الحكم بنجاسة الخمر

الخمر وما يلحق بها نجاسة العين ويدل على نجاستها قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه * والرجس في اللغة النجس والشئ المستقدر وقوله تعالى فاجتنبوه فأمر باجتنابها فكانت نجاسة العين ويدل على نجاستها ايضا انها محرمة تناول للاحترام ولان الناس مشغوقون بها فينبغي ان يحكم بنجاستها تأكيدا للزجر عنها =

== ❦ المسئلة الثالثة في تحريم بيعها والانتفاع بها ❦ ==

اجمعت الامة على تحريم بيع الخمر والانتفاع بها وتحريم ثمنها ويبدل على ذلك ما روى عن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام فمخ مكة ان الله تعالى حرم بيع الخمر والانتفاع بها والميتة والخنزير والاصنام أخرجه في الصحيحين مع زيادة اللفظ (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت التجارة في الخمر (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان فلانا باع خرا فقال قاتل الله فلانا ألم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فحملوها فباعوها ❦ عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من باع الخمر فليشقص الخنازير أخرجه أبو داود * وقوله فليشقص الخنازير أى فليقطعها قطعاً قطعاً كما قطع الشاة للبيع والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنازير فانهما في التحريم سواء ❦ عن أبي طلحة رضى الله عنه قال يابى الله انى اشتريت خمر الايتام فى حجرى فقال اهرق الخمر واكسر الدنان أخرجه الترمذى وقال وقد روى عن انس ان أباطلحة كان عنده خمر لايتام وهو أصح ❦ فأن قلت فما وجه قوله تعالى ومنافع للناس ❦ قلت منافعها اللذة التى توجد عند شربها والفرح والطرب معها وما كانوا يصيبون من الربح فى ثمنها وذلك قبل التحريم فلما حرمت الخمر حرم ذلك كله

❦ فصل ❦

وأما الميسر فهو القمار واشتقاقه من اليسر لانه أخذ مال بسهولة من غير تعب وكذا قال ابن عباس رضى الله عنهما كان الرجل فى الجاهلية يخاطر الرجل على أهله وماله فأيهما قر صاحبه ذهب بأهله وماله فأنزل الله هذه الآية ❦ وأصل الميسر ان أهل الثروة من العرب فى الجاهلية كانوا يشترون جزورا فيخرونها ويجزونها ثمانية وعشرين جزءاً ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الازلام والاقلام وأسماؤها الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيع والسفيج والوغد وكانوا يسهمون لسبعة منها أنصاء فالفذ سهمان وللتوأم سهمين وللرقيب ثلاثة أسهم وللحلس أربعة وللنافس خمسة والمسبل ستة والمعلى سبعة وثلاثة من القداح لانصاء لها وهى المنيع والسفيج والوغد قال بعضهم

لى فى الدنيا سهام ❦ ليس فيهن ربيع
انما سهمى وغد ❦ ومنيع وسفيج

ثم يجمعون القداح فى خريطة يسمونها الربابة ويضعونها على يد رجل عدل عندهم يسمونه الحيل والمفيض فيحيلها فى الخريطة ويخرج منها قدحا باسم رجل منهم فأيهما خرج اسمه أخذ نصيبه على قدر ما يخرج من القداح وان خرج له قدح من الثلاثة التى لانصاء لها لم يأخذ شيئاً وغرم ثمن الجزور كله وقيل لا يأخذ ولا يفرم ويسمون ذلك القدح لغوا ثم يدفنون ذلك الجزور الى الفقراء ولا يأكلون منه شيئاً وكانوا يقتفرون

(بذلك)

(قل فيهما ثم كبير) بسبب التخاضم والتشائم وقول الفحش والزور كثير حجة وعلى (ومنافع للناس) بالتجارة في الخمر والتلذذ بشر بها وفي الميسر بارفاق الفقراء أو نيل ﴿٣٢٧﴾ المال بلا كد (وأثمهما) سورة البقرة وعقاب الأثم في تعاطيهما (أكبر من

نفعهما) لأن أصحاب الشرب والقمار يقتربون فيهما الآثام من وجوه كثيرة (ويستلونك ماذا ينفقون قل العفو) أي الفضل أي انفقوا ما فضل عن قدر الحاجة وكان التصديق بالفضل في أول الإسلام فرضاً فإذا كان الرجل صاحب زرع أمسك قوت سنة وتصديق بالفضل وإذا كان صانعاً أمسك قوت يومه وتصديق بالفضل فتدبعت بآية الزكاة العفو أبو عمرو فن نصبه جعل ماذا اسماً واحداً في موضع النصب ينفقون والتقدير قل ينفقون العفو ومن رفعه جعل ما مبتدأ وخبره ذامع صلته فذا بمعنى الذي وينفقون صلته أي ما الذي ينفقون فجاء الجواب العفو

يستلونك عن الخمر والميسر عن شرر الخمر والقمار (قل) يا محمد (فيهما ثم كبير) بعد التحريم (ومنافع للناس) قبل التحريم بالتجارة بها وبأخذ مال بغير كد (وأثمهما) بعد التحريم (أكبر من نفعهما) قبل التحريم ثم حرم بعد ذلك في كليهما (ويستلونك ماذا ينفقون) نزلت في شأن عمرو بن الجوح سأل النبي صلى الله عليه وسلم ماذا

﴿قل فيهما﴾ أي في تعاطيهما ﴿أثم كبير﴾ من حيث أنه يؤدي إلى الانتكاب عن الأمور به وارتكاب المحظور * وقرأ حجة والكسائي كثير بالشاء ﴿ومنافع للناس﴾ من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة القتيان وفي الخمر خصوصاً تشجيع الجبان وتوفير المروءة وتقوية الطبيعة ﴿وأثمهما أكبر من نفعهما﴾ أي المفاصد التي تنشأ منهما أعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل إنها محرمة للخمر فإن المفسد إذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والظاهر أنه ليس كذلك لما سر من إبطال مذهب المعتزلة ﴿ويستلونك ماذا ينفقون﴾ قيل سألته أيضاً عمرو بن الجوح سأل أولاً عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق ﴿قل العفو﴾ بذلك ويذمون من لا يفعله ويسمونه البرم يعني الخيل الذي لا يخرج شيئاً بين الأصحاب لبخله ﴿وأما حكم الآية فالمراد به جمع أنواع القمار فكل شيء فيه قمار فهو من الميسر روى عن ابن سيرين ومجاهد وعطاء كل شيء فيه خطر يعني الرهن فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكماب وأما التردد فمحرم اللعب به سواء كان مخظراً أم لا ويبدل على تحريمه ما روى عن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالزردشير فكأنما صاغ يده في دم خنزير أخرجه مسلم ﴿وعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بنرد أو نردشير فقد عصى الله ورسوله أخرجه أبو داود﴾ وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال التردد والشطرنج من الميسر واختلفوا في الشطرنج فذهب أبي حنيفة أنه محرم اللعب به سواء كان برهن أو بغير رهن ومذهب الشافعي أنه مباح بشرطه وذكرها الشافعي فقال إذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان ويروى عن الهذيان والصلاة عن النسيان لم يكن حراماً وهو خارج عن الميسر لأن الميسر ما يوجب دفع مال وأخذ مال وهذا ليس كذلك ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿قل فيهما﴾ يعني في الخمر والميسر ﴿أثم كبير﴾ أي وزر عظيم وقيل إن الخمر عدو للعقل فإذا غلبت على عقل الإنسان ارتكب كل قبيح ففي ذلك آثام كبيرة منها إقدامه على شرب المحرم ومنها فعل ما لا يحل فعله وأما الأثم الكبير في الميسر فهو أكل المال الحرام بالباطل وما يجري بينهما من الشتم والمخاصمة والمعاداة وكل ذلك فيه آثام كثيرة ﴿ومنافع للناس﴾ يعني أنهم كانوا يربحون في بيع الخمر قبل تحريمها وأما منافع الميسر فهو أخذ مال بغير كد ولا تعب قيل ربما إن الواحد منهم كان يقيم في المجلس الواحد مائة بعير فيحصل له المال الكثير وربما كان يصرفه إلى المحتاجين فيكسب بذلك الثناء والمدح وهو المنفعة ﴿وأثمهما أكبر من نفعهما﴾ يعني أثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل أثمهما قوله تعالى إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فهذه ذنوب يترتب عليها آثام كبيرة بسبب الخمر والميسر ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿ويستلونك ماذا ينفقون﴾ وذلك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حضهم على الصدقة فقالوا ماذا تنفق فقال الله تعالى ﴿قل العفو﴾

تصدق من أموالنا فقال الله لنبيه ويستلونك ماذا ينفقون ماذا يتصدقون من أموالهم (قل العفو) ما فضل من القوت

أى هو العفو فاعراب الجواب كاعراب السؤال ليطابق الجواب السؤال (كذلك) الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف
 أى تبيننا مثل هذا التبيين { الجزء الثانى } (بين الله لكم ﴿ ٣٢٨ ﴾ الآيات لعلمكم تتفكرون في الدنيا)

العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما يتسرله بذله ولا يبلغ
 منه الجهد قال

خذى العفو منى تستدعى مودتى • ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب

وروى ان رجلا أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بيضة من ذهب أصابها فى بعض
 المغام فقال خذها منى صدقة فأعرض عليه الصلاة والسلام عنه حتى كرر عليه مرارا فقال هاتها
 مفضبا فأخذها فخذفها خذفا لأصابه لشجه ثم قال يأتى أحدكم بماله كله يتصدق به
 ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى • وقرأ أبو عمرو برفع العفو ﴿ كذلك
 بين الله لكم الآيات ﴾ أى مثل ما بين ان العفو أصلح من الجهد أو ما ذكر من الاحكام
 والكاف فى موضع النصب صفة لمصدر محذوف أى تبيننا مثل هذا التبيين وانما وحد
 العلامة والمخاطب به جمع على تأويل القبيل والجمع ﴿ لعلمكم تتفكرون ﴾ فى الدلائل
 والاحكام ﴿ فى الدنيا والآخرة ﴾ فى أمور الدارين فتأخذون بالاصح والانفع منها
 وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم أو يضركم أكثر مما ينفعكم ﴿ ويستلثونك عن اليتامى ﴾
 لما نزلت ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما الآية اعترلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام
 بأمرهم فشق ذلك عليهم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ﴿ قل
 أصلاح لهم خير ﴾ أى مداخلتهم لاصلاحهم أو أصلاح أموالهم خيرا من مجابتهم

يعنى الفضل والعفو ما فضل عن قدر الحاجة فكانت الصحابة رضى الله عنهم يكتسبون المال
 ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفاضل بحكم هذه الآية ثم نسخ ذلك بآية
 الزكاة وقيل هو التصديق عن ظهر غنى (ق) عن الزهري رضى الله عنه
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى
 واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقيل هو الوسط فى الاتفاق من
 غير اسراف ولا اقتار وقيل هو فى صدقة التطوع اذ لو كان المراد بهذا الاتفاق الواجب
 ليين قدره فلما لم يبينه دل ذلك على أن المراد به صدقة التطوع ﴿ كذلك بين
 الله لكم الآيات ﴾ أى بين لكم الامور التى سألتكم عنها من وجوه الاتفاق ومصارفه
 ﴿ لعلمكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة ﴾ يعنى فتأخذون ما يصلحكم فى الدنيا وتتفقون
 الباقي فينفعكم فى الآخرة وقيل لعلمكم تتفكرون فى زوال الدنيا وتردها وافيها وفى اقبال الآخرة
 وبقائها فترغبوا فيها ﴿ قوله عز وجل ﴾ ويستلثونك عن اليتامى ﴿ قال ابن عباس
 رضى الله عنهما لما نزلت ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما تخرج المسلمون من
 أموال اليتامى تخرجوا شديدا حتى عزلوا أموالهم عن أموالهم وتركوا مخالطتهم وربما
 كان يصنع لليتيم الطعام فيفضل منه فيتركونه ولا يأكلونه فاشتد ذلك عليهم فسألوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ويستلثونك عن اليتامى ﴿ قل أصلاح لهم خير ﴾
 أى اصلاح أموال اليتامى من غير أخذ أجره ولا عوض خير لكم أى أعظم أجرا

أى فى أمر الدنيا (والآخرة) وفى يتعلق بتفكرون أى
 تتفكرون فيما يتعلق
 بالدارين فتأخذون بما هو
 أصلح لكم أو تتفكرون فى
 الدارين فتؤثرون بأقاربا
 وأكثرهما منافع ويجوز
 أن يتعلق ببين أى بين
 لكم الآيات فى أمر الدارين
 وفيما يتعلق بهما لعلمكم
 تتفكرون ولما نزل ان الذين
 يأكلون أموال اليتامى
 ظلما اعترلوا اليتامى وتركوا
 مخالطتهم والقيام بأموالهم
 وذكروا ذلك لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم فنزل
 ويستلثونك عن اليتامى قل
 اصلاح لهم خير (أى
 مداخلتهم على وجه
 الاصلاح لهم ولا أموالهم خير

وأكل العيال ثم نسخ ذلك
 بآية الزكاة (كذلك) هكذا
 (بين الله لكم الآيات)
 الامر والنهى وهو ان الدنيا
 (لعلمكم تتفكرون فى الدنيا)
 انها فانية (والآخره)
 انها باقية (ويستلثونك
 عن اليتامى) نزلت فى شأن
 عبد الله بن رواحة سأل
 النبي صلى الله عليه وسلم
 عن مخالطة اليتامى فى الطعام
 والشراب والمسكن يجوز
 أم لا فقال الله لنبيه ويسألونك
 عن اليتامى عن مخالطة اليتامى بالطعام والشراب والمسكن (قل) يا محمد (اصلاح لهم) ولما لهم (خير) من ترك (وقيل)

من مجانبهم (وأن تخالطوهم) ﴿ ٣٢٩ ﴾ وتعاشرهم ولم تجانبوهم {سورة البقرة} (فأخوانكم) فهم اخوانكم

في الدين ومن حق الاخ
أن يخالط أخاه (والله يعلم
المفسد) لا موالمهم (من المصلح)
لها فيجزيه على حسب
مداخلته فأحذروه ولا
تعمروا غير الاصلاح (ولو
شاء الله) اعانتكم (لا اعتنكم)
لحللكم على العنت وهو
المشقة وأخرجكم فلم يطلق
لكم مداخلتهم (ان الله
عزيز) غالب يقدر على
أن يعنت عباده ويخرجهم
(حكيم) لا يكلف الا وسعهم

وطاقتهم ولما سأل مرشد
النبي صلى الله عليه وسلم
عن أن يتزوج عناق وكانت
مشركة نزل (ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن)
أي لا تتزوجوهن يقال
نكح اذا تزوج وأنكح غيره

مخالطتهم (وان تخالطوهم)
في الطعام والشراب والمسكن
(فأخوانكم) فهم اخوانكم
في الدين فاحفظوا انصافهم
(والله يعلم المفسد)
لمال اليتيم (من المصلح) لمال
اليتيم (ولو شاء الله لا اعتنكم)
لحرم المخالطة عليكم (ان الله
عزيز) بالنقمة لمفسد مال
اليتيم (حكيم) يحكم باصلاح
مال اليتيم (ولا تنكحوا
المشركات) نزلت في مرشد بن
أبي مرشد الغنوي الذي
أراد أن يتزوج امرأة مشركة

﴿ وأن تخالطوهم فأخوانكم ﴾ حث على المخالطة أي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ
ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة ﴿ والله يعلم المفسد من المصلح ﴾ وعيد
ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح أي يعلم أمره فيجزيه عليه ﴿ ولو شاء الله لا اعتنكم ﴾
أي ولو شاء الله اعانتكم لا اعتنكم أي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة ولم يجوز
لكم مداخلتهم ﴿ أن الله عزيز ﴾ غالب يقدر على الاعانت ﴿ حكيم ﴾ يحكم ما يقتضيه
الحكمة وتتسع له الطاقة ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ﴾ أي ولا تتزوجوهن
﴿ وقرئ ﴾ بالضم أي ولا تتزوجوهن من المسلمين والمشركات تم الكتابيات لان أهل
الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح
ابن الله الى قوله تعالى سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من
الذين أتوا الكتاب روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث مرشد الغنوي الى مكة ليخرج منها
أناسا من المسلمين فأنته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت ألا تخلو فقال أن الاسلام
حال بيننا فقالت هل لك أن تتزوج بي فقال نعم ولكن أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقيل هو ان يوسع على اليتيم من طعام نفسه ولا يوسع من طعام اليتيم ﴿ وأن
تخالطوهم ﴾ يعني في الطعام والخدمة والسكنى وهذا فيه اباحة المخالطة أي شاركوهم
في أموالهم واخلطوها بأموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا
من أموالهم عوضا من قيامكم بأموالهم أو تكافؤهم على ما تصيبون من أموالهم
﴿ فأخوانكم ﴾ أي فهم اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم
من مال بعض على وجه الاصلاح والرضا ﴿ والله يعلم المفسد من
المصلح ﴾ يعني المفسد لمال اليتيم والمصلح له ويعلم الذي يقصد بالمخالطة الخيانة وأكل
مال اليتيم بغير حق والذي يقصد الاصلاح ﴿ ولو شاء الله لا اعتنكم ﴾ أي لضيق
عليكم وما أباح لكم مخالطتهم وأصل العنت الشدة والمشقة والمعنى لكلفكم في كل شيء
ما يشق عليكم ﴿ أن الله عزيز حكيم ﴾ أي غالب يقدر ان يشق على عباده ويعنتهم
ولكنه حكيم لا يكلف عباده الا ما تتسع فيه طاقتهم * قوله عز وجل ﴿ ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن ﴾ نزلت في أبي مرشد بن أبي مرشد الغنوي واسم أبي مرشد
يسار بن حصين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين
سرا فلما قدما سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته في الجاهلية فأنته
فقالت ألا تخلو فقال ويحك يا عناق ان الاسلام حال بيني وبين ذلك فقالت له هل لك
أن تتزوج بي قال نعم ولكن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أستأمره فقالت
أبي تبرم واستعانت عليه فضر به ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة
وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه بما كان من أمره وأمر عناق ومات
بسببها وقال يا رسول الله أيجل لي أن أتزوجها فأنزل الله تعالى هذه الآية * وأصل
النكاح في اللغة الوطء ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح ومعنى الآية ولا تنكحوا أي المؤمنون

تسمى عناق فهي الله عن ذلك فقال ولا تنكحوا (قاو خا ٤٢ ل) المشركات يقول لا تتزوجوا المشركات بالله (حتى يؤمن)

فاستأمره فنزلت ﴿ولأمة مؤمنة خير من مشركة﴾ أى ولا امرأة مؤمنة حرة كانت أو مملوكة فأن الناس كلهم عبيد الله وأماؤه ﴿ولو أعجبتكم﴾ بحسنها وشمائلها والواو

المشركات حتى يؤمن أى يصدقن بالله ورسوله وهو الاقرار بالشهادتين والتزام أحكام المسلمين واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقيل انها تدل على ان كل مشركة يحرم نكاحها على كل مسلم من أى أجناس الشرك كانت كالوثنية والمجوسية والنصرانية وغيرهن من أصناف المشركات ثم استثنى الله تعالى من ذلك نكاح الحرائر الكتابيات بقوله تعالى والمحصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم فأباح الله تعالى نكاحهن بهذه الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ثم استثنى نساء أهل الكتاب فقال والمحصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم وقيل ان حكم الآية نزل في مشركات العرب الوثنيات خاصة ولم ينسخ منها شئ ولم يستثن وانما حكمها عام مخصوص قال قتادة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن يعنى مشركات العرب اللاتي ليس فيهن كتاب يقرأنه وبيان هذا في مسألة وهى ان لفظ الشرك على من يطلق فلا كثرون من العلماء وهو القول الصحيح المختار أن لفظ الشرك يندرج فيه أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذلك عبدة الاصنام والمجوس وغيرهم ويدل على أن اليهود والنصارى يطلق عليهم اسم الشرك قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا ألها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون فهذه الآية صريحة في شرك اليهود والنصارى وقيل كل من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وان زعم أن الله تعالى واحد فهو مشرك وذلك ان من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم مع صحة نبوته وظهور مجزاته فقد زعم أن ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم هو من عند غير الله فقد أشرك مع الله غيره فعلى هذا القول أيضا يدخل فيه اليهود والنصارى لانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل أن اسم الشرك لا يتناول الا عبدة الاوثان فقط والاول أصح لما تقدم من الادلة فعلى قول من قال ان اسم الشرك لا يتناول الا الوثنيات تكون الآية محكمة وعلى قول الاكثرين ان اسم الشرك يتناول الوثنيات والكتابيات وغيرهن تكون الآية محكمة في حق الوثنيات منسوخة في حق الكتابيات وقوله تعالى ﴿ولأمة مؤمنة خير﴾ يعنى أنفع وأصلح وأفضل ﴿من مشركة﴾ يعنى حرة ﴿ولو أعجبتكم﴾ يعنى بحبالها ومالها ونسبها فالأمة المؤمنة خير وأفضل عند الله من الحرة المشركة نزلت في خنساء وليدة كانت لحذيفة بن اليمان فقال يا خنساء قد ذكرت في الملاء الأعلى على سوادك ودمامتك ثم أعتقها وتزوجها وقيل نزلت في عبدالله بن رواحة كانت عنده أمة سوداء ففضب عليها يوما فظلمها ثم فرغ فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال وماهى يا عبدالله قال هى تشهد أن لا اله الا الله

زوجها (ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها

بالله (ولأمة مؤمنة) يقول نكاح أمة مؤمنة (خير من مشركة) من نكاح حرة مشركة (ولو أعجبتكم) حسنها وجالها

(ولا تنكحوا المشركين) ولا تزوجوهم بمسئلة كذا قاله الزجاج وقال في جامع العلوم حذف أحد المنعولين والتقدير ولا تنكحوا من المشركين (حتى يؤمنوا ولعبدمؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) ثم بين علة ذلك فقال (أولئك) وهو إشارة الى المشركات والمشركين (يدعون الى النار) الى الكفر الذي هو عمل أهل النار فحتم أن لا يوالوا ولا يصاهروا (والله يدعو الى الجنة والمغفرة) . أى وأولياء الله ﴿ ٣٣١ ﴾ وهم المؤمنون {سورة البقرة} يدعوون الى الجنة والمغفرة

وما يوصل اليهمافهم الذين
تجب موالاتهم ومصاهرتهم
(بأذنه) بعلمه أو بأمره
(وبين آياته للناس لعلمهم
يتذكرون) يتعظون كانت
العرب لم يؤاكلوا الخائض
ولم يشاربوا ولم يساكنوها
كفعل اليهود والمجوس
فسأل أبو الدحداح رسول
الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك وقال يا رسول الله
كيف نصنع بالنساء اذا
حضن فترنل (ويستلونك
عن المحيض) هو مصدر
يقال حاضت محيضا كقولك

للحال ولو بمعنى أن وهو كثير ﴿ ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ﴾ ولا تزوجوا
منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عومه ﴿ ولعبدمؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم ﴾
تعليل للنهي عن مواسلتهم وترغيب في مواسلة المؤمنين ﴿ أولئك ﴾ إشارة الى
المذكورين من المشركين والمشركات ﴿ يدعوون الى النار ﴾ أى الكفر المؤدى الى
النار فلا يلبق موالاتهم ومصاهرتهم ﴿ والله يدعو ﴾ أى أولياؤه يعنى المؤمنين
حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه تفخيما لشأنهم ﴿ الى الجنة والمغفرة ﴾
أى الى الاعتقاد والعمل الموصولين اليهمافهم الاحقاء بالمواصلة ﴿ بأذنه ﴾ أى بتوفيق الله تعالى
وتيسيره أو بقضائه وارانته ﴿ وبين آياته للناس لعلمهم يتذكرون ﴾ لكى يتذكروا
أو ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى
﴿ ويستلونك عن المحيض ﴾ روى أن أهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض
ولم يؤاكلوهن كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى أن سأل أبو الدحداح في نفر من

وأنتك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلى فقال هذه أمة مؤمنة قال
عبدالله فولذى بعثك بالحق لاعتقنها ولا تزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين
فقالوا أنتك أمة وعرضوا عليه حرة مشركة فأنزل الله هذه الآية ﴿ ولا تنكحوا المشركين
حتى يؤمنوا ﴾ هذا خطاب لاولياء المرأة أى لا تزوجوا المسلمة من المشركين حرم على
المؤمنات أن ينكحن مشركا من أى أصناف الشرك كان وانقاد الاجاع على أنه لا يجوز للمسلمة
أن تزوج بالمشرك ﴿ ولعبدمؤمن خير من مشرك ﴾ يعنى حرا ﴿ ولو أعجبكم ﴾ بحسنه وماله
وجاله ﴿ أولئك يدعوون الى النار ﴾ يعنى يدعوون الى الشرك الذى يؤدى الى النار ﴿ والله يدعو
الى الجنة والمغفرة ﴾ يعنى انه تعالى بين هذه الاحكام وأباح بعضها وحرم بعضها فاعلموا بما
أمركم به واتهروا عما نهاكم عنه فإنه من عمل بذلك استحق الجنة والمغفرة ﴿ بأذنه ﴾ أى
بتيسير الله وارانته وتوفيقه ﴿ وبين آياته للناس ﴾ أى يوضح أدلته وحججه
فى أوامره ونواهيه وأحكامه ﴿ لعلمهم يتذكرون ﴾ أى يتعظون ﴿ قوله عز وجل
﴿ ويستلونك عن المحيض ﴾ (م) عن أنس رضى الله عنه أن اليهود كانوا اذا حاضت
المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها فى البيوت فسأل أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ويستلونك عن المحيض قل
هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض الى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصنعوا كل شئ الا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل ان يدع من

وكذلك (لا تنكحوا
المشركين) أى لا تزوجوا
المشركين بالله (حتى يؤمنوا)
بالله (ولعبدمؤمن)
يقول تزويجكم لعبدمؤمن
(خير من مشرك) من
تزويجكم لخرمشرك (ولو
أعجبكم) بدنه وقوته (أولئك)
المشركون (يدعوون الى
النار) يدعوون الى الكفر
وعمل النار (والله يدعو
الى الجنة) بالتوحيد
(والمغفرة) بالتوبة (بأذنه)

بأمره (وبين آياته) أمره ونهيه فى التزويج (للناس لعلمهم يتذكرون) لكى يتعظوا و ينتهوا عن تزويج الحرام
(ويستلونك عن المحيض) نزلت فى شأن ابى الدحداح سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال الله لنبيه ويسألونك
عن المحيض عن مجامعة النساء

جاء مجيئا (قل هو أذى) أي الحيض شيء يستند ويؤذي من يقربه (فاعتزلوا النساء في الحيض) فاجتنبوهن أي فاجتنبوا مجامعتهم
وقيل ان النصراري كانوا يجامعونهن ولا يباليون بالحيض واليهود كانوا يعزلونهن في كل شيء فأمر الله بالاقتصاد بين الامرين ثم
عند أبي حنيفة وأبي يوسف { الجزء الثاني } رجهما الله يجتنب ﴿ ٣٣٢ ﴾ ما شتمل عليه الازار ومحمد رجه الله

الصحابة عن ذلك فترات * والحيض مصدر كالجبيء والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسألونك
بغير واوثلانا ثم بها ثلاثا لان السؤالات الاول كانت في أوقات متفرقة والسلائمة
الاخيرة كانت في وقت واحد فذلك ذكرها بحرف الجمع ﴿ قل هو أذى ﴾ أي
الحيض شيء مستند مؤذ من يقربه نفرة منه ﴿ فاعتزلوا النساء في الحيض ﴾ فاجتنبوا
مجامعتهم لقوله عليه الصلاة والسلام انما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهم اذا حضن ولم يأمركم
بأخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط
النصارى فانهم كانوا يجامعون ولا يباليون بالحيض وانما وصفه بأنه أذى ورتب الحكم عليه
بالفاء اشعارا بأنه العلة ﴿ ولا تقربوهن حتى يطهرن ﴾ تأكيد للحكم وبيان لغايته وهو
أن يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحاً قراءة حجة والكسائي وعاصم في رواية
ابن عباس رضى الله عنهما يطهرن أي يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله ﴿ فاذا تطهرن
فأتوهن ﴾ فإنه يقتضى تأخير جواز الايتان عن الغسل وقال أبو حنيفة رضى الله
تعالى عنه أن طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل ﴿ من حيث أمركم الله ﴾
أي المأني الذي أمركم الله به وحلله لكم

لا يوجب الاعتزال الفرج
وقالت عائشة رضى الله عنها
يجتنب شعار الدم وله ماسوى
ذلك (ولا تقربوهن)
مجامعين أو ولا تقربوا
مجامعتهم (حتى يطهرن)
بالتشديد كوفي غير حفص
أي يغتسلن وأصله يتطهرن
فادغم التاء في الطاء لقرب
مخر جيها غيرهم يطهرن
أي ينقطع دمهن والقراءتان
كأيتين فعملنا بهما وقلنا ان
يقربها في أكثر الحيض بعد
انقطاع الدم وان لم تغتسل
عملا بقراءة التخفيف وفي
أقل منه لا يقربها حتى تغتسل
أو يعضى عليها وقت الصلاة
عملا بقراءة التشديد والحل
على هذا أولى من العكس
لانه حينئذ يجب ترك العمل
بأحديهما لما عرف وعند
الشافى رجه الله لا يقربها
حتى تطهر وتنظف دليله
قوله تعالى (فاذا تطهرن
فأتوهن) فجامعوهن فجمع
بينهما (من حيث أمركم الله)
من المأني الذي أمركم الله
به وحلله لكم وهو القبل

أمرنا شيئا الا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يا رسول الله ان
اليهود تقول كذا وكذا أفلا نجامعون فقير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
ظننا أنه قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فارسل في آثارهما فسقاهما فعرفنا انه لم يجد عليهما الوجد الغضب * وأصل
الحيض السيلان والانفجار يقال حاض الوادى اذا سال وفاض ماؤه ﴿ قل هو
أذى ﴾ أي هوشى قدر والاذى في اللغة ما يكره من كل شيء ﴿ فاعتزلوا النساء
في الحيض ﴾ أي فاجتنبوا مجامعتهم ﴿ ولا تقربوهن ﴾ يعنى بالوطء والمجامعة فهو
كالتوكيد لقوله فاعتزلوا النساء في الحيض ﴿ حتى يطهرن ﴾ يعنى من الحيض والمعنى
ولا تقربوهن حتى يزول عنهن الدم * وقرئ يطهرن بتشديد الطاء ومعناه حتى يغتسلن
﴿ فاذا تطهرن ﴾ أي اغتسلن من حيضهن ﴿ فأتوهن ﴾ من حيث أمركم الله ﴿ قال ابن عباس
رضى الله عنهما طوهن في الفرج ولا تعتدوا الى غيره فانه هو الذى أمر الله به ولا تأتوهن
في غير المأني وقيل فأتوهن من الوجه الذى أمركم الله به وهو الطهر وقيل معناه وأتوهن
من حيث يحل لكم غشيانهن وذلك بأن لا يكن صائعات ولا معتكفات ولا محرقات
﴿ فصل في حكم هذه الآية ﴾ وفيه مسائل { المسئلة الاولى } —

أجمع المسلمون على تحريم الجماع في زمن الحيض ومستعمله كافر عن أبي هريرة رضى الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل
على محمد أخرجه الترمذى وقال انما معنى هذا عند أهل العلم على التغليظ ومن فعله

في الحيض (قل) يا محمد
(هو أذى) قدر حرام

(فاعتزلوا النساء في الحيض) فاتركوا مجامعة النساء في الحيض (ولا تقربوهن) بالجماع (حتى يطهرن) من (وهو)
الحيض (فاذا تطهرن) واغتسلن (فأتوهن) جامعوهن (من حيث أمركم الله) من حيث رخصكم الله قبل ذلك في الفروج

وهو عالم بالتعريم عزره الامام وفي وجوب الكفارة قولان أحدهما انه يستغفر الله ويتوب اليه ولا كفارة عليه وهو قول أبي حنيفة والشافعي في الجديد والقول الثاني انه تجب عليه الكفارة وهو القول القديم للشافعي وبه قال أحمد بن حنبل لما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يقع على امرأته وهي حائض قال يتصدق بتصرف دينار* وفي رواية قال اذا كان دما أحر فدينار وان كان دما أصفر فنصف دينار أخرجه الترمذي وقال رفعه بعضهم عن ابن عباس رضي الله عنهما ووقفه بعضهم

المسئلة الثانية

أجمع العلماء على جواز الاستمتاع بالمرأة الحائض بما فوق السرة ودون الركبة وجواز مضاجعتها وملاستها ويبدل على ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها قالت كانت أحدا نانا اذا كانت حائضا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يباشرها أمرها أن تأتزر بأزار في فور حيضها ثم يباشرها أو يكمل أربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك أربه* وفي رواية قالت كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناه واحد وكلانا جنب وكان يأمرني فأتزر فيباشرني وأنا حائض أخرجاه في الصحيحين المراد بالمباشرة الاستمتاع بما دون الفرج* وفور كل شئ أوله وابتدأؤه* وقولها يملك أربه يروي بسكون الراء وهو العضو وبفتحها وهو الحاجة (م) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ناويلني الخمرة من المسجد قلت أنا حائض قال إن حيضتك ليست في يدك* الخمرة حصير صغير مضمور من سفن النخل أو غيره بقدر الكف* وقولها من المسجد يعني ناداه من المسجد لانه صلى الله عليه وسلم كان معتكفا في المسجد وعائشة في حجرتها فطلب منها الخمرة وهي حائض

المسئلة الثالثة

يحرم على الحائض الصلاة والصوم ودخول المسجد وقراءة القرآن ومس المحض وحله فلو أمنت الحائض من التلويث في عبور المسجد جاز في أحد الوجهين قياسا على الجنب والثاني لا لان حدثها أغلظ ويجب على الحائض قضاء الصوم دون الصلاة لما روى عن معاذة المدوية قالت سألت عائشة رضي الله عنها فقلت ما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة قالت أحرورية أنت قلت لست بحرورية ولكني أسأل قالت كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة أخرجاه في الصحيحين

المسئلة الرابعة

لا يرتفع شئ مما منه الحيض بانقطاع الدم ما لم تغتسل أو تتيم عند عدم الماء الا الصوم فإنه اذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فإنه يصح وان اغتسلت في النهار وذهب أبو حنيفة الى أنه يجوز للزوج غشيها اذا انقطع الدم لاكثر الحيض وهو عشرة أيام عنده قبل الغسل ومذهب الشافعي وغيره من العلماء انه لا يجوز للزوج غشيها ما لم تغتسل من الحيض أو تتيم عند عدم الماء لان الله تعالى علق جواز وطء الحائض بشرطين أحدهما انقطاع الدم والثاني الغسل فقال ولا تقربوهن حتى يطهرن يعني من الحيض فإذا تطهرن يعني اغتسلن فأنوهن من حيث أمركم الله فدل ذلك على ان الوطء لا يحل

﴿ أن الله يحب التوابين ﴾ من الذنوب ﴿ ويحب المتطهرين ﴾ أي المتزهين عن الفواحش والافذار كمجامعة الحائض والائتان في غير المأني ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ مواضع حرث لكم شهن بها تشبيها لما يلقى في أرحامهن

قبل الغسل ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ أن الله يحب التوابين ﴾ يعني من الذنوب والتواب الذي كلما أذنب جدد توبة وقيل التواب هو الذي لا يعود الى الذنب ﴿ ويحب المتطهرين ﴾ يعني من الاحداث وسائر النجاسات بالماء وقيل المتطهرين من الشرك وقيل هم الذين لم يصيبوا الذنوب ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ الآية ﴿ ق ﴾ عن جابر رضي الله عنه قال كانت اليهود تقول اذا جامعها من ورأها جاء الولد أحول فنزلت نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وفي رواية للترمذي كانت اليهود تقول من أتى المرأة في قبلها من دبرها وذكر الحديث ﴿ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما أهلكك قال حولت رحلى الليلة قال فلم يرد عليه شيئاً فأوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم أقبل وأدبر واتق الدبر والحیضة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله حولت رحلى هو كناية عن الايتان في غير المحل المعتاد هذا ظاهره ويجوز أن يريد به انه أنها في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها ﴿ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان هذا الحى من الانصار وهم أهل وثن مع هذا الحى من يهود وهم أهل كتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من شأن أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء الاعلى حرف وذلك أشق ماتكون المرأة فكان هذا الحى من الانصار قد أخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحى من قريش يشرحون النساء شرحا منكرا ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب ان يصنع بها ذلك فانكرته عليه وقالت انا كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك والافاجتنبني حتى سرى أمرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم أى مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعنى بذلك موضع الولد أخرجه أبو داود والوثن الصنم وقيل الصورة لاجثة لها ﴿ وقوله على حرف الحرف الجانب وحرف كل شىء جانبه وقوله يشرحون النساء يقال شرح فلان جاريتة اذا وطئها على قفاها وأصل الشرح البسط ﴿ وقوله سرى أمرهما أى ارتفع وعظم وتفاخم وأصله من سرى البرق اذا لجى للامعان ﴿ عن أم سلمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم في صمام واحد ويروى سمام بالسين أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ﴿ وقوله تعالى حرث لكم معناه مزرع لكم ومنبت للولد وهذا على سبيل

ان الله يحب التوابين) من ارتكاب ما نهوا عنه أو العوادين الى الله تعالى وان زلوا فزلوا والمحبة لمعرفته بعظم عفو الله حيث لا يبأس (ويحب المتطهرين) بالماء والمتزهرين من اذبار النساء أو من الجماع في الحيض او من الفواحش كان اليهود يقولون اذا أتى الرجل أهله بركة أتى الولد أحول فنزل (نساؤكم حرث لكم) مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبهن بالحراث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل بالذور والولد بالنبات ووقع قوله نساؤكم حرث لكم بيانا وتوضيحا لقوله فأتوهن من حيث أمركم الله أى ان المأني الذي أمركم الله به هو مكان الحراث لا مكان القرب تنبيهها على ان المطلوب الاصل في الايتان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأني الذي

(ان الله يحب التوابين) الراجعين من الذنوب (ويحب المتطهرين) من الذنوب والادناس (نساؤكم حرث لكم) يقول فروج نساؤكم مزرعة لاولادكم

نيطبه هذا المطلوب (فأتوا
 حرثكم أنى شتم)
 جامعوهن متى شتم أو كيف
 شتم بركة أو مستلقية
 أو مضطجعة بعد أن يكون
 الماتى واحدا وهو موضع
 الحرث وهو تمثيل أى
 فأتوهن كأناتون أراضكم
 التى تريدون أن تحرثوها
 من أى جهة شتم لا يحظر
 عليكم جهة دون جهة
 وقوله هو أذى فاعتزلوا النساء
 من حيث أمركم الله فأتوا
 حرثكم أنى شتم من الكنايات
 اللطيفة والتعريضات
 المستحسنة فعلى كل
 مسلم أن يتأدب بها ويتكلف
 مثلها فى المحاورات والمكاتبات
 (وقدموا لانفسكم) ما يجب
 تقديمه من الاعمال الصالحة
 وما هو خلاف ما نهيتهم عنه
 أو هو طلب الولد أو التسمية
 على الوطء (واتقوا الله)
 فلا تجترأوا على المناهى
 (واعلموا أنكم ملاقوه)
 صأرون اليه فاستعدوا
 (فأتوا حرثكم) من زرعكم
 (أنى شتم) كيف شتم
 مقبلة أو مدبرة اذا كان فى
 صمام واحد (وقدموا
 لانفسكم) من ولد صالح
 (واتقوا الله) اخشوا الله
 فى ادبار النساء ومجامعتهن
 فى الحيض (واعلموا أنكم
 ملاقوه) معاينوه بعد الموت

من النطف بالبدور ﴿ فأتوا حرثكم ﴾ أى فأتوهن كأناتون المحارث وهو كاليسان
 لقوله فأتوهن من حيث أمركم الله ﴿ أنى شتم ﴾ من أى جهة شتم روى أن اليهود
 كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها فى قبلها كان ولدها أحول فذكر ذلك لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ﴿ وقدموا لانفسكم ﴾ ما يدخلكم من الثواب وقيل هو
 طلب الولد وقيل التسمية عند الوطء ﴿ واتقوا الله ﴾ بالاجتناب عن معاصيه ﴿ واعلموا
 أنكم ملاقوه ﴾ فتزودوا ما لا تقتضون به

التشبيه فجعل فرج المرأة كالارض والنطفة كالبدن والولد كالنبات الخارج ﴿ فأتوا
 حرثكم أنى شتم ﴾ يعنى كيف شتم وحيث شتم اذا كان فى القبل والمعنى كيف
 شتم مقبلة ومدبرة على كل حال اذا كان فى الفرج وفى الآية دليل على تحريم
 اتيان النساء فى أديارهن لان محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر ويؤيد ذلك ما روى
 عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من أتى امرأة فى دبرها
 أخرجها أبو داود وقال سعيد بن المسيب هذا فى العزل يعنى أن شتم فاعزلوا وان شتم
 لاتزلوا وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن العزل فقال حرثك ان شئت
 فمطش وان شئت فارو ويروى عنه انه قال تستأمر الحرة فى العزل ولا تستأمر
 الجارية وبه قال أحد وكره جماعة العزل وقالوا هو الوأد الخنى * وروى نافع قال كنت
 أمسك على ابن عمر رضى الله عنهما المحصف فقرا هذه الآية نساءكم حرث لكم قال
 تدرى فيم نزلت هذه الآية قلت لا قال نزلت فى رجل أتى امرأته فى دبرها فشق
 ذلك عليه فنزلت هذه الآية وروى عبد الله بن الحسن انه لقي سالم بن عبد الله بن عمر فقال له
 يا عم ما حديث يحدثه نافع عن عبد الله انه لم يكن يرى بأسا بأتان النساء فى أديارهن فقال
 كذب العبدوا خطأ انما قال عبد الله يؤتون فى فروجهن من أديارهن ويحكى عن مالك اباحة
 ذلك وأنكره أصحابه وأجمع جمهور العلماء على تحريم أتيان النساء فى أديارهن وقالوا لان الله
 حرم الفرج فى حال الحيض لاجل النجاسة العارضة وهو الدم وأولى ان يحرم الدبر لاجل
 النجاسة اللازمة ولان الله تعالى نص على ذكر الحرث والحرث به يكون نبات الولد فلا يحل
 العدول عنه الى غيره ﴿ قوله عز وجل ﴾ وقدموا لانفسكم ﴿ يعنى الولد وقيل قدموا
 التسمية والدعاء عند الجماع (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال النبي صلى
 الله عليه وسلم لو أن أحدكم اذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب
 الشيطان ما رزقتنا فإنه ان يقدر بينهما ولد فى ذلك لم يضره الشيطان أبدا وقيل أراد به تقديم
 الافراط (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الاتحالة القسم * قوله الاتحالة
 القسم يعنى قدرا يبر الله قسمه فيه وهو قوله تعالى وان منكم الاواردها فأذا وردها
 جاوزها فقد أبر الله قسمه وقيل قدموا لانفسكم يعنى من الخير والعمل الصالح بدليل
 سياق الآية ﴿ واتقوا الله ﴾ أى احذروا ان تأتوا شأ ما نهاكم الله عنه ﴿ واعلموا
 أنكم ملاقوه ﴾ أى صأرون اليه فى الآخرة فيجزىكم بأعمالكم

تلقاه (وبشر المؤمنين) بالثواب يا محمد وانما جاء يستلونك ثلاث مرات بلا واو ثم مع الواو ثلاثا لان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول كأنه وقع في أحوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجاء بحرف الجمع لذلك (ولا تجعلوا الله عرضة لايانكم) العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الأمان فيعرض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير وكان { الجزء الثاني } الرجل يحلف على ﴿٣٣٦﴾ بعض الخيرات من صلة رحم أو اصلاح

ذات بين أو احسان الى أحد أو عبادة ثم يقول اخاف الله ان أحنت في عيني فيترك البر أرادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمى المحلوف عليه يمينا بتلبسه باليمين كقوله عليه السلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وقوله (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) عطف بيان لايانكم أي للمامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس والام تتعلق بالفعل أي ولا تجعلوا الله لايانكم برزخا ويجوز ان تكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل أو بالعرضة اي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة

﴿وبشر المؤمنين﴾ الكاملين في الايمان بالكرامة والنعيم الدائم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامثل أمره منهم ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لايانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس﴾ نزلت في الصديق رضى الله تعالى عنه لما حلف ان لا ينفق على مسطح لاقتراه على عائشة رضى الله عنها أو في عبد الله بن رواحة رضى الله عنه حلف ان لا يكلم خنته بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين أخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشيء وللعرض للامر ومعنى الآية على الاول ولا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من أنواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عليه الصلاة والسلام لابن سمره اذ حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز أن تكون للتعليل ويتعلق أن بالفعل أو بعرضة أي ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضا لايانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطعم كل حلاف مهين وأن تبروا علة للنهي أي

﴿وبشر المؤمنين﴾ يعني بالكرامة من الله تعالى ﴿قوله عز وجل﴾ ولا تجعلوا الله عرضة لايانكم ﴿نزلت في عبد الله بن رواحة رضى الله عنه كان بينه وبين خنته بشير بن النعمان شيء فحلف عبد الله لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصمه له فكان اذا قيل له فيه يقول قد حلفت بالله ان لا أفعل فلا يحل لي الا ان تبر عيني فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الافك والعرضة ما يجعل معرضا للشيء وقيل العرضة الشدة والقوة وكل ما يعترض فيمنع عن الشيء فهو عرضة والمعنى ولا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى أحدكم الى بر أو صلة رحم فيقول قد حلفت بالله لأفعله فيعتل يمينه في ترك البر والاصلاح ﴿أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس﴾ قيل معناه لا تحلفوا بالله أن لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس (م) عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأتها وليكفر عن يمينه وقيل معناه لا تنكثوا الحلف بالله وان كنتم بارين متقين مصلحين فإن كثرة

فيجزىكم بأعمالكم (وبشر

المؤمنين) يقول وبشر يا محمد المؤمنين المتقين عن أدبار النساء ومجامعتهم في الحيض بالجنة (ولا تجعلوا) (الحلف) الله عرضة (عرضة) علة (لايأانكم) نزلت في شأن عبد الله بن رواحة اذ حلف بالله أن لا يحسن الى أخته وخنته ولا يكلمهما ولا يصلح بينهما فهما الله عن ذلك فقال ولا تجعلوا الله عرضة علة لايانكم أي لا تحلفوا (أن تبروا) (أن لا تبروا) (وتقوا) وأن لا تتقوا عن قطعة الرحم (وتصلحوا) وان لا تصلحوا (بين الناس) يقول ارجعوا الى ما هو خير لكم وكفروا بيمينكم ويقال ان لا تبروا أي لا تحسنوا الى أحد وتتقوا أي يقول اتقوا عن الحلف بالله في ترك الاحسان وتصلحوا أصلحوا

الذي لا يعتدبه من كلام وغيره ولغو اليمين الساقط الذي لا يعتدبه في الايمان وهو ان يحلف على شيء يظنه على ما حلف عليه والامر بخلافه والمعنى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلله احدكم وعند الشافعي رحمه الله هو ما يجري على لسانه من غير قصد للحلف نحو لا والله وبلى والله (ولكن يؤاخذكم) ولكن يعاقبكم (بما كسبت قلوبكم) بما افتقرته من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهو اليمين الغموس وتعلق الشافعي بهذا النص على وجوب الكفارة في الغموس لان كسب القلب العزم والقصد والمؤاخذة غير مينة هنا وبينت في المائدة فكان البيان ثمة بيانا هنا وقلنا المؤاخذة هنا مطلقة وهي في دار الجزاء والمؤاخذة ثمة مقيمة بذات الابتلاء فلا يصح حل البعض على

بين الناس (والله سميع) بينكم بترك الاحسان (علم) بنياتكم وبكفارة اليمين (لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم) يقول بكفارة

انها كم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الخلاف مجتري على الله تعالى والمجتري عليه لا يكون برامقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين ﴿ والله سميع ﴾ لايمانكم ﴿ علم ﴾ بنياتكم ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ﴾ اللغو الساقط الذي لا يعتدبه من كلام وغيره ولغو اليمين مالا عقد معه كما سبق به اللسان أو تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التأكيد لقوله ﴿ ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ﴾ والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما أو بأحدهما بما قصدتم من الايمان واطأت فيها قلوبكم ألتستكم وقال أبو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما أخطأتم

الحلف بالله ضرب من الجراءة عليه ﴿ والله سميع ﴾ أي لحلفكم ﴿ علم ﴾ يعني بنياتكم ﴿ قوله عز وجل ﴾ لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ﴿ اللغو كل ساقط مطرح من الكلام وما لا يعتدبه وهو الذي يورد لاعن روية وفكر واللغو في اليمين هو الذي لا عقد معه كقول القائل لا والله وبلى والله على سبق اللسان من غير قصدونية وبه قال الشافعي وبعضه ماروي عن عائشة رضي الله عنها قالت نزل قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم في قول الرجل لا والله وبلى والله أخرجه البخاري موقوفا ورفع أبو داود قال قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل في يمينه كلا والله وبلى والله ورواه عنها أيضا موقوفا وقيل في معنى اللغو هو ان يحلف الرجل على شيء يرى انه صادق ثم يتبين له خلاف ذلك وبه قال أبو حنيفة ولا كفارة فيه ولا اثم عليه عنده قال مالك في الموطأ أحسن ما سمعت في ذلك ان اللغو حلف الانسان على الشيء يتيقن انه كذا ثم يوجد بخلافه فلا كفارة فيه قال والذي يحلف على الشيء وهو يعلم انه فيه اثم كاذب ليرضى به أحدا ويتندر لخلق أو يقطع به مالا فهذا أعظم من أن تكون فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف أن لا يفعل الشيء المباح له فعله ثم يفعله أو ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان يحلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك أو يحلف لاضر بن غلامه ثم لا يضره وفائدة الخلاف الذي بين الشافعي وأبي حنيفة في لغو اليمين ان الشافعي لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها فيما اذا حلف على شيء يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وأبو حنيفة يحكم بصد ذلك ومذهب الشافعي هو قول عائشة رضي الله عنها والشعبي وعكرمة ومذهب أبي حنيفة هو قول ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد والنخعي والزهرى وسليمان ابن يسار وقادة ومكحول وقيل في معنى اللغو انه اليمين في الغضب وقيل هو ما يقع سهوا من غير قصد ألبتة ومعنى لا يؤاخذكم أي لا يعاقبكم الله بلغو اليمين وقيل لا يؤاخذكم أي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين ﴿ ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ﴾ يعني لكن يؤاخذكم بما عزمتم عليه وقصدتم له وكسب القلب هو العقد والنية

فصل في بيان حكم الآية { وفيه مسائل } المسئلة الاولى ﴿

أيمانكم باللغو بقولكم لا والله وبلى والله في الشراء والبيع (قا وخا ٤٣ ل) وغير ذلك من اللغو (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم)

فيه من الايمان ولكن يساقبكم بما سبتم الكذب فيه ﴿ والله غفور ﴾ حيث لم يؤاخذكم باللغو ﴿ حلیم ﴾ حيث لم يجعل بالمؤاخذة على عین الجد تربصا للتوبة ﴿ للذين يؤلون من نسائهم ﴾ أى يحلفون على أن لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتمديته بعلى ولكن لما

لا تنعقد اليمين الا بالله وباسمائه وصفاته فاما اليمين بالله فهو كقول الرجل والذي نفسى بيده والذي أعبدته ونحو ذلك والحلف بأسمائه كقوله والله والرحن والرحيم والمهين ونحو ذلك والحلف بصفاته كقوله وعزة الله وقدرته وعظمته ونحوه فاذا حلف بشئ من ذلك ثم حث فعليه الكفارة

المسئلة الثانية

لا يجوز الحلف بغير الله كقوله والكعبة والنبي وأبي ونحو ذلك فاذا حلف بشئ من ذلك لا تنعقد يمينه ولا كفارة عليه ويكره الحلف به لما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أولي صحت أخرجاه في الصحيحين

المسئلة الثالثة

اذا حلف على أمر في المستقبل فنحث فعليه الكفارة وان كان على أمر ماض ولم يكن أو على أنه لم يكن فكان فان كان علمه حال حلفه بان يقول والله ما فعلت وقد فعل أو لقد فعلت وما فعل فهذه اليمين الغموس وهى من الكبائر سميت غموسا لانها تغمس صاحبها في الاثم وتجب فيها الكفارة عند الشافى سواء كان عالما أو جاهلا وذهب أبو حنيفة الى انه لا كفارة عليه فان كان عالما فهى كبيرة وان كان جاهلا فهى من لغو اليمين ﴿ والله غفور ﴾ يعنى لعباده فيما لغوا من أيمانهم التى أخبرانه لا يؤاخذهم عليها ولو شاء آخذهم وأزهم الكفارة فى العاجل والعقوبة عليها فى الآجل ﴿ حلیم ﴾ يعنى فى ترك معاجلة أهل العصيان بالعقوبة قال الحلبي فى معنى الحلیم انه الذى لا يجبس انعامه وافضاله عن عباده لاجل ذنوبهم ولكنه يرزق العاصى كاي رزق المطيع وبقية وهو منهمك فى معاصيه كما بقى البر المتقى وقد يقية الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره فضلا عن ان يدعو كما يقية الناسك الذى يدعو ويسأله وقال أبو سليمان الخطابي الحلیم ذو الصبح والانه الذى لا يستغزه غضب ولا يستغفه جهل جاهل ولا عصيان عاص ولا يستحق الصانع مع العجز اسم الحلیم انما الحلیم الصفوح مع القدرة على الانتقام التانى الذى لا يجعل بالعقوبة ﴿ قوله عز وجل ﴾ للذين يؤلون من نسائهم ﴿ يؤلون أى يحلفون والالية اليمين قال كثير قليل الا لا يا حافظ ليمينه * وان سبقت منه الالية برت

والايلاء فى عرف الشرع هو اليمين على ترك الوطء كما اذا قال والله لأجامعك أو لأباضعك أو لأأقربك قال ابن عباس رضى الله عنه كان أهل الجاهلية اذا طلب

البعض (والله غفور حلیم) حيث لم يؤاخذكم باللغو فى أيمانكم (للذين يؤلون) يقسمون وهى قراءة ابن عباس رضى الله عنهما ومن فى (من نسائهم) يتعلق بالجار والمجرور أى للذين كالتقول لك منى نصرة ولك منى معونة أى

تضمير قلوبكم بذلك (والله غفور) لايمانكم باللغو (حلیم) اذ لم يجعلكم بالعقوبة ويقال اللغو يمين على المعصية فان تركه وكفر يمينه لا يؤاخذة وان فعل يؤاخذة (للذين يؤلون من نسائهم) يتزكون مجامعة نسائهم بالحلف لا يقربها أربعة أشهر أو فوق

ضمن هذا القسم معنى البعد عدى عن ﴿ تربص أربعة أشهر ﴾ مبتدأ وما قبله خبره أو فاعل الظرف على خلاف سبقه والتربص الانتظار والتوقف أضيف الى الظرف على الاتساع أى للمولى حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بئى ولاطلاق ولذلك قال الشافعى لأبيلاء الا فى أكثر من أربعة أشهر ويؤيده ﴿فأن فاؤا﴾ أى رجعوا فى اليمين بالحنث ﴿فأن الله غفور رحيم﴾ للمولى أتم حنثه اذا كفر أو مات عرض بالايلاء من ضرار

الرجل من امرأته شياً فأبت أن تعطيه حلف لا يقربها السنة والستين والثلاث فيدعها لأيماء ولاذات بعل فلما كان الاسلام جعل الله ذلك للمسلمين أربعة أشهر وأنزل هذه الآية وقال سعيد بن المسيب كان الايلاء كان أهل الجاهلية فكان الرجل لا يريد امرأته ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها أبدا فيتركها لأيماء ولاذات بعل وكانوا عليه فى ابتداء الاسلام فجعل الله تعالى له الاجل الذى يعلم به ما عند الرجل فى المرأة أربعة أشهر وأنزل هذه الآية للذين يؤلون من نسائهم ﴿ تربص ﴾ أى انتظار ﴿ أربعة أشهر ﴾ والتربص التثبت والانتظار ﴿فأن فاؤا﴾ أى رجعوا عن اليمين بالوطء والمعنى فان رجعوا عما حلقوا عليه من ترك جامعها ﴿فأن الله غفور رحيم﴾ للزوج اذا تاب من اضراره بأمرأته فإنه غفور رحيم لكل التائبين ﴿ فروع ﴾ تتعلق بحكم الآية ﴿ الفرع الاول ﴾ اذا حلف انه لا يقرب زوجته أبدا أو مدة هى أكثر من أربعة أشهر فهو مولى فاذا مضت أربعة أشهر يوقف الزوج ويؤمر بالنفى وهو الرجوع أو الطلاق وذلك بعد مطالبة الزوجة فان رجع عما قال بالوطء ان قدر عليه أو بالقول مع العجز عنه فان لم يبق ولم يطلق طلق عليه الحاكم واحدة وهو قول عمر وعثمان وأبي الدرداء وابن عمر رضى الله عنهم قال سليمان بن يسار أدركت بضعة عشر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يقول يوقف المولى وذهب اليه سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعى وأحمد واسحق وقال ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم اذا مضت مدة أربعة أشهر يقع عليها طلاق بأئنة وبه قال سفيان الثورى وأبو حنيفة وقال سعيد بن المسيب والزهرى يقع عليها طلاق رجعية ﴿ الفرع الثانى ﴾ لو حلف أن لا يطأها أقل من أربعة أشهر فليس بمولى بل هو حالف فان وطئها قبل مضى المدة لزمه كفارة يمين ﴿ الفرع الثالث ﴾ لو حلف أن لا يطأها أربعة أشهر فليس بمولى بعد مضى المدة عند الشافعى لان بقاء المدة شرط للوقوف وثبوت المطالبة بالنفى أو الطلاق وقد مضت المدة وعند أبى حنيفة يكون مولى ويقع الطلاق بمضى المدة ﴿ الفرع الرابع ﴾ مدة الايلاء أربعة أشهر فى حق الحر والعبد جميعا عند الشافعى لانها مدة ضربت لمعنى يرجع الى الطبع وهو قلة صبر المرأة عن الزوج فيستوى فيه الحر والعبد كمدة العنة وعن مالك وأبى حنيفة تنتصف مدة الايلاء بالرق غير أن عند أبى حنيفة تنتصف مدة الايلاء برق المرأة وعند مالك برق الزوج كفى الطلاق ﴿ الفرع الخامس ﴾

للمؤلين من نسائهم (تربص أربعة أشهر) أى استقر للمؤلين تربص أربعة أشهر لا يؤلون لان الى يعدى بعل يقال الى فلان على امرأته وقول القائل الى فلان من امرأته وهم توهمه من هذه الآية وتلك ان تقول عدى عن لما فى هذا القسم من معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين (فأن فاؤا) فى الاشهر لقراءة عبدالله فان فاؤا فيمن أى رجعوا الى الوطء عن الاصرار بتركه (فأن الله غفور رحيم) حيث ذلك (تربص أربعة أشهر) يقول انتظار أربعة أشهر (فأن فاؤا) فان جامعوا قبل أربعة أشهر (فأن الله غفور رحيم) اذ بين ان تابوا (رحيم)

شرع الكفارة (وأن عزموا الطلاق) بترك النية فتربصوا الى مضي المدة (فأن الله سميع) لا يلائنه (عليم) بنيته وهو وعيد على اصرارهم وتركهم الفیئة وعند الشافعي رحمه الله معناه فان فاؤا وان عزموا بعد مضي المدة لان الفاء للتعقيب وقلنا قوله فان فاؤا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول أنانزيلكم هذا الشهر فان أحدتكم أقت عندكم الى آخره والالم أقم الاثما أنحول (والمطلقات) أراد المدخول بهن من ذوات الاقراء (يتربصن بأنفسهن) خبر في معنى الامر وأصل الكلام ولتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تأكيد للاصر واشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة الى امثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحك الله أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحة فهو يخبر عنها وبنائه على المبتدأ مما زاده أيضا فضل تأكيد { الجزء الثاني } لان الجملة الاسمية ﴿ ٣٤٠ ﴾ تدل على الدوام والثبت بخلاف

المراة ونحوه بالفیئة التي هي كالنوبة ﴿ وأن عزموا الطلاق ﴾ وأن صمموا قصده ﴿ فأن الله سميع ﴾ لطلاقهم ﴿ عليم ﴾ يفرضهم فيه وقال أبو حنيفة الايلاء في أربعة أشهر فافوتها وحكمه أن المولى أنفاه في المدة بالوطء أن قدر وبالوعد أن عجز صح النية ولزم الوطء أن يكفر والابانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة بأحد الامرین فان أبي عنهما طلق عليه الحاكم ﴿ والمطلقات ﴾ يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لمادلت الآيات والاحبار أن حكم غيرهن خلاف ما ذكر ﴿ يتربصن ﴾ خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة للتأكيد والاشعار بأنه مما يجب أن يسارع الى امثاله وكان المخاطب قصد أن يمثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحك الله وبنائه على المبتدأ يزيد فضل تأكيد ﴿ بأنفسهن ﴾ تهيج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فأمرن بأن يقمعا ويحملنها على التربص ﴿ ثلاثة قروء ﴾

اذا وطئ خرج من الايلاء ويجب عليه كفارة يمين وهذا قول أكثر العلماء وقيل لا كفارة عليه لان الله تعالى وعده المغفرة فقال فان فاؤا فان الله غفور رحيم ومن قال بوجوب الكفارة عليه قال ذلك في اسقاط العقوبة عنه لا في الكفارة ﴿ قوله تعالى ﴾ ﴿ وان عزموا الطلاق ﴾ أي تحقموه بالايقاع ﴿ فأن الله سميع ﴾ يعني لا قوالهم ﴿ عليم ﴾ يعني بنيتهم وفيه دليل على انها لا تطلق ما لم يطلقها زوجها لانه عز وجل شرط فيها العزم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ والمطلقات ﴾ أي المخليات من جبال أزواجهن والمطلقة هو التي أوقع الزوج عليها الطلاق ﴿ يتربصن بأنفسهن ﴾ أي ينتظرن فلا يتزوجن ﴿ ثلاثة قروء ﴾ جمع قرء والقرء اسم يقع على الحيض والظهر

الفعلية وفي ذكر الانفص تهيج لهن على التربص وزيادة بعث لان أنفس النساء طوامح الى الرجال فأمرن أن يقمعا أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص (ثلاثة قروء) جمع قرء أو قرء وهو الحيض لقوله عليه السلام دعى الصلاة أيام أقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائئ يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر فاقام الأشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان المطلوب من العدة

استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة (قال) ولانه لو كان طهرا كما قال الشافعي لانقضت العدة بقرأين وبعض الثالث فانقص العدد عن الثلاثة لانه اذا طلقها آخر الطهر فذا محسوب من العدة عنده واذا طلقها

كفارتهم (وأن عزموا الطلاق) حققوا الطلاق وبروا بيمينهم (فأن الله سميع) ليمينه (عليم) بما بانت امرأته منه بتطليقة واحدة بعد أربعة أشهر وبكفارة يمينه نزل ذلك في رجل يحلف بالله ان لا يقرب امرأته بالجماع أربعة أشهر أو فوق ذلك فان بر يمينه وترك مجامعتها حتى تجاوز أربعة أشهر بانت منه امرأته بتطليقة واحدة وان جامعها قبل ذلك فعليه كفارة اليمين (والمطلقات) واحدة أو اثنتين (يتربصن بأنفسهن) ينتظرن بأنفسهن في العدة (ثلاثة قروء) ثلاث حيض

نصب على الظرف أو المفعول به أى يتربصن مضياً * وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه الصلاة والسلام دعى الصلاة أيام أقرائك وللطهر الفاصل بين الحيضتين كقول الاعشى

مورثة مالا وفي الحى رفة * لما ضاع فيها من قروء نساكا

وأصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الآية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قاله الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن أى وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون فى الحيض وأما قوله صلى الله عليه وسلم طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم مارواه الشيخان فى قصة ابن عمر مره فليراجمها ثم ليسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم أن شاء أمسك بمد وأن شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التى أمر الله تعالى ان تطلق لها النساء وكان القياس أن يذكر بصيغة القلة التى هى الاقراء ولكنهم يتسعون فى ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها

فى آخر الحيض فذا غير محسوب من العدة عندنا والثلاث اسم خاص لعدد مخصوص لا يقع على مادونه ويقال أقرأت المرأة اذا حاضت وامرأة مقرى وانتصاب ثلاثة على انه مفعول به أى يتربصن مضى ثلاثة قروء أو على الظرف أى يتربصن مدة ثلاثة قروء وجاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التى هى الاقراء لاشتراكهما فى الجمعية اتساعا ولعل القروء كانت أكثر استمالا فى جمع قرء من الاقراء فآثر عليه تنزيلا لتقليل الاستعمال منزلة

قال أبو عبيدة الاقراء من الاضداد كالشفق اسم للحمرة واليباض وقيل أنه حقيقة فى الحيض مجاز فى الطهر وقيل بالعكس واختلفوا فى أصله فقيل أصله الجمع من قرأ أى جمع لان فى وقت الحيض يجتمع الدم فى الرحم وفى وقت الطهر يجتمع فى البدن وقيل أصله الوقت يقال رجع فلان لقرئه أى لوقته الذى كان فيه لان الحيض يأتى لوقت والطهر يأتى لوقت وبحسب اختلاف أهل اللغة فى الاقراء اختلف الفقهاء على قولين «أحدهما ان الاقراء هى الحيض روى ذلك عن عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس وأبى موسى وعبادة بن الصامت وأبى الدرداء رضى الله عنهم وبه قال عكرمة والضحاك والسدى والاوزاعى وسفيان الثورى وأبو حنيفة وأصحابه وقال أحمد بن حنبل كنت أقول ان الاقراء هى الاطهار وأنا اليوم أذهب الى انها الحيض» القول الثانى انها الاطهار يروى ذلك عن زيد بن ثابت وابن عمر وعائشة رضى الله عنهم وبه قال الزهرى وأبان بن عثمان ومالك والشافعى وجمعة من يقول ان الاقراء هى الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعى الصلاة أيام أقرائك يعنى أيام حيضك لان المرأة لا تدع الصلاة الا أيام حيضها وجمعة من يقول انها الاطهار ان ابن عمر لما طلق امرأته وهى حائض قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجمها حتى تطهر ثم ان شاء أمسكها وان شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها فأخبر ان زمان العدة هو الطهر لا الحيض وبعضه من اللغة قول الاعشى

فى كل عام أنت جاثم غزوة * تشد لا قصاها عزيم عرائكا

مورثة مالا وفي الحى رفة * لما ضاع فيها من قروء نساكا

أراد انه كان يخرج للغزو ولم يفس نساءه فتضيع اقراؤهن وانما يضيع بالسفر زمان الطهر لازمان الحيض وفائدة الخلاف أن مدة العدة عند الشافعى أقصر وعند غيره

ولا يحل له أن يكتم ما خلق الله في أرحامهن من الولد والحيض استجمالا في العدة وأبطلا لحق الرجعة وفيه دليل على أن قولها مقبول في ذلك أن كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس المراد منه تقييد نفى الحل بإيمانهن بل التنبيه على أنه ينافي

أطول وذلك ان المعتدة اذا شرعت في الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للازواج وبحسب بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرأ على قول من يجعل الاقراء الاطهار قالت عائشة رضي الله عنها اذا دخلت المطلقة في الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها وحلت للازواج وروى عنها انها قالت القرء الطهر ليس بالحيضة قال الشافعي والنساء بهذا أعلم لان هذا مما يبتلى به النساء وان طلقها في حال الحيض فاذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعلى قول من يجعل الاقراء حيضا وهو مذهب أبي حنيفة لانقضت عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان وقع الطلاق في حال الطهر أو من الحيضة الرابعة ان وقع في حال الحيض فان قلت مامعنى الاخبار عنهن بالتربص في قوله والمطلقات يتربصن بأنفسهن قلت هو خبر في صورة الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات فأخرج الامر في صورة الخبر تأكيد للامر واشعار بأنه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امثاله فكأنهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عن موجود ونظيره قولهم في الدعاء يرحك الله أخرج في صورة الخبر ثقة بالاجابة فكأنه قال وجدت الرجعة فهو يخبر عنها

فصل في أحكام العدة { وفيه مسائل } المسئلة الاولى

عدة الحامل تنقض بوضع الحمل سواء المطلقة والمتوفى عنها زوجها وسواء في ذلك الحررة والامة

المسئلة الثانية

عدة المتوفى عنها سوى الحامل أربعة أشهر وعشرة أيام سواء مات عنها زوجها قبل الدخول أو بعده وسواء في ذلك الحائض والامة والايسة

المسئلة الثالثة

عدة المطلقة المدخول بها وهي ضربان أحدهما الحيض فعدتها بالاقراء وهي ثلاثة اقراء الضرب الثاني الآيسات من الحيض اما لكبر أو تكون لم تحض قط فعدتها ثلاثة أشهر وأما المطلقة قبل الدخول فلا عدة عليها

المسئلة الرابعة

عدة الاماء نصف عدة الحرائر فيمالة نصف وفي الاقراء قرآن لانه لا يتنصف قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ينكح العبد اثنتين ويطلق طلقتين وتعتد الامة بحيضتين قوله عز وجل ولا يحل له أن يكتم ما خلق الله في أرحامهن قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني الولد وقيل الحيض والمعنى انه لا يحل للمرأة كتمان ما خلق الله في رجبها من الحيض أو الحمل لتبطل بذلك الكتمان حق الزوج من الرجعة والولد ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر هذا وعيد شديد لتأكيد تحريم الكتمان واجباب

المهمل (ولا يحل له أن يكتم ما خلق الله في أرحامهن) من الولد أو من دم الحيض أو منها وذلك اذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت جلها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولثلا يشفق على الولد فيترك تسريحها أو كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استجمالا للطلاق ثم عظم فعلهن فقال (أن كن يؤمن بالله واليوم الآخر) لان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله

(ولا يحل له أن يكتم) الحمل (ما خلق الله في ارحامهن) من ولد (ان كن) اذ كن (يؤمن بالله واليوم الآخر)

من العظام (وبعوتهن) البعول جمع بعول والناء لاحقة لتأنيث الجمع (أحق بردهن) أى أزواجهن أولى برجعتهن وفيه دليل على ان الطلاق الرجعي لا يحرم الوطء حيث سماه زوجها بعد الطلاق (في ذلك) في مدة ذلك التبرص والمعنى ان الرجل ان أراد الرجعة ﴿٣٤٣﴾ وأبنتها المرأة وجب ايثار {سورة البقرة} قوله على قولها وكان

هو أحق منها لا ان لها حقا في الرجعة (أن أرادوا) بالرجعة (اصلاحا) لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن (ولهن مثل الذى عليهن) ويجب لهن من الحق على الرجال من المهر والنفقة وحسن العشرة وترك

الايان وأن المؤمن لا يجترئ عليه ولا يبنى له أن يفعل ﴿وبعوتهن﴾ أى أزواج المطلقات ﴿أحق بردهن﴾ الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للآية التى تتلوها فالضمير أخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لوكرر الظاهر وخصه * والبعولة جمع بعول والناء لتأنيث الجمع كالعمومة والخولة أو مصدر من قولك بعول حسن البعولة نعت به أو أتبم مقام المضاعف المحذوف أى وأهل بعوتهن وأقل ههنا بمعنى الفاعل ﴿في ذلك﴾ أى في زمان التبرص ﴿أن أرادوا اصلاحا﴾ بالرجعة لا اضرار المرأة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التعريض عليه والمنع من قصد الضرر ﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف﴾ أى ولهن حقوق على

المضارة مثل الذى يجب لهم عليهن من الامروالنهى (بالمعروف) بالوجه الذى لا يبتكر فى الشرع وعادات الناس فلا يكلف أحد الزوجين صاحبه ما ليس له والمراد بالمسائلة مماثلة الواجب فى كونه حسنة لا فى جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه أو خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يلقى بالرجال

اداء الامانة فى الاخبار عما فى الرحم من الحيض أو الولد والمعنى ان هذا من فعل المؤمنات وان كانت المؤمنة والكافرة فيه سواء فهو كقولك أدحقى ان كنت مؤمنا يعنى ان أداء الحقوق من أفعال المؤمنين وتقول للذى يظلم ان كنت مؤمنا فلا تظلمنى والمعنى يبنى ان يتعك ايمانك من الظلم وفى سبب وعيد النساء بهذا قولان احدهما انه لاجل ما استحققه الزوج من الرجعة قاله ابن عباس رضى الله عنهما والثانى انه لاجل إلحاق الولد بغير أبيه قاله قتادة وقيل كانت المرأة اذا رغبت فى زوجها تقول انى حائض وان كانت قد طهرت ليراجعها وان كانت زاهدة فيه كتمت حيضها وتقول قد طهرت لتفوته فهاهن الله عن ذلك وأمرهن بأداء الامانة ﴿وبعوتهن﴾ أحق بردهن فى ذلك ﴿يعنى أزواجهن سعى الزوج بعلا لقيامه بأمر زوجته وأصل البعل السيد والمالك والمعنى وأزواجهن أولى برجعتهن ورددن اليهم فى ذلك أى فى حال العدة فاذا انقضى وقت العدة فقد بطل حق الرد والرجعة ﴿أن أرادوا اصلاحا﴾ يعنى ان أراد الزوج بالرجعة الاصلاح وحسن العشرة لا الاضرار بهن وذلك ان أهل الجاهلية كانوا يراجعون ويريدون بذلك الاضرار فنهى الله المؤمنين عن مثل ذلك وأمرهم بالاصلاح وحسن العشرة بعد الرجعة ﴿ولهن﴾ يعنى وللنساء على الأزواج ﴿مثل الذى عليهن﴾ يعنى للأزواج ﴿بالمعروف﴾ وذلك ان حق الزوجية لا يتم الا اذا كان كل واحد منهما يراعى حق الآخر فيما له وعليه فيجب على الزوج أن يقوم بجميع حقها ومصالحها ويجب على الزوجة الانقياد والطاعة له قال ابن عباس رضى الله عنهما فى معنى الآية انى أحب أن أتزين لامرأتى كما أحب أن تزين لى لان الله تعالى قال ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف (م) عن جابر رضى الله عنه أنه ذكر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وقال فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمانات الله واستحلتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم

وبعوتهن) أزواجهن (أحق بردهن) برجعتهن (فى ذلك) فى ذلك الحبل والعدة (ان أرادوا اصلاحا) مراجعة لان فى بدء الاسلام كان اذا طلق الرجل امرأته تطليقة أو تطليقتين كان أمك برجعتهما بعد انقضاء العدة قبل التزوج فنسخ ملك الرجعة بقوله الطلاق

مرتان وكذلك فى الحبل كان أحق برجعتهما فى ذلك الحبل ولو طلقها ألف مرة فنسخ الله ملك الرجعة بقوله فطلقوهن لعدتهن (ولهن) من الحق والحرمه على أزواجهن (مثل الذى) للأزواج (عليهن بالمعروف) فى احسان النجابة والمعاشرة

مرتان وكذلك فى الحبل كان أحق برجعتهما فى ذلك الحبل ولو طلقها ألف مرة فنسخ الله ملك الرجعة بقوله فطلقوهن لعدتهن (ولهن) من الحق والحرمه على أزواجهن (مثل الذى) للأزواج (عليهن بالمعروف) فى احسان النجابة والمعاشرة

الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها في الجنس ﴿ وللرجال عليهن درجة ﴾ زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في أنفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرر ونحوها أو شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق ﴿ والله عزير ﴾ يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام ﴿ حكيم ﴾ يشرعها لحكم ومصالح ﴿ الطلاق مرتان ﴾ أى التطلق الرجعى اثنتان لما روى أنه صلى الله عليه وسلم سئل أين الثالثة فقال

أحد أتكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ﴿ قوله فاتقوا الله في النساء فيه الحث على الوصية بن وصراعاة حقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف ﴾ قوله فانكم أخذتموهن بامانات الله ويروي بامانة ﴿ وقوله واستحلتم فروجهن بكلمة الله معناه باباحة الله والكلمة هي قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقيل الكلمة هي قوله فامسك بمعروف أو تسريح باحسان وقيل الكلمة هي كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله محمد رسول الله اذ لا تحل مسلة لغير مسلم ﴿ وقوله لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه معناه ولا يأذن لاحد أن يتحدث اليهن وكان من عادة العرب ان يتحدث الرجال مع النساء ولا يرون ذلك عيبا ولا يمدونه ربية الى ان نزلت آية الحجاب فهوا عن ذلك وليس المراد بوطه الفرش نفس الزنا فان ذلك محرم على كل الوجوه فلا معنى لاشتراط الكراهة فيه ولو كان المراد ذلك لم يكن الضرب فيه ضربا غير مبرح انما كان فيه الحد والضرب المبرح هو الشديد ﴿ وقوله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف يعني بالعدل وفيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وذلك ثابت بالاجماع ﴿ قوله عز وجل ﴾ وللرجال عليهن درجة ﴿ أى منزلة ورفعة قال ابن عباس رضى الله عنه بما ساق اليها من المهر وأنفق عليها من المال وقيل ان فضيلة الرجال على النساء بأمر منها العقل والشهادة والميراث والدية وصلاحيه الامامة والقضاء وللرجل أن يتزوج عليها ويتسرى وليس لها ذلك ويبد الرجل الطلاق فهو قادر على تطليقها واذا طلقها رجعية فهو قادر على رجعتها وليس شئ من ذلك بيدها ﴿ والله عزير ﴾ أى غالب لا يتمتع عليه شئ ﴿ حكيم ﴾ أى فى جميع أفعاله وأحكامه روى البغوى بسنده عن ابى ظبيان ان معاذ بن جبل رضى الله عنه خرج فى غزاة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع فرأى رجلا لا يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو أمرت أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها ﴿ قوله عز وجل ﴾ الطلاق مرتان ﴿ عن عروة بن الزبير رضى الله عنه قال كان الرجل اذا طلق زوجته ثم ارتجمها قبل ان تنقضى عدتها كان له ذلك وان طلقها ألف مرة فمدر رجل الى امرأته فطلقها حتى اذا شارفت انقضاء عدتها ارتجمها ثم قال والله لا آويك الى ولا تحديس أبدا فانزل الله تعالى الطلاق مرتان فأمسك بمعروف او تسريح بأحسان فاستقبل الناس الطلاق جديدا من ذلك اليوم من كان طلق أو ولم يطلق أخرجه

(وللرجال عليهن درجة)
زيادة في الحق وفضيلة
بالقيام بأمرها وان اشتركا
في اللذة والاستمتاع وبالانفاق
وملك النكاح (والله عزير)
لا يعترض عليه في أموره
(حكيم) لا يأمر الا بما هو
صواب وحسن (الطلاق
مرتان) الطلاق بمعنى
التطبيق كالسلامة بمعنى
التسليم أى التطبيق الشرعى
تطبيقا بعد تطبيق على
التفريق دون الجمع
والارسال دفعة واحدة ولم
يرد بالمرتين الثانية ولكن
التكرير كقوله ثم ارجع
(وللرجال عليهن درجة)
فضيلة في العقل والميراث
والدية والشهادة وبما عليهم
من النفقة والخدمة (والله
عزير) بالنقمة لمن ترك
ما بين المرأة والزوج من
الحق والحرمه (حكيم)
فيما حكم بينهما (الطلاق
مرتان) يقول طلاق

البصر كرتين أى كرة
بعد كرة لا كرتين اثنتين
وهو دليل لنا فى ان الجمع
بين الطلقتين والثلاثة
بدعة فى طهر واحد لان الله
تعالى أمرنا بالتفريق لانه
وان كان ظاهره الخبر
فمنه الامر والا يودى
الى الخلف فى خبر الله تعالى
لان الطلاق على وجه
الجمع قد يوجد وقيل
قالت انصارية ان زوجي
قال لأزال أطلقك ثم
أراجعت فنزلت الطلاق
مرتان أى الطلاق الرجعى
مرتان لانه لارجعة بعد
الثالث (فأمسك بمعروف)
برجعة والمعنى فالواجب
عليكم امسك بمعروف
(أوتسريح بأحسان) بان
لايراجعها حتى تبين بالعدة
وقيل بأن لا يطلقها الثالثة
فى الطهر الثالث ونزل
فى جملة وزوجها ثابت بن
قيس بن شماس وكانت
تبغضه وهو يحبها وقد
أعطاهما حديقة فاختلعت
منه بها وهو أول خلع
الرجعة مرتان (فأمسك)
قبل التولية الثالثة
وقبل الاغتسال من الحيضة
الثالثة (بمعروف) بحسن
الصعبة والمعاشرة (أوتسريح
باحسان أو يطلقها الثالثة
باحسان يؤدى حقها

عليه الصلاة والسلام أوتسريح باحسان وقيل معناه التطلق الشرعى تولية بعد تولية على
التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة ﴿فأمسك بمعروف﴾
بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول ﴿أوتسريح باحسان﴾ بالطلقة الثالثة
أوبان لايرجمها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقب به تعليمهم كيفية
الترمذى وله عن عائشة قالت كان الناس والرجل يطلق امرأته ماشاء الله ان يطلقها
وهى امرأته اذا رجمها وهى فى العدة وان طلقها مائة أو اكثر حتى قال رجل
لامرأته والله لا اطلقك فتبني منى ولا أويك أبدا قالت وكيف ذلك قال اطلقك فكلما
همت عدتك ان تنقضى راجعتك فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فأخبرتها
فسكتت عائشة حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فسكت النبي صلى الله عليه وسلم
حتى نزل القرآن الطلاق مرتان فأمسك بمعروف أوتسريح باحسان عائشة قالت فاستأنف
الطلاق مستقبلا من كان قد طلق ومن لم يطلق ومعنى الآية ان الطلاق الرجعى مرتان
ولارجعة بعد الثالثة الا ان تنكح زوجا آخر وهذا التفسير هو قول من جوز الجمع بين
الطلاق الثالث فى دفعة واحدة وهو الشافعى وقيل فى معنى الآية ان التولية
الشرعى يجب ان يكون تولية بعد تولية بعد تولية على التفريق دون الجمع
والارسال دفعة واحدة وهذا التفسير هو قول من قال ان الجمع بين الثلاثة حرام
الا ان أبا حنيفة قال يقع الثالث وان كان حراما وقيل ان الآية دالة على عدد
الطلاق الذى يكون للرجل فيه الرجعة على زوجته والعدد الذى تبين به زوجته
منه والمعنى أن عدد الطلاق الذى لكم فيه رجعة على ازواجكم اذا كن مدخولا بهن
تطليقتان وأنه لارجعة له بعد التوليتين أن سرحها فطلقها الثالثة ﴿فأمسك بمعروف﴾
يعنى بعد الرجعة وذلك أنه اذا راجعها بعد التولية الثانية فعليه أن يسكها بالمعروف
وهو كل ما عرف فى الشرع من أداء حقوق النكاح وحسن الصبحة ﴿أوتسريح بأحسان﴾
يعنى أنه يتركها بعد الطلاق حتى تنقضى عدتها من غير مضارة وقيل هو أنه اذا طلقها
أدى اليها جميع حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها
﴿فروع﴾ تتعلق بأحكام الطلاق ﴿الفرع الاول﴾ صريح اللفظ الذى
يقع به الطلاق من غير نية ثلاث الطلاق والفرق والسراح وعند أبى حنيفة الصريح
هو لفظ الطلاق فقط ﴿الفرع الثانى﴾ الحر اذا طلق زوجته طلقة أو طلقتين
بعد الدخول بها فله مراجعتها من غير رضاها مادامت فى العدة فإذا لم يراجعها حتى
انقضت عدتها أو طلقها قبل الدخول بها أو خالها فلا تحل له الابتنكاح جديد بأذنها
وأذن وليها ﴿الفرع الثالث﴾ العبد يملك على زوجته الامة تطليقتين واختلف
فما اذا كان أحد الزوجين حرا فالحر يملك على زوجته الامة ثلاث تطليقات والعبد
يملك على زوجته الحرة تطليقتين فالاعتبار بحال الزوج فى عدد الطلاق وبه قال
الشافعى ومالك وأحمد وذهب أبو حنيفة الى أن الاعتبار بالمرأة فالعبد يملك على
زوجته الحرة ثلاث تطليقات والحر يملك على زوجته الامة تطليقتين

كان في الاسلام (ولا يحل لكم) أيها الأزواج أو الأحكام لانهم الآمرون بالاخذ والاياء عند الترافع اليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون (أن تأخذوا مما في الجزء الثاني {أيتهموهن شيئاً} مما ٣٤٦ ﴿﴾ أعطيتموهن من المهور (الأأن يخافا أن

التطبيق ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً﴾ أي من الصداق روي أن جيلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لأنا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما أعتبه في دين ولا خلق ولكني أكره الكفر في الاسلام وما أطيعه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيتة أقبل في عدة من الرجال فأذاهو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بمديقة أصدقها واخطاب مع الحكم واسناد الاخذ والاياء اليهم لانهم الآمرون بهما عند الترافع وقيل أنه خطاب للزوج وما بعده خطاب للحكم وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة ﴿الأأن يخافا﴾ أي الزوجان * وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن ﴿الأ يقيما حدود الله﴾ بترك

﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن﴾ يعني أعطيتموهن ﴿شيئاً﴾ يعني من مهر أو غيره ثم استثنى الخلع فقال تعالى ﴿الأأن يخافا أن لا يقيما حدود الله﴾ نزلت في جيلة بنت عبد الله بن أبي ويقال حبيبة بنت سهل الانصاري كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وكان بينهما كلام فأنت أبأها تشكو اليه زوجها وقالت انه يسب أبي ويضربني فقال ارجعي الي زوجك فأني أكره للمرأة أن لاتزال رافعة يديها تشكو زوجها قال فرجعت اليه الثالثة وبها أثر الضرب فقال لها ارجعي الي زوجك فلما رأت أن أبأها لا يشكها أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها وأرته آثارها من ضربه وقالت يارسول الله لأنا ولا هو فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الي ثابت فقال مالك ولاهلك فقال والذي بعثك بالحق نبيا ما على وجه الارض أحب الي منها غيرك فقال لها ما تقولين فكرهت أن تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألتها فقالت صدق يارسول الله ولكني خشيت أن يهلكني فأخرجني منه فقالت يارسول الله ما كنت أحدثك حديثا ينزل عليك خلافه هو أكرم الناس حبا لزوجته ولكني أبغضه فلا أنا ولا هو قال ثابت أعطيتها حديقة فنخل فقل لها فلتردها علي وأخلى سبيلها فقال لها تردين عليه حديقه وتعلمين أمرك قالت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأناب خذ منها ما أعطيتها وخل سبيلها ففعل (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان امرأة ثابت بن قيس أنت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا مال ولكني أكره الكفر في الاسلام قال أبو عبد الله يعني تبغضه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين عليه حديقه قالت نعم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقه وطلقها تطليقة قولها ما أعتب عليه يعني ما أجد عليه والمعنى الموجودة والحديقة البستان من النخل اذا كان عليه الحائط معنى قوله تعالى الأأن يخافا أي يعلما الزوجان من أنفسهما أن لا يقيما حدود الله والمعنى تخاف المرأة أن تعصى الله في أمور زوجها ويخاف الزوج انه اذا لم تعطه أن يعتدى عليها فهي الله الرجل أن يأخذ من

لا يقيما حدود الله (الأأن يعلم الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن) اعطيتموهن من المهر (شيئاً الأأن يخافا) يعلم الزوج والمرأة عند الخلع (الأ يقيما حدود الله) احكام الله فيما بين

(قوله من الصداق) بفتح الصاد وكسرهما وفي نسخة من الصدقات بفتح الصاد وضم الدال وصدقة بضم الصاد وسكون الدال وهو المهر (قوله روي أن جيلة الخ) قال شراح الكساف الصواب أخت عبد الله وقال الطي انه روي من طرق شتى وليس فيها اني رفعت جانب الحياء الخ قلت قال خاتمة الحفاظ السيوطي رحمه الله كلاهما صواب فان أبأها عبد الله بن أبي رأس المناققين واخوها صحابي جليل واسمه عبد الله أيضا ثم اختلف قديما هل هي بنت عبد الله المناققي او أخته بنت أبي والذي رجحه الحفاظ الاول قال الديمياطي هي أخت عبد الله شقيقته أمها خولة بنت المنذر وروي الدارقطني ان اسمها زينب قال ابن حجر ففعل لها اسمين أو احدها لقب والاخيمية أصح ووقع في طريق آخر ان اسم امرأة ثابت حبيبة بنت سهل قال ابن حجر والذي يظهر انهما قصتان له مع امرأتين لصحة الحديثين وما نقله الطيبي ليس كما قال فانه كثير ما يعتمد على الكتب الستة ومسندي احمد والدارمي وليس فيها (امرأته) وقد روي ابن جرير ما ذكره المصنف رحمه الله الا انه ليس في شيء من الروايات ان هذه القصة سبب نزول الآية مصححه

(امرأته)

أقامة أحكامه من مواجب الزوجية * وقرأ حزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وأبدال أن بصلته من الضمير بدل الاشتغال * وقرئ تخافا وتقيما بناء الخطاب ﴿فإن خفتم﴾ أيها الحكم ﴿أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما اقتدت به﴾ على الرجل في أخذما اقتدت به نفسها واختلت وعلى المرأة في إعطائه

(فإن خفتم) أيها الولاية
وجاز أن يكون أول
الخطاب للزواج وآخره
للحكام (الأيقيما حدود الله
فلا جناح عليهما) فلا
جناح على الرجل فيما
أخذ ولا عليها فيما أعطت
(فيما اقتدت به) فيما
اقتدت به نفسها واختلت
به من بذل ما أوتيت من
المهر إلا أن يخافا حزة
على البناء للمفعول وابدال
الأيقيما من ألف الضمير
وهو من بدل الاشتغال
نحو خيف زيد تركه إقامة

أمر أنه شيئاً مما أعطها إلا أن يكون النشوز من قبلها وذلك ان تقول لا أطيع لك
أمر أو لأطالك مضجعا ونحو ذلك * وقرئ يخافا بضم الياء ومعناه الأ أن يعلم ذلك من
حالهما يعني يعلم القاضى والوالى ﴿فإن خفتم﴾ يعنى فان خشيتم وأشفتكم وقيل معناه
فإن ظننتم ﴿أن لا يقيما حدود الله﴾ يعنى ما أوجب الله على كل واحد منهما من طاعته
فيما أمره به من حسن الصحبة والمعاشرة بالمعروف وقيل هو يرجع الى المرأة وهو
سوء خلقها واستخفافها بحق زوجها ﴿فلا جناح عليهما فيما اقتدت به﴾ أى لا جناح
على المرأة فى النشوز اذا خشيت الهلاك والمعصية فيما اقتدت به نفسها أو أعطت
من المال لأنها ممنوعة من اتلاف المال بغير حق ولا على الزوج فيما أخذ من المال
إذا أعطته المرأة طائعة راضية

فصل فى حكم الخلع {وفيه مسائل} الأولى

قال الزهرى والنخعي وداود لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف من أن لا يقيما حدود الله
فان وقع الخلع فى غير هذه الحالة فهو فاسد وحجة هذا القول ان الآية صريحة فى انه
لا يجوز للزوج أن يأخذ من المرأة شيئاً عند طلاقها ثم استثنى الله تعالى حالة مخصوصة
فقال الا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله فكانت هذه صريحة فى انه لا يجوز الاخذ فى غير
حالة الغضب والخوف من أن لا يقيما حدود الله وذبح جمهور العلماء الى انه يجوز الخلع
من غير نشوز ولا غضب غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب * عن ثوبان
رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من
غير بأس فحرام عليها راتحة الجنة أخرجه أبو داود والترمذى * عن ابن عمر رضى الله
عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبغض الحلال الى الله الطلاق أخرجه أبو داود
ودليل الجمهور على جواز الخلع من غير نشوز قوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا
فكلوه هنيئاً مريئاً فاذا جاز لها أن تهب مهرها من غير أن يحصل لها شيء فأذا بذلت كان
ذلك فى الخلع الذى تصير بسببه مالكة أمر نفسها أولى وأجيب عن الاستثناء المذكور
فى هذه الآية انه محمول على الاستثناء المنقطع

المرأة والزوج (فإن خفتم)
علم (الأيقيما حدود الله)
احكام الله فيما بين
المرأة والزوج (فلا جناح
عليهما) على الزوج خاصة
(فيما اقتدت به) أن يأخذ
ما اشترت المرأة نفسها به
من الزوج بطيبة نفسها
نزلت فى ثابت بن قيس
ابن شماس وأمراته
جيلة بنت عبد الله بن أبى
ابن سلول رأس المنافقين
اشترت نفسها من زوجها

المسئلة الثانية

الخلع جائز على أكثر مما أعطها وبه قال أكثر العلماء وقال بعضهم لا يجوز ان يأخذ أكثر مما
أعطها وهو قول على رضى الله عنه وبه قال الزهرى والشعبي والحسن وعطاء وطاوس
وقال سعيد بن المسيب بل يأخذ دون ما أعطها حتى يكون الفضل فيه وحجة الجمهور ان
الخلع عقد على معاوضة فوجب أن لا يقيد بمقدار معين كما ان للمرأة ان لا ترضى

﴿ تلك حدود الله ﴾ اشارة الى ما حد من الاحكام ﴿ فلا تمتدوها ﴾ فلا تمتدوها بالمخالفة ﴿ ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾ تعقب للنهي بالوعيد بمبالغة في التهديد • واعلم أن ظاهر الآية يدل على أن الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ماساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة سألت زوجها طلاقا في غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة وما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لجميلة أتردين عليه حديثه فقالت أردناها وأزيد عليها فقال عليه الصلاة والسلام أما الزائد فلا والجمهور استكروهه ولكن نفذوه فإن المنع عن العقد لا يدل على فساده وأنه يصح بلفظ المفاداة فإنه تعالى سماه افتداء واختلف في أنه اذا جرى بغير لفظ الطلاق هل هو فسخ أو طلاق ومن جملة فسخنا احتج بقوله ﴿ فإن طلقها ﴾ فإن تقييه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضى أن يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا ولا يظهر أنه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فإن طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله أو تسريح بأحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على أن الطلاق يقع مجاناة رابعة وبموضع أخرى والمعنى فإن طلقها بعد عند عقد النكاح الا بالكثير فكذلك للزوج ان لا يرضى عند الخلع الا بالبذل الكثير لاسيما وقد أظهرت الاستخفاف بالزوج حيث أظهرت بغضه وكراهته

المسئلة الثالثة

اختلف العلماء في الخلع هل هو فسخ أو طلاق فقال الشافعي في القديم انه فسخ وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما وطاوس وعكرمة وبه قال أحمد وأبو ثور وقال الشافعي في الجديد انه طلاق وهو الاظهر وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود والحسن والشعبي والنخعي وعطاء وابن المسيب ومجاهد ومكحول والزهرى وبه قال أبو حنيفة ومالك وسفيان الثوري وحجة القول القديم ان الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولو كان الخلع بطلاقا لكان الطلاق أربعا وحجة القول الجديد انه لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى كالأقالة في البيع وأيضا لو كان الخلع فسخا فاذا خالعه ولم يذكر مهرها وجب ان يجب المهر عليها كالأقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكره فثبت ان الخلع ليس بفسخ واذا بطل ذلك ثبت انه طلاق وأيضا فان الطلقة الثالثة قوله أو تسريح بأحسان وقائدة الخلاف انا اذا جعلناه طلاقا ينقص به عدد الطلاق فإن تزوجها بعده كانت معه على طلقتين وان جعلناه فسخا بانته منه بثلاث ﴿ قوله عز وجل ﴾ تلك حدود الله ﴿ يعنى هذه أوامر الله ونواهيه وهو ما تقدم من أحكام الطلاق والرجعة والخلع وحدود الله مامنع من مجاوزتها وهو قوله ﴿ فلا تمتدوها ﴾ أي فلا تجاوزوها ﴿ ومن يتعد حدود الله ﴾ أي يجاوزها ﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾ ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ فإن طلقها ﴾ يعنى الطلقة الثالثة

حدود الله (تلك حدود الله) أي ما حد من النكاح واليمين والايلاء والطلاق والخلع وغير ذلك (فلا تمتدوها) فلا تجاوزوها (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) الضارون أنفسهم (فإن طلقها) مرة ثالثة بعد المرتين فان قلت الخلع طلاق عندنا وكذا عند الشافعي رحمه الله في قول فكان هذه تطلقة رابعة قلت الخلع طلاق ببدل فيكون طلقة ثالثة وهذه بيان لتلك أي فان طلقها الثالثة ببدل فحكم بعهرها (تلك حدود الله) هذه أحكام الله بين المرأة والزوج (فلا تمتدوها) فلا تجاوزوها الى ما نهى الله تعالى لكم (ومن يتعد يتجاوز) (حدود الله) أحكام الله الى ما نهى الله عنه (فأولئك هم الظالمون) الضارون لانفسهم ثم رجع الى قوله الطلاق مرتان فقال (فإن طلقها) الثالثة

التحليل كذا (فلا تحل له من بعد) من بعد ﴿٣٤٩﴾ الطليقة الثالثة (حتى تنكح بسورة البقرة لزواج غيره)

والنكاح يستند الى المرأة كما يستند الى الرجل كما تزوج وفيه دليل على ان النكاح ينقصد بعبارتها والاصابة شرطت بحديث العسيلة كما عرف في أصول الفقه والفقه فيه انه لما أقدم على فراق لم يبق للندم مخلص لم تحل له الا بدخول محل عليها ليمتنع عن ارتكابه (فإن طلقها) الزوج الثاني بعد الوطء (فلا جناح عليهما) على الزوج الاول وعليها (أن يتراجعا) ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج (أن ظنا أن يقيما حدود الله) ان كان في ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مفيد عنهما

التنين ﴿فلا تحل له من بعد﴾ من بعد ذلك الطلاق ﴿حتى تنكح زوجا غيره﴾ حتى تزوج غيره والنكاح يستند الى كل منهما كالزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روى أن امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن رفاعة طلقني فبت طلاقي وأن عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وأن مامعه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تدوق عسيلته ويدوق عسيلتك فالآية مطلقة قيدها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه أبو حنيفة رحمه الله مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له ﴿فإن طلقها﴾ الزوج الثاني ﴿فلا جناح عليهما﴾ أي يرجع كل من المرأة والزوج الاول الى الآخر بالزواج ﴿أن ظنا أن يقيما حدود الله﴾ ان كان في ظنهما

﴿فلا تحل له من بعد﴾ أي لا تحل له رجعتها بعد الثلاث ﴿حتى تنكح زوجا غيره﴾ يعني حتى تزوج زوجا آخر غير المطلق فيجاءها والنكاح يتناول العقد والوطء جميعا والمراد هنا الوطء نزلت في تميمه وقيل عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي وكانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي فطلقها ثلاثا (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت جاءت امرأة رفاعة القرظي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وان مامعه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى يدوق عسيلتك وتدوق عسيلته * قولها فبت طلاق أي قطعه والبت القطع * وقولها مثل هدبة الثوب أي طرفه وهو كناية عن استرخاء الذكر * قوله حتى يدوق عسيلتك بضم العين تصغير العسل شبه لذة الجماع بالعسل وهو كناية عنه وانما أت العسل لان من العرب من يؤنثه وقيل أنه جلاله على المعنى لان المراد منه النطفة وعبد الرحمن المذكور عبد الرحمن بن الزبير بفتح الزاي وكسر الباء وروى انها لبثت ماشاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي قد مسني فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن أصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت أبابكر فقالت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أرجع الى زوجي الاول فان زوجي الآخر قد مسني وطلقني فقال لها أبو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتته وقال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض أبو بكر أتت عمر وقالت له مثل ما قالت لابي بكر فقال لها لئن رجعت اليه لا رجعتك * قوله عز وجل ﴿فإن طلقها﴾ يعني الزوج الثاني بعد ووطئها ﴿فلا جناح عليهما﴾ يعني على المرأة والزوج الاول ﴿أن يتراجعا﴾ يعني بنكاح جديد ﴿أن ظنا﴾ أي علما وأيقنا وقيل ان رجوا لان أحدا لا يعلم ما هو كائن الا الله تعالى ﴿أن يقيما حدود الله﴾

أنهما يقيمان ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم هنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال علمت أن يقوم زيد لان أن الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم ﴿وتلك حدود الله﴾ أي الاحكام المذكورة ﴿بينها القوم يعلمون﴾ يفهمون ويعملون بمقتضى العلم ﴿وأذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن﴾ أي آخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي به ينتهي قال كل حي مستكمل مدة العمه ر ومود اذا انتهى أجله والبلوغ هو الوصول الى الشئ وقديقال للدنومنه على الاتساع وهو المراد في الآية ليصح ان يترب عليه ﴿فأمسكوهن بمعروف

يعنى يقيا بينهما الصلاح وحسن العشرة والصحة وقيل معناه ان علما ان نكاحهما على غير دلسة والمراد بالدلسة التحليل ﴿فرعان﴾ الاول مذهب جمهور العلماء ان المطلقة بالثلاث لا تحل للزوج المطلقة منه بالثلاث الا بشرائط وهي ان تمتد منه ثم تتزوج بزواج آخر ويطأها ثم يطلقها ثم تعتد منه فاذا حصلت هذه الشرائط فقد حلت للاول والا فلا وقال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد والمذهب الاول هو الاصح واختلف العلماء في اشتراط الوطء هل ثبت بالكتاب أو بالسنة على ثلاثة أقوال الثالث وهو المختار انه ثبت بهما ﴿الثاني﴾ اذا تزوج بالمطلقة ثلاثا ليحلها للاول فهذا نكاح باطل وعقد فاسد وبه قال مالك وأحمد لما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لعن المحلل والمحلل له أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وروى أنه قال هو التيس المستعار ولو تزوجها ولم يشترط في النكاح انه يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل اذا طلقها وانقضت العدة غيرانه يكره اذا كان في عز مهمما ذلك وبه قال الشافعى وأبو حنيفة ودليل ذلك ان الآية دلت على ان الحرمة تنهى بوطء مسبوق بعقد وقد وجد ذلك فوجب القول بانتهاء الحرمة وقال نافع أنى رجل الى ابن عمر فقال ان رجلا طلق امرأته ثلاثا فانطلق أخله من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للاول فقال لا الانكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿قوله عز وجل﴾ وتلك حدود الله بينها القوم يعلمون ﴿يعنى يعلمون ما أمرهم به ونهاهم عنه وانما خص العلماء لانهم هم الذين يتفهمون بذلك البيان ﴿قوله عز وجل﴾ وأذا طلقتم النساء ﴿نزلت في ثابت بن يسار رجل من الانصار طلق امرأته حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها يقصد بذلك مضارتها ﴿فبلغن أجلهن﴾ أي قاربن انقضاء عدتهن وشارفن منهاها ولم يرد انقضاء العدة لانه لو انقضت عدتها لم يكن للزوج امساكها فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة كما يقال بلغ فلان البلد اذا قاربه وشارفه فهذا من باب المجاز الذى يطلق اسم الكل فيه على الاكثر وقيل ان الاجل اسم للزمان فيعمل على الزمان الذى هو آخر زمان يمكن ايقاع الرجعة فيه بحيث اذا فات لا يبقى بعده مكنة الى الرجعة وعلى هذا التأويل فلا حاجة لنا الى المجاز ﴿فأمسكوهن﴾ أي راجعوهن ﴿بمعروف﴾

لا يعلمه الا الله (وتلك حدود الله بينها) وبالنون المفضل (لقوم يعلمون) يفهمون ما بين لهم (وأذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أي آخر عدتهن وشارفن منهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان أجل وللموت الذى يتسمى به أجل (فأمسكوهن بمعروف

(وتلك حدود الله) هذه أحكام الله وفرائضه (بينها قوم يعلمون) أنه من الله ويصدقون بذلك (وأذا طلقتم النساء) واحدة (فبلغن أجلهن) عدتهن قبل الاغتسال من الحيضة الثالثة (فأمسكوهن) فراجعوهن (بمعروف) بحسن الصحبة والمعاشرة

أوسرحوهن بمعروف (أي فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة واما ان يخلها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار (ولا تمسكوهن ضرارا) مفعول له أو حال أي مضارين وكان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لاعتنا حاجة ولكن ﴿٣٥١﴾ ليطول العدة عليها فهو {سورة البقرة} الامساك ضرارا (لعتدوا)

لتظلموهن أو لتلجؤهن الى الاقتداء (ومن يفعل ذلك) يعني الامساك للضرار (فقد ظلم نفسه) بتعريضها لعقاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) أي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والافتدائتموها هزوا يقال لمن لم يجد في الامر انما أنت لاعب وهازي (واذكروا نعمت الله

عليكم) بالاسلام ونبوة محمد عليه السلام (وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة) من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام

(أوسرحوهن) اتركوهن حتى يقتسلن ويخرجن من العدة (بمعروف) يؤدي حقهن (ولا تمسكوهن ضرارا) بالضرار (لعتدوا) لتظلموا عليهن وتظلموا عليهن العدة (ومن يفعل ذلك) الضرار (فقد ظلم نفسه) ضر بنفسه (ولا تتخذوا آيات الله) استهزاء (هزوا) استهزاء لا تعلمون بها (واذكروا

أوسرحوهن بمعروف ﴿٣٥١﴾ اذلا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار أو خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو اعادة للحكم في بعض صوره للاهتمام به ﴿٣٥١﴾ ولا تمسكوهن ضرارا ﴿٣٥١﴾ ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها ليطول العدة عليها فنهى عنه بعد الامساك بصدقه ما لفته ونصب ضرارا على العلة أو الحال بمعنى مضارين ﴿٣٥١﴾ لتظلموهن بالتطويل أو الاجاء الى الاقتداء واللام متعلقة بضرار اذ المراد تقييده ﴿٣٥١﴾ ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ﴿٣٥١﴾ بتعريضها للعقاب ﴿٣٥١﴾ ولا تتخذوا آيات الله هزوا ﴿٣٥١﴾ بالاعراض عنها والهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما أنت هازي كأنه نهى عن الهزاء وأراد به الامر بصدقه وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت ألب فزلات وعند عليه الصلاة والسلام ثلاث جدهن جد وهزلهن جدا الطلاق والنكاح والعناق ﴿٣٥١﴾ واذكروا نعمت الله عليكم ﴿٣٥١﴾ التي من جلها الهداية وبشارة محمد صلى الله عليه وسلم بالشكر والقيام بمحقوقها ﴿٣٥١﴾ وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة ﴿٣٥١﴾ القرآن والسنة أفردهما بالذكر أظهرهما لثمرتهما

وهو ان يشهد على رجعتها وان يراجعها بالقول لا بالوطء ﴿٣٥١﴾ أوسرحوهن بمعروف ﴿٣٥١﴾ أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيمكن أنفسهن ﴿٣٥١﴾ ولا تمسكوهن ضرارا ﴿٣٥١﴾ أي لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس وقيل كانوا يضاروهن لفتدى المرأة منه بما لها ﴿٣٥١﴾ لعتدوا ﴿٣٥١﴾ أي لتظلموهن بمجاوزتكم في أمورهن حدود الله التي بينها لكم وقيل معناه لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن ﴿٣٥١﴾ ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ﴿٣٥١﴾ أي ضر نفسه بمخالفة أمر الله وتعريضها عذاب الله ﴿٣٥١﴾ ولا تتخذوا آيات الله هزوا ﴿٣٥١﴾ يعني بذلك ما بين من حلاله وحرامه وأمره ونهيه في حبه وتزيله فلا تتخذوا ذلك استهزاء ولما فن وجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصل اليه هذه الاحكام التي تقدم ذكرها في العدة والرجعة والخلع وترك المضارة فلا يتخذها هزوا ففيه تهديد عظيم ووعيد شديد وقيل هو راجع الى قوله فأمسك بمعروف أو تسرع باحسان فكل من خالف أمرا من أمور الشرع فهو متخذ آيات الله هزوا وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنهوا عن ذلك ﴿٣٥١﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث جدهن جد وهزلهن جدا النكاح والطلاق والرجعة أخرجه أبو داود والترمذي ﴿٣٥١﴾ قوله عز وجل ﴿٣٥١﴾ واذكروا نعمت الله عليكم ﴿٣٥١﴾ يعني بالايان الذي أنعم به الله عليكم فهذا لكم له وسائر نعمه التي أنعم بها عليكم ﴿٣٥١﴾ وما أنزل عليكم ﴿٣٥١﴾ أي واذكروا نعمته فيما أنزه عليكم ﴿٣٥١﴾ من الكتاب ﴿٣٥١﴾ يعني القرآن ﴿٣٥١﴾ والحكمة ﴿٣٥١﴾ يعني السنة التي علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنها لكم وقيل المراد بالحكمة مواضع

نعمت الله (احفظوا منة الله) بالاسلام (وما أنزل عليكم من الكتاب) في الكتاب من الامر والنهي (والحكمة) الحلال

بحقها (يعظكم به) بما أنزل عليكم وهو حال (واتقوا الله) فيما امتحنكم به (واعلموا أن الله بكل شيء عليم) من الذكروا لاقاء
والإلتاظ وغير ذلك وهو {الجزء الثاني} أبلغ وعد ووعد ﴿٣٥٢﴾ (وأذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن)

﴿ يعظكم به ﴾ بما أنزل عليكم ﴿ واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم ﴾ تأكيد
وتهديد ﴿ وأذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ﴾ أي انقضت عدتهن وعن الشافعي
رحم الله تعالى دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين ﴿ فلاتعضلوهن أن ينكحن
أزواجهن ﴾ المخاطب به الأولياء الماروي أنها نزلت في معقل بن يسار حين عضل
أخته جيل أن ترجع إلى زوجها الأول بالاستئناس فيكون دليلا على أن المرأة لا تزوج
نفسها إذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض بأسناد النكاح اليهن لأنه
بسبب توقفه على إذنهن وقيل الأزواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة
ولا يتركونهن يتزوجن عدوانا وقسرا لأنه جواب قوله وإذا طلقتم النساء وقيل الأولياء
والأزواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الأمر فإنه إذا وجد بينهم
وهم راضون به كانوا كالفاعلين له * والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة

القرآن ﴿ يعظكم به ﴾ أي بالكتاب الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ واتقوا
الله ﴾ يعني خافوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿ واعلموا أن الله بكل شيء عليم ﴾
يعني أن الله تعالى يعلم ما أخفيتم من طاعة ومعصية في سر وعلن لا يخفى عليه شيء من
ذلك ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وأذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) ﴿ نزلت في معقل بن يسار
المزني عضل أخته جيلة وكانت تحت أبي القداح عاصم بن عدى فطلقها عن معقل
ابن يسار قال كانت لي أخت تخطب إلي وأمنها من الناس فأتاني ابن عمي فأنكحتها أيام
فأصطحبا ما شاء الله ثم طلقها طلاقه رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت
إلي أتاني يخطبها مع الخطاب فقلت له خطبت إلى فنعمتا الناس وآتراك بها فزوجتك
ثم طلقها طلاقا لك فدر رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت إلي أتيتني تخطبها
مع الخطاب والله لا أنكحتها لك أبدا في نزلت هذه الآية وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن
فلاتعضلوهن أن ينكحن أزواجهن الآية فكفرت عن عيني وأنكحتها أيام أخرجه
البخاري وقيل أن جابر بن عبد الله رضى الله عنه كانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فلما
انقضت عدتها أراد أن يرتجعها فأبى جابر رضى الله عنه وقال طلقت ابنة عمنا ثم تريد أن
تنكحها الثانية وكانت المرأة تريد زوجها قدر ضيته فنزلت هذه الآية وأراد بلوغ الأجل
في قوله فبلغن أجلهن انقضاء العدة بخلاف الآية التي قبل هذه قال الشافعي دل اختلاف
الكلامين على افتراق البلوغين ﴿ فلاتعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ﴾ خطاب
للأولياء والمعنى لا تضيقوا عليهن أي الأولياء فتمنعوهن من مراجعة أزواجهن بنكاح
جديد تبغون بذلك مضارتهن فهو خطاب عام لجميع الأولياء وإن كان سبب الآية
خاصا واصل العضل المنع والتضييق ومنه قول أوس بن حجر

وليس أخوك الدائم العهد بالذي * يذمك إن ولي ويرضيك مقبلا
ولكنه النسائي إذا كنت آمننا * وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضلا
يعني إذا ضاق الأمر وفي الآية دليل للشافعي ومن وافقه في أن المرأة لا تلي عقد

أي انقضت عدتهن فدل
سياق الكلامين على افتراق
البلوغين لأن النكاح
يعقبه هنا وإذا يكون بعد
العدة وفي الأول الرجعة
وإذا يكون في العدة (فلا
تعضلوهن) فلا تمنعوهن
العضل المنع والتضييق
(أن ينكحن) من أن ينكحن
(أزواجهن) الذين يرغبن
فيهم ويصلحون لهن
وفيه إشارة إلى انعقاد
النكاح بعبارة النساء
والخطاب للأزواج الذين
يعضلون نساءهم بعد
انقضاء العدة ظلما ولا
يتركونهن يتزوجن من
شئن من الأزواج سوا
أزواجها باسم ما يؤل إليه
أول الأولياء في عضلهن أن

والحرام (يعظكم به)
ينهاكم عن الضرر
(واتقوا الله) اخشوا
الله في الضرر (واعلموا
أن الله بكل شيء) من
الضرر وغيره (عليم)
وأذا طلقتم النساء (تطليقة
واحدة أو تطليقتين
(فبلغن أجلهن) فانقضت
عدتهن وأردن أن يرجعن
إلى أزواجهن الأول بعهر

ونكاح جديد (فلاتعضلوهن) تمنعوهن (أن ينكحن) أن يتزوجن (أزواجهن) الأول وان قرأت بخفض (النكاح)

(قوله جميل) بالتصغير كذا في القاموس وجزم ابن ماكول وفي نسخة جلا بضم الجيم وتسكين الميم وهي رواية أخرى مصححه

يرجعن الى أزواجهن الذين كانوا أزواجهن سموا أزواجا باعتبار ما كان نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول أو للناس أى لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين (أذا تراضوا بينهم) اذا تراضى الخطاب والنساء (بالمعروف) بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط أو بمهر المثل والكفء لان عند عدم اخذهما للاولياء ﴿٣٥٣﴾ ان تعرضوا والخطاب {سورة البقرة} في (ذلك) للنبي صلى الله

عليه وسلم أولكل واحد (يوعظه من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) فالواعظ انما تنجع فيهم (ذلكم) أى ترك العضل والضرار (أزكى لكم وأطهر) أى لكم من ادناس الآثام أو أوزكى وأطهر افضل وأطيب (والله يعلم) ما في ذلك من الزكاه والطهر (وأتمم لا تعلمون) ذلك (والوالدان يرضعن أولادهن) خبر في معنى الامر المؤكد كيتربصن وهذا الامر على وجه الندب أو على وجه الوجوب اذالم يقبل الصبي الاذى أمه اولم توجد له ظئرا وكان الاب عاجزا عن الاستجار أو أراد الوالدات المطلقات وإيجاب النفقة والكسوة لاجل

الضاد فهو الحبس (أذا تراضوا بينهم) اذا اتفقوا فيما بينهم (بالمعروف) بمهر ونكاح جديد (ذلك) الذى ذكرت (يوعظه) يؤمر به (من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم) الذى ذكرت

اذا نشب بيضا فلم يخرج ﴿اذا تراضوا بينهم﴾ أى الخطاب والنساء وهو ظرف لان يتكهن أولا تعضوهن ﴿بالمعروف﴾ بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروءة حال من الضمير المرفوع أو صفة لمصدر محذوف أى تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفو غير منهي عنه ﴿ذلك﴾ اشارة الى ماضى ذكره والخطاب للجميع على تأويل القليل أو كل واحد أو ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمتقضى دون تعيين المخاطبين أو للرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله يأيها النبي اذا طلقت النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه أمر لا يكاد يتصوره كل أحد ﴿يوعظه﴾ من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ﴿لانه المتعظ به والمنفع ذلكم﴾ أى العمل بمقتضى ما ذكر ﴿أزكى لكم﴾ انفع ﴿وأطهر﴾ من دنس الآثام ﴿والله يعلم﴾ ما فيه من النفع والصلاح ﴿وأتمم لا تعلمون﴾ لتصور علمكم ﴿والوالدان يرضعن أولادهن﴾ أمر عبر عنه بالخبر للبالغة ومعناه الندب أو الوجوب فيخص بما اذالم يرتضع الصبي الامن أمه أولم يوجد له ظئر أو عجز الوالد عن الاستجار

النكاح ولاتأذن فيه اذ لو كانت تملك ذلك لم يكن عضل ولانهى الولي عن العضل معنى ﴿قوله عز وجل﴾ اذا تراضوا بينهم بالمعروف ﴿يعنى اذا تراضى الخطاب والنساء والمعروف هنا ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر جائز وقيل هو ان يرضى كل واحد منهما بما التزمه لصاحبه بحق العقد حتى تحصل العجبة الحسنة والعشرة الجميلة ﴿ذلك﴾ أى ذلك الذى ذكر من النهى ﴿يوعظه﴾ من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ﴿يعنى ان المؤمن هو الذى يتنفع بالوعظ دون غيره ذلكم أزكى لكم وأطهر﴾ يعنى انه خير لكم وأطهر لقلوبكم وأطيب عند الله ﴿والله يعلم﴾ يعنى ما في ذلك من الزكاة والتطهير ﴿وأتمم لا تعلمون﴾ يعنى ذلك ﴿قوله عز وجل﴾ (والوالدان) يعنى المطلقات اللاتي لهن اولاد من أزواجهن وقيل المراد بهن جميع الوالدات سواء كن مطلقات أو متزوجات ويبدل عليه ان اللفظ عام ومقام دليل التخصيص فوجب تركه على عمومه ولانه ظاهر اللفظ فوجب حمله عليه ﴿يرضعن أولادهن﴾ هذا خبر بمعنى الامر والتقدير والوالدان يرضعن أولادهن فى حكم الله الذى أوجبه وهذا الامر ليس أمر إيجاب وانما هو أمر ندب واستحباب لان تربية الطفل بلبن الام أصلح له من لبن غيرها ولكمال شفقتها عليه ويبدل على أنه لا يجب على الوالدة ارضاع الولد قوله فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استتمت الاجرة وقال تعالى وان تماسرتم فسترضع له أخرى

(أزكى لكم) أصح لكم (وأطهر) لقلوبكم وقلوبهن (قا وخا ٤٥ ل) من الريبة والعداوة (والله يعلم) حب المرأة للزوج (وأتمم لا تعلمون) ذلك نزلت هذه الآية فى معقل بن يسار المزنى لمنعه أخته بجيلة الرجوع الى زوجها الاول عبد الله بن عاصم بمهر ونكاح جديد فنهاه الله عن ذلك (والوالدان) المطلقات (يرضعن أولادهن)

الرضاع (حولين) ظرف (كاملين) تامين وهو تأكيد لانه مما يتساح فيه فانك تقول أقت عند فلان حولين ولم تستكلمهما (لمن أراد أن يتم الرضاعة) بيان { الجزء الثاني } لمن توجه اليه الحكم ﴿ ٣٥٤ ﴾ أى هذا الحكم لمن أراد اتمام

والوالدات تم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن ﴿ حولين كاملين ﴾ أكده بصفة الكمال لانه مما يتساح فيه ﴿ لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ بيان للتوجه اليه الحكم أى ذلك لمن أراد اتمام الرضاعة أو متعلق براضعتان فان الاب يجب عليه الارضاع كالنقطة والام ترضعه وهو دليل على ان أقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنهما ﴿ وعلى المولود له ﴾ أى الذى يولده يعنى الوالد فان الولد يولده وينسب اليه وتغيير العبارة للإشارة الى المعنى المقضى لوجوب الارضاع ومؤن المرصعة عليه ﴿ رزقهن وكسوتهن ﴾ أجره لهن واختلف في استئجار الام فجوزه الشافعي ومنعه أبو حنيفة رجهما الله تعالى مادامت زوجة أو متعة نكاح ﴿ بالمعروف ﴾ حسب ما يراه الحاكم ويفى به وسعه ﴿ لا تكلف

هذا نص صريح في ذلك فان لم يوجد من يرضع الطفل أو لم يقبل غير لبن أمه وجب عليها ارضاعه كما يجب على كل أحد مواصلة المضطربان رغبت الام في ارضاع ولدها فهي أولى به من غيرها ﴿ حولين كاملين ﴾ الحول السنة وأصله من حال يحول اذا انقلب وانما قال كاملين للتوكيد لانه مما يتساح فيه تقول أقت عند فلان حولا وان لم تستكلمه فين الله انهما حولان كاملان أربعة وعشرون شهرا وهذا التحديد بالحولين ليس تحديداً ايجاباً وبدل على ذلك قوله بعده ﴿ لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ فلما علق الآعام بآرادتنا علمنا ان هذا الآعام غير واجب فثبت أن المقصود من هذا التحديد قطع النزاع بين الزوجين في مقدار زمن الرضاعة فقد رضى الله تعالى ذلك بالحولين حتى يرجع اليه عند التنازع قال ابن عباس رضى الله عنهما في رواية عكرمة اذا وضعت الولد لسته أشهر أرضعته حولين وان وضعت له سبعة أشهر أرضعته ثلاثاً وعشرين شهرا وان وضعت له تسعة أشهر أرضعته أحداً وعشرين شهرا كل ذلك ثلاثون شهراً قوله تعالى وحله وفصاله ثلاثون شهراً وقال في رواية الوالى عنه هو حد لكل مولود في أى وقت ولد لا ينقص رضاعه عن حولين الا باتفاق من الابوين فأيهما أراد فطام الولد قبل الحولين فليس له ذلك الا اذا اتفقا عليه يدل على ذلك قوله فان أراد فصالاً عن تراض منهما وقيل فرض الله على الوالدات ارضاع الولد حولين ثم أنزل التخفيف فقال لمن أراد أن يتم الرضاعة أى هذا منتهى الرضاع لمن أراد اتمام الرضاعة وليس فيما دون ذلك حد محدود وانما هو على مقدار اصلاح الطفل وما يعيش به ﴿ وعلى المولود له ﴾ يعنى الاب وانما عبر عنه بهذا لان الوالدات انما ولدن للآباء ولذلك ينسب الولد للاب دون الام قال بعضهم وانما أمهات النساء أوعية * مستودعات وللآباء ابناء

وقيل ان هذا تنبيه على ان الولد انما يلحق بالوالد لكونه مولوداً على فراشه فكأنه قال اذا ولدت المرأة الولد لاجل الرجل وعلى فراشه وجب عليه رعاية مصالحه ﴿ رزقهن ﴾ أى طعامهن ﴿ وكسوتهن ﴾ أى لباسهن ﴿ بالمعروف ﴾ أى على قدر الميسرة ﴿ لا تكلف

الرضاعة والحاصل ان الاب يجب عليه ارضاع ولده دون الام وعليه ان يتخذ له ظئراً الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الام مادامت زوجة أو متعة (وعلى المولود له) الهاء يعود الى اللام الذى يعنى الذى والتقدير وعلى الذى يولده وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية كعليهم في المغضوب عليهم وانما قيل على المولود له دون الوالد ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم اذا اولاد للآباء والنسب اليهم لا اليهن فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن اذا أرضعن ولدهم كالاظهار الأ ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً (رزقهن وكسوتهن بالمعروف) بلا اسراف ولا تقتير وتفسيره ما يعقبه وهو أن لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا (لا تكلف

حولين كاملين) سنتين كاملتين (لمن أراد أن يتم الرضاعة) رضاع

الولد (وعلى المولود له) يعنى الاب (رزقهن) نفقتهن على الرضاع (وكسوتهن بالمعروف) بغير اسراف ولا تقتير (لا تكلف) (نفس)

نفس الاوسعها) وجدها وقدرا مكانها والتكليف الزام ما يؤثره في الكلفة وانتصاب وسعها على انه مفعول ثان لتكلف لاعلى الاستثناء ودخلت الابن المفعولين (لاتضار) مكي وبصري بالرفع على الاخبار ومعناه النهي وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء أو تضارر بفتحها الباقيون لاتضار على النهي والاصل تضارر أسكنت الراء الاولى وأدغمت في الثانية فالتى الساكنان ففتحت الثانية لاتقاء الساكنين (والدة بولدها) أى لاتضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعذب به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد وان تقول بعدما ألقها الصبي اطلب له ظئرا وما أشبه ذلك ﴿٣٥٥﴾ (ولامولوده بولده) أى {سورة البقرة} ولايضار مولود له امرأته

بسبب ولده بأن يعنها شياً مما وجب عليه من رزقها وكسوتها أو يأخذ منها وهي تريد ارضاعه واذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن أن يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن أن يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد أو تضارر بمعنى تضار والباء من صلته أى لاتضار والدة ولدها فلا تسمى غذاءه وتمهده ولا تدفعه الى الاب بعدما ألقها ولايضار الوالد به بان يتزعه من يدها أو يقصر في حقها فقطصر هي في حق الولد وانما قيل بولدها وبولده لانه لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وكذلك الوالد (وعلى الوارث) عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما

نفس الاوسعها) لتعليل لايجب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه سبحانه وتعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لاينع امكانه ﴿لاتضار والدة بولدها ولا مولوده بولده﴾ تفصيل له وتقرير أى لا يكلف كل واحد منهما الاخر ما ليس في وسعه ولايضاره بسبب الولد * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب لاتضار بالرفع بدلا من قوله لاتكلف وأصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل أو الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته أى لايضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له * وقرئ لاتضار بالسكون مع التشديد على سية الوقف وبه مع التخفيف على أنه من ضاره يضره وايضاة الولد اليها تارة واليه أخرى استعطاف لهما عليه وتنبه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغي أن يضرابه أو ان يتضارا بسببه ﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾ عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما لتعليل

نفس الاوسعها) يعني طاقتها والمعنى ان أبا الولد لا يكلف في الاتفاق عليه وعلى أمه الاقدر ما تتسع به قدرته ولا يبلغ اسراف القدرة ﴿لاتضار والدة بولدها﴾ يعني لا يترع الولد من أمه بعد ان رضيت بارضاعه ولا يدفع الى غيرها وقيل معناه لا تتركه الام على ارضاع الولد اذا قبل الصبي لبن غيرها لان ذلك ليس بواجب عليها ﴿ولامولود له بولده﴾ يعني لاتلقى المرأة الولد الى أبيه وقد ألقها تضاره بذلك وقيل معناه لا يترع الاب أن يعطى أم الولد أكثر مما يجب عليه لها اذا لم يرضع الولد من غيرها فقل هذا يرجع الضرار الى الوالدين فيكون المعنى لايضار كل واحد منهما صاحبه بسبب الولد وقيل يحتمل أن يكون الضرار راجعا الى الولد والمعنى لايضار كل واحد من الابوين الولد فلا ترضعه حتى يموت فيتضرر بذلك ولا ينفق عليه الاب أو يترعه من أمه فيضره بذلك فعلى هذا تكون الباء صلة والمعنى لاتضار والدة ولدها ولا اب ولده ﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾ يعني وعلى وارث أبي الولد اذا مات مثل ما كان يجب عليه من النفقة

بيدهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه أى وعلى وارث الصبي عنه عدم الاب (مثل ذلك) أى مثل الذى كان على أبيه في حياته من الرزق والكسوة واختلف فيه فمعد ابن أبي ليلى كل من ورثه وعندنا من كان ذارحم محرّم منه لقراءة ابن مسعود رضى الله عنه وعلى الوارث ذى الرحم المحرم مثل ذلك وعند الشافعي رحمه الله لانفقة فيما عدا

نفس) بالنفقة على الرضاع (الايوسعها) الا بقدر ما اعطاها الله من المال (لاتضار والدة بولدها) بأخذ ولدها منها بعد ما رضيت بما أعطت غيرها على الرضاع (ولامولوده) يعنى الاب (بولده) بطرح الولد عليه بعد ما عرف أمه ولا يقبل ثدى غيرها (وعلى الوارث) وارقال الاب ويقال وارث الصبي (مثل ذلك) مثل ما على الاب من النفقة وترك الضرار اذا لم يكن الاب

الولاد (فإن أرادا) يعني الابوين (فصلا) فطاما صادرا (عن تراض منهما وتشاور) بينهما (فلا جناح عليهما) في ذلك زادا على الحولين أو نقصا وهذه {الجزء الثاني} توسعة بعد التحديد ﴿٣٥٦﴾ والتشاور استخراج الرأي من شرت

العسل اذا استخرجته معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي أى تمان المرزعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله عليه الصلاة والسلام واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لانفقة عنده فيماعد الولادة وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن أبي ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب أبي حنيفة وقيل عصباته وبه قال أبو زيد وذلك اشارة الى ماوجب على الاب من الرزق والكسوة ﴿فإن أرادا فصلا عن تراض منهما وتشاور﴾ أى فصلا صادرا عن التراضى منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة والمشورة استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته ﴿فلا جناح عليهما﴾ في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم أحدهما على ما يضره لغرض أو غيره ﴿وأن أردتم ان تسترضعوا أولادكم﴾ أى تسترضعوا المراضع أولادكم يقال أرضعت المرأة الطفل واسترضعتها أيه كقولك انحج الله حاجتي واستنجحت أياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه ﴿فلا جناح عليكم﴾ فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع الولد ويمنع الزوجة من الارضاع ﴿اذا سلمتم﴾ الى المراضع ﴿ما آتيتم﴾ ما أردتم ايتاه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة * وقرأ ابن كثير ما آتيتم من أنى اليه أحسانا اذا فعله وقرئ أو تيتم أى ما آتاكم الله وأقدركم عليه من الاجرة ﴿بالمعروف﴾

والكسوة فيلزم وارث الاب أن يقوم مقامه في القيام بحق الولد وقيل المراد بالوارث وارث الصبي الذي لومات الصبي ورثه فعلى هذا الوارث مثل ما كان على أب الصبي في حال حياته واختلف في أى وارث هو فقيل هم عصبة الصبي كالجدة والعم وابنه وقيل هو كل وارث له من الرجال والنساء وبه قال أحمد فيجبرون على نفقة الصبي كل على قدر سهمه منه وقيل هو من كان ذارحم محرم منه وبه قال أبو حنيفة وقيل المراد بالوارث الصبي نفسه فعلى هذا تكون أجرة رضاع الصبي في ماله فان لم يكن له مال فعلى الام ولا يجبر على نفقة الصبي غير الابوين وبه قال مالك والشافعي وقيل معناه وعلى الوارث ترك المضارة ﴿فإن أرادا﴾ بمعنى الوالدين ﴿فصلا﴾ يعنى فطام الولد قبل الحولين ﴿عن تراض منهما﴾ أى على اتفاق من الوالدين في ذلك ﴿وتشاور﴾ أى يشاورون أهل العلم في ذلك حتى يجبروا أن الفطام قبل الحولين لا يضر بالولد والمشاورة استخراج الرأي بما فيه مصلحة ﴿فلا جناح عليهما﴾ أى فلا حرج ولا اثم على الوالدين في الفطام قبل الحولين اذا لم يضر بالولد ﴿وأن أردتم ان تسترضعوا أولادكم﴾ أى لا أولادكم مراضع غير أمهاتهم اذا أبت أمهاتهم ارضاعهم أو تعذر ذلك لعلته بهن من انقطاع لبن أو غير ذلك أو أردن التزويج ﴿فلا جناح عليكم اذا سلمتم﴾ يعنى الى المراضع ﴿ما آتيتم﴾ يعنى لهن من أجرة الرضاع وقيل اذا سلمتم الى أمهاتهم من أجرة الرضاع بقدر ما أرضعن ﴿بالمعروف﴾ أى

العسل اذا استخرجته وذكره ليكون التراضى عن تفكر فلا يضر الرضيع فسبحان الذى أدب الكبير ولم يهمل الصغير واعتبر اتفاقهما لما للاب النسبة والولاية وللأم الشفقة والعناية (وأن أردتم أن تسترضعوا أولادكم) أى لا أولادكم عن الزجاج وقيل استرضع منقول من ارضع يقال أرضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي معدى الى مفعولين أى ان تسترضعوا المراضع أولادكم فحذف أحد المفعولين يعنى غير الام عند ابانها أو عجزها (فلا جناح عليكم اذا سلمتم) الى المراضع (ما آتيتم) ما أردتم ايتاه من الاجرة أو تيتم مكى من أنى اليه أحسانا اذا فعله ومنه قوله كان وعده ما تيا أى مفعولا والتسليم ندب لاشترط للجواز (بالمعروف) متعلق بسلمتم أى سلمتم الاجرة

(فإن أرادا) يعنى الزوج والمرأة (فصلا) فصل الصبي عن اللبن قبل الحولين يعنى فطاما (عن تراض منهما) بتراض الاب والام (وتشاور) بمشاورتهما (فلا جناح عليهما) على

الاب والام ان لم يرضعا ولدهما سنتين (وان أردتم ان تسترضعوا أولادكم) غير الام وأرادت الام (بالاحسان) أن تزوج (فلا جناح عليكم) فلا حرج على الاب والام (اذا سلمتم ما آتيتم) اذا أنفقتم ما أعطيتم (بالمعروف) بالموافقة

الى المواضع بطيب نفس

وسرور (واتقوا الله واعلموا
أن الله بما تعملون بصير)
لا تخفى عليه أعمالكم فهو
يجازيكم عليها (والذين
يتوفون منكم) تقول توفيت
الشيء واستوفيته اذا أخذته
واقياما ما أى تستوفى
أرواحهم (ويدرون)
ويتركون (أزواجا يتربصن
بأنفسهن) أى وزوجات
الذين يتوفون منكم يتربصن
أى يعتدون أو معناه يتربصن
بعدهم بأنفسهن فحذف
بعدهم للعلم به وانما احتج
الى تقديره لانه لا بد من عائد
يرجع الى المبتدأ فى الجملة
التي وقعت خبرا يتوفون
المفضل أى يستوفون آجالهم
(أربعة أشهر وعشرا) أى و
عشر ليال والايام داخلة
معها ولا يستعمل التذكير
فيه ذهابا الى الايام تقول
صمت عشرا ولو ذكرت
لخرجت من كلامهم

بغير مخالفة (واتقوا الله)
واخشوا الله فى الضرار
والمخالفة (واعلموا أن الله
بما تعملون) من الموافقة
والمخالفة بالضرار (بصير
والذين يتوفون منكم) يموتون
من رجالكم (ويدرون)
يتركون (أزواجا) بعد
الموت (يتربصن) ينتظرن

(بأنفسهن) فى العدة (أربعة أشهر وعشرا)
يعنى عشرة أيام

صلة سلم أى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه
ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلك ما هو الاولى والاصح
للطفل ﴿ واتقوا الله ﴾ مبالغة فى المحافظة على ما شرع فى أمر الاطفال والمراضع
﴿ واعلموا أن الله بما تعملون بصير ﴾ حث وتهديد ﴿ والذين يتوفون منكم
ويدرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ﴾ أى وازواج الذين
أووالذين يتوفون منكم ويدرون أزواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان
بدرهم وقرى يتوفون بفتح الياء أى يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليلالى
لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير فى مثله قط ذهابا الى الايام
حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهدله قوله تعالى ان ليشم الا عشرا ثم ان ليشم
الا يوما ولعل المقتضى لهذا التقدير ان الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر
ان كان ذكرا ولاربعة ان كان اناثى فاعتبر أقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا
اذ ربما تضعف حركته فى المبادئ فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسئلة
والكتابية فيه كما قاله الشافى رضى الله عنه والحره والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها
لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجاع خص الحامل منه لقوله تعالى وأولات
الاجال أجلهن ان يضعن حملهن * وعن على وابن عباس رضى الله عنهم أنها تعد

بالاحسان والاجال أمروا أن يكونوا عند تسليم الاجزة مستبشري الوجوه ناطقين
بالقول الجليل مطيبين لانفس المراضع بما أمكن حتى يؤمن من تفریطهن بقطع
معاذيرهن ﴿ واتقوا الله ﴾ يعنى وخافوا الله فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما
أوجب عليكم لا اولادكم ﴿ واعلموا أن الله بما تعملون بصير ﴾ يعنى لا يخفى عليه خافية
من جميع أعمالكم سرها وعلانيها فإنه تعالى يراها ويعلمها ﴿ قوله عز وجل ﴾ والذين
يتوفون ﴿ يعنى يموتون ﴾ منكم ﴿ وأصل التوفى أخذ الشيء وافيما فمن مات فقد استوفى
عمره كاملا ويقال توفى فلان يعنى قبض وأخذ ﴿ ويدرون ﴾ أى ويتركون ﴿ أزواجا ﴾
والمراد بالازواج هنا النساء لان العرب تطلق اسم الزوج على الرجل والمرأة ﴿ يتربصن ﴾
أى ينتظرن ﴿ بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ﴾ يعنى قدر هذه المدة وانما قال عشرا بلفظ
التأنيث لان العرب اذا أبهمت فى العدل من الليلالى والايام غلبوا الليلالى حتى ان أحدهم ليقول
صمت عشرا من الشهر لكثرة تغليبهم الليلالى على الايام فأذا أظهروا الايام قالوا صمتنا
عشرة أيام وقيل ان هذه الايام أيام حزن ولبس احداد فشبها بالليلالى على سبيل الاستعارة
ووجه الحكمة فى ان الله تعالى حد العدة بهذا القدر لان الولد يركض فى بطن أمه لنصف
مدة الحمل يعنى يتحرك وقيل ان الروح ينفخ فى الولد فى هذه العشرة أيام ويدل على ذلك
ماروى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق
المصدوق ان خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك
ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو

سعيد ثم ينفخ فيه الروح أخرجه في الصحيحين بزيادة فدل هذا الحديث على ان خلق
الولد مجتمع في مدة أربعة أشهر ويتكامل خلقه بنفخ الروح فيه في هذه الايام الزائدة
﴿ فصل في حكم عدة المتوفى عنها زوجها ﴾

﴿ الاحداد ﴾ (وفيه مسائل) المسئلة الاولى ﴿

عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشروعدة الامة على نصف عدة الحرة شهران وخسة أيام
وبه قال جمهور العلماء وقال أبو بكر الاصم عدة الامة كعدة الحرائر وتمسك بظاهر هذه الآية
وعدة الحامل بوضع الحمل سواء فيه الحرة والامة ولو وضعت بعد وفاة زوجها
بلحظة حل لها أن تتزوج ويدل على هذا ما روى عن سبيعة الاسلية انها كان تحت
سعد بن خولة وهو من بنى عامر بن لؤى وكان ممن شهد بدرا فتوفى عنها في حجة
الوداع وهي حامل فلم تلبث ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلق من نفاسها تجملت
للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك رجل من بنى عبد الدار فقال مالي
أراك تجملت للخطاب لعلمك ترجين النكاح وانك والله ما أنت بنا كح حتى تمر
عليك أربعة أشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جعت على ثيابي حين أسيت
وأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأته عن ذلك فأقناني بأنى قد حلت حين وضعت
حلي وأمرني بالتزوج ان بدالى أخرجه في الصحيحين وفيه قال ابن شهاب ولا أرى بأسا ان
تتزوج حين وضعت وان كانت في دمه اغيرانه لا يقربها حتى تطهر فعلى هذا حكم الآية
عام في كل من توفى عنها زوجها بان تعد أربعة أشهر وعشرا ثم خصص من هذا العموم
أولات الاجال بهذا الحديث بقوله تعالى وأولات الاجال أجلهن أن يضعن حملهن

﴿ المسئلة الثانية ﴾

يجب على من توفى عنها زوجها الاحداد وهو ترك الزينة والطيب ودهن الرأس
بكل دهن والكحل المطيب فان اضطرت الى كل فيه زينة فيرخص لها وبه قال مالك
وأبو حنيفة وقال الشافعي تكحل به بالليل وتمسحه بالنهار عن أم سلمة رضيت الله عنها قالت
دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفى أبو سلمة وقد جملت على صبرا
فقال ما هذا يا أم سلمة فقلت انما هو صبر يارسول الله ليس فيه طيب فقال انه يشب
الوجه فلا تجعليه الا بالليل وتنزعيه بالنهار ولا تمتشي بالطيب ولا بالحناء فانه خضاب
قلت بأى شئ أمتشط يارسول الله قال بالسدر تغلفين به رأسك أخرجه أبو داود
وللسائى نحوه قوله فانه يشب الوجه أى يوقده ويحسنه وينوره من شب النار اذا أوقدها
قوله تغلفين به رأسك أى تلطخين به رأسك والتغلف هو العمرة على وجه المرأة وكذا رأسها
اذا طخته بشئ فأكثر منه ولا يجوز لها لبس الدباج والحري والحلى والمصبوغ للزينة
كالاجر والاصفر ويجوز لها لبس ما صبغ لغير الزينة كالا سود والازرق ويجوز لها أن تلبس
البياض من الثياب والصوف والوبر (ق) عن زينب بنت أبي سلمة رضيت الله عنها
دخلت على أم حبيبة رضيت الله عنها زوجها النبي صلى الله عليه وسلم حين توفى أبوها

بأقصى الاجلين احتياطاً ﴿ فأذا بلغن أجلهن ﴾ أى انقضت عدتهن ﴿ فلا جناح عليكم ﴾ أيها الأئمة أو المسلمون جميعاً ﴿ فيما فعلن في أنفسهن ﴾ من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليها للعدة ﴿ بالمعروف ﴾ بالوجه الذى لا ينكره الشرع ومفهومه انهن

أبو سفيان بن حرب فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضها ثم قالت والله مالى بالطيب من حاجة غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن المنبر لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج أربعة أشهر وعشراً قالت زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفي أخوها فدعت بطيب فست منه ثم قالت والله ما للطيب من حاجة غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج أربعة أشهر وعشراً (م) عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوجها أربعة أشهر وعشراً (ق) عن أم عطية رضى الله عنها قالت كنا نهي أن نحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج أربعة أشهر وعشراً ولا نتكحل ولا نتطيب ولا نلبس ثوباً مصبوغاً الا ثوب عصب وقد رخص لنا عند الطهر اذا اغتسلت أحدانا من حيضتها في نبذة من كست أطفار* قولها الا ثوب عصب العصب بالعين والصاد المهملتين من البرود الذى صبغ غزله قبل النسج* قولها نبذة من كست النبذة الشئ* اليسر والكست لغة في القسط وهوشى معروف يتغير به* عن أم سلمة قالت رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلبس المتوفى غها زوجها المصفرة من الثياب ولا المشقة ولا الحلى ولا تختضب ولا تكحل ولا تطيب أخرجها أبو داود* قولها ولا المشقة الثياب المشقة هي المصبوغة بالمشق وهي المفرة عن نافع أن صفية بنت عبد الله اشتكت عينها وهي حاد على زوجها ابن عمر فلم تكحل حتى كادت عينها رمضان أخرجها مالك في الموطأ

المسئلة الثالثة

اختلفوا في ان هذه المدة سببها الوفاة أو العلم بالوفاة فقال بعضهم ما لم تعلم بوفاة زوجها لا تعتد بانقضاء الايام في العدة واحتجوا على ذلك بان الله تعالى قال يتربصن بأنفسهن وذلك لا يحل الا بالقصد الى التربص ولا يحل ذلك الا مع العلم قال الجمهور السبب هو الموت لو انقضت المدة أو أكثرها أو بعضها ثم بلغها خبر موت الزوج وجب أن تعتد بما انقضى ويبدل على ذلك ان الصغيرة التي لا علم لها يكفي في انقضاء عدتها هذه المدة

المسئلة الرابعة

أجمع العلماء على ان هذه الآية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحول وان كانت هذه الآية مقدمة في التلاوة وسند كمر تمام الكلام عليه بعد في موضعه ان شاء الله تعالى والله أعلم* قوله عز وجل ﴿ فأذا بلغن أجلهن ﴾ أى انقضت عدتهن ﴿ فلا جناح عليكم ﴾ خطاب للاولياء لانهم هم الذين يتولون القصد ﴿ فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف ﴾ يعنى

(فأذا بلغن أجلهن) فإذا انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) أيها الأئمة والحكام (فيما فعلن في أنفسهن) من التعرض للخطاب (بالمعروف) بالوجه

(فأذا بلغن أجلهن) فإذا انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) على أولياء الميت في تركهن (فيما فعلن في أنفسهن) من الزينة (بالمعروف)

الذي لا يتركه الشرع (والله بما تعملون خبير) عالم بالباطن (ولاجتراح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) الخطبة الاستنكاح والتعريض أن تقول لها انك جميلة أوصالحة ومن عرضى ان أزوج ونحو ذلك من الكلام الموهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول انى أريدان أزوجك والفرق بين الكناية والتعريض ان الكناية ان تذكر الشئ بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شئاً تدل به على شئ لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولا نظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا * وحسبك بالتسليم منى تقاضيا فكانه امالة الكلام الى غرض يدل على الغرض للترويج (والله بما تعملون) من الخير والشر (خبير ولاجتاح عليكم) لاجرح على الخطاب (فما عرضتم به من خطبة النساء) فيما تعرضتم أنفسكم على المرأة المتوفى عنها زوجها قبل انقضاء العدة اتزوجها بعد انقضاء العدة وهو أن يقول لها ان جمع الله بيننا

لوفعلن ما يتركه فليعلم ان يكفوهن فان قضروا فليعلم الجناح (والله بما تعملون خبير) فيما يريكم عليه (ولاجتاح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) التعريض والتلويح ايها المقصود عالم بوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على الشئ بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضيف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غيران المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة خصت بطلب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقوله لها انك جميلة

من التزين والتطيب والنقطة من المسكن الذي كانت معتدة فيه ونكاح من يجوز لها نكاحه وقيل انما عنى بذلك النكاح خاصة وقيل معنى قوله بالمرء هو النكاح الحلال الطيب واحتج أصحاب أبي حنيفة على جواز النكاح بغيرولى بهذه الآية لان اضافة الفعل الى الفاعل محمول على المباشرة وأجاب أصحاب الشافعى ان قوله تعالى فلا جناح عليكم خطاب للاولياء ولو صرح العقد بغيرولى لما كان مخاطبا وأجيب عن قوله فيما فعلن فى أنفسهن انما هو التزين والتطيب بعد انقضاء العدة لأنها تزوج نفسها (والله بما تعملون خبير) يعنى أنه تعالى لا يخفى عليه خافية * والخير فى صفة الله تعالى هو العالم بكنهه الشئ وحقيقته من غير شك والخير فى صفة المخلوقين انما يستعمل فى نوع من العلم وهو الذى يتوصل اليه بالاجتهاد والفكر والله تعالى منزه عن ذلك كله (قوله عز وجل (ولاجتاح) أى لاجرح (عليكم فيما عرضتم به) أى لو حتم وأشترتم به والتعريض ضد التصريح ومعناه أن يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على مقصوده ويصلح للدلالة على غير مقصوده ولكن اشار به بجانب المقصود أتم وأرجح وقيل هو الاشارة الى الشئ بما يفهم السامع مقصوده من غير تصريح به وقيل التعريض من الكلام ماله ظاهر وباطن (من خطبة النساء) يعنى المعتدات فى عدتهن والخطبة بالكسر طلب النكاح والتماسه وقيل هو ذكر النساء والخطبة بالضم كلام منظوم له أول وآخر ومعنى الآية فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن والتعريض بالخطبة فى العدة مباح وهو أن يقول أنك جميلة وانك لصالحة وأن عرضى التزوج وأنى فيك لراغب وعسى الله أن يسرلى امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم من غير تصريح بأن يقول انى أريد أن أنكحك أو أتزوجك ونحو ذلك وبدل على صحة هذا التأويل ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى فيما عرضتم به من خطبة النساء هو أن يقول انى أريد التزوج وان النساء لمن حاجتى ولوددت ان تيسرلى امرأة صالحة أخرجه البخارى وروى ان سكينه بنت حنظلة تأميت فدخل عليها أبو جعفر محمد بن على الباقرى عدتها فقال قد علمت قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدى على وقدمى فى الاسلام فقالت سكينه غفر الله لك أنخطبنى فى العدة وأنت يؤخذ عنك فقال انما أخبرتك بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وهى فى عدة زوجها أبى سلمة فذكر لها منزلته من الله عز وجل

(أو أكنتم في أنفسكم) أو سترتم وأضمرتم في قلوبكم فلم تذكره بألسنتكم لامعرضين ولا مصرحين (علم الله أنكم ستركروهن) لاجالة ولا تنفكون ﴿٣٦١﴾ عن النطق برغبتكم {سورة البقرة} فيهن فاذكروهن (ولكن

لاتواعدوهن سرا) جاعا لانه مما يسرى لاقولوا في العدة فاني قادر على هذا العمل (الآن تقولوا قولاً معروفاً) وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا ولا متعلق بلا تواعدوهن أي لاتواعدوهن مواعدة قط الامواعدة معروفة غير منكرة (ولا تعزموا عقدة النكاح) من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقدة النكاح لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهى عنه كان عن الفعل أنهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح أو ولا تقطعوا عقد النكاح لان حقيقة العزم القطع ومنه الحديث لاصيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروى لمن لم يت الصيام أي ولا تعزموا على عقدة النكاح

أو وافقة ومن غرضي ان أزوج ونحو ذلك ﴿أو أكنتم في أنفسكم﴾ أو اضمرتم في قلوبكم فلم تذكره تصريحاً ولا تعريضاً ﴿علم الله أنكم ستركروهن﴾ ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ﴿ولكن لاتواعدوهن سرا﴾ استدراك عن محذوف دل عليه ستركروهن أي فاذكروهن ولكن لاتواعدوهن نكاحاً أو جاعاً عبر بالسرا عن الوطء لانه مما يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لاتواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يستحسن ﴿الآن تقولوا قولاً معروفاً﴾ وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف أي لاتواعدوهن مواعدة الامواعدة معروفة أو الامواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لاتواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والظاهر جوازه ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾ ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد أي ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل

وهو متحمل على يده حتى أثر الحصير في يده صلى الله عليه وسلم من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة ﴿أو أكنتم﴾ يعني أضمرتم ﴿في أنفسكم﴾ يعني من نكاحهن وقيل هو ان يدخل ويسلم ويهدى ان شاء ولا يتكلم بشئ والمقصود انه لا حرج عليكم في التعريض للمرأة في عدة الوفاة ولا فيما يضمن الرجل في نفسه من الرغبة فيها ﴿علم الله أنكم ستركروهن﴾ يعني بقلوبكم لان شهوة النفس والتمني لا يخلو منه أحد فلما كان هذا الخاطر كالشئ الشاق أسقط عنه الحرج ﴿ولكن لاتواعدوهن سرا﴾ اختلفوا في معنى هذا السر المنهى عنه فقيل هو الزنا كان الرجل يدخل على المرأة يعرض بالنكاح ومراده الزنا ويقول لها دعيني فاذا فويت عدتك أظهرت نكاحك فنها عن ذلك وقيل هو قول الرجل للمرأة لاتفوتي نفسي فاني ناكحك وقيل هو ان يأخذ عليها العهد والميثاق ان لاتتزوج غيره وقيل هو ان يخطفها في العدة وقال الشافعي السراج الجاع وهو رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال الكلبى لاتصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع ويدل على أن لفظ السر كناية عن الجماع قول امرئ القيس

الأزعت بسباسة القوم أننى • كبرت وان لا يحسن السر أمثالى

بسباسة اسم امرأة وانما وقع الكناية عن الجماع بالسرا لانه مما يسر والله تعالى حى كريم فكفى به عن لفظ الجماع الصريح ومعنى الآية لاتواعدوهن مواعدة سرية أو لاتواعدوهن بالشئ الموصوف بالسرا وقيل في معنى الآية ان الله تعالى اذن في أول الآية في التعريض بالخطبة ومنع في آخرها عن التصريح بالخطبة ﴿الآن تقولوا قولاً معروفاً﴾ يعني هو ما ذكر من التعريض بالخطبة وقيل هو اعلام ولى المرأة انه راغب في نكاحها ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾

بالحلال يعجبني ذلك (أو أكنتم) اضمرتم ذلك (في أنفسكم) في قلوبكم (علم الله أنكم ستركروهن) تذكرن نكاحهن (ولكن لاتواعدوهن سرا) بالجماع (الآن تقولوا قولاً معروفاً) صحیحاً ظاهراً وهو ان يقول

ان جمع الله بيننا بالحلال يعجبني ذلك لا يزيد (قاو خا ٤٦ ل) على ذلك (ولا تعزموا) لآتحققوا (عقدة النكاح)

(حتى يبلغ الكتاب أجله) حتى تنقضى عدتها وسميت العدة كتابا لأنها فرضت بالكتاب يعني حتى يبلغ التبرص المكتوب عليها أجله أى غايته (واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم) من العزم على ما لا يجوز (فاحذروه) ولا تمزموا عليه (واعلموا أن الله غفور حلیم) لا يعاجلكم بالعقوبة ونزل فيمن طلق امرأته ولم يكن سمى لها مهرا ولا جامعا (لاجنح عليكم) { الجزء الثانى } لاتبعة عليكم من ﴿ ٣٦٢ ﴾ إيجاب مهر (أن طلقتم النساء)

معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فإن أصل العزم القطع ﴿ حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾ حتى يتبى ما كتب من العدة ﴿ واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم ﴾ من العزم على ما لا يجوز ﴿ فاحذروه ﴾ ولا تمزموا ﴿ واعلموا أن الله غفور ﴾ لمن عزم ولم يفعل خشية من الله سبحانه وتعالى ﴿ حلیم ﴾ لا يعاجلكم بالعقوبة ﴿ لاجنح عليكم ﴾ لاتبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة فى الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر الهى عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى ﴿ أن طلقتم النساء ما لم تمسوهن ﴾ أى تجامعوهن * وقرأ حزة والكسائى تمسوهن بضم التاء ومدالميم فى جميع القرآن ﴿ أو تفرضواهن فريضة ﴾ الا أن تفرضوا أو حتى تفرضوا أو وتفرضوا * والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى المفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لاتبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهرا اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى أو مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فنطوق الآية ينفي الوجوب فى الصورة الاولى ومفهومها يقتضى الوجوب على الجملة فى الاخيرتين ﴿ وتموهن ﴾ عطف على مقدر أى فطلقوهن وتموهن والحكمة فى إيجاب المتعة جبر أيحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى رأى الحاكم ويؤيده قوله

حتى يبلغ الكتاب أجله ﴿ أى لا تحققوا العزم على عقدة النكاح فى العدة حتى تنقضى وانما سماها الله كتابا لأنها فرضت به ﴿ واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه ﴾ أى فحافوه ﴿ واعلموا أن الله غفور حلیم ﴾ لا يجمل بالعقوبة على من جاهره بالمعصية بل يستر عليه ﴿ قوله عز وجل ﴿ لاجنح عليكم أن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضواهن فريضة ﴾ أى ولم تمسوهن ولم تفرضواهن فريضة يعنى ولم تعينواهن صدقا ولم توجبوه عليكم نزلت فى رجل من الانصار تزوج امرأة من بنى حنيفة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل ان يمسه فنزلت هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم امتعها ولو بقلنسوتك * فأن قلت هل على من طلق امرأته جناح بعد المسيس حتى يوضع عنه الجناح قبل المسيس فواجه نبي الحرج والجناح عنه * قلت فيه سبب قطع الوصلة وما جاء فى الحديث ان أبغض الحلال الى الله الطلاق فنفى الله الجناح عنه اذا كان الفراق أروح من الامساك وقيل معناه لا حرج عليكم فى تطليقهن قبل المسيس فى أى وقت شئتم حائضا كانت المرأة أو طاهرا لانه لاسنة فى طلاقهن قبل الدخول ﴿ وتموهن ﴾ أى اعطوهن من مالكم ما يمتنعن به والمتعة والمتاع ما يتبلغ

شرط وبدل على جوابه لاجنح عليكم والتقدير ان طلقتم النساء فلا جنح عليكم (ما لم تمسوهن) ما لم تجامعوهن وما شرطية أى ان لم تمسوهن تماسوهن حزة وعلى حيث وقع لان الفعل واقع بين اثنين (أو تفرضواهن فريضة) الا ان تفرضوا لهن فريضة أو حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير الموطوءة لها نصف المسمى ان سمى لها مهرا وان لم يسم لها مهرا فليس لها نصف مهر المثل بل تجب المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنقضى ثمة (وتموهن) معطوف على فعل محذوف تقديره فطلقوهن وتموهن والمتعة درع ولحفنة وخارج (حتى يبلغ الكتاب أجله) حتى تبلغ العدة وقتها (واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم) فى قلوبكم

من الوفاء والخلاف على ما قلتم (فاحذروه) فاحذروا مخالفته (واعلموا أن الله غفور) لمن تاب من مخالفته (به) (حلیم) اذ لم يجله بالعقوبة (لاجنح عليكم) لا حرج عليكم (أن طلقتم النساء ما لم تمسوهن) تجامعوهن (أو تفرضواهن فريضة) او لم تبنوا لهن مهرا (وتموهن) متعة الطلاق

﴿ على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ﴾ أى على كل من الذى له سعة والمقتر الضيق الحال ما يطيقه وما يليق به ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام لانصارى طلق امرأته المفوضة قبل ان يسها متها بقلنسوتك وقال أبو حنيفة رضى الله عنه هي درع وملحفة وخار على حسب الحال الا أن يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الآية يقتضى تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يسها الزوج وألحق بها الشافعى رضى الله عنه في أحد قوليہ الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرأه الكسائى وحفص وابن ذكوان بفتح الدال ﴿ متاعا ﴾ تميميا ﴿ بالمعروف ﴾ بالوجه الذى يستحسنه الشرع والمروءة ﴿ حقا ﴾ صفة لمتاعا أو مصدر مؤكد أى حق ذلك حقا ﴿ على المحسنين ﴾ الذين يحسنون الى أنفسهم بالمسارعة الى الامتثال اولى المطلقات بالتمتع وسماهم

به من الزاد ﴿ على الموسع ﴾ أى الغنى الذى يكون في سعة من غناه ﴿ قدره ﴾ أى قدر امكانه وطاقته ﴿ وعلى المقتر ﴾ أى الفقير الذى هو في ضيق من فقره ﴿ قدره ﴾ أى قدر امكانه وطاقته ﴿ متاعا بالمعروف ﴾ يعنى متعوهن تميميا بالمعروف يعنى من غير ظلم ولا حيف ﴿ حقا ﴾ أى حق ذلك التمتع حقا واجبا لازما ﴿ على المحسنين ﴾ يعنى الى المطلقات بالتمتع وانما خص المحسنين بالذكر لانهم الذين ينتفعون بهذا البيان وقيل معناه من أراد أن يكون من المحسنين فهذا شأنه وطريقه والمحسن هو المؤمن

فصل في بيان حكم الآية

وفيه فروع ﴿ الفرع الاول ﴾ اذا تزوج امرأة ولم يفرض لها مهرا ثم طلقها قبل المسيس يجب لها عليه المتعة وبه قال الشافعى وأبو حنيفة وأحد وقال مالك المتعة مستحبة ولو طلقها قبل الدخول وقد فرض لها مهرا وجب لها عليه نصف المهر المفروض ولا متعة لها عليه ﴿ الفرع الثانى ﴾ المطلقة المدخول بها فيها قولان قال في القديم لا متعة لها لانها تستحق المهر كاملا وبه قال أبو حنيفة وهو إحدى الروايتين عن أحد وقال في الجديد لها المتعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وهو الرواية الاخرى عن أحد قال ابن عمر لكل مطلقة متعة الا التي فرض لها المهر ولم يدخل بها زوجها فحسبها نصف المهر ﴿ الفرع الثالث ﴾ في قدر المتعة ﴿ قال ابن عباس رضى الله عنهما أعلاها خادم وأوسطها ثلاثة أثواب درع وخار وازار وأقلها دون ذلك وقاية أو مقنعة أو شئ من الورق وهو مذهب الشافعى لانه قال أعلاها على الموسع خادم وأوسطها ثوب وأقلها مائة من حسن ثلاثون درهما وروى ان عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه طلق امرأته وجمها يعنى متعها جارية سوداء وتمتع الحسن بن علي رضى الله عنهما زوجته بعشرة آلاف درهم فقالت

متاع قليل من حبيب مفارق

وقال أبو حنيفة مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز وقال أحد في إحدى الروايتين عنه تتقدر بما تجزى فيه الصلاة وقال في الرواية الاخرى

(على الموسع) الذى له سعة
(قدره) مقدار الذى يطيقه قدره فيها كوفى غير أبى بكر وهما لفتان (وعلى المقتر) الضيق الحال (قدره) ولا تجب المتعة عندنا الا لهذه وتستحب لسائر المطلقات (متاعا)

تأكيد لمتعوهن أى تميميا (بالمعروف) بالوجه الذى يحسن فى الشرع والمروءة (حقا) صفة لمتاعا أى متاعا واجبا عليهم أو حق ذلك حقا (على المحسنين) على المسلمين أو على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتع وسماهم قبل الفعل محسنين كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه وليس هذا الاحسان هو التبرع بما ليس عليه اذ هذه المتعة واجبة ثم بين حكم التي سمي لها مهرا فى الطلاق

(على الموسع قدره) على الموسر قدر ماله (وعلى المقتر قدره) قدر ماله (متاعا بالمعروف) مهر البغى اذناه درع وخار وملحفة (حقا على المحسنين) واجبا على الموحدن لانه بدل المهر ثم بين حكم من سمي

قبل المس فقال (وأن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) ان مع الفعل بتأويل المصدر في موضع الجر أى من قبل مسكم
أياهن (وقد فرضتم) { الجزء الثانى } في موضع الحال (لهن) ﴿ ٣٦٤ ﴾ فريضة) مهرا (فنصف ما فرضتم الا

محسنين قبل الفعل للمشاركة ترغيبا وتحريضا ﴿ وأن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم
لهن فريضة فنصف ما فرضتم ﴾ لماذا ذكر حكم المفوضة أتبعه حكم قسميها أى فلهن
أوفالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنق ثمة تبعه المهر وان
لامتعة مع التشطير لانه قسميها ﴿ الا أن يعفون ﴾ أى المطلقات فلا يأخذن شيأ والصفة
تحتل التذكير والتأنيث والفرق ان الواو فى الاول ضمير والنون علامة الرفع وفى
الثانى لام الفعل والنون ضمير والفعل مبنى ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب
المعطوف عليه ﴿ أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح ﴾ أى الزوج المالك لعقده وحله
عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بأن الطلاق قبل المسيس

تتقدر بتقدير الحاكم والآية تدل على ان المتعة تعتبر بحال الزوج فى اليسر والبسر
وانه مفوض الى الاجتهاد لانها كالنقطة التى أوجبها الله تعالى للزوجات وبين ان حال
الموسر مخالف حال المسر فى ذلك ﴿ الفرع الرابع ﴾ ومن حكم الآية ان
من تزوج امرأة بالغة برضاها على غير صبح مهر النكاح ولها مطالبته بان يفرض لها
صدقا فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وان طلقها قبل الفرض والدخول
فلها المتعة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وأن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ﴾ يعنى تجامعوهن
وهذا فى المطلقة بعد تسمية المهر وقبل الدخول حكم الله لها بنصف المهر ولإعادة
عليها وهو قوله تعالى ﴿ وقد فرضتم لهن فريضة ﴾ أى سميتم لهن مهرا ﴿ فنصف
ما فرضتم ﴾ أى فلهن نصف المهر المسمى ومذهب الشافعى ان الخلوة من غير مسيس
لا توجب الانصف المهر المسمى لان المسيس اما حقيقة فى المس باليد أو جعل
كناية عن الجماع وأيها كان فقد وجد الطلاق قبله وقال أبو حنيفة الصحيحة
تقرر المهر ومعنى الخلوة الصحيحة ان يخلوها وليس هناك مانع حسى ولا شرعى فالحسى
نحو الرتق والقرن أو يكون معهما ثالث والشرعى نحو الحيض والنفاس وصوم الفرض
وصلاة الفرض والاحرام سواء كان فرضا أو نفلا والآية حجة لمذهب الشافعى قال
شرح لم أسمع الله ذكر فى كتابه بابا ولا سترا ان زعم أنه لم يسها فلها نصف
الصداق وقال ابن عباس رضى الله عنهما اذا خلاها ولم يسها فلها نصف المهر
﴿ فرع ﴾ لومات أحد الزوجين بعد التسمية وقبل المسيس فلها المهر كاملا
وعلى العدة ان كان الزوج هو الميت ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ الا أن يعفون ﴾ يعنى
النساء المطلقات والمنعى الا ان تترك المرأة نصيبها من الصداق فته للزوج فيعود جميع
الصداق الى الزوج ﴿ أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح ﴾ نيه قولان أحدهما انه الولى وهو قول
ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عنه والحسن وعلقمة وطاوس والشعبى والنخعى والزهرى
والسدى وبه قال الشافعى فى القديم ومالك والقول الثانى انه الزوج وهو قول على وابن

أن يعفون) يريد المطلقات
وان مع الفعل فى موضع
النصب على الاستثناء كأنه
قيل فعليكم نصف ما فرضتم
فى جميع الاوقات الا وقت
عفوهم عنكم من المهر
والفرق بين الرجال يعفون
والنساء يعفون ان الواو
فى الاول ضميرهم والنون
علم الرفع والواو فى الثانى لام
الفعل والنون ضميرهن
والفعل مبنى لا أثر فى لفظه
للعامل (أو يعفو) عطف
على محله (الذى بيده عقدة
النكاح) هو الزوج كذا
فسره على رضى الله عنه
وهو قول سعيد بن جبير
وشرح ومجاهد وأبو حنيفة
والشافعى على الجديد رضى الله
عنهم وهذا ان الطلاق بيده
فكان بقاء العقد بديه والمعنى
ان الواجب شرعا هو النصف
الا أن تسقط هى الكل
أو يعطى هو الكل تقضلا
وعند مالك والشافعى فى
القديم هو الولى قلنا هو لا يملك
الزبرع بحق الصغيرة فكيف

مهرها فقال (وأن طلقتموهن
من قبل أن تمسوهن)
تجامعوهن (وقد فرضتم
لهن فريضة) وقد بينتم

مهورهن (فنصف ما فرضتم) فعليكم نصف ما سميتم من مهرهن (الا أن يعفون) الا ان تترك (عباس)
المرأة حقها على الزوج (أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح) أو يترك الزوج حقه على المرأة فيعطى

يجوز حله عليه (وان تعفوا)
 مبتدأ خبره (أقرب
 للتقوى) والخطاب للزوج
 والزوجات على سبيل
 التقلب ذكره الزجاج أى
 عفو الزوج باعطاء كل المهر
 خيره وعفو المرأة باستناط
 كله خير لها أوللازواج
 (ولانسوا الفضل) التفضل
 (بينكم) أى ولانسوا
 أن يتفضل بعضكم على بعض
 (أن الله بما تعملون بصير)
 فيجازيكم على تفضلكم
 (حافظوا على الصلوات)
 داوموا عليها بمواقفها
 وأركانها وشرائطها

مهرها كاملا (وان تعفوا)
 تركوا حكم (أقرب
 للتقوى) أقرب للمتقين الى
 التقوى يقول للزوج والمرأة
 من ترك حقه على صاحبه
 فهو أولى بالتقوى (ولا
 تنسوا الفضل بينكم) يقول
 للمرأة والزوج لانتروا
 الفضل والاحسان بعضكم
 الى بعض (أن الله بما تعملون)
 من الفضل والاحسان
 (بصير) ثم حث على
 الصلوات الخمس فقال
 (حافظوا على الصلوات)
 الخمس بوضئها وركوعها
 وسجودها وما يجب فيها

مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض أصحابنا والحنيفة وقيل الولي الذي
 يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعي رحمه الله
 ﴿ وأن تعفوا أقرب للتقوى ﴾ يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير
 ظاهر وعلى الوجه الآخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوفا اما على المشاكلة
 واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل الميسس استحق استرداد
 النصف وان لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل
 الدخول فأكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو ﴿ ولانسوا الفضل بينكم ﴾ أى
 ولانسوا أن يفضل بعضكم على بعض ﴿ أن الله بما تعملون بصير ﴾ لا يضيع تفضلكم
 واحسانكم ﴿ حافظوا على الصلوات ﴾ بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها

عباس رضى الله عنهم في الرواية الاخرى وجبير بن مطعم وسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد
 والربيع وقتادة ومقاتل والضحاك ومحمد بن كعب القرظي وهو قول أبي حنيفة والشافعي في
 الجديد وأجد وجهور الفقهاء فعلى القول الاول يكون معنى الآية الا أن تعفو المرأة
 اذا كانت ثيبا بالغة من أهل العفو عن نصيبها للزوج أو يعفو وليها اذا كانت المرأة
 بكرا صغيرة أو غير جائزة التصرف فيجوز عفو وليها فيترك نصيبها للزوج وانما يجوز
 عفو الولي بشروط وهي ان تكون بكر اصغيرة ويكون الولي أباً أو جداً لان غيرهما
 لا يزوج الصغيرة وعلى القول الثاني ان الذى بيده عقده النكاح هو الزوج وصحح هذا
 القول الطبري والواحدى فيكون معنى الآية أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح يعنى
 الزوج فيعطى المرأة الصداق كاملا لان الله تعالى لما ذكر عفو المرأة عن النصف
 الواجب لها ذكر عفو الزوج عن النصف الساقط عنه فيحسن للمرأة أن تعفو ولا
 تطالب بشئ من الصداق وللرجل ان يعفو فيوفى لها المهر كاملا وروى ان جبير بن
 مطعم تزوج امرأة ثم طلقها قبل الدخول بها فأكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو
 ولان المهر حق المرأة فليس لوليها ان يهب من مالها شيئاً فكذلك المهر لانه مال لها
 ﴿ وان تعفوا أقرب للتقوى ﴾ هذا خطاب للرجال والنساء جميعا وانما غلب جانب
 الذكر لان الذكورة هي الاصل والتأنيث فرع عنها والمعنى وعفو بعضكم عن
 بعض أي الرجال والنساء أقرب الى حصول التقوى وقيل هو خطاب للزوج
 والمعنى وليعف الزوج فيترك حقه الذى ساق من المهر اليها قبل الطلاق فهو أقرب
 للتقوى ﴿ ولانسوا الفضل بينكم ﴾ يعنى ليتفضل بعضكم على بعض فيعطى الرجل
 الصداق كاملا أو تترك المرأة نصيبها من الصداق حشما جميعا على الاحسان ومكارم الاخلاق
 ﴿ أن الله بما تعملون ﴾ يعنى من عفو بعضكم لبعض عاوجب له عليه من حق ﴿ بصير ﴾ أى
 لا يخفى عليه شئ من ذلك ﴿ قوله عز وجل ﴾ حافظوا ﴿ أى داوموا وواظبوا ﴿ على
 الصلوات ﴾ يعنى الخمس المكتوبات أمر الله عز وجل عباده بالمحافظة على الصلوات الخمس
 المكتوبات بجميع شروطها وحدودها واتمام أركانها وفعلها في أوقاتها المختصة بها

في تضاعف أحكام الاولاد والازواج لئلا يلهمهم الاشتغال بشأنهم عنها ﴿والصلوة الوسطى﴾ أي الوسطى بينها أو الفضل منها خصوصا وهي صلاة العصر لقوله عليه الصلاة والسلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملائكة الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلاة الظهر لانها في وسط النهار وكانت أشق الصلوات عليهم فكانت أفضل لقوله عليه الصلاة والسلام أفضل العبادات أجزاءها وقيل صلاة الفجر لانها بين صلاتي النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد وتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين بين طرفي الليل وعن عائشة رضي الله عنها انه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ والصلاة الوسطى وصلاة العصر فتكون صلاة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادها بالفضل * وقرئ بالنصب على الاختصاص

﴿والصلوة الوسطى﴾ تأييد الاوسط ووسط كل شيء خير وأعدله وقيل الوسطى يعني الفضلى من قولهم للافضل اوسط وانما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وقيل سميت الوسطى لانها اوسط الصلوات محلا

فصل في ذكر اختلاف العلماء في الصلاة الوسطى

قد اختلف العلماء من الصحابة فمن بعدهم في الصلاة الوسطى على مذاهب * الاول ان الصلاة الوسطى هي صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر وعطاء وعكرمة ومجاهد والربيع بن أنس وبه قال مالك والشافعي رضي الله عنهم ويدل على ذلك ان مالكا بلغه ان علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم كانا يقولان الصلاة الوسطى صلاة الفجر أخرجه مالك في الموطأ وأخرجه الترمذي عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم تعليقا ولانها بين صلاتي جمع فالظهر والعصر يجتمعان وهما صلاتا نهار والمغرب والعشاء يجتمعان وهما صلاتا ليل وصلاة الفجر لا تقصر ولا تجتمع الى غيرها ولانها تأتي في وقت مشقة بسبب برد الشتاء وطيب النوم في الصيف وتور الاعضاء وكثرة النعاس وغفلة الناس عنها فخصت بالمحافظة عليها لكونها معرضة للضياع ولان الله تعالى قال عقيبهما قوموا لله قانتين والقنوت هو طول القيام وصلاة الفجر مخصوصة بطول القيام ولان الله تعالى خصها بالذكر في قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا يعني تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار فهم مكتوبة في ديوان حفظة الليل وديوان حفظة النهار فدل ذلك على مزيد فضلها * المذهب الثاني انها صلاة الظهر وهو قول زيد بن ثابت وأسامة بن زيد وأبي سعيد الخدري ورواية عائشة وبه قال عبد الله بن شداد وهو رواية عن أبي حنيفة ويدل على ذلك ما روى عن زيد بن ثابت وعائشة قالوا الصلاة الوسطى صلاة الظهر أخرجه مالك في الموطأ عن زيد والترمذي عنهما تعليقا وأخرجه أبو داود عن زيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي =

(والصلوة الوسطى) بين الصلوات أي الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر عند أبي حنيفة رحمه الله وعليه الجمهور لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملائكة الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلاة التي شغل عنها سليمان حتى توارت بالحجاب وفي مصحف حفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر ولانها بين صلاتي الليل وصلاتي النهار وفضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعاشهم وقيل صلاة الظهر لانها في وسط النهار أو صلاة الفجر لانها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل أو صلاة المغرب لانها بين الاربع والمثنى ولانها بين صلاتي مخافتة وصلاتي جهرا أو صلاة العشاء لانها بين وترين أو هي غير معينة كليلة القدر ليحفظوا الكل في مواقيتها (والصلاة الوسطى) صلاة العصر خاصة

= الظهر بالمهاجرة ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فنزلت حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقال ان قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولان صلاة الظهر تأتي وسط النهار وفي شدة الحر ولانها تأتي بين البردين يعني صلاة الفجر وصلاة العصر * المذهب الثالث انها صلاة العصر وهو قول علي وابن مسعود وأبي أيوب وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس وأبي سعيد الخدري وعائشة رضي الله عنهم وهو قول أبي عبيدة السلماني والحسن البصري وأبراهيم النخعي وقتادة والضحاك والكلبي ومقاتل وبه قال أبو حنيفة وأحمد وداود وابن المنذر وقال الترمذي هو قول أكثر الصحابة فمن بعدهم وقال الماوردي من أصحابنا هذا مذهب الشافعي لصحة الأحاديث فيه قال وانما نص على انها الصمح لانه لم تبلغه الأحاديث الصحيحة في العصر ومذهبه اتباع الحديث وبدل على صحة هذا المذهب ما روى عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب وفي رواية يوم الخندق ملاء الله قلوبهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس * وفي رواية شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وذكر نحوه و زاد في أخرى ثم صلاها بين المغرب والعشاء أخرجاه في الصحيحين (م) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى اجرت الشمس أو اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملاء الله أجوافهم وقبورهم نارا وحشا الله أجوافهم وقبورهم نارا * عن سمرة بن جندب رضي الله عنه ان رسول الله عليه وسلم قال الصلاة الوسطى صلاة العصر أخرجه الترمذي * وله عن ابن مسعود رضي الله عنه مثله وقال في كل واحد منهما حسن صحيح (م) عن أبي يونس مولى عائشة رضي الله عنهما قال أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت هذه الآية فأذني حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى قال فلما بلغت أذنتها فاملت على حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين قالت عائشة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويروى عن حفصة نحو ذلك ولان صلاة العصر تأتي وقت اشتغال الناس بما يشغلهم فكان الامر بالمحافظة عليها أولى ولانها تأتي بين صلاتي نهار وهما الفجر والظهر و صلاتي ليل وهما المغرب والعشاء وقد خصت بمزيد التأكيد والامر بالمحافظة والتغليظ لمن ضيعها وبدل على ذلك ما روى عن أبي الملعج قال كنا مع بريدة في غزوة فقال في يوم ذي غيم بكرنا بصلاة العصر فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله أخرجه البخاري * قوله بكرنا بصلاة العصر أي قدموها في أول وقتها (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذي تقوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله * قوله وتر أهله نقص سلب أهله وماله فبقي فردا بلا أهل ولا مال ومعنى الحديث ليكن حذره من فوت صلاة العصر كحذره من ذهاب أهله وماله * المذهب الرابع انها صلاة المغرب قاله قبيصة بن ذؤيب ووجه

﴿ وقوموا لله ﴾ في الصلاة ﴿ قانتين ﴾ ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل

هذا المذهب ان صلاة المغرب تأتي بين بياض النهار وسواد الليل ولانها أزيد من ركعتين كما في الصبح وأقل من أربع ولا تقصر في السفر وهي وتر النهار ولان صلاة الظهر تسمى الاولى لان ابتداء جبريل كان بها واذا كانت الظهر أولى الصلوات كانت المغرب هي الوسطى ﴿ المذهب الخامس ﴾ انها صلاة العشاء ولم ينقل عن أحد من السلف فيها شيء وانما ذكرها بعض المتأخرين وحجة هذا المذهب انها متوسطة بين صلاتين لا تقصران وهما المغرب والصبح ولانها أثقل صلاة على المناقطين ﴿ المذهب السادس ﴾ ان الصلاة الوسطى هي إحدى الصلوات الخمس لابعينها لان الله تعالى أمر بالمحافظة على الصلوات الخمس ثم عطف عليها بالصلاة الوسطى وليس في الآية ذكر بيانها واذا كان كذلك أمكن أن يقال في كل واحدة من الصلوات الخمس انها هي الوسطى أهمها الله على عباده مع ما خصها بمزيد التوكيد تحريضا لهم على المحافظة على أداء جميع الصلوات على صفة الكمال والتمام ولهذا السبب أخفى الله تعالى ليلة القدر في شهر رمضان وأخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة وأخفى اسمه الاعظم في جميع أسمائه ليحافظوا على ذلك كله وهذا المذهب اختاره جمع من العلماء قال محمد بن سيرين أن رجلا سأل زيد بن ثابت عن الصلاة الوسطى فقال حافظ على الصلوات كلها تصبها وسئل الربيع بن خيثم عن الصلاة الوسطى فقال للسائل الوسطى واحدة منهن فحافظ على الكل تكن محافظا على الوسطى ثم قال رأيت لوعلمتها بعينها أكنت محافظا عليها ومضيعا سأثرهن فقال السائل لا فقال الربيع انك أن حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى * والصحیح من هذه الاقوال كلها قولان قول من قال انها الصبح وقول من قال انها العصر واصلح الاقوال كلها انها العصر للاحاديث الصحيحة الواردة فيها والله تعالى أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ أي طائفتين فهو عبارة عن اكمال الطاعة واتمامها والاحتراز عن ايقاع الخلل في أركانها وسننها قيل لكل أهل دين صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا أنتم لله في صلاتكم طائعتين وقيل القنوت هو الدعاء والذكر بدليل أمن هو قنات ولما أمر بالمحافظة على الصلوات وجب أن يحمل هذا القنوت على ما فيها من الذكر والدعاء فمعنى الآية وقوموا لله داعين ذاكرين وقيل انما خص القنوت بصلاة الصبح والوتر لهذا المعنى وقيل القنوت هو السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة ويدل على ذلك ما روى عن زيد بن أرقم قال كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه في الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام أخرجه في الصحيحين وقيل القنوت هو طول القيام في الصلاة ويدل عليه ما روى عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول القنوت أخرجه مسلم ومن القنوت أيضا طول الركوع والسجود وغض البصر والهدء في الصلاة وخفض الجناح والخشوع فيها وكان العلماء اذا قام أحدهم يصلى يهاب الرحمن ان يلتفت أو يقلب الحصى أو يمبث بشيء أو يتحدث نفسه بشيء من

(وقوموا لله) في الصلاة
(قانتين) حال أي مطيعين
خاشعين أو ذاكرين الله
في قيامكم والقنوت أن
تذكر الله قائما أو مطيلين

(وقوموا لله قانتين)
صلواته قائمين بالركوع
والسجود ويقال مطيعين له
في الصلاة غير عاصين بالكلام

خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح ﴿فإن خفتم﴾ من عدو أو غيره ﴿فرجالاً أو ركباناً﴾ فصلوا راجلين أو راكبين ﴿ورجالاً﴾ جمع راجل أو رجل بمعنى كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلاة حال المسافة واليه ذهب الشافعي وقال

أمور الدنيا الاناسيا * قوله عز وجل ﴿فإن خفتم فرجالاً﴾ أي رجالة ﴿أوركبانا﴾ يعني على الدواب جمع راكب والمعنى ان لم يمكنكم ان تصلوا قانتين موفين حقوق الصلاة من اتعام الركوع والسجود والخضوع والخشوع لخوف عدو أو غيره فصلوا مشاة على أرجلكم أوركبانا على دوابكم مستقبلي القبلة وغير مستقبليها وهذا في حال المقاتلة والمسافة في وقت الحرب * وصلاة الخوف قسمان أحدهما ان يكون في حال القتال وهو المراد بهذه الآية * وقسم في غير حال القتال وهو المذكور في سورة النساء في قوله تعالى وإذا كنت فيهم فاقت لهم الصلاة وسيأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى في موضعه فاذا التزم القتال ولم يمكن تركه لاحد فذهب الشافعي انهم يصلون ركباناً على الدواب ومشاة على الارجل الى القبلة والى غير القبلة يومئذ بالركوع والسجود ويكون السجود أخفض من الركوع ويحترزون عن الصياح فإنه لا حاجة اليه وقال أبو حنيفة لا يصلي الماشي بل يؤخر الصلاة ويقضيها لان النبي صلى الله عليه وسلم أخر الصلاة يوم الخندق فصلى الظهر والمغرب بعد ما غربت الشمس فحجب علينا الاقضاء به في ذلك واحتج الشافعي لمذهبه بهذه الآية * وأجيب عن تأخير النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم الخندق بأنه لم يكن نزل حكم صلاة الخوف وانما نزل بعد فلما نزلت صلاة الخوف لم يؤخر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صلاة قط اما الخوف الحاصل لافي القتال بل بسبب آخر كالهارب من العدو أو قصده سبغ هائج أو غشيه سيل يخاف على نفسه الهلاك لو صلى صلاة أمن فله ان يصلي صلاة شدة الخوف بالايام في حال العدو لان قوله تعالى فان خفتم مطلق يتناول الكل * فان قلت قوله تعالى فرجالاً أو ركباناً يدل على ان المراد منه خوف العدو حال القتال * قلت هو كذلك الا انه هناك ثابت لدفع الضرر وهذا المعنى موجود هنا فوجب ان يكون الحكم كذلك ههنا وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة أخرجه مسلم وقد عمل بظاهر هذا جماعة من السلف منهم الحسن البصري وعطاء وطاوس ومجاهد وقتادة والضحاك وابراهيم واسحق بن راهويه قالوا يصلي في حال شدة الخوف ركعة وقال الشافعي ومالك وجهور العلماء صلاة الخوف كصلاة الامن في عدد الركعات فان كان الخوف في الحضر وجب عليه ان يصلي أربع ركعات وان كان في السفر صلى ركعتين ولا يجوز الاقتصار على ركعة واحدة في حال من الاحوال وتأولوا حديث ابن عباس رضي الله عنهما هذا على ان المراد به ركعة مع الامام وركعة أخرى يأتي بها منفرداً كما جاءت الاحاديث الصحيحة في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في صلاة الخوف وهذا التأويل لا بد منه للجمع بين الاحاديث

القيام (فإن خفتم) فان كان بكم خوف من عدو أو غيره (فرجالاً) حال أي فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام (أو ركباناً) وحداناً بإيماء ويسقط عنه التوجه الى القبلة

(فإن خفتم) من عدو في المسافة (فرجالاً) فصلوا على أرجلكم بالايام (أوركبانا) على الدواب

(فأذا أمتم) فإذا زال خوفكم (فاذكروا الله) فصلوا صلاة الا من (كما علمكم) أى ذكرنا مثل ما علمكم (ما لم تكونوا تعلمون) من صلاة الا من { الجزء الثانى } (والذين يتوفون منكم) ﴿ ٣٧٠ ﴾ ويذرون أزواجا وصية لازواجهم)

أبو حنيفة لا يصلى حال المشى والمسابقة ما لم يمكن الوقوف ﴿ فأذا أمتم ﴾ وزال خوفكم ﴿ فاذكروا الله ﴾ صلوا صلاة الا من أو اشكروه على الا من ﴿ كما علمكم ﴾ ذكرنا مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلاة حال الخوف والا من أو شكرا يوازيه وما مصدرية أو موصولة ﴿ ما لم تكونوا تعلمون ﴾ مفعول عليكم ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لازواجهم ﴾ * قرأها بالنصب أبو عمرو وابن عامر وحزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية أو ليصوا وصية أو كتب الله عليهم وصية أو الزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه * وقرأ الباقر بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون أو وحكمهم وصية أو والذين يتوفون أهل وصية أو كتب عليهم وصية أو عليهم وصية * وقرئ متاع بدلها ﴿ متاعا الى الحول ﴾ نصب بيوصون ان اضمرت والافعالوصية أو بمتاع على قراءة من قرأه لانه بمعنى التمتع ﴿ غير أخراج ﴾ بدل منه أو مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول أو حال من أزواجهم أى غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون أن يوصوا قبل أن يموتوا لازواجهم بان يمتنع بعدهم حولا بالسكنى وكان ذلك فى أول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله أربعة أشهر وعشرا وهو وأن كان متقدما فى التلاوة فهو متأخر فى النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربيع

﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ فأذا أمتم ﴾ يعنى من خوفكم ﴿ فاذكروا الله ﴾ أى فصلوا لله الصلوات الخمس تامة باركانها وسننها ﴿ كما علمكم ﴾ ما لم تكونوا تعلمون ﴿ فيه اشارة الى انعام الله تعالى علينا بالعلم ولولا هدايته وتعليمه ايانا لم نعلم شيئا ولم نصل الى معرفة شئ فله الحمد على ذلك ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ والذين يتوفون منكم ﴾ يعنى يامعشر الرجال ﴿ ويذرون أزواجا ﴾ يعنى زوجات ﴿ وصية لازواجهم ﴾ قرئ بالنصب على معنى فليوصوا وصية بالرفع على معنى كتب عليهم وصية ﴿ متاعا الى الحول ﴾ أى متعوهن متاعا وقيل جعل الله لهن ذلك متاعا والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وما تحتاج اليه ﴿ غير أخراج ﴾ أى غير مخرجات من بيوتهن نزلت هذه الآية فى رجل من أهل الطائف يقال له حكيم بن الحرث هاجر الى المدينة ومعه أبواه وامرأته وله أولاد فمات فرفع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم أبويه وأولاده ميراثه ولم يعط امرأته شيئا وأمرهم أن ينفقوا عليها من تركتها زوجها حولا وكان الحكم فى ابتداء الاسلام انه اذا مات الرجل اعتدت زوجته حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول وكانت نفقتها وسكنائها واجبتين فى مال زوجها تلك السنة وليس لها من الميراث شئ ولكنها تكون مخيرة فان شاءت اعتدت فى بيت زوجها ولها النفقة والسكنى وان شاءت خرجت قبل تمام الحول وليس لها نفقة ولا سكنى وكان يجب على الرجل أن يوصى بذلك فدل ذلك هذه الآية على مجموع أمرين أحدهما ان لها النفقة والسكنى من مال زوجها

بالنصب شامى وأبو عمرو وحزة وحفص أى فليوصوا وصية عن الزجاج غيرهم بالرفع أى فليعلم وصية (متاعا) نصب بالوصية لانها مصدر أو تقديره متعوهن متاعا (الى الحول) صفة لمتاعا (غير أخراج) مصدر مؤكده كقولك هذا القول غير ما تقول أو بدل من متاعا والمعنى ان حق الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يموتوا بان تمتع أزواجهم بعدهم حولا كما لا أى ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك مشروعا فى أول الاسلام ثم

حيثما توجهتم (فأذا أمتم) من العدو (فاذكروا الله) فصلوا لله بالركوع والسجود (كما علمكم) فى القرآن للمسافر ركعتان وللمقيم أربع (ما لم تكونوا تعلمون) قبل القرآن (والذين يتوفون منكم) يقبضون من رجالكم (ويذرون) يتركون (أزواجا) بعد الموت (وصية) يقول عليهم وصية وان قرأت بنصب الهاء يقول عليهم أن يوصوا وصية (لازواجهم)

فى أموالهم (متاعا الى الحول) النفقة والسكنى الى سنة (غير أخراج) من غير أن يخرجن من مسكن زوجهن (سنة)

نسخ بقوله تعالى والذين يتوفون ﴿٣٧١﴾ منكم ويذرون أزواجا {سورة البقرة} الى قوله أربعة أشهر

وعشرا والناسخ متقدم عليه تلاوة ومتأخر نزولا كقوله تعالى سيقول السفهاء من الناس مع قوله تعالى قد نرى قلب وجهك في السماء (فإن خرجن) بعد الحول (فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن) من التزين والتعرض للخطاب (من معروف) مما ليس بمنكر شرعا (والله عزيز حكيم) فيما حكم (وللمطلقات متاع) أي نفقة العدة (بالمعروف حقا) نصب على المصدر (على المتقين كذلك بين الله لكم آياته

(فإن خرجن) من قبل أنفسهن أو تزوجن من قبل الحول (فلا جناح عليكم) على أولياء الميت في منع النفقة والسكنى منها بعد ما خرجت من بيت زوجها أو تزوجت (فيما فعلن) ولا بما فعلن (في أنفسهن من معروف) من تشوف وتزين للتزويج وهي منسوخة بميراثها يعني نفقة المتوفى (والله عزيز) بالنفقة لمن ترك ما أمر به (حكيم) بما نسخ نفقة المتوفى والسكنى الى الحول لقبول نصيبها من الميراث الربع أو الثمن (وللمطلقات متاع بالمعروف) بالإحسان

أو الثمن والسكنى لها بعد ثابته عندنا خلافا لابي حنيفة رحمه الله ﴿فإن خرجن﴾ عن منزل الأزواج ﴿فلا جناح عليكم﴾ أيها الأئمة ﴿فيما فعلن في أنفسهن﴾ كالنطيب وترك الأحداد ﴿من معروف﴾ مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وإنما كانت مخيرة بين الملازمة وأخذ النفقة وبين الخروج وتركها ﴿والله عزيز﴾ يتقن من خالفه منهم ﴿حكيم﴾ يراعي مصالحهم ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين﴾ اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعد ما أوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك أوجبها ابن جبير لكل مطلقة وأول غيره بما يعم التمتع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان تكون اللام للعهد والتكرير للتأكيد أو لتكرير القصة ﴿كذلك﴾ اشارة الى ماسبق من احكام الطلاق والعدة ﴿بين الله لكم آياته﴾ وعدبانه سيئين لعباده

سنة والثاني ان عليها عدة سنة ثم ان الله تعالى نسخ هذين الحكمين أما الوصية بالنفقة والسكنى فنسخ بآية الميراث فجعل لها الربع أو الثمن عوضا عن النفقة والسكنى ونسخ عدة الحول بأربعة أشهر وعشرا * فإن قلت كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة * قلت قد تكون الآية المتقدمة مقدمة في التلاوة متأخرة في التزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء من الناس مع قوله تعالى قد نرى قلب وجهك في السماء * قوله عز وجل ﴿فإن خرجن فلا جناح عليكم﴾ يعني يامعشر أولياء الميت ﴿فيما فعلن في أنفسهن من معروف﴾ يعني التزين للزكاح ورفع الحرج على الورثة وجهان أحدهما انه لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول والوجه الثاني لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لان مقامها في بيت زوجها حولا غير واجب عليها خيراها الله تعالى بين ان تقيم في بيت زوجها حولا ولها النفقة والسكنى وبين ان تخرج ولا نفقة لها ولا سكنى ثم نسخ الله ذلك بأربعة أشهر وعشرا ﴿والله عزيز﴾ أي غالب قوى في انتقامه ممن خالف أمره ونهيه وتعدي حدوده ﴿حكيم﴾ يعني فيما شرع من الشرائع وبين من الاحكام * قوله عز وجل ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف﴾ انما أعاد الله تعالى ذكر المتعة هنا لزيادة معنى وهو ان في تلك الآية بيان حكم غير المسوسة وفي هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة وقيل لانه لما نزل قوله تعالى ومتوهن على الموسع قدره الى قوله حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان فعلت أحسنت وان لم أرد لم أفعل فانزل الله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف فجعل المتعة لهن بلام التملك وقال تعالى ﴿حقا على المتقين﴾ يعني المؤمنين الذين يتقون الشرك وقد تقدم أحكام المتعة * قوله عز وجل ﴿كذلك بين الله لكم آياته﴾ يعني يبين لكم ما يلزمكم ويلزم أزواجكم أيها المؤمنون وكما عرفتمكم أحكامي والحق الذي يجب لبعضكم على بعض والفضل (حقا على المتقين) وليس بواجب لانه فضل على المهر على وجه الاحسان (كذلك) هكذا (بين الله لكم آياته) أمره ونهيه

لعلكم تعقلون) هو في موضع الرفع لانه خبر لعل وان أريد به المتعة فالمراد غير المطلقة المذكورة وهي على سبيل النذب (المتر) تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب واخبار الاولين وتعجب من شأنهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب (الى الذين خرجوا من ديارهم) من قرية قيل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم بداء حز قيل عليه السلام وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذر الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم (وهم ألوف) في موضع النصب على الحال وفيه دليل على الألوف الكثيرة لانها جمع كثرة وهي جمع ألف لا ألف

كما بين هذا (لعلكم تعقلون) ما أمرتم به ثم ذكر خبر غزاة بني اسرائيل فقال (المتر) ألم تخبر يا محمد في القرآن (الى الذين خرجوا من ديارهم) من منازلهم لقتال عدوهم (وهم ألوف) ثمانية آلاف فجنوا

من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ لعلكم تفهمونها فاستعملون العقل فيها ﴿ ألم تر ﴾ تعجب وتقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأرباب التواريخ وقديحاطب به من لم ير ومن لم يسمع فإنه صار مثلاً في التعجب ﴿ الى الذين خرجوا من ديارهم ﴾ يريد أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويتقنوا ان لا مفر من قضاء الله تعالى وقدره أو قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم ﴿ وهم ألوف ﴾ أى ألوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون وقيل متألفون جمع ألف أو ألف كقاعد وقعود والواو

في هذه الآيات كذلك أبين لكم سائر أحكامي في آياتي التي أنزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ أى لكي تعقلوا ما بينت لكم من الفرائض والاحكام وما فيه صلاح دينكم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم ﴿ قال أكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فسلم الذين خرجوا واهلك أكثر من بقي بالقرية فلما ارتفع الطاعون رجع الذين خرجوا سالمين فقال الذين بقوا كان أصحابنا أحزم منا رأيا لو ضننا كما صنعوا لبقينا كما بقوا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى أرض لا يوبأ فيها فرجع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا أقبح فلما نزلوا المكان الذي يتبعون فيه النجاة ناداهم ملك من أسفل الوادى وملك آخر من أعلاه أن موتوا فأتوا جميعا ﴿ ق ﴾ عن عمر رضى الله عنه أنه خرج الى الشام فلما جاءه سرع بلفه ان الوباء قد وقع بها فأخبره عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها فرارا منه فحمد الله عمر ثم انصرف وقيل انما فروا من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل أمرهم أن يخرجوا الى قتال عدوهم فسكروا ثم جنبوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا للملكهم ان الأرض التي تأتيها بها وباء فلا تخرج حتى ينقطع منها الوباء فأرسل الله عليهم الموت فخرجوا فرارا منه فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب وأله موسى قدرتى ممصية عبادك فارهم آية في أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا عقوبة لهم فاتوا وماتت دوابهم كوت رجل واحد فأأتى عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا وأروحت أجسادهم فخرج الناس اليهم فجزوا عن دفتهم فحظروا حظيرة دون السباع فذلك قوله تعالى ألم ترى ألم تعلم يا محمد باعلاى أياك وهو من رؤية القلب قال أهل المعانى هو تعجيبه يقول هل رأيت مثل هؤلاء كما تقول ألم ترى صنيع فلان وكل ما في القرآن من قوله ألم تر ولم يعاينه النبي صلى الله عليه وسلم فهذا منناه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وهم ألوف ﴾ قيل هو من العدد واختلفوا في مبلغ عددهم فقيل ثلاثة آلاف وقيل عشرة آلاف وقيل بضعة وثلاثون

للحلال ﴿حذر الموت﴾ مفعول له ﴿فقال لهم الله موتوا﴾ أى قال لهم موتوا فاتوا كقوله
 كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بأمر الله سبحانه ومشيتته وقيل
 ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا ﴿ثم أحياهم﴾ قيل مر حزقيل

ألفا وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وأصح الاقوال قول من قال
 انهم كانوا زيادة على عشرة آلاف لان الله تعالى قال وهم ألوف والالوف
 جمع الكثير وجمع القليل آلاف وقيل معنى وهم ألوف مؤتلفون جمع ألف
 والاول أصح قالوا فر عليهم مدة فلبت أجسادهم وعريت عظامهم فر عليهم حزقيل
 ابن بوزى وهو ثالث خلفاء بنى اسرائيل بعد موسى وذلك ان القيم بأمر بنى
 اسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم كان من بعده كالب بن يوقنا ثم قام من
 بعده حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لان أمه كانت عجوزا فسألت الله تعالى الولد
 بعد ما كبرت وعقمت فوهب الله لها حزقيل ويقال له ذوالكفل سمي به لانه تكفل
 سبعين نبيا وأبجهم من القتل فلما مر حزقيل على هؤلاء الموتى وقف عليهم وجعل يفكر
 فيهم فأوحى الله تعالى اليه أريد أن أريك آية قال نعم يارب فأحياهم الله تعالى وقيل
 دعاربه حزقيل ان يحييهم فأحياهم الله تعالى وقيل انهم كانوا اقومه أحياهم الله تعالى بعد ثمانية
 أيام وذلك انه لما أصابهم ذلك خرج في طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال يارب كنت في قوم
 يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فأوحى الله اليه انى قد جعلت حياتهم
 اليك فقال حزقيل احيوا باذن الله فعاشوا وقيل انهم قالوا حين أحيوا سبحانه ربنا
 ويحمدك لأله الا أنت ثم رجعوا الى قومهم وعاشوا دهرا طويلا وسحنة الموت على
 وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاددنا مثل الكفن حتى ماتوا آجالهم التى كتبت لهم
 قال ابن عباس رضى الله عنهما وانما لتوجدا ليوم تلك الريح فى ذلك السبط من اليهود
 قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت فاماتهم عقوبة لهم ثم بعثهم الله ليستوفوا بقية
 آجالهم ولوجاهت آجالهم لما بعثوا فان قلت كيف أميت هؤلاء مرتين فى الدنيا وقد
 قال الله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى قلت ان موتهم كان عقوبة لهم
 كما قال قتادة وقيل ان موتهم وحياتهم كان معجزة من معجزات ذلك النبي ومعجزات
 الانبياء خوارق للعادات ونوادير فلا يقاس عليها فيكون قوله الا الموتة الاولى عاما
 مخصوصا بمعجزات الانبياء أى الا الموتة الاولى التى ليست من معجزات الانبياء ولا من
 خوارق العادات وفى هذه الآية احتجاج على اليهود ومعجزة عظيمة لنبينا صلى الله
 عليه وسلم حيث أخبرهم بأمر لم يشاهدهم وهم يعلمون صحة ذلك وفيه احتجاج على
 منكرى البعث أيضا ادقأ أخبر الله تعالى وهو الصادق فى خبره أنه أماتهم ثم أحياهم
 فى الدنيا فهو تعالى قادر على أن يحييهم يوم القيامة ﴿قوله عز وجل﴾ حذر الموت ﴿أى
 مخافة الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل انهم أسروا بالجهاد ففروا منه حذر الموت
 ﴿فقال لهم الله موتوا﴾ يحتمل انهم ماتوا عند قوله تعالى موتوا ويحتمل ان يكون ذلك
 أمر تحويل فهو كقوله كونوا قردة خاسئين ﴿ثم أحياهم﴾ يعنى بعد موتهم

(حذر الموت) مفعول له
 (فقال لهم الله موتوا) أى
 فأما تم الله وانما جى به على
 هذه العبارة للدلالة على
 انهم ماتوا ميتة رجل واحد
 بأمر الله ومشيتته وتلك
 ميتة خارجة عن العادة
 وفيه تشجيع للمسلمين على
 الجهاد وان الموت اذا لم يكن
 منه بد ولم ينفع منه مفر
 فالولى أن يكون فى سبيل الله
 (ثم أحياهم) ليعتبروا ويعلموا
 أنه لا مفر من حكم الله وقضائه
 وهو معطوف على فصل
 محذوف تقديره فاتوا ثم
 أحياهم أو لما كان معنى قوله
 فقال لهم الله موتوا فاماتهم
 عن القتال (حذر الموت)
 مخافة القتل (فقال لهم الله
 موتوا) فأما تم الله مكانهم
 (ثم أحياهم) بعد ثمانية

كان عطفاً عليه معنى (أن الله لذو فضل على الناس) حيث يبصرهم ما يعتبرون به كما بصر أولئك وكما بصر باقتصاص خبرهم أو لذو فضل على الناس حيث أحيوا أولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى إلى يوم النشور (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) ذلك والدليل على أنه ساق هذه القصة بئساً على الجهاد ما تبعه من الأمر بالقتال في سبيل الله وهو قوله (وقاتلوا في سبيل الله) فحرض على { الجزء الثاني } الجهاد بعد الإعلام ﴿٣٧٤﴾ لأن الفرار من الموت لا يفي وهذا الخطاب

عليه السلام على أهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فتجب من ذلك فأوحى الله تعالى إليه نادفهم أن قوموا بأذن الله تعالى فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبمحمدك لأله الأنت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء ﴿أن الله لذو فضل على الناس﴾ حيث أحياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليهم حالهم ليستبصروا ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ أى لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز أن يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ لما بين أن الفرار من الموت غير مخلص منه وأن المقدر لا محالة واقع أمرهم بالقتال إذ لوجاه أجلهم في سبيل الله والا فالنصر والثواب ﴿واعلموا أن الله سميع﴾ لما يقوله المتخلف والسابق ﴿عليم﴾ بما يضره وهو من وراء الجزء ﴿من ذا الذي يقرض الله﴾ من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا أو بدله واقراض الله سبحانه وتعالى مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه ﴿قرضاً حسناً﴾ اقراضاً حسناً مقرضاً بالاخلاص وطيب النفس أو مقرضاً حلالاً طيباً وقيل القرض الحسن المجاهدة

﴿أن الله لذو فضل على الناس﴾ يعنى ان الله تعالى تفضل على أولئك الذين أماتهم باحيائهم لانهم ماتوا على معصيته فتفضل عليهم باعادتهم الى الدنيا ليتوبوا وقيل هو على العموم فهو تعالى متفضل على كافة الخلق في الدنيا ويخص المؤمنين بفضله يوم القيامة ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ يعنى ان أكثر من أنعم الله عليه لا يشكره أما الكافر فإنه لم يشكره أصلاً وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ قيل هو خطاب للذين أحيوا أحياءهم الله ثم أمرهم بالجهاد فعلى هذا القول فيه اضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله وقيل هو خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه لا تهربوا من الموت كما هرب هؤلاء فلم ينفعهم ذلك ففيه تحريض للمؤمنين على الجهاد ﴿واعلموا أن الله سميع﴾ يعنى لما يقوله المتعلل عن القتال ﴿عليم﴾ بما يضره ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ القرض اسم لكل ما يعطيه الانسان ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له قرضاً على رجاء ما وعدهم به من الثواب لانهم يعملون لطلب الثواب وقيل القرض ما أسلفت من عمل صالح أوسى قال أمية بن أبى الصلت

كل امرئ سوف يجزى قرضه حسناً * أوسيتنا أو مدينا كالذى دانا

لامة محمد عليه السلام أو لمن أحياهم (واعلموا أن الله سميع) يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون (عليم) بما يضره (من) استفهام في موضع رفع بالابتداء (ذا) خبره (الذى) نعت لذا أو بدله منه (يقرض الله) صلة الذى سمي ما ينفق في سبيل الله قرضاً لان القرض ما يقبض ببدل مثله من بعد سمي به لان المقرض يقطعه من ماله فيدفعه اليه والقرض القطع ومنه المقرض وقرض القار والانقراض فبهم بذلك على أنه لا يضع عنده وانه يجزيهم عليه لامحالة (قرضاً حسناً) بطيبة النفس من المال الطيب والمراد النفقة في الجهاد لانه لما أمر بالقتال في سبيل الله ويحتاج فيه الى المال حث على الصدقة ليتبها أسباب الجهاد

أيام (أن الله لذو فضل) لذو من (على الناس) على

هؤلاء لآحيائهم (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) الحياة ثم قال لهم الله بعدما أحياهم (وقاتلوا) (وأصل) في سبيل الله) في طاعة الله مع عدوكم (واعلموا أن الله سميع) لمقاتلكم (عليم) بنياتكم وعقوبتكم ان لم تقبلوا ما أمرتم به ثم حث المؤمنين على الصدقة فقال (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً) في الصدقة محتسباً صادقاً

والانفاق في سبيل الله ﴿ فيضاعفه له ﴾ فيضاعفه جزاءه أخرجه على صورة المغالبة للبالغة * وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام جملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى أقرض الله أحد * وقرأ ابن كثير فيضعفه بالرفع والتشديد وابن عامر ويعقوب بالنصب ﴿ أضعافا كثيرة ﴾ كثرة لا يقدرها الا الله سبحانه وتعالى وقيل الواحد بسبعمائة وأضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب أو المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير أو المصدر على أن الضعف اسم مصدر وجمه للتويع ﴿ والله يقبض ويبسط ﴾ يقتر على بعض ويوسع على بعض حسب ما اقتضت حكمته فلا يتخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم * وقرأ نافع والكسائي والبزى وأبو بكر بالصاد

(فيضاعفه له) بالنصب عاصم
على جواب الاستفهام
وبالرفع أبو عمرو ونافع
وحزة وعلى عطفًا على
يقرض أو هو مستأنف
أي فهو يضاعفه فيضعفه شامى
فيضعفه مكى (أضعافا) في
موضع المصدر (كثيرة)
لا يعلم كتبها الا الله وقيل
الواحد بسبعمائة (والله
يقبض ويبسط) يقتر الرزق
على عباده ويوسعه عليهم
فلا يتخلوا عليه بما وسع
عليكم لا يبدلكم الضيق
بالسعة ويبسط مجازى

من قبله (فيضاعفه له أضعافا
كثيرة) بواحدة التي أنف
(والله يقبض) يقتر
(ويبسط) يوسع المال

وأصل القرض في اللغة القطع سمي به لان المقرض يقطع من ماله شيئاً فيعطيه ليرجع اليه مثله ومعنى الآية من ذا الذي يقدم لنفسه الى الله ما يرجو ثوابه عنده وهذا تल्पف من الله تعالى في استدعاء عباده الى أعمال البر والطاعة وقيل في الآية اختصار تقديره من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه فهو كقوله ان الذين يؤذون الله أى يؤذون عباد الله وكما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يارب كيف أطعمتك وأنت رب العالمين قال استطعمتك عبدى فلان فلم تطعمه أما علمت انك لو أطعته لوجدت ذلك عندى الحديث واختلفوا في المراد بهذا القرض فقيل هو الانفاق في سبيل الله وقيل هو الصدقة الواجبة وقيل صدقة التطوع لان الله تعالى سماه قرصا والقرض لا يكون الا تبرعا ولما روى الطبرى بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قرصا حسنا قال أبو الدحداح وان الله يريد منا القرض قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا الدحداح قال ناولنى يدك فناوله يده قال فانى قد أقرضت ربى حائطى حائطاً فيه ستمائة نخلة ثم جاء عشى حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه في عيالها فنادها يا أم الدحداح قالت لبيك قال اخرجى من الحائط فانى قد أقرضته لربى زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم من عذق رداح لابي الدحداح وقيل في معنى يقرض الله أى يتفق في طاعته فيدخل فيه الواجب والتطوع وهو الاقرب حسنا يعنى محتسبا طيبة به نفسه وقيل هو الانفاق من المال الحلال في وجوه البر وقيل هو أن لا يمن بالقرض ولا يؤذى وقيل هو الخالص لله تعالى ولا يكون فيه رياء ولا سمعة ﴿ فيضاعفه له ﴾ يعنى ثواب ما أنفق ﴿ أضعافا كثيرة ﴾ قيل هو يضاعفه الى سبعمائة ضعف وقال السدى هذا التضعيف لا يعلمه الا الله تعالى وهذا هو الاصح وانما أبهم الله ذلك لان ذكر المبهم في باب الترغيب أقوى من ذكر المحدود ﴿ والله يقبض ويبسط ﴾ قيل يقبض بامساك الرزق والتقتير على من يشاء ويبسط بمعنى يوسع على من يشاء وقيل يقبض بقبول الصدقة ويبسط بالخلف والثواب وقيل انه تعالى

ومثله في الاعراف في قوله تعالى وزادكم في الخلق بسطة ﴿ واليه ترجعون ﴾ فيجازيكم على حسب ما قدمتم ﴿ ألم تر الى الملا من بني اسرائيل ﴾ الملا جماعة يجتمعون للتشاور ولاواحدله كالقوم ومن للتبعيض ﴿ من بعد موسى ﴾ أي من بعد وفاته ومن للابتداء ﴿ اذ قالوا لنبي لهم ﴾ هو يوشع أو شمعون أو أشمويل عليهم السلام

لما أمرهم بالصدقة وحثمهم على الاتفاق أخبر أنه لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه واراادته واعانته والمعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لا تقدر على الاتفاق في الطاعة وعمل الخير ويبسط بعض القلوب حتى تقدر على فعل الطاعات والاتفاق في البر كما روى عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك أخرجته مسلم وهذا الحديث من أحاديث الصفات التي يجب الإيمان بها والسكوت عنها وامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا إثبات جارحة هذا مذهب أهل السنة وسلف هذه الامة ﴿ واليه ترجعون ﴾ يعني في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ألم تر الى الملا من بني اسرائيل ﴿ الملا أشراف القوم ووجوههم واصله الجماعة من الناس لاواحدله من لفظه كالقوم والرهط ﴿ من بعد موسى ﴾ أي من بعد موت موسى أو من بعد زمنه ﴿ اذ قالوا ﴾ يعني أولئك الملا ﴿ لنبي لهم ﴾ اختلفوا في ذلك النبي فقيل هو يوشع بن نون بن افرام بن يوسف بن يعقوب وقيل هو شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوى بن يعقوب وانما سمي شمعون لان أمه دعت الله ان يرزقها غلاما فاستجاب الله لها فولدت غلاما فسمته شمعون ومعناه سمع الله دعائي وتبدل السين بالعبرانية شينا وقال اكثر المفسرين هو أشمويل بن يال وقيل هو ابن هلقائي قيل انه من ولدهارون ومعرفة حقيقة ذلك النبي بعينه ليست مرادة من القصة انما المراد منها الترغيب في الجهاد وذلك حاصل

ذكر الاشارة الى القصة

كان سبب مسئلة أولئك الملا لذلك النبي انه لما مات موسى عليه الصلاة والسلام خلف من بعده في بني اسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم أمر الله تعالى ويحكم بالتوراة حتى تبضه الله تعالى ثم خلف من بعده كالب بن يوقنا كذلك ثم حزقيل كذلك حتى قبضه الله تعالى فعظمت الاحداث بعده في بني اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم ألياس نبيا فداهم الى الله وكانت الانبياء من بني اسرائيل من بعد موسى يعثون اليهم ليجددوا ما نسوا من التوراة ويأمرونهم بالعمل بأحكامها ثم خلف من بعد ألياس أليسع فكان فيهم ماشاء الله تعالى ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده خلوف وعظمت فيهم الخطايا وظهر لهم عدو يقال له البثاثة وهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بني اسرائيل وغلبوا على كثير

وعاصم وعلى (واليه ترجعون) فيجازيكم على ما قدمتم (ألم تر الى الملا) الاشراف انهم يملؤون القلوب جلاله والعيون مهابة (من بني اسرائيل) من للتبعيض (من بعد موسى) من بعد موته ومن لابتداء الغاية (اذ قالوا) حين قالوا (لنبي لهم) هو شمعون أو يوشع أو أشمويل

على من يشاء في الدنيا (واليه ترجعون) بعد الموت فيجازون بأعمالكم نزلت هذه الآية في رجل من الانصار يكنى أبا الدحداح أو أبا الدحداحة (ألم تر الى الملا) ألم تخبر عن قوم (من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم) اشمويل

(ابعث لنا ملكا) أمض للقتال معنا أميرا ﴿٣٧٧﴾ نصدر في تدبير الحرب {سورة البقرة} عن رأيه ونتهي الى

أمره (نقاتل) بالون والجزم على الجواب (في سبيل الله) صلة نقاتل (قال) النبي (هل عسيتم) عسيتم حيث كان نافع (ان كتب عليكم القتال) شرط فاصل بين اسم عسى وخبره وهو (الاتقاتلوا) والمعنى هل قاربتم أن لاتقاتلوا يعني هل الامر كما أتوقعه انكم لاتقاتلون وتجنون فأدخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في وقوعه (قالوا) وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله) وأبى داع لنا الى ترك القتال وأبى غرض لنا فيه (وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) الواو في وقد للحال وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون بين مصر وفلسطين فأسروا من أبناء ملوكهم اربعمائة وأربعين يعنون اذا بلغ الامر منا هذا المبلغ فلا بد

(ابعث لنا ملكا) بين لنا ملك الجيش (نقاتل) باصره مع عدونا (في سبيل الله) في طاعة الله (قال هل عسيتم) اتقدرون وان قرأت بحفض السين يقول أحسبتم (ان كتب) ان فرض (عليكم القتال) مع عدوكم (الاتقاتلوا) عدوكم

﴿ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله﴾ اقم لنا أميرا ننهض معه للقتال يدبر أمره ونصدر فيه عن رأيه وجزم نقاتل على الجواب «وقرى بالرفع على أنه حال أى ابعثه لنا مقدرين القتال ويقال بالياء مجزوما ومر فوعا على الجواب والوصف للملك ﴿قال هل عسيتم أن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا﴾ فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى أتوقع جبنكم عن القتال أن كتب عليكم فأدخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريراً وتثبيتاً «وقرأ نافع عسيتم بكسر السين ﴿قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾ أى أى غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث

من أرضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم اربعمائة وأربعين غلاما فضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم ولقى بنو اسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم الا امرأة حبلى فحسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبذلها بغلام لما ترى من رغبة بنى اسرائيل في ولدها وجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل ومعناه بالعربية اسمعيل تقول سمع الله دعائى فلما كبر الغلام اسلمته لتعليم التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام أمه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ وكان الشيخ لا يأمن عليه أحد فدعا جبريل بلعن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فزعا الى الشيخ وقال يا أبنائه رأيتك تدعوني فكره الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بنى ارجع فم فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام دعوتى فقال نم فأن دعوتك فلا تجبني فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل عليه السلام وقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالتك فأن الله قد بعثك فيهم نبيا فلما أتاهم كذبوه وقالوا له استجملت بالنبوة ولم تنك وقالوا له أن كنت صادقا فأبعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله آية على نبوتك وانما كان قوام أمر بنى اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك أنبياءهم وكان الملك هو الذى يسير بالجموع والنبي هو الذى يقيم له أمره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من ربه قال وهب فبعث الله اشمويل نبيا فلبثوا اربعين سنة بأحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فذلك قوله تعالى اذ قالوا لنبي لهم ﴿ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله﴾ جزم على جواب الامر فلما قالوا له ذلك ﴿قال﴾ يعنى قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿هل عسيتم﴾ هذا استفهام شك يقول لعلكم ﴿أن كتب﴾ أى فرض ﴿عليكم القتال﴾ يعنى مع ذلك الملك ﴿الاتقاتلوا﴾ يعنى لاتفوا بما قاتم وتجنوا عن القتال معه ﴿قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله﴾ *فأن قلت ما وجه دخول أن والعرب لاتقول مالك أن لاتفعل كذا ولكن تقول مالك لاتفعل كذا قلت دخول أن وحذفها لغتان صحيحتان فالاثبات كقوله مالك أن لاتكون مع الساجدين والحذف كقوله ما لكم لاتؤمنون وقيل معناه وما لنا في أن لاتقاتل بحذف حرف الجر وقيل أن هنا زائدة ومعناه وما لنا لاتقاتل في سبيل الله ﴿وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾ أى أخرج

(قالوا وما لنا ألا نقاتل) ولم لاتقاتل العدو (في سبيل الله) (فا وحا ٤٨ ل) وقد أخرجنا من ديارنا (من منازلنا) وأبنائنا) وسبى

عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك أن جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من أبناء الملوك أربعمائة وأربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الاقليات منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد أهل بدر والله عليهم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم أن الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجماله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روى أن نبيهم عليه السلام لما دعا الله أن يملكهم أتى بعضا يقاس بهما من يملك عليهم فلم يساوها

من غلب عليهم من ديارهم فظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لان الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا كانوا في ديارهم وأبنائهم وانما أخرج من أسر منهم ومعنى الآية أنهم قالوا لنبيهم أما انما كنا تركنا الجهاد لانا كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا فأما إذا بلغ ذلك منا فنتطيع ربنا في جهاد عدونا ونمنع نساءنا وأولادنا قوله عز وجل فلما كتب عليهم القتال في الكلام حذف وتقديره فسأل الله ذلك النبي فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم القتال تولوا أي أعرضوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله الاقليات منهم يعني لم يتولوا عن الجهاد وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على العرقة على ماسأني في قصتهم ان شاء الله تعالى والله عليم بالظالمين يعني هو عالم بمن ظم نفسه حين خالف أمر ربه ولم يف بما قال قوله عز وجل وقال لهم نبيهم أن ابعث لكم طالوت ملكا وذلك ان اشمويل سأل الله عز وجل أن يبعث لهم ملكا فأتى بعضا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن رأسه بالدهن وملكه عليهم واسم طالوت بالعبرانية ساول بن قيس من سبط بنيامين بن يعقوب وانما سمى طالوت لطوله وكان أطول من جميع الناس برأسه ومنكيه وكان طالوت رجلا دباغا يدبغ الاديم قاله وهب وقيل كان سقاء يستقي الماء على جار فضل جاره فخرج يطلبه وقال وهب ضلت جارا لابي طالوت فأرسله أبوه ومعه غلام في طلبها فر على بيت اشمويل النبي فقال الغلام لطالوت لودخلنا على هذا النبي فسألناه عن أمر الحمر ليرشدنا أو ليدعونا فدخلا عليه فيبينهما عنده بذكران له حاجتهما اذنس الدهن في القرن فقام اشمويل فقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال لطالوت قرب رأسك فقربه اليه فدهنه بدهن القدس وقال له أنت ملك بني اسرائيل الذي أمرني الله تعالى ان أملكك عليهم فقال طالوت أو ما علمت ان سبطي من أدنى أسباط بني اسرائيل قال بلى قال فأبى آية قال بآية انك ترجع وقد وجد أبوك جره فكان كذلك ثم قال لبني اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا

من الجهاد (فلما كتب عليهم القتال) أي أجيئوا الى لتمسهم (تولوا) أعرضوا عنه (الاقليات منهم) وهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر (والله عليهم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم بترك الجهاد (وقال لهم نبيهم أن الله قد بعث لكم طالوت) هو اسم أعجمي كجالوت وداود ومنع من الصرف للتعريف والجمعة (ملكاً) حال

ذرارينا (فلما كتب) اوجب (عليهم القتال تولوا) أعرضوا عن قتال عدوهم (الاقليات منهم) ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا (والله عليهم بالظالمين) الذين تولوا عن قتال عدوهم (وقال لهم نبيهم) اشمويل (أن الله قد بعث) بين (لكم طالوت ملكاً) ملكه عليكم

قالوا أنى يكون له الملك علينا) أى كيف ومن أين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له (ونحن أحق بالملك منه) الواو للحال (ولم يؤت سعة من المال) أى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت فى سبط لاوى بن يعقوب عليه السلام والملك فى سبط يهوذا وهو كان من سبط بنيامين وكان رجلا سقاء أودباغا فقيرا وروى ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فأتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت (قال أن الله ﴿٣٧٩﴾ اصطفاه عليكم) الطاء {سورة البقرة} فى اصطفاه بدل من التاء

لمكان الصاد الساكنة أى اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكمه ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة فقل (وزاده بسطة) مفعول ثان (فى العلم والجسم) قالوا كان اعلم بنى اسرائيل بالحرب والديانات فى وقته واطول من كل انسان برأسه ومنكبه والبسطة السعة والامتداد والملك لابدان يكون من أهل العلم فان الجاهل ذليل مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما لانه أعظم فى النفوس واهيب فى القلوب (والله يؤتى ملكه من يشاء) أى الملك له غير منازع فيه وهو يؤتیه من يشاء ايتاءه وليس

قالوا أنى يكون) من اين يكون (له الملك علينا) وليس هو من سبط الملك (ونحن

الاطالوت ﴿ قالوا أنى يكون له الملك علينا ﴾ من أين يكون له ذلك ويستأهل ﴿ ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال ﴾ والحال انا أحق بالملك منه وراثته ومكنة وأنه فقير لاماله يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا أوسقاء أودباغا من أولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة فى أولاد لاوى بن يعقوب والملك فى أولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق ﴿ قال أن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء

وقيل انه جلس عنده وقال يا أيها الناس ان الله ملك طالوت فأنت عظماء بنى اسرائيل الى نبيهم اشمويل وقالوا له ماشأن طالوت تملك علينا وليس هو من بيت النبوة ولا المملكة وقد عرفت ان النبوة فى سبط لاوى بن يعقوب والمملكة فى سبط يهوذا بن يعقوب فقال لهم نبيهم اشمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ﴿ قالوا أنى يكون له الملك علينا ﴾ أى من أين يكون له الملك وكيف يستحقه ﴿ ونحن أحق بالملك منه ﴾ انما قالوا ذلك لانه كان فى بنى اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة فسبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب ومنه كان موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ولم يكن طالوت من أحدهما وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب فلهذا السبب أنكروا كونه ملكا لهم وزعموا أنهم أحق بالملك منه ثم أكدوا ذلك بقولهم ﴿ ولم يؤت سعة من المال ﴾ يعنى أنه فقير والملك يحتاج الى المال ﴿ قال ﴾ يعنى اشمويل النبي ﴿ أن الله اصطفاه عليكم ﴾ أى اختاره عليكم وخصه بالملك وفى هذه الآية دليل على بطلان قول من زعم من الشيعة ان الامامة موروثه وذلك لان بنى اسرائيل أنكروا أن يكون ملكهم من لا يكون من بيت المملكة فراد الله عليهم واعلمهم أن هذا شرط فاسد والمستحق للملك من خصه الله به ﴿ وزاده بسطة ﴾ أى فضيلة وسعة ﴿ فى العلم ﴾ وذلك أنه كان من أعلم بنى اسرائيل وقيل أنه أوحى اليه حين أوتى الملك وقيل هو العلم فى الحرب ﴿ والجسم ﴾ يعنى بالطول وذلك لانه كان أطول من الناس برأسه ومنكبيه وقيل بالجمل وكان طالوت من أجل بنى اسرائيل وقيل المراد به القوة لان العلم بالحروب والقوة على الاعداء ممانيه حفظ المملكة ﴿ والله يؤتى ملكه من يشاء ﴾ يعنى أن الله تعالى لا اعتراض عليه لاحد فى فعله فيخص بملكه من يشاء من عباده

أحق بالملك منه) لانا من سبط الملك (ولم يؤت سعة من المال) ليس له سعة المال لينفق على الجيش (قال) اشمويل (أن الله اصطفاه) اختاره بالملك وملكه (عليكم وزاده بسطة) فضيلة (فى العلم) علم الحرب (والجسم) الطول والقوة (والله يؤتى ملكه) يعطى ملكه (من يشاء) فى الدنيا وان لم يكن من سبط الملك

والله واسع علم ﴿ لما استبعدوا ملكه لفقروه وسقوط نسبه رد عليهم ذلك أو لا بان العمدة فيه اصطفاه الله سبحانه وتعالى وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم وثانياً بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن لتكون أعظم خطراً في القلوب وأقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القاسم يمد يده فينال رأسه وثالثاً بأنه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتية من يشاء ورابعاً بأنه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه علم عن يليق بالملك من النسب وغيره ﴿ وقال لهم نبيهم ﴿ لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه وتعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم ﴿ أن آية ملكه أن يأتيكم التابوت ﴿ الصندوق فعلت من التوب وهو الرجوع فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بقا عول لقلته نحو سلس وقلق ومن قرأه بالهاء فعله أبده منه كما أبدل من تاء التائب لا اشتراكهما في الهمس والزيادة ويريد به صندوق التوراة وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحو من ثلاثة اذرع في ذراعين ﴿ فيه سكينه من ربكم ﴿ الضمير للتايان أي في آياته سكنون لكم وطمأنينة أو للتابوت أي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التوراة وكان موسى عليه الصلاة والسلام اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت لهارأس وذب كراس الهرة وذبها وجناحان

ذلك بالورائة (والله واسع) أي واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر (علم) عن يصطفيه للملك فتمت طلبوا من نبيهم آية على اصطفاه الله طالوت (وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت) أي صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون (فيه سكينه من ربكم) سكنون والله واسع) بالعطية (علم) عن يعطى قالوا ليس ملكه من الله بل انت ملكته علينا (وقال لهم نبيهم) اشمويل (أن آية) علامة (ملكه) انه من الله (أن يأتيكم التابوت) هو ان يرد اليكم التابوت الذي أخذ منكم (فيه سكينه) رجة وطمأنينة ويقال فيه ربح النصر له صفة كوجه أنسان (من ربكم

﴿ والله واسع ﴿ يعني ان الله تعالى واسع الفضل والرزق والرحمة وسعت رحته كل شيء ووسع فضله ورزقه كل خلقه والمعنى أنكم طعنتم في طاوت بكونه فقيراً والله واسع الفضل والرزق فأذا فوض اليه الملك فتح عليه أبواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل الواسع ذو السعة وهو الذي يعطى عن غنى ﴿ علم ﴿ يعني أنه تعالى مع قدرته على اغناء الفقير عالم بما يحتاج اليه في تدبير نفسه وملكه والعليم هو العالم بما يكون وما كان ﴿ قوله عز وجل ﴿ وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت ﴿ وذلك انهم سألو اشمويل النبي فقالوا ما آية ملكه فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت ﴿ وكانت قصة التابوت على ما ذكره علماء السير وال اخبار ان الله تعالى انزل على آدم عليه السلام تابوتاً فيه صورة الانبياء عليهم السلام وكان التابوت من خشب الشمشاد طوله ثلاثة اذرع في عرض ذراعين فكان عند آدم ثم صار الى شيث ثم توارثه أولاد آدم الى ان بلغ ابراهيم عليه السلام ثم كان عند اسمعيل لانه كان أكبر أولاده ثم صار الى يعقوب ثم كان في بني إسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام فكان يضع فيه التوراة ومتاعاً من متاعه ثم كان عنده الى أن مات ثم تداوله أنبياء بني إسرائيل الى وقت اشمويل وكان في التابوت ما ذكر الله تعالى وهو قوله ﴿ فيه سكينه من ربكم ﴿ واختلفوا في تلك السكينه ما هي فقال علي بن أبي طالب هي ربح خجوج هفاقة لها رأس ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد هي شيء يشبه الهرة له رأس كراس الهرة وذب كذب الهرة وله جناحان وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمردود زبرجد وكانوا اذا سمعوا صوته تيقنوا النصر فكانوا اذا خرجوا وضعوا

فتن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر
وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد عليهم الصلاة والسلام وقيل التابوت هو القلب
والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتبانه مصير قلبه مقرا للعلم والوقار بعد أن لم يكن
﴿وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون﴾ رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة
هارون وآلهما أبناؤهما أو أنفسهما والآل مقم لتفخيم شأنهما وأبناء بني إسرائيل

التابوت قدماهم فاذا سار ساروا واذا وقف وقفوا وقال ابن عباس رضى الله عنهما
هى طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبياء وقال وهب هى روح
من الله تعالى تتكلم اذا اختلفوا فى شىء فتغيرهم ببيان ما يريدون وقال عطاء بن
أبى رباح هى ما يعرفون من الآيات التى يسكنون اليها وقال قتادة والكلبى هى
فيلة من السكون أى طمأنينة من ربكم فى أى مكان كان التابوت اطمأنوا وسكنوا
اليه وهذا القول أولى بالصحة فعلى هذا كل شىء كانوا يسكنون اليه فهو سكينة فيعمل
على جميع ما قيل فيه لان كل شىء يسكن اليه القلب فهو سكينة ولم يرد فيه نص صريح
فلا يجوز تصويب قول وتضعيف آخر ﴿قوله عز وجل﴾ وبقية مما ترك آل موسى
وآل هرون ﴿يعنى موسى وهارون أنفسهما بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لآبى موسى
الاشعري رضى الله عنه لقد أتيت حزمارا من حزامير آل داود فالمراد به داود نفسه واختلفوا
فى تلك البقية التى ترك آل موسى وآل هارون فقيل رضاض الالواح وعصا موسى قاله ابن
عباس وقيل عصا موسى وعصا هارون وشىء من ألواح التوراة وقيل كانت العلم والتوراة
وقيل كان فيه عصا موسى ونعلاه وعصا هارون وعمامته وقفيز من المن الذى كان ينزل
على بنى إسرائيل فكان التابوت عند بنى إسرائيل يتوارثونه قرنا بعد قرن وكانوا
اذا اختلفوا فى شىء تحاكموا اليه فيتكلم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال قدموه
بين أيديهم يستفتون به على عدوهم فينصرون فلما عصوا وأفسدوا سبط الله عز وجل
عليهم العمالة فلبوهم على التابوت وأخذوه منهم وكان السبب فى ذلك انه كان لعلي
وهو الشيخ الذى ربه اشمويل ابنا شابان وكان علي حبر بنى إسرائيل وصاحب
قربانهم فى زمنه فحدث ابنا فى القربان شياً لم يكن فيه وذلك انه كان منوط القربان
الذى ينوطونه به كلا بين فلما أخرجوا كانا للكاهن الذى كان ينوطه فجعل ابنا
كلايب وكان النساء يصلين فى بيت المقدس فيتشبتان بهن فأوحى الى اشمويل ان انطلق
الى علي وقل له منعك حب الولد من ان تزجرا بنيك عن ان يحدنا فى قربانى وقدى
شياً وان يعصيانى فلا نزعن الكهانة منك ومن ولدك ولاهلكنك وأياهما فاخبره
اشمويل بذلك ففرغ وسار اليهم عدوهم من حولهم فامر علي ابنه ان يخرج
بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجوا وأخرجوا معهم التابوت فلما تهيؤوا للقتال جعل
علي يتوقع الخبر فجاء رجل فاخبره ان الناس قد انهزموا وقد قتل ابنا قال فما فعل
فى التابوت قال أخذه العدو وكان علي قاعدا على كرسيه فشقه ووقع على قفاه

وطمأنينة (وبقية) هى
رضاض الالواح وعصا
موسى وثيابه وشىء من
التوراة ونعلا موسى وعمامة
هارون عليهما السلام (مما ترك
آل موسى وآل هرون)
أى مما تركه موسى وهارون
والآل مقم لتفخيم شأنهما
وبقية مما ترك آل موسى
مما ترك موسى يعنى كتابه
ويقال الواحه وعصاه
(وآل هرون) مما ترك
هارون رداءه

لانهم أبناء عمهما ﴿ تحمله الملائكة ﴾ قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى أفسدوا فظلمهم الكفار عليه وكان في أرض جالوت الى أن ملك الله طالوت فأصابهم بلاء حتى هلكت خمس مدائن فنشأوا بالتابوت فوضوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت ﴿ أن في ذلك لآية لكم أن كنتم مؤمنين ﴾ يحتمل أن يكون من تمام كلام النبي عليه

فما فخرج أمر بني اسرائيل وتفرقوا الى أن بعث الله طالوت ملكاً فأسألوها اشمويل اليينة على صحة ملك طالوت فقال لهم نبيهم يعني اشمويل ان آية ملكه يعني علامة ملكه التي تدل على صحته ان يأتيكم التابوت وكانت قصة رجوع التابوت على ما ذكره أصحاب الاخبار ان الذين أخذوا التابوت من بني اسرائيل أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود فجلوه في بيت أصنام لهم ووضعوه تحت الصنم الاظم فاصبحوا الند والصنم تحته فاخذوه ووضعوه فوقه وسمروا قديمي الصنم على التابوت فاصبحوا وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه وأصبح الصنم ملقى تحت التابوت وأصبحت أصنامهم منكسة فاخرجوا التابوت من بيت الاصنام ووضعوه في ناحية من مدينتهم فاخذ أهل تلك الناحية وجع في أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمت ان أهني اسرائيل لا يقوم له شيء فأخرجوه الى قرية أخرى فبعث الله على أهل تلك الناحية فأرافكانت الفأرة تبيت مع الرجل فيصبح ميتاً قد أكلت ما في جوفه فأخرجوه الى الصحراء ودفنوه في محرة لهم فكان كل من تبرز هناك أخذ الباسور والتولنج فقبضوا فيه فقالت لهم امرأة من بني اسرائيل كانت عندهم وهي من بنات الانبياء لا تزالون ترون ما تكرهون مادام هذا التابوت فيكم فأخرجوه عنكم فأتوا بجملته بإشارة تلك المرأة وجلوا عليها التابوت ثم علقوها في ثورين وضربوا جنوبهما فأقبل الثوران يسيران ووكل الله بالثورين أربعة أملاك يسوقونهما فاقبلتا حتى وقفا على أرض بني اسرائيل فكسرا نيريتهما وقطعا حبالهما ووضعوا التابوت في أرض فيها حصاد لبني اسرائيل ورجعا الى أرضهما فلم يرع بني اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وحدوا الله تعالى ﴿ تحمله الملائكة ﴾ أي تسوقه وقال ابن عباس رضي الله عنهما جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت مع الملائكة في السماء فلما ولي طالوت الملك جلته الملائكة ووضعته بينهم وقال قتادة بل كان التابوت في التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فيق هناك فاقبلت الملائكة تحمله حتى وضعته في دار طالوت فأصبح في داره فاقروا بملكه ﴿ أن في ذلك لآية لكم ﴾ يعني قال لهم نبيهم اشمويل ان في حجي التابوت تحمل الملائكة لآية لكم يعني علامة ودلالة على صدقي فيما أخبرتكم به ان الله قد بعث لكم طالوت ملكاً ﴿ أن كنتم مؤمنين ﴾ يعني مصدقين بذلك قال المفسرون فلما جاءهم التابوت وأقروا بالملك لطالوت تأهب للخروج الى الجهاد فأسرعوا لطاعته وخرجوا

(تحمله الملائكة) يعني التابوت

وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه والجملة في موضع الحال وكذا فيه سكينه ومن ربكم نعمت لسكينه وماترك نعمت لبقية (أن في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) ان في رجوع التابوت اليكم علامة أن الله قد ملك طالوت عليكم ان كنتم مصدقين

وعمامته (تحمله) تسوقه (الملائكة) اليكم (أن في ذلك) في رد التابوت اليكم (لآية) علامة (لكم) أن ملكه من الله (أن كنتم مؤمنين) مصدقين فلما رد اليهم التابوت قبلوا

(فلما فصل طالوت) خرج (بالجنود) عن بلده الى جهاد العدو وبالجنود في موضع الحال أى مختلطا بالجنود وهم ثمانون ألفا وكان الوقت قيظا وسألوا أن يجرى الله لهم نهرا (قال أن الله مبتليكم) مختبركم أى يعاملكم معاملة المختبر (بهر) وهو نهر فلسطين ليمتدح الحق في الجهاد من المعذر ﴿٣٨٣﴾ (فن شرب منه) كراء ﴿سورة البقرة﴾ {فليس منى} فليس منى) فليس من أنبأى

وأشباعى (ومن لم يطعمه) ومن لم يذقه من طعم الشيء إذا ذاقه (فانه منى) وبفتح الياء مدنى وأبو عمرو واستثنى (الامن اغترف) من قوله فمن شرب منه فليس منى والجملة الثانية في حكم المتأخرة عن الاستثناء الا انها قدمت للعناية (غرفة بيده) غرفة بجازى وأبو عمرو بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكرع والدليل عليه (فشربوا) منه) أى فكرعوا (الا قليلا منهم) وهم ثلثمائة

وخرجوا معه (فلما فصل طالوت) خرج طالوت (بالجنود) بالجيش فأخذ بهم في أرض قفرة فاصابهم حر وعطش شديد فطلبوا منه الماء (قال) لهم طالوت (أن الله مبتليكم بنهر) مختبركم بنهر جار (فمن شرب منه) من النهر (فليس منى) ليس معى على عدوى ولا يجاوزه (ومن لم يطعمه) لم يشرب منه (فانه منى) على عدوى ثم استثنى فقال (الامن اغترف غرفة

الصلاة والسلام وان يكون ابتداء خطاب من الله سبحانه وتعالى ﴿ فلما فصل طالوت بالجنود ﴾ انفصل بهم عن بلده لقتال العمالة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثرت حذف مفعوله صار كاللازم روى أنه قال لهم لا يخرج معى الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه عن اختاره ثمانون ألفا وكان الوقت قيظا فسلخوا مفازة وسألوا أن يجرى الله لهم نهرا ﴿ قال أن الله مبتليكم بنهر ﴾ معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتوه ﴿ فمن شرب منه فليس منى ﴾ فليس من أشباعى أو ليس بتمهد معى ﴿ ومن لم يطعمه فانه منى ﴾ أى ومن لم يذقه من طعم الشيء إذا ذاقه ما كولا أو مشربوا قال فان شئت حرمت النساء سواكم * «وأن شئت لم اطعم نفاخا ولا بردا»

وانعام ذلك بالوحى أن كان نبيا كما قيل أو باخبار النبي عليه السلام ﴿ الامن اغترف غرفة بيده ﴾ استثناء من قوله فمن شرب منه وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر في قوله أن الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير * وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم الفين ﴿ فشربوا منه الا قليلا منهم ﴾ أى فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه أن لا يكون بوسط وتميم

معه وذلك قوله عز وجل ﴿ فلما فصل طالوت بالجنود ﴾ أى خرج وأصل الفصل القطع يعنى قطع مستقره شاخصا الى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم سبعون ألف مقاتل وقيل ثمانون ألفا وقيل مائة وعشرون ألفا ولم يخلف عنه الا كبيره أو مريض لمرضه أو معذور لعذره وذلك انهم للارأوا التابوت لم يشكوا في النصر فسارعوا الى الخروج في الجهاد وكان مسيرهم في حر شديد فشكوا الى طالوت قلة الماء بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله أن يجرى لنا نهرا ف ﴿ قال ﴾ طالوت ﴿ أن الله مبتليكم بنهر ﴾ أى مختبركم به لتبين طاعتكم وهو أعلم بذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما هو نهر فلسطين وقيل هو نهر عذب بين الاردن وفلسطين ﴿ فمن شرب منه فليس منى ﴾ أى فليس من أهل دينى وطاعتى ﴿ ومن لم يطعمه ﴾ أى لم يذقه يعنى الماء ﴿ فانه منى ﴾ يعنى من أهل طاعتى ﴿ الامن اغترف غرفة بيده ﴾ قرئ بفتح الفين وضمها لقتان وقيل الغرفة بالضم التى تحصل في الكف من الماء والغرفة بالفتح الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر ﴿ فشربوا منه ﴾ يعنى من النهر ﴿ الا قليلا منهم ﴾ قيل هم أربعة آلاف لم يشربوا منه وقيل ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح ويندل على ذلك ما روى عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يتحدثون ان عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزا معه النهر ولم يجاوزه معه الا مؤمن بضعة عشر وثلثمائة أخرجه البخارى قيل البضع

بيده) وان قرأت بنصب الفين اراد به غرفة واحدة فكانت تكفيهم تلك الغرفة لشربهم ودوابهم وجلهم (فشربوا منه) فلما بلغوا الى النهر وقفوا في النهر وشربوا منه كيف شاؤا (الاقليلا منهم) ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا لم يشربوا

أى القليل (قالوا لاطاقة لنا اليوم) أى لاقوة لنا (بجالوت) هو جبار من العمالقمة من أولاد عمليق ابن عاد وكان فى بيضته ثلثمائة رطل من الحديد (وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله) يوقنون بالشهادة قيل الضمير فى قالوا للكثير الذين انخذلوا والذين يظنونهم القليل الذين ثبتوا معه وروى ان الغرقة كانت تكفى الرجل لشربه وادواته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبيهم العطش (كم من فئة قليلة) كم خبرية وموضعها رفع بالابتداء (غلبت) خبرها (فئة كثيرة باذن الله) بنصره (والله مع الصابرين) الاكاد لهم الله (فلما جاوزه) يعنى النهر (هو) يعنى طالوت (والذين آمنوا) صدقوا (معه قالوا) فيما بينهم (لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون) يعلمون ويستيقنون (أنهم ملاقوا الله) معاشوا الله بعد الموت (كم من فئة قليلة) جماعة قليلة من المؤمنين (غلبت فئة) جماعة (كثيرة) من الكافرين (باذن الله) بنصر الله (والله مع الصابرين) معين الصابرين

الاول ليتصل الاستثناء أو أفرطوا فى الشرب الا قليلا منهم * وقوى بالرفع جلا على المعنى فان قوله فشربوا منه فى معنى فلم يطعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل ثلاثة آلاف وقيل ألفا روى أن من اقتصر على الغرقة كفته لشربه وادواته ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت شفته ولم يقدر أن يمضى وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة ﴿ فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه ﴾ أى القليل الذين لم يخالفوه ﴿ قالوا ﴾ أى بعضهم لبعض ﴿ لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ﴾ لكثرتهم وقوتهم ﴿ قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله ﴾ أى قال الخالص منهم الذين يتقنون لقاء الله وتوقعوا ثوابه أو علموا أنهم يستشهدون عمقريب فيلقون الله تعالى وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير فى قالوا للكثير المنخذلين عنه اعتذارا فى التخلف وتحذيرا للقليل وكأنهم تقاولوا به والنهر بينهما ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ﴾ بحكمه وتيسيره ولم تحتمل الخبر والاستفهام ومن مينة أو حريدة والفئة الفرقة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته أو من فاه اذا رجع فوزنها فمة أو فلة ﴿ والله مع الصابرين ﴾ بالنصر والاثابة

هنا ثلثة عشر فلما وصلوا الى النهر ألقى عليهم العطش فشرب منه الكل الا هذا العدد القليل وكان من اعترف منه غرقة كما أمره الله تعالى كفته لشربه وشرب دوابه وقوى قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سائما والذين شربوا منه وخالفوا أمر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبيهم العطش فلم يرووا وجبنوا وبقوا على شط النهر ولم يجاوزوه وقيل جاوزوه كلمهم ولكن الذين شربوا لم يحضروا القتال وانما قاتل أولئك القليل الذين لم يشربوا وهو قوله تعالى ﴿ فلما جاوزه هو ﴾ يعنى جاوز النهر طالوت ﴿ والذين آمنوا معه ﴾ يعنى أولئك القليل ﴿ قالوا ﴾ يعنى الذين شربوا من النهر وخالفوا أمر الله تعالى وكانوا أهل شك ونفاق فعلى هذا يكون قد جاوز النهر مع طالوت المؤمن والمنافق والطائع والعاصى فلما رأوا العدو قال المنافقون ﴿ لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ﴾ فاجابهم المؤمنون بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة وقيل لم يجاوز النهر مع طالوت الا المؤمنون خاصة لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه * فان قلت فعلى هذا القول من القائل لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده * قلت يحتمل ان يكون أهل الايمان وهم الثلثمائة وبضعة عشر اتقسما الى قسمين قسم حين رأوا العدو وكثرته وقلة المؤمنين قالوا لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فاجابهم القسم الآخر بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومعنى لاطاقة لنا لاقوة لنا اليوم بجالوت وجنوده ﴿ قال الذين يظنون ﴾ أى يستيقنون ويعلمون ﴿ أنهم ملاقوا الله ﴾ أى ملاقوا ثواب الله ورضوانه فى الدار الآخرة ﴿ كم من فئة قليلة ﴾ الفئة الجماعة لا واحده من لفظه كالرهنط ﴿ غلبت فئة كثيرة باذن الله ﴾ أى بقضاء الله وارا دته ﴿ والله مع الصابرين ﴾ يعنى بالنصر والمعونة

بالنصر (ولما برزوا لجالوت وجنوده) ﴿٣٨٥﴾ خرجوا لقتالهم {سورة البقرة} (قالوا ربنا أفرغ) أصيب

(علينا صبيرا) على القتال
(وثبت أقدامنا) بتقوية
قلوبنا وألقاء الرعب في
صدور عدونا (وانصرنا
على القوم الكافرين) اعنا
عليهم (فهزمهم) أي
طالوت والمؤمنون جالوت
وجنوده (باذن الله) بقضائه
(وقتل داود جالوت) كان
يشأ أبو داود في عسكر
طالوت مع ستة من بينه
وكان داود سابعهم وهو
صغير يرعى الغنم فأوحى
الله الى نبيه ان داود هو
الذي يقتل جالوت فطلبه
من أبيه فجاه وقد مر في
طريقه بثلاثة أشجار دعا كل
واحد منها ان يحمله وقالت
له انك تقتل بنا جالوت
فحملها في مخلاته ورمى بها
جالوت فقتله وزوجه
طالوت بنته ثم حسده
واراد قتله ثم مات تائباً
في الحرب بالنصرة (ولما
برزوا) صافوا (جالوت
وجنوده قالوا) يعني
هؤلاء المصدقين (ربنا
أفرغ علينا صبيرا) أي
اكرمنا بالصبر (وثبت
أقدامنا) في الحرب (وانصرنا
على القوم الكافرين) على
جالوت وجنوده (فهزمهم
باذن الله) بنصرة الله (وقتل
داود) النبي (جالوت) الكافر

﴿ولما برزوا لجالوت وجنوده﴾ أي ظهروا لهم وذنوا منهم ﴿قالوا ربنا أفرغ علينا صبيرا﴾
و ثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴿التجوا الى الله سبحانه وتعالى بالدعاء وفيه ترتيب
بليغ اذ سألوا أولاً فافراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض
الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالباً ﴿فهزمهم باذن الله﴾ فكسروهم
بنصره أو مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم ﴿وقتل داود جالوت﴾ قيل كان
أيشى في عسكر طالوت مع ستة من بينه وكان داود سابعهم وكان صغيراً يرعى الغنم فأوحى الله
الى نبيه انه الذي يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاه وقد كلفه في الطريق ثلاثة أشجار
وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورمها بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته

﴿قوله عز وجل﴾ ﴿ولما برزوا﴾ يعني طالوت وجنوده المؤمنين ﴿جالوت وجنوده﴾
يعنى الكافرين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما ظهر واستوى منها
﴿قالوا﴾ يعني المؤمنين أصحاب طالوت ﴿ربنا أفرغ﴾ أي أصيب ﴿علينا صبيرا﴾
و ثبت أقدامنا ﴿أي قو قلوبنا لثبت أقدامنا﴾ وانصرنا على القوم الكافرين ﴿وذلك﴾
ان جالوت وقومه كانوا يعبدون الاصنام فسأل المؤمنون الله ان ينصرهم على القوم
الكافرين ﴿فهزمهم باذن الله﴾ يعني ان الله تعالى استجاب دعاء المؤمنين فافرج عليهم
الصبر و ثبت أقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين حين التقوا فهزمهم باذن الله يعني
بقضائه وارادته وأصل الهزم في اللغة الكسر أي كسروهم وردوهم ﴿وقتل داود﴾
جالوت وكانت قصة قتله على ما ذكره أهل التفسير وأصحاب الاخبار انه عبر النهر فبين عبر
مع طالوت أيشأ أبو داود في ثلاثة عشر ابناله وكان داود أصغرهم وكان يرمى بالقذافة
فقال داود لابيه يوماً يا أبته ما أرمى بقذافتي شيئاً الا صرعته فقال له أبوه ابشر
يا بني فان الله قد جعل رزقك في قذافتك ثم أتاه مرة أخرى فقال يا أبته لقد
دخلت بين الجبال فوجدت أسداً رابضاً فركبته وأخذت باذنه فلم يهجنى فقال له
أبوه أبشر يا بني فان هذا خير يريد الله بك ثم أتاه يوماً آخر فقال له يا أبته انى
لامشى بين الجبال فأسمع فلا يبقى جبل الا سمع معى فقال يا بني أبشر فان هذا خير
أعطاكه الله تعالى قالوا فارسل جالوت الجبار الى طالوت ملك بنى اسرائيل أن
ابرزالى وأبرزالك أو أبرزالى من يقاتلنى فان قتلنى فلکم ملكى وان قتلته فلى ملكکم
فشق ذلك على طالوت ونادى فى عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتى وناصفته
ملكى فهاب الناس جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت نبيهم أن يدعو الله فى ذلك فدعا الله
فأتى بقرن فيه دهن القدس وتنور حديد وقيل له ان صاحبكم الذى يقتل جالوت
هو الذى اذا وضع هذا القرن على رأسه سال على رأسه حتى يدهن منه رأسه
ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل فى هذا التنور فيملؤه
ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت بنى اسرائيل وجربهم فلم يوافقه أحد منهم فأوحى الله
الى نبيهم ان فى ولد أيشأ من يقتل جالوت فدعا طالوت أيشأ وقال له اعرض على بنيتك =

(قا و خا ٤٩ ل)

فأخرج له اثني عشر رجلاً أمثال السواري فجعل يعرض واحداً واحداً على القرن فلا يرى شيئاً فقال يا أيهاهل بقلك ولد غير هؤلاء فقال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يارب انه قد زعم انه لا ولده غيرهم فقال له كذب فقال له النبي ان ربي قد كذبك فقال أيشا صدق ربي يا بني الله ان لي ولداً صغيراً مسقماً اسمه داود استحييت اني يراه الناس لقصراً قامته وحقارته فجعلته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكان داود عليه الصلاة والسلام رجلاً قصيراً مسقماً أزرق أعمر مصفراً فدعا به طالوت ويقال انه خرج اليه فوجده في الوادي وقد سال الوادي ماء وهو يحمل شاتين شاتين يعبر بهما السيل الى الزبية التي يريح فيها غنمه فلما رآه طالوت قال هذا هو الرجل المطلوب لاشك فيه فهذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم فدعاه طالوت ووضع القرن على رأسه فنفس وفاض فقال له طالوت هل لك ان تقتل جالوت وأزواجك ابنتي وأجرتي خاتمتك في ملكي قال نعم فقال له هل آنت من نفسك شيئاً تتقوى به على قتله قال نعم أنا أرى الغنم فيجئني الاسد أو النمر أو الذئب فيأخذ شاة من الغنم فأقوم فأقبح لحية عنها وأخرجها من قفاه فأخذ طالوت داود ورده الى المسكر فر داود عليه الصلاة والسلام في طريقه بحجر فداده يا داود اجلني فاني حجر هارون فحملة ثم مر بحجر آخر فقال يا داود اجلني فاني حجر موسى فحملة ثم مر بحجر آخر فقال له يا داود اجلني فاني حجر الذي تقتل به جالوت فحملة فوضع الثلاثة في محلاته فلما رجع طالوت الى المسكر ومعه داود وتصافوا للقتال برز جالوت يطلب المبارزة فانتدب له داود عليه الصلاة والسلام فاعطى طالوت داود فرساً وسلاحاً قلبس السلاح وركب الفرس وسار قريباً ثم رجع الى طالوت فقال من حوله جبن الغلام فجاء فوقف على طالوت فقال له ماشأئك فقال له داود عليه الصلاة والسلام ان لم ينصرني ربي لم ين هذا السلاح عنى شيئاً وان نصرني فلا حاجة لي به فدعني أقاتل كما أريد قال نعم فأخذ داود محلاته وتقلدها وأخذ المقلع بيده ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة حديد وزنها ثلثمائة رطل فلما نظر الى داود وهو يريد وقع الرعب في قلبه فقال له جالوت وأنت تبرز لي قال نعم وكان جالوت على فرس أبلق عليه السلاح التام فقال أنتيني بالمقلع والحجر كما يؤتى الكلب فقال نعم وأنت شر من الكلب قال جالوت لاجرم لا قسمن لحك بين سبع الارض وطير السماء فقال داود عليه الصلاة والسلام أو يقسم الله لحك ثم قال داود باسم آله أبراهيم وأخرج حجراً ثم قال باسم آله أسحق وأخرج حجراً ثم قال باسم آله يعقوب وأخرج حجراً ووضعها في مقلعه فصارت الثلاثة حجراً واحداً وادار داود المقلع ورعى به جالوت فسخر الله له الريح فحملت الحجر حتى أصاب أنف البيضة فخلط دماغ جالوت وخرج من قفاه وقتل من ورأه ثلاثين رجلاً وخرج جالوت صريعاً قتيلاً فأخذ داود يجره حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح بنو إسرائيل بذلك فرحاً شديداً وهزم الله الجيش فرجع طالوت بالناس الى المدينة سالمين غانمين وجعل =

= الناس يدكرون داود فجاء داود الى طالوت وقال له انجز لي ما وعدتني فقال له أريد
 ابنة الملك بغير صداق فقال داود ما شرطت على صداق وليس لي شيء فقال لا أكلفك الا
 ما تطيق أنت رجل جرى وفي حيالنا أعداء لنا غلف فان قلت منهم ما أتى رجل وجئتني
 بظلفهم زوجتك بنتي فأناهم فجعل كما قتل واحدا منهم نظم غلفته في خيط حتى نظم
 ما أتى غلفة فجاء بها الى طالوت وألقاها بين يديه وقال ادفع الى امرأتى فزوجه ابنته
 وأجرى خاتمه في ملكه قال الناس الى داود عليه الصلاة والسلام وأحبوه وأكثروا
 ذكره فحسده طالوت وأراد قتله فأخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال له ذوالعينين
 فاخبرت بذلك داود وقالت له انك مقتول الليلة قال ومن يقتلني قالت أبي قال وهل
 أجزمت جرما يوجب القتل قالت حدثني بذلك من لا يكذب ولا عليك ان تعيب
 الليلة حتى ننظر مصداق ذلك فقال ان كان يريد ذلك فلا استطيع خروجي ولكن
 اثبتني بزق خرفأنتبه فوضعه في مضجعه على سريرته وسجاه ودخل داود تحت السرير
 فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته أين بلك قالت هو نائم على سريرته فضربه
 بالسيف فسأل الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر
 وخرج فلما اصبح علم انه لم يفعل شيئا فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لحقيق ان
 لا يدعى حتى يدرك ثأره متى فاشتد سجابه وحراسته وأغلق دونه أبوابه ثم ان داود
 أتاه ليلة وقد هدأت العيون وأعمى الله عنه الحجاب ففتح الابواب ودخل عليه وهو
 نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجله وسهما عن يمينه وسهما
 عن شماله وخرج فاستيقظ طالوت فبصر بالسهم ففرها فقال يرحم الله داود هو
 خبرني ظفرت به فقصدت قتله وظفرتي فكف عنى ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقى
 وما أنا بالذى آمنه فلما كان من الليلة القابلة أتاه ثانيا فأعمى الله عنه الحجاب فدخل
 عليه وهو نائم فأخذ أبريق وضوءه وكوزه الذى يشرب منه وقطع شعرات من
 لحيته وشيا من طرف ثوبه ثم خرج وتوارى فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلط
 على داود العيون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد
 داود عثى في البرية فقال اليوم أقتله وركض في أثره فأشدد داود في عدوه وكان اذا
 فرغ لم يدرك فدخل غارا فاوحى الله تعالى الى العنكبوت فنسجت عليه فلما
 انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال لو كان دخل هنا لتغرق
 هذا النسيج وانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى أتى جبل المتعبدين فتعبد معهم
 وطمن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا ينهأ أحد عن قتل
 داود الا قتله فقتل خلقا كثيرا من العباد والعلماء حتى أتى بأمرة تعلم الاسم الاعظم
 فأمر خبازه بقتلها فرجها الخباز فلم يقتلها وقال لعننا نحتاج الى عالم فتركها ثم وقع
 في قلب طالوت التوبة والندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتى رجه الناس
 وكان كل ليلة يخرج الى القبور ويبكى وينادى أنشد الله عبدا يعلم لى توبة
 الأخرى بها فلما كثرت ذلك منه ناداه مناد من القبور يا طالوت أما ترضى أن قتلتنا

﴿ وآتاه الله الملك ﴾ أي ملك بني إسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك
﴿ والحكمة ﴾ النبوة ﴿ وعلمه مما يشاء ﴾ كالسرود وكلام الدواب والطيور

حتى تؤذينا أمواتا فازداد حزنا وبكاء فتوجه الخباز الى طالوت لما رأى من
حاله وقال مالك أيها الملك فأخبره وقال هل تعلم لي توبة أو تعلم في الارض عالما
أسأله عن توبتي فقال له الخباز أيها الملك ان دلتك على علم يوشك ان تقتله فقال
لافتوثق منه باليمين فأخبره ان تلك المرأة العالمة عنده فقال انطلق بي اليها لاسألها
عن توبتي قال نعم فانطلق به فلما قربا من الباب قال له الخباز أيها الملك انها اذا رأتك
فزعت ولكن انت خفي فلما دخلا عليها قال لها الخباز يا هذه أأنت تعلمين حتى عليك
قالت بلى قال فان لي اليك حاجة فتقضها قالت نعم قال هذا طالوت قد جاءك يسأل
هل له من توبة فلما سمعت بذكر طالوت غشى عليها فلما أفادت قالت والله ما أعلمه
توبة ولكن دلوني على قبري فانطلقوا بها الى قبر اشمويل فوقف على عليه ودعت
وكانت تعلم الاسم الاعظم ثم قالت يا صاحب القبر فخرج ينفخ التراب عن رأسه
فلما نظر الى ثلاثهم قال مالكم أقامت القيامة قالت المرأة لا ولكن هذا طالوت قد جاء
يسألك هل له من توبة فقال اشمويل يا طالوت ما فعلت بعدى قال لم أدع من الشر شيئا
الافعلته وجئت أطلب التوبة فقال اشمويل يا طالوت كم لك من الولد قال عشرة رجال
قال ما أعلمك من توبة الا أن تخلي من ملكك وتخرج أنت وولدك في سبيل الله ثم تقدم
ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل أنت حتى تقتل آخرهم ثم ان اشمويل سقط
ميتا ورجع طالوت أحزن ما كان رهبة ان لا يتابعه بنوه على ما يريد وكان قد بقي
حتى سقطت أشفار عينيه ونحل جسمه فجمع أولاده وقال لهم أرايتم لودفعت الى
النار هل كنتم تنقدونني منها فقالوا بلى ننقدك بما تقدر عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا
ما أمركم به قالوا أعرض علينا ما أردت فذكر لهم القصة قالوا وانك لمقتول قال نعم قالوا
فلاخير لنا في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذي سألت فجهز هو وولده وخرج
طالوت مجاهدا في سبيل الله فقدم أولاده فقاتلوا حتى قتلوا ثم شد هو من بعدهم
فقاتل حتى قتل وجاء قاتل طالوت الى داود فبشره بقتله وقال له قد قتلت عدوك
فقال داود ما أنت بيباق بعده وقتله فكان ملك طالوت الى ان قتل مدة أربعين سنة
فأتى بنو إسرائيل الى داود فلكوه عليهم وأعطوه خزان طالوت قال الكلبي والضحاك
ملك داود بعد قتل جالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد الا على
داود فذلك قوله عز وجل ﴿ وآتاه الله الملك والحكمة ﴾ يعني النبوة جمع الله لداود
بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل بل كانت النبوة في سبط والملك في سبط
وقيل الحكمة هي العلم مع العمل به ﴿ وعلمه مما يشاء ﴾ أي وعلم الله داود صنعة الدروع
فكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل الا من الامن عمل يده وقيل علمه منطق الطير وقيل
علمه الزبور وقيل هو الصوت الطيب والالخان ولم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوت
داود فكان اذا قرأ الزبور تدنو منه الوحوش حتى يأخذ باعناقها وتظله الطير مصيخة له

(وآتاه الله الملك) في مشارق
الارض المقدسة ومغارها
وما اجتمعت بنو إسرائيل
على ملك قط قبل داود
(والحكمة) والنبوة (وعلمه
مما يشاء) من صنعة الدروع
وكلام الطيور والدواب

(وآتاه الله الملك) أعطى الله
داود ملك بني إسرائيل
(والحكمة) الفهم والنبوة
(وعلمه مما يشاء) يعني الدروع

وغير ذلك (ولولا دفع الله الناس) هو مفعول به (بعضهم) بدل من الناس دفاع مدني مصدر دفع اودافع (بعض
لفسدت الارض) أي ولولا ان الله تعالى ﴿ ٣٨٩ ﴾ يدفع بعض { سورة البقرة } الناس بعض ويكف بهم

فسادهم لقلب المفسدون
وفسدت الارض وبطلت
منافعها من الحرث والتسل
أو ولولا ان الله تعالى
ينصر المسلمين على الكافرين
لفسدت الارض بغلبة الكفار
وقتل الابرار وتخريب

البلاد وتعذيب العباد (ولكن
الله ذو فضل على العالمين)
بازالة الفساد عنهم وهو دليل
على المعتزلة في مسألة الاصلح
(تلك) مبتدأ خبره (آيات
الله) يعنى القصص التي
اقتصها من حديث الالوف
واماتهم واحيائهم وتعليك
طالوت واطهاره على الجبارة
على يدصبي (نلتوها) حال
من آيات الله والعامل فيه
معنى الاشارة أو آيات الله بدل
من تلك ونلتوها الخبر
(عليك بالحق) بالية

(ولولا دفع الله الناس
بعضهم بعض) كما دفع
بداود شرجالوت عن بني
اسرائيل (لفسدت الارض)
باهلها يقول دفع الله
بالنبيين عن المؤمنين شر
اعدائهم وبالمجاهدين عن
القاعدين عن الجهاد شر
اعدائهم ولولا ذلك لفسدت
الارض باهلها (ولكن الله
ذو فضل) ذو من (على
العالمين) بالدفع (تلك

﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم بعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على
العالمين ﴾ ﴿ ولولا أنه سبحانه وتعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار
ويكف بهم فسادهم لقلبوا وأفسدوا في الارض أو لفسدت الارض بشؤمهم * وقرأنا نافع هنا
وفي الحج دفاع الله ﴿ تلك آيات الله ﴾ اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتعليك
طالوت واتيان التابوت وانهم الجبارة وقتل داود جالوت ﴿ نلتوها عليك بالحق ﴾
بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه أهل الكتاب وأرباب

ويركد الماء الجارى وتسكن الرياح عند قراءته وقيل علمه سياسة الملك وضبطه
وذلك لانه لم يكن من بيت الملك حتى يتعلمه من آياه وقال ابن عباس رضى الله عنهما
هو ان الله تعالى أعطاه سلسلة موصولة بالجرة ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد
ولونها لون النور وحلقها مستديرة مفصلة بالجواهر مدرسة بقضبان اللؤلؤ الرطب
فكان لا يحدث في الهواء حدث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث ولا
يسمها ذوعاثة الابرأ وكانوا يتحاكون اليها بعد داود الى أن رفعت فن تعدى على
صاحبه أو أنكره حقا أنى السلسلة فن كان صادقا مديده الى السلسلة فتالها ومن كان
كاذبا لم ينلها فكانت كذلك الى ان ظهر فيهم المكر واخبث فبلغنا أن بعض ملوكهم أودع
رجلا جوهرة ثينة فلما طالبه بالوديعة أنكره أياها فقبحا كما الى السلسلة فعمد الذي عنده
الجوهرة الى عكازة فقرها وجعل الجوهرة فيها واعتمد عليها حتى أتيا السلسلة فقال
صاحب الجوهرة رد على الوديعة فقال صاحبه ما أعرف لك عندي وديعة فان كنت صادقا
فتناول السلسلة فتناولها بيده وقال المنكر قم أنت أيضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة أمسك
عكازتي فأخذها الرجل منه وقام المنكر الى السلسلة وقال اللهم ان كنت تعلم ان الوديعة التي
يدعيا قد وصلت اليه فقرب السلسلة مني ومديده فتناولها ففجج القوم من ذلك وشكروا فيها
فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم
بعض ﴾ يعنى ولولا ان الله يدفع بعض الناس وهم أهل الايمان والطاعة بمضاوهم
أهل الكفر والمعاصي قال ابن عباس رضى الله عنهما ولولا دفع الله بجنوده المسلمين
لغلب المشركون على الارض قتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد وقيل معناه
ولولا دفع الله بالمؤمنين والابرار على الكفار والفجار ﴿ لفسدت الارض ﴾ يعنى
لهلكت. بمن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر روى أحمد
ابن حنبل عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ﴿ ولولا دفع الله الناس
بعضهم بعض لفسدت الارض ﴾ ﴿ ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾ يعنى ان دفع
الفساد بهذا الطريق انعام وافضال عم الناس كلهم ﴿ تلك آيات الله ﴾ يعنى القصص
التي اقتصها من حديث الالوف واماتهم واحيائهم وتعليك طالوت واطهاره بالآية
وهى التابوت واهلاك الجبارة على يدصبي ﴿ نلتوها عليك بالحق ﴾ أى باليقين الذي
لا يشك فيه أهل الكتاب لانه في كتبهم

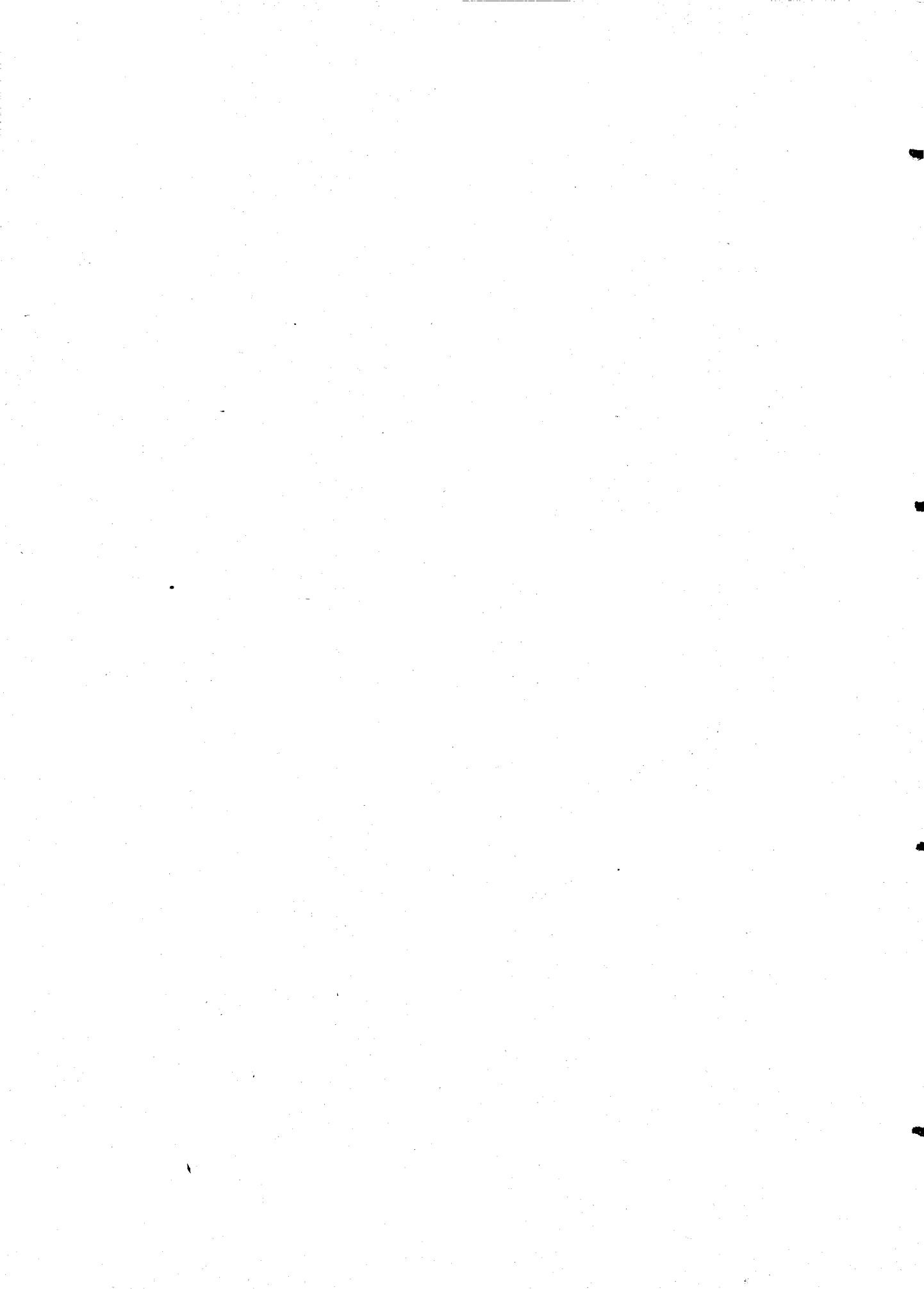
آيات الله (هذه آيات الله يعنى القرآن باخبار الامم الماضية (نلتوها عليك) نزل عليك جبريل بها (بالحق) لبيان

التواريخ ﴿ وأنت لمن المرسلين ﴾ لما أخبرت بها من غير تعرف واستماع

﴿ وأنت لمن المرسلين ﴾ يعنى حيث تخبر بهذه الاخبار الجيبة والقصص
التدعية من غير أن تعرف بقراءة كتاب ولا سماع أخبار فدل ذلك
على أنك من المرسلين وان الذى تخبر به
وحى من الله تعالى

الذى لا يشك فيه أهل
الكتاب لانه في كتبهم كذلك
(وأنت لمن المرسلين)
حيث تخبر بها من غير أن
تعرف بقراءة كتاب أو
سماع من أهله

الحق والباطل (وأنت
لمن المرسلين) الى الجن
والانس كافة



(تلك الرسل) اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في هذه السورة من آدم الى داود والتي ثبت علمها عند رسول الله عليه السلام (فضلنا بعضهم على بعض) بالخصائص وراء الرسالة لاستوائهم فيها كالمؤمنين يستون في صفة الايمان ويتفاوتون في الطاعات بعد الايمان ثم بين ذلك بقوله (منهم من كلم الله) أى كلمه الله حذف العائد من الصلوة يعنى منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام (ورفع بعضهم) مفعول أول (درجات) مفعول ثان أى بدرجات أو الى درجات يعنى ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم برسالة (تلك الرسل) الذين سميانهمك (فضلنا بعضهم على بعض) بالكرامة (منهم من كلم الله) وهو موسى (ورفع بعضهم درجات) فضائل هو ابراهيم اتخذ خيلا مصافيا وادريس رفعه مكانا عليا

الجزء الثالث

يا تار العيوب اتر عيوبنا

﴿ تلك الرسل ﴾ اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها في السورة أو المعلومة للرسول صلى الله عليه وسلم أوجاعة الرسل واللام للاستغراق ﴿ فضلنا بعضهم على بعض ﴾ بأن خصصناه بمنقبة ليست اغبره ﴿ منهم من كلم الله ﴾ تفصيل له وهو موسى وقيل موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ليله المعراج حين كان قاب قوسين أو أدنى وبينهما بون بعيد * وقرئ كالم الله وكالم الله بالنصب فإنه كلم الله كما أن الله كلمه ولذلك قيل كلم الله بمعنى مكلمه ﴿ ورفع بعضهم درجات ﴾ بأن فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فإنه خص بالدعوة العامة والحجج المشكورة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلية والعملية الفائتة للحصر والاهتمام لتفخيم شأنه ﴿ قوله عز وجل ﴾ تلك الرسل ﴿ يعنى جماعة الرسل الذين تقدم ذكرهم في هذه السورة ﴾ فضلنا بعضهم على بعض ﴿ فيه دليل على زوال الشبهة لمن أوجب التسوية بين الانبياء في الفضيلة لاستوائهم في القيام بالرسالة وأجبت الامة على ان الانبياء بعضهم أفضل من بعض وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضلهم لعموم رسالته وهو قوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴿ منهم ﴾ أى من الرسل ﴿ من كلم الله ﴾ أى كلمه الله وهو موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ ورفع بعضهم درجات ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم رفع الله منصبه ومرتبته على كافة سائر الانبياء بما فضله عليهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرات لما أوتى نبي من الانبياء آية أو معجزة الا وأوتى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم

كأنه العلم المتعين لهذا الوصف المستغنى عن التعيين وقيل ابراهيم عليه الصلاة والسلام خصصه بالخلقة التي هي أعلى المراتب وقيل ادريس عليه الصلاة والسلام لقوله سبحانه وتعالى ورفعهنا مكانا عليا وقيل أولو العزم من الرسل ﴿وآتيناعيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾ خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته

مثل ذلك وفضل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبياء بآيات ومعجزات أخر مثل انشقاق القمر بإشارته وحنين الجذع الذي حن عند مفارقتة وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهائم له شهادة برسالته ونبع الماء من بين أصابعه وغير ذلك من الآيات والمعجزات التي لا تحصى كثرة وأعظمها وأظهرها معجزة وآية القرآن العظيم الذي عجز أهل الارض عن معارضته والاتبان بمثله فهو معجزة باقية الى يوم القيامة (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيته وحيأوحاه الله الى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة (ق) عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فأما رجل من أمى أدركته الصلاة فليصل وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة (م) عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلائق كافة وختم بنبيون * فأن قلت لم ذكره على سبيل الرمز والاشارة ولم يصرح باسمه صلى الله عليه وسلم قلت فى هذا الابهام والرمز من تفخيم فضله واعلاء قدره صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى لما فيه من الشهادة بأنه العلم الذى لا يشته ولا يلتبس فهو كما يقول الرجل وقد فعل شيأ فعله بعضكم أو أحدكم ويريد نفسه فيكون أفهم من التصريح به كما سئل الحطيثة من أشعر الناس قال زهير والنايفة ثم قال ولوشئت لذكرت الثالث أراد نفسه * قوله عز وجل ﴿وآتيناعيسى ابن مريم البينات﴾ يعنى الحجج والادلة الباهرة والمعجزات الظاهرة على نبوته مثل ابراء الالكه والابرس واحياء الموتى ﴿وأيدناه بروح القدس﴾ أى وقويناه بجبريل عليه الصلاة والسلام فكان معه الى أن رفعه الى عنان السماء السابعة * فأن قلت لم خص موسى وعيسى بالذكر من بين سائر الانبياء * قلت لما أوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله تعالى وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية عظيمة وتأييد عيسى بروح القدس آية عظيمة أيضا فلما أوتى موسى وعيسى من الآيات العظيمة خصا بالذكر فى باب التفضيل فعلى هذا كل من كان من الانبياء أعظم آيات وأكثر معجزات كان أفضل ولهذا أحرز نبينا صلى الله عليه وسلم قصبات السبق فى الفضل لانه أعظم الانبياء آيات وأكثرهم معجزات فهو أفضلهم صلى الله عليه وسلم

الى الكفاة وبانه أوتى ما لم يؤته أحد من الانبياء المتكاثرة المرتقية الى ألف أو أكثر وأكبرها القرآن لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر وفى هذا الابهام تفخيم وبيان انه العلم الذى لا يشته على أحد والتميز الذى لا يلتبس وقيل أريد به محمد و ابراهيم وغيرهما من أولى العزم من الرسل (وآتيناعيسى ابن مريم البينات) كاحياء الموتى و ابراء الالكه والابرس وغير ذلك (وأيدناه بروح القدس) قويناه بجبريل أو بالانجيل (وآتيناعطينا) أعطينا (عيسى ابن مريم البينات) الامر والنهى والجهائب (وأيدناه) قويناه وأعناه (روح القدس) بجبريل الطاهر

(ولو شاء الله ما قتل) أى ما اختلف لانه سببه (الذين من بعدهم) من بعد الرسل (من بعد ما جاءتهم البيئات) المعجزات الظاهرات (ولكن اختلفوا) بمشيئتي ثم بين الاختلاف فقال (فمنهم من آمن ومنهم من كفر) بمشيئتي يقول الله أجريت أمور رسل على هذا أى لم يجمع لاحد منهم طاعة جميع أمته فى حياته ولا بعد وفاته بل اختلفوا عليه فمنهم من آمن ومنهم من كفر (ولو شاء الله ما قتلوا) كرهه للتأكيد أى لو شئت أن لا يقتلوا لم يقتلوا اذ لا يجرى فى ملكي الا ما يوافق مشيئتي وهذا {الجزء الثالث} يبطل قول المعتزلة لانه ﴿٣٩٤﴾ أخبر أنه لو شاء ان لا يقتلوا لم يقتلوا وهم

سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ﴿ولو شاء الله﴾ أى هدى الناس جميعا ﴿ما قتل الذين من بعدهم﴾ من بعد الرسل ﴿من بعد ما جاءتهم البيئات﴾ أى المعجزات الواضحة لاختلافهم فى الدين وتفضيل بعضهم بعضا ﴿ولكن اختلفوا فمنهم من آمن﴾ بتوفيقه لالتزام دين الانبياء تفضيلا ﴿ومنهم من كفر﴾ لاعراضه عنه بخذلانه ﴿ولو شاء الله ما قتلوا﴾ كرهه للتأكيد ﴿ولكن الله يفعل ما يريد﴾ فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام متفاوتة الاقدام وأنه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وأن الحوادث بيد الله سبحانه وتعالى تابعة لمشيئته خيرا كان أو شرا ايمانا أو كفرا ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم﴾ ما أوجب عليكم انفاقه ﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه﴾

وعليهم أجمعين ﴿ولو شاء الله﴾ أى ولو أراد الله وأصل المشيئة الارادة ﴿ما اقتل الذين من بعدهم﴾ يعنى بعد الرسل الذين وصفهم الله ﴿من بعدما جاءتهم البيئات﴾ أى الدلالات الواضحات من الله بما فيه من دجر لمن هده الله تعالى ووفقه ﴿ولكن اختلفوا﴾ يعنى اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل ﴿فمنهم من آمن﴾ أى ثبت على ايمانه بالله ورسوله بفضل الله ﴿ومنهم من كفر﴾ أى ومنهم من تعد الكفر بعد قيام الحججة وبهثة الرسل ﴿ولو شاء الله ما قتلوا﴾ أى ولو أراد الله أن يحجزهم عن الاقتال والاختلاف لحجزهم عن ذلك ﴿ولكن الله يفعل ما يريد﴾ يعنى انه تعالى يوفق من يشاء لطاعته والايان به فضلا منه ورحمة ويخذل من يشاء عدلا منه لاعتراض عليه فى ملكه وفعله سأل رجل على بن أبى طالب رضى الله عنه عن القدر فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر فقال طريق مظلم فلا تسلكه فاعاد السؤال فقال بحر عميق فلا تلج به فاعاد السؤال فقال سر الله قد خفى عليك فلا تفتشه ﴿قوله عز وجل﴾ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم ﴿قيل أراد به الزكاة الواجبة وقيل أراد به صدقة التطوع والانفاق فى وجوه الخير﴾ من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ﴿أى لا فدية فيه وانما ساء بيعا لان الفداء شراء النفس من الهلاك والمعنى قدموا لانفسكم اليوم من أموالكم من قبل أن يأتي يوم لا تجارة فيه فيكسب الانسان ما يفتدى به من

يقولون شاء أن لا يقتلوا فاقتلوا (ولكن الله يفعل ما يريد) أثبت الارادة لنفسه كما هو مذهب أهل السنة (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) فى الجهاد فى سبيل الله أو هو عام فى كل صدقة واجبة (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه) أى من قبل أن يأتي يوم لا تقدررون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى يتناوعوا

(ولو شاء الله ما قتل) ما اختلف (الذين من بعدهم) من بعد موسى وعيسى (من بعد ما جاءتهم البيئات) بيان ما فى كتابهم نعت محمد وصفته (ولكن اختلفوا فى الدين) فمنهم (من آمن) بكل كتاب ورسول (ومنهم من كفر) بالكتب والرسل (ولو شاء الله ما قتلوا) ما اختلفوا فى الدين (ولكن الله يفعل ما يريد) كما يريد بعباده

ثم حثهم على الصدقة فقال (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) تصدقوا بما أعطيناكم من الاموال (العذاب) فى سبيل الله (من قبل أن يأتي يوم) وهو يوم القيامة (لا بيع فيه) لا فداء فيه

ولاخلة ولاشفاعة ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا تقصدون فيه على تدارك ما فرطتم
والخلاص من عذابه أذلا بيع فيه فمحصلون ما تنفقونه أو تفتدون به من العذاب ولاخلة
حتى تعينكم عليه أخلاؤكم أو يسامحكم به ولاشفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضى له
قولا حتى تتكلموا على شفاعة تشفع لكم في حط ما في ذنوبكم وانما رفعت ثلاثها مع قصد التعميم لانهما
في التقدير جواب هل فيه بيع أو خلة أو شفاعة وقد فتحها بن كثير وأبو عمرو ويعقوب على
الاصل ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ يريدون التاركون للزكاة هم الظالمون الذين ظلموا أنفسهم
أو وضعوا المال في غير موضعه و صرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه لتليظاهم
وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من لم يحجج وايدانا بان ترك الزكاة من صفات الكفار لقوله
تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ﴿ الله لا اله الا هو ﴾ مبتدأ وخبر والمعنى
أنه المستحق للعبادة لا غير وللنمأة خلاف في أنه هل يضم للا خبر مثل في الوجود
أو يصح أن يوجد ﴿ الحى ﴾ الذى يصح أن يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب
لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان ﴿ القيوم ﴾ الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه

ما تنفقونه (ولاخلة) حتى
يسامحكم اخلاؤكم به (ولا
شفاعة) أى للكافرين فاما
المؤمنون فلهم شفاعة أو
الاباذنه (والكافرون هم
الظالمون) أنفسهم بتركهم
التقديم ليوم حاجاتهم أو
الكافرون بهذا اليوم هم
الظالمون لا بيع فيه ولاخلة
ولا شفاعة مكي وبصرى
(الله لا اله الا هو) لامع اسمه
وخبره وما ابدل من موضعه
في موضع الرفع خبر المبتدأ
وهو الله (الحى) الباقي الذى
لا سبيل عليه للفناء (القيوم)
الدائم القيام بتدبير الخلق

(ولاخلة) ولاخلة
(ولاشفاعة) للكافرين
(والكافرون) بالله (هم
الظالمون) المشركون بالله
ثم مدح نفسه فقال (الله
لا اله الا هو الحى) الذى
لا يموت (القيوم) القائم

العذاب ﴿ ولاخلة ﴾ أى ولا مودة ولا صداقة ﴿ ولاشفاعة ﴾ وظاهر هذا يقتضى
نفى الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة بين المؤمنين
فيكون هذا عاما مخصوصا ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ لانهم وضعوا العبادة في غير
موضعها ﴿ قوله عز وجل ﴿ الله لا اله الا هو الحى القيوم ﴾

فصل في فضل هذه الآية الكريمة

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شئ سنام وأن سنام
القرآن البقرة وفيها آية هي سيدة أى القرآن آية الكرسي أخرجه الترمذى
قوله ان لكل شئ سنام اسنام كل شئ أعلاه تشبها بسنام البعير والمراد منه تعظيم
هذه السورة والسيد الفاضل في قومه والشريف والكريم وأصله من ساد يسود وقوله
هى سيدة أى القرآن أى أفضله (م) عن أبي بن كعب رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله
لا اله الا هو الحى القيوم ف ضرب فى صدرى وقال ليهنك العلم يا أبا المنذر عن وائلة
ابن الاسقع رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم فى صفة المهاجرين فسأله انسان
أى آية فى القرآن أعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله لا اله الا هو الحى
القيوم أخرجه أبو داود وقال العلماء انما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم آية
فى القرآن لما جمعت من أصول الاسماء والصفات من الالهية والوحدانية والحياة
والعلم والقيومية والملك والقدرة والارادة فهذه أصول الاسماء والصفات وذلك
لان الله تعالى أعظم مذكور فاما ذكره من توحيد وتعظيم كان أعظم الاذكار
وفى هذا الحديث حجة لمن يقول بجواز تفضيل بعض القرآن على بعض وتفضيله
على سائر كتب الله المنزلة ومنع من جواز تفضيل بعض القرآن على بعض جاعة
منهم أبو الحسن الأشعري وأبو بكر الباقلانى قالان تفضيل بعضه على بعض

فيعول من قام بالامر اذا حفظه * وقرى القيام والقيم ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾
السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع

وسنان أقصده النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنائم

والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الاجرة
المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا وتقديم السنة عليه
وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتأکید لكونه حيا
قيوما فان من اخذه نعاس أو نوم كان مأوف الحياة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك

يقتضى نقص المفضول وليس في كلام الله عز وجل نقص وتأول هؤلاء ماورد
من اطلاق لفظ أعظم وأفضل على بعض الآيات أو السور بمعنى عظيم وفاضل * ومن
أجاز تفضيل بعض القرآن على بعض من العلماء والمتكلمين قالوا هذا التفضيل راجع
الى عظم أجر القارئ أو جزيل ثوابه وقول ان هذه الآية أو هذه السورة أعظم أو
أفضل بمعنى ان الثواب المتعلق بها أكثر وهذا هو المختار وهو معنى الحديث والله أعلم
* عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حين
يصبح آية الكرسي وآيتين من أول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ يومه
ذلك حتى يمسي ومن قرأها حين يمسي حفظ ليلته تلك حتى يصبح أخرجه الترمذى وقال
حديث غريب * وأما التفسير فقوله عز وجل الله لا اله الا هو نفي الالهية عن كل
ماسواه وأثبت الالهية له سبحانه وتعالى فهو كقولك لا كريم الا زيد فانه أبلغ من
قولك زيد كريم الحى يعنى الباقي على الابد الدائم بلازوال والحى في صفة الله تعالى
هو الذى لم يزل موجودا وبالحياء موصوفا لم تحدث له الحياة بعد موت ولا يعتره
الموت بعد حياة وسائر الاحياء سواء يعترهم الموت والعدم فكل شئ هالك الا وجهه
سبحانه وتعالى * القيوم قال مجاهد القيوم القائم على كل شئ وتأويله انه تعالى قائم
بتدبير خلقه في ايجادهم وأرزاقهم وجميع ما يحتاجون اليه وقيل هو القائم الدائم
بلازوال الموجود الذى يتمتع عليه التغيير وقيل هو القائم على كل نفس بما كسبت
والقيوم فيعول من القيام وهو نعت للقائم على الشئ ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾
السنة ما يتقدم النوم من الفتور الذى يسمى نعاسا وهو النوم الخفيف والوسنان بين
النائم واليقظان والنوم هو الثقل المزبل للعقل والقوة وقيل السنة في الرأس والنعاس
في العين والنوم في القلب فالسنة هي أول النوم والنوم هو غشية ثقيلة تقع على القلب
تمنع المعرفة بالاشياء والمعنى لا تأخذه سنة فضلا عن أن يأخذه نوم لان النوم والسهو
والغفلة محال على الله تعالى لان هذه الاشياء عبارة عن عدم العلم وذلك نقص وآفة والله
تعالى منزّه عن النقص والآفات وأن ذلك تغير والله تعالى منزّه عن التغير (م) عن أبي
موسى الاشعري رضى الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بخمس كلمات
فقال ان الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ويرفع اليه عمل
الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجاب النور * وفي رواية النار لو كشفه

وحفظه (لا تأخذه سنة)
نعاس وهو ما يتقدم النوم
من الفتور (ولا نوم) عن
المفضل السنة ثقل في الرأس
والنعاس في العين والنوم
في القلب وهو تأکید للقيوم
لان من جاز عليه ذلك احتمال
ان يكون قيوما وقد أوحى
الى موسى عليه السلام قل
لهؤلاء انى أمسك السموات
والارض بقدرتى فلو
أخذنى نوم أو نعاس لزلت
لابد له (لا تأخذه سنة)
نعاس (ولا نوم) ثقيل
فيشغله عن تدبيره وأمره

ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده ﴿ له ما في السموات وما في الارض ﴾ تقرير لقيوميته واحتجاج به على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما أو خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو أبلغ من قوله له ملك السموات والارض

لا حرق سحبات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه * ((شرح ما يتعلق بلفظ هذا الحديث)) منقول من شرح مسلم للشيخ محي الدين النووي قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام فعنه الاخبار انه سبحانه وتعالى لا ينام وأنه مستحيل في حقه لان النوم انما هو غلبة على العقل يسقط به الاحساس والله تعالى منزه عن ذلك وقوله يخفض القسط ويرفعه أراد بالقسط الميزان الذي يقع به العدل ومعناه ان الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن فيه من أعمال العباد المرتفعة اليه وقيل أراد بالقسط الرزق الذي هو قسط كل مخلوق ومعنى يخفض يقبض ويضيق على من يشاء ويرفعه أي يوسع على من يشاء وقوله يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار يعني ان الحفظة من الملائكة يصعدون بأعمال العباد في الليل بعد انقضاءه في أول النهار ويصعدون بأعمال النهار بعد انقضاءه في أول الليل * قوله سبحانه والنور لو كشفه لا حرق سحبات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه * سحبات بضم السين المهملة والباء الموحدة تحت وبضم التاء في آخره جمع سحمة ومعنى سحبات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه والحجاب أصله في اللغة المنع وحقيقة الحجاب انما تكون للاجسام المحدودة والله تعالى منزه عن الجسم والحد فالمراد به هنا الشيء المانع من الرؤية وسمى ذلك الشيء المانع نورا أو نارا لانهما يمنعان من الادراك في العادة والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى اليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لان بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات ولفظة من في قوله من خلقه لبيان الجنس لا للتبعض ومعنى الحديث لوزال المانع وهو الحجاب المسمى نورا أو نارا وتجلى خلقه لا حرق جلال ذاته جميع مخلوقاته هذا آخر كلام الشيخ على هذا الحديث والله أعلم * وروى الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله لا تأخذه سنة ولا نوم ان موسى عليه الصلاة والسلام سأل الملائكة هل ينام الله تعالى فأوحى الله تعالى الى الملائكة وأمرهم أن يترقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم أعطوه قارورين فأمسكهما ثم تركوه وحذروه أن يكسرها فجعل ينس ويتبها وهما في يديه في كل يد واحدة حتى نعتن نعتة فضرب احدهما بالآخرى فكسرها قال معمر انما هو مثل ضربه الله تعالى له يقول فكذلك السموات والارض * ورواه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله وذكر نحو حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال بعض العلماء ان صح هذا الحديث فيحمل على ان هذا السؤال كان من جهال قوم موسى كطلب الرؤية من موسى لان الانبياء عليهم السلام هم أعلم بالله من غيرهم فلا يجوز أن ينسب لموسى مثل هذا السؤال والله تعالى أعلم * قوله عز وجل ﴿ له ما في السموات وما في الارض ﴾ يعني ان الله تعالى

(له ما في السموات وما في الارض) ملكا وملكاً

(له ما في السموات) من الملائكة (وما في الارض)

(من ذا الذي يشفع { الجزء الثالث } عنده الاباذنه) ٣٩٨ ليس لاحد ان يشفع عنده الاباذنه وهو

وما فيمن ﴿ من ذا الذي يشفع عنده الاباذنه ﴾ بيان لكبرياء شأنه سبحانه وتعالى وأنه لأحد يساويه أو يدانيه يستقل بان يدفع ما يريد شفاعته واستكانة فضلا عن أن يعاوقه عنادا أو مناصبة ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ ما قبلهم وما بعدهم أو بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي وأموال الدنيا وأمور الآخرة أو عكسه أو ما يحسونه وما يعقلونه أو ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء أو لمدل عليه من ذامن الملائكة والانباء عليهم الصلاة والسلام ﴿ ولا يحيطون بشئ من علمه ﴾ من معلوماته ﴿ الاباشاء ﴾ أن يعلموا وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرد به العلم الذاتي التام الدال على وحدانيته سبحانه وتعالى ﴿ وسع كرسيه السموات والارض ﴾ تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله تعالى وما قدره والله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسى في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه وأملكه مأخوذ من كرسى العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا يحيط بالسموات السبع لقوله عليه الصلاة والسلام ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسى الاخلاقة في فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكأنه المنسوب

مالك جميع ذلك بغير شريك ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده وفي ملكه * فان قلت لم قاله ما في السموات ولم يقل من في السموات * قلت لما كان المراد اضافة كل ماسواه اليه من الخلق والملك وكان الغالب فيهم من لا يعقل أجرى الغالب مجرى الكل فعبّر عنه بلفظ ما ﴿ من ذا الذي يشفع عنده الاباذنه ﴾ أى بأمره وهذا استفهام انكاري والمعنى لا يشفع عنده أحد الابامر وأرادته وذلك لان المشركين زعموا ان الاصنام تشفع لهم فاخبرانه لاشفاعته لاحد عنده الاماستثناء بقوله الاباذنه يريد بذلك شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة بعض الانبياء والملائكة وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ يعنى ما بين أيديهم من الدنيا وما خلفهم من الآخرة وقيل بعكسه لانهم يقدمون على الآخرة ويخلفون الدنيا وراه ظهورهم وقيل يعلم ما كان قبلهم وما كان بعدهم وقيل يعلم ما قدموه بين أيديهم من خير أو شر وما خلفهم مما هم فاعلوه والمقصود من هذا أنه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شئ من أحوال جميع خلقه ﴿ ولا يحيطون بشئ من علمه ﴾ يقال أحاط بالشيء اذا علمه وهو أن يعلم وجوده وجنسه وقدره وحقيقته فاذا علمه ووقف عليه وجعه في قلبه فقد أحاط به والمراد بالعلم المعلوم والمعنى أن أحدا لا يحيط بمعلومات الله تعالى ﴿ الاباشاء ﴾ يعنى أن يطلعهم عليه وهم الانبياء والرسل ليكون ما يطلعهم عليه من علم غيبه دليلا على نبوتهم كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول ﴿ وسع كرسيه السموات والارض ﴾ يقال فلان وسع الشئ سمعة اذا احتمله وأطاقه وأمكنه القيام به وأصل الكرسى

بيان للملكوته وكبريائه وان أحدا لا يتماك ان يتكلم يوم القيامة الا اذا اذن له في الكلام وفيه رد لزعم الكفار ان الاصنام تشفع لهم (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء (ولا يحيطون بشئ من علمه) من معلومه يقال في الدعاء اللهم اغفر لنا علكم أى معلومك (الاباشاء) العلم (وسع كرسيه السموات والارض) أى علمه ومنه الكراسة تتضمنها العلم والكراسى العلماء وسمى العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسى العالم وهو كقوله تعالى ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما أو ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسى الملك أو عرشه كذا عن الحسن أو

من الخلق (من ذا الذي يشفع عنده) من أهل السموات والارض يوم القيامة (الاباذنه) بأمره (يعلم ما بين أيديهم) بين أيدي الملائكة من أمر الآخرة لمن تكون الشفاعته (وما خلفهم) من أمر الدنيا (ولا يحيطون بشئ من علمه) يقول لاتعلم الملائكة شيئا من أمر الدنيا والآخرة الا ما علمهم الله

(وسع كرسيه السموات والارض) يقول كرسيه أوسع من السموات والارض (فى)

بشلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل القلاة على تلك الحلقة أو قدرته بدليل قوله (ولا يؤده) ولا يتقله ولا يشق عليه (حفظهما)

حفظ السموات والارض (وهو العلى) في ملكه وسلطانه (العظيم) في عزه وجلاله أو العلى المتعالى عن الصفات التي لا تليق به العظيم المتصف بالصفات التي تليق به فهما جامعان لكمال التوحيد وانما ترتبت الجمل في آية الكرسي بلا حرف عطف لانهما وردت

على سبيل البيان فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وتكونه مهمينا عليه غيرسله عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياه شأنه والرابعة لاحاطته بأحوال الخلق والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها أو لجلاله وعظم قدره

وانما فصلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ماورد منه ماروى عن على رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد ومن قرأها اذا أخذ مضجعه

(ولا يؤده حفظهما) لا يتقل

الى الكرسي وهو الملبد ﴿ ولا يؤده ﴾ أى ولا يتقله مأخوذ من الأود وهو الاعوجاج ﴿ حفظهما ﴾ أى حفظ السموات والارض فحذف الفاعل واذن المصدر الى المفعول ﴿ وهو العلى ﴾ المتعالى عن الانداد والاشباه ﴿ العظيم ﴾ المستحق بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الآية مشتقة على أمهات المسائل الالهية فانها دالة على انه سبحانه وتعالى موجود واحد فى الالهية متصف بالحياة واجب الوجود لذاته موجود لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرا عن التغير والفتور ليناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذى لا يشفع عنده الا من أذن له عالم

فى اللغة من تركب الشئ بعضه على بعض ومنه الكراسية لتركب بعض أوراقها على بعض والكرسى فى العرف اسم لما يقعد عليه سمي به لتركب خشباته بعضها على بعض واختلّفوا فى المراد بالكرسى هنا على أربعة أقوال: أحدها ان الكرسي هو العرش نفسه قال الحسن لان العرش والكرسي اسم للسرير الذى يصح التمكن عليه القول الثانى ان الكرسي غير العرش وهو أمامه وهو فوق السموات السبع ودون العرش قال السدى ان السموات والارض فى جوف الكرسي كحلقة ملقاة فى فلاة والكرسي فى جنب العرش كحلقة فى فلاة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان السموات السبع فى الكرسي كدراهم سبعة ألقيت فى ترس وقيل ان كل قائمة من قوائم الكرسي طولها مثل السموات والارض وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي أربعة أملاك لكل ملك أربعة وجوه وأقدامهم على الضحرة التي تحت الارض السابعة السفلى ملك على صورة أى البشر آدم وهو يسأل الرزق والمطر لبني آدم من السنة الى السنة وملك على صورة النسر وهو يسأل الرزق للطير من السنة الى السنة وملك على صورة الثور وهو يسأل الرزق للانعام من السنة الى السنة وملك على صورة السبع وهو يسأل الرزق للوحوش من السنة الى السنة وفى بعض الاخبار ان بين حجلة العرش وحجلة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا ذلك لاحترقت حجلة الكرسي من نور حجلة العرش القول الثالث ان الكرسي هو الاسم الاعظم لان العلم يعتمد عليه كان الكرسي يعتمد عليه قال ابن عباس رضى الله عنهما كرسيه علمه القول الرابع المراد بالكرسي الملك والسلطان والقدرة لان الكرسي موضع الملك والسلطان فلا يبعد أن يكنى عن الملك بالكرسي على سبيل المجاز ﴿ ولا يؤده ﴾ أى لا يتقله ولا يجهد ولا يشق عليه ﴿ حفظهما ﴾ أى حفظ السموات والارض ﴿ وهو العلى ﴾ أى الرفيع فوق خلقه الذى ليس فوقه شئ فيما يجب له أن يوصف به من معانى الجلال والكمال فهو العلى بالاطلاق المتعالى عن الاشباه والانداد والاضداد وقيل العلى بالملك والسلطنة والقهر فلا أعلى منه أحد وقيل معنى العلو فى صفة الله تعالى منقول الى اقتداره وقهره واستحقاق صفات المدح جميعها على كل وجه وقيل معناه أنه يعلو ان يحيط به وصف الواسفين ﴿ العظيم ﴾ يعنى أنه ذو العظمة والكبرياء الذى لا شئ أعظم منه وقال ابن عباس العظيم الذى قد كمل فى عظيمته وقيل العظيم هو ذو العظمة

عليه حفظ العرش والكرسي بغير الملائكة (وهو العلى) أعلى من كل شئ (العظيم) أعظم من كل شئ

آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والايات التي حوله وقال عليه السلام سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد
الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن
البقرة وسيد البقرة آية الكرسي { الجزء الثالث } وقال ما قرئت هذه الآية ﴿ ٤٠٠ ﴾ في دار الاهجرتما الشياطين ثلاثين

الاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئها واسع الملك والقدرة كل ما يصح أن
يملك ويقدر عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شأن متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط
به فهم ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام أن أعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها
بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال من
قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا
يواظب عليها الا الصديق أو العابد ومن قرأها اذا أخذ من مضجعه آمنه الله على نفسه
وجاره وجار جاره والايات حوله ﴿ لا اكراه في الدين ﴾ اذ الاكراه في الحقيقة
الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن ﴿ قد تبين الرشد من الغي ﴾

والجلال والكمال وهو في صفة الله تعالى ينصرف الى عظم الشأن وجلالة القدر دون العظم
الذي هو من نعوت الاجسام ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ لا اكراه في الدين ﴾ سبب نزول
هذه الآية فيما يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت المرأة من الانصار
تكون مقلاتا وهي التي لا يعيى لها ولد فكانت تنذر لئن عاش لها ولد تهودنه
فاذا عاش جعلته في اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما أجليت بنوا النضير
كان فيهم عدد من أولاد الانصار فأردت الانصار استردادهم وقالوا هم أبناءنا
واخواننا فنزلت الآية لا اكراه في الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
خير أصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فأجلوهم معهم وقيل كان لرجل من
الانصار من بنى سالم بن عوف يقال له أبو الحصين ابنان متصهران قبل بعث النبي
صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الزيت فلزمهما أبوهما وقال
لا أدعكما حتى تسلما فاختموا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أيدخل
بعض النار وأنا أنظر فانزل الله تعالى لا اكراه في الدين ففعل سيئتهما وقيل نزلت
في أهل الكتاب اذا قبلوا بذل الجزية لم يكرهوا على الاسلام وذلك ان العرب كانت
أمة أمية ولم يكن لهم كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا الاسلام أو القتل ونزل
في أهل الكتاب لا اكراه في الدين يعني اذا قبلوا الجزية فن أعطى الجزية منهم
لم يكره على الاسلام فعلى هذا القول تكون الآية محكمة ليست بمنسوخة وقيل بل
الآية منسوخة وكان ذلك في ابتداء الاسلام قبل ان يؤمروا بالقتال ثم نسخت بآية
القتال وهو قول ابن مسعود وقال الزهري سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى
لا اكراه في الدين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشرين لا يكره أحدا
في الدين فأبى المشركون الا ان يقاتلوه فاستأذن الله في قتالهم فأذن له ومعنى لا اكراه
في الدين أي دين الاسلام ليس فيه اكراه عليه ﴿ قد تبين الرشد من الغي ﴾ يعني

يوما ولا يدخلها ساحر
ولا ساحرة أربعين ليلة
وقال من قرأ آية الكرسي
عند منامه بعث اليه ملك
يمحسه حتى يصبح وقال
من قرأ هاتين الآيتين
حين يمسي حفظ بهما حتى
يصبح وان قرأهما حين
يصبح حفظ بهما حتى يمسي
آية الكرسي وأول حم المؤمن
الى اليه المصير لاشتمالهما
على توحيد الله تعالى وتعظيمه
وتمجيدته وصفاته العظمى
ولا مذكور أعظم من
رب العزة فما كان ذكرا له
كان أفضل من سائر الذاكر
وبه يعلم ان اشرف العلوم
علم التوحيد (لا اكراه في
الدين) أي لا اجبار على
الدين الحق وهو دين
الاسلام وقيل هو اخبار
في معنى النبي وروى أنه
كان لانصارى ابنان فتصرا
فلزمهما أبوهما وقال والله
لا أدعكما حتى تسلما فأبيا
فاختما الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال
الانصارى يارسول الله
أيدخل بعضى في النار
وأنا أنظر فنزلت فخلاهما
قال ابن مسعود وجاعة

كان هذا في الابتداء ثم نسخ بالامر بالقتال (قد تبين الرشد من الغي) قد تبين الايمان من الكفر بالدلائل (طهر)

شىء (لا اكراه في الدين) لا يكره أحد على التوحيد من أهل الكتاب والمجوس بعد اسلام العرب (قد تبين الرشد
من الغي) الايمان من الكفر والحق من الباطل

الواخحة (فن يكفر بالطاغوت) بالشیطان أو الاصنام (ويؤمن بالله فقد استمسك) تمسك (بالعروة) أى المعتصم والمتعلق (الوثقى) تأنيث الاوثق أى الاشد ﴿٤٠١﴾ من الحبل الوثيق {سورة البقرة} المحكم المأمون (لانفصام

لها) لانقطاع للعروة وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر اليه بعينه فيحكم باعتقاده والمعنى فقد عقد لنفسه من الدين عقدا وثقالاته شبهة (والله سميع) لاقراءة (عليم) باعتقاده (الله ولى الذين آمنوا) أرادوا أن يؤمنوا أى ناصرهم ومتولى أمورهم (يخرجهم من الظلمات) من ظلمات الكفر والضلالة وجمعت لاختلافها (الى النور) الى الايمان والهداية ووحده

الباطل ثم نزلت في مندرين ساوى التميمي (فن يكفر بالطاغوت) بأمر الشيطان وعبادة الاصنام (ويؤمن بالله) وبما جاء منه (فقد استمسك بالعروة الوثقى) فقد أخذ بالثقة بلا الله (لانفصام لها) لانقطاع لها ولا زوال ولا هلاك ويقال لانقطاع لصاحبها عن نعيم الجنة ولا زوال عن الجنة ولا هلاك بالبقاء في النار (والله سميع) لهذه المقالة (عليم) بثوابها ونعيمها (الله ولى الذين آمنوا) حافظ وناصر الذين آمنوا يعنى عبدالله

تميز الايمان من الكفر بالآيات الواخحة ودلت الدلائل على أن الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية والعاقلة متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يتحجج الى الاكراه والالغاء وقيل اخبار بمعنى النهي أى لانكروها في الدين وهو امام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم أو خاص بأهل الكتاب لما روى ان أنصاريا كان له ابنان تنصروا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لأدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يارسول الله أيدخل بعضى النار وأنا انظر اليه فنزلت فخلاهما ﴿فن يكفر بالطاغوت﴾ بالشیطان أو الاصنام أو كل ما عبد من دون الله أو صد عن عبادة الله تعالى فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه ﴿ويؤمن بالله﴾ بالتوحيد وتصديق الرسل ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهى مستعارة لمتسك الحق من النظر الصحيح والرأى القويم ﴿لانفصام لها﴾ لانقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرتة ﴿والله سميع﴾ بالاقوال ﴿عليم﴾ بالنيات ولعله تهديد على النفاق ﴿الله ولى الذين آمنوا﴾ محبهم أو متولى أمورهم والمراد بهم من أراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن ﴿يخرجهم﴾ بهدائته وتوفيقه ﴿من الظلمات﴾ ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوسوس والشبه المؤدية الى الكفر ﴿الى النور﴾ الى

ظهر ووضع وتميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الآيات والبراهين الدالة على صحته ﴿فن يكفر بالطاغوت﴾ يعنى الشيطان وقيل هو الساحر والكاهن وقيل هو كل ما يطنى الانسان فهو طاغوت فاعول من الطغيان ﴿ويؤمن بالله﴾ أى ويصدق بالله أنه ربه ومعبوده من دون كل شىء كان يعبده وفيه اشارة الى أنه لا بد للكافر أن يتوب أو لاعن الكفر ويتبرأ منه ثم يؤمن بعد ذلك بالله فمن فعل ذلك صح ايمانه وهو قوله تعالى ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ أى فقد تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم فى الدين والوثقى تأنيث الاوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذى يوصل الى رضا الله تعالى وهو دين الاسلام ﴿لانفصام لها﴾ أى لانقطاع لها حتى تؤديه الى الجنة والمعنى ان المتمسك بالدين الصحيح الذى هو دين الاسلام كالمتمسك بالشىء الوثيق الذى لا يمكن كسره ولا انقطاعه ﴿والله سميع﴾ يعنى أنه تعالى يسمع قول من كفر بالطاغوت وأنى بالشهادتين ﴿عليم﴾ بما فى قلبه من الايمان وقيل معناه سميع لدعائك أيهم الى الاسلام عليم بحرصك على أسلامهم ﴿قوله عز وجل﴾ الله ولى الذين آمنوا ﴿أى ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم ومتولى أمورهم فلا يكلمهم الى غيره وقيل هو متولى هدايتهم ﴿يخرجهم من الظلمات الى النور﴾ أى من الكفر الى الايمان وكل ما فى القرآن

ابن سلام وأصحابه (يخرجهم من الظلمات) (قاوخوا ٥١ ل) الى النور) فقد أخرجهم ووقفهم حتى خرجوا من الكفر

لاتحاد الايمان (والذين كفروا) مبتدأ والجملة وهى (أولياؤهم الطاغوت) خبره (يخرجونهم من النور الى الظلمات) وجعل لان الطاغوت فى معنى الجمع يعنى {الجزء الثالث} والذين صموا على ﴿٤٠٢﴾ الكفر أمرهم على عكس ذلك أو الله ولى المؤمنين

يخرجهم من الشبهة فى الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوقفهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا أولياؤهم الشيطان يخرجهم من نور اليقان الذى يظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ثم أعجب نبيه عليه السلام وسلاة بمجادلة إبراهيم عليه السلام عمرود الذى كان يدعى الربوبية بقوله (ألم ترالى الذى حاج إبراهيم فى ربه) فى معارضته ربوبية ربه والمها فى ربه يرجع الى إبراهيم أو الى الذى حاج فهو ربهما (ان آتاه الله الملك) لان آتاه الله يعنى ان آتاه الملك أبطره واورثه الكبر فحاج لذلك وهو دليل على المعتزلة فى الاصلح أوحاج وقت ان آتاه الله

الى الايمان (والذين كفروا) يعنى كعب بن الاشرف وأصحابه (أولياؤهم الطاغوت) الشيطان (يخرجونهم من النور الى الظلمات) يدعوهم من الايمان الى الكفر (أولئك أصحاب النار) أهل النار (هم فيها خالدون) لا يموتون ولا يخرجون منها أبدا (ألم تر) ألم تخبر (الى الذى) عن

الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بمدخبر أو حال من المستكن فى الخبر أو من الموصل أو منهما أو استئناف مبين أو مقرر للولاية ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت﴾ أى الشياطين أو المضلات من الهوى والشياطين وغيرهما ﴿يخرجونهم من النور الى الظلمات﴾ من النور الذى منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك فى الشهوات أو من نور اليقان الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت فى قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار السبب لا يابى تعلق قدرته تعالى وارادته به ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم ﴿ألم ترالى الذى حاج إبراهيم فى ربه﴾ تعجب من محاجة عمرود وحاقته ﴿أن آتاه الله الملك﴾ لان آتاه أى أبطره ابنه الملك وحله على المحاجة أوحاج لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك عاديتى لانى أحسنت اليك أو وقت أن آتاه الله الملك وهو حجة على من منع آتاه الله الملك الكافر

من ذكر الظلمات والنور فالمراد به الكفر والايمان غير الذى فى سورة الانعام وهو قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فالمراد به الليل والنهار وانما سمي الكفر ظلمة لالتباس طريقه ولان الظلمة تحجب الابصار عن ادراك الحقائق فكذلك الكفر يحجب القلوب عن ادراك حقائق الايمان وسمى الاسلام نورا لوضوح طريقه وبيان أدلته ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت﴾ يعنى كعب بن الاشرف وحي بن أخطب وسائر رؤس الضلالة ﴿يخرجونهم من النور الى الظلمات﴾ أى من الهدى الى الضلالة فان قلت كيف قال يخرجونهم من النور الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا فى نور قطه قالت هم اليهود كانوا موقنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته قبل أن يبعث لما يجحدون فى كتبهم من نعمته وصفته فلما بعث كفروا به وجمحدوا نبوته وقيل هو على العموم فى حق جميع الكفار سمي منع الطاغوت أيهم عن الدخول فيه اخراجا من الايمان بمعنى صدهم الطاغوت عنه وحرهم خيره وان لم يكونوا دخلوا فيه قط فهو كقول الرجل لا يبداً خرجتني عن مالك اذا أوصى به لغيره فى حياته وحرمه منه وكقول الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه الصلاة والسلام انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن قط فى ملتهم ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ يعنى الكفار والطاغوت أهل النار الذين يجحدون فيها دون غيرهم ﴿قوله عز وجل﴾ ألم ترالى الذى حاج إبراهيم فى ربه ﴿يعنى هل انتهى اليك يا محمد خبر الذى خاصم إبراهيم وجادله لان ألم تر كلمة يوقف بها المخاطب على تعجب منها ولفظها استفهام فهو كما يقال ألم ترالى فلان كيف يصنع معناه هل رأيت فلانا فى صنمه الذى حاج إبراهيم هو عمرود بن كعبان الجبار وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر فى الارض وادعى الربوبية ﴿أن آتاه الله الملك﴾ أى لان آتاه الله الملك فطنى وتجبر بسببه وكانت تلك المحاجة من بطر الملك وطفيانه قال مجاهد ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسلمان بن دواد وذو القرنين

الذى (حاج) خاصم (إبراهيم فى ربه) فى دين ربه (أن آتاه الله الملك) أعطاه وهو عمرود بن كعبان (وأما)

الملك (اذ قال) نصب بحاج أوبلك من أن آناه اذا جعل بمعنى الوقت (ابراهيم ربي) حزة (الذي يحيي ويميت) كأنه قاله
من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت ﴿٤٠٣﴾ (قال) نمرود (أنا أحيي {سورة البقرة} وأميت) يريد أعفو

عن القتل وأقتل فانقطع
العين بهذا عن المحاصمة
فزاد ابراهيم عليه الصلاة
والسلام ما لا يتأتى فيه
التليس على الضعفة حيث
(قال ابراهيم) عليه السلام
(فأن الله يأتي بالشمس
من المشرق فأت بها من
المغرب) وهذا ليس بانتقال
من حجة الى حجة كما زعم
البعض لان الحجة الاولى
كانت لازمة ولكن لما عاند
العين حجة الاحياء بتخلية
واحد وقتل آخر كره من
وجه لا يعاند وكانوا أهل
تنجيم وحركة الكواكب
من المغرب الى المشرق
معلومة لهم والحركة
الشرقية المحسوسة لنا
قسرية كتجريك الماء
النمل على الرحي الى غير
جهة حركة التل فقال ان

(اذ قال ابراهيم ربي الذي
يحيي ويميت) يحيي ويميت
ويعت في الدنيا (قال أنا
أحيي وأميت قال ابراهيم)
له أثنى بيان ذلك قال فأتى
برجلين من السجن فقتل
واحد وترك واحدا وقال
هذا بيان ذلك قال ابراهيم
(فأن الله يأتي بالشمس

من المعتزلة ﴿٤٠٣﴾ اذ قال ابراهيم ﴿ظرف لحاج أوبلك من أن آناه الله على الوجه الثاني
﴿٤٠٣﴾ ربي الذي يحيي ويميت ﴿يخلق الحياة والموت في الاجساد﴾ وقرأ حزة رب
بجذف الياء ﴿قال أنا أحيي وأميت﴾ بالعفو عن القتل والقتل ﴿وقرأ أنا بالالف
﴿قال ابراهيم﴾ فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ﴿أعرض ابراهيم

وأما الكافران فتمردوا واختلّفوا في وقت هذه الحاجة فقبل لما كسر ابراهيم
الاصنام سبحه نمرود ثم أخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعوننا اليه قال ابراهيم
ربي الذي يحيي ويميت وقيل كان هذا بعد ألقائه في النار وذلك ان الناس قحطوا
على عهد نمرود وكان الناس يتارون من عنده الطعام فكان اذا آناه أحد يتار سأل
من ربك فيقول أنت فيميره فخرج ابراهيم عليه الصلاة والسلام اليه يتار لاهله الطعام
فآناه فقال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم
فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر ففرده بغير طعام
فرجع ابراهيم الى أهله فرم على كتيب رمل أعفر فأخذ منه تطيبا لقلوب أهله اذا
دخل عليهم فلما أتى أهله وضع متاعه ثم نام فقامت زوجته سارة الى رحله ففتحت فاذا
هو طعام أجرد مارآه أحد فصنعت منه خبزا فلما أتته قربته اليه فقال لها ابراهيم
من أين هذا وكان عهد أهله وليس عندهم طعام فقالت من الطعام الذي جئت به
فلم ابراهيم ان الله قدر زقه فحمد الله تعالى ثم ان الله تعالى بعث الى نمرود الجبار
ملكا فقال له ان ربك يقول لك أن آمن بي وأتركك في ملكك قال وهل رب
غيري فجاء الثانية فقال له مثل ذلك ثم آناه الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له
الملك اجع جوعك فجمع الجبار جوعه فأمر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض
حتى سترت الشمس فلم يروها فبعثها الله عليهم فاكلت لحومهم وشربت دماءهم
فلم يبق الا العظام ونمرود ينظر ولم يصبه شيء من ذلك ثم بعث الله عليه بعوضة
قد خلت في منخره فكثت في رسه أربعمئة سنة يضرب رأسه بالمطارق وكان أرحم
الناس به من يجمع له يديه ثم يضرب بهما رأسه فكان كذلك يعذب أربعمئة سنة
مدة ملكه حتى أماته الله عز وجل ﴿٤٠٣﴾ اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت ﴿هذا
جواب سؤال غير مذكور تقديره قاله نمرود من ربك قال ابراهيم ربي الذي يحيي
ويميت ﴿قال ﴿يعني قال نمرود ﴿أنا أحيي وأميت ﴿قال أكثر المفسرين دعاء نمرود
برجلين فقتل أحدهما واستحي الآخر فجعل ترك القتل احياء فانتقل ابراهيم صلى الله عليه
وسلم الى حجة أخرى لا يعجزا عن نصر حجته الاولى فانها كانت لازمة لانه أراد بالاحياء
احياء الميت فكان لابراهيم أن يقول لنمرود فاحي من أمت ان كنت صادقاً ولكن انتقل الى
حجة أخرى أوضح من الاولى لما رأى من قصور فهم نمرود وضعف رأيه فأنه عارض الفعل
بمثله ونسى اختلاف الفعلين ﴿قال ابراهيم﴾ فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب

من المشرق) من نحو المشرق (فأت بها من المغرب) من نحو المغرب

ربى يجرى الشمس قسرا على غير حركتها فان كنت ربا فحركها بحركتها فهو أهون (فهت الذى كفر) تحير ودهش (والله لا يهدى القوم الظالمين) أى لا يوفقهم وقالوا انما لم يقل نمرود فليات ربك بالشمس من المغرب لان الله تعالى صرفه عنه وقيل انه كان يدعى الربوبية لنفسه وما كان يعترف بالربوبية لغيره ومعنى قوله أنا أحيى وأميت أن الذى ينسب اليه الاحياء والاماتة { الجزء الثالث } أنا لا غيرى والآية ﴿ ٤٠٤ ﴾ تدل على اباحة التكلم فى علم الكلام

عليه الصلاة والسلام عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التويه دفعا للمشاغبة وهو فى الحقيقة عدول عن مثال خفى الى مثال جلى من مقدوراته التى يعجز عن الاتيان بها غيره لاعتن حجة الى أخرى ولعل نمرود زعم أنه يقدر أن يفعل كل جنس يفعل الله فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحقته أو اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم عليه الصلاة والسلام الاصنام سبحه أياما ثم أخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذى تدعو اليه وحاجه فيه ﴿ فهت الذى كفر ﴾ فصار مبهوتا * وقرئ فهت أى فغلب ابراهيم الكافر ﴿ والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ الذين ظلوا أنفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهدىهم حجة الاحتجاج أو سبيل النجاة أو طريق الجنة يوم القيامة ﴿ أو كالذى مر على قرية ﴾ تقديره أو رأيت مثل الذى فخذف لدلالة ألم تر الى الذى حاج عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من أن يخصى بخلاف مدعى الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام ألم تر الى الذى حاج أو الذى مر وقيل

فهت الذى كفر ﴿ يعنى تحير نمرود ودهش وانقطعت حجته ولم يرجع اليه شيئا وعرف أنه لا يطيق ذلك * فان قلت كيف بهت الذى كفر وكان يمكنه أن يقول ل ابراهيم سل أنت ربك حتى يأتى بهما من المغرب * قلت انما لم يقله لانه خاف انه لو سأل ذلك دعاء ابراهيم ربه فكان ذلك زيادة فى فضيحة نمرود وانقطاعه وقيل ان الله تعالى صرفه عن تلك المعارضة اظهارا للحجة عليه ومعجزة ل ابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح ﴿ والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ يعنى لا يرشدهم الى حجة يدحضون بها حجج أهل الحق عند الحاجة والمخاصمة وعنى بالظالمين نمرود ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ أو كالذى مر على قرية ﴾ هذه معطوفة على الآية التى قبلها والمعنى ألم تر الى الذى حاج ابراهيم أو كالذى مر على قرية فيكون هذا عظفا على المعنى وقيل تقديره هل رأيت كالذى حاج ابراهيم وهل رأيت كالذى مر على قرية وقيل الكاف زائدة والتقدير ألم تر الى الذى حاج ابراهيم أو الى الذى مر على قرية * واختلفوا فى ذلك المار فروى عن مجاهد أنه كان كافرا اشك فى البعث وهذا قول ضعيف لقوله تعالى قال كم لبثت والله تعالى لا يخاطب الكافر ولقوله تعالى ولنجعلك آية للناس وهذا اللفظ لا يستعمل فى حق الكافر وانما يستعمل فى حق الانبياء وقال قتادة وعكرمة والضحاك والسدى هو عزير بن

والمناظرة فيه لانه قال ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه والحاجة تكون بين اثنين فدل على ان ابراهيم حاجه أيضا ولو لم يكن مباحا لما باشرها ابراهيم عليه الصلاة والسلام لكون الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومين عن ارتكاب الحرام ولانا أمرنا بدعاء الكفرة الى الايمان بالله وتوحيدِه واذا دعوناهم الى ذلك لا بد ان يطلبوا منا الدليل على ذلك وذلك لا يكون الا بعد المناظرة كذا فى شرح التأويلات (أو كالذى مر) معناه أو رأيت مثل الذى فخذف لدلالة ألم تر عليه لان كليهما كلمة تعجب أو هو محمول على المعنى دون اللفظ تقديره رأيت كالذى حاج ابراهيم أو كالذى مر وقال صاحب الكشف فيه الكاف زائدة والذى عطف على قوله الى الذى حاج عن الحسن ان المار كان كافرا بالبعث لان نظامه مع نمرود فى سلكه للكلمة الاستبعاد التى هى أنى يحيى

والاكثر أنه عزير أراد أن يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم عليه الصلاة والسلام وأنى يحيى (شرحيا) اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيى (على قرية) هى بيت المقدس حين خربه بمختصر وهى التى (فهت الذى كفر) خصم وقسم الذى كفر أى سكت بغير الحجة (والله لا يهدى) الى الحجة (القوم الظالمين) الكافرين يعنى نمرود (أو كالذى مر على قرية) يقول والى الذى مر على قرية تسمى دير هرقل وهو عزير بن شرحيا مر على قرية

انه عطف محمول على المعنى كأنه قيل ألم تر كالأذى حاج أو كالأذى مر وقيل أنه من كلام إبراهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره أو أن كنت تحيي فأحيى كاحياء الله تعالى الذي مر على قرية وهو عن ابن شريك الخضر أو كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع عمروذ والقرية بيت المقدس حين خربه بختصر التي أهلك الله أهلها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف وقيل القرية التي خرج منها الألوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القرى وهو الجمع وهو خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها ﴿قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها﴾ اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحي أن كان القائل مؤمنا واستبعادا أن كان كافرا وأنى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى أو على الحال بمعنى كيف

شرح خراج منها الألوف (وهي خاوية على عروشها) ساقطة مع سقوفها أو سقطت السقوف ثم سقطت عليها الشيطان وكل مرتفع عرش (قال أنى يحيى) أى كيف (هذه) أى أهل هذه (الله بعد موتها)

(وهي خاوية) ساقطة (على عروشها) على سقوفها (قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها) يقول كيف يحيى الله أهل هذه القرية بعد موتهم

شرح خاوية على عروشها وهو الخضر ومقصود القصة تعريف منكرى البعث قدرة الله تعالى على احياء خلقه بعد اماتهم لان تعريف اسم ذلك المار على القرية فخاير أن يكون ذلك المار هو عزير وجايز أن يكون ارميا وفي هذه القصة دلالة عظيمة بنوثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه أخبر اليهود بما يجدونه في كتبهم ويعرفونه وهو أى لم يقرأ الكتب القديمة واختلفوا في تلك القرية فقيل هي بيت المقدس وذلك لما خربها بختصر والمراد بالاحياء هنا عمارتها وقيل هي القرية التي أهلك الله أهلها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف وقيل هي دير سابرا باد وقيل سلما باد وقيل هي دير هرقل وقيل قرية الغنبي هي على فرسخين من بيت المقدس وقوله هي دير سابرا باد موضع كان بفارس و سلما باد محلة أو قرية من نواحي جرجان وقيل أيضا من نواحي همدان ودير هرقل بكسر أوله وراء ساكنة وقاف مكسورة دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم وقيل هو موضع الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف فأما الله تعالى ثم أحياهم لحزقيل كما تقدم ويقال ان المراد بقوله تعالى أو كالأذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها هي التي عندها احيى الله جار عزير ﴿وهي خاوية على عروشها﴾ أى ساقطة على سقوفها وذلك ان السقوف سقطت أولاً ثم وقعت الشيطان عليها بعد ذلك ﴿قال﴾ يعنى ذلك المار ﴿أنى يحيى هذه الله بعد موتها﴾ فن قال ان ذلك المار كان كافرا وهو ضعيف انما حمله على الشك في قدرة الله ومن قال كان نبيا حمله على سبيل الاستبعاد بحسب مجازى العرف والعادة لاعلى سبيل الانكار لقدرة الله تعالى أو كان المقصود منه طلب زيادة الدلائل لاجل التأكيد كما قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام رب أرنى كيف تحيي الموتى ومعنى أنى يحيى هذه الله من أين يحيى هذه القرية والمراد بالاحياء عمارتها فاحب الله ان يريه آية في نفسه وفي احياء تلك القرية وكان سبب القصة في ذلك ما روى عن وهب بن منبه ان الله تعالى بعث ارميا الى ناشية بن أموص ملك بنى اسرائيل ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى فعظمت الاحداث في بنى اسرائيل وركبوا المعاصي فأوحى الله تعالى الى ارميا ان ذكر قومك نعمى عليهم وعرفهم أحداثهم وادعهم الى فقال ارميا يارب =

= انى ضعيف ان لم تقوى عاجزان لم تبلغنى مخذول ان لم تنصرنى فقال الله تعالى انى الهمك
 فقام ارميا فبهم ولم يدر ما يقول فالحمد لله تعالى فى الوقت خطبة بليغة طويلة بين
 لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال فى آخرها عن الله عز وجل انى أحلف
 بعزتى لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحكيم ولاسلطن عليهم جبارا فارسيا ألبسه الهيبة
 وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله تعالى اليه انى
 مهلك بنى اسرائيل بيافث ويافث هم أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارميا
 ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فلما رأى الله تضرعه وبكاه ناداه
 يا ارميا أشق عليك ما أوحيت اليك قال نعم يارب أهلكنى قبل أن أرى فى بنى اسرائيل
 ما لأسره فقال الله عز وجل وعزتى وجلالى لأهلك بنى اسرائيل حتى يكون الامر فى
 ذلك من قبلك ففرح ارميا بذلك وطابت نفسه وقال لاوالذى بعث موسى بالحق لأرضى
 بهلاك بنى اسرائيل ثم أتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال
 ان يعذبنا ربنا فيذنبونا وان يعف عنا فبرحمته ثم انهم مكثوا بعد ذلك الوحي ثلاث
 سنين لم يذدادوا الامعصية وتعاديا فى الشر فقل الوحي وذلك حين اقرب هلاكهم
 فدعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختصر البابلى فخرج فى
 ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل سائرا وأتى الخبر الى ملك بنى
 اسرائيل قال لا ارميا أين مازعت ان الله تعالى أوحى اليك فقال ارميا ان الله
 لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الاجل بعث الله تعالى الى ارميا ملكا قد تمثل له
 فى صورة رجل من بنى اسرائيل فقال له ارميا من أنت قال أنا رجل من بنى اسرائيل
 أتيتك استفتيك فى أهل رحى وصلت أرحامهم ولم آت اليهم الاحسن ولا يزيدهم
 اكراى أياهم الا سخطالى فافتنى فيهم فقال ارميا أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم
 وأبشر بخير فانصرف الملك فكث أياما ثم أقبل اليه فى صورة ذلك الرجل فقعده بين
 يديه فقال له ارميا من أنت قال أنا الرجل الذى أتيتك أستفتيك فى شأن أهلى فقال له
 ارميا اما طهرت اخلاقهم بعد ذلك فيهم فقال يابى الله والذى بعثك بالحق نبيا ما أعلم
 كرامة يأتيا أحد من الناس الى رحه الا قدمتها اليهم وأفضل فقال ارميا أرجع
 اليهم فاحسن اليهم اسأل الله الذى يصلح عباده الصالحين ان يصلحهم فقام الملك
 فكث أياما ثم ان بختصر نزل بجنوده بيت المقدس ففرع منهم بنو اسرائيل فقال
 ملكهم لا ارميا يابى الله أين ما وعدك الله فقال انى بربى واثق ثم أقبل ذلك الملك
 الى ارميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذى وعده
 فقعده بين يديه فقال له ارميا من أنت قال أنا الذى جئت فى شأن أهلى مرتين فقال
 ارميا أما آن لهم ان يفيقوا من الذى هم فيه فقال الملك يابى الله ان كل شئ كان
 يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه فاليوم رأيتهم على عمل لا يرضى الله تعالى
 فقال له ارميا على أى عمل رأيتهم قال على عمل عظيم يسخط الله تعالى فغضبت لله
 عز وجل فاتيتك لاخبرك وأنا أسألك بالله الذى بعثك بالحق أن تدعوا الله عليهم =

(لهلكوا)

= ليهلكوا فقال ارمياء ثم يامالك السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ان كانوا على حق وصواب فأبقهم وان كانوا على عمل لا ترضاه فاهلكهم فاخرجت الكلمة من فيه حتى أرسل الله عز وجل صاعقة من السماء على بيت المقدس فالتهب مكان القربان وأحرقت سبعة أبواب من أبوابه فلما رأى ذلك ارمياء صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه وقال يامالك السموات والارض أين ميعادك الذي وعدتني به فنودى انهم لم يصبهم ما أصابهم الا بفتياك ودعائك عليهم فاستيقن ارمياء انها فتياه وان ذلك السائل كان رسولا من الله تعالى اليه فخرج ارمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ووطىء الشام وقتل بنى اسرائيل حتى أفناهم وخرّب بيت المقدس وأمر جنوده ان يعلأ كل رجل منهم ترسه ترابا ويقذفه في بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملؤه ثم أمرهم أن يجمعوا من كان بقي في بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده من كان بقي من بنى اسرائيل من صغير وكبير فاختر منهم سبعين ألف صبي فقسّمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم أربعة غلّة وكان في أولئك الغلمان دانيال عليه السلام وحنانيا وعزير ورفوق من بقي من بنى اسرائيل ثلاث فرق فنلثا قتلهم وثلثا سباهم وثلثا أقرهم بالشام فكانت هذه الواقعة الاولى التي أنزلها الله بنى اسرائيل بظلمهم فلما ولي بختنصر راجعا الى بابل ومعه سببا بنى اسرائيل أقبل ارمياء على حجاره ومعه عصير عنب في ركوة وسلّة تين حتى غشى ايليا وهي أرض بيت المقدس فلما رأى خرابها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها * ومن قال ان المار كان عزيزا قال ان بختنصر لما خرب بيت المقدس قدم بسببا بنى اسرائيل وكان فيهم عزير ودانيال وسبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار حتى نزل دير هرقل على شط دجلة فطاف بالقريبة فلم ير أحدا وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجمل فضل الفاكهة في سلّة وفضل العصير في زق ولما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها وانما قال ذلك تعبجا لاشكا في البعث * ورجعنا الى حديث وهب قال ثم ان ارمياء ربط حماره بجبل جديد وألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح فمات مائة عام وأمات حماره وبقي عصيره وتينه عنده وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحى ومنع لحمه من السباع والطيور فلما مضى من وقت موته مدة سبعين سنة أرسل الله تعالى ملكا الى ملك من ملوك فارس يقال له يوشك وقال له ان الله يأمرك ان تنفر بقومك فتحمر بيت المقدس وايليا حتى يعود أعمر ما كان فأنتدب الملك الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونه وأهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت في دماغه ونجى الله من بقي من بنى اسرائيل وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا كاحسن ما كانوا فلما مضت المائة أحيى الله منه عينيه وسأثر جسده ميت ثم أحيى الله جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه تلوح بيض متفرقة فسمع صوتا من السماء أيتها العظام البالية ان الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض

فأما لله مائة عام ثم بعثه (أى أحياه) قال له ملك (كم لبثت قال لبثت يوماً وبعض يوم) بناء على الظن وفيه دليل جواز الاجتهاد روى انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوماً ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو { الجزء الثالث } بعض يوم (قال بل لبثت مائة) ٤٠٨ عام فانظر الى طعامك وشرابك) روى

﴿ فأما لله مائة عام ﴾ فالبته ميتا مائة عام أو أماته الله فلبث ميتا مائة عام ﴿ ثم بعثه ﴾ بالاحياء ﴿ قال كم لبثت ﴾ القائل هو الله وساغ أن يكلمه وأن كان كافرا لانه آمن بعد البعث أو شارف الايمان وقيل ملك أو نبي ﴿ قال لبثت يوماً أو بعض يوم ﴾ كقول الظان وقل أنه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوماً ثم التفت فرأى بقية منها فقال أو بعض يوم على الاضراب ﴿ قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه ﴾ لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية أن قدر لام السنة هاء وهاء سكت أن قدرت وأوا وقيل اصله لم يتسن من الحما المسنون فأبدلت النون الثالثة حرف علة كتقضى البازي وانما أفرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا أو عنباً وشرابه عصيراً أولبنا وكان الكل على حاله وقرأ جزء والكسائي لم يتسن بغير الهاء في الوصل ﴿ وانظر الى حمارك ﴾ كيف تفرقت عظامه أو انظر اليه سالماً في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغيير والاول أدل على الحال وأوفق لما بعده ﴿ ولنجمك آية للناس ﴾ أى وفعلنا ذلك لنجمك آية روى أنه أتى قومه على حماره وقال ان اعزير

ان طعامه كان تينا وعنباً وشرابه عصيراً أولبنا فوجد التين والعنب كما جنينا والشراب على حاله (لم يتسنه) لم يتغير والهاء اصلية أو هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء لان الاصل سنة والفعل سانهت يقال سانهت فلان أى عامته سنة أو واو لان الاصل سنة والفعل سانيت ومعناه لم يتغيره السنون لم يتسن بحذف الهاء في الوصل وبأبائها في الوقف جزء وعلى (وانظر الى حمارك) كيف تفرقت عظامه ونحرت وكان له حمار قد ربطه فمات وتفتت عظامه أو وانظر اليه سالماً في مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات أن يعيش مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغيير (ولنجمك آية للناس) فعلنا ذلك يريد احياه بعد الموت وحفظ مامعه وقيل الواو عطف على محذوف أى لتعتبر

ثم نودى ان الله يأمرك أن تكفى لحماً وجلداً فكان كذلك ثم نودى ان الله يأمرك ان تحيي فقام الحمار بأذن الله ثم نهق وعمر الله ارمياء فهو يدور في القلوات فذلك قوله تعالى ﴿ فأما لله مائة عام ﴾ أصل العام من العوم وهو السباحة سميت السنة عاماً لان الشمس تعوم في جميع بروجها ﴿ ثم بعثه ﴾ أى ثم أحياه وأصله من بعث الناقة اذا أقمها من مكانها ﴿ قال كم لبثت ﴾ يعنى قال الله تعالى له كم قدر الزمان الذى مكثت فيه ميتا قبل أن أبعثك من مكانك حياً ويقال ان الله تعالى لما أحياه بعث اليه ملكاً فسأله كم لبثت ﴿ قال ﴾ يعنى ذلك المبعوث بعد مماته ﴿ لبثت يوماً ﴾ وذلك ان الله تعالى أماته ضحى في أول النهار وأحياه بعد مائة سنة في آخر النهار قيل ان تعيب الشمس فقال لبثت يوماً وهو يرى ان الشمس قد غابت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال ﴿ أو بعض يوم قال ﴾ يعنى قال الله له وقيل قال الملك له ﴿ بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك ﴾ يعنى التين الذى كان معه قبل موته ﴿ وشرابك ﴾ يعنى العصير ﴿ لم يتسنه ﴾ يعنى لم يتغير السنون التى أنت عليه فكان التين كأنه قد قطف من ساعته والعصير كأنه قد عصر من ساعته لم يتغير ولم يتن ﴿ وانظر الى حمارك ﴾ أى وانظر الى احياه حمارك فانظر فاذا هو عظام بيض فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض ثم كساه اللحم والجلد وأحياه وهو ينظر ﴿ ولنجمك آية للناس ﴾ قيل الواو زائدة مقحمة وقيل دخول

الواو عطف على محذوف أى لتعتبر (فأما لله) مكانه فكان ميتا (مائة عام ثم بعثه) أحياء في آخر النهار (قال)

الله (كم لبثت) مكثت يا اعزير (قال لبثت) مكثت (يوماً) ثم نظر الى الشمس وقد بقى منها شئ فقال (الواو) (أو بعض يوم قال) الله (بل لبثت) مكثت ميتا (مائة عام فانظر الى طعامك) التين والعنب (وشرابك) العصير (لم يتسنه) لم يتغير (وانظر الى حمارك) الى عظام حمارك كيف تلوح بيضاء (ولنجمك) لكى لنجمك (آية) علامة (للناس)

فكذبوه فقرا التوراة من الحفظ ولم يحفظها أحد قبله فعرّفوه بذلك وقالوا هو ابن الله
وقيل لما رجع الى منزله كان شابا وأولاد مشيوخا فاذا حدثهم بحدِيث قالوا حديث مائة سنة
﴿وانظر الى العظام﴾ يعنى عظام الحمار أو الاموات الذين تجب من احيائهم ﴿كيف
ننشرها﴾ نحييها أو نرفع بعضها على بعض وتركبه عليه وكيف منصوب بنشرها والجملة
حال من العظام أى انظر اليها بحياة * وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر ويعقوب ننشرها
من انشر الله الموتى * وقرئ ننشرها من نشر بمعنى أنشر ﴿ثم نكسوها لحما

الواو فيه دلالة على انها شرط لفعل بعدها والمعنى وفعلنا ما فعلنا من الامانة والاحياء
لنجعلك آية للناس يعنى عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله أكثر المفسرين وقيل انه عاد
الى القرية وهو شاب أسود الرأس واللحية وأولاده وأولاد أولاده شيوخ وعجائز شبط
فكان ذلك آية للناس ﴿وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما﴾ قرئ بالراء ومعناه
كيف نحييها يقال انشر الله الميت انشارا يعنى احياء * وقرئ بالزاي ومعناه كيف نرفعها
من الارض ونردها الى مكانها من الجسد وتركب بعضها على بعض وانشاز الشئ
رفعه وانزاعجه يقال نشرته فنشز أى رفعته فأرتفع * واختلفوا فى معنى الآية فقال
الاكثرون انه أراد عظام الحمار قيل ان الله تعالى احيى عزيرا أو ارمياء على اختلاف
القولين فيه ثم قال له انظر الى جارك قد هلك وبلت عظامه فنظر وبعث الله ريحا
فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل فاجتمعت فركب بعضها على بعض حتى
الكَسرة من العظم رجعت الى موضعها فصار حارا من عظام ليس عليه لحم ولا فيه دم
ثم كسا الله تلك العظام اللحم والعروق والدم فصار حارا ذالحم ودم لا روح فيه ثم بعث الله
ملكا فأقبل اليه يمشى حتى أخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه الروح فقام الحمار حيا باذن الله
تعالى ثم نهق وقيل أراد بالعظام عظام هذا الرجل نفسه وذلك ان الله تعالى اماهه ثم
بعثه ولم يمّت حماره ثم قيل له انظر الى جارك فنظر فرأى حماره حيا قائما كهيسئته يوم
ربطه لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرمة فى عنقه جديدة لم تتغير ثم قيل له
انظر الى العظام كيف ننشرها وذلك ان الله أول ما احيى منه عينيه فنظر فرأى سائر
جسده ميتا وفى الآية تقديم وتأخير تقديره وانظر الى جارك وانظر الى العظام كيف
ننشرها ولنجعلك آية للناس وعن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره من المفسرين لما
احيى الله عزيرا بعدما اماهه مائة سنة ركب حماره حتى أتى الى محلته فأنكره الناس
وأنكره هو الناس وأنكر منازلها فانطلق على وهم حتى أتى منزله فاذا بجوز عمياء مقدمة
قد أتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت أمة لهم ولما خرج عزير عنهم كانت بنت عشرين
سنة وكانت قد عرفتته وعقلته فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير فقالت نعم وبكت وقالت
مارأيت أحدا يدكر عزيرا منذ كذا وكذا فقال أنا عزير فقالت سبحان الله ان عزيرا فقدناه
من مائة سنة ولم نسمع له بذكر فقال أنى عزير أن الله تعالى امانى مائة سنة ثم احيانى فقالت أن
عزيرنا كان رجلا محباب الدعوة وكان يدعو للمريض وصاحب البلايا بالعافية فادع الله

فى احياء الموتى أنهم يحيون
على ما يموتون لانه مات
شابا وبعث شابا فيقتل جملة
عبرة للناس لانه كان ابن
أربعين سنة وابنه ابن
مائة وعشرين سنة (وانظر
الى العظام) عظام الحمار
(كيف ننشرها) نرفع
بعضها على بعض وان قرأت
بالراء يقول كيف نخلقها
(ثم نكسوها لحما) بعد ذلك
يقول نبت عليها العصب
والعروق واللحم والجلد
والشعر ونجعل فيه الروح

فلما تبين له ﴿ فاعل تبين مضمير يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له أن الله على كل شيء قدير ﴾ قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴿ فحذف الاول لدلالة الثاني عليه أو يفسره ما قبله أي فلما تبين له ما اشكل عليه وقرأ حزة والكسائي قال اعلم على الامر والامر مخاطبه أو هو نفسه خاطبها به على طريق التبكيت ﴾ وأذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ﴿ أنما سأل ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمرود أنا حيي أو أميت قال له أن أحياء الله تعالى برد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر أن يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سئل ربه أن يريه ليطمئن قلبه على الجواب أن سئل عنه مرة أخرى ﴿ قال أولم تؤمن ﴾ بأنى قادر على

أن يرد على بصرى حتى أراك فأن كنت عزيزا عرفتك فدعا ربه ومسح بيده على عينها فصحتا وأخذ بيدها وقال لها قومي بأذن الله تعالى فاطلق الله رجلا لها فقامت صحيحة فنظرت اليهود قالت أشهد أنك عزيز وانطلقت الى بنى اسرائيل وهم في أنديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانية عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فتنادت هذا عزيز قد جاء كم فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتكم فدعا على عزيز ربه فرد على بصرى وأطلق رجلى وزعم أن الله تعالى قد أماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس اليه وقال ابنه كان لابي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فنظر اليها فرآها فعرف انه عزيز وقيل لما رجع عزيز الى قريته وقد أحرق مختصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين الخلائق بكى عزيز على التوراة فاتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فثبتت التوراة في صدره فرجع الى بنى اسرائيل وقد علمه الله التوراة وبعثه نبيا فقال أنا عزيز فلم يصدقوه فقال أنى عزيز وقد بعثنى الله اليكم لاجدد لكم توراتكم قالوا فاملها علينا فاملها عليهم من ظهر قلبه فقالوا ما جعل الله التوراة في قلب رجل بعدما ذهبت الا انه ابنه فقالوا عزيز ابن الله وستأنى القصة في سورة التوبة ان شاء الله تعالى ﴿ قوله عز وجل ﴿ فلما تبين له ﴾ يعنى فلما اتضح له عيانا ما كان ينكره من احياء القرية ورآه عيانا في نفسه ﴿ قال اعلم ﴾ قرى مجزوما موصولا على الامر يعنى قال الله له اعلم وقرى أعلم على قطع الالف ورفع المهم على الخبر عن الذى قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها والمعنى فلما تبين له ورأى ذلك عيانا قال أعلم ﴿ أن الله على كل شيء قدير ﴾ يعنى الامانة والاحياء ﴿ قوله عز وجل ﴾ وأذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ﴿ اختلفوا في سبب هذا السؤال من ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقيل أنه مر على دابة مية وهى جيفة حمار وقيل بل كانت حوتا ميتا وقيل كان رجلا ميتا بساحل البحر وقيل بحر طبرية فرآها وقد توزعها دواب البحر والبر فاذا مد البحر جاءت الحيتان فاكلت منها واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلت منها فاذا ذهبت السباع جاءت الطير فاكلت منها فلما رأى ابراهيم ذلك تعجب منها وقال يارب أنى قد علمت انك تجمعها من بطون السباع وحواصل الطير وأجواف الدواب فارنى كيف تحيى لآعين ذلك فازداد يقينا فعاتبه الله تعالى ﴿ قال أولم تؤمن ﴾ يعنى أولم تصدق

(فلما تبين له) فاعله مضمير تقديره فلما تبين له أن الله على كل شيء قدير (قال أعلم أن الله على كل شيء قدير) (قال أعلم أن الله على كل شيء قدير) فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كقولهم ضربت وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه يعنى أمر احياء الموتى قال اعلم على لفظ الامر حزة وعلى أي قال الله له اعلم أو هو مخاطب نفسه (واذ قال ابراهيم رب أرني) بصرنى (كيف تحيي الموتى) موضع كيف نصب بتحيي (قال أولم تؤمن)

بعد ذلك (فلما تبين له) كيف يجمع الله عظام الموتى (قال أعلم) قد علمت (أن الله على كل شيء) من الحياة والموت (قدير واذ قال) وقد قال (ابراهيم) ايضا (رب أرني كيف تحيي الموتى) كيف يجمع عظام الموتى (قال أولم تؤمن) توقن بذلك

الاحياء باعادة التركيب والحياة قال له ذلك وقد علم انه اعرف الناس في الايمان ليحيب
بنا اجاب به فيعلم السامعون غرضه ﴿ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ أي بلى آمنت
ولكن سألت ذلك لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال

﴿ قال بلى ﴾ يارب قد علمت وآمنت ﴿ ولكن ليطمئن قلبي ﴾ أي ليسكن قلبي عند
المعاينة أراد ابراهيم عليه الصلاة والسلام أن يصير له علم اليقين عين اليقين لان الخبر ليس
كالمعاينة وقيل لما رأى الجيفة على البحر وقد تناوتها السباع والطير ودواب البحر
تفكر كيف يجمع ماتفرق من تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميت يحيه
ربه ولم يكن ابراهيم عليه الصلاة والسلام شاك في احياء الله الموتى ولادافعاله ولكنه
أحب أن يرى ذلك عيانا كما ان المؤمنين يحبون أن يروا نبهم محمدا صلى الله عليه
وسلم ويحبون رؤية الله تعالى في الجنة ويطلبونها ويسألونه في دعائهم مع الايمان بحة
ذلك وزوال الشك عنهم فكذلك أحب ابراهيم أن يصير الخبر له عيانا وقيل كان
سبب هذا السؤال من ابراهيم انه لما احتج على نمرود فقال ابراهيم ربي الذي يحيي
ويميت فقال نمرود أنا حي وأميت فقتل أحد الرجلين وأطلق الآخر فقال ابراهيم
ان الله تعالى يقصد الى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود أنت عاينته فلم يقدر ابراهيم
أن يقول نعم فانتقل الى حجة أخرى ثم سأل ابراهيم ربه ان يريه كيف يحيي الموتى
قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بقوة حتى فاذا قيل أنت عاينته فاقول نعم
وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه ان يأذنه فيبشر
ابراهيم بذلك فأذنه فأتى ابراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره وكان ابراهيم من أغبر
الناس وكان اذا خرج أعلق بابه فلما جاء وجد في الدار رجلا فثار اليه ليأخذه وقال له
من أذن لك أن تدخل داري فقال اذن لي رب الدار فقال ابراهيم صدقت وعرف
انه ملك فقال له من أنت قال أنا ملك الموت جئت أبشرك ان الله قد اتخذك خليلا
فحمد الله عز وجل وقال له ماعلامه ذلك قال ان يحيب الله دعائك ويحيي الموتى
بسؤالك فحينئذ قال ابراهيم رب أرني كيف يحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي بانك اتخذتني خليلا وتجيبي اذا دعوتك وتعطيني اذا سألتك (ق) عن أبي
هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن أحق بالشك من ابراهيم
اذ قال رب أرني كيف يحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ويرحم الله
لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لاجبت الداعي

القول على معنى الحديث وما يتعلق به

اختلف العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم على أقوال كثيرة
فأحسنها وأصحها ما نقل المزني وغيره من العلماء ان الشك مستحيل في حق ابراهيم فان الشك
في احياء الموتى لو كان متطرقا الى الانبياء لكنت أنا أحق به من ابراهيم ولقد علمت أني
لم أشك فاعلموا ان ابراهيم لم يشك وانما خص ابراهيم بالذكر لكون الآية قد يسبق

قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
وانما قال له أولم تؤمن وقد علم
انه أثبت الناس ايمانا ليحيب
بما اجاب به لما فيه من
الفائدة الجليلة للسامعين
وبلى ايجاب لما بعد النفي
معناه بلى آمنت ولكن
لازيد سكونا وطمأنينة
بمضامة علم الضرورة علم
الاستدلال وتظاهر الادلة
أسكن للقلوب وأزيد
للبصيرة فعمل الاستدلال
يجوز معه التشكيك بخلاف
الضروري واللام تتعلق
بمخدوف تقديره ولكن
سألت ذلك ارادة طمأنينة

(قال بلى) انما هو قن (ولكن
ليطمئن قلبي) لتسكن حرازة
قلبي وأعلم بأنى خليك

﴿ قال فخذ أربعة من الطير ﴾ قيل طاوسا وديكا وغرابا وجمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايعاء الى ان أحياء النفس بالحياة الابدية انما يتأتى بامانة حب الشهوات والزخارف الذى هو صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمصارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانما خص الطير لانه أقرب الى الانسان وأجمع لخواص الحيوان والطير مصدر

الى بعض الازهان الفاسدة منها احتمال الشك فنفي ذلك عنه وقول الخطابي ليس في قوله نحن أحق بالشك من ابراهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابراهيم لكن فيه نفي الشك عنهما يقول اذالم أشك أنا في قدرة الله تعالى على أحياء الموتى فأبراهيم أولى بأن لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله لولبت في السجن مالبث يوسف لاجبت الداعي وفيه الاعلام بأن المسئلة من ابراهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل زيادة العلم بالعيان والعيان يفيد من المعرفة والطمأنينة مالا يفيد الاستدلال وقيل لما نزلت هذه الآية قال قوم شك ابراهيم ولم يشك نبينا صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم ومعناه أن هذا الذى تظنونه شكاً أنا أولى به فانه ليس بشك وانما هو طلب لمزيد اليقين وانما رجح ابراهيم صلى الله عليه وسلم على نفسه صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وأدبا أو قبل ان يعلم انه صلى الله عليه وسلم خير ولد آدم * وأما تفسير الآية فقوله تعالى واذ قال ابراهيم أى واذ كر يا محمد اذ قال ابراهيم وقيل انه معطوف على قوله ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه والتقدير ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ألم تر اذ قال ابراهيم رب أرني كيف نحى الموتى قال يعنى قال الله لابراهيم أو لم تؤمن * الالف فى أو لم تؤمن من الثابتات واجباب كقول جرير * ألسم خير من ركب المطايا * أى ألسم كذلك والمعنى اولست قد آمنت وصدقت أى أحيى الموتى قال بلى قد آمنت وصدقت ولكن ليطمئن قلبي يعنى سألتك ذلك ارادة طمأنينة القلب وزيادة اليقين وقوة الحججة وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه ولكن لا يرى من آياتك وأعلم انك قد أجبته ﴿ قال فخذ أربعة من الطير ﴾ قيل أخذ طاوسا وديكا وجمامة وغرابا وقيل نسرا بدل الحمامة * فأن قلت لم خص الطير من جملة الحيوانات بهذه الحالة * قلت لان الطير صقته الطيران فى السماء والارتفاع فى الهواء وكانت همة ابراهيم عليه السلام كذلك وهو العلو فى الوصول الى الملكوت فكانت مجرته مشاكلة لهيمته * فأن قلت لم خص هذه الاربعة الاجناس من الطير بالخذ * قلت فيه اشارة فى الطاوس اشارة الى ما فى الانسان من حب الزينة والجاه وفى النسر اشارة الى شدة الشغف بالاكل وفى الديك اشارة الى شدة الشغف بحب النكاح وفى الغراب اشارة الى شدة الحرص فى هذه الطيور مشابهة لما فى الانسان من حب هذه الأوصاف وفيه اشارة الى ان الانسان اذا ترك هذه الشهوات الذميمة لحق أعلى الدرجات فى الجنة وقازينيل السعادات

القلب (قال فخذ أربعة من الطير) طاوسا وديكا مستجاب الدعوة قال (فخذ اليك) مقدم ومؤخر (أربعة من الطير) أشتاناً أى مختلفاً ديكا وغراباً

وغرابا وجمامة (فصرهن اليك) ﴿٤١٣﴾ وبكسر الصاد حزة {سورة البقرة} أي املهن واضمهن اليك

(ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ) ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال التي بمحضرتك وفي أرضك وكانت أربعة اجبل أو سبعة جزأ بضمين وهمز أبو بكر (ثم ادعهن) قل لهن تعالين بأذن الله تعالى (يا تينك سعا) مصدر في موضع الحال أي ساعيات مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن على أرجلهن وانما أمره بضمها الى نفسه بعد أخذها لتأملها ويعرف أشكالها وهيأتها وحالاتها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك وروى انه أمر بان يذبجها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ويحاط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم أمر ان يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصعب بها تعالين بأذن الله تعالى فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثسا ثم أقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى وبطا وطاوسا (فصرهن) فقطعن اليك (ثم اجعل) ثم ضم (على كل جبل) من أربعة اجبل (منهن جزأ) بعضا (ثم ادعهن) باسمهن (يا تينك سعا) مشيا

سمى به أوجع كحجب ﴿فصرهن اليك﴾ فأملهن واضمهن اليك لتأملها وتعرف شياتها لئلا تلتبس عليك بعد الاحياء * وقرأ حزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لقتان قال وماصيد الاعناق فيهم جبلة * ولكن اطراف الرماح تصورها وقال

وفرع يصير الجيد وحف كأنه * على الليت قنوان الكروم الدوالح * وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرهما وهما لقتان مشددة الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع أيضا ﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ﴾ أي ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال التي بمحضرتك قيل كانت أربعة وقيل سبعة * وقرأ أبو بكر جزأ وجزوا بضم الزاي حيث وقع ﴿ثم ادعهن﴾ قل لهن تعالين بأذن الله ﴿يا تينك سعا﴾ ساعيات مسرعات طيارانا أو مشيا روى أنه أمر بان يذبجها وينتف ريشها ويقطعها ويمسك رؤسها ويحاط سائر أجزاءها ويوزعها على الجبال ثم يناديهم ففعل فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثسا ثم أقبلن فانضممن الى رؤسهن * وفيه اشارة الى أن من أراد احياء نفسه بالحياة الابدية فعليه أن يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فتطاوعنه مسرعات متى دعاهن بدعاية العقل أو الشرع وكفى لك شاهدا على فضل

﴿فصرهن﴾ * قرئ بكسر الصاد ومعناه قطعهن ومزقهن * وقرئ بضم الصاد ومعناه املهن ﴿اليك﴾ ووجهه وقيل معناه اجعهن واضمهن اليك فنفسه بالامالة والضم قال فيه اضمار ومعناه فصرهن اليك ثم قطعهن فحذف اكتفاء بقوله ﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ﴾ لانه يدل عليه قال المفسرون أمر الله تعالى ابراهيم صلى الله عليه وسلم ان يذبج تلك الطيور وينتف ريشها وان يخلط ريشها ولحمها ودمها ببعضه بعض ففعل ثم أمره ان يجعل على كل جبل منهن جزأ * واختلفوا في عدد الاجزاء والجبال فقال ابن عباس رضي الله عنهما أمر ان يجعل كل طائر أربعة أجزاء وان يجعلها على أربعة اجبل على كل جبل ربعا من كل طائر قيل جبل على جهة الشرق وجبل على جهة الغرب وجبل على جهة الشمال وجبل على جهة الجنوب وقيل جزأ سبعة اجزاء ووضعها على سبعة اجبل وأمسك رؤسهن بيده ثم دعاهن فقال تعالين بأذن الله تعالى فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة الاخرى وكل عظم يطير الى العظم الآخر وكل بضعة تطير الى البضعة الاخرى وابراهيم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها بعض في السماء بغير رؤس ثم أقبلن سعا الى رؤسهن كلما جاء طائر قال برأسه فأن كان رأسه دنامته وان لم يكن تأخر عنه حتى التقي كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى ﴿ثم ادعن يا تينك سعا﴾ وقيل المراد بالسعي الاسراع والعدو وقيل المشى والحكمة في سعي الطيور اليه دون الطيران لان ذلك أبعد من الشبهة لانها لو طارت لتوهم متوهم انها غير تلك الطيور أو ان

بعضا (ثم ادعهن) باسمهن (يا تينك سعا) مشيا

رأسها (واعلم أن الله عزير) لا يتمتع عليه ما يريد (حكيم) فيما يدبر لا يفعل الا ما فيه الحكمة ولما برهن على قدرته على الاحياء
 حث على الانفاق في سبيل الله واعلم ان من أنفق في سبيله فله في نفقته أجر عظيم وهو قادر عليه فقال (مثل الذين ينفقون
 أموالهم في سبيل الله) لا بد من حذف مضاف أي مثل نفقتهم (كمثل حبة) أو مثلهم كمثل باذرحبة (أنبتت سبع سنابل في كل
 سنبله مائة حبة) المنبت {الجزء الثالث} هو الله ولكن الحبة لما كانت ﴿٤١٤﴾ سببا اسند اليها الانبات كما اسند

أبراهيم عليه الصلاة والسلام وعين الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال أنه سبحانه
 وتعالى أراه ما أراد أن يريه في الحال على أسير الوجوه وأراه عزير ابعدا أن أماته مائة عام ﴿واعلم
 أن الله عزير﴾ لا يجز عميره ﴿حكيم﴾ ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره
 ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة﴾ أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم
 كمثل باذرحبة على حذف المضاف ﴿أنبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة﴾ اسند
 الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما اسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة
 هو الله سبحانه وتعالى والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبله
 فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضى وقوعه وقديكون في الذرة والدخن وفي البر في
 الاراضى المغلة ﴿والله يضاعف﴾ تلك المضاعفة ﴿لمن يشاء﴾ بفضلته وعلى حسب
 حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن أجله تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب

أرجلها غير سليمة فنفى الله تعالى هذه الشبهة بقوله يا أيها السعياء وقيل المراد بالسعي
 المشى والمراد بالمشى الطيران وفيه ضعف لانه لا يقال للطائر اذا طار سعى وقيل السعى
 هو الحركة الشديدة ﴿واعلم أن الله عزير﴾ يعنى انه تعالى غالب على جميع الاشياء
 لا يجزه شئ ﴿حكيم﴾ يعنى في جميع أموره ﴿قوله عز وجل﴾ مثل الذين
 ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴿قيل أراد به الانفاق في الجهاد وقيل هو الانفاق
 في جميع أبواب الخير ووجوه البر فيدخل فيه الواجب والتطوع وفيه اضرار
 تقديره مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴿كمثل حبة﴾ أي كمثل
 زارع حبة ﴿أنبتت﴾ يعنى أخرجت تلك الحبة ﴿سبع سنابل﴾ جمع سنبله
 ﴿في كل سنبله مائة حبة﴾ * فان قلت فهل رأيت سنبله فيها مائة حبة حتى يضرب
 المثل بها قلت ذلك غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا فضرب المثل به جائز وان لم يوجد
 والمعنى في كل سنبله مائة حبة ان جعل الله ذلك فيها وقيل هو موجود في الدخن وقيل
 ان المقصود من الآية انه اذا علم الانسان الطالب للزيادة والريخ انه اذا بذرحبة واحدة
 أخرجت له سبعمائة حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك ولا التقصير فيه فكذلك ينبغي لمن
 طلب الاجر عند الله في الآخرة ان لا يترك الانفاق في سبيل الله اذا علم انه يحصل له
 بالواحد عشرة ومائة وسبعمائة ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾ يعنى انه تعالى يضاعف
 هذه المضاعفة لمن يشاء وقيل معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء من سبع الى سبعين

الى الارض والى الماء
 ومعنى انباتها سبع سنابل
 أن تخرج ساقا يتشعب منه
 سبع شعب لكل واحد
 سنبله وهذا التمثيل تصوير
 للاضعاف كأنها مائة بين
 عيني المناظر والممثل به
 موجود في الدخن والذرة
 وربما فرخت ساق البرة
 في الارض القوية المغلة
 فيبلغ حبا هذا المبلغ على
 ان التمثيل يصح وان لم يوجد
 على سبيل الفرض والتقدير
 ووضع سنابل موضع
 سنبلات كوضع قروء موضع
 اقراء (والله يضاعف لمن
 يشاء) أي يضاعف تلك
 المضاعفة لمن يشاء لان كل
 منفق لتفاوت أحوال
 المنفقين أو يزيد على سبعمائة
 لمن يشاء يضاعف شامى

(واعلم) يا ابراهيم (أن الله
 عزير) بالنقمة لمن لم يقربا حياء
 الموتى (حكيم) بجمع عظام
 الموتى واحيائهم كما جمع
 وأحي هذه الطيور * ثم

ذكر نفقة المؤمنين في سبيل الله فقال (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) يقول مثل (الى)
 أموال الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله (كمثل حبة أنبتت) أخرجت (سبع سنابل في كل سنبله) منها (مائة
 حبة) كذلك يضاعف نفقة المؤمنين في سبيل الله من واحد الى سبعمائة (والله يضاعف) فوق ذلك (لمن يشاء) لمن
 كان أهلا لذلك ويقال لمن

والله واسع * لا يضيق عليه ما يتصل به من الزيادة * (عليم) * بنية المنفق وقدر انفاقه
الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أذى * نزلت في عثمان
رضي الله تعالى عنه فانه جهز جيش العسرة بألف بعير بأقتابها وأحلاسها وعبدالرحمن
ابن عوف رضي الله عنه فانه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأربعة آلاف درهم صدقة
والمن ان يعتد باحسانه على من أحسن اليه والأذى ان يتناول عليه بسبب ما أنعم

ومكي (والله واسع) واسع
الفضل والجود (عليم) بنيات
المنفقين (الذين ينفقون
أموالهم في سبيل الله ثم
لا يتبعون ما انفقوا منا)
هو ان يعتد على من أحسن
اليه بأحسانه ويريه أنه
اصطنعه وأوجب عليه حقاه
وكانوا يقولون اذا صنعتم
صنعة فانسوها (ولا أذى)
هو ان يتناول عليه بسبب
ما أعطاه ومعنى ثم اظهار
التفاوت بين الانفاق وترك
المن والأذى وان تركهما
خير من نفس الانفاق كما جعل
الاستقامة على الايمان خيرا من
الدخول فيه بقوله ثم
قبل منه (والله واسع)
بالتضعيف (عليم) بنفقة
المؤمنين وبنياتهم (الذين
ينفقون أموالهم في سبيل الله)
نزلت هذه الآية في عثمان
ابن عفان وعبدالرحمن بن
عوف (ثم لا يتبعون ما أنفقوا)
بعد النفقة (منا) على الله
(ولا أذى) لصاحبها

الى سبعمائة الى ما يشاء من الاضغاف مما لا يعلمه الا الله * (والله واسع) * أي غنى يعطى الغنى
عن سعة وقيل واسع القدرة على المجازاة وعلى الجود والافضال * (عليم) * يعنى بنية من ينفق
في سبيله وقيل عليم بمقادير الانفاق وما يستحق المنفق من الجزاء والثواب عليه * قوله
عز وجل * الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله * قيل نزلت في عثمان بن عفان
وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما اما عثمان فجهد المسلمين في غزوة تبوك بألف بعير بأقتابها
واحلاسها فنزلت هذه الآية وقال عبدالرحمن بن سمرة جاء عثمان بالف دينار في جيش
العسرة فصبا في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت يده يدخل يدها ويقبها ويقول
ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم فانزل الله الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله واما عبدالرحمن
فجاء بأربعة آلاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كان عندي ثمانية
آلاف فامسكت لنفسى ولعيالى أربعة آلاف وأربعة آلاف أخرجتها لربي عز وجل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت وفيما أعطيت والمعنى الذين
يعينون المجاهدين في سبيل الله بالانفاق عليهم في حوائجهم ومؤتمتهم * ثم لا يتبعون ما أنفقوا
منا ولا أذى * أي لا يتبع نفقته التي أنفقها عليهم بالمن والأذى وهو ان يمن عليه ببطائه
فيقول قد أعطيتك كذا وكذا فيعد نعمه عليه فيكدرها عليه والأذى هو أن يعيره
فيقول كم تسأل وانت فقير ابدا وقد بليت بك وأراحني الله منك وأمثال ذلك والمن
في اللغة الانعام والمنة النعمة الثقيلة يقال من فلان على فلان اذا أقره بالنعمة ويكون
ذلك بالقول أيضا ومنه قول الشاعر

فنى علينا بالسلام فانما * كلامك ياتوت ودر منظم

ومن المن بالقول ما هو مستقيم بين الناس مثل ان يمن على الانسان بما أعطاه قال عبدالرحمن
ابن يزيد كان أبي يقول اذا أعطيت رجلا شياً ورأيت ان سلامك ينقل عليه فلا تسل عليه
والعرب تمدح بترك المن وكرم النعمة وتذم على اظهارها والمن بها قال قائلهم في المدح بترك المن
زاد معروفك عندي عظما * انه عندك مستور حقير
تناساه كأن لم تأته * وهو في العالم مشهور كبير
وقال قائلهم يذم المنان بالعطاء

أيت قليلا ثم أسرع منة * فنيلك ممنون لذاك قليل

وأما الأذى فهو ما يصل الى الانسان من ضرر بقول أو فعل اذا عرفت هذا فنقول المن
هو اظهار المعروف الى الناس والمن عليهم به والأذى هو ان يشكو منهم بسبب ما أعطاهم
فكرم الله تعالى على عباده المن بالمعروف والأذى فيه وذم فاعله * فان قلت قد وصف الله

استقاموا (لهم أجرهم عند ربهم) أى ثواب انفاقهم (ولا خوف عليهم) من بخس الاجر (ولا هم يحزنون) من فوته أو لا خوف من العذاب ولا حزن بفوت الثواب وإنما قال هنا لهم أجرهم وفيما بعد فلهم أجرهم لان الوصول هنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثمة (قول معروف) رديجيل (ومغفرة) وعفو عن السائل اذا وجد منه ما ينقل على المسؤل أو ونييل مغفرة من الله بسبب الرد الجليل (خير من صدقة { الجزء الثالث } يتبعها أذى) ٤١٦ وصح الاخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه

بالصفة (والله غنى) لا حاجة له الى منفق عن ويؤذى (حليم) عن معاجلته بالعقوبة وهذا وعيد له ثم أكد ذلك بقوله (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى) الكاف نصب صفة مصدر محذوف والتقدير أبطالوا مثل ابطال الذى (ينفق ماله رءاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) أى لا تبطلوا ثواب صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذى ينفق ماله رءاء الناس ولا يريد بانفاقه رضاء الله ولا ثواب الآخرة ورءاء مفعول له (لهم أجرهم) ثوابهم عند ربهم (في الجنة) ولا خوف عليهم) فيما يستقبلهم من العذاب (ولا هم يحزنون) على ما خلفوا من خلفهم (قول معروف) كلام حسن لا خيك في الغيب بالدعاء والثناء (ومغفرة) تجاوز عن مظلمة (خير) لك وله (من صدقة يتبعها أذى)

عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى لهم أجرهم عند ربهم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما أسند اليه معنى الشرط ايها ما بأنهم أهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا (قول معروف) رديجيل (ومغفرة) وتجاوز عن السائل إلحاحه أو نيل المغفرة من الله بالرد سبحانه وتعالى الجليل أو عفو من السائل بان يعذره ويقف رده (خير من صدقة يتبعها أذى) خير عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة (والله غنى) عن الانفاق عن وايداء (حليم) عن معاجلة من عن ويؤذى بالعقوبة (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) لا تبطلوا أجرها بكل واحد منهما (كالذى ينفق ماله رءاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) كابطال المنافق الذى يرأى بانفاقه ولا يريد به رضاء الله سبحانه وتعالى ولا ثواب الآخرة أو مائلين الذى ينفق رءاء الناس فالكاف في محل النصب على المصدر أو الحال ورءاء نصب على المفعول له أو الحال بمعنى مرأيا أو المصدر

تعالى نفسه بالمتان فالفرق * قلت المتان في صفة الله تعالى معناه المتفضل فمن الله افضل على عباده واحسان اليهم فجميع ما هم فيه منة منه سبحانه وتعالى ومن العباد تعبير وتكدير فظهر الفرق بينهما قوله عز وجل (لهم أجرهم) يعنى ثوابهم (عند ربهم) يعنى في الآخرة (ولا خوف عليهم) يعنى يوم القيامة (ولا هم يحزنون) يعنى على ما خلفوا من الدنيا (قول معروف) أى كلام حسن ورد جليل على الفقير السائل وقيل عدة حسنة توعد بهما وقيل دعاء صالح تدعوه بظهر الغيب (ومغفرة) أى تستر عليه خلته وقره ولا تهتك ستره وقيل هو ان يتجاوز عن الفقير اذا استطال عليه حالة رده (خير من صدقة) يعنى هذا القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التى تدفعها الى الفقير (يتبعها أذى) وهو ان يعطى الفقير الصدقة وعن عليه بها ويعيره بقول أو يؤذيه بفعل (والله غنى) أى مستغن عن صدقة العباد والغنى الكامل الغنى الذى لا يحتاج الى أحد وليس كذلك الا الله تعالى (حليم) يعنى أنه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة على من عن على عباده ويؤذى بصدقته (قوله عز وجل) (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) يعنى أجور صدقاتكم (بالمن والاذى) يعنى على السائل الفقير وقال ابن عباس رضى الله عنهما بالمن على الله تعالى والاذى لصاحبها ثم ضرب الله تعالى لذلك مثلاً فقال تعالى (كالذى) أى كابطال الذى ينفق ماله رءاء الناس (أى سراة لهم) وسمة ليروا نفقته ويقولوا انه سخي (كريم) ولا يؤمن بالله واليوم الآخر (يعنى ان الرياء يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين

تمن بها عليه وتؤذيه بذلك (والله غنى) عن صدقة المتان (حليم) اذ لم يعجل بعقوبة المنة (يا أيها الذين (لكن) آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) أجر صدقاتكم (بالمن) على الله معناه العجب (والاذى) لصاحبها (كالذى ينفق ماله رءاء الناس) سمعة الناس (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) بالبعث بعد الموت

(فثله كمثل صفوان عليه تراب) مثله ونفقته التي لا يتفح بها البتة بحجر أملس كان عليه تراب (فأصابه وابل) مطر عظيم القطر (فتركه صلدا) أجرد نقياً من التراب الذي كان عليه (لا يقدر أن على شيء مما كسبوا) لا يجدون ثواب شيء مما أنفقوا أو الكاف في محل النصب ﴿ ٤١٧ ﴾ على الحال أي {سورة البقرة} لا يتطلوا صدقاتكم مماثلين الذي

ينفق وأعمال لا يقدر أن بعد قوله كالذي ينفق لانه أراد بالذي ينفق الجنس أو الفريق الذي ينفق (والله لا يهدي القوم الكافرين) ماداموا مختارين الكفر (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتبئيتا من أنفسهم) أي وتصديقاً للاسلام وتحقيقاً للجزاء من أصل أنفسهم لانه اذا أنفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وإيمانه بالثواب من أصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن لا ابتداء الغاية وهو معطوف على المفقول له أي للابتغاء والتبئيت والمعنى ومثل نفقته هؤلاء في زكاتها (فثله) مثل صدقة المنان وصدقة المشرك (كمثل صفوان) حجر (عليه تراب فأصابه وابل) مطر شديد (فتركه صلدا) أجرد نقياً بلا تراب (لا يقدر أن على شيء) على ثواب شيء في الآخرة (مما كسبوا) انفقوا في الدنيا يقول لا يجد المنان والمؤذي ثواب

أي انفاقاً رثاء ﴿ فثله ﴾ أي فثل المرأى في انفاقه ﴿ كمثل صفوان ﴾ كمثل حجر أملس ﴿ عليه تراب فأصابه وابل ﴾ مطر عظيم القطر ﴿ فتركه صلدا ﴾ أملس نقياً من الزراب ﴿ لا يقدر أن على شيء مما كسبوا ﴾ لا ينفقون بما فعلوا رثاء ولا يجدون له ثواباً والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس أو الجمع كافي قوله وأن الذي حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يأثم خالد ﴿ والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرثاء والمن والاذى على الانفاق من صفات الكفار ولا بد للمؤمن أن يتجنب عنها ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتبئيتا من أنفسهم ﴾ وتبئيتا بعض أنفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله سبحانه وتعالى ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها أو تصديقاً للاسلام وتحقيقاً للجزاء مبتدأ من أصل أنفسهم

لكن من فعل المنافقين لان الكافر معان بكفره غير مرأبه ﴿ فثله ﴾ أي مثل هذا المرأى بصدقته وسائر أعماله ﴿ كمثل صفوان ﴾ هو الحجر الاملس الصلب وهو واحد وجمع فن جعله جماعاً واحده صفوانة ومن جعله واحداً قال جمعه صفي ﴿ عليه تراب ﴾ أي على ذلك الصفوان تراب ﴿ فأصابه وابل ﴾ يعني المطر الشديد العظيم القطر ﴿ فتركه صلدا ﴾ يعني ترك المطر ذلك الصفوان صلداً أملس لاشيء عليه من ذلك التراب فهذا مثل ضربته الله تعالى لنفقة المنافق والمرأى والمؤمن المنان بصدقته يؤذي الناس يرى الناس ان لهؤلاء أعمالاً في الظاهر كما يرى التراب على الصفوان فاذا جاء المطر أذهبه وأزاله وكذلك حال هؤلاء يوم القيامة تبطل أعمالهم وتضعل لانها لم تكن لله تعالى كما أذهب الواابل ما على الصفوان من التراب ﴿ لا يقدر أن على شيء مما كسبوا ﴾ أي لا يقدر أن على ثواب شيء مما عملوا في الدنيا ﴿ والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ يعني الذين سبق في علمه انهم يموتون على الكفر ﴿ روى البغوي بسنده عن محمود بن لبيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاضغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاضغر قال الرياء يقال لهم يوم تجازى العباد بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ﴿ م ﴾ عن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله ﴿ أي طلب رضاء الله ﴾ وتبئيتا من أنفسهم ﴿ يعني على الانفاق في طاعة الله تعالى وتصديقاً بثوابه وقيل معناه أن أنفسهم موقنة بصدقة بوعده الله أيها فيما أنفقت وقيل احساناً وقيل تصديقاً والمعنى انهم يخرجون زكاة أموالهم وينفقون

صدقته كما لا يوجد على الصفا التراب بعد ما أصابه (قا وخا ٥٣ ل) المطر الشديد (والله لا يهدي) لا يثيب (القوم الكافرين) والمرأى بنفقته في الشرك والرياء كذلك المنان لا يثيبه الله بنفقته (ومثل الذين ينفقون أموالهم) مثل اموال الذين ينفقون أموالهم (ابتغاء مرضات الله) طلب رضاء الله (وتبئيتا من أنفسهم) تصديقاً وحقيقة وبقينا

وفيد تنبيه على أن حكمة الانفاق للنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال ﴿كمثل جنة بربوة﴾ أي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاة كمثل بستان موضع مرتفع فان شجره يكون أحسن منظرا وأزكى ثمرا * وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح ووقرى بالكسر وثلاثها لفات فيها ﴿أصابها وابل﴾ مطر عظيم القطر ﴿فآتت أكلها﴾ ثمرتها * وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بالسكون للتحفيف ﴿ضعفين﴾ مثل ما كانت تثر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما أريد بالزوج الواحد في قوله تعالى من كل زوجين اثنين وقيل أربعة أمثاله ونسبه على الحال أي مضاعفا ﴿فإن لم يصبها وابل فطل﴾ أي فيصيبها أو فالذي يصيبها طل أو فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله سبحانه وتعالى لا تضيق بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله تعالى بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين في زلفاهم بالواابل والطل ﴿والله بما تعملون بصير﴾ تحذير عن الرئاء أموالهم في سائر وجوه البر والطاعات طيبة أنفسهم بما أنفقوا على يقين بثواب الله وتصديق بوعده يعلمون ان ما أنفقوا خير لهم مما تركوا وقيل معناه على يقين باخلاف الله عليهم وقيل معناه أنهم يتثبتون في الموضع الذي يضعون فيه صدقاتهم قبل كان الرجل اذاهم بصدقة تثبت فان كانت لله خالصة امضاها وان خالطه شك أو رياء أمسك ﴿كمثل جنة﴾ أي بستان قال الفراء اذا كان في البستان نخل فهو جنة وان كان فيه كرم فهو فردوس ﴿بربوة﴾ هي المكان المرتفع عن الارض المستوى لان ما ارتفع من الارض عن مسيل الماء والاوودية كان ثمرا أحسن وأزكى اذا كان لها من الماء ما يرويها وقيل هي الارض المستوية الجيدة الطيبة اذا أصابها المطر اتفتحت وربت فاذا كانت الارض بهذه الصفة كثر ريعها وحلت أشجارها ﴿أصابها وابل﴾ وهو المطر الكثير الشديد قال بعضهم

ماروضة من رياض الحزن مشبة * خضراء جاد عليها وابل هطل

أراد بالحزن ما غلظ وارتفع من الارض ﴿فآتت أكلها ضعفين﴾ أي فاعطت ثمرتها مثلين قيل انها حلت في سنة من الربيع ما يحمله غيرها في سنتين وقيل أضفت فحملت في السنة مرتين ﴿فإن لم يصبها وابل فطل﴾ أي طش وهو المطر الخفيف الضعيف والمعنى ان لم يكن أصابها وابل وأصابها طل فتلك حال هذه الجنة في تضاعف ثمراها فانها لا تنقص بالطل عن مقدار ثمراها بالواابل وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص في انفاقه وسائر أعماله يقول الله تعالى كما ان هذه الجنة تريع وتزكو في كل حال ولا تخلف سواء كان المطر قليلا أو كثيرا فكذلك يضعف الله صدقة المؤمن المخلص في صدقته وانفاقه الذي لا يمن ولا يؤذى سواء تلت نفقته أو كثرت ﴿والله بما تعملون بصير﴾

عند الله (كمثل جنة) فيها أزكى وأحسن ثمرا بربوة عاصم وشامي (أصابها وابل فآتت أكلها) ثمرتها أكلها نافع ومكي وأبو عمرو (ضعفين) مثل ما كانت تثر قبل بسبب الوابل (فإن لم يصبها وابل فطل) فطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالواابل والطل وكان كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد ان يطلب بها رضاء الله تعالى زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده (والله بما تعملون بصير) يرى أعمالكم على اكثر واقلال ويعلم نياتكم فيهما من رياء

من قلوبهم بالثواب (كمثل جنة) بستان (بربوة) يمكن مرتفع مستوي (أصابها وابل) مطر شديد كثير (فآتت أكلها) أخرجت ثمراها (ضعفين) فان لم يصبها وابل) مطر كثير (فطل) فرش مثل الرذاذ يعني الندى وهذا مثل نفقة المؤمن اذا كان بالاخلاص والخشية قليلة

واخلاص الهمة في (أيود أحدكم) للانكار (ان تكون له الجنة) بستان (من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار) لصاحب البستان (فيها) في الجنة (من كل ﴿٤١٩﴾ الثمرات) يريد بالثمرات {سورة البقرة} المنافع التي كانت تحصل له

فيها وان النخيل والاعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليا لهما على غيرهما ثم ارد فهماذكر كل الثمرات (واصابه الكبير) الوالوالحال ومعناه ان تكون له جنة وقد أصابه الكبير والواو في (وله ذرية ضعفاء) أولاد صغار للحال أيضا والجملة في موضع الحال من الهاء في أصابه (فاصابها اعصار) ربح تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود (فيه) في الاعصار وارتفع (نار) بالظرف اذ جرى الظرف وصفا لاعصار (فأحترقت) الجنة وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة رياء فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة جامعة للثمار فبلغ الكبير وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم فهلك بالصاعقة

أيود أحدكم (يتقى أحدكم) (أن تكون له الجنة) بستان (من نخيل واعناب) كروم (تجرى من تحتها

وترغب في الاخلاص ﴿أيود أحدكم﴾ الهمة فيه للانكار ﴿أن تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات﴾ جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع ﴿وأصابه الكبير﴾ أي كبر السن فان الفاقة والعاللة في الشيخوخة اصعب والواو للحال أو للعطف جلا على المعنى فكأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبير ﴿وله ذرية ضعفاء﴾ صغار لاقدرة لهم على الكسب ﴿فاصابها اعصاره نار فاحترقت﴾ عطف على اصابه أو تكون باعتبار المعنى والاعصار ربح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كراء وايداء في الحسرة والاسف اذا كان يوم القيامة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شأنه واشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور

يعنى انه تعالى لا تخفى عليه نفقة المخلص في صدقته الذي لا يمن بها ولا يؤذى والذي يمن بصدقته ويؤذى ﴿قوله عز وجل﴾ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل واعناب ﴿هذه متصلة بما قبلها وهو قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والاذى أيود يعنى يجب أحدكم أن تكون له جنة أي بستان من نخيل واعناب انما خصهما بالذكر لانهما أشرف الفواكه وأحسنها ولما فيهما من الغذاء والتفكه ﴿تجرى من تحتها الانهار﴾ يعنى ان جرى الانهار فيها من تمام حسنها وسبب لزيادة ثمرها ﴿له فيها من كل الثمرات﴾ لان ذلك من تمام كمال البستان وحسنه ﴿وأصابه الكبير﴾ يعنى صاحب هذه الجنة كثرت جهات حاجاته ولم يكن له كسب غيرها فيخند يكون في غاية الاحتياج الى تلك الجنة * فأن قلت كيف عطف وأصابه الكبير على أيود وكيف يجوز عطف الماضي على المستقبل * قلت فيه وجهان أحدهما أن تكون له جنة حال ما أصابه الكبير والوجه الثاني انه عطف على المعنى فكأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وصابه الكبير ﴿وله ذرية ضعفاء﴾ يعنى له أولاد صغار عجزت عن الحركة بسبب الضعف والصغر ﴿فاصابها﴾ يعنى أصاب تلك الجنة ﴿اعصاره نار فاحترقت﴾ الاعصار ربح ترتفع الى السماء وتستدير كأنها عمود وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق والمرأى يقول مثل عمل المنافق والمرأى بعمله في حسنه كحسن جنة ينتفع بها صاحبها فلما كبر وضعف وصار له أولاد ضعاف أصاب جنته اعصار فيه نار فاحرقها وهو أحوج ما يكون اليها فحصل في قلبه من الغم والحسرة ما لا يعلمه الله تعالى لكبره وضعفه وضعف أولاده فهو لا يجد ما يعود به على أولاده وهم لا يجدون ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متخبرين معجزة لاحيلة بأيديهم

الانهار) تطرد الانهار من تحت شجرها ومسكنها وغرفها (له فيها) في الجنة (من كل الثمرات) من ألوان الثمرات (وأصابه الكبير وله ذرية ضعفاء) معجزة عن الحيلة (فاصابها) يعنى تلك الجنة (اعصار) يعنى ربح حار أو بارد (فيه نار فاحترقت

والثقت الى ماسوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا ﴿ كذلك بين الله لكم الآيات
لعلكم تتفكرون ﴾ أى تتفكرون فيها فتعتبرون بها ﴿ يأيتها الذين آمنوا أنفقوا من
طيبات ما كسبتم ﴾ من حلاله أو جياده

فكذلك حال من أتى يوم القيامة بأعمال حسنة ولم يقصد بها وجه الله تعالى فيبطلها الله
تعالى وهو في غاية الحاجة اليها حين لامستب له ولاتوبة وقال عبيد بن عير قال عمر
يوما لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترون نزلت هذه الآية أيودأ حدكم
قالوا الله أعلم فغضب عمر وقال قولوا نعم أو لا نعلم فقال ابن عباس رضى الله عنهما فى نفسى
منهاشئ يا أمير المؤمنين فقال عمر قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك فقال ضرب الله مثلا لعل قال
لاى عمل قال لرجل غنى يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أحرق
أعماله كلها ﴿ كذلك بين الله لكم الآيات ﴾ يعنى كما بين الله تعالى لكم أسرار النفقة
المقبولة وغير المقبولة كذلك بين الله لكم من الآيات سوى ذلك ﴿ لعلكم تتفكرون ﴾
أى فتتظنوا وقال ابن عباس رضى الله عنهما لعلكم تتفكرون يعنى فى زوال الدنيا
واقبال الآخرة ﴿ قوله عز وجل ﴾ يأيتها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ﴿
أى من خيار ما كسبتم وجيده وقيل من حالات ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل
على اباحة الكسب وانه ينقسم الى طيب وخيىث ﴿ عن خولة الانصارية رضى الله عنها
قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا المال خضر حلو من أصابه بحق
بورك له فيه ورب متمحوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة
الا النار أخرجه الترمذى * المتحوض الذى يأخذ المال من غير وجهه كما يخوض الانسان
فى الماء يمينا وشمالا (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء ما أخذ منه أمن حلال أم من حرام (خ) عن المقدم
رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل
من عمل يده وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده ﴿ عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان أطيب ما أكلتم من كسبكم وان أولادكم من كسبكم أخرجه
الترمذى والنسائى * واختلفوا فى المراد بقوله تعالى أنفقوا فقيل المراد به الزكاة المفروضة
لان الامر للوجوب والزكاة واجبة فوجب صرف الآية اليها وقيل المراد به صدقة
التطوع وقيل انه يتناول الفرض والنفل جميعا لان المفهوم من هذا الامر ترجم جميع جانب
الفعل على الترك وهذا المفهوم قدر مشترك بين الفرض والنفل فوجب أن يدخل تحت
هذا الامر فعلى القول الاول ان المراد من هذا الانفاق هو الزكاة يتفرع عليه مسائل

المسئلة الاولى

ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة فى كل مال يكتسبه الانسان فيدخل فيه زكاة
الذهب والفضة والنعم وعروض التجارة لان ذلك يوصف بأنه مكتسب وذهب
جهور العلماء الى وجوب الزكاة فى مال التجارة وقال داود الظاهرى لا تجب الزكاة

(كذلك) كهذا البيان
الذى بين فيما تقدم (بين الله
لكم الآيات) فى التوحيد
والدين (لعلكم تتفكرون)
فتنتهوا (يا أيها الذين آمنوا
أنفقوا من طيبات ما كسبتم)
من جيا د مكسوباتكم وفيه
دليل وجوب الزكاة

كذلك بين الله لكم الآيات
العلامات بالامر والنهى
(لعلكم تتفكرون) لى
تفكروا فى امثال القرآن
وهذا مثل الكافرين
فى الآخرة يكون بلا
حيلة ولا رجوع الى الدنيا
كما ان هذا الكبير بقى بلا
حيلة ولا رجوع الى قوته
وشبابه (يا أيها الذين آمنوا
أنفقوا من طيبات) من
حالات (ما كسبتم)
ما جمعتم من الذهب والفضة

﴿ وما أخرجنا لكم من الارض ﴾ أى ومن طبيات ما أخرجنا من الحبوب والثمار
والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره

بحكم التجارة في العروض الا أن ينوى به التجارة في حال تملكه ﴿ ودليل الجمهور ماروى عن
سمرة بن جندب رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا باخراج الصدقة
من الذى يعد للبيع أخرجه أبو داود ﴿ وعن أبي عمرو بن خاسم ان أباه قال سمعت بعمر
ابن الخطاب وعلى عنى ادمة أجلها فقال عمر الاتودى زكاتك ياخاس فقلت مالى غير
هذا واهب فى القرظ قال ذاك مال فضع فوضعها فحسبها فاخذ منها الزكاة فاذا حال الحول
على عروض التجارة قوم فان بلغ قيمته عشرين دينارا أو مائتى درهم أخرج منه ربع العشر

المسئلة الثانية

فى قوله تعالى ﴿ وما أخرجنا لكم من الارض ﴾ ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة
فى كل ماخرج من الارض من النبات مما يزرع الآدميون لكن جمهور العلماء خصصوا
هذا العموم فأوجبوا الزكاة فى النخيل والكروم وفيما يقتات ويدخر من الحبوب
وأوجب أبو حنيفة الزكاة فى كل مايقصد من نبات الارض كالفواكه والبقول
والخضراوات كالبطيخ والقثاء والخيار ونحو ذلك ﴿ دليل الجمهور ماروى عن معاذ انه
كتب الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله عن الخضراوات وهى البقول فقال
ليس فيها شىء أخرجه الترمذى وقال هذا الحديث ليس بصحيح وليس يصح عن النبى
صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب شىء وانما يروى هذا عن موسى بن طلحة عن النبى
صلى الله عليه وسلم مرسلًا والعمل على هذا عند أهل العلم انه ليس فى الخضراوات
صدقة قلت وحديث موسى بن طلحة أخرجه الشيخ مجد الدين أبو البركات عبد
السلام بن عبد الله بن تيمية الحرانى فى احكامه عن عطاء بن السائب قال أراد عبد الله بن
المغيرة أن يأخذ من أرض موسى بن طلحة من الخضراوات صدقة فقال له موسى بن طلحة
ليس ذلك لك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ليس فى ذلك صدقة رواه الاثرم
فى سننه وهو أقوى المراسيل لاحتجاج من أرسله به وقال الزهرى والاوزاعى ومالك
تجب الزكاة فى الزيتون ونجب فى التمار عند بدو الصلاح وهو ان يحمر البسر ويصفر
ووقت الاخراج بعد الاجتناء والجفاف وفى الحبوب عند الاشتداد ووقت الاخراج
بعد الدراس والتصفية

المسئلة الثالثة

يجب اخراج العشر فيما سقى بالمطر والانهار والعيون ونصف العشر فيما سقى بنضح
أو سانية ويدل على ذلك ماروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فيما
سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وما سقى بالنضح نصف العشر أخرجه البخارى
وابن داود والنسائى قال فيما سقت السماء والانهار والعيون أو كان بعلا العشر وما سقى

فى اموال التجارة (وما
أخرجنا لكم من الارض)
من الحب والتمر والمعادن
وغيرها والتقدير ومن
طبيات ما أخرجنا لكم الا
انه حذف لذكر الطبيات
(وما أخرجنا لكم من
الارض) من النبات يعنى
الحبوب والثمار

﴿ولا تيموا الخبيث﴾ أي ولا تصدوا الردي ﴿منه﴾ أي من المال أو مما أخرجنا لكم
وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تأموا ولا تيموا بضم التاء
﴿تنفقون﴾ حالا مقدره من فاعل تيموا ويجوز أن يتعلق به منه ويكون الضمير
للخبيث والجملة حالا منه ﴿ولستم بأخذيته﴾ أي وحالكم أنكم لا تأخذونه
في حقوقكم لردامته ﴿الآن تغمضوا فيه﴾ الآن تسامحوا فيه مجاز من اغض بصره
إذاغضه وقرئ تغمضوا أي تحملوا على الاغض أو توجدوا مغمضين وعن ابن عباس

بالسواني والنضج نصف العشر قال أبو داود البعل ما شرب بعروقه ولم يتعن في سقيه
وقال وكيع هو الذي ينبت من ماء السماء * قوله أو كان عثريا أراد به القوي من الزرع وهو
البعل وقد فسر في لفظ الحديث والنضج هو الاستسقاء وكذلك السانية وهي الدابة
التي يسقى عليها سواء كانت من الابل أو البقر ولا يجب العشر في الثمار والزروع حتى
تبلغ خمسة أوسق * والوسق ستون صاعا وقال أبو حنيفة يجب العشر في كل قليل أو كثير
من الثمار والزروع واحتج الجمهور في إيجاب النصاب بما روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة وليس فيما دون
خسة أواق صدقة وليس فيما دون خسة ذود صدقة * وفي رواية ليس فيما دون خسة
أوساق من تمر أو حب صدقة أخرجاه في الصحيحين ومن قال ان المراد بقوله تعالى أنفقوا
من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض صدقة التطوع احتج بما روى عن أنس بن
مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع
زرعا فإيا كل منه طير أو إنسان أو بهيمة الا كان له به صدقة أخرجاه في الصحيحين * قوله
عز وجل ﴿ولا تيموا الخبيث﴾ أي ولا تصدوا الخبيث يعني الردي من أموالكم ﴿منه﴾
تنفقون ﴿أي من الخبيث﴾ عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قوله تعالى ولا تيموا
الخبيث منه تنفقون قال نزلت فينا معشر الانصار كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي
من نخله على قدر كثيره وقتله وكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد وكان
أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم اذا جاع أتى القنو فضر به بعصاه فسقط
البسر أو التمر فإكل وكان ناس مما لا يرغب في الخير يأتي بالقنوفيه الشيص والحشف
وبالقنو قد انكسر فيعلقه فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم
ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيته الا أن
تغمضوا فيه قال لوان أحدكم أهدي اليه مثل ما أعطى لم يأخذه الا على اغراض وحياء
قال فكنا بعد ذلك يأتي أحدنا بصالح ما عنده أخرجاه الترمذي وقال هذا حديث
حسن صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة أموالهم ويعزلون
الجيد لانفسهم فانزل الله تعالى ولا تيموا الخبيث يعني الردي منه تنفقون يعني يتصدقون
﴿ولستم بأخذيته﴾ يعني ذلك الشيء الخبيث الردي ﴿الآن تغمضوا فيه﴾ الاغض
في اللغة غض البصر وطباق الجفن والمراد به هنا التجوز والمساهلة وذلك ان الانسان

(ولا تيموا الخبيث) ولا
تصدوا المال الردي
(منه تنفقون) تخصونه
بالانفاق وهو في محل الحال
أي ولا تيموا الخبيث
منفقين أي مقدرين النفقة
(ولستم بأخذيته) وحالكم
انكم لا تأخذونه في
حقوقكم (الا أن تغمضوا
فيه) الا بان تسامحوا في
أخذه وتترخصوا فيه من
قولك اغض فلان عن بعض
حقه اذا غض بصره ويقال
للباع اغض أي لا تستقص
كأنك لا تبصر وعن ابن
عباس رضي الله عنهما كانوا
يتصدقون بحشف التمر

(ولا تيموا الخبيث) لا تيموا
الى الردي من أموالكم (منه
تنفقون ولستم بأخذيته)
بقابليه يعني الردي اذا
كان لكم حق على صاحبكم
(الا أن تغمضوا فيه)
تغمضوا فيه وتتركوا بعض
حقكم كذلك لا يقبل الله

وشراره فهو اعند (واعلموا
 أن الله غنى) عن صدقاتكم
 (جيد) مستحق للحمد
 أو محمود (الشیطان يعدكم)
 في الانفاق (الفقر) ويقول
 لكم ان عاقبة انفاقكم ان
 تفقروا والوعد يستعمل
 في الخير والشر (وياًمرکم
 بالفحشاء) ويفريكم على
 البخل ومنع الصدقات
 اغراء الأمر للمأور
 والفاحش عند العرب
 البخل (والله يعدكم) في
 الانفاق (مغفرة منه)
 لذنوبكم وكفارة لها
 (وفضلاً) وان يخلف
 عليكم أفضل مما أنفقتم
 أو ثوابا عليه في الآخرة
 (والله واسع) بوسع على

الردىء منكم (واعلموا
 أن الله غنى) عن نفقاتكم
 (جيد) محمود في افعاله
 ويقال يشكر اليسير
 ويجزى الجزيل نزلت
 هذه الآية في رجل
 بالمدينة صاحب الحشف
 (الشیطان يعدكم الفقر)
 يخوفكم الفقر عند الصدقة
 (وياًمرکم بالفحشاء) بمنع
 الزكاة (والله يعدكم
 مغفرة منه) لذنوبكم باعطاء
 الزكاة (وفضلاً) خلفا
 وثوابا في الآخرة (والله
 واسع) بالخلف والمغفرة

رضى الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فهو اعند (واعلموا أن الله
 غنى) عن انفاقكم وأما يأمركم به لانتفاعكم (جيد) بقبوله وأثابته (الشیطان
 يعدكم الفقر) في الانفاق والوعد في الاصل شائع في الخير والشر وقرى الفقر
 بالضم والسكون وبضمتين وقحتين (وياًمرکم بالفحشاء) ويفريكم على البخل والعرب
 تسمى البخل فاحشا وقيل المعاصي (والله يعدكم مغفرة منه) أى يعدكم في الانفاق
 مغفرة ذنوبكم (وفضلاً) خلفا أفضل مما أنفقتم في الدنيا أو في الآخرة (والله واسع)

إذا رأى ما يكره أغض عينه لثلا يرى ذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه
 لو أن لاحدكم على رجل حقا فجاءه بهذا لم يأخذه الا هو يرى انه قد أغض عن
 حقه وتركه وقال البراء هولوا هدى ذلك ما أخذتموه الاعلى استحياء من صاحبه وغيظ
 فكيف ترضون لى ما لاترضون لانفسكم اذا كان المال كله جيدا فليس له اعطاء الردى
 لان أهل السهمان شركاء له فيما عنده وان كان كله رديئا فلا بأس باعطاء الردى
 (واعلموا أن الله غنى) يعني عن صدقاتكم لم يأمركم بالتصدق لعوز واحتياج اليها
 (جيد) أى محمود في افعاله وقيل جيد بمعنى حامد أى أجركم على ما تفعلونه من الخير
 قوله عز وجل (الشیطان يعدكم الفقر) أى يخوفكم الفقر يقال وعدته خيرا ووعدته
 شرا واذا لم يذكر الخير والشر يقال في الخير وعدته وفي الشر أوعدته والفقر سوء
 الحال وقلة ذات اليد وأصله من كسر فقار الظهر ومعنى الآية ان الشيطان يخوفكم
 بالفقر ويقول للرجل امسك عليك مالك فانك اذا تصدقت افتقرت (وياًمرکم
 بالفحشاء) معنى يوسوس لكم ويحسن لكم البخل ومنع الزكاة والصدقة قال الكلبي
 كل فحشاء في القرآن فهمى الزنا الا هذا الموضع وفي هذه الآية لطيفة وهى ان الشيطان
 يخوف الرجل أولا بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف الى أن يأمركم بالفحشاء وهى البخل
 وذلك لان البخل على صفة مذمومة عند كل أحد فلا يستطيع الشيطان أن يحسن له
 البخل الا بتلك المقدمة وهى التخويف من الفقر فلهذا قال سبحانه وتعالى الشيطان يعدكم
 الفقر ويأمركم بالفحشاء (والله يعدكم مغفرة منه) معنى مغفرة لذنوبكم وسترا لكم
 (وفضلاً) معنى رزقا وخلفا فالمغفرة اشارة الى منافع الآخرة والفضل اشارة الى
 منافع الدنيا وما يحصل بين الرزق والخلف (عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ان للشیطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأمالمة الشيطان فايعاد بالشر
 وتكذيب بالحق وأمالمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه
 من الله تعالى فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان
 يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء أخرجه الترمذى وقال هذا حديث حسن غريب قوله
 ان للشیطان لمة بابن آدم اللمة الخطرة الواحدة من الامام وهو القرب من الشئ
 والمراد بهذه اللمة اللمة التى تقع في القلب من فعل خير أو شر والعزم فاما لمة الشيطان
 فوسوسة وأمالمة الملك فالهام من الله تعالى (والله واسع) أى غنى قادر

أى واسع الفضل لمن انفق ﴿ علم ﴾ بانفاقه ﴿ يؤتى الحكمة ﴾ بتحقيق العلم
 واتقان العمل ﴿ من يشاء ﴾ مقول أول آخر للاهتمام بالمفعول الثاني ﴿ ومن يؤتى
 الحكمة ﴾ بناؤه للمفعول لانه المقصود * وقرأ يعقوب بالكسر أى ومن يؤته الله الحكمة
 ﴿ فقد أوتى خيرا كثيرا ﴾ أى أى خير كثير اذ حيزله خير الدارين ﴿ وما يذكر ﴾
 وما يتعظ بما قص من الآيات أو ما يتفكر فان المتفكر كالتذكر لئلا ودع الله في قلبه من العلوم
 بالقوة ﴿ الأولوا الالباب ﴾ ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الي

على اغنائكم واخلاف ما تفقونه ﴿ علم ﴾ يعنى بما تفقونه لا تخفى عليه خافية (ق)
 عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح فيه العباد
 الا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا
 تلقا (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله
 تعالى أنفق ينفق عليك * وفي رواية يدالله ملائى لا تفيضها نفقة سخاء الليل والنهار وقال
 أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يفيض ما فى يده وفي رواية فانه لم يفيض
 ما فى عنده وكان عرشه على الماء ويبيده الميزان يخفض ويرفع * وفي رواية ويبيده الاخرى الفيض
 والقبض يرفع ويخفض (ق) عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنها قالت قال لى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم انفق ولا تحصى فيمضى عليك ولا توعى فبوعى عليك * قوله ولا
 توعى أى لا تشهى فيشبع الله عليك أى فيجازيك بالتقدير في رزقك ولا يخلف عليك
 ولا يبارك لك والمعنى لا يجمعى وتمنى بل أنفق ولا تمدى ولا تشهى * قوله عز وجل
 ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما هى علم القرآن ناسخه وسنوخه
 ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وقال الضحاك القرآن والفهم فيه
 وانما قال ذلك لتضمن القرآن الحكمة وقال فى القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة
 وألف آية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يعلوهن ولا يكونوا كأهل النهروان
 يعنى الخوارج تأولوا آيات من القرآن فى أهل القبلة وانزلت فى أهل الكتاب فجهلوا
 علمها فسفكوا بها الدماء وانتهوا الاموال وشهدوا على أهل السنة بالضلالة فعملكم بعلم القرآن
 فانه من علم فم نزل لم يختلف فى شئ منه وفيل هى القرآن والعلم والفقه وقيل هى الاصابة
 فى القول والفعل وحاصل هذه الاقوال الى شيئين العلم والاصابة فيه ومعرفة الاشياء
 بذواتها وأصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها قال الشاعر

أبى حيفة أحكموا سفهاكم

أى امنعوا سفهاكم وقال السدى الحكمة النبوة لان النبي يحكم بين الناس فهو
 حاكم وقيل الحكمة الورع فى دين الله لان الورع يمنع صاحبه من أن يقع فى الحرام
 أو مالا يجوز له فعله ﴿ ومن يؤتى الحكمة ﴾ يعنى ومن يؤته الله الحكمة ﴿ فقد
 أوتى خيرا كثيرا ﴾ تنكير تعظيم معناه فقد أوتى أى خير كثير ﴿ وما يذكر الأولوا
 الالباب ﴾ أى وما يتعظ بما وعظه الله الاذوو العقول الذين عقلوا عن الله أمره ونهيه

من يشاء (علم) بافعالكم
 ونياتكم (يؤتى الحكمة من
 يشاء) علم القرآن والسنة
 أو العلم النافع الموصل
 الى رضاء الله والعمل به
 والحكيم عند الله هو العالم
 العامل (ومن يؤتى الحكمة)
 ومن يؤتى يعقوب أى ومن
 يؤته الله الحكمة (فقد أوتى
 خيرا كثيرا) تنكير تعظيم أى
 أوتى أى خير كثير (وما
 يذكر الأولوا الالباب) وما
 يتعظ بما وعظه الله الاذوو
 العقول السليمة أو العلماء
 العمال والمراد به الحث على
 العمل بما تضمنت الآى

لذنوب (علم) بنياتكم
 وصدقاتكم ثم ذكر كرامته
 فقال (يؤتى الحكمة من
 يشاء) يعنى النبوة لمحمد
 عليه الصلاة والسلام
 ويقال تفسير القرآن
 ويقال اصابة القول
 والفعل والرأى (ومن
 يؤتى الحكمة) اصابة
 القول والفعل والرأى
 (فقد أوتى) أعطى (خيرا
 كثيرا وما يذكر) يتعظ
 بامثال القرآن والحكمة
 (الا أولوا الالباب)
 ذوو العقول من الناس

متابعة الهوى ﴿ وما أنفقتم من نفقة ﴾ قليلة أو كثيرة سرا أو علانية في حق أو باطل
﴿ أو نذرتم من نذر ﴾ بشرط أو بغير شرط في طاعة أو معصية ﴿ فأن الله يعلمه ﴾
فيجازيكم عليه ﴿ وما للظالمين ﴾ الذين يتفقون في المعاصي وينذرون فيها أو يمنعون

﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وما أنفقتم من نفقة ﴾ يعني فيما فرضه الله عليكم من إعطاء زكاة وغيرها ﴿ أو
نذرتم من نذر ﴾ يعني به ما أوجبه الله على أنفسكم في طاعة الله فوفيتم به والنذر أن يوجب
الانسان على نفسه شيئا ليس بواجب يقال نذرت لله نذرا وأصله من الخوف لان الانسان
انما يقدر على نفسه النذر من خوف التقصير في الامر المهم * والنذر في الشرع على ضربين
مفسر وغير مفسر فالمفسر ان يقول لله على صوم أو حج أو عتق أو صدقة فيلزمه الوفاء به
ولا يجزيه غيره وغير المفسر هو ان يقول نذرت لله لأفعل كذا ثم يفعله أو يقول لله على
نذر من غير تسمية شئ فيلزمه فيه كفارة يمين (خ) عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصى الله
فلا يعصه * عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر نذرا
لم يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا في معصية فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا
لا يطيقه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا فاطاقه فليف به أخرجه أبو داود * عن عمران
ابن حصين رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذر في معصية ولا فيما
لا يملك ابن آدم أخرجه النسائي (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم نهي عن النذر وقال انه لا يأتي بخير وانما يستخرج به من البخيل (م) عن أبي
هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان النذر لا يقرب من ابن آدم شيئا
لم يكن الله قدره له ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن
البخيل يريد أن يخرج * قال بعض العلماء يحتمل أن يكون سبب النهي عن النذر كون
الناذر يصير ملتزما ما لا يأتي به تكلفا من غير نشاط أو يكون سببه كونه يأتي به
على سبيل المعاوضة عن الامر الذي طلبه فينقص أجره وشأن العبادة أن تكون
متحضة لله تعالى وقال بعضهم يحتمل أن يكون النهي لكونه قد يظن بعض الجهلة
ان النذر يرد القدر أو يمنع من حصول المقدور فنهى عنه خوفا من اعتقاد ذلك
وسياق الحديث يؤكد هذا * وقوله في بعض روايات الحديث انه لا يأتي بخير معناه
انه لا يرد شيئا من القدر * وقوله فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن
يخرج معناه انه لا يأتي بهذه القرية تطوعا محضا مبتدأ وانما يأتي بها في مقابلة شئ يريد
كقوله ان شئني الله سرضى قلله على كذا ونحو ذلك مما يحصل بالنذر والله أعلم * قوله
عز وجل ﴿ فأن الله يعلمه ﴾ أي يعلم ما أنفقتم ونذرتم فيجازيكم به وانما قال يعلمه ولم
يقل يعلمهما لانه ردا للضمير على الآخر منهما فهو كقوله ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم
به بريئا وقيل أن الكناية عادت على ما في قوله وما أنفقتم لانها اسم فهو كقوله وما أنزل
عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ولم يقل بهما ﴿ وما للظالمين ﴾ يعني الواضحين

في معنى الانفاق (وما أنفقتم
من نفقة) في سبيل الله أو
في سبيل الشيطان (أو
نذرتم من نذر) في طاعة الله
أو في معصيته (فأن الله يعلمه)
لا يخفى عليه وهو مجازيكم
عليه (وما للظالمين) الذين
يمنعون الصدقات أو ينفقون
أموالهم في المعاصي أو
ينذرون في المعاصي أو
لا يفنون بالنذور

(وما أنفقتم من نفقة) في
سبيل الله (أو نذرتم من
نذر) في طاعة الله فوفيتم به
(فأن الله يعلمه) يقبله اذا كان
لله ويثيب عليها (وما للظالمين)

الصدقات ولا يوفون بالندور ﴿ من أنصار ﴾ من ينصرهم من الله سبحانه وتعالى وينعمهم من عقابه ﴿ أن تبدوا الصدقات فنعما هي ﴾ فنعم شيئاً ابتداؤها وقرأ ابن عامر وحزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل • وقرأ أبو بكر وأبو عمرو وقالون بكسر النون وسكون العين وروى عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو أقيس ﴿ وأن تخفوها وتؤتوها الفقراء ﴾ أى تعطوها مع الاخفاء ﴿ فهو خير لكم ﴾ فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فإن ابتداء الفرض لغيره أفضل لنفي التهمة عنه عن ابن عباس رضى الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفاً وصدقة الفريضة علانيتها أفضل

الصدقة في غير موضعها وقيل الذين يريدون بصدقاتهم الرياء والسمعة وقيل هم الذين يتصدقون بالمال الحرام ﴿ من أنصار ﴾ أى من أعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى ففيه وعيد عظيم لكل ظالم ﴿ قوله عز وجل ﴾ أن تبدوا الصدقات ﴿ أى تظهروا الصدقات والصدقة ما يخرجها الانسان من ماله على وجه القرية فيدخل فيه الزكاة الواجبة وصدقة التطوع ﴿ فنعما هي ﴾ أى فعمت الخصلة هي وقيل فنعم الشيء هي وقيل معناه فنعم شيئاً ابتداء الصدقات ﴿ وان تخفوها ﴾ أى تسروا الصدقة ﴿ وتؤتوها الفقراء ﴾ أى تعطوها الفقراء في السر ﴿ فهو خير لكم ﴾ يعنى اخفاء الصدقة أفضل من العلانية وكل مقبول اذا كانت النية صادقة واختلفوا في المراد بالصدقة المذكورة في الآية فقال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع واتفق العلماء على ان كتمان صدقة التطوع أفضل واخفاؤها خير من اظهارها لان ذلك أبعد من الرياء وأقرب الى الاخلاص ولان فيه بعدا عما تؤثره النفس من اظهار الصدقة وفي صدقة السر أيضا فائدة ترجع الى الفقير الآخذ وهي انه اذا أعطى في السر زال عنه الذل والانكسار واذا أعطى في العلانية يحصل له الذل والانكسار ﴿ ويدل على ان صدقة السر أفضل ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في طاعة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله تعالى اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال أنى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه أخرجه في الصحيحين ووجه جواز اظهار الصدقة يكون ممن قد أمن على نفسه من مداخله الرياء في عمله أو يكون ممن يقتدى به في أفعاله فاذا أظهر الصدقة تابعه غيره على ذلك وأما الزكاة فإظهارها أفضل من كتمانها كالصلاة المكتوبة في الجماعة أفضل وصلاة التطوع في البيت أفضل ولكن في اظهار الزكاة نفي التهمة عن المذكي وقيل ان الآية واردة في زكاة الفرض وكان اخفاؤها خيرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا لا يظنون بأحد انه يمنع الزكاة فاما اليوم في زماننا فإظهار الزكاة أفضل حتى لا يساء الظن به وقيل ان الآية عامة في جميع الصدقات الواجبة والتطوع

منعهم من الله وينعمهم من عقابه (ان تبدوا الصدقات فنعما هي) فنعم شيئاً ابتداؤها وما نكرة غير موصولة ولا موصوفة والمخصوص بالمدح هي فنعما هي بكسر النون واسكان العين أبو عمرو ومدنى غير ورش وفتح النون وكسر العين شامى وحزة وعلى وبكسر النون والعين غيرهم (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء) وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء (فهو خير لكم) فالاخفاء خير لكم قالوا المراد صدقات التطوع والجهري في الفرائض أفضل لنفي التهمة حتى اذا كان المذكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه أفضل والمتطوع ان أراد ان يقتدى به كان اظهاره أفضل

للمشركين (من أنصار) من مانع من عذاب الله ثم ذكر صدقة السر والعلانية لقولهم أيهما أفضل فقال (ان تبدوا) ان تظهروا (الصدقات) الواجبة (فنعما هي) فنعم شيئاً (وان تخفوها) تسروها يعنى التطوع (وتؤتوها) تعطوها (الفقراء) أصحاب الصفة (فهو خير لكم) من العلانية وكلاهما مقبول

(ونكفر) بالنون وجزم الراء مدني وحزة وعلى وبالياء ورفع الراء شامى وحفص والنون ورفع غيرهم فمن جزم فقد عطف على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط ومن رفع فعلى الاستئناف والياء على معنى يكفر الله (عنكم من سيئاتكم) والنون على معنى نحن نكفر (والله بما تعملون) ﴿٤٢٧﴾ من الابداء والاخفاء {سورة البقرة} (خير) عالم (ليس عليك هدايم) لا يجب عليك

أن تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخيىث وغير ذلك وما عليك الا أن تبغهم النواهي فحسب (ولكن الله يهدى من يشاء) أو ليس عليك التوفيق على الهدى أو خلق الهدى وانما ذلك الى الله (وما تنفقوا من خير) من مال (فلا تنفسم) فهو لا تنفسم لا يتفبع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتناول عليهم (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) وليست نفقتكم الا ابتغاء وجه الله أى رضاه الله ولطلب ما عنده فما بالكم

من سرها خمسة وعشرين ضعفا ﴿ويكفر عنكم من سيئاتكم﴾ * قرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء أى والله يكفر أو الاخفاء * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مر فوعا على أنه جملة فعلية مبتدأة أو اسمية معطوفة على ما بعد الفاء أى ونحن نكفر * وقرأ نافع وحزة والكسائى به مجزوما على محل الفاء وما بعده * وقرئ بالياء مر فوعا ومجزوما والقفل للصدقات ﴿والله بما تعملون خير﴾ ترغيب في الاسرار ﴿ليس عليك هدايم﴾ لا يجب عليك أن تجعل الناس مهديين وأما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخيىث ﴿ولكن الله يهدى من يشاء﴾ صريح بان الهداية من الله سبحانه وتعالى وبمشيئته وأنها تختص بقوم دون قوم ﴿وما تنفقوا من خير﴾ من نفقة معروفة ﴿فلا تنفسم﴾ فهو لا تنفسم لا يتفبع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخيىث ﴿وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله﴾ حال وكأنه قال وما تنفقوا من خير فلا تنفسم غير منفقين الا لابتغاء وجه

والاخفاء أفضل في كل صدقة من زكاة وغيرها * قوله عز وجل ﴿ونكفر عنكم من سيئاتكم﴾ قيل ان من صلة زائدة تقديره ونكفر عنكم سيئاتكم قال ابن عباس رضى الله عنهما جميع سيئاتكم وقيل ادخل من للتبعيض ليكون العباد على وجل ولا يتكلموا والمعنى ونكفر عنكم الصغار من سيئاتكم وأصل التكفير في اللغة التغطية والستر ﴿والله بما تعملون خير﴾ يعنى من اظهار الصدقات واخفائها * قوله عز وجل ﴿ليس عليك هدايم﴾ قيل سبب نزول هذه الآية ان ناسا من المسلمين كان لهم قرابات وأصهار في اليهود وكانوا ينفعونهم وينفقون عليهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفعوهم وأرادوا بذلك أن يسلموا وقيل كانوا يتصدقون على فقراء أهل المدينة فلما كثر المسلمون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة الى الدخول في الاسلام لحرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم فنزل ليس عليك هدايم ومعناه ليس عليك هداية من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل أن يدخلوا في الاسلام فحينئذ تتصدق عليهم فأعلمه الله تعالى انه انما بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه فاما كونهم مهديين فليس ذلك اليك ﴿ولكن الله يهدى من يشاء﴾ يعنى ان الله تعالى يوفق من يشاء فيهديه الى الاسلام وأراد بالهداية هنا هداية التوفيق وأما هداية البيان والدعوة فكانت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية اعطوهم وتصدقوا عليهم ﴿وما تنفقوا من خير﴾ أى من مال ﴿فلا تنفسم﴾ أى ما فعلوا تفهوا به أنفسهم ﴿وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله﴾ ظاهره خبر ومعناه نهى

منكم (ويكفر عنكم من سيئاتكم) ذنوبكم بقدر صدقاتكم (والله بما تعملون) تعطون من الصدقة (خير) ثم رخص الصدقة على فقراء أهل الكتاب والمشركين لقولهم أيجوز لنا يا رسول الله أن نتصدق على ذوى قرابتنا من غير أهل ديننا سألت عن ذلك أسماء بنت أبى بكر ويقال

بنت أبى الضر فقال الله لنبية (ليس عليك هدايم) في الدين هدى فقراء أهل الكتاب (ولكن الله يهدى من يشاء) لدينه (وما تنفقوا من خير) من مال على الفقراء (فلا تنفسم) ثواب ذلك (وما تنفقون) على الفقراء فلا تنفقون (الا ابتغاء وجه الله) طلب

تتمون بها وتنفقون الخيـث { الجزء الثالث } الذي لا يوجه مثله ﴿٤٢٨﴾ الى الله أو هذا نفي معناه النبي أي

الله سبحانه وتعالى وطلب ثوابه أو عطف على ما قبله أي وليس نفقتكم الا ابتغاء وجهه فبالكم تمنون بها وتنفقون الخيـث وقيل نفي في معنى النبي ﴿وماتنفقوا من خير يوف اليكم﴾ ثوابه أضعافا مضاعفة فهو تأكيد للشرطية السابقة أو ما يخلف المنفق استجابة لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولمسك تلفا روى أن ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما أسئلوا أن ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب أما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكفار ﴿وأتم لا تظلمون﴾ أي لا تنقصون ثواب نفقتكم ﴿للفقراء﴾ متعلق بمحذوف أي اعمدوا للفقراء أو اجعلوا ما تنفقونه للفقراء أو صدقاتكم للفقراء ﴿الذين احصروا في سبيل الله﴾ احصرهم الجهاد ﴿لا يستطيعون﴾ لاشتغالهم به ﴿ضربا في الارض﴾

أي ولا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله وقال الزجاج هذا خاص للمؤمنين أعلمهم الله انه قد علم أن مرادهم بنفقتهم ما عنده وقيل معناه ولستم في صدقاتكم على أقراركم من المشركين تقصدون الاوجه الله وقد علم الله هذا من قلوبكم فانفقوا عليهم اذا كنتم انما يتبعون بذلك وجه الله في صلة الرحم وسدخلة مضطر قال بعض العلماء لو أنفقت على شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك وأجمع العلماء على انه لا يجوز صرف الزكاة الا الى المسلمين وهم أهل السهمان المذكورون في سورة التوبة وجوز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر الى أهل الذمة وخالفه سائر العلماء في ذلك فعلى هذا تكون الآية مختصة بصدقة التطوع أباح الله تعالى ان تصرف الى فقراء المسلمين وفقراء أهل الذمة ما زاد كاه الفرض فلا يجوز صرفها الى أهل الذمة بحال ﴿وماتنفقوا من خير يوف اليكم﴾ أي يوفركم جزاؤه وقال ابن عباس رضي الله عنهما يجازيكم به يوم القيامة ومعناه يؤدى اليكم يوم القيامة ولهذا حسن ادخال الى مع التوفية لانها تضمنت معنى التأدية ﴿وأتم لا تظلمون﴾ أي لا تنقصون شيئا من ثواب أعمالكم ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿للفقراء﴾ اختلفوا في موضع اللام في قوله للفقراء فقيل هو مردود على موضع اللام من قوله فلانفسكم فكانه قال ومانفقوا من خير للفقراء وانما تنفقون لانفسكم وقيل معناه الصدقات التي سبق ذكرها للفقراء وقيل خبر محذوف تقديره للفقراء الذين من صفتهم كذا وكذا حق واجب وهم فقراء المهاجرين كانوا نحو أربع مائة رجل لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عسائر وكانوا يأوون الى صفة في المسجد يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أصحاب الصفة فحث الله تعالى الناس على مواساتهم فكان من عنده فضل آتاهاهم به اذا أمسى ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿الذين احصروا في سبيل الله﴾ يعني هم الذين حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله وقيل حسبوا أنفسهم على طاعة الله ﴿لا يستطيعون ضربا في الارض﴾ يعني لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش والكسب وهم أهل الصفة الذين تقدم ذكرهم وقيل حسبهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله وقيل هم قوم اصابتهم جراحات في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمني

ولا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله (وماتنفقوا من خير يوف اليكم) ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على أحسن الوجوه وأجلها (وأتم لا تظلمون) ولا تنقصون كتقوله ولم تظلم منه شيئا أي لم تنقص الجارفي (للفقراء) متعلق بمحذوف أي اعمدوا للفقراء أو هو خبر مبتدأ محذوف أي هذه الصدقات للفقراء (الذين احصروا في سبيل الله) هم الذين احصرهم الجهاد فنعهم من التصرف (لا يستطيعون) لاشتغالهم به (ضربا في الارض) للكسب وقيل هم أصحاب الصفة وهم نحو من أربع مائة رجل من مهاجري قريش لم تكن لهم مساكن في المدينة ولا عسائر فكانوا في صفة المسجد وهى سقيفة يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون مرضاة الله (وماتنفقوا من خير) من مال على فقراء أصحاب الصفة (يوف اليكم) يوفرا اليكم ثواب ذلك في الآخرة (وأتم لا تظلمون) لا ينقص من حسناتكم ولا يزداد على سيئاتكم (للفقراء الذين احصروا) يقول انما الصدقات للفقراء الذين حبسوا أنفسهم (في سبيل الله) في طاعة الله في مسجد الرسول وهم أصحاب الصفة (لا يستطيعون ضربا) سيرا (في الارض) (حصرهم)

(في سبيل الله) في طاعة الله في مسجد الرسول وهم أصحاب الصفة (لا يستطيعون ضربا) سيرا (في الارض) (حصرهم)

النوى بالنهار وكانوا يخرجون
في كل سرية بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمن كان
عنده فضل أتاهم به إذا مضى
(يحسبهم الجاهل) بحالهم
يحسبهم وبابه شامى ويزيد
وحزة وعاصم غير الاعشى
وهيرة والباقون بكسر

السين (أغنياء من التعفف)
مستغنين من أجل تعففهم
عن المسئلة (تعرفهم بسميهم)
من صفرة الوجوه وريانة
الحال (لا يسألون الناس
الحافا) الحافا قيل هو نفي
السؤال والالحاح جميعا
كقوله «على لاجب لا يهتدى

بمناره * يريد نفي المنار
والاهتداء به والالحاح هو
اللزوم وان لا يفارق الا
بشيء يعطاه وفي الحديث
ان الله يحب الحي الحليم
المتعفف ويبغض البذى
السال المحف وقيل معناه
انهم سألوا سألوا ابتلطف

بالتجارة (يحسبهم الجاهل)
من لا يعرفهم (أغنياء من
التعفف) من التجميل
(تعرفهم) يا محمد (بسميهم)
بجليتهم (لا يسألون الناس
الحافا) يقول الحافا ولا
غير الحاح

ذهابا فيها للكسب وقيل هم أهل الصفة كانوا نحو من أربعمائة من فقراء المهاجرين
يسكنون صفة المسجد يستغرقون أوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل
سرية بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿يحسبهم الجاهل﴾ بحالهم * وقرأ ابن عاصم
وعاصم وحزة بفتح السين ﴿أغنياء من التعفف﴾ من أجل تعففهم عن السؤال ﴿تعرفهم
بسميهم﴾ من الضعف وريانة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل
أحد ﴿لا يسألون الناس الحافا﴾ الحافا وهو أن يلزم المسؤل حتى يعطيه من
قولهم لحفى من فضل لحافه أى أعطاني من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسألون وأن
سألوا للضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين كقوله
«على لاجب لا يهتدى بمناره» * اذا ساقه العود الدنيا في جرجرا

حصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾
أى يظن من لم يختبر حالهم انهم أغنياء من التعفف وهو تفعل من العفة وهى ترك الشيء
والكف عنه يقال تعفف اذا ترك السؤال ولزم القناعة والمعنى يظنهم من لم يعرف
حالهم أغنياء لظاهرهم التجميل وتركهم المسئلة ﴿تعرفهم بسميهم﴾ السيماء والسيما
والسمة العلامة التى يعرف بها الشيء واختلفوا فى معناها هنا فقيل هى الخضوع والتواضع
وقيل هى أثر الجهد من الحاجة والفقر وقيل هى صفرة ألوانهم من الجوع وريانة
ثيابهم من الضر ﴿لا يسألون الناس الحافا﴾ يعنى الحافا قيل اذا كان عنده غداء
لا يسأل عشاء واذا كان عنده عشاء لا يسأل غداء وقيل لا يسألون الناس أصلا لانه قال
يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وهو ترك المسئلة فعلم بذلك انهم لا يسألون البتة ولانه
قال تعالى تعرفهم بسميهم ولو كانت المسئلة من شأنهم لما كانت الى معرفتهم بالعلامة
حاجة فعنى الآية ليس يصدر منهم سؤال حتى يقع فيه الحاف فهم لا يسألون الناس
الحافا ولا غير الحاف (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس (ق) عنده رضى الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين الذى ترده القممة واللحمة والتمر والتمران ولكن
المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفتن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس لفظ (خ) عن
الزبير رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي
الجليل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خير له من ان يسأل الناس اعطوه أم منعه * عن
ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه
جاء يوم القيامة ومسئله فى وجهه خوش أو خدوش أو كدوح وقيل يا رسول الله ما يغنيه قال
خسون درهما أو قيمتها من الذهب أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى * عن أبي سعيد
الخدري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة أو قية فقد الحف
أخرجه أبو داود وقال زاد هشام فى حديثه وكانت الاوقية على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم أربعين درهما وفى رواية عطاء بن يسار من سأل منكم وله أوقية أو عدلها فقد سأل
الحافا * عن عبد الله بن عمر بن العاص رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولم يلخوا (وماتنفقوا من خير فإن الله به عليم) لا يضيع عنده (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) هما حالان أي مسرين ومعلنين {الجزء الثالث} يعني يعمومون ﴿٤٣٠﴾ الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم

ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال أو على الحال ﴿وماتنفقوا من خير فإن الله به عليم﴾ ترغيب في الانفاق وخصوصا على هؤلاء ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية﴾ أي يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه لم يملك الا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها ﴿فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف أي ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية ﴿الذين يأكلون الربوا﴾ أي الآخذون له وانما ذكر الاكل لانه أعظم منافع المال ولان الربا شائع في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم أو نقد بنقد الى أجل أو في العوض بان يباع

من سأل الناس وله أربعون درهما فهو ملحف أخرجه النسائي (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس تكثرا فأما يسأل جرا فليستقل أو ليستكثر ﴿قوله عز وجل﴾ ومانفقوا من خير فإن الله به عليم ﴿يعني ان الله تعالى يعلم مقادير الانفاق ويجازي عليها ففيه حث على الصدقة والانفاق في الطاعة ﴿قوله عز وجل﴾ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية ﴿قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عنه نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب رضي الله عنه كانت عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وفي رواية عنه قال لما نزل للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله بعث عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه بدنانير كثيرة الى أهل الصفة وبعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الليل بوسق من تمر فانزل الله فيهما الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار يعني بنفقة الليل بنفقة علي وبالنهار بنفقة عبد الرحمن وفي الآية اشارة الى ان صدقة السر أفضل من صدقة العلانية لانه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار وقدم السر على العلانية وقيل نزلت الآية في الذين يربطون الخيل للجهاد في سبيل الله لانهم يملفونها بالليل والنهار وفي السر والعلانية (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده كان شعبة وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات وقيل ان الآية عامة في الذين ينفقون أموالهم في جميع الاوقات ويعموم بها أصحاب الحاجات والفاقات ﴿فهم أجرهم عند ربهم﴾ أي جزاء أعمالهم ﴿ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ يعني في الآخرة ﴿قوله عز وجل﴾ الذين يأكلون الربوا ﴿أي يعاملون به وانما خص الاكل لانه معظم الاسم المتصود من المال لان المال لا يؤكل انما

على الخير فكما نزلت بهم حاجة محتاج مجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة في العلانية أو في علي رضي الله عنه لم يملك الا أربعة دراهم تصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا

وبدرهم سرا وبدرهم علانية (فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين يأكلون الربوا) هو فضل مال خال عن العوض في معاوضة مال بمال وكتب الربوا بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلاة والزكاة وزيدت الالف بعدها

(ومانفقوا) على فقراء أصحاب الصفة (من خير) من مال (فإن الله به) بالمال وبنياتكم (عليم الذين ينفقون أموالهم) في الصدقة (بالليل والنهار سرا) في السر (وعلانية) في العلانية (فلهم أجرهم) ثوابهم (عند ربهم) في الجنة (ولا خوف عليهم) بالادوام (ولا هم يحزنون) اذا حزن

غيرهم نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب * ثم ذكر عقوبة آكل الربا فقال (الذين يأكلون الربوا) (بصرف)

تشبها بواو الجمع (لايقومون) اذا بعثوا من قبورهم (الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان) أى المصروع لانه تخبط في المعاملة فجوزى على المقابلة والتخبط ﴿٤٣١﴾ الضرب على غير استواء {سورة البقرة} كخبط العشاء (من المس)

من الجنون وهو يتعلق بلا يقومون أى لا يقومون من المس الذى بهم الا كما يقوم المصروع أو يقوم أى كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة يخجلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل

الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا أكلة الربا فانهم يهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم أكلوا الربا فارياه الله في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الايفاض (ذلك) العقاب (بأنهم) بسبب انهم قالوا انما البيع مثل الربوا ولم يقل انما الربا مثل البيع مع ان الكلام فى الربا فى البيع لانه حى به على طريقة المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم فى حل الربا

استحلالا (لايقومون) من قبورهم يوم القيامة (الا كما يقوم) فى الدنيا (الذى يتخبطه) يتخبطه (الشيطان من المس) من الجنون (ذلك) التخيل علامة آكل الربا فى الآخرة (بأنهم قالوا انما

أحدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالمسلومة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبها بواو الجمع ﴿لايقومون﴾ اذا بعثوا من قبورهم ﴿الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان﴾ الاقياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشاء ﴿من المس﴾ أى الجنون وهذا أيضا من زعماتهم ان الجنى يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون أى لا يقومون من المس الذى بهم بسبب أكل الربا أو يقوم أو يتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين للاختلال عقولهم ولكن لان الله أربى فى بطونهم ما أكلوه من الربا فثقلهم ﴿ذلك﴾ بأنهم قالوا انما البيع مثل الربوا ﴿أى ذلك العقاب بسبب أنهم نظمو الربا والبيع فى سلك

يصرف فى الماء كقول ثم يؤكل فنع الله التصرف فى الربا بما ذكر فيه من الوعيد (م) عن جابر رضى الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء * وأصل الربا فى اللغة الزيادة يقال ربا الشيء يربو اذا زاد وكثر فالربا الزيادة فى المال ﴿لايقومون﴾ يعنى من قبورهم يوم القيامة ﴿الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان﴾ أى يصرعدوأصل الخبط الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط للتي تضرب الارض بقوائمها وتطأ الناس باخفافها ومنه قولهم يخبط خبط عشواء للرجل الذى يتصرف فى الامور على غير اهتداء وتميز وتدبر وتخبطه الشيطان اذا مسه بخيل وخنون ﴿من المس﴾ يعنى من الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان به جنون ومعنى الآية ان آكل الربا يبعث يوم القيامة مثل المصروع الذى لا يستطيع الحركة الصحيحة لان الربا ربا فى بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الاسراع قال سعيد بن جبير تلك علامة آكل الربا اذا استحله يوم القيامة * وروى البغوى بسند الثعلبى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قصة الاسراء قال فانطلق بنى جبريل الى رجال كثير كل رجل بطنه مثل البيت الضخم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا قال فيقبلون مثل الابل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون فاذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يشاهم آل فرعون فيردوهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم فى البرزخ بين الدنيا والآخرة قال وآل فرعون يقولون اللهم لاتقم الساعة أبدا قال ويوم القيامة يقول أدخلوا آل فرعون أشد العذاب قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لايقون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس * قوله بطنه مثل البيت الضخم أى العظيم الكبير القليظ * وقوله منضدين أى موضوعين بعضهم على بعض * والسابلة الطريق * وقوله مثل الابل المنهومة لهم بالتحريك افراط فى الشهوة بالطعام من الجوع * قوله عز وجل ﴿ذلك﴾ بأنهم قالوا انما البيع مثل الربوا ﴿أى ذلك الذى نزل بهم من العذاب بقولهم هذا استحلالهم

البيع مثل الربوا) الزيادة فى آخر البيع بعد ما حل الاجل كالزيادة فى أول البيع

واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل أنما الربا مثل البيع ولكن عكس للبالغة كأنهم جعلوا الربا أصلاً وقساوبه البيع والفرق بين فان من أعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوى درهما بدرهمين فعلل مساس الحاجة اليها أو توقع رواجها يجبر هذا القين ﴿ وأحل الله البيع وحرم الربوا ﴾ انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضته النص

ايه وذلك ان أهل الجاهلية كان أحدهم اذا حل ماله على غيره يطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق زدني في الاجل حتى أزيدك في المال فيفعلان ذلك وكانوا يقولون سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند الحل لاجل التأخير فكذبهم الله تعالى ورد عليهم ذلك بقوله ﴿ وأحل الله البيع وحرم الربوا ﴾ يعني وأحل الله لكم الارباح في التجارة بالبيع والشراء وحرم الربا الذي هو زيادة في المال لاجل تأخير الاجل وذلك لان الله تعالى خلق الخلق فهم عبيده وهو مالكم يحكم فيهم بما يشاء ويستعبدكم بما يريد ليس لاحدان يعترض عليه في شيء مما أحل أو حرم وانما على كافة الخلق الطاعة والتسليم لحكمه وأمره ونهيه وذكر بعض العلماء الفرق بين البيع والربا فقال اذا باع ثوباً يساوى عشرة بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلاً للعشرين فلما حصل التراضي على هذا التقابل صار كل واحد منهما مقابلاً للآخر في المالمية عندهما فلم يكن أخذ من صاحبه شيئاً بغير عوض أما اذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد أخذ العشرة الزائدة بغير عوض ولا يمكن أن يقال ان العوض هو الامهال في مدة الاجل لان الامهال ليس مالا أو شيئاً يشار اليه حتى يجعله عوضاً عن العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين

﴿ فصل في حكم الربا ﴾ وفيه مسائل { المسئلة الاولى } ﴿

انهم جعلوه أصلاً وقانوناً في الحل حتى شبهوا به البيع (وأحل الله البيع وحرم الربوا) انكار لتسويتهم بينهما اذا حل مع الحرمة ضدان فأنى يمانلان ودلالة على أن القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه

اذا بعت بالنسيئة (وأحل الله البيع) الزيادة الاولى (وحرم الربوا) الزيادة الاخيرة

ذكروا في سبب تحريم الربا وجوهاً أحدها ان الربا يقتضى أخذ مال الغير بغير عوض لان من يبيع درهما بدرهمين تقداً كان أو نسيئة فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام* الوجه الثاني انما حرم عقد الربا لانه يمنع الناس من الاشتغال بالتجارة لان صاحب الدارهم اذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فيفضى ذلك الى انقطاع منافع الناس بالتجارات وطلب الارباح* الوجه الثالث ان الربا هو سبب الى انقطاع المعروف بين الناس من القرض فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدارهم للمحتاج واسترجاع مثله لطلب الاجر من الله تعالى* الوجه الرابع ان تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب ان يكون حكم جميع التكاليف معلومة للخلق فوجب القطع بتحريم الربا وان كنا لانعلم وجه الحكمة في ذلك

﴿ المسئلة الثانية ﴾

اعلم أن الربا في اللغة هو الزيادة وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام فثبت ان الزيادة المحرمة هو الربا وهو على صفة مخصوصة في مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالورق ربا الا هاء وهاء والبر بالبر ربا الا هاء وهاء والشعير

(بالشعير)

بالشعير ربا الاهاء وهاء والتمر ربا الاهاء وهاء * وفي رواية الورق بالورق ربا الاهاء وهاء والذهب ربا الاهاء وهاء (م) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب ووزنا بوزن مثلا بمثل والفضة بالفضة ووزنا بوزن مثلا بمثل فمن زاد واستزاد فقد أربى * وفي رواية التمر بالتمر والخنطة بالخنطة والشعير بالشعير والملح بالملح مثلا بمثل يدابيد فمن زاد واستزاد فقد أربى الاما اختلفت ألوانه (م) عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدابيد فاذا اختلفت هذه الاصناف فيبيعوا كيف شئتم اذا كان يدابيد فنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على جريان الربا في هذه الستة أشياء وهى النقدان وأربعة أصناف من المطعومات وهى البر والشعير والتمر والملح فذهب عامة أهل العلم الى ان حكم الربا ثبت في هذه الاشياء لاوصاف فيها فيتعدى الى كل ما يوجد من تلك الاوصاف فيه ثم اختلفوا في تلك الاوصاف فذهب قوم الى أن المعنى في جميعها هو واحد وهو النفع فأثبتوا الربا في جميع الاموال وذهب الاكثرون الى أن الربا ثبت في الدارهم والدنانير بوصف وفي الاشياء المطعومة بوصف آخر واختلفوا في ذلك الوصف فذهب الشافعي ومالك الى انه ثبت في الدراهم والدنانير بوصف النقدية وذهب أصحاب الرأي الى انه ثبت بعللة الوزن فأثبتوا الربا في جميع الموزونات مثل الحديد والتماس والقطن ونحو ذلك وأما الاربعة أشياء المطعومة فذهب أصحاب الرأي الى ان الربا ثبت فيها بعللة الوزن والكيل فأثبتوا الربا في جميع المكيلات والموزونات مطعوما كان أو غير مطعوم كالجص والنورة ونحوهما وذهب جماعة الى أن العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل مطعوم مكيل أو موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما سوى ذلك مما ليس بمكيل أو موزون وهو قول سعيد بن المسيب والشافعي في القديم وقال في الجديد ثبت الربا فيها بوصف الطعم فأثبت الربا في جميع الاشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت أو موزونة لما روى عن معمر بن عبد الله أرسل غلامه بصاع قمح فقال بعه ثم اشتره شعيرا فذهب الغلام فأخذ صاعا وزيادة بعض من صاع فلما جاء معمرأ أخبره بذلك فقال له معمر لم فعلت ذلك انطلق فرده ولا تأخذن الا مثلا بمثل فاني كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل وكان طعامنا الشعير قيل له فانه ليس بمثله فقال انى أخاف أن يضارع أخرجه مسلم فجملة مال الربا عند الشافعي ما كان ثمنا أو مطعوما

المسئلة الثالثة

الربا نوعان ربا فضل وهو الزيادة وربا نسيئة وهو الاجل فان باع ما يدخل فيه الربا بجنسه مثل ان باع أحد النقدين بجنسه كالذهب بالذهب أو المطعوم بجنسه كالخنطة بالخنطة ونحو ذلك فيشترط فيه التماثل والمساواة بعميار الشرع فان كان موزونا كالدرهم والدنانير فيشترط فيه المساواة في الوزن وان كان مكيلا كالخنطة والشعير يشترط في

(قا وخا ٥٥ ل)

﴿ فن جاءه موعظة من ربه ﴾ ﴿ فن بلغه وعظ من الله سبحانه وتعالى وزجر كالنهي عن الربا ﴾ ﴿ فأنهى ﴾ ﴿ فأنهظ وتبع النبي ﴾ ﴿ فله ما سلف ﴾ ﴿ تقدم أخذه التحريم ولا يسترده منه وما في موضع الرفع بالظرف أن جعلت من موصولة وبالابتداء أن جعلت شرطية على رأى سيوييه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله ﴾ ﴿ وأمره الى الله ﴾ ﴿ يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شأنه ولا اعتراض لكم عليه ﴾ ﴿ ومن عاد ﴾ ﴿ الى تحليل الربا اذ الكلام فيه ﴾ ﴿ فأولئك

(فن جاءه موعظة من ربه)
فن بلغه وعظ من الله وزجر
بالنهي عن الربا (فأنهى)
فتبع النبي وامتنع (فله
ما سلف) فلا يؤخذ بما
مضى منه لانه أخذ قبل
نزول التحريم (وأمره الى
الله) يحكم في شأنه يوم
القيامة وليس من أمره
البيكم شيء فلا تطالبوه به
(ومن عاد) الى استحلال
الربا عن الزجاء أو الى الربا
مستحلاً (فأولئك

بيعه بجنسه المساواة في الكيل ويشترط التقابض في مجلس العقد فان باع ما يدخل فيه الربا
بغير جنسه ينظر فان باع بما لا يوافق في وصف الربا مثل ان باع مطعوماً باحد النقيدين
فلا ربا فيه كالبواحه بغير مال الربا فان باعه بما يوافق في الوصف لا في الجنس مثل ان باع
الدرهم بالدينار أو باع الخنطة بالشهير أو كان مطعوماً بطعوم آخر من غير جنسه
فلا يثبت فيه ربا التفاضل فيجوز بيعه متفاضلاً ويثبت فيه ربا النسيئة فيشترط في بيعه
التقابض في المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم الا يدا بيد وقوله هاه وهاه فقيه اشترط
التقابض في المجلس وتحريم النسيئة وقوله صلى الله عليه وسلم الاسواء بسواء مثلاً بمثل
ففيه ايجاب المماثلة وتحريم التفاضل عند اتفاق الجنس وقوله صلى الله عليه وسلم فاذا
اختلفت هذه الاصناف فيدعوا كيف شئتم ففيه اطلاق التباعد مع التفاضل عند اختلاف الجنس
مع اشتراط التقابض في المجلس وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يدا بيد والله أعلم

المسئلة الرابعة

في القرض وهو من أقرض شيئاً وشرط عليه ان يرد عليه أفضل منه فهو قرض
جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا يدل عليه ماروى عن مالك قال بلغنى
ان رجلاً أتى ابن عمر فقال انى أسلفت رجلاً سلفاً واشترطت عليه أفضل مما أسلفته
فقال عبد الله بن عمر فذلك الربا أخرجده مالك في الموطأ قال فان لم يشترط فضلاً
في وقت القرض فرد المستقرض أفضل مما أخذ جاز ويدل على ذلك ماروى عن
مجاهد أن ابن عمر استلف دراهم فقصى صاحبها خيراً منها فابى أن يأخذها وقول هذه
خير من دراهمى فقال ابن عمر قد علمت ولكن نفسى بذلك طيبة أخرجده مالك
في الموطأ ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ فن جاءه موعظة من ربه ﴾ ﴿ أى تذكير وتخويف وانما
ذكر الفعل لان تأنيبه غير حقيق فجاز تذكيره وذلك لان الوعظ والموعظة شيء
واحد ﴾ ﴿ فأنهى ﴾ ﴿ أى عن أكل الربا ﴾ ﴿ فله ما سلف ﴾ ﴿ أى ماضى من ذنبه قبل
النهي مغفوره ﴾ ﴿ وأمره الى الله ﴾ ﴿ يعنى بعد النهي ان شاء عصمه حتى يثبت على
الانتهاه وان شاء خذله حتى يعود الى أكل الربا وقيل معناه وأمره الى الله فيما
يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس اليه من أمر نفسه شيء وقيل ان الآية
فيمن يمتد تحريم أكل الربا ثم يأكله فأمره الى الله تعالى ان شاء عفا عنه وان شاء
عذبه ﴾ ﴿ ومن عاد ﴾ ﴿ يعنى الى أكل الربا بعد التحريم مستحلاً له ﴾ ﴿ فأولئك

(فن جاءه موعظة من ربه)
نهى من ربه عن الربا
(فأنهى) عن الربا (فله
ما سلف) فليس عليه ماضى
قبل التحريم (وأمره) فيما
بقى من عمره (الى الله)
ان شاء عصمه وان شاء
خذله (ومن عاد) بعد
التحريم الى قوله انما البيع
مثل الربا (فأولئك

أصحاب النارهم فيها خالدون) لانهم بالاستحلال صاروا كافرين لان من أحل ما حرم الله عز وجل فهو كافر فلذا استحق الخلود وبهذا تبين أنه لا تعلق للعترة بهذه الآية في تحلidalفساق (يمحق الله الربوا) يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه (ويربى الصدقات) نيمها ويزيدها أى يزيد المال الذي أخرجت منه الصدقة وبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكاة من مال قط (والله لا يحب كل كفار) عظيم الكفر ﴿٤٣٥﴾ باستحلال الربا (أثم) متناديا {سورة البقرة} فى الاثم باكله (أن الذين

آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) قيل المراد به الذين آمنوا بتحريم الربا (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا) أخذوا ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فأمر وان يتركوها ولا يطالبوا بها روى أنها نزلت فى تقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال

أصحاب النارهم فيها خالدون ﴿ لانهم كفروا به ﴾ ﴿ يححق الله الربوا ﴾ يذهب ببركته ويهلك المال الذى يدخل فيه ﴿ ويربى الصدقات ﴾ يضاعف ثوابها وبارك فيما أخرجت منه وعنه عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل الصدقة فيرببها كإيربى أحدكم مهره وعنه عليه الصلاة والسلام ما نقصت زكاة من مال قط ﴿ والله لا يحب ﴾ لا يرضى ولا يحب محبته للتوايين ﴿ كل كفار ﴾ مصر على تحليل المحرمات ﴿ أثم ﴾ منتمك فى ارتكابه ﴿ أن الذين آمنوا ﴾ بالله ورسوله وبما جاءهم منه ﴿ وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكاة ﴾ عطفهما على ما معهما لاناقتنهما على سائر الاعمال الصالحة ﴿ لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ﴾ من آت ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ على فائت ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا ﴾ واركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربا

أصحاب النارهم فيها خالدون ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ يححق الله الربوا ﴾ أى ينقصه ويهلكه ويذهب ببركته قال ابن عباس رضى الله عنهما لا يقبل الله منه صدقة ولا جبا ولا جهادا ولا صلة ﴿ ويربى الصدقات ﴾ أى يزيدها ويثمرها وبارك فيها فى الدنيا ويضاعف أجرها فى الآخرة (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق أحد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وان كانت ثمرة فتربو فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كإيربى أحدكم فلوه أو فصيلة لفظ مسلم والبخارى من تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله * وفى رواية ولا يقبل الله إلا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يرببها صاحبها كإيربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل ﴿ والله لا يحب كل كفار ﴾ يعنى كل مصر على كفره مقيم عليه مستحل لاكل الربا ﴿ أثم ﴾ يعنى متناديا فى الاثم وفيه نهى عنه وان من أكل الربا لا ينزجر عنه ولا يتركه وقيل يحتمل أن يكون الكفار راجعا الى مستحل الربا والاثم راجعا الى من يفعله مع اعتقاد التحريم فتكون الآية جامعة للفريقين ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ أن الذين آمنوا ﴾ يعنى صدقوا بالله ورسوله ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ يعنى التى أمرهم الله بها ﴿ وأقاموا الصلوة ﴾ يعنى المفروضة باركانها وحدودها فى اوقاتها ﴿ وآتوا الزكاة ﴾ يعنى المفروضة عليهم فى أموالهم ﴿ لهم أجرهم عند ربهم ﴾ أى لهم ثواب أعمالهم فى الآخرة ﴿ ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ أى يوم القيامة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا ﴾ قيل نزلت فى العباس بن عبدالمطلب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما وكانا قد أسلفا فى التمر

أصحاب النار) أهل النار (هم فيها خالدون) دائمون الى ما شاء الله اذا كانوا مخلصين (يمحق الله الربوا) يهلك ويذهب ببركته فى الدنيا والآخرة (ويربى) يقبل ويضاعف (الصدقات) الواجبة والتطوع اذا كان لله (والله لا يحب كل كفار) كافر جاحد بتحريم الربا (أثم) فاجر بأكله (أن الذين آمنوا) بالله ورسوله وكتبه وتحريم الربا (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم وتركوا الربا (وأقاموا الصلوة)

آتوا الصلوات الخمس بما يجب فيها (وآتوا الزكاة) أعطوا زكاة أموالهم (لهم أجرهم) ثوابهم (عند ربهم) فى الجنة (ولا خوف عليهم) اذا ذبح الموت (ولا هم يحزنون) اذا طبقت النار (يا أيها الذين آمنوا) يعنى تقيفا ومسعودا وخيبا وعبد ياليل وربيعا (اتقوا الله) اخشوا الله فى الربا (وذروا ما بقى من الربوا) اتركوا ما بقى لكم من الربا على بنى مخزوم

﴿ أن كنتم مؤمنين ﴾ بقلوبكم فان دليله امتثال ما أمرتم به روى انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربا فنزلت ﴿ فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ أى فاعلموا بها من أذن بالشئ اذا علم به وقرأ حجة وعاصم في رواية ابن عياش فأذنوا أى فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضى ان يقاتل المرءى بعد الاستتابة حتى يفي الى أمر الله كالباغى

فلما كان وقت الجذاد قال صاحب التمر لهما ان أتما أخذتما حقهما لم يبق لى ما يكتفى عيالى فهل لكما أن تأخذا النصف وتؤخرا النصف وأضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فهاهما وأزل الله هذه الآية فسمعا وأطاعا وأخذا رؤس أموالهما وقيل نزلت في العباس وخالد بن الوليد رضى الله عنهما وكانا مشركين في الجاهلية يسلفان في الربا الى بنى عمرو بن عير ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فانزل الله تعالى هذه الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فيما رواه جابر من افراد مسلم الأكل شئ من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان أول دم أضع من دماء ابن ربيعة بن الحرث كان مسترضعا في بنى سعد فقتله هزبل وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربا العباس ابن عبدالمطلب فانه موضوع كله وقيل نزلت في أربعة أخوة من ثقيف وهم مسعود وعبدليل وخبيب وربيعة بن عمرو بن عير بن عوف الثقفى كانوا يداينون بنى المغيرة ابن عبد الله بن عير بن مخزوم وكانوا يرابون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف أسلم هؤلاء الاخوة بنوعر والثقفى وطلبوا رباهم من بنى المغيرة فقال بنو المغيرة والله مانعطى الربا في الاسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين فاخصموا الى عتاب ابن أسيد رضى الله عنه وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب عتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم بقضية الترفيقين وكان ذلك مالا عظيما فانزل الله تعالى يأيا الذين آمنوا اتقوا الله أى خافوا الله فيما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه وذروا أى واركوا ما بقى من الربا والمعنى واركوا طلب ما بقى لكم ما فضل على رؤس أموالكم ﴿ أن كنتم مؤمنين ﴾ يعنى ان كنتم محققين لايمانكم قولوا وفعلا ﴿ فان لم تفعلوا ﴾ أى لم تتركوا ما بقى من الربا بعد تحريمه ﴿ فأذنوا ﴾ وقرى بكسر الذال والمد على وزن آمنوا ومعناه فاعلموا غيركم انه حرب لله ورسوله وقرى فأذنوا بفتح الذال مع التصر ومعناه فاعلموا أتم وأيقنوا ﴿ بحرب من الله ورسوله ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يقال لاأكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال أهل المعانى حرب الله النار وحرب رسول الله السيف واختلفوا في معنى هذه المحاربة فقيل المراد بها المبالغة في الوعيد والتهديد دون نفس الحرب وقيل بل المراد منه نفس الحرب وذلك ان من أصر على أكل الربا وعلم به الامام قبض عليه وأجرى فيه حكم الله من التعزير والحبس الى أن تظهر منه التوبة وان كان آكل الربا ذا شوكة وصاحب عسكر حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية قال ابن عباس

والربا (أن كنتم مؤمنين)
كامل الايمان فان دليل كاله
امتثال المأمور به (فان لم
تفعلوا فأذنوا بحرب من الله
ورسوله) فاعلموا بها من أذن
بالشئ اذا علم يؤيده قراءة
الحسن فايقنوا فأذنوا حجة
وأبو بكر غير ابن غالب
فاعلموا بها غيركم ولم يقل
بحرب الله ورسوله لان
هذا أبلغ لان المعنى فأذنوا
بنوع من الحرب عظيم من
عند الله ورسوله وروى أنها
لما نزلت قالت ثقيف لاطاعة

(أن كنتم مؤمنين)
اذ كنتم مصدقين بتحريم
الربا (فان لم تفعلوا)
لم تتركوا الربا (فأذنوا
بحرب من الله ورسوله)
فاستعدوا للعذاب من الله
في الآخرة بالنار ولعذاب
من رسوله في الدنيا بالسيف

لنا بحرب الله ورسوله (وأن تبتم) ﴿٤٣٧﴾ من الارتباء (فلكم {سورة البقرة} رؤس أموالكم لا تظلمون)

المديونين بطلب الزيادة عليها (ولا تظلمون) بالنقصان منها (وان كان ذوعسرة) وان وقع غريم من غرمائكم ذوعسرة ذواعسار (فنظرة) فالحكم أوفالامر نظرة أي انظار (الى ميسرة) يسار ميسرة بافع وهما لغتان (وأن تصدقوا) بالتخفيف عاصم أي تصدقوا برؤس أموالكم أو ببعضها على من أعسر من غرمائكم وبالتشديد غيره فالتخفيف على حذف إحدى التاءين والتشديد على الادغام (خيرلكم) في القيامة وقيل أريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له

ولا يقتضى كفره روى انها لما نزلت قال ثقيف لا يدى لنا بحرب الله ورسوله ﴿ وأن تبتم ﴾ من الارتباء واعتقاد حله ﴿ فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ﴾ بأخذ الزيادة ﴿ ولا تظلمون ﴾ بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو سديد على ما قلناه اذ المصير على التحليل مرتد وماله في ﴿ وان كان ذو عسرة ﴾ وان وقع غريم ذوعسرة * وقرئ ذاعسرة أي وان الغريم ذاعسرة ﴿ فنظرة ﴾ فالحكم نظرة أو فعليكم نظرة أو فليكن نظرة وهي الانظار * وقرئ فناظره على الخبر فالمستحق ناظره بمعنى منتظره أو صاحب نظره على طريق النسب وعلى الامر أي فسامحه بالنظرة ﴿ الى ميسرة ﴾ يسار * وقرأ نافع وحزة بضم السين وهما لغتان كشرقة ومشرقه وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله

ان الخليط اجدوا البين فأنجدوا * «واخلفوك عد الامر الذي وعدوا»

﴿ وأن تصدقوا ﴾ بالابراء * وقرأ عاصم بتخفيف الصاد ﴿ خيرلكم ﴾ اكثر ثوبا من الانظار أو خير مما أخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه الصلاة

من كان مقبياً على أكل الربا لا ينزع عنه فحق على امام المسلمين ان يستتبه فان نزع أي تاب والاضرب عنقه ﴿ وأن تبتم ﴾ أي ان تركتم أكل الربا ورجعتم عنه ﴿ فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾ يعني لا تظلمون أنتم الغريم بطلب زيادة على رأس المال ولا تظلمون أنتم بتقصان رأس المال فلما نزلت هذه الآية قال بنوعمرى الثقفي ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل تنوب الى الله فانه لا يدان لنا يعني لا قوة لنا بحرب الله ورسوله ورضوا برؤس أموالهم فشكبنو المغيرة العسرة ومن كان عليه دين وقالوا أخرونا الى أن تدرك الغلات فأبوا أن يؤخروهم فأنزل الله عز وجل ﴿ وأن كان ذوعسرة ﴾ يعني وان كان الذي عليه الحق من غرمائكم معسراً والعسر تقويض اليسر وهو تعذر وجد ان المال وأعسر الرجل اذا ضاق ولم يجد ما يؤديه في دينه ﴿ فنظرة ﴾ أي فاهمال وتأخير ﴿ الى ميسرة ﴾ أي الى زمن اليسار وهو ضد الاعسار وهو وجد ان المال الذي يؤديه في دينه واختلفوا في حكم الآية وهل الانظار مختص بالربا أم هو عام في كل دين على قوانين القول الاول وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما وشرح والضحاك والسدي أن الآية في الربا وذكر عن شرح ان رجلاً خاعم رجلاً اليه فقضى عليه وأسر بحبسه فقال رجل كان عند شرح انه معسر والله تعالى يقول في كتابه وان كان ذوا عسرة فنظرة الى ميسرة فقال شرح انما ذلك في الربا وان الله تعالى قال في كتابه ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ولا يأمرنا الله بشئ ثم يعذبنا عليه والقول الثاني وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين ان حكم الآية عام في كل دين على معسر واحتجوا بان الله تعالى قال وان كان ذوعسرة ولم يقل ذاعسرة ليكون الحكم عاماً في جميع المعسرين ﴿ وأن تصدقوا خيرلكم ﴾ يعني وأن تصدوا واعلى المعسر بما عليه من الدين فتركوا رؤس أموالكم للمعسر خيرلكم وانما جاز هذا الحذف للعلم به لانه قد جرى ذكر المعسرين وذكر رأس المال فعمل ان التصديق راجع اليهما

(وان تبتم) من الربا (فلكم رؤس أموالكم) التي لكم على بنى مخزوم (لا تظلمون) لا يظلمكم أحداً إذا أعطوكم رؤس أموالكم ويقال لا تظلمون لا تنقصون ولا تظلمون لا تنقصون بديونكم (وان كان) بديونكم بنى مخزوم (ذوعسرة) شدة (فنظرة) فأجلوهم (الى ميسرة) الى ان تيسروا (وأن تصدقوا) عليهم رؤس أموالكم فهو (خيرلكم) من الاخذ والتأخير

والسلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ﴿ أن كنتم تعلمون ﴾
ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل

﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ يعنى التصدق خير لكم وأفضل لان فيه الثناء الجميل في الدنيا
والثواب الجزيل في العقبى

﴿ فصل في ثواب انظار المعسر والوضع عنه وتشديد ﴾

﴿ أمر الدين والامر بقضائه ﴾

(م) عن أبي قتادة رضى الله عنه انه طلب غريمه فقتلته فقتلته فقتلته فقال انى معسر
قال الله قال الله قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن ينجيه الله من
كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه (م) عن أبي اليسر رضى الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في
ظله يوم لا ظل الا ظله (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم تاجر يداين الناس فان رأى معسرا قال لفتيانه تجاوزوا عنه
لعل الله أن يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه وعن أبي موسى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان أعظم الذنوب عند الله ان يلقاه به عبد بعد الكبر التي نهى الله عنها ان يموت
رجل وعليه دين لا يدع له قضاء أخرجه أبو داود (خ) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عز وجل
عنه ومن أخذ أموال الناس يريد اتلافها أتلفه الله (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مظل النفي ظلمه زاد في رواية واذا اتبع أحدكم على مليء
فليتبع (ق) عن كعب بن مالك رضى الله عنه انه تقاضى ابن أبي حدرد ديناً كان له في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو في بيته فخرج اليهما حتى كشف سيج حجرته فنادى فقال يا كعب قلت
ليك يا رسول الله فأشار بيده أن ضع الشطر من دينك فقال كعب قد فعلت يا رسول الله
قال قم فاقضه (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال كان لرجل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم سن من الابل فجاءه يتقاضاه فقال اعطوه فطلبوا سنه فليجدوا الاسن ففوقها
فقال اعطوه فقال أو فتنى وذاك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان خيركم أحسنكم
قضاءه وفي رواية انه أغلظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين استقضاه حتى هم به به بعض
أصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقال ثم أمره بأفضل من سنه (م) عن أبي قتادة
الانصارى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام فيهم فذكر لهم ان الجهاد
في سبيل الله والايمان بالله أفضل الاعمال فقام رجل فقال يا رسول الله أرأيت ان قتلت
في سبيل الله تكفر عنى خطاياى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ان قتلت في سبيل الله
وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت
قال أرأيت ان قتلت في سبيل الله أتكفر عنى خطاياى فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر الا الدين فان جبريل قال لي ذلك عن محمد

بكل يوم صدقة (أن كنتم تعلمون) أنه خير لكم فتعلموا به جعل من لا يعمل به (أن كنتم) اذ كنتم (تعلمون) ذلك

وان علمه كأنه لا يعلمه (واتقوا يوما ﴿٤٣٩﴾ ترجعون فيه الى الله) {سورة البقرة} ترجعون أبو عمرو فرجع

لازم ومتعد قيل هي
آخر آية نزل بها جبريل
عليه الصلاة والسلام وقال
ضعها في رأس المائتين
وثمانين من البقرة وعاش
رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعدها أحد وعشرين
يوماً أو أحداً وثمانين أو
سبعة أيام أو ثلاث ساعات

(ثم توفي كل نفس ما كسبت)
أي جزاء ما كسبت (وهم
لا يظلمون) يتقصان الحسنات
وزيادة السيئات (يا أيها الذين
آمنوا إذا تدانتم بدين)
أي إذا دأب بعضكم بعضاً يقال
دأبت الرجل إذا عاملته
بدين معطياً أو أخذاً (الى
أجل مسمى) مدة معلومة
كالخصاد أو الدياس أو
رجوع الحاج وانما احتج
الى ذكر الدين ولم يقل إذا
تدانتم الى أجل مسمى
ليرجع الضمير اليه في قوله

(واتقوا يوماً) اخشوا
عذاب يوم (ترجعون فيه
الى الله ثم توفي) توفر
(كل نفس) برة وفاجرة
(ما كسبت) ما علمت من
خير أو شر (وهم لا يظلمون)
لا ينقص من حسناتهم ولا
يزاد على سيئاتهم ثم علمهم
ما ينبغي لهم في معاملتهم
فقال (يا أيها الذين آمنوا)

﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله﴾ يوم القيامة أو يوم الموت فتأهبوا لمصيركم اليه
* وقرأ أبو عمرو ويقوب بفتح التاء وكسر الجيم ﴿ثم توفي كل نفس ما كسبت﴾ جزاء
ما علمت من خير أو شر ﴿وهم لا يظلمون﴾ بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن
ابن عباس رضي الله عنهما أنها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها في رأس
المائتين وثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أحد وعشرين يوماً
وقيل أحدًا وثمانين يوماً وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تدانتم
بدين﴾ أي إذا دأب بعضكم بعضاً تقول دأبته إذا عاملته نسيئة معطياً وأخذاً وفائدة ذكر
الدين أن لا يتوهم من التدان المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وأنه الباعث على
الكتابة ويكون مرجع الضمير فآكتوبه ﴿الى أجل مسمى﴾ معلوم بالايام والاشهر

ابن جحش قال كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه الى السماء ثم
وضع يده على جبهته ثم قال سبحان الله ماذا نزل من التشديد فسكتنا وفزعنا فلما كان من
الغدسائه يارسول الله ما هذا التشديد الذي نزل فقال والذي نفسى بيده لو ان رجلاً
قتل في سبيل الله ثم أحيى ثم قتل ثم أحيى وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى عنه دينه أخرجه
النسائي ﴿قوله عز وجل﴾ (واتقوا) أي وخافوا ﴿يوماً ترجعون فيه الى الله﴾ ﴿قرئ﴾
بفتح التاء أي تصيرون فيه الى الله * وقرئ بضم التاء وفتح الجيم أي تردون فيه الى الله
﴿ثم توفي كل نفس ما كسبت﴾ يعني من خير أو شر ﴿وهم لا يظلمون﴾ أي في ذلك
اليوم وفي هذه الآية وعيد شديد وزجر عظيم قال ابن عباس رضي الله عنهما هذه آخر
آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل ضعها على رأس مائتين وثمانين
من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدًا وعشرين يوماً وقيل
تسع ليالٍ وقيل سبعا ومات صلى الله عليه وسلم ليلتين خلتا من ربيع الاول في يوم الاثنين
سنة إحدى عشرة من الهجرة وروى الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان آخر آية
نزلت آية الربا ﴿قوله عز وجل﴾ (يا أيها الذين آمنوا إذا تدانتم بدين) قال ابن عباس
رضي الله عنهما لما حرم الربا أباح السلم وقال أشهد ان السلف المضمون الى أجل مسمى
قد أحله الله في كتابه وأذن فيه * وقوله إذا تدانتم أي تعاملتم بالدين أو دأبتم ببعضكم
بعضاً والتدان تفاعل من الدين يقال دأبته إذا عاملته بالدين وانما قال بدين بعد قوله
إذا تدانتم لان المدانينة قد تطلق على المجازاة وعلى المعاطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من
اللفظ ويخلص أحد المعنيين من الآخر وقيل انما قال بدين ليرجع الضمير اليه في قوله فآكتوبه
اذلوم يذكر ذلك لوجب أن يقال فآكتوبوا الدين فلا يحسن النظم بذلك وقيل انما ذكره
تأكيداً ﴿الى أجل مسمى﴾ يعني الى مدة معلومة الاول والاخر مثل السنة والشهر
ولا يجوز الى غير مدة معلومة كالموالات الى الخصاد أو نحوه والاجل يلزم في الثمن في البيع
وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محل الاجل بخلاف القرض فانه
لا يلزم فيه الاجل عند أكثر أهل العلم (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قدم

بالله والرسول (إذا تدانتم بدين الى أجل مسمى) الى

(فاكتبوه) اذ لولم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتتويع الدين الى مؤجل وحال وانما امر بكتابة الدين {الجزء الثالث} لان ذلك اوثق وآمن ﴿٤٤٠﴾ من النسيان وأبعد من الجحود والمعنى

لا بالحصاد وقدم الحاج ﴿فاكتبوه﴾ لانه اوثق وأدفع للنزاع والجمهور على أنه استحباب وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا اباح السلم ﴿وليكتب بينكم كاتب بالعدل﴾ من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة أمر للمتدائنين باختيار كاتب فقيه دين حتى يحى مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ﴿ولا ياب كاتب﴾ ولا يمتنع أحد من الكتاب ﴿أن يكتب كما علمه الله﴾ مثل ما علمه الله من كتابة الوثائق أو لا ياب أحد أن ينفع الناس بكتابته كانفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك ﴿فليكتب﴾ تلك الكتابة المعلمة أمر بها بعد النهى عن الاباء عنها تأكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهى عن الامتناع

رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في التمر العام والعامين فقال لهم من اسلف في تمر في كيل معلوم أو وزن معلوم الى أجل معلوم ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿فاكتبوه﴾ أي اكتبوا الدين الذي تداينتم به بيعا كان ذلك أو سلما أو قرضا واختلفوا في هذه الكتابة فقيل هي واجبة وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعي واختاره محمد بن جرير الطبري وقيل الامر محمول على الندب والاستحباب فان ترك فلا بأس وهو قول جمهور العلماء وقيل بل كانت الكتابة والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ بقوله تعالى فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي ائتمن أمانته وهو قول الحسن والشعبي والحكم بن عيينة ﴿ثم بين الله تعالى كيفية الكتابة فقال تعالى﴾ ﴿وليكتب بينكم كاتب﴾ أي ليكتب الدين بين الطالب والمطلوب كاتب ﴿بالعدل﴾ أي بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أجل ولا تأخير قيل ان فائدة الكتابة هي حفظ المال من الجانبين لان صاحب الدين اذا علم ان حقه مقيد بالكتابة تعذر عليه طلب زيادة أو تقديم المطالبة قبل حلول الاجل ومن عليه الدين اذا عرف ذلك تعذر عليه الجحود أو النقص من أصل الدين الذي عليه فلما كانت هذه الفائدة من الكتابة أمر الله تعالى بها ﴿ولا ياب كاتب﴾ أي ولا يمتنع ﴿كاتب أن يكتب﴾ واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فقيل بوجوبها لان ظاهر الكلام نهى عن الامتناع من الكتابة واجبا على كل كاتب فاذا طوب بالكتابة وتحمل الشهادة من هو من أهلها وجب عليه ذلك وقيل هو من فرض الكفاية وهو قول الشعبي فان لم يوجد الا واحد وجب عليه ذلك وقيل هو على الندب والاستحباب وذلك لان الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بها استحبابه ان يكتب ليقضى حاجة أخيه المسلم ويشكر تلك النعمة التي أنعم الله بها عليه وقيل كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبتين على الكاتب والشاهد ثم نسخهما الله تعالى بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد ﴿كما علمه الله﴾ أي كما شرع الله وأمر به ﴿فليكتب﴾ وذلك أن يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص ويكتب ما يصلح أن يكون حجة عند الحاجة ولا يخص أحد الخصمين بالاحتياط له دون الآخر وان يكون كل واحد منهما آمنا من ابطال حقه وأن يكون ما يكتبه متفقا عليه عند العلماء

اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه والامر للندب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا اباح السلم المضمون الى أجل معلوم في كتابه وانزل فيه أطول آية وفيه دليل على اشتراط الاجل في السلم (وليكتب بينكم) بين المتدائنين (كاتب بالعدل) هو متعلق بكاتب صفة له أي كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه دليل ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يحى مكتوبه معدلا بالشرع وهو أمر للمتدائنين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا حتى يكتب ما هو متفق عليه (ولا ياب كاتب) ولا يمتنع واحد من الكتاب (ان يكتب كما علمه الله) مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وكما متعلق بان يكتب (فليكتب) تلك

وقت معلوم (فاكتبوه) يعنى الدين (وليكتب بينكم) بين الدائن والمديون (كاتب بالعدل) بالقسط (ولا ياب كاتب ان يكتب) بين الدائن

والمديون (كما علمه الله) الكتابة (فليكتب) بلا زيادة

(وان)

الكتابة لا يعدل عنها (وليل الذي عليه الحق) ولا يكن الملى الامن وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته في ذمته واققراره به فيكون ذلك اقرارا على نفسه بلسانه والامال والاملاء لغتان (وليتق الله ربه) وليتق الله الذي عليه الدين ربه فلا تمتنع عن الاملاء فيكون جمودا لكل حقه (ولا ينحس) ٤٤١ ﴿ منه شياً ﴾ ولا ينقص من الحق {سورة البقرة} الذي عليه شياً في الاملاء

فيكون جمودا لبعض حقه (فان كان الذي عليه الحق سفيها) أى مجنوناً لان السفه خفة في العقل أو محجوراً عليه لتبذيره وجهه بالتصرف (أو ضعيفا) صبيا (أولا يستطيع أن يعمل هو) لمي به أو خرس أو جهل باللغة (فليل وليه) الذي يلى أمره ويقوم به (بالعدل)

بالصدق والحق (واستشهدوا شهيدين) واطلبوا ان يشهد لكم شهيدين على الدين (من رجالكم) من رجال المؤمنين والحربة والبلوغ شرط مع الاسلام وشهادة الكفار بعضهم على بعض

ولا تقصان الكتاب (وليل الذي عليه الحق) وليل أى ليين المديون على الكاتب مما عليه من الدين (وليتق الله ربه) وينحس المديون ربه (ولا ينحس منه شياً) ولا ينقص ما عليه من الدين شياً في الاملاء (فان كان الذي عليه الحق) أى المديون (سفيها) جاهلا بالاملاء (أو ضعيفا) عاجزا بالاملاء (أولا يستطيع) لا يحسن (أن يعمل هو) على

منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة ﴿ وليل الذي عليه الحق ﴾ وليكن الملى من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والامال والاملاء واحد ﴿ وليتق الله ربه ﴾ أى الملى أو الكتاب ﴿ ولا ينحس ﴾ ولا ينقص ﴿ منه شياً ﴾ أى من الحق أو مما املى عليه ﴿ فان كان الذي عليه الحق سفيها ﴾ ناقص العقل مبذرا ﴿ أو ضعيفا ﴾ صبيا أو سفيها مختلا ﴿ أو لا يستطيع أن يعمل هو ﴾ أو غير مستطيع للامال بنفسه لخرس أو جهل باللغة ﴿ فليل وليه بالعدل ﴾ أى الذى يلى أمره ويقوم مقامه من قيم أن كان صبيا أو مختلا عقل أو وكيل أو مترجم أن كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما عاياه القيم أو الوكيل ﴿ واستشهدوا شهيدين ﴾ واطلبوا أن يشهد على الدين شاهدان ﴿ من رجالكم ﴾ من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه

وان يحترز من الالفاظ التي يقع النزاع فيها وهذه الامور لا تحصل الامن هو فقيه عالم باللغة ومذاهب العلماء ﴿ وليل الذي عليه الحق ﴾ يعنى ان المطلوب الذي عليه الحق يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه من الحق فيذكر قدره وجنسه وصفة الاجل ونحو ذلك * والامال والاملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد ﴿ وليتق الله ربه ﴾ يعنى الملى ﴿ ولا ينحس ﴾ أى ولا ينقص ﴿ منه ﴾ أى من الحق الذى وجب ﴿ شياً فان كان الذى عليه الحق سفيها ﴾ أى جاهلا بالاملاء وقيل هو الطفل الصغير وقال الشافعي السفيه هو المبذر المفسد للماله ودينه ﴿ أو ضعيفا ﴾ يعنى شيخا كبيرا وقيل هو ضعيف العقل لفته أو جنون ﴿ أولا يستطيع أن يعمل هو ﴾ يعنى لخرس أو عي أو عجة في كلامه أو حبس أو غيبة لا يمكنه الحضور عند الكاتب أو يجهل بماله وعليه فهؤلاء كلهم لا يصح اقرارهم فلا بد من أن يقوم غيرهم مقامهم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ فليل وليه ﴾ يعنى ولى كل واحد من هؤلاء الثلاثة المحجور عليهم لانه يقوم مقامه في صحة الاقرار وقال ابن عباس رضى الله عنهما أراد بالولى صاحب الدين يعنى ان يحجز الذى عليه الحق عن الاملاء فليل صاحب الحق لانه اعلم بحقه ﴿ بالعدل ﴾ أى بالصدق ﴿ واستشهدوا شهيدين ﴾ يعنى وأشهدوا على حقوقكم شهيدين لان المقصود من الكتابة هو الاشهاد ﴿ من رجالكم ﴾ يعنى من أهل ملتكم يعنى من المسلمين الاحرار دون العبيد والصبيان وهذا قول أكثر أهل العلم واجاز شرح وابن سيرين شهادة العبيد وحجة هذا القول ان قوله من رجالكم عام يتناول العبيد وغيرهم وذلك لان عقل الانسان ودينه وعدالته تمنعه من الكذب فاذا اجتمعت هذه الشرائط فيه كانت شهادته معتبرة وحجة جمهور العلماء ولا ياب الشهداء اذا مدعوا فهذا نص يقتضى أن من تحمل شهادته وجب عليه الاداء اذا طوب به والعبد ليس كذلك فان السيد اذا لم يأذنه في ذلك حرم عليه

الكاتب (فليل وليه) ولى المال وهو الدائن (قا وخا ٥٦ ل) (بالعدل) بلا زيادة (واستشهدوا) على حقوقكم (شهيدين من رجالكم) من أحراركم حرين مسلمين مرضيين

ذهب عامة العلماء وقال أبو حنيفة رضى الله عنه تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض ﴿فإن لم يكونا رجلين﴾ فإن لم يكن الشاهدان رجلين ﴿فرجل وامرأتان﴾ فليشهد أوقالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند أبي حنيفة ﴿من ترضون من الشهداء﴾ لعلمكم بعداتهم

الذهاب الى أداء الشهادة فوجب ان لا يكون العبد من أهل الشهادة ﴿فإن لم يكونا رجلين﴾ أى فان لم يكن الشاهدان رجلين ﴿فرجل وامرأتان﴾ أى فليشهد رجل وامرأتان وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء مع الرجال جائزة في الاموال فيثبت الحق بشهادة رجل وامرأتين واختلفوا في غير الاموال فذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي الى انه يجوز شهادة النساء مع الرجال في سائر الحقوق غير العقوبات وذهب جماعة الى أن غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعي الى أن ما يطلع عليه النساء غالباً كالولادة والرضاع والبركة والثبوة ونحوها تجوز شهادة رجل وامرأتين أو شهادة أربع نسوة واتفقوا على ان شهادة النساء غير جائزة ولا مقبولة في العقوبات والحدود ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿من ترضون من الشهداء﴾ يعنى من كان مرضياً عندكم في دينه وأمانته والشرائط المعتبرة في العدالة وقبول الشهادة عشرة وهي الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة وان لا يجرب تلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع عنه بها مضرة ولا يكون معروفاً بكثرة الغلط والسهو وان لا يكون بينه وبين من شهد عليه عداوة فشهادة الكافر مردودة لان الكذاب لا تقبل شهادته فالذى يكذب على الله أولى بان ترد شهادته وجوز بعض أهل الرأي شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض ولا تقبل شهادة العبيد وأجازها ابن شريح وابن سيرين وهو قول أنس ولا قول للحنون معتبر حتى تصح شهادته ولا تجوز شهادة الصبيان وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن ذلك فقال لا تجوز لان الله تعالى قال من ترضون من الشهداء والعدالة شرط وهو ان لا يكون الشاهد مقبلاً على الكبرياء مصراً على الصغار والمروءة شرط وهي ما اتصل بآداب النفس مما يعلم ان تاركه قليل الحياء وهي حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة فان كان الرجل يظهر في نفسه شيئاً مما يستحى أمثاله من اظهاره في الاغلب علم بذلك قلة مروءته وترد شهادته وانتفاء التهمة شرط فلا تقبل شهادة العدو على عدوه وان كان مقبول الشهادة على غيره لانه متهم في حق عدوه لافي حق غيره ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وتقبل شهادته عليهما ولا تقبل شهادة من يجرب شهادته الى نفسه نفعا ﴿عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجوز شهادة خائن ولا خائثة ولا مجاود حدا ولا ذى غمر على أخيه ولا يجرب شهادة ولا القانع أهل البيت لهم ولا ظنين في ولاء ولا قرابة قال الفزاري القانع التابع أخرجه الترمذي قوله لا تجوز شهادة خائن أراد بالخيانة الخيانة في الدين والمال والامانة فان من ضيع شيئاً من اوامر الله أو ارتكب شيئاً مانهى الله عنه لا يكون عدلاً والعمر بكسر الغين الحقد والقانع هو السائل المستطمع

مقبولة عندنا (فإن لم يكونا) فان لم يكن الشاهدان (رجلين فرجل وامرأتان) فليشهد رجل وامرأتان وشهادة الرجال مع النساء تقبل فيما عدا الحدود والقصاص (من ترضون من الشهداء) من تعرفون عدالتهم وفيه دليل على ان غير المرضى شاهد

(فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان من ترضون من الشهداء) من أهل الثقة

(أن تفضل أحديهما فتذكر أحديهما الأخرى) لاجل أن تنسى أحدهما الشهادة فتذكرها الأخرى إن تفضل أحدهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد جزء كقوله ومن عاد فينتقم الله منه فتذكر مكي وبصرى من الذكر لامن الذكر (ولا ياب الشهداء إذا مادعوا) لاداء الشهادة أو للحمل لثلا ﴿٤٤٣﴾ تنوي حقوقهم وسماهم {سورة البقرة} شهداء قبل التحمل تنزيلا

لما يشارف منزلة الكائن
فلاول للفرض والثاني
للندب (ولاتسأموا) ولا
تملوا قال الشاعر * سئمت
تكليف الحياة ومن يعش *
ثمانين حولا لأبالك يسأم *
والضمير في (ان تكتبوه)
للدين أو الحق (صغيرا أو
كبيرا) على أي حال كان
الحق من صغرا أو كبروفيه
دلالة جواز السلم في الثياب
لان ما يكال أو يوزن لا يقال

فيه الصغير والكبير وانما
يقال في الذرعى ويجوز ان
يكون الضمير للكتاب وان
تكتبوه مختصرا أو مشعا
(الى أجله) الى وقته الذي
اتفق الفريقان على تسميته
(ذلكم) اشارة الى ان
تكتبوه لانه في معنى المصدر
أي ذلك الكتب (أقسط)
اعدل من القسط وهو
العدل (عندالله) ظرف
لاقسط (وأقوم للشهادة)
واعون على اقامة الشهادة
وبني فعلا التفضيل أي

بالشهادة (أن تفضل أحديهما)
ان تنسى احدى المرأتين
(فتذكر أحديهما) التي

﴿ أن تفضل أحديهما فتذكر أحديهما الأخرى ﴾ علة اعتبار العدد أي لاجل
أن أحدهما أن ضلت الشهادة بان نسيها ذكرتها الأخرى والعلة في الحقيقة
التذكير ولكن لما كان الضلال سبب له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح أن
يجيء عدو فادفعه وكأنه قيل ارادة ان تذكر أحدهما الأخرى أن ضلت وفيه اشعار
بنقصان عقلمن وقلة ضبطهن * وقراء جزء أن تفضل على الشرط فتذكر بالرفع * وابن
كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ﴿ ولا ياب الشهداء اذا مادعوا ﴾
لاداء الشهادة أو التحمل وسوا شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما
مزيدة ﴿ ولا تسأموا أن تكتبوه ﴾ ولا تملوا من كثرة مدايناتكم ان تكتبوا الدين
أو الحق أو الكتاب وقيل كنى بالسأمة عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه
الصلاة والسلام لا يقول المؤمن كسلت ﴿ صغيرا أو كبيرا ﴾ صغيرا كان الحق أو كبيرا
أو مختصرا كان الكتاب أو مشعا ﴿ الى أجله ﴾ الى وقت حلوله الذي أقربه المديون
﴿ ذلكم ﴾ اشارة الى ان تكتبوه ﴿ أقسط عند الله ﴾ أكثر قسطا ﴿ وأقوم للشهادة ﴾

وقيل المنقطع الى قوم يخدمهم فتد شهادته للتممة في جرافع الى نفسه لان التابع لاهل
البيت يتنفع بما يصير اليهم والظنين بكسر الظاء المتهمة قوله عز وجل ﴿ أن تفضل
أحديهما ﴾ أي تنسى إحدى المرأتين ﴿ فتذكر أحديهما الأخرى ﴾ لان الغالب على
طباع النساء النسيان فقيمت المرأتان مقام الرجل الواحد حتى لو نسيت أحدهما تذكرها
الأخرى فتقول حضرننا مجلس كذا وسمعنا كذا فيحصل بذلك الذكرى وحكي عن
سفيان بن عيينة أنه قال هو من الذكر أي تجعل أحدهما الأخرى ذكرا والمعنى ان
شهادتهما تصير كشهادة ذكر والقول الاول أصح لانه معطوف على تفضل وهو النسيان
﴿ قوله عز وجل ﴾ ولا ياب الشهداء اذا مادعوا ﴿ يعني اذا دعوا لتحمل الشهادة وسماهم
شهداء لانهم يكونون شهداء وهذا أمر ايجاب عند بعضهم وقال قوم يجب اذا لم يكن
غيره فان كان غيره فهو مخير وقيل هو أمر ندب فهو مخير في جميع الاحوال وقال بعضهم هذا في
اقامة الشهادة وأدائها ومعنى الآية ولا ياب الشهداء اذا مادعوا لاداء الشهادة التي تحمّلوها
وقيل الآية في الامرين جميعا يعني في التحمل والاداء والاقامة اذا كان مارفا وقيل
الشاهد بالخيار مالم يشهد فاذا شهد وجب عليه الاداء ﴿ ولا تسأموا ﴾ أي ولا تملوا
ولا تضجروا ﴿ أن تكتبوه ﴾ الضمير راجع الى الحق أو الدين ﴿ صغيرا ﴾ كان ﴿ أو كبيرا ﴾
يعنى قليلا كان الحق أو الدين أو كثيرا ﴿ الى أجله ﴾ يعني الى محل الحق والدين
﴿ ذلكم ﴾ يعني ذلك الكتاب ﴿ أقسط عند الله ﴾ يعني أعدل عندالله لانه أمر به
واتباع أمره أعدل من تركه ﴿ وأقوم للشهادة ﴾ يعني ان الكتابة تذكر الشهود

لم تنس الشهادة (الأخرى) التي نسيت (ولا ياب الشهداء) عن اقامة الشهادة (اذا مادعوا) الى الحكم (ولاتسأموا)
لا تملوا (ان تكتبوه) ان لا تكتبوه يعني الدين (صغيرا أو كبيرا) قليلا كان أو كثيرا (الى أجله) الى وقته (ذلكم) الذي
ذكرت لكم من الكتابة للدين (أقسط عندالله) أصوب وأعدل عندالله (وأقوم للشهادة) أبين للشاهد بالشهادة اذا نسي

أقسط واقوم من أقسط واقام على مذهب سيوبه (وأدنى الأترابوا) واقرب من انتفاء الرب للشاهد والحاكم وصاحب الحق فانه قد يقع الشك في المقدار والصفات واذا رجعوا الى المكتوب زال ذلك وألف أدنى منقلبة من واولاه من الدنو (الا أن تكون تجارة حاضرة) عاصم أى الا ان تكون التجارة تجارة أو الا ان تكون المعاملة تجارة حاضرة غيره تجارة حاضرة على كان التامة { الجزء الثالث } أى الا ان تقع تجارة ﴿٤٤٤﴾ حاضرة أو هي ناقصة والاسم تجارة

وأثبت لها وأعون على اقامتها وهما مبنيان من أقسط واقام على غير قياس أو من قاسط بمعنى ذى قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجوده ﴿ وأدنى الأترابوا ﴾ واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك ﴿ الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ﴾ استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تم المبايعة بدين أو عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد أى الا ان يتبايعوا يدا بيد فلا بأس أن لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان * ونصب عاصم تجارة على أنه الخبر والاسم مضمحل تقديره الى أن تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله

بني أسد هل تعلمون بلأنا * اذا كان يوما ذا كواكب أشعنا

ورفعها السابقون على انها الاسم والخبر تديرونها أو على كان التامة ﴿ وأشهدوا اذا تبايعتم ﴾ هذا التبائع أو مطلقا لانه أحوط والاوامر التي في هذه الآية للاستحباب عند أكثر الأئمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ﴿ ولا يضار كاتب ولا شهيد ﴾ يحتمل البناءين ويدل عليه أنه قرئ ولا يضار بالكسر والفتح وهو نهى عن ترك الاجابة والتحريف والتفسير في الكتابة والشهادة أو النهى عن الضرر بهما مثل أن يجعلا عن مهم ويكلفا الخروج عما

﴿ وأدنى الأترابوا ﴾ يعنى وأحرى وأقرب الى أن لا تشكوا في الشهادة ﴿ الا أن تكون تجارة حاضرة ﴾ أى الا ان تقع تجارة حاضرة يدا بيد ﴿ تديرونها بينكم ﴾ أى فيما بينكم ليس فيها أجل ﴿ فليس عليكم جناح ﴾ أى لا ضرر عليكم ﴿ ألا تكتبوها ﴾ يعنى التجارة الحاضرة والتجارة تقلب الاموال وتصريفها لطلب النماء والزيادة بالارباح وانما رخص الله تعالى في الكتابة والاشهاد في هذا النوع من التجارة لكثرة ما جرى بين الناس فلو كلفوا فيها الكتابة والاشهاد لشق ذلك عليهم ولانه اذا أخذ كل واحد من المتبايعين حقه من صاحبه في ذلك المجلس لم يكن هناك خوف التجاحد فلا حاجة الى الكتابة والاشهاد ﴿ وأشهدوا اذا تبايعتم ﴾ يعنى فيما جرت العادة بالاشهاد فيه واختلفوا في هذا الامر فقيل هو للوجوب فيجب أن يشهد في صغير الحق وكبيره ونقده ونسيته وقيل هو أمر نذير واستحباب وهو قول الجمهور وقيل انه منسوخ بقوله فان آمن بعضهم بعضا فليؤدوا الذى أتمن أمانته ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولا يضار كاتب ولا شهيد ﴿ هذا نهى عن المضارة وأصله يضار بكسر الراء الاولى ومعناه لا يضار

حاضرة والخبر (تديرونها) وقوله (بينكم) ظرف لتديرونها ومعنى ادارتها بينهم تعاطيها يدا بيد (فليس عليكم جناح ألا تكتبوها) يعنى الا ان يتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوها لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التدين (وأشهدوا اذا تبايعتم) أمر بالاشهاد على التبائع مطلقا ناجزا أو كالتامة لانه أحوط وأبعد من وقوع الاختلاف أو أريد به وأشهدوا اذا تبايعتم هذا التبائع يعنى التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة والامر للندب (ولا يضار كاتب ولا شهيد) يحتمل البناء للفاعل لقراءة عمر رضى الله عنه ولا يضار وللفعول لقراءة ابن عباس رضى الله عنهما ولا يضار والمعنى نهى الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان أو النهى عن

الضرر بهما بان يجعلا عن مهم ويلزأ أو لا يعطى الكاتب حقه من الجمل أو يحتمل الشهيد مؤنة مجيئه (الكاتب)

(وأدنى) أحرى لكم (الأترابوا) تشكوا بالدين والاجل (الا أن تكون تجارة حاضرة) حالة (تديرونها بينكم) يدا بيد (فليس عليكم جناح) حرج (ألا تكتبوها) يعنى التجارة (وأشهدوا اذا تبايعتم) بالاجل (ولا يضار كاتب) بالكتابة (ولا شهيد) بالاشهادة أى لا تجبروهما

من بلد (وأن تفعلوا) وان تضاروا ﴿٤٤٥﴾ (فأنه) فان الضرار {سورة البقرة} (فسوق بكم) ماثم (واتقوا

الله) في مخالفة أوامره (ويعلمكم الله) شرائع دينه (والله بكل شيء عليم) لا يلحقه سهو ولا قصور (وأن كنتم) أيها المتدينون (على سفر) مسافرين (ولم تجدوا كاتباً فرهان) فرهان مكي وأبو عمرو أي فالذي يستوثق به رهن وكلاهما جمع رهن كسقف وسقف وبغل وبغال ورهن في الاصل مصدر سمي به ثم كسر تكسير الاسماء ولما كان السفر مظنة لاعواز الكتب والاشهاد أمر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالكتب والاشهاد لان السفر شرط تجوز الارتهان وقوله (مقبوضة) يدل على اشتراط القبض لا كإعاز مالك ان الرهن يصح بالإيجاب والقبول على ذلك (وأن تفعلوا) الضرار (فأنه فسوق بكم) معصية منكم (واتقوا الله) أي اخشوا الله في الضرار (ويعلمكم الله) ما يصلح لكم في المعاملة (والله بكل شيء) من صلاحكم وغيره (عليم) وأن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً) أو آلة

حدلها ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان ﴿وأن تفعلوا﴾ الضرار وما نهيتم عنه ﴿فأنه فسوق بكم﴾ خروج عن الطاعة لاحق بكم ﴿واتقوا الله﴾ في مخالفة أمره ونهيه ﴿ويعلمكم الله﴾ أحكامه المتضمنة لمصالحكم ﴿والله بكل شيء عليم﴾ كرر لفظة الله في الجمل الثالث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشأنه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية ﴿وأن كنتم على سفر﴾ أي مسافرين ﴿ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة﴾ فالذي يستوثق به رهن أو فمليكم رهان أو فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك رجهما لله لانه عليه الصلاة والسلام رهن درعه في المدينة من يهودى على عشرين صاعاً من شعير أخذه لاهله بل لاقامة التوثيق للارتهان مقام التوثيق بالكتابة في السفر الذي هو مظنة أعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون * وقرئ باسكان الهاء

الكاتب فيأبى أن يكتب والشاهد فيأبى أن يشهد أو يضار الكاتب فيزيد أو ينقص أو يحرف ما أملى عليه فيضر صاحب الحق أو من عليه الحق وكذلك الشاهد وقيل أصله يضار بفتح الراء الاولى ومعناه أن يدعوا الرجل الكاتب والشاهد وهما مشغولان فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعي ان الله أمر كما أن تجيبا اذا دعيتما ويلع عليهما فيشغلها عن حاجتهما فنهي عن مضارتهما وأمر أن يطلب غيرهما ﴿وأن تفعلوا﴾ يعنى ما نهيتم عنه من الضرار ﴿فأنه فسوق بكم﴾ أي معصية وخروج عن الامر ﴿واتقوا الله﴾ أي خافوا الله واحذروه فيما نهاكم عنه من المضارة وغيرها ﴿ويعلمكم الله﴾ يعنى ما يكون ارشادا لكم في أمر الدنيا كما يعلمكم ما يكون ارشادا لكم في أمر الدين ﴿والله بكل شيء عليم﴾ يعنى ان الله تعالى عليم بجميع مصالح عباده لا يخفى عليه شيء من ذلك ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿وأن كنتم على سفر﴾ أي في سفر ﴿ولم تجدوا كاتباً﴾ يعنى ولم تجدوا آلات الكتابة ﴿فرهن﴾ جمع رهن * وقرئ فرهان ﴿مقبوضة﴾ يعنى فارتهنوا بمن تدينونه رهونا مقبوضة لتكون وثيقة لكم بأموالكم وأصل الرهن الدوام يقال رهن الشيء اذا دام وثبت والرهن ما وضع عند الانسان مما ينوب مناب ما أخذ منه ديناً فأن قلت لم شرط الارتهان في السفر مع عدم الكاتب ولا يختص به سفر دون حضر وقد صرح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند أبي الشعم اليمودى على طعام أخذه الى أجل ولم يكن ذلك في سفر ولا عند عدم كاتب * قلت ليس الغرض تجوز الارتهان في السفر خاصة دون الحضر ولكن لما كان السفر مظنة لاعواز الكاتب والاشهاد أمر الله تعالى به على سبيل الارشاد الى حفظ الاموال لمن كان على سفر بان يقيم التوثيق بالارتهان مقام الكتابة والاشهاد واتفق العلماء على جواز الرهن في الحضر والسفر جميعاً مع وجود الكاتب وعدمه وقال مجاهد لا يجوز الا في السفر عند عدم الكاتب لظاهر الآية وأجاب الجمهور عن ظاهر

الكتابة (فرهان مقبوضة) فليقبض الدائن من المديون

بدون القبض (فإن أمن بعضكم بعضاً) فإن أمن بعض الدائنين بعض المديونين بحسن ظنه به فلم يتوثق بالكتابة والشهود والرهن (فليؤد الذي أئتمن أمانته) دينه وأئتمن افتعل من الامن وهو حث للمديون على أن يكون عند ظن الدائن وأمنه منه وأئتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي أئتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين أمانة وهو مضمون لأئتمانه عليه بترك الارتهان منه (وليتق الله ربه) { الجزء الثالث } في انكار حقه ﴿ ٤٤٦ ﴾ (ولاتكتموا الشهادة) هذا خطاب

للسهود (ومن يكتمها فانه آثم قلبه) ارتفع قلبه بآثم على الفاعلية كأنه قيل فانه يآثم قلبه وبالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبران وانما أسند الى القلب وحده والجملة هي الآثمة لأل القلب وحده لان كتمان الشهادة أن يضمها في القلب ولا يتكلم بها فلما كان اثماً مقترفاً مكتسباً بالقلب أسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها أبلغ كما تقول هذا مما أبصرته عيني ومما سمعته أذني ومما عرفه قلبي ولان القلب رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكأنه قيل فقد تمكن الاثم في أصل نفسه وملك أشرف مكان منه ولان أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح ألا ترى ان أصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من أفعال القلوب واذا

على التخفيف ﴿ فإن أمن بعضكم بعضاً ﴾ أي بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بأمانته عن الارتهان ﴿ فليؤد الذي أئتمن أمانته ﴾ أي دينه سمى امانة لأئتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذي ائتمن بقلب الهمزة ياء والذي ائتمن بادغام الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم ﴿ وليتق الله ربه ﴾ في الحيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ﴿ ولاتكتموا الشهادة ﴾ أيها الشهود أو المديونون والشهادة شهادتهم على أنفسهم ﴿ ومن يكتمها فانه آثم قلبه ﴾ أي يآثم قلبه أو قلبه يآثم والجملة خبر أن واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان مقترفه ونظيره العين زانية والاذن زانية أو للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله أعظم الافعال وكأنه قيل تمكن الاثم في نفسه وأخذ

الآية ان الكلام انما خرج على الاعم الاغلب لا على سبيل الشرط واتفق العلماء على ان الرهن لا يتم الا بالقبض وهو قوله تعالى ف رهن مقبوضه يعني ارتهنوا واقبضوا لان المقصود من الرهن هو استيثاق جانب صاحب الحق وذلك لا يتم الا بالقبض فلو رهن ولم يسلم لم يجبر الراهن على التسليم فاذا سلم الرهن لزم من جهته حتى لا يجوز له أن يسترجعه مادام شيء من الحق باقياً ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ فإن أمن بعضكم بعضاً ﴾ يعني فان كان الذي عليه الحق أميناً عند صاحب الحق ولم يرتهن منه شيئاً لحسن ظنه به ﴿ فليؤدى الذي أئتمن أمانته ﴾ يعني فليؤد المديون الذي عليه الحق الذي كان أميناً في ظن الدائن الذي هو صاحب الحق أمانته يعني حقه سمي الدين أمانة وان كان مضموناً لأئتمانه عليه حيث أمن من سجوده فلم يكتب ولم يشهد عليه ولم يأخذ منه رهناً حث المديون على أن يكون عند ظن الدائن الذي أئتمنه وان يؤدي اليه حقه الذي أئتمنه عليه ولم يرتهن منه عليه شيئاً ثم زاد ذلك تأكيداً بقوله ﴿ وليتق الله ربه ﴾ أي المديون في أداء الحق عند حلول الاجل من غير ممانعة ولا سجود بل يعامله المعاملة الحسنة كما أحسن ظنه فيه ثم رجع الى خطاب الشهود فقال تعالى ﴿ ولاتكتموا الشهادة ﴾ يعني اذا دعيتم الى اقامتها وأدائها وذلك لان الشهادت متى امتنع من اقامة الشهادة وكتمها فقد أبطل بذلك حق صاحب الحق فلهذا نهى عن كتمان الشهادة وبالغ في الوعيد عليه فقال تعالى ﴿ ومن يكتمها ﴾ يعني الشهادة ﴿ فانه آثم قلبه ﴾ أي فاجر قلبه والآثم الفاجر وانما أضيف الاثم الى القلب لان الافعال من الدواعي والصوارف انما تحدث في القلب فلما كان الامر كذلك أضيف الاثم الى القلب قيل ما وعد الله

جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهدله بأنه من معاصم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما (على) أكبر الكبائر الاشرار بالله وشهادة الزور وكتمان

رهننا بدينه (فإن أمن بعضكم بعضاً) بالدين بالرهن (فليؤد الذي أئتمن) بالدين (أمانته) حق صاحبه (وليتق الله ربه) وليخش المديون ربه في أداء الدين (ولاتكتموا الشهادة) عند الحكام (ومن يكتمها) يعني الشهادة (فانه آثم قلبه) فاجر قلبه

الشهادة (والله بما تعملون) من كتمان الشهادة و اظهارها (عليم) لا يخفى عليه شئ (لله ما في السموات وما في الارض) خلقا وملكا (وأن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه) يعنى من السوء (يحاسبكم به الله) يكافئكم ويجازم ولا تدخل الوسواس وحديث النفس فيما يخفيه الانسان لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه والحاصل ان عزم الكفر كفر وخطرة الذنوب من غير عزم معقوفه وعزم الذنوب اذا ندم عليه ورجع عنه واستغفر منه مغفور فاما اذا هم بسيئة وهونابت على ذلك الا انه ﴿٤٤٧﴾ منع عنه بما ليس {سورة البقرة} باختياره فانه لا يعاقب على

ذلك عقوبة فعله أى بالعزم على الزنا لا يعاقب عقوبة الزنا وهل يعاقب عقوبة عزم الزنا قيل لا لقوله عليه السلام ان الله عفا عن أمي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به والجمهور على ان الحديث في الخطرة دون العزم وان المؤاخذة في العزم ثابتة واليه مال الشيخ أبو منصور وشمس الأئمة الحلواني رجهما الله والدليل عليه قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة الآية وعن عائشة رضى الله عنها ما هم العبد بالمعصية من غير عمل يعاقب على ذلك بما يلحقه من الهم والحزن في الدنيا وفي أكثر التفاسير انه لما نزلت هذه الآية جزعت الصحابة رضى الله عنهم وقالوا أنؤاخذ بكل ما حدثت به انفسنا فنزل قوله آمن الرسول الى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لهما ما كسبت وعليها ما اكتسبت فتعلق ذلك

اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه ﴿ والله بما تعملون عليم ﴾ تهديد ﴿ لله ما في السموات وما في الارض ﴾ خلقا وملكا ﴿ وأن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ﴾ يعنى ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه ﴿ يحاسبكم به الله ﴾ يوم القيامة وهو جهة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض على شئ كما يعاده على كتمان الشهادة فانه تعالى قال فانه آثم قلبه وأراد به مسيح القلب نعوذ بالله من ذلك ﴿ والله بما تعملون عليم ﴾ يعنى من بيان الشهادة وكتمانها ففيه وعيد وتحذير لمن كتم الشهادة ولم يظهرها ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ لله ما في السموات وما في الارض ﴾ ملكا وأهلها له عبيد وهو مالكم ﴿ وأن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ وهذا يتناول حديث النفس والخواطر الفاسدة التي ترد على القلب ولا يتمكن من دفعها والمؤاخذة بها تجرى مجرى تكليف ما لا يطاق وأجيب عن هذا بان الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين فمنها ما يوطن الانسان نفسه عليه ويعزم على اظهاره الى الوجود فهذا مما يؤخذ الانسان به والقسم الثاني ما يخطر بالبال ولا يمكن دفعه عن نفسه لكن يكرهه ولا يعزم على فعله ولا اظهاره الى الوجود فهذا معفو عنه بدليل قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقال قوم ان هذه الآية خاصة ثم اختلفوا في وجه تخصيصها فقال بعضهم هي متصلة بالآية التي قبلها وانما نزلت في كتمان الشهادة ومعنى الآية وان تبدوا ما في أنفسكم أيها الشهود من كتمان الشهادة أو تخفوه أي تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهذا ضعيف لان اللفظ عام وان كان واردا عقيب قضية فلم يلزم صرفه اليها وقال بعضهم ان الآية نزلت فيمن يتولى الكافرين من المؤمنين والمعنى وان تبدوا أي تظهروا ما في أنفسكم يعنى من ولاية الكفار أو تخفوه فلا تظهروه يحاسبكم به الله وذهب أكثر العلماء الى أن الآية عامة ثم اختلفوا فقال قوم هي منسوخة بالآية التي بعدها ويدل عليه ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لله ما في السموات وما في الارض ﴾ وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه الآية اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركوا على الركب فقالوا أي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطبق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطبقها فقال رسول الله

بالكسب دون العزم وفي بعضها انها نسخت بهذه الآية والمحققون على ان النسخ يكون في الاحكام لا في الاخبار

(والله بما تعملون) من كتمان الشهادة واقامتها (عليم لله ما في السموات وما في الارض) من الخلق والنجائب بأمر عباده بما يشاء (وأن تبدوا) تظهروا (ما في أنفسكم) ما في قلوبكم وهو حديث النفس بعد الوسوسة قبل الابداء (أو تخفوه) تنسروه (يحاسبكم) يجازمكم (به الله) وكذلك النسيان بعد الذكر والخطأ بعد الصواب والاستكراه بعد الاجتهاد

صلى الله عليه وسلم أن تريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا
 سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله تعالى
 في أثرها آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه
 ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير
 فلما فعلوا ذلك نسخها الله عز وجل فانزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها
 ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال نعم ربنا ولا تحمل
 علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال نعم
 واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم أخرجه
 مسلم* وله عن ابن عباس رضى الله عنهما نحوه وفيه قد فعلت بدل نعم (ق) عن أبي هريرة
 رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لامتى ما حدثت
 به أنفسها ما لم يعملوا به أو يتكلموا به * وفي رواية ما وسوست به صدورها * وقال قوم
 ان الآية غير منسوخة لان النسخ لا يرد الا على الامر والنهي ولا يرد على الاخبار
 وقول الله تعالى يحاسبكم به الله خبر فلا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا في تأويلها فقال
 قوم قد أثبت الله تعالى للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم وليس لله عبداً سر عملاً أو أعلنه
 من حركة جارحة أو همة قلب الا يعلمه الله ثم يخبره به ويحاسبه عليه ثم يغفر ما يشاء
 ويعذب ما يشاء * وقال آخرون في معنى الآية ان الله تعالى يحاسب خلقه بجميع ما أبدوا
 من أعمالهم وأخفوه ويعاقبهم عليه غير ان معاقبتهم على ما أخفوه أخف مما لم يعملوا به وهو
 ما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب والامور التي يحزنون عليها وهذا قول عائشة
 * عن أمية أنها سألت عائشة رضى الله عنها عن قول الله عز وجل وان تبدوا ما فى أنفسكم
 أو تخفوه يحاسبكم به الله وعن قوله من يعمل سوءاً يجز به فقال ما سألتني عنها أحد
 منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه معاتبه الله العبد بما يصيبه من
 الحسنى والنكبة حتى البضاعة يضعها في يد قميصه فيفقدتها فيفزع لها حتى ان العبد
 ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكبري أخرجه الترمذى وقال حديث حسن
 غريب * وله عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد
 الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر أمسك عليه بذنبه
 حتى يوافيه به يوم القيامة * وقال قوم في معنى الآية وان تبدوا ما فى أنفسكم يعنى
 مما عزتم عليه أو تخفوه أى ولا تبدوه وأنتم عازمون عليه يحاسبكم به الله فاما حديث
 النفس مما لم تعزموا عليه فان ذلك مما لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يؤاخذنه قال
 عبد الله بن المبارك قلت لسفيان أيؤاخذ العبد بالهمة فقال اذا كانت عزمها أخذها
 وقيل معنى المحاسبة الاخبار والتعريف فيرجع معنى هذه المحاسبة الى كونه تعالى عالماً
 بكل ما فى الضمائر والسرائر مما ظهر أو خفى ومعنى الآية وان تبدوا ما فى أنفسكم
 فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله أى يخبركم به ويعرفكم آياه ثم يغفر
 للمؤمنين اظهارا لفضله ويعذب الكافرين اظهارا لعدله يروى عن ابن عباس رضى الله
 عنهما (عنهما)

(فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) ﴿ ٤٤٩ ﴾ يشاء (برفعهما شامى { سورة البقرة } وعاصم أى فهو يغفر)

ويعذب ويجز مهما غيرهم
عظفا على جواب الشرط
وبالادغام أبو عمرو وكذا فى
الاشارة والبشارة وقال
صاحب الكشاف مدغم
الراء فى اللام لاحن مخطىء
لان الراء حرف مكرر
فيصير بمنزلة المضاعف
ولايجوز ادغام المضاعف
ورأوه عن أبي عمرو ومخطىء
مرتين لانه يلحن وينسب
الى أعلم الناس بالعربية
ما يؤذن بجهل عظيم
(والله على كل شىء) من
المغفرة والتعذيب وغيرهما
(قدير) قادر (آمن الرسول
بما أنزل اليه من ربه
والمؤمنون) ان عطف
المؤمنون على الرسول كان
الضمير الذى التنوين نائب
عنه فى (كل) راجعا الى
الرسول والمؤمنون أى كلهم

(فيغفر لمن يشاء) من تاب
من سائر الذنوب
(ويعذب من يشاء) من لم يتب
(والله على كل شىء)
من المغفرة والعتاب (قدير)
فلما نزلت هذه الآية اشتد
على المؤمنين ما فى هذه
الآية فلما عرج النبي
صلى الله عليه وسلم الى
السماء سجد لربه فقال الله
مدحا لنييه (آمن الرسول)
صدق الرسول محمد صلى الله
عليه وسلم (بما أنزل اليه

﴿ فيغفر لمن يشاء ﴾ مغفرته ﴿ ويعذب من يشاء ﴾ تعذيبه وهو صريح فى نفي
وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستئناف وجز مهما
الباقون عظفا على جواب الشرط ومن جزم بغيرفاء جعلهما بدلا عنه بدل البعض
من الكل أو الاشتمال كقوله

متى تأتانا تلم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

وادغام الراء فى اللام لحن اذ الراء لا تدغم الا فى مثلها ﴿ والله على كل شىء قدير ﴾ فيقدر على
الاحياء والمحاسبة ﴿ آمن الرسول ﴾ بما أنزل اليه من ربه ﴿ شهادة وتنصيب من الله
سبحانه وتعالى على صحة ايمانه والاعتداده وأنه جازم فى أمره غير شاك فيه ﴿ والمؤمنون كل

عنهما ويدل عليه أنه قال يحاسبكم به الله ولم يقل يؤخذكم به لان المحاسبة غير
المؤاخذة ويدل عليه أيضا ماروى عن صفوان بن محرز المازنى قال بينما ابن عمر
يطوف اذ عرض له رجل فقال يا أبا عبد الرحمن أخبرنى ما سمعت من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يذنب المؤمن من ربه
حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنبا وكذا فيقول أعرف رب أعرف
مرتين فيقول الله سترتها عليك فى الدنيا وأنا أعرفها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسابه وأما
الآخرون وهم الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا
على ربهم ألعنة الله على الظالمين أخرجه فى الصحيحين ﴿ قوله عز وجل ﴾ فيغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء ﴿ قال ابن عباس رضى الله عنهما يغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب
من يشاء على الذنب الصغير لا يستل عما يفعل وهم يستلون ﴿ والله على كل شىء قدير ﴾
يعنى انه تعالى قادر على كل شىء كامل القدرة فيغفر للمؤمنين فضلا ويعذب الكافرين
عدلا ﴿ قوله عز وجل ﴾ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه ﴿ عن ابن عباس رضى الله
عنهما قال لما نزلت هذه الآية وان تبذوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله دخل
قلوبهم منها شىء لم يدخل من شىء فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله آمن
الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون الآية لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها
ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال قد فعلت ربنا
ولا تحمّل علينا اصرا كما حمّلت على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا ولا تحمّلنا مالا
طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال
قد فعلت أخرجه الترمذى وقال حديث حسن قال الزجاج لما ذكر الله فى هذه السورة
فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والايلاء والحيض والجهاد وأقاصيص الانبياء
وما ذكر من كلام الحكماء ختم السورة بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
بجميع ذلك ومعنى آمن الرسول صدق الرسول يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى صدق
الرسول ان هذا القرآن وجملة ما فيه من الشرائع والاحكام منزل من عند الله عز وجل
﴿ والمؤمنون ﴾ أى وصدق المؤمنون بذلك أيضا ﴿ كل ﴾ أى كل واحد من المؤمنين

من ربه) يعنى القرآن وما فيه فقال النبي صلى الله (قا وخا ٥٧ ل) عليه وسلم عبارة عن الله (والمؤمنون كل) أى كل

(آمن بالله وملائكته { الجزء الثالث } وكتبه ورسله) وقف عليه ﴿ ٤٥٠ ﴾ وان كان مبتدأ كان عليه كل مبتدأ

آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴿ لا يخلو من أن يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه التثنية راجعا الى الرسول والمؤمنين أو يحمل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بجزء خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم اما التعظيم أولان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال * وقرأ حزة والكسائي وكتابه يعنى القرآن أو الجنس والفرق بينه وبين الجمع أنه شائع في وحدثان الجنس والجمع في جوعه ولذلك قيل الكتاب أكثر من الكتب ﴿ لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ أى يقولون لا نفرق * وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء على أن الفعل لكل * وقرئ لا يفرقون جلا على معناه كقوله تعالى وكل أتوه داخرين وأحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق الذى كقوله تعالى فإمنكم من أحد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب ﴿ وقالوا سمعنا ﴾ اجبنا ﴿ وأطعنا ﴾ أمرنا ﴿ غفرانك ربنا ﴾ اغفر لنا غفرانك أو نطلب غفرانك ﴿ واليك المصير ﴾ المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث

﴿ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾ فهذه أربع مراتب من أصول الايمان وضرورياته * فاما الايمان بالله فهو أن يؤمن بان الله واحد أحد لا شريك له ولا نظيره ويؤمن بجميع أسمائه الحسنى وصفاته العليا وأنه حى عالم قادر على كل شىء * وأما الايمان بالملائكة فهو أن يؤمن بوجودهم وأنهم معصومون مطهرون وأنهم السفرة الكرام البررة وأنهم الوسائط بين الله تعالى وبين رسله * وأما الايمان بكتبه فهو أن يؤمن بان الكتب المنزلة من عند الله هى وحى الله الى رسله وانه حق وصدق من عند الله بغير شك ولا ارباب وان القرآن لم يحرف ولم يبدل ولم يغير وأنه مشتمل على الحكم والمتشابه وان محكمه يكشف عن متشابهه * وأما الايمان بالرسول فهو أن يؤمن بانهم رسل الله الى عباده وأنماؤه على وحيه وأنهم معصومون وانهم أفضل الخلق وان بعضهم أفضل من بعض وقد أنكر بعضهم ذلك وتمسك بقوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله وأوجب عنه بان المقصود من هذا الكلام شىء آخر وهو اثبات نبوة الانبياء والرد على اليهود والنصارى الذين يقولون بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبت بالنص الصريح تفضيل بعض الانبياء على بعض بقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ومعنى قوله ﴿ لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى بل نؤمن بجميع رسله وفى الآية اضمار تقديره وقالوا يعنى المؤمنون لا نفرق بين أحد من رسله ﴿ وقالوا سمعنا وأطعنا ﴾ يعنى سمعنا قولك وأطعنا أمرنا والمعنى قال المؤمنون سمعنا قول ربنا فيما أمرنا به وطعناه فيما أمرنا به فرائضه واستعبدنا به من طاعته وسلمنا له فيما أمرنا به ونهانا عنه ﴿ غفرانك ربنا ﴾ أى نسألك غفرانك ربنا أو يكون المعنى اغفر لنا غفرانك ربنا ﴿ واليك المصير ﴾ يعنى قالوا اليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر لنا

ثانيا والتقدير كل منهم ومن خبر المبتدأ الثانى والجملة خبر الاول وكان الضمير للمؤمنين ووحيد ضمير كل فى آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكتابه حزة وعلى يعنى القرآن أو الجنس (لا نفرق) أى يقولون لا نفرق بل نؤمن بالكل (بين أحد من رسله) أحد فى معنى الجمع ولذا دخل عليه بين وهو لا يدخل الاعلى اسم يدل على أكثر من واحد تقول المال بين القوم ولا تقول المال بين زيد (وقالوا سمعنا) اجبنا قولك (وأطعنا) أمرنا (غفرانك) أى اغفر لنا غفرانك فهو منصوب بفعل مضمير (ربنا واليك المصير) المرجع وفيه اقرار بالبعث والجزاء والآية تدل على بطلان الاستثناء فى الايمان وعلى بقاء الايمان

واحد منهم (آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) يقولون لا تكفر باحد من رسله (وقالوا) ايضا (سمعنا) قول ربنا (وأطعنا) أمرنا ربنا أى سمعنا وطاعة لربنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم (غفرانك) نسألك

(ذنوبنا)

(ربنا) ياربنا (واليك المصير) المرجع بعد الموت

لمرتكب الكبائر (لا يكلف الله نفساً) محكي عنهم أو مسأئف (الأوسعها) الاطاعتها وقدرتها لان التكليف لا يرد الا بفعل يقدر عليه المكلف كذا في شرح التأويلات ﴿٤٥١﴾ وقال صاحب {سورة البقرة} الكشاف الوسع ما يسع

الانسان ولا يضيق عليه ولا يخرج فيه أي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى غاية الطاقة والمجهود فقد كان في طاقة الانسان أن يصلى أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من حجة (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)

بنفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر وخص الخير بالكسب والشر بالاكتساب لان الافعال للانكماش والنفس تنكش في الشر وتكلف للخير (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا) تركنا أمراً من أو امرأه سها (أو أخطأنا) ودل هذا على جواز المؤاخذة في النسيان والخطأ

فقال الله (لا يكلف الله نفساً) من الطاعة (الأوسعها) الاطاعتها (لها ما كسبت) من الخير وترك حديث النفس والنسيان والخطأ والاستكراه (وعليها ما اكتسبت) من الشر وحديث النفس والنسيان والخطأ والاستكراه ثم علمهم كيف يدعون ربهم حتى يرفع عنهم حديث

﴿لا يكلف الله نفساً الاوسعها﴾ الاماتسعه قدرتها فضلاً ورجة أو مادون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها لقوله سبحانه وتعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر فهو يدل على عدم وقوع التكليف بالحال ولا يدل على امتناعه ﴿لها ما كسبت﴾ من خير ﴿وعليها ما اكتسبت﴾ من شر لا يتنفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشهيه النفس وتجذب اليه فكانت أجد في تحصيله وأعمل بخلاف الخير ﴿ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا﴾ أي لا تؤاخذنا بما أدى بنا الى نسيان أو خطأ من تقريظ وقلة مبالاة أو بأنفسهما اذ لا تمنع المؤاخذة بهما عقلاً فان الذنوب كالسهم فكلما أن تناولها يؤدي الى الهلاك وأن كان خطأ فتعاطى الذنوب لا يسعد أن يفضى الى العقاب وأن لم يكن عزيمة لكنه سبحانه وتعالى وعد التجاوز عنه درجة

ذنوبنا ﴿روى البغوي بغير سند عن حكيم بن جابر أن جبريل عليه الصلاة والسلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد اتى عليك وعلى امتك فسل تعطه قال بتلقين الله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير﴾ قوله عز وجل ﴿لا يكلف الله نفساً الاوسعها﴾ قيل يحتمل ان يكون ابتداء خبر من الله تعالى ويحتمل ان يكون حكاية عن المؤمنين وفيه اضمحار كأنه قال الله تعالى عنهم وقالوا لا يكلف الله نفساً الاوسعها يعني طاقتها والوسع اسم لما يسع الانسان ولا يضيق عليه قال ابن عباس واكثر المفسرين ان هذه الآية نسخت بحديث النفس والوسوسة وذلك انه لما نزل وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ضمخ المؤمنون منها وقالوا يا رسول الله نتوب من عمل اليد والرجل واللسان فكيف نتوب من الوسوسة وحديث النفس فنزلت هذه الآية والمعنى انكم لا تستطيعون ان تمتنعوا من الوسوسة وحديث النفس كان ذلك ما لم تطيقوه وقال ابن عباس في رواية عنه المؤمنون خاصة وسع الله عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم ما لا يستطيعون كما قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وسئل سفيان بن عيينة عن قوله لا يكلف الله نفساً الاوسعها قال الايسرها ولم يكلفها فوق طاقتها وهذا قول حسن لان الوسع مادون الطاقة وقيل معناه ان الله تعالى لا يكلف نفساً الاوسعها فلا يتعبها بما لا تطيق ﴿لها ما كسبت﴾ يعني للنفس ما عملت من الخير فلها أجره وثوابه ﴿وعليها ما اكتسبت﴾ يعني من الشر عليها وزره وعقابه وقيل في معنى الآية ان الله تعالى لا يؤاخذ أحداً بذنوب غيره ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿ربنا لا تؤاخذنا﴾ وهذا تعليم من الله تعالى عباده المؤمنين كيف يدعونهم ومعناه قولوا ربنا لا تؤاخذنا أي لاتعاقبنا وانما جاء بلفظ المفاعلة وهو فعل واحد لان المسمى قد امكن من نفسه وطريق السبيل اليها بفعله فكانه اعدل عليه من يعاقبه بذنبه ويأخذ به ﴿ان نسينا أو أخطأنا﴾ فيه وجهان أحدهما انه من النسيان الذي هو السهو وهو ضد التذكر قيل كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيئاً مما أمروا به

النفس والخطأ والنسيان والاستكراه فقال لهم قولوا (ربنا) يا ربنا (لا تؤاخذنا ان نسينا) طاعتك (أو أخطأنا) في أمرك

وفضلاً فيجوز أن يدعو الانسان به استدامة واعتماداً بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه الصلاة والسلام رفع عن أمتي الخطأ والنسيان ﴿ ربنا ولا تحمل علينا اصراً ﴾ عبأً ثقيلاً يأصر صاحبه أي يجبسه في مكانه يريد به التكليف الشاقه وقرئ ولا تحمل بالتشديد للبالغة ﴿ كما جلته على الذين من قبلنا ﴾ جلا مثل جلك اياه من قبلنا أو مثل الذي جلته اياهم فيكون صفة لاصراً والمراد به ما كلف به بنو إسرائيل من قتل النفس وقطع موضع النجاسة وخسين صلاة في اليوم والليله وضرفت أربع

أوأخطوا عجلت لهم العقوبة فيحرم عليهم شيء مما كان حلالاً لهم من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب فأمر الله المؤمنين ان يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك * فأن قلت أليس فعل الناسي في محل العفو بدليل قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكروهوا عليه فاذا كان النسيان في محل العفو قطما فما معنى طلب العفو عنه بالدعاء * قلت الجواب عنه من وجوه * الاول ان النسيان على ضربين أما الاول فهو ما كان من المبد على وجه التصنيع والتفريط وهو ترك ما أمر بفعله كمن رأى على ثوبه دماً فأخرازاله عنه ثم نسي فصلي فيه وهو على ثوبه فيعد مقصراً اذا كان يلزمه المبادرة الى ازالته اما اذا لم يره فيعذر فيه وكذا لو ترك ما أمر بفعله على وجه السهو أو ارتكب مهيأته من غير قصد اليه كاكل آدم عليه الصلاة والسلام من الشجرة التي نهى عنها على وجه النسيان من غير عزم على المخالفة كما قال تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجده عزمًا فمثل هذا يجب ان يسأل الله تعالى ان يعفوله عن ذلك وأما الضرب الثاني فهو كمن ترك صلاة ثم نسيها أو ترك دراسة القرآن بعد ان حفظه حتى نسيه فهذا لا يعذر بنسيانه وسهووه لانه فرط فثبت ان النسيان على قسمين واذا كان كذلك صح طلب العفو والغفران عن النسيان * الوجه الثاني من الجواب ان الصحابة رضوا الله عنهم كانوا من المتقين لله حق تعالاه فان صدر منهم ما لا ينبغي فلا يكون الاعلى سبيل السهو والنسيان فطلبهم العفو والغفران لما يقع منهم على سبيل السهو والنسيان انما هو لشدة خوفهم وتقواهم * الوجه الثالث ان المقصود من هذا الدعاء هو التضرع والتذلل لله تعالى ﴿ وأما الخطأ في قوله أو أخطأنا فعلى وجهين أيضا * أحدهما ان يأتي المبد مانئى عنه بقصد واردة فذلك خطأ منه وهو به مأخوذ فيحسن طلب العفو والغفران لذلك الفعل الذي ارتكبه * الوجه الثاني أن يكون الخطأ على سبيل الجهل والظن بانله فعله كمن ظن ان وقت الصلاة لم يدخل وهو في يوم غيم فأخراها حتى خرج وقتها فهذا من الخطأ الموضوع عن العبد لكن طلب العفو والغفران لسبب تقصيره وقوله ﴿ ربنا ولا تحمل علينا اصراً ﴾ يعنى عهداً ثقيلاً وميثاقاً غليظاً فلا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه ﴿ كما جلته على الذين من قبلنا ﴾ يعنى اليهود فلم يقوموا به فعذبهم عليه وقيل معناه ولا تشدد علينا كما شددت على اليهود من قبلنا وذلك ان الله تعالى فرض

خلاقاً للمعتزلة لا مكان التحرز عنها في الجملة ولو لاجواز المؤاخذة بهما لم يكن للسؤال معنى (ربنا ولا تحمل علينا اصراً) عبأً يأصر حامله أي يجبسه مكانه لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل النفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثواب وغير ذلك (كما جلته على الذين من قبلنا) كاليهود

(ربنا) ياربنا (ولا تحمل علينا اصراً) عهداً تحرم علينا الطيبات بتركنا ذلك (كما جلته) حرمة (على الذين من قبلنا) من بنى اسرائيل بنقضهم عهدك في الطيبات لحوم الابل وشحوم البقر والغنم وغير

عن قبلنا (واعف عنا) اح
سيآتنا (واغفر لنا) واستر
ذنوبنا وليس بتكرار فالاول
للكبائر والثاني للصغائر
(وارحنا) بتقيل ميزاننا
مع افلاستنا والاول من المسخ
والثاني من الحسف والثالث
من الفرق (أنت مولانا)
سيدنا ونحن عبيدك
اوناصرنا أو متولى أمورنا
(فانصرنا على القوم
الكافرين) فن حق المولى
أن ينصر عبيده في الحديث
من قرأ آمن الرسول الى
آخره في ليلة كفتاه وفيه
من قرأهما بعد العشاء
الآخرة اجزأناه عن قيام

ذلك (ربنا) ياربنا (ولا
تحملنا) أي لا تحمل علينا
أيضا (ما لا طاقة لنا به)
ما لا اراحة لنا فيه ولا منفعة
وهو الاستكراه (واعف
عنا) ذلك (واغفر لنا)
ذلك (وارحنا) بذلك
(أنت مولانا) اولي بنا
(فانصرنا على القوم
الكافرين) ويقال واعف
عنا من المسخ كما مسخت
قوم عيسى واغفر لنا من
الحسف كما خسفت بقارون
وارحنا من القذف كما
قذفت قوم لوط فلما دعوا
بهذا الدعاء رفع الله عنهم
حديث النفس والنسيان
والخطأ والاستكراه وعنى

المال للزكاة أو ما أصابهم من الشدائد والمحن ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾
من البلاء والعقوبة أو من التكليف التي لا تنفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على
جواز التكليف بما لا يطاق والامسائل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل
الى المفعول الثاني ﴿واعف عنا﴾ واح ذنوبنا ﴿واغفر لنا﴾ واستر عيوبنا ولا
تفضحنا بالمؤاخذه ﴿وارحنا﴾ وتعطف بنا وتفضل علينا ﴿أنت مولانا﴾ سيدنا
﴿فانصرنا على القوم الكافرين﴾ فان من حق المولى أن ينصر مواليه على الاعداء أو المراد
به عامة الكفرة روى أنه عليه الصلاة والسلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له

عليهم خمسين صلاة وأمرهم بإداء ربع أهوالهم زكاة ومن أصاب منهم ثوبه نجاسة قطعها
ومن أصاب ذنبا أصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحو هذا من الأفعال والآثار التي كتبت
عليهم فسأل المسلمون ربهم ان يصونهم عن أمثال هذه التغليفات والعمود الثقيلة وقد أجاب الله
تعالى دعاءهم رحمة وخفف عنهم بفضله وكرمه فقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج
وقيل الاصر ذنب لا توبة له فسأل المؤمنون ربهم ان يعصمهم من مثله ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا
طاقة لنا به﴾ يعني لا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق القيام به لتقل حمله علينا وتكليف ما لا
يطاق على وجهين أحدهما ما ليس في قدرة العبد احتمال كالتكليف الاعمى النظر والزمن
العدي فهذا النوع من التكليف الذي لا يكلف الله به عبده بحال الوجه الثاني من تكليف
ما لا يطاق هو ما في قدرة العبد احتمال مع المشقة الشديدة والكلفة العظيمة كتكليف
الاعمال الشاقة والفرائض الثقيلة كما كان في ابتداء الاسلام صلاة الليل واجبة ونحوه
فهذا الذي سأل المؤمنون ربهم لا يحملهم ما لا طاقة لهم به واستدل بهذا الآية من يقول
ان تكليف ما لا يطاق جائز اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تخفيفه بالدعاء من الله تعالى
وقيل في قوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو حديث النفس والوسوسة وقيل هيجان الغلة
وقيل هو الحب وقيل هو شماتة الاعداء وقيل هو الفرقة والقطيعة وقيل هو مسخ القردة
والخنازير نعوذ بالله من ذلك كله ﴿واعف عنا﴾ أي تجاوز عن ذنوبنا واحمها
عنا ﴿واغفر لنا﴾ أي استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا ﴿وارحنا﴾ أي تعمدنا
برحمة تبيخنا بها من عقابك فانه ليس بناج من عقابك الا من رحته وقيل انا
لانال العمل بطاعتك ولا تترك معصيتك الا برحمتك وأصل الرحمة رقة تقتضى
الاحسان الى المرحوم واذا وصف بها الله تعالى فليس يراد بها الا الاحسان
المجرد والتفضل على العباد دون الرقة وقيل ان طلب العفو هو ان يسقط عنه عقاب ذنوبه
وطلب المغفرة هو ان يستر عليه صوناله من الفضيحة كأن العبد يقول أطلب منك
العفو واذا عفوت عني فاستر عني فاذا عفا الله تعالى عن العبد واستره طلب الرحمة
التي هي الانعام والاحسان ليفوز بالنعيم والثواب ﴿أنت مولانا﴾ أي ناصرنا
وحافظنا وولينا ومتولى أمورنا ﴿فانصرنا على القوم الكافرين﴾ يعني الجاحدين
الذين عبدوا غيرك وجحدوا وحدانيتك قال ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى

عند كل كلمة قد فطمت* وعنه عليه الصلاة والسلام أنزل الله تعالى آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بالي سنة من قرأهما بعد العشاء الأخيرة اجزأناه عن قيام الليل* وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ آيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره أن يقال سورة البقرة وقال ينبغي أن يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه الصلاة والسلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلوها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل يا رسول الله وما البطلة قال السحرة

﴿ سورة آل عمران مدينية وآياتها مائتان ﴾

غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم وفي قوله لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال لاؤاخذكم ربنا ولا نحمل علينا اصرا قال لأجل عليكم ولا نحملنا مالا طاقة لنا به قال لأجلكم واعف عنا واغفر لنا وارحنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين كان معاذ اذا ختم سورة البقرة قال آمين (م) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السادسة واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا أعطى الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئا المقححات المقححات الذنوب العظام التي توجب مرتكبها النار وأصل الاقحام الولوج (ق) عن أبي مسعود الانصاري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه معناه كفتاه من كل ما يحذر من كل هامة وشيطان فلا يقربه تلك الليلة وقيل كفتاه عن قيام الليل (م) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل عليه السلام اذ سمع نقيضا من فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل من السماء الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال بأبشر بنورين أو تيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما الا أعطيته* عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب لنا كتابا قبل أن يخلق السموات والارض بالي عام أنزل فيه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقرآن في دار ثلاث ليل فيقرها شيطان أخرجه الترمذي وقال حديث غريب آخر تفسير سورة البقرة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

* ﴿ تفسير سورة آل عمران ﴾ *

﴿ مدينية وهي مائتا آية وثلاثة آلاف وأربعمائة وثمانون كلمة ﴾

﴿ وأربعة عشر ألفا وخمسمائة وعشرون حرفا ﴾

(بسم)

الليل ويجوز أن يقال قرأت سورة البقرة أو قرأت البقرة لما روى عن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وقال بعضهم يكره ذلك بل يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة والله أعلم

﴿ سورة آل عمران نزلت بالمدينة وهي مائتا آية ﴾

عنهم من الخسف والسبخ والقذف ولن اتبعهم بذلك ومن سورة التي يذكر فيها آل عمران وهي كلها مدينية آياتها مائتا آية وكتابتها ثلاث آلاف وأربعمائة وستون وحروفها أربعة عشر ألفا وخمسمائة وخمس وعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٤٥٥﴾ حركة الميم { سورة آل عمران } لالتقاء الساكنين أعنى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ألم الله لاله الا هو ﴾ أنما فتح الميم في المشهور وكان حقها أن يوقف عليها لالتقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف للالدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم وأحد اثنان بالتقاء حركة الهمزة على الدال لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم تحرك الميم في لامه وقرئ بكسرهما على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابوبكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل ﴿ الحى القيوم ﴾ روى أنه عليه الصلاة والسلام قال أن اسم الله الاعظم في ثلاث سور في البقرة الله لاله الا هو الحى القيوم وفي آل عمران الله لاله الا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل ﴿ ألم الله لاله الا هو الحى القيوم ﴾ قال المفسرون نزات هذه الآية في وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرفهم منهم ثلاثة نفر اليم يؤل أمرهم وهم العاقب واسمه عبد المسيح وهو أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الاعن رأيه والسيد واسمه الاهيم وهو عالمهم القائم بعالمهم وصاحب رحلهم الذي يقوم بأمر طعامهم وشرابهم وأبو حارثة بن علقمة وهو أسقفهم وحبرهم وكان ملوك الروم يكرمونهم لما بلغهم عن علمه واجتهاده في دينه فدخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يصلى العصر وعليهم ثياب الخبزات جبب وأردية يقول من رآهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما رأينا وفدا مثلهم وقدحات صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى الشرق فلما فرغوا كالم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلما قلا قدا سلمنا قبلك قال كذبتما نعتكما من الاسلام دعوا كما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير قالان لم يكن عيسى ولدا لله فن أبوه وخاصموه جميعا في عيسى فقال النبي صلى الله عليه وسلم أستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال أستم تعلمون ان ربنا حى لا يموت وان عيسى يأتي عليه الموت قالوا بلى قال أستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شىء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شىء قالوا لا قال أستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شىء في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الاما علم قالوا لا قال أستم تعلمون ان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب قالوا بلى قال أستم تعلمون ان عيسى جلت أمه كما تحمل المرأة ثم وضعت كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون الها كما زعمتم فسكتوا فانزل الله صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها زاد بعضهم فقالوا يا محمد ألت تزعم ان عيسى كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسبنا ثم أبوا الاجحودا فانزل الله ردا عليهم الم الله لاله الا هو يعنى ان

شريك له (الله لاله الا هو الحى) الذى لا يموت ولا يزول (القيوم) القائم

كل نفس بما كسبت (نزل)
 أى هو نزل (عليك الكتاب)
 القرآن (بالحق) حال
 أى نزله حقاً ثابتاً (مصدقا
 لما بين يديه) لما قبله (وأُنزل
 التوراة والانجيل) هما
 اسمان أعجيبان وتكلف
 اشتقاقهما من الورى والنجل
 ووزنهما بنفسه وافتعل
 انما يصح بعد كونهما
 عربيين وانما قيل نزل
 الكتاب وأُنزل التوراة
 والانجيل لان القرآن نزل
 منجماً ونزل الكتابان جلة
 (من قبل) من قبل القرآن
 (هدى للناس) لقوم موسى
 وعيسى أو لجميع الناس
 (وأُنزل الفرقان) أى
 جنس الكتب لان الكل
 يفرق بين الحق والباطل
 أو الزبور أو ككرر ذكر
 القرآن بما هو نعمت له
 الذى لا بد له (نزل عليك
 الكتاب) جبريل بالكتاب
 (بالحق) لتبيان الحق
 والباطل (مصدقا) موافقا
 بالتوحيد (لما بين يديه)
 لما قبله من الكتب (وأُنزل
 التوراة) جلة على موسى
 ابن عمران (والانجيل)
 جلة على عيسى ابن مريم
 (من قبل) من قبل محمد
 والقرآن (هدى للناس)
 لبني اسرائيل من الضلالة
 (وأُنزل الفرقان) على محمد

هو الحى القيوم وفي طه وعتت الوجوه للحى القيوم ﴿نزل عليك الكتاب﴾ القرآن
 نجومًا ﴿بالحق﴾ بالعدل أو بالصدق في اخباره أو بالحجج المحققة أنه من عند الله وهو
 في موضع الحال ﴿مصدقا لما بين يديه﴾ من الكتب ﴿وأُنزل التوراة والانجيل﴾
 جلة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بنفسه وافتعل تعسف
 لانهما اعجيبان ويؤيد ذلك أنه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنة العرب
 * وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان والكسائى التوراة بالامالة في جميع القرآن * ونافع وحزة
 بين اللفظين الا قالون فانه قرأ بالفتح كقراءة السابقين ﴿من قبل﴾ من قبل تنزيل
 القرآن ﴿هدى للناس﴾ على العموم أن قلنا انما تصدون بشرائع من قبلنا والا فالمراد
 به قومهما ﴿وأُنزل الفرقان﴾ يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق
 والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة ليعم ما عاها كما أنه قال وأُنزل سائر
 ما يفرق به بين الحق والباطل أو الزبور أو القرآن وكرر ذكره بما هو نعمت له مدحا
 وتعظيما واظهارا لفضله من حيث أنه يشار كهما في كونه وحيا منزلا ويميز بأنه مجهز

كانت منازلهم يا معشر النصارى في معرفة الاله فهو الله الذى لا اله الا هو فكيف تثبتون له
 ولدا فيبين تعالى ان أحدا لا يستحق العبادة سواه لانه الواحد الاحد ليس معه اله ولا اله
 ولد ثم اتبع ذلك بما جرى مجرى الدلالة عليه فقال تعالى الحى القيوم * أما الحى في صفة الله
 تعالى فهو الدائم الباقي الذى لا يصح عليه الموت * وأما القيوم فهو القائم بذاته والقائم
 بتدبير الخلق ومصالحهم فيما يحتاجون اليه في معاشهم ومعادهم ﴿نزل عليك الكتاب﴾
 يعنى القرآن ﴿بالحق﴾ أى بالصدق والعدل ﴿مصدقا لما بين يديه﴾ يعنى لما قبله من
 الكتب في التوحيد والنبوات والاخبار وبعض الشرائع وقوله لما بين يديه من مجاز
 الكلام وذلك ان ما بين يديه فهو امامه فليل لكل شئ * تقدم على الشئ هو بين يديه لغاية
 ظهوره واشتهاره ﴿وأُنزل التوراة والانجيل من قبل﴾ أى من قبل القرآن * فان قلت لم قيل
 نزل الكتاب وأُنزل التوراة والانجيل * قلت لان القرآن نزل منجماً مفصلاً في أوقات
 كثيرة ونزل هول لكثير وأُنزل التوراة والانجيل جلة واحدة ﴿هدى للناس﴾ يعنى ان
 انزال التوراة والانجيل قبل القرآن كان هدى للناس * فان قلت كيف وصف القرآن في أول
 البقرة بأنه هدى للمتقين ووصف هنا التوراة والانجيل بأنهما هدى للناس * قلت انما
 وصف القرآن بأنه هدى للمتقين لانهم هم الذين انتفعوا به وتبعوه ووصف هنا
 التوراة والانجيل بأنهما هدى للناس لان المناظرة كانت مع نصارى نجران وهم
 يعتقدون صحة التوراة والانجيل فلهذا السبب قال هنا هدى للناس وقيل ان قوله
 هدى للناس يعود الى الكتب الثلاثة يعنى القرآن المتقدم ذكره والتوراة والانجيل
 وانما وصف هذه الكتب بأنها هدى للناس لما فيها من الشرائع والاحكام
 ﴿وأُنزل الفرقان﴾ يعنى الفارق بين الحق والباطل قيل أراد به القرآن وانما أعاد
 ذكره تعظيماً لشأنه ومدحاً لكونه فارقا بين الحق والباطل وقيل انما أعاد ذكره
 ليعين انه تعالى أنزله بعد التوراة والانجيل ليعمله فارقا بين ما اختلف فيه اليهود

يفرق بين الحق والمبطل أو المعجزات ﴿ أن الذين كفروا بآيات الله ﴾ من كتبه المنزلة وغيرها ﴿ لهم عذاب شديد ﴾ بسبب كفرهم ﴿ والله عزيز ﴾ غالب لا يمنع من التعذيب ﴿ ذوانتقام ﴾ لا يقدر على مثله منتقم والنعمة عقوبة المجرم والفعل منه نعم بالفتح والكسر وهو وعيد جئ به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ﴿ أن الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ﴾ أى شيء كائن في العالم كليا كان أو جزئيا أيانا أو كفرا فغير عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وإنما قدم الارض ترقيا من الأدنى الى الأعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترب فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله ﴿ هو الذى يصوركم في الارحام كيف يشاء ﴾ أى من الصور المختلفة كالدليل على القيومية

والنصارى في أمر عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل المراد به الكتب الثلاثة لانها كلها هدى للناس ومفرقة بين الحلال والحرام والحق والباطل وقال السدى في الآية تقديم وتأخير تقديره وأنزل التوراة والانجيل والفرقان هدى للناس ﴿ أن الذين كفروا بآيات الله ﴾ يعنى الكتب المنزلة وغيرها قيل أراد بهم نصارى وفد نجران كفروا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ فهو يتناول كل من كفر بشيء من آيات الله تعالى ﴿ لهم عذاب شديد والله عزيز ﴾ أى غالب لا يظلم ﴿ ذوانتقام ﴾ يعنى ممن كفر به والانتقام المبالغة في العقوبة ﴿ قوله عز وجل ﴾ أن الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ﴿ أى لا يخفى عليه شيء من أمر العالم وهو المطلع على أحوالهم فقوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اشارة الى كمال علمه المتعلق بجميع المعلومات ﴿ هو الذى يصوركم في الارحام ﴾ التصوير جعل الشيء على صورة والصورة هيئة يكون عليها الشيء بالتأليف والارحام جمع رحم ﴿ كيف يشاء ﴾ يعنى الصور المختلفة المتفاوتة في الخلقة ذكرا أو أنثى أبيض أو أسود حسنا أو قبيحا كاملا أو ناقصا والمعنى انه الذى يصوركم في ظلمات الارحام صوراً مختلفة في الشكل والطبع واللون وذلك من نطفة (ق) عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اليه ملك باربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالله الذى لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها (ق) عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا يقول أى رب نطفة أى رب علقة أى رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضى خلقها قال يارب أذكر أم أنثى أشقى أم سعيد فإلّا الرزق فما الاجل فكتب له ذلك في بطن أمه وقيل ان الآية واردة في الرد على النصارى وذلك

تفخيما لسانه (أن الذين كفروا بآيات الله) من كتبه المنزلة وغيرها (لهم عذاب شديد والله عزيز ذوانتقام) ذو عقوبة شديدة لا يقدر على مثلها منتقم (أن الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء) أى في العالم فغير عنه بالسماء والارض أى هو مطلع على كفر من كفر وإيمان من آمن وهو مجازيهم عليه (هو الذى يصوركم في الارحام كيف يشاء)

متفرقا بالحلال والحرام (أن الذين كفروا بآيات الله) بمحمد والقرآن وهم وفد بنى نجران (لهم عذاب شديد) في الدنيا والآخرة (والله عزيز) منيع بالنعمة (ذوانتقام) ذو نعمة منهم (أن الله لا يخفى عليه شيء في الارض) من خبر وفد بنى نجران (ولا في السماء) من خبر الملائكة (هو الذى يصوركم) يخلقكم (في الارحام كيف يشاء) قصيرا أو طويلا حسنا أو قبيحا ذكرا أو أنثى

من الصور المختلفة (لاله الاهو العزيز) في سلطانه (الحكيم) في تدبيره روى انه قدم وفد بنجران وهم ستون راكبا أميرهم العاقب وعمدتهم السيد وأسقفهم وحبهم أبو حارثة خاصموا في أن عيسى ان لم يكن ولد الله فمن أبوه فقال عليه الصلاة والسلام أستم تعلمون انه { الجزء الثالث } لا يكون ولد ٤٥٨ الا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال ألم تعلموا

والاستدلال على أنه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقري تصوركم أي صوركم لنفسه وعبادته ﴿ لاله الاهو ﴾ اذ لا يعلم غيره جلة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله ﴿ العزيز الحكيم ﴾ اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته وقيل هذا حجاج على من زعم أن عيسى كان ربا فأن وفد بنجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من أولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم وأجاب عن شبههم ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات ﴾ أحكمت عبارتها بان حفظت من الاجال والاحتمال ﴿ هن أم الكتاب ﴾ أصله يرد اليها غيرها والقياس أمهات فأفرد على تأويل كل واحدة أو على أن الكل بمنزلة آية واحدة ﴿ وأخر متشابهات ﴾ محتملات لا يتضح مقصودها لاجال أو مخالفة ظاهر الابالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد

ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان يخبر بعض الغيب فيقول أكلت في دارك كذا صنعت كذا وأنه أحي الموتى وأبرأ الالكه والابرص وخلق من الطين طيرا فادعت النصرارى فيه الالهية وقالوا ما قدر على ذلك الا أنه الله فرد الله تعالى عليهم بذلك وأخبر ان الاله المستحق لهذا الاسم هو الذي لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء وأنه المصور في الارحام كيف يشاء وان عيسى عليه الصلاة والسلام ممن صوره في الرحم فنبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد مخلوق كغيره وأنه يخفى عليه ما لا يخفى على الله عز وجل ﴿ لاله الاهو العزيز الحكيم ﴾ وهذا أيضا في الرد على النصرارى حيث قالوا عيسى ولد الله كأنه قال كيف يكون والد له وقد صوره الله في الرحم ﴿ قوله عز وجل ﴾ هو الذي أنزل عليك الكتاب ﴿ يعنى القرآن ﴾ منه آيات محكمات ﴿ يعنى مبيّنات مفصلات أحكمت عبارتها من احتمال التأويل والاشتباه سميت محكمة من الاحكام كأنه تعالى أحكمها فنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها ﴿ هن أم الكتاب ﴾ يعنى هن أصل الكتاب الذي يعول عليه في الاحكام ويعمل به في الحلال والحرام * فأن قلت كيف قال هن أم الكتاب ولم يقل أمهات الكتاب * قلت لان الآيات في اجتماعها وتكاملها كالأية الواحدة وكلام الله كله شئ واحد وقيل ان كل آية منهن أم الكتاب كإلهة جعلنا ابن مريم وأم آية يعنى ان كل واحد منهما آية ﴿ وأخر ﴾ جمع أخرى ﴿ متشابهات ﴾ يعنى أن لفظه يشبه لفظ غيره ومعناه يخالف معناه * فأن قلت قد جعله هنا محكما ومتشابهها وجعله في موضع آخر محكما فقال في أول هود الر كتاب أحكمت آياته وجعله في موضع آخر كله متشابهها فقال تعالى في الزمر الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابهها فكيف الجمع بين هذه الآيات * قلت حيث جعله كله محكما أراد انه كله حق وصدق ليس فيه عيب

ان الله تعالى حى لا يموت وعيسى يموت وان ربنا قديم على العباد يحفظهم ويرزقهم وعيسى لا يقدر على ذلك وأنه لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء وعيسى لا يعلم الاماعلم وأنه صور عيسى في الرحم كيف شاء فحلمته أمه ووضعته وأرضعته وكان يأكل ويحدث وربنا منزّه عن ذلك كله فانقطعوا فنزل فيهم صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية (هو الذي أنزل عليك الكتاب القرآن (منه) من الكتاب (آيات محكمات) أحكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه (هن أم الكتاب) أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها (وأخر) وآيات أخر (متشابهات) مشتبهات محتملات ومثل ذلك الرحمن شقيا أو سعيدا (لاله) لامصور ولا خالق (الا هو العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) بتصوير ما في الارحام (هو الذي أنزل عليك الكتاب) جبريل بالقرآن (منه) من القرآن (آيات محكمات) مبيّنات بالحلال والحرام (ولا) لم تتسخ يعمل بها (هن أم الكتاب) أصل الكتاب وامام في كل كتاب يعمل بها نحو قوله تعالى قل تعالوا أتتل ما حرم ربكم الآية (وأخر متشابهات) ما اشتبهت على اليهود من نحو حساب الجمل مثل ألم المصق ألمر وأرويقال منسوخات لا يعمل بها

(هو الذي أنزل عليك الكتاب) جبريل بالقرآن (منه) من القرآن (آيات محكمات) مبيّنات بالحلال والحرام (ولا) لم تتسخ يعمل بها (هن أم الكتاب) أصل الكتاب وامام في كل كتاب يعمل بها نحو قوله تعالى قل تعالوا أتتل ما حرم ربكم الآية (وأخر متشابهات) ما اشتبهت على اليهود من نحو حساب الجمل مثل ألم المصق ألمر وأرويقال منسوخات لا يعمل بها

حرصهم على أن يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها
فإنالوا بها وباتباع القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي
الدرجات واما قوله تعالى أركتاب أحكمت آياته فعناه أنها حفظت من فساد المعنى
وركاكة اللفظ وقوله تعالى كتابا متشابها فعناه أنه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة
اللفظ * وأخرجع أخرى وإنما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر ولا يوزم
منه معرفته لان معناه أن القياس أن يعرف ولم يعرف لأنه في معنى المعرفة أو عن

ولا هزل وحيث جعله كله متشابها أراد ان بعضه يشبه بعضا في الحسن والحق
والصدق وحيث جعله هنا بعضه محكما وبعضه متشابها فقد اختلفت عبارات العلماء فيه
فقال ابن عباس رضى الله عنهما المحكمات الثلاث آيات التي في آخر سورة الانعام
وهي قوله تعالى قل تعالوا أتلى ما حرم ربكم عليكم ونظيرها في بني اسرائيل وقضى
ربك ألا تعبدوا الاياه الآيات وعنه ان الآيات المحكمة هي الناسخ والمتشابهات هي
الآيات المنسوخة وقوله ابن مسعود وقادة والسدى وقيل ان المحكمات مائة أحكام الحلال
والحرام والمتشابهات ماسوى ذلك يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا وقيل ان المحكمات
ما أطلع الله عباده على معناه والمتشابه ما استأثر الله بعلمه فلا يسيل لاحد الى معرفته نحو
الخبر عن اشراط الساعة مثل الدجال وأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام
وطلوع الشمس من مغربها وفناء الدنيا وقيام الساعة فجميع هذا مما استأثر الله بعلمه وقيل
ان المحكم ما لا يحتمل من التأويل الاوجهما واحدا والمتشابه ما يحتمل أوجهما وروى
ذلك عن الشافعى وقيل ان المحكم سائر القرآن والمتشابه هي الحروف المقطعة في أوائل السور
قال ابن عباس رضى الله عنهما ان رهط من اليهود منهم حي بن أخطب وكعب بن الأشرف
ونظراؤهما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له حي بلغنا أنك أنزل عليك ألم فانشدك
الله أنزلت عليك قال نعم قال ان كان ذلك حقا فأنى أعلم مدة ملك أمك هي إحدى
وسبعون سنة فهل أنزل عليك غيرها قال نعم ألمص قال فهذه أكثر هي إحدى وستون ومائة
فهل أنزل عليك غيرها قال نعم أرقال هذه أكثر هي مائتان وأحدى ثلاثون سنة فهل
من غيرها قال نعم ألمرقال هذه أكثر هي مائتان وأحدى وسبعون سنة ولقد اختلف علينا
فلاندرى أبكثيره نأخذ أم بقليله ونحن ممن لا يؤمن بهذا فأنزل الله هذه الآية قوله تعالى
فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه وقيل ان المحكم ما لم تتكرر ألفاظه والمتشابه
ما تتكررت ألفاظه وقيل أن المحكم ما استقل بنفسه ولم يتحجج الى بيان والمتشابه ما احتاج
الى بيان وقيل ان المحكم هو الاسم والنهى والوعد والوعيد والمتشابه هو التخصيص والامثال
*فأن قلت إنما نزل القرآن لبيان الدين وارشاد العباد وهدايتهم فافاندة المتشابه وهلاك
كله محكما قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة أحدها ان القرآن أنزل بألفاظ العرب
ولغاتهم وكلام العرب على ضربين أحدهما الايجاز للاختصار والموجز الذى لا يخفى على
سامعه ولا يحتمل غير ظاهره والاطالة لبيان المراد والتوكيد الضرب الثانى المجاز والكنيات

على العرش استوى
فلا استواء يكون بمعنى
الجلوس وبمعنى القدرة
والاستيلاء ولا يجوز الاول
على الله تعالى بدليل المحكم
وهو قوله ليس كمثلته شى أو
المحكم ما أمر الله به فى كل
كتاب أنزله نحو قوله قل
تعالوا اتلى ما حرم ربكم
عليكم الآيات وقضى ربك
أن لا تعبدوا الاياه الآيات
والمتشابه ما وراءه أو مالا
يحتمل الاوجهما واحد
وما احتمل أوجهما أو ما يعلم
تأويله وما لم يعلم تأويله أو
الناسخ الذى يعمل به
والمنسوخ الذى لا يعمل به
وانما لم يكن كل القرآن محكما
لما فى المتشابه من الابتلاء به
والتمييز بين الثابت على
الحق والمتزلزل فيه ولما فى
تقادم العلماء وادعابهم
القرائح فى استخراج معانيه
ورده الى المحكم من القوائد
الجليلة والعلوم الجملة ونيل
الدرجات عند الله تعالى

آخر من ﴿ فاما الذين في قلوبهم زيغ ﴾ عدول عن الحق كالمبتدعة ﴿ فيتبعون ماتشابهه منه ﴾ فيتعلقون بظاهرة أو بتأويل باطل ﴿ ابتغاء الفتنة ﴾ طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتليس ومناقضة المحكم بالمتشابه ﴿ وابتغاء تأويله ﴾ وطلب أن

والاشارات والتلويحات وانماض بعض المعاني وهذا الضرب هو المستحسن عند العرب والبديع في كلامهم فانزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين ليحقق عجزهم عن الاتيان بمثله فكأنه قال عارضوه بأى الضربين شتم ولو نزل كله محكما واطحا لقالوا هلا أنزل بالضرب المستحسن عندنا الجواب الثاني ان الله تعالى انزل المتشابه لغائدة عظيمة وهي ان يشتغل أهل العلم والنظر بردهم المتشابه الى المحكم فيطول بذلك فكرهم ويتصل بالبحث عن معانيه اهتمامهم فيثابون على تعبهم كأثيبيوا على عباداتهم ولو أنزل القرآن كله محكما لاستوى في معرفته العالم والجاهل ولم يفضل العالم على غيره ولمات الخواطر وخذت الفكرة ومع الغموض تقع الحاجة الى الفكرة والحيلة الى استخراج المعاني وقديلا في عيب الغنى انه يورث البلادة وفي فضيلة الفقر انه يورث الفطنة وقيل انه يبعث على الحيلة لانه اذا احتاج احتال الجواب الثالث ان أهل كل علم يعملون في علومهم معاني غامضة ومساائل دقيقة ليختبروا بذلك اذهان المتعلمين منهم على انتزاع الجواب لانهم اذا قدروا على انتزاع المعاني الغامضة كانوا على الواضح أفدر فلما كان ذلك حسنا عند العلماء جاز أن يكون ما أنزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو الجواب الرابع ان الله تعالى أنزل المتشابه في كتابه مختبرا به عباده ليقف المؤمن عنده ويرد علمه الى عالمه فيعظم بذلك ثوابه ويرتاب به المنافق فيداخله الزيغ فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلى بنو اسرائيل بالنهر والله أعلم بمراده ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ فاما الذين في قلوبهم زيغ ﴾ أى ميل عن الحق وقيل الزيغ الشك واختلوا في المعنى بهم والمشار اليهم فليلهم وقد نجران الذين خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه الصلاة والسلام وقالوا ألسنت تزعم ان عيسى روح الله وكتبه قال بلى قالوا حسبنا فانزل الله هذه الآية وقيل هم اليهود لانهم طلبوا معرفة مدة بقاء هذه الامة واستخراجها بحساب الجمل من الحروف المقطعة في أوائل السور وقيل هم المنافقون وقيل هم الخوارج وكان قتادة يقول ان لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدري من هم وقيل هم جميع المبتدعة ﴿ فيتبعون ماتشابهه منه ﴾ يعنى يحيلون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم ويقولون ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا ثم نسخت وقيل كل من احتج لباطله بالمتشابه فهو المعنى بهذه الآية ﴿ ق ﴾ عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات الى وما يذكر الأولو الاباب فقال اذا رأيتم الذين يتبعون ماتشابهه مندفاؤلكم الذين سماهم الله فاحذروهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ابتغاء الفتنة ﴾ أى طلب الشرك والكفر وقيل طلب الشبهات والبس ليضلوا بها جهالهم وقيل طلب افساد ذات البين ﴿ وابتغاء تأويله ﴾ أى تفسيره وأصل التأويل في اللغة المرجع والمصير تقول آل الامر

(فاما الذين في قلوبهم زيغ) ميل عن الحق وهم أهل البدع (فيتبعون ماتشابهه) فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق (منه ابتغاء الفتنة) طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم (وابتغاء تأويله) وطلب ان يؤولوه التأويل الذي

(فاما الذين) وهم اليهود كعب ابن الاشرف وحي بن أخطب وجدى بن أخطب (في قلوبهم زيغ) شك وخلاف وميل عن الهدى (فيتبعون ماتشابهه منه) من القرآن (ابتغاء الفتنة) طلب الكفر والشرك والاستقامة على ما هم عليه من الضلالة (وابتغاء تأويله) طلب عاقبة هذه الامة لكي يرجع الملك

يشتهونه (وما يعلم تأويله الا الله) ﴿٤٦١﴾ أى لا يهتدى الى {سورة آل عمران} تأويله الحق الذى يجب

أن يحمل عليه الا الله (والراسخون فى العلم) والذين رسخوا أى ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرر قاطع مستأنف عند الجمهور والوقف عندهم على قوله الا الله وفسروا المتشابه بما استأثر الله بعلمه وهو مبتدأ عندهم والخبر (يقولون آمنابه) وهو شئ منه تعالى عليهم بالايمان على التسليم واعتقاد الحقيقة بلا تكييف وفائدة انزال المتشابه الايمان به واعتقاد حقيقة ما أراد الله به ومعرفة قصور افهام البشر عن الوقوف على ما لم يجعل لهم اليه سبيلا وبعضه قراءة أبى ويقول الراسخون وعبدا لله ان تأويله الا عند الله ومنهم من لا يقف عليه ويقول بأن الراسخين فى العلم يعلمون المتشابه ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بتأويل يقولون آمنابه أى بالمتشابه أو بالكتاب (كل) من متشابهه ومحكمه (من عند ربنا) من عند الله الحكيم الذى لا يتناقض كلامه

اليهم (وما يعلم تأويله) عاقبة هذه الامة (الا الله) انقطع الكلام ثم اد تأنف فقال

يؤولوه على ما يشتهونه ويحتمل أن يكون الداعى الى الاتباع مجموع الطلبتين أو كل واحدة منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثانى يلائم الجاهل ﴿وما يعلم تأويله﴾ الذى يجب أن يحمل عليه ﴿الا الله والراسخون فى العلم﴾ أى الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية أو بمداد القاطع على أن ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد ﴿يقولون آمنابه﴾ استئناف موضح لحال الراسخين أو حال منهم أو خبر ان جعلته مبتدأ ﴿كل من عند ربنا﴾ أى كل من المتشابه والحكم

الى كذا اذا رجح اليه وتسمى العاقبة تأويلا لان الامر يصير اليه قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله وابتغاء تأويله أى طلب بقاء ملك محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بهم الكفار طبا وامتى يبعثون وكيف احيأوهم بعد الموت وقيل هو طلب تفسير المتشابه وعلمه ﴿وما يعلم تأويله الا الله﴾ يعنى تأويل المتشابه وقيل لا يعلم انقضاء ملك هذه الامة الا الله تعالى لان انقضاء ملكها مع قيام الساعة ولا يعلم ذلك الا الله وقيل يجوز أن يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وحروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وعلم الحروف المقطعة وأشياء ذلك مما استأثر الله بعلمه فالايان به واجب وحقائق علومه مفوضة الى الله تعالى وهذا قول أكثر المفسرين وهو مذهب ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم فى رواية عنه وأبى بن كعب وعائشة وأكثرا التابعين رضى الله عنهم فعلى هذا القول تم الكلام عنده قوله الا الله فيوقف عليه ثم ابتدأ فقال عز من قائل ﴿والراسخون فى العلم﴾ أى الثابتون فى العلم وهم الذين أتقنوا علمهم بحيث لا يدخل فى علمهم شك ﴿يقولون آمنابه﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما سماهم الله راسخين فى العلم بقولهم آمنابه فرسوخهم فى العلم هو الايمان به وقال عمر بن عبدالعزيز فى هذه الآية انتهى علم الراسخين فى العلم بتأويل القرآن الى ان قالوا آمنابه ﴿كل من عند ربنا﴾ يعنى المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمنا منه وما لم نعلم ونحن معتمدون فى المتشابه بالايمان به ونكل معرفته الى الله تعالى وفى المحكم يجب علينا الايمان به والعمل بمقتضاه وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه فنه تفسير لا يسمع أحدا جهله وتفسير تعرفه العرب بألسنتها وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله وقيل ان الواو فى قوله والراسخون فى العلم واوعطف يعنى ان تأويل المتشابه يعلمه الراسخون فى العلم وهم مع علمهم يقولون آمنابه روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه كان يقول أنا من الراسخين فى العلم وعن مجاهد عنه أنا من يعلم تأويله ووجه هذا القول ان الله تعالى أنزل كتابه لينتفع به عباده ولا يجوز أن يكون فى القرآن شئ لا يعرفه أحد من الامة وفى المراد بالراسخين فى العلم قولان أحدهما انهم مؤمنوا أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه دليله قوله تعالى لكن الراسخون فى العلم منهم والقول الثانى ان الراسخين هم العلماء العالمون بعلمهم سئل أنس بن مالك عن الراسخين فى العلم فقال العالم العامل بما علم المتبع له

(والراسخون فى العلم) البالغون بعلم التوراة عبد الله بن سلام وأصحابه (يقولون آمنابه) بالقرآن (كل من عند ربنا) نزل المحكم

من عنده ﴿ وما يذكر الا أولو الالباب ﴾ مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر وإشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشى الحس واتصال الآيه بما قبلها من حيث أنها في تصوير الروح بالعلم وترتيبه بما قبلها في تصوير الجسد وتسويته أو أنها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله تعالى وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه كما أنه جواب قولهم لأب له غير الله فتعين أن يكون هو أبه بأنه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة أب ومن غيرها وبأنه صورته في الرحم والمصور لا يكون أب المصور ﴿ ربنا لاتزغ قلوبنا ﴾ من مقال الراسخين وقيل استئناف والمعنى لاتزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لاترضيه قال عليه الصلاة والسلام قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن أن شاء اقامه على الحق وأن شاء ازاغته عنه وقيل لاتبلنا ببلايا تزيف فيها قلوبنا ﴿ بعد أذهبتنا ﴾ الى الحق والايان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل أنه بمعنى أن ﴿ وهب لنا من لدنك رحمة ﴾ تزلفنا اليك ونفوز بها عندك أو توفيقا للثبات على الحق أو مغفرة للذنوب ﴿ أنك أنت الوهاب ﴾ لكل سؤال وفيه دليل على أن الهدى والضلال

وقيل الراسخ في العلم من وجد في علمه أربعة أشياء التقوى فيما بينه وبين الله تعالى والتواضع فيما بينه وبين الناس والزهد فيما بينه وبين الدنيا والمجاهدة فيما بينه وبين النفس ﴿ وما يذكر الا أولو الالباب ﴾ أي وما يتعظ بما في القرآن الاذو والعقول وهذا شأن من الله عز وجل على الذين قالوا آمنابه كل من عند ربنا ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ربنا لاتزغ قلوبنا ﴾ أي ويقول الراسخون في العلم ربنا لاتزغ قلوبنا أي لاتعلمها عن الحق والهدى كما أزغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ ﴿ بعد أذهبتنا ﴾ أي وقتنا لدينك والايان بالحكم والمتشابه من كتابك ﴿ وهب لنا من لدنك رحمة ﴾ أي أعطنا توفيقا وثبتنا الذي نحن عليه من الايمان والهدى وقيل هب لنا تجاوزا ومغفرة ﴿ أنك أنت الوهاب ﴾ الهبة العطية الخالية عن الاعراض والاعراض والوهاب في صفة الله تعالى انه تعالى يعطي كل أحد على قدر استحقاقه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك هذا من أحاديث الصفات وللعلماء فيه قولان أحدهما الايمان به وامراره كما جاء من غير تعرض لتأويل ولا تكليف ولا معرفة معناه بل تؤمن به كما جاء وأنه حق ونكلمه الى مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هذا القول هو مذهب أهل السنة من سلف الامة وخلفها من أهل الحديث وغيرهم والقول الثاني انه يتأول بحسب ما يليق به وان ظاهره غير مراد قال تعالى ليس كمثل شيء فعلى هذا المراد هو المجاز كما يقال فلان في قبضتي وفي كفي يريد انه تحت قدرته وفي تصرفه لانه حال في كفه فعنى الحديث انه سبحانه وتعالى متصرف في قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا يمتنع عليه منها شيء ولا يفوته ما أراد منها كما لا يمتنع

(وما يذكر) وما يتعظ وأصله يتذكر (الا أولو الالباب) أصحاب العقول وهو مدح للراسخين بألقاه الذهن وحسن التأمل وقيل يقهرون حال من الراسخين (ربنا لاتزغ قلوبنا) لاتعلمها عن الحق بخلق الميل في القلوب (بعد أذهبتنا) للعمل بالحكم والتسليم للمتشابه (وهب لنا من لدنك رحمة)

من عندك نعمة بالتوفيق ولتثبيت (أنك أنت الوهاب) كثير الهبة والآية من مقول الراسخين ويحتمل الاستئناف أي قولوها وكذلك التي بعدها

والمتشابه (وما يذكر) يتعظ بامثال القرآن (الا أولو الالباب) ذوو العقول من الناس عبد الله بن سلام وأصحابه (ربنا) ويقولون أيضا يا ربنا (لاتزغ قلوبنا) لاتعلم قلوبنا عن دينك (بعد أذهبتنا) لدينك (وهب لنا من لدنك رحمة) ثبتنا على دينك (أنك أنت الوهاب) للمؤمنين الذين قبلنا ويقال الوهاب النبوة

وهي (ربنا أنك جامع الناس ﴿٤٦٣﴾ ليوم) أي تجمعهم { سورة آل عمران } لحساب يوم أو لجزء يوم

من الله سبحانه وتعالى وأنه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء ﴿ربنا أنك جامع الناس ليوم﴾ لحساب يوم أو لجزائه ﴿لاريب فيه﴾ في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على أن معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل ﴿أن الله لا يخلف الميعاد﴾ فان الالهية تنافيه وللشعار به وتعظيم الموعد لون الخطاب واستدل به الوعيدية وأجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ﴿أن الذين كفروا﴾ عام في الكفرة وقيل المراد به وفدنجران أو اليهود أو مشركوا العرب ﴿لن تنفي عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا﴾ أي من رحته أو طاعته على معنى البدلية أو من عذابه ﴿وأولئك هم وقود النار﴾ حطبها وقرى بالضم بمعنى أهل وقودها ﴿كذاب آل فرعون﴾ متصل بما قبله أي لن تنفي عنهم كالم تنفي عن أولئك أو توقد بهم كالتوقد بأولئك أو استئناف مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء كذابهم في الكفر والعذاب وهو مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشأن ﴿والذين من قبلهم﴾ عطف على آل فرعون وقيل

على الانسان ما بين أصبعيه فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بما يفهمونه ويعلمونه من أنفسهم وانما هي لفظ الاصبعين والقدرة واحدة لانه جرى على المعبود من التمثيل بحسب ما اعتادوه وان كان غير مقصود به التثنية أو الجمع وهذا مذهب جمهور المتكلمين وغيرهم من المتأخرين وانما خص القلوب بالذكر لفائدة وهي أن الله تعالى جعل القلوب محلا للخواطر والارادات والنيات وهي مقدمات الافعال ثم جعل سائر الجوارح تابعة للقلوب في الحركات والسكنات والله أعلم ﴿قوله عز وجل﴾ ربنا أنك جامع الناس ليوم لاريب فيه ﴿أي ليوم القضاء وقيل اللام بمعنى في أي في يوم لاريب فيه أي لاشك فيه انه كائن وهو يوم القيامة﴾ أن الله لا يخلف الميعاد ﴿هذا من بقية دعاء الراسخين في العلم وذلك انهم طلبوا من الله تعالى أن يصرف قلوبهم عن الزيف وأن ينحصرهم بالهداية والرحمة وذلك من مصالح الدين والدنيا ثم انهم اتبعوا ذلك بقولهم ربنا أنك جامع الناس ليوم لاريب فيه ومعناه انا نعلم انك جامع الناس للجزاء في يوم القيامة ونعلم ان وعدك حق وانك لا تخلف الميعاد فمن أزغت قلبه فهو هالك ومن مننت عليه بالهداية والرحمة فهو ناج من العذاب سعيد ﴿قوله عز وجل﴾ أن الذين كفروا ﴿يعني برسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما هم قريظة والنضير﴾ لن تنفي ﴿أي لن تنفع ولن تدفع﴾ عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا ﴿أي من عذاب الله شيئا وقيل من بمعنى عند أي عند الله شيئا﴾ وأولئك هم وقود النار كذاب آل فرعون ﴿قال ابن عباس رضي الله عنهما كفعل آل فرعون وصنيعهم في الكفر وقيل كسنة آل فرعون وقيل كعادة آل فرعون والمعنى ان عادة هؤلاء الكفار في تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحود الحق كعادة آل فرعون فانهم كذبوا موسى وصدقوا فرعون﴾ والذين من قبلهم ﴿يعني كفار الامم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم

(لاريب فيه) لاشك في وقوعه (أن الله لا يخلف الميعاد) الموعد والمعنى ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سألته أي لا يخلف ما وعد المسلمين والكافرين من الثواب والعقاب (أن الذين كفروا) برسول الله (لن تنفي) أو تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله (من عذابه) (شيئا) من الاشياء (وأولئك هم وقود النار) حطبها (كذاب آل فرعون) والذين من قبلهم (الدأب مصدر

والاسلام لمحمد (ربنا) ويقولون يا ربنا (أنك جامع الناس) بعد الموت (ليوم) في يوم (لاريب فيه) لاشك فيه (أن الله لا يخلف الميعاد) البعث بعد الموت والحساب والصراط والميزان والجنة والنار (أن الذين كفروا) يعني كعب بن الاشرف وأصحابه ويقال أبو جهل وأصحابه (لن تنفي عنهم أموالهم) كثرة أموالهم (ولا أولادهم) كثرة أولادهم (من الله) من عذاب الله (شيئا) أولئك هم وقود النار حطب النار (كذاب آل فرعون) كصنع آل فرعون يقول صنع بك قومك كذبوك

وشتموك كما صنع قوم موسى كذبوه وشتموه ونصنع بهم يوم بدر كما صنعنا بقوم موسى يوم القرق (والذين من قبلهم) من

استثناف ﴿ كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم ﴾ حال باخمار قد أو استثناف بتفسير حالهم أو خبر أن ابتدأت بالذين من قبلهم ﴿ والله شديد العقاب ﴾ تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة ﴿ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم ﴾ أى قل لمشركى مكة ستغلبون يعنى يوم بدر وقيل لليهود فإنه عليه الصلاة والسلام جمعهم بعد بدر فى سوق بنى قينقاع فخذهم ان ينزل بهم منازل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لاعلم لهم بالحرب لأن قاتلنا لعنت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده لهم بقتل قريظة واجلاء بنى النضير وقمع خير وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة ﴿ وقرأ حزة والكسائى بالياء فيما على ان الامر بان يحكى لهم ما خبره به من وعيدهم بلفظه ﴿ وبئس المهاد ﴾ تمام ما يقال لهم أو استثناف وتقديره وبئس المهاد

﴿ كذبوا بآياتنا ﴾ يعنى لما جاءتهم بها الرسل ﴿ فأخذهم الله بذنوبهم ﴾ أى فعاقبهم الله بسبب تكذيبهم ﴿ والله شديد العقاب ﴾ وقيل فى معنى الآية ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم عند حلول النقمة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الامم الخالية فأخذناهم فلم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون ﴿ قريء بالياء والياء فىهما فن قرأ بالياء المنقوطة تحت فعناه بلغهم يا محمد أنهم سيغلبون ويحشرون ومن قرأ بالياء المنقوطة فوق فعناه قل لهم ستغلبون وتحشرون ﴿ الى جهنم ﴾ قيل أراد بالذين كفروا مشركى قريش والمعنى قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون فى الآخرة الى جهنم فلما نزلت هذه الآية قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وقيل ان أباسفيان جمع جماعة من قومه بعد وقعة بدر فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان هذه الآية نزلت فى اليهود وقال ابن عباس ان يهود المدينة قالوا لما هزم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين يوم بدر هذا والله النبى الذى بشره موسى لارتد له راية وأرادوا اتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تجملوا حتى ننظر وقعة أخرى فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا العهد وانطلق كعب بن الاشرف فى ستين راكبا الى مكة ليستفزهم فاجعوا أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس وغيره لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم بدر ورجع الى المدينة جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع وقال يامعشر اليهود احذروا من الله مثل ما أنزل بقريش يوم بدر وأسلبوا قبل ان ينزل بكم منازل بهم فقد عرقتم انى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما أغمارا لاعلم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة وانا والله لو قاتلناك لغرفت انانحن الناس فانزل الله عز وجل قل للذين كفروا يعنى اليهود ستغلبون أى ستهزمون وتحشرون يعنى فى الآخرة الى جهنم ﴿ وبئس المهاد ﴾ أى القراش والمعنى بئس مامهد لهم

والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هوؤلاء الكفرة فى تكذيب الحق كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم أو منصوب المحل بلن تغنى أى لن تغنى عنهم مثل الملم تغن عن أولئك كدأب بلاهمز حيث كان أبو عمرو (كذبوا بآياتنا) تفسيره لدأبهم بما فعلوا أو فعل بهم على انه جواب سؤال مقدر عن حالهم ويجوز أن يكون حالا أى قد كذبوا (فأخذهم الله بذنوبهم) بسبب ذنوبهم يقال اخذته بكذا أى جازيته عليه (والله شديد العقاب) شديد عقابه فالإضافة غير محضة (قل للذين كفروا) هم مشركوا مكة (ستغلبون) يوم بدر (وتحشرون الى جهنم) من الجهنم وهى بئر عميقة وبالياء فىهما حزة وعلى (وبئس المهاد) المستقر

قبل قوم موسى (كذبوا بآياتنا) بالكتاب والرسول الذى بعثنا اليهم (فأخذهم الله) أهلكهم الله (بذنوبهم) بتكذيبهم (والله شديد العقاب) اذا عاقب (قل) يا محمد (للذين كفروا)

جهنم (قد كان لكم آية) الخطاب لمشركي قريش (في فئتين التقتا) يوم بدر (فئة تقاتل في سبيل الله) وهم المؤمنون (وأخرى) وفئة أخرى (كافرة يرونهم مثلهم) ﴿٦٥﴾ يرى المشركون {سورة آل عمران}

ألفين أو مثل عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم اضغافهم ليهابوهم ويجنبوا عن قتالهم ترونهم نافع أى ترون يا مشركي قريش المسلمين مثل فتكم الكافرة أو مثل أنفسهم ولا يناقض هذا ما قال في سورة الانفال

ويقللهم في أعينهم لانهم قللوا أولا في أعينهم حتى اجتمعوا عليهم فلما اجتمعوا كثروا في أعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالتين مختلفتين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وقومهم انهم مسؤلون وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى في أعينهم أبلغ في القدرة واظهار الآيات ومثلهم نصب على الحال لانه من رؤية العين

الفراس والمصير (قد كان لكم) يا أهل مكة (آية) علامة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (في فئتين) جمعين جمع محمد وجمع أبي سفيان (التقتا) يوم بدر (فئة) جماعة (تقاتل في سبيل الله) في طاعة الله محمد وأصحابه وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا (وأخرى كافرة) وجماعة أخرى كافرة بالله والرسول أبو سفيان وأصحابه

جهنم أو ما مهدوه لانفسهم ﴿٦٥﴾ قد كان لكم آية ﴿٦٥﴾ الخطاب لقريش أو لليهود أو للمؤمنين ﴿٦٥﴾ في فئتين التقتا ﴿٦٥﴾ يوم بدر ﴿٦٥﴾ فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثلهم ﴿٦٥﴾ يرى المشركون المؤمنين مثل عدد المشركين وكان قريب من ألف أو مثل عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قتلهم في أعينهم حتى اجترأوا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لا قوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا مددا من الله تعالى للمؤمنين أو يرى المؤمنون المشركين مثل المؤمنيين وكانوا ثلاثة أمثالهم ليثبتوا لهم ويتقنوا بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة

في النار ﴿٦٥﴾ قوله عز وجل ﴿٦٥﴾ قد كان لكم آية في فئتين التقتا ﴿٦٥﴾ قيل الخطاب للمؤمنين يروى ذلك عن ابن مسعود والحسن وقيل هو خطاب لكفار مكة فيكون عطا على الذي قبله فيخرج على قول ابن عباس وقيل هو خطاب لليهود قاله ابن جرير *فأن قلت لم قال قد كان لكم آية ولم يقل قد كانت لان الآية مؤنثة *قلت كل ما ليس بمؤنث حقيقى يجوز تذكيره وقيل انه رد المعنى الى اليان فعناه قد كان لكم بيان فذهب الى المعنى وترك اللفظ وقال الفراء انما ذكر لانه حالت الصفة بين الفعل والاسم المؤنث فذكر الفعل وكل ما جاء من هذا فهذا وجهه ومعنى الآية قد كان لكم آية أى عبرة ودلالة على صدق ما أقول انكم ستغلبون في فئتين أى فئتين وأصلها في الحرب لان بعضهم يفتى الى بعض أى يرجع التقتا يعنى يوم بدر ﴿٦٥﴾ فئة تقاتل في سبيل الله ﴿٦٥﴾ أى في طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وكان صاحب راية المهاجرين على بن ابي طالب وصاحب راية الانصار سعد بن عباد وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان وكان معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية سيوف ﴿٦٥﴾ قوله عز وجل ﴿٦٥﴾ وأخرى كافرة ﴿٦٥﴾ أى وفرقة أخرى كافرة وهم مشركوا مكة وكانوا تسعمائة وخسين رجلا من مقاتلة وكان رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان فيهم مائة فرس وكانت وقعة بدر أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقوله تعالى ﴿٦٥﴾ ترونهم مثلهم ﴿٦٥﴾ قرى بالياء يعنى ترون أهل مكة ضعفى المسلمين يا معشر اليهود وذلك أن جماعة من اليهود كانوا قد حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة ولمن النصر فرأوا المشركين مثل عدد المسلمين ورأوا النصر للمسلمين فكان ذلك معجزة *وقرى يرونهم بالياء واختلوا في وجه قراءة الياء فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين ثم له تأويلان أحدهما يرى المسلمون المشركين مثلهم كما هم *فأن قلت كيف قال مثلهم وانما كانوا ثلاثة أمثالهم *قلت هذا مثل قول الرجل وعنده درهم انا محتاج الى مثل هذا الدرهم يعنى الى مثله سواء فيكون ثلاثة دراهم *ووجه آخر وهو أن يكون الله تعالى اظهر للمسلمين من عدد المشركين القدر الذى يعلم المؤمنون انهم يغلبونهم لازالة الخوف من قلوبهم وهذا التأويل الثانى هو

وكانوا تسعمائة وخسين رجلا (يرونهم) (قا وخا ٥٩ ل) يرون أنفسهم (مثلهم) مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

بدليل قوله (رأى العين) يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لالبس فيها (والله يؤيد بنصره من يشاء) كما أبدأهل بدر بتكثيرهم في أعين العدو (أن في ذلك) { الجزء الثالث } في تكثير القليل ﴿٤٦٦﴾ (لعبرة) لعلظة (لأولى الابصار)

نافع ويعقوب بالباء وقوى بهما على البناء للمفعول أى يريهم الله أو يريكم ذلك بقدرته وقفة بالجر على البدل من فتنين وبالنصب على الاختصاص أو الحال من فاعل التقنا ﴿رأى العين﴾ رؤية ظاهرة معانية ﴿والله يؤيد بنصره من يشاء﴾ نصره كما أبدأهل بدر ﴿أن في ذلك﴾ أى التقليل أو التكثير أو غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الوقعة آية أيضاً محتملها ويحتمل وقوع الامر على ما خبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿لعبرة لأولى الابصار﴾ أى لعلظة لذوى البصائر وقيل لمن ابصرهم ﴿زين للناس

لذوى البصائر﴾ (زين للناس) المزين هو الله عند الجمهور للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم دليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان

الاصح قلل الله المشركين في أعين المسلمين حتى رأوهم مثلهم *فأن قلت كيف الجمع بين قوله تعالى يرونهم مثلهم وبين قوله واذيريكوهم اذ التقييم في أعينكم قليلا ويقالكم في أعينهم وكيف يقال ان المشركين استكثروا المسلمين أو المسلمين استكثروا المشركين وان الفتنين تساويا في استقلال احديهما الأخرى * قلت ان التقليل والتكثير كانا في حالتين مختلفين *فان قيل ان الفئة الرائية هم المسلمون فانهم رأوا عدد المشركين عند بداية القتال على ما هم عليه ثم قلل الله المشركين في أعين المسلمين حتى اجترؤا عليهم فصبروا على قتالهم بذلك السبب قال ابن مسعود نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرناهم فرأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا * وفي رواية أخرى عنه قال لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة قال فأسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال ألفا * وان قلنا أن الفئة الرائية هم المشركون على قول بعضهم ان الرؤية راجعة الى المشركين يعني رأى المشركون المسلمين مثلهم فقلل الله المسلمين في أعين المشركين في أول القتال ليجترؤا عليهم ولا ينصرفوا فلما أخذوا في القتال كثر الله المسلمين في أعين المشركين ليجنوا فيكون ذلك سبب خذلانهم وقدروى أن المشركين لما اسروا يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا كنا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا قالوا يعني المشركين ما كنا نراكم الا تضعفون علينا فكان في وقعة بدر أحوال في التكثير والتقليل وما ذلك الاظهار للقدرة التامة * قوله عز وجل ﴿رأى العين﴾ أى في رأى العين * والله يؤيد * أى يقوى * بنصره من يشاء أن في ذلك * معنى الذى ذكر من النصره وقيل رؤية الجيش مثلهم * لعبرة * أى لآية * والعبرة الدلالة الموصلة الى اليقين المؤدية الى العلم وأصلها من العبور كأنه طريق يعبرونه فيوصلهم الى مرادهم وقيل العبرة هى التى يعبر منها من منزلة الجهل الى منزلة العلم ﴿لأولى الابصار﴾ لذوى العقول والبصائر * قوله عز وجل ﴿زين للناس﴾ قال أهل السنة المزين هو الله تعالى لانه تعالى خالق لجميع أفعال العباد ولان الله تعالى خلق جميع ملاذ الدنيا وأباحها لعبده وابتاعها للبعد تزين لها قال الله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا وقال تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها وقال

(رأى العين) عيانا ظاهرا بالعين ويقال لها وجه آخر يقول قل للذين كفروا بئى قرينة والضمير يستقلبون بالقتل والاجلاء وتحشرون بعد الموت الى جهنم وبئس المهاد الفراش والمصير أخبرهم بذلك قبل يوم بدر بستين ثم نزل قد كان لكم يا معشر اليهود آية علامة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم في فتنين جمعين جمع محمد وجمع أبى سفيان التقتا يوم بدر فقتل جماعة محمد عليه السلام وأصحابه تقاتل في سبيل الله في طاعة الله وأخرى كفرة وجاعة أخرى كفرة بالله والرسول أبوسفيان وأصحابه ترونهم رأيتوهم يا معشر اليهود مثلهم مثل أصحاب محمد رأى العين عيانا ظاهرا (والله يؤيد) يقوى (بنصره من يشاء) يعنى محمدا (أن في ذلك) في نصره الله لمحمد يوم بدر (لعبرة لأولى الابصار) فى الدين يعنى

المؤمنين ويقال لمن أبصر بالعين * ثم ذكر ما زين للكفار من نعم الدنيا فقال (زين للناس) حسن للناس (أخرج)

حب الشهوات ﴿ أى المشتهيات سماها شهوات مبالغة وإعلاء الى انهم انهكوا في محبتها حتى أحبوا شهوتها كقوله تعالى احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء أولانه يكون وسيلة الى السعادة الاخرى وية اذا كان على وجه ير تضيئه الله سبحانه وتعالى ولانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم ﴿ من النساء والبنين والقناطر المقنطرة

تعالى وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا فكل ذلك يدل على ان المزين هو الله تعالى وما يؤيد ذلك قراءة مجاهد زين بفتح الزاي على تسمية الفاعل وقال الحسن المزين هو الشيطان وهو قول طائفة من المعتزلة ويدل على ذلك ان الله تعالى زهد في هذه الاشياء بان أعلم عباده زوالها ولان الله تعالى أطلق حب الشهوات فيدخل فيه الشهوات المحرمة والمزين لذلك هو الشيطان ولان الله تعالى ذكر هذه الاشياء في معرض الذم للدنيا ويدل عليه آخر الآية وهو قوله تعالى والله عنده حسن المآب ونقل عن أبي على الجبائي من المعتزلة ان كل ما كان حراما كان المزين له هو الشيطان وكل ما كان مباحا كان المزين له هو الله تعالى والصحيح ما ذهب اليه أهل السنة لان الله تعالى خالق كل شئ ولا شريك له في ملكه * قوله عز وجل ﴿ حب الشهوات ﴾ يعنى المشتهيات لان الشهوة توقان النفس الى الشئ المشتهى ﴿ من النساء ﴾ انما بدأ بذكر النساء لان الالتذاذ بهن أكثر والاستئناس بهن أتم ولانهن جائل الشيطان وأقرب الى الافتتان ﴿ والبنين ﴾ انما خص البنين بالذكر لان حب الولد الذكر أكثر من حب الانثى ووجه حبه ظاهر لانه يتكثربه وبعضه ويقوم مقامه وقد جعل الله تعالى في قلب الانسان حب الزوجة والولد لحكمة بالغة وهى بقاء التوالد ولولا تلك المحبة لما حصل ذلك ﴿ والقناطر المقنطرة ﴾ جمع قنطار وسمى قنطارا من الاحكام والعقد يقال قنطرتة اذا أحكىته ومنه القنطرة المحكمة الطاق واختلفوا في القنطار هل هو محدود أو غير محدود على قولين أحدهما انه محدود ثم اختلفوا في حده فروى عن معاذ بن جبل ان القنطار ألف ومائتا أوقية وقال ابن عباس رضى الله عنهما ألف ومائتا مثقال وعنه أنه اثنا عشر ألف درهم أو ألف دينار دية أحدكم وبه قال الحسن وقال سعيد بن جبير هو مائة ألف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا وقال سعيد بن المسيب وقيادة هو ثمانون ألفا وقال مجاهد سبعون ألفا وقال السدى هو أربعة آلاف مثقال والقول الثانى ان القنطار ليس بمحدود وقال ربيع بن أنس القنطار الممال الكثير بعضه على بعض وروى عن أبي عبيدة انه حكى عن العرب ان القنطار وزن لا يحد وهو اختيار ابن جرير الطبرى وغيره وقال الحاكم القنطار ما بين السماء والارض من مال وقال أبو نصر القنطار ملء مسك ثور ذهباً أو فضة وقال القنطار من الممال ما فيه عبور الحياة تشبيها بعبور القنطرة المقنطرة أى المجموعة وقيل المضاعفة لان القناطر جمع وأقله ثلاثة والمقنطرة المضاعفة فيتمل أن تكون ستة أو تسعة وقيل المقنطرة المسكوكة المنقوشة

(حب الشهوات) الشهوة
توقان النفس الى الشئ
جعل الاعيان التى ذكرها
شهوات مبالغة في كونها
مشتهاة كأنه اراد تخسيسها
بتسميتها شهوات. اذ الشهوة
مستردلة عند الحكماء
مذموم من اتبعها شاهد
على نفسه بالبهيمية (من
النساء) والاماء داخلة فيها
(والبنين) جمع ابن وقد
يقع في غير هذا الموضع على
الذكور والاناث وهنا
أريد به الذكور فهم المشتهون
في الطباع والمعدون للدفاع
(والقناطر) جمع قنطار
وهو الممال الكثير قيل ملء
مسك ثورا ومائة ألف دينار
ولقد جاء الاسلام وبمكة
مائة رجل قد قنطروا
(المقنطرة) المنضدة أو
المدفونة

في قلوبهم (حب الشهوات)
الذات (من النساء) يعنى
من الاماء والنساء (والبنين)
يعنى العبيد والبنين (والقناطر
المقنطرة) يعنى الاموال
المجموعة

(من الذهب والفضة) سمي ذهب السرعة ذهابه بالانفاق وفضة لانها تفرق بالانفاق والفض التفریق (والخيل) سميت بها لاختياليها في مشيها (المسومة) المعلمة من السومة وهي العلامة أو المرعية من أسام الدابة وسومها (والانعام) هي الأزواج الثمانية (والحرث) الزرع (ذلك) { الجزء الثالث } المذكور (متاع الحيوة) ﴿٤٦٨﴾ (الدنيا) يتمتع بها في الدنيا (والله عنده

من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ﴿٤٦٨﴾ بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة ألف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في انه فعلا أو فعال والمقنطرة مأخوذة منه للتأكيد كقولهم بادرة مبدرة * والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة أو المرعية من اسام الدابة وسومها أو المطهمة * والانعام الابل والبقر والغنم ﴿٤٦٨﴾ ذلك متاع الحيوة الدنيا ﴿٤٦٨﴾ اشارة الى ما ذكر ﴿٤٦٨﴾ والله عنده حسن المآب ﴿٤٦٨﴾ أى المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من المذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخذجة الفانية ﴿٤٦٨﴾ قل أو نبشكم بخير من ذلك ﴿٤٦٨﴾ يريد به تقرير ان ثواب الله تعالى خير من مستلذات الدنيا ﴿٤٦٨﴾ للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها

حسن المآب (المرجع ثم زهدهم في الدنيا فقال (قل أو نبشكم بخير من ذلك) من الذي تقدم (للذين اتقوا عند ربهم جنات) كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم جنات مبتدأ وللذين اتقوا خبره (تجري من تحتها

﴿٤٦٨﴾ من الذهب والفضة ﴿٤٦٨﴾ انما بدأ بهما من بين سائر أصناف الاموال لانهما قيم الاشياء وانما كانا محبوبين لان المسالك لهما مالك قادر على ما يريد وهى صفة كمال وهى محبوبة وقيل سمي الذهب ذهابا لانه يذهب ولا يبقى والفضة لانها تنفض أى تفرق ﴿٤٦٨﴾ والخيل المسومة ﴿٤٦٨﴾ الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط سميت الافراس خيلا لاختياليها في مشيتها وقيل لان الخيل لا يركبها أحد الا يوجد في نفسه مخيلة يعنى عجيبا واختلفوا في معنى المسومة على ثلاثة أقوال * القول الاول انها الراعية يقال أسمت الدابة وسومتها اذا أرسلتها المرعى والمقصود انها اذارت زاد حسننها * والقول الثانى انها من السمى وهى العلامة ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في تلك العلامة فقيل هى الغرة والتجميل التى تكون في الخيل وقيل هى الخيل البلق وقيل هى المعلمة بالكي * والقول الثالث انها المضمرة الحسان وتسويمها حسننها ﴿٤٦٨﴾ والانعام ﴿٤٦٨﴾ جمع نعم وهى الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا للابل خاصة فانه غلب عليها ﴿٤٦٨﴾ والحرث ﴿٤٦٨﴾ يعنى الزرع ﴿٤٦٨﴾ ذلك ﴿٤٦٨﴾ يعنى ذلك الذى ذكر من هذه الاصناف ﴿٤٦٨﴾ متاع الحيوة الدنيا ﴿٤٦٨﴾ أى الذى يستمتع به في الحياة الدنيا وهى زائلة فانية يشير الى ان الحياة الدنيا متاع يقضى ﴿٤٦٨﴾ والله عنده حسن المآب ﴿٤٦٨﴾ أى المرجع فيه اشارة الى التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة وقيل فيه اشارة الى ان من آتاه الله الدنيا كان الواجب عليه ان يصرفها فيما يكون فيه صلاحه في الآخرة لانها السعادة القصوى ﴿٤٦٨﴾ قوله عز وجل ﴿٤٦٨﴾ قل أو نبشكم ﴿٤٦٨﴾ أى أخبركم ﴿٤٦٨﴾ بخير من ذلكم ﴿٤٦٨﴾ يعنى الذى ذكر من متاع الدنيا ﴿٤٦٨﴾ للذين اتقوا ﴿٤٦٨﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما في رواية عنه يريد المهاجرين والانصار أراد أن يعرفهم ويشوقهم الى الآخرة قال العلماء ويدخل في هذا الخطاب كل من اتقى الشرك ﴿٤٦٨﴾ عند ربهم ﴿٤٦٨﴾ معناه ان الله تعالى أخبر ان ما عنده خير مما كان في الدنيا وان كان محبوبا فتحتم على ترك ما يحبون لما يرجون ثم فسر ذلك الخير فقال تعالى ﴿٤٦٨﴾ جنات تجري من تحتها

(من الذهب والفضة) ويقال يعنى الاموال المضروبة المنقشة من الذهب والفضة والقنطار واحد وهو ملء مسك ثور ذهابا أو فضة ويقال ألق ومائتا مثقال والقناطر ثلاثة والمقنطرة تسعة (والخيل المسومة) يعنى الخيل الروائع الحسان المعلمة (والانعام) يعنى الغنم والبقر والابل (والحرث) يعنى الزرع والمزرعة (ذلك) الذى ذكرت (متاع الحيوة الدنيا) منفعة للناس في الدنيا ثم تقضى ويقال ذلك هذا الذى ذكرت متاع الحياة الدنيا يقول بقاءه كبقاء متاع البيت مثل القدح والسكرجة وغير ذلك (والله عنده حسن المآب) المرجع في الآخرة يعنى الجنة لمن ترك ذلك ثم بين نعم الآخرة وبقائها

وفضلها كما بين نعم الدنيا فقال (قل) يا محمد للكفار (أو نبشكم) أخبركم (بخير من ذلكم) مما ذكرت لكم من زينة الدنيا (خالد) (للذين اتقوا) الكفر والشرك وانقوا احش يعنى أبا بكر وأصحابه (عند ربهم جنات) بساتين (تجري) تطرد (من تحتها) من تحت شجرها

الانهار) صفة لجنات ويجوز أن يتعلق اللام بخير واخص المتقين لانهم هم المنتعمون به ويرتفع جنات على هوجنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير (خالد بن خبير) وأزواج مطهرة ورضوان من الله (أي رضا الله) (والله بصير بالعباد) عالم بأعمالهم فيجازيهم عليها أو بصير ﴿٤٦٩﴾ بالذين اتقوا {سورة آل عمران} وبأحوالهم فلذا أعد لهم

الجنات (الذين يقولون) الجنات على المدح أو رفع أو نصب على المدح أو رفع أو جبر صفة للمتقين أو للعباد (ربنا أننا آمننا) اجابة لدعوتك (فاغفر لنا ذنوبنا) انجاز الوعدك (وقنا عذاب النار) بفضلك (الصابرين) على الطاعات والمصائب وهو نصب على المدح (والصادقين) قولاً باخبار الحق وفعلاً باحكام العمل ونية بامضاء العزم (والقانتين) الداعين أو المطيعين (والمنفقين) المتصدقين (والمستغفرين بالاسحار) المصلين

ومساكنها (الانهار) أنهار الخمر والعسل واللبن والماء (خالد بن خبير) مقبين في الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (وأزواج مطهرة) ولهم ازواج مهذبة من الحيز والادناس (ورضوان من الله) ورضاربهم أكبر مما هم فيه من النعيم (والله بصير بالعباد) بالمؤمنين وبمكالمهم في الجنة وبأعمالهم في الدنيا ثم وصفهم فقال (الذين يقولون) في الدنيا

الانهار خالد بن خبير ﴿ استثناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هوجنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير ﴿ وأزواج مطهرة ﴾ مما يستقدر من النساء ﴿ ورضوان من الله ﴾ قرأ عاصم في رواية أبي بكر في جميع القرآن بضم الراء ما خلا الحرف الثاني في المائة وهو قوله رضوانه سبل السلام وهم القتان ﴿ والله بصير بالعباد ﴾ أي بأعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء أو بأحوال الذين اتقوا فلذلك أعد لهم جنات وقد نبه بهذه الآية على نعمه فأدناها متاع الدنيا وأعلاها رضوان الله تعالى لقوله سبحانه وتعالى ورضوان من الله أكبر وأوسطها الجنة ونعيمها ﴿ الذين يقولون ربنا أننا آمننا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار ﴾ صفة للمتقين أو للعباد أو مدح منصوب أو مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة أو الاستعداد لها ﴿ الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار ﴾ حصر لمقامات

الانهار خالد بن خبير ﴿ وأزواج مطهرة ورضوان من الله ﴾ (ق) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطينا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيك أفضل من ذلك فيقولون وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً وقيل ان العبد اذا علم ان الله تعالى قدر ضى عنه كان أتم لسروره وأعظم لفرحه ﴿ والله بصير بالعباد ﴾ يعني ان الله تعالى عالم بمن يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدنيا فيجازي كلا على عمله فيثيب ويعاقب على قدر الاعمال وقيل ان الله تعالى بصير بالذين اتقوا فلذلك أعد لهم الجنات ﴿ قوله عز وجل ﴾ الذين يقولون ربنا أننا آمننا ﴿ أي صدقنا ﴿ فاغفر لنا ذنوبنا ﴾ أي استر علينا وتجاوز عنا ﴿ وقنا عذاب النار ﴾ قوله عز وجل ﴿ الصابرين ﴾ يعني على أداء الواجبات وعن المحرمات والمنهيات وفي البأساء والضراء وحين البأس وقيل الصابرين على دينهم وما أصابهم ﴿ والصادقين ﴾ يعني في ايمانهم وقال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت ألسنتهم وقلوبهم في السر والعلانية والصدق يكون في القول والافعال والنية فأما صدق القول فهو مجانبة الكذب والصدق في الفعل هو عدم الانصراف عنه قبل اتمامه والصدق في النية العزم على الفعل حتى يبلغه ﴿ والقانتين ﴾ يعني المطيعين لله وقيل هم المصلون وهو عبارة عن دوام الطاعة والمواظبة عليها ﴿ والمنفقين ﴾ يعني أموالهم في طاعة الله تعالى ويدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى أهله وأقاربه وصلة رحمه والزكاة والنفقة في جميع القربات ﴿ والمستغفرين بالاسحار ﴾

(ربنا) ياربنا (أننا آمننا) بك وبرسولك (فاغفر لنا ذنوبنا) في الجاهلية وما بعد الجاهلية (وقنا عذاب النار) ادفع عنا عذاب النار (الصابرين) على أداء فرائض الله واجتناب معاصيه. ويقال الصابرين على المرازى (والسائقين) في ايمانهم (والقانتين) المطيعين لله وللرسول (والمنفقين) أموالهم في سبيل الله (والمستغفرين) المصلين (بالاسحار) التطوع * ثم وحد نفسه فقال

السالك على أحسن ترتيب فان معاملته مع الله سبحانه وتعالى اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولى وهو الصدق واما فعلى وهو التقوى الذى هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق فى سبيل الخير واما الطلب فبالاستغفار لان المغفرة أعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكالهم فيها أو لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها أقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ أشق والنفس أصفى والروع أجمع سيما للمجتهدين قيل أنهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون ﴿شهد الله أنه لا اله الا هو﴾ بين واحدايته بنصب

يعنى المصلين بالسحر وهو الوقت بعد ظلمة الليل الى طلوع الفجر وقيل كانوا يصلون بالليل حتى اذا كان وقت السحر أخذوا فى الدعاء والاستغفار فكان هذا بدأ بهم فى ليهم قال نافع كان ابن عمر رضى الله عنهما يحى الليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فاقول لا يعاود الصلاة فاذا قلت نعم فقد يستغفر ويدعو حتى يصلى الصبح ﴿ق﴾ عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسوا الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى الثلث الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له وفى لفظ مسلم فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذى يدعونى الحديث وله فى رواية أخرى فيقول هل من سائل فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح وهذا الحديث من أحاديث الصفات وللعلامة فيه وفى أمثاله مذهبان معروفان مذهب السلف الايمان به واجراؤه على ظاهره ونفى الكيفية عنه والمذهب الثانى هو مذهب من يتأول أحاديث الصفات قال أبو سليمان الخطابى انما ينكر هذا الحديث من يقيس الامور على ما يشاهده من النزول الذى هو تدل من أعلى الى أسفل وانتقال من فوق الى تحت وهذا صفة الاجسام فأما نزول من لا تستولى عليه صفات الاجسام فان هذه المعانى غير متوهمة فيه وانما هو خبر عن قدرته وراقته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثل شئ وهو السميع البصير وقيل فى قوله والمستغفرين بالاسحار وصف الله تعالى هؤلاء بما وصف ثم بين انهم مع ذلك لشدة خوفهم ووجلهم انهم يستغفرون بالاسحار وروى ان لقمان قال لابنه يا بنى لاتكن اعجز من الديك فانه يصوت بالاسحار وانت تأثم على فراشك وقيل هم الذين يصلون صلاة الصبح فى جماعة فعلى هذا القول انما سميت الصلاة استغفارا لانهم طلبوا بفعلها المغفرة ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿شهد الله أنه لا اله الا هو﴾ قيل سبب نزل هذه الآية ان حبرين من احبار الشام قدما على النبي صلى الله عليه وسلم فلما أبصر المدينة قال أحدهما لصاحبه ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم الذى يخرج فى آخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة فقال له أنت محمد قال نعم قالوا وأنت أجد قال نعم قالوا فأنا نسألك عن شئ فان أنت أخبرتنا به آمنتنا

أوطالين المغفرة وخص الاسحار لانه وقت اجابة الدعاء ولانه وقت الخلوة قال لقمان لابنه يا بنى لا يكن الديك أكيس منك ينادى بالاسحار وانت تأثم والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كالمهم فى كل واحدة منها وللشعار بأن كل صفة مستقلة بالمدح (شهد الله) أى حكم أو قال (أنه) أى بانه (لا اله الا هو) (شهد الله) وان لم يشهد أحد غيره (انه لا اله الا هو)

الدلائل الدالة عليها وأنزال الآيات الناطقة بها ﴿ والملائكة ﴾ بالاقرار ﴿ وأولوا العلم ﴾ بالإيمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد ﴿ قائماً بالقسط ﴾ مقبياً للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وأنما جاز أفرادها بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسمحق ويعقوب نافلة أو من هو والعامل فيها معنى الجملة أى تفرد قائماً أو أحقه لانها حال مؤكدة أو على المدح أو الصفة المنفى وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة أو حالا من الضمير ﴿ وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو أو الخبر لمخدوف ﴾ لا اله الا هو ﴿ كرره للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحججة وليتنبى عليه قوله ﴿ العزيز الحكيم ﴾ فيعلم أنه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته

وصدقناك قال أسألانى قالاً فاخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فانزل الله هذه الآية فأسلم الخبران وقيل ان هذه الآية نزلت في نصارى نجران فيما ادعوا في عيسى عليه الصلاة والسلام فقوله تعالى شهد الله يعنى بين الله وأظهر لان معنى الشهادة تبين واطهار وقيل معنى شهد الله حكم الله وقضى وقيل معناه أعلم الله أنه لا اله الا هو وذلك بيان الدلائل لما أمكن التوصل الى معرفة الوحدانية فهو تعالى أرشد عباده الى معرفة توحيدة بما بين من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته سئل بعض الاعراب ما الدليل على وجود الصانع فقال ان البعرة تدل على البعير و آثار القدم تدل على المسير فهيكل علوى بهذه اللطافة ومركز سفلى بهذه الكثافة اما يدلان على وجود الصانع الخبير قال ابن عباس رضى الله عنهما خلق الله تعالى الارواح قبل الاجساد بأربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح بأربعة آلاف سنة فشهد لنفسه بنفسه قبل أن خلق الخلق حين كان ولم تكن سماء ولا أرض ولا بروج ولا بحر فقال تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو ﴿ والملائكة ﴾ أى وشهد الملائكة فعنى شهادة الله تعالى الاخبار والاعلام ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الاقرار والاعتراف بأنه لا اله الا هو ولما كان كل واحد من هذين الامرين يسمى شهادة حسن اطلاق لفظ الشهادة عليهما ﴿ وأولوا العلم ﴾ أى وشهد أولو العلم بأنه لا اله الا هو واختلفوا في أولى العلم فقيل هم الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانهم أعلم الخلق بالله تعالى وقيل هم علماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار وقيل هم علماء مؤمنى أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل هم علماء جميع المؤمنين ﴿ قائماً بالقسط ﴾ أى بالعدل نصب على الحال والقطع أو المدح ومعناه انه تعالى قائم بتدبير خلقه كما يقال فلان قائم بأمر فلان يعنى أنه مدبر له ومتعهد لاسبابه وفلان قائم بحق فلان أى انه مجاز له فالله مدبر أمر خلقه وقائم بأرزاقهم ومجاز لهم بأعمالهم ﴿ لا اله الا هو ﴾ انما كرره للتأكيد وقيل ان الاول وصف وتوحيد والثانى رسم تعليم أى قولوا لا اله الا هو وقيل فائدة تكرارها الاعلام بان هذه الكلمة أعظم الكلام وأشرفه فقيه حث للعباد على تكريرها والاشتغال بها فانه من اشتغل بها فقد اشتغل بأفضل العبادات ﴿ العزيز ﴾ أى الغالب الذى لا يقهر ﴿ الحكيم ﴾ يعنى فى جميع أفعاله

والملائكة) بما عينوا من عظيم قدرته (وأولوا العلم) أى الانبياء والعلماء (قائماً بالقسط) مقبياً للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويشيب ويعاقب وما يأمره بعباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على التسوية فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة من اسم الله تعالى أو من هو وانما جاز أفرادها بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاء زيد وعمرو راكبا لم يجز لعدم الالباس فانك لو قلت جاءنى زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة أو على المدح وكرر (لا اله الا هو) للتأكيد (العزيز الحكيم) ارفع على الاستئناف أى هو العزيز وليس بوصف لهو لان الضمير لا يوصف يعنى انه العزيز الذى لا يغالب الحكيم الذى لا يعدل

والملائكة) يشهدون بذلك (وأولوا العلم) النبيون والمؤمنون يشهدون بذلك (قائماً بالقسط) بالعدل (لا اله الا هو العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) أمر

عن الحق (أن الدين عند الله
الاسلام) جلة مستأنفة
ان الدين على البدل من
قوله أنه لا اله الا هو أى شهد
الله أن الدين عند الله الاسلام
قال عليه السلام من قرأ
الآية عند منامه خلق الله
تعالى منها سبعين ألف خلق
يستغفرون له الى يوم القيامة
ومن قال بعدها وأنا أشهد
بما شهد الله به واستودع
الله هذه الشهادة وهى لى
عند الله وديعة يقول الله
تعالى يوم القيامة ان لعبدى
عندى عهدا وأنا أحق من
وفى بالعهد أدخلوا عبدى
الجنة (وما اختلف الذين
أوتوا الكتاب) أى أهل
الكتاب من اليهود والنصارى
واختلفهم انهم تركوا
الاسلام وهو التوحيد
فثلث النصارى
أن لا يعبد غيره (أن الدين)
المرضى (عند الله الاسلام)
ويقال شهد الله ان الدين
عند الله الاسلام مقدم
ومؤخر وشهد بذلك
الملائكة والنبون والمؤمنون
نزلت هذه الآية فى رجلين
من أهل الشام طلبا من النبي
صلى الله عليه وسلم أى شهادة
أكبر فى كتاب الله فبين
الله ذلك فاسما (وما اختلف
الذين أوتوا الكتاب)
اعطوا الكتاب يعنى اليهود
والنصارى فى الاسلام

على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير أو الصفة لفاعل شهد* وقدروى فى فضلها
أنه عليه الصلاة والسلام قال بجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله سبحانه وتعالى أن لعبدى هذا
عندى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة وهى دليل على فضل علم
أصول الدين وشرف أهله ﴿ أن الدين عند الله الاسلام ﴾ جلة مستأنفة مؤكدة للأولى
أى لادين مرضى عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذى جاء
به محمد صلى الله عليه وسلم* وقرأ الكسائى بالفتح على أنه بدل من أنه بدل الكل أن فسر
الاسلام بالايمن أو بما يتضمنه أو بدل الاشتمال أن فسر بالشرعة* وقرئ أنه بالكسر
وأن بالفتح على وقوع الفعل على الثانى واعتراض ما بينهما أو اجراء شهد مجرى قال
تارة وعلم أخرى لتضمنه معناه ﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب ﴾ من اليهود
والنصارى أو من أرباب الكتب المتقدمة فى دين الاسلام فقال قوم أنه حق وقال
قوم أنه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا أو فى التوحيد فثلث النصارى وقالت
اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا
﴿ أن الدين عند الله الاسلام ﴾ يعنى ان الدين المرضى عند الله هو الاسلام كما قال تعالى
ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه رد على اليهود والنصارى وذلك لما ادعت اليهود انه لادين
أفضل من اليهودية وادعت النصارى انه لادين أفضل من النصرانية رد الله عليهم
ذلك فقال ان الدين عند الله الاسلام* وقرئ أن الدين بفتح الهمزة ردا على أن الأولى
والمعنى شهد الله أنه لا اله الا هو وشهد أن الدين عند الله الاسلام* وأصل الدين
فى اللغة الجزاء يقال كاتدين تدان ثم صار اسما للملة والشرعية ومعناه الانقياد للطاعة
والشرعية قال الزجاج الدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وأمرهم بالاقامة عليه
والاسلام هو الدخول فى السلم وهو الاستسلام والانقياد والدخول فى الطاعة* وروى
البعوى بسند الثعلبى عن غالب القطان قال أتيت الكوفة فى تجارة فنزلت قريبا من
الاعمش فكنت أختلف اليه فلما كان ذات ليلة أردت أن أجدد الى البصرة قام
من الليل يتعبد فمر بهذه الآية شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما
بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الاعمش وأنا أشهد بما شهد الله به واستودع
الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا قلت
سمع فيها شيئا فصليت الصبح معه وودعته ثم قلت له انى سمعتك ترددها فابلقك فيها
قال والله لأحدثك فيها الى سنة فكنت على بابه ذلك اليوم وأقت سنة فلما مضت
السنة قلت يا أبا محمد قد مضت السنة فقال حدثنى أبو وائل عن عبدالله قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل ان
لعبدى هذا عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة* قوله
عز وجل ﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب ﴾ قال الكلبي نزلت فى اليهود
والنصارى حين تركوا الإسلام والمعنى وما اختلف الذين أوتوا الكتاب فى نبوة

وقالت اليهود عزيز ابن الله (الامن بعد ما جاءهم العلم) انه الحق الذي لا محمد عنه (بغيا بينهم) أى ما كان ذلك الاختلاف الاحسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا لاشبهة في الاسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد عليه الصلاة والسلام حيث آمن به بعض وكفر به بعض وقيل هم النصارى واختلافهم في أمر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله (ومن يكفر بآيات الله) بحججه ودلائله (فأن الله سريع الحساب) سريع المجازاة (فأن حاجوك) فان جادلوك في ان دين الله الاسلام والمراد ﴿٤٧٣﴾ بهم وفد بنى نجران {سورة آل عمران} عند الجمهور (فقل أسلمت وجهى لله) أى أخلصت

نفسى وجاتى لله وحده لم أجعل فيها لغيره شريكا بان أعبده وأدعو الهامعه يعنى ان دينى دين التوحيد وهو الدين القويم الذى ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندى وما جئت بشئ بديع حتى تجادلونى فيه ونحوه قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شياً فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو اليقين الذى لاشك فيه فامعنى المحاجة فيه (ومن اتبعن) عطف على التاء فى أسلمت أى أسلمت انا ومن اتبعنى وحسن للفاصل ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه ومن اتبعنى فى الحالين سهل ويعقوب وافق أبو عمرو فى الوصل وجهى مدنى وشامى وحفص والاعشى والبرجى

فى أمر عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿الامن بعد ما جاءهم العلم﴾ أى بعد ما علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج ﴿بغيا بينهم﴾ حسدا بينهم وطلبا للرياسة لالشبهة وخفاء فى الامر ﴿ومن يكفر بآيات الله فأن الله سريع الحساب﴾ وعيد لمن كفر منهم ﴿فأن حاجوك﴾ فى الدين وجادلوك فيه بعد ما أقت الحجج ﴿فقل أسلمت وجهى لله﴾ أخلصت نفسى وجاتى له لا أشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذى قامت به الحجج ودعت اليه الآيات والرسول وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ﴿ومن اتبعن﴾ عطف على التاء فى أسلمت

محمد صلى الله عليه وسلم ﴿الامن بعد ما جاءهم العلم﴾ يعنى بيان نعتة وصفته فى كتبهم وقال الربيع ان موسى عليه الصلاة والسلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلا من خيار بنى اسرائيل وأودعهم التوراة واستخلف يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول والثانى والثالث وقعت الفرقة والاختلاف بينهم وهم الذين أوتوا الكتاب وهم من أبناء الملوك السبعين حتى أهرقوا الدماء ووقع الشر والاختلاف وذلك بعد ما جاءهم العلم يعنى بيان ما فى التوراة من الاحكام ﴿بغيا بينهم﴾ أى طلبا بينهم للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبارة وقيل نزلت فى نصارى نجران ومعناه ما اختلف الذين أوتوا الكتاب يعنى الانجيل واختلافهم كان فى أمر عيسى عليه الصلاة والسلام وما ادعوا فيه من الالهية الامن بعد ما جاءهم العلم يعنى بان الله تعالى واحداً وحدوان عيسى عبده ورسوله بغيا بينهم يعنى المعادة والمخالفة ﴿ومن يكفر بآيات الله فأن الله سريع الحساب﴾ فيه وعيد وتهديد لمن أصر على الكفر من اليهود والنصارى الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿فأن حاجوك﴾ أى خاصموك يا محمد فى الدين وذلك ان اليهود والنصارى قالوا السنا على ما سميتنا به يا محمد انما اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه فأمر الله عز وجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يحتج عليهم بانه اتبع أمر الله الذى هم مقرون به بقول ﴿فقل أسلمت وجهى لله﴾ أى انقدت له بقلبى ولسانى وجميع جوارحى وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف جوارح الانسان الظاهرة فاذا خضع وجهه لشيء فقد خضع له سائر جوارحه وقيل أراد بالوجه العمل أى أخلصت عملى لله وقصدت بعبادتى الله ﴿ومن اتبعن﴾ يعنى ومن أسلم كما أسلمت انا

(قاو خا ٦٠ ل)

ومحمد (الامن بعد ما جاءهم العلم) بيان ما فى كتابهم (بغيا بينهم) حسدا بينهم (ومن يكفر بآيات الله) بمحمد والقرآن (فأن الله سريع الحساب) شديد العقاب * ثم ذكر خصوصتهم مع النبي صلى الله عليه وسلم فى دين الاسلام قتال (فأن حاجوك) خاصموك يعنى اليهود والنصارى فى الدين (فقل أسلمت وجهى) أخلصت دينى وعملى (لله ومن اتبعن) أيضا

(وقل للذين أتوا الكتاب) من اليهود والنصارى (والامين) والذين لا كتاب لهم من مشركى العرب (أأسلمتم) بهمزتين كوفى يعنى انه قد أتاكم من البيئات ما يقتضى حصول الاسلام فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم وقيل لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الاسرى أى اسلموا {الجزء الثالث} كقولهم فهل ﴿٤٧٤﴾ أتم منتهون أى انتهوا (فأن اسلموا فقد

و حسن للفصل أو مفعول معه ﴿وقل للذين أتوا الكتاب والامين﴾ الذين لا كتاب لهم كمشركى العرب ﴿أأسلمتم﴾ كما اسلمت لما وضحت لكم الحججة أم أنتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل أنتم منتهون وفيه تعبيرهم بالبلادة أو المعاندة ﴿فأن أسلموا فقد اهتدوا﴾ فقد نفعوا أنفسهم بأن اخرجوها من الضلال ﴿وأن تولوا فأنا عليك البلاغ﴾ أى فلم يضروك اذا معاك الان تبلغ وقد بلغت ﴿والله بصير بالعباد﴾ وعد ووعد ﴿أن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس

﴿وقل للذين أتوا الكتاب﴾ يعنى اليهود والنصارى ﴿والامين﴾ يعنى مشركى العرب ﴿أأسلمتم﴾ لفظه استفهام ومعناه أمر أى أسلموا ﴿فأن أسلموا فقد اهتدوا﴾ يعنى الى الفوز والنجاة فى الآخرة فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على أهل الكتاب قالوا قد أسلمنا فقال لليهود أشهدون ان موسى كليم الله وعبدته ورسوله فقالوا معاذ الله وقال للنصارى أشهدون ان عيسى كلمة الله وعبدته ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبد الله تعالى ﴿وأن تولوا﴾ أى أعرضوا ﴿فأنا عليك البلاغ﴾ يعنى تبلغ الرسالة وليس عليك هدايتهم واختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى الآية فذهب طائفة الى انها محكمة والمراد بها تسليية النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان يحرض على ايمانهم ويتألم لتزكهم الاجابة وذهب طائفة الى انها منسوخة بآية السيف لان المراد بها الاقتصار على التبليغ وهذا منسوخ بآية السيف ﴿والله بصير بالعباد﴾ يعنى انه تعالى عالم بمن يؤمن ومن لا يؤمن ﴿قوله عز وجل﴾ أن الذين يكفرون بآيات الله ﴿يعنى يمجحدون القرآن وينكرونه وهم اليهود والنصارى﴾ ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ﴿كان انبياء بنى اسرائيل يأتيمهم الوحي ولم يكن يأتيم كتاب لانهم كانوا ملتزمين باحكام التوراة فكانوا يدكرون قومهم فيقتلونهم فيقوم رجال ممن آمن بهم وصدقهم فيذكرونهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فيقتلونهم أيضا فهم الذين يأمرون بالقسط يعنى بالعدل من الناس ﴿روى البغوى بسند الثعلبي عن أبي عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أى الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس الى أن انتهى الى قوله وما لهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا

اهتدوا) فقد أصابوا الرشد حيث خرجوا من الضلال الى الهدى (وأن تولوا فانا عليك البلاغ) أى لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا أن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى (والله بصير بالعباد) فيجازيم على اسلامهم وكفرهم (أن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين) هم أهل الكتاب راضون بقتل آبائهم الانبياء (بغير حق) حال مؤكدة لان قتل النبي لا يكون حقا (ويقتلون الذين يأمرون) ويقاثلون حمزة (بالقسط) بالعدل (من الناس) أى سوى الانبياء قال عليه السلام قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة وأثناعشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فأسروا قتلهم بالمعروف ونهوه عن المنكر فقتلوا جميعا فى آخر النهار من ذلك اليوم (وقل للذين أتوا الكتاب) اعطوا الكتاب يعنى اليهود والنصارى (والامين) يعنى العرب (أأسلمتم) أتسلمون كما أسلمنا فقال الله

(فأن أسلموا) كما أسلمتم (فقد اهتدوا) من الضلالة (وأن تولوا) عن ذلك (فأنا عليك البلاغ) التبليغ عن الله (والله) (من) بصير بالعباد) بمن يؤمن ومن لا يؤمن (أن الذين يكفرون بآيات الله) بمحمد والقرآن (ويقتلون النبيين) يعنى يتولون الذين كانوا يقتلون النبيين من آبائهم (بغير حق) بلاجرم (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط) بالتوحيد (من الناس) من الذين

(فبشرهم بعذاب أليم) دخلت الفاء ﴿٤٧٥﴾ في خبر ان {سورة آل عمران} تضمن اسمها معنى الجزاء

كأنه قيل الذين يكفرون
فبشرهم بعذاب أليم
بمعنى من يكفر فبشرهم
وهذا لان ان لا تغير معنى
الابتداء فهمي للتحقيق فكان
دخولها كلا دخول ولو
كان مكانها ليت ولعل
لا تمتنع دخول الفاء (أولئك
الذين حبطت أعمالهم) أى
ضاعت (في الدنيا والآخرة)

فلهم اللعنة والحزى في الدنيا
والعذاب في الآخرة (وما
لهم من ناصرين) جمع
لوقف رؤس الآى والا
فالواحد النكرة في النفي يع
(ألم تر الى الذين أتوا
نصييا من الكتاب) يريد
أخبار اليهود وانهم حصلوا
نصييا وافرأ من التوراة
ومن للتبويض أو لبيان
(يدعون) حال من الذين
(الى كتاب الله) أى التوراة

آمنوا بالنبين (فبشرهم
بعذاب أليم) وجميع مخلص
وجعه الى قلوبهم (أولئك
الذين حبطت أعمالهم)
بطلت حسناتهم (في الدنيا
والآخرة) يعنى لا يثابون
بها في الآخرة (وملهم
من ناصرين) من مانعين
من عذاب الله * ثم ذكر
اعراض بنى قريضة والنضير
من أهل خيبر عن الرجم
فقال (ألم تر) ألم تنظر

فبشرهم بعذاب أليم ﴿٤٧٥﴾ هم أهل الكتاب الذين في عصره صلى الله عليه وسلم
قتل أولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرأ جزءه ويقاثلون الذين
وقدمت سيويوه ادخال الفاء في خبر أن كليت ولعل ولذلك قيل الخبر ﴿٤٧٥﴾ أولئك الذين
حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ﴿٤٧٥﴾ كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه
لا يغير معنى الابتداء بخلافهما ﴿٤٧٥﴾ ومالهم من ناصرين ﴿٤٧٥﴾ يدفون عنهم العذاب ﴿٤٧٥﴾ ألم
ترالى الذين أتوا نصيبا من الكتاب ﴿٤٧٥﴾ أى التوراة أو جنس الكتب السماوية ومن
للتبويض أو لبيان وتكثير النصيب يحتمل التعظيم والتحقيق ﴿٤٧٥﴾ يدعون الى كتاب الله

من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة وأثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا
من قتلهم بالمعروف وهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين
ذكرهم الله في كتابه وأنزل الآية فيهم ﴿٤٧٥﴾ فبشرهم بعذاب أليم ﴿٤٧٥﴾ انما دخلت الفاء في قوله
فبشرهم مع انه خبر ان لانه في معنى الجزاء والتقدير من كفر فبشره بعذاب أليم يوم القيامة
وهذا محمول على الاستعارة وهو ان اذار الكفار بالعذاب قام مقام بشرى المحسنين بالثواب
وفي هذه الآية توبخ لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان
أسلافهم الذين قتلوا الانبياء لانهم رضوا بفعلهم ﴿٤٧٥﴾ أولئك الذين حبطت ﴿٤٧٥﴾ أى
بطلت ﴿٤٧٥﴾ أعمالهم في الدنيا والآخرة ﴿٤٧٥﴾ وبطلان العمل هو أن لا يقبل في الدنيا ولا
يجازى عليه في الآخرة ﴿٤٧٥﴾ ومالهم من ناصرين ﴿٤٧٥﴾ يعنى ينعونهم من العذاب ﴿٤٧٥﴾ قوله
عز وجل ﴿٤٧٥﴾ ألم تر الى الذين أتوا نصيبا من الكتاب ﴿٤٧٥﴾ أنزلت في اليهود ﴿٤٧٥﴾ يدعون
الى كتاب الله ﴿٤٧٥﴾ يعنى القرآن وذلك أن اليهود دعوا الى حكم القرآن فاعرضوا عنه
قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله جعل القرآن حكما فيما بينهم وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحكم القرآن على اليهود والنصارى انهم على غير الهدى فاعرضوا
عنه وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل
بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو
والحرث بن زيد على أى دين أنت يا محمد فقال على ملة ابراهيم قال ان ابراهيم كان يهوديا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا الى التوراة فهى بيننا وبينكم فابيا عليه فانزل الله
هذه الآية فعلى هذا القول يكون المراد بكتاب الله التوراة وروى عنه أيضا ان رجلا
وامرأة من أهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا
أمرهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوا أن تكون عندهم رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال
النعمان بن أوفى ومجربى بن عمرو جرت عليهما يا محمد وليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بئى وبينكم التوراة فقالوا قد انصفت فقال من أعلمكم بالتوراة فقالوا رجل أعور
يقال له عبد الله بن سوريا يسكن فندك فارسوا اليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه للنبي
صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت ابن سوريا قال نعم قال

محمد (الى الذين أتوا نصيبا من الكتاب) أعطوا علما بما في التوراة من الرجم وغيره (يدعون الى كتاب الله) القرآن

أو القرآن (ليحكم بينهم) جعل حاكما حيث كان سببا للحكم أو ليحكم النبي روى انه عليه السلام دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت قال النبي عليه السلام على ملة ابراهيم قالان ابراهيم كان يهوديا قال لهما ان يبنوا بينكم التوراة فعملوا اليها فابيا (ثم يتولى فريق منهم) استبعاد لتوليم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب (وهم معرضون) وهم قوم لا يزال {الجزء الثالث} الاعراض ديدهم ﴿٤٧٦﴾ (ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات) أي ذلك التولى

ليحكم بينهم ﴿الداعي محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب الله القرآن أو التوراة لما روى أنه عليه الصلاة والسلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت فقال على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلوا الى التوراة فانها بيننا وبينكم فأبيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم * وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول ﴿ثم يتولى فريق منهم﴾ استبعاد لتوليم مع علمهم بأن الرجوع اليه واجب ﴿وهم معرضون﴾ وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصه بالصفة ﴿ذلك﴾ اشارة الى التولى والاعراض ﴿بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات﴾ بسبب تسهيلهم أمر العقاب على أنفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ ﴿وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون﴾ من ان النار لن تمسهم الا أياما قلائل أو ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم أو أنه تعالى وعد يعقوب عليه الصلاة والسلام ان لا يعذب أولاده الا تحلة القسم ﴿فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه﴾

أنت أعلم اليهود بالتوراة قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة وقال له اقرأ فقرا فلما أتى على آية الرجم وضع يده عليها وقرأ ما بعدها فقال عبدالله بن سلام يارسول الله قد جاوزها ثم قام ورفع كفه عنها وقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود وفيها ان المحسن والمحسنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجا وان كانت المرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجا فغضبت اليهود لذلك فانزل الله عز وجل ألم تر الى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يعني علمهم الذي علموه من التوراة يدعون الى كتاب الله يعني القرآن أو التوراة على اختلاف الروايتين ﴿ليحكم بينهم﴾ أي ليقضى بينهم واصافة الحكم الى الكتاب هو على سبيل المجاز ﴿ثم يتولى فريق منهم﴾ يعني الرؤساء والعلماء ﴿وهم معرضون﴾ يعني عن الحق وقيل الذين تولواهم العلماء والذين أعرضواهم الاتباع ﴿ذلك بأنهم﴾ يعني ذلك التولى والاعراض انما حصل بسبب انهم ﴿قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات﴾ تقدم تفسيره في سورة البقرة ﴿وغرهم﴾ أي وأطمعهم ﴿في دينهم ما كانوا يفترون﴾ أي يحلفون ويكذبون قيل هو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل هو قولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودات وقيل غرهم قولهم نحن على الحق وأتم على الباطل ﴿فكيف إذا جمعناهم﴾ أي فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم ﴿ليوم﴾ أي في يوم ﴿لا ريب فيه﴾

والاعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل وهي أربعون يوما أو سبعة أيام وذلك مبتدأ وبأنهم خبره (وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) أي غرهم افتراؤهم على الله وهو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه فلا يعذبنا بنزونا الا مدة يسيرة (فكيف اذا جمعناهم ليوم) فكيف يكون حالهم في ذلك الوقت (لا ريب فيه) لاشك في كونه

(ليحكم بينهم) بالرجم كما في كتابهم على المحسن والمحسنة اللذين زنيا في خير (ثم يتولى فريق منهم) يعرض طائفة منهم بنو قريظة وأهل خيبر عن الحكم (وهم معرضون) مكذبون بذلك (ذلك) الاعراض والتكذيب والعذاب (بأنهم قالوا لن تمسنا النار) لن تصيبنا النار في الآخرة (الا أياما

معدودات) قدر أربعين يوما قال قوم من اليهود لن تمسنا النار الا أياما معدودات وهي سبعة أيام من أيام (ووفيت) الآخرة كل يوم ألف سنة التي عبد آباؤهم العجل فيها (وغرهم في دينهم) يعني ثباتهم على دينهم اليهودية (ما كانوا يفترون) افتراؤهم هذا ويقال تأخير العذاب فكيف يصنعون يا محمد (أذا جمعناهم) بعد الموت (ليوم) في يوم (لا ريب فيه)

ووفيت كل نفس ما كسبت
جزاء ما كسبت (وهم)
يرجع الى كل نفس على المعنى
لانه في معنى كل الناس (لا
يظلمون) بزيادة في سيئاتهم
وتقصان في حسناتهم (قل
اللهم الميم عوض من يا ولذا
لا يجتمعان وهذا بعض
خصائص هذا الاسم كما
اختص بالتاء في القسم
وبدخول حرف النداء
عليه وفيه لام التعريف
وبقطع همزته في يا الله
وبالتفخيم (مالك الملك)
تملك جنس الملك فتصرف
فيه تصرف الملاك فيما
يملكون وهو نداء ثان أي
يا مالك الملك (تؤتى الملك
من تشاء) تعطى من تشاء
النصيب الذي قسمت له

لاشك فيه (ووفيت) وفرت
(كل نفس) برة وفاجرة
(ما كسبت) ما عملت من
خير أو شر (وهم لا يظلمون
لا ينقص من حسناتهم ولا
يزاد على سيئاتهم (قل
اللهم) قل يا الله أم بنا أي
اقصد بنا الى الخير (مالك
الملك) يا مالك الملوك والملك
(تؤتى الملك من تشاء) تعطى
الملك من تشاء يعنى مجدا

استعظام لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودات
روى ان أول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله
تعالى على رؤس الاشهاد ثم يأمرهم الى النار ﴿ ووفيت كل نفس ما كسبت ﴾
جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يتخلد في النار
لان توفية ايمانهم وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي بعد
اخلاص منها ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى
كل انسان ﴿ قل اللهم ﴾ الميم عوض عن يا ولذلك لا يجتمعان وهو من
خصائص هذا الاسم كدخول ياء عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم
وقيل أصله يا الله أمنا بخير فحذف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته
﴿ مالك الملك ﴾ تتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون
وهو نداء ثان عند سيوبه فان الميم عنده تمنع الوصفية ﴿ تؤتى الملك من تشاء

ووفيت كل نفس ما كسبت ﴾ أي لاشك فيه انه كائن وواقع وهو يوم القيامة
وفيه تهديد لهم واستعظام لما أعد لهم في ذلك اليوم وانهم يقعون فيما الاحيلة لهم فيه
وان ما حدثوا به أنفسهم وسهلوه عليها تعلق باطل وطمع فيما لا يكون ولا يحصل لهم
قيل ان أول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فتضحهم على رؤس
الاشهاد ثم يؤمر بهم الى النار ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ أي لا ينقص من حسناتهم ان كانت
لهم حسنة ولا يزداد على سيئاتهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ قل اللهم مالك الملك ﴿ قال قتادة
ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل ان يجعل ملك فارس والروم
في أمته فانزل الله هذه الآية وقال ابن عباس رضى الله عنهما لما فتح رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيات هيات
من أين لمحمد ملك فارس والروم وهم أعز وأمنع من ذلك ألم يكف محمدا مكة والمدينة
حتى طمع في ملك فارس والروم فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان اليهود قالوا والله
لانطيع رجلا جاء بنقل النبوة من بنى اسرائيل الى غيرهم فنزلت هذه الآية قل اللهم
معناه يا الله لما حذف حرف النداء زيد الميم في آخره وقيل ان الميم آخر وهو يا الله أمنا بخير
أي اقصدنا مالك الملك أي مالك العباد وما ملكوا وقيل مالك السموات والارض وقيل
معناه بيده الملك يؤتية من يشاء وقيل معناه مالك الملوك ووارثهم يوم لا يدعى الملك أحد
غيره وفي بعض كتب الله المنزلة ان الله ملك الملوك ومالك الملك قلوب الملوك ونواصيهم
بيدي فان العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان هم عصوني جعلتهم عليهم عقوبة
فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى أعظفهم عليكم وقيل الملك هو القدرة والمالك
هو التقادر والمعنى انه تعالى قادر على كل شئ وملك على كل مالك ومملوك وقادر ومقدور
وقيل معناه مالك الملك أي جنس الملك يتصرف فيه كيف يشاء ﴿ تؤتى الملك من تشاء ﴾
يعنى النبوة لانها أعظم مراتب الملك وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم له الامر

وتزغ الملك من تشاء * تعطى منها ما تشاء لمن تشاء وتسترد فالملك الاول عام والآخرا بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم * وتزغ من تشاء وتذل من تشاء * فى الدنيا أو فى الآخرة أو فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان * بيدك الخير أنك على كل شئ قدير * ذكر الخير وحده لانه المقضى بالذات والشر مقضى بالعرض اذ لا يوجد شر جزئى مالم يتضمن خيرا كليا أو مراعاة الادب فى الخطاب أو لان الكلام وقع فيه اذ روى انه عليه الصلاة والسلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا واخذوا يحفرون ظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه الصلاة والسلام فأخذ المعول منه فضر بها ضربة صدعتها وبرز برق منها برق أضاء منه ما بين لابتها لكان بها مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة كلها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لى منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لى منها قصور صنعاء واخبرنى جبريل عليه السلام ان امتى ظاهرة على كلها فأبشر وافعال المنافقون ألا تعجبون يمينكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من

على بواطن الخلق وظواهرهم والملك ليس له الامر الاعلى ظواهر بعض الخلق وهو من بطيخه منهم وطاعة النبي واجبة على الكافة * وتزغ الملك من تشاء * يعنى بذلك نزع النبوة من بنى اسرائيل وابتاءها محمدا صلى الله عليه وسلم فانه لاجبى بعده ولم يشركه فى نبوته ورسالته أحد وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتزغ الملك من تشاء يعنى من أبى جهل وصناديد قريش وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى أمة محمدا صلى الله عليه وسلم وتزغ الملك من تشاء يعنى فارس والروم وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى آدم وزريته وتزغ الملك من تشاء يعنى ابليس وجنوده الذين كانوا فى الارض قبل آدم * وتزغ من تشاء * يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة * وتذل من تشاء * يعنى اليهود بأخذ الجزية منهم ونزع النبوة عنهم وقيل تعز المهاجرين والانصار وتذل فارس والروم وقيل تعز من تشاء يعنى محمدا وأصحابه دخلوا مكة فى عشرة آلاف ظاهرين عليها وتذل من تشاء يعنى أباجهل واضرا به حين قتلوا وألقوا فى قلب بدر يوم بدر وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية وقيل تعز من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر وقيل تعز من تشاء بالقناعة والرضا وتذل من تشاء بالحرص والطمع * بيدك الخير * يعنى النصر والغنىة وقيل الالف واللام تفيد العموم والمعنى بيدك كل الخيرات * فأن قلت كيف قال بيدك الخير دون الشر * قلت لان الكلام انما وقع فى الخير الذى يسوقه الله تعالى الى عباده المؤمنين وهو الذى أنكرته اليهود والمنافقون فقال بيدك الخير تؤتبه أو لياك على رغم أعدائك وقيل ان قوله بيدك الخير لا ينافى أن يكون بيده غيره فيكون المعنى بيدك الخير وبيدك ما سواه الا انه خص الخير بالذكر لانه المنتفع به والمرغوب فيه * أنك على كل شئ قدير * يعنى من ابتاء

خاصان بعضان من الكل روى انه عليه السلام حين فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقالت اليهود والمنافقون هيات هيات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك (وتزغ من تشاء) بالملك (وتذل من تشاء) بزغ منه (بيدك الخير) أى الخير والشر فاكتفى بذكر أحد الضدين عن الآخر ولان الكلام وقع فى الخير الذى يسوقه الى المؤمنين وهو الذى أنكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتبه أو لياك على رغم من أعدائك (أنك على كل شئ قدير) ولا يقدر على شئ أحد غيرك الا باقدارك وقيل المراد بالملك

وأصحابه (وتزغ الملك من تشاء) تأخذ الملك من تشاء من أهل فارس والروم (وتزغ من تشاء) يعنى محمدا (وتذل من تشاء) يعنى عبد الله بن أبى بن سلول وأصحابه وأهل فارس والروم (بيدك الخير) العز والذل والملك والغنىة والنصرة والدولة (أنك على كل شئ) من العز والذل والملك والغنىة

ملك العافية أو ملك القناعة قال عليه السلام ملوك الجنة من أمى القانعون بالقوت يوما فيوما أو ملك قيام الليل وعن السبلي الاستغناء بالمكون عن الكونين تميز بالمعرفة أو بالاستغناء بالمكون أو بالقناعة وتدل باضدادها ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في اخراج أحدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب بقوله (تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل) فالإيلاج ادخال الشيء في الشيء وهو مجاز هنا أي تنقص من ساعات الليل وتزيد في النهار ﴿٤٧٩﴾ وتنقص من ساعات {سورة آل عمران} النهار وتزيد في الليل

(وتخرج الحي من الميت) الحيوان من النطفة أو الفبئخ من البيضة أو المؤمن من الكافر (وتخرج الميت من الحي) النطفة من الانسان أو البيض من الدجاج أو الكافر من المؤمن (وترزق من تشاء بغير حساب)

لا يعرف الخلق عدده ومقداره وان كان معلوما عنده ليدل على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على ان يزرع الملك من العجم ويؤتيه العرب وفي بعض الكتب أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك

يكون لهم ملك فارس والروم ويقال نزلت في قريش لقولهم كسرى ينام على فرش الديباج فان كنت نبيسا فابن ملكك ثم بين

يثرب قصور الحيرة وانما تقمح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر أيضا بيده بقوله أنك على كل شيء قدير ﴿تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب﴾ عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحياة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وابتاء الملك ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال أحدهما في الآخر بالتعقيب أو الزيادة والنقص واخراج الحي من الميت وبالعكس

الملك من تشاء واعزاز من تشاء واذلال من تشاء ﴿قوله عز وجل ﴿تولج الليل في النهار﴾ الآية لما ذكر الله تعالى أنه مالك الملك أرففه بذكر قدرته الباهرة في حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال اخراج الحي من الميت ثم عطف عليه انه يرزق من يشاء بغير حساب وفي ذلك دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة لذوى الافهام والعقول فهو قادر ان يزرع الملك من فارس والروم واليهود وبذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم فقوله تعالى تولج الليل في النهار يعني تدخل الليل في النهار وهو أن تجعل الليل قصيرا وما نقص منه زائدا في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة وذلك غاية طول النهار ويكون الليل تسع ساعات وذلك غاية قصر الليل ﴿وتولج النهار في الليل﴾ حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة وذلك غاية طوله ويكون النهار تسع ساعات وذلك غاية قصره وقيل المراد أنه تعالى يأتي بسواد الليل عقيب ضوء النهار ويأتي بضوء النهار بعد ظلمة الليل والقول الاول أصح وأقرب الى معنى الآية لانه اذا نقص الليل كان ذلك القدر زيادة في النهار وبالعكس وهو معنى الولوج ﴿وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي﴾ وهو أنه تعالى يخرج الانسان الحي من النطفة وهي ميتة ويخرج النطفة من الانسان ويخرج الفرخ وهو حي من البيضة وهي ميتة وبالعكس وكذلك سائر الحيوان وقيل يخرج النبات الغض الاخضر من الحب اليابس ويخرج النخلة من النواة وبالعكس وقيل معناه انه تعالى يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لان المؤمن حي الفؤاد والكافر ميتة ﴿وترزق من تشاء بغير حساب﴾ يعني من غير تضيق ولا تشيير بل تبسط الرزق من تشاء وتوسعه عليه

قدرته فقال (تولج الليل في النهار) يقول تزيد النهار على الليل فيكون النهار أطول من الليل (وتولج النهار في الليل) يقول تزيد الليل على النهار فيكون الليل أطول من النهار (وتخرج الحي من الميت) يقول تخرج النسيمة من النطفة (وتخرج الميت من الحي) النطفة من الانسان ويقال تخرج الحي الدجاجة من الميت من البيضة وتخرج الميت البيضة من الحي من الدجاجة ويقال وتخرج الحي السنبلة من الميت من الحبة وتخرج الميت الحبة من الحي من السنبلة (وترزق من تشاء بغير حساب) بلا قوة ولا هندا ولا منة ويقال توسع المال على من تشاء بلا حرج

ونواصيهم بيدي فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى أعطفهم {الجزء الثالث} عليكم وهو معنى قوله ﴿٤٨٠﴾ عليه السلام كما تكونوا يولى عليكم الحى

انشاء الحيوانات من موادها واماتها أو انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر الميت بالتخفيف ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء ﴾ نهوا عن موالاتهم لقراءة أو صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبيهم وبغضهم الا فى الله أو عن الاستعانة بهم فى الغزو وسائر الامور الدينية ﴿ من دون المؤمنين ﴾ اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاته وان فى موالاتهم مندوحة عن موالاته الكفرة ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ أى اتخاذهم أولياء ﴿ فليس من الله فى شىء ﴾ أى من ولايته فى شىء يصح ان يسمى ولاية فان موالاته المتعادين لا يجتمعان قال

تود عدوى ثم تزعم أنى * صديقك ليس النوك عنك بعاذب

﴿ الا أن تقوا منهم تقاة ﴾ الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه أو اتقاء والفعل معدى بمن لانه فى معنى تخذروا وتخافوا * وقرأ يعقوب تقيّة منع من موالاتهم ظاهراً وباطناً فى الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاته حينئذ جائز كما قال عيسى عليه الصلاة والسلام

﴿ قوله عز وجل ﴾ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴿ قال ابن عباس رضى الله عنهما كان الحجاج بن عمرو وابن أبى الحقيق وقيس بن زيد يسطنون بنفر من الانصار ليفتوهم عن دينهم فقال رفاعه بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لا واثك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود لا يفتنونكم عن دينكم فأبى أولئك النفر الامباظتهم فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة وغيره ممن كان يظهر المودة للكفار مكة وقيل نزلت فى عبد الله بن أبى وأصحابه كانوا يتولون المشركين واليهود ويأتونهم بالاخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل ذلك وقيل ان عبادة بن الصامت كان له حلفاء من اليهود فقال يوم الاحزاب يا رسول الله ان معى خمسمائة من اليهود وقد رأيت ان أستظهر بهم على العدو فنزلت هذه الآية * وقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء يعنى أنصاراً وأعواناً من دون المؤمنين يعنى من غير المؤمنين والمعنى لا يجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن من نهي الله المؤمنين ان يوالوا الكفار أو يلاطفوهم لقراءة بينهم أو محبة أو معاشرة والمحبة فى الله والبغض فى الله باب عظيم وأصل من أصول الايمان ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ يعنى موالاته الكفار من نقل الاخبار اليهم واطهار عورة المسلمين أو يودهم ويحبهم ﴿ فليس من الله فى شىء ﴾ أى فليس من دين الله فى شىء وقيل معناه فليس من ولاية الله فى شىء وهذا أمر معقول من أن ولاية المولى معاداة أعدائه وموالاته الله وموالاته الكفار ضدان لا يجتمعان ﴿ الا أن تقوا منهم تقاة ﴾ أى الا ان تخافوا منهم مخافة ومعنى الآية ان الله نهى المؤمنين عن موالاته الكفار ومداهنتهم ومباظنتهم الا ان يكون الكفار غالبين ظاهرين أو يكون المؤمن فى قوم

من الميت والميت من الحى بالتشديد حيث كان مدنى وكوفى غير أبى بكر (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء) نهوا أن يوالوا الكافرين لقراءة بينهم أو لصداقة قبل الاسلام أو غير ذلك وقد كرر ذلك فى القرآن والمحبة فى الله والبغض فى الله باب عظيم فى الايمان (من دون المؤمنين) يعنى ان لكم فى موالاته المؤمنين مندوحة عن موالاته الكافرين فلا تؤثرهم عليهم (ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء) أى ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله فى شىء لان موالاته المولى وموالاته عدوه متنافيان (الا أن تقوا منهم تقاة) الا ان تخافوا من جهتهم أمرها يجب اتقاؤه أى الا أن يكون للكافر عليك سلطان فتحافه على نفسك ومالك حينئذ يحوز لك اظهار الموالاته وابطال المعاداة

وتكليف (لا يتخذ المؤمنون) يقول لا ينبغى أن يتخذ المؤمنون عبد الله بن أبى وأصحابه (الكافرين)

اليهود (أولياء) فى التعزز والكرامة (من دون المؤمنين) المخلصين (ومن يفعل ذلك) الولاية (كفار) والكرامة (فليس من الله) من كرامة الله ورحمته وذمته (فى شىء) الا أن تقوا (تريدوا ان تنجوا) (منهم تقاة) نجاة

(ويحذركم الله نفسه) أي ذاته فلا تعرضوا لسخطه بموالاته أعدائه وهذا وعيد شديد (والى الله المصير) أى مصيركم اليه والعذاب معدليه وهو وعيد آخر ﴿٤٨١﴾ (قل أن تخفوا ما فى سورة آل عمران) صدوركم أو تبدوه) من ولاية

الكفار أو غيرها مما لا يرضى الله (يعلمه الله) ولم يخف عليه وهو أبلغ وعيد (ويعلم ما فى السموات وما فى الارض) استئناف وليس بمطوف على جواب الشرط أى هو الذى يعلم ما فى السموات وما فى الارض فلا يخفى عليه سركم وعلنكم (والله على كل شىء قدير) فيكون قادرا على عقوبتكم (يوم تجرد كل نفس ما عملت من سوء

من سوء باللسان دون القلب) ويحذركم الله نفسه) فى التقية عن دم الحرام وفرج الحرام ومال الحرام وشرب الخمر وشهادة الزور والشرك بالله (والى الله المصير) المرجع بعد الموت (قل) يا محمد (أن تخفوا) تسروا (ما فى صدوركم) ما فى قلوبكم من البعض والعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (أو تبدوه) تظهروه بالشتم والطعن والحرب (يعلمه الله) يحفظه الله عليكم ويجزكم بذلك (ويعلم ما فى السموات وما فى الارض) من الخير والشر والسر والعلانية (والله

كن وسطا وامن جانبا) ويحذركم الله نفسه والى الله المصير ﴿ فلا تعرضوا لسخطه بمخالفة أحكامه وموالاته أعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهى المنى فى التبع وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه تعالى فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة ﴿ قل أن تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ﴾ أى انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها أو تبدوها ﴿ ويعلم ما فى السموات وما فى الارض ﴾ فيعلم سركم وعلنكم ﴿ والله على كل شىء قدير ﴾ فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان لقوله سبحانه وتعالى ويحذركم الله نفسه فكأنه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات بأسرها فلا تجسروا على عصيانه اذما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها ﴿ يوم تجرد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء

كفار فيداهنهم بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان دفعا عن نفسه من غير ان يستحل دما حراما أو مالا حراما وغير ذلك من المحرمات أو يظهر الكفار على عورة المسلمين والتقية لا تكون الا مع خوف القتل مع سلامة النية قال الله تعالى الامن أكره وقلبه مطمئن بالايمان ثم هذه التقية رخصة فلو صبر على اظهار ايمانه حتى قتل كان له بذلك أجر عظيم وأنكر قوم التقية اليوم وقالوا انما كانت التقية فى جده الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فاما اليوم فقد أعز الله الاسلام والمسلمين فليس لاهل الاسلام أن يتقوا من عدوهم قال يحيى البكاء قلت لسعيد ابن جبير فى أيام الحجاج ان الحسن يقول التقية باللسان والتلب مطمئن بالايمان فقال سعيد ليس فى الامان تقية انما التقية فى الحرب وقيل انما تجوز التقية لعضون النفس عن الضرر لان دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ أى ويخوفكم الله ان تعصوه بان ترتكبوا المنى أو تخالفوا المأمور به أو توالوا الكفار فتستحقوا عقابه على ذلك كله ﴿ والى الله المصير ﴾ يعنى ان الله يحذركم عقابه اذا صرتم اليه فى الآخرة ﴿ قوله عز وجل ﴿ قل أن تخفوا ما فى صدوركم ﴾ يعنى ما فى قلوبكم من موالاته الكفار ومودتهم وانما ذكر الصدر لانه وعاء القلب ﴿ أو تبدوه ﴾ يعنى تبدوا مودة الكفار قولاً وفعلاً وقيل معناه ان تخفوا ما فى قلوبكم من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تبدوه أى تظهروه بالحرب والمقاتلة له ﴿ يعلمه الله ﴾ أى يحفظه عليكم ويجازيكم به ﴿ ويعلم ما فى السموات وما فى الارض ﴾ يعنى انه تعالى اذا كان لا يخفى عليه شىء فى السموات ولا فى الارض فكيف يخفى عليه حالكم وموا لانكم الكفار وميلكم اليهم بقلوبكم ﴿ والله على كل شىء قدير يوم تجرد كل نفس ما عملت من خير محضرا ﴾ يعنى تجرد كل نفس جزاء ما عملت محضرا يوم القيامة لم ينقص ولم ينقص منه شىء ﴿ وما عملت من سوء ﴾ أى تجرد كل نفس من الخير محضرا

على كل شىء) من أهل السموات والارض (قا وخا ٦١ ل) وثوابهم وعقابهم (قدير) نزلت هذه الآية فى المنافقين واليهود (يوم) وهو يوم القيامة (تجرد كل نفس ما عملت من خير محضرا) مكتوبا فى ديوانها (وما عملت من سوء) من قبيل

تولدواً بينها وبينه أمدا بعيدا) يوم منصوب بتود والضمير في بينه لليوم أى يوم القيامة حين تجدد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تمتنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا أى مسافة بعيدة أو باذكر ويقع ما علمت وحده ويرتفع وما علمت على الابتداء وتود خبره أى والذي علمته من سوء تود هى لوتباعد ما بينها وبينه ولا يصحح أن تكون ما شرطية لارتفاع تود نعم الرفع جائز إذا كان الشرط ماضيا لكن الجزم هو الكثير وعن المبرد ان الرفع شاذ وكرر قوله (ويحذركم الله نفسه) ليكون { الجزء الثالث } على بال منهم لا يغفلون ﴿٤٨٢﴾ عنه (والله رؤف بالعباد) ومن رأفته بهم

تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ﴿ يوم منصوب بتود أى تمتنى كل نفس يوم تجدد صحائب أعمالها أوجزاء أعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا أو يضم نحو اذكر وتود حال من الضمير في علمت أو خبر لما علمت من سوء وتجدد مقصور على ما علمت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان تكون شرطية ولكن الحذف على الابتداء والخبر أوقع معنى لانه حكاية كائن وأوفق للقراءة المشهورة ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ كرهه للتأكيد والتذكير ﴿ والله رؤف بالعباد ﴾ اشارة الى انه سبحانه وتعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم وأنه لذنو مغفرة وذنو عقاب أليم فيرجى رحته ويخشى عذابه ﴿ قل أن كنتم تحبون الله فاتبعوني ﴾ المحبة ميل النفس الى الشئ لكمال أدرك فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا الله سبحانه وتعالى وان كل ما يراه كالا من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا الله وفى الله وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في عبادته والحرص على مطاعته ﴿ يحبيكم الله

أن حذرهم نفسه حتى لا يتعرضوا لخطئه ويجوز أن يريدانه مع كونه محذرا لكمال قدرته مرجو لسعة رحته كقوله تعالى ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ونزل حين قال اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه (قل أن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبيكم الله) محبة العبد لله اثار طاعته على غير ذلك ومحبة الله العبد أن يرضى عنه ويحمد فصله وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وقيل محبة الله معرفته ودوام خشيته ودوام اشتغال القلب به وبذكره ودوام الانس به وقيل هى اتباع النبى عليه السلام فى أقواله وأفعاله

فتسربه وما علمت من سوء ﴿ تود ﴾ أى تمتنى ﴿ لو أن بينها وبينه ﴾ أى وبين ما علمت من السوء ﴿ أمدا بعيدا ﴾ أى مكانا بعيدا قيل كما بين المشرق والمغرب والامد الاجل والناية وقيل معناه تود انها لم تعمله ويكون بينها وبينه أمدا بعيدا ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ انما كرهه لتأكيد الوعيد ﴿ والله رؤف بالعباد ﴾ قيل معناه انه رؤف بهم حيث حذرهم نفسه وعرفهم كمال قدرته وعلمه وانه يعامل ولا يهمل وقيل معناه انه رؤف بالعباد حيث أمهلهم للتوبة وتدارك العمل الصالح وقيل انه تعالى لما قال ويحذركم الله نفسه وهو وعيد اتبعه بقوله والله رؤف بالعباد وهو وعد ليعلم العبد المؤمن ان رحته ووعده غلبت وعيده وسخطه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ قل أن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبيكم الله ﴾ نزلت فى اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فنزلت هذه الآية فعرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فلم يقبلوها وقال ابن عباس رضى الله عنهما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش وهم فى المسجد الحرام

وأحواله الا ما خص به وقيل علامة المحبة أن يكون دائم التفكير كثير الخلوة دائم الصمت لا يبصر اذا (وقد) نظر ولا يسمع اذا نودى ولا يحزن اذا أصيب ولا يضح اذا أصاب ولا يخشى أحدا

ايضا نجد مكتوبا فى ديوانها (تولدواً بينها وبين النفس (وبينه) بين العمل القبيح (أمدا بعيدا) أجالا طويلا من مطلع الشمس الى مغربها (ويحذركم الله نفسه) عند المعصية (والله رؤف بالعباد) بالمؤمنين (قل) يا محمد (أن كنتم تحبون الله) ودينه (فاتبعوني) فاتبعوا ديني (يحبيكم الله) يزيدكم

ويغفر لكم ذنوبكم (جواب للاسأى يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه وبسوءكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالحجة على طريق الاستعارة أو المقابلة) والله غفور رحيم (لمن تجيب اليه بطاعته واتباع نبيه صلى الله عليه وسلم روى انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في أقوام زعموا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله سبحانه وتعالى فأمروا ان يجعلوا القولهم تصديقا من العمل) قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا (يحتمل المضى والمضارعة بمعنى فان تولوا) فإن الله لا يحب الكافرين (لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل فلا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولى كفر وانه من هذه الحيشية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين) أن الله اصطفى آدم ونوحا

وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش والله لقد خالقم ملة أبيكم أبراهيم وأسميل فقالت قريش انما نعبد حباله لتقربنا الى الله زلفى فنزلت هذه الآية وقيل ان نصارى نجران قالوا انما نقول هذا القول في عيسى حباله وتَعْظِيمًا له فانزل الله قل يا محمد ان كنتم تحبون الله فيما تزعمون فاتبعوني يحببكم الله لانه قد ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم باللائل الظاهرة والمجرات الباهرة فوجب على كافة الخلق متابعتة والمعنى قل ان كنتم صادقين في ادعاء محبة الله فكونوا منقادين لاوامره مطيعين له فاتبعوني فان اتباعي من محبة الله تعالى وطاعته وقال العلماء ان محبة العبد لله عبارة عن اعظامه واجلاله وايتناز طاعته واتباع أمره ومجانبة نهيه ومحبة الله للعبد شأؤه عليه ورضاه عنه وثوابه له وعفوه عنه فذلك قوله تعالى (ويغفر لكم ذنوبكم) يعني ان من غفر له فقد أزال عنه العذاب (والله غفور الرحيم) يعني انه تعالى يغفر ذنوب من أحبه ويرجيه بفضله وكرمه ولما نزلت هذه الآية قال عبدالله بن أبي بن سلول رأس المنافقين لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما أحببت النصارى عيسى بن مريم فانزل الله عز وجل (قل أطيعوا الله والرسول) يعني ان طاعة الله متعلقة بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان طاعته لا تتم مع عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الشافعي رضى الله عنه كل أمر أو نهى ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى ذلك في الفريضة والزوم مجرى ما أمر الله به في كتابه أو نهى عنه وقال ابن عباس رضى الله عنهما فان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعتكم لى فاما ان تطيعوني وتمصوا محمدا فلن أقبل منكم (فإن تولوا) أى أعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فإن الله لا يحب الكافرين) أى لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم (خ) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى قالوا ومن أبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد أطاعنى ومن يعصى الامير فقد عصانى (قوله عز وجل) أن الله اصطفى آدم ونوحا (قال ابن عباس رضى الله

(آدم) أبا البشر (ونوحا) حبا الى حبه (ويغفر لكم ذنوبكم) فى اليهودية (والله غفور) لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة نزلت هذه الآية فى اليهودى لقولهم نحن ابناء الله واحباؤه على دينه فلما نزلت هذه الآية قال عبدالله بن أبى يأسرنا محمد أن نحبه كما أحببت النصارى المسيح وقالت اليهود يريد محمدان نخذهما باحنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا فانزل الله فى قولهم (قل أطيعوا الله) فى الفرائض (والرسول) فى السنن (فإن تولوا) أعرضوا عن طاعتها (فإن الله لا يحب الكافرين) اليهود والمنافقين فلما نزلت هذه الآية قالت اليهود نحن على دين آدم مسلمين فانزل الله (أن الله اصطفى آدم) اختار آدم بالاسلام (ونوحا) بالاسلام

شيخ المرسلين (وآل
أبراهيم) اسميل واسحق
وأولادهما (وآل عمران)
موسى وهارون هما ابنا
عمران بن يصهر وقيل
عيسى ومريم بنت عمران
ابن مائان وبين العمرانين
ألف وثمانمائة سنة (على
العالمين) على عالمي زمانهم
(ذرية) بلك من آل
أبراهيم وآل عمران (بعضها
من بعض) مبتدأ وخبره
في موضع النصب صفة
لذرية يعني ان الآلين
ذرية واحدة متسلسلة
بعضها متشعب من بعض
موسى وهارون من عمران
وعمران من يصهر ويصهر
من قاهت وقاهت من
لاوى ولاوى من يعقوب
ويعقوب من اسحق وكذلك
عيسى بن مريم بنت عمران
ابن مائان وهو يتصل
بيهودا بن يعقوب بن
اسحق وقد دخل في آل
ابراهيم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقيل بعضها

(وآل إبراهيم) اولاد
ابراهيم بالاسلام (وآل
عمران) موسى وهارون
بالاسلام (على العالمين)
عالمى زمانهم ويقال ليس
عمران ابا موسى وهارون
(ذرية بعضها من بعض)
بعضها على دين بعض وولد

وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴿ بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية
ولذلك قوا على ما لم يقو عليه غيرهم لما أوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله
سبحانه وتعالى عقب ذلك بيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدلل على فضلهم على الملائكة وآل
ابراهيم اسماعيل واسحق وأولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران
موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر بن قاهت بن لاوى بن يعقوب أو عيسى وأمه مريم
بنت عمران بن مائان بن اسعازار بن أبي يود بن يوزن بن رب بابل بن ساليان بن يوحنا بن أو شا بن
اموذ بن ميشكى بن حارفار بن احاد بن يوتام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشى بن ارجيم
ابن سليمان بن داود بن ايشا بن عويد بن سلون بن ياعر بن يحنشون بن عيماز بن رام بن
خضروم بن فارض بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام وكان بين العمرانين ألف وثمانمائة
سنة ﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾ حال أو بدل من الآلين أو منهما ومن نوح أى
أنهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية

عنهما قالت اليهود نحن من أبناء إبراهيم واسحق ويعقوب ونحن على دينهم فانزل الله هذه
الآية والمعنى ان الله اصطفى هؤلاء بالاسلام وأنتم يا معشر اليهود على غير دين الاسلام
ومعنى اصطفى اختار من الصفوة وهى الخالص من كل شىء آدم هو أبو البشر عليه الصلاة
والسلام ونوحا هونوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو ادريس عليه الصلاة
والسلام وحكى ابن الجوزى في تفسيره عن أبي سليمان الدمشقى ان اسم نوح السكن
وانما سمي نوحا لكثرة نوحه على نفسه ﴿ وآل إبراهيم ﴾ قيل أراد بآل إبراهيم
أبراهيم نفسه وقيل آل إبراهيم اسمعيل واسحق ويعقوب وذلك ان الله تعالى جعل
أبراهيم أصلا لشعبتين فجعل اسمعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام أصلا للعرب
ومحمد صلى الله عليه وسلم منهم فهو داخل في هذا الاصطفاء وجعل اسحق أصلا لبني
اسرائيل وجعل فيهم النبوة والملك الى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم جمع
له ولامته النبوة والملك الى يوم القيامة وقيل أراد بآل إبراهيم من كان على دينه
﴿ وآل عمران ﴾ واختلفوا في عمران هذا فقيل هو عمران بن يصهر بن قاهت بن
لاوى بن يعقوب وهو والد موسى وهارون فيكون آل عمران موسى وهارون وأنفسه
وقيل هو عمران بن أشيم بن أمون وقيل بن مائان وهو من ولد سليمان بن داود
عليهما الصلاة والسلام وعمران هذا هو والمريم وابنها عيسى فعلى هذا يكون المراد
بآل عمران مريم وابنها عيسى عليه الصلاة والسلام وانما خص هؤلاء بالذكر لان الانبياء
والرسل من نسلهم ﴿ على العالمين ﴾ أى اختارهم واصطفاهم على العالمين بما خصهم
من النبوة والرسالة ﴿ ذرية ﴾ أى اصطفى ذرية وأصلها من ذرا بمعنى خلق وقيل
من الذر لان الله تعالى استخرجهم من ظهر آدم كالذر وانما سمي الآباء والابناء ذرية
لان الله خلق بعضهم من بعض فالابناء من ذرية الآباء والاباء من ذرية آدم وهو ممن
ذرا الله تعالى أى خلقه ﴿ بعضها من بعض ﴾ أى بعضها من ولد بعض وقيل بعضها

الولد يقع على الواحد والجمع فطية من الذر أو فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت ﴿والله سميع علم﴾ بأقوال الناس وأعمالهم فيصلح من كان مستقيم القول والعمل أو سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها ﴿أذ قالت امرأة عمران رب أنى نذرت لك ما فى بطنى﴾ فينتصب به اذ على التنازع وقيل نصبه باضمار اذ كر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من هارون فظن أن المراد زوجته ويرده كقالة زكريا فإنه كان معاصرا لابن مائان وتزوج ابنته ايشاع وكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابني خالة من الاب روى أنها كانت عاقرا عجوزا فيبينما هي فى ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم أن لك على ندرنا أن رزقتنى ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمته فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا عندهم للغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير وطلبت ذكرا ﴿محجرا﴾ معتقا لخدمته لأشغله

من بعض فى التناصر والتعاضد وقيل بعضها على دين بعض ﴿والله سميع علم﴾ يعنى ان الله تعالى سميع لا أقوال العباد علم بنياتهم وانما يصطفى لنبوته ورسالته من يعلم استقامته قولا وفعلًا ﴿قوله عز وجل﴾ أذ قالت امرأت عمران ﴿هى حنة بنت فاقوذا أم مريم وعمران هو عمران بن مائان وقيل ابن اشيم وليس بعمران أبى موسى لان بينهما ألفا وثمانمائة سنة وكان بنو مائان رؤس بنى اسرائيل فى ذلك الزمن وأجبارهم وملوكهم ﴿رب أنى نذرت لك ما فى بطنى محجرا﴾ أى جعلت الحمل الذى فى بطنى نذرا محجرا منى لك والنذر ما يوجب الانسان على نفسه والمعنى محجرا أى عتيقا خالصا مفرقا لعبادة الله وخدمة الكنيسة لأشغله بشئ من أمور الدنيا قيل كان المحجور عندهم اذا حرر جعل فى الكنيسة فيقوم عليها ويخدمها ولا يبرح مقبلا فيها حتى يبلغ الحلم ثم يخير فان أحب أقام فيها وان أحب ذهب حيث شاء فان اختلج الخروج بعد ان اختار الإقامة فى الكنيسة لم يكن له ذلك ولم يكن أحد من أنبياء بنى اسرائيل ومن علمائهم الا ومن اولاده محجور لخدمة بيت المقدس ولم يكن يحجر الا الغلمان ولا تصلح الجارية لخدمة بيت المقدس لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت أم مريم ما فى بطنها ﴿وكانت القصة فى ذلك على ما ذكره أصحاب السير وال اخبار ان زكريا وعمران تزوجا أختين فكانت ايشاع بنت فاقوذا وهى أم يحيى عند زكريا وكانت حنة بنت فاقوذا أخت ايشاع عند عمران وهى أم مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وكبرت وكانوا أهل بيت صالحين وهم من الله بمكان فيبينما هي فى ظل شجرة اذ بصرت بطائر يطعم فرخا فقهرت نفسها بذلك للولد فدعت الله أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك على أن رزقتنى ولدا ان أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فلما جلت بمريم حررت ما فى بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها ويحك ما صنعت رأيت ان كان ما فى بطنك أثنى فلا تصلح لذلك فوفا جميعا فى هم شديد من أجل ذلك فمات عمران قبل أن تضع حنة

من بعض فى الدين (والله سميع علم) يعلم من يصلح للاصطفاء أو سميع علم لقول امرأة عمران ونيتها (أذ قالت) واذ منصوب به أو باضمار اذ كر (امرات عمران) هى امرأة عمران ابن مائان أم مريم جدة عيسى وهى حنة بنت فاقوذا (رب أنى نذرت لك)

أوجبت (ما فى بطنى محجرا) هو حال من ما وهى بمعنى الذى أى معتقا لخدمة بيت المقدس لا يدلى عليه ولا أستخدمه وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم أو مخلصا للعبادة يقال طين

بعضها من بعض (والله سميع) لمقالة اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه وعلى دينه (علم) بقوتهم وعن هو على دينه واذكريا محمدا (اذ قالت امرأة عمران) حنة أم مريم (رب أنى نذرت لك) جعلت لك (ما فى بطنى محجرا) خادما

حر أى خالص (فتقبل منى) مدنى وأبو عمرو والتقبل أخذ الشئ على الرضا به (أنك أنت السميع العليم فلما وضعتها) الضمير لما فى بطنى وانما أنت على { الجزء الثالث } تأويل الحبلية ﴿ ٤٨٦ ﴾ أو النفس أو النسمة (قالت رب أنى وضعتها

بشئ أو مخلصا للعبادة ونصبه على الحال ﴿ فتقبل منى ﴾ ما نذرته ﴿ أنك أنت السميع العليم ﴾ لقولى ونيتى ﴿ فلما وضعتها قالت رب أنى وضعتها أنتى ﴾ الضمير لما فى بطنها وتأنيبه لانه كان أنتى وجاز انتصاب أنتى حالا منه لان تأنيبها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد أو على تأويل مؤنث كالنفس والحبلية وانما قاله تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريمه ﴿ والله أعلم بما وضعت ﴾ أى بالشئ الذى وضعت وهو استئناس من الله سبحانه وتعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشأنها * وقرأ ابن عاصم وأبو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على أنه من كلامها تسليية لنفسها أى ولعل الله فيه سرا أو الاثى كان خيرا * وقرئ بما وضعت على انه خطاب الله تعالى لها ﴿ وليس الذكر كالاتى ﴾ بيان لقوله والله أعلم أى وليس الذكر الذى طلبت كالاتى التى وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز أن يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والاثى بيان فيما نذرت فتكون اللام للجنس ﴿ وأنى سميتها مريم ﴾ عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان

حلمها قال تعالى حيا كيا عنهما ﴿ فتقبل منى ﴾ بمعنى فتقبل نذرى والتقبل أخذ الشئ على الرضا وأصله من المقابلة لانه يقابل بالجزاء وهذا سؤال من لا يريد بما فعله الا الطلب لرضا الله تعالى والاخلاص فى دعائه وعبادته ﴿ أنك أنت السميع ﴾ يعنى لتضرعى ودعائى ﴿ العليم ﴾ يعنى بنيتى وما فى ضميرى * قوله عز وجل ﴿ فلما وضعتها ﴾ أى ولدت حلمها وانما قال وضعتها لانه كان فى علم الله انها جارية وكانت حنة ترجو أن يكون غلاما ﴿ قالت ﴾ يعنى حنة ﴿ رب أنى وضعتها أنتى ﴾ تريد بذلك اعتذارا الى الله من اطلاقها النذر المتقدم فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لاعلى سبيل الاعلام لان الله تعالى عالم بما فى بطنها قبل أن تضعه ﴿ والله أعلم بما وضعت ﴾ قوى مجزم التاء اخبارا عن الله تعالى والمعنى أنه تعالى قال والله أعلم بالشئ الذى وضعت * وقرئ وضعت برفع التاء وهو من كلام أم مريم على تقدير أنها لما قلت رب انى وضعتها أنتى خافت أن تكون أخبرت الله بذلك فزال هذه الشبهة بقولها والله أعلم بما وضعت ﴿ وليس الذكر كالاتى ﴾ يعنى فى خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها وفى الكلام تقديم وتأخير تقديره وليس الاثى كالدكر والمراد منه تفضيل الذكر على الاثى لان الذكر يصلح للخدمة للكنيسة ولا تصلح الاثى لذلك لضعفها وما يحصل لها من الحيض ولانها عورة ولا يجوز لها الحضور مع الرجال وقيل فى معنى الآية ان المراد منها هو تفضيل هذه الاثى على الذكر كانها قالت كان الذكر مطلوبى لخدمة المسجد وهذه الاثى هى موهبة لله تعالى وليس الذكر الذى طلبت كالاتى التى هى موهبة لله تعالى وكانت مريم من أجل النساء وأفضلهن فى وقتها ﴿ وأنى سميتها مريم ﴾ يعنى العابدة والخادمة وهو بلقنهم وأرادت بهذه

أنتى) أنتى حال من الضمير فى وضعتها أى وضعت الحبلية أو النفس أو النسمة أنتى وانما قالت هذا القول لان التحرير لم يكن الا للثمان فاعتذرت عما نذرت وتحزنت الى ربها وتكلمها بذلك على وجه التحزن والتحسر قال الله تعالى (والله أعلم بما وضعت) تعظيما لموضوعها أى والله أعلم بالشئ الذى وضعت وما علق به من عزائم الامور وضعت شامى وأبو بكر بمعنى ولعل الله فيه سرا وحكمة وعلى هذا يكون داخلا فى القول وعلى الاول يوقف عند قوله أنتى وقوله والله أعلم بما وضعت ابتداء اخبار من الله تعالى (وليس الذكر) الذى طلبت (كالاتى) التى وهبت لها واللام فيهما للعهد (وأنى سميتها مريم) معطوف على انى وضعتها أنتى وما بينهما جلتان معترضتان وانما

لمسجد بيت المقدس (فتقبل منى أنك أنت السميع) للدعاء (العليم) بالاجابة وبما فى بطنى (فلما وضعتها) ولدتها فاذا هى

جارية (قالت رب انى وضعتها أنتى) ولدتها جارية (والله أعلم بما وضعت) بما ولدت (وليس) (التسمية)
الذكر) فى الخدمة والعورة (كالاتى) كالجارية (وأنى سميتها مريم

ذكرت حنة تسميتها مريم لربها لان مريم في لغتهم العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب اليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها ألا ترى كيف اتبته طلب الاعادة لها واولدها من الشيطان بقوله (وأنى) مدنى (أعيدها بك) أجبرها (وذريتها) اولادها (من الشيطان الرجيم) الملعون في الحديث مامن مولود يولد الا والشيطان عسه حين يولد فيستهل صارخا من ﴿٤٨٧﴾ مس الشيطان اياه الامريم {سورة آل عمران} وابنها (فتقبلها ربها)

قبيل الله مريم ورضى بها في النذر مكان الذكر (بقبول حسن) قيل القبول اسم ما يقبل به الشيء كلسعوط لما يسعط به وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها أثنى في ذلك أو بان تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روى ان حنة لما ولدت مريم لفتها في خرقة ووجلتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ووضعتها عند الاحبار ابنا هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو مائان رؤس بني اسرائيل وأجبارهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندي أختها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالتقوا فيه أقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت

يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على أن الاسم والمسمى والتسمية أمور متغايرة ﴿وأنى أعيدها بك﴾ أجبرها بحفظك ﴿وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ المطرود وأصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم مامن مولود يولد الا والشيطان عسه حين يولد فيستهل من مسه الامريم وابنها ومعناه أن الشيطان يطعم في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الامريم وابنها فان الله سبحانه وتعالى عصمها ببركة هذه الاستعاذة ﴿فتقبلها ربها﴾ فرضى بها في النذر مكان الذكر ﴿بقبول حسن﴾ أى بوجه حسن يقبل به النذرة وهو اقامتها مقام الذكر أو تسلمها عقيب ولادتها قبل أن تكبر وتصلح للسدانة روى أن حنة لما ولدت لفتها في خرقة ووجلتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى مائان كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا أنا أحق بها عندي خانها فأبوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالتقوا فيه أقلامهم فطفأ قلم زكريا ورسبت أقلامهم فتكفلها زكريا ويجوز أن يكون مصدرا على تقدير مضاف أى بنى قبول حسن وأن يكون تقبل بمعنى

التسمية أن يفضلها الله على اناث الدنيا ﴿وأنى أعيدها بك وذريتها﴾ أى امنعها وأجبرها بك وذريتها ﴿من الشيطان الرجيم﴾ يعنى اللعين الطريد وذلك ان حنة أم مريم لما فاتها ما كانت تطلب من أن يكون ولدها ذكرا فاذا هى أتت تضرعت الى الله تعالى أن يحفظها ويعصمها من الشيطان الرجيم وأن يحملها من الصالحات العابدات (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن بنى آدم من مولود الا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من نخسه اياه الامريم وابنها ثم يقول أبو هريرة رضى الله عنه اقرؤا ان شتمت وانى أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم * وللبخارى عنه قال كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبيه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب ليطعن فطعن في الحجاب * قوله عز وجل ﴿فتقبلها ربها بقبول حسن﴾ يعنى ان الله تعالى تقبل مريم من حنة مكان الذكر المحرر بمعنى قبل ورضى قال الزجاج الاصل في العربية تقبلها بتقبل ولكن قبول محمول على قبلها قبولاً كما يقال قبلت الشيء قبولاً اذا رضيته وقال أبو عمرو ليس في المصادر فعول بفتح الفاء الا هذا ولم أسمع فيه الضم وقيل معنى التقبل والقبول واحد وهما سواء وهو ان يرى الشيء ويأخذه وقيل معنى التقبل التكفل في التربية والقيام بشأنها وانما قال بقبول للجمع بين الامرين

أقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر على تقدير حذف المضاف أى فتقبلها بنى قبول حسن أى بأمرى قبول حسن وهو

﴿وأنى أعيدها بك﴾ اعصمها بك وأمنعها بك (وذريتها) ان كان لها ذرية (من الشيطان الرجيم) الامين (فتقبلها ربها بقبول حسن) أى أحسن اليها حتى قبلها

الاختصاص (وأثبتها نباتا حسنا) مجاز عن التربية الحسنة قال ابن عطاء ما كانت ثمرة مثل عيسى فذاك أحسن النبات ونباتا مصدر على خلاف { الجزء الثالث } الصدر أو التقدير ﴿ ٤٨٨ ﴾ فنبت نباتا (وكفلها) قبلها

استقبل كتقضى وتجعل أى فأخذها فى أول أمرها حين ولدت بقبول حسن ﴿ وأثبتها نباتا حسنا ﴾ مجاز عن تربيتها بما يصلحها فى جمع أحوالها ﴿ وكفلها زكريا ﴾ شدد الفاء حزة والكسائى وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم فى رواية ابن عياش على أن الفاعل هو الله تعالى وزكريا مفعول أى جعله كافلا لها وضامنا بمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكرياء مرفوعا ﴿ كما دخل عليها زكريا المحراب ﴾ أى الغرفة التى بنيت لها أو المسجد أو اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان كأنها وضعت فى أشرف موضع من بيت المقدس ﴿ وجد عندها رزقا ﴾ جواب كلما وناصبه روى أنه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة أبواب فكان

يعنى التقليل الذى يعنى التكفل والقبول الذى هو بمعنى الرضا ﴿ وأثبتها نباتا حسنا ﴾ معناه وأثبتها فنبتت هى نباتا حسنا قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن أى سلك بها طريق السعداء وأثبتها نباتا حسنا يعنى سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت فى اليوم ما ينبت المولود فى عام ﴿ وكفلها زكريا ﴾ قال أهل الاخبار لما ولدت حنة مريم أخذتها فلققتها فى خرقة وحلتها الى المسجد ووضعها عند الاخبار أبناء هارون وهم يومئذ يلون من بيت المقدس مانلى الحجة من الكعبة وقالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الاخبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها لان خالتها عندى فقالت له الاخبار لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التى ولدتها ولكنها اقتصر عليها فتكون عند من خرج سهمه بها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار قيل هو الاردن فلقوا أقلامهم فى الماء على ان من ثبت قلبه فى الماء وصعد فهو أولى بها من غيره وكان على كل قلم مكتوب اسم واحد منهم وقيل بل كانوا يكتبون التوراة فلقوا أقلامهم التى كانت بأيديهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ووقف وانحدرت أقلامهم ثم رسبت فى النهر وقيل جرى قلم زكريا مصعدا الى أعلى وجرت أقلامهم مع جرى الماء الى أسفل فسهمهم زكريا وقرعهم وكان زكريا رأس الاخبار ونيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا قريء بتشديد الفاء ومعناه وضمها الله زكريا وضمها اليه بالقرعة وقريء بتخفيف الفاء ومعناه وضمها زكريا الى نفسه بالقرعة وقام بأمرها وهو زكريا ابن أذن بن مسلم بن صدوق من أولاد سليمان بن داود عليها السلام فلما ضم زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها المراضع وقيل ضمها الى خالتها أم يحيى حتى اذا شبت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا فى المسجد وجعل بابها فى وسطه ولا يرقى اليه الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها كل يوم فذلك قوله تعالى ﴿ كما دخل عليها زكريا المحراب ﴾ يعنى الغرفة والمحراب أشرف المجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد وقيل المحراب ما يرقى اليه بدرج وقيل كان زكريا يغلق عليها سبعة أبواب فاذا دخل عليها المحراب ﴿ وجد عندها رزقا ﴾ يعنى فاكهة

أوضحن القيام بأمرها وكفلها كوفى أى كفلها الله زكريا يعنى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها (زكريا) بالقصر كوفى غير أبى بكر فى كل القرآن وقرأ أبو بكر بالمد والنصب هنا غيرهم بالمد والرفع كالثانية والثالثة ومعناه فى العبرى دائم الذكر والتسبيح (كما دخل عليها زكريا المحراب) قيل بنى لها زكريا محرابا فى المسجد أى غرفة تصعد اليها بسلم وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت فى أشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وكان لا يدخل عليها الا هو وحده (وجد عندها رزقا) كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان

مكان القلام (وأثبتها نباتا حسنا) غذاها فى العبادة بالسنين والشهور والايام والساعات غذاها حسنا (وكفلها زكريا) ضمها اليه للتربية (كما دخل عليها زكريا المحراب) يعنى بينا

الذى كانت تعبد فيه (وجد عندها رزقا) فاكهة الشتاء فى الصيف مثل القصب وفاكهة الصيف فى الشتاء (فى)

في الشتاء (قال يا مريم أنى لك هذا) من أين لك هذا الرزق الذى لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت فى غير حينه (قالت هو من عند الله) فلا تستبعد قيل تكلمت وهى صغيرة كأنكم عيسى وهو فى المهد (أن الله يرزق من يشاء) من جملة كلام مريم أو من كلام رب العالمين (بغير حساب) بغير تقدير لكثرة أو تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل (هنالك) فى ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم فى المحراب أو فى ذلك الوقت فقد يستعار هنا وحيث وثمه للزمان لما رأى حال مريم فى كرامتها على الله ومنازلها رغب ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد أمها حنة فى الكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت امها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة فى غير وقتها اتبه على جواز ولادة العاقر (دعا زكرياربه

مثل العنب) قال يا مريم أنى لك هذا) من أين لك هذا فى غير حينه (قالت هو من عند الله) أنانى به جبريل (أن الله يرزق من يشاء) يعطى من يشاء

يحد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس ﴿قال يا مريم أنى لك هذا﴾ من أين لك هذا الرزق الآتى فى غير أوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه ﴿قالت هو من عند الله﴾ فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى عليه الصلاة والسلام ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ﴿أن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ بغير تقدير لكثرته أو بغير استحقاق تفضله وهو يحتمل أن يكون من كلامها وأن يكون من كلام الله سبحانه وتعالى روى أن فاطمة رضى الله تعالى عنها أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجعها اليها فقال هلمى يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملؤ خبزا ولحما فقال لها أنى لك هذا قالت هو من عند الله أن الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة بسيدة نساء بنى إسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجمع أهل بيته وبقى الطعام كما هو فأوسعته على جيرانها ﴿هنالك دعا زكريا ربه﴾ فى ذلك المكان أو الوقت اذ تستعار هنا وثمه وحيث للزمان * لما رأى كرامة مريم ومنازلها

فى غير وقتها فكان يحد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء ﴿قال﴾ يعنى زكريا ﴿يا مريم أنى لك هذا﴾ أى من أين لك هذه الفاكهة ﴿قالت﴾ يعنى مريم محببة لزكريا ﴿هو من عند الله﴾ يعنى من الجنة وقيل ان مريم من حين ولدت لم تلق ثديا بل كان يأتيها رزقها من الجنة فيقول زكريا يا مريم أنى لك هذا فتقول هو من عند الله تكلمت وهى صغيرة فى المهد كأنكم عيسى عليه الصلاة والسلام وهو صغير فى المهد وقال محمد بن اسحق أصابت بنى اسرائيل أزمة وهى على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكفاتها فخرج على بنى اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سنى وضعفت عن حمل بنت عمران فأيكم يكفلها بعدى فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من السنة ما ترى فتدافعوا بينهم ثم لم يحدوا من حملها يدا فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم لمريم فحملها فعرفت مريم فى وجهه شدة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فصار يوسف يرزق لمكانها منه فكان يأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا أدخله عليها فى المحراب أنما الله وزاده فيدخل زكريا عليها فيقول يا مريم أنى لك هذا فتقول هو من عند الله ﴿أن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ وهذا يحتمل أن يكون من تمام كلام مريم أو ابتداء كلام من الله عز وجل ومعناه ان الله تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير لكثرته أو من غير سبب * وفى هذه الآية دليل على جواز كرامات الاولياء وظهور خوارق العادات على أيديهم قال أهل الاخبار فلما رأى زكريا ذلك قال ان الذى قدر على أن يأتي مريم بالفاكهة فى غير وقتها وحينها من غير سبب لقادر أن يصلح زوجى ويهب لى ولدا فى غير حينه مع الكبر وطمع فى الولد وذلك ان أهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد كبر وشاخ وأيس من الولد فذلك قوله عز وجل ﴿هنالك دعا زكرياربه﴾ يعنى انه عليه الصلاة والسلام دخل محرابه وأغلق الابواب وسأل

فى حينه وفى غير حينه (بغير حساب) بلا تقدير (قا وخا ٦٢ ل) ولا هنداز (هنالك) عند ذلك (دعا) وطمع (زكريا ربه

قال رب هب لي من لدنك ذرية) ولدا والذرية يقع على الواحد والجمع (طيبة) مباركة والتأنيث للفظ الذرية (أنتك سميع الدعاء) مجيبه (فنادته الملائكة) قيل ناداه جبريل عليه السلام وانما قيل الملائكة لان المعنى اتاه النداء من هذا الجنس كقولهم فلان يركب { الجزء الثالث } الخيل فناديه بالياء ﴿٤٩٠﴾ والامالة حزة وعلى (وهو قائم يصلي

من الله سبحانه وتعالى ﴿ قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ﴾ كما وهبها لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه في غير أوانها اتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأل وقال هب لي من لدنك ذرية لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة ﴿ أنتك سميع الدعاء ﴾ مجيبه ﴿ فنادته الملائكة ﴾ أى من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادى كان جبرائيل وحده * وقرأ حزة والكسائي فناداه بالامالة والتذكير ﴿ وهو قائم يصلي في المحراب ﴾ أى قائم في الصلاة ويصلي صفة قائم أو خبر أو حال آخر أو حال عن الضمير في قائم ﴿ أن الله يشرك بيحي ﴾ أى بأن الله * وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول أو لان النداء نوع منه * وقرأ حزة والكسائي يشرك ويحي اسم أعجمى وان جعل عربيا ففتح صرفه للتعريف ووزن الفعل ﴿ مصدقا بكلمة من الله ﴾ أى يعيسى عليه الصلاة والسلام سمي بذلك لانه وجد بأمره تعالى دون أب فشا به البديعيات التي هي عالم

ربه الولد ﴿ قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ﴾ يعنى انه قال يارب أعطني من عندك ولدا مباركا تقياصالحا رضيا والذرية تطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد بها هنا الواحد وانما قال طيبة لتأنيث لفظ الذرية ﴿ أنتك سميع الدعاء ﴾ أى سامعه ومجيبه ﴿ قوله عز وجل ﴾ فنادته الملائكة ﴿ يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام وانما أخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما لشأنه ولانه رئيس الملائكة وقل أن يبعث الاومعه جمع من الملائكة فجرى ذلك على مجرى العادة ﴿ وهو قائم يصلي في المحراب ﴾ أى في المسجد وذلك ان زكريا عليه الصلاة والسلام كان الخبر الكبير الذي يقرب القربان ويقع لهم الباب فلا يدخلون حتى يأذن لهم في الدخول فبينما هو قائم يصلي في محرابه عند المذبح والناس ينتظرون أن يأذن في الدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع زكريا منه فناداه جبريل عليه الصلاة والسلام يا زكريا ﴿ أن الله يشرك بيحي ﴾ أى بولد اسمه يحيى قال ابن عباس رضى الله عنهما سمي يحيى لان الله تعالى أحياه عقراًه وقيل لان الله تعالى أحياه بالايان وقيل لان الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يهم بمعصية قط ﴿ مصدقا بكلمة من الله ﴾ يعنى عيسى بن مريم وانما سمي عيسى عليه الصلاة والسلام كلمة لان الله تعالى قال له كن فكان من غير أب دلالة على كمال القدرة فوقه عليه اسم الكلمة لانه بها كان وقيل سمي كلمة لان عيسى عليه الصلاة والسلام كان يرشداخلق الى الحقائق والاسرار الالهية ويهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى فسمى كلمة بهذا الاعتبار وقيل سمي كلمة لان الله تعالى بشره مريم على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل لان الله تعالى أخبر الانبياء الذين قبله في كتبه المنزلة عليهم انه يخلق نبيا من غير واسطة أب فلما جاء قيل هذا هو تلك الكلمة

في المحراب) وفيه دليل على ان المرادات تطلب بالصلوات وفيها اجابة الدعوات وقضاء الحاجات وقال ابن عطاء ما فتح الله تعالى على عبد حالة سنية الا اتباع الاوامر واخلاص الطاعات ولزوم المحاريب (أن الله) بكسر الالف شامى وحزة على اضممار القول أو لان النداء قول الباقون بالفتح أى بان الله (يشرك) يشرك وما بعده حزة وعلى من بشره والتخفيف والتشديد لغتان (يحيى) هو غير منصرف ان كان عجميا وهو الظاهر فللتعريف والجمعة كوسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كعيسى (مصدقا) حال منه (بكلمة من الله) أى مصدقا يعيسى مؤمنابه فهو أول من آمن به وسمى عيسى كلمة لان تكونه يكن بلا أب أو مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب

قال رب هب لي) أعطني (من لدنك) من عندك (ذرية طيبة) ولدا صالحا (أنتك سميع الدعاء) مجيب (يعنى) الدعاء (فنادته الملائكة) يعنى جبريل (وهو قائم يصلي في المحراب) في المسجد (أن الله يشرك بيحي) بولد يسمى يحيى (مصدقا بكلمة من الله) يعيسى بن مريم أن يكون بكلمة من الله مخلوقا بلا أب

منه (وسيدا) هو الذي يسود قومه ﴿٤٩١﴾ أي يفوقهم {سورة آل عمران}

الامر أو بكتاب الله سمي كلمة كاقيل كلمة الحويدرة لقصيدته ﴿وسيدا﴾ يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم في انه ما هم بمحصية قط ﴿وحصورا﴾ مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روى انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ماله لعب خلقت ﴿ونبيا من الصالحين﴾ ناشئا منهم أو كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة ﴿قال رب أنى يكون لى غلام﴾ استبعادا من حيث العادة أو استعظاما أو تعجبا أو استفهاما عن كيفية حدوثه ﴿وقد بلغنى الكبر﴾ أدركنى كبر السن واثري في

يعنى الوعد الذي وعدانه يخلقه كذلك وكان يحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر وكان ابى خالة وقتل يحيى قبل أن يرفع عيسى عليهما الصلاة والسلام وقيل ان أم يحيى لقيت أم عيسى وهما حاملتان فقالت أم يحيى لام عيسى يا مريم أشعرت انى حامل فقالت مريم وأنا أيضا حامل فقالت أم يحيى يا مريم أنى لاجد ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله يعنى ان يحيى آمن بعيسى وصدق به ﴿وسيدا﴾ من ساد يسود والسيد هو الرئيس الذي يتبع ويتبعى الى قوله وكان يحيى عليه الصلاة والسلام سيدا المؤمنين ورئيسهم فى الدين والعلم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل هو الذى يطيع ربه وقيل هو الفقيه العالم وقيل سيدا فى العلم والعبادة والورع وقيل السيد هو الحليم الذى لا يفضبه شئ وقيل السيد هو الذى يفوق قومه فى جميع خصال الخير وقيل هو السخى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بنى سلمة قالوا جدين قيس على انانخله قال وأى داء أدوأ من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجوح ﴿وحصورا﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره من المفسرين الحصور الذى لا يأتى النساء ولا يقربهن فعلى هذا هو فعول بمعنى فاعل يعنى انه حصر نفسه عن الشهوات وأصله من الحصر وهو الحبس وقيل هو العنين وقيل هو الفقير الذى لا مال له فيكون الحصور بمعنى المحصور يعنى المنوع من النساء قال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك ليغض بصره وفيه قول آخر وهو ان الحصور هو المجتمع عن الوطء مع القدرة عليه وانما تركه للعفة والزهد فيه وهذا القول هو الصحيح وهو قول جماعة من المحققين وهو أليق بمنصب الانبياء لان الكلام انما خرج منخرج المدح والثناء وذكر صفة النقص فى معرض المدح لا يجوز وأيضا فان منصب النبوة يحل من أن يضاف الى أحد منهم نقص أو آفة فحمل الكلام على منع النفس عن الوطء مع القدرة عليه أولى من حمله على ترك الوطء مع العجز عنه ﴿ونبيا من الصالحين﴾ يعنى انه من أولاد الانبياء الصالحين ﴿قوله عز وجل﴾ قال ﴿يعزى كريا﴾ ﴿رب﴾ أى يارب قيل هو خطاب مع جبريل لان الآية المتقدمة دلت على ان الذين نادوه هم الملائكة فعلى هذا القول يكون الرب هنا بمعنى السيد والمربى أى ياسيدى وقيل انه خطاب مع الله تعالى فيكون الرب بمعنى المالك وذلك ان الملائكة لما بشروه بالولد تعجب ورجع فى ازالة ذلك التعجب الى الله تعالى فقال رب ﴿أنى يكون لى غلام﴾ يعنى من أين يكون وكيف يكون لى غلام ﴿وقد بلغنى الكبر﴾ قيل هو من المقلوب ومعناه وقد

فى الشرف وكان يحيى فائقا على قومه لانه لم يركب سيئة قط ويالها من سيادة وقال الجنيد هو الذى جاد بالكونين عوضا عن المكون (وحصورا) هو الذى لا يقرب النساء مع القدرة حصرا لنفسه أى منعها لها من الشهوات (ونبيا من الصالحين) ناشئا من الصالحين لانه كان من أصلاب الانبياء أو كائنا من جملة الصالحين (قال رب أنى يكون لى غلام) استبعادا من حيث العادة واستعظاما للقدرة لا تشكك (وقد بلغنى الكبر) كقولهم أدركته السن العالية أى أثر فى الكبر وأضعفى وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته

(وسيدا) حلما عن الجهل (وحصورا) لم يكن له شهوة الى النساء (ونبيا من الصالحين) من المرسلين (قال رب) قال زكريا لجبريل ياسيدى (أنى يكون لى غلام) من أين يكون لى ولد (وقد بلغنى الكبر) وقد أدركنى الكبر

(قوله كلمة الحويدرة) الحويدرة تصغير الحادرة بالمهملات وهو لقب شاعر جاهلى اسمه قطبة ابن محض بن خزول وأصل معنى الحادرة الضخم المتكبين وهي قصيدة عينية معروفة عند الرواة مشهورة بالبلاغة

وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون سنة ﴿ وامرأتى عاقر ﴾ لاتلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد ﴿ قال كذلك الله يفعل مايشاء ﴾ أى يفعل مايشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر أو كما أنت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل مايشاء من خلق الولد أو كذلك خبر مبتدأ وخبر أى الله على مثل هذه الصفة ويفعل مايشاء بيان له أو كذلك خبر مبتدأ محذوف أى الامر كذلك والله يفعل مايشاء بيان له ﴿ قال رب اجعل لى آية ﴾ علامة أعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار ﴿ قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام ﴾ ان لاتقدر على تكليم الناس ثلاثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة لتخلص المدة لذكرا لله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة وكأنه قال آيتك ان يحبس لسانك الاعن الشكر وأحسن الجواب

ثمان وتسعون (وامرأتى عاقر) لم تلد (قال كذلك الله يفعل مايشاء) من الافعال العجيبة (قال رب اجعل لى) مدنى وأبو عمرو (آية) علامة أعرف بها الحبل لاتلق النعمة بالشكر اذا جاءت (قال آيتك ألا تكلم الناس) أى لاتقدر على تكليم الناس (ثلاثة أيام

بلغت الكبر وشخت وقيل معناه وقد نالنى الكبر وأدركنى الضعف ﴿ فأن قلت كيف أنكر زكريا الولد مع تبشير الملائكة آياه به وماعنى هذه المراجعة ولم تعجب من ذلك بعد وعد الله آياه به أكان شاكا في وعد الله أو في قدرته ﴿ قلت لم يشك زكريا عليه السلام في وعد الله وفي قدرته وانما قال ذلك على سبيل الاستفهام والاستعلام والمعنى من أى جهة يكون لى الولد أى يكون بأزالة العقر عن زوجتى وردشبابى على أو يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف فاجابه بقوله كذلك الله يفعل مايشاء وقال عكرمة والسدى لما سمع زكريا نداء الملائكة جاءه الشيطان وقال يازكريا ان الصوت الذى سمعت ليس هو من الله تعالى وانما هو من الشيطان ولو كان من الله تعالى لاوحاه اليك كما يوحى اليك في سائر الامور فقال ذلك زكريا دفعا للوسوسة * واعترض على الجواب بانه لا يجوز ان يشبه على الانبياء كلام الملائكة بكلام الشيطان اذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق باخبارهم عن الوحي السماوى * وأجيب عن هذا الاعتراض بانه لما دلت الدلائل على صدق الانبياء فيما يخبرون به عن الله تعالى بواسطة الملك فلا مدخل للشيطان فيه وذلك فيما يتعلق بالدين والشرائع فأما ما يتعلق بمصالح الدنيا وبالولد فقد يحتمل فيه حصول الوسوسة فسأل زكريا ذلك لتزول هذه الوسوسة من خاطره قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنين وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين سنة وقال ابن عباس في رواية الضحاك كان ابن مائة وعشرين سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى ﴿ وامرأتى عاقر ﴾ أى عقيم لاتلد ﴿ قال كذلك الله يفعل مايشاء ﴾ يعنى انه تعالى قادر على هبة الولد على الكبر يفعل مايشاء لا يعجزه شىء ﴿ قوله عز وجل ﴾ قال ﴿ يعنى زكريا ﴾ رب اجعل لى آية ﴿ أى علامة أعلم بها وقت حمل امرأتى فأزيد في العبادة والشكر لك ﴿ قال آيتك ﴾ أى علامتك على الذى طلبت معرفة علمه ﴿ ألا تكلم الناس ﴾ أى لاتقدر على تكليم الناس ﴿ ثلاثة أيام ﴾ أى مدة ثلاثة أيام لبليالها قال جمهور المفسرين عقد لسانه عن تكليم الناس ثلاثة أيام مع ابقائه على قدرة التسبيح والذكور لذلك قال في

وامرأتى عاقر) عقيم لاتلد (قال) جبريل (كذلك) كما قلت لك (الله يفعل الله مايشاء) كما يشاء (قال) زكريا (رب) أى يارب (اجعل لى آية) علامة في حبل امرأتى (قال آيتك) علامتك في حبل امرأتك (ألا تكلم الناس) لاتقدر ان تكلم الناس (ثلاثة أيام) من غير خرس

الارضيا) الاشارة بيد أو رأس أو عين أو حاجب وأصله التحرك يقال ارتجز اذا تحرك واستثنى الرمز وهو ليس من جنس الكلام لانه لما أدى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما أو هو استثناء منقطع وانما خص تكليم الناس ليعلم انه يحبس لسانه عن القدرة ﴿٤٩٣﴾ على تكليمهم خاصة مع {سورة آل عمران} ابقاء قدرته على التكلم

بذكر الله ولذا قال (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار) أى فى ايام عجزك عن تكليم الناس وهى من الآيات الباهرة والادلة الظاهرة وانما يحبس لسانه عن كلام الناس ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره كأنه لما طلب

الآية من أجل الشكر قيل له آيتك أن تحبس لسانك الا عن الشكر وأحسن الجواب ما كان منتزعا من السؤال والشئ من حين الزوال الى الغروب والابكار من طواع الفجر الى وقت الضمى (وأذ عطف على اذ قالت امرأة عمران أو التقدير واذا كراذ قالت الملائكة يا صميم) روى انهم كلوها شفاها (أن الله اصطفاك) أو لاحتين تقبلك من أمك ربك واختصك بالكرامة السنية (وطهرك) ما يستقدر من الافعال (واصطفاك) آخر (على نساء العالمين)

(الارضيا) الا تحريكا بالشفقتين والحاجبين والعينين واليدين ويقال

ما شئت من السؤال ﴿الارضيا﴾ اشارة بنحو يد أو رأس وأصله التحرك ومنه الرموز للمجر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير * وقرئ رما كخدم جمع رامن ورمنا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامين كقوله متى ما تلقى فردين ترجف * روانف أليتيك وتستطارا ﴿وأذكر ربك كثيرا﴾ فى أيام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقيد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار ﴿وسبح بالعشى﴾ من الزوال الى الغروب وقيل من العصر أو الغروب الى ذهاب صدر الليل ﴿والابكار﴾ من طلوع الفجر الى الضمى * وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار ﴿وأذ قالت الملائكة يا صميم أن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾

آخر الآية واذا ذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار يعنى فى أيام منعك من تكليم الناس وهذه من الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة لان قدرته على التسبيح والذكر مع عجزه عن تكليم الناس بأمر الدنيا وذلك مع صحة الجسم وسلامة الجوارح من أعظم المعجزات وانما منع من الكلام مع الناس ليخلص فى هذه الايام لعبادة الله تعالى وذكره ولا يشغل لسانه بشئ آخر توفيرا منه على قضاء حق هذه النعمة الجسمية وشكر الله على اجابته فيما طلب الآية من أجله وان يكون ذلك دليلا على وجود الحمل ليم سروره بذلك وقال قتادة انما أمسك لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه ببشارة الولد فلم يقدر على الكلام ثلاثة أيام ﴿الارضيا﴾ يعنى الاشارة والاشارة قد تكون باليد وبالعين وبالايام بالرأس وكانت اشارته بالاصبع المسبحة وقيل الرمز قديكون باللسان من غير تبين كلام وهو الصوت الخفى شبه الهمس وقيل أراد به صوم ثلاثة أيام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا والقول الاول أصح لموافقة أهل اللغة عليه ﴿واذكر ربك كثيرا﴾ وذلك لما منع الله من الكلام فى تلك المدة أمره بالذكر فقال واذا ذكر ربك كثيرا فانك لا تمنع من ذلك ولا يحال بينك وبينه ﴿وسبح﴾ أى وعظم ربك ونزهه عن النقائص وقيل وصل لربك وسميت الصلاة تسميها لان فيها تنزيها للرب سبحانه وتعالى ﴿بالعشى والابكار﴾ فاما العشى فهو ما بين زوال الشمس الى غروبها ومنه سميت صلاتنا الظهر والعصر صلاتى العشى والابكار هو ما بين طلوع الفجر الى الضمى * قوله عز وجل ﴿وأذ قالت الملائكة﴾ يعنى جبريل عليه السلام ﴿يا صميم أن الله اصطفاك﴾ أى اختارك ﴿وطهرك﴾ يعنى من مسيس الرجال وقيل من الحيض والنفاس وكانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب ﴿واصطفاك﴾ أى واختارك ﴿على نساء العالمين﴾ أى على زمانها وقيل على جميع نساء العالمين

الا كتابة على الارض (واذا ذكر ربك) باللسان والتلب (كثيرا) على كل حال (وسبح بالعشى والابكار) صل غدوة وعشيا كما كنت تصلى (وأذ قالت الملائكة) يعنى جبريل (يا صميم أن الله اصطفاك) يقال اختارك بالاسلام والعبادة (وطهرك) من الكفر والشرك والادناس ويقال أبحاك من القتل (واصطفاك) اختارك (على نساء العالمين) على زمانك بولادة عيسى

لكلها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت مجزة لذكرا أو أرهاصا
لنبوة عيسى عليه الصلاة والسلام فان الاجماع على انه تعالى لم يستجب امرأة لقوله تعالى
وما أرسلنا قبلك الا رجالا وقل اللهموها والاصطفاء الاول تقبلها من أمها ولم تقبله
قبلها أثنى وتفرغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها تطهيرها
عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية
كالولد من غير أب وتبرئتها مما قدفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنا آية للعالمين
﴿ يا مريم اقنتي لربك واسجدى واركني مع الراكعين ﴾ أمرت بالصلاة في الجماعة
بذكارا كانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع امالكونه كذلك في شريعتهم
أولتنبه على ان الواو لا توجب الترتيب أو ليقترن اركن بالراكعين للايدان بان من ليس
في صلاتهم ركوع ليسوا مسلمين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله تعالى أمن هو قانت

فأن قلت هل فرق بين الاصطفاء الاول والثاني * قلت ذكر العلماء في معناها وجوها يتحصل
منها الفرق فقيل في معنى الاصطفاء الاول ان الله تعالى اختار مريم وقيلها مندورة محررة
ولم تحرر قبلها أثنى ولم يجعل ذلك لغيرها من النساء وان الله بعث اليها رزقها من عنده
وكفلها زكريا ومعنى الاصطفاء الثاني ان الله تعالى وهب لها عيسى من غير أب وأسمعها
كلام الملائكة ولم يحصل ذلك لغيرها من النساء (ق) عن علي بن أبي طالب رضى الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نساء مريم بنت عمران وخير
نساء خديجة بنت خويلد قال أبو كريب وأشار وكيع الى السماء والارض قيل
أراد وكيع بهذه الاشارة تفسير الضمير في قوله خير نساء ومعناه أنهما خير كل النساء
بين السماء والارض قال الشيخ محي الدين النووي والظاهر ان معناه ان كل واحدة منهما
خير نساء الارض في عصرها وأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه (ق) عن أبي موسى
رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل من الرجال كثير ولم يكمل من
النساء الامريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل
الثريد على سائر الطعام قال العلماء معناه ان الثريد من كل طعام أفضل من المرق وثرید
اللحم أفضل من مرقة بلا ثريد وثرید اللحم فيه أفضل من مرقة من غير ثريد وفضل عائشة
على النساء كزيادة فضل الثريد على غيره وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم
وآسية لاحتمال ان المراد بتفضيلها على نساء هذه الامة * عن أنس رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت
خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون أخرجه الترمذى * قوله عز وجل
﴿ يا مريم اقنتي لربك ﴾ أى قالت الملائكة لها شفاها أطيبى ربك وقيل معناه أطيبى
القيام في الصلاة لربك قال الاوزاعي لما قالت الملائكة لها ذلك قامت حتى تورمت
قدمها وسالت دماوقها وحكى عن مجاهد نحوه ﴿ واسجدى واركني مع الراكعين ﴾
انما قدم السجود على الركوع لان الواو لا تقتضى الترتيب انما هي للجمع كأنه قيل لها افعلى

بان وهبك عيسى من غير
أب ولم يكن ذلك لاحد
من النساء (يا مريم اقنتي
لربك) أديعى الطاعة
أو أطيبى قيام الصلاة
(واسجدى) وقيل أمرت
بالصلاة بذكر القنوت
والسجود لكونها من هيئات
الصلاة ثم قيل لها (واركني
مع الراكعين) أى وتكن
صلاتك مع المصلين أى
في الجماعة أو وانظمى
نفسك في جملة المصلين
وكونى في عدادهم ولا
تكونى في عداد غيرهم

(يا مريم اقنتي لربك) اطيبى
لربك شكرا لذلك ويقال
اطيبى القيام في الصلاة
شكرا لربك (واسجدى
واركني) معناه واركني
واسجدى بالركوع
والسجود (مع الراكعين)

(ذلك) اشارة الى ما سبق من قصة حنة وزكريا ويحيى ومريم (من أنباء الغيب نوحه اليك) يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الابالوحي (وما كنت ﴿٤٩٥﴾ لديهم أذيلقون أقلامهم) {سورة آل عمران} أزلامهم وهي قداحهم

التي طرحوها في النهر
مقتربين أو هي الاقلام
التي كانوا يكتبون التوراة
بها اختاروها للقرعة تبركا
بها (أيهم يكفل مريم)
متعلق بمحذوف دل عليه
يلقون كأنه قيل يلقونها
ينظرون أيهم يكفل مريم
أو ليعلموا أو يقولون (وما
كنت لديهم أذيلقون) (وما
في شأنها تنافسا في التكفل
بها (أذالت الملائكة)
أي ذكر (يا مريم أن الله
يبشرك بكلمة) أي بعيسى
(منه) في موضع جرفصة

مع أهل الصلاة (ذلك)
هذا الذي ذكرت من خبر
مريم وزكريا (من أنباء
الغيب) من أخبار الغائب
عنك يا محمد (نوحه اليك)
يقول نرسل جبريل به
اليك (وما كنت لديهم)
يعني عند الاحبار (أذيلقون
أقلامهم) في جرى الماء
(أيهم يكفل) يأخذ
(مريم) للتربية (وما
كنت لديهم) عندهم
(أذيلقون) يتكلمون
بالحجة لتربية مريم (أذ
قالت الملائكة) يعني جبريل

(يا مريم أن الله يبشرك بكلمة منه) بولد يكون بكلمة من الله مخلوقا

آناه الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلاة كقولها تعالى وأدبار السجود وبالركوع الخشوع
والاخبات ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحه اليك﴾ أي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي
لم تعرفها الابالوحي ﴿وما كنت لديهم أذيلقون أقلامهم﴾ أقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا
بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم
بغنكريه فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة أو السماع وعدم السماع معلوم لاشبهة فيه
عندهم فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ﴿أيهم يكفل مريم﴾
متعلق بمحذوف دل عليه يلقونها ليعلموا أو يقولون أيهم يكفل مريم
﴿وما كنت لديهم أذيلقون﴾ تنافسا في كفالتها ﴿أذالت الملائكة﴾ بدل من
اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض أو من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصاص
والبشارة في زمان متسع كقول لقيته سنة كذا ﴿يا مريم أن الله يبشرك بكلمة منه

الركوع والسجود وقيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك في شريعتهم وقال ابن
الانباري أمرها أمرا عاما وحضها على فعل الخير فكانه قال استعمل السجود في حال الركوع في
حال ولم يرد تقديم السجود على الركوع بل أراد العموم بالامر على اختلاف الحالين
وانما قال اركعي مع الراكعين ولم يقل مع الراكعات لان لفظ الراكعين أعم فيدخل
فيه الرجال والنساء والصلاة مع الرجال أفضل وأتم وقيل معناها فعلى كفعل الراكعين
وقيل المراد به الصلاة في جماعة أي صلى مع المصلين في جماعة ﴿قوله عز وجل﴾ ذلك من
أنباء الغيب ﴿يقول الله عز وجل لحمد صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ذكرت لك من حديث
زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم الصلاة والسلام من أخبار الغيب ﴿نوحه اليك﴾
أي نلقه اليك يا محمد لانه لا يمكنك ان تعلم أخبار الامم الماضية الابوحي من انبياءك وانما
قال نوحه لانه رد الضمير الى ذلك فلذلك ذكر اللفظ ﴿وما كنت﴾ يعني يا محمد
﴿لديهم﴾ هنالك عندهم ﴿أذيلقون أقلامهم﴾ يعني التي كانوا يكتبون بها في الماء
لاجل الاقتراع ﴿أيهم يكفل مريم﴾ يعني يربيهما ويقوم بمصالحها قيل سبب
منازعتهم في كفالة مريم حتى اقترعوا على ذلك انها كانت بنت عمران وكان رئيسهم
وكبيرهم فلاجل ذلك رغبوا في كفالتها وقيل لان مريم حررت لعبادة الله وخدمة
المسجد وكان أبوها قدمات فلاجل ذلك رغبوا في كفالتها ﴿وما كنت لديهم أذ
يختصمون﴾ يعني في كفالتها وتربيتها ﴿قوله عز وجل﴾ أذالت الملائكة ما مريم
أن الله يبشرك بكلمة منه ﴿معناه وما كنت لديهم يا محمد اذ يختصمون وما كنت
لديهم اذ قالت الملائكة يعني جبريل عليه السلام يا مريم ان الله يبشرك بالبشارة اخبار
المراء بما يسره من خير بكلمة منه يعني برسالة من الله وخير من عنده فهو كقول القائل
التي الى فلان كلمة سرنى بها وأخبرني خبرا فرحت به ومعنى الآية اذ قالت الملائكة

اسمه المسيح عيسى ابن مريم * المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق وأصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب أيشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة أو بمطهره من الذنوب أو مسح الارض ولم يبق في موضع أو مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض يعلوه حرة تكلف لاطائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تميز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تمدد الخبر افراد المبتدأ فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد به ان الذي يعرف به وتميز عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له بمن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير أب اذا الاولاد تنسب الى الآباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب

لكلمة (اسمه) مبتدأ وذكر ضمير الكلمة لان المسمى بها مذكر (المسيح) خبره والجملة في موضع جر صفة لكلمة والمسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا أينما كنت وقيل سمي مسيحا لانه كان لا يمنع ذاعاهة الابرا أولانه كان يمسح الارض بالسياحة لا يستوطن مكانا (عيسى) بدل من المسيح (ابن مريم) خبر مبتدأ محذوف أي هو ابن مريم ولا يجوز أن يكون صفة لعيسى لان اسمه عيسى فحسب وليس اسمه عيسى ابن مريم وانما قال ابن مريم اعلاما لها أنه يولد من غير أب فلا ينسب الا الى أمه

لمريم يا مريم ان الله يشرك بشركي من عنده وهي ولد يولدك من غير بعل ولا فحل وذلك الولد * اسمه المسيح عيسى ابن مريم * وقال قتادة في قوله تعالى بكلمة منه هو قوله تعالى كن فسماء الله كلمة لانه كان عن الكلمة التي هي كن كما يقال لما قدر الله من شئ هذا قدر الله وقضاء الله يعني ان هذا الامر عن قدره وقضائه حدث وقال ابن عباس رضى الله عنهما الكلمة هي عيسى عليه الصلاة والسلام وانما سمي كلمة لانه وجد عن الكلمة التي هي كن * فان قلت ان كل مخلوق انما يوجد بواسطة الكلمة التي هي كن فلم خص عيسى عليه الصلاة والسلام بهذا الاسم وسماه كلمة دون غيره * قلت ان كل مخلوق وان وجد حدوده وخلقه بواسطة الكلمة الا ان هذا السبب ما هو المتعارف ولما كان حدوث عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير واسطة أخرى فلا جرم كان اضافة حدوثه الى الكلمة أتم وأكمل وبهذا التأويل حسن ان يسمى عيسى عليه الصلاة والسلام نفس الكلمة لانه حدث عنها * فان قلت الضمير في قوله اسمه عائد الى الكلمة وهي مؤنثة فلم ذكر الضمير * قلت لان المسمى بها مذكر فلهذا ذكر الضمير * فان قلت لم قال اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة الاسم منها واحد وهو عيسى واما المسيح فلقب وابن مريم صفة * قلت الضمير في قوله اسمه يرجع الى عيسى وللمسمى علامة يعرف بها وتميز عن غيره فكأنه قال الذي يعرف به وتميز عن سواه هو مجموع هذه الثلاثة واختلفوا لم سمي عيسى عليه الصلاة والسلام مسيحا وهل هو اسم مشتق أو موضوع فقيل انه موضوع وأصله بالعبانية مشيحا فغيرته العرب وأصل عيسى أيشوع كما قالوا موسى وأصله موسى أو ميشى وقال الاكثرون انه اسم مشتق ثم ذكروا فيه وجوها قال ابن عباس رضى الله عنهما سمي عيسى مسيحا لانه ماسح ذاعاهة الابرا منها وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه مسح من الاقدار وطهر من الذنوب وقيل انه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن وقيل لان جبريل عليه السلام مسحه بمناحه حتى لا يكون للشيطان عليه سبيل وقيل لانه كان يسبح في الارض ولا يقيم بمكان فكانه يمسح الارض أي يقطعها مساحة فعلى هذا القول تكون الميم زائدة وقيل سمي مسيحا لانه كان مسيح القدمين لأخصاه وسمى الدجال مسيحا لانه ممسوح إحدى العينين وقيل المسيح هو الصديق وبه سمي عيسى عليه السلام وقد يكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمي الدجال فعلى هذا تكون هذه الكلمة

(اسمه المسيح) يسمى المسيح لانه يسبح في البلدان ويقال المسيح الملك (عيسى ابن مريم)

(وجيها) ذاجاه وقدر (في الدنيا) ﴿ ٤٩٧ ﴾ بالنبوة والطاعة {سورة آل عمران} (والآخرة) بعلو الدرجة

والشفاعة (ومن المقربين)
برفضه الى السماء وقوله
وجيها حال من كلمة لكونها
موصوفة وكذا ومن المقربين
أى وثابتا من المقربين وكذا
(ويكلم الناس) أى ومكلما
الناس (في المهد) حال من
الضمير في يكلم أى ثابتا في
المهد وهو ما عهده للصبي من
مضججه سمي بالمصدر
(وكهلا) عطف عليه أى
ويكلم الناس طفلا وكهلا
أى ويكلم الناس في هاتين
الحالتين كلام الانبياء من
غير تفاوت بين حال الطفولة
وحال الكهولة التي يستحكم
فيها العقل ويستتبا فيها
الانبياء (ومن الصالحين)
حال أيضا والتقدير يشرك
به موصوفا بهذه الصفات

وجيها في الدنيا له
القدر والمنزلة في الدنيا
عند الناس (والآخرة)
وفي الآخرة عند الله له
القدر والمنزلة (ومن
المقربين) الى الله في جنة
عدن (ويكلم الناس في
المهد) في الحجر ابن
أربعين يوما انى عبد الله
ومسيحه (وكهلا) بعد
ثلاثين سنة بالنبوة (ومن
الصالحين) من المرسلين

﴿وجيها في الدنيا والآخرة﴾ حال مقدر من كلمة وهى وان كانت نكرة لكنهما موصوفة
وتدكيرها للمعنى والوجهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة ﴿ومن المقربين﴾ من الله
سبحانه وتعالى وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة أو رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ﴿ويكلم
الناس في المهد وكهلا﴾ أى يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد
مصدر سمي به ما عهده للصبي من مضججه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر
أحواله المختلفة المتنافية ارشادا الى انه بمنزل عن الاوهية ﴿ومن الصالحين﴾ حال ثالث من

من الاضداد ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿وجيها﴾ أى شريفا رفيعا ذاجاه وقدر ﴿في الدنيا
والآخرة﴾ أما وجهته في الدنيا فبسبب النبوة وانه كان يبرى الأكمة والابصر ويحيى
الموتى وأما وجهته في الآخر فبسبب علو مرتبته عند الله وهو قوله تعالى ﴿ومن المقربين﴾
يعنى عند الله يوم القيامة لان لاهل الجنة منازل ودرجات ومنازل الانبياء ودرجاتهم
أعلى من سواهم وقيل فيه تنبيه على علو منزلته وانه رفعه الى السماء ﴿ويكلم الناس في المهد﴾
يعنى ويكلم الناس صغيرا وهو في المهد وذلك قبل أو ان الكلام ووقته والكلام الذى
تكلم به هو ما ذكره الله عنه في سورة مريم وهو قوله انى عبد الله آتانى الكتاب الآية
وتكلم ببراءة أمه مما رماها به أهل القرية من القذف ويحكى ان مريم قالت كنت اذا
خلوت بأنا وعيسى حدثنى وحديثه فاذا شغلنى عنه انسان سجع وهو فى بطنى وأنا
أسمع ولما تكلم ببراءة أمه سكت بعد ذلك فلم يتكلم الا فى الوقت الذى يتكلم فيه للصغير
قال ابن عباس تكلم عيسى ساعة ثم سكت ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق ﴿وكهلا﴾
يعنى ويكلم الناس فى حال الكهولة والكهل فى اللغة هو الذى اجتمعت قوته وكل شبابه
والكهل عند العرب الذى جاوز الثلاثين وقيل هو الذى وخطه الشيب وهو السن
الذى يستحكم فيه العقل وتنبأ فيه الانبياء قال ابن قتيبة لما كان لعيسى ثلاثون سنة أرسله
الله تعالى فكث فى رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى وقال وهب بن منبه جاءه
الوحى على رأس ثلاثين سنة فكث فى نبوته ثلاث سنين ثم رفعه الله فعنى الآية انه يكلم
الناس وهو فى المهد ببراءة أمه وهى معجزة عظيمة ويكلم الناس فى حال الكهولة بالدعوة
والرسالة وقيل فيه بشارة لمريم أخبرها بانه يبنى حتى يكتمل وقيل فيه اخبار بانه يتغير
من حال الى حال ولو كان الها كما زعمت النصارى لم يدخل عليه التغيير فقيه رد على
النصارى الذين يدعون فيه الاوهية وقال الحسن بن الفضل وكهلا يعنى ويكلم الناس
كهلا بعد نزوله من السماء وفى هذه نص على انه سينزل من السماء الى الارض ويقتل
الدجال وقال مجاهد الكهل الحكيم والعرب تمدح الكهولة لانها الحالة الوسطى فى
احتتاك السن واستحكام العقل وجودة الرأى والتجربة ﴿ومن الصالحين﴾ يعنى انه
من العباد الصالحين مثل ابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وغيرهم من الانبياء وانما ختم
أوصاف عيسى عليه الصلاة والسلام بكونه من الصالحين بعدما وصفه بالاوصاف العظيمة
لان الصلاح من أعظم المراتب وأشرف المقامات لانه لا يسمى المرء صالحا حتى يكون
مواظبا على النهج الاصلح والطريق الاكمل فى جميع أقواله وأفعاله فلما وصفه الله تعالى

(قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر قال كذلك الله يخلق مايشاء إذا قضى أمرا فأنا يقول له كن فيكون) أى إذا قدر تكون شىء كونه من غير تأخير لكنه عبر بقوله كن اخبارا عن سرعة تكون الاشياء بتكونه (ويعلمه) مدنى وعاصم وموضعه حال { الجزء الثالث } معطوفة على وجبها ﴿ ٤٩٨ ﴾ الباقون بالنون على انه كلام مبتدأ (الكتاب)

كلمة أو ضميرها الذى فى يكلم ﴿ قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر ﴾ تعجب أو استبعاد عادى أو استفهام عن انه يكون بتزوج أو غيره ﴿ قال كذلك الله يخلق مايشاء ﴾ القائل جبريل أو الله تعالى وجبريل حكى لها قوله تعالى ﴿ إذا قضى أمرا فأنا يقول له كن فيكون ﴾ اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا بأسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ﴿ ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ﴾ كلام مبتدأ ذكر تطيبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زواج أو عطف على يشرك أو وجبها والكتاب الكتابة أو جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم ويعلمه بالياء ﴿ ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئكم بأية من ربكم ﴾ منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا بأنى قد جئكم أو بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق فكأنه قال وناطقا بأنى قد جئكم وتخصيص بنى اسرائيل لخصوص بعثه اليهم أو للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم ﴿ أنى أخلق لكم من الطين

بكونه وجبها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين وانه يكلم الناس فى المهد وكهلا أرده بقوله ومن الصالحين ليكمل له أعلى الدرجات وأشرف المقامات ﴿ قوله عز وجل ﴿ قالت ﴾ يعنى مريم ﴿ رب ﴾ يعنى ياسيدى تقوله لجبريل لما بشرها بالولد وقيل تقوله لله عز وجل ﴿ أنى يكون لى ولد ﴾ أى من أين يكون لى ولد ﴿ ولم يمسنى بشر ﴾ أى ولم يصبنى رجل وانما قالت ذلك تعجبا لاشكا فى قدرة الله تعالى اذ لم تكن العادة جرت أن يولد ولد من غير أب ﴿ قال كذلك الله يخلق مايشاء ﴾ يعنى هكذا يخلق الله منك ولدا من غير أن يمك بشر فيجعله آية للناس وعبرة فانه يخلق مايشاء ويصنع ما يريد وهو قوله ﴿ إذا قضى أمرا فأنا يقول له كن فيكون ﴾ يعنى كما يريد ﴿ ونعلمه الكتاب ﴾ يعنى الكتابة والخط باليد ﴿ والحكمة ﴾ يعنى العلم والسنة وأحكام الشرائع ﴿ والتوراة ﴾ يعنى التى أنزلت على موسى ﴿ والانجيل ﴾ يعنى الذى أنزل عليه وهذا اخبار من الله تعالى لمريم ما هو فاعل بالولد الذى بشرها به من الكرامة وعلو المنزلة ﴿ ورسولا الى بنى اسرائيل ﴾ أى ونجمله رسولا الى بنى اسرائيل وكان أول أنبياء بنى اسرائيل يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فلما بعث اليهم قال ﴿ أنى قد جئكم بأية من ربكم ﴾ يعنى بعلامة من ربكم على صدق قولى وانما قال بأية وقد جاءه بآيات كثيرة لان الكل دل على شىء واحد وهو صدقه فى الرسالة فلما قال ذلك عيسى لبنى اسرائيل قالوا ما هذه الآية قال ﴿ أنى أخلق ﴾ أى أصور وأقدر ﴿ لكم من الطين

أى الكتابة وكان أحسن الناس خطا فى زمانه وقيل كتب الله (والحكمة) بيان الحلال والحرام والكتاب الخط باليد والحكمة البيان باللسان (والتوراة والانجيل ورسولا) أى ونجمله رسولا أو يكون فى موضع الحال. أى وجبها فى الدنيا والآخرة ورسولا (الى بنى اسرائيل أنى) باني (قد جئكم بأية من ربكم) بدلالة تدل على صدق فيما أديعه من النبوة (أنى أخلق لكم) نصب بدل من أنى قد جئكم أو جربدل من آية أرفع على هى أنى أخلق لكم أنى نافع على الاستئناف (من الطين

(قالت رب) قالت مريم لجبريل ياسيدى (أنى يكون لى ولد) من أين يكون لى غلام ولد (ولم يمسنى بشر) بالحلال ولا بالحرام (قال) جبريل (كذلك) كما قلت لك (الله يخلق ما يشاء) كما يشاء (إذا قضى أمرا) إذا أراد ان يخلق ولدا منك بلا أب (فأنا يقول له كن فيكون)

ولدا بلا أب (ويعلمه الكتاب) كتب الانبياء ويقال الكتابة (والحكمة) الحلال والحرام ويقال حكمة (كهية)

الانبياء قبله (والتوراة) فى بطن أمه (والانجيل) بعد خروجه من بطن أمه (ورسولا) بعد ثلاثين سنة (الى بنى اسرائيل) فلما جاءهم قال (أنى قد جئكم بأية) بعلامة (من ربكم) لتبوتى قالوا وما العلامة قال (أنى أخلق) انى أصور (لكم من الطين

كهيسة الطير) أى أقدر لكم شيأ مثل صورة الطير (فأنفخ فيه) الضمير للكاف أى فى ذلك الشئ المماثل لهيسة الطير (فيكون طيرا) فيصير طيرا كسائر الطيور طائرا مدنى (بأذن الله) بأمره قبل لم يخلق شيأ غير الخفاش (وأبرىء الاكه) الذى ولد أعمى (والابصر) وأحيى الموتى بأذن الله) كرر بأذن الله دفعا لوهم من يتوهم فيه اللاهوتية روى انه أحيى سام بن نوح عليه السلام وهم ينظرون اليه فقالوا هذا سحر مبين فأرنا آية فقال يافلان أكلت كذا ويافلان خبيء لك كذا وهو قوله

كهيسة الطير) كشيبه الطير (فأنفخ فيه) كنفخ النائم (فيكون طيرا) فيصير طيرا يطير بين السماء والارض (بأذن الله) بأمر الله فصور لهم خفاشا فقالوا هذا سحر فهل عندك غيره قال نعم (وأبرىء) أضحى (الاكه) الذى لم يزل أعمى (والابصر) أيضا (وأحيى الموتى بأذن الله) باسم الله الاعظم يا حى يا قيوم فلما فعل ذلك قالوا هذا سحر فهل عندك غيره

كهيسة الطير) نصب بدل من أى قد جئتكم أوجر بدل من آية أو رفع على هى أى أخلق لكم والمعنى أقدر لكم وأصور شيأ مثل صورة الطير. وقرأ نافع أى بالكسر (فأنفخ فيه) الضمير للكاف أى فى ذلك الشئ المماثل (فيكون طيرا بأذن الله) فيصير حيا طيارا بأذن الله سبحانه وتعالى نبه به على ان احياه من الله تعالى لامنه. وقرأ نافع هنا وفى المائة طائرا بالالف والهمزة (وأبرىء الاكه والابصر) الاكه الذى ولد أعمى أو المسوح العين روى انه ربما كان يجتمع عليه ألوف من المرضى من أطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام وما يداوى الابدعاء (وأحيى الموتى بأذن الله)

كهيسة الطير) والهيسة الصورة المهياة من قولهم هيات الشئ اذا قدرته وأصلحته (فأنفخ فيه) أى فى الطين المهيأ المصور (فيكون طيرا) قرئ بلفظ الجمع لان الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنين والجمع. وقرئ فيكون طائرا على التوحيد على معنى يكون ما أنفخ فيه طائرا أو ما أخلقه يكون طائرا وقيل انه لم يخلق غير الخفاش وهو الذى يطير فى الليل وانما خص الخفاش لانه من أكل الطير خلقا وذلك لانه يطير بلا ريش وله اسنان ويقال ان الاشئ منه لها ندى وتحيض. ذكروا أن عيسى عليه الصلاة والسلام لما ادعى النبوة وأظهر لهم المعجزات أخذوا يتعتون عليه فطلبوا منه ان يخلق لهم خفاشا فاخذ طينا وصوره كهيسة الخفاش ثم نفخ فيه فاذا هو طير يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير مادام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليميز فعل المخلوق من فعل الخالق وهو الله تعالى وليعلم ان الكمال لله تعالى (بأذن الله) معناه بتكوين الله وتخليقه والمعنى انى أعمل هذا التصوير أنا فاما خلق الحياة فيه فهو من الله تعالى على سبيل اظهار المعجزة على يد عيسى عليه الصلاة والسلام (وأبرىء الاكه والابصر) أى وأشفى الاكه والابصر وأصحهما واختلفوا فى الاكه فقال ابن عباس رضى الله عنهما هو الذى ولد أعمى وقيل هو الاعمى وان كان أبصر وقيل هو الاعشى وهو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والابصر هو الذى به وضع وكان الغالب على زمان عيسى عليه الصلاة والسلام الطب فأراهم المعجزة من جنس ذلك الا انه ليس فى علم الطب ابراء الاكه والابصر فكان ذلك معجزة له وودليلا على صدقه وقال وهب ربما اجتمع على عيسى عليه الصلاة والسلام من المرضى فى اليوم الواحد نحو خمسين ألفا فمن أطاق أن يمشى اليه مشى ومن لم يطق مشى عيسى عليه الصلاة والسلام اليه وكان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان برسالته (وأحيى الموتى بأذن الله) قال ابن عباس رضى الله عنهما قد أحيى أربعة أنفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح وكلهم بقى وولده الاسام بن نوح فاما عازر فكان صديقا لعيسى عليه الصلاة والسلام فارسلت اليه أخت عازر ان أخاك عازر يموت وكان بينهما مسيرة ثلاثة أيام فاتاه عيسى وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقال لاخته انطلقى بنا الى قبره فانطلقت بهم الى قبره فدعا الله عيسى فقام عازر حيا بأذن الله تعالى فخرج من قبره وعاش وولده وأما ابن العجوز فانه مر به وهو ميت على عيسى عليه الصلاة والسلام

كرر باذن الله دفعا لتوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية ﴿ وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ﴾ بالمغيبات من أحوالكم التي لا تشكون فيها ﴿ أن في ذلك

يحمل على السرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وأتى أهله وعاش وولد له وأما ابنة العاشر فكان أبوها يأخذ المشور من الناس وماتت بالامس فدعا الله عيسى فاحياها بدعوته فعاشت وولدها وأمامام ابن نوح فان عيسى جاء الى قبره ودعا الله باسمه الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيرون في ذلك الزمان فقال قد قامت الساعة فقال عيسى عليه الصلاة والسلام لا ولكن دعوتك باسم الله الاعظم ثم قال له مت فقال له بشرط أن يعيدني الله من سكرات الموت مرة أخرى فدعا الله عيسى ففعل ﴿ وأنبئكم ﴾ يعني وأخبركم ﴿ بما تأكلون ﴾ أي مالم أعاينه ﴿ وما تدخرون في بيوتكم ﴾ أي وما ترفعونه فتخبئونه في بيوتكم لتأكلوه فيما بعد ذلك قيل كان عيسى عليه الصلاة والسلام يخبر الرجل بما أكل البارحة وبما يأكله اليوم وبما يدخره للعشاء وقيل كان في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا وقد رفعوا لك كذا فينطلق الصبي فيسكي على أهله حتى يعطوه ذلك الشيء فيقواون من أخبرك بهذا فيقول عيسى فحسبوا صيانتهم عنه وقالوا لا تقعدوا مع ذلك الساحر وجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا هنا فقال وما في البيت قالوا خنازير فقال كذلك يكونون ففتحوا عليهم الباب فاذا هم خنازير ففشا ذلك في بني اسرائيل وظهر فهموا به فحافت عليه أمه فحملته على جارلها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة انما كان هذا في نزول المائدة وكان خوانا ينزل عليهم أينما كانوا فيه من طعام الجنة وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد فحانوا وادخروا فكان عيسى عليه الصلاة والسلام يخبرهم بما أكلوا من المائدة وما دخروا منها فاستخفهم الله خنازير وفي هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام ومعجزة عظيمة له وهي اخباره عن المغيبات مع ما تقدم له من الآيات الباهرات من ابراء الأكمة والابرص واحياء الموتي باذن الله تعالى واخباره عن الغيوب بإعلام الله اياه ذلك وهذا مما لا سبيل لاحد من البشر عليه الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام * فأن قلت قديخبر المنجم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق * قلت ان المنجم والكاهن لا بد لكل واحد منهما من مقدمات يرجع اليها ويعتمد في اخباره عليها أما المنجم فانه يستعين على ذلك بواسطة معرفة الكواكب وامتزاجاتها أو بواسطة حساب الرمل أو نحو ذلك وقديخطى في كثير مما يخبره وأما الكاهن فانه يستعين برأى من الجن وقديخطى أيضا في كثير مما يخبره وأما اخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن المغيبات فليس الا بالوحى السماوى وهو من الله تعالى وليس ذلك باستعانة بواسطة حساب ولا غيره فحصل الفرق ﴿ أن في ذلك ﴾ يعني

(وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) وما فيها معنى الذى أومصدرية (أن في ذلك) فيما سبق

قال نعم (وأنبئكم) أخبركم (بما تأكلون) غدوة وعشية (وما تدخرون) ترفعون من غداء لعشاء ومن عشاء لغداء (في بيوتكم) أن في ذلك) فيما قلت لكم

(آية لكم أن كنتم مؤمنين ومصداقاً ﴿٥٠١﴾ لما بين يدي من {سورة آل عمران} التوروية) أي قد جعلتكم بآية

وجعلتكم مصداقاً (ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم) رد على قوله بآية من ربكم أي جعلتكم بآية من ربكم لاحل لكم ما حرم الله عليهم في شريعة موسى عليه السلام الشحوم ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك (وجعلتكم بآية من ربكم) ككرر للتأكيد (فاتقوا الله) في تكذيبه وخلافه (وأطيعون) في أمره (أن الله ربي وربكم) اقرار بالعبودية ونفي للرؤية عن نفسه بخلاف ما يزعم النصارى (فاعبدوه) دوني

(آية) لعلامة (لكم) لنبوت (أن كنتم مؤمنين) مصدقين (ومصداقاً) وجعلتكم موافقاً بالتوحيد بالدين (لما بين يدي من التوروية) قبلي من التوراة وسائر الكتب (ولاحل لكم) أرخص وأبين لكم (بعض الذي) تحليل بعض الذي (حرم عليكم) مثل لحم الابل وشحوم البقر والغنم والسبت وغير ذلك (وجعلتكم بآية) بعلامة (من ربكم فاتقوا الله) فاحشوا الله فيما أمركم به وتوبوا إليه (وأطيعون)

لآية لكم أن كنتم مؤمنين ﴿٥٠١﴾ موقنين للإيمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات أو مصدقين للحق غير معاندين ﴿٥٠١﴾ ومصداقاً لما بين يدي من التوروية ﴿٥٠١﴾ عطف على رسولا على الوجهين أو منصوب باضمار فعل دل عليه قد جعلتكم أي وقد جعلتكم مصداقاً ﴿٥٠١﴾ ولاحل لكم ﴿٥٠١﴾ مقدر باضماره أو مردود على قوله أني قد جعلتكم بآية أو معطوف على معنى مصداقاً كقوله جعلتكم معذراً ولا طيب قلبك ﴿٥٠١﴾ بعض الذي حرم عليكم ﴿٥٠١﴾ أي في شريعة موسى عليه الصلاة والسلام كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعجل في السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخاً لشرع موسى عليه الصلاة والسلام ولا يخل ذلك بكونه مصداقاً للتوراة كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه تناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان ﴿٥٠١﴾ وجعلتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون أن الله ربي وربكم فاعبدوه

الذي تقدم ذكره من خلق الطير من الطين باذن الله وبراء الائمة والابرص والاخبار عن المغيبات ﴿٥٠١﴾ لآية لكم ﴿٥٠١﴾ أي لعبرة ودلالة على صدقي اني رسول من الله اليكم ﴿٥٠١﴾ أن كنتم مؤمنين ﴿٥٠١﴾ يعني مصدقين بذلك ﴿٥٠١﴾ ومصداقاً ﴿٥٠١﴾ قيل انه عطف على قوله ورسولا وقيل انه عطف على اني قد جعلتكم بآية من ربكم والمعنى وجعلتكم مصداقاً ﴿٥٠١﴾ لما بين يدي من التوروية ﴿٥٠١﴾ وذلك لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يصدق بعضهم بعضاً فكل واحد منهم يصدق الذي قبله ويصدق بما أنزل الله من الكتب والشرائع والاحكام فلهمنا قال عيسى عليه الصلاة والسلام ومصداقاً لما بين يدي من التوراة ﴿٥٠١﴾ ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم ﴿٥٠١﴾ قال وهب بن منه ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان على شريعة موسى عليه السلام وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس وقال لبي اسراييل اني لم أدعكم الى خلاف حرف مما في التوراة الا لاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وأضع عنكم الآصار وذلك ان الله تعالى كان قد حرم على اليهود بعض الاشياء عقوبة لهم على بعض ما صدر منهم من اخيانات كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم فبقي ذلك التحريم مستمرا على اليهود الى ان جاء عيسى عليه الصلاة والسلام فرفع عنهم تلك التشديدات التي كانت عليهم وقال قتادة كان الذي جاء به عيسى ألين من الذي جاء به موسى وكان قد حرم عليهم فيما جاء به موسى لحوم الابل والثروب والشحوم وأشياء من الطير والحيتان زاد بعضهم نجسهم عيسى بالتخفيف وأحلها لهم وقال آخرون ان عيسى عليه الصلاة والسلام رفع كثيرا من أحكام التوراة ورفع السبت ووضع الاحد وكان ذلك كله بأمر الله فكان ذلك ناسخاً لتلك الاحكام والشرائع والناسخ والمنسوخ حق وصدق ﴿٥٠١﴾ وجعلتكم بآية من ربكم ﴿٥٠١﴾ أي بحجة واضحة شاهدة على صحة رسالتي ثم خوفهم بقوله ﴿٥٠١﴾ فاتقوا الله ﴿٥٠١﴾ يعني يا معشر بني اسراييل فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿٥٠١﴾ وأطيعون ﴿٥٠١﴾ يعني فيما ادعوكم اليه لان طاعة الرسول من توابح تقوى الله وما ادعوكم اليه هو قولي ﴿٥٠١﴾ أن الله ربي وربكم فاعبدوه ﴿٥٠١﴾ لان جميع الرسل كانوا على دين واحد وهو التوحيد ولم يختلفوا في الله تعالى وفي هذه الآية حجة

واتبعوا أمري وديني (أن الله ربي) هوربي (وربكم فاعبدوه) فوحدوه

هذا صراط مستقيم ﴿ أي جئتكم بآية أخرى ألهمنيها ربكم وهي قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبي والساحر أو جئتكم بآية على ان الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم بآية من ربكم أي جئتكم بآية بعد أخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجّة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله أي لما جئتكم بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة وأطيعوني فيما أدعوكم اليه ثم شرع في الدعوة و اشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الايمان بالاوامر والانتها عن المناهي ثم قرر ذلك بأن بين أن الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام قل آمنت بالله ثم استقم ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر ﴿ تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك

على نصارى وفد نجران ومن قال بقولهم من سائر النصارى باخبار الله عن عيسى عليه الصلاة والسلام انه كان بريئا مما نسب اليه النصارى وانه كان عبدا لله وخصه بنبوته ورسالته ثم ختم ذلك بقوله ﴿ هذا صراط مستقيم ﴿ يعنى التوحيد ﴿ قوله عز وجل ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر ﴿ أى وجد وعرف وقيل رأى والاحساس عبارة عن وجدان الشئ بالحاسة والمعنى انهم تكلموا بكلمة الكفر فأحس ذلك عيسى منهم وعرف اصرارهم عليه وعزمهم على قتله

ذكر سبب القصة

قال أهل الاخبار والسير لما بعث الله عيسى الى بنى اسرائيل وأمره باظهار رسالته والدعاء اليه نفوه وأخرجوه من بينهم فخرج هو وأمه يسحان في الارض فنزل في قرية على رجل فاضافهم وأحسن اليهم وكان لتلك القرية ملك جبار معتد فجاء ذلك الرجل في بعض الايام وهو مهموم حزين فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت مريم ماشأن زوجك أراه كئيبا حزينا فقالت لا تسألني فقالت مريم أخبريني لعل الله ان يفرج كربته قالت المرأة ان لنا ملكا جبارا وقد جعل على كل رجل منا يوما يطعمه فيه هو وجنوده ويسقيم الخمر وان لم يفعل ذلك عاقبه واليوم نوبتنا وليس عندنا سعة لذلك فقالت لها قولي له لا يهتلك فاننا امرأتي ان يدعو له فيكفي ذلك ثم قالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر فقالت مريم لانبأى فانه قد أحسن الينا وأكرمنا فقال عيسى قولي له اذا قرب ذلك الوقت فاملاء قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمني ففعل الرجل ذلك ثم دعا الله عيسى عليه الصلاة والسلام فبحول ماء القدور مرقا ولحما وماء الخوابي خرا لم تر الناس مثله فلما جاء الملك وأكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من أين لك هذا الخمر فقال الرجل هو من أرض كذا فقال الملك ان خري من تلك الارض وليست مثل هذه فقال هي من أرض أخرى فلما رآه الملك قد اختلط شدد عليه فقال الرجل أنا أخبرك ان عندى غلاما لا يسأل الله شيأ الا أعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل الماء خرا وكان

(هذا صراط مستقيم) يؤدي صاحبه الى النعيم المقيم (فلما أحس عيسى منهم الكفر) علم من اليهود كفرا علملا شبهة فيه كعلم ما يدرك (هذا) التوحيد (صراط مستقيم) دين قائم يرضاه وهو الاسلام (فلما أحس) علم (عيسى منهم الكفر) ورأى منهم القتل حين أرادوا قتله ويقال أحس

بالحواس ﴿قال من أنصاري الى الله﴾ ملتجئاً الى الله سبحانه وتعالى أو ذاهباً اليه أو ضمناً اليه ويجوز أن يتعلق الجار بانصاري مضمناً معنى الاضافة أي من الذين يضيفون أنفسهم الى الله في نصرى وقيل الى ههنا بمعنى مع أوفى أو اللام ﴿قال الحواريون﴾ حوارى الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات خلوص أولوانهن سمي به أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام خلوص نيتم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى عليه الصلاة والسلام من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب أى يبيضونها ﴿نحن أنصار الله﴾ أى انصار دينه

بالحواس (قال من أنصاري)
مدنى وهو جمع ناصر
كأصحاب أو جمع نصير
كأشراف (الى الله) يتعلق
بمحذوف حال من الباء أى
من أنصاري ذاهباً الى الله
ملتجئاً اليه (قال الحواريون)
حوارى الرجل صفوته
وخاصته (نحن أنصار الله)
أعوان دينه

سمع منهم تكرار الكفر (قال)
عيسى (من أنصاري) من
اعوانى (الى الله) مع الله
على أعدائه (قال الحواريون)
أصفياءه القصارون وهم
اثنا عشر رجلاً (نحن
أنصار الله) أعوانك مع الله

للملك ابن يريد ان يستخلفه في ملكه وقدمات قبل ذلك بأيام وكان يحبه جبا شديدا فقال الملك ان رجلا دعا الله تعالى حتى صار الماء خرا بدعوته ليستجيب له في احياء ابني فطلب عيسى وكله في ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش وقع شرف قال الملك لا أبالي أليس أراه فقال عيسى ان أنا أحييته تركنى أنا وأبى نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكة الرجل قد عاش تبادروا الى السلاح وقالوا قد أكلنا هذا الملك حتى اذا دنا أجله يريد ان يستخلف علينا ابنه فيا أكلنا كما أكلنا أبوه فقتلوه وظهر أمر عيسى فقصدوا قتله وكفروا به وقيل ان اليهود كانوا عارفين بانه المسيح المبشر به في التوراة وانه ينسخ دينهم فلما أظهر عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم فاخذوا في أذاه وطلبوا قتله وكفروا به فاستنصر عليهم كما أخبر الله عز وجل عنه بقوله ﴿قال﴾ يعنى عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿من أنصاري الى الله﴾ أى مع الله وقيل معناه الى ان أبين أمر الله وأظهر دينه وقيل الى بمعنى فى أى فى ذات الله وسيله وقيل الى فى موضعها والمعنى من يضم نصرته الى نصره الله الى ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾ وذلك ان عيسى عليه الصلاة والسلام لما دعا بنى اسرائيل الى الله تعالى وتمردوا عليه وكفروا به خرج يسوع فى الارض فرج جماعة يصطادون السمك وكانوا اثني عشر ورؤسهم شمعون ويعقوب فقال عيسى عليه الصلاة والسلام ماتصنعون قالوا نصيد السمك قال أفلا تمشون حتى نصيد الناس قالوا ومن أنت قال أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فسألوه آية تدلهم على صدقه وكان شمعون قد رمى بشبكته فى الماء فدعا الله عيسى فاجتمع فى تلك الشبكة من السمك ما كادت تمزق من كثرتة فاستعانوا بأهل سفينة أخرى وملؤا السفينتين من السمك فعند ذلك آمنوا به وانطلقوا معه واختلف فى الحوارين فقيل كانوا يصطادون السمك فلما آمنوا بعيسى صاروا يصطادون الناس ويهدونهم الى الدين سمو حواريين لبياض ثيابهم يقال حورت الشئ بمعنى بيضته وقيل كانوا قصارين سمو بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب أى يبيضونها وقيل ان مريم سلمت عيسى الى أعمال شتى فكان آخر من سلمته اليه الحوارين وكانوا قصارين وصبغين فدفعته الى رؤسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الصنعة وأنا خارج الى السفر ولا أرجع الى عشرة أيام وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد علمت

﴿ آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾ لتشهد لنا يوم القيامة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ أى مع الشاهدين بوحدايتك أومع الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذين يشهدون لاتباعهم أو أمة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس ﴿ ومكروا ﴾ أى الذين أحس منهم الكفر من اليهود بأن وكلوا عليه من يقتله غيلة كل واحد منها يخيط على اللون الذى يصبغ به فأريد ان تفرغ منها وقت قدومى وخرج المعلم الى سفره فطبخ عيسى حبا واحدا على لون واحد وأدخل فيه جميع الثياب وقال كوني بأذن الله على ما أريد منك ثم قدم الحواري والثياب كلها فى الحب فقال لعيسى ما فعلت قال قد فرغت منها قال وأين هى قال فى الحب قال كلها قال نعم قال لقد افسدت على الثياب قال عيسى لا ولكن قم فانظر وقام عيسى وأخرج ثوبا أحمر وثوبا أخضر وثوبا أصفر وثوبا أسود حتى أخرجها كلها على الالوان التى يريد الحواري فجعل الحواري يتجيب من ذلك وعلم ان ذلك من الله تعالى فقال للناس تعالوا فانظروا فآمن به هو وأصحابه وهم الحواريون وقيل سمو احواريين لصفاء قلوبهم ولما ظهر عليهم من أثر العبادة ونورها رقيق الحواريون الاصفياء وكانوا أصفياء عيسى وخاصة وقيل الحواريون هم الخلفاء وقيل هم الوزراء وكانوا خلفاء عيسى ووزراءه وقيل الحواريون هم الانصار والحواري الناصر والحواري الرجل الذى يستعان به ﴿ ق ﴾ عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال نذب النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم نذبهم فانتدب الزبير ثم نذبهم فانتدب الزبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواري وحواري الزبير قال الحواريون نحن انصار الله يعنى أنصار دين الله ورسوله وأعوانه ﴿ آمنا بالله ﴾ أى صدقنا بان الله ربنا ورب كل شئ ﴿ واشهد ﴾ يعنى أنت يا عيسى ﴿ بأنا مسلمون ﴾ قيل معناه وأشهد بأنا منقادون لما تريد من نصرتك والذب عنك ومستسلمون لامر الله عز وجل وقيل هو اقرار منهم بأن دينهم الاسلام وأنه دين عيسى وكل الانبياء قبله لاليهودية والنصرانية ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت ﴾ يعنى قال الحواريون بعد اشهاد عيسى عليهم بانهم مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت يعنى بكتابك الذى أنزلته على عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ واتبعنا الرسول ﴾ يعنى عيسى ﴿ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ يعنى الذين شهدوا لانبيائك بالصدق واتبعوا أمرك ونهيك فثبت أسماءنا مع أسمائهم واجعلنا فى عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به وهذا يقتضى ان يكون للشاهدين الذين سأل الحواريون أن يكونوا معهم مزيد فضل عليهم فلهمنا قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله فاكتبنا مع الشاهدين أى مع محمد صلى الله عليه وسلم وأمه لانهم المخصوصون بتلك الفضيلة فانهم يشهدون للرسول بالبلاغ وقيل مع الشاهدين يعنى النبيين لان كل نبي شاهد على أمته ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ومكروا ﴾ يعنى كفار بنى اسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر واصل المكر صرف الغير عما يقصده بضرب من الحيلة وقيل هو السعى بالفساد فى الخفية فاما مكرهم بعيسى فانهم دبوا فى قتله وهموا به وذلك ان عيسى عليه الصلاة والسلام بعد ان أخرجه قومه هو وأمه رجع مع الحواريين وصاح فيهم

(آمنا بالله واشهد) يا عيسى
(بأنا مسلمون) انما طلبوا
شهادته باسلامهم تأكيدا
لايمانهم لان الرسل يشهدون
يوم القيامة لقومهم وعليهم
وفيه دليل على أن الايمان
والاسلام واحد (ربنا
آمنا بما أنزلت واتبعنا
الرسول) أى رسولك
عيسى (فاكتبنا مع
الشاهدين) مع الانبياء
الذين يشهدون لامهم
أومع الذين يشهدون لك
بالوحدانية أومع أمة محمد
عليه السلام لانهم شهداء
على الناس (ومكروا) أى
كفار بنى اسرائيل الذين
أحس منهم الكفر حين
على اعدائه (آمنا بالله
واشهد) اعلم أنت يا عيسى
(بأنا مسلمون) مقرون لله
بالعبادة والتوحيد (ربنا)
ياربنا (آمنا بما أنزلت)
من الكتاب يعنى الانجيل
(واتبعنا الرسول) دين
الرسول عيسى (فاكتبنا
مع الشاهدين) فاجعلنا
من السابقين الاولين
الذين شهدوا قبلنا ويقال
فاجعلنا من أمة محمد صلى الله
عليه وسلم (ومكروا)
أرادوا يعنى اليهود قتل

﴿ومكر الله﴾ حين رفع عيسى عليه الصلاة والسلام وألقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل
والمكر من حيث أنه في الأصل حيلة يجلب بها غيره الى مضره لا يسند الى الله تعالى الاعلى
سبيل المقابلة والازدواج ﴿والله خير الماكرين﴾ أقواهم مكر أو أقدرهم على ايصال الضرر

بالدعوة وأظهر رسالته اليهم فهموا بقتله والفتك به فذلك مكرهم والمكر من الخلق
الخبث والخذية والحيلة ﴿ومكر الله﴾ أى جازاهم على مكرهم فسمى الجزاء باسم
الابتداء لانه في مقالته وقيل مكر الله استدراج العبد وأخذة بقتة من حيث لا يحتسب
ومكر الله في هذه الآية خاصة هو ألقاء الشبه على صاحبهم الذى دلهم على عيسى حين
أرادوا قتله حتى قتل قال ابن عباس رضى الله عنهما ان عيسى عليه الصلاة والسلام استقبل
رهطاً من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقد فوه
وأمه فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم ولعنهم فسحوا خنازير فلما رأى ذلك يهوداً رأس اليهود
وملكهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وناروا اليد ليقتلوه
فبعث الله عز وجل جبريل فادخله خوخة في سقفها روزنة فرفعه الله من تلك الروزنة
وأمر يهوداً ملك اليهود رجلاً من أصحابه يقال له ططيانوس ان يدخل الخوخة فيقتله
فيها فلما دخل لم ير عيسى وأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها وألقى الله عليه شبه عيسى
فلما خرج ظنوا أنه عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه قال وهب بن منبه ان اليهود طرقوا
عيسى في بعض الليل ونصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فاظلمت الارض وأرسل الله عز
وجل الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى عليه السلام الحواريين تلك الليلة وأوصاهم
وقال ليكفرن بى أحدكم قبل أن يصبح الديك وبيعتى بدرهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا
وكانت اليهود تطلبه فأتى أحد الحواريين الى اليهود وقال مات جمعولون لى ان دلتكم على المسيح
فجعلوا له ثلاثين درهماً فأخذها ودلهم عليه فلما دخل البيت الذى فيه المسيح ألقى الله شبه
عيسى عليه الصلاة والسلام عليه ورفع الله عيسى عليه السلام وأخذ الذى دل عليه
فقال أنا الذى دلتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما
صلب الذى ألقى عليه شبه عيسى جاءت مريم وامرأة أخرى كان عيسى دعاها فأبرأها الله
من الجنون بدعوتها فجعلتا تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى عليه الصلاة والسلام وقال
على من تبكيان ان الله عز وجل قدر فنى ولم يصبني الاخير وهذا شئ شبه لهم فلما كان
بمد سبعة أيام قال الله تعالى لعيسى اهبط الى مريم المجدلانية وهو اسم موضع نسبت
اليه فانه لم يبك عليك أحد بكاه ولم يحزن عليك أحد حزنها ثم تجتمع لك الحواريين
فبشهم في الارض دعاة الى الله عز وجل فأهبطه الله عز وجل عليها فاشتعل الجبل نورا
حين هبط فجمعت له الحواريين فبشهم دعاة في الارض ثم رفعه الله فلك الليلة التى تدخن
فيها النار فلما أصبح الحواريون تكلم كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى اليهم
فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله ﴿والله خير الماكرين﴾ يعنى وهو أفضل المجازين
بالسيئة العقوبة وقال السدي إن اليهود حبست عيسى عليه الصلاة والسلام في بيت

أرادوا قتله وصلبه (ومكر
الله) أى جازاهم على
مكرهم بأن رفع عيسى
الى السماء وألقى شبهه
على من أراد اغتياله حتى
قتل ولا يجوز اضافة المكر
الى الله تعالى الاعلى معنى
الجزاء لانه مذموم عند
الخلق وعلى هذا الخداع
والاستهزاء كذا في شرح
التأويلات (والله خير
الماكرين) أقوى المجازين
وأقدرهم على العقاب من
عيسى (ومكر الله) أراد
الله قتل صاحبهم ططيانوس
(والله خير الماكرين)
أقوى المرادين ويقال

من حيث لا يحتسب ﴿أذ قال الله﴾ ظرف لمكر الله أو خير الماكرين أو لمضمحل مثل وقع ذلك ﴿يا عيسى أنى متوفيك﴾ أى مستوفى أجلك ومؤخر ك الى أجلك المسمى عاصما أياك من قتلهم أو قابضك من الارض من توفيت مالى أو متوفيك نائما اذ روى انه رفع نائما أو يميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل أماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهب النصارى ﴿ورافعك الى﴾ الى محل كرامتى ومقر ملائكتى

ومعه عشرة من الحواريين فدخل عليهم رجل منهم وكان قد ناقق فالتى عليه شبيه عيسى فأخذ وقتل وصلب وقال قتادة ذكر لنا أن نبى الله عيسى عليه الصلاة والسلام قال لاصحابه أياكم يقذف عليه شبيهى فانه مقتول فقال رجل منهم أنا يا نبى الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعته اليه وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش وصار أنسيا ملكا أرضيا سماويا قال أهل التاريخ حلت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولده بيت لحم من أرض أورى شلم لمضى خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل وأوحى الله الى عيسى على رأس ثلاثين سنة ورفعته الله من بيت المقدس ليلة القدر من رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين ﴿قوله عز وجل﴾ أذ قال الله يا عيسى أنى متوفيك ورافعك الى ﴿اختلفوا في معنى التوفى هنا على طريقتين * فالطريق الاول ان الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير وذكرها في معناها وجوها * الاول معناه انى قابضك ورافعك الى من غير موت من قولهم توفيت الشئ واستوفيته اذا أخذته وقبضته تاما والمقصود منه هنا أن لا يصل أعداؤه من اليهود اليه بقتل ولا غيره * الوجه الثانى ان المراد بالتوفى النوم ومنه قوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فجعل النوم وفاة وكان عيسى قد نام فرفعه الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف فعنى الآية انى منيتك ورافعك الى * الوجه الثالث ان المراد بالتوفى حقيقة الموت قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه انى يميتك قال وهب بن منبه ان الله توفى عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم أحياه ثم رفعه اليه وقيل ان النصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفعته اليه * الوجه الرابع ان الواو في قوله ورافعك الى لاتفيد الترتيب والآية تدل على أن الله تعالى يفعل به ما ذكر فاما كيف يفعل ومتى يفعل فالامر فيه موقوف على الدليل وقد ثبت في الحديث أن عيسى سينزل ويقتل الدجال وسنذكره ان شاء الله تعالى * الوجه الخامس قال أبو بكر الواسطى معناه انى متوفيك عن شهواتك وعن حظوظ نفسك ورافعك الى وذلك ان عيسى عليه الصلاة والسلام لما رفع الى السماء صارت حالته حالة الملائكة في زوال الشهوة * الوجه السادس ان معنى التوفى أخذ الشئ وافيا ولما علم الله تعالى ان من الناس من يخطر بباله ان الذى رفعه الله اليه هو روحه دون جسده كما زعمت النصارى ان المسيح رفع لاهوته يعنى روحه وبقي

حيث لا يشعر المعاقب (أذ قال الله) ظرف لمكر الله (يا عيسى أنى متوفيك) أى مستوفى أجلك ومعناه أنى عاصمك من أن تقتلك الكفار ويميتك حتف أنفك لاقتلا بأيديهم (ورافعك الى) الى سمائى ومقر ملائكتى

أفضل الصانعين أذ قال الله يا عيسى أنى متوفيك ورافعك (مقدم ومؤخر يقول انى رافعك الى)

من سوء جوارهم وخبث
صحبتهم وقيل متوفيك قابضك
من الارض من توفيت مالى
على فلان اذا استوفيته أو
ميتك في وقتك بعد النزول
من السماء ورافك الآن
اذا الواو لا توجب الترتيب
قال النبي عليه السلام ينزل
عيسى خليفة على أمي يدق
الصليب ويقتل الخنازير
ويلبث أربعين سنة ويتزوج
ويولد له ثم يتوفى وكيف
تهلك أمة أنا في أولها وعيسى
في آخرها والمهدى من
أهل بيتي في وسطها أو
متوفى نفسك بالنوم ورافك
وأنت نائم حتى لا يلحقك
خوف وتستيقظ وأنت
في السماء آمن مقرب
(وجاعل الذين اتبعوك)
أى المسلمين لانهم متبعوه في
أصل الاسلام وان اختلفت
الشرائع دون الذين كذبوه
وكذبوا عليه من اليهود
والنصارى (فوق الذين
كفروا) بك (الى يوم
القيامة) يعلونهم بالحجة وفي
أكثر الاحوال بها وبالسيف
ومطهرك (منجيك) من
الذين كفروا) بك (وجاعل
الذين اتبعوك) اتبعوا دينك
(فوق الذين كفروا) بالحجة
والنصرة (الى يوم القيامة)

ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم أو قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق
الذين كفروا الى يوم القيامة يعلونهم بالحجة أو السيف في غالب الامر و متبعوه
من أقر بنبوته من المسلمين والنصارى والى الآن لم يسمع أغلبية اليهود عليهم ولم يتفق لهم
في الارض ناسوته يعنى جسده فرد الله عليهم بقوله أنى متوفيك ورافك الى فأخبر الله
أنه رفعه بتمامه الى السماء بروحه وجنده جميعا الطريق الثانى ان فى الآية تقديم
وتأخيرا تقديره أنى رافك الى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك
الى الارض وقيل لبعضهم هل تجدد نزول عيسى الى الارض فى القرآن قال نعم قوله تعالى
وكهلاو ذلك لانه لم يكتمل فى الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء (ق) عن أبى
هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليوشكن
أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنازير ويضع الجزية
ويفيض المال حتى لا يقبله أحد * زاد فى رواية حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من
الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وان من أهل الكتاب الا يؤمن به قبل
موته * وفى رواية كيف أنتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم * وفى رواية فامكم منكم
قال ابن أبى ذؤيب تدرى ما أمكم منكم قلت فاجبرنى قال فامكم بكتاب ربكم عز وجل
وبسنة نبىكم صلى الله عليه وسلم * وفى أفراد مسلم من حديث النراس بن سمان قال فيبيناهما
كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام فينزل عند المنارة البيضاء شرق
دمشق * عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بينى
وبينه يعنى عيسى نبي وانه نازل فاذا رأيتموه فاغرفوه فانه رجل مربوع الى الحجر
والبياض ينزل بين مصرتين كان رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام
فيدق الصليب ويقتل الخنازير ويضع الجزية ويهلك الله الملل فى زمانه كلها الا الاسلام
ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث فى الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون
أخرجه أبو داود ونقل بعضهم ان عيسى عليه الصلاة والسلام يدفن فى حجرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيقوم أبو بكر وعمر يوم القيامة بين نبين محمد وعيسى عليهما الصلاة
والسلام * قوله عز وجل ومطهرك من الذين كفروا يعنى مخرجك من بينهم
ومنجيك منهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين اتبعوك الى يوم القيامة يعنى
وجاعل الذين اتبعوك فى التوحيد وصدقوا قولك وهم أهل الاسلام من أمة محمد
صلى الله عليه وسلم فوق الذين كفروا بالعز والنصر والغلبة بالحجة الظاهرة وقيل هم
الحواريون الذين اتبعوا عيسى على دينه وقيل هم النصارى فهم فوق اليهود وذلك
لان ملك اليهود قد ذهب ولم يبق لهم مملكة وملك النصارى باق فعلى هذا القول يكون
الاتباع بمعنى المحبة والادعاء لاتباع الدين لان النصارى وان أظهروا متابعة عيسى
عليه الصلاة والسلام فهم أشد مخالفة له وذلك ان عيسى عليه الصلاة والسلام لم يرض
بماهم عليه من الشرك والقول الاول هو الاصح لان الذين اتبعوه هم الذين شهدوا له

ثم متوفيك قابضك بعد النزول ويقال متوفى قلبك من حب الدنيا

(ثم إلى مرجعكم) في الآخرة (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنوفهم أجورهم والله لا يحب الظالمين) وتفسير الحكم هاتان الآيتان فيوفهم حفص { الجزء الثالث } (ذلك) إشارة إلى ﴿ ٥٠٨ ﴾ . ماسبق من نبأ عيسى وغيره وهو

ملك ودولة ﴿ ثم إلى مرجعكم ﴾ الضمير لعيسى عليه الصلاة والسلام ومن تبعوه ومن كفر به وغلب المخاطبين على الغائبين ﴿ فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ من أمر الدين ﴿ فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنوفهم أجورهم ﴾ تفسير للحكم وتفصيل له * وقرأ حفص فيوفهم بالياء ﴿ والله لا يحب الظالمين ﴾ تقرير لذلك ﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى ماسبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره ﴿ نتاوه عليك ﴾ وقوله ﴿ من الآيات ﴾ حال من الهاء ويجوز أن يكون الخبر ونتاوه حالاً على أن العامل معنى الإشارة وإن يكونا خبرين وإن ينتصب بمضمير يفسره نتاوه ﴿ والذكر الحكيم ﴾ المشتمل على الحكم أو المحكم

بأنه عبد الله ورسوله وكتبه وهم المسلمون وملكهم باق إلى يوم القيامة ﴿ ثم إلى مرجعكم ﴾ يعني يقول الله عز وجل إلى مرجع الفريقين في الآخرة الذين اتبعوا عيسى وصدقوا به والذين كفروا به ﴿ فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ يعني من الحق في أمر عيسى ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى ﴿ فأما الذين كفروا ﴾ يعني الذين جمعوا نبوة عيسى وخالفوا ملته وقالوا فيه ما قالوا من الباطل ووصفوه بما لا ينبغي من سائر اليهود والنصارى ﴿ فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا ﴾ يعني بالقتل والسبي والذلة وأخذ الجزية منهم ﴿ والآخرة ﴾ أي وأعذبهم في الآخرة بالنار ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ يعني مانعين يمنعونهم من عذابنا ﴿ وأما الذين آمنوا ﴾ يعني بعيسى عليه الصلاة والسلام وصدقوا بنبوته وإنه عبد الله ورسوله وكتبه ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ يعني عملوا بما فرضت عليهم وشرعت لهم ﴿ فيوفهم أجورهم ﴾ يعني جزاء أعمالهم لا ينقص منه شيء ﴿ والله لا يحب الظالمين ﴾ أي لا يجب من ظلم غيره حقاله أو وضع شيئاً في غير موضعه والمعنى أنه تعالى لا يرحمهم ولا يثني عليهم بحجبل ثم قال تعالى ﴿ ذلك ﴾ يعني الذي ذكرته لك من أخبار عيسى وأمه مريم والحواريين وغير ذلك من القصص ﴿ نتاوه عليك ﴾ أي نخبرك به يا محمد على لسان جبريل وإنما أضاف ما نتاوه جبريل عليه السلام إلى نفسه سبحانه وتعالى لأنه من عنده وبأمره من غير تفاوت أصلاً فإضافته إليه ﴿ من الآيات ﴾ يعني من القرآن وقيل الآيات يعني العلامات الدالة على نبوتك يا محمد لأنها أخبار لا يعلمها إلا من بقرأ ويكتب أو نبي يوحى إليه وأنت أمي لا تقرأ ولا تكتب فثبت أن ذلك من الوحي السماوي الذي أنزل عليك ﴿ والذكر الحكيم ﴾ أي المحكم الممنوع من الباطل قيل المراد من الذكر الحكيم القرآن لأنه حاكم يستفاد منه جميع الأحكام وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ الذي منه تنزلت جميع كتب الله على رساله وهو لوح من درة بيضاء معلق بالعرش

مبتدأ (نتاوه عليك) خبره (من الآيات) خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف (والذكر الحكيم) القرآن يعني المحكم أو وكأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ونزل لما قال وفد بني نجران هل

ثم إلى مرجعكم) بعد الموت (فأحكم بينكم) فاقضى بينكم (فيما كنتم فيه) في الدين (تختلفون) تخاصمون (فأما الذين كفروا) بالله ورسوله محمد وعيسى (فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا) بالسيف والجزية (والآخرة) بالنار (وما لهم من ناصرين) من مانعين من عذاب الله في الدنيا والآخرة (وأما الذين آمنوا) بالله والكتساب والرسول محمد وعيسى (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم خالصاً (فيوفهم) يوفهم (أجورهم) ثوابهم في الجنة يوم القيامة (والله لا يحب الظالمين) المشركين بظلمهم وشركهم (ذلك) الذي ذكرت يا محمد من خبر عيسى (نتاوه عليك) نزل عليك جبريل

به (من الآيات) يقول من آيات القرآن بالامر والنهي (والذكر الحكيم) المحكم بالحلال والحرام (قوله) ويقال موافقاً للتوراة والإنجيل ويقال للوح المحفوظ ثم بين تخليق عيسى بلا أب لقول وفد بني نجران

رأيت ولدا ﴿ ٥٠٩ ﴾ بلاأب (أن مثل { سورة آل عمران } عيسى عندالله كمثل آدم)

أي ان شأن عيسى وجاهه الغريبة كشأن آدم عليه السلام (خلقه من تراب) قدره جسدا من طين وهي جملة مفسرة لخالفه عيسى بآدم ولا موضع لها أي خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم فكذلك حال عيسى مع ان الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالاعرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو أغرب مما استغرب به وعن بعض العلماء انه أسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لأب له قال فآدم أولى لانه لأبوين له قالوا كان يحيى الموتى قال فحزقيل أولى لان عيسى أحيى أربعة نفر وحزقيل ثمانية الآف فقالوا كان يبرئ الاكاه والابرص قال فحزقيل أولى لانه طبخ وأحرق ثم قام سالما (ثم قال له كن)

المنوع من تطرق الخلال اليه يريد به القرآن وقيل اللوح ﴿ أن مثل عيسى عندالله كمثل آدم ﴾ أي شأنه الغريب كشأن آدم عليه الصلاة والسلام ﴿ خلقه من تراب ﴾ جملة مفسرة للتمثيل مينة لالله الشبه وهو انه خلق بلاأب كما خلق آدم من التراب بلاأب وأم شبه حاله بما هو أغرب منه أفحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قلبه من التراب ﴿ ثم قال له كن ﴾ أي أنشأه بشرا كقوله ثم أنشأناه خلقا آخر

﴿ قوله عز وجل ﴾ أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ﴿ الآية ﴾ أجمع أهل التفسير ان هذه الآية نزلت في محاجة نصارى وفد نجران قال ابن عباس رضى الله عنهما ان رهطا من أهل نجران قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما شأنك تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا عيسى تزعم انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجل انه عبد الله فقالوا له فهل رأيت له مثلا أو أبنت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل عليه السلام فقال له قل لهم اذا أتوك ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه عبد الله ورسوله ولكنه ألقاها الى مريم العذراء البتول ففضبوا وقالوا يا محمد هل رأيت انسانا قط من غير أب فأنزل الله تعالى ان مثل عيسى عندالله أي في الخلق والانشاء في كونه خلقه من غير أب كمثل آدم في كونه خلقه من تراب من غير أب وأم ومعنى الآية ان صفة خلق عيسى من غير أب كصفة آدم في كونه خلقه من تراب لان أب وأم فمن أفر بان الله خلق آدم من التراب اليابس وهو أبلغ في القدرة فلم لا يقر بان الله خلق عيسى من مريم من غير أب بل الشأن في خلق آدم أعجب وأغرب وتم الكلام عند قوله كمثل آدم لانه تشبيه كامل ثم قال تعالى خلقه من تراب فهو خير مستأنف على جهة التفسير لحال خلق آدم في كونه خلقه من تراب أي قدره جسدا من طين ﴿ ثم قال له كن ﴾ أي أنشأه خلقا بالكلمة وكذلك عيسى أنشأه خلقا بالكلمة فعلى هذا القول ذكروا في الآية اشكالا وهو انه تعالى قال خلقه من تراب ثم قال له كن فهذا يقتضى أن يكون خلق آدم متقدما على قوله كن ولا تكونين بعد الخلق وأحيب عن هذا الاشكال بان الله تعالى أخبر بأنه خلقه من تراب لان من ذكر وأتى ثم ابتداء خبرا آخر فقال اني أخبركم أيضا اني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة ويحتمل أن يكون المراد انه تعالى خلقه جسدا من تراب ثم قال له كن بشرا فكان فيصح النظم وقيل الضمير في قوله كن يرجع الى عيسى عليه الصلاة والسلام وعلى هذا فلا اشكال في الآية * فأن قلت كيف شبه عيسى عليه الصلاة والسلام بآدم عليه الصلاة والسلام وقد وجد عيسى من غير أب ووجد آدم من غير أب ولا أم * قلت هو مثله في أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبهه في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستقرة وهما في ذلك نظيران لان الوجود من غير أب وأم أغرب في العادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالاعرب ليكون

أنتنا بحجة من القرآن على قولك ان عيسى ليس ولدا لله فقال الله (أن مثل عيسى) مثل تخلق عيسى (عندالله) بلاأب (كمثل آدم خلقه من تراب) بلاأب وأم (ثم قال له) لعيسى (كن)

أى أنشأ بشرا (فيكون) أى فكان وهو حكاية حال ماضية وثم لترتيب الخبر على الخبر لا لترتيب الخبر عند (الحق من ربك) خبر مبتدأ محذوف أى هو الحق (فلا تكن) أيها السامع (من الممتزين) الشاكين ويحتمل أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويكون { الجزء الثالث } من باب التمهيج لزيادة ﴿ ٥١٠ ﴾ الثبات لأنه عليه السلام معصوم من الإثماء (فن حاجك) من النصارى (فيه) فى عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) من الينيات الموجبة للعلم وما معنى الذى (فقل تعالوا) هلموا والمراد بالمجيء العزم والرأى كما تقول تعال نتفكر فى هذه المسئلة (ندع أبناءكم ونساءنا ونساءكم) أى يدع كل منا ومنكم أنفسنا وأهلنا وأصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وإنما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ﴿ ثم يتهل ﴾ أى يتباهل بأن نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة وأصله الترك من قولهم أبهلت الناقة اذا تركتها بلاصرار

أوفدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر لا الخبر ﴿ فيكون ﴾ حكاية حال ماضية ﴿ الحق من ربك ﴾ خبر مبتدأ محذوف أى هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره أى الحق المذكور من الله تعالى ﴿ فلا تكن من الممتزين ﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم عن طريقة التمهيج لزيادة الثبات أولكل سامع ﴿ فن حاجك ﴾ من النصارى ﴿ فيه ﴾ فى عيسى ﴿ من بعد ما جاءك من العلم ﴾ أى من الينيات الموجبة للعلم ﴿ فقل تعالوا ﴾ هلموا بالرأى والعزم ﴿ ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ﴾ أى يدع كل منا ومنكم أنفسنا وأهلنا وأصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وإنما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ﴿ ثم يتهل ﴾ أى يتباهل بأن نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة وأصله الترك من قولهم أبهلت الناقة اذا تركتها بلاصرار

أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه وحكى ان بعض العلماء أسر فى بعض بلاد الروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لأب له قال فآدم أولى لانه لأب له ولأأم قالوا وكان يحيى الموتى فقال حزقيل أولى لان عيسى أحيى أربعة نفر وأحيى حزقيل أربعة آلاف قالوا وكان يبرىء الأكمة والابرص قل فخرجيس أولى لانه طنج وأحرق ثم قام سليما ﴿ قوله عز وجل كن ﴾ ﴿ فيكون ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه كن فكان فأريد بالمستقبل الماضى وقيل معناه ثم قال له كن واعلم يا محمد ان ما قاله ربك كن فانه يكون لامحالة ﴿ الحق من ربك ﴾ الذى أخبرتك به من تمثيل عيسى بآدم هو الحق من ربك ﴿ فلا تكن من الممتزين ﴾ أى من الشاكين ان ذلك كذلك وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فهو كقوله تعالى يا أيها النبي اذا طلقت النساء والمعنى فلا تكن من الممتزين يا أيها السامع كأننا من كان لهذا التمثيل والبرهان الذى ذكر فهو من باب التمهيج لزيادة الثبات والظماينة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ فن حاجك فيه ﴾ أى فن جادلك فى عيسى وقيل فى الحق ﴿ من بعد ما جاءك من العلم ﴾ يعنى بأن عيسى عبد الله ورسوله ﴿ فقل تعالوا ﴾ أى هلموا والمراد منه المجيئ وأصله من العلو بالرأى والعزم كما تقول تعال نتفكر فى هذه المسئلة ﴿ ندع أبناءنا وأبناءكم ﴾ أى يدع كل منا ومنكم أبناءنا ﴿ ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ﴾ قيل أراد بالابناء الحسن والحسين والنساء فاطمة وبالنفس نفسه صلى الله عليه وسلم وعليها رضى الله عنه وقيل على العموم لجماعة أهل الدين ﴿ ثم يتهل ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما نتضرع فى الدعاء وقيل معناه نتجهد ونبالغ فى الدعاء وقيل معناه نلتعن والابتها

من الإثماء (فن حاجك) من النصارى (فيه) فى عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) من الينيات الموجبة للعلم وما معنى الذى (فقل تعالوا) هلموا والمراد بالمجيء العزم والرأى كما تقول تعال نتفكر فى هذه المسئلة (ندع أبناءكم ونساءنا ونساءكم) أى يدع كل منا ومنكم أبناءنا ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) أى يدع كل منا ومنكم أبناءنا ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم (ثم يتهل) ثم يتباهل

فيكون) ولدا بلا أب (الحق) هو الخبر الحق (من ربك) ان عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه (فلا تكن من الممتزين) من الشاكين فيما بينت لك من تخليق عيسى بلاأب * ثم ذكر خصومة وفد بنى نجران مع النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما بين لهم ان مثله عند الله كمثل آدم فقالوا ليس كما تقول ان عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه فقال الله (فن حاجك فيه)

فن خاصمك فيه فى عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) من البيان بأن عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا (الاتعان) شريكه (فقل تعالوا ندع أبناءنا) نخرج أبناءنا (وأبناءكم) أخرجوا أئتم أبناءكم (ونساءنا) نخرج نساءنا (ونساءكم) أخرجوا أئتم نساءكم (وأفئسنا) نخرج بأفئسنا (وأفئسكم) أخرجوا أئتم بأفئسكم (ثم يتهل) نتضرع ونتجهد

أبن تقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعندوا بعده من رحته وأصل الابتهاال هذا ثم يستعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانوروى انه عليه السلام لمادعاهم الى المباهلة قالوا حتى ننظر فقال العاقب وكان ذارأيهم والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل وما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا بنت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان أبيتهم الألف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا للحسين آخذنا بيد الحسن ﴿٥١١﴾ وفاطمة تمشى خلفه ﴿سورة آل عمران﴾ وعلى خلفها وهو يقول اذا غدا محتضنا للحسين آخذنا بيد الحسن ﴿٥١١﴾ وفاطمة تمشى خلفه ﴿سورة آل عمران﴾ وعلى خلفها وهو يقول اذا

أنا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سأوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا قتلها ولا يبق على وجه الارض نصرانى فقالوا يا أبا القاسم رأينا أن لا تباهلك فصالحهم النى على ألقى حلة كل سنة فقال عليه السلام والذي نفسى بيده ان الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لا عنوا المسخوفا قدوة وخنازير وانما ضم الابناء والنساء وان كانت المباهلة مختصة به وبمن يكاذبه لان ذلك أكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرا على تعريض أعزته واهلها ذكبه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته ان تمت المباهلة وخص الابناء

﴿فجعل لعنت الله على الكاذبين﴾ عطف فيه بيان روى انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذارأيهم ماترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل فى أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الاهلكوا فان أبيتهم الألف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد غدا محتضنا للحسين آخذنا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى رضى الله عنه خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فأمنوا فقال أسقفهم يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سأوا الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا قتلها فادعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبدلوا له الجزية ألقى حلة حراء

الاتعان يقال عليه بهلة الله أى لعنة الله ﴿فجعل لعنت الله على الكاذبين﴾ يعنى منا ومنكم فى أمر عيسى قال المفسرون لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فى أمرنا ثم نأتىك غدا فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رأيهم ماترى يا عبد المسيح قال لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولئن فعاتم ذلك لتهلكن فان أبيتهم الا الاقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى يمشى خلفها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم اذا دعوت فأمنوا فلما أرم أسقف نجران قال يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سأوا الله ان يزيل جبلا لازاله من مكانه فلا تباهلوا قتلها ولا يبق على وجه الارض نصرانى الى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم قدرنا ان لا تباهلك وان نتركك على دينك وتتركنا على ديننا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أبيتهم المباهلة فاسلموا يكن لكم بالمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا ذلك فقال انى أنا جزكم فقالوا مالنا بحرب العرب طاقة ولكننا نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا وان نؤدى اليك فى كل سنة ألقى حلة ألف فى صفر وألف فى رجب* زاد فى رواية وثلاثا وثلاثين درعا عادية وثلاثا وثلاثين بعيرا وأربعا وثلاثين فرسا غازية فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذي نفسى بيده ان العذاب تدلى على أهل نجران ولو تالاعوا المسخوفا قدوة وخنازير ولاضطرم

والنساء لانهم أعز الاهل وأصقهم بالقلوب وقدمهم فى الذكر على الانفس لينبه على قرب مكانهم ومنزاتهم وفيه دليل واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يروا أحد من موافق أو مخالف انهم أجابوا الى ذلك (فجعل لعنت الله على الكاذبين) منا ومنكم فى شأن عيسى ونبهل ونجعل معطوفان على ندع

فى الدعاء (فجعل) فنقل (لعنت الله) فيما بيننا (على الكاذبين) على الله فى عيسى

(أن هذا) الذي قص عليك من نبأ عيسى (لهو القصص الحق) هو فصل بين اسم ان وخبرها أو مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر ان و جاز دخول اللام على الفصل لانه اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجوز لانه أقرب { الجزء الثالث } الى المبتدأ منه ﴿ ٥١٢ ﴾ وأصلها ان تدخل على المبتدأ ومن

وثلاثين درعا من حديد فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسى بيده لو تباهلوا لمسحوا قردة وخنزير ولا صطرم عليهم الوادى نارا ولا ستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته صلى الله عليه وسلم وفضل من أتى بهم من أهل بيته ﴿ أن هذا ﴾ أى ما قص من نبأ عيسى ومريم ﴿ لهو القصص الحق ﴾ بحملتها خبران أو هو فصل يفيد أن ما ذكره فى شأن عيسى ومريم حق دون ما ذكره وما بعده خبر واللام دخلت فيه على الفصل لانه أقرب الى المبتدأ من الخبر وأصلها ان تدخل على المبتدأ ﴿ وما من أله الا الله ﴾ صرح فيه بمن المزيده للاستغراق تأكيدا للرد على النصارى فى تليثهم ﴿ وأن الله لهو العزيز الحكيم ﴾ لا أحد سواه يساويه فى القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركة فى الالهية ﴿ فأن تولوا فأن الله عليم بالمفسدين ﴾ وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمير ليدل على ان التولى عن الحجج

عليهم الوادى نارا والاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا * فأن قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا يتبين الصادق من الكاذب منه ومن خصمه وذلك يختص به وبمن يباهله فامعنى ضم الابناء والنساء فى المباهلة * قلت ذلك أكد فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وافلاذ كبده وأحب الناس اليه فلذلك ضمهم فى المباهلة ولم يقتصر على تعريض نفسه لذلك وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك استئصال ان تمت المباهلة وانما خص الابناء والنساء لانهم أعز الاهل وأصقهم بالقلب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل وانما قدمهم فى الذكر على النفس لئيبه بذلك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو أحد من موافق ومخالف انهم أجابوا الى المباهلة لانهم عرفوا صحة نبوته وما يدل عليها فى كتبهم * قوله عز وجل ﴿ أن هذا ﴾ يعنى الذى قص عليك يا محمد من خبر عيسى عليه الصلاة والسلام وانه عبد الله ورسوله ﴿ لهو القصص الحق ﴾ وأصله من القص وهو تتبع الاثر والقصص الخبر الذى تتابع فيه المعانى ﴿ وما من أله الا الله ﴾ انما دخلت من لتوكيد النفي والمعنى ان عيسى ليس باله كما زعمت النصارى ففيه رد عليهم ونفى جميع من ادعى من المشركين انهم آلهة واثبات الالهية لله تعالى وحده لا شريك له فى الالهية ﴿ وأن الله لهو العزيز ﴾ أى الغالب المنتقم ممن عصاه وخالف أمره وادعى معه الها آخر ﴿ الحكيم ﴾ يعنى فى تدبيره وفيه رد على النصارى لان عيسى لم يكن كذلك ﴿ فأن تولوا ﴾ يعنى فأن أعرضوا عن الايمان ولم يقبلوه ﴿ فأن الله عليم بالمفسدين ﴾ أى الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس الى عبادة غيره وفيه وعيد

فى (وما من أله الا الله) بمنزلة البناء على الفتح فى لاله الا الله فى افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى فى تليثهم (وأن الله لهو العزيز) فى الانتقام (الحكيم) فى تدبير الاحكام (فأن تولوا) أعرضوا ولم يقبلوا (فأن الله عليم بالمفسدين) وعيد لهم بالعذاب المذكور فى قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون

(أن هذا) الذى ذكرت يا محمد من خبر عيسى و وفد بنى نجران (لهو القصص الحق) الخبر الحق بأن عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه (وما من أله الا الله) بلا ولد ولا شريك (وأن الله لهو العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) أمران لا يبد غيره ويقال الحكيم حكم عليهم الملاعنة فتولوا عن ذلك ولم يخرجوا فى الملاعنة مع النى عليه السلام لانهم علموا أنهم كاذبون وان محمدا نبى صادق مرسل وصفته

ونعته فى كتابهم فقال الله (فأن تولوا) عن دعوتكم الى الملاعنة مع النبى صلى الله عليه وسلم (وتهديد) (فأن الله عليم بالمفسدين) بنصارى بنى نجران ثم دعاهم الى التوحيد

(تعالوا الى كلمة سواء)
 أى مستوية (بيننا وبينكم)
 لا يختلف فيها القرآن
 والتوراة والانجيل وتفسير
 الكلمة قوله (ألا نعبد
 الا الله ولا نشرك به شيئاً
 ولا نتخذ بعضنا بعضاً
 آرباباً من دون الله)
 أى تعالوا
 اليها حتى لا نقول عزير
 ابن الله ولا المسيح ابن الله
 لان كل واحد منهما بعضنا
 بشر مثلنا ولا نطيع أربابنا
 فيما أحدثوا من التحريم
 والتحليل من غير رجوع
 الى ما شرع الله وعن عدى
 ابن حاتم ما كنا نعبدهم
 يارسول الله قال أليس
 كانوا يحلون لكم ويحرمون
 فتأخذون بقولهم قال نعم
 قال هو ذلك ﴿ فأن تولوا ﴾
 عن التوحيد ﴿ فقولوا ﴾
 اشهدوا بأننا مسلمون) أى
 لزمتمكم الحججة فوجب عليكم

فقال (قل يا أهل الكتاب
 تعالوا الى كلمة) لا اله الا الله
 (سواء) عدل (بيننا وبينكم
 الا نعبد الا الله) ان لا نوحده
 الا الله (ولا نشرك به شيئاً)
 من المخلوقين (ولا نتخذ
 بعضنا بعضاً آرباباً) لا يطيع
 أحدنا أحداً من الرؤساء
 في معصية الله (من دون الله)
 فأبوا عن ذلك أيضاً فقال

والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدى الى فساد النفس بل والى
 فساد العالم ﴿ قل يا أهل الكتاب ﴾ يعم أهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران
 أو يهود المدينة ﴿ تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴾ لا يختلف فيها الرسل
 والكتب وتفسيرها ما بعدها ﴿ ألا نعبد الا الله ﴾ أى نوحده بالعبادة ونخلص
 فيها ﴿ ولا نشرك به شيئاً ﴾ ولا نجعل غيره شريكاً له فى استحقاق العبادة ولا نرى
 أهلاً لان يعبد ﴿ ولا نتخذ بعضنا بعضاً آرباباً من دون الله ﴾ ولا نقول عزير ابن الله
 ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل لان كلامهم
 بعضنا بشر مثلنا روى أنها لما نزلت اتخذوا أحبارهم ورهبانهم آرباباً من دون الله
 قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يارسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون
 فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذلك ﴿ فأن تولوا ﴾ عن التوحيد ﴿ فقولوا اشهدوا
 بأننا مسلمون ﴾ أى لزمتمكم الحججة فاعترفوا بأننا مسلمون دونكم أو اعترفوا بأنكم

وتهديد لهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴿
 قال المفسرون لما قدم وفد نجران المدينة اجتمعوا باليهود واختصموا فى إبراهيم صلى الله عليه
 وسلم فزعت النصارى أنه كان نصرانياً وهم على دينه وأولى الناس به وقالت اليهود بل كان
 يهودياً وهم على دينه وأولى الناس به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برئ
 من إبراهيم ودينه بل كان حنيفاً مسلماً وأنا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فقالت اليهود
 ما تريد الأذن لتتخذك رباً كما اتخذت النصارى عيسى رباً وقالت النصارى يا محمد ما تريد
 الا أن نقول فيك ما قالت اليهود فى عزير فأنزل الله عز وجل قل يا أهل الكتاب تعالوا
 أى هلموا الى كلمة يعنى فيها انصاف ولا ميل فيها لاحد على صاحبه والعرب تسمى كل
 قصة أو قصيدة لها أول وآخر وشرح كلمة سواء أى عدل لا يختلف فيها التوراة والانجيل
 والقرآن وتفسير الكلمة قوله ﴿ ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا نتخذ بعضنا بعضاً
 آرباباً من دون الله ﴾ وذلك ان النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح وأشركوا به وهو
 قولهم أب وابن وروح القدس فجلوا الواحد ثلاثة واتخذوا أحبارهم ورهبانهم
 آرباباً من دون الله وذلك انهم يطعمونهم فيما أمر ونههم به من الشرك ويسجدون لهم فهذا
 معنى اتخاذ بعضهم بعضاً آرباباً من دون الله فثبت ان النصارى قد جرموا بين هذه الثلاثة
 أشياء ومعنى الآية قل يا محمد لليهود والنصارى هلموا الى أمر عدل نصف وهو أن
 لا نقول عزير ابن الله ولا نقول المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بشر مخلوق مثلنا
 ولا نطيع أربابنا ورهباننا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع
 ولا يسجد بعضنا لبعض لان السجود لغير الله حرام فلا نسجد لغير الله وقيل معناه ولا
 نطيع أحداً فى معصية الله ﴿ فأن تولوا ﴾ يعنى فأن أعرضوا عما أمرتهم به ﴿ فقولوا ﴾
 أتم لهؤلاء ﴿ اشهدوا بأننا مسلمون ﴾ أى مخلصون بالتوحيد لله والعبادة له ﴿ ق ﴾ عن
 ابن عباس رضى الله عنهما ان أسفيان أخبره ان هرقل أرسل اليه فى ركب من قريش

الله (فأن تولوا) أعرضوا أبوا (قا و خا ٦٥ ل) عن التوحيد (فقولوا اشهدوا) اعلموا أنهم (بأننا مسلمون) مقرون له

كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل «(تنبيه)» انظر الى ماراخي في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن الذرج في الحجاج بين أولا أحوال عيسى عليه الصلاة والسلام وماتعاور عليه من الاطوار المنافية للالوهية ثم ذكر ما يحل عقدهم ويزيح شبهتهم فلما رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباحلة بنوع من الاعجاز ثم لما عرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا أسهل وأزيم بأن دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك أيضا عليهم وعلم ان الآيات والنذر لا تغني عنهم أعرض عن ذلك وقال فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده﴾ تنازعت اليهود والنصارى في إبراهيم عليه الصلاة والسلام وزعم كل فريق انه منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت

وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادفيا بأسفيان وكفار قريش فأتوه وهو بابلية فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به مع حذيفة الكلبي الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبدالله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اسم اليريسين ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان توالوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون لفظ الحديث أحد روايات البخاري وقد أخرجه باطول من هذا وفيه زيادة قوله اليريسين وفي رواية اليريسين * اليريس الاكار وهو الزراع والفلاح وقيل هم أتباع عبدالله بن أريس رجل كان في الزمن الاول بعثه الله فخالفه قومه وقيل هم الاروسيون وهم نصارى أتباع عبدالله بن أروس وهم الاروسة وقيل هم اليريسون بضم الهمزة وهم الملوك الذين يخالفون أنبياءهم وقيل هم المتجنترون وقيل هم اليهود والنصارى الذين صددتهم عن الاسلام واتبعوك على كفرك ﴿قوله عز وجل ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما اجتمع عند النبي صلى الله عليه وسلم نصارى نجران وأخبار اليهود فتنازعوا عنده فقالت الاخبار ما كان إبراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان إبراهيم الا نصرانيا فأنزل الله فيهم يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم ﴿وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده﴾ ومعنى الآية ان اليهود والنصارى لما اختصموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن إبراهيم عليه السلام وادعت كل طائفة انه كان منهم وعلى دينهم فبرأ الله عز وجل إبراهيم مما ادعوا فيه وأخبر ان اليهودية والنصرانية انما حدثا بعد نزول التوراة والانجيل وانما نزلا بعد إبراهيم بزمان طويل فكان بين إبراهيم وبين موسى ونزول التوراة عليه خمسمائة سنة وخمسة وسبعون سنة وبين موسى وعيسى

أن تعترفوا وتسلموا بأنا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال أو صراع اعترف بنبي أنا الغالب وسلم الى الغلبة (يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده) زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان إبراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه فقبل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين إبراهيم وموسى ألف سنة وبينه وبين عيسى ألفان فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بأزمنة متطاولة

بالعبادة والتوحيد ثم ذكر خصوصتهم مع النبي صلى الله عليه وسلم بقولهم انما مسلمون على دين إبراهيم وادعوا ذلك في التوراة فقال الله (يا أهل الكتاب لم تحاجون) تخاصمون (في إبراهيم) في دين إبراهيم (وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده) بعد إبراهيم

(أفلا تعقلون) حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال (ها أنتم هؤلاء) هاللتبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره (حاججتم)
جمله مستأنفة مبنية للجملة الاولى ﴿ ٥١٥ ﴾ يعني أنتم هؤلاء { سورة آل عمران } الاشخاص الحقاء وبيان

حاججتكم وقلة عقولكم انكم
جادتكم (فيما لكم به علم) مما
نطق به التوراة والانجيل
(فلم تحاجون فيما ليس
لكم به علم) ولا ذكر له
في كتابكم من دين ابراهيم
وقيل هؤلاء بمعنى الذي
و حاججت صلتها ها أنتم
بالمد وغير الهمز حيث
كان مدني وأبو عمرو
(والله يعلم) علم ما حاججتم
فيه (وأنتم لاتعلمون) وأنتم
جاهلون به ثم أعلمهم بانه
برئ من دينهم فقال (ما كان
أبراهيم يهوديا ولا نصرانيا

(أفلا تعقلون) أنه ليس
فيهما ان ابراهيم كان يهوديا
أو نصرانيا (ها أنتم
هؤلاء) أنتم يا هؤلاء اليهود
والنصارى (حاججتم)
خاصتم (فيما لكم به علم) في
كتابكم ان محمدا نبى مرسل
وان ابراهيم لم يكن يهوديا
ولا نصرانيا فحججتم ذلك
(فلم تحاجون) فلم تحاسمون
(فيما ليس لكم به علم) في
كتابكم فتقولون ان ابراهيم
كان يهوديا أو نصرانيا
(والله يعلم) ان ابراهيم
لم يكن يهوديا ولا نصرانيا
يهوديا (ما كان ابراهيم يهوديا) على دين اليهود

والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثتا بتزول التوراة والانجيل على موسى وعيسى
عليهما الصلاة والسلام وكان ابراهيم قبل موسى بألف سنة وعيسى بألفين فكيف
يكون عليهما ﴿ أفلا تعقلون ﴾ فتدعون المحال ﴿ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به
علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ﴾ ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي
غفلوا عنها وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره و حاججتم جملة أخرى مبنية للاولى
أى أنتم هؤلاء الحق و بيان حاججتكم أنكم جادتم فيما لكم به علم مما وجدتموه
في التوراة والانجيل عنادا أو تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به
ولا ذكر في كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين و حاججت صلتها
وقيل ها أنتم أصله أنتم على الاستفهام للتجب من حاججتهم فقلت الهمزة هاء * وقرأ
نافع وأبو عمرو ها أنتم حيث وقع بالمد من غير همز وورش أقل مدا وقبل
بالهمز من غير ألف بعد الهاء والباقون بالمد والهمز والبنى يقتصر على المد
على أصله ﴿ والله يعلم ﴾ ما حاججتم فيه ﴿ وأنتم لاتعلمون ﴾ وأنتم جاهلون به
﴿ ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ﴾ تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان

ألف وستائة واثنتان وثلاثون سنة وقال ابن اسحق كان بين ابراهيم وموسى خمسمائة
سنة وخمس وستون سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة وتسعمائة وعشرون سنة
وأورد على هذا التأويل أن الاسلام أيضا انما حدث بعد ابراهيم وموسى وعيسى
بزمان طويل وكذلك أنزال القرآن انما نزل بعد التوراة والانجيل فكيف يصح
ما دعيت في ابراهيم انه كان حنيفا مسلما وأجيب عنه بان الله عز وجل أخبر في القرآن
بان ابراهيم كان حنيفا مسلما وليس في التوراة والانجيل أن ابراهيم كان يهوديا أو نصرانيا
فصح وثبت ما ادعاه المسلمون وبطل ما ادعاه اليهود والنصارى وهو قوله تعالى
﴿ أفلا تعقلون ﴾ يعني بطلان قولكم يا معشر اليهود والنصارى حتى لا تجادلوا مثل
هذا الجدال المحال ﴿ ها أنتم هؤلاء ﴾ هاللتبيه وهو موضع النداء يعني يا هؤلاء
والمراد بهم أهل الكتابين يعني يا معشر اليهود والنصارى ﴿ حاججتم ﴾ أى جادتم
وخاصتم ﴿ فيما لكم به علم ﴾ يعني فيما وجدتم في كتبكم وأنزل عليكم بيانه في أمر
موسى وعيسى وادعيتم أنكم على دينهما وقد أنزلت التوراة والانجيل عليكم ﴿ فلم
تحاجون فيما ليس لكم به علم ﴾ يعني انه ليس في كتابكم أن ابراهيم كان يهوديا أو
نصرانيا ﴿ والله يعلم ﴾ يعني ما كان ابراهيم عليه من الدين ﴿ وأنتم لاتعلمون ﴾
يعنى ذلك والمدنى وأنتم جاهلون بما تقولون في ابراهيم ثم برأه الله عز وجل عما قالوا
فيه وأعلمهم أن ابراهيم برئ من دينهم فقال تعالى ﴿ ما كان ابراهيم يهوديا
ولا نصرانيا ﴾ يعني لم يكن كما ادعوه فيه ثم وصفه بما كان عليه من الدين فقال تعالى

(وأنتم لاتعلمون) أنه كان يهوديا أو نصرانيا ثم بين الله تكذيب قولهم فقال (ما كان ابراهيم يهوديا) على دين اليهود
(ولا نصرانيا) على دين النصارى

ولكن كان حنيفا مسلما
وما كان من المشركين
كأنه أراد بالمشركين اليهود
والنصارى لأشراكهم به
عزيرا والمسيح أو وما كان
من المشركين كأنهم يكن منهم
(أن أولى الناس بأبراهيم)
ان أخصهم به وأقربهم
منه من الولي وهو القرب
(للذين اتبعوه) في زمانه
وبعد (وهذا النبي)
خصوصا خص بالذكر
لخصوصيته بالفضل والمراد
محمد عليه السلام (والذين
آمنوا) من أمته (والله
ولي المؤمنين) ناصرهم

(ولكن كان حنيفا) حاجا
(مسلم) مخلصا (وما كان
من المشركين) على دينهم ثم
بين من هو على دين ابراهيم
فقال (أن أولى الناس)
أحق الناس (بأبراهيم)
بدين ابراهيم (للذين
اتبعوه) في زمانه (وهذا
النبي) محمد على دينه
(والذين آمنوا) بمحمد
والقرآن أيضا على دين
ابراهيم (والله ولي المؤمنين)
حافظهم وناصرهم ثم ذكر
دعوة كعب بن الاشرف
وأصحابه أصحاب رسول الله
معاذا وحذيفة وعمار بعد
يوم أحد إلى دينهم اليهودية
عن دينهم الاسلام فقال

ولكن كان حنيفا ماثلا عن العقائد الزائفة ﴿ مسلما ﴾ منقاد الله وليس المراد انه
كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام ﴿ وما كان من المشركين ﴾ تعريض بأنهم
مشركون لأشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين أنهم على ملة ابراهيم عليه
الصلاة والسلام ﴿ أن أولى الناس بأبراهيم ﴾ أى أخصهم به وأقربهم منه من الولي
وهو القرب ﴿ للذين اتبعوه ﴾ من أمته ﴿ وهذا النبي والذين آمنوا ﴾ لموافقته له
في أكثر ما شرع لهم على الاصلة * وقرى والنبي بالنصب عطفًا على الهاء في اتبعوه
وبالجر عطفًا على ابراهيم ﴿ والله ولي المؤمنين ﴾ ينصرهم ويحازيهم الحسنى لايمانهم

ولكن كان حنيفا مسلما ﴿ يعنى ماثلا عن الاديان كلها الى الدين المستقيم وهو
الاسلام وقيل الحنيف الذى يوحد ويختن ويضحى ويستقبل الكعبة في صلاته
وهو أحسن الاديان وأسهلها وأحبها الى الله عز وجل ﴾ وما كان من المشركين ﴿
يعنى الذين يعبدون الاصنام وقيل فيه تعريض بكون النصارى مشركين لقولهم
بألوهية المسيح وعبادتهم له ﴿ قوله عز وجل ﴿ أن أولى الناس بأبراهيم ﴾ يعنى
أخصهم به وأقربهم منه ﴿ للذين اتبعوه ﴾ يعنى الذين كانوا في زمانه وآمنوا به
واتبعوا شريعته ﴿ وهذا النبي ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ والذين آمنوا ﴾
يعنى هذه الامة الاسلامية ﴿ والله ولي المؤمنين ﴾ يعنى بالنصر والمعونة ﴿ عن ابن
مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي ولاية من
النبيين وان ولي أبى وخليل ربي ابراهيم ثم قرأ ان أولى الناس بابراهيم للذين
اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين أخرجه الترمذى ﴿ وروى
الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما ورواه محمد بن اسحق عن ابن
شهاب باسناده حديث هجرة الحبشة قال لما هاجر جعفر بن أبى طالب رضى الله
عنه واناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة واستقرت بهم
الدار وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من أمر بدر ما كان اجتمعت
قريش في دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين عند النجاشى من أصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم ثارا ممن قتل منكم ببدر فاجموا مالا واهدوه الى النجاشى لعله يدفع اليكم
من عنده من قومكم وليتدب لذلك رجالان من ذوى رأيكم فبعثوا عمرو بن العاص
وعمار بن أبى معيط معهما الهدايا الادم وغيره فركبا البحر حتى أتيا الحبشة فلما دخلا
على النجاشى سجد له وسلم عليه وقال له ان قومناك ناصحون شاكرون ولاصحابك
محبون وانهم بعثونا اليك لنخذك هؤلاء الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب
خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه أحد منا الا السفهاء وانا كنا قد ضيقنا عليهم
الامر وألجأناهم الى شعب بأرضنا لا يدخل عليهم أحد ولا يخرج منهم أحد فقتلهم
الجوع والعطش فلما اشتد عليهم الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك
ورعيتك فاحذرهم وادفهم التينا لك فيكمم قالا وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك

لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحيك بها الناس رغبة عن دينك وستنك
قالا فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله تعالى
فقال النجاشي مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا
بإمان الله وذمته فنظر عمرو الى صاحبه فقال ألا تسمع كيف يرطنون بحزب الله
وما أجابهم به الملك فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص
ألا ترى انهم يستكبرون أن يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما منعكم أن تسجدوا لي
وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من أناني من الآفاق قالوا نسجد لله الذي خلقك
وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا فأمرنا
بالتحية التي رضىها الله وهي السلام تحية أهل الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق
وانه في التوراة والانجيل قال أيكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله تعالى قال جعفر
أنا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك الارض من أهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة
الكلام ولا الظلم وانما أحب ان أجيب عن أصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم أحدهما
ولينصت الآخر فسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل
هذين الرجلين أعييد نحن أم أحرار فان كنا عبيدا قد أبقنا من أربابنا فردنا عليهم
فقال النجاشي أعييدهم أم أحرار فقال، بل أحرار كرام فقال النجاشي نجوا من
العبودية فقال جعفر سلهما هل أرقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لاولا قطرة
قال جعفر سلهما هل أخذنا أموال الناس بغير حق فملينا قضاؤها قال النجاشي ان كان
قنطارا فعلى قضاؤه فقال عمرو لاولا قيراط فقال النجاشي فما تطلبون منهم قال كنا
وأياهم على دين واحد وأمر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا
قومنا لتدفعهم الينا فقال النجاشي وما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعوه
فقال جعفر أما الدين الذي كنا عليه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة
وأما الذي تحولنا اليه فهو دين الله الاسلام جاءنا به من عند الله رسول وكتاب مثل
كتاب ابن مريم موافقاه فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم أمر
النجاشي بضرب الناقوس فضرب فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده
قال النجاشي أنشدكم الله الذي أنزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين
يوم القيامة نبيا مرسلا قالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بي
ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما أمركم به
وما ينهاكم عنه فقال يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر
ويأمرنا بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له
فقال اقرأ على ما يقرأ عليكم فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي
وأصحابه من الدمع وقالوا زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف
فأراد عمرو أن يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وأمه فقال النجاشي فما تقولون
في عيسى وأمه فقرأ عليهم سورة مريم فلما أتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي

(ودت طائفة من أهل الجزء الثالث من الكتاب لو يضلونكم) ٥١٨ ﴿ هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا

﴿ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ﴾ نزلت في اليهود لمادعوا حذيفة وعمارا ومعادا الى اليهودية ولو بمعنى ان ﴿ وما يضلون الا أنفسهم ﴾ وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الاعليم اذ يضاعف به عذابهم أو ما يضلون الامثالهم ﴿ وما يشعرون ﴾ وزره واختصاص ضرره بهم ﴿ يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله ﴾ بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وأنتم تشهدون ﴾ انها آيات الله أو بالقرآن وأنتم تشهدون نعته في الكتابين أو تعلمون بالمعجزات انه حق ﴿ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ﴾ بالتحريف وابرار الباطل في صورته أو بالتقصير في التمييز بينهما * وقرئ وتلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء أى تكتسبون الحق مع الباطل كقوله عليه الصلاة والسلام كلابس

من سواك قدر ما يقضى العين وقال والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا ثم اقبل على جعفر وأصحابه فقال اذهبوا فانتم سيوم بارضى يقول آمنون من سبكم أو اذا كم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلادهوره اليوم على حزب أبراهيم فقال عمرو يا نجاشى ومن حزب أبراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذى جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا دين أبراهيم ثم رد النجاشى على عمرو وصاحبه المال الذى حلوه وقال انما هديتكم الى رشوة فاقبضوها فان الله ملكنى ولم يأخذ منى رشوة قال جعفر فانصرفنا فكننا فى خير جوار وأنزل الله عز وجل فى ذلك اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خصوصتهم فى أبراهيم وهو فى المدينة ان أولى الناس بأبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ﴿ قوله عز وجل ﴾ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ﴿ نزلت فى معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر رضى الله عنهم حين دعاهم اليهود الى دينهم فنزلت فيهم ودت طائفة أى تمت جماعة من أهل الكتاب يعنى اليهود لو يضلونكم يعنى عن دينكم ويردونكم الى الكفر ﴿ وما يضلون الا أنفسهم ﴾ لان المؤمنين لا يقبلون قولهم فيحصل عليهم الاثم بتبنيهم

اضلال المؤمنين ﴿ وما يشعرون ﴾ يعنى ان وبال الاضلال يعود عليهم لان العذاب يضاعف لهم بسبب ضلالهم وتمنى اضلال المسلمين وما يقدر على ذلك انما يضلون امثالهم واتباعهم وأشياعهم ﴿ يا أهل الكتاب ﴾ الخطاب لليهود ﴿ لم تكفرون بآيات الله ﴾ يعنى القرآن وقيل المراد بآيات الله الواردة فى التوراة والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته رسبب كفرهم بالتوراة والانجيل على هذا القول هو تحريفهم وتبديلهم ما فيها من بيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته والبيشارة بنبوته لانهم ينكرون ذلك ﴿ وأنتم تشهدون ﴾ يعنى ان نعتهم وصفته مذكور فى التوراة والانجيل وذلك ان احبار اليهود كانوا يكتبون الناس نعتهم وصفته فاذا خلا بعضهم ببعض اظهروا ذلك فيما بينهم وشهدوا انه حق ﴿ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ﴾ وذلك ان علماء اليهود والنصارى كانوا يعملون بقلوبهم ان محمدا

ومعادا الى اليهودية (وما يضلون الا أنفسهم) وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالتهم واطلالهم (وما يشعرون) بذلك (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) بالتوراة والانجيل وكفرهم بها انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها (وأنتم تشهدون) تعترفون بانها آيات الله أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وأنتم تشهدون نعتهم فى الكتابين أو تكفرون بآيات الله جميعا وأنتم تعلمون انها حق (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) تخاطبون الايمان بموسى وعيسى

(ودت) تمت (طائفة) من أهل الكتاب لو يضلونكم) ان يضلوكم عن دينكم الاسلام (وما يضلون) عن دين الله (الا أنفسهم وما يشعرون) ذلك ويقال لا يعلمون ان الله يخبر نبيه بذلك (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) بمحمد والقرآن (وأنتم تشهدون) تعلمون فى كتابكم

ان محمدا نبى مرسل (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) لم تخاطبون الباطل مع الحق فى كتابكم صفة (صلى)

بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ٥١٩ ﴾ (وتكتمون الحق) ﴿ سورة آل عمران ﴾ نعت محمد عليه السلام

(وأنتم تعلمون انه حق
(وقالت طائفة من أهل
الكتاب) فيما بينهم (أمّنوا
بالذي أنزل على الذين آمنوا)
أى القرآن (وجه النهار)
ظرف أى أوله يعنى أظهروا
الايان بما أنزل على المسلمين
فى أول النهار (واكفروا
آخره) (واكفروا به فى
آخره) (لعلهم يرجعون)
لعل المسلمين يقولون
مارجعوا وهم أهل كتاب
وعلم الا لاسر قد تبين لهم
فيرجعون برجعكم

الذجال بصفة محمد (وتكتمون
الحق) ولم تكتمون صفة
محمد ونعته (وأنتم تعلمون)
ذلك فى كتابكم ثم ذكر
مقالة كعب وأصحابه فى
تحويل القبلة فقال (وقالت
طائفة من أهل الكتاب)
كعب وأصحابه من الرؤساء
لسفاهم (أمّنوا بالذي أنزل
على الذين آمنوا) بمحمد
والقرآن (وجه النهار)
أول النهار وهو صلاة
الفجر (واكفروا آخره)
يعنى صلاة الظهر يقولون
أمّنوا بالقبلة اتى صلى اليها
محمد وأصحابه صلاة الفجر
واكفروا آخره بالقبلة
الاخرى التى صلوا اليها
صلاة الظهر (لعلهم يرجعون) لى يرجع عامتهم الى دينكم وقبلتكم

ثوبى زور ﴿ وتكتمون الحق ﴾ نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ونعته ﴿ وأنتم
تعلمون ﴾ عالمين بما تكتمونه ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل
على الذين آمنوا وجه النهار ﴾ أى أظهروا الايمان بالقرآن أول النهار ﴿ واكفروا
آخره لعلهم يرجعون ﴾ واكفروا به آخره لعلهم يشكون فى دينهم ظنا بأنكم
رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا
لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها
أول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون
وقيل اثنا عشر من أحرار خبير تقاولوا بأن يدخلوا فى الاسلام أول النهار ويقولوا

صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله وان دينه حق وكانوا ينكرون ذلك بالسفاهم
وكانوا يجتهدون فى ألقاء الشبهات والتشكيكات وذلك ان الساعى فى اخفاء الحق
لا يقدر على ذلك الا بهذه الامور فقولته تعالى لم تبسسون الحق بالباطل معناه تحريف
التوراة وتبديلها فيخطون المحرف الذى كتبوه بأيديهم بالحق المنزل وقيل هو خلط
الاسلام باليهودية والنصرانية وذلك انهم تواطؤا على اظهار الاسلام فى أول النهار
والرجوع عنه فى آخره والمراد بذلك تشكيك الناس وقيل انهم كانوا يقولون ان
محمد صلى الله عليه وسلم معترف بجملة نبوة موسى وأنه حق ثم ان التوراة دالة على ان
شرع موسى لا ينسخ فهذا من تليساتهم على الناس ﴿ وتكتمون الحق ﴾ يعنى نعت
محمد صلى الله عليه وسلم وصفته فى التوراة ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ يعنى انه رسول من
عند الله وان دينه حق وانما كتم الحق عنادا وحسدا وانتم تعلمون ما تستحقون على
كتمان الحق والعقاب ﴿ قوله عز وجل ﴾ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا
بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره ﴿ وهذا نوع آخر من تليسات
اليهود وقيل تواطؤا اثنا عشر حبرا من يهود خبير وقرى عريضة فقال بعضهم لبعض
ادخلوا فى دين محمد أول النهار باللسان دون اعتقاد القلب ثم اكفروا آخر النهار وقولوا
انا نظرنا فى كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا ان محمدا ليس هو بذلك المنعوت وظهر لنا
كذبه فاذا فعلتم ذلك شك أصحاب محمد فى دينه واتهموه وقالوا أنهم أهل الكتاب
وأعلم به منا فيرجعون عن دينهم وقيل هذا فى شأن القبلة وذلك انه لما صرفت الى الكعبة
شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بالذي أنزل على محمد فى أمر
الكعبة وصلوا اليها أول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى قبلكم آخر النهار لعلهم يرجعون
فيقولون هؤلاء أهل كتاب وهم أعلم فيرجعون الى قبلكم فاطلع الله رسوله صلى الله
عليه وسلم على سرهم وأنزل هذه الآية ووجه النسيان أوله والوجه مستقبل كل
شئ لانه أول ما يواجه منه وأنشدوا فى معناه

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار
﴿ قوله عز وجل ﴾ لعلهم يرجعون ﴿ يعنى عنه أى انا لقبنا هذه الشبهة لعلهم يشكون

(ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم { الجزء الثالث } قل ان الهدى ﴿ ٥٢٠ ﴾ هدى الله) ولا تؤمنوا متعلق بقوله

آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا عليه الصلاة والسلام بالنتع الذي ورد في التوراة لعل أصحابه يشكون فيه ﴿ ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ﴾ ولا تقروا عن تصديق قلب الالاهل دينكم أو لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فأن رجوعهم أرجى وأهم ﴿ قل ان الهدى هدى الله ﴾ يهدى من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ﴿ أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴾ متعلق بمحذوف أي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى أحد والمعنى ان الحسد جعلكم على ذلك أو بلا تؤمنوا أي ولا تظهروا ايمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم الا لاشياعكم ولا تقشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل أو خبر أن على ان هدى الله بدل من الهدى وقراءة ابن كثير أن يؤتى على الاستفهام للتقريع تؤيد الوجه الاول أي الآن يؤتى أحد دبرتم * وقرئ أن على أنها النافية فيكون من كلام الطائفة أي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴿ أو يحاجوكم عند ربكم ﴾ عطف على أن يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث

في دينهم فيرجعون عنه ولا دبروا هذه الحيلة أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بها فلم تتم لهم ولم يحصل لها أثر في قلوب المؤمنين ولولا هذا الاعلام من الله تعالى لكان ربما أثر ذلك في قلوب بعض من كان في ايمانه ضعف ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ﴿ هذا متصل بالاول وهو من قول اليهود يقول بعضهم لبعض ولا تؤمنوا أي ولا تصدقوا الا لمن تبع دينكم أي وافق ملتكم التي أنتم عليها وهي اليهودية واللام في لمن صلة كقوله ردف لكم أي ردفيكم ﴿ قل ان الهدى هدى الله ﴾ أي ان الدين دين الله والبيان بيانه وهذا خبر من الله تعالى ثم اختلفوا فيه فهم من قال هذا كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول وهو اخبار عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعنى الآية ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والحكمة والكتاب والآيات من فلق البحر وانزال المن والسلوى عليكم وغير ذلك من الكرامات ولا تؤمنوا ان يحاجوكم عند ربكم لانكم أصح ديناً منهم فلما أخبر الله تعالى عن اليهود بذلك قال في أثناء ذلك قل ان الهدى هدى الله والمعنى ان الذي أنتم عليه انما صار ديناً بحكم الله وامره فاذا أمر بدين آخر وجب اتباعه والانقياد لحكمه لانه هو الذي هدى اليه وامره وقيل معناه قل لهم يا محمد ان الهدى هدى الله وقد جئتمكم به ولن ينفعكم في دفعه هذا الكيد الضعيف * وقرأ الحسن والاعمش ان يؤتى بكسر الالف فيكون قول اليهود تاماً عند قوله الا لمن تبع دينكم وما بعده من قول الله تعالى والمعنى قل يا محمد ان الهدى هدى الله ﴿ أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴾ وتكون ان بمعنى الجحد أي ماؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد من الدين والهدى ﴿ أو يحاجوكم عند ربكم ﴾ يعني الا ان يحاجوكم أي اليهود بالباطل فيقولوا نحن أفضل منكم

(أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) وما بينهما اعتراض أي ولا تظهروا ايمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم أرادوا أسروا تصديقكم بان المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تقشوه الا الى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتاً ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام (أو يحاجوكم عند ربكم) عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع يعني ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويعالبونكم عند الله بالحجة ومعنى الاعتراض ان الهدى هدى الله من شاء هداه حتى أسلم أو ثبت

(ولا تؤمنوا) لا تصدقوا أحداً بالنبوة (الا لمن تبع دينكم) اليهودية وقبلتكم بيت المقدس (قل) لهم يا محمد يعني اليهود (أن الهدى هدى الله) ان دين الله هو الاسلام وقبلة الله هي الكعبة (أن يؤتى) ان يعطى (أحد) من الدين والقبلة (مثل ما أوتيتم)

أعطيتم يا أصحاب محمد (أو يحاجوكم) أو أن يخاصمكم اليهود بهذا الدين والقبلة (عند ربكم) يوم القيامة (وقوله)

على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيككم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله (قل ان الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء) يريد الهداية ﴿٥٢١﴾ والتوفيق أوتيم {سورة آل عمران} الكلام عند قوله الامن

معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حججتكم والراو ضمير أحد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم ﴿٥٢١﴾ قل ان الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء والله واسع عليم يختص برحته من يشاء

تبع دينكم أي ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الامن تبع دينكم الامن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لان رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم ومعنى قوله ان يؤتى لان يؤتى احد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودرتموه لاني أخريني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما أوتيتم من العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم ويدل عليه قراءة ابن كثير ان بالمد والاستفهام يعني الآن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الكتاب نحو قوله أو يحاجوكم على هذا معناه درتم مادبرتم لان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم (والله واسع) أي واسع الرحمة (عليم) بالمصلحة (يختص برحته) بالنبوة أو بالاسلام (من يشاء)

وقوله عند ربكم أي عند فعل ربكم وقيل أوفى قوله أو يحاجوكم بمعنى حتى ومعنى الآية ما أعطى الله أحدا مثل ما أعطيتم يا أمة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم ﴿٥٢١﴾ وقرأ ابن كثير أن يؤتى بالمد على الاستفهام وحينئذ يكون في الكلام اختصار تقديره أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة فحسدونه ولا تؤمنون به هذا قول قتادة والربيع قالا هذا من قول الله تعالى يقول قل يا محمد ان الهدى هدى الله الآن أنزل كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا مثل نبيكم حسدتموه وكفرتم به قل ان الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء وقوله أو يحاجوكم على هذه القراءة رجوع الى خطاب المؤمنين وتكون أو بمعنى ان لانهما حرفا شرط وجزاء يوضع أحدهما موضع الآخر والمعنى وان يحاجوكم يا معشر المؤمنين عند ربكم قل يا محمد ان الهدى هدى الله ونحن عليه ويحتمل أن يكون الجميع خطابا للمؤمنين ويكون نظم الآية ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر المؤمنين فان حسدوكم فقل ان الفضل بيد الله فان حاجوكم فقل ان الهدى هدى الله ويحتمل أن يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله ولا تؤمنوا من كلام الله تعالى ثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تليس اليهود وتزويرهم في دينهم يقول الله عز وجل ولا تصدقوا يا معشر المؤمنين الامن تبع دينكم ولا تصدقوا ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الدين والفضل ولا تصدقوا ان يحاجوكم عند ربكم أو يتقدروا على ذلك فان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء والله واسع عليم فتكون الآية كلها خطابا للمؤمنين عند تليس اليهود لئلا يرتابوا ولا يشكوا ﴿٥٢١﴾ قوله عز وجل ﴿٥٢١﴾ قل ان الفضل ﴿٥٢١﴾ يعني قل لهم يا محمد ان التوفيق للايمان والهداية للاسلام ﴿٥٢١﴾ بيد الله ﴿٥٢١﴾ أي انه مالك له وقادر عليه دونكم ودون سائر خلقه ﴿٥٢١﴾ يؤتیه من يشاء ﴿٥٢١﴾ يعني الفضل الذي هو دين الاسلام يعطيه من يشاء من عباده ويوفق له من أراد من خلقه وفيه تكذيب لليهود في قولهم ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم فقال الله تعالى رداعليهم قل لهم ليس ذلك اليهم وانما الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء وأصل الفضل في اللغة الزيادة وأكثر ما يستعمل في زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير ﴿٥٢١﴾ والله واسع ﴿٥٢١﴾ أي ذو سعة يتفضل على من يشاء ﴿٥١﴾ علم ﴿٥١﴾ أي بمن يتفضل عليه وهو للفضل أهل ﴿٥١﴾ يختص برحته ﴿٥١﴾ يعني بنبوته ورسالته وقيل بدينه الذي هو الاسلام وقيل بالقرآن ﴿٥١﴾ من يشاء ﴿٥١﴾ يعني من خلقه وفيه دليل على ان النبوة لا تحصل الا بالاختصاص

(قل) أيضا يا محمد (أن الفضل) بالنبوة والاسلام

وقبله ابراهيم (بيد الله يؤتیه من يشاء) (قاو خا ٦٦ ل) يعطيه من يشاء يعني محمدا وأصحابه (والله واسع) لعطيته (عليم) بمن يعطى (يختص برحته) يختار لدينه (من يشاء) محمدا وأصحابه

والله ذو الفضل العظيم ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده اليك هو عبدالله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفا ومائتي أوقية ذهباً فأداه اليه (ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده اليك) هو فحاص بن غاز وراء استودعه رجل من قريش دينارا فحجده وخانه وقيل { الجزء الثالث } المأمونون على ٥٢٢ ❦ الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم

والله ذو الفضل العظيم ❦ رد وابطال لمازموه بالحجة الواضحة ❦ ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده اليك ❦ كعبدالله بن سلام استودعه قرشي ألفا ومائتي أوقية ذهباً فأداه اليه ❦ ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده اليك ❦ كفحاص بن غاز وراء استودعه قرشي آخر دينارا فحجده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائون في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة وقرأ حجة وأبو بكر وأبو عمرو يؤده اليك ولا يؤده اليك باسكان الهاء وقالون باختلاس الهاء وكذا روى عن حفص والباتون باشباع الكسرة ❦ الامادمت عليه قائماً ❦ الامدة دوامك قائماً على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضى والترافع واقامة البينة ❦ ذلك ❦ اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده ❦ بأنهم قالوا ❦ بسبب قولهم ❦ ليس علينا في الامين سبيل ❦ أى ليس علينا في شأن

والفضل لا بالاستحقاق لانه تعالى جعلها من باب الاختصاص وللفاعل أن يفعل ما يشاء الى من يشاء بغير استحقاق ❦ والله ذو الفضل العظيم ❦ قوله عز وجل ❦ ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده اليك ❦ الآية نزلت في اليهود أخبر الله عز وجل ان فيهم أمانة وخيانة وقسمهم قسمين والقنطار عبارة عن الممال الكثير والدينار عبارة عن الممال القليل يقول منهم من يؤدى الامانة وان كثرت مثل عبدالله بن سلام وأصحابه ومنهم من لا يؤديها وان قلت وهم كفار أهل الكتاب مثل كعب بن الاشرف وأصحابه قال ابن عباس رضى الله عنهما في هذه الآية أودع رجل من قريش عبدالله بن سلام ألفا ومائتي أوقية من ذهب فاداه اليه فذلك قوله تعالى ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده اليك يعنى فحاص بن غاز وراء استودعه رجلى من قريش دينارا فخانه وحجده ولم يؤده اليه وقيل أهل الامانة هم النصارى وأهل الخيانة هم اليهود لان مذهبهم ان يحل قتل من خالفهم في الدين وأخذ ماله بأى طريق كان ❦ الا مادمت عليه قائماً ❦ قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد تقوم عليه وتطالبه باللاح والخصومة والملازمة وقيل معناه الامدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائماً على رأسه متوكلاً عليه بالمطالبة والتعنيف بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقيل أراد انه ان أودعته شيئاً ثم استرجعته منه في الحال وأنت قائم على رأسه لم تفارقه رده عليك وان أخرت استرجاع ما أودعته انكره ولم يرده عليك ❦ ذلك ❦ أى سبب ذلك الاستحلال والخيانة ❦ بأنهم قالوا ❦ يعنى اليهود ❦ ليس علينا في الامين سبيل ❦ يعنى انهم يقولون ليس علينا اثم ولا حرج في أخذ مال العرب وذلك ان اليهود قالوا

والخائون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم (الا مادمت عليه قائماً) الامدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائماً على رأسه ملازماله يؤده ولا يؤده بكسر الهاء مشبعة مكى وشامى ونافع وعلى وحفص واختلس أبو عمرو في رواية غيرهم بسكون الهاء (ذلك) اشارة الى ترك الاداء الذى دل عليه لا يؤده (بأنهم قالوا) ليس علينا في الامين سبيل (أى تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الامين سبيل أى لا يتطرق علينا اثم وذم في شأن الامين يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس أموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم وكانوا يقولون لم يجعل لهم في كتابنا (والله ذو الفضل) ذوالمن (العظيم) بالنبوة والاسلام على محمد ثم ذكر امانة أهل الكتاب وخيانتهم فقال (ومن أهل الكتاب)

يعنى اليهود (من أن تأمنه بقنطار) تباعه بملء مسك ثور ذهباً (يؤده اليك) بغير عناء ولا تعب ولا يستحمله (أموال) وهو عبدالله بن سلام وأصحابه (ومنهم من أن تأمنه) تباعه (بدينار لا يؤده اليك) لا يرده اليك ويستحمله (الامادمت عليه قائماً) لمحاقتقاضيا وهو كعب وأصحابه (ذلك) الاستحلال والخيانة (بأنهم قالوا ليس علينا في الامين سبيل) في أخذ أموال العرب حرج

حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم (ويقولون على الله الكذب) بادعائهم ان ذلك في كتابهم (وهم يعلمون) انهم كاذبون (بلى) اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين أى بلى ﴿٥٢٣﴾ عليهم سبيل فيهم {سورة آل عمران} وقوله (من أوفى بعهده

واتقى) جملة مستأنفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده يرجع الى الله تعالى أى كل من أوفى بعهد الله واتقاه (فإن الله يحب المتقين) أى يحبهم فوضع الظاهر موضع الضمير وعموم المتقين قام مقام الضمير الراجع من الجزاء الى من ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء قيل نزلت في عبد الله بن سلام ونحوه من مسلمي أهل الكتاب ويجوز أن يرجع الضمير الى من أوفى أى كل من أوفى بما عاهد الله عليه واتقى الله في ترك الخيانة والفساد فان الله يحبه ونزل فيمن حرف التوراة وبدل نعته عليه السلام من اليهود وأخذ الرشوة على ذلك (أن الذين يشتركون) يستبدلون (بما عاهدوه) بعهد الله عليه من الايمان بالرسول

(ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) انهم كاذبون

من ليسوا من أهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ﴿ ويقولون على الله الكذب ﴾ بادعائهم ذلك ﴿ وهم يعلمون ﴾ أنهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التوراة حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب أعداء الله ما من شئ في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فأنها مؤداة الى البر والفاجر ﴿ بلى ﴾ اثبات لما نفوه أى بلى عليهم فيهم سبيل ﴿ من أوفى بعهده واتقى ﴾ فإن الله يحب المتقين ﴿ استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن أوله وعموم المتقين ناب عن الراجع من الجزاء الى من وأشعر بأن التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ﴿ أن الذين يشتركون ﴾ يستبدلون ﴿ بعهد الله ﴾

أموال العرب حلال لنا انهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم في كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم وقيل ان اليهود قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل علينا اذا أكلنا أموال عبيدنا وقيل انهم قالوا أن الاموال كلها كانت لنا فا في يد العرب فهو لنا وانماهم ظلونا وغصبوها منا فلا سبيل علينا في أخذها منهم بأى طريق كان وقيل ان اليهود كانوا يبائعون رجالا من المسلمين في الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم بقية أموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم فأكذبهم الله تعالى فقال ﴿ ويقولون على الله الكذب ﴾ يعنى اليهود ﴿ وهم يعلمون ﴾ يعنى انهم كاذبون ثم انه تعالى رد على اليهود قولهم فقال ﴿ بلى ﴾ أى ليس الامر كما قالوا بل عليهم سبيل ولفظة بلى مجرد نفى ما قبلها فعلى هذا يحسن الوقوف عليها ثم يتبدى من أوفى أى ولكن ﴿ من أوفى بعهده ﴾ أى بعهد الله الذى عهد اليه في التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الذى أنزل عليه واداء الامانة الى من ائتمنه عليها وقيل الهاء في قوله بعهده راجعة الى الموفى ﴿ واتقى ﴾ يعنى الكفر والخيانة ونقض العهد ﴿ فإن الله يحب المتقين ﴾ يعنى الذين يتقون الشرك (ق) عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر * وفي رواية اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر * قوله عز وجل ﴿ أن الذين يشتركون بعهد الله

بذلك (بلى) رد عليهم (من أوفى بعهده) يقول ولكن من أوفى بعهده فيما بينه وبين الله أو بينه وبين الناس (واتقى) عن نقض العهد بالخيانة وترك الامانة (فإن الله يحب المتقين) من نقض العهد والخيانة وترك الامانة وهو عبد الله بن سلام وأصحابه * ثم ذكر عقوبتهم يعنى عقوبة اليهود فقال (أن الذين يشتركون بعهد الله)

بما عهدوا والله عليه من الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والوفاء بالامانات ﴿وايمانهم﴾
وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ﴿ثمنا قليلا﴾ متاع الدنيا ﴿اولئك
لاخلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله﴾ بما يسرهم أو بشئ اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم

وايمانهم ﴿ثمنا قليلا﴾ قال عكرمة نزلت هذه الآية في أحبار اليهود ورؤسائهم أبي
رافع وكنانة بن أبي الحقيق وكعب بن الاشرف وحي بن أخطب الذين كتبوا
ما عهد الله اليهم في التوراة في شأن محمد صلى الله عليه وسلم فبدلوه وكتبوا بأيديهم
غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا تفوتهم الرشا والمآكل التي كانوا يأخذونها من
اتباعهم وسفلتهم وقيل نزلت في ادعاء اليهود الذين قالوا انه ليس علينا في الامين سبيل
وكتبوا ذلك بأيديهم وحلفوا انه من عند الله وقيل نزلت في الاشعث بن قيس وخصمه
(ق) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف
على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان قال عبد الله ثم قرأ علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله عز وجل ان الذين يشترون
بعهد الله وايمانهم ﴿ثمنا قليلا﴾ الى آخر الآية وفي رواية قال من حلف على يمين صبر
يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك ان
الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ﴿ثمنا قليلا﴾ الآية فدخل الاشعث بن قيس الكندي
فقال ما يحدثكم أبو عبد الرحمن قلنا كذا وكذا فقال صدق في نزلت كان بيني وبين
رجل خصومة في بئر فاخصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم شاهدك أو يمينه قلت انه اذا يحلف ولا يبالي فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر
لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ﴿ثمنا قليلا﴾ الى
آخر الآية وأخرجه الترمذى وأبو داود وقالوا ان الحكومة كانت بين الاشعث وبين
رجل يهودى وقيل نزلت هذه الآية في رجل أقام سلعة وهو في السوق فخلف لقد أعطى
بها مالم يعطه (خ) عن عبد الله بن أبي أوفى رضى الله عنه ان رجلا أقام سلعة وهو
في السوق فخلف بالله لقد أعطى بها مالم يعط ليوثق فيها رجلا من المسلمين فنزلت
ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ﴿ثمنا قليلا﴾ الى آخر الآية وقيل الاقرب جل الآية
على الكل فقوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله يدخل فيه جميع ما أمر الله به ويدخل
فيه اليهود والمواثيق المأخوذة من جهة الرسل ويدخل فيه ما يلزم الرجل نفسه
من عهد وميثاق فكل ذلك من عهد الله الذي يجب الوفاء به ومعنى ان الذين يشترون
يستبدلون بعهد الله يعنى الامانة وايمانهم يعنى الكاذبة ﴿ثمنا قليلا﴾ يعنى شئ يسيرا من
حطام الدنيا وذلك لان المشتري يأخذ شئاً ويعطى شئاً فكل واحد من المعطى والمأخوذ
يكون ﴿ثمنا للاخر فهذا معنى الشراء﴾ ﴿اولئك﴾ يعنى من هذه صفتهم ﴿لاخلاق لهم
في الآخرة﴾ أى لانصيب لهم في الآخرة ونعيمها وجميع منافعها ﴿ولا يكلمهم الله﴾

المصدق لما معهم (وايمانهم)
وبما حلفوا به من قولهم
والله لنؤمنن به ولننصرنه
(ثمنا قليلا) متاع الدنيا
من التروس والارتشاه
ونحو ذلك وقوله بعهد الله
يقوى رجوع الضمير في
بعده الى الله (اولئك
لاخلاق لهم في الآخرة)
أى لانصيب (ولا يكلمهم
الله) بما يسرهم

(وايمانهم) عهدهم مع
الانبياء (ثمنا قليلا) عرضا
يسيرا من المأكلة (اولئك
لاخلاق لهم) لانصيب لهم
(في الآخرة) في الجنة
(ولا يكلمهم الله) يوم
القيامة بكلام طيب

القيامة أو لا ينتفون بكلمات الله وآياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ﴿ولا ينظر اليهم يوم القيمة﴾ فأن من سخط على غيره واستهان به أعرض عنه وعن التكلم معه والاتفات نحوه كما أن من أعد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ﴿ولا يزكهم﴾ ولا يثني عليهم بالجليل ﴿ولهم عذاب أليم﴾ على ما فعلوه قيل انها نزلت في أحبار حرفوا التوراة وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات وغيرها وأخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشتراها به وقيل نزلت في ترافع كان بين الاشعث بن قيس ويهودى في بئر أو أرض وتوجه الحلف على اليهودى ﴿وأن منهم لفريقا﴾ يعنى المحرفين ككعب ومالك وحي بن أخطب ﴿يلوون ألسنتهم بالكتاب﴾ يفتلونها بقراءته فيملونها عن المنزل الى المحرف أو يعطفونها بشبه الكتاب وقرى يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها

يعنى كلاما يسرهم به أو ينفهمه وقيل هو بمعنى الغضب ﴿ولا ينظر اليهم يوم القيمة﴾ أى لا يرحمهم ولا يحسن اليهم ولا ينبلهم خيرا ﴿ولا يزكهم﴾ أى ولا يطهرهم من الذنوب ولا يثني عليهم بحميل ﴿ولهم عذاب أليم﴾ يعنى فى الآخرة (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم رجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة بعد المصير ليقطع بها مال امرئ مسلم ورجل منع فضل ماله فيقول الله له اليوم أمنعت فضلى كما منعت فضل مالم تعمل يدك (م) عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم قال فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقلت خابوا وخسروا من هم يا رسول الله قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب * وللنساء المنان بما أعطى والمسبل ازاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب (م) عن أبى أمامة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار فقالوا يا رسول الله وان كان شياً يسيراً قال وان كان قضيماً من أراك ﴿قوله عن وجل﴾ وأن منهم ﴿يعنى من اليهود﴾ لفريقا ﴿يعنى طائفة وجاعة وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحي بن أخطب وأبو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر﴾ يلوون ﴿أى يعطفون ويميلون وأصل اللى القتل من قولك لويت يده اذا قتلها﴾ ألسنتهم بالكتاب ﴿يعنى بالتحريف والتغيير والتبديل وتحريف الكلام تقليبه عن وجهه لان المحرف يلوى لسانه عن سنن الصواب بما يأتى به من عند نفسه قال الواحدى ويحتمل أن يكون المعنى يلوون بألسنتهم الكتاب لانهم يحرفون الكتاب عما هو عليه بألسنتهم فيأتون به على القلب ونقل الامام فخر الدين عن القفال قال يلوون ألسنتهم معناه

(ولا ينظر اليهم يوم القيمة) نظر رجة (ولا يزكهم) ولا يثني عليهم (ولهم عذاب أليم) مؤلم (وأن منهم) من أهل الكتاب (لفريقا) هم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحي بن أخطب وغيرهم (يلوون ألسنتهم بالكتاب) يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف واللى القتل وهو الصرف والمراد تحريفهم كآية الرجم ونعت محمد صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك

(ولا ينظر اليهم يوم القيمة) بالرحمة (ولا يزكهم) لا يبرئهم من اليهودية ولا يصلح بالهم (ولهم عذاب أليم) وجميع يخلص وجمه الى قلوبهم ويقال نزلت في عبدان بن الاشوع وامرئ القيس لخصومة كانت بينهما ونزل في اليهود ايضا (وأن منهم) من اليهود (لفريقا) طائفة كعبا وأصحابه (يلوون ألسنتهم) يحرفون ألسنتهم (بالكتاب) بقرائة صفة الدجال فى الكتاب

والضمير في (لحسبوه) يرجع الى ما دل عليه يلوون ألسنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه (من الكتاب) أى التوراة (وما هو من الكتاب) وليس هو من التوراة (ويقولون هو من عند الله) تأكيد لقوله هو {الجزء الثالث} من الكتاب وزيادة ﴿٥٢٦﴾ تشنيع عليهم (وما هو من عند الله

﴿لحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب﴾ الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون. وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير أيضا للمسلمين ﴿ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله﴾ تأكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحاً لاتعريضا أى ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضى أن لا يكون فعل العبد فعل الله سبحانه وتعالى ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ﴿ما كان لبشر أن يؤتية الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله﴾ تكذيب ورد على

ان يمدوا الى اللفظة فيحرفونها في حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى وهذا كثير فى لسان العرب فلا يبعد مثله فى العبرانية فلما فعلوا ذلك فى الآت الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة كان ذلك هو المراد من قوله يلوون ألسنتهم بالكتاب وقيل انهم غيروا صفة النبي صلى الله عليه وسلم من التوراة وبدلوا آية الرجم وغير ذلك بما بدلوا وغيروا ﴿لحسبوه من الكتاب﴾ يعنى اتظنوا أن الذى حرفوه وبدلوه من الكتاب الذى أنزله الله على أنبيائه ﴿وما هو من الكتاب﴾ يعنى ذلك الذى يزعمون أنه من الكتاب ما هو منه ﴿ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله﴾ يعنى الذى يقولونه ويغيرونه وانما كرر هذا بلفظين مختلفين مع اتحاد المعنى لاجل التأكيد ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ يعنى انهم كاذبون وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان الآية نزلت فى اليهود والنصارى جميعا وذلك انهم حرفوا التوراة والانجيل وألحقوا فى كتاب الله ما ليس فيه ﴿قوله عز وجل﴾ ما كان لبشر أن يؤتية الله الكتاب والحكم والنبوة ﴿قيل ان نصارى نجران قالوا ان عيسى أمرهم أن يتخذوه ربا فقال الله تعالى ردا عليهم ما كان لبشر يعنى عيسى عليه الصلاة والسلام ان يؤتية الله الكتاب يعنى الانجيل وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ما كان لبشر يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يؤتية الله الكتاب يعنى القرآن وذلك ان أبا رافع من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا يا محمد تريد أن نعبدك ونخضع لك ربا قال معاذ الله أن أمر بعبادة غير الله وما بذلك أمرنى الله وما بذلك يعنى فأنزل الله هذه الآية ما كان لبشر أى ما ينبغى لبشر وهو جميع بنى آدم لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط وبوضع موضع الواحد والجمع أن يؤتية الله الكتاب والحكم يعنى الفهم والعلم وقيل هو امضاء الحكم من الله تعالى والنبوة يعنى المنزلة الرفيعة ﴿ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله﴾ ومعنى الآية انه لا يجمع لرجل نبوة مع القول للناس

ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (انهم كاذبون) ما كان لبشر أن يؤتية الله الكتاب) تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى عليه السلام وقيل قال رجل يارسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا تسجدك قال لا ينبغى أن يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله (والحكم) والحكمة وهى السنة أو فصل القضاء (والنبوة ثم يقول) عطف على يؤتية (لناس كونوا عبادا لى من دون الله

(لحسبوه) لى تظنه السفلة انه (من الكتاب وما هو من الكتاب) ويقولون هو من عند الله (فى التوراة) (وما هو من عند الله) فى التوراة (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) ان ليس ذلك فى كتابهم ويقال نزلت فى الخبرين الفقيرين اللذين غيرا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة ثم نزل فى مقاتلهم

نحن على دين ابراهيم وأمرنا ابراهيم بهذا الدين فقال الله (ما كان لبشر) من الانبياء (أن يؤتية الله) (كونوا) يعطيه الله (الكتاب والحكم) الفهم (والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى) عبيدا لى (من دون الله

ولكن كونوا ربانيين) ولكن يقول كونوا ﴿٥٢٧﴾ ربانيين والرباني ﴿سورة آل عمران﴾ منسوب الى الرب بزيادة

الالف والتون وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته وحين مات ابن عباس قال ابن الحنفية مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وقالوا الرباني العالم العاقل (بما كنتم تعلمون الكتاب) كوفي وشامي أي غيركم غيرهم بالتخفيف (وبما كنتم تدرسون) أي تقوؤن والمعنى بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم كانت الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفي به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكدروحه في جمع العلم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان كمن غرس شجرة حسناء تؤثقه بمنظرها ولائفه بثمرها وقيل معنى تدرسون تدرسونه على الناس كقوله لتقرأ على الناس فيكون معناه معنى تدرسون من التدريس

ولكن كونوا) ولكن أمرهم ان يكونوا (ربانيين) علماء فقهاء عالمين (بما كنتم تعلمون) الناس (الكتاب) من الكتاب

ويقال تعلمون الكتاب (وبما كنتم تدرسون) تقروؤن من الكتاب

عبدة عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل ان أبا رافع القرظي والسيد النجراتي قالوا يا محمد أتريد ان نعبدك ونخذلك ربا فقال معاذ الله ان يعبد غير الله وان نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بمعنى ولا بذلك أمرني فنزلت وقيل قال رجل يارسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي أن نسجد لاحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ﴿ولكن كونوا ربانيين﴾ ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والتون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل ﴿بما كنتم تعلمون الكتاب﴾ وبما كنتم تدرسون ﴿بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فأن فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق واخيرا للاعتقاد والعمل﴾ وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب تعلمون

كونوا عبادا لي من دون الله وكيف يدعو الناس الى عبادة نفسه دون الله وقد أتاه الله ما أتاه من الكتاب والحكم والنبوة وذلك ان الانبياء موصوفون بصفات لا يحصل معها ادعاء الالهية والربوبية منها ان الله تعالى أتاهم الكتب السماوية ومنها اتياء النبوة ولا يكون الا بعد كمال العلم وكل هذه تمنع من هذه الدعوى ﴿ولكن كونوا ربانيين﴾ يعني ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فاضمر القول على حسب مذهب العرب في جواز الاضمار اذا كان في الكلام ما يدل عليه واختلفوا في معنى الرباني فقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه كونوا فقهاء علماء وعنه كونوا فقهاء معلمين وقيل معناه حكماء علماء وقيل الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم وكباره وقيل الرباني العالم الذي يعمل بعلمه وقيل الرباني العالم بالحلل والحرام والامر والنهي وقيل الرباني الذي جمع بين علم البصيرة والعلم بسياسة الناس ولمعات ابن عباس رضي الله عنهما قال محمد بن الحنفية اليوم مات رباني هذا الامة قال سيويه الرباني المنسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به ومواظبا على طاعته وزيادة الالف والتون فيه للدلالة على كمال هذه الصفة وقال المبرد الربانيون أرباب العلم واحدهم ربان وهو الذي يربي العلم ويربي الناس أي يعلمهم وينصحهم والالف والتون للمبالغة فعلى قول سيويه الرباني منسوب الى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب وطاعته وعلى قول المبرد الرباني مأخوذ من التربية وقيل الربانيون هم ولاة الامر والعلماء وهما الفريقان اللذان يطاعان ومعنى الآية على هذا التأويل لأدعوكم الى أن تكونوا عبادا لي ولكن أدعوكم الى أن تكونوا ملوكا وعلماء ومعلمين الناس الخير ومواظبين على طاعة الله وعبادته وقال أبو عبيدة أحسب ان هذه الكلمة ليست عربية انما هي عبرانية أو سريانية وسواء كانت عربية أو عبرانية فهي تدل على الذي علم وعمل بما علم وعلم الناس طريق الخير ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿بما كنتم تعلمون الكتاب﴾ وبما كنتم تدرسون ﴿أي كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين وبسبب دراستكم الكتاب فدللت الآية على ان العلم والتعليم والدراسة توجب كون الانسان ربانيا فن اشتغل

كقراءة ابن جبير (ولا يأمركم) بالنصب عطفًا على ثم يقول ووجهه أن تجعل لامزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر أن يستنبهه الله وينصبه للدعاء إلى اختصاص الله بالعبادة وترك الاندفاع ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادًا له ويأمركم (أن تتخذوا { الجزء الثالث } الملائكة والنبين ﴿٥٢٨﴾ أربابًا) كما تقول ما كان لزيد أن أكرمه

ثم يهينى ولا يستخف بي وبالرفع مجازي وأبو عمرو وعلى على ابتداء الكلام والهمزة في (أيا أمركم بالكفر) للانكار والضمير في لا يأمركم وأيا أمركم للبشر أوله وقوله (بعد أذ أنتم مسلمون) يدل على ان الخطابين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه ان يسجدوا له (وأخذ الله ميثاق النبيين) هو على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك أو المراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف (ولا يأمركم) يامعشر قريش واليهود والنصارى (أن تتخذوا الملائكة) بنات الله (والنبيين أربابًا) يأمركم بالكفر (كيف أمركم ابراهيم بالكفر) (بعد أذ أنتم مسلمون) بعد اذ أمركم بالاسلام فقال ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون يقول ما بعث الله رسولا الا أمر ذلك الرسول بالاسلام لا باليهودية والنصرانية وعبادة الاصنام كما قال هؤلاء الكفار ويقال

بمعنى عالمين وقرىء تدرسون من التدريس وتدرسون من أدرس بمعنى درس كما كرم وكرم يجوز ان تكون القراءة المشهورة أيضا بهذا المعنى على تقدير وبما كنتم تدرسونه على الناس ﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ﴾ نصبه ابن عامر وحزة وعاصم ويعقوب عطفًا على تم يقول وتكون لامزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان أى ما كان لبشر ان يستنبهه الله تم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر بتأخذ الملائكة والنبيين أربابا أو غير مزيدة على معنى أنه ليس له أن يأمر بعبادته ولا يأمر بتأخذ اكفائه أربابا بل ينهى عنه وهو أدنى من العبادة ورفع الباقيون على الاستئناف ويحتمل الحال وقرأ أبو بكر على أصله برواية الدورى باختلاس الضم ﴿ أيا أمركم بالكفر ﴾ انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله سبحانه وتعالى ﴿ بعد أذ أنتم مسلمون ﴾ دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له ﴿ وأخذ الله ميثاق النبيين بالعلم والتعليم لالهذا المقصود ضاع علمه وخاب سعيه ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ولا يأمركم) قرىء بنصب الراء عطفًا على قوله ثم يقول فيكون مردودا على البشر وقيل على اضمار أن أى ولا ان يأمركم وقرىء برفع الراء على الاستئناف وهو ظاهر ومعناه ولا يأمركم الله وقيل ولا يأمركم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ولا يأمركم عيسى وقيل ولا يأمركم الانبياء ﴿ أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ﴾ يعنى كفعل قريش والصابئين حيث قالوا الملائكة بنات الله وكفعل اليهود والنصارى حيث قالوا في المسيح والعزير ما قالوا وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله عز وجل من أهل الكتاب لم يحك عنهم الاعادة الملائكة وعبادة المسيح وعزير فلهذا المعنى خصهم بالذكر ﴿ أيا أمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون ﴾ انما قاله على طريق التعجب والانكار يعنى لا يقول هذا ولا يفعله ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وأخذ الله ميثاق النبيين) قال الزجاج موضع اذ نصب والمعنى واذكر في أقاصيصك اذ أخذ الله وقال الطبرى معناه واذكروا يأهل الكتاب اذ أخذ الله يعنى حين أخذ الله ميثاق النبيين وأصل الميثاق فى اللغة عقد يؤكد بين ومعنى ميثاق النبيين ما وثقوا به على أنفسهم من طاعة الله فيما أمرهم به ونهاهم عنه وذكروا فى معنى أخذ الميثاق وجهين أحدهما انه مأخوذ من الانبياء والثانى انه مأخوذ لهم من غيرهم فلهذا السبب اختلفوا فى المعنى بهذه الآية فذهب قوم الى أن الله تعالى أخذ الميثاق من النبيين خاصة قبل أن يبلغوا كتاب الله ورسالاته الى عباده أن يصدق بعضهم بعضا وأخذ العهد على كل نبي أن يؤمن بمن يأتي بعده من الانبياء وينصره ان أدركه وان لم يدركه ان يأمر قومه بنصرته ان أدركوه فأخذ الميثاق من موسى

نزات هذه الآية فى مقالة اليهود لمحمد تأمرنا أن نحبك ونعبدك كما عبدت النصارى المسيح وكذلك قالت النصارى (ان) والمشركون ثم بين الله ميثاقه يوم بلى على النبيين فى محذونته ووصفته فقال (وأخذ الله ميثاق النبيين) يقول أخذ الميثاق

واللام في (لما آتيتكم من ﴿ ٥٢٩ ﴾ كتاب وحكمة) { سورة آل عمران } لام النوطة لان اخذ الميثاق

في معنى الاستحلاف وفي
لتؤمنين لام جواب القسم
وما يجوز أن تكون متضمنة
لمعنى الشرط ولتؤمنين
سادس جواب القسم
والشرط جميعا وأن تكون
موصولة بمعنى للذي آتيتكموه
لتؤمنين به (ثم جاءكم)

معطوف على الصلوة والعائد
منه الى ما محذوف والتقدير
ثم جاءكم به (رسول مصدق
لما معكم) للكتاب الذي
معكم (لتؤمنين به) بالرسول
(ولتضمنه) أى الرسول
وهو محمد صلى الله عليه وسلم
لما آتيتكم حجة وما بمعنى
الذي أو مصدرية أى لاجل
إتائى اياكم بعض الكتاب
والحكمة ثم ليجى رسول
مصدق لما معكم واللام
للتعليل أى أخذ الله ميثاقهم
لتؤمنين بالرسول ولتضمنه
لاجل أنى آتيتكم الحكمة
وأن الرسول الذى أمركم
بالإيمان به ونصرته موافق
لكم غير مخالف آتيناكم مدنى

على النبيين ان يبين بعضهم
لبعض صفة محمد ونمته وفضله
(لما آتيتكم) يقول حين
أعطيتكم (من كتاب
وحكمة) فيه الحلال
والحرام (ثم) تأخذون
ايضا على أمتكم أن اذا
(جاءكم رسول مصدق)

لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنين به ولتضمنه ﴿
قيل أنه على ظاهره وإذا كان هذا حكم الانبياء كان الائم به اولى وقيل منناه انه سبحانه
وتعالى أخذ الميثاق من النبيين وأممهم واستغنى بذكر الائم وقيل اضافة
الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل والمعنى واذا أخذ الله الميثاق الذى وثقه الانبياء
على أمتهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو إسرائيل أو سماهم
نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا أهل الكتاب والنبيون
كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل

ان يؤمن بعيسى ومن عيسى ان يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وهذا
قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس وقيل انما أخذ الميثاق من النبيين فى أمر محمد
صلى الله عليه وسلم خاصة وهو قول على وابن عباس وقتادة والسدى رضى الله عنهم فعلى هذا
القول اختلفوا فقيل انما أخذ الله الميثاق على أهل الكتاب الذين أرسل اليهم النبيين
ويدل عليه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنين به ولتضمنه وانما كان محمد
صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى أهل الكتاب دون النبيين وانما أطلق هذا اللفظ
عليهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا أهل كتاب والنبيون منا
وقيل أخذ الله الميثاق على النبيين وأممهم جميعا فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم فاكتفى
بذكر الانبياء لان العهد مع المتبوع عهد مع الاتباع وهو قول ابن عباس قال على بن أبى
طالب رضى الله عنه ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد فى أمر محمد صلى الله عليه
وسلم وأخذ هو العهد على قومه ليؤمنين به ولئن بعث وهم أحياء ليتضمنه وقيل
ان المراد من الآية ان الانبياء كانوا يأخذون العهد والميثاق على أمتهم بانه اذا بعث
محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به وينصروه وهذا قول كثير من المفسرين ﴿ قوله
عز وجل ﴿ لما آتيتكم من كتاب وحكمة ﴾ قرئ بفتح اللام من لما وبكسرها مع التخفيف
فى القراءتين فمن قرأ بفتح اللام قال معنى الآية واذا أخذ الله ميثاق النبيين من أجل
الذى آتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول يعنى ذكر محمد صلى الله عليه وسلم
فى التوراة لتؤمنين به للذى عندكم فى التوراة من ذكره ومن قرأ بكسر اللام جعل
قوله لتؤمنين به من أخذ الميثاق كما يقال أخذت ميثاقك لئفعلن لان أخذ الميثاق
بنزلة الاستحلاف فكان معنى الآية واذا استخلف الله النبيين للذى آتاهم من كتاب وحكمة
متى جاءهم رسول مصدق لما معهم ليؤمنين به ولتضمنه ﴿ قوله عز وجل ﴿ ثم جاءكم رسول ﴾
يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ مصدق لما معكم ﴾ وذلك ان الله وصفه فى كتب
الانبياء المتقدمة وشرح فيها احواله فاذا جاءت صفاته واحواله مطابقة لما فى كتبهم
المنزلة فقد صار مصداقها فيجب الايمان به والانقياد لقوله ولام قوله ﴿ لتؤمنين به ﴾
لام القسم تقديره والله لتؤمنين به ﴿ ولتضمنه ﴾ قال البغوى قال الله عز وجل
للالنبياء حين استخرج الذرية من صلب آدم والانبياء فيهم كالمصابيح أخذ عليهم
الميثاق فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم أفقرتم وأخذتم على ذلك امرى الآية وقال الامام
فخر الدين الرازى يحتمل أن يكون هذا الميثاق ما قرر فى عقولهم من الدلائل الدالة

موافق بالتوحيد (لما معكم) من الكتاب (قا وخا ٦٧ ل) (لتؤمنين به) يقول لتقرن به وفضله (ولتضمنه) بالسيف على

(قال) أي الله (أفترتم وأخذتم على ذلكم اصري) أي قبلتم عهدي وسمي اصرا لانه مما يؤصر أي يشد ويعقد (قالوا أقرنا قال فاشهدوا) فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار (وأنا معكم من الشاهدين) وأنا معكم على ذلك من اقراركم وتشهدكم من الشاهدين {الجزء الثالث} وهذا توكيد ﴿٥٣٠﴾ عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة

الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية * وقرأ حزة لما بالكسر على ان ماصدرية أي لاجل ابتائ أيكم بعض الكتاب ثم مجي رسول مصدق أخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتصرنه أو موصولة والمعنى أخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له * وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم أو لمن أجل ما آتيتكم على أن أصله لمن ما بالادغام فحذف إحدى الميمات الثلاث استقلا * وقرأ نافع آتيناكم بالنون والالف جميعا ﴿ قال أفترتم وأخذتم على ذلكم اصري ﴾ أي عهدي سمي به لاني يؤصر أي يشد * وقرئ بالضم وهو امالفة فيه كبير وعبر أوجع آصار وهو ما يشده ﴿ قالوا أقرنا قال فاشهدوا ﴾ أي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة ﴿ وأنا معكم من الشاهدين ﴾ وأنا ايضا على اقراركم وتشهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم ﴿ فمن تولى بعد ذلك ﴾ بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة ﴿ فأولئك هم الفاسقون ﴾ المتردون من الكفرة ﴿ أفغير دين الله يبغون ﴾ عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما على ان الانقياد من الله واجب فاذا جاء رسول وظهرت المعجزات الدالة على صدقه فاذا أخبرهم بعد ذلك ان الله أمر الخلق بالايان به عرفوا عند ذلك وجوبه بتقرير هذا الدليل في عقولهم فهذا هو المراد من الميثاق ﴿ قال أفترتم ﴾ يعني قال الله تعالى أفترتم فان فسرنا أن أخذ الميثاق كان من النبيين كان معناه قال الله تعالى للنبيين أفترتم بالايان به والنصر له وان فسرنا بأن أخذ الميثاق كان على الامم كان معناه قال كل نبي لامته أفترتم وذلك لانه تعالى أضاف أخذ الميثاق الى نفسه وان كان النبيون أخذوه على الامم فلذلك طلب هذا الاقرار وأضافه الى نفسه وان وقع من الانبياء والمقصود ان الانبياء بالغوا في اثبات هذا الميثاق وتأكيدهم على الامم وطلبوهم بالقبول وأكدوا ذلك بالاشهاد ﴿ وأخذتم على ذلكم اصري ﴾ أي عهدي والاصر العهد الثقيل وقيل سمي العهد اصرا لانه مما يؤصر أي يشد ويعقد ﴿ قالوا أقرنا ﴾ أي قال النبيون أقرنا بما ألزمتنا من الايمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من كتبك ﴿ قال فاشهدوا ﴾ يعني قال الله عز وجل للنبيين فاشهدوا يعني أنتم على أنفسكم وقيل على أممكم وأتباعكم الذين أخذتم عليهم الميثاق وقيل قال الله للملائكة فاشدوا فهو كناية عن غير مذكور وقيل معناه فاعلموا وبينوا لان اصل الشهادة العلم والبيان ﴿ وأنا معكم من الشاهدين ﴾ يعني قال الله يامعشر الانبياء وانا معكم من الشاهدين عليكم وعلى أتباعكم أو قال للملائكة وأنا معكم من الشاهدين عليهم ﴿ فمن تولى ﴾ أي أعرض عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصرته ﴿ بعد ذلك ﴾ الاقرار ﴿ فأولئك هم الفاسقون ﴾ أي الخارجون عن الايمان والطاعة ﴿ قوله عز وجل ﴾ أفغير دين الله يبغون ﴿ وذلك ان أهل الكتاب

بعضهم على بعض وقيل قال الله للملائكة اشهدوا (فن تولى بعد ذلك) الميثاق والتوكيد ونقض العهد بعد قبوله وأعرض عن الايمان بالنبي الجائي (فأولئك هم الفاسقون) المتردون من الكفار (أفغير دين الله يبغون)

اعدائه وبيان صفته (قال) أفترتم (قال الله لهم) قبلتم (وأخذتم على ذلكم) ما قلت (اصري) عهدي (قالوا) أي النبيون (أقرنا) قبلنا (قال) الله (فاشهدوا) على ذلكم (وأنا معكم من الشاهدين) على ذلك فأشهد الله بعضهم على بعض بذلك وشهد هو بنفسه على ذلك فبين كل نبي لامته ذلك وأشهد كل نبي أمته بعضهم على بعض بذلك وشهد كل نبي بنفسه على ذلك (فن تولى) من الامم (بعد ذلك) عن الميثاق (فأولئك هم الفاسقون) الناقضون الكافرون ثم ذكر خصومة اليهود والنصارى وسؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم أيان على دين ابراهيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريتان (اختلفوا) من دين ابراهيم فقالوا لا يرضى بذلك فقال الله (أفغير دين الله) الاسلام (يبغون) يطلبون عندك

(اختلفوا) من دين ابراهيم فقالوا لا يرضى بذلك فقال الله (أفغير دين الله) الاسلام (يبغون) يطلبون عندك

دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره ﴿٥٣١﴾ يتولون فغير دين الله يبغون {سورة آل عمران} ووقدم المفعول وهو غير دين

الله على فله لانه أهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالبطل (وله أسلم من في السموات) الملائكة (والارض) الانس والجن (طوعا) بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه (وكرها) بالسيف أو بميانة العذاب كتنتق الجبل على نجي اسرائيل وادراك الفرق فرعون والاشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال أى طائعين ومكرهين (واليه ترجعون) فيجازيكم على الاعمال يبغون ويرجعون بالياء فيهما حفص وبالناء في الثاني وقع الجيم أبو عمرو لان الباعين هم المتولون والراجعون جميع الناس وبالناء فيهما وقع الجيم غيرهما (قل آمنا بالله

(وله اسلم) أقر بالاسلام والتوحيد (من في السموات) من الملائكة (والارض) من انؤمنين (طوعا) أهل السموات بالطوع (وكرها) اهل الارض بالكره ويقال المخلصون بالطوع والمنفقون

للانكار أو محذوف تقديره يتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند أبي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالناء عند الباقرين على تقدير وقل لهم ﴿وله أسلم﴾ من في السموات والارض طوعا وكرها ﴿أى طائعين بالنظر واتباع الحجة وكرهين بالسيف ومعانة ما يلجئ الى الاسلام كتنتق الجبل وادراك الفرق والاشراف على الموت أو مختارين كالملائكة والمؤمنين أو مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدر ان يمتنعوا عما قضى عليهم ﴿وإليه ترجعون﴾ وقرئ بالياء على أن الضمير لمن ﴿قل آمنا بالله

اختلفوا فادعى كل فريق منهم أنه على دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام فاختلفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برئ من دين ابراهيم فغضبوا وقالوا لا نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فأنزل الله أفغير دين الله الهمزة للاستفهام والمراد منه الانكار والتوبيخ يعنى أفبعد أخذ الميثاق عليهم ووضوح الدلائل لهم أن دين ابراهيم هو دين الله الاسلام تبغون قرئ بالناء على خطاب الحاضر أى أفغير دين الله تطلبون يا معشر اليهود والنصارى وقرئ بالياء على الغيبة ردا على قوله فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴿وله أسلم﴾ أى خضع وانقاد ﴿من في السموات والارض طوعا وكرها﴾ الطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما كان من ذلك بمشقة وابه من النفس واختلفوا في معنى قوله طوعا وكرها فقبل أسلم أهل السموات طوعا وأسلم بعض أهل الارض طوعا وبعضهم كرها من خوف القتل والسبي وقيل اسلم المؤمن طوعا وانقاد الكافر كرها وقيل هذا في يوم أخذ الميثاق حين قال ألت بر بكم قالوا بلى فمن سبقت له السادة قال ذلك طوعا ومن سبقت له الشقاوة قال ذلك كرها وقيل أسلم المؤمن طوعا فنفعه اسلامه يوم القيامة والكافر يسلم كرها عند الموت في وقت اليأس فلم ينفعه ذلك في القيامة وقيل انه لا سبيل لاحد من الخلق الى الامتناع على الله في مراده فأما المسلم فينقاد الله فيما أمره أو نهاه عنه طوعا وأما الكافر فينقاد الله كرها في جميع ما يقضى عليه ولا يمكنه دفع قضائه وقدره عنه ﴿وإليه ترجعون﴾ قرئ بالناء والياء والمعنى أن مرجع الخلق كلهم الى الله يوم القيامة وفيه وعيد عظيم لمن خالفه في الدنيا ﴿قل آمنا بالله﴾ لما ذكر الله عز وجل في الآية المقدمة أخذ الميثاق على الانبياء في تصديق الرسول الذي يأتي مصدقا لما معهم بين في هذه الآية ان من صفة محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لما معهم فقال تعالى قل آمنا بالله وانما وحد الضمير في قوله قل وجمع في قوله آمنا بالله لانه انما خاطبه بلفظ الواحد ان يدل هذا الكلام على انه لا يبلغ هذا التكليف عن الله تعالى الى الخلق الا هو ثم قال آمنا بالله تنبها على انه حين قال هذا القول وافقه أصحابه فحسن الجمع في قوله آمنا ومعنى الآية قل يا محمد صدقنا بالله انه ربنا وأهلنا لأله لنا غيره ولا رب سواه وانما قدم الايمان بالله على غيره لانه الاصل

بالكره ويقال الذين ولدوا في الاسلام بالطوع والذين ادخلوا في الاسلام بالسيف بالكره (واليه ترجعون) بعد الموت * ثم بين حكم الايمان لكي يكون دلالة لهم الى الايمان فقال (قل) يا محمد (آمنا بالله) وحده

وما أنزل علينا) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يخبر عن نفسه وعن معه بالإيمان فلذا وحده الضمير في قل وجمع في آمنا أو أمر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك أجالا من الله لقد ربي وعدي أنزل هنا بحرف الاستعلاء وفي البقرة بحرف الانتهاء لوجود المعنيين إذ الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى الرسول فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر وقال صاحب الباب الخطاب في البقرة للامة لقوله قولوا فلم يصح إلا إلى لان الكتب منتهية إلى الانبياء وإلى أممهم جميعا وهنا قال قل وهو خطاب للنبي {الجزء الثالث} عليه السلام دون أمته ﴿٥٣٢﴾ فكان اللائق به على لان الكتب منزلة

وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وأسمحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنيبون من ربهم ﴿٥٣٢﴾ أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يخبر عن نفسه ومتابعيه بالإيمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وأيضا المنسوب إلى واحد من الجمع قد ينسب اليهم أو بأن يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك أجالا له والنزول كما عدي بألى لانه ينتهي إلى الرسل يعدي بعلى لانه من فوق وأما قدم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له واليعار عليه ﴿٥٣٢﴾ لان فرق بين أحد منهم ﴿٥٣٢﴾ بالتصديق والتكذيب ﴿٥٣٢﴾ ونحن له مسلمون ﴿٥٣٢﴾ منقادون أو مخلصون في عبادته ﴿٥٣٢﴾ ومن يتبع غير الاسلام دينا ﴿٥٣٢﴾ أى غير التوحيد والانتقياد لحكم الله ﴿٥٣٢﴾ فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴿٥٣٢﴾ الواقعين في الخسران والمعنى أن المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقدر للنتفع واقع في الخسران

﴿٥٣٢﴾ وما أنزل علينا ﴿٥٣٢﴾ يعنى وقل يا محمد وصدقنا أيضا بما أنزل علينا من وحيه وتزييه وانما قدم ذكر القرآن لانه أشرف الكتب وأنه لم يحرف ولم يبدل وغيره حرف وبدل ﴿٥٣٢﴾ وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وأسمحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى ﴿٥٣٢﴾ انما خص هؤلاء الانبياء بالذكر لان أهل الكتاب يعترفون بوجودهم ولم يختلفوا في نبوتهم والاسباط هم أولاد يعقوب الاثنا عشر وكانوا أنبياء ثم جمع جميع الانبياء فقال ﴿٥٣٢﴾ والنيبون ﴿٥٣٢﴾ أى وما أوتى النبيون ﴿٥٣٢﴾ من ربهم لان فرق بين أحد منهم ﴿٥٣٢﴾ وذلك أن أهل الكتاب يؤمنون ببعض النبيين ويكفرون ببعض فأمر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يخبر عن نفسه وعن أمته أنه يؤمن بجميع الانبياء * فأن قلت لم عدي أنزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها في البقرة بحرف الانتهاء * قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى الرسل فجاء تارة بأحد المعنيين وتارة بالمعنى الآخر ﴿٥٣٢﴾ ونحن له مسلمون ﴿٥٣٢﴾ أى موحدون مخلصون أنفسهم لان جعل له شريكا في عبادتنا ﴿٥٣٢﴾ قوله عز وجل ﴿٥٣٢﴾ ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ﴿٥٣٢﴾ يعنى أن الدين المقبول عند الله هو دين الاسلام وأن كل دين سواه غير مقبول عنده لان الدين الصحيح ما يأمر الله به ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه ﴿٥٣٢﴾ وهو في الآخرة من الخاسرين ﴿٥٣٢﴾ يعنى الذين وقعوا

عليه لاشركة الامة فيه وفيه نظر لقوله تعالى آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا (وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وأسمحق ويعقوب والاسباط) أولاد يعقوب وكان فيهم أنبياء (وما أوتى موسى وعيسى والنيبون) كرر في البقرة وما أوتى موسى ولم يكرر هنا لتقدم ذكر الايمان حيث قال لما آتيتكم (من ربهم) من عند ربهم (لان فرق بين أحد منهم) في الايمان كما فعلت اليهود والنصارى (ونحن له مسلمون) موحدون مخلصون أنفسهم لان جعل له شريكا في عبادتنا (ومن يتبع غير الاسلام) يعنى التوحيد والاسلام اوجه الله أو غير دين محمد عليه السلام (دينا) تمييز فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) من الذين وقعوا في الخسران ونزل في رهط أسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة

لاشريك له (وما أنزل علينا) وبما أنزل علينا القرآن (وما أنزل على إبراهيم) بأبراهيم وكتابه (وأسماعيل) وكتابه (ويعقوب) وكتابه (والاسباط) أولاد يعقوب وكتابه (وما أوتى) أعطى (موسى) بموسى وكتابه (وعيسى) بعيسى وكتابه (والنيبون) بجملة النبيين وكتابه (من ربهم) لان فرق بين أحد منهم (لان تكفر بأحد من الانبياء) ويقال لان فرق بينهم وبين الله بالنبوة والاسلام (ونحن له مسلمون) مقرون له بالعبادة والتوحيد مخلصون له بالدين (ومن يتبع) يطلب (غير الاسلام دينا) فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين (من المقبولين بذهاب الجنة

(كيف يهدى الله قوما

كفروا بعدايمانهم) والواو في (وشهدوا أن الرسول حق) للحال وقد ضمرة أى كفروا وقد شهدوا ان الرسول أى محمدا حق أولعطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد أن آمنوا (وجاءهم البينات) أى الشواهد كالقرآن وسائر المعجزات (والله لا يهدى القوم الظالمين) أى ماداموا مختارين الكفرا ولا يهديهم

طريق الجنة اذا ماتوا كفارا (أولئك) مبتدأ (جزاؤهم) مبتدأ ثان خبره (أن عليهم لعنة الله) وهما خبر أولئك أو جزاؤهم بدل الاشتمال من أولئك (والملائكة والناس أجمعين

وما فيها ولزوم النار وما فيها) (كيف يهدى الله) لدينه (قوما كفروا) بالله (بعدايمانهم) بالله (وشهدوا أن الرسول) محمدا (حق وجاءهم البينات) البيان والكتاب (والله لا يهدى القوم الظالمين) المشركين بدنيته من لم يكن أهلا لذلك (أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله) عذاب الله (والملائكة) ولعنة الملائكة (والناس أجمعين) ولعنة

بأبطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به على أن الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل * والجواب أنه ينفي قبول كل دين يغيره لا قبول كل ما يغيره ولعل الدين أيضا للأعمال * كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات * استبعاد لان يهديهم الله فأن الحائد عن الحق بعدما وضع له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وأنكاره وذلك يقتضى أن لا تقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فأصدق وأكن أوحال بأضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على أن الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان * والله لا يهدى القوم الظالمين * الذين ظلوا أنفسهم بالاخلاق بالنظر ووضع الكفر ووضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين * يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق أنهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى آيسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون أو العموم

في الخسار وهو حرمان الثواب وحصول العقاب وروى ابن جرير الطبري عن عكرمة في قوله ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه. قالت اليهود فحن مسلمون فقال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم والله على الناس حج البيت فلم يحجوا * قوله عز وجل * كيف يهدى الله قوما كفروا بعدايمانهم * نزلت في اثني عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة وأتوا مكة كفارا منهم الحرث بن سويد الانصاري وطعمة بن أبيرق وحجوج بن الاسد وقال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت في اليهود والنضارى وذلك أن اليهود كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون به على الكفار ويقرون به ويقولون قد أظل زمان نبي مبعوث فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به بغيا وحسدا ومعنى كيف يهدى الله كيف يرشده الله للصواب ويوفق للايمان قوما كفروا أى جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعدايمانهم أى تصديقهم آياه وأفرارهم به وبما جاءه من عند ربه * وشهدوا أن الرسول حق * يعنى وبعد أن أقروا وشهدوا أن محمدا رسول الله الى خلقه وأنه حق وصدق * وجاءهم البينات * يعنى الحجج والبراهين والمعجزات الدالة على صحة نبوته التي بثها أثبت النبوة * والله لا يهدى القوم الظالمين * أى لا يوفقهم الى الحق والصواب لما سبق في علمه تعالى أنهم ظالمون وقيل لا يهديهم في الآخرة الى الجنة والثواب * فأن قلت كيف قال في أول الآية كيف يهدى الله قوما كفروا وقال في آخرها والله لا يهدى القوم الظالمين وهذا تكرار * قلت ليس فيه تكرار لان قوله كيف يهدى الله قوما كفروا انما هو مختص بأولئك المرتدين عن الاسلام ثم أنه تعالى عم ذلك الحكم في آخر الآية فقال والله لا يهدى القوم الظالمين يعنى جميع الكفار المرتدين عن الاسلام والكافر الاصلى وانما سمي الكافر ظلما لانه وضع العبادة في غير موضعها * أولئك جزاؤهم * يعنى الذين كفروا بعدايمانهم * أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين

خالدين) حال من الهاء والميم { الجزء الثالث } في عليهم (فيها) ﴿٥٣٤﴾ في اللعنة (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون

فأن الكافر أيضا يلعن منكر الحق والمراد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه ﴿ خالدين فيها ﴾ في اللعنة أو العقوبة أو النار وأن لم يجز ذكرهما لدلالة الكلام عليهما ﴿ لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴾ الذين تابوا من بعد ذلك ﴿ أى من بعد الارتداد ﴾ وأصلحوا ﴿ ما أفسدوا ﴾ ويجوز أن لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح ﴿ فأن الله غفور ﴾ يقبل توبته ﴿ رحيم ﴾ يتفضل عليه قيل أنها نزلت في الحارث ابن سويد حين ندم على رده فأرسل الى قومه أن أسألوها هل من توبة فأرسل اليه أخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب ﴿ أن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا ﴾ كاليهود كفروا ببعيسى والانجيل بعد الايمان بوعسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن أو كفروا بمحمد بعدما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالأصرار والعناد والظن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق أو كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون أو نرجع اليه ونناقضه باظهاره ﴿ لن تقبل توبتهم ﴾ لانهم لا يتوبون أو لا يتوبون الا اذا أشرفوا

خالدين فيها ﴿ أى في عذاب اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة ﴾ لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴿ أى لا يؤخرون عن وقت العذاب ولا يؤخر عنهم من وقت الى وقت ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال ﴿ الا الذين تابوا من بعد ذلك ﴾ يعنى من بعد ارتدادهم وكفرهم وذلك أن الحارث بن سويد الانصارى لما لحق بالكفار ندم على ذلك فأرسل الى قومه أن سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ففعلوا فأرسل الله تعالى الى الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الآية فبعث بها اليه أخوه الجلاس مع رجل من قومه فأقبل الى المدينة تأبياً وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن أسلامه ﴿ وأصلحوا ﴾ أى وضموا الى التوبة الاعمال الصالحة فيبين أن التوبة وحدها لا تكفي حتى يضاف اليها العمل الصالح وقيل معناه وأصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات والطاعات ﴿ فأن الله غفور ﴾ أى غفور لقباً لهم في الدنيا بالستر رحيم في الآخرة بالعفو وقيل غفور بأزالة العذاب رحيم بأعطاء الثواب ﴿ قوله عز وجل ﴾ أن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم ﴿ نزلت في اليهود وذلك أنهم كفروا ببعيسى والانجيل بعد إيمانهم بوعسى وغيره من أنبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعنى كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت في اليهود والانسارى وذلك أنهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما رأوه بعد إيمانهم به قبل مبعثه لما ثبت عندهم من نعمته وصفته في كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعنى ذنوباً في حال كفرهم وقيل نزلت في جميع الكفار وذلك أنهم أشركوا بالله بعد اقرارهم بأن الله خالقهم ثم ازدادوا كفرا يعنى بأقامتهم على كفرهم حتى هلكوا وعليه وقيل زيادة كفرهم هو قولهم نتربص بمحمد ريب المنون وقيل نزلت في أحد عشر رجلاً من أصحاب الحارث بن سويد الذين ارتدوا عن الاسلام فلما رجع الحارث الى الاسلام أقاموا على كفرهم بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما بدانا ومتى أردنا الرجعة ينزل فينا مثل ما نزل في الحارث فلما قبح رسول الله صلى الله

الا الذين تابوا من بعد ذلك) الكفر العظيم والارتداد (وأصلحوا) ما أفسدوا أو دخلوا في الصلاح (فأن الله غفور) لكفرهم (رحيم) بهم ونزل في اليهود (أن الذين كفروا) ببعيسى والانجيل بعد إيمانهم بوعسى والتوراة (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن أو كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت أو نزل في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازدادوا كفرا أن قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد

المؤمنين (خالدين فيها) في اللعنة (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) يؤجلون من العذاب (الا الذين تابوا) من الكفر والشرك (من بعد ذلك) من بعد الارتداد (وأصلحوا) وحدوا الله بالاخلاص (فأن الله غفور) لمن تاب منهم (رحيم) لمن مات على التوبة (أن الذين كفروا) بالله (بعد إيمانهم) بالله (ثم ازدادوا كفرا) ثم استقاموا

رب المنون (لن تقبل توبتهم) أى ﴿ ٤٣٥ ﴾ إيمانهم عند البأس { سورة آل عمران } لانهم لا يتوبون الا عند

الموت قال الله تعالى فلم يك
ينفهم إيمانهم لما رأوا بأسنا
(وأولئك هم الضالون أن
الذين كفروا وماتوا وهم
كفار فلن يقبل من أحدهم
ملء الأرض) الفاء في فلن
يقبل يؤذن بأن الكلام مبنى
على الشرط والجزاء وان
سبب امتناع قبول الفدية
هو الموت على الكفر وترك
الفاء فيما تقدم يشعر بأن
الكلام مبتدأ وخبر ولا
دليل فيه على التسيب
(ذهبا) تمييز (ولو اقتدى
به) أى فلن يقبل من
أحدهم فدية ولو اقتدى
بملء الأرض ذهبا قال عليه
السلام يقال للكافر يوم
القيامة لو كان لك ملء
الأرض ذهبا كنت مقتديا
به فيقول نعم فيقال له لقد
سئلت أيسر من ذلك قيل

على الكفر (لن تقبل توبتهم)
مأقماوا على ذلك (وأولئك
هم الضالون) عن الهدى
والاسلام (أن الذين كفروا)
بالله والرسول (وماتوا وهم
كفار) بالله والرسول (فلن
يقبل من أحدهم ملء
الأرض) وزن الأرض
(ذهبا ولو اقتدى به) يقول
لوفادوا به لتبقي أنفسهم

على الهلاك فكفى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شأنهم وبراذا حالهم في صورة
حال الآيسين من الرحمة أولان توبتهم لا تكون الانفاقا لا لارتدادهم وزيادة كفرهم
ولذلك لم تدخل الفاء فيه ﴿ وأولئك هم الضالون ﴾ الثابتون على الضلال ﴿ أن الذين
كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ﴾ لما كان الموت
على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية أدخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشئ
ما علوه وذهبا نصب على التمييز وقرى بالرفع على البدل من ملء أو الخبر المحذوف
﴿ ولو اقتدى به ﴾ محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من أحدهم فدية ولو اقتدى
بملء الأرض ذهبا أو معطوف على مضمرة تقديره فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض

عليه وسلم مكة فمن دخل منهم في الاسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم على كفره
أن الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية فأن قلت قد وعد الله قبول التوبة ممن تاب فما
معنى قوله لن تقبل توبتهم قلت اختلف المفسرون في معنى قوله لن تقبل توبتهم فقال
الحسن وعطاء وقتادة والسدى لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت وهو وقت الحشرجة
لان الله تعالى قال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال
أنى تبت الآن فأن الذى يموت على الكفر لا تقبل توبته كأنه قال أن اليهود والكفار والمرتدين
الذين فعلوا ما فعلوا ثم ماتوا على ذلك لن تقبل توبتهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما أنهم
الذين ارتدوا وعزموا على اظهار التوبة لستر أحوالهم والكفر في ضمائرهم وقال أبو العالية
هم قوم تابوا من ذنوب عملوها في حال الشرك ولم يتوبوا من الشرك فأن توبتهم في حال الشرك
غير مقبولة وقال مجاهد بن قنبر ان تقبل توبتهم اذا ماتوا على الكفر وقال ابن جرير الطبري معنى لن تقبل
توبتهم أى مما زادوا من الكفر على كفرهم بعد إيمانهم لان كفرهم لان الله تعالى لما وعد أن
يقبل التوبة عن عباده وأنه قابل توبة كل تائب من كل ذنب لقوله تعالى الا الذين تابوا
من بعد ذلك وأصلحوا فأن الله غفور رحيم علم أن المعنى الذى لا تقبل التوبة منه غير المعنى
الذى تقبل التوبة منه فبلى هذا فالذى لا تقبل التوبة منه هو الازدياد على الكفر بعد
الكفر لا يقبل الله منه توبة ما أقام على كفره لان الله تعالى لا يقبل عمل مشرك ما أقام
على شركه فأذاتاب من شركه وكفره وأصلح فأن الله كما وصف نفسه غفور رحيم قوله
عز وجل ﴿ وأولئك هم الضالون ﴾ يعنى هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا
كفرهم الذين ضلوا عن سبيل الحق وأخطوا منهاجه ﴿ قوله عز وجل ﴾ أن الذين
كفروا وماتوا وهم كفار ﴿ قال ابن عباس رضى الله عنهما لما فتح رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكة دخل من كان من أصحاب الحرب بن سويد حيا في الاسلام فنزلت هذه
الآية فيمن مات منهم على الكفر وقيل نزلت فيمن مات كافرا من جميع أصناف الكفار
من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام فالآية عامة في جميع من مات على الكفر ﴿ فلن
يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ﴾ أى قدر ما مملأ الأرض من شرقها الى غربها
﴿ ولو اقتدى به ﴾ قيل معناه لو اقتدى به والواو زائدة مقحمة وقيل الواو على حالها
وفائدتها انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الأرض ذهبا وقد مات على كفره

ذهبا لوتقرب به في الدنيا ولواقتدى به من العذاب في الآخرة أو المراد ولواقتدى
بمثله كقوله تعالى ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جيعا ومثله معه والمثل
يخذف ويراد كثيرا لأن المثليين في حكم شيء واحد ﴿ أولئك لهم عذاب
أليم ﴾ مبالغة في التحذير واقتناط لأن من لا يقبل منه الفداء
ربما يعنى عنه تكراما ﴿ وماله من ناصرين ﴾ في دفع
العذاب ومن مزيدة للاستفراق

لم ينفعه ذلك وكذلك لو اقتدى من العذاب بل الأرض ذهبا لن يقبل منه وهذا أكد
في التعليل لأنه تصرح بنفي القبول من جميع الوجوه * فأن قلت الكافر لا يملك شيئا
في الآخرة فواجه قوله فلن يقبل من أحدهم مل الأرض ذهبا * قلت الكلام ورد
على سبيل الفرض والتقدير والمعنى لو أن للكافر قدر مل الأرض ذهبا يوم القيامة
لبذله في تخليص نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على شيء من ذلك وقيل معناه لو أن
الكافر أنفق في الدنيا مل الأرض ذهبا ثم مات على كفره لم ينفعه ذلك لأن الطاعة
مع الكفر غير مقبولة ﴿ أولئك ﴾ إشارة إلى من مات على الكفر ﴿ لهم عذاب أليم
وماله من ناصرين ﴾ يعنى مانعين يمنعونهم من العذاب (ق) عن أنس بن
مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل
لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك ما في الأرض من شيء
أ كنت تقتدى به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون
من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بى شيئا
فايت الا الشرك لفظ مسلم

الواولئنا كيد النفي (أولئك
لهم عذاب أليم) مؤلم
(وماله من ناصرين)
معينين دافعين للعذاب
لا يقبل منهم (أولئك لهم
عذاب أليم) وجميع يخلص
وجعه إلى قلوبهم (وماله
من ناصرين) من مانعين
من عذاب الله نزلت من
قوله ومن يتبع غير الإسلام
دينا إلى ههنا في عشرة
نفر من المناققين طعمة
وأصحابه رجعوا من المدينة
إلى مكة مرتدين عن دينهم
الإسلام فمات بعضهم على
ذلك وقتل بعضهم على ذلك
وأسلم بعضهم بعد ذلك ثم
حبث المؤمنين على النفقة
في سبيل الله فقال

(قاوخوا ٦٨ ل)

(لن تناولوا البر) لن تبغوا حقيقة البر أولن تكونوا أبرارا أولن تناولوا بر الله وهو ثوابه (حتى تنفقوا مما تحبون) حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها وتؤثرونها وعن الحسن كل من تصدق ابتغاء وجه الله مما يحبه ولو تمره فهو داخل في هذه الآية قال الواسطي الوصول الى البر بانفاق بعض المحاب والى الرب بالتخلي عن الكونين وقال أبو بكر الوراق لن تناولوا برى بكم الا بركم بأخوانكم والحاصل انه لا وصول الى المطلوب الا باخراج المحبوب وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يشتري اعدال السكر ويتصدق بها فقيل له لم لا تصدق بتمها قال لان السكر أحب الى فاردت أن انفق مما أحب

(لن تناولوا البر) يعني ما عند الله من الثواب والكرامة والجنة حتى تنفقوا مما تحبون من المال ويقال لن تناولوا البر لن تبغوا الى التوكل والتقوى (حتى تنفقوا مما تحبون)

الجزء الرابع

يا ابراجعلنا من الابرار

﴿ لن تناولوا البر ﴾ أى لن تبغوا حقيقة البر الذى هو كان الخير أولن تناولوا بر الله سبحانه وتعالى الذى هو الرحمة والرضى والجنة ﴿ حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ أى من المال أو ما يعمه وغيره كبدل الجاه فى معاونة الناس والبدن فى طاعة الله تعالى والمهجة فى سبيله سبحانه وتعالى روى أنها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال يا رسول الله أن أحب أموالى قوله عن رجل ﴿ لن تناولوا البر ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى الجنة وقيل البر هو التقوى وقيل هو الطاعة وقيل معناه لن تناولوا حقيقة البر ولن تكونوا أبرارا حتى تنفقوا مما تحبون وقيل معناه لن تناولوا بر الله وهو ثوابه وأصل البر التوسع فى فعل الخير يقال بر العبد ربه أى توسع فى طاعته فالبر من الله الثواب ومن العبد الطاعة وقد يستعمل فى الصدق وحسن الخلق لانهما من الخير المتوسع فيه (ق) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الصدق يهدى الى البر وأن البر يهدى الى الجنة وأن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وأن الكذب يهدى الى الفجور وأن الفجور يهدى الى النار وأن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا (م) عن النواس بن سيمان رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والأثم فقال البر حسن الخلق والأثم ما عاك فى صدرك وكرهت أن يطاع عليه الناس منك فعلى هذا يكون المعنى عليكم بالأعمال الصالحة حتى تكونوا أبرارا وتدخلوا فى زمرة الابرار ومن قال أن لفظ البر هو الجنة فقال معنى الآية لن تناولوا ثواب البر المؤدى الى الجنة ﴿ حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ يعنى من جيد أموالكم وأنفسها عنكم قال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقيل هو أن تنفق من مالك ما أنت محتاج اليه قال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال أنى

الى بيرحاضه ما حيث اراد الله فقال نبح نبح ذلك مال رايح اورياح واني اراي ان تجلعهما في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد فقال زيد انما أردت أن أتصدق بها فقال عليه الصلاة والسلام أن الله قد قبلها منك وذلك يدل على أن أنفاق أحب الاموال على اقرب الاقارب أفضل وأن الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب * وقرئ بعض ما تحبون

رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله أي الصدقة أفضل قال ان تصدق وأنت صحيح صحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تهمل حتى اذا بلغت الخلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الا وقد كان واختلفوا في هذا الانفاق فقال ابن عباس رضى الله عنهما هو الزكاة المفروضة والمعنى لن تناولوا البر حتى تخرجوا زكاة أموالكم فلي هذا القول قيل ان الآية منسوخة بآية الزكاة وفيه بعدلانه ترغيب في اخراج الزكاة وقال ابن عمر رضى الله عنهما المراد بها سائر الصدقات وقال الحسن كل شيء أنفق المسلم من ماله مما يتنى به وجه الله ويطلب ثوابه حتى التمرة فانه يدخل في قوله لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كان أبو طلحة أكثر الانصار بالمدينة مالا وكان أحب أمواله اليه بيرحاضا وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس فلما نزلت هذه الآية لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أن الله تعالى يقول في كتابه لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وأن أحب أموالى الى بيرحاضا وانها صدقة لله عز وجل أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نبح نبح ذلك مال رايح اورياح اراي ان تجلعهما في الاقربين فقال أبو طلحة أفضل يا رسول الله فقسهما أبو طلحة في اقاربه وبني عمه * قوله نبح نبح هي كلمة تقال عند المدح والرضا وتكريرها للبالغة وهي مبنية على السكون فاذا وصلت جرت ونوت فقلت نبح نبح * قوله مال رايح اورياح وفي الرواية الاخرى ذلك مال رايح بالياء معناه يروح عليك نفعه وثوابه * وبيرحاض اسم موضع بالمدينة وهو حائط كان لابي طلحة * وروى عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى ابي موسى الاشعري ان يتاع له جارية من سبي جلولاء يوم قحمت فلما جاءت أعجبتة فقال عمر أن الله عز وجل يقول لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها عمر رضى الله عنه * وعن حنيفة بن عبد الله بن عمران بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما خطرت على قلبه هذه الآية لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال عبد الله فذكرت ما أعطاني الله تعالى فما كان شيء أحب الى من فلانة فقلت هي حرة لوجه الله تعالى قال ولولا انى لأعود في شيء جعلته الله لنكحتها * وعن عمرو بن دينار قال لما نزلت هذه الآية لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس يقال لها سيل كان يحبها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يا رسول الله فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة فقال يا رسول الله انما أردت ان أتصدق بها فقال

(وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) أي هو عليم بكل شيء تنفقونه فيحجازيكم بحسبه ومن الأولى للتبعض لقراءة عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون والثانية للتبيين أي من أي شيء كان الانفاق طيب تحبونه أو خبيث تكرهونه ولما قالت اليهود للنبي عليه السلام أنك تدعي أنك على ملة إبراهيم وأنت تأكل لحوم الأبل وأبناها فقال عليه السلام كان ذلك حلالا لإبراهيم فخن نحلته فقالت اليهود أنها لم تنزل محرمة في ملة إبراهيم ونوح عليهما السلام نزل تكذيبا لهم (كل الطعام) أي المطعومات التي فيها النزاع فإن منها ما هو حرام قبل ذلك كالميتة والدم { الجزء الرابع } (كان حلالا لبني إسرائيل) ﴿٥٤﴾ أي حلالا وهو مصدر يقال حل الشيء

وهو يدل على أن من التبعض ويحتمل التبيين ﴿ وما تنفقوا من شيء ﴾ أي من أي شيء محبوب أو غيره ومن لبيان ما ﴿ فإن الله به عليم ﴾ فيحجازيكم بحسبه ﴿ كل الطعام ﴾ أي المطعومات والمراد أكلها ﴿ كان حلالا لبني إسرائيل ﴾ حلالا لهم وهو مصدر نعمت به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لا هن حل لهم ﴿ إلا ما حرم إسرائيل ﴾ أي يعقوب (على نفسه من قبل أن تنزل التوراة) وبالتخفيف مكي وبصري وهو لحوم الأبل وأبناها وكان أحب الطعام إليه والمعنى أن المطاعم كلها لم تنزل حلالا لبني إسرائيل من قبل أنزال التوراة سوى ما حرم إسرائيل على نفسه فلما نزلت التوراة على موسى حرم عليهم فيها لحوم الأبل وأبناها لتحريم إسرائيل ذلك على نفسه

حلالا ولذا استوى في صفة المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم (إلا ما حرم إسرائيل) أي يعقوب (على نفسه من قبل أن تنزل التوراة) وبالتخفيف مكي وبصري وهو لحوم الأبل وأبناها وكان أحب الطعام إليه والمعنى أن المطاعم كلها لم تنزل حلالا لبني إسرائيل من قبل أنزال التوراة سوى ما حرم إسرائيل على نفسه فلما نزلت التوراة على موسى حرم عليهم فيها لحوم الأبل وأبناها لتحريم إسرائيل ذلك على نفسه

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبلت صدقتك * وفي رواية كان زيد أوجدا في نفسه فلما رأى ذلك منه النبي صلى الله عليه وسلم قال أما أن الله قد قبلها * وروى أن أبا ذر نزل به ضيف فقال للراعي أنتي بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال للراعي خنتي فقال الراعي وجدت خير الأبل فحلها فذكرت يوم حاجتكم إليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم أوضع في حفرتي * قوله عز وجل ﴿ وما تنفقوا من شيء ﴾ يعني من أي شيء كان من طيب تحبونه أو من خبيث تكرهونه ﴿ فإن الله به عليم ﴾ أي يعلمه ويحجازيكم به ﴿ قوله عز وجل ﴾ كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ﴿ سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان إبراهيم لا يأكل لحوم الأبل وأبناها وأنت تأكل ذلك كله فلست على ملته فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لإبراهيم قالوا كل ما محرمة اليوم كان ذلك حراما على نوح وإبراهيم حتى انتهى النبي فأنزل الله عز وجل كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه وهو يعقوب من قبل أن تنزل التوراة يعني ليس الاسم، على ما تدعيه اليهود من تحريم لحوم

وما تنفقوا من شيء) شيئا من المال (فإن الله به) وبنياتكم (عالم) يقول أي شيء تريدون به وجه الله أو مدحة الناس (كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل) كل طعام حلال اليوم على محمد وأُمَّته كان حلالا على بني إسرائيل أولاد يعقوب (الإما حرم إسرائيل) يعقوب (على

نفسه) بالنذر (من قبل أن تنزل التوراة) من قبل نزول التوراة على موسى حرم يعقوب لحم الأبل وأبناها (الأبل) على نفسه فلما نزلت هذه الآية سأل النبي صلى الله عليه وسلم اليهود فقال ما الذي حرم إسرائيل على نفسه من الطعام فقالوا ما حرم إسرائيل على نفسه شيئا من الطعام وكل ما هو اليوم حرام علينا من نوح لحم الأبل وأبناها وشحوم البقر والغنم وغير ذلك كان حراما على كل نبي من آدم إلى موسى صلوات الله عليهم وتستهلون بأنتم وادعوا تحريم ذلك في التوراة فقال الله لحمد صلى الله عليه وسلم

الابل على ابراهيم بل كان ذلك حلالا على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب وانما حرمة يعقوب بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في اولاده فانكر اليهود ذلك فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وطلب منهم ان يستخرجوا منها ان ذلك كان حراما على ابراهيم فجزوا عن ذلك واقتضحوا وبان كذبهم فيما ادعوا من حرمة هذه الاشياء على ابراهيم وقيل ان اليهود أنكروا شرع محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا ان النسخ غير جائز فأبطل الله ذلك عليهم وأخبر أن كل الطعام كان حلالا على اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فذلك الذي حرمه على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى اولاده فقد حصل النسخ وبطل قول اليهود بان النسخ غير جائز فانكرت اليهود ذلك وقالوا بل كان ذلك حراما من زمن آدم الى هذا الوقت فالزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وقال ان التوراة ناطقة بان بعض أنواع الطعام انما حرم بسبب ان اسرائيل حرمه على نفسه فحاف اليهود من الفضيحة وامتنعوا من احضار التوراة فحصل بذلك كذبهم وأنهم ينسبون الى التوراة ما ليس فيها وبطل قولهم بان النسخ غير جائز وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان رجلا أميالم يقرأ الكتب ولم يعرف ما في التوراة فلما أخبر أن ذلك ليس في التوراة علم ان الذي أخبر به صلى الله عليه وسلم وحى من الله تعالى * وقوله كل الطعام يعني كل أنواع الطعام وأسائر المطعومات كان حلالا على ابي اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام واختلوا في الذي حرم يعقوب على نفسه فحرم لحوم الابل والبانها وروى الطبري بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما ان عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم أخبرنا أي الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من سقمه لبحر من أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام اليه لحم الابل وأحب الشراب اليه ألبانها فقال اللهم نعم وقال ابن عباس رضى الله عنهما هي العروق وكان سبب ذلك انه اشتكى عرق النساء وكان أصل وجهه فيماروى عن الضمحاك أن يعقوب كان نذر لئن وهب الله له اثني عشر ولدا وأتى بيت المقدس صحيحا أن يذبح أحدهم * وفي رواية آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة وقال يا يعقوب أنك رجل قوى فهل لك في الصراع فعالج فلم يصرع أحدهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النساء من ذلك ثم قال أما أنى لوشئت أن أصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لانك قد نذرت ان آيت بيت المقدس صحيحا ذبحت آخر ولدك فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجا فلما قدم يعقوب بيت المقدس أراد ذبح ولده ونسى ما قاله الملك فأثناء الملك وقال له انما غمزتك للمخرج وقد و في نذرك فلا سييل لك الى ذبح ولدك وقال ابن عباس رضى الله عنهما في آخرين أقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من أخيه العيص وكان يعقوب رجلا بطشا قويا فلقبه ملك في صورة رجل فظن يعقوب انه لص فعالجه أن يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب وصعد الى السماء

(قل فأتوا بالتوراة فاتلوها
أن كنتم صادقين) أمر بأن
يحاجهم بكتابتهم وببكتهم
بما هو ناطق به من ان تحريم
ما حرم عليهم تحريم حادث
بسبب ظلمهم وبغيرهم لا تحريم
قديم كما يدعونه فلم يجرؤا
على أخراج التوراة وبهتوا

وفيه دليل بين على صدق
النبي عليه السلام وعلى
جواز النسخ الذي ينكرونه
(فمن افتري على الله الكذب)

بزعمه أن ذلك كان محرما
في ملة ابراهيم ونوح
عليهما السلام (من بعد
ذلك) من بعد ما لم يزلهم من
الحجة القاطعة (فأولئك هم
الظالمون) المكابرون
الذين لا ينصفون من أنفسهم
ولا يلتفتون الى اليبات

(قل) لهم (فأتوا بالتوراة
فاتلوها) فاقروا تحريم
ما ادعيت فيها (أن كنتم
صادقين) فيما تدعون فلم
يأتوا بالتوراة وعلموا أنهم
كانوا كاذبين ليس فيها
ما يقولون فقال الله (فمن
افتري) اختلق (على الله
الكذب من بعد ذلك) من
بعد البيان في التوراة أنهم
كاذبون (فأولئك هم
الظالمون) الكافرون
الكاذبون على الله

قل فأتوا بالتوراة فاتلوها أن كنتم صادقين ﴿ أمر بمحاجتهم بكتابتهم وتبكيتهم بما فيه
من أنه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روى أنه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم
بهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التوراة وفيه دليل على نبوته ﴿ فمن افتري على الله
الكذب ﴾ ابتدعه على الله تعالى بزعمه أنه حرم ذلك قبل نزول التوراة على بني إسرائيل
ومن قبلهم ﴿ من بعد ذلك ﴾ من بعدما أزمهم الحجة ﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾ الذين
لا ينصفون من أنفسهم ويكابرون الحق بعدما وضح لهم

وبيعقوب ينظر فهاج به عرق النساء ولقي منه شدة فكان لا ينام الليل من الوجع وببيت
وله رضاء أي صياح لحلف يعقوب لئن شفاه الله أن لا يأكل عرقا ولا طعاما فيه عرق
فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق ويخرجونها من اللحم ولا يأكلونها
وقيل لما أصاب يعقوب ذلك وصف له الأطباء أن يحتب لحوم الابل فحرمها يعقوب
على نفسه وقيل إنما حرم يعقوب لحوم الجوزور تعبدا لله تعالى وسأل ربه أن ينجز ذلك
فحرمه الله على ولده وهو ظاهر الآية لان الله تعالى قال كل الطعام كان حلالا لبني اسرائيل
ثم استثنى ما حرم اسرائيل على نفسه فوجب بحكم الاستثناء أن يكون ذلك حراما على
بني اسرائيل أما قوله من قبل أن تنزل التوراة فعناه أن قبل أنزال التوراة كان كل أنواع
الطعام حلالا لبني اسرائيل سوى ما حرمه اسرائيل على نفسه أما بعد نزول التوراة
فقد حرم الله تعالى عليهم أشياء كثيرة من أنواع الطعام ثم اختلفوا في حال هذا الطعام
المحرم على بني اسرائيل بعد نزول التوراة فقال السدي حرم الله عليهم في التوراة ما كانوا
حرموه على أنفسهم قبل نزولها وقال عطية إنما كان حراما عليهم بتحريم اسرائيل
فانه قال ان عافى الله تعالى لا يأكله ولدلى ولم يكن ذلك محرما عليهم في التوراة وقال الكلبي
لم يحرمه الله في التوراة وإنما حرم عليهم بعد نزول التوراة لظلمهم كقال تعالى فبظلم من
الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الى
أن قال ذلك جزيناهم بنعيمهم وأنا لصادقون فكانت بنو اسرائيل اذا أصابوا ذنبا عظيما
حرم الله عليهم طعاما طيبا أوصب عليهم رجزا وهو الموت وقال الضحاك لم يكن شئ من
من ذلك حراما عليهم ولا حرمه الله في التوراة وإنما حرموه على أنفسهم اتباعا لبيهم ثم
أضافوا تحريمه لله عز وجل فكذبهم الله تعالى فقال الله تعالى ﴿ قل فأتوا بالتوراة ﴾ يعني قل لهم
يا محمد فأتوا بالتوراة ﴿ فاتلوها ﴾ أي فاقروا بها وما فيها حتى تبين أن الامر كما قلتم ﴿ أن كنتم
صادقين ﴾ يعني فيما ادعيت فلم يأتوا بها وخافوا الفضيحة فقال تعالى ﴿ فمن افتري
على الله الكذب ﴾ الافتراء اختلاق الكذب والافتراء الكذب والقذف والافساد
وأصله من فرى الاديم اذا قطعه لان الكاذب يقطع القول من غير حقيقة له
في الوجود ﴿ من بعد ذلك ﴾ أي من بعد ظهور الحجة بأن التحريم إنما كان
من جهة يعقوب ولم يكن محرما قبله ﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾ أي هم المستحقون
للعذاب لان كفرهم ظلم منهم لانفسهم ولمن أضلوه عن الدين من بعدهم وهذا

قل صدق الله) في أخباره أنه لم يجرم وفيه تعريض بكذبهم أي ثبت أن الله تعالى صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون (فاتبعوا ملة إبراهيم) وهي ملة الإسلام التي عليها محمد عليه السلام ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم إلى تحريف كتاب الله لتسوية أغراضكم وأزمتكم تحريم الطيبات التي أحلها الله لإبراهيم ولمن تبعه (حنيفا) حال من إبراهيم أي مائلا ﴿٥٤٣﴾ عن الأديان الباطلة {سورة آل عمران} (وما كان من المشركين)

ولما قالت اليهود للمسلمين قبلتنا قبل قبلكم نزل (أن أول بيت وضع للناس) والواضع هو الله عز وجل ومعنى وضع الله بينا للناس أنه جعله متعبدا لهم فكانه قال أن أول متعبد للناس الكعبة وفي الحديث أن المسجد الحرام وضع قبل بيت المقدس بأربعين سنة قيل أول من بناه إبراهيم وقيل هو أول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء

والأرض وقيل هو أول بيت بناه آدم عليه السلام في الأرض وقوله وضع للناس في موضع جرسفة لبيت والخبر (للذي ببكة) أي للبيت الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه إذا زجه لازدحام الناس فيها (قل) يا محمد (صدق الله) في

﴿قل صدق الله﴾ تعريض بكذبهم أي ثبت أن الله سبحانه وتعالى صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون ﴿فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا﴾ أي ملة الإسلام التي هي في الأصل ملة إبراهيم أو مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم إلى التحريف والمكابرة لتسوية الأغراض الدنيوية وأزمتكم تحريم طيبات أحلها الله لإبراهيم ومن تبعه ﴿وما كان من المشركين﴾ فيه إشارة إلى أن اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الإفراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود ﴿أن أول بيت وضع للناس﴾ أي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله سبحانه وتعالى ويدل عليه أنه قرئ على البناء للفاعل ﴿للذي ببكة﴾ للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنييط والنييط وأمر راتب وراتم ولازم وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه إذا زجه أو من بكه إذا ذقه فأنها تبك اعناق الجبابرة روي أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال أربعون سنة وقيل أول من بناه إبراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العماليق ثم قريش وقيل هو أول بيت بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم بناه إبراهيم وقيل كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما أهبط آدم أمر بأن يحججه ويطوف حوله ورفع في الطوفان إلى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الآية وقيل المراد أنه أول بيت بالشرف لا بالزمان

رد على اليهود وتكذيب لهم حيث أرادوا براءة ساحتهم فيما بقي عليهم مما نطق به القرآن من تعدد مساويهم التي كانوا يرتكبونها ﴿قل صدق الله﴾ يعني قل صدق الله يا محمد فيما أخبر أن ذلك النوع من الطعام صار حراما على إسرائيل وأولاده بعد أن كان حلالا لهم فصح القول بالنسخ وبطل قول اليهود وقيل معناه صدق الله في قوله إن لحوم الأبل وألبانها كانت محالة لإبراهيم عليه الصلاة والسلام وإنما حرمت على بني إسرائيل بسبب تحريمها إسرائيل على نفسه وقيل صدق الله في أن سائر الأظعمة كانت محالة على بني إسرائيل وإنما حرمت على اليهود جزاء على قبائح أفعالهم ففيه تعريض بكذب اليهود والمعنى ثبت أن الله تعالى صادق فيما أنزل وأخبر وأنتم كاذبون يا معشر اليهود ﴿فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا﴾ أي اتبعوا ما يدعوكم إليه محمد صلى الله عليه وسلم من ملة إبراهيم وهي الإسلام وهو الدين الصحيح وهو الذي عليه محمد ومن آمن معه وإنما دعاهم إلى ملة إبراهيم لأنها ملة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وما كان من المشركين﴾ أي لم يدع مع الله إلها آخر ولا عبد سواه ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿أن أول بيت وضع للناس للذي ببكة﴾

قوله ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ويقال قل يا محمد صدق الله فيما قال من التحريم والتحليل (فاتبعوا ملة إبراهيم) دين إبراهيم (حنيفا) يعني مسلما (وما كان من المشركين) على دينهم (أن أول بيت) مسجد (وضع للناس) بني المؤمنين (للذي ببكة) يقول الذي هو ببكة وبكة هو موضع الكعبة وإنما سمي ببكة لأن الناس يكون بعضهم على بعض من الزحام في الطواف

سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو أفضل من الكعبة وأقدم وهو مهاجر الانبياء وقبلتهم وارض المحشر وقال المسلمون بل الكعبة افضل فأنزل الله هذه الآية وقيل لما ادعت اليهود والنصارى انهم على ملة ابراهيم أ كذبهم الله تعالى وأخبر أن ابراهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وأمرهم باتباعه فقال تعالى في الآية المتقدمة فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وكان من أعظم شعائر ملة ابراهيم الحج الى الكعبة ذكر في هذه الآية فضيلة البيت ليفرع عليها ايجاب الحج وقوله أن أول بيت وضع للناس الاول هو الفرد السابق المتقدم على ماسواه وقيل هو اسم للشيء الذي يوجد ابتداء سواء حصل عقبيه شيء آخر أول يحصل والمعنى أن أول بيت وضع للناس أي وضعه الله موضعا للطاعات والعبادات وقبلة للصلاة وموضعا للحج وللطواف تزداد فيه الخيرات وثواب الطاعات وكونه وضع للناس يعني يشترك فيه جميع الناس كما قال تعالى سواء العاكف فيه والباد* فأن قلت كيف اضافته الى نفسه مرة في قوله وطهر بيتي وأضافه للناس أخرى بقوله وضع للناس* قلت اما اضافته الى نفسه فعلى سبيل التشريف والتعظيم له كقوله ناقة الله واما اضافته الى الناس فلانه يشترك فيه جميع الناس لانه موضع حجهم وقبلة صلاتهم للذي بكة قيل هي مكة نفسها والعرب تعاقب بين الباء والميم فيقولون ضربة لازب ولازم وقيل بكة اسم لموضع البيت ومكة اسم للبلد وفي اشتقاق بكة وجهان* أحدهما انه من البك الذي هو عبارة عن الدفع يقال بكه بكه اذا دفعه وزاحه ولهذا قال سعيد ابن جبير سميت بكة لان الناس يتباكون فيها أي يزدحون في الطواف وهو قول محمد ابن علي الباقر ومجاهد وقتادة* الوجه الثاني سميت بكة لانها تبتك أعناق الجبارة أي تدقها ولم يقصدها جبار بسوء الا قصمه الله تعالى وهذا قول عبد الله بن الزبير وأما مكة فسميت بذلك لقلعة مأثرا من قول العرب مك الفصيل ضرع أمه وامتكه اذا مص كل ما فيه من اللبن وقيل لانها تمك الذنوب أي تزيلها وسميت مكة أم رجم لان الرحة تنزل بها والحاطمة لانها تحطم من استخف بحرمتها أولان الناس يحطم بعضهم بعضا من الزجة وسميت أم القرى لانها أصل كل بلدة ومن تحتها حيت الارض* واختلف العلماء في كون البيت أول بيت وضع للناس على قولين* أحدهما انه أول في الوضع والبناء قال مجاهد خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارضين وفي رواية عنه ان الله خلق موضع البيت قبل ان يخلق شيئا من الارض بألفي عام وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والارض خلقه قبل الارض بألفي عام وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحته وهذا قول ابن عمر ومجاهد وقتادة والسدي وقيل هو أول بيت بنى على الارض وروى عن علي بن الحسين بن علي بن علي رضي الله عنهم ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتنا وهو البيت المعمور وأمر الملائكة أن يطوفوا به ثم أمر الملائكة الذين في الارض أن يبنوا بيتا في الارض على مثاله وقدره فبنوا هذا البيت واسمه الضراح وأمر من في الارض ان يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور وروى أن الملائكة بنوه قبل خلق آدم بألفي عام وكانوا يحجونه فلما حججه آدم قالت له الملائكة برحمتك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو أول بيت بناء

﴿مباركا﴾ كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من
المستكن في الظرف ﴿وهدى للعالمين﴾ لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة كما قال
﴿فيه آيات بينات﴾ كأنحرف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وأن ضواري
السباع تحالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وأن كل جبار قصده بسوء قهره كأصحاب

آدم في الارض قيل ان آدم لما هبط الى الارض استوحش وشكا الوحشة فأمره الله تعالى ببناء
الكعبة فبناها وظاف بها ببق ذلك البناء الى زمان نوح عليه الصلاة والسلام فلما كان الطوفان
رفع الله البيت الى السماء وبقى موضع البيت أكمة بيضاء الى أن بعث الله ابراهيم عليه الصلاة
والسلام فأمره ببنائه * القول الثاني ان المراد من الاولية كون هذا أول بيت وضع للناس مباركا
ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى للذي سبكه مباركا وروى أن رجلا قام الى على بن أبي
طالب رضى الله عنه فقال ألا تخبرني عن البيت أهو أول بيت وضع في الارض قال لا قد كان قبله
بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا وهدى وفيه مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقال
الحسن هو أول مسجد عبد الله فيه وقال مطرف هو أول بيت وضع للعبادة وقال الضمك
هو أول بيت وضع فيه البركة وأول بيت وضع للناس بحج اليه وأول بيت جعل قبة للناس ﴿ق﴾
عن أبي ذر رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع
في الارض قال المسجد الحرام قلت ثم أى قال المسجد الأقصى قلت كم بينهما قال أربعون عاما ثم
الارض لك مسجد في شمال أدركت الصلاة فصل * زاد البخارى فان المنخل فيه وقوله ﴿مباركا﴾
يعنى ذابركة وأصل البركة النمو والزيادة وقيل هو شئ من الخير الالهى فيه وقيل هو أول بيت
خص بالبركة وزيادة الخير وقيل لان الطاعات وسائر العبادات تتضاعف ويزداد ثوابها
عنده ﴿ق﴾ عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدى
هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام ﴿وهدى للعالمين﴾
يعنى انه قبة للمؤمنين يهدون به الى جهة صلاتهم وقيل لان فيه دلالة على وجود الصانع
الختار لما فيه من الآيات التي لا يقدر عليها غيره وقيل هو هدى للعالمين الى الجنة لان من قصده
بأن صلى اليه أو حجه فقد أوجب الله تعالى له الجنة برحمة * قوله عز وجل ﴿فيه آيات
بينات﴾ أى فيه دلالات واضحات على حرمة ومزيد فضله ثم اختلفوا في تفسير تلك
الآيات فقيل هى قوله مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقيل الآيات غير مذكورة وهى
ما يدل على فضل هذا البيت منها أن الطير لا يطير فوق الكعبة في الهواء بل ينحرف عنها
اذا وصل اليها يمينا وشمالا ومنها أن الوحوش لا تؤذى بعضها في الحرم حتى الكلاب لا تهيج
الظباء ولا تضطادها ومنها أن الطير اذا مرض منه شئ استشفى بالكعبة ومنها تجليل
العقوبة لمن انتهك حرمة البيت وما قصده جبار بسوء الأهل كالله كأهلك أصحاب الفيل
وغيرهم ومن الآيات التي فيه الحجر الاسود والمترم والحطيم وزمزم ومشاعر الحج
التي فيه كلها من الآيات ومنها أن الأمر ببناء هذا البيت هو الجليل والمهندس له جبريل
والباني هو ابراهيم الخليل والمساعد في بنيانه هو اسمعيل في هذه فضيلة عظيمة لهذا البيت

أولاً نهايتك أعناق الجبابرة
أى تدققها لم يقصدها جبار
الا قصمه الله (مباركا) كثير
الخير لما يحصل للحجاج
والمتممرين من الثواب
وتكفير السيئات (وهدى
للعالمين) لانه قبلتهم
ومتعبدهم ومباركا وهدى
حالان من الضمير في وضع
(فيه آيات بينات) علامات
واضحات لا تلتبس على أحد

(مباركا) يعنى موضع
الكعبة فيه المغفرة
والرحمة (وهدى للعالمين)
قبة لكل نبي ورسول
وصديق ومؤمن (فيه
آيات بينات) علامات
مبينات رله

(مقام إبراهيم) عطف بيان لقوله آيات بينات وصح بيان الجماعة بالواحد لانه وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالة على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم عليه السلام من تأثير قدمه في حجر صلد أو لاشتماله على آيات لان أثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانه بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام آية لابراهيم خاصة على أن (ومن دخله كان آمنا) عطف بيان لآيات وأن كان جملة ابتدائية أو شرطية من حيث المعنى لانه يدل على أمن داخله فكأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن داخله والاشنان في معنى الجمع ويجوز أن يذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكرار الآيات كأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن داخله وكثير سواهما نحو انحقاق الاجار مع كثرة الرماة وامتناع الطير من العلو عليه وغير ذلك ونحوه في طي الذكر قوله عليه السلام حجب الى من دنياكم {الجزء الرابع} ثلاث الطيب ﴿٥٤٦﴾ والنساء وقرة عيني في الصلاة فقرة عيني ليس

من الثلاث بل هو ابتداء الفيل والجملة مفسرة للهدى أو حال أخرى ﴿مقام إبراهيم﴾ مبتدأ محذوف خبره أي منها مقام إبراهيم أو بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على أن المراد بالآيات أثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصحار وابقاؤه دون سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة أعدائه ألوف سنة ويؤيده أنه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر أنه لما ارتفع ببيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة ففاصت فيه قدماه ﴿ومن دخله كان آمنا﴾ جملة ابتدائية أو شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى أمن من دخله أي ومنها أمن من دخله وفيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه الصلاة والسلام حجب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الاثر مدى الدهر

من الثلاث بل هو ابتداء كلام لانها ليست من الدنيا والثالث مطوى وكأنه عليه السلام ترك ذكر الثالث تنبها على انه لم يكن من شأنه أن يذكر شيئا من الدنيا فذكر شيئا هو من الدين وقيل في سبب هذا الاثر أنه لما ارتفع ببيان الكعبة وضعف ابراهيم عليه السلام عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر ففاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل عليه السلام انزل حتى تغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعت على شقه الايمن فوضع قدمه

﴿قوله عز وجل﴾ مقام إبراهيم ﴿يعني الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت وكان فيه أثر قدمي ابراهيم فاندرس من كثرة المسح بالايدي﴾ ﴿ومن دخله كان آمنا﴾ قيل لما كانت الآيات المذكورة عقيب لقوله أن أول بيت وضع للناس موجوده في جميع الحرم علم أن المراد بقوله ومن دخله كان آمنا جميع الحرم ويدل عليه أيضا دعوة ابراهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد آمنا يعني من أن يهاج فيه وكانت العرب يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكان من دخل الحرم أمن من القتل والغارة وهو المراد من حكم الآية على قول أكثر المفسرين قال الله تعالى أولم يروا أنما جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وقيل في معنى الآية ومن دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آمنا وقيل

عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبق أثر قدميه عليه (هو) وأمان من دخله بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جنى كل جنابة ثم التجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب مامسته حتى يخرج منه ومن لزمه القتل في الحل بقود أو ردة أو زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار لقوله عليه السلام من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا من النار وعنه عليه السلام الحجون والبيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعنه عليه السلام من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام

(مقام إبراهيم) وحطيم اسمعيل والحجر الاسود (ومن دخله كان آمنا) من أن يهاج فيه

والامن من العذاب يوم القيامة قال عليه الصلاة والسلام من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعند أبي حنيفة رضى الله عنه من لزمه القتل بردة أو قصاص أو غيرهما لم يتعرض له ولكن ألجئ الى الخروج ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ قصده للزيارة على الوجه المخصوص * وقرا حجة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد ﴿من استطاع اليه سبيلا﴾ بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي رضى الله تعالى عنه أنها بالمال ولذلك أوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد أجرة من ينوب عنه وقال مالك رحمه الله تعالى أنها بالبدن فيجب على من قدر على المشى والكسب في الطريق وقال أبو حنيفة أنها بمجموع الأمرين والضمير في اليه للبيت والحج وكل ما أتى الى الشيء فهو سبيله

هو خبر بمعنى الأمر تقديره ومن دخله فأمنوه وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما حتى ذهب أبو حنيفة الى أن من وجب عليه القتل قصاصا كان أو حدا فالتجأ الى الحرم فإنه لا يستوفى منه القصاص أو الحد في الحرم لكنه لا يطعم ولا يبايع ولا يشارى ولا يكلم ويضيق عليه حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد خارج الحرم وقال الشافعي اذا وجب عليه القصاص خارج الحرم ثم لجأ الى الحرم استوفى منه في الحرم وأجموعا على انه لو قتل في الحرم أو سرق أو زنى فإنه يستوفى منه الحد في الحرم عقوبة له وقيل في معنى الآية ومن دخله معظمه متقربا بذلك الى الله تعالى كان آمنا من العذاب يوم القيامة وقيل ومن دخله كان آمنا من الذنوب التي اكتسبها قبل ذلك ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ أى والله على الناس فرض حج البيت والحج أحد أركان الاسلام ﴿ق﴾ عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأقام الصلاة وابتاء الزكاة والحج وصوم رمضان فعاد النبي صلى الله عليه وسلم الحج من أركان الاسلام الخمسة ﴿من استطاع اليه سبيلا﴾ يعنى وفرض الحج واجب على من استطاع من أهل التكليف ووجد السبيل الى حج البيت الحرام

فصل في فضل البيت والحج والعمرة

﴿ق﴾ عن أبي ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أول بيت وضع للناس مبارك يصلى فيه الكعبة قلت ثم أى قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال أربعون عاما ﴿عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن وانما سودته خطايا بنى آدم أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ﴿وله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر والله ليعثنه الله يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق ﴿وله عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولم يطمس نورهما لضاءتا ما بين المشرق والمغرب قال الترمذى وهذا يروى عن ابن عمرو موقوفا ﴿ق﴾ عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الاقصى ﴿ق﴾ عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام

(ولله على الناس حج البيت)

أى استقرله عليهم فرض

الحج حج البيت كوفى غير

أبي بكر وهو اسم وبالفتح

مصدر وقيل هما لقتان في

مصدر حج (من) في موضع

جر على أنه بدل البعض من

الكل (استطاع اليه سبيلا)

فسرها النبي عليه السلام

بالزاد والراحلة والضمير

في اليه للبيت أو للحج وكل

مأتى الى الشيء فهو سبيل

اليه ولما نزل قوله تعالى

ولله على الناس حج البيت

جمع رسول الله صلى الله

عليه وسلم أهل الايمان كلهم

فخطبهم فقال أن الله تعالى

كتب عليكم الحج فحجوا

فأمنت به ملة واحدة وهم

المسلمون وكفرت به خمس

ممل قالوا لا تؤمن به ولا نصلي

اليه ولا نحججه فنزل

(ولله على الناس) على المؤمنين

(حج البيت) الذهاب الى

البيت (من استطاع اليه

سبيلا) بلاغا وسيرا بالزاد

والراحلة وترك النفقة لعماله

الى ان يرجع

قل لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى (م)
 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل ايها الناس قد فرض
 عليكم الحج فحجوا فقال له رجل في كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم * عن ابن عمر رضي الله عنه قال جاء
 رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما يوجب الحج قال الزاد والراحلة أخرجه
 الترمذي وقال حديث حسن و ابراهيم بن يزيد الجوزي المكي قد تكلم فيه بعض أهل
 العلم من قبل حفظه (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة * وفي رواية سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج لله عز وجل * وفي لفظ من حج هذا البيت فلم يرفث
 ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه أخرجه الترمذي وقال غفر له ما تقدم من ذنبه * وعن ابن
 مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تابوا بين الحج والعمرة فأنتهما
 ينقيان الذنوب والفقر كما ينفي الكبر خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة
 مبرورة ثواب الا الجنة وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه أخرجه
 الترمذي وقال حديث حسن غريب * وله عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يلبى الابي ماعن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر
 حتى يتقطع الارض من ههنا وههنا وقال الترمذي هذا حديث غريب * وله عن ابن
 عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت خمسين مرة
 خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه قال الترمذي هذا حديث غريب

فصل في أحكام تتعلق بالحج

قال العلماء الحج واجب على كل مسلم وهو أحد أركان الاسلام الخمسة وواجب الحج خمس
 شرائط الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ولا يجب على الكافر والمجنون ولو حجا
 لم يصح لان الكافر ليس من أهل القرية ولا حكم لقول المجنون ولا يجب على الصبي والعبد
 ولو حج صبي يعقل أو حج عبد صغ جهمما تطوعا ولا يسقط الفرض فاذا بلغ الصبي وعق
 العبد واجتمع فيهما شرائط الحج وجب عليهما أن يحجا ثانيا ولا يجب على غير المستطيع
 لقوله تعالى والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فلو تكلف غير المستطيع الحج وحج
 صح حجه وسقط عنه فرض حجة الاسلام * والاستطاعة نوعان أحدهما أن يكون مستطعا
 بنفسه والآخر أن يكون مستطعا بغيره فأما المستطيع بنفسه فهو أن يكون قويا قادرا
 على الذهاب ووجد الزاد والراحلة لما تقدم من حديث ابن عمر في الزاد والراحلة قال ابن
 المنذر وحديث الزاد والراحلة لا يثبت لانه ليس بمتصل وانما المرفوع مارواه ابراهيم بن
 يزيد عن محمد بن عباد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم و ابراهيم متروك الحديث قال
 يحيى بن معين ابراهيم ليس بثقة قال ابن المنذر واختلف العلماء في قوله تعالى من استطاع اليه
 سبيلا فقالت طائفة الآية على العموم اذ لانعلم خيرا ثابتا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا اجاما
 لاهل العلم يوجب ان نستثنى من ظاهر الآية بعضا فعلى كل مستطيع للحج يجد اليه السبيل
 بأي وجه كانت الاستطاعة الحج على ظاهر الآية قال وروينا عن عكرمة انه قال الاستطاعة
 (الصحة)

﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ وضع كفر موضع من لم يحج تأكيداً الوجوبه وتقليظاً على تاركه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من مات ولم يحج فليت أن شاء بهودياً أو نصرانياً وقد أكد أمر الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة

الصححة وقال الضحاك إذا كان شاباً صحيحاً فليؤجر نفسه بأكله وعقبه حتى يقتضى نسكه وقال مالك الاستطاعة على اطاعة الناس الرجل يحد الزاد والراحلة ولا يقدر على المشى وآخر يقدر على المشى على رجله وقالت طائفة الاستطاعة الزاد والراحلة كذلك قال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وأحمد بن حنبل واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم وقال الشافعي الاستطاعة وجهان أحدهما أن يكون الرجل مستطعاً ببدنه واجداً من ماله ما يبلغه الحج فتكون استطاعته تامة فعليه فرض الحج والثاني لا يقدر أن يثبت على الراحلة وهو قادر على من بطبعه إذا أمره أن يحج عنه أو قادر على مال ويجد من يستأجره فيحج عنه فيكون هذا من لزمه فرض الحج أما حكم الزاد والراحلة فهو أن يجد راحلة تصلح له ووجد من الزاد ما يكفي له لذهابه ورجوعه فاضلاً عن نفقته ونفقة من تلمزمه نفقتهم وكسوتهم وعن دين أن كان عليه ووجد رفقاً يخرجون في وقت جرت العادة بخروج أهل البلد في ذلك الوقت فإن خرجوا قبله أو أخرجوا الخروج إلى وقت لا يصلون الاقطع أكثر من مرحلة لا يلزمه الخروج معهم ويشترط أن يكون الطريق آمناً فإن كان فيه خوف من عدو مسلم أو كافر أو رصدي يطلب الخفارة لا يلزمه ويشترط أن تكون منازل الماء مأهولة معمورة يجد فيها ما جرت العادة بوجوده من الماء والزاد فإن تفرق أهلها لجذب أو غارت مياهها فلا يلزمه الخروج ولو لم يجد الراحلة وهو قادر على المشى أو لم يجد الزاد وهو قادر على الاكتساب لا يلزمه الحج عند من جعل وجدان الزاد والراحلة شرطاً لوجوب الحج ويستحب له أن يفعل ذلك ويلزمه الحج عند مالك وأما المستطع بغيره فهو أن يكون الرجل عاجزاً بنفسه بأن كان زماً أو به مرض لا يرجى برؤه وله مال يمكنه أن يستأجر من يحج عنه فيجب عليه أن يستأجر من يحج عنه وإن لم يكن له مال وبذله ولده أو أجنبي الطاعة في أن يحج عنه لزمه الحج إن كان يعتمد على صدقه لأن وجوب الحج متعلق بالاستطاعة وعند أبي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة وعند مالك لا يجب على من غصب ماله وحجة من أوجب الحج ببذل الطاعة ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان الفضل بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر قالت يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع أخرجاه في الصحابين ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ يعني ومن جحد ما أن ماله من فرض حج بيته وكفر به فإن الله غني عنه وعن حجبه وعمله وعن جميع

(ومن كفر) أي جحد
فرضية الحج وهو قول ابن
عباس والحسن وعطاء
ويحوز أن يكون من الكفران
أي ومن لم يشكر ما أنعمت
عليه من صحة الجسم وسعة
الرزق ولم يحج (فإن الله غني
عن العالمين) مستغن عنهم
وعن طاعتهم وفي هذه الآية
أنواع من التأكيد والتشديد
منها اللام وعلى أي أنه حق
واجب لله في رقاب الناس
ومنها الابدال ففيه تنية للمراد
وتكريره ولأن الايضاح
بعد الابهام والتفصيل بعد
الاجمال ابرادله في صورتين
مختلفتين ومنها قوله ومن
كفر مكان ومن لم يحج
تقليظاً على تارك الحج
ومنها ذكر الاستغناء وذلك
دليل على المقت والسخط
ومنها قوله عن العالمين وإن
لم يقل عنه وما قيد من الدلالة
على الاستغناء عنه ببرهان
لأنه إذا استغنى عن العالمين
تناوله الاستغناء لا محالة
ولأنه يدل على الاستغناء
الكامل فكان أدل على
عظم السخط الذي وقع
(ومن كفر) بالله وبمحمد
والقرآن وبفريضة الحج
(فإن الله غني عن العالمين)
عن ايمانهم وحجهم

الخبر وبراذه في الصورة الاسمية وأيراده على وجه يفيد أنه حق واجب لله تعالى في رقاب الناس وتعميم الحكم اولاً ثم تخصيصه ثانياً فإنه كما يوضح بعداً بهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كقرا من حيث أنه فعل الكفرة وذكرا الاستغناء فإنه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لمافية من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس وأتباب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله سبحانه وتعالى * روى أنه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرباب الملل فخطبهم وقال أن الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فأمنت به مائة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر ﴿قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله﴾ أي بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب دليل على أن كفرهم أفتح لان معرفتهم بالآيات أقوى وأنهم وأن زعموا أنهم مؤمنون بالتوراة والانجيل فهم كفرون بهما ﴿والله شهيد على ما تعملون﴾ والحال أنه شهيد مطلع على أعمالكم فيجازيكم عليها لا يفتنكم التحريف والاستسار ﴿قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن﴾ كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقرير ونفي العذر لهم وأشعاراً بأن كل واحد من الامرين مستقيم في نفسه مستقل باستجاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو

خلقه وقيل نزلت فيمن وجد ما يحج ثم مات ولم يحج فهو كفر به لما روى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زاداً وراحلة تباعه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهودياً أو نصرانياً وذلك أن الله تعالى يقول والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً أخرجه الترمذى وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وفي اسناده مقال وهلال بن عبد الله مجهول والحديث يضعف في الحديث وقيل هو الذي ان حج لم يره برا وأن قعد لم يره اثماً وقيل نزلت في اليهود وغيرهم من أصحاب الملل حيث قالوا أنا مسلمون فنزلت والله على الناس حج البيت فأم يحجوا وقالوا الحج الى مكة غير واجب وكفروا به فنزلت ومن كفر فأن الله غنى عن العالمين فعلى هذه الاقوال تكون هذه الآية متعلقة بما قبلها وقيل أنه كلام مستأنف ومعناه ومن كفر بالله واليوم الآخر فأن الله غنى عن العالمين * قوله عز وجل ﴿قل يا أهل الكتاب﴾ قيل الخطاب لعلماء أهل الكتاب الذين علموا صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لجميع أهل الكتاب اليهود والنصارى الذين أنكروا نبوته ﴿لم تكفرون بآيات الله﴾ يعنى الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه حق وصدق والمعنى لم تكفرون بآيات الله التى دلتم على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بآيات الله القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم ﴿والله شهيد على ما تعملون﴾ أى والله شهيد على أعمالكم فيجازيكم عليها ﴿قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن﴾ يعنى لم تصرفون عن دين الله من آمن وكان صدهم عن سبيل الله بألقاء الشبهة والشكوك وذلك بانكارهم صفة محمد

عبارة عنه (قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون) الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله الدالة على صدق محمد عليه السلام والحال أن الله شهيد على أعمالكم فيجازيكم عليها (قل يا أهل الكتاب لم تصدون) الصد المنع (عن سبيل الله من آمن) عن دين حق علم أنه سبيل الله التى أمر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يعمدون من أراد الدخول فيه بجهدهم

(قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله)
بمحمد والقرآن (والله شهيد على ما تعملون)
في الكفر من الكتمان والمعاصى (قل يا أهل الكتاب لم تصدون)
تصرفون (عن سبيل الله)
عن دين الله وطاعته (من آمن)
بالله وبمحمد والقرآن

الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى أتوا الاوس والخزرج
فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادى والتحارب ليعودوا لمثلها ويحتالون لصددهم عنه
﴿تبغونها عوجا﴾ حال من الواو أى باغين طالبين لها أعوجا جابأن تلبسوا على الناس
وتوهما أن فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحوهما أو بأن تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل أمر دينهم ﴿وأنتم شهداء﴾
أنها سبيل الله والصد عنها ضلال وأضلال أو أنتم عدول عند أهل ملتكم يتقون بأفوالكم
ويستشهدونكم في القضايا ﴿ومالله بغافل عما تعملون﴾ وعيد لهم ولما كان المنكر
في الآية الاولى كفرهم وهم بجهرون به ختمها بقوله والله شهيد على ما تعملون ولما كان
في هذه الآية صددهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال ومالله
بغافل عما تعملون ﴿يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقا من الذين أتوا الكتاب

ومحل (تبغونها) تطلبون لها
نصب على الحال (عوجا)
اعوجا جابا ميلا عن القصد
والاستقامة بتغييركم صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن وجهها ونحو ذلك
(وأنتم شهداء) أنها سبيل الله
التي لا يصد عنها الاضال
مضل (ومالله بغافل عما

تعملون) من الصد عن
سبيله وهو وعيد شديد
ثم نهى المؤمنين عن
اتباع هؤلاء الصادين عن
سبيله بقوله (يا أيها الذين
آمنوا أن تطيعوا فريقا
من الذين أتوا الكتاب

(تبغونها عوجا)
تطلبونها غيا وزيفا (وأنتم
شهداء) تعلمون ذلك
في الكتاب (ومالله بغافل)
بسا (عما تعملون) في الكفر
من الكتمان والمعاصي
نزلت هذه الآية في الذين
دعوا عمارا وأصحابه الى دينهم
اليهودية (يا أيها الذين آمنوا
أن تطيعوا فريقا) طائفة
(من الذين أتوا الكتاب)
اعطوا التوراة

صلى الله عليه وسلم في كتبهم ﴿تبغونها عوجا﴾ يعنى زيفا وميلا عن الحق والعوج بالكبر
الزيف والميل عن الاستواء في الدين والقول والعمل وكل ما لا يرى فاما الشئ الذى يرى
كالخائط والقناة ونحو ذلك يقال فيه عوج بفتح العين وهاء في قوله تبغونها عائدة على السبيل
والمعنى لم تطلبون الزيف والميل في سبيل الله بألقاء الشبه في قلوب الضعفاء ﴿وأنتم شهداء﴾
قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى وأنتم شهداء ان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته
مكتوب في التوراة وأن دين الله الذى لا يقبل غيره هو الاسلام وقيل معناه وأنتم تشهدون
المعجزات التى تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته ﴿ومالله بغافل عما
تعملون﴾ فيه وعيد وتهديد لهم وذلك أنهم كانوا يجتهدون ويحتالون بألقاء الشبهة
في قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل الله والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم فلذلك
قال الله تعالى ومالله بغافل عما تعملون ﴿قوله عز وجل﴾ يا أيها الذين آمنوا أن
تطيعوا فريقا من الذين أتوا الكتاب ﴿الآية قال زيد بن أسلم مر شاس بن قيس
اليهودى وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين فر بنفر من الاوس والخزرج
وهم في مجلس يتحدثون فيه فناظه مارأى من أفتهم وصلاح ذات بينهم في الاسلام بعد
الذى كان بينهم من العداوة في الجاهلية وقال قد اجتمع ملائكة قبلة هذه البلاد والله مالنا
معهم اذا اجتمعوا من قرار فأمر شابا من اليهود كان معه فقتله اعدا لهم واجلس معهم ثم
ذكرهم يوم بعث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا يتقاولون فيه من الاشعار
وكان يوم بعث يوما اقتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج
ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواب رجلان من الحيين على الركب
وهما أوس بن قبطى أحد بنى حارثة من الاوس وجبار بن صخر أحد بنى سلمة من الخزرج
فقولا لاقبال أحدهما لصاحبه ان شئتم والله ردناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا
وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهر وهى الحرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس
والخزرج بعضهم الى بعض على دعواهم في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه

يردوكم بعداً يمانكم كافرين) قيل سرشاس بن قيس اليهودى على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه تحدثهم وتألفهم فأمر { الجزء الرابع } شابا من اليهود أن ٥٥٢ يدكرهم يوم بعث لعلمهم بغضبون وكان

يردوكم بعداً يمانكم كافرين) نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فربهم شاس بن قيس اليهودى فغاظه تألفهم واجتماعهم فأمر شابا من اليهود أن يجلس اليهم ويدكرهم يوم بعث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال أئذعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وأنت بين قلوبكم فعملوا أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعدما أمر الرسول بأن يخاطب أهل الكتاب أظهار الجلالة قدرهم واشعاراً بأنهم هم الاحقاء بأن يخاطبهم الله ويكلمهم ﴿ وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ﴾ انكار وتجبب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ﴿ ومن يعصم بالله ﴾ ومن يمسك بدينه أو يلتجئ اليه في مجامع أموره

وسلم فخرج اليهم فبين معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين أبدو عوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد اذ أكرمكم الله بالاسلام وقطع عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله تعرف القوم انها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا واعتق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قال جابر فارأيت يوماً أفتحاً ولاواً وحسن آخر من ذلك اليوم فأزل الله عز وجل بأيها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقا من الذين أتوا الكتاب يعني شاسا اليهودى وأصحابه ﴿ يردوكم بعداً يمانكم كافرين ﴾ والكفر يوجب الهلاك في الدنيا بوقوع العداوة والبغضاء وهيجان الفتنة والحرب وسفك الدماء وفي الآخرة النار ثم قال تعالى ﴿ وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ﴾ وكلمة كيف كلمة تعجب والتعجب انما يليق بمن لا يعلم السبب وذلك على الله محال فالمراد منه المنع والتغليظ وذلك لان تلاوة آيات الله وهي القرآن حالا بعد حال وكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم يرشدكم الى مصالحكم وذلك يمنع من وقوع الكفر فكان وقوع الكفر منهم بعيدا على هذا الوجه قال قتادة في هذه الآية علمان يبينان كتاب الله تعالى ونبي الله صلى الله عليه وسلم امانى الله فقد مضى وأما كتاب الله فقد أبقاه الله بين أظهركم رحمة منه ونعمة ﴿ م ﴾ عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فينا خطيباً بآء يدعى خابن مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ الناس وذكرهم قال أما بعد ألا أيها الناس انما أنا بشر يوشك أن يأتيه رسول ربى فأجيب وأنى تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتى أذكركم الله في أهل بيتى أذكركم الله في أهل بيتى ﴿ قوله عز وجل ﴾ ومن يعصم بالله ﴿ أى يمنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته وأصل

يوما اقتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي عليه السلام فخرج اليهم فبين معه من المهاجرين والانصار فقال أئذعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد اذ أكرمكم الله بالاسلام وألف بينكم فعرف القوم انها نزعة من الشيطان فألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا باكين فنزلت الآية (وكيف تكفرون) معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجب أى من أين يتطرق اليكم الكفر (وأنتم تتلى عليكم آيات الله) والحال أن آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية (وفيكم رسوله) وبين أظهركم رسول الله عليه الصلاة والسلام يذبهكم ويعظكم ويزيح عنكم شبهكم (ومن يعصم بالله) ومن يمسك بدينه

(يردوكم بعداً يمانكم) بالله وبمحمد (كافرين) حتى تكونوا كافرين بالله وبمحمد (وكيف تكفرون) بالله على وجه التعجب (وأنتم تتلى)

تقرأ (عليكم آيات الله) القرآن بالامر والنهى (وفيكم) معكم (رسوله) محمد (ومن يعصم بالله) ومن (العصمة)

فقد هدى الى صراط مستقيم ﴿ فقد اهتدى لاختلاله ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
 حق تقاته ﴿ حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالموجب
 والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضى الله تعالى
 عنه هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو أن يتره الطاعة
 عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تأكيد لانهى عن طاعة أهل

العصمة الامتناع من الوقوع في آفة وفيه حيث لهم في الإلتجاء الى الله تعالى في دفع شر الكفار
 عنهم ﴿ فقد هدى الى صراط مستقيم ﴿ أى الى طريق واضح وهو طريق الحق المؤدى
 الى الجنة ﴿ قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ﴿ قال مقاتل
 ابن حيان كان بين الاوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال فلما هاجر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم الى المدينة أصلح بينهم فاقترع بعد ذلك منهم رجلان وهما ثعلبة بن غنم من الاوس
 وأسمد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسى منا خزيم بن ثابت ذو الشهادتين ومناحظلة
 غسيل الملائكة ومناصم بن ثابت بن أفلح حى الدبر ومناسعد بن معاذ الذى اهترع عرش
 الرحمن له ورضى الله بحكمه فى بنى قريظة وقال الخزرجى منا أربعة أحكموا القرآن أبى
 ابن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ومناسعد بن عبادة خطيب الانصار
 ورئيسهم فجرى الحديث بينهما ففضبا وانشدا الاشعار وتفاخر فاجاء الاوس والخزرج
 ومعهم السلاح فأناهم النبي صلى الله عليه وسلم فأصلح بينهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية
 يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس رضى الله عنهما هو أن يطاع فلا يعصى
 ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقال مجاهد هو أن تجاهدوا فى الله حق جهاده ولا
 تأخذكم فى الله لومة لائم وتقوموا بالله بالقسط واوعى أنفسكم وأبائكم وأبنائكم وعن أنس قال
 لا يتقى الله عبد حق تقاته حتى يحزن لسانه وقيل حق تقاته يعنى واجب تقواه وهو القيام
 بالموجب واجتناب المحارم واختلف العلماء فى هذا القدر من هذه الآية هل هو منسوح
 أم لا على قولين أحدهما انه منسوح وذلك انه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين
 وقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فأنزل الله تعالى الناسخ وهو قوله تعالى فى سورة
 النغبان فاتقوا الله ما استطعتم وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقناة وابن زيد
 والسدى رضى الله عنهم والقول الثانى انها محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس
 أيضا وبه قال طاوس وموجب هذا الاختلاف يرجع الى معنى الآية فمن قال انها
 منسوخة قال حق تقاته هو أن يأتى العبد بكل ما يجب لله ويستحقه فهذا يجهز العبد عن
 الوفاء به فتحصيله تمتع ومن قال بانها محكمة قال ان حق تقاته أداء ما يلزم العبد على قدر طاقته
 فكان قوله تعالى اتقوا الله ما استطعتم مفسرا لحق تقاته لانه نسخا ولا خصصا فمن اتقى الله
 ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه وقيل معنى حق تقاته كما يجب أن يتقى وذلك بان يجتنب
 جميع معاصيه وقيل فى معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما هو أن يطاع فلا يعصى هذا صحيح
 والذي يصدر من العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح فيه لان التكاف فى تلك الحال

هدى الى صراط مستقيم)
 أرشد الى الدين الحق أو
 ومن يجعل ربه ملجأ ومفرجا
 عند الشبه يحفظه عن الشبه
 (يا أيها الذين آمنوا اتقوا
 الله حق تقاته) واجب
 تقواه وما يحق منها وهو
 القيام بالموجب والاجتناب
 عن المحارم وعن عبد الله هو
 أن يطاع فلا يعصى ويشكر
 فلا يكفر ويذكر فلا ينسى أو
 هو أن لا تأخذ فى الله لومة
 لائم ويقوم بالقسط ولو على
 نفسه أو بنيه أو آبيه وقيل
 لا يتقى الله عبد حق تقاته
 حتى يحزن لسانه والتقاة
 من اتقى كالتؤدة من أتاد

يتمسك بدين الله وكتابه
 (فقد هدى الى صراط
 مستقيم) فقد ارشد الى
 طريق قائم بفضاء وهو الاسلام
 ويقال فقد ثبت عليه نزلت
 هذه الآية فى معاذ وأصحابه
 * ثم نزل فى أوس وخزرج
 لخصومة كانت بينهم
 فى الاسلام اقتتر فرهم ثعلبة
 ابن غنم وسعد بن أبى زيادة
 بالقتل والغارة فى الجاهلية
 فقال (يا أيها الذين آمنوا
 اتقوا الله) أطيعوا الله
 (حق تقاته) وحق تقاته
 أن يطاع فلا يعصى وان يشكر
 فلا يكفر وأن يذكر فلا ينسى
 ويقال أطيعوا الله كما ينبغي

الكتاب وأصل تقاة وقيمة فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة ونخمة والياء ألفا ﴿ولا تموتن الا وانتم مسلمون﴾ أى ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا أدرككم الموت فأن النهى عن المقيد بحال أو غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد أخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي ﴿واعتصموا بحبل الله﴾ بدينه الاسلام أو بكتابه لقوله عليه الصلاة والسلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث أن التمسك به سبب للنجاة من الردى كما أن التمسك بالحبل سبب للسلامة من التردى وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز ﴿جميعا﴾ مجتمعين عليه ﴿ولا تفرقوا﴾ ولا تفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب أولا تفرقوا تفرقكم

سرفوع عنه وكذلك قوله وان يشكر فلا يكفر فواجب على العبد حضور ما أنعم الله به عليه بالبال وأما عند السهو فلا يجب عليه وكذلك قوله وان يذكر فلا ينسى فان هذا انما يجب عند الدعاء والعبادة لا عند السهو والنسيان ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿ولا تموتن الا وانتم مسلمون﴾ لفظ النهى واقع على الموت والمعنى واقع على الامر بالاقامة على الاسلام المعنى كونوا على الاسلام فاذا ورد عليكم الموت صادفكم على ذلك وقيل هذا في الحقيقة نهى عن ترك الاسلام المعنى لا تتركوا الاسلام فان الموت لا بد منه ففى جاءكم صادفكم وانتم على الاسلام لانه لما كان يمكنهم الثبات على الاسلام حتى اذا أتاهم الموت أتاهم وهم على الاسلام صار الموت على الاسلام بمنزلة ما قد دخل في امكانهم وقيل معناه ولا تموتن الا وانتم مسلمون مخلصون مفوضون الى الله أموركم تحسنون الظن به عز وجل ﴿عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون فقال لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على أهل الارض معايشهم فكيف بمن تكون طعامه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا﴾ اى تمسكوا بحبل الله والحبل هو السبب الذى يتوصل به الى البقية وسمى الامان حبالا لانه سبب يتوصل به الى زوال الخوف وقيل حبل الله هو السبب الذى به يتوصل اليه فعلى هذا اختلفوا فى معنى الآية فقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه تمسكوا بدين الله لانه سبب يوصل اليه وقيل حبل الله هو القرآن لانه ايضا سبب يوصل اليه ﴿وفى افراد مسلم من حديث زيد بن أرقم رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا وانى تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة الحديث﴾ عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أن هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ذكره البغوى بغير سنده وقال ابن مسعود هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة فانها حبل الله الذى أمر به وأن ماتكروهون فى الجماعة والطاعة خير مما يتجربون فى الفرقة وقيل بحبل الله يعنى بأمر الله وطاعته ﴿ولا تفرقوا﴾ يعنى كما تفرقت اليهود والنصارى وقيل ولا تفرقوا يعنى كما كنتم متفرقين فى الجاهلية متدابرين يعادى بعضكم بعضا ويقتل بعضكم بعضا وقيل معناه لا تتحدوا ما يكون عنه التفرق

(ولا تموتن الا وانتم مسلمون)
ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا أدرككم الموت (واعتصموا بحبل الله) تمسكوا بالقرآن لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم (جميعا) حال من ضمير الخطابين وقيل تمسكوا باجماع الامة دليله (ولا تفرقوا) أى ولا تفرقوا يعنى ولا تفتلوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع أو ولا تفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى أو كما كنتم متفرقين فى الجاهلية يحارب

(ولا تموتن الا وانتم مسلمون)
مقرون له بالعبادة والتوحيد مخلصون بهما (واعتصموا بحبل الله) تمسكوا بدين الله وكتابه (جميعا ولا تفرقوا)

الجاهلي يحارب بعضكم بعضاً أو لاتذكروا ما يوجب التفرق ويزل الالفه ﴿واذكروا نعمت الله عليكم﴾ التي من جلته الهداية والتوفيق للاسلام المؤدى الى التالف وزوال الغل ﴿أذ كنتم أعداء﴾ في الجاهلية مقاتلين ﴿فألف بين قلوبكم﴾ بالاسلام ﴿فأصبحتم بنعمته أخواناً﴾ متمحيين بحمته على الاخوة في الله سبحانه وتعالى وقيل كان الاوس والخزرج أخوين لابوين فوقع بين أولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى أطفأها الله بالاسلام وألف بينهم برسوله صلى الله عليه وسلم

ويزول معه الاجتماع والالفه التي أتم عليها فيه النبي عن التفرق والاختلاف والامر بالاتفاق والاجتماع لان الحق لا يكون الا واحداً وما عداه يكون جهلاً وضلالاً واذا كان كذلك وجب النبي عن الاختلاف في الدين وعن الفرقة لان كل ذلك كان عادة أهل الجاهلية فهو اعنه ﴿وروى البغوي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن الله يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم ثلاثاً يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وان تعصموا بحبل الله جميعاً وان تناصروا من ولى الله أمرهم ويسخط لكم قيل قال واضاعة المال وكثرة السؤال ﴿قوله عز وجل﴾ واذكروا نعمت الله عليكم أذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته أخواناً ﴿قال محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار كان الاوس والخزرج أخوين لاب وأم فوقت بينهما عداوة قتيل ثم تطاولت تلك العداوة والحروب بينهم مائة وعشرين سنة الى أن أطفأ الله ذلك بالاسلام وألف بينهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك سويد بن الصامت أخى بين عمرو بن عوف وكان شريفاً يسميه قومه الكامل لجدته ونسبه فقدم مكة حاجاً ومعتراً وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وأمر بالدعوة فتصدى له النبي حين سمع به ودعاه الى الله عز وجل والى الاسلام فقال له سويد فامل الذى معك مثل الذى معى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذى معك قال مجلد لقمان يعنى حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها على فعرضها عليه فقال أن هذا الكلام حسن ومعى أفضل من هذا قرآن أنزل الله عز وجل على نورا وهدى فتلا عليه القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال أن هذا القول حسن ثم انصرف الى المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج يوم بعاث وان قومه يقولون قد قتل وهو مسلم ثم قدم أبو الحليس أنس بن رافع ومعه فتية من بنى عبد الأشهل فيهم اياس ابن معاذ يلتصقون بالحلف من قريش على قومهم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم وجلس اليهم وقال لهم هل لكم الى خير مما جئتم له قالوا وما هو قال أن رسول الله قد بعثنى الله الى العباد أدعوهم الى أن لا يشركوا بالله شيئاً وأنزل على الكتاب ثم ذكر الاسلام وتلا عليهم القرآن قال اياس بن معاذ وكان غلاماً حدثاً أى قوم هذا والله خير مما جئتم له فاخذ أبو الحليس حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك فلمعرى لقد جئنا لغير هذا فصمت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج فلم يلبث اياس بن معاذ أن هلك فلما أراد الله =

بعضكم بعضاً (واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته أخواناً) كانوا في الجاهلية بينهم العداوة والحروب فألف بين قلوبهم بالاسلام وقذف في قلوبهم المحبة فتحابوا وصاروا أخواناً

في الدين (واذكروا نعمت الله) منة الله (عليكم) بالاسلام (أذ كنتم أعداء) في الجاهلية (فألف بين قلوبكم) بالاسلام (فأصبحتم) فصرتهم (بنعمته) بدينه الاسلام (أخواناً) في الدين

عز وجل اظهر دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان يصنع في كل موسم فلقي عند العقبة رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً وهم ستة نفر أسعد بن زرارة وعوف بن الحرث وهو ابن عفراء ورافع بن مالك العجلاني وقطبة بن عامر بن خريذة وعقبة بن عامر بن باني وجابر بن عبد الله رضى الله عنهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال أمن موالى اليهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون حتى أكلكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله لهم به في الاسلام ان يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وهم أهل أوثان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شئ قالوا أن نبيا الآن مبعوث قد أظل زمانه سنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم الى الله عز وجل قال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله أنه النبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فاجابوه وصدقوه وأسلموا معه وقالوا أنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشرا ما بينهم فعسى الله أن يجمعهم بك وستقدم عليهم وندعوهم الى أمرك فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشافيم فلم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلاً وهم أسعد ابن زرارة وعوف ومعاذ بن عفراء ورافع بن مالك العجلاني وذكوان بن عبد القيس وعبادة بن الصامت وزيد بن ثعلبة وعباس بن عباد وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر فهؤلاء خزرجيون وأبو الهيثم بن التيهان وعويمر بن ساعدة من الاوس فلقوه بالعقبة وهى العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين بهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف الآية فأن وفيتم فلكم الجنة وأن عشيتم شيئاً من ذلك فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة وان ستر عليكم فأمركم الى الله عز وجل أن شاء عذبكم وأن شاء غفر لكم قال وذلك قبل أن يفرض الحرب قال فلما انصرف القوم بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم ابن عبد مناف وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين وكان يسمى مصعب بالمدينة المقرئ وكان منزله على أسعد بن زرارة ثم ان أسعد بن زرارة خرج ومصعب فدخل به حائطا من حوائط بنى ظفر فجلسا في الحائط واجتمع اليهما رجال ممن أسلم فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين اللذين أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما فان أسعد ابن خالتي ولرب لا ذلك لكفتيكة وكان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدى قومهما من بنى عبد الأشهل وهما بعد مشركان فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل الى مصعب وأسعد وهما جالسا في الحائط فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب =

= هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس أكله فلما وقف عليهما متشمتا
 وقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كانت لكما في أنفسكما حاجة قال له مصعب
 أو تجلس فتسمع فان رضيت أمر اقبلته وان كرهته كف عنك ما تكره قال أنصفت ثم ركز
 حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن قالا والله لعرفنا الاسلام
 في وجهه قبل ان يتكلم من أشراقه وتسهله ثم قال ما أحسن هذا وأجله كيف تصنعون
 اذا أردتم ان تدخلوا في هذا الدين قالاتغتسل وتطهر ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تصلي
 ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم صلى ركعتين ثم قال ان ورائي رجلا
 ان اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن سعد بن معاذ ثم أخذ حربته
 فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديم فلما نظر سعد الى أسيد مقبلا قال احلف
 بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف أسيد على النادى
 قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا لا نفعل
 الا ما أحبيت وقد حدثت ان بنى حارثة خرجوا الى اسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم
 عرفوا أنه ابن خالتك ليحتروك فقام سعد مغضبا للذي ذكره من بنى حارثة فاخذ الحربة
 ثم قال والله ما أراك أغنيت شيئا فانصرف اليهما فلما رأهما مطمئنين عرف أن أسيدا أعما
 أراد أن يسمع منهما فوقف عليه متشمتا ثم قال لاسعد بن زرارة لولا ما بيني وبينك من
 القرابة مارمت هذامنى تغشانا في دارنا بما تكره وقد كان قال أسعد لمصعب جاءك والله
 سيد قومه ان يتبعك لم يخالفك أحد منهم فقال له مصعب أو تقعد فتسمع فان رضيت أمرا
 ورغبت فيه قبلته وان كرهته عز لنا عنك ما تكره فقال سعد أنصفت ثم ركز الحربة
 وجلس فعرض عليه مصعب الاسلام وقرأ عليه القرآن قالا لعرفنا والله الاسلام في وجهه
 قبل أن يتكلم من اشراق وجهه وتسهله ثم قال كيف تصنعون اذا أسلتم ودخلتم
 في هذا الدين قالاتغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام واغتسل
 وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق وركع ركعتين ثم أخذ حربته واقبل عامدا الى نادى
 قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رأوه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه
 الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يابني عبدالاشهل كيف تعلمون أمرى فيكم
 قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيعننا نقيية قال فأن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى
 تؤمنوا بالله ورسوله قال فما أمسى في دار بنى عبدالاشهل رجل ولا امرأة الا مسلمة ومسلمة
 ورجع أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير الى منزل أسعد فأقام عنده يدعو الناس الى الإسلام
 حتى لم يتبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون ومسلمات الا ما كان من دار
 أمية بن زيد وخطمة ووائل ووافق ذلك انه كان فيهم أبوقيس بن الاسلت الشاعر
 وكانوا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق قالوا ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة
 وخرج معه من الانصار المسلمين سبعون رجلا مع حجاج قومه من أهل الشرك حتى
 قدموا مكة فوعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبه من أوسط أيام التشريق وهى =

= بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة
 التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام أبو جابر
 أخبرنا وكنا نكنتم من معنا من المشركين من قومنا أمرنا فكلمناه وقلنا يا أبا جابر أنك
 سيد من ساداتنا وشريف من أشرفنا وأنا نرغب بك عما أنت فيه ان تكون حطبا للنازعنا
 ودعوانا الى الاسلام فأسلم فأخبرناه ببيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة
 وكان نقيبا فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لبيعة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم تسلسل مستخفين تسلسل القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن
 سبعون رجلا ومعنا امرأتان من نساءنا نسبية بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني النجار
 وأسماء بنت عمرو بن عدى أم منيع إحدى نساء بني سلمة فاجتمعنا بالشعب منتظرين رسول الله
 صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه
 الا انه أحب أن يحضرا امرأته بن أخيه ويشوق له فلما جلسنا أول من تكلم العباس بن عبد المطلب
 فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب يسمون هذا الحى من الانصار الخزرج خزرجها
 وأوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه عن قومنا من هو على مثل رأينا وهو في عز من
 قومه ومنعة في بلده وانه قداى الا الانقطاع اليكم والحق بكم فان كنتم ترون أنكم
 وافون له بما دعوتوه اليه وما نعوه ممن خالفه فأنتم وما تحماتم به من ذلك وأن كنتم
 ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فأنه في عز ومنعة
 قال فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ماشئت فتكلم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب في الاسلام ثم قال
 أبايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم ونساءكم وأبناءكم قال فاخذ البراء بن معمر
 بيده ثم قال والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعك مما تمنع منه ازرنا فبايعنا يا رسول الله ففحن
 أهل الحرب وأهل الحلقة ورثناهما كبرا عن كابر فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله ان بيننا وبين الناس حبلا يعنى
 عهدا وانا قاطعوها فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا
 فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم أتم منى وأمانكم
 أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجوا
 الى منكم اثني عشر نقيبا كفلاء على قومهم بما فيهم ككفالة الحوارين بعيسى بن مريم فأخرجوا
 اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس قال عاصم بن عمرو بن قتادة أن
 القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عباد بن نضلة الانصارى
 يا معشر الخزرج هل تدرون علام تباعون هذا الرجل أنكم تباعون على حرب الاجر
 والاسود فان كنتم ترون أنكم اذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرفكم قتلا أسلمتموه فمن
 الآن فهو والله خزي في الدنيا والآخرة وأن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه
 اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فانا
 نأخذ على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فانا بذلك يا رسول الله ان نحن ونمنا قال

﴿وكنتم على شفا حفرة من النار﴾ مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم أذلوادركم الموت في تلك الحالة لو وقعتم في النار ﴿فأنقذكم منها﴾ بالاسلام والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا وتأيدلتا يث ما أضيف اليه أو لانه بمعنى الشفة فأن شفا البروشفتها طرفها كالجانب والجانبه وأصله شفو فقلت الواو في المذكر وحذفت في المؤنث ﴿كذلك﴾ مثل ذلك التبيين ﴿بين﴾ الله لكم آياته ﴿دلأله﴾ لعلمكم تهتدون ﴿ارادة﴾ ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ﴿ولتكن﴾

الجنة قالوا ايسط يدك فبسط يده فبايعوه وأول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم قال فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بانفذ صوت ما سمعته قط يا أهل الجباحب هل لكم في مذمم والصباة معه قدا جتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عدو الله هذا أذب العقبة يعني شيطان العقبة اسمع أى عدو الله اما والله لا فرغ نك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفضوا الى رحالكم فقال العباس بن عباد بن نضلة والذي بعثك بالحق لئن شئت لثملين على أهل منى بأسيا فنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تؤمروا بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم فرجعنا الى مضاجعنا فثما عليها حتى أصبحنا فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جائنا في منازلنا فقالوا يا معشر الخزرج بلغنا أنكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا وأنه والله ما حى من العرب أبغض الينا ان تنشب الحرب بيننا وبينه منكم قال فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شئ وما علمناه وصدقوا لم يعلموا به وبعضنا ينظر الى بعض وقام القوم وفيهم الحرث بن هشام بن المغيرة الخزرجي وعليه نعلان جديدتان قال فقلت له كلمة كفى أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوه يا جابر أما تستطيع ان تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلى هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحرث فخلعها من رجليه ورمى بهما الى وقال والله لتنتعلنهما قال أبو جابر منه والله أحفظت الفتى فاردد اليه نعليه قال فقلت لأردهما قال والله يا أبا صالح لئن صدق الغال لاسلبنه قال ثم انصرف الانصار الى المدينة وقد شدوا العقد فلما قدموها أظهرها الاسلام بها وباغ ذلك قريشا فآذوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه أن الله قد جعل لكم أخوانا ودارا تأمنون فيها فأمرهم بالهجرة الى المدينة والحقوق بأخوانهم من الانصار فأول من هاجر الى المدينة أبو سلمة بن عبد الاسد المخزومى ثم عامر ابن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تتابع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا الى المدينة ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجمع الله عز وجل أهل المدينة أو سهوا وخزرجها بالاسلام وأصلح ذات بينهم بنيه عليه الصلاة والسلام وأنزل الله عز وجل واذكروا يعنى يا معشر الانصار نعمة الله عليكم يعنى بالاسلام اذ كنتم أعداء يعنى قبل الاسلام فألف بين قلوبكم يعنى بالاسلام وبنيه عليه الصلاة والسلام فاصبحتم بنعمته أخوانا يعنى فصرتم برحمة وبدينه الاسلام أخوانا فى الدين والولاية بعد العداوة ﴿وكنتم﴾ يا معشر الاوس والخزرج ﴿على شفا حفرة من النار﴾ يعنى على طرف حفرة مثل شفا البئر ليس بينكم وبين الوقوع فى النار الا ان تموتوا على كفركم ﴿فأنقذكم منها﴾ أى فخلصكم بالايان من الوقوع فى النار ﴿كذلك بين الله لكم آياته لعلمكم تهتدون﴾ قوله عز وجل ﴿ولتكن﴾

(وكنتم على شفا حفرة من النار) على طرف هفوة من النار يعنى الشط وهو الكفر (فأنقذكم منها) فأنجأكم منها بالايان (كذلك) هكذا (بين الله لكم آياته) أمره ونهيه ومنتهم (لعلمكم تهتدون) لكي تهتدوا من الضلالة ثم أمر بالمعروف والصلح فقال (ولتكن)

منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴿ من للتبويض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل أحد اذا للتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية أقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجمع وطلب فعل بعضهم ليدل على أنه واجب على الكل حتى لو تركوه رأساً أئمتنا جميعاً ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية أوللتين بمعنى وكونوا أمة تأمرون بالمعروف كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني أو دنياي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على عطف الخاص على العام للايدان بفضلهم ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ المخصوصون بكمال الفلاح روي أنه عليه الصلاة والسلام

منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴿ الام في قوله ولكن لام الامر أي لتكون منكم أمة دعاة الى الخير وقيل ان كلمة من قوله منكم للتبين للتبويض وذلك لان الله عز وجل أوجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الامة في قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فيجب على كل مكلف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أم يديه أو بلسانه أو بقلبه (م) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان فعلى هذا يكون معنى الآية كونوا أمة دعاة الى الخير أميرين بالمعروف ناهين عن المنكر ومن قال بهذا القول يقول ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية اذا قام به واحد سقط الفرض عن الباقي وقيل ان من هنا للتبويض وذلك لان في الامة من لا يقدر على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعجز أو ضعف فحسن ادخال لفظ من في قوله ولكن منكم أمة يدعون الى الخير وقيل ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يختص بالعلماء وولاة الامر فعلى هذا يكون المعنى ليكون بعضكم أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر (خ) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فاصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذي في أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فأن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وان أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً والخير المذكور في الآية هو كل شيء يرغب فيه من الافعال الحسنة وقيل هو هنا كناية عن الاسلام والمعنى لتكون أمة أي جماعة دعاة الى الاسلام والى كل فعل حسن يستحسن في الشرع والعقل وقيل الدعوة الى فعل الخير يندرج تحتها نوعان أحدهما الترغيب في فعل ما ينبغي وهو الامر بالمعروف والثاني الترغيب في ترك ما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر فذكر الحسن أولاً وهو الخير ثم اتبعه بنوعيه مبالغة في البيان والمعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنة والمنكر ضد ذلك وهو ما عرف بالعقل والشرع قبحه وقوله تعالى ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾

منكم أمة يدعون الى الخير (وينهون عن المنكر) عما استجبجه الشرع والعقل أو المعروف ما وافق الكتاب والسنة والمنكر ما خالفهما أو المعرف الطاعة والمنكر المعاصي والدعاء الى الخير عام في التكليف من الافعال والتروك وما عطف عليه خاص ومن للتبويض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له الا من علم بالمعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في أقامته فإنه يبدأ بالسهل فأن لم ينفع ترقى الى الصعب قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا أوللتين أي وكونوا أمة تأمرون كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف (وأولئك هم المفلحون) أي هم الاخصاء بالفلاح الكامل قال عليه السلام من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه منكم) لا تزل منكم (أمة) جماعة (يدعون الى الخير) الى الصلح والاحسان (ويأمرون بالمعروف) بالتوحيد واتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وينهون عن المنكر) عن الكفر والشرك وترك اتباع الرسول (وأولئك هم المفلحون) الناجون من السخط والعذاب (تقدم)

سئل من خير الناس فقتل امرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم للرحم
والامر بالمعروف يكون واجبا ومنذوبا على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب
كله لان جميع ما أنكره الشرع حرام والظاهر أن العاصي يجب عليه أن ينهي عما يرتكبه
لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتزيه وأحوال
الآخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم بينات الآيات والحجج المينة للحق الموجبة
للاتفاق عليه والظاهر أن النهي فيه مخصوص بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عليه الصلاة
والسلام اختلف أمتي رحمة وقوله عليه الصلاة والسلام من اجتهد فأصاب فله أجران ومن
أخطأ فله أجر واحد وأولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم

أفضل الجهاد الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر (ولا تكونوا
كالذين تفرقوا) بالعداوة
(واختلفوا) في الديانة وهم
اليهود والنصارى فأنهم
اختلفوا وكفر بعضهم بعضا
(من بعد ما جاءهم بينات)
الموجبة للاتفاق على كلمة
واحدة وهي كلمة الحق
(وأولئك لهم عذاب
عظيم) ونصب

تقدم نفسه * قوله عز وجل ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا * يعني
ولا تكونوا يا معشر المؤمنين كالذين تفرقوا يعني أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى
في قول أكثر المفسرين واختلفوا في دين الله وأمره ونهيه وقيل تفرقوا واختلفوا بمعنى
واحد وانما ذكرهما للتأكيد وقيل تفرقوا بسبب العداوة واتباع الهوى واختلفوا في دين
الله فصاروا فرقا مختلفين قال الربيع في هذه الآية هم أهل الكتاب نهى الله أهل الاسلام أن
يتفرقوا أو يختلفوا كما تفرق واختلف أهل الكتاب وقال ابن عباس رضى الله عنهما أمر الله
المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم انما هلك من كان قبيلهم بالمرء
والخصومات في الدين وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه الامة وقال أبو أمامة هم الحرورية قال
عبدالله بن شداد وقتب أبو أمامة وأنا معه على رؤس الحرورية على درج جامع دمشق
فدرفت عيناه ثم قال كلاب أهل النار وكانوا مؤمنين فكفروا بعد ايمانهم شر قتيل
تحت أديم السماء وخير قتيل تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء قلت فما شأنك دمعت
عينك قال رحمة لهم كانوا من أهل الاسلام فكفروا بعد ايمانهم ثم أخذ بيدي وقال
ان بارضى منهم كثيرا وفي رواية ثم قرأ بعد قوله فكفروا بعد ايمانهم ولا تكونوا كالذين
تفرقوا واختلفوا الى قوله أ كفرتم بعد ايمانكم ورواه الترمذى عن أبي غالب قال
رأى أبو أمامة رؤسا منصوبة على درج دمشق فقال أبو أمامة كلاب أهل النار
شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه الى آخر الآية قلت لابي امامة أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لولم أسمع الامرة أو مرتين أو ثلاث مرات أو أربع مرات حتى عد سبعا ما حدثكموه
وقال فيه هذا حسن * قوله عز وجل من بعد ما جاءهم بينات * يعني الحجج
الواضحة فعلوها ثم خالفوها وانما قال جاءهم ولم يقل جاءتهم لجواز حذف علامة التأنيث
من الفعل في التقديم تشبيها بعلامة التثنية والجمع * وأولئك لهم عذاب عظيم * يعني لهؤلاء
الذين تفرقوا واختلفوا عذاب عظيم في الآخرة وفيه زجر عظيم للمؤمنين عن التفرق
والخلاف * عن أبي ذر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق

(ولا تكونوا) متفرقين في الدين
(كالذين تفرقوا واختلفوا)
في الدين كتفرق اليهود
والنصارى في الدين
(من بعد ما جاءهم بينات)
بينات ما في كتابهم من
الاسلام (وأولئك لهم)
يعنى اليهود والنصارى
(عذاب عظيم) أعظم ما يكون

﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾ نصب بما في لهم من معنى الفعل أو باضمار
اذكر وبياض الوجه وسواده كنيان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف
فيه وقيل يوسم أهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسى النور بين
يديه ويمينه وأهل الباطل بأضداد ذلك ﴿ فأما الذين اسودت وجوههم ﴾ كفرتهم بعد
إيمانكم ﴿ على أرادة القول أى يقال لهم ﴾ كفرتهم والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم وهم
المرتدون أو أهل الكتاب كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم به قبل مبعثه
أو جمع الكفار كفروا بعدما أقرؤا به حين أشهدهم على أنفسهم أو تمكنوا من الايمان
بالنظر في الدلائل والآيات ﴿ فذوقوا العذاب ﴾ أمر أهانة ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾

الجماعة شبرا فقد خلعت برقة الاسلام من عنقه أخرجه أبو داود أراد برقة الاسلام عقد
الاسلام وأصله أن الربق حبل فيه عدة عرا يشد بها الغنم الواحدة من العرا برقة وروى
البعوى بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره
ان يسكن مجبوحة الجنة فعليه بالجماعة فان الشيطان مع النذوهو من الاثنين أبعد مجبوحة
الجنة وسطها والفذ هو الواحد ﴿ قوله عز وجل ﴾ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴿
يعنى اذكروا يوم تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه
أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة وقيل تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه
المنافقين وفي بياض الوجوه وسوادها قولان ﴿ أحدهما أن البياض كناية عن الفرح والسرور
والسواد كناية عن الغم والحزن وهذا مجاز مستعمل يقال لمن نال بغيته وظفر بطلوبه ابيض
وجهه يعنى من السرور والفرح ولمن ناله مكروه اسود وجهه واريد لونه يعنى من الحزن
والغم قال الله تعالى واذا بشر أحدهم بالاثنى ظل وجهه مسودا يعنى من الحزن فعلى هذا
بياض الوجوه اشراقها وسرورها واستبشارها بعملها وذلك أن المؤمن اذا ورد القيامة
على ما قدم من خير وعمل صالح استبشرت ثواب الله ونعمه عليه فاذا كان كذلك وسم وجهه
ببياض اللون واشراقه واستنارته وابيضت صحيفته وأشرفت وسى النور بين يديه
وعن يمينه وشماله وأما الكافر والظالم اذا ورد القيامة على ما قدم من قبيح عمل وسيات
حزن واعتم لعلمه بعذاب الله فاذا كان كذلك وسم وجهه بسواد اللون وكودته واسودت
صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بفضل الله وسعة رحته من الظلمات
يوم القيامة والقول الثانى بياض الوجوه وسوادها حقيقة تحصل في الوجه فيبيض
وجه المؤمن ويكسى نورا ويسود وجه الكافر ويكسى ظلمة لان لفظ البياض والسواد
حقيقة فيهما والحكمة في بياض الوجوه وسوادها أن أهل الموقف اذا رأوا بياض وجه
المؤمن عرفوا أنه من أهل السعادة واذا رأوا سواد وجه الكافر عرفوا أنه من أهل الشقاوة
﴿ فأما الذين اسودت وجوههم ﴾ كفرتهم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون ﴿ أى يقال لهم ﴾ كفرتهم والهمزة للتوبيخ والتعجب كيف قال
﴿ كفرتهم بعد إيمانكم ﴾ وهم لم يكونوا مؤمنين فن المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم
﴿ قلت اختلف العلماء في ذلك فروى عن أبي بن كعب أنه قال أراد به الايمان يوم أخذ

(يوم تبيض وجوه) أى
وجوه المؤمنين بالظفر
وهولهم أو بظلم أو باذكروا
(وتسود وجوه) أى وجوه
الكافرين والبياض من النور
والسواد من الظلمة (فأما
الذين اسودت وجوههم)
فيقال لهم (أ كفرتم)
فحذف الفاء والقول جميعا
للعلم به والهمزة للتوبيخ
والتعجب من حالهم (بعد
إيمانكم) يوم الميثاق فيكون
المراد به جميع الكفار وهو
قول أبى وهو الظاهر أنهم
المرتدون أو المنافقون أى
أ كفرتهم باطنا بعد إيمانكم
ظاهرا أو أهل الكتاب
وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد اعترافهم به قبل حجته
(فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون

(يوم تبيض وجوه) في يوم
تبيض وجوه قوم (وتسود
وجوه) في يوم تسود وجوه
قوم (فأما الذين اسودت
وجوههم) تقول لهم الزبانية
(أ كفرتم) بالله (بعد
إيمانكم) بالله (فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون) بالله

بسبب كفركم أو جزاء لكفركم ﴿١﴾ وأما الذين ابيضت وجوههم

الميثاق حين قال لهم ألسنت بربكم قالوا بلى فأمن الكل فكل من كفر في الدنيا فقد كفر بعد الايمان وقال الحسن هم المنافقون وذلك أنهم تكلموا بالايمان بالسنتهم وأنكروه بتلوينهم وقال عكرمة هم أهل الكتاب وذلك أنهم آمنوا بحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث أنكروه وكفروا به وقيل هم الذين ارتدوا من أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهم أهل الردة ﴿ق﴾ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض ويلر عن الرجال منكم حتى إذا أهويت اليهم لانا لهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك ﴿ق﴾ عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال من صاحبني حتى إذا رفعوا إلى اختلجوا دوني فلاقولن أي رب أصحابي أصحابي فيقال لي لا تدري ما أحدثوا بعدك * زاد في رواية فأقول سمحاً لمن بدل بعدى ﴿ق﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على يوم القيامة رهط من أصحابي أو قال من أمتي فيجلون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي فيقول أنه لا علم لك بأحدثوا بعدك أنهم ارتدوا على أديارهم القهقري وقيل هم الخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب وقتلهم وهم الحرورية ﴿م﴾ عن زيد بن وهب رضي الله عنه أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي لما ساروا إلى الخوارج فقال على أيها الناس أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشئ ولا صلواتكم إلى صلواتهم بشئ ولا صيامكم إلى صيامهم بشئ يقرؤون القرآن يحسبون أنهم لله وهو عليهم لا تجاوز صلواتهم تراقيم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية * وفي رواية سويد بن غفلة عنه يقرؤون القرآن لا يجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة ﴿ق﴾ عن بشير بن عمرو رضي الله عنه قال قلت لسهل بن حنيف هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج شيئاً قال سمعته يقول وأهوى بيده إلى العراق يخرج منهم قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية وقيل هم أهل البدع والاهواء من هذه الامة كالقدرية ونحوهم ومن قال بهذا القول يقول كفرهم بعد ايمانهم هو خروجهم من الجماعة ومفارقتهم في الاعتقاد ﴿م﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال باءروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بغرض من الدنيا وقال الحرث الاعور سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول على المنبر أن الرجل ليخرج من أهله فما يؤب اليهم حتى يعمل عملاً يستوجب به الجنة وأن الرجل ليخرج من أهله فما يعود اليهم حتى يعمل عملاً يستوجب به النار ثم قرأ يوم تبيض وجوه الآية ثم نادى هم الذين كفروا بعد الايمان ورب الكعبة ﴿١﴾ قوله عز وجل ﴿١﴾ وأما الذين ابيضت وجوههم يعني

وأما الذين ابيضت وجوههم

(وأما الذين ابيضت وجوههم)

ففي رحمة الله) ففي نعمته وهي { الجزء الرابع } الثواب المخلد ثم أستأنف ﴿٥٦٤﴾ فقال (هم فيها خالدون) لا يظعنون عنها

ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنيها على أن المؤمن وإن أستغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة إلا برحمته وفضله وكان حق الترتيب أن تقدم ذكرهم لكن قصد أن يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم ﴿هم فيها خالدون﴾ أخرج مخرج الاستثناف للتأكيد كأنه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون ﴿تلك آيات الله﴾ الواردة في وعده ووعيده ﴿نتلوها عليك بالحق﴾ ملتبسة بالحق لاشبهة فيها ﴿وما الله يريد ظلما للعالمين﴾ اذ يستحيل الظلم منه لأنه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لأنه المالك على الإطلاق كما قال ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض والى الله ترجع الامور﴾ فيجازى كلا بما وعدله وأوعد ﴿كنتم خير أمة﴾ دل على خيريتهم فيما مضى ولم يبدل على انقطاع طراً كقوله تعالى وكان الله غفورا رحيمًا وقيل كنتم في علم الله أوفى اللوح المحفوظ أو فيما بين الأمم المتقدمين

المؤمنين المطيعين لله عز وجل ﴿ففي رحمة الله﴾ يعني في جنة الله وإنما سميت الجنة رحمة لانها دار رحمة وفيه اشارة الى أن العبد وأن عمل بالطاعات لا يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى ﴿هم فيها خالدون﴾ قيل انما كرر كلمة في لان في كل واحدة منهم معنى غير الاخرى المعنى أنهم في رحمة الله وأنهم في الرحمة خالدون ﴿تلك آيات الله﴾ يعني القرآن وقيل هذه الآيات التي تقدمت ﴿نتلوها عليك بالحق﴾ أي بالمعنى الحق لان المتلوحق ﴿وما الله يريد ظلما للعالمين﴾ يعني لا يعاقب أحدا بغير جرم واستحقاق للعقوبة وانما ذكر الظلم هنا لأنه قد تقدم ذكر العقوبة في قوله فأما الذين اسودت وجوههم الى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أخبر أنهم انما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب أفعالهم المنكرة وتوانه لا يظلم أحدا من خلقه ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ لمّا ذكر الله أنه لا يريد ظلما للعالمين لأنه لا حاجة به الى الظلم وذلك أن الظلم انما يظلم غيره ليزداد مالا أو عزرا أو سلطانا أو يتم نقصا فيه بما يظلم به غيره ولما كان الله عز وجل مستغنيا عن ذلك وله صفة الكمال أخبر أن له ما في السموات وما في الأرض وأن جميع ما فيهما ملكه وأهلها عبيده وإذا كان كذلك يستحيل في حقه سبحانه وتعالى أن يظلم أحدا من خلقه لانهم عبيده وفي قبضته ثم قال ﴿والى الله ترجع الامور﴾ يعني واليه مصير جميع الخلائق المؤمن والكافر والطائع والعاصي فيجازى الكل على قدر استحقاقهم ولا يظلم أحدا منهم ﴿قوله عز وجل﴾ كنتم خير أمة ﴿سبب نزول هذه الآية أن مالك بن الصيف ووهب بن هودا اليهوديين قالا لعبد الله بن مسعود وأبي ابن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة نحن أفضل منكم وديننا خير من دينكم الذي تدعوننا اليه فأنزله الله هذه الآية واختلفت في لفظة كان فقيل هي بمعنى الحدوث والوقوع والمعنى حدثتم ووجدتم وخلقتم خير أمة وقيل كان هنا ناقصة وهي عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض ولا تبدل على انقطاع طارىء بدليل قوله وكان الله غفورا رحيمًا فعلى هذا التقدير يكون المعنى كنتم في علم الله خير أمة وقيل كنتم مذكورين في الامم الماضية بأنكم خير أمة وقيل كنتم في اللوح المحفوظ موصوفين بأنكم خير أمة وقيل معناه كنتم منذ أنتم خير أمة وقيل قوله خير أمة تابع لقوله فأما الذين ابيضت

ولا يعوتون (تلك آيات الله) الواردة في الوعد والوعيد وغير ذلك (نتلوها عليك) ملتبسة (بالحق) والعدل من جزاء المحسن والمسيء (وما الله يريد ظلما للعالمين) أى لا يشاء أن يظلم هو عباده فيأخذ أحدا بغير جرم أو يزيد في عقاب مجرم أو ينقص من ثواب محسن (ولله ما في السموات وما في الأرض والى الله ترجع الامور) فيجازى المحسن بإحسانه والمسيء بأسائه ترجع شامى وحزة وعلى كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام ولا دليل فيه على عدم سابق ولا على انقطاع طارىء ومنه قوله (كنتم خير أمة) كأنه قيل ووجدتم خير أمة وكنتم في علم الله أو في اللوح خير أمة أو كنتم في الامم مذكورين بانكم خير أمة موصوفين به

ففي رحمة الله) في جنة الله (هم فيها خالدون) لا يعوتون ولا يخرجون (تلك آيات الله) هذه آيات الله القرآن (نتلوها عليك) تنزل جبريل بها عليك (بالحق) ابيان الحق والباطل (وما الله يريد ظلما للعالمين) ان يكون منه ظلم على العالمين على الجن

والانس (ولله ما في السموات وما في الأرض) من الخلق والجناب (والى الله ترجع الامور) في الآخرة (كنتم خير أمة) (وجوههم)

وجوههم والتقدير أنه يقال لهم عند دخول الجنة كنتم في دنياكم خير أمة فلهذا استحققتم ما أنتم فيه من بياض الوجوه والنعم المقيم وقيل كنتم بمعنى أنتم وقيل يحتمل أن يكون كان بمعنى صار فمضى قوله كنتم أي صرتم خير أمة فأما المخاطبون بهذا من هم ففيه خلاف قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله كنتم خير أمة هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن عمر بن الخطاب قال لو شاء الله تعالى لقال أنتم فكنا كلنا ولكن في خاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل ما صنعتكم كانوا خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال الضحاك هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني به كانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله عز وجل المسلمين باتباعهم وطاعتهم ﴿ق﴾ عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ثم إن بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن زاد في رواية ويحلفون ولا يستحلفون ﴿ق﴾ عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يحيى قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته قوله خير الناس قرني يعني أصحابي والقرن أهل كل زمان مأخوذ من الاقتران فكأنه الزمان الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم وقيل القرن أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة ﴿ق﴾ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدا أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدأ أحدهم ولا نصيفه النصيف النصف وقال ابن عباس في رواية عطاء في قوله كنتم خير أمة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال الزجاج قوله كنتم خير أمة الخطاب فيه مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عام في كل الأمة ونظيره قوله كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص فإن كل ذلك خطاب مع الحاضرين بحسب اللفظ ولكنه عام في حق الكل كذا ههنا عن هزبن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس قال أنتم تتون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى أخرج الترمذي وقال حديث حسن وأصل الأمة الجماعة المجتمعة على الشيء وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هم الجماعة الموصوفون بالإيمان بالله عز وجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿خ﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أمة يدخلون الجنة إلا من أبي قالوا من أبي قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى ﴿ع﴾ عن ابن عمر رضي الله عندهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن الله لا يجمع أمتي أو قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة وتوبيد الله على الجماعة ومن شذذني النار أخرج الترمذي ﴿ع﴾ عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا اثنتان والزلازل والقتل أخرجها أبو داود ﴿ع﴾ عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أمتي كمثل المطر لا يدرى آخره خير أم أوله أخرج الترمذي ﴿ع﴾ وله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة عشرون ومائة صف

﴿أخرجت للناس﴾ أي أظهرت لهم ﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ استئناف بين به كونهم خير أمة أو خبر ثانٍ لكنتم ﴿وتؤمنون بالله﴾ يتضمن الايمان بكل ما يجب أن يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما أمر أن يؤمن به وانما آخره وحقه أن يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على أنهم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر انما بالله سبحانه وتعالى وتصديقه واطهارا لدينه * وأستدل بهذه الآية على أن الاجماع حجة لانها تقتضى كونهم أمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر اذا اللام فيهما للاستغراق فلو أجمعوا

ثمانون منها من هذه الامة وأربعون من سائر الامم * وله عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب أمتى الذى يدخلون منه الجنة عرضة سير الراكب المسرع المجد ثلاثا ثم انهم يتضاغظون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول قال الترمذى سألت محمدا يعنى البخارى عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال لخالد بن أبى بكر مناكير عن سالم بن عبد الله زاد غيره فى الحديث وهم شركاء الناس فى سائر الابواب * عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمتى من يشفع فى الفئام من الناس ومنهم من يشفع فى القبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للواحد أخرجه الترمذى (خ) عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفا أو سبعمائة ألف سماطين ممتاسكين أخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر * عن أبى أمامة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدنى ربى أن يدخل من أمتى الجنة سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب ومع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربى أخرجه الترمذى * وروى البغوى باسناد الثعلبى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها أمتى * قوله عز وجل ﴿أخرجت للناس﴾ معناه كنتم خير الامم المخرجة للناس فى جميع الاعصار ومعنى أخرجت أظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وقيل معناه كنتم للناس خيرا أمة أخرجت (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنتم خير أمة أخرجت للناس قال خير الناس للناس تأتون بهم فى السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا فى الاسلام وقيل أخرجت صلة والتقدير كنتم خير أمة للناس وقيل معناه ما أخرج للناس أمة خير من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ هذا كلام مستأنف والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم والمعروف هو التوحيد والمنكر هو الشرك والمعنى تأمرون الناس بقول لاله الا الله وتنهونهم عن الشرك ﴿وتؤمنون بالله﴾ أى وتصدقون بالله وتخلصون له التوحيد والعبادة. فأن قلت لم قدم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على الايمان بالله فى الذكر مع ان الايمان يلزم أن يكون مقدما على كل الطاعات والعبادات * قلت الايمان بالله أمر يشترك فيه جميع الامم المؤمنة وانما فضلت

(أخرجت) أظهرت
(لنناس) اللام يتعلق
بأخرجت (تأمرون)
كلام مستأنف بين به
كونهم خير أمة كما تقول
زيد كريم يطعم الناس
ويكسوهم بينت بالاطام
والالباس وجه الكرم فيه
(بالمعروف) بالايمان
وطاعة الرسول (وتنهون
عن المنكر) عن الكفر وكل
محذور (وتؤمنون بالله)
وتدومون على الايمان به
ولان الواو لا تقتضى الترتيب

أنتم خير أمة (أخرجت
لنناس) كانت للناس ثم بين
خيرهم فقال (تأمرون
بالمعروف) بالتوحيد واتباع
محمد (وتنهون عن المنكر)
عن الكفر والشرك ومخالفة
الرسول (وتؤمنون بالله)
وبجملة الكتب والرسول

(ولو آمن أهل الكتاب) بمحمد عليه السلام (لكان خيرا لهم) لكان الايمان خيرا لهم مما هم فيه لانهم انما آثروا دينهم عن دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان خيرا لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا مع الفوز بما وعدوا على الايمان به من اثناء الاجر مرتين ﴿٥٦٧﴾ (منهم المؤمنون) {سورة آل عمران} كعبدالله بن سلام وأصحابه

(وأكثرهم الفاسقون) المتردون في الكفر (لن يضرروكم الأذى) الاضرا مقتصر على أذى يقول من طعن في الدين أو تهديد أو نحو ذلك (وأن يقتلوكم بولوكم الادبار) منزهين ولا يضرروكم بقتل أو أسر (ثم لا ينصرون) ثم لا يمكن لهم نصر من أحد ولا يمنون منكم وفيه تثبيت لمن أسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم ويتوابعونهم وتهديدهم وهو ابتداء اخبار معطوف على جملة الشرط والجزاء وليس معطوف على بولوكم اذا كان معطوفا عليه لقليل ثم لا ينصروا وانما استؤنف ليؤذن أن الله لا ينصرهم قاتلوا أولم يقتالوا وتقدير الكلام أخبركم أنهم ان يقتلوكم يهزموا ثم أخبركم انهم لا ينصرون وشم للتراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخلدان عليهم أعظم من الاخبار بتوليهم الادبار (ولو آمن أهل الكتاب) يعني اليهود والنصارى (لكان خيرا لهم) مما هم عليه (منهم المؤمنون) عبدالله

على باطل كان أمرهم على خلاف ذلك ﴿ ولو آمن أهل الكتاب ﴾ ايماناً كما ينبغي ﴿ لكان خيرا لهم ﴾ لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه ﴿ منهم المؤمنون ﴾ كعبدالله بن سلام وأصحابه ﴿ وأكثرهم الفاسقون ﴾ المتردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد ﴿ لن يضرروكم الأذى ﴾ ضررا يسيرا كطعن وتهديد ﴿ وأن يقتلوكم بولوكم الادبار ﴾ يهزموا ولا يضرروكم بقتل وأسر ﴿ ثم لا ينصرون ﴾ ثم لا يكون أحد ينصرهم عليكم أو يدفع بأسكم عنهم نفي أضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بأنهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم أخبر بأنه يكون عاقبتهم العجز والخذلان . وقرئ لا ينصروا عطا على بولوا على أن ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان كذلك حال

هذه الامة الاسلامية بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر على سائر الامم واذا كان كذلك كان المؤثر في هذه الخيرية هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأما الايمان بالله فهو شرط في هذا الحكم لانه ما لم يوجد الايمان لم ينصر شي من الطاعات مقبولا فثبت ان الموجب لهذه الخيرية لهذه الامة هو كونهم آمنين بالمعروف ناهين عن المنكر فلهذا السبب حسن تقديم ذكر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الايمان ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ولو آمن أهل الكتاب ﴾ يعني ولو آمن اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم بالدين الذي جاء به ﴿ لكان خيرا لهم ﴾ يعني مما هم عليه من اليهودية والنصرانية وانما جاملهم على ذلك حب الرياسة واستتباع العوام ولو أنهم آمنوا حصلت لهم الرياسة في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة وهو دخول الجنة ﴿ منهم ﴾ يعني من أهل الكتاب ﴿ المؤمنون ﴾ يعني عبدالله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من اليهود والنجاشي وأصحابه الذين أسلموا من النصارى ﴿ وأكثرهم الفاسقون ﴾ أي المتردون في الكفر وقيل ان الكفر قد يكون عدلا في دينه وهؤلاء مع كفرهم فاسقون ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ لن يضرروكم الأذى ﴾ سبب نزول هذه الآية أن رؤساء اليهود عمدوا الى من آمن منهم مثل عبدالله بن سلام وأصحابه فأذوهم لاسلامهم فأمر الله تعالى لن يضرروكم الأذى يعني لن يضرركم أيها المؤمنون هؤلاء اليهود الأذى يعني باللسان من طعنهم في دينكم أو تهديد أو ألقاء شبهة وتشكيك في القلوب وكل ذلك يوجب الأذى والغم ﴿ وأن يقتلوكم بولوكم الادبار ﴾ يعني منزهين محذولين ﴿ ثم لا ينصرون ﴾ يعني لا يكون لهم النصر عليكم بل تنصرون عليهم وفيه تثبيت لمن أسلم من أهل الكتاب لانهم كانوا يؤذونهم بالقول ويهددونهم ويؤخونهم فأعلمهم الله تعالى أنهم لا يقدر أن يجاوزوا الأذى بالقول الى غيره من الضرر ثم وعدهم الغلبة والانتقام منهم وأن

ابن سلام وأصحابه (وأكثرهم الفاسقون) الكافرون الناقضون العهد (لن يضرروكم) لن ينقصوكم اليهود (الأذى) باللسان بالشم والطعن (وأن يقتلوكم) في الدين (بولوكم الادبار) منزهين (ثم لا ينصرون) لا يمنون من سيفكم وسيبكم

(ضربت) ألزمت (عليهم الذلة) أي على اليهود (أينما ثقفوا) وجدوا (الابجبل من الله) في مجل النصب على الحال والباء متعلق بمحذوف تقديره {الجزء الرابع} الامعتصمين أو متمسكين ﴿٥٦٨﴾ بجبل من الله (وحبل من الناس) والحبل

قريضة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ﴿ضربت عليهم الذلة﴾ هدر النفس والمال والاهل أو ذل التمسك بالباطل والجزية ﴿أينما ثقفوا﴾ وجدوا ﴿الابجبل من الله﴾ وحبل من الناس ﴿استثناء من أعم عام الاحوال أي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الامعتصمين أو ملتبسين بذمة الله أو كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين أو بدين الاسلام واتباع سبيل المؤمنين ﴿وباؤا بغضب من الله﴾ رجعوا به مستوجبين له ﴿وضربت عليهم المسكنة﴾ فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على أهله واليهود في غالب الامر فقراء ومساكين ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب ﴿بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق﴾ بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء والتقييد بغير حق مع أنه كذلك في نفس الامر للدلالة على أنه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم أيضا ﴿ذلك﴾ أي الكفر والقتل ﴿بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فأن الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبرائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه أن ضرب الذلة في الدنيا

عاقبتهم الخذلان والذل فقالت تعالى ﴿ضربت عليهم الذلة﴾ يعني جعلت الذلة ملصقة بهم كالشيء يضرب على الشيء فيلتصق به والمراد بالذلة قتالهم وسبهم وغنيمة أموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لانها ذلة وصغار وقيل ذلتهم أنك لا ترى في اليهود ملكا قاهرا ولا رئيسا معتبرا بل هم مستضعفون في جميع البلاد ﴿أينما ثقفوا﴾ أي حيثما وجدوا وصدفوا ﴿الابجبل من الله﴾ يعني الابعهد من الله وهو أن يسلموا فتزول عنهم الذلة ﴿وحبل من الناس﴾ يعني المؤمنين ببذل الجزية والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس وهو ذمة الله وعهده وذمة المسلمين وعهدهم لا عزلهم الا هذه الواحدة وهي التجاؤم الى الذمة لما قبلوه من بذل الجزية وانما سمي العهد حبالا لانه سبب يوصل الى الامن وزوال الخوف ﴿وباؤا بغضب من الله﴾ يعني رجعوا بغضب من الله واستوجبوه وقيل أصله من البوء وهو المكان والمعنى أنهم مكثوا في غضب من الله وحلوا فيه ﴿وضربت عليهم المسكنة﴾ يعني كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون في المسكنة غير خارجين منها قال الحسن المسكنة هي الجزية وذلك لان الله تعالى أخرج المسكنة عن الاستثناء وذلك يدل على أنها باقية عليهم والباقي عليهم هو الجزية فدل على أن المسكنة هي الجزية وقيل المراد بالمسكنة هو أن اليهودي يظهر من نفسه الفقر وأن كان غنيا موسرا ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب ﴿بأنهم﴾ أي بسبب أنهم ﴿كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق﴾ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴿أي ذلك الذي نزل بهم بسبب

المهدو الذمة والمعنى ضربت عليهم الذلة في كل حال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين أي لا عزلهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤم الى الذمة لما قبلوه من الجزية (وباؤا بغضب من الله) استوجبوه (وضربت عليهم المسكنة) الفقر عقوبة لهم على قولهم أن الله فقير ونحن أغنياء أو خوف الفقر مع قيام اليسار (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق) ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله أي ذلك كأن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق ثم قال (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أي ذلك الكفر وذلك القتل كأن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم

اياهم (ضربت عليهم الذلة) جعلت عليهم مذلة الجزية (أينما ثقفوا) وجدوا لا يقدر أن يقوموا مع المؤمنين (الابجبل من الله) بالايان بالله (وحبل من الناس) عهد من الامراء بالجزية وباؤا بغضب استوجبوا بلعنة

(من الله وضربت عليهم المسكنة) جعل عليهم زى الفقر (ذلك) المذلة (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) بمحمد والقرآن (عصيانهم) (ويقتلون الانبياء بغير حق) بلا جرم (ذلك) الغضب والمسكنة (بما عصوا) الله في السبت (وكانوا يعتدون) بقتل الانبياء واستحلال

واستجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث أنهم مخاطبون بالفروع أيضا ﴿ ليسوا سواء ﴾ في المساوى والضمير لاهل الكتاب ﴿ من أهل الكتاب أمة قائمة ﴾ استئناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من ائت العود فقام وهم الذين أسلموا منهم ﴿ يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ﴾ يتلون القرآن في تهجدهم عبرته بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون أبين وأبلغ في المدح وقيل المراد صلاة العشاء لان أهل الكتاب لا يصلونها لما روى أنه عليه الصلاة والسلام أخرها ثم خرج فأذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أما أنه

عصيانهم لله عز وجل وتعديهم لحدوده فنزل بهم ما نزل ﴿ قوله عز وجل ﴾ ليسوا سواء ﴿ قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه قالت أخبار اليهود ما أمن محمد صلى الله عليه وسلم الا شرارنا ولولا ذلك ما تركوا دين آبائهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وفي قوله ليسوا سواء قولان أحدهما أنه كلام تام يوقف عليه والمعنى أن أهل الكتاب الذين سبق ذكرهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ليسوا سواء وقيل معناه لا يستوى اليهود وأمة محمد صلى الله عليه وسلم القائمة بأمر الله الثابتة على الحق * والقول الثاني أن قوله ليسوا سواء متعلق بما بعده ولا يوقف عليه ﴿ وقوله عز وجل ﴾ من أهل الكتاب أمة قائمة ﴿ فيه اختصار واضمار والتقدير ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة ومنهم أمة مذمومة غير قائمة فترك ذكر الامة الاخرى اكتفاء بذكر أحد الفريقين وهذا على مذهب العرب أن ذكر أحد الضدين يعنى عن الآخر قال أبو ذؤيب

دعاني إليها القلب أنى امرؤها * مطيع فلا أدري أرشد طلابها

أراد أم غير رشد فاكثى بذكر أحد الرشدين دون الآخر وقال الزجاج لاحاجة الى اضمار الامة المذمومة لانه قد جرى ذكر أهل الكتاب بقوله كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق فأعلم الله أن منهم أمة قائمة فلا حاجة بنا الى ان نقول وأمة غير قائمة وانما بدأ بذكر فعل الاكثر منهم وهو الكفر والمشاقة ثم ذكر من كان مبايناهم في فعلهم فقال ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة قال ابن عباس رضى الله عنها قائمة أى مهدية قائمة على أمر الله تعالى لم يضيعوه ولم يتركوه وقيل قائمة أى عادلة وقيل قائمة على كتاب الله عز وجل وحدوده وقيل قائمة في الصلاة ﴿ يتلون آيات الله ﴾ أى يقرؤن كتاب الله عز وجل ﴿ آناء الليل ﴾ يعنى ساعاته ﴿ وهم يسجدون ﴾ يعنى يصلون عبر بالسجود عن الصلاة لان التلاوة لا تكون في السجود وقيل هى صلاة التهجيد بالليل وقيل هى صلاة العشاء لان اليهود لا يصلونها وقيل يحتمل أنه أراد بالسجود الخضوع والخشوع لان العرب تسمى الخضوع سجدوا وقال عطاء في قوله تعالى ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يريد أربعين رجلا من أهل نجران من العرب وأثنى وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم

لحدوده (ليسوا سواء)
ليس أهل الكتاب مستوين
(من أهل الكتاب) كلام
مستأنف لبيان قوله ليسوا
سواء كما وقع قوله تأمرون
بالمعروف بيانا لقوله كنتم
خير أمة (أمة قائمة) جماعة
مستقيمة عادلة من قولك أقت
العود فقام أى استقام وهم
الذين أسلموا منهم (يتلون
آيات الله) القرآن (آناء
الليل) ساعاته واحدها أى
كفى أو أنو كقنو أو أنى
كنجى (وهم يسجدون)
يصلون قيل يريد صلاة
العشاء لان أهل الكتاب
لا يصلونها وقيل عبر عن
تهجدهم بتلاوة القرآن
في ساعات الليل مع السجود

المحارم (ليسوا سواء)
أى ليس من آمن من أهل
الكتاب كمن لم يؤمن (من
أهل الكتاب أمة قائمة)
يقول منهم أمة جماعة عدل
مهتدية بتوحيد الله
وهو عبد الله بن سلام
وأصحابه (يتلون) يقرؤن
(آيات الله) القرآن (آناء
الليل) ساعات الليل في الصلاة
(وهم يسجدون) يصلون لله

(يؤمنون بالله واليوم الآخر وبأمرين بالمعروف) بالايان وسائر أبواب البر (وينهون عن المنكر) عن الكفر ومنهيات الشرع (ويسارعون في الخيرات) يبادرون اليها خشية القوت وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان لامة أى امة قائمة تالون مؤمنون ووصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لا شراكمهم به عزيرا {الجزء الرابع} وكفرهم ببعض ﴿٥٧٠﴾ الكتب والرسل ومن الايمان باليوم الآخر

لانهم بصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مدهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع بالقيام به (وأولئك) الموصوفون بما وصفوا به (من الصالحين) من المسلمين أو من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) بالياء فيهما كوفي غير أبي بكر وأبو عمرو وغير غيرهم بالتاء وعدى يكفروه الى مفعولين وان كان شكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها لتضمنه معنى الحرمان كأنه قيل فلن تحرموه أى فلن (يؤمنون بالله) وبجملة الكتب والرسل (واليوم الآخر) بالبعث بعد الموت ونعيم الجنة (ويأمرون بالمعروف) بالتوحيد واتباع

ليس من أهل الاديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم ﴿٥٧٠﴾ يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات ﴿٥٧١﴾ صفات أخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود فأنهم منحرفون عن الحق غير متعبدين في الليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مدهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات ﴿٥٧٢﴾ وأولئك من الصالحين ﴿٥٧٣﴾ أى الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت أحوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه ﴿٥٧٤﴾ وما فعلوا من خير فلن تكفروه ﴿٥٧٥﴾ فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا كانوا على دين عيسى عليه الصلاة والسلام وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا به وكان عدة نفر من الانصار منهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وأبو قيس صرمة بن أنس كانوا قبل الاسلام موحدين يفتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم الله عز وجل بالنبي صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وصدقوه ثم وصفهم الله تعالى بصفات ما كانت في اليهود فقال ﴿٥٧٦﴾ يؤمنون بالله واليوم الآخر ﴿٥٧٧﴾ وذلك لان ايمان أهل الكتاب فيه شرك ويصفون اليوم الآخر بغير ما يصفه المؤمنون وقيل أن الايمان بالله يستلزم الايمان بجميع أنبيائه ورسوله واليهود يؤمنون ببعض الانبياء ويكفرون ببعض والايمان باليوم الآخر يستلزم الحذر من فعل المعاصي واليهود لا يمتثلون منها فلم يحصل الايمان الخالص بالله واليوم الآخر ﴿٥٧٨﴾ ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴿٥٧٩﴾ يعنى غير مدهنين كما يدهن اليهود بعضهم بعضا وقيل يأمرون بالمعروف يعنى بتوحيد الله تعالى والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن المنكر يعنى عن الشرك وعن كتم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿٥٨٠﴾ ويسارعون في الخيرات ﴿٥٨١﴾ أى يبادرون اليها خوف القوت وذلك أن من رغب في أمر سارع اليه وقام به غير متوان عنه وقيل يسارعون في الخيرات غير متاقلين ولا كسالى ﴿٥٨٢﴾ وأولئك ﴿٥٨٣﴾ اشارة الى الموصوفين بما وصفوا به ﴿٥٨٤﴾ من الصالحين ﴿٥٨٥﴾ أى من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله عز وجل ورضى عنهم واستحقوا ثناءه عليهم وذلك لان الصلاح ضد الفساد فاذا حصل الصلاح للانسان فقد حصل له أعلى الدرجات وأكمل المقامات وقيل يحتمل أن يراد بالصالحين المسلمون والمعنى وأولئك الذين تقدم وصفهم من جملة المسلمين ﴿٥٨٦﴾ قوله عز وجل ﴿٥٨٧﴾ وما فعلوا من خير فلن تكفروه ﴿٥٨٨﴾ قرئ بالياء لان الكلام متصل بما قبله من ذكر مؤمنى أهل الكتاب وذلك

محمد (وينهون عن المنكر) عن الكفر والشرك واتباع الجبت والطاغوت (ويسارعون في الخيرات) (ان) يبادرون في الطاعات (وأولئك من الصالحين) من صالحى أمة محمد ويقال مع صالحى أمة محمد في الجنة مثل أبي بكر وأصحابه (وما يفعلوا) يعنى عبد الله بن سلام وأصحابه (من خير) مما ذكرت ويقال من احسان الى محمد وأصحابه (فلن يكفروه) لن ينسى

وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان * وقرأ حنص وحزة والكسائي وما فعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء ﴿ والله عليم بالمتقين ﴾ بشارة لهم واشعار بأن التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وأن الفائز عند الله سبحانه وتعالى هو أهل التقوى ﴿ أن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً ﴾ من العذاب أو من الغناء فيكون مصدرها ﴿ وأولئك أصحاب النار ﴾ ملازموها ﴿ هم فيها خالدون ﴾ مثل ما ينفقون ﴿ ما ينفق الكفرة قربة أو مغاخرة وسمة أو المنافقون رياء وخرفاً ﴾ في هذه الحياة الدنيا

أن اليهود لما قالوا لعبد الله بن سلام وأصحابه أنكم خسرتم بسبب هذا الدين الذي دخلتم فيه فأخبر الله تعالى أنهم فازوا بالدرجات العلى وما فعلوه من خير يجازيهم به ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فيه كل فاعل للخير وقرئ بالتاء على انه ابتداء كلام وهو خطاب لجميع المؤمنين ويدخل فيه مؤمنو أهل الكتاب أيضاً ومعنى الآية وما فعلوا من خير أيها المؤمنون فلم تكفروه أي فلن تعدموا ثوابه ولن تحرموه أو تمنعوه بل يشكره لكم ويجازيكم به ﴿ والله عليم بالمتقين ﴾ فيه بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا أهل الاعمان والتقوى ﴿ قوله عز وجل ﴾ أن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً ﴿ قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد بنى قريظة والنضير وذلك ان رؤساء اليهود مالوا الى تحصيل الاموال في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان متصودمهم بمعاداته تحصيل الرياسة والاموال فقال الله عز وجل لن تغني عنهم أموالهم وقيل نزلت في مشركي قريش فان أبا جهل كان كثير الافتخار بالاموال وأنفق أبو سفيان مالا كثيراً في يومى بدر وأحد على المشركين وقيل أن الآية عامة في جميع الكفار لان اللفظ عام ولا دليل يوجب التخصيص فوجب اجراء اللفظ على عمومه ومعنى الآية أن الذين كفروا لن تغني أى تدفع عنهم أموالهم بالفدية لو اتتدوا بها من عذاب الله ولا أولادهم بالنصر وانما خص الاموال والاولاد بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بالفداء بالمال وتارة بالاستعانة بالاولاد فأعلم الله تعالى أن الكافر لا ينفعه شئ من ذلك في الآخرة ولا يخلص له من عذاب الله وهو قوله ﴿ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ لا يخرجون منها ولا يفارقونها ﴿ قوله عز وجل ﴾ مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا ﴿ قيل أراد نفقة أبي سفيان وأصحابه ببدر وأحد في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أراد نفقة اليهود على علمائهم ورؤسائهم وقيل أراد نفقات جميع الكفار وصدقاتهم في الدنيا وقيل أراد نفقة المرأتى الذى لا يريد بما ينفق وجه الله تعالى وذلك لان انفاقهم المال امان يكون لمنافع الدنيا والمنافع الآخرة فان كان لمنافع الدنيا لم يبق له أثر في الآخرة في حق المسلم فضلاً عن الكافر وأن كان لمنافع الآخرة كمن يتصدق ويعمل أعمال البر فان كان كافراً فان الكفر محبط لجميع أعمال البر فلا ينفع بما أنفق في الدنيا لاجل الآخرة وكذلك المرأتى الذى لا يريد بما أنفق وجه الله تعالى فإنه لا ينفع

تحموا جزاءه (والله عليم بالمتقين) بشارة للمتقين بجزيل الثواب (أن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً) أى من عذاب الله (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا (في المفاخر والمكابر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس أو ما يتقربون به الى الله مع كفرهم

ثوابه بل يشابوا) (والله عليم بالمتقين) الكفر والشرك والفواحش عبدالله بن سلام وأصحابه (أن الذين كفروا) بمحمد والقرآن كذب وأصحابه (لن تغني عنهم أموالهم) كثرة أموالهم (ولا أولادهم) كثرة أولادهم (من الله) من عذاب الله (شيأ وأولئك أصحاب النار) أهل النار (هم فيها خالدون) دائمون (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا) يقول مثل نفقة اليهود في اليهودية

كمثل ريح فيها صر * برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به أو نعت وصف به البرد للباغة كقولك برد بارد * أصابت حرث قوم ظلوا أنفسهم * بالكفر والمعاصي * فأهلكته * عقوبة لهم لان الأهلاك عن سخط أشد والمراد تشبيه ما أنفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بأبلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز أن يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث * وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون * أى ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلوا أنفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتدبها أو ما ظلم أصحاب الحرث بأهلاكه ولكنهم ظلوا أنفسهم بأرتكاب ما استحقوا به العقوبة * وقرئ * ولكن أى ولكن أنفسهم يظلمونها ولا يجوز أن يقدر ضمير الشأن لانه لا يحذف الا في ضرورة الشعر كقوله « وما كنت ممن يدخل العشق قلبه » * ولكن من يبصر جفونك يعشق *
 * يأياها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة * وليجة وهو الذى يعرفه الرجل أسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كاشبهه بالشعار قال عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار

بنفقته في الآخرة ثم ضرب لذلك الاتفاق مثلا فقال تعالى * كمثل ريح فيها صر * فيه وجهان * أحدهما وهو قول أكثر المفسرين وأهل اللغة أن الصر البرد الشديد وبه قال ابن عباس وقتادة والسدى وابن زيد * والوجه الثانى ان الصر هو السموم الحارة التى تقتل وهو رواية عن ابن عباس وبه قال ابن الانبارى من أهل اللغة وعلى الوجهين فالتشبيه صحيح والمقصود منه حاصل لانها سواء كان فيها برد فهى مهلكة أو حر فهى مهلكة أيضا * أصابت * يعنى الريح التى فيها صر * حرث قوم * أى زرع قوم * ظلوا أنفسهم * يعنى بالكفر والمعاصى ومنع حق الله فيه * فأهلكته * يعنى فأهلكت الريح الزرع ومعنى الآية مثل نفقات الكفار فى ذهابها وقت الحاجة إليها كمثل زرع أصابته ريح باردة فأهلكته أو نار فأحرقته فلم يتبق به أصحابه * فإن قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا وإبطال ثوابه وعدم الانتفاع به بالحرث الذى هلك بالريح فكيف شبه بالريح المهلكة للحرث * قلت هو من التشبيه المركب وهو ما حصلت فيه المشابهة بين ما هو المقصود من الجملتين وان لم تحصل المشابهة بين اجزاء الجملتين فعلى هذا زال الاشكال ومن التشبيه ما حصلت فيه المشابهة بين المقصود من الجملتين وبين اجزاء كل واحدة منهما فان جملنا هذا المثل من هذا القسم ففيه وجهان أحدهما ان يكون التقدير مثل الكفر فى أهلاك ما ينفقون كمثل الريح المهلكة للحرث الوجه الثانى مثل ما ينفقون كمثل مهلك الريح وهو الحرث والمقصود من ضرب هذا المثل هو تشبيه ما ينفقون بشئ يذهب بالكلية ولا يبقى منه شئ * وقوله عز وجل * وما ظلمهم الله * يعنى بأن لم يقبل نفقاتهم * ولكن أنفسهم يظلمون * يعنى أنهم عصوا الله فاستحقوا عقابه فأبطل نفقاتهم وأهلك حرثهم وقيل ظلوا أنفسهم حيث لم يأتوا بنفقاتهم مستحقة للقبول * قوله عز وجل * يأياها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة * الآية قال ابن عباس

(فيا صر) برد شديد عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو مبتدأ وخبر فى موضع جرف صفة لريح مثل (أصابت حرث قوم ظلوا أنفسهم) بالكفر (فأهلكته) عقوبة على كفرهم (وما ظلمهم الله) بأهلاك حرثهم (ولكن أنفسهم يظلمون) بارتكاب ما استحقوا به العقوبة أو يكون الضمير للمنفقين أى وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلوا أنفسهم حيث لم يأتوا بها لاثقة للقبول ونزل نهيا للمؤمنين عن مصافاة المنافقين (يأياها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) بطانة الرجل ووليجه خصيسته وصفيه شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعارى وفى الحديث الانصار شعار والناس دثار

(كمثل ريح فيها صر) حرا أو برد (أصابت حرث قوم) زرع قوم (ظلوا أنفسهم) بمنع حق الله منه (فأهلكته) أحرقته كذلك الشرك يهلك النفقة كما أهلكت الريح الزرع (وما ظلمهم الله) بذهاب منفعة زرعهم ونفقاتهم (ولكن أنفسهم يظلمون) بالكفر ومنع حق الله من الزرع * ثم نهي الله المؤمنين الانصار

وغيرهم عن محادثة اليهود وانشاء السرايم فقال (يأياها الذين آمنوا لا تتخذوا) يعنى اليهود (بطانة) وليجة (رضى)

(من دونكم) من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون وهو صفة لبطانة أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم (لا يألونكم خبالاً) في موضع النصب صفة لبطانة يعني لا يقصرون ﴿٥٧٣﴾ في فساد دينكم {سورة آل عمران} يقال ألا في الأمر يألو إذا

قصر فيه والخبال الفساد وانتصب خبالاً على التمييز أو على حذف في أي في خبالكم (ودوا ما عنتم) أي عنكم فامصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة أي تنوأن يضرركم في دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه وهو مستأنف على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم ببطانة كقوله (قد بدت البغضاء من أفواههم) لأنهم لا يتأملون مع ضبطهم أنفسهم ان ينفلت من أسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين (وما تنحني صدورهم) من الغضب لكم (أكبر) مما بدا (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاته وأولياء الله ومعاذته أعدائه (أن كنتم تعقلون) ما بين لكم (ها أنتم

(من دونكم) من دون المؤمنين الخالصين (لا يألونكم خبالاً) لا يتركون الجهد في فسادكم (ودوا ما عنتم) تنوأن أنتم وأشركنم كما أشركوا (قد بدت) ظهرت (البغضاء من أفواههم) على أسنتهم بالشم والظعن (وما تنحني صدورهم) ما يضمرون في قلوبهم من البغض والعداوة (أكبر) من ذلك (قد بينا لكم الآيات) أي علامة

﴿من دونكم﴾ من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا أو بمحذوف هو صفة ببطانة أي بطانة كائنة من دونكم ﴿لا يألونكم خبالاً﴾ أي لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير وأصله أن يعدى بالحرف وعدى الى مفعولين كقولك لا أؤك نبحاً على تضمين معنى المنع أو النقص ﴿ودوا ما عنتم﴾ تمنوا عنكم وهو شدة الضرر والمشقة ومامصدرية ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم﴾ أي في كلامهم لأنهم لا يتأملون أنفسهم لفرط بغضهم ﴿وما تنحني صدورهم أكبر﴾ مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار ﴿قد بينا لكم الآيات﴾ الدالة على وجوب الاخلاص وموالاته المؤمنين ومعاذة الكافرين ﴿أن كنتم تعقلون﴾ ما بين لكم والجل الرابع جاءت مستأنفات للتعليل ويجوز أن تكون الثلاث الاول صفات لبطانة ﴿ها أنتم

رضى الله عنهما كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فأنزل الله عز وجل هذه الآية ونهاهم عن مبايحتهم خوف الفتنة عليهم وبدل على صحة هذا القول أن الآيات المتقدمة فيها ذكر اليهود فتكون هذه الآية كذلك وقيل كان قوم مع المؤمنين يضافون المنافقين ويفشون اليهم الاسرار ويطلعونهم على الاحوال الخفية فنهاهم الله عن ذلك ووجه هذا القول أن الله ذكر في سياق هذه الآية قوله واذا لقوم قالوا آمنا واذخلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهذه صفة المنافقين لاصفة اليهود وقيل المراد بهذه جمع أصناف الكفار يدل على صحة هذا القول معنى الآية لان الله تعالى قال لا تتخذوا ببطانة من دونكم فنع المؤمنين أن يتخذوا ببطانة من دون المؤمنين فيكون ذلك نهياً عن جميع الكفار والبطانة خاصة الرجل المطلع على سره واشتقاقه من ببطانة الثوب بدلالة قولهم لبست فلانا اذا اختصصته ويقال فلان شاري ودثاري والشعار الذي يلي الجسد وكذلك البطانة والحاصل ان الذي يخصه الانسان بمزيد القرب يسمى ببطانة لانه يستبطن أمره ويطلع منه على ما لا يطلع عليه غيره ﴿من دونكم﴾ قيل من صلة زائدة والتقدير لا تتخذوا ببطانة دونكم وقيل من للتبيين أي لا تتخذوا ببطانة من دون أهل ملكتكم والمعنى لا تتخذوا أولياء ولا أصدقاء من غير أهل ملكتكم ثم بين سبحانه وتعالى علة النهي عن مبايحتهم فقال تعالى ﴿لا يألونكم خبالاً﴾ يعني لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد وهو الخبال لان أصل الخبال الفساد والضرر الذي يلحق الانسان فيورثه نقصان العقل ﴿ودوا ما عنتم﴾ أي يودون عنتكم وهو ما يشق عليكم من الضرر والشر والهلاك والعنت المشقة ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم﴾ أي ظهرت العداوة من أفواههم بالشميمة والوقعة بين المسلمين وقيل هو اطلاع المشركين على أسرار المؤمنين ﴿وما تنحني صدورهم﴾ يعني من العداوة والغيظ ﴿أكبر﴾ أي أعظم مما ينظرونه ﴿قد بينا لكم الآيات﴾ يعني الدالة على وجوب الاخلاص في الدين من موالاته المؤمنين ومعاذة الكافرين ﴿أن كنتم تعقلون﴾ يعني ما بين لكم فتعظون به ﴿قوله عز وجل﴾ ها أنتم ﴿هاللتنبيه وأنتم كناية للمخاطبين

الحسد (أن كنتم تعقلون) ما يقرأ عليكم ويقال قد بينا لكم الآيات يعني الأمر والنهي أن كنتم تعقلون لكي تعلموا ما أمركم (ها أنتم

أولاء) هالتيهيه وأتم مبتدأ وأولاء خبره أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاته منافق أهل الكتاب (تجوبونهم ولا يحبونكم) بيان لخطئهم في موالاتهم حيث يذاون محبتهم لاهل البغضاء وأولاء موصول صلته تجوبونهم والواو في (وتؤمنون بالكتاب كله) للحال وانتصابها من { الجزء الرابع } لا يحبونكم ﴿٥٧٤﴾ أي لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم

كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تجوبونهم وهم لا يؤمنون بشئ من كتابكم وفيه توبخ شديد لانهم في باطلهم أصلب منكم في حنكهم وقيل الكتاب للجنس (وأذا لقوكم قالوا آمنا) أظهر وا كلمة التوحيد (وأذا خلوا) فارقوكم أو اخلوا بعضهم ببعض (عضوا عليكم الانامل من الغيظ) يوصف المتناظر والتادم بعض الانامل والبنان والابهام (قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز أهله وماله في ذلك من الذل والخنزى (أن الله علم بذات الصدور) فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الخنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلوا بعضهم ببعض وهو داخل في جملة المقول أي أخبرهم بما يرونه من عضهم الانامل غيظا

أولاء) أنتم يا معشر المؤمنين (تجوبونهم) يعني اليهود لقبيل المصاهرة والرضاعه (ولا يحبونكم) لقبيل الدين

أولاء تجوبونهم ولا يحبونكم ﴿٥٧٤﴾ أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاته الكفار وتجوبونهم ولا يحبونكم بيان لخطأهم في موالاتهم وهو خبر ثان أو خبر لا ولاء والجملة خبر لا أنتم كقولك أنت زيد تجبدا وصلته وأحوال العامل فيها معنى الاشارة ويجوز أن ينصب أولاء بفعل مضمير يفسر ما بعده وتكون الجملة خبرا ﴿٥٧٤﴾ وتؤمنون بالكتاب كله ﴿٥٧٤﴾ بجنس الكتاب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى أنهم لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم أيضا فما بالكم تجوبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حنكهم ﴿٥٧٤﴾ وأذا لقوكم قالوا آمنا ﴿٥٧٤﴾ نفاقا وتقريرا ﴿٥٧٤﴾ وأذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ ﴿٥٧٤﴾ من أجله تأسفوا وتحسروا حيث لم يجدوا الى التشفى سبيلا ﴿٥٧٤﴾ قل موتوا بغيظكم ﴿٥٧٤﴾ دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادة بتضاعف قوة الاسلام وأهله حتى يهلكوا به ﴿٥٧٤﴾ أن الله علم بذات الصدور ﴿٥٧٤﴾ فيعلم

من الذكور ﴿٥٧٤﴾ أولاء ﴿٥٧٤﴾ اسم للمشار اليهم في قوله ﴿٥٧٤﴾ تجوبونهم ﴿٥٧٤﴾ والمعنى أنتم أيها المؤمنون تجبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مبايحتهم للاسباب التي بينكم وبينهم من القرابة والرضاع والمصاهرة والحنف ﴿٥٧٤﴾ ولا يحبونكم ﴿٥٧٤﴾ يعني اليهود لما بينكم وبينهم من المخالفة في الدين وقيل تجوبونهم يعني تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشياء ولا يحبونكم لانهم يريدون لكم الكفر وهو شر الاشياء لان فيه هلاك الابد وقيل هم المنافقون تجوبونهم لما ظهروا من الايمان وأنتم لا تعلمون ما في قلوبهم ولا يحبونكم لان الكفر ثابت في قلوبهم وقيل تجوبونهم وذلك بأن تقشوا اليهم أسراركم ولا يحبونكم أي لا يفعلون مثل ذلك معكم ﴿٥٧٤﴾ وتؤمنون بالكتاب كله ﴿٥٧٤﴾ يعني وهم لا يؤمنون وانما ذكر الكتاب بافظ الواحد والمراد به الجمع لانه ذهب به الى الجنس كقولهم كثر الدرهم في أيدي الناس والمعنى أنكم تؤمنون بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بشئ من كتابكم ﴿٥٧٤﴾ وأذا لقوكم قالوا آمنا ﴿٥٧٤﴾ يعني أن الذين وصفهم في هذه الآية بهذه الصفات اذا تقوا المؤمنين قالوا آمنا كما يمانكم وصدقنا كتصديقكم وهذه صفة المنافقين وقيل هم اليهود ﴿٥٧٤﴾ وأذا خلوا ﴿٥٧٤﴾ أي خلا بعضهم الى بعض ﴿٥٧٤﴾ عضوا عليكم الانامل من الغيظ ﴿٥٧٤﴾ الانامل جمع أمثلة وهي طرف الاصبع والمعنى انه اذا خلا بعضهم ببعض أظهروا العداوة وشدة الغيظ على المؤمنين لما يرون من ائتلافهم واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم وعض الانامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الامثال وان لم يكن هناك عض كما يقال عض يده من الغيظ والغضب ﴿٥٧٤﴾ قل موتوا بغيظكم ﴿٥٧٤﴾ هذا دعاء عليهم أن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به وذلك لما يرون من قوة الاسلام وعزة أهله وما لهم في ذلك من الذل والخنزى والمعنى ابقوا الى الممات بغيظكم ﴿٥٧٤﴾ أن الله علم بذات الصدور ﴿٥٧٤﴾ يعني به الخواطر القائمة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة فيه وهي لكونها حالة

(وتؤمنون بالكتاب كله) تقرون بجملة الكتاب والرسول وهم لا يقرون بذلك (وأذا لقوكم) يعني منافق (في) اليهود (قالوا آمنا) بمحمد والقرآن وان صفته ونعته في كتابنا (وأذا خلوا) رجع بعضهم الى بعض (عضوا عليكم الانامل) أطراف الاصابع (من الغيظ) من الخنق (قل موتوا بغيظكم) بحنقكم (أن الله علم بذات الصدور) بما في القلوب من البغض

إذا دخلوا وقل لهم أن الله عليهم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا أن شيئاً من أسراركم يخفى عليه أو خارج عن المقول أي قل لهم ذلك يا محمد ولا تعجب من اطلاعي أياك على ما يسرون فأني أعلم بما هو أخفى من ذلك وهو ما أضروه في صدورهم (أن تمسكهم حسنة) رخاء وخصب وغنية ونصرة (تسؤمهم) تحزنهم أصابتها (وأن تصبكم سيئة) اضداد ما ذكرنا والمس مستعار من الإصابة فكان المعنى ﴿٥٧٥﴾ واحداً الأتري {سورة آل عمران} إلى قوله تعالى أن تصبكم حسنة

تسؤمهم وأن تصبكم مصيبة (يفرحوا بها) بأصابتها (وأن تصبروا) على عداوتهم (وتتقوا) ما نهيتهم عنه من موالاتهم أو وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه (لا يضركم كيدهم شيئاً) مكرهم وكنتم في حفظ الله وهذا تعليم من الله وارشاد إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقال الحكماء إذا أردت أن تكبت من محسبك فإزدد فضلاً في نفسك لا يضركم مكي وبصري ونافع من ضاره يضيره بمعنى ضره وهو واضح والمشكل قراءة غيرهم لانه جواب الشرط وجواب الشرط مجزوم فكان ينبغي أن يكون بفتح الراء كقراءة المفضل عن عاصم إلا أن ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد نحو مد يهنا (أن الله بما تعملون) بالياء سهل أي من الصبر والتقوى وغيرهما (محيط) ففاعل بكم ما أنتم

ما في صدورهم من الغشاء والحق وهو يحتمل أن يكون من المقول أي وقل لهم أن الله عليهم بما هو أخفى مما تخفونه من عرض الأنامل غيظاً وأن يكون خارجاً عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تعجب من اطلاعي أياك على أسرارهم فأني أعلم بالآخفى من ضمائرهم ﴿أن تمسكهم حسنة﴾ تسؤمهم وأن تصبكم سيئة يفرحوا بها ﴿بيان لتناهي عداوتهم إلى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمثوا بما أصابهم من ضرر وشدة والمس مستعار للإصابة ﴿وأن تصبروا﴾ على عداوتهم أو على مشاق التكاليف ﴿وتتقوا﴾ موالاتهم أو ما حرم الله جل جلاله عليكم ﴿لا يضركم كيدهم شيئاً﴾ بفضل الله عز وجل وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولأن المجد في الأمر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جرياً على الخصم وضمة الراء لاتباع كضمة مده وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره ﴿أن الله بما تعملون﴾ من الصبر والتقوى وغيرهما ﴿محيط﴾ أي محيط علمه فيجازيكم بما أنتم أهله * وقرئ بالياء أي بما يعملون في عداوتكم

في القلب منتسبة إليه كني عنها بذوات الصدور والمعنى أنه تعالى عالم بكل ما يحصل في قلوبكم من الخواطر فأخبرهم أنه يعلم بما يسرونه من عرض الأنامل غيظاً إذا دخلوا وأنه عليهم بما هو أخفى منه وهو ما يسرونه في قلوبهم ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿أن تمسكهم﴾ أي تصبكم أيها المؤمنون وأصل المس باليد ثم يسمى كل ما يصل إلى شيء ما سله على سبيل التشبيه كما يقال مسه نصب وتعابى أصابه ﴿حسنة﴾ المراد بالحسنة هنا منافع الدنيا مثل ظهوركم على عدوكم وأصابتكم غنمة منهم وتتابع الناس في الدخول في دينكم وخصب في معاشكم (تسؤمهم) أي تحزنهم وتمهم والسوء ضد الحسنى ﴿وأن تصبكم سيئة﴾ أي مساءة من اخفاق سرية لكم أو إصابة عدو منكم أو اختلاف يقع بينكم أو غدر ونكبة ومكروه يصيبكم ﴿يفرحوا بها﴾ أي بما أصابكم من ذلك المكروه ﴿وأن تصبروا﴾ يعني على أذاهم وقيل أن تصبروا على طاعة الله وما ينالكم فيها من شدة ﴿وتتقوا﴾ أي تخافوا ربكم وقيل وتتقوا ما نهاكم عندهم وتوكلوا عليه ﴿لا يضركم﴾ أي لا ينقصكم ﴿كيدهم﴾ أي عداوتهم ومكرهم ﴿شيئاً﴾ أي لأنكم في عناية الله وحفظه ﴿أن الله بما تعملون﴾ قرئ بالياء على الغيبة والمعنى أنه عالم بما يعملون من عداوتكم وأذاكم فيما تبهم عليه وقرئ بالياء على خطاب الحاضر والمعنى أنه عالم بما يعملون أيها المؤمنون من الصبر والتقوى فيجازيكم عليه ﴿محيط﴾ أي عالم بجميع ذلك حافظه لا يعزب عنه شيء منه ﴿قوله عز وجل﴾

أهله وبالياء غيره أي أنه عالم بما يعملون في عداوتكم

والعداوة (أن تمسكهم) تصبكم (حسنة) الفتح والغنمة (تسؤمهم) ساءهم ذلك يعني اليهود والمنافقين (وأن تصبكم سيئة) القحط والجذوبة والقتل والهزيمة (يفرحوا بها) يعجبوا بها (وأن تصبروا) على أذاهم (وتتقوا) معصية الله (لا يضركم كيدهم شيئاً) عداوتهم وصنيعهم شيئاً (أن الله بما يعملون) من المخالفة

عالم فيعاقبهم عليه ﴿ وأذغدوت ﴾ أي واذكر أذغدوت ﴿ من أهلك ﴾ أي من حجرة عائشة رضی الله عنها ﴿ تبوی المؤمنین ﴾ تنزلهم أو تسوی وتبھی لهم وبؤيده القراءة باللام ﴿ مقاعد للقتال ﴾ مواقف وأماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل أن تقوم من مقامك

﴿ وأذغدوت من أهلك تبوی المؤمنین مقاعد للقتال ﴾ قال جمهور المفسرين أن هذا كان في يوم أحد وهو قول عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عباس والزهري وقبادة والسدي والربيع وابن اسحق وقال الحسن ومجاهد ومقاتل انه يوم الاحزاب ونقل عن الحسن أيضا انه يوم بدر قال ابن جرير الطبري الاول أصح لقوله تعالى اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا وقد اتفق العلماء أن ذلك كان يوم أحد قال مجاهد والكلبي والواقدي غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة فمشى على رجله الى أحد فجعل يصف أصحابه للقتال كما يقوم التمدح قال محمد بن اسحق والسدي عن رجلهما أن المشركين نزلوا بأحد يوم الاربعاء فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار أصحابه ودعا عبدالله بن أبي ابن سلول ولم يدعه فقبلها فأستشاره فقال عبدالله بن أبي وأكثرا لانصار يارسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى العدو قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا سبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم يارسول الله فأن أقاموا أقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلتهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وأن رجموا رجوه واخابن فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرأي وقال بعض أصحابه يارسول الله اخرج بنا الى هذه الاكلب لئلا يروا أناجينا عنهم وضعفنا وخفناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي قد رأيت في منامى بقرا فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سفي ثلما فأولها هزيمة ورأيت أي أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فان أقاموا أقاموا بشر وان دخلوا علينا المدينة قاتلناهم فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجبه أن يدخلوا عليه المدينة فيقاتلهم في الازقة فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا الى أعدائنا فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من جبههم للقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله ونبس لامته فلما رآه قد لبس السلاح ندموا وقالوا بنس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا يارسول الله اصنع ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لني أن يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل وكان قد قام المشركون بأحد يوم الاربعاء والخميس وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعدما صلى بأصحابه الجمعة وكان قد مات في ذلك اليوم رجل من الانصار فصلى عليه ثم خرج عليهم فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وقيل كان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره وأصحابه الى أحد وأمر عبدالله بن جبير على الرماة وقال

فما قبحهم عليه (وأذغدوت من أهلك) واذكر يا محمد اذ خرجت غدوة من أهلك بالمدينة والمراد غدوة من حجرة عائشة رضی الله عنها الى أحد (تبوی المؤمنین) تنزلهم وهو حال (مقاعد للقتال) مواضع ومواقف من الميمنة والميسرة والقلب والجناحين والساقة والقتال يتعلق بتبوی

والعداوة (محيط) عالم (وأذغدوت من أهلك) خرجت من المدينة يوم أحد (تبوی المؤمنین) تتخذ المؤمنین بأحد مقاعد للقتال (أمكنة للقتال) عدوهم

(والله سميع) لا قوا لكم (عليم) بنياتكم = روى أن المشركين نزلوا بأحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه وقد دعا عبد الله ابن أبي بن سلول ولم يدعه من قبل فقال هو وأكثرا لانصار أقم يارسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنامنه فكيف وأنت فينا فدعهم فأن أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورامهم النساء والصبيان بالحجارة وأن رجوا رجوا خائبين وأشار بعضهم الى الخروج فقال عليه الصلاة والسلام أني رأيت في منامي بقرة مذبوحة حولي فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سفي ثلثا وأولته هزيمة ورأيت كأنني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فأن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتهم بدروا كرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يارسول الله ما رأيت فقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لني أن يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بشعب أحد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى أحد وسوى صفهم وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا

(والله سميع عليم) سميع لا قوا لكم عليم بنياتكم وضمائركم روى أن المشركين نزلوا بأحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ودعا عبد الله ابن أبي فاستشاره فقال أقم بالمدينة فاخرج جناعا على عدو قطا الا اصاب منا وما دخلوا علينا الا اصبنا منهم فقال عليه السلام أني رأيت في منامي بقرا مذبوحة حولي فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سفي ثلثة فأولتها هزيمة ورأيت كأنني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فلم ينزل به قوم ينشطون في الشهادة حتى لبس لامته ثم نددوا فقالوا الامر اليك يارسول الله فقال عليه السلام لا ينبغي لني أن يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف

(والله سميع) لمقاتلتكم (عليم) بما يصيبكم ويترككم المركز

ادفعوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من ورائنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبتوا في هذا المقام فاذا عاينوكم ولوا الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ولما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم رأي عبد الله بن أبي بن سلول شق عليه ذلك وقال لأصحابه أطاع الولدان وعصاني ثم قال لأصحابه أن محمدا انما يظفر بعدوه بكم وقد وعد أصحابه ان أعداءهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رأيتم أعداءهم فانهزموا أنتم فيقتبونكم فيصير الامر الى خلاف ما قاله محمد لأصحابه فلما اتفق الجمعان وكان عسكر المسلمين ألفا وكان المشركون ثلاثة آلاف اتخذ عبد الله بن أبي بن سلول بثلاثمائة من أصحابه من المنافقين وبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سبعمائة من أصحابه فقواهم الله تعالى وبتهم حتى هزموا المشركين فلما رأى المؤمنون انهزام المشركين طعموا في أن تكون هذه الواقعة كوقعة بدر فطلبوا المدبرين وخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد الله أن يقطعهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مثله من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلموا أن ظفرهم يوم بدر انما كان بركة طاعة الله وطاعة رسوله ثم أن الله تعالى نزع الرعب من قلوب المشركين ففكروا راجمين على المسلمين فانهزم المسلمون وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من أصحابه منهم أبو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد رضي الله عنهم وكسرت ربيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشيخ وجهه الشريف يومئذ وكان من أمر غزوة أحد ما كان فذلك قوله تعالى واذ غدوت من أهلك أي واذا ذكر اذ غدوت من أهلك يعني من منزل عائشة ففيه منقبة عظيمة لعائشة رضي الله عنها لقوله من أهلك فنص الله تعالى على أنها من أهله تبوى المؤمنين أي تنزل المؤمنين مقاعد للتمثال أي مواضع ومواطن للتمثال وقيل تتخذ عسكر اللقتال (والله سميع) يعني لا قوا لكم (عليم) يعني بنياتكم وما في ضمائركم

من شوال (أذمت) بدل من اذ غدوت أو عمل فيه معنى عليم (طائفتان منكم) حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكان { الجزء الرابع } عليه السلام ﴿٥٧٨﴾ خرج الى أحد في ألف والمشركون في ثلاثة

﴿أذمت﴾ متعلق بقوله سمع عليم أو بدل من اذ غدوت ﴿طائفتان منكم﴾ بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكان جناحي العسكر ﴿أن تفشلا﴾ أن تجبنا وتضعفوا وروى أنه عليه الصلاة والسلام خرج في زهاء ألف رجل ووعدهم النصر أن صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن أبي في ثلاثمائة رجل وقال علام تقتل أنفسنا وأولادنا فبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال ابن أبي لولم قتالا لا تبعناكم فهم الحيان بأتباعه فبعهم الله فضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر أنه ما كانت عزيمة لقوله تعالى ﴿والله وليهما﴾ أي عاصمهما من اتباع تلك الخطرة ويجوز أن يراد والله ناصرهما فإلهما تفشلان ولا يتوكلان ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ أي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كأنصرهم بدر ﴿ولقد نصركم الله بدر﴾ تذكير ببعض ما أفادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به

﴿قوله عز وجل﴾ أذمت طائفتان منكم أن تفشلا ﴿أي تجبنا وتضعفنا عن القتال والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكان جناحي العسكر وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى أحد في ألف رجل وقيل في تسعمائة وخسين رجلا وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل فلما بلغوا الشوط انخزل عبدالله بن أبي ثلث الناس ورجع في ثلثمائة وقال علام تقتل أنفسنا وأولادنا فبعه أبو جابر السلمي وقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال عبدالله بن أبي لولم قتالا لا تبعناكم وهمت الطائفتان بالانصراف مع عبدالله بن أبي فبعهم الله فثبتوا ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما أضمرنا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا فدكرهم الله عظيم نعمته عليهم فقال اذمت طائفتان منكم أن تفشلا ﴿والله وليهما﴾ أي ناصرهما وحافظهما ومتولى أمرهما بالتوفيق والعصمة ﴿فأن قلت لهم العزم على فعل الشيء والاية تدل على أن الطائفتين قد عزمتا على الفشل وترك القتال وذلك معصية فكيف مدحهما الله تعالى بقوله والله وليهما﴾ قلت لهم قد يراد به العزم وقد يراد به حديث النفس واذا كان كذلك فحمل لهم على حديث النفس هنا أولى والله تعالى لا يؤاخذ بحديث النفس ويعضده قول ابن عباس رضي الله عنهما أنهم أضمرنا أن يرجعوا فلما عزم الله لهم على الرشد وثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدحهم الله تعالى بقوله والله وليهما ﴿ق﴾ عن جابر رضي الله عنه قال نزلت فينا اذمت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما قال نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرني أنها لم تنزل لقول الله والله وليهما ففيه الاستبشار بما حصل لهم من الشرف العظيم وانزاله فيهم آية ناطقة مفصحة بأن الله وليهم وأن تلك الهمة التي هموها ما أخرجتهم من ولاية الله تعالى ﴿قوله عز وجل﴾ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴿التوكل تفعل من وكل أمره الى غيره اذا اعتمد عليه في كفايته والقيام به وقيل التوكل هو الجز والاعتماد على الغير وقيل هو تفويض الامر الى الله تعالى ثقة بحسن تدييره فأمر الله عباده المؤمنين أن لا يتوكلوا الا عليه وأن لا يفوضوا أمرهم الا اليه ﴿قوله عز وجل﴾ ولقد نصركم الله بدر ﴿بدر

آلاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل عبدالله بن أبي ثلث الناس وقال علام تقتل أنفسنا وأولادنا فهم الحيان بأتباعه فبعهم الله فضوا مع رسول الله (أن تفشلا) أي بأن تفشلا أي بأن تجبنا وتضعفنا والفشل الجبن والخور (والله وليهما) محبهما أو ناصرهما ومتولى أمرهما فإلهما تفشلان ولا تتوكلان على الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمرهم بأن لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا أمورهم الا اليه قال جابر والله ما يسرنا اننا لم نهم بالذي هممنابه وقد أخبرنا الله بانه ولىناهم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة فقال (ولقد نصركم الله بدر) وهو اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به أو ذكر بدرا بعد أحد للجمع بين الصبر والشكر

(أذمت طائفتان منكم)

أضمرت من قبيلتان من المؤمنين بنو سلمة وبنو حارثة (أن تفشلا) أن تجبنا عن قتال العدو يوم أحد (والله وليهما) حافظهما ولاهما عن ذلك (وعلى الله فليتوكل

المؤمنون) وعلى المؤمنين أن يتوكلوا على الله في النصر والفتح (ولقد نصركم الله بدر) يوم بدر (اسم)

(وأنتم أذلة) لقلة العدد فأنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم زهاء ألف مقاتل والعدد فأنهم خرجوا على النواضع يعقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد ومع عدوهم مائة فرس والشكة والشوكة وجاء بجمع القلة وهو أذلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلا (فاتقوا الله) في الثبات مع رسوله (لعلكم تشكرون) بتقواكم ما أنعم الله به عليكم من النصر (أذ تقول للمؤمنين) ظرف لنصركم على أن تقول لهم ذلك يوم بدر أي نصركم الله وقت مقاتلتكم هذه أو بدل ثان من اذ غدوت على أن تقول لهم ذلك يوم أحد ﴿٥٧٩﴾ (ألن يكفيكم أن) سورة آل عمران} يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من

الملائكة منزليين (منزليين شامئ منزليين أبو جوية أي للنصرة ومعنى ألن يكفيكم انكار أن لا يكفيهم الامداد بثلاثة آلاف من الملائكة وحي بلن الذي هو لنا كيد النفي للاشعار بأنهم كانوا لقتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكتهم كالأيسين من النصر (بلى) ايجاب لما بعد لن أي يكفيكم الامداد بهم فأوجب الكفاية ثم قال (أن تصبروا) على القتال (وتتقوا) خلاف الرسول عليه السلام (وأيأتوكم) يعني المشركين (من فورهم هذا) هو من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت بها الحالة التي لا ريث بها ولا تعريج على شئ من صاحبها فليل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث ومنه قول الكرخي الامر المطلق على الفور لاعلى التراخي والمعنى أن يأتيوكم من ساعته هذه

﴿وأنتم أذلة﴾ حال من الضعير وانما قال أذلة ولم يقل ذلائل تبيينها على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح ﴿فاتقوا الله﴾ في الثبات ﴿لعلكم تشكرون﴾ ما أنعم به عليكم بتقواكم من نصره أو لعلكم بنعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه ﴿أذ تقول للمؤمنين﴾ ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على أن قوله لهم كان يوم أحد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لم تنزل الملائكة ﴿ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزليين﴾ انكار أن لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن أشعارا بأنهم كانوا كالأيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل أمدهم الله يوم بدر أولا بألف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف * وقرأ ابن عامر منزليين بالتشديد للتكثير أول للتدرج ﴿بلى﴾ ايجاب لما بعد لن أي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهم ما وتقوية لقلوبهم فقال ﴿أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم﴾ أي المشركون ﴿من فورهم هذا﴾ من ساعته هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير

اسم موضع بين مكة والمدينة معروف وقيل هو اسم لبئر هناك وكانت البئر لرجل يقال له بدر فسميت به ذكر الله المؤمنين منته عليهم بالنصر يوم بدر ﴿وأنتم أذلة﴾ جمع ذليل وهو جمع قلة وأراد به قلة العدد فأن المسلمين كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وفي رواية وثلاثة عشر رجلا والمراد بذلتهم ضعف الحال وقلة السلاح والمركوب والمال وعدم القدرة على مقاومة العدو وذلك أنهم خرجوا على نواضع وكان النفر منهم يتعقب على البعير الواحد وكان أكثرهم رجالة ولم يكن معهم الا فرس واحد وكان عدوهم من كفار قريش في حال الكثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس وكان معهم السلاح والشوكة فنصر الله المؤمنين مع قلتهم على عدوهم مع كثرتهم ﴿فاتقوا الله﴾ يعني في الثبات مع رسول الله صلى الله عليه ﴿لعلكم تشكرون﴾ يعني بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصرته ﴿قوله عز وجل﴾ أذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزليين ﴿اختلف المفسرون في أن هذا الوعد بأنزال الملائكة هل حصل يوم بدر أو يوم أحد على قولين أحدهما أنه كان يوم بدر قال قتادة كان هذا يوم بدر أمدهم الله بألف من الملائكة كما قال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف كما ذكره هنا ﴿بلى﴾ أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا

(وأنتم أذلة) قليلة ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا (فاتقوا الله) فآخشا الله في أمر الحرب ولا تخالفوا السلطان الذي معكم (لعلكم تشكرون) لكي تشكروا نصرته ونعمته (أذ تقول للمؤمنين) يوم أحد (ألن يكفيكم) مع عدوكم (أن يمدكم ربكم) أن ينصركم ربكم (بثلاثة آلاف من الملائكة منزليين) من السماء لنصرتكم (بلى) يكفيكم (أن تصبروا) مع نبيكم في الحرب (وتتقوا) معصيته ومخالفته (ويأتوكم) يعني أهل مكة (من فورهم هذا) من وجه مكة

للسرعة ثم أطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى أن يأتيكم في الحال ﴿ يمدكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة ﴾ في حال آياتهم بلا تراخ ولا تأخير

يمدكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة ﴿ فصبروا يوم بدر واتقوا فأمدهم الله بخمسة آلاف كما وعد قال ابن عباس رضى الله عنهما لم تقابل الملائكة في معركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون انما يكونون عددا أو مددا وقال الحسن هؤلاء الخمسة آلاف رد للمؤمنين الى يوم القيامة وقال الشعبي بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين فشق ذلك عليهم فأنزله الله تعالى أن يكفيكم الى قوله مسومين فبلغ كرز الهزيمة فرجع ولم يأتهم ولم يمدهم فلم يمدهم الله أيضا بالخمسة آلاف وكانوا قد أمدوا بألف من الملائكة وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه اداة الحرب واحتج لصحة هذا القول أيضا بأن الله تعالى قال قبل هذه الآية ولقد نصركم الله بدر وأنتم أذلة وظاهر هذا يقتضى أن الله نصرهم حين قال النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف ولان العدد والعدد كانت يوم بدر قليلة وكان الاحتياج الى الامداد أكثر القول الثاني أن هذا الوعد بأزال الملائكة كان يوم أحد وهو قول عكرمة والضحاك ومقاتل قال عمير بن اسحق لما كان يوم أحد انجلى القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقي سعد بن مالك يرمى وقتي شاب يتنبل له كفا في النبل أتاه به فنثره وقال ارم أبا اسحق ارم أبا اسحق مرتين فلما انجلى المعركة سئل عن ذلك الرجل فلم يعرف (ق) عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال رأيت عن عيين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كاشدا القتال مارا أيهما قبل ولا بعد يعنى جبريل وميكائيل واحتج لصحة هذا القول بأن المدد كان يوم بدر بألف من الملائكة كانص عليه في سورة الانفال ولم يكن بثلاثة آلاف ولا بخمسة آلاف كما هنا وأيضا أن الكفار كانوا يوم بدر ألفا أو ما يقرب منهم وكان المسلمون على الثلث من ذلك فأنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر فأنزله الله يوم بدر ألفا من الملائكة في مقابلة عدد الكفار فوقع النصر يومئذ للمسلمين والهزيمة للكفار وكان عدد المسلمين يوم أحد ألفا وعدد الكفار ثلاثة آلاف فناسب أن يكون المدد يومئذ للمسلمين ثلاثة آلاف من الملائكة ليكون ذلك مقابلا لعدد الكفار كما في يوم بدر وأجيب عن الاحتجاج الاول لهذا القول بأن الله تعالى أمدهم يوم بدر بألف كما ذكر في سورة الانفال ثم لما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمداد كرز لكفار قريش شق عليهم وعدوا بأن يمدوا بثلاثة آلاف وبخمسة آلاف لتقوى قلوبهم بذلك « وأجيب عن الثاني وهو أن الكفار كانوا يوم بدر ألفا فأنزله الله ألفا وفي يوم أحد كانوا ثلاثة آلاف فأنزله الله ثلاثة آلاف بأن هذا تقريب حسن والله أن يزيد ما شاء في أى وقت شاء ولهذا قال عكرمة في قوله تعالى بلى أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا قال يوم بدر قال ولم يصبروا ولم يتقوا يوم أحد فلم يمدوا ولو

(يمدكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) في حال آياتهم لا يتأخرون نزولهم عن آياتهم يعنى أن الله تعالى يجعل نصرتم ويسر فتحكم ان صبرتم واتقوا

(يمدكم) ينصركم (ربكم) على عدوكم (بخمسة آلاف من الملائكة)

أمدوا لم يهزموا يومئذ وقيل لم يصبوا ولم يتقوا الا في يوم الاحزاب فأمدهم الله
بالملائكة حتى حاصروا قريظة (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت لما رجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال قد
وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم قال فالى أين قال ههنا وأشار الى بنى
قريظة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم اليهم (خ) عن أنس رضى الله عنه قال كأتى أنظر
الى الغبار ساطعا في زقاق بنى غنم موكب جبريل عليه السلام حين سار رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة وقال عبد الله بن أبي أوفى كنا محاصرين قريظة
والنضير ما شاء الله فلم يقع علينا فرجعنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل فهو يغسل
رأسه اذ جاءه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال أوضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة أوزارها
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقه فلف بها رأسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا
حتى أتينا قريظة والنضير فيومئذ أمدنا الله بثلاثة آلاف من الملائكة ففتح لنا قمتا
يسيرا وقال ابن جرير الطبرى وأولى الاقوال بالصواب أن الله تعالى أخبر عن نبيه
صلى الله عليه وسلم أنه قال للمؤمنين أن يكفكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من
الملائكة فوعدهم بثلاثة آلاف من الملائكة مددا لهم ثم وعدهم بخمسة آلاف أن
صبروا لاعدائهم واتقوا ولادلالة في الآية على أنهم أمدوا بهم ولا على أنهم لم يمدوا
بهم فقد يجوز أن الله أمدهم وقد يجوز أن لا يكون أمدهم ولا يثبت ذلك الا بنص
تقوم به الحجة في ذلك وقد ثبت بنص القرآن أنهم أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة
كافي سورة الانفال وأما يوم أحد فاللدلالة على أنهم لم يمدوا أبين منها بأنهم أمدوا
وذلك أنهم لو أمدوا لم يهزموا ولم ينل منهم ما نيل منهم * فأن قلت فأتصنع بحديث
سعد بن أبي وقاص المتقدم في يوم أحد وأنه رأى ملكين عن عيين النبي صلى الله عليه
وسلم وشماله * قلت انما كان ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لانه صبر ولم يهزم
كانهزم أصحابه يوم أحد * وأما التفسير فقوله تعالى اذ تقول للمؤمنين فعلى قول من قال
ان هذا كان يوم بدر قل نظم الآية ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة اذ تقول
للمؤمنين ومن قل هذا يوم أحد يقول نظم الآية أن الله ذكر قصة أحد ثم أتبعه
بقوله ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فكذلك هو قادر أن ينصركم في سائر المواطن
ثم رجع الى قصة أحد فقال تعالى اذ تقول للمؤمنين أن يكفكم ومعنى الكفاية هو سد
الخللة والقيام بالامر مع بلوغ المراد أن يمدكم ربكم الامداد اعانة الجيش فما كان على
جهة القوة والاعانة يقال له أمده امدادا وما كان على جهة الزيادة يقال فيه مده
مدا وقيل المد في الثمر والامداد في الخير بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين انما وعدهم
الله بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويتقوا بنصر الله ويعزموا على الثبات بلى تصديق
لوعده الله أى بلى بتمدكم وقيل بلى ايجاب لما بعد أن يعنى يكفكم الامداد بهم فأوجب
الكفاية أن تصبروا أى على لقاء عدوكم وتتقوا يعنى معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه
وسلم وبأ توكم يعنى المشركين من فورهم هذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ابتداء الامر
يوجد فيه ثم يوصل بالآخر فمن قال معنى من فورهم من وجههم أراد ابتداء مخرجهم

﴿مُسومين﴾ معلمين من التسويم الذي هو أظهار سيما الشئ لقوله عليه الصلاة والسلام
 لأصحابه تسوموا فإن الملائكة قد تسومت أو مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة
 * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو ﴿وما جعله الله﴾ وما جعل
 امدادكم بالملائكة ﴿الابشري لكم﴾

يوم بدر ومن قال معناه من غضبهم أراد ابتداء غضبهم لقتالهم يوم بدر لانهم رجعوا
 للحرب يوم أحد من غضبهم ليوم بدر يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة لم يرد
 خمسة آلاف سوى الثلاثة المتقدمة بل أراد معهم فن قال أن هذا الامداد كان يوم
 بدر قال أن الله تعالى أمددهم بألف فلما سمعوا ان كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد
 المشركين فشق على المسلمين ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين أنن يكفيمكم
 أن يمددكم ربكم الآية على تقدير أن يجي للمشركين المدد فلما لم يمدوا لم يمد الله المسلمين بغير ألف
 وروى ابن الجوزي في تفسيره عن جبير بن مطعم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال بينا انا
 اتمع من قلب بدر جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها
 الا التي قبلها ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها الا التي كانت قبلها فكانت الريح الاولى
 جبريل نزل في ألفين من الملائكة وكانوا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الريح الثانية
 ميكائيل نزل في ألفين من الملائكة وكانوا عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم والريح
 الثالثة اسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت
 عن يساره وهزم الله أعداءه ومن الناس من ضم العدد القليل الى الكثير فقال لان الله
 تعالى ذكر الالف في سورة الانفال وذكر هنا ثلاثة آلاف وخمسة آلاف فيكون
 المجموع تسعة آلاف وان جلتاه على غزوة أحد فيكون المجموع ثمانية آلاف لانه ليس
 فيها ذكر الالف المفردة ﴿مُسومين﴾ قرئ بفتح الواو وبكسرهما فمن فتح الواو
 أراد أن الله سومهم ومعناه معلمين قد سوموا فهم مسومون والسومة والسيما العلامة
 وهذه العلامة يعلمها الفارس يوم اللقاء ليعرف بها قال عنترة

فتعرفوني أننى أنا ذلکم • شاکی سلاح فی الحوادث معلم

ومن كسر الواو نسب الفعل الى الملائكة والمعنى أنهم أعلموا أنفسهم بعلامات مخصوصة
 أو أعلموا خيلهم واختلفوا في تلك العلامة فقال عروة بن الزبير كانت الملائكة على
 خيل بلق وعليهم عمام صفر وقال علي وابن عباس رضي الله عنهم كان عليهم عمام
 بيض قد أرسلوها بين أكتافهم وقال هشام بن عروة والكلبي كانت عليهم عمام
 صفر مرخاة على أكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد أعلموا بالهمن يعني بالصوف
 المصبوغ في نواصي خيلهم وأذناها وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه
 يوم بدر تسوموا فإن الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض في قالنهم ومغافهم
 ذكره البغوي بغير سند وقيل كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة
 كذلك وقيل كانوا قد سوموا أنفسهم بسيما القتال ﴿قوله عز وجل﴾ وما جعله
 الله ﴿يعنى هذا الوعد والمدد﴾ الابشري لكم ﴿يعنى بشارة بأنكم تنصرون﴾

(مسومين) بكسر الواو
 مكي وأبو عمرو وعاصم
 وسهل أى معلمين أنفسهم
 أو خيلهم بعلامة يعرف
 بها في الحرب والسومة
 العلامة عن الضحاك معلمين
 بالصوف الابيض في نواصي
 الدواب وأذناها غيرهم
 بفتح الواو أى معلمين قال
 الكلبي معلمين بعمام صفر
 مرخاة على أكتافهم وكانت
 عمامة الزبير يوم بدر صفراء
 فنزلت الملائكة كذلك قال
 قتادة نزلت ألف فصاروا
 ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف
 (وما جعله الله) الضمير
 يرجع الى الامداد الذي
 حل عليه أن يمددكم (الا
 بشري لكم) أى وما جعل
 الله امدادكم بالملائكة الا
 بشارة لكم بانكم تنصرون
 (ولتطمئن قلوبكم به) كما
 كانت السكينة لبني اسرائيل
 بشارة بالنصر وطمأينة
 مسومين) معلمين ويقال
 متهمين بعمام الصوف
 (وما جعله الله) ما ذكر الله
 المدد (الابشري لكم)

قلوبهم (وما النصر الا من عند الله) لامن عند المقاتلة ولا من عند الملائكة ولكن ذلك مما يقوى به الله رجاء النصرة والطبع في الرحمة (العزيز) الذي لا يغالب في أحكامه (الحكيم) الذي يعطى النصر لاوليائه ويبتليهم بمجاهد أعدائه واللام في (ليقطع طرفا من الذين كفروا) ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من رؤساء قريش متعلقة بقوله ﴿٥٨٣﴾ ولقد نصركم الله {سورة آل عمران} أو بقوله وما النصر الا من عند

الإشارة لكم بالنصر ﴿ وتطمئن قلوبكم به ﴾ وتلصق اليه من الخوف ﴿ وما النصر الا من عند الله ﴾ لامن العدة والعدد وهو تنبيه على أنه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما أمددهم ووعدهم به بشارة لهم وربطاً على قلوبهم من حيث أن نظر العامة الى الاسباب أكثر وحث على أن لا يبالوا بمن تأخر عنهم ﴿ العزيز ﴾ الذي لا يغالب في اقضيته ﴿ الحكيم ﴾ الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ﴿ ليقطع طرفا من الذين كفروا ﴾ متعلق بنصركم أو وما النصر أن كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم ﴿ أو يكتبهم ﴾ أو يخزيهم والكتب شدة الغيظ أو وهن يقع في القلب وأول التوقيع دون التريد ﴿ فينقلبوا خائبين ﴾ فينهمزوا منقطعي الآمال ﴿ ليس لك من الامر شيء ﴾ اعتراض ﴿ أو يتوب عليهم ﴾ عطف على قوله أو يكتبهم والمعنى أن الله مالك أمرهم فأما أن يهلكهم أو يكتبهم أو يتوب عليهم أن أسلموا

فتستبشرون به ﴿ وتطمئن ﴾ أي واتسكن ﴿ قلوبكم به ﴾ أي فلا تجزع من كثرة عدوكم وقلة عددكم ﴿ وما النصر الا من عند الله ﴾ يعني لا تحيلوا النصر على الملائكة والجند وكثرة العدد فإن النصر من عند الله لامن عند غيره والغرض أن يكون توكلهم على الله لا على الملائكة الذين أمدوا بهم وفيه تنبيه على الاعراض عن الاسباب والاقبال على مسبب الاسباب ﴿ العزيز الحكيم ﴾ يعني فاستعينوا به وتوكلوا عليه لان العز وهو كمال القدرة والقوة والحكم وهو كمال العلم له فلا تخفى عليه مصالح عباده ﴿ ليقطع طرفا من الذين كفروا ﴾ هذا متعلق بقوله ولقد نصركم الله بدر والمعنى أن المقصود من نصركم بدر ليقطع طرفا أي ليهلك طائفة من الذين كفروا وقيل معناه ليهدم ركنا من أركان الشرك بالقتل والاسر فقتل يوم بدر من قاداتهم وساداتهم سبعون وأسر سبعون ومن حل الآية على غزوة أحد قال قد قتل منهم ستة عشر وكان النصر فيه للمسلمين حتى خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ أو يكتبهم ﴾ أصل الكبت في اللغة صرع الشيء على وجهه والمعنى أنه يصرعهم على وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة أو الإهلاك أو اللعن والخزي ﴿ فينقلبوا خائبين ﴾ أي بالخيبة لم ينالوا شيئاً من الذي أملوه من الظفر بكم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم ﴿ اختلف في سبب نزول هذه الآية

الله أو بمددكم ربكم (أو يكتبهم) أو يخزيهم ويعظمهم بالهزيمة وحقيقة الكبت شدة وهن تقع في القلب فيصرع في الوجه لاجله (فينقلبوا خائبين) فيرجعوا غير ظافرين بعتاقهم (ليس لك من الامر شيء) اسم ليس شيء والخبر لك ومن الامر حال من شيء لانها صفة مقدمة (أو يتوب عليهم) عطف على ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكتبهم وليس لك من الامر شيء اعتراض بين المعطوف والمعنى أن الله تعالى مالك أمرهم فأما أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم أن أسلموا (أو يعذبهم) أن أصروا

بالنصرة (وتطمئن) لتسكن (قلوبكم به) بالمدد (وما النصر) بالملائكة (الامن عند الله) من الله (العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) بالنصرة والدولة لمن يشاء

ويقال الحكيم بما أصابكم يوم أحد (ليقطع طرفا) يقول لو انزل المدد لم ينزل الا ليقتل جمعا (من الذين كفروا) كفار مكة (أو يكتبهم) يهزمهم (فينقلبوا) يرجعوا (خائبين) من الدولة والغنمية (ليس لك من الامر شيء) ليس بيدك التوبة والعذاب أن تدع على المهزمين يوم أحد من الرماة وغيرهم (أو يتوب عليهم) يقول أن شاء الله أن يتوب عليهم فتجاوز عنهم (أو يعذبهم)

أوبعدبهم أن أصروا وليس لك من أمرهم شيء وإنما أنت عبد مأمور لا تذارهم وجهادهم ويحتمل أن يكون معطوفا على الأمر أو شيء بأضمار أن أي ليس لك من أمرهم أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم شيء أو ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم وأن يكون أو بمعنى الآن أي ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتسربه أو يعذبهم فتشفي منهم وروى أن عتبة بن أبي وقاص شجبه يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل لهم أن يدعو عليهم فنهاه الله

فقيل أنها نزلت في أهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر معونة وهي بين مكة وعسفان وأرض هذيل وذلك في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد بعثهم ليعلوا الناس القرآن والعلم وأمر عليهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقتت شهر في الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن (خ) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعدما يقول سمع الله لمن جده ربناك الحمد فأنزل الله تعالى عليه ليس لك من الأمر شيء إلى قوله فأنهم ظالمون (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف زاد في رواية اللهم العن فلانا وفلانا الأحياء من العرب حتى أنزل الله تعالى ليس لك من الأمر شيء الآية سماهم في رواية يونس اللهم العن رعلا وذكر أن وعصية عصت الله ورسوله قال ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فأنهم ظالمون وقيل أنها نزلت يوم أحد ثم اختلفوا في سببها فقيل أن عتبة بن أبي وقاص شجج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته (ق) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته وشجج في رأسه فجعل يسلم الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شججوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله تعالى فأنزل الله تعالى ليس لك من الأمر شيء وقيل أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو عليهم بالاستئصال فنزلت هذه الآية وذلك لعلمه أن أكثرهم يسلمون وقيل أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وقف على عمه حزة ورأى ما صنعوا به من المثلة أراد أن يدعو عليهم فنزلت هذه الآية وقال العلماء وهذه الأشياء كلها محتملة فلا يبعد حمل الآية في النزول على كلها ومعنى الآية ليس لك من أمر مصالح عبادي شيء إلا ما أوحى إليك فإن الله تعالى هو مالك أمرهم فأما أن يتوب عليهم ويهديهم فيسلموا أو يهلكهم ويعذبهم أن أصروا على الكفر وقيل ليس لك مسألة هلاكهم والدعاء عليهم لأنه تعالى أعلم بمصالحهم فربما تاب على من يشاء منهم وقيل معناه ليس لك من أمر خلقتي شيء إلا ما وافق أمرى وإنما أنت عبد مبعوث لا تذارهم ومجاهدتهم وقيل أن قوله أو يتوب عليهم معطوف على قوله ليقطع

أعلى الكفر وليس لك من أمرهم شيء إنما أنت عبد مبعوث لا تذارهم ومجاهدتهم وعن القراء أو بمعنى حتى وعن ابن عيسى بمعنى إلا أن كقولك لا لزمنك أو تعطيني حتى أي ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتشفي منهم وقيل أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه أن فيهم من يؤمن

بترك المركز

فأنهم ظالمون) مستحقون للتعذيب ﴿٥٨٥﴾ (ولله مافى السموات {سورة آل عمران} ومافى الارض) أى الامر

لعله بأن فيهم من يؤمن ﴿فأنهم ظالمون﴾ قد استحقوا التعذيب بظلمهم ﴿ولله مافى السموات ومافى الارض﴾ خلقا وملاكاه الامر كله لالاه ﴿يعفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ صرح فى نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالنفاى له ﴿والله غفور رحيم﴾ لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة﴾ لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربى الى اجل ثم يزيد فيه زيادة أخرى حتى يستغرق بالشئ الطفيف مال المديون * وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعتوب مضعفة ﴿واتقوا الله﴾ فيما نهيتهم عنه ﴿لعلكم تفلحون﴾ راجين الفلاح

طرفا وقوله ليس لك من الامر شئ كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فأنهم ظالمون ليس لك من الامر شئ بل الامر أمرى فى ذلك كله قال بعض العلماء والحكمة فى منعه صلى الله عليه وسلم من الدعاء عليهم ولعنهم أن الله تعالى علم من حال بعض الكفار انه سيسلم فيتوب عليه أو سيولد من بعضهم وليد يكون مسلما بارتقيا فلاجل هذا المعنى منعه الله تعالى من الدعاء عليهم لان دعوته صلى الله عليه وسلم حجابة فلودعا عليهم بالهلاك هلكوا جميعا لكن اقتضت حكمة الله وماسبق فى علمه أبقاهم ليتوب على بعضهم وسيخرج من بعضهم ذرية

صالحة مؤمنة وبهلاك بعضهم بالقتل والموت وهو قوله أو يعذبهم فيحتمل أن يكون المراد بعذابهم فى الدنيا وهو القتل والاسر وفى الآخرة وهو عذاب النار ﴿فأنهم ظالمون﴾ هو كالتعليل لعذابهم والمعنى انما يعذبهم لانهم ظالمون ثم قال تعالى ﴿ولله مافى السموات ومافى الارض﴾ هذا تأكيد لما قبله من قوله ليس ذلك من الامر شئ والمعنى انما يكون لمن له مافى السموات ومافى الارض وليس لك الاله تعالى وليس لاحد معه أمر ﴿يعفر لمن يشاء﴾ بفضله ورحمته ﴿يعذب من يشاء﴾ بعدله يحكم فيهم بما يشاء لا منازع له فى حكمه ولا معارض له فى فعله ﴿والله غفور رحيم﴾ يعنى أنه تعالى يستردنوب عباده ويعفرها لهم ويرحمهم بترك العقوبة عنهم عاجلا وانما يفعل ذلك على سبيل التفضل والاحسان الى عباده لاعلى سبيل الوجوب عليه لانه تعالى لو أدخل جميع خلقه الجنة لكان ذلك برحمته ولو أدخل جميع خلقه النار كان ذلك بعدله لكن جانب المغفرة والرحمة غالب ﴿قوله عز وجل﴾ ياأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة ﴿أراد به ما كانوا يفعلونه فى الجاهلية عند حلول الدين من زيادة المال وتأخير الاجل كان الرجل فى الجاهلية اذا كان له على أنسان دين فاذا جاء الاجل ولم يكن للمديون ما يؤدى قاله صاحب الدين زد فى المال حتى أزيدك فى الاجل فرمافعلوا ذلك مسارا فيصير الدين اضعافا مضاعفة فهى الله عز وجل عن ذلك وحرم أصل الربوا مضاعفته ﴿واتقوا الله﴾ يعنى فى أكل الربا فلا تأكلوه ﴿لعلكم تفلحون﴾ أى لكي تسعدوا بثوابه فى الآخرة لان الفلاح يتوقف على التقوى فلأكل ولم يتق لم يحصل الفلاح وفيه دليل على أن أكل الربا من الكبائر ولهذا أعقبه بقوله تعالى

واتقوا النار التي أعدت للكافرين) كان أبو حنيفة رضى الله عنه يقول هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد أمد ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله بقوله {الجزء الرابع} (أطيعوا الله ﴿٥٨٦﴾ والرسول لعلمكم ترجون) وفيه رد على المرجئة

﴿ واتقوا النار التي أعدت للكافرين ﴾ بالحرص عن متابعتهم وتعاطى أفعالهم وفيه تنبيه على أن النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلمكم ترجون ﴾ اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في أمثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جمل خبره ﴿ وسارعوا ﴾ بادروا وأقبلوا ﴿ الى مغفرة من ربكم ﴾ الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص ﴿ وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلاواو ﴾ وجنة عرضها السموات والارض ﴿

﴿ واتقوا النار التي أعدت للكافرين ﴾ يعنى واتقوا أيها المؤمنون ان تستحلوا شيئا محارم الله فان من استحل شيئا محارم الله فهو كافر بالاجماع ويستحق النار بذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما هذا تهديد للمؤمنين ان يستحلوا ما حرم الله عليهم من الربا وغيره مما أوجب الله فيه النار قل بعضهم أن هذه الآية أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه ويجتنبوا محارمه وقال الواحدى في هذه الآية تقوية لرجاء المؤمنين رحمة من الله تعالى لانه قال أعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين دون المؤمنين ﴿ وأطيعوا الله ﴾ يعنى فيما أمركم به أو نهاكم عنه من كل الربا وغيره ﴿ والرسول ﴾ أى وأطيعوا الرسول أيضا فان طاعته طاعة الله قال محمد بن اسحق في هذه الآية معاتبه للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ﴿ لعلمكم ترجون ﴾ أى لكي ترجوا ولا تعذبوا اذا أطمع الله ورسوله فان طاعة الله مع معصية رسوله ليست بطاعة ﴿ قوله عز وجل ﴾ وسارعوا الى مغفرة من ربكم ﴿ يعنى وبادروا وسابقوا الى ما يوجب المغفرة من ربكم وهى الاعمال الصالحة المأمور بفعالها قال ابن عباس رضى الله عنهما الى الاسلام ووجهه أن الله تعالى ذكر المغفرة على سبيل التنكير والمراد منه المغفرة العظيمة وذلك لا يحصل الا بسبب الاسلام لانه يجب ما قبله وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا الى التوبة لان التوبة من الذنوب توجب المغفرة وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه الى أداء الفرائض لان للفظ مطلق قيم الكلى وكذا وجهه من قال الى جميع الطاعات وروى عن أنس بن مالك وسعيد بن جبير انها التكبير الاولى يعنى تكبير الاحرام وقيل الى الاخلاص فى الاعمال لان المقصود من جميع العبادات هو الاخلاص وقيل الهجرة وقيل الى الجهاد ﴿ وجنة ﴾ أى وسارعوا الى الجنة وانما فصل بين المغفرة والجنة لان المغفرة هى ازالة العقاب والجنة هى حصول الثواب وقيل اشعارا بأنه لا بد من المسارعة الى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة الى الاعمال الصالحة المؤدية الى الجنة ﴿ عرضها ﴾ أى عرض الجنة ﴿ السموات والارض ﴾ يعنى كعرض السموات والارض لان نفس السموات والارض ليس عرضا

في قولهم لا يضر مع الايمان ذنب ولا يعذب بالنار أصلا وعندنا غير الكافرين من العصاة قدي دخلها ولكن عاقبة أمر الجنة وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال أهل التفسير ان لعل وعسى من الله للتحقيق ما لا يخفى على العارف من دقة مسالك التقوى وصعوبة اصابة رضا الله تعالى وعزة التوصل الى رحمته وثوابه (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة) سارعوا مدنى وشامى فن أثبت الواو عطفها على ما قبلها ومن حذفها استأنفها ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يوصل اليها ثم قيل هى الصلوات الخمس أو التكبير الاولى أو الطاعة أو الاخلاص أو التوبة أو الجمعة والجماعات (عرضها السموات والارض)

أى عرضها عرض السموات السخطة والعذاب (واتقوا النار) اخشوا النار فى أكل الربا (التي أعدت) خلقت

(للكافرين) بالله وبتمجيد الربا (رأطيعوا الله والرسول) فى تحريم الربا وفى تركه (لعلمكم ترجون) (للجنة) لكي ترجوا وتتجوا فلا تعذبوا (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) بادروا بالتوبة من الربا وسأتر الذنوب الى تجاوز من ربكم (وجنة) والى الجنة بعمل صالح وترك الربا (عرضها السموات والارض) لو وصل بعضها الى بعض

والارض كقوله عرضها كعرض السماء ﴿٥٨٧﴾ والارض والمراد وصفها في سورة آل عمران { بالسعة والبسط فشبهت باوسع

ما علمه الناس من خلقه
وأبسطه وخص العرض
لانه في العادة أدنى من
الطول للمبالغة وعن ابن
عباس رضى الله عنهما كسب
سموات وسبع أرضين
لو وصل بعضها ببعض

وماروى ان الجنة في السماء
السابعة وفي السماء الرابعة
فغناه انها في جهتها لانها
فيها أوفى بعضها كما يقال في
الدار بستان وان كان يزيد
عليها لان المراد ان بابها

(أعدت) في موضع جر
صفة لجنة أيضا أى جنة
واسعة معدة (للمتقين)
ودلت الآيتان على أن الجنة
والنار مخلوقتان ثم المتقى من

يتقى الشرك كما قال وجنة
عرضها كعرض السماء
والارض أعدت للذين
آمنوا بالله ورسوله أو من يتقى
المعاصى فان كان المراد الثانى

فهى لهم بغير عقوبة وان
كان الاول فهى لهم أيضا
في العاقبة ويوقف عليه
ان جعل (الذين ينفقون
في السراء والضراء) في
حال اليسر والعسر مبتدأ
وعطف عليه والذين اذا

(أعدت) خلقت (للمتقين)
الكفر والشرك والقواش
وأكل الربا ثم بينهم فقال

أى عرضها كعرضها وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه
دون الطول وعن ابن عباس كسب سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض
﴿أعدت للمتقين﴾ هيئت لهم وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة وأنها خارجة عن هذا
العالم ﴿الذين ينفقون﴾ صفة مادحة للمتقين أو مدح منصوب أو مرفوع ﴿في السراء
والضراء﴾ في حالتي الرخاء والشدة أو الاحوال كلها اذا الانسان لا يتخلو عن مسرة
أو مضرة والمعنى لا يتخلون في حال ما بانفاق ما قدروا

للجنة والمراد سعتها وإنما خص العرض للمبالغة لان الطول في العادة يكون أكثر من
العرض يقول هذه صفة عرضها فكيف بطولها والمراد وصف الجنة بالسعة والبسط
فشبهت باوسع شئ علمه الناس وذلك انه لو جعلت السموات والارض طبقات ثم وصل
البعض ببعض حتى يكون طبقا واحدا كان ذلك مثل عرض الجنة فاما طولها فلا يعلمه
الا الله تعالى وقيل المراد بالعرض السعة كما تقول العرب بلاد عريضة أى واسعة
عظيمة قال الشاعر

كأن بلاد الله وهى عريضة * على الخائف المطاوب كفة حابل
والاصل فيه أن ما اتسع عرضه لم يضق ولم يبدى وما ضاق عرضه دق فجعل العرض
كناية عن السعة وروى ان هرقل أرسل الى النبي صلى الله عليه وسلم انك كتبت تدعونى
الى جنة عرضها السموات والارض فأين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان
الله فأين الليل اذا جاء النهار قيل معناه والله أعلم بذلك انه اذا دار الفلك حصل النهار
في جانب والليل في ضد ذلك الجانب فكذلك الجنة في جهة العلو والنار في جهة
السفل وروى طارق بن شهاب ان ناسا من اليهود سأوا عمر بن الخطاب رضى الله
عنه وعنده أصحابه فقالوا أرأيتم قولكم وجنة عرضها السموات والارض فأين النار
فقال عمر بن الخطاب أرأيتم اذا جاء الليل فأين يكون النهار واذا جاء النهار
فأين يكون الليل فقالوا أن لمثلها في التوراة ومعناه حيث يشاء الله تعالى * فأن
قات قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وأراد بالذى وعدنا به الجنة
ومذهب أهل السنة انها في السموات واذا كانت الجنة في السموات فكيف يكون
عرضها السموات والارض قلت المراد من قولنا انها في السموات انها فوق السموات
وتحت العرش كما سئل أنس بن مالك عن الجنة أى السماء هى أم في الارض فقال أى أرض
وسماء تسع الجنة قيل له فأين هى قال فوق السموات تحت العرش وقد وصف رسول الله
صلى الله عليه وسلم الفردوس فقال وسقفها عرش الرحمن وقال قتادة كانوا يرون
أن الجنة فوق السموات السبع وان جهنم تحت الارضين السبع وقيل ان باب الجنة
في السماء وعرضها كعرض السموات والارض ﴿أعدت للمتقين﴾ أى هيئت للمتقين
وفيه دليل على ان الجنة والنار مخلوقتان الآن ﴿قوله عز وجل﴾ الذين ينفقون
في السراء والضراء ﴿يعنى في اليسر واليسر لا يتركون الانفاق في كلتا الحالتين

(الذين ينفقون في السراء والضراء) يقول ينفقون أموالهم في سبيل الله في اليسر والعسر

إذا فعلوا فاحشة أي أعدت للمتقين والتائبين فلا وقت فإن قلت الآية تدل على أن الجنة معدة أعدت للمتقين وللتائبين دون المصرين قلت جاراً أن تكون معدة لهما ثم يدخلها بفضل الله وعفوه غيرهما كما يقال أعدت هذه المائدة للامير ثم قدماً كلها أتباعه لا ترى انه قال واتقوا النار التي أعدت للكافرين ثم قد يدخلها غير الكافرين بالانفاق وافتتح بذكر الاتفاق لانه أشق شئ على النفس وأدله على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت أعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين وقيل المراد الانفاق في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة (والكاظمين الغيظ) والمسكين الغيظ عن الامضاء يقال كظم القربة اذا ملاءها وشدفاها ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثر الغيظ توقد حرارة القلب من الغضب وعن النبي عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملاء الله قلبه أمنا وإيماناً (والعافين عن الناس) أي اذا جنى عليهم أحد

عليه من قليل أو كثير ﴿والكاظمين الغيظ﴾ المسكين عليه الكافين عن أمضائه مع القدرة من كظم القربة اذا ملاءتها وشدت رأسها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملاء الله قلبه أمنا وإيماناً ﴿والعافين عن الناس﴾ في الغنى والفقر والرخاء والشدة ولا في حال فرح وسرور ولا في حال محنة وبلاء وسواء كان الواحد منهم في عرس أو حبس فانهم لا يدعون الاحسان الى الناس فأول ما ذكر الله من أخلاقهم الموجبة للجنة السخاء لانه أشق على النفس وكانت الحاجة الى اخراج المال في ذلك الوقت أعظم الاحوال للحاجة اليه في مجاهدة الاعداء ومواساة الفقراء من المسلمين ﴿عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار والجاهل سخى أحب الى الله تعالى من عابد بخيل أخرجه الترمذى (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق الا سبغت أو وفيت على جلده حتى تخفى ثيابه وتعفو أثره وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً الا انزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع الجنة الدرع من الحديد (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقنا خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكتلغا (ق) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق ينفق عليك (ق) عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق زوجين في سبيل الله تعالى دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب أي فلهم فقال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله ذاك الذي لا توى عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لارجو أن تكون منهم قوله أي فل يعنى يافلان وليس بترخيم واتوى الهلاك يعنى ذاك الذي لا هلاك عليه وقوله عز وجل ﴿والكاظمين الغيظ﴾ يعنى والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه والكظم حبس الشئ عند امتلائه وكظم الغيظ هو ان يمتلى غيظا فيرده في جوفه ولا يظهره بقول ولا فعل ويصبر عليه ويسكت عنه ومعنى الآية أنهم يكفون غيظهم عن الامضاء ويردون غيظهم في أجوافهم وهذا الوصف من أقسام الصبر والحلم ﴿عن سهل بن معاذ عن انس الجهنى عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره في أى الحور شاء أخرجه الترمذى وأبو داود (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان خادماً لها غاظها فقالت لله درالتقوى ما تركت لذى غيظ شفاء ﴿والعافين عن الناس﴾ يعنى اذا جنى عليهم

(والكاظمين الغيظ) الكافين غيظهم المرددن حدتهم في أجوافهم (والعافين عن الناس) عن المملوكين (أحد)

الطاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي عليه الصلاة والسلام أن هؤلاء في أمي قليل الامن عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت ﴿ والله يحب المحسنين ﴾
يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فتكون الاشارة اليهم ﴿ والذين اذا فعلوا فاحشة ﴾ فعلة بالغة في القبح كالزنا ﴿ أو ظلموا أنفسهم ﴾ بأن أذنبوا أي ذنب

لم يؤاخذوه وروى ينادى
مناذير يوم القيامة أين الذين
كانت أجورهم على الله فلا
يقوم الامن عفا وعن ابن
عينة انه رواه للرشيد وقد
غضب على رجل فخلاه
(والله يحب المحسنين) اللام
للجنس فيتناول كل محسن
ويدخل تحته هؤلاء
المذكورون ولله هدف يكون
اشارة الى هؤلاء عن الثوري
الاحسان أن تحسن الى
المسيء فان الاحسان الى
المحسن متاجرة (والذين اذا
فعلوا فاحشة) فعلة متزايدة
القمح ويجوز أن يكون
والذين مبتدأ خبره أولئك
(أو ظلموا أنفسهم) قيل
الفاحشة الكبيرة وظلم
النفس الصغيرة أو الفاحشة
الزنا وظلم النفس القليلة

(والله يحب المحسنين)
الى المملوكين والاحرار
ثم نزل في رجل من الانصار
لاجل نظرة ولمسة وقبلة
أصابها من امرأة الرجل
التقفي فقال (والذين اذا
فعلوا فاحشة) معصية
(أو ظلموا أنفسهم) بالنظرة

أحد لم يؤاخذوه فتكون الآية على العموم وقيل أراد بالناس الممالك لسوء أدب
يقع منهم فتكون على الخصوص وقيل يعفون عن ظلمهم وأساء اليهم وهو قريب من القول
الاول ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ يحتمل أن تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن
ويحتمل أن تكون للعهد فتكون اشارة الى المذكورين في الآية والاحسان الى الغير
انما يكون بايصال النفع اليه أو بدفع الضر عنه وقيل الاحسان ان تحسن لمن أساء اليك
فان الاحسان الى المحسن متاجرة وقيل المحسن هو الذي يعم باحسانه كل أحد كالشمس
والمطر والريح وقيل الاحسان وقت الامكان وليس عليك في كل وقت احسان وقيل
الاحسان هذه الخصال المذكورة في هذه الآية فمن فعلها فهو محسن ولما كانت هذه
الخصال احسانا الى الغير ذكر الله ثوابها بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله تعالى للعبد
أعظم درجات الثواب ﴿ قوله عز وجل ﴾ (والذين اذا فعلوا فاحشة) قال ابن مسعود
رضي الله عنه قال المؤمنون للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله كانت بنو اسرائيل
اكرم على الله منا كان أحدهم اذا أذنب ذنبا أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه
اجدع أفك اذنك افعل كذا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية
وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في تيهان التمار أنته امرأة حسناء تبتاع
منه تمر فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها الى بيته
فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فأتى النبي صلى الله عليه
وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الآية وفي رواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أختى بين رجلين أحدهما أنصاري والآخر تقفي فخرج التقفي
في غزوة واستخلف أخاه الانصاري على أهله فاشترى لهم ذات يوم لحافا أرادت المرأة
ان تأخذه منه دخل على أثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام
على وجهه فلما رجع التقفي لم يستقبله الانصاري فسأل امرأته عن حاله فقالت لا أكثر الله
في الاخوان مثله وذكرته الحال والانصاري يسبح في الجبال تائباً مستغفراً فطلبه التقفي
حتى وجده فأتى به الى أبي بكر رضي الله عنه وجاء أن يجد عنده راحة وفرجاً فقال الانصاري
هلكت وذكر القصة فقال ابو بكر رضي الله عنه وبحك أما علمت أن الله تعالى يغار للغايزي
مالا يغار للمقيم ثم لقيما عمر فقال لهما مثل ذلك فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهما
مثل مقالهما فأنزل الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة يعنى فعلة فاحشة خارجة عما
أذن الله فيه والفاحشة ما عظم قبحه من الافعال والاقوال وأصل الفحش القبح والخروج
عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا ﴿ وقوله عز وجل ﴾ (أو ظلموا أنفسهم) ظلم النفس هو

واللثة ونحوهما (ذكروا { الجزء الرابع } الله) بلسانهم ﴿ ٥٩٠ ﴾ أو بقلوبهم ليعتدوا على التوبة

(فاستغفروا لذنوبهم)
فتابوا عنها لقبحها نادمين
قيل بيكي ابليس حين نزلت
هذه الآية (ومن يغفر
الذنوب الا الله) من مبتدأ
ويغفر خبره وفيه ضمير
يعود الى من والا لله بدل
من الضمير في يغفر والتقدير

ولا أحد يغفر الذنوب الا الله
وهذه جملة معترضة بين
المعطوف والمعطوف عليه
وفيه تطيب لنفوس العباد
وتنشيط للتوبة وبعث عليها
وردع عن اليأس والقنوط
وبيان لسعة رحمة وقرب
مغفرته من التائب واشعار
بان الذنوب وان جلت فان
عفوه أجل وكرمه أعظم
(ولم يصروا على ما فعلوا)
ولم يقيموا على قبيح فعلهم
والاصرار الاقامة قال عليه
السلام ما أصر من استغفر
وان عاد في اليوم سبعين مرة
وروى لا كبيرة مع
الاستغفار ولا صغيرة مع
الاصرار (وهم يعلمون)
حال من الضمير في ولم يصروا
أى وهم يعلمون انهم أساؤا
أو وهم يعلمون انه لا يغفر

واللثة والتبلة (ذكروا الله)
خافوا الله (فاستغفروا لذنوبهم)
تابوا من ذنوبهم (ومن
يغفر الذنوب) ذنوب

كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس
ماليس كذلك ﴿ ذكروا الله ﴾ تذكروا وعيده أو حكمه أو حقه العظيم ﴿ فاستغفروا
لذنوبهم ﴾ بالندم والتوبة ﴿ ومن يغفر الذنوب الا الله ﴾ استفهام بمعنى النفي معترض
بين المعطوفين والمراد به وصفه سبحانه وتعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث
على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ﴿ ولم يصروا على ما فعلوا ﴾ ولم يقيموا على ذنوبهم
غير مستغفرين لقوله صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر وأن عاد في اليوم سبعين مرة
﴿ وهم يعلمون ﴾ حال من يصروا أى ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به

مادون الزنا مثل القبلة والمناقاة والمس والنظر وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس
هي الصغيرة وقيل الفاحشة ما يكون فعله كاملا في القبح وظلم النفس هو أى ذنب كان
﴿ ذكروا الله ﴾ يعنى ذكروا وعيد الله وعقابه وان الله يسألهم عن ذلك يوم الفزع
الاكبر وقيل ذكروا جلال الله الموجب للحياء منه وقيل ذكروا الله باللسان عند
الذنوب وهو قوله عز وجل ﴿ فاستغفروا لذنوبهم ﴾ يعنى لاجل ذنوبهم فتابوا منها
وأفعلوا عنها نادمين على فعلها عازمين على أن لا يعودوا اليها وهذه شروط صحة التوبة
المقبولة ﴿ ومن يغفر الذنوب الا الله ﴾ وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة
وأن التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفرج للذنين الا الى فضله وكرمه
واحسانه وعفوه ورحمته وفيه تنبيه على أن العبد لا يطلب المغفرة الا منه وأنه القادر
على عقاب المذنب وكذلك هو القادر على ازالة ذلك العقاب عنه فثبت انه لا يجوز
طلب المغفرة الا منه ﴿ ولم يصروا على ما فعلوا ﴾ يعنى ولم يقيموا على الذنوب ولم يثبتوا
عليها ولكن تابوا منها وأنابوا واستغفروا وقيل الاصرار هو ترك الاستغفار ﴿ عن أبي بكر
الصديق رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أصر من استغفر ولو عاد
في اليوم سبعين مرة أخرجه أبو داود وقال حديث حسن غريب وعند عهده عوض
ولو عاد ولو فعل ﴾ ﴿ وهم يعلمون ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما وهم يعلمون انها
معصية وان لهم ربا يغفرها وقيل وهم يعلمون ان الاصرار ضار وقيل معناه وهم يعلمون
ان الله يملك مغفرة الذنب وقيل وهم يعلمون ان الله لا يتعاطى المغفرة عن الذنوب وان كثرت
وقيل معناه وهم يعلمون انهم ان استغفروه غفر لهم قال ثابت البناني بلغنى أن ابليس بيكى
حين نزلت هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخرها

فصل في فضل الاستغفار

عن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه انه قال أنى كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم نفعنى الله منه ماشاء ان ينفعنى واذا حدثنى أحد من الصحابة استخالفته
فاذا حلف لي صدقته وانه حدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما من عبد مؤمن أو قال ما من رجل يذنب ذنبا فيقوم فيطهر ثم صلى ركعتين ثم
يستغفر الله الاغفر الله له ثم قرأ هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم

(ذكروا)

من المعصية (وهم يعلمون) انها معصية

﴿ أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾ خبر للذين أن ابتدأت به وجلة مستأنفة مبنية لما قبلها أن عطفت على المتقين أو على الذين ينفقون ولا يلزم من أعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم أن لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من

ذكروا الله الى آخر الآية أخرجه أبو داود والترمذي وقال هذا حديث قد رواه غير واحد عن عثمان بن المغيرة فرفعوه ورواه مسعر وسفيان عن عثمان بن المغيرة فوقفاه ولم يرفعه ولا يعرف لاسماء الا هذا الحديث * عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب أخرجه أبو داود (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم (ق) عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى قال اذا أذنب عبد ذنباً فقال اللهم اغفر لي ذنبي قال تبارك وتعالى اذنب عبدى ذنباً علم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فاذنب فقال أى رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى ان عبدى اذنب ذنباً فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فاذنب فقال أى رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى اذنب عبدى ذنباً فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب وفي رواية اعلم ماشئت قد غفرت لك قال عبد الأعلى لأدري أقال فى الثالثة أو الرابعة أعمل ماشئت * عن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم انك مادعوتى ورجوتى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتى غفرت لك ولا أبالى يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لايتك بقرابها مغفرة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن عنان السماء بفتح العين قيل هو السحاب وقيل هو ما عن لك منها أى ما ظهر لك منها وقراب الارض بضم القاف وروى بكسر ها والضم أشهر وهو ما يقارب ملاءها * عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال أستغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأنوب اليه غفرت ذنوبه وان كان قد فر من الزحف أخرجه أبو داود والترمذي والحاكم وقال حديث حسن صحيح على شرط البخارى ومسلم * عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ذنب عسى الله ان يغفره أو قال عسى ان يغفره الله الامن مات مشركاً ومن قتل مؤمناً مشركاً أخرجه أبو داود انتهى * قوله عز وجل ﴿ أولئك ﴾ إشارة الى من تقدم ذكره فى قوله والذين اذا فعلوا فاحشاً أو ظلموا أنفسهم الآية ﴿ جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ معنى الآية أن المظلوم بالتوبة آمران أحدهما الامن من العقاب واليه الإشارة بقوله مغفرة من ربهم والثانى ايصال الثواب واليه الإشارة بقوله وجنات تجري من تحتها الأنهار أى ذلك ذخراً لا ينحس وأجر لا يركس ﴿ خالدين فيها ﴾ أى فى الجنات

ذنوبهم الا الله (أولئك)
الموصوفون (جزاؤهم
مغفرة من ربهم) بتوبته
(وجنات) برحمة (تجري
من تحتها الأنهار خالدين فيها)

الله (أولئك جزاؤهم
مغفرة من ربهم) لذنوبهم
(وجنات) بساتين (تجري
من تحتها) من تحت شجرها
ومساكنها (الأنهار) أنهار
الحر والماء والعسل واللبن
(خالدين فيها) دائمين
فى الجنة لا يموتون ولا
يخرجون منها

ونعم أجر العاملين) المخصوص بالمدح محذوف أى ونعم أجر العاملين ذلك يعنى المغفرة والجنات نزلت في تمار قال لامرأة تريد التمر في بيتي تمر أجود فأدخلها الجزء الرابع { بيته وضمها ﴿٥٩٢﴾ الى نفسه وقبلها فندم أو في أنصاري استخلفه ثقي

وقد آخى بينهما النبي عليه السلام في غيبة غزوة فأنى أهله لكفاية حاجة فراها فقبلها فندم فساح في الارض صارخا فاستعبه الله تعالى (قدخلت) مضت (من قبلكم سنن) يريد ما سنه الله تعالى في الامم المكذبين من وقائمه (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) فتعبروا بها (هذا) أى القرآن أو ما تقدم ذكره (بيان للناس وهدى) أى ارشاد (وموعظة) ترغيب وترهيب (للمتقين) عن الشرك

وقد آخى بينهما النبي عليه السلام في غيبة غزوة فأنى أهله لكفاية حاجة فراها فقبلها فندم فساح في الارض صارخا فاستعبه الله تعالى (قدخلت) مضت (من قبلكم سنن) يريد ما سنه الله تعالى في الامم المكذبين من وقائمه (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) فتعبروا بها (هذا) أى القرآن أو ما تقدم ذكره (بيان للناس وهدى) أى ارشاد (وموعظة) ترغيب وترهيب (للمتقين) عن الشرك

وقد آخى بينهما النبي عليه السلام في غيبة غزوة فأنى أهله لكفاية حاجة فراها فقبلها فندم فساح في الارض صارخا فاستعبه الله تعالى (قدخلت) مضت (من قبلكم سنن) يريد ما سنه الله تعالى في الامم المكذبين من وقائمه (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) فتعبروا بها (هذا) أى القرآن أو ما تقدم ذكره (بيان للناس وهدى) أى ارشاد (وموعظة) ترغيب وترهيب (للمتقين) عن الشرك

وقد آخى بينهما النبي عليه السلام في غيبة غزوة فأنى أهله لكفاية حاجة فراها فقبلها فندم فساح في الارض صارخا فاستعبه الله تعالى (قدخلت) مضت (من قبلكم سنن) يريد ما سنه الله تعالى في الامم المكذبين من وقائمه (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) فتعبروا بها (هذا) أى القرآن أو ما تقدم ذكره (بيان للناس وهدى) أى ارشاد (وموعظة) ترغيب وترهيب (للمتقين) عن الشرك

وقد آخى بينهما النبي عليه السلام في غيبة غزوة فأنى أهله لكفاية حاجة فراها فقبلها فندم فساح في الارض صارخا فاستعبه الله تعالى (قدخلت) مضت (من قبلكم سنن) يريد ما سنه الله تعالى في الامم المكذبين من وقائمه (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) فتعبروا بها (هذا) أى القرآن أو ما تقدم ذكره (بيان للناس وهدى) أى ارشاد (وموعظة) ترغيب وترهيب (للمتقين) عن الشرك

(وموعظة) عظة ونهى (للمتقين) الكفر والشرك والفواحش * ثم عزاهم فيما أصابهم يوم أحد فقال (في)

(ولا تنهوا) ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم من الهزيمة (ولا تحزنوا) على ما فاتكم من الغنمة أو على من قتل منكم
أوجرح و هو تسليية من الله لرسوله ﷺ ٥٩٣ وللمؤمنين بما أصابهم يوم أحد {سورة آل عمران} وتقوية لقلوبهم (وأنتم

الاعلون) وحالكم أنكم
أعلى منهم وأغلب لانكم
أصبتم منهم يوم بدر أكثر
مما أصابوا منكم يوم أحد
أو وأنتم الاعلون بالنصر
والظفر في العاقبة وهي
بشارة لهم بالعلو والغلبة
وان جندنا لهم الغالبون
أو وأنتم الاعلون شأننا لان
قتالكم لله ولا علاء كلنسه
وقتالهم للشيطان ولا علاء
كلن الكفر أو لان قتالكم
في الجنة وقتالهم في النار
(أن كنتم مؤمنين) متعلق
بالنهي أي ولا تنهوا أن
صح ايمانكم يعني أن صحة
الايان توجب قوة القلب
والثقة بوعده الله وقلة الموالاته
باعداه أو بالاعلون أي
ان كنتم مصدقين بما يعدكم
الله به وببشركم به من الغلبة
(أن يمسسكم قرح) بضم
القاف حيث كان كوفي غير
حفص وبفتح القاف غيرهم
وهما لقتان كالضعف
والضعف وقيل بالفتح
الجراحة وبالضم ألها

(ولا تنهوا) لا تضعفوا مع
عدوكم (ولا تحزنوا) على
ما فاتكم من الغنائم يوم
أحد يثبكم في الآخرة ولا

والتوبة وقيل الى القرآن ولا تنهوا ولا تحزنوا تسليية لهم بما أصابهم يوم أحد
والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما أصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم (وأنتم الاعلون)
وحالكم أنكم أعلى منهم شأننا فانكم على الحق وقتالكم لله سبحانه وتعالى وقتالكم في الجنة
وأنتهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتالهم في النار أو لانكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر
مما أصابوا منكم اليوم أو وأنتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارته لهم بالنصر والغلبة
(أن كنتم مؤمنين) متعلق بالنهي أي لا تنهوا أن صح ايمانكم فإنه يقتضى قوة القلب
بالوثوق على الله سبحانه وتعالى أو بالاعلون (أن يمسسكم قرح

في الفرق بين البيان والهدى والموعظة لان العطف يقتضى المغايرة البيان هو الدلالة التي تفيد
ازالة الشبهة بدان كانت حاصلة والهدى هو طريق الرشده المأمور بسلكه دون طريق النى
والموعظة هي الكلام الذي يفيد الزجر عما ينبغي في طريق الدين فالخاصل أن البيان جنس تحته
نوعان أحدهما الكلام الهادى الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى والثانى الكلام الزاجر عما لا ينبغي
في الدين وهو الموعظة وانما خصص المتقين بالهدى والموعظة لانهم المنتفعون بهما دون
غيرهم (قوله عز وجل) ولا تنهوا ولا تحزنوا (نزلت يوم أحد حين أمر النبي
صلى الله عليه وسلم أصحابه بطلب القوم مع ما أصابهم من الجراح فاشتد ذلك على المسلمين
فأنزل الله تعالى هذه الآية وحث فيها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على الجهاد على
ما أصابهم من الجراح والقتل وكان قد قتل يوم أحد من الانصار سبعون رجلا ومن
المهاجرين خمسة رجال منهم حزة بن عبدالمطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومصعب بن عمير ومعنى الآية ولا تنهوا أي ولا تضعفوا عن الجهاد ولا تحزنوا يعني على من
قتل منكم لانهم في الجنة (وأنتم الاعلون) يعني بالنصر والغلبة عليهم وان العاقبة لكم وقال ابن
عباس انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب فاقبل خالد بن الوليد في خيل
المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلوه علينا
اللهم لا قوة لنا الا بك فثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى
انهزموا وعلو المسلمون الجبل فذلك قوله وأنتم الاعلون وقيل وأنتم الاعلون لان حالكم خير
من حالهم لان قتالكم في الجنة وقتالهم في النار وأنتم تقاتلون على الحق وهم يقاتلون
على الباطل وقيل وأنتم الاعلون في العاقبة لانكم تظفرون بهم وتستولون عليهم
(أن كنتم مؤمنين) أي اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه أن كنتم مصدقين بان ناصركم
هو الله تعالى فصدقوا بذلك فإنه حق وصدق (قوله عز وجل) (أن يمسسكم قرح)
قرئ بضم القاف وبفتحها وهما لقتان ومعناها واحد وقيل انه بالفتح مصدر وبالضم
اسم وقيل انه بالفتح اسم للجراحة وبالضم ألم الجراحة والآية خطاب للمسلمين
حين انصرفوا من أحد مع الحزن والكآبة يقول أن يمسسكم أيها المسلمون قرح

على ما أصابكم من القتلى والجراحة (قافوا ٧٥ ل) (وأنتم الاعلون) آخر الامر لكم بالنصرة والدولة (أن كنتم)
اذ كنتم (مؤمنين) أن النصره والدولة من الله (أن يمسسكم قرح) ان أصابكم جرح يوم

فقدمس القوم قرح مثله * قرأ حزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها والمعنى أن أصابوا منكم يوم أحد فقد أصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجنبوا فأنتم أولى بأن لا تضعفوا فأنكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم أحد فأن المسلمين نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم * وتلك الايام نداولها بين الناس * نصرها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء أخرى كقوله

يوم أحد * فقد مس القوم * يعنى الكفار * قرح مثله * يعنى في يوم بدر وقيل أن الكفار قد نالهم يوم أحد مثل ما نالكم من الجراح والقتل فقد قتل منهم نيف وعشرون رجلا وكثرت الجراحات فيهم * وتلك الايام نداولها بين الناس * المداولة نقل الشيء من واحد الى آخر يقال تداولته الايدي اذا انتقل من واحد الى آخر ويقال الدنيا دول أى تنقل من قوم الى آخرين ثم منهم الى غيرهم والمعنى أن أيام الدنيا هى دول بين الناس فيوم لهؤلاء ويوم لهؤلاء فكانت الدولة للمسلمين على المشركين في يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلا وأسروا سبعين وأذبل المشركون من المسلمين يوم أحد حتى جرجوا منهم سبعين وقتلوا وخسوا سبعين (خ) عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم أحد وكانوا خمسين رجلا وهم الرماة عبد الله بن جبير فقال أن رأيتونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل اليكم وان رأيتونا هزمتنا القوم ووطنناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم فهزمهم الله قال فأنا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخهن وأسوقهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنمية أى قوم الغنمية ظهراً أصحابكم فانتظرون فقال عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله لنأتين الناس فلنصيبين من الغنمية فلما أتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منزمين فذلك قوله والرسول يدعوكم فى أخراكم فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا فأصابوا من سبعين رجلا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً فقال أبو سفيان فى القوم محمد ثلاث مرآت فهاهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيئوه ثم قال فى القوم ابن أبي تخافة ثلاث مرآت ثم قال فى القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرآت ثم رجع الى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا فاملك عمر نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله ان الذى عددت لآحياء كلهم وقد بقى لك ما يسوءك قال يوم يوم بدر والحرب سجال أنكم ستجدون فى القوم مثله لم آسر بها ولم تسؤنى ثم أخذ يرتجز «أعل هبل أعل هبل» فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا تجيئوه فقالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا «الله أعلى وأجل» قال أبو سفيان

أن لنا عزي ولا عزي لكم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا تجيئوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا

الله مولانا ولا مولى لكم

(فقدمس القوم قرح مثله) أى ان نالوا منكم يوم أحد فقد نلتهم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يمنعهم عن معاودتكم الى القتال فأنتم أولى ان لا تضعفوا (وتلك) مبتدأ (الايام) صفة والخبر (نداولها) نصرها (بين الناس) أى نصرها ما فيها من النعم والنقم تعطى لهؤلاء تارة وطورا لهؤلاء كبيت الكتاب فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نمر *

أحد (فقدمس القوم) فقد أصاب أهل مكة يوم بدر (قرح) جرح (مثله) مثل ما أصابكم يوم أحد (وتلك الايام) أيام الدنيا (نداولها بين الناس) بالدولة نديل المؤمنين على الكافرين والكافرين على

فيوما علينا ويوماناء ويوماناء

والمداولة كالمعاورة يقال داوت الشيء بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف والخبر ونداؤها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة ﴿وليعلم الله الذين آمنوا﴾ عطف على علة محذوفة أي نداؤها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذاناً بأن العلة فيه غير واحدة وأن ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم أو الفعل المطلق به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في أمثاله ونقائضه ليس الى أثبات علمه تعالى وتفضيه بل الى أثبات المعلوم وتفضيه على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علماً يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجوداً ﴿ويتخذ منكم شهداء﴾ ويكرم ناساً منكم بالشهادة يريد شهداء أحداً ويتخذ منكم شهداء معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد ﴿والله لا يحب الظالمين﴾ الذين

قال البغوي وقد روى هذا المعنى عن ابن عباس رضى الله عنهما وفي حديثه قال أبو سفيان يوم بيوم وان الايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله تعالى وأن جنودنا لهم الغالبون فكانت يوم أحد للكفار على المسلمين لمخالفتهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿قوله عز وجل﴾ وليعلم الله الذين آمنوا يعني انما جعل الدولة للكفار على المسلمين ليميز المؤمن المخلص ممن يرتد عن الدين اذا أصابته نكبة وشدة وقيل معناه وليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم أي ليعرفهم بأعيانهم الا أن سبب العلم وهو ظهور الصبر حذف هنا وقيل معناه ليعلم الله ذلك واقما منهم لان الله تعالى يعلم الشيء قبل وجوده ولا يحتاج الى سبب حتى يعلم والمعنى ليقع ما علمه عياناً ومشاهدة للناس والحجاجة انما تقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل معناه ليعلم أولياء الله فاضاف علمهم الى نفسه تفخيماً وقيل معناه ليحكم الله بالامتنان بين المؤمن والمنافق فوضع العلم موضع الحكم لان الحكم لا يحصل الا بعد العلم ﴿ويتخذ منكم شهداء﴾ يعني وليكرم قوماً منكم بالشهادة ممن أراد أن يكرمهم بها وذلك لان قوماً من المسلمين قاتلهم يوم بدر وكانوا يمتنون لقاء العدو وان يكون لهم يوم كيوم بدر فيقاتلون فيه العدو ويلتمسون فيه الشهادة والشهداء جمع شهيد وهو من قتل من المسلمين بسيف الكفار في المعركة واختلفوا في معنى الشهيد فقيل الشهيد الحي لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون فأرواحهم حية حضرت دار السلام وشهدتها وأرواح غيرهم لاتشهدها وقيل سمي شهيداً لان الله شهد له بالجنة وقيل سموا شهداء لانهم يشهدون يوم القيامة مع الانبياء والصديقين على الامم لان الشهادة تكون للافضل فالأفضل من الامة ولان منصب الشهادة منصب عظيم ودرجة عالية ﴿والله لا يحب الظالمين﴾ يعني المشركين وقيل هم الذين ظلموا أنفسهم بالمعاصي وقيل هم المنافقون الذين يظهرون الايمان بالسنتهم ويسرون الكفر والمعنى والله لا يحب من لا يكون ثابتاً على الايمان

(وليعلم الله الذين آمنوا) أي نداؤها لضروب من التمييز وليعلم الله المؤمنين بتمييزين بالصبر والايمان من غيرهم كما علمهم قبل الوجود (ويتخذ منكم شهداء) وليكرم ناساً منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم أحداً وليتخذ منكم يوم يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة من قوله لتكونوا شهداء على الناس (والله لا يحب الظالمين) اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيله وهم المنافقون

المؤمنين (وليعلم الله) لكي يرى الله (الذين آمنوا) في زمن الجهاد (ويتخذ منكم شهداء) يكرم من يشاء منكم بالشهادة (والله لا يحب الظالمين) المشركين ودينهم

والكافرون (وليمحص الله الذين آمنوا) التحميص التطهير والتصفية (ويمحق الكافرين) ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المؤمنين فلتميز { الجزء الرابع } والاستشهاد ﴿ ٥٩٦ ﴾ والتحميص وان كانت على الكافرين فلمحقهم وحو

يضمرون خلاف ما يظهرون أو الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على أنه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وإنما يغلبهم أحيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين ﴿ وليمحص الله الذين آمنوا ﴾ ليظهرهم ويصفهم من الذنوب أن كانت الدولة عليهم ﴿ ويمحق الكافرين ﴾ ويهلكهم أن كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ﴾ بل أحسبتم وبعناه الانكار ﴿ ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ﴾ ولما تجاهدوا وفيه دليل على أن الجهاد فرض كفاية والفرق بين لما ولم أن فيه توقع الفعل فيما يستقبله وقرئ يعلم بفتح الميم على أن أصله يعلمن فحذفت النون ﴿ ويعلم الصابرين ﴾ نصب بأضمار أن على أن الواو للجمع وقرئ بالرفع على أن الواو للحال كأنه قال ولما تجاهدوا وأنتم صابرون ﴿ ولقد كنتم تمنون الموت ﴾ أي الحرب فأنها من أسباب الموت أو الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا أن يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فألحوا

صابرا على الجهاد ﴿ وليمحص الله الذين آمنوا ﴾ أي وليظهرهم من ذنوبهم ويزيلها عنهم وأصل المحص في اللغة التقية والازالة ﴿ ويمحق الكافرين ﴾ أي يفنيهم ويهلكهم ومعنى الآية ان قتلهم الكافرون فهو شهادة وتطهير لكم وان قتلتموهم أتم فهو محققهم واستئصالهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ أم حسبتم ﴾ أي بل حسبتم وظننتم والمراد به الانكار والمعنى لا تحسبوا أيها المؤمنون ﴿ أن تدخلوا الجنة ﴾ وتالوا كرامتي وثوابي ﴿ ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ﴾ قال الامام فخر الدين الرازي ظاهر الآية يدل على وقوع النفي على العلم والمراد وقوعه على نفي المعلوم والتقدير أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يصدر الجهاد عنكم وتقريره أن العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت هذه المطابقة لاجرم حسن اقامة كل واحد منهما مقام الآخر وقال الواحدى النفي في الآية واقع على العلم والمعنى على الجهاد دون العلم وذلك لما فيه من الايجاز في انتفاء جهاد لو كان لعلمه والتقدير ولما يكن المعلوم من الجهاد الذى أوجب عليكم فجزى النفي على العلم للايجاز على سبيل التوسع في الكلام اذ المعنى مفهوم من غير اخلال وقال الزجاج المعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين أي ولما يعلم الله ذلك واقعا منكم لانه يعلمه غيبا وإنما يجازيهم على علمهم وقال الطبري يقول ولما يتبين لعبادى المؤمنين المجاهد منكم على ما أمرته به ﴿ ويعلم الصابرين ﴾ يعني في الحرب وعلى ما نالهم في ذات الله عز وجل من جراح وألم ومكروه وفي هذه الآية معاتبه لمن انهزم يوم أحد والمعنى أم حسبتم أيها المنهزمون أن تدخلوا الجنة كما دخلها الذين قتلوا وبذلوا مهجهم لربهم عز وجل وصبروا على ألم الجراح والضرب وثبتوا لعدوهم من غير أن تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ولقد كنتم تمنون الموت ﴾

آثارهم (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) أم منقطعة ومعنى الهمة فيها الانكار أى لا تحسبوا (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أى ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانفائه تقول ما علم الله في فلان خيرا أى ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا أن فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل (ويعلم الصابرين) نصب بأضمار ان والواو بمعنى الجمع نحو لانا كل السمك وتشرب اللبن أو جزم للعطف على يعلم الله وإنما حركت الميم لاتقاء الساكنين واختيرت انفتححة لفتحها ما قبلها (ولقد كنتم تمنون الموت

ودوتهم (وليمحص الله) لكي يغفر الله (الذين آمنوا) بما يصيبهم في الجهاد (ويمحق الكافرين) يهلك الكافرين في الحرب (أم حسبتم) أظننتم يا معشر المؤمنين (أن تدخلوا الجنة) بالاقبال (ولما يعلم الله) لم ير الله (الذين جاهدوا منكم) يوم أحد في سبيل الله (ويعلم

الصابرين) ولم ير الصابرين على قتال عدوهم مع نبهم يوم أحد (ولقد كنتم تمنون الموت) في الحرب (من)

من قبل أن تلقوه) خوطب به الذين لم يشهدوا بدر أو كانوا يمتنون أن يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لينالوا كرامة الشهادة وهم الذين ألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى المشركين وكان رأيه في الإقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته (فقد رأيتموه وأتم تنظرون) أي رأيتموه معانين مشاهدين له حين قتل أخوانكم بين أيديكم وشارفتم أن تقتلوا وهذا توييح لهم على تمنيم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخاصة عليهم ثم انهزامهم عنه وانما اتخذوا الشهادة لينالوا كرامة الشهداء من غير قصد الى ما يتضمنه من غلبة الكفار يكن شرب الدواء من طيب ﴿٥٩٧﴾ نصراني فان قصده حصول ﴿سورة آل عمران﴾ الشفاء ولا يخطر بباله أن

فيه جر منفعة الى عدو الله وتنفيقا لصناعته لما روى ابن قتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته أقبل يريد قتله فذبح عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية حتى قتله ابن قتيبة وهو يرى أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا وخرج صارخ قيل هو الشيطان ألا أن محمدا قد قتل ففشا في الناس خبر قتله فانكفروا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم على هزيمهم فقالوا يا رسول الله فدينناك بأبائنا وأمهاتنا أمانا خبر قتلك فولينا مدبرين فنزل (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) فسيخولوا كما

يوم أحد على الخروج ﴿ من قبل أن تلقوه ﴾ من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته ﴿ فقد رأيتموه وأتم تنظرون ﴾ أي فقد رأيتموه معانين له حين قتل دونكم من قتل من أخوانكم وهو توييح لهم على أنهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جنبوا وانهم مواعنها أو على نفي الشهادة فأني في تمنيم الكفار ﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ فسيخولوا كما خلو بالموت أو القتل

من قبل أن تلقوه ﴿ قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أخبر الله عز وجل المؤمنين على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بما فعل بشهائهم يوم بدر من الكرامة رغبوا في ذلك فتمتوا قتالا يستشهدون فيه فيلحقون بأخوانهم فأراهم الله يوم أحد فلم يلبثوا أن انهزموا الا من شاء الله منهم فأنزل الله هذه الآية وقيل ان قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا فيه ويستشهدوا فأراهم الله يوم أحد ومعنى قوله تمنون الموت أي تطلبون أسباب الموت وهو القتال والجهاد من قبل أن تلقوه أي من قبل أن تلقوا يوم أحد ﴿ فقد رأيتموه ﴾ يعني رأيتم ما كنتم تمنون والهاء في رأيتموه عائدة على الموت أي رأيتم أسبابه معانين له شاهدين قتل من قتل من أخوانكم بين أيديكم ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ قبل ذكره تأكيد وقال الزجاج معناه فقد رأيتموه وأنتم بصراء كما تقول رأيت كذا وكذا وليس في عينك علة أي رأيته رؤية حقيقية وقيل معناه وأنتم تنظرون ما تمنيم فلم انهزمت ﴿ قوله عز وجل ﴾ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴿ قال أهل المغازي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالشعب من أحد في سبعمائة رجل وجعل عبدالله بن جبير على الرجالة وكانوا خمسين رجلا وقال أفيوا بأصل الجبل وانضموا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من خلفنا فان كانت لنا أو علينا لا تبرحوا من مكانكم حتى أرسل اليكم فأنا لن نزال غالبين ما بتم مكانكم وكانت قریش على ميمتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة ابن أبي جهل ومعهم النساء يضر بن الدفوف وينشدن الاشارة فقاتلوا حتى حيت الحرب ورجل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين فهزمهم وكان النبي

خلواز كما أن اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوعهم فعليكم أن تمسكوا بدينه بعد خلوه لان المقصود من بعثة الرسل تبليغ الرسالة والزمام الحجة لا وجوده بين اظهرومه

(من قبل أن تلقوه) يوم أحد (فقد رأيتموه) القتال والحرب يوم أحد (وأنتم تنظرون) الى سيوف الكفار فانهم منهم ولم تبتوا مع نبيكم * ثم نزل في مقاتلتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بلغنا يا نبي الله أنك قد قتلت فلذلك انهزمنا فقال الله (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله) قدمضت من قبل محمد (الرسل)

صلى الله عليه وسلم قد أخذ سيفاً وقال من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى يثخن فأخذه أبو دجاجة سماك بن خرشة الانصاري فلما أخذه اعتم بعمامة جراه وجعل يتختر في مشيته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها المشية يبغضها الله تعالى ورسوله الا في هذا الموضع فلما نظرت الرماة الى المشركين وقد انكشفوا ورأوا أصحابهم ينهبون الغنمية أفلوا يريدون النهب فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنمية ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله وحمل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهزمهم ورمى عبدالله بن قيسة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجبه في وجهه فأنقله وتفرق عنه أصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة ليعلوها فلم يستطع وكان قد ظاهر بين درعين فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى على الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة ووقمت هند والنسوة معها يملن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدد عن الآذان والانوف حتى اتخذت من ذلك قلائد وأعطتها وحشياً وبقرت عن كبد حزة رضى الله تعالى عنه وكان قد قتل يومئذ فأخذت منها قطعة فلاكتها فلم تسفها فلفظتها وأقبل عبدالله بن قيسة يريد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدب عنه مصعب بن عمير رضى الله عنه وهو يومئذ صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قيسة وهو يرى انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقال أرى قد قتلت محمداً وصاح صارخ ألا أن محمداً قد قتل ويقال أن الصارخ ابليس اللعين فانكفأ الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الى عباد الله الى عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلاً فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن أبي وقاص حتى اندقت سية قوسه ونثله رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته وقال ارم فداك أبى وأمى وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً وكان الرجل يمر ومعه جعبة النبل فيقول انثرها لابي. طلحة وكان اذا رمى تشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر موضع نبله وأصابت يد طلحة بن عبيد الله فبيست وقي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصابت عين قتادة ابن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعدت أحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركه أبى بن خلف الجمحي وهو يقول لانبجوت ان نبجوت فقال القوم يا رسول الله ألا يعطف عليه رجل مناق رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه حتى اذا نامنه وكان أبى قبل ذلك يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول عندي رمكة اعلفها كل يوم فرق ذرة أقتلك عليها فيقول النبي صلى الله عليه وسلم لى أما أقتلك أن شاء الله فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة ثم استقبله وطعنه في عنقه وخذشه خدشة فسقط عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتلنى محمد فاحتمله أصحابه وقالوا ليس عليك بأس فقال بل او كانت هذه الطعنة

بربيعة ومضر لقتلتهم أليس قال لي أنا أقتلك فلوزق على بعد تلك المقالة لقتني بها فلم يلبث بعد ذلك الا يوما حتى مات بموضع يقال له سرف (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من قتله نبي في سبيل الله اشتد غضب الله على قوم أدموا وجه نبي الله قالوا وفشا في الناس أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبي فأخذنا أمانا من أبي سفيان وجلس بعض الصحابة وألقوا بأيديهم وقال أناس من المنافقين ان كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الاول وقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضى الله عنهما يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم انى أعتذر اليك بما يقول هؤلاء يعنى المسلمين وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعنى المشركين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس فأول من عزف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك رضى الله عنه قال قد عرفت عينه تزهرا ن تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى أن اسكت فأنحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم النبي صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا يا رسول الله فدينناك بأبائنا وأمهاتنا أنانا الخبر بأنك قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فأنزل الله عز وجل وما محمد الا رسول قد دخلت من قبله الرسل ومعنى الآية فسيخلو محمد كما خلت الرسل من قبله فكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلو أنبيائهم فعليكم أنتم أن تمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعث الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجية لوجوده بين ظهراني قومه * ومحمد اسم علم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى وصفه بذلك وتخصيصه بمناء وهو الذى كثرت خصاله المحمودة والمستحق لجميع المحامد لانه الكامل في نفسه صلى الله عليه وسلم فأكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم فسماه باسمين مشتقين من اسمه المحمود سبحانه وتمالى فسماه محمدا وأحد وفي ذلك يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه

ألم تر أن الله أرسل عبده * يبرهانه والله أعلى وأمج
أغر عليه بالنبوة خاتم * من الله مشهور يلوح ويشهد
وشق له من اسمه ليجمله * فذو العشر محمود وهذا محمد

(ق) عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحد وأنا الماحي الذى يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب والعاقب الذى ليس بعده نبي وسماء الله رؤفا رحيم
(م) عن أبي موسى الاشعري رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى لنا نفسه أسماء فقال أنا محمد وأنا أحد وأنا المقفى ونبي التوبة ونبي الرحمة * قوله المقفى هو آخر الانبياء الذى لا نبي بعده والرسول هو المرسل ويكون بمعنى الرسالة

(أفأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة التي قبلها على معنى التسيب والهمزة لانكار أن يجعلوا خلو الرسل { الجزء الرابع } قبله سببا لانقلابهم ﴿ ٦٠٠ ﴾ على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع

علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسك به يجب أن يجعل سببا للمتمسك بدين محمد عليه السلام لانقلاب عنه والانقلاب على العقبين مجاز عن الارتداد أو عن الانهزام (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا) وانما غرض نفسه (وسيجزي الله الشاكرين) الذين لم ينقلوا أو سمأهم شاكرين لانهم شكروا نعمته الاسلام فيما فعلوا (وما كان) وما جاز (لنفس أن تموت الا بأذن الله) أي بعلمه أو بان يأذن ملك الموت في قبض روحه والمعنى أن موت النفس محال أن يكون الا بمشيئة الله وفيه تحريض على الجهاد وتشجيع على لقاء العدو وأعلام بان الحذر لا ينفع وأن أحدا لا يموت قبل بلوغ أجله وان خاض الممالك واقحم الممارك

﴿ أفأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ انكار لا رتدادهم وانقلابهم على أعقابهم عن الذين ظلوه بموت أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسك به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد وفاته روى أنه لما رمى عبدالله بن قيس الخارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قيس وهو يرى أنه قتل النبي عليه السلام فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخا ألا أن محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول عليه السلام يدعو إلى عبادة الله فانحاز اليه ثلاثون من أصحابه وجوه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن أبي يأخذ لنا امانا من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا إلى أخوانكم ودينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم أن كان قتل محمدا نغان رب محمدا حتى لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم أنى اعذر اليك بما يقولون وابرأ اليك منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ﴿ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ﴾ بارتداده بل يضر نفسه ﴿ وسيجزي الله الشاكرين ﴾ على نعمة الاسلام بالثبات عليه كأئس واضرا به ﴿ وما كان لنفس أن تموت الا بأذن الله ﴾ الابغشيته تعالى أو بأذنه لملك الموت عليه السلام في قبض روحه والمعنى أن لكل نفس أجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول

والمراد به هنا المرسل بدليل قوله تعالى وأنت لمن المرسلين ﴿ أفأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ يعني أنقلبون على أعقابكم ان مات محمدا أو قتل وترجعون إلى دينكم الاول يقال لكل من رجع إلى ما كان عليه رجع وراه ونكص على عقبيه وحاصل الكلام أن الله تعالى بين أن موت محمدا صلى الله عليه وسلم أو قتله لا يوجب ضعفا في دينه ولا الرجوع عنه بدليل موت سائر الانبياء قبله وان أتباعهم ثبتوا على دين أديانهم بعد موتهم ﴿ ومن ينقلب على عقبيه ﴾ يعني فيرتد عن دينه ويرجع إلى الكفر ﴿ فلن يضر الله شيئا ﴾ يعني بارتداده لان الله تعالى لا يضره كفر الكافرين لانه تعالى غنى عن العالمين وانما يضر المرتد والكافر نفسه ﴿ وسيجزي الله الشاكرين ﴾ يعني الثابتين على دينهم الذين لم ينقلبوا عنه لانهم شكروا نعمته الله عليهم بالاسلام وثنائهم عليه فسمأهم الله شاكرين لما فعلوا والمعنى وسيثيب الله من شكره على توقيفه وهدايته وروى ابن جبير عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في قوله وسيجزي الله الشاكرين قال الثابتين على دينهم أبابكر وأصحابه وكان على يقول أبو بكر رضي الله عنه أمين الشاكرين وأمين أخبار الله وكان أشكرهم وأحبهم إلى الله تعالى ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وما كان لنفس أن تموت الا بأذن الله ﴾ أي بأمر الله وقضائه وعلمه وذلك أن الله تعالى يأمر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت أحد الا بأذن الله تعالى وأمره

﴿ أفأن مات ﴾ محمدا (أو قتل) في سبيل الله (انقلبتم على أعقابكم) أترجعون أنتم إلى دينكم الاول (ومن ينقلب على عقبيه) يرجع إلى دينه الاول (فلن يضر الله) فلن ينقص الله رجوعه (شيئا) وسيجزي الله الشاكرين

للمؤمنين بإيمانهم وجهادهم (وما كان لنفس أن تموت) يقول لا تموت نفس (الا بأذن الله) بأرادة الله وقضائه (والمراد)

لان المعنى كتب الموت
كتابا (مؤجلا) موقته
أجل معلوم لا يتقدم ولا
يتأخر (ومن يرد) بقتاله
(ثواب الدنيا) أى الغنمية
وهو تعريض بالذين شغلهم
الفنائم يوم أحد (نؤته منها)
من ثوابها (ومن يرد ثواب
الآخرة) أى أعلاء كلمة

الله والدرجة فى الآخرة
(نؤته منها) وسنجزى
الشاكرين) وسنجزى
الجزاء المبهمة الذين شكروا
نعمة الله فلم يشغلهم شئ
عن الجهاد (وكأين) أعلاه
أى دخل عليه كاف التشبيه
وصار فى معنى كم التى
للتكثير وكأين بوزن كاعن
حيث كان مكى

(كتابا مؤجلا) مؤقتا
كتابة أجله ووزقه سواء
لا يبق أحدهما صاحبه
(ومن يرد) بعمله وجهاده
(ثواب الدنيا) منفعة الدنيا
(نؤته منها) نعطة من الدنيا
ما يريد وماله فى الآخرة
من نصيب (ومن يرد)
بعمله وجهاده (ثواب
الآخرة) منفعة الآخرة
(نؤته منها) نعطة من
الآخرة ما يريد (وسنجزى
الشاكرين) المؤمنين
بايمانهم وجهادهم (وكأين

صلى الله عليه وسلم بالحفظ وتأخير الاجل ﴿ كتابا ﴾ مصدر مؤكد اذا المعنى كتب
الموت كتابا ﴿ مؤجلا ﴾ صفته أى موقتا لا يتقدم ولا يتأخر ﴿ ومن يرد ثواب
الدنيا نؤته منها ﴾ تعريض لمن شغلهم الفنائم يوم أحد فان المسلمين جلوا على المشركين
وعزموهم وأخذوا يهبون فلما رأى الرماة ذلك أقبلوا على النهب وخلوا مكانهم
فاتهمز المشركون وجرلوا عليهم من ورائهم فهزمهم ﴿ ومن يرد ثواب الآخرة نؤته
منها ﴾ أى من ثوابها ﴿ وسنجزى الشاكرين ﴾ الذين شكروا نعمة الله سبحانه وتعالى فلم يشغلهم
شئ عن الجهاد ﴿ وكأين ﴾ أصله أى دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون
تنوين أثبت فى الخط على غير قياس * وقرأ ابن كثير وكأين كما عن ووجه أنه قلب
قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعى فى لعمري فصار كئىن ثم حذف الياء الثانية

والمراد من الآية تحريض المؤمنين على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو بأعلامهم
بان الجبن لا ينفذ وان الحذر لا يدفع المقدور وان أحدا لا يموت قبل أجله وان خاض
المهالك واقتحم المعارك واذا جاء الاجل لم يدفع الموت بحيلة فلا فائدة فى الخوف
والجبن وفى الآية أيضا ذكر حفظ الله رسوله صلى الله عليه وسلم عند غلبة العدو
وتخليصه منهم عند انتقامهم عليه واسلام أصحابه له فاجاه الله تعالى من عدوه سالما مسلما
لم يضره شئ ﴿ كتابا مؤجلا ﴾ يعنى موقته أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى
أن الله تعالى كتب لكل نفس أجلا لا يقدر أحد على تغييره أو تقديمه أو تأخيره
وقيل الكتاب هو اللوح المحفوظ لان فيه آجال جميع الخلق ﴿ ومن يرد ثواب الدنيا
نؤته منها ﴾ يعنى من يرد بعمله وطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها ما يكون جزاء لعمله
والمعنى نؤته منها ما نشاء على ما قدرناه له نزلت فى الذين تركوا المركز يوم أحد وطلبوا
الغنيمة ﴿ ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ﴾ يعنى من يرد بعمله الآخرة نؤته ثوابه
فيها نزلت فى الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وعلم أن هذه
الآية وان نزلت فى الجهاد خاصة لكنها عامة فى جميع الاعمال وذلك لان الاصل فى ذلك
كله يرجع الى نية العبد فان كان يريد بعمله الدنيا فليس له جزاء الا فيها وكذلك
من أراد بعمله الدار الآخرة فجزاؤه أيضا فيها (ق) عن عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وفى رواية
بالنية وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله
ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها ر فى رواية يتكلمها
فهجرته الى ما هاجر اليه * وروى البغوى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه فى قلبه
وجعله شمله وأنته الدنيا راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه
وشدت عليه أمره ولا يأتية منها الا ما كتب الله له * قوله عز وجل ﴿ وسنجزى الشاكرين ﴾
يعنى المؤمنين المطيعين الذين لم يشغلهم شئ عن الجهاد ولم يريدوا باعمالهم الا الله تعالى
والدار الآخرة * قوله عز وجل ﴿ وكأين

للخفيف ثم أبدت الياء الاخرى ألفا كأبدت من طائي ﴿من نبي﴾ بيان له ﴿قاتل﴾
 معه ربيون كثير ﴿ربانيون﴾ علماء اتقياء أو عابدون لربهم وقيل جماعات والربى سوب
 الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب قتل واسناده
 الى ربيون أو ضمير النبي ومعه ربيون حال دونه ويؤيد الاول أنه قرئ بالتشديد
 وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغيرات النسب كالكسر ﴿فاوهنوا﴾
 لما أصابهم في سبيل الله ﴿فاقتروا﴾ ولم ينكسر جدهم لما أصابهم من قتل النبي أو بعضهم
 ﴿وماضنقوا﴾ عن العدو أو في الدين ﴿وما استكانوا﴾ وما خضوا للعدو وأصله
 استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريد والالف من أشباع
 الفتحه أو استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان تكون لمن يخضع له وهذا
 تعريض بما أصابهم عند الارحاف بقتله عليه الصلاة والسلام

من نبي ﴿أى وكم﴾ من نبي ﴿قتل معه﴾ وقرئ قاتل معه فنقرأ قتل بضم القاف فله أوجه
 أحدها أن يكون القتل راجعا على النبي وحده فعلى هذا يكون الوقف على قتل لانه كلام تام
 وفيه ضمير تقديره قتل ومعه ربيون كثير ويكون معناه قتل حال ما كان معه ربيون كثير
 والمعنى ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ماوهنوا في دينهم وما استكانوا
 بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي لكم أن تكونوا مثلهم الوجه الثاني
 ان القتل نال النبي ومن معه من الربيين ويكون المراد البعض ويكون قوله فاوهنوا راجعا الى
 الباقيين والمعنى وكأين من نبي قتل وبعض من كان معه فاضنقوا بالباقيون لقتل من قتل من أخوانهم
 بل مضوا على جهاد عدوهم فكان ينبغي لكم أن تكونوا كذلك الوجه الثالث أن يكون القتل
 نال الربيين لالنبي والمعنى وكأين من نبي قتل من كان معه وعلى دينه ربيون كثير ومن قرأ
 قاتل معه ربيون كثير فالمعنى وكأين من نبي قاتل معه العدد الكثير من أصحابه فأصابهم من عدوهم
 قروح وجراحات فاوهنوا لما أصابهم بل استمروا على جهاد عدوهم لان الذي أصابهم
 انما هو في سبيل الله وطاعته واقامة دينه ونصرة نبيه فكان ينبغي لكم أن تفعلوا مثل
 ذلك يا أمة محمد وجمعة هذه القراءة ماروى عن سعيد بن جبير أنه قال ما سمعت أن نبيا
 قتل في القتال ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿ربيون كثير﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما جوع كثيرة
 وقيل الربيون الالف وقيل الربية الواحدة عشرة آلاف وقيل ألف وقيل ربيون يعنى فقهاء
 علماء وقيل الربيون هم الاتباع ﴿فاوهنوا﴾ أى فاجبنوا عن الجهاد في سبيل الله ﴿لما أصابهم﴾
 في سبيل الله وماضنقوا ﴿يعنى عن مجاهدة عدوهم﴾ بانالهم من ألم الجراح وقتل الاصحاب
 ﴿وما استكانوا﴾ يعنى وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم ولكنهم صبروا على أمر ربهم
 وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم وهذا تعريض بما أصابهم يوم أحد من الوهن والانكسار عند
 الارحاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعفهم عن مجاهدة المشركين واستكانتهم
 لهم حين أرادوا أن يعترضوا بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الامان من أبي سفيان
 والمقصود من الآية حكاية ماجرى لسائر الانبياء وأتباعهم لتقدي هذه الامة بهم

ونافع (معه ربيون) حال
 من الضمير في قتل أى قتل
 كأننا معه ربيون (كثير)
 واربيون الربانيون وعن
 الحسن بضم الراء وعن
 البعض بفتحها فالفتح على
 القياس لانه منسوب الى
 الرب والضم والكسر من
 تغيرات النسب (فاوهنوا)
 فاقتروا عند قتل نبيهم (لما)
 أصابهم في سبيل الله وما
 ضنقوا) عن الجهاد بعده
 (وما استكانوا) وما خضعوا
 لعدوهم وهذا تعريض
 بما أصابهم من الوهن عند
 الارحاف بقتل رسول الله
 عليه السلام واستكانتهم
 لهم حيث أرادوا أن
 يعترضوا بن أبي في طلب
 الامان من أبي سفيان
 من نبي) وكم من نبي (قاتل
 معه ربيون كثير) جوعا
 كثيرة من الكفار (فما
 وهنوا) ما ضعف المؤمنون
 (لما أصابهم في سبيل الله)
 من القتل والجراحة ويقال
 وكأين من نبي قتل معه
 ربيون كثير يقول كم من نبي
 قتل وكان معه جوع كثيرة
 من المؤمنين فسا وهنوا فسا
 ضعف المؤمنون لما أصابهم
 في سبيل الله من قتل نبيهم
 في طاعة الله (وماضنقوا)

(وترغب)

عجزوا عن قتال عدوهم (وما استكانوا) ماذلوا لعدوهم ويقال ماضعفوا

(والله يحب الصابرين) على جهاد الكافرين (وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) وما كان قولهم الا هذا القول وهو اضافة الذنوب الى أنفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها (وأسرافنا في أمرنا) تجاوزنا حد العبودية (وثبت أقدامنا) في القتال (وانصرنا على القوم) ٦٠٣ الكافرين بالغلبة وقدم {سورة آل عمران} الدعاء بالاستغفار من الذنوب

على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على الاعداء لانه أقرب الى الاجابة فيه من الخضوع والاستكانة (فآتاهم الله ثوابا - نيا) أي النصر والظفر والغنيمة (وحسن ثواب الآخرة) المغفرة والجنة وخص بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده (والله يحب المحسنين) أي هم محسنون والله يحبهم (يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا الذين كفروا

والله يحب الصابرين) في نصرهم ويعظم قدرهم (وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وأسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) أي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى أنفسهم هضما لها و اضافة للمأصم الى سوء أعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب لله والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون أقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خيرا لأن قالوا أعرف دلالاته على جهة النسبة وزمان الحدث (فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) فآتاهم الله بسبب الاستغفار والالتجأ الى الله سبحانه وتعالى النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعار بفضله وأنه المعتد به عند الله (يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا الذين كفروا

وترغب الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد) والله يحب الصابرين (يعني في الجهاد والمعنى أن من صبر على تحمل الشرائد في طلب الآخرة ولم يظهر الجزع والعجز بأن الله تعالى يحبه ومحبة الله تعالى للعبد عبارة عن ارادة كرامه وأعزازه وأيضال الثواب له وادخاله الجنة مع أولائه وأصفيائه ثم قال تعالى (وما كان قولهم) يعني قول الربيين (الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) فيدخل فيه جميع الصغائر والكبائر (وأسرافنا في أمرنا) يعني ما أسرفنا فيه فتحطينا الى العظام من الذنوب لان الاسراف الإفراط في الشيء ومجاوزه الحد فيه فيكون المني اغفر لنا ذنوبنا الصغائر منها والكبائر (وثبت أقدامنا) لكي لا تنزل عند لقاء العدو وذلك يكون بازالة الخوف والرعب من قلوبهم (وانصرنا على القوم الكافرين) لان النصر على الاعداء لا يكون الا من عند الله بين الله تعالى أنهم كانوا مستعدين عند لقاء العدو بالدعاء والتضرع وطلب الاعانة والنصر من الله تعالى والغرض منه أن يقتدى بهم في هذه الطريقة الحسنة أمته محمد صلى الله عليه وسلم يقول هلا فعلتم مثل ما فعلوا وقلمتم مثل ما لوالوا (فآتاهم الله ثواب الدنيا) يعني النصر والغنيمة وقهر الاعداء والثناء الجليل وغفران الذنوب والخطايا (وحسن ثواب الآخرة) يعني الجنة وما فيها من النعيم المقيم وانما خص ثواب الآخرة بالحسن تديها على أجلاله وعظمته لانه غير زائل ولم يشب بتفويض ولم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلته ولانه سريع الزوال مع ما يشوبه من التفويض (والله يحب المحسنين) يعني الذين يفعالون مثل ما فعل هؤلاء وهذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يقولوا مثل هذا عند لقاء العدو وفيه دققة لطيفة وهي أنهم لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم مسيئين سماهم الله تعالى محسنين قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا الذين كفروا) يعني اليهود والنصارى وقيل المنافقين وذلك في قولهم للمؤمنين عند

وما خضوا لعدوهم) والله يحب الصابرين (على قتال عدوهم مع نبهم) وما كان قولهم (قول المؤمنين بعد ما قتل نبهم) (الا أن قالوا ربنا) ياربنا (اغفر لنا ذنوبنا) دون الكبائر (وأسرافنا في أمرنا) بالاعظام من ذنوبنا يعني الكبائر (وثبت أقدامنا) في الحرب (وانصرنا على القوم الكافرين) فآتاهم الله أعطاهم الله (ثواب الدنيا) بالفتح والغنيمة (وحسن ثواب الآخرة) في الجنة (والله يحب المحسنين) (يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا الذين كفروا) يعني حذيفة وعمارا (أن

تطيعوا الذين كفروا) يعني كعبا وأصحابه

يردوكم على أعقابكم) يرجعواكم الى الشرك (فتقلبوا خاسرين) قيل هو عام في جميع الكفار وعلى المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء حتى لا يستجروهم الى موافقتهم وعن السدي ان تستكينوا لابي سفيان وأصحابه وتستأنموهم يردوكم الى دينهم وقال على رضى الله { الجزء الرابع } عنه نزلت ﴿ ٦٠٤ ﴾ في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة

يردوكم ﴿ أى الى الكفر ﴾ على أعقابكم فتقلبوا خاسرين ﴿ نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم وأخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل أن تستكينوا لابي سفيان وأشباعه وتستأنموهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فإنه يستجبر الى موافقتهم ﴿ بل الله مولاكم ﴾ ناصركم * وقرئ بالنصب على تقدير بل أطيعوا الله مولاكم ﴿ وهو خير الناصرين ﴾ فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره ﴿ سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أحد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى أبو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل أن شئت فقال عليه الصلاة والسلام أن شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا أن يعودوا عليهم ليستأصلوهم فألقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعتوب بالضم على الاصل في كل القرآن ﴿ بما أشركوا بالله ﴾ بسبب أشراكهم به ﴿ ما لم ينزل به سلطانا ﴾ أى آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل

الهزيمة يوم أحد ارجعوا الى أخوانكم وادخلوا في دينهم وقيل معناه ان تطيعوهم فيما يأمرونكم به من ترك الجهاد ﴿ يردوكم على أعقابكم ﴾ يعنى يرجعواكم الى أمركم الاول وهو الكفر والشرك بالله بعد الايمان به لان قبول قولهم في الدعوة الى الكفر كفر ﴿ فتقلبوا خاسرين ﴾ يعنى مغبونين في الدنيا والآخرة أما خسار الدنيا فهو طاعة الكفار والتذلل للاعداء وأما خسار الآخرة فهو دخول النار وحرمان دار القرار ﴿ بل الله مولاكم ﴾ أى وليكم وناصركم وحافظكم فاستعينوا به ﴿ وهو خير الناصرين ﴾ يعنى انه تعالى قادر على نصركم والمعنى أنكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم وهم عاجزون عن نصر أنفسهم فضلا عن غيرهم فاطلبوا النصر من الله تعالى فهو خير الناصرين ﴿ قوله عز وجل ﴾ سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب ﴿ وذلك ان أبا سفيان ومن معه ارتحلوا يوم أحد متوجهين الى مكة فلما بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى اذالم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا اليهم فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله في قلوبهم الرعب يعنى الخوف الشديد حتى رجعوا عما هموا به فعلى هذا القول يكون الوعد بألقاء الرعب في قلوب الكفار مخصوصا بيوم أحد وقيل انه عام وان كان السبب خاصا لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر فكأنه قال سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب منكم حتى تقهروهم ويظهر دينكم على سائر الاديان وقد فعل الله ذلك بفضله وكرمه حتى صار دين الاسلام ظاهرا على جميع الاديان والملل كما قال تعالى ليظهره على الدين كله ﴿ بما أشركوا بالله ﴾ يعنى انما كان ألقاء الرعب في قلوبهم بسبب أشراكهم بالله ﴿ ما لم ينزل به سلطانا ﴾ يعنى حجة

ارجعوا الى أخوانكم وادخلوا في دينهم (بل الله مولاكم) ناصركم فاستغنوا عن نصرة غيره (وهو خير الناصرين سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب) الرعب شامى وعلى وهما لغتان قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهم هزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والقلبة (بما أشركوا بالله) بسبب اشراكهم أى كان السبب في ألقاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم به (ما لم ينزل به سلطانا) آلهة لم ينزل الله بأشراكها حجة ولم يرد ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم أن تقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله • ولا ترى الضب بها ينحجر •

(يردوكم على أعقابكم) يرجعواكم الى دينكم الاول الكفر (فتقلبوا) فترجعوا (خاسرين) مغبونين بذهاب الدنيا والآخرة والعقوبة من الله (بل الله مولاكم) حافظكم ولاكم على ذلك وينصركم عليهم

(وهو خير الناصرين) أفوى الناصرين بالنصرة • ثم ذكر هزيمة الكفار يوم أحد فقال (سنلقى) سنقذف (وبرهانا) (في قلوب الذين كفروا) كفار مكة (الرعب) المخافة منكم حتى انهزموا (بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) كتابا

عليهم به سلطان وهو كقوله

«لا يفرع الارنب أهوالها» * ولا ترى الضب بها ينبحر

وأصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلطنة لحدة اللسان ﴿ ومأواهم ﴾
النار وبئس مشوى الظالمين ﴿ أى مشواهم فوضع الظاهر موضع المضمرة للتغليظ والتعليل
﴿ ولقد صدقكم الله وعده ﴾ أى وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك
حتى خالف الرماة فأن المشركين لما قبلوا جعل الرماة يرشقونهم بالنبل والباقون
يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم ﴿ أذ تحسونهم بأذنه ﴾ تقتلونهم
من حسه اذا أبطل حسه ﴿ حتى أذفشلتم ﴾ جبنتم وضعف رأيكم أو ملتم الى الغنمية
فأن الحرص من ضعف العقل ﴿ وتنازعتم فى الامر ﴾ يعنى اختلاف الرماة حين انهزم
المشركون فقال بعضهم فاموقفنا ههنا وقال آخرون لا نخالف أمر الرسول فثبت مكانه
أميرهم فى نفر دون العشرة ونفر الباقيون للنهب وهو المعنى بقوله ﴿ وعصيتم

وبرهانا وسميت الحججة سلطانا لان السلطان مشتق من السليط وهو ما يستصحب به
وقيل السلطان القوة والقدرة وسميت الحججة سلطانا لقوتها على دفع الباطل ﴿ ومأواهم ﴾
النار ﴿ لما بين الله تعالى حال الكفار فى الدنيا وهو ألقاء الرعب والخوف فى قلوبهم بين
حالهم فى الآخرة فقال تعالى وهما وهم النار أى مسكنهم ﴿ وبئس مشوى الظالمين ﴾ أى
المسكن الذى يستقرون به ويقومون فيه وكلمة بئس تستعمل فى جميع المذام والمعنى وبئس
مقام الظالمين الذين ظلموا أنفسهم باكتساب ما أوجب لهم عذاب النار والاقامة فيها
﴿ قوله عز وجل ﴾ ولقد صدقكم الله وعده ﴿ قال محمد بن كعب القرظى لما رجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أحد الى المدينة وقد أصابهم ما أصابهم قال ناس من الصحابة
من أين أصبنا هذا وقد وعدنا الله النصر فأنزله الله تعالى ولقد صدقكم الله وعده يعنى
بالنصر والظفر وذلك ان الظفر كان للمسلمين فى الابتداء وقيل ان الله وعد المؤمنين
النصر بأحد فنصرهم فلما خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا الغنمية
هزموا ﴿ أذ تحسونهم ﴾ يعنى اذ تقتلون الكفار قتلا ذريعا وقيل معنى تحسونهم
تستأصلونهم بالقتل ﴿ بأذنه ﴾ يعنى بعلم الله وأمره وقيل بقضاء الله وقدره ﴿ حتى اذا
فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم ﴾ قال الفراء نيه تقديم وتأخير تقديره حتى اذا
تنازعتم فى الامر وعصيتم فشلتهم وقيل معناه ولقد صدقكم الله وعده بالنصر الى ان كان
منكم الفشل والتنازع والمعصية وقيل فيه معنى الشرط وجوابه محذوف تقديره حتى
اذا فشلتهم وتنازعتم فى الامر وعصيتم منعكم الله النصر ومعنى فشلتهم ضعفتم والفشل
الضعف مع جبن ومعنى التنازع الاختلاف وكان اختلافهم وتنازعهم أن الرماة الذين
كانوا مع عبد الله بن جبير لما انهزم المشركون قال بعضهم لبعض أى قوم ما نضع بتمامنا
ههنا وقد انهزم المشركون ثم أقبلوا على الغنمية وقال بعضهم لبعض لا تجاوزوا أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله بن جبير أمير القوم فى نفر يسير دون العشرة

أى ليس بها ضب فينبجر
ولم يعن ان بها ضبا ولا
ينبحر (ومأواهم) مرجعهم
(النار وبئس مشوى الظالمين)
النار فالخصوص بالذم
محذوف ولما رجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم مع
أصحابه الى المدينة قال ناس
من أصحابه من أين أصبنا
هذا وقد وعدنا الله النصر
فنزله (ولقد صدقكم الله
وعده) أى حقق (أذ
تحسونهم) تقتلونهم قتلا
ذريعا وعن ابن عيسى
حسه أبطل حسه بالقتل
(بأذنه) بأمره وعلمه (حتى
أذفشلتم) جبنتم (وتنازعتم
فى الامر) أى اختلفتم
(وعصيتم) أمرتكم بترككم
المركز واشتغالكم بالغنمية
ولا رسولا (ومأواهم)
منزلهم (النار وبئس مشوى
الظالمين) منزل الكافرين
النار ثم ذكر وعده المؤمنين
يوم أحد فقال (ولقد
صدقكم الله وعده) يوم
أحد (اذ تحسونهم)
تقتلونهم فى أول الحرب
(بأذنه) بأمره ونصرته
(حتى اذا فشلتهم) جبنتم
عن قتال العدو (وتنازعتم
فى الامر) اختلفتم فى أمر
الحرب (وعصيتم) الرسول

(من بعد ما أراكم ماتحبون) من الظفر وقهر الكفار ومتملق اذا مخدوف تقديره حتى اذا فشلتكم منكم نصره وجاز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم (منكم من يريد الدنيا) أى الغنية وهم الذين تركوا المركز اطلب الغنية روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل وأمرهم أن يثبتوا فى مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين أو عليهم فلما أغبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقيون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم حتى اذا فشلوا وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فامونفنا ههنا فادخلوا عسكر المسلمين وخذوا الغنية مع أخوانكم وقول بعضهم لا تخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه { الجزء الرابع } وسلم فمن ٦٠٦ ثبت مكانه عبدالله بن خبير أمير الرماة

من بعد ما أراكم ماتحبون من الظفر والغنية وانهزام العدو وجواب اذا مخدوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنية ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على أمر الرسول عليه السلام ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فقلوبكم ليتليكم على المصائب ويتمن ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمهم على الخالفة والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم

من كان معه فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل ذلك حملوا على الرماة الذين ثبتوا مع عبدالله بن جبير فقتلوا عبدالله بن جبير وأصحابه وأقبلوا على المسلمين ونحوات الرمح دبوراً بعد ما كانت صبا وانتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجمعوا يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم وما يشعرون بذلك من الدهش ونادى ابليس ان محمدا قد قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين وقوله وعصيم يعنى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمركم به من لزوم المركز من بعد ما أراكم ماتحبون من النصر والظفر والغنية يامعشر المسلمين منكم من يريد الدنيا يعنى الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب ومنكم من يريد الآخرة يعنى الذين ثبتوا مع أميرهم عبدالله بن جبير حتى قتلوا قال عبدالله بن مسعود ما شعرت أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم أحد نزلت هذه الآية ثم صرفكم عنهم يعنى يامعشر المسلمين يعنى عن المشركين بالهزيمة ليتليكم يعنى ليعتصمكم وقيل لينزل عليكم البلاء لتوبوا اليه وتستغفروه وقيل معناه ليختبركم وهو أعلم ليعتبر المؤمن من المنافق ومن يريد الدنيا ممن يريد الآخرة ولقد عفا عنكم يعنى ولقد عفا الله عنكم أيها المخالفون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستأصلكم بعد الخالفة والمعصية وقيل عفا عن عقوبتكم أيها المخالفون والله ذو فضل على المؤمنين وهذا من تمام نعمه على عباده المؤمنين لانه نصرهم اولاً ثم عفا عن المذنبين منهم ثانياً لانه ذو الفضل والطول والاحسان وفى الآية دليل على ان

(صاحب)

بترك المركز (من بعد ما أراكم ماتحبون) النصر والغنية (منكم) من الرماة (من يريد الدنيا) بجهاده ووقوفه وهم الذين تركوا المركز لقبيل الغنية (ومنكم) من الرماة (من يريد الآخرة) بجهاده ووقوفه وهو عبدالله بن جبير وأصحابه الذين ثبتوا مكانهم حتى قتلوا (ثم صرفكم عنهم) بالهزيمة وقلوبهم عليكم (ليتليكم) ليختبركم بمعصية الرماة (ولقد عفا عنكم) لم يستأصلكم (والله ذو فضل) ذو من (على المؤمنين) اذ لم يستأصلهم يعنى الرماة ثم ذكر اعراضهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وخافته عدوهم

فى نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله (ومنكم من يريد الآخرة) فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبدالله بن جبير وأقبلوا على المسلمين حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله (ثم صرفكم عنهم) أى كف معونته عنكم فقلوبكم (ليتليكم) ليعتمن صبركم على المصائب وثباتكم عندها وحقيقته ليعاملكم معاملة المختبر لانه يجازى على ما يعمل العبد لاعلى ما يعلم منه (ولقد عفا عنكم) حيث ندمتم على ما فرط منكم من عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل على المؤمنين) العفو عنهم وقبول توبتهم أو هو متفضل عليهم فى جميع الاحوال سواء أدبيل لهم أو أدبيل عليهم لان الابتلاء رجة كان النصر

رحمة وانتصب (أذ تصعدون) تبالغون ﴿٦٠٧﴾ في الذهاب في صعيد {سورة آل عمران} الارض والاصعاد الذهاب

بالعفو أو في الأحوال كلها سواء أديل لهم أو عليهم إذا ابتلاء أيضا رحمة ﴿أذ تصعدون﴾ متعاقب بصرفكم أو ليتليكم أو بمقدر كاذكر والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال أصعدنا من مكة إلى المدينة ﴿ولا تلونون على أحد﴾ ولا يقف أحدا لحد ولا ينتظره ﴿والرسول يدعوكم﴾ كان يقول إلى عباد الله إلى عباد الله أما رسول الله من يكرهه الجنة ﴿في أخراكم﴾ في ساقتم أو جاعتكم الأخرى ﴿فأنا بكم غمبا﴾ لكيلا نخزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ﴿عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم أو فجازاكم غما بسبب غم اذ قتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الكبيرة من مؤمن وان الله تعالى يعفو بفضله وكرمه ان شاء لانه سماهم مؤمنين مع ما ارتكبوه من مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي كبيرة وعفا عنهم بعد ذلك ﴿قواه عز وجل﴾ ﴿أذ تصعدون﴾ قيل هو متعلق بما قبله والتقدير واتعد عفا عنكم اذ تصعدون لان عفوه عنهم لا بد وان يتعاقب بأمر اقترافه وذلك الامر هو ما بينه بقوله اذ تصعدون يعني هاربين في الجبل وقيل هو ابتداء كلام لا تعلق له بما قبله والمعنى اذ كروا اذ تصعدون قراءة الجمهور بضم التاء وكسر العين من الاصعاد وهو الذهاب في الارض والابعاد فيها وقرأ الحسن تصعدون بفتح التاء من الصعود وهو الارتقاء من أسفل إلى أعلى كالصعود على الجبل وعلى السلم ونحوه وللمفسرين في معنى الآية قولان أحدهما انه صعودهم في الجبل عند الهزيمة والثاني انه الابعاد في الارض في حال الهزيمة ووقت الهرب ﴿ولا تلونون على أحد﴾ أي لا تعرجون ولا تقبضون على أحد ولا يلتفت بعضهم إلى بعض من شدة الهرب ﴿والرسول يدعوكم في أخراكم﴾ أي في آخركم ومن ورائكم يقول إلى عباد الله أما رسول الله من كر أي رجح فله الجنة ﴿فأنا بكم غمبا﴾ يعني فجازاكم بفراركم عن نبيكم صلى الله عليه وسلم وفشلكم عن عدوكم غمبا بغم فسمى العقوبة التي عاقبهم بها ثوبا على سبيل المجاز لان لفظ الثواب لا يستعمل في الاغلب الا في الخير وقد يجوز استعماله في الشر لانه مأخوذ من ثاب اذا رجح فأصل الثواب كل ما يعود إلى الفاعل من جزاء فله سواء كان خيرا أو شرا ففتحنا لفظ الثواب على أصل اللغة كان الكلام صحيحا ومتى جعلناه على الاغلب كان على سبيل المجاز فهو كقول الشاعر أخاف زيادا أن يكون طأؤه أداهم سودا أو محدرجة سمرا

قال (أذ تصعدون) أي تبعدون في الارض ويتألم تصعدون الجبل بعد الهزيمة (ولا تلونون على أحد) لا تلتفتون إلى محمد ولا تشقون له (والرسول) محمد (يدعوكم في أخراكم) من خلفكم يا عشرين المؤمنين

أنا رسول الله فقوا فلم قتموا (فأنا بكم غمبا) زادكم الله غمبا على غم اشراف خالد بن الوليد بغم القتل والهزيمة

أرجف به من قتل رسول الله عليه السلام وأجرح والقيل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم) لتتقنوا { الجزء الرابع } على تجرع الغموم فلا تحزنوا ﴿ ٦٠٨ ﴾ فيما بعد على فائت من المنافع (ولا

بمصائبكم له لتتقنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضراحي وقيل لامتزجة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما أصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فأتاكم للرسول صلى الله عليه وسلم أى فأساكم في الاعتقاد فاعتم بما نزل عليكم كما اغتمتم بما نزل عليه ولم يترككم على عصيانكم تسلياً لكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما أصابكم من الهزيمة ﴿ والله خير بما تعملون ﴾ عليم بأعمالكم وما قصدتم بها ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة ناعسا ﴾ أنزل الله عليكم الامن حتى أخذكم النعاس وعن أبي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن نصب على المفعول وناعسا بدل منها أو هو المفعول وأمنة حال منه متقدمة أو مفعول له أو حال من المخاطبين بمعنى ذوى أمنة أو على أنه جمع آمن كبار وبررة * وقرى أمنة بسكون الميم كأنها المرة من الامن ﴿ يغشى طائفة منكم ﴾ أى الناس * وقرأ حزة والكسائي

بذلك الغم القتل والهزيمة وقيل ان غمهم الاول بسبب أشرف خالد بن الوليد مع خيل المشركين عليهم والغم الثاني حين أشرف أبو سفيان عليهم وذلك أن أباسفيان وأصحابه وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون اليهم غمهم ذلك وظنوا أنهم يميلون عليهم فيقتلونهم فاهمهم ذلك ﴿ قوله عز وجل ﴾ لكيلا في لفظه لا قولان أحدهما أنها باقية على أصلها ومعناها النفي فعلى هذا يكون الكلام متصلاً بقوله ولقد عفا عنكم والمعنى ولقد عفا عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ﴿ لان عفوه يذهب كل هم وحزن وقيل معناه فأتاكم غماً أنساكم الحزن على ما فاتكم ولا ما أصابكم وقد روى انهم لما سمعوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل نسوا ما أصابهم وما فاتهم والقول الثاني ان لفظه لاصلة ومعنى الكلام لكي تحزنوا على ما فاتكم وأصابكم عقوبة لكم على مخالفتكم قال ابن عباس رضى الله عنهما الذى فاتهم الغنيمة والذى أصابهم القتل والهزيمة ﴿ والله خير بما تعملون ﴾ أى هو عالم بجميع أعمالكم خيرها وشرها فيجازيكم عليها ﴿ قوله عز وجل ﴾ ثم أنزل عليكم ﴿ يا مشر المسلمين ﴾ من بعد الغم الذى أصابكم ﴿ أمانة ناعسا ﴾ يعنى أمانة والامنة والامن واحد وقيل الامن يكون مع زوال الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف بعد باقيا والنعاس أخف من النوم والمعنى أعقبكم بما نالكم من الخوف والرعب ان أمنكم أمانة تهاون معه لان الخائف لا يكاد ينام فأنهم بعد خوفهم ﴿ يغشى طائفة منكم ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما أمنهم يومئذ بنعاس تغشاهم وانما ينفس من يأمن والخائف لا ينام (خ) عن أنس عن أبي طلحة رضى الله عنهما قل كنت فبين تغشاهم النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مرارا يسقط وآخذه ويسقط فأخذه ﴿ وأخرجه الترمذي عنه قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد وذكره

ما أصابكم) ولا على مصيب من المضار (والله خير بما تعملون) عالم بعملكم لا يخفى عليه شئ من أعمالكم وهذا ترغيب في الطاعة وترهيب على المعصية (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة ناعسا) ثم أنزل الله الامن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذى كان بهم حتى نعسوا وغلبم النوم عن أبي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن وناعسا بدل من أمنة أو هو مفعول وأمنة حال منه مقدمة عليه نحو آيت ركبنا رجلا والاصل أنزل عليكم ناعسا ذا أمنة اذ النعاس ليس هو الامن ويجوز أن يكون أمنة متعولاً له أو حالاً من المخاطبين بمعنى ذوى أمنة أو على أنه جمع آمن كبار وبررة (يغشى) النعاس تغشى بالتاء والامالة حزة وعلى أى الامنة (طائفة منكم) هم أهل الصدق

(لكيلا تحزنوا على ما فاتكم) من الغنيمة (ولا ما أصابكم) ولكي لا تحزنوا على ما

أصابكم من القتل والجراحة (والله خير بما تعملون) في الجهاد والهزيمة ثم ذكر منته عليهم فقال (ثم أنزل) (نحو) عليكم من بعد الغم أمنة) من العرو (ناعسا يغشى طائفة) أخذ طائفة (منكم) النعاس فنام من كان منكم أهل الصدق

واليقين (وطائفة) هم المنافقون (قد ٦٠٩) أهمتهم أنفسهم (بنايتهم الهم {سورة آل عمران} أنفسهم وخالصها الهم

الدين ولاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين رضوان الله عليهم (يظنون بالله غير الحق) في حكم المصدر أى يظنون بالله غير الظن الحق الذى يجب ان يظن به وهو ان لا ينصر محمد صلى الله عليه وسلم (ظن الجاهلية) بدل منه والمراد الظن المختص بالملّة الجاهلية أو ظن أهل الجاهلية أى لا يظن مثل ذلك الظن الاهل الشرك الجاهلون بالله (يقولون هل لنا من الامر

من شئ) هل لنا معاشر المسلمين من امر الله نصيب قطيعنون النصر والغلبة على العدو (قل أن الامر) أى النصر والغلبة (كله لله) ولا وليا له المؤمنين وان جندنا لهم الغالبون كله تأكيد للامر والله خبيران كله بصرى وهو مبتدأ والله خبيره والجملة خبر ان (يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك) خوفا

واليقين (وطائفة) قد أخذتهم همّة أنفسهم معتب بن قشير المنافق وأصحابه ام بأخذهم النوم (يظنون بالله غير الحق) أن لا ينصر الله رسوله وأصحابه (ظن الجاهلية) كظنهم فى الجاهلية (يقولون هل لنا من الامر) من النصر والدولة (من شئ) قل (يا محمد أن الامر)

بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا ﴿وطائفة﴾ هم المنافقون ﴿قد أهمتهم أنفسهم﴾ أو قعتهم أنفسهم فى الهموم أو مايتهمهم الهمم أنفسهم وطلب خالصها ﴿يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية﴾ صفة أخرى لطائفة أو حال أو استئناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر أى يظنون بالله غير الظن الحق الذى يحق أن يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملّة الجاهلية وأهلها ﴿يقولون﴾ أى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بدل من يظنون ﴿هل لنا من الامر من شئ﴾ هل لنا بما أمر الله ووعده من النصر والظفر نصيب قط وقل أخبر ابن أبى بقتل بنى الخزرج فقال ذلك والمعنى أنا منعنا تدبير أنفسنا وتصريفها بأختيارنا فليبق لنا من الامر شئ أو هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شئ ﴿قل أن الامر كله لله﴾ أى الغلبة الحقيقية لله تعالى وأولياؤه فأن حزب الله هم الغالبون أو القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض * وقرأ أبو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء ﴿يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك﴾ حال من ضمير يقولون أى يقولون مظهرين

نحو رواية البخارى وزاد والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم هم الا أنفسهم أجبين قوم وأرعبه وأخذله للحق * وفى رواية أخرى له قال رفعت رأسى يوم أحد فجعلت أراهم ومامنهم يومئذ أحد الا يعيد تحت حجفته من النعاس فذلك قوله تعالى ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمّنة ناعسا وقال الزبير بن العوام لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أشد علينا الخوف أرسل الله تعالى علينا النوم والله أنى لاسمع قول معتب بن قشير والناس يغشاني ما سمعته الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا وهنا فقوله تعالى يغشى طائفة منكم يعنى المؤمنين ﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾ يعنى المنافقين أراد الله أن يميز المؤمنين من المنافقين فأوقع النعاس على المؤمنين حتى أمنوا ولم يوقع النعاس على المنافقين فبقوا فى الخوف وفى ألقاء النعاس على المؤمنين دون المنافقين آية عظيمة ومهجزة باهرة لان النعاس كان سبب أمن المؤمنين وعدم النعاس عن المنافقين كان سبب خوفهم وهو قوله تعالى وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يعنى حملتهم أنفسهم على الهم لان أسباب الخوف وهى قصدا لاعداء كانت حاصلة عندهم ﴿يظنون بالله غير الحق﴾ يعنى يظنون ان الله لا ينصر محمد أو يحبه وقل ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل الجاهلية ﴿أى كظن أهل الجاهلية﴾ يقولون ﴿يعنى المنافقين﴾ هل لنا ﴿أى مالنا من الامر من شئ﴾ وذلك انه لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين فى هذه الواقعة وأشار عليه ان لا يخرج من المدينة فلما خالفه النبي صلى الله عليه وسلم وخرج وقتل بن قشير قيل لعبد الله بن أبى قد قتل بنو الخزرج قال هل لنا من الامر شئ وهو استفهام على سبيل الانكار أى مالنا أمر بطاع وقل المراد بالامر النصر والظفر يعنى مالنا من هذا الذى يعدنا بمجده من النصر والظفر من شئ انما هو للمشركين ﴿قل﴾ يا محمد اهؤلاء المنافقين ﴿أن الامر كله لله﴾ يعنى النصر والظفر والقضاء وانقدر كله لله ويديه يصرفه كيف يشاء ويدبره كيف أحب ﴿يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك﴾

الدواة والنصرة (كله لله) يبدا الله (يخفون) (قا وحا ٧٧ ل) فى أنفسهم يسرون فيما بينهم (مالا يبدون لك) مالا يظهرهون

من السيف (يقولون) في أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله (او كان لنا من الامر شيء ما قلنا ههنا) اي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولا ولياؤه وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قد اهتمهم صفة لطائفة ويظنون خبرا طائفة أو صفة أخرى أو حال أي قد اهتمهم أنفسهم ظانين ويقولون بدل من يظنون ويخفون حال {الجزء الرابع} من يقولون وقل ﴿٦١٠﴾ أن الامر كله لله اعتراض بين الحال وذو

الحال ويقولون بدل من يخفون أو استتاف (قل لو كنتم في بيوتكم) أي من علم الله منه انه يقل في هذه المعركة وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم (برز) من يدكم (الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) مصارعهم بأحد ليكون ما علم الله انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح قل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم (وليتلى الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم) وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الاخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان لك مخافة القتل (يقولون لو كان لنا من الامر)

أنهم مسترشدون طابون للنصرة مبطين الانكار والتكذيب ﴿يقولون﴾ أي في أنفسهم واذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون أو استتاف على وجه البيان له ﴿لو كان لنا من الامر شيء﴾ كما وعد محمد صلى الله عليه وسلم اوزعم أن الامر كله لله ولا ولياؤه أو لو كان لنا اختيار وتدير لم نبرح كما كان رأى ابن أبي وغيره ﴿ما قلنا ههنا﴾ لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في هذه المعركة ﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم﴾ أي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفهم الاقامة بالمدينة ولم ينبغ منه أحد فأنه قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لامعقب لحكمه ﴿وليتلى الله ما في صدوركم﴾ وليمتحن الله ما في صدوركم ويظهر سرورها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف أي وفعل ذلك ليتلى أو عطف على محذوف أي لبرز لنفاذ القضاء أو لمصالح جة وللابتلاء أو على قوله لكيلا تحزنوا ﴿وليمحص ما في قلوبكم﴾ وليكشفه ويبره أو يخلصه من الوسوس

يعنى من الكفر والشك في وعد الله عز وجل وقيل يخفون الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل الذي أخفوه هو قوله تعالى حكاية عنهم ﴿يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قلنا ههنا﴾ وذلك أن المناقطين قال بعضهم لبعض او كان لنا عقول لم نخرج مع محمد الى قتال أهل مكة ولم تقتل رؤسائنا وقيل كانوا يقولون لو كنا على الحق ما قلنا ههنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى يظنون بالله غير الحق يعنى التكذيب بالقدر وهو قولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قلنا ههنا قيل ان الذي قال هل لنا من الامر من شيء هو عبدالله بن أبي بن سلول المناق و الذي قال لو كان لنا من الامر شيء هو معتب بن قشير ﴿قل﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المناقطين ﴿لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل﴾ أي قضى عليهم القتل وقدر عليهم ﴿الى مضاجعهم﴾ يعنى الى مصارعهم التي يصرعون بها وقت القتل ومعنى الآية ان الحذر لا ينفع مع القدر والتدير لا يقاوم التقدير فالذين قدر عليهم القتل وقضاء وحكم به عليهم لا بد وأن يقتلوا والمعنى لو جلستم في بيوتكم لخرج منها ولظهر الذين قضى الله عليهم بالقتل وقدره الى حيث يقتلون فيد ﴿وليتلى الله ما في صدوركم﴾ أي وليختبر ما في صدوركم ليعلمه مشاهدة كما علمه غيا لان الجزاء انما تقع على ما علمه مشاهدة وقيل معناه ليعاملكم معاملة المبلى المختبر لكم وقيل معناه ليتلى أولياء الله ما في صدوركم فأضاف الابتلاء اليه تعظيما لشأن أولياء المؤمنين ﴿وليمحص ما في قلوبكم﴾ قال قتادة أي يظهرها من الشك والارتياب بما يريدكم من عجائب صنعته في آقاء الامنة وصرف

الدولة والنصرة (شيء ما قلنا ههنا قل) يا محمد للمناقطين (لو كنتم في بيوتكم) في المدينة (برز) لخرج (العدو) (الذين كتب) قضى (عليهم القتل الى مضاجعهم) الى مقتلهم ومصارعهم بأحد (وليتلى الله) ليختبر الله (ما في صدوركم) ما في قلوب المناقطين (وليمحص) ليعين (ما في قلوبكم) من النفاق

فعل ذلك أو فعل ذلك لصالح جنة والابتلاء والتمحيص (والله عليم بذات الصدور) بخفياتها (أن الذين تولوا منكم) انهزموا (يوم التقي الجمعان) جمع محمد عليه السلام ﴿٦١١﴾ وجمع أبي سفيان للقتال (سورة آل عمران) بأحد (انما استزلهم الشيطان)

دعاهم الى الزلة وجلهم عليها (بعض ما كسبوا) بتركهم المركز الذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فالإضافة الى الشيطان لطف وتقريب والتعليل بكسبهم وعظ وتأديب وكان أصحاب محمد عليه السلام تولوا عنه يوم أحد الاثلاثة عشر رجلا منهم أبو بكر وعلى وطلحة وابن عوف وسعد ابن أبي وقاص والباقون من الانصار (ولقد عفا الله عنهم) تجاوز عنهم (أن الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل بالعقوبة (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) كابن أبي

(والله عليم بذات الصدور) بما في القلوب من الخير والشر يعني المنافقين ويقال الرماة ثم ذكر المنهزمين يوم أحد فقال (أن الذين تولوا منكم) بالهزيمة عثمان بن عفان وأصحابه (يوم التقي الجمعان) جمع محمد وجمع أبي سفيان (انما استزلهم الشيطان) زين لهم الشيطان ان محمدا قتل فانهمزوا مستهتراً فراسخ وكانوا ستة نفر (بعض ما كسبوا) بتركهم المركز

﴿والله عليم بذات الصدور﴾ بخفياتها قبل أظهارها وفيه وعد ووعد وتنبه على أنه غنى عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمييز المؤمنين وأظهار حال المنافقين ﴿أن الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان﴾ انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ﴿يعني أن الذين انهزموا يوم أحد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا لمخالفة النبي صلى الله عليه وسلم بترك المركز والحرص على الغنمة أو الحياة فتموا التأييد وقوة القلب وقيل استزال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي بحر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم فكرهوا القتل قبل إخلاص التوبة والخروج من المظلمة ﴿ولقد عفا الله عنهم﴾ لتوبتهم واعتذارهم ﴿أن الله غفور﴾ للذنوب ﴿حليم﴾ لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا﴾ يعني المنافقين

العدو واظهار سر أمر المنافقين فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين خاصة وقيل معناه وليين ويظهر ما في قلوبكم يعني من الاعتقاد لله ولرسوله وللمؤمنين من العداوة فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين خاصة ﴿والله عليم بذات الصدور﴾ يعني بالاشياء الموجودة في الصدور وهي الاسرار والضمائر لانه عالم بجميع المعلومات ﴿قوله عز وجل أن الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان﴾ أي انهزموا وهربوا منكم يا معشر المسلمين فهو خطاب لمن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين يوم أحد بأحد وكان قد انهزم أكثر المسلمين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الاثلاثة عشر رجلا وقيل أربعة عشر من المهاجرين سبعة ومن الانصار سبعة فن المهاجرين أبو بكر وعمر وعلى وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم ﴿انما استزلهم الشيطان﴾ أي طلب زلتهم كما يقال استجله أي طلب عجلته وقيل جلهم على الزلة وهي الخطة وذلك بألقاء الوسوسة في قلوبهم لانه أمرهم بها ﴿بعض ما كسبوا﴾ يعني بمعصيتهم التي صلى الله عليه وسلم وتركهم المركز وقيل استزلهم الشيطان بتذكير خطايا سبقت لهم فكرهوا أن يقتلوا قبل إخلاص التوبة منها وهذا اختيار الزجاج لانه قال لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على الفرار من الزحف رغبة في الدنيا وانما ذكرهم الشيطان خطايا سلفت لهم فكرهوا لقاء الله الاعلى حالة يرضاهما ﴿واقدم عفا الله عنهم﴾ يعني ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا يوم التقي الجمعان فإيعاقهم بذلك وغفر لهم قيل ان عثمان عوتب في هزيمته يوم أحد فتال ان ذلك وان كان خطأ لكن الله قد عفا عنه وقرأ هذه الآية ﴿أن الله غفور﴾ يعني لمن تاب وأتاب ﴿حليم﴾ لا يعجل بالعقوبة ولا يستأصلهم بالقتل ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا﴾

(ولقد عفا الله عنهم) اذ لم يستأصلهم (أن الله غفور) لمن تاب منهم (حليم) اذ لم يعجل لهم العقوبة ثم قال لأصحاب محمد (يا أيها الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (لا تكونوا) في الحرب (كالذين كفروا) في السر يعني عبد الله بن أبي وأصحابه رجح هو وأصحابه في

وأصحابه (وقالوا لاخوانهم) أى فى حق اخوانهم فى النسب أو فى النفاق (أذا ضربوا فى الارض) سافروا فيها للتجارة أو غيرها (أو كانوا غزاً) جمع غاز كما فى وعى واصابهم موت أو قتل (لو كانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) اللام يتعلق بـ لا تكونوا أى {الجزء الرابع} لا تكونوا كهؤلاء ﴿٦١٢﴾ فى النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله

﴿ وقالوا لاخوانهم ﴾ لاجلهم وفيهم ومعنى أخوتهم اتفاقهم فى النسب أو المذهب
 ﴿ إذا ضربوا فى الارض ﴾ إذا سافروا فيها وأبدوا للتجارة أو غيرها وكان حقه
 إذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحسان الماضية ﴿ أو كانوا غزاً ﴾ جمع
 غاز كما فى وعى ﴿ لو كانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا ﴾ مفعول قالوا وهو يدل على
 أن اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ﴿ ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم ﴾ متعلق بقالوا
 على أن اللام لام العاقبة مثلها فى ليكون لهم عدوا وحزناً أو لا تكونوا أى لا تكونوا
 مثلهم فى النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة فى قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى
 ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهى أى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله
 انتفاء كونكم مثلهم حسرة فى قلوبهم فإن مخالفتهم ومضادتهم بما يغضبهم ﴿ والله يحيى ويميت ﴾
 ردائهم أى هو المؤثر فى الحياة والممات لا الاقامة والسفر فإنه سبحانه وتعالى قدي يحيى المسافر
 والغازى ويميت المقيم والقاعد ﴿ والله يعملون بصير ﴾ تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم *
 وقرأ ابن كثير وحجزة والكسائى بالياء على أنه وعيد للذين كفروا ﴿ ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم ﴾
 أى متم فى سبيله * وقرأ نافع وحجزة والكسائى بكسر الميم من مات يمات ﴿ لغفرة من الله ورحمة

ذلك حسرة فى قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم أو بقالوا أى قالوا ذلك واعتقده ليكون ذلك حسرة فى قلوبهم والحسرة الندامة على فوت المحبوب (والله يحيى ويميت) رد لقولهم ان القتال يقطع الآجال أى الامر بسده قد يحيى المسافر والمقاتل ويميت المقيم والقاعد (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على أعمالكم يعملون مكي وحجزة وعلى أى الذين كفروا (ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم) متم وبابه بالكسر نافع وكوفى غير عاصم تابعهم حفص الا فى هذه السورة كأنه أراد الوفاق بينه وبين قتلتم غيرهم بضم الميم فى جميع القرآن فالضم من مات يموت والكسر من مات يمات كخاف يخاف فكما تقول خفت تقولت (لغفرة من الله ورحمة

يعنى المنافقين عبد الله بن أبى وأصحابه ﴿ وقالوا لاخوانهم ﴾ يعنى فى النفاق
 والكفر وقيل لاخوانهم فى النسب وكانوا مسلمين ﴿ إذا ضربوا فى الارض ﴾ يعنى
 إذا سافروا فى الارض لتجارة وغيرها ﴿ أو كانوا غزاً ﴾ جمع غاز أى غزاة فى الكلام
 حذف دل المعنى على ذلك الحذف وهو إذا ضربوا فى الارض فأتوا أو كانوا غزاً فقتلوا
 ﴿ لو كانوا عندنا ﴾ يعنى مقيمين ﴿ ماماتوا وماقتلوا ليجعل الله ذلك ﴾ يعنى قولهم
 وظنهم ﴿ حسرة فى قلوبهم ﴾ يعنى غما وتأسفا ﴿ والله يحيى ويميت ﴾ هذا رد لقول
 المنافقين لو كانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا والمعنى أن الامر بيد الله وان المحيى والمميت
 هو الله تعالى فقد يحيى المسافر والغازى ويميت المقيم والقاعد عن الغزو كما يشاء فكيف
 ينفع الجلوس فى البيت وهل يحمى أحد من الموت ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ يعنى
 انه تعالى مطلع على ما تعملون من خير أو شر فيجازيكم به فانقوه ولا تكونوا مثل المنافقين
 لان مقصدهم تنفير المؤمنين عن الجهاد بقولهم لو كانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا فان الله
 تعالى هو المحيى المميت فمن قدر له البقاء لم يقتل فى الجهاد ومن قدر له الموت لم يبق وان
 أقام بيته عند أهله فلا تقاتلوا أتم أيها المؤمنون لمن يريد الخروج الى الجهاد
 لا تخرج فتقتل فلان يموت فى الجهاد فيستوجب الثواب خير له من أن يموت فى بيته
 بلا فائدة واليه الاشارة بقوله تعالى ﴿ ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لغفرة من الله ورحمة

الطريق الى المدينة) وقالوا لاخوانهم (المنافقين) إذا ضربوا فى الارض (إذا خرجوا مع أصحاب محمد فى سفر (أو كانوا غزاً)

أو خرجوا فى غزاة مع نبيهم (لو كانوا عندنا) فى المدينة (ماماتوا) فى سفرهم (وماقتلوا) فى غزاتهم (ليجعل الله (يعنى) ذلك) يقول ليجعل الله ذلك الظن (حسرة) حزناً (فى قلوبهم والله يحيى) فى السفر (ويميت) فى الحضر (والله يعملون) تقولون (بصير) ولئن قتلتم فى سبيل الله) يامعشر المنافقين (أو متم) فى بيوتكم وكنتم مخلصين (لغفرة من الله) لذنوبكم (ورحمة) من العذاب

خير مما يجمعون) ما بمعنى الذي والعائد محذوف وبالياء حفص (ولئن تم أوقلتكم لالى الله تحشرون) لالى الرحيم الواسع
الرحمة المثيب الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله في هذا الموضع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به
شأن غنى عن البرهان لمغفرة جواب ﴿٦١٣﴾ القسم وهو ساد مسد {سورة آل عمران} جواب الشرط وكذلك

لالى الله تحشرون كذب
الكافرين أولا في زعمهم
ان من سافر من أخوانهم
أو غزا الوكان بالمدينة لما
مات ونهى المسلمين عن
ذلك لانه سبب التساعد
عن الجهاد ثم قال لهم ولئن
تم عليكم ماتخافونه من
الهلاك بالموت أو القتل
في سبيل الله فان ماتنا لونه
من المغفرة والرحمة بالموت
في سبيل الله خير مما يجمعون

من الدنيا فان الدنيا زاد
المعاد فاذا وصل العبد
الى المراد لم يتنجس الى الزاد
(فبإرجحة من الله لنت لهم)
ما مزيدة للتوكيد والدلالة
على ان لينه لهم ما كان الا
برحة من الله ومعنى الرحمة
ربطه على جاشه وتوفيقه
لررق والتلطف بهم (ولو
كنت فظا) جافيا (غليظ
القلب) قاسيه (لانفضوا
من حولك) لتفرقوا عنك
حتى لا يبقى حولك أحد
منهم (فاعف عنهم) ما كان
منهم يوم أحد مما يختص
بك (واستغفر لهم) فيما
يختص بحق الله انما
للسفقة عليهم (وشاورهم
في الامر) أى في امر الحرب

خير مما يجمعون ﴿ جواب القسم وهو ساد مسد الجزء والمعنى أن السفر والغزو ليس
بما يجلب الموت ويقدم الاجل وأن وقع ذلك في سبيل الله فالتأولون من المغفرة
والرحمة بالموت خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها لولم تموتوا * وقرأ حفص بالياء
﴿ ولئن تم أوقلتكم ﴾ على أى وجه اتفق هلاككم ﴿ لالى الله تحشرون ﴾ لالى معبودكم
الذى توجهتم اليه وبذلتكم مهجكم لوجهه لالى غيره لاحالة تحشرون فيوفى جزاءكم
ويعظم ثوابكم * وقرأ نافع وحزة والكسائى تم بالكسر ﴿ فبإرجحة من الله لنت لهم ﴾ أى
فبرحة وما مزيدة للتأيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان الا برحة من الله سبحانه وتعالى وهو
ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اعتم لهم بعد أن خلفوه ﴿ ولو كنت فظا ﴾ سىء
الخلق جافيا ﴿ غليظ القلب ﴾ قاسيه ﴿ لانفضوا من حولك ﴾ لتفرقوا عنك ولم يسكنو
اليك ﴿ فاعف عنهم ﴾ فيما يختص بك ﴿ واستغفر لهم ﴾ فيما لله سبحانه وتعالى ﴿ وشاورهم
في الامر ﴾ أى في امر الحرب اذ الكلام فيه أو فيما يصح أن يشاور فيه استظهارا برأيهم

يعنى في العاقبة ﴿ خير مما يجمعون ﴾ يعنى من الغائم والمعنى ولئن تم عليكم ماتخافونه
من القتل في سبيل الله أو الهلاك بالموت فان ماتنا لونه من المغفرة والرحمة بالموت والقتل
في سبيل الله خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها لولم تموتوا ﴿ ولئن تم أوقلتكم لالى الله
تحشرون ﴾ يعنى لالى الله الرحيم الواسع الرحمة والمغفرة المثيب الثواب تحشرون
في الآخرة فيما يزيدكم بأعمالكم * وقد قسم بعض مقامات العبودية ثلاثة أقسام فمن عبد الله
خوفا من ناره أمنه الله مما يخاف واليه الاشارة بقوله تعالى لمغفرة من الله ومن عبد الله
تعالى شوقا الى جنته أنه ما يرجو واليه الاشارة بقوله تعالى ورحمة لان الرحمة من
أسماء الجنة ومن عبد الله شوقا الى وجهه الكريم لا يريد غيره فهذا هو العبد المخلص الذى
يتجلى له الحق سبحانه وتعالى في دار كرامته واليه الاشارة بقوله لالى الله تحشرون ﴿ قوله
عز وجل ﴿ فبإرجحة من الله لنت لهم ﴾ أى فبرحة من الله وماصلة لنت لهم أى
سهلت لهم أخلاقك وكثرت احتمالك ولم تسرع اليهم بتعنيف على ما كان يوم أحد
منهم ومعنى فبإرجحة من الله هو توفيق الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم للرفق
والتلطف بهم وان الله تعالى أتى في قلب نبيه صلى الله عليه وسلم داعية الرحمة واللطف
حتى فعل ذلك معهم ﴿ ولو كنت فظا ﴾ يعنى جافيا ﴿ غليظ القلب ﴾ يعنى قاسى القلب سىء
الخلق قليل الاحتمال ﴿ لانفضوا من حولك ﴾ أى لفرقوا عنك وتفرقوا حتى لا يبقى منهم
أحد عندك ﴿ فاعف عنهم ﴾ أى تجاوز عن زلاتهم ومأتوا يوم أحد ﴿ واستغفر لهم ﴾
أى واسأل الله المغفرة لهم حتى يشفك فيهم وقيل فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم
فما يختص بحقوق الله وذلك من تمام الشفقة عليهم ﴿ وشاورهم في الامر ﴾ أى استخرج

(خير) لكم (مما يجمعون) في الدنيا من الاموال (ولئن تم) في حضراً أو سفر (أوقلتكم) في غزاة (لالى الله تحشرون) بعد الموت (فبإرجحة) فبرحة (من الله لنت لهم) جانبك وجناحك (ولو كنت فظا) باللسان (غليظ القلب) غليظا بالقلب (لانفضوا من حولك) لتفرقوا من عندك (فاعف عنهم) عن أصحابك في شئ يكون منهم (واستغفر لهم) من ذلك الذنب (وشاورهم في الامر)

وَنَحْوَهُ مِمَّا يَنْزِلُ عَلَيْكَ فِيهِ {الجزء الرابع} وَحَى تَطْيِيبِ لِنَفْسِهِمْ ٦١٤ وَتَرْوِجِ قُلُوبِهِمْ وَرَفْعِ أَقْدَارِهِمْ أَوْ لِنَقْدِي

وَتَطْيِيبِ لِنَفْسِهِمْ وَتَمْهِيدِ لِسُنَّةِ الْمَشَاوِرَةِ لِلْأُمَّةِ ﴿ فَأَذَاعَزَمْتَ ﴾ فَأَذَاوَطْتَ نَفْسَكَ عَلَى شَيْءٍ بَعْدَ الشُّورَى ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ فِي امْتِصَاءِ أَمْرِكَ عَلَى مَا هُوَ أَصْلَحُ لَكَ فَأَنْتَ لَا يَعْلمُهُ سِوَاهُ • وَقُرَىءُ فَأَذَاعَزَمْتَ عَلَى التَّكَلُّمِ أَيْ فَأَذَاوَطْتَ لَكَ عَلَى شَيْءٍ وَعَيْتَهُ لَكَ فَتَوَكَّلْ عَلَى وَلَا تَشَاوِرْ فِيهِ أَحَدًا ﴿ أَنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ فَيَنْصُرُهُمْ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى الصَّلَاحِ ﴿ أَنْ يَنْصُرَكَ اللَّهُ ﴾ كَمَا نَصَرَكَ يَوْمَ بَدْرٍ ﴿ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ فَلَا أَحَدٌ يَغْلِبُكُمْ ﴿ وَأَنْ يَخْذَلَكُمْ ﴾

أَرَاعَهُمْ وَأَعْلَمَ مَا عِنْدَهُمْ وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمَعْنَى الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَشَاوِرَةِ لَهُمْ مَعَ كَالِ عَقْلِهِ وَجَزَالَةِ رَأْيِهِ وَنَزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ وَوُجُوبِ طَاعَتِهِ عَلَى كَافَّةِ الْخَلْقِ فِيمَا أَحْبَبُوا أَوْ كَرِهُوا فَتَقِيلُ هُوَاعِمُ مَخْصُوصِ الْمَعْنَى وَشَاوِرَهُمْ فِيمَا لَيْسَ عِنْدَكَ مِنَ اللَّهِ فِيهِ عَهْدٌ وَذَلِكَ فِي أَمْرِ الْحَرْبِ وَنَحْوِهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا لِتَسْتَظْهَرَ بِرَأْيِهِمْ فِيمَا تَشَاوَرَهُمْ فِيهِ وَقِيلَ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَشَاوِرَتِهِمْ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ فَانْ ذَاكَ أُعْطِفَ لَهُمْ عَلَيْهِ وَأَذْهَبَ لِضَغَانِهِمْ فَانْ سَادَاتِ الْعَرَبِ كَانُوا إِذَا لَمْ يَشَاوِرُوا فِي الْأُمُورِ شَقَّ ذَلِكَ أُعْطِفَ لَهُمْ عَلَيْهِ وَقَالَ الْحَسَنُ قَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ مَا بَدَأَ إِلَى مَشَاوِرَتِهِمْ حَاجَةٌ وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَنْبِطَ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ أُمَّتِهِ وَقِيلَ إِنَّمَا أَمَرَ بِمَشَاوِرَتِهِمْ لِيَعْلَمَ مَقَادِيرَ عَقُولِهِمْ وَأَفْهَامِهِمْ لِأَيْسَرِ رَأْيِهِمْ وَرَوَى الْبَغَوِيُّ بِسُنْدِهِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَكْثَرَ اسْتِشَارَةً لِلرَّجَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا نَزَلَ فِيهِ وَحَى مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ يَجِزْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَشَاوِرَ فِيهِ الْأُمَّةَ وَإِنَّمَا أَمَرَ أَنْ يَشَاوِرَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَمَصَالِحِ الْحَرْبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَقِيلَ أَنَّ يَشَاوِرَهُمْ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا فِيمَا لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ فِيهِ شَيْءٌ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاوَرَهُمْ فِي أَسَارِي بَدْرٍ وَهُوَ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِاسْتِشَارَةِ عَيْنِ الْهَدَايَةِ وَقَدْ خَاطَرَ مِنْ اسْتِغْنَى بِرَأْيِهِ وَالتَّدَبُّرِ قَبْلَ الْعَمَلِ يُؤْمِنُكَ مِنَ النَّدَمِ وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ مَا اسْتَنْبَطَ الصَّوَابَ بِمَثَلِ الْمَشَاوِرَةِ وَمِنْ فَوَائِدِ الْمَشَاوِرَةِ أَنَّهُ قَدْ يَعِزُّمُ الْإِنْسَانَ عَلَى أَمْرِ فَيَشَاوِرُ فِيهِ فَيَتَّبِعُ لَهُ الصَّوَابَ فِي قَوْلٍ غَيْرِهِ فَيَعْلَمُ بِذَلِكَ عَجْزَ نَفْسِهِ عَنِ الْإِحْاطَةِ بِفُنُونِ الْمَصَالِحِ وَمِنْهَا أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَنْجِجْ أَمْرَهُ عِلْمًا أَنْ امْتِنَاعَ النَّجَاحِ مَحْضٌ قَدْرٌ فَيَلْمُ نَفْسَهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي مَدْحِ الْمَشَاوِرَةِ وَشَاوِرًا إِذَا شَاوَرْتَ كُلَّ مَهْدَبٍ * لِيَبْأَخِي حَزْمٌ لَتُرْشِدَ فِي الْأَمْرِ وَلَا تَكُ مِمَّنْ يَسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ * فَتَعْجِزُ أَوْ لَا تَسْتَرْجِعُ مِنَ الْفِكْرِ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِعَبْدِهِ * وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ حَتَّى يَأْتِيَكَ بِالْأَمْرِ

﴿ فَأَذَاعَزَمْتَ ﴾ يَعْنِي عَلَى الْمَشَاوِرَةِ ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ أَيْ فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا وَثِقْ بِهِ لِأَنَّ تَعَمُّدَ الْأَعْلِيَةِ فَانْهُ وَلِي الْإِعَانَةِ وَالْعَصْمَةِ وَالتَّسَدِيدِ وَالْمَقْصُودِ أَنْ لَا يَكُونَ لِلْعَبْدِ اعْتِمَادٌ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ وَإِنَّ الْمَشَاوِرَةَ لِاتِّفَاقِ التَّوَكُّلِ ﴿ أَنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ يَعْنِي الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ ﴿ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴾ أَنْ يَنْصُرَكَ اللَّهُ ﴾ يَعْنِي أَنْ يَعْطِيكَ اللَّهُ بِنَصْرِهِ وَيَمْنَعَكَ مِنْ عَدُوِّكَ كَمَا فَعَلَ يَوْمَ بَدْرٍ ﴿ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ يَعْنِي مِنَ النَّاسِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْمُتَوَكِّلُ بِنَصْرِكَ ﴿ وَأَنْ يَخْذَلَكُمْ ﴾ كَمَا فَعَلَ يَوْمَ أُحُدٍ فَلَمْ يَنْصُرْكُمْ وَوَكَّلَكُمْ إِلَى أَنْفُسِكُمْ لِخِلَافَتِكُمْ أَمْرَهُ وَأَمَرَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(عليه)

فِي أَمْرِ الْحَرْبِ (فَأَذَاعَزَمْتَ) صَرَفْتَ عَلَى شَيْءٍ (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) بِالنَّصْرِ وَالِدَوْلَةِ (أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) عَلَيْهِ (أَنَّ يَنْصُرَكَ اللَّهُ) مِثْلَ يَوْمِ بَدْرٍ (فَلَا غَالِبَ لَكُمْ) فَلَا يَغْلِبُ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ مِنْ عَدُوِّكُمْ (وَأَنْ يَخْذَلَكُمْ)

يوم بدر (فلا غالب لكم) فلا أحد يغلبكم وإنما يدرك نصر الله من تبرا من حوله وقوته واعتم بربه وقدرته (وأن يخذلكم) كما خذلكم يوم أحد (فمن ذا الذي ينصركم من بعده) من بعد {سورة آل عمران} خذلانه وهو ترك المعونتنا وهو

من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يقتضى ذلك (وما كان لني أن يغفل) مكى وأبو عمر ووحفص وعاصم أى يخون وبضم الياء وقبح العين غيرهم يقال غفل شيئا من المغم غفولا وأغل اغلالا اذا أخذه فى خفية ويقال اغله اذا وجدته غالا والمعنى ماصح له ذلك يعنى ان النبوة تنافى الغلول وكذا من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع الى هذا لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا روى ان قطيفة جراء فقتدت يوم بدر مما أصيب من المشركين فقال بعض المناققين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها

كما خذلكم يوم أحد ﴿ فمن ذا الذي ينصركم من بعده ﴾ من بعد خذلانه أو من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلاناصر لكم وهذا تنبيه على المقضى للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله سبحانه وتعالى وتحذير عما يستجلب خذلانه ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا أن لا ناصر لهم سواه وآمنوا به ﴿ وما كان لني أن يغفل ﴾ وما صح لني أن يخون فى الغنائم فان النبوة تنافى الخيانة يقال غل شيئا من المغم يغفل غلولا وأغل اغلالا اذا أخذه فى خفية والمراد منه ابراء الرسول صلى الله عليه وسلم عما اتهم به اذ روى ان قطيفة جراء فقتدت يوم بدر فقال بعض المناققين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها أو ظن به الرماة أحد حين تركوا المركز للغنيمة قالوا نخشى أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم وأما المبالغة فى النهى للرسول صلى الله عليه وسلم على ما روى أنه بعث طلحة فغتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلحة فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية * وقرأ نافع وابن عامر وحزرة والكسائي ويعقوب أن يغفل

عليه وسلم ﴿ فمن ذا الذي ينصركم من بعده ﴾ أى من بعد خذلانه ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ لاعلى غيره لان الامر كله لله ولاراد لقضائه ولادافع لحكمه فيجب أن يتوكل العبد فى كل الامور على الله تعالى لاعلى غيره وقيل التوكل أن لاتعصى الله من أجل رزقك ولا تطلب لنفسك ناصرا غيره ولا تعملك شاهدا سواء (م) عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب قالوا ومن هم يا رسول الله قال هم الذين لا يكتون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن رضى الله عنه فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم فقال أنت منهم فقام آخر فقال يا نبى الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة * عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خالصا وتروح بطانا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن * قوله عز وجل ﴿ وما كان لني أن يغفل ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الآية وما كان لني أن يغفل فى قطيفة جراء فقتدت يوم بدر فقال بعض القوم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فأنزل الله تعالى هذه الآية تالى آخرها أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن غريب وروى عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلحة فغتم النبى صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلحة فانزل الله تعالى وما كان لني أن يغفل وروى ابن جرير الطبرى عن ابن عباس فى قوله تعالى وما كان لني أن يغفل يقول ما كان لني أن يقسم الى طائفة من المؤمنين ويترك طائفة ويجور فى القسم ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه بأمر الله ويحكم فيه بما أنزل الله يقول ما كان الله ليجعل نبيا يغفل من أصحابه فاذا فعل ذلك النبى استنوا به وقال مقاتل والكلبي نزلت فى غنائم أحد حين ترك الرماة المركز للغنيمة وقالوا

مثل يوم أحد (فمن ذا الذي ينصركم) على عدوكم (من بعده) من بعد خذلانه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وعلى المؤمنين ان يتوكلوا على الله بالنصرة والدولة ثم ذكر ظنهم بالنبى صلى الله عليه وسلم ان لا يقسم لنا

من الغنائم شيئا ولقبيل ذلك تركوا المركز فقال (وما كان لني) ما جاز لني (ان يغفل) ان يخون أمته فى الغنائم وان قرأت ان يغفل يقول

على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غللا أو أن ينسب الى الغلول ﴿ ومن يغفل
يأت بما غل يوم القيمة ﴾ يأت بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث أو بما احتمل
من وباله وائمه ﴿ ثم توفي كل نفس ما كسبت ﴾ تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان
اللائق بما قبله أن يقال ثم توفي ما كسبت لكنه عم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود
والمبالغة فيه فإنه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغالب مع عظم جرمه بذلك أولى

نخشى أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ شيئا فهو له وأن لا تقسم الغنائم كما
لم تقسم يوم بدر فتركوا المركز ووقعوا في الغنائم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
ألم أعهد اليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمرى قالوا تركنا بقية أخواننا وقوفا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ظنتم أنانغل فلانقسم فانزل الله تعالى هذه الآية
وقال قتادة ذكر لنا انها نزلت في طائفة غلت من أصحابه وقيل ان الاقوياء ألحوا عليه
يسألونه من المنعم فانزل الله تعالى ما كان لني أن يغفل يعنى فيعطى قوما ويمنع آخرين
بل عليه أن يقسم بينهم بالسوية وقال محمد بن كعب القرظى ومحمد بن اسحق بن يسار
هذا في شأن الوحي يقول وما كان لني أن يكتم شيئا من الوحي رغبة أو رهبة أو مدهانة
والغلول هو الخيانة وأصله أخذ الشيء في خفية يقال غل فلان يغفل قرى بفتح الياء
وضم الغين أى وما كان لني أن يخون لان النبوة والخيانة لا يجتمعان لان منصب
النبوة أعظم المناصب وأشرفها وأعلها فلان تلق به الخيانة لانها في نهاية الدناءة
والخسة والجمع بين الضدين محال فثبت بذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخن أمته
في شيء لا من الغنائم ولا من الوحي وقيل المراد به الامة لانه قد ثبت براءة ساحة النبي
صلى الله عليه وسلم من الغلول والخيانة فدل ذلك على ان المراد بالغلول غيره وقيل اللام
فيه منقولة معناه ما كان النبي ليغفل على نفي الغلول عن الانبياء وقيل معناه ما كان لني
الغلول أراد ما غل نبي قط فنفي عن الانبياء الغلول وقيل معناه وما كان يحل لني الغلول
واذا لم يحل له لم يفعله وحجة هذه القراءة أنهم نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم الى الغلول
في بعض الروايات فبين الله تعالى بهذه الآية ان هذه الخصلة لا تليق به ونفي عنه ذلك
بقوله وما كان لني أن يغفل قرى بغل يضم الياء وفتح الغين ولها معنيان أحدهما
أن يكون من الغلول أيضا ومعناه وما كان لني أن يخن أى تخونه أمته والثانى أن يكون
من الاغلال ومعناه وما كان لني أن يخون أى ينسب الى الخيانة ﴿ ومن يغفل يأت بما غل
يوم القيمة ﴾ يعنى بالشيء الذى غله بعينه يحمله على ظهره يوم القيامة ليزداد فضيحة
بما يحمله يوم القيامة وقيل يمثل له ذلك الشيء في النار ثم يقال له انزل فخذ فينزل فيحمله
على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع ذلك الشيء في النار فيكذب أن ينزل اليه ليخرجه يفعل به
ذلك ماشاء الله وقيل معناه انه يأتي بأثم ما غله فيجازى به يوم القيامة وهو قوله تعالى ﴿ ثم
توفي كل نفس ما كسبت ﴾ يعنى من خير أو شر والمعنى ان كل كاسب خيرا كان ذلك
الكسب أو شرا فهو مجزى به يوم القيامة وهو في جزاء عمله

فنزلت الآية (ومن يغفل
يأت بما غل يوم القيمة) أى
يأت بالشيء الذى غله بعينه
حاملا له على ظهره كما جاء
في الحديث أو يأت بما
احتمل من وباله وائمه (ثم
توفي كل نفس ما كسبت)
تعطى جزاء هاو افيا ولم
يقبل ثم توفي ما كسب ليتصل
بقوله (ومن يغفل بل بجى
بسام ليدخل تحته كل
كاسب من الغال وغيره
فاتصل به من حيث المعنى
وهو أبلغ لانه اذا علم الغال
ان كل كاسب خيرا أو شرا
مجزى فهو في جزاءه علم انه
غير متخلص من بينهم مع
ان تخونه أمته (ومن يغفل)
من الغائم شيئا (يأت بما غل يوم
القيامة) حاملا له على عنقه
(ثم توفي) توفى (كل نفس
ما كسبت) بما عملت

﴿ وهم لا يظلمون ﴾ فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزداد في عقاب عاصيهم

﴿ وهم لا يظلمون ﴾ يعني بل يعدل بينهم يوم القيامة في الجزاء فيجأزى كل على عمله

﴿ فصل في ذكر أحاديث وردت في الغلول ووعيد الغال ﴾

وقد تقدم أن أصل الغلول هو أخذ الشيء في خفية وأنه الخيانة إلا أنه قد صار في العرف خصوصاً بالخيانة في الغنيمه وبهذا وردت الأحاديث (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره حتى قال لألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعيره رغاء يقول يا رسول الله أغني فأقول لأملكك شيئاً قدأبلغتك لألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حممة فيقول يا رسول الله أغني فأقول لأملكك شيئاً قدأبلغتك لألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغني فأقول لأملكك شيئاً قدأبلغتك لألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله أغني فأقول لأملكك شيئاً قدأبلغتك لألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رفاع تحف فيقول يا رسول الله أغني فأقول لأملكك شيئاً قدأبلغتك لألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله أغني فأقول لأملكك شيئاً قدأبلغتك لفظ مسلم* الرغاء صوت البعير* والثغاء صوت الشاة* والرقاع الثياب* والصامت الذهب والفضة (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خير ففتح الله علينا فلم نعلم ذهباً ولا ورقاً غنماً المتاع والطعام والثياب ثم انطلقنا إلى الوادي يعني وادي القرى ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبده وهبه له رجل من جذام يدعى رفاع بن زيد من بني الضيب فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمى بسهم فكان فيه حتفه فقلنا هنيئله شملته الشهادة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفس محمد بيده أن الشملة نلت به عليه نارا أخذها من الغنائم يوم خير لم تصبها المقاسم قال ففرع الناس فجاء رجل بشارك أو شراكين فقال أصبتها يوم خير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شارك من نار أو شراكين من نار* وفي رواية نحوه وفيه ومع عبد يقال له مدغم أهده له أحد بني الضيب وفيه إذ جاءه سهم عائر الشراك سير النعل الذي يكون على ظهر القدم ومثله شمع النعل والسهم العائر هو السهم الذي لا يدري من رماء (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال كان على نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فأتى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها* عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم توفي فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال إن صاحبكم غل في سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزاً من خرز اليهود لا يساوي درهمين أخرجه أبو داود والنسائي* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن

عظم ما اكتسب (وهم لا يظلمون) أي جزاء كل على قدر كسبه

من الغلول وغيره (وهم لا يظلمون) لا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم

(أفمن اتبع رضوان الله) أي رضا الله قبل هم المهاجرون والانصار (كن باء بسخط من الله) وهم المنافقون والكفار (ومأواه جهنم وبئس المصير) المرجع (هم {الجزء الرابع} درجات عند الله) ﴿٦١٨﴾ هم متفاوتون كاتفاوت الدرجات اودوو

﴿ أفمن اتبع رضوان الله ﴾ بالطاعة ﴿ كن باء ﴾ رجع ﴿ بسخط من الله ﴾ بسبب المعاصي ﴿ ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ الفرق بينه وبين المرجع أن المصير يجب أن يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع ﴿ هم درجات عند الله ﴾ شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب أوهم ذوو درجات ﴿ والله بصير بما يعملون ﴾ عالم بأعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها ﴿ لقد من الله على المؤمنين ﴾ انعم على من آمن مع الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه ونخصيصةهم مع أن نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها . وقرئ لمن من الله على أنه خبر مبتدأ محذوف مثل منه أو بعثه ﴿ أذبعث فيهم رسولا من أنفسهم ﴾ من نسبهم أو من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة

رسول الله صلى الله عليه وسلم قل من غل فاحرقوا متاعه واضربوه أخرجه أبو داود والترمذي ﴿ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر أحرقوا متاع الغال وضربوه زاد في رواية ومنعوه سهمه أخرجه أبو داود ﴾ قوله عز وجل ﴿ أفمن اتبع رضوان الله ﴾ يعني فترك الغلول فلم يفعل ﴿ كن باء ﴾ أي رجع ﴿ بسخط من الله ﴾ يعني بغضب من الله والمعنى فغل والسخط الغضب الشديد المفضي للعقوبة وهو من الله أنزال العقوبة بمن سخط عليه وقيل في معنى الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أسر المسلمين باتباعه والخروج معه يوم أحد اتبعه المؤمنون وتخلف عنه جماعة من المنافقين فأخبر الله تعالى بحال من اتبعه بقوله أفمن اتبع رضوان الله وبحال من تخلف عنه بقوله كن باء بسخط من الله ﴿ ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ يعني الغال أو المخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون ﴾ يعني هم ذوو درجات عند الله قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفو المنازل عند الله فلن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولن باء بسخط من الله العذاب الاليم والمعنى أفمن اتبع رضوان الله كن باء بسخط من الله ليسوا سواء بل هم درجات عند الله على حسب أعمالهم وقيل الضمير في قوله هم درجات عائد على قوله أفمن اتبع رضوان الله فقط لان الغالب في العرف استعمال الدرجات لاهل الثواب والدرجات لاهل النار ولان الله وصف من باء بسخط من الله أن مأواه جهنم وبئس المصير فدل على ان الضمير في قوله هم درجات عند الله راجع للاول وفيه تحريض على العمل بطاعته وتحذير عن العمل بمعاصيه ﴿ قوله عز وجل ﴾ لقد من الله على المؤمنين ﴿ يعني أحسن اليهم وتفضل عليهم والمنة النعمة العظيمة وذلك في الحقيقة لا يكون الا من الله ومنه قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين ﴿ أذبعث فيهم رسولا من أنفسهم ﴾ يعني من جنسهم عربيا مثلهم ولدبلدهم ونشأ بينهم يعرفون نسبه وليس حى من أحياء العرب الاوقد ولدوه وله فيهم نسب الابني تغلب فأنهم كانوا نصارى وقد ثبتوا على النصرانية فظهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم من أن يكون له فيهم نسب صاروا اليه (هم درجات

درجات والمعنى تناوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين والتفاوت بين الثواب والعقاب (والله بصير بما يعملون) عالم بأعمالهم ودرجاتها فيجازيهم على حسبها (لقد من الله على المؤمنين) على من آمن مع رسول الله عليه السلام من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون ببعثته (أذبعث فيهم رسولا من أنفسهم) من جنسهم عربيا مثلهم أو من ولد اسمعيل كأنهم من ولده والمنة في ذلك من حيث انه اذا كان منهم كان اللسان واحدا فيسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه عنه وكانوا واقفين على أحواله في الصدق والامانة فكان ذلك أقرب لهم الى تصديقه وكان لهم شرف بكونه منهم وفي قراءة رسول الله من أنفسهم أي من

(أفمن اتبع رضوان الله) في أخذ الخس وترك الغلول (كن باء بسخط من الله) كن استوجب عليهم سخط الله بالغلول (ومأواه) مصير الغال (جهنم وبئس المصير) صاروا اليه (هم درجات

عند الله) يقول لهم درجات عند الله في الجنة لمن ترك الغلول ودرجات لمن غل (والله بصير بما يعملون) من الغلول (وقيل) وغيره ثم ذكر منته عليهم فقال (لقد من الله على المؤمنين أذبعث فيهم) اليم (رسولا) آدميا معروف النسب (من أنفسهم) قرشيا

أشرفهم (يتلوا عليهم آياته) أى القرآن ﴿٦١٩﴾ بعد ما كانوا {سورة آل عمران}

أهل جاهلية لم يطرق
اسمائهم شئ من الوحي
(ويزكيمهم) ويظهرهم
بالإيمان من دنس الكفر
والظفان أو يأخذ منهم
الزكاة (ويعلمهم الكتاب
والحكمة) القرآن والسنة
(وأن كانوا من قبل) من
قبل بعثة الرسول صلى الله
عليه وسلم (لنى ضلال)
عمى وجهالة (مبين) ظاهر
لاشبهة فيه ان مخففة من
الثقيلة واللام فارقة بينها
وبين النافية والتقدير وان
الشان والحديث كانوا من
قبل فى ضلال مبين (أو لما
أصابكم مصيبة) يريد
مأصابتهم يوم أحد من قتل
سبعين منهم (قد أصبتم
مثلياً) يوم بدر من قتل
سبعين وأسربعين وهو فى
موضع رفع صفة لمصيبة
عربياً مثلهم (يتلو) يقرأ
(عليهم آياته) القرآن بالاسم
والهوى (ويزكيمهم) يظهرهم
بالتوحيد من الشرك وبأخذ
الزكاة من الذنوب (ويعلمهم
الكتاب) القرآن (والحكمة)
الحلال والحرام (وأن كانوا
من قبل) وقد كانوا من محبى
محمد والقرآن (لنى ضلال
مبين) لنى كفرين ثم ذكر
مصيبتهم يوم أحد فقال
(أو لما أصابتكم مصيبة)
يقول حين أصابتكم مصيبة يوم أحد (قد أصبتم) أهل مكة يوم بدر (مثلياً) مثلى

ويكرنوا واقفين على حاله فى الصدق والامانة مفتخرين به وقرىء من أنفسهم أى من أشرفهم
لانه عليه الصلاة والسلام كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم ﴿يتلوا عليهم آياته﴾ أى القرآن
بعدهما كانوا جاهلاً بالاسم والوحي ﴿ويزكيمهم﴾ يظهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد
والاعمال ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ أى القرآن والسنة ﴿وأن كانوا من قبل
فى ضلال مبين﴾ أن هى المخففة واللام هى الفارقة أى وأن الشان كانوا من قبل بعثة
الرسول صلى الله عليه وسلم فى ضلال ظاهر ﴿أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها﴾
وقيل أراد بالمؤمنين جميع المؤمنين ومعنى قوله تعالى من أنفسهم أى بالإيمان والشفقة
لا بالنسب ومن جنسهم ليس بملك ولا أحد من غير بنى آدم وقيل من أنفسهم يعنى انه
من ولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام ووجه المنة والانعام على المؤمنين ببعثة
الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه داعيهم الى ما يخلصهم من العذاب الاليم ويوصلهم الى
الثواب فى جنات النعيم وكونه من أنفسهم ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحدا سهل
الاخذ عنه فيما يجب عليهم وكانوا واقفين على جميع أحواله وأعماله يعرفون صدقه
وأمانته فكان ذلك أقرب الى تصديقه والوثوق به وفى كونه من أنفسهم شرف لهم
وكان فيما خطب به أبو طالب حين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
خريجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها وقد حضر ذلك بنوهاشم ورؤساء مضر
قوله الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئى معد وعنصر مضر
وجعلنا سدنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا الحكام
على الناس وان ابى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فقى الارجم وهو والله بعد
هذاله نبأ عظيم وخطب جليل وقيل فى وجه المنة ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم
ان الخلق جبلوا على الجهل ونقصان العقل وقلة تفهم وعدم الدراية فمن الله تعالى على
خلقه وأنعم عليهم وأحسن اليهم بأن بعث فيهم رسولا من أنفسهم أنقذهم به من الضلالة
وبصرهم به من الجهالة وهداهم به الى صراط مستقيم وانما خص المؤمنين بالذكر
لانهم هم المنتفون بما جاء به دون غيرهم ﴿يتلوا عليهم آياته﴾ يعنى يقرأ عليهم كتابه
الذى أنزل عليه بعد ان كانوا أهل جاهلية لم يطرق اسماءهم شئ من الوحي السماوى
﴿ويزكيمهم﴾ أى ويظهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والخبائث ﴿ويعلمهم
الكتاب والحكمة﴾ يعنى القرآن والسنة التى سنها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه
وسلم ﴿وأن كانوا من قبل﴾ يعنى من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿لنى ضلال
مبين﴾ يعنى لنى جهالة وحيرة عن الهدى عمياً لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكراً
فهداهم الله بنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿قوله تعالى﴾ ﴿أو لما أصابتكم مصيبة﴾ يعنى
مأصابتهم يوم أحد ﴿قد أصبتم مثليها﴾ يعنى ببدر وذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين
يوم أحد سبعين وقتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وقيل
أن المسلمين هزموا المشركين يوم بدر وهزمواهم فى أول الامر يوم أحد فلما عصوا الله
ورسوله هزمهم المشركون فحصل انهزام المشركين مرتين وانهزام المسلمين مرة

(قلم أنى هذا) من أين هذا (قل هو من عند أنفسكم) لاختياركم الخروج من المدينة أو لتترككم المركز لما نصب بقلم وأصابتكم في محل الجرح بإضافة { الجزء الرابع } لما ليده وتقديره ﴿ ٦٢٠ ﴾ ألقتم حين أصابتكم وأنى هذا نصب لاند مقول

قلم أنى هذا ﴿ الهمة للتقرير والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة أحد أو على محذوف مثل أفعلتم كذا وقلم ولما ظرفه المضاف إلى أصابتكم أى حين أصابتكم مصيبة وهى قتل سبعين منكم يوم أحد والحال أنكم نلتهم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين وإسرى سبعين من أين هذا أصابنا وقد وعدنا الله النصر ﴿ قل هو من عند أنفسكم ﴾ أى مما اقترفته أنفسكم من مخالفة الأمر بترك المركز فأن الوعد كان مشروطاً بالثبات والمطاوعة أو اختيار الخروج من المدينة وعن على رضى الله تعالى عنه باختياركم الفداء يوم بدر ﴿ أن الله على كل شىء قدير ﴾ فيقدر على النصر ومنعه وعلى أن يصيب بكم ويصيب منكم ﴿ وما أصابكم يوم التقي الجمعان ﴾ جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم أحد ﴿ فبأذن الله ﴾ فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها أذنانها من لوازمه ﴿ وليعلم المؤمنون وليعلم الذين نافقوا ﴾ وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر إيمان هؤلاء وكفر هؤلاء

واحدة ﴿ قلم أنى هذا ﴾ أى من أين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا وهو استهتام انكار ﴿ قل هو من عند أنفسكم ﴾ يعنى انما وقعتم فينا ووقعتم فيه بشؤم ذنوبكم وهو مخالفتكم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه صلى الله عليه وسلم اختار الإقامة في المدينة على الخروج إلى العدو واختارواهم الخروج إليه وأيضاً أمر الرماة بالإقامة في الوضع الذى عينه لهم فخالنوا وتركوا المركز لاجل الغنيمه فكان ذلك سبب القتل والهزيمة ﴿ وروى عبيدة السلماني عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الفداء من الاسارى وقد أسرك ان تحيبرهم بين ان يضر بوا أعناق الاسارى وبين ان يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فقالوا يا رسول الله عشارنا وأخواننا بل نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم أحد سبعون عدد أسارى أهل بدر لم يسند البغوى وأسنده ابن جرير الطبرى فذلك معنى قوله قل هو من عند أنفسكم يعنى بأخذكم الفداء واختياركم القتل لانفسكم ﴿ أن الله على كل شىء قدير ﴾ يعنى من نصركم مع الطاعة وترك نصركم مع المخالفة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وما أصابكم ﴾ يعنى من القتل والجراح والهزيمة ﴿ يوم التقي الجمعان ﴾ يعنى جمع المؤمنين وجمع المشركين وذلك بأحد يوم أحد ﴿ فبأذن الله ﴾ يعنى فعله وقضائه وقدره وحكمه وفيه تسليه للمؤمنين بما حصل لهم يوم أحد من القتل والهزيمة ولا تقع التسليه الا اذا علموا أن ذلك كان واقعا بقضاء الله وقدره فحينئذ يرضون بما قضى الله عليهم ﴿ وليعلم المؤمنون وليعلم الذين نافقوا ﴾ أى ليظهر إيمان المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم ويظهر نفاق المنافقين بقلة صبرهم على ما نزل بهم فالمراد من العلم المعلوم والتقدير ليتبين المؤمن من المنافق وليتميز أحدهما من الآخر والمنافق هو الذى أظهر الإيمان

والهمة للتقرير والتقرير وعطف الواو هذه الجملة على ما مضى من قصة أحد من قوله ولقد صدقكم الله وعده أو على محذوف كأنه قيل أفعلتم كذا وقلم حينئذ كذا (أن الله على كل شىء قدير) يقدر على النصر وعلى منعه (وما أصابكم) ما معنى الذى وهو مبتدأ (يوم التقي الجمعان) جمع المشركين بأحد والخبر (فبأذن الله) فكان بأذن الله أى بعلمه وقضائه (وليعلم المؤمنون وليعلم الذين نافقوا) وهو كائن ليتيمز المؤمنون والمنافقون وليظهر إيمان هؤلاء ونفاق هؤلاء

ما أصابكم يوم أحد (قلم أنى هذا) من أين أصابنا هذا ونحن له مسلمون (قل) يا محمد (هو من عند أنفسكم) بذنب أنفسكم بترككم المركز (أن الله على كل شىء) من العقوبة وغيرها (قدير) وما أصابكم الذى أصابكم من القتل والجراحة (يوم التقي الجمعان) جمع محمد وجمع أبى سفيان (فبأذن الله) فبأرادته وقضائه (وليعلم

(المؤمنون) لكى يرى المؤمنون في الجهاد (وليعلم الذين نافقوا) لكى يرى المنافقين عبد الله بن أبى (بلسانه) وأصحابه في رجوعهم الى المدينة

(وقيل لهم) للمنافقين وهو كلام مبتدأ (تعالوا قاتلوا في سبيل الله) أي جاهدوا للآخرة كما تقاتل المؤمنون (أو ادفعوا) أي قاتلوا دفعاً عن أنفسكم وأهلكم ﴿٦٢١﴾ وأموالكم ان لم تقاتلوا {سورة آل عمران} للآخرة وقيل أو ادفعوا

العدو بتكثيركم سواد المجاهدين ان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما تروع العدو (قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) أي لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلاً واستهزاء ﴿هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان﴾ لانخزالهم وكلامهم هذا فأنهما أول أمارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر أقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان أنخزالهم ومقالمهم تقوية للمشركين وتحذيلاً للمؤمنين ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ يظهرون خلاف ما يضمرون لاتواطىء قلوبهم ألسنتهم بالايمان وأضافوا القول الى الافواه تأكيداً وتصوير

بلسانه وأضمر خلافه واشتقاقه من النفق وهو السرب في الارض النافذ ومنه نفاقه اليربوع لانه لحمرا في الارض له بابان اذا طلب من أحدهما خرج من الآخر فكذلك المنافق صنع له طريقين أحدهما اظهار الايمان بلسانه والآخر اضممار الكفر بقلبه من أيهما طلب خرج من الآخر وقيل لانه دخل في الايمان من باب وخرج من باب آخر والنفاق اسم أسلامي لم تك العرب تعرفه قبل الاسلام ﴿وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله وأدفعوا﴾ المقول له عبدالله بن أبي ابن سلول المنافق وأصحابه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى أحد في ألف رجل حتى اذا كان بالشوط بين أحد والمدينة انخزل عبدالله بن أبي ابن سلول بثلث الناس وقال ما ندرى علام تقتل أنفسنا فرجع عن معه من المنافقين فتبعهم جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الانصاري أخو بني سلمة وهو يقول يا قوم أذ كرتم الله أن تخذلوا نبيكم عند حضور عدوه فذلك قوله تعالى وقيل لهم يعني المنافقين عبدالله بن أبي ابن سلول وأصحابه تعالوا قاتلوا في سبيل الله أي لاجل دين الله ووطاعته أو ادفعوا يعني عن أموالكم وأهلكم وقيل معناه تعالوا كثروا سواد المسلمين ان لم تقاتلوا ليكون ذلك دفعاً للعدو ﴿قالوا﴾ يعني المنافقين ﴿لو نعلم قتالا لاتبعناكم﴾ أي لو نعلم أن اليوم مجرى فيه قتال لاتبعناكم ولم نرجع ولو علموا ما تبعوهم وقيل معناه لو نحن قتالا لاتبعناكم ﴿هم للكفر﴾ يعني المنافقين الى الكفر ﴿يومئذ أقرب منهم للايمان﴾ أي الى الايمان وانما قال تعالى يومئذ لانهم قبل ذلك اليوم لم يظهروا ما أظهروه من المعاندة والرجوع عن المسلمين وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم وانما كانوا قبل ذلك يظهرون كلمة الاسلام ويخفون الكفر ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ يعني يظهرون بألسنتهم الايمان وليس هو في قلوبهم انما في قلوبهم الكفر والنفاق وهذه صفة المنافقين لاصفة المؤمنين لان صفة المؤمن المخلص مواطاة القلب للسان على شيء واحد وهو التوحيد

منهم للايمان) يعني انهم كانوا يتظاهرون بالايمان قبل ذلك وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وهم لاهل الكفر أقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المؤمنين بالانخزال تقوية للمشركين (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) أي يظهرون خلاف ما يضمرون من الايمان وغيره والتقييد بالافواه لتأكيد كيدون في المجاز

(وقيل لهم) قال لهم عبدالله ابن جبير (تعالوا) الى أحد (قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا) العدو عن حريمكم وذريبتكم

او كثروا المؤمنين (قالوا لو نعلم) ثمة (قتالا لاتبعناكم) الى أحد (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) والمؤمنين ويقال رجوعهم الى الكفر والكفار يومئذ أقرب من رجوعهم الى الايمان والمؤمنين (يقولون بأفواههم) بألسنتهم (ما ليس في قلوبهم) صدق ذلك

(والله أعلم بما يكتنون) من النفاق (الذين قالوا) أي ابن أبي وأصحابه وهو في موضع رفع على هم الذين قالوا أو على الإبدال من واو يكتنون أو نصب بإضمار أعنى أو على البديل من الذين ناققوا أو جر على البديل من الضمير في أفواههم أو (لاخوانهم) لاجل { الجزء الرابع } أخوانهم من ﴿ ٦٢٢ ﴾ جنس المنافقين المقتولين يوم أحد (وقعدوا)

﴿ والله أعلم بما يكتنون ﴾ من النفاق وما يخلوبه بعضهم إلى بعض فإنه يعلمه مفصلاً يعلم واجب وأنتم تعلمونه مجلاً بأمارات ﴿ الذين قالوا ﴾ رفع بدلاً من واو يكتنون أو نصب على الهم أو الوصف للذين ناققوا أو جر بدلاً من الضمير في أفواههم أو قلوبهم كقوله « على حالة لو أن في القوم حائماً * على جوده لضن بالماء حاتم

﴿ لاخوانهم ﴾ أي لاجلهم يريد من قتل يوم أحد من أقاربهم أو من جنسهم ﴿ وقعدوا ﴾ حال مقدرة بقداى قالوا قاعدين عن القتال ﴿ لو أطاعونا ﴾ في القعود ﴿ ماقتلوا ﴾ كالم نقتل * وقرأ هشام ماقتلوا بالتشديد في التاء ﴿ تل فادرؤا ﴾ عن أنفسكم الموت أن كنتم صادقين ﴿ أي أن كنتم صادقين أنكنم تقدرون على دفع القتل عن كتب عليه فادفعوا عن أنفسكم الموت وأسبابه فإنه أحرى بكم والمعنى أن القعود غيره عن الموت فإن أسباب الموت كثيرة وكما أن القتال يكون سبباً للهلاك والقعود يكون سبباً للنجاة قد يكون الأمر بالعكس ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ﴾ نزلت في شهداء أحد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأولئك أحد * وقرئ بالياء على أسناده إلى ضمير الرسول أو من يحسب أو إلى الذين قتلوا والمفعول الأول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جازأ الحذف عند القرينة * وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين

﴿ والله أعلم بما يكتنون ﴾ يعنى من النفاق ﴿ الذين قالوا لاخوانهم ﴾ نزلت في عبد الله ابن أبي المنافق وأصحابه وفي المراد بأخوانهم قولان أحدهما ان المراد بأخوانهم الذين استشهدوا بأحد فيكون أخوانهم في النسب لا في الدين والقول الثاني ان المراد بأخوانهم المناققون فعلى القول الاول يكون معنى الآية الذين قالوا في أخوانهم أو عن أخوانهم الذين قتلوا بأحد لو أطاعونا ماقتلوا لانهم بعد ان قتلوا لا يخاطبون وعلى القول الثاني يكون معنى الآية الذين قالوا وهم عبدالله بن أبي وأصحابه لاخوانهم يعنى في النفاق ﴿ وقعدوا ﴾ يعنى عن الجهاد ﴿ لو أطاعونا ﴾ يعنى هؤلاء الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أطاعونا يعنى في القعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الانصراف عنه ﴿ ماقتلوا ﴾ يؤيد فرد الله تعالى عليهم بقوله ﴿ قل ﴾ يعنى قل لهم يا محمد ﴿ فادرؤا ﴾ أي فادفعوا ﴿ عن أنفسكم الموت أن كنتم صادقين ﴾ يعنى أن الحذر لا ينفع من القدر وفي الآية دليل على ان المقتول يموت بأجله خلافاً لمن يزعم ان القتل قطع على المقتول أجله ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ﴾ قيل نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلاً من =

أى قالوا وقد قعدوا عن القتال (لو أطاعونا ماقتلوا) لو أطاعنا أخواننا فيما أمرناهم به من الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود ووافقونا فيه لماقتلوا كالم نقتل (تل فادرؤا) عن أنفسكم الموت أن كنتم صادقين (بان الحذر ينفع من القدر فنحذوا حذركم من الموت أو معناه قل أن كنتم صادقين في انكم وجدتم إلى دفع القتل سبيلاً وهو القعود عن القتال فنحذوا إلى دفع الموت سبيلاً وروى انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقاً ونزل في قتلى أحد (ولا تحسبن) شامى وحزرة وعلى وعاصم وبكسر السين غيرهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأولئك أحد (الذين قتلوا) قتلوا شامى (في سبيل الله أمواتاً)

(والله أعلم بما يكتنون) من الكفر والنفاق هم (الذين قالوا لاخوانهم) المنافقين بالمدينة (وقعدوا)

عن الجهاد (لو أطاعونا) يعنون محمداً وأصحابه بالقعود في المدينة (ماقتلوا) في غزاتهم (قل) (المهاجرين) يا محمد للمنافقين (فادرؤا) ادفعوا (عن أنفسكم الموت أن كنتم صادقين) في مقاتلكم (ولا تحسبن) لا تظنن (الذين قتلوا في سبيل الله) يوم بدر ويوم أحد (أمواتاً) كسائر الاموات

المهاجرين وثمانية من الانصار وقال أكثر المفسرين انها نزلت في شهداء أحد ويدل على ذلك ما روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انه لما أصيب أخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ أخواننا عنا أننا أحياء في الجنة لئلا يزهدوا في الجنة ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون الى آخر الآية أخرجه أبو داود (م) عن مسروق رضى الله عنه قال سألت أبا عبد الله عن هذه الآيات ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فقال أما أنا قد سألتنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيئاً قالوا أى شئ نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا يارب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقول في سيالك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا

ذكر ما يتعلق بهذا الحديث ❦

قول مسروق سألت أبا عبد الله كذا جاء عبد الله غير منسوب وقد نسب به بعض الناس فقال عبد الله بن عمر وقد ذكره أبو مسعود الدمشقي والحميدى في مسنده عن عبد الله بن مسعود وهو الصحيح وهذا الحديث مرفوع لقوله أما أنا قد سألتنا عن ذلك فقال يعنى النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث دليل على أن الجنة مخلوقة الآن خلافاً للمعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم تسرح من الجنة حيث شاءت وهو مذهب أهل السنة وفيه دليل على أن الارواح باقية لا تنفنى بفناء الجسد وأن المحسن ينعم ويجازى بالثواب وان المسىء يعذب ويجازى بالعقاب قبل يوم القيامة وهو مذهب أهل السنة أيضاً قوله أرواحهم في جوف طير خضر أى يحمل الله أرواح الشهداء في جوف طير خضر وهذا ليس ببعيد لاسيما مع القول بان الارواح أجسام لطيفة وقيل أن المنعم والمعذب من الارواح والاجساد جزء من الجسد تبقى فيه الروح وهو الذى يتلذذ بالنعيم ويتألم بالمعذاب فقير مستحيل ان يصور الله تعالى ذلك الجزء طائراً ويجعل في جوف طير فتسرح في الجنة وتأوى الى تلك القناديل وقد تعلق بهذا الحديث من يقول بالتناسخ من المبتدعة ويقول بانتقال الارواح وتنعيمها في الصور الحسان المرفهة وتمزيبها في الصور القبيحة المسخرة ويزعمون ان هذا هو الثواب والعقاب وهذا ضلال بين وقول سخيف وبدعة باطله لما في هذا القول من ابطال ما جاءت به الشرائع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث ما يرد عليهم وهو قوله حتى يرجمه الله الى جسده يوم يعثه يعنى يحيى جميع جسده يوم يبعثه هو يوم القيامة والله أعلم ❦ عن جابر قال لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنامهم فقال ما لي أراك منكسراً قلت يا رسول الله استشهد أبى يوم =

== أحد وترك عيالا ودينا فقال ألا أبشرك بما لقي الله به أباك قلت بلى قال ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب وانه أحيا أباك وكله كفاحا وقال يا عبدى تمن على أعطيك قال يارب تحيينى فأقتل ثانية قال سبحانه انه قد سبق منى أنهم لا يرجعون فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله الآية أخرجها الترمذى وقال حديث حسن غريب وقيل ان الآية نزلت فى شهداء بئر معونة وهى بئر بين مكة وعسفان وأرض هذيل قال محمد بن اسحق عن أشياخه من أهل العلم قالوا قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بنى عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له هدية فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبلها وقال انى لأقبل هدية مشرك ثم عرض عليه الاسلام وأخبره بماله فيه وما أعد الله للمؤمنين وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد وقول يا محمد أن الذى تدعو اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد يدعونهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أخشى عليهم أهل نجد فقال أبو براء أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى أمرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو وأخبنى ساعدة فى سبعين رجلا من خيار المسلمين وكان يقال لهم القراء منهم الحرث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن أسماء بن الصلت ونافع بن يزيد بن ورقاء الخزاعى وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر رضى الله عنهم وذلك فى صفر سنة أربع من الهجرة بعد أحد باربعة أشهر فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهى أرض بين أرض بنى عامر وحره بنى سليم فلما نزواها قال بعضهم لبعض أىكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان أنا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك الماء فلما أناهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل فى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا أهل بئر معونة أنى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم وأنى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برح فضر به فى جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بنى عامر على المسلمين فأبوا أن يجيبوه الى ما دعاهم اليه وقالوا لا نخفر أبا براء فقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل بنى سليم عصية ورعلا وذكوان فأجابوا فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد فأنهم تركوه وبهرمق فارتث بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان فى سرع القوم عمرو بن أمية الضميرى ورجل من الانصار أحد بنى عمرو بن عوف فلم يعلمهما بمصاب أصحابهما الا الطير تحوم على العسكر فقالا والله أن لهذا الطير لشأنا فأقبلا لينظرا فاذا القوم فى دمائهم واذا الخيل التى أصابتهم واقفة فقال الانصارى لعمرو بن أمية ماذا ترى قال للحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ونخبه فقال الانصارى لكنى لا أربغ عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل وأخذ عمرو بن أمية الضميرى أسيرا فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم (انها)

﴿بل أحياء﴾ أي بل هم أحياء * وقرئ بالنصب على معنى

انها كانت على أمه فقدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل أبي براء وقد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه اخقار عامر بن الطفيل اياه وما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق فروى محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن أبيه ان عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والارض حتى رأيت السماء من دونه قالوا هو عامر ابن فهيرة قالوا وبلغ ربيعة بن أبي براء أن عامر بن الطفيل أخفر ذمة أبيه فحمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه قلت وذكر ابن الاثير الجزري في كتاب جامع الاصول له في قسم الاسماء في ترجمة عامر بن الطفيل أن عامر بن الطفيل قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن بضع وثمانين سنة ولم يسلم وعاد من عنده فخرجه خراج في أصل أذنه أخذه منه مثل النار فاشتد عليه ومات منه (ق) عن أنس رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أفواما من بني سليم الى بني عامر في سبعين وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خاله أخا لام سليم واسمه حرام في سبعين راكبا فلما قدموا قال لهم خالي أتقدمكم فإن أمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والا كنتم مني قريبا فتقدم فأمنوه فيئنا هو يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وموا الى رجل منهم فطعنه فانفذه فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم الا رجلا أعرج صعدا الجبل قال هممام وأراه آخر معه فأخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قتلوا ربهم فرضى عنهم وأرضاهم قال فكنا نقرأ ان بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا ثم نسخ بعد فدعا عليهم أربعين صباحا على رعل وذكوان وبني عصىة الذين عصوا الله ورسوله وفي رواية ان رعلا وذكوان وبني لحيان استمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمدهم بسبعين رجلا من الانصار كنا نسيمهم القراء في زمانهم كانوا يحتظبون بالنهار ويصلون بالليل حتى اذا كانوا بيثر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقنت عليهم شهرا يدعو في الصبح على أحياء من العرب على رعل وذكوان وعصىة وبني لحيان قال أنس فقرأنا فيهم قرآنا ثم ان ذلك رفع بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا ولمسلم قال جاءنا الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه ان ابعث معنا رجلا يعلمونا القرآن والسنة فبعث اليهم سبعين رجلا من الانصار وذكر نحو ما تقدم وقيل ان اولياء الشهداء وأهلهم كانوا اذا أصابتهم نعمة وخير تجسروا على الشهداء وقالوا نحن في النعمة والرخاء وآباؤنا واناؤنا واخواننا في القبور فانزل الله تعالى هذه الآية تطيبنا لقبوبهم وتنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم فقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أي ولا تظن ان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد من أمته والمعنى لا يظن ظان أن الذين قتلوا في سبيل الله أموات يعني كأموات غيرهم ممن لم يقتل في سبيل الله ﴿بل أحياء﴾ أي بل هم أحياء وظاهر الآية يدل على

(بل أحياء) بل هم أحياء

(بل أحياء) بل هم

(عند ربهم) مقربون { الجزء الرابع } عنده ذووزلفي ﴿٦٢٦﴾ (يرزقون) مثل ما يرزق سائر الاحياء

بل أحسبهم أحياء ﴿عند ربهم﴾ ذوو زلفي منه ﴿يرزقون﴾ من الجنة وهو تأكيد لكونهم أحياء ﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾ وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله سبحانه وتعالى والتمتع بنعيم الجنة ﴿ويستبشرون﴾ يسرون بالبشارة ﴿بالذين لم يلحقوا بهم﴾ أى بأخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم ﴿من خلفهم﴾

كون من قتل في سبيل حيا فأما ان يكون المراد أنهم سيصيرون أحياء في الآخرة أو يكون المراد أنهم أحياء في الحال وعلى تقدير أنهم أحياء في الحال هل يكون المراد اثبات الحياة الروحية أو اثبات الحياة الجسمانية فهذه ثلاثة أوجه في معنى احتمال الحياة فمن قال بالوجه الاول وهو أنهم سيصيرون أحياء في الآخرة قال معنى الآية بل هم أحياء في الذكر وأنهم يذكرون بخير أعمالهم وأنهم استشهدوا في سبيل الله وقيل بل هم أحياء في الدين وهذا القول ليس بصواب لان الله تعالى أثبت لهم الحياة في الحال بقوله بل أحياء يعنى في حال ما يقتلون فانهم يحيون وهو الاحتمال الثانى واختلفوا في معنى هذه الحياة هل هى للروح أو للجسم والروح معا فمن أثبت الحياة للروح دون الجسم قال يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر فخص الأرواح دون الاجساد وقال بعض المفسرين أن أرواح الشهداء تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة ومن أثبت الحياة للروح والجسم معا قال يدل عليه سياق الآية وهو قوله عند ربهم يرزقون فأخبر الله سبحانه وتعالى أنهم يرزقون وبأكلون ويتنعمون كالأحياء وقيل ان الشهيد لا يبلى في قبره ولأنه لا تاكله الارض كغيره وروى انه لما أراد معاوية أن يجرى الماء على قبور الشهداء أمر أن ينادى من كان له قتيل فلينخرجه وليحوله من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم رطاب الابدان فاصابت المسحاة اصبع رجل منهم فانبعثت دما ﴿وذكر البغوى بغير سند عن عبيد الله بن عمير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد على مصعب ابن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعاه ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد ان هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأنوهم وزورهم وسلموا عليهم فوالذى نفسى بيده لا يسلم عليهم أحد الى يوم القيامة الا ردوا عليه ﴿وقوله عز وجل﴾ عند ربهم ﴿يعنى في محل كرامته وفضله﴾ يرزقون ﴿يعنى من ثمار الجنة وتحفها﴾ فرحين بما آتاهم الله من فضله ﴿يعنى بما أعطاهم من الثواب والكرامة والاحسان والافضال فى دار النعيم﴾ ويستبشرون ﴿أى يفرحون والاستبشار هو الفرح والسرور الذى يحصل للانسان عند البشارة﴾ بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ﴿يعنى من أخوانهم الذى تركوهم أحياء فى الدنيا على منهج الايمان والجهاد لعلمهم بأنهم اذا استشهدوا لحقوا بهم ونالوا من الكرامة مثل ما نالوا فهم بذلك مستبشرون وقيل أن الشهداء سألو الله عز وجل أن ينجز أخوانهم بما نالوا من الخير والكرامة ليرغبوا فى الجهاد

يا أكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التى هم عليها من التمتع برزق الله (فرحين) حال من الضمير فى يرزقون (بما آتاهم الله من فضله) وهو التوفيق فى الشهادة وماساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مقربين مجلالهم رزق الجنة ونعيمها وقال النبي عليه السلام لما أصيب أخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أحواف طير خضر تدور فى أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش قيل هذا الرزق فى الجنة يوم القيامة وهو ضعيف لانه لا يبقى للتخصيص فائدة (ويستبشرون بالذين) بأخوانهم المجاهدين الذين (لم يلحقوا بهم) لم يقتلوا فيلحقوا بهم (من خلفهم) يريد الذين من خلفهم قد سبقوا من بعدهم وهم قد تقدموهم أو لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم كالأحياء (عند ربهم يرزقون) التحف (فرحين) مجبين (بما آتاهم الله) بما أعطاهم الله (من فضله) من كرامته (ويستبشرون)

بعضهم بعض (بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) من أخوانهم الذين فى الدنيا ان يلحقوا بهم لان الله (فاخبرهم)

ومنزلهم (الأخوف عليهم) بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقيين بعدهم على الجهد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء (ولا هم يحزنون) يستبشرون بنعمت من الله (فضل) يسرون بما أنعم الله عليهم وما تفضل عليهم من زيادة الكرامة (وأن الله) عطف على النعمة والفضل وأن الله على بالكسر على الاستئناف وعلى ان الجملة اعتراض (لا يضيع أجر المؤمنين)

بشرهم بذلك (الأخوف عليهم) اذا خاف غيرهم (ولا هم يحزنون) اذا حزن غيرهم (يستبشرون بنعمت من الله) بثواب من الله (وفضل) وكرامة (وأن الله لا يضيع) لا يضيع (أجر المؤمنين) في الجهاد بما يصيبهم في الجهاد ثم ذكر موافقاتهم مع النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر

أى الذين من خلفهم زمانا أورتبة ﴿الأخوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ بدل من الذين والمعنى أنهم يستبشرون بما تبين لهم من أمر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم اذا ماتوا أو قتلوا كانوا أحياء حياة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على أن الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه أدراكه وتألمه والتذاه ويؤيد ذلك قوله سبحانه وتعالى في آل فرعون النار يرضون عليها الآية وما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال أرواح الشهداء في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن أنكر ذلك ولم ير الروح الا ريبا وعرضا قال هم أحياء يوم القيامة وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه أو أحياء بالذكر أو بالايان وفيها حث على الجهاد وترغب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة وأجاء لمن يمتنى لآخوانه مثل ما أنعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح ﴿يستبشرون﴾ كرهه للتاكيد ويلحق به ما هو بيان لقوله الأخوف ويجوز ان يكون الاول بحال أخوانهم وهذا بحال أنفسهم ﴿بنعمت من الله﴾ ثوابا لآعمالهم ﴿وفضل﴾ زيادة عليه كقوله سبحانه وتعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وتكبيرهما للتعظيم ﴿وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾ من جملة المستبشرين عطف على فضل * وقرأ الكسائي بالكسر على أنه استئناف معترض دال على ان ذلك أجر لهم على ايمانهم مشعربأن من لا ايمان له

فأخبرهم الله عز وجل أنى قد أنزلت على نبي محمد صلى الله عليه وسلم وأخبرته بحالكم وما عرتم اليه من الكرامة وان محمدا صلى الله عليه وسلم قد أخبر اخوانكم بذلك ففرحوا بذلك واستبشروا ﴿الأخوف عليهم﴾ يعنى في الآخرة ﴿ولا هم يحزنون﴾ يعنى على ما فاتهم من نعيم الدنيا ﴿يستبشرون بنعمة من الله وفضل﴾ لما بين الله تعالى أن الشهداء يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ذكر أنهم أيضا يستبشرون لانفسهم بما رزقوا من النعيم والفضل فالاستبشار الاول كان لغيرهم والاستبشار الثانى لانفسهم خاصة ﴿وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾ يعنى كما أنه تعالى لا يضيع أجر المجاهدين والشهداء كذلك لا يضيع أجر المؤمنين

فصل في فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله

(ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهادا في سبيلي وايمانى وتصديقا برسلى فهو على ضامن ان أدخله الجنة أو أرحمه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنمة ولدى نفس محمد بيده مامن كلم يكلم في سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته حين يكلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قدمت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا ولكن لأجد سعة فاحلهم ولا يحدون سعة ويشق عليهم ان يتحملوا عنى والذى نفس محمد بيده لو ددت أنى أغزو في سبيل الله

أعماله محبطة وأجوره مضية ﴿ الذين استجابوا لله والرسول ﴾

فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل لفظ مسلم (ق) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة في سبيل الله أروحة خير من الدنيا وما فيها (ق) عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها ﴿ عن فضالة بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يحتم على عمله الا المرابط في سبيل الله فانه يتمي له عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر أخرجه أبو داود والترمذي ﴿ عن معاذ بن جبل انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة ومن سأل الله القتل في سبيل الله صادقا من نفسه ثم مات أو قتل كان له أجر شهيد ومن جرح جرحا في سبيل الله أو نكب نكبة فانها تجي يوم القيامة كاجر ما كانت لونها لون الزعفران ويريحها ريح المسك ومن خرج به خراج في سبيل الله فان عليه طابع الشهداء أخرجه أبو داود والنسائي وأخرجه الترمذي مفرقا في موضعين (ق) عن أبي سعيد رضي الله عنه قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي الناس أفضل قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال رجل في شعب من الشعب يعبد الله وفي رواية يتقى الله ويدع الناس من شره (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا واحتسابا وتصديقا بوعده فان شعبه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات (ق) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أحد يدخل الجنة فيجيب أن يرجع الى الدنيا وله ما على الارض من شيء الا الشهيد يتمي أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفي رواية لما يرى من فضل الشهادة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغفر للشهيد كل ذنب الا الدين ﴿ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما يجحد الشهيد من مس القتل الا كما يجحد أحدكم من القرصة أخرجه الترمذي والنسائي نحوه ﴿ عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته أخرجه أبو داود ﴿ قوله عز وجل ﴿ الذين استجابوا لله والرسول ﴾ الآية قال أكثر المفسرين ان أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموها على انصرفهم وتلاوموا فقاتلوا لا محذاتكم ولا الكواعب أردقم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد أن يهرب العدو ويربهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان فانتدب غصابة منهم مع ما بهم من ألم الجراح والقرح الذي أصابهم يوم أحدونادي منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يخرجن معنا أحد الا من حضرنا بالامس فكلمه جابر بن عبد الله فقال يا رسول الله ان أبي كان =

بل يوفر عليهم (الذين استجابوا لله والرسول) مبتدأ خبره للذين أحسنوا أو صفة للمؤمنين أو نصب على المدح

الصغرى فقال (الذين استجابوا لله) اجابوا الله بالطاعة (والرسول) بالموافاة الى بدر الصغرى

خلفني على أخوات لي سبع وقال لي يا بني أنه لا ينبغي لي ولك ان تترك هؤلاء النسوة ولا رجل فيهن ولست بالذي أوثرك على نفسي بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على أخواتك فتخلفت عليهن فاذله رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرها للعدو وليعلمهم انه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطليحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة ابن الجراح وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان في سبعين رجلا من أصحابه حتى بلغوا حراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية أميال (ق) عن عائشة رضي الله عنها في قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم قالت لعروة يا ابن أخي كان أبوك منهم الزبير وأبو بكر لما أصاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب يوم أحد وانصرف المشركون خاف أن يرجعوا فقال من يذهب في أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا كان فيهم أبو بكر والزبير قال فر برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعي بمحراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بهامة صفتهم معه لا يخفون عنه شيئا كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولو ددنا أن الله كان قد أعفاك فيهم ثم خرج معبد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقي أباسفيان ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا على الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد أصبنا جل أصحابه وقادتهم لنكرن على بقيتهم ولنفرغن منهم فلما رأى أبوسفيان معبدا قال له ما وراءك يا معبد قال محمد خرج في أصحابه يطلبكم في جميع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم وفيهم من الخنق عليكم شيء لم أر مثله قط قال أبوسفيان ويلك ما تقول قال والله ما أراك ترحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد أجمنا الكفرة عليهم لنستأصل بقيتهم فقال والله اني أنهاك عن ذلك فوالله لقد جلني ما رأيت على ان تلت أبيانا قال وما قلت قال قلت

كادت تهدم من الاصوات راحتي * اذ سالت الارض بالجرد الا بابل
تردى بأسد كرام لا تنابلة * عند اللقاء ولا ميل معازيل
فقلت ويل ابن حرب من اتماشكمو * اذا تطفطت البطحاء بالخيل
اني نذير لاهل السبل ضاحية * لكل ذي اربة منهم ومعقول
من جيش أحد لا وحش يقابله * وليس بوصف ما نذرت بالقليل

قالوا فتني ذلك أباسفيان ومن معه ومرركب من عبد القيس فقال أين تريدون قالوا نريد المدينة لاجل الميرة قل فهل أنتم مبلغون عنا محمدا رسالة وأحل لكم آبالكم زيبيا بكاظ اذا وافيتوها قالوا نعم قال اذا وافيتوه فأخبروه ناقدأ جمنالسيراليه والى أصحابه لنستأصل بقيتهم وانصرف أبوسفيان الى مكة ومرركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمحراء الاسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من بعدما أصابهم القرع ﴿ عفة للمؤمنين أو نصب على المدح أو امتدأ خبره ﴾ للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ﴿ بجملة ومن للبيان والمتمصرون من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقيد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون * روى أن أباسفيان وأصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء فندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب أصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا أحدا من حضر يومنا بالامس فخرج عليه الصلاة والسلام

وأصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة بعد ثلاثة وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآية في غزوة بدر الصغرى وذلك أن أباسفيان يوم أحد حين أراد أن ينصرف قال يا محمد موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا وبينك ان شاء الله فلما كان العام المقبل خرج أبوسفيان في أهل مكة حتى نزل بمجنة من ناحية مر الظهران ثم أتى الله الرعب في قلبه فبداله الرجوع فلقى نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتبرا فقال له أبوسفيان يا نعيم أنى قد واعدت محمدا وأصحابه أن تلتقى بموسم بدر الصغرى وهذا عام جذب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب اللبن وقد بدا لى أن لا أخرج اليها وأكره أن يخرج محمدا ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جراءة ولان يكون الخلف من قبلهم أحب الى من أن يكون من قبلى فالحق بالمدينة فبسطهم وأعلمهم انا في جمع كثير لا طاقه لهم بناولك عندي عشرة من الابل أضمهالك على يد سهيل بن عمرو ويضمنها لك قال وجاء سهيل فقال له نعيم يا أبازيد أتضمن لى هذه القلائص وأنطلق الى محمدا فأبسطه قال نعم قال فخرج نعيم حتى أتى الى المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبى سفيان فقال نعيم أين تريدون قالوا واعدنا أباسفيان أن تلتقى بموسم بدر الصغرى فقال نعيم بئس الراى رأيتم أتوكم فى دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا الشريد أفتريدون أن تخرجوا اليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم والله لا يفلت منكم أحد فكره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده لا يخرجن ولو وحدى فاما الجبان فإنه رجيع وأما الشجاع فإنه تاهب للقتال وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه حتى وافوا بدر الصغرى وكانوا يلقون المشركين فيسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون بذلك أن يربحوا المسلمين فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا بدر الصغرى وكانت موضع سوق لهم فى الجاهلية يحجهمون اليها كل عام ثمانية أيام فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ينتظر أباسفيان وقد انصرف أبوسفيان من مجنة الى مكة فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أحد من المشركين ووافوا السوق وكان معهم تجارات ونفقات فباعوا فأصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين فاعين ذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول أى أجابوا الله وأطاعوه فى جميع أوامره وأطاعوا الرسول أيضا ﴿ من بعد ما أصابهم القرع ﴾ يعنى من بعد ما نالهم من ألم الجراح ﴿ للذين أحسنوا منهم واتقوا ﴾ يعنى أحسنوا بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجابوه الى النزو واتقوا معصيته والتخلف عنه ﴿ أجر عظيم ﴾ يعنى لهم

(من بعدما أصابهم القرع) الجرح روى أن أباسفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء فندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد أن يرهبهم ويرهبهم من نفسه وأصحابه قوة فندب النبي أصحابه للخروج فى طلب أبى سفيان فخرج يوم الاحد من المدينة مع سبعين رجلا حتى بلغوا جراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرع فالتى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فترت (الذين أحسنوا منهم واتقوا) من للتبيين ومثلها فى قوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم (أجر عظيم) فى

(من بعدما أصابهم القرع) الجرح يوم أحد (الذين أحسنوا) وافوا (منهم) مع النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر الصغرى (واتقوا) معصية الله ومخالفة الرسول (أجر عظيم) ثواب وافر فى الجنة ونزل فيهم

الآخرة (الذين قال لهم الناس) بدل من الذين استجابوا (أن الناس قد جمعوا لكم) روى أن أباسفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل فقال عليه السلام أن شاء الله فلما كان القابل خرج أبوسفيان في أهل مكة فألقى الله الرعب في قلبه فبداله أن يرجع فلقى ﴿٦٣١﴾ نعيم بن مسعود الأشجعي {الجزء الرابع} وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم

أني واعدت محمدا أن نلتقي بموسم بدر وقد بدلى ان أرجع فالحق بالمدينة فشبطهم ولك عندي عشرة من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم أنريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم فوالله لا يفلت منكم أحد فقال عليه السلام والله لا يخرج ولولم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبن الله ونعم الوكيل حتى وافوا بدرًا وأقاموا بها ثمان ليال وكانت معهم تجارة فباعوها وأصابوا خيرًا ثم انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين ولم يكن قتال ورجع أبوسفيان إلى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا إنما خرجتم لتأكلوا السويق فالناس الأول نعيم وهو جمع أريد به الواحد أو كان له أتباع يشبثون مثل تبيطه والثاني أبوسفيان وأصحابه (فاخشوهم) فخافوهم (فزادهم) أي المقول الذي هو أن الناس

مع جماعة حتى بلغوا حراء الاسدوهي على ثمانية أميال من المدينة وكان بأصحابه القرع قبحا ملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الاجر وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ﴿الذين قال لهم الناس﴾ يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس أو نعيم ابن مسعود الأشجعي وأطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان ركب الخيل وماله الافرس واحد أولانه انضم إليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ﴿أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾ يعني أباسفيان وأصحابه روى انه نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل أن شئت فقال عليه الصلاة والسلام أن شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج في أهل مكة حتى نزل عبر الظهر ان فأنزل الله الرعب في قلبه وبداله ان يرجع فربه ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حل بعير من زبيب ان شبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزمه عشرة من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم أنوكم في دياركم فليفلت منكم أحد الا شريد أفترون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لا يخرج مني معي أحد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبن الله ﴿فزادهم ايمانًا﴾ الضمير المستكين للمقول أو لصدور قال أو لفاعلة أن أريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى أنهم لم يلفقوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله سبحانه وتعالى وازداد ايمانهم وأظهروا حية الاسلام

ثواب جزيل وهو الجنة ﴿قوله عز وجل﴾ الذين قال لهم الناس ﴿هذه الآية متعلقة بالآية التي قبلها لان المراد بالذين من تقدم ذكره وهم الذين استجابوا لله والرسول وفي المراد بالناس وجوهه أحدها انه نعيم بن مسعود الأشجعي فيكون اللفظ عاما أريد به الخاص وانما جاز اطلاق لفظ الناس على الانسان الواحد لان ذلك الواحد اذا فعل فعلا أو قال قولاً ورضى به غيره حسن اضافة ذلك الفعل والقول إلى الجماعة وان كان الفاعل واحدا فهو كقوله تعالى واذقتهم نفسا والقاتل واحد * والوجه الثاني ان المراد بالناس الركب من عبد القيس قاله ابن عباس ومحمد بن اسحق * الوجه الثالث ان المراد بالناس المنافقون وذلك أنهم لما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم يتجهز لميعاد أبي سفيان نهوا أصحابه عن الخروج معه وقالوا لهم أن القوم قد أنوكم في دياركم فقتلوا الاكثر منكم فأن خرجتم اليهم لم يبق أحد منكم ﴿أن الناس﴾ يعني أباسفيان وأصحابه من رؤساء المشركين ﴿قد جمعوا لكم﴾ يعني الجموع الكثيرة لان العرب تسمى الجيش جما ويجمعونه جموعا ﴿فاخشوهم﴾ أي فخافوهم واحذرهم فإنه لاطافة لكم بهم ﴿فزادهم ايمانًا﴾ يعني فزاد المسلمين ذلك التخويف تصديقا وبقينا

قد جمعوا لكم فاخشوهم أو القول أو نعيم (أيمانًا)

أيضا (الذين قال لهم الناس) نعيم بن مسعود الأشجعي (أن الناس) أباسفيان وأصحابه (قد جمعوا لكم) باللطيمة واللطيمة سوق في قرب مكة (فاخشوهم) بالخروج اليهم (فزادهم ايمانًا) جراءة بالخروج

بصيرة وإيقانا (وقالوا حسبن الله) كافينا الله أى الذى يكفينا الله يقال احسبه الشئ اذا كفاه وهو بمعنى المحسب بدليل أنك تقول هذا رجل { الجزء الرابع } حسبك فنصف به ﴿ ٦٣٢ ﴾ الذكر لان اضافته غير حقيقية

لكونه فى معنى اسم الفاعل (ونعم الوكيل) ونعم الموكل اليه هو) فانقلبوا بنعمت من الله) وهى السلامة وحذر العدو منهم (وفضل) وهو الرمح فى التجارة فاصابوا بالدرهم درهمين (لم يمسهم سوء) لم يلقوا ما بسوءهم من كيد عدو وهو حال من الضمير فى انقلبوا وكذا بنعمة والتقدير فرجعوا من بدر منمين برئين من سوء (واتبعوا رضوان الله) بجرأتهم وخروجهم الى وجه العدو على اُرْتِيظُهُ وهو معطوف على انقلبوا (والله ذو فضل عظيم) قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا (أما ذلكم الشيطان) هو خبر ذلكم أى انما ذلكم المنبسط هو الشيطان وهو

وأخلصوا النية عنده وهو دليل على أن الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رضى الله عنهما قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهران جعل الطاعة من جهة الايمان وكذا أن لم تجمل فإن اليقين يزداد بالالف وكثير التأمل وتناصر الحجاج ﴿ وقالوا احسبن الله ﴾ محسبنا وكافينا من أحسبه اذا كفاه وبدل على أنه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفاً فى قولك هذا رجل حسبك ﴿ ونعم الوكيل ﴾ ونعم الموكل اليه هو ﴿ فانقلبوا ﴾ فرجعوا من بدر ﴿ بنعمت من الله ﴾ عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه ﴿ وفصل ﴾ رمح فى التجارة فانهم لما نوابدوا ونوا بهما سوقا تجروا وربحوا ﴿ لم يمسهم سوء ﴾ من جراحة وكيد عدو ﴿ واتبعوا رضوان الله ﴾ الذى هو مناط الفوز بخير الدارين بجرأتهم وخروجهم ﴿ والله ذو فضل عظيم ﴾ قد تفضل عليهم بالتثيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب فى الدين واظهار الجرأة على العدو وبالحفظ عن كل ما بسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة من الله تعالى وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به ﴿ أما ذلكم الشيطان ﴾ يريد به المنبسط نعما

وقوة فى دينهم وثبوتاً على نصر نبيهم صلى الله عليه وسلم وفى هذه الآية دليل لمن يقول بزيادة الايمان ونقصانه لان الله تعالى نص على وقوع الزيادة فى الايمان ﴿ وقالوا احسبن الله ونعم الوكيل ﴾ أى كافينا الله هو الذى يكفينا أمرهم فهو كقول امرئ القيس وحسبك من غنى شبع ورى أى يكفيك الشبع والرى ونعم الوكيل يعنى ونعم الموكل اليه فى الامور كلها وقيل الوكيل هو الكافى والمعنى يكفينا الله ونعم الكافى هو وقيل الوكيل هو الكفيل ووكيل الرجل فى ماله هو الذى كفله وقام به والوكيل فى صفة الله تعالى هو الكفيل بأرزاق العباد ومصالحهم وانه الذى يستقل بأمرهم كلها (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال فى قوله تعالى أن الناس قد جعوا لكم ﴿ قوله عز وجل ﴾ فانقلبوا ﴿ أى فانصرفوا ورجعوا بعد خروجهم والمعنى وخرجوا فانقلبوا وحذف الخروج لان الانقلاب يدل عليه ﴿ بنعمت من الله ﴾ أى بعافية لم يلقوا عدوا ﴿ وفصل ﴾ أى تجارة ورمح وهو ما أصابوا فى سوق بدر من الرمح وقيل النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الآخرة ﴿ لم يمسهم سوء ﴾ أى لم يصبهم أذى ولا مكروه من قتل وجراح ﴿ واتبعوا رضوان الله ﴾ يعنى فى طاعة الله وطاعة رسوله وقيل انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضى عنهم بمجرد خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ والله ذو فضل عظيم ﴾ يعنى انه تعالى تفضل عليهم بالتوفيق لما فعلوا وقيل تفضل عليهم بالقضاء الرعب فى قلوب المشركين حتى رجعوا ﴿ قوله عز وجل ﴾ أما ذلكم الشيطان

اليمم (وقالوا احسبن الله) ثقتنا بالله (ونعم الوكيل) الكفيل بالنصرة (فانقلبوا) رجعوا (بنعمت من الله) بثواب من الله (وفضل) رمح مما تسوقوا به من السوق ويقال غزيمة (لم يمسهم سوء) لم يصبهم فى الذهاب والجمي (سوء) قتال وهزيمة (واتبعوا رضوان الله)

فى الموافاة مع النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر الصغرى (والله ذو فضل) ذومن (عظيم) (يخوف) بدفع العدو عنهم (أما ذلكم الشيطان) الذى خوفكم الشيطان يعنى نعيم بن مسعود سماه الله شيطانا لانه كان تابعا للشيطان

نعيم (يخوف أوليائه) أى المنافقين وهو جملة مستأنفة بيان لشيطنته أو الشيطان صفة لاسم الإشارة ويخوف الخبر
(فلا تخافوهم) أى أوليائه (وخافون ﴿ ٦٣٣ ﴾ أن كنتم مؤمنين) {سورة آل عمران} لان الايمان يقتضى

أن يؤثر العبد خوف الله
على خوف غيره وخافونى
فى الوصل والوقف سهل
ويقبوب واقفهما أبو عمرو
فى الوصل (ولا يحزنك)
يحزنك فى كل القرآن نافع
الا فى سورة الانبياء
لا يحزنهم الفزع الاكبر
(الذين يسارعون فى الكفر)
بمعنى لا يحزنوك لخوف
أن يضروك الأتري الى
قوله (أنهم لن يضروا الله
شيئاً) أى أوليائه الله يعنى
انهم لا يضرون بمسارعهم
فى الكفر غير أنفسهم وما
وبال ذلك عائداً على غيرهم
ثم بين كيف يعود وباله
عليهم بقوله (يريد الله أن
لا يجعل لهم حظاً فى الآخرة)
أى نصيباً من الثواب

ولو سوسته (يخوف أوليائه)
يقول يخوفكم بأوليائه
الكفار (فلا تخافوهم)
بالخروج (وخافون)
بالجلوس (أن كنتم مؤمنين)
اذ كنتم مصدقين باحيائه
ثم ذكر مسارعة المنافقين
فى الولاية مع اليهود فقال
(ولا يحزنك) يا محمد ولا
يعمك (الذين يسارعون)
يسادرون (فى الكفر) أى

أو أباسفيان والشيطان خبر ذلك وما بعده بيان لشيطنته أو صفته وما بعده خبره ويجوز أن
تكون الإشارة الى قوله على تقدير مضاف أى انما ذلكم قول الشيطان يعنى أبلّيس عليه اللعنة
﴿ يخوف أوليائه ﴾ القاعدين عن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم أو يخوفكم
أوليائه الذين هم أبوسفيان وأصحابه ﴿ فلا تخافوهم ﴾ الضمير للناس الثانى على الاول والى
الاولياء على الثانى ﴿ وخافون ﴾ فى مخالفة أمرى لجاهدوا مع رسولى ﴿ أن كنتم مؤمنين ﴾
فأن الايمان يقتضى أثار خوف الله تعالى على خوف الناس ﴿ ولا يحزنك الذين يسارعون
فى الكفر ﴾ يقومون فيه سريعاً حرصاً عليه وهم المنافقون من المخلفين أو قوم ارتدوا
عن الاسلام والمعنى ولا يحزنك خوف أن يضروك ويعينوا عليك لقوله ﴿ أنهم لن
يضروا الله شيئاً ﴾ أى لن يضروا أولياء الله شيئاً بمسارعهم فى الكفر وانما يضرون بها
أنفسهم شيئاً محتمل المفعول والمصدر • وقرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاء
حيث وقع ما خلا قوله فى الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه فتح الياء وضم الزاء
فيه والباقون كذلك فى الكل ﴿ يريد الله ألا يجعل لهم حظاً فى الآخرة ﴾ نصيباً من
الثواب فى الآخرة وهو يدل على تمام طغيانهم وموتهم على الكفر وفى ذكر الارادة اشعار
بأن كفرهم بلغ الغاية حتى أراد أرحم الراحمين أن لا يكون لهم حظ من رحمة وأن

يخوف أوليائه ﴾ يعنى انما ذلكم المخوف والمثبط هو الشيطان يخوف بالوسوسة
بان أتى ذلك فى أفواههم ليرهبوا المؤمنين ويخوفوهم ويحبذوهم • وقوله أوليائه يعنى الشيطان
يخوفكم يا معشر المؤمنين بأوليائه وقيل معناه يعظم أوليائه فى صدوركم لتخافوهم وقيل معناه
يخوف أوليائه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين وأوليائه الشيطان هم الكفار والمنافقون
الذين يطيعونه ويؤثرون أمره وأوليائه الله هم المؤمنون الذين لا يخافون الشيطان اذا خوفهم
ولا يطيعونه اذا أمرهم ﴿ فلا تخافوهم ﴾ يعنى فلا تخافوا أولياء الشيطان ولا تقعدوا عن قتالهم
ولا تجبنوا عنهم ﴿ وخافون ﴾ أى لجاهدوا فى سبيلى مع رسولى فأنى وليكم وناصركم ﴿ أن
كنتم مؤمنين ﴾ أى مصدقين بوعدى أنى متكفل لكم بالنصر والظفر • قوله عز وجل
﴿ ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر ﴾ قيل هم كفار قريش وقيل هم المنافقون
ورؤساء اليهود وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى ولا يحزنك يا محمد من يسارع
فى الكفر ويجمع الجوع لمحاربتك فان هذا المقصود لا يحصل لهم وقيل مسارعهم فى الكفر
مظاهرتهم الكفار على النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى يسارعون فى نصره الكفر فلا يحزنك
فعالهم فانك منصور عليهم ﴿ أنهم لن يضروا الله شيئاً ﴾ يعنى بمسارعهم فى الكفر انما
يضرون أنفسهم بذلك وقيل معناه لن يضروا أولياء الله شيئاً ﴿ يريد الله ألا يجعل
لهم حظاً فى الآخرة ﴾ يعنى لا يجعل لهم نصيباً فى ثواب الآخرة فذلك خذلهم حتى
سارعوا فى الكفر وفى الآية دليل على أن الخير والشر بارادة الله تعالى وفيه رد على

مسارعة المنافقين فى الولاية مع اليهود (أنهم) (قا وخا ٨٠ ل) لن يضروا الله (لن يتقصوا الله بمسارعهم فى الولاية
مع اليهود) شيئاً يريد الله (اراد الله (أن لا يجعل لهم) لليهود والمنافقين (حظاً) نصيباً (فى الآخرة) فى الجنة

(ولهم) بدل الثواب (عذاب عظيم) وذلك أبلغ ما ضرب به الانسان نفسه والآية تدل على ارادة الكفر والمعاصي لان ارادته ان لا يكون لهم ثواب في الآخرة لانكون بدون ارادة كفرهم ومعاصيهم (أن الذين اشتروا الكفر بالايمان) أى استبدلوا ماله (لن يضروا الله شيئاً) هونصب على المصدر أى شيئاً من الضرر الآية الاولى فيمن نافق من المتخفين او ارتد عن الاسلام والثانية في جميع الكفار أو على العكس (ولهم عذاب أليم ولايحسبن) وثلاثة بعدها مع ضم الباء في يحسبنم بالياء مكى وأبو عمرو وكلها بالياء جزء { الجزء الرابع } وكلها بالياء مدنى ﴿٦٣٤﴾ وشامى الافلا يحسبنم ناهما بالياء الباؤون الاوليان

مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الآخرة ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ مع الحرمان عن الثواب ﴿أن الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئاً﴾ ولهم عذاب أليم ﴿تكرير للتأكيد أو تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخفين أو ارتد من العرب﴾ ولايحسبن الذين كفروا أو آمنوا على أنفسهم ﴿خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل من يحسب والذين مفعول وآمنوا على لهم بدل منه وآمنوا اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو المفعول الثانى على تقدير مضاف مثل ولايحسبن الذين كفروا أصحاب أن الاملاء خير لانفسهم أو ولايحسبن حال الذين كفروا أن الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها أن تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبعه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائى ويعقوب بالياء على أن الذين فاعل وأن مع ما في حيزه مفعول وقع سينه في جميع القرآن ابن عاصم وحزرة وعاصم والاملاء الامهال وأطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من أملى لفرسه اذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء ﴿آمنوا على لهم ليزدادوا آئناً﴾ استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند

انقدرية والمتمثلة ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ يعنى في الآخرة ﴿أن الذين اشتروا الكفر بالايمان﴾ يعنى المنافقين آمنوا ثم كفروا والمعنى انهم استبدلوا الكفر بالايمان فكانهم أعطوا الايمان وأخذوا الكفر كما فعل المشتري من اعطاء شئ وأخذ غيره بدلا عنه ﴿لن يضروا الله شيئاً﴾ يعنى باستبدالهم الكفر بالايمان وانما ضروا أنفسهم بذلك ﴿ولهم عذاب أليم﴾ يعنى في الآخرة ﴿قوله عز وجل﴾ ولايحسبن الذين كفروا ﴿مقرئ يحسبن بالياء والياء فن قرأ بالياء فنسأه ولايحسبن يا محمد املاءنا لكفار خير لانفسهم ومن قرأ بالياء قال معناه ولايحسبن الكفار املاءنا لهم خير انزلت في مشركى مكة وقيل نزلت في يهود مبي قريظة النصر ﴿آمنوا على لهم﴾ الاملاء الامهال والتأخير وأصله من الملوءة وهى المدة من الزمان والمعنى ولايظن الذين كفروا أن أمهالنا أيهم بطول العمر والانساء في الاجل ﴿خير لانفسهم﴾ ثم قال تعالى ﴿آمنوا نعلى لهم ليزدادوا آئناً﴾ يعنى انما نعملهم ونؤخر في أجالهم ليزدادوا آئناً

بالياء والاخرين بالياء (الذين كفروا) فيمن قرأ بالياء رفع أى ولايحسبن الكافرون وان مع اسمه وخبره في قوله (آمنوا على لهم خير لانفسهم) في موضع المفعولين ليحسبن والتقدير ولايحسبن الذين كفروا والاملاءنا خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا يخالف وفيمن قرأ بالياء نصب أى ولايحسبن الكافرين وانما على لهم خير لانفسهم بدل من الكافرين أى ولايحسبن ان ما على للكافرين خير لهم وان مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين والاملاء لهم امهالهم واطالة عمرهم (آمنوا نعلى لهم ليزدادوا آئناً) ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستأنفة

(ولهم)

تعليل للجملة قبلها كأنه قيل ما بالهم لا يحسبون

(ولهم عذاب عظيم) شديد أشد ما يكون (أن الذين اشتروا الكفر بالايمان) اختاروا الكفر على الايمان هم المنافقون (لن يضروا الله) لن ينتصوا الله باختيارهم الكفر (شيأ ولهم عذاب أليم) وجميع يخلص وجهه الى قلوبهم ثم ذكر أمهالهم في الكفر فقال (ولايحسبن الذين كفروا) لا يظن اليهود (آمنوا على لهم) نعملهم ونعطيم من الاموال والاولاد (خير لانفسهم آمنوا على لهم) ونعطيم من الاموال والاولاد (يزدادوا آئناً) ذنبا في الدنيا ودركات في الآخرة

في مسئلتى الاصلح و ارادة
المعاصى (ولهم عذاب مهين)
واللام في (ما كان الله
ليذر المؤمنين على ما أنتم
عليه) من اختلاط المؤمنين
الخلص والمنافقين لتأكيد
النفي (حتى يميز الخبيث من
الطيب) حتى يعزل المنافق
عن المخلص بجزءة وعلى
والخطاب في أنتم للمصدقين
من أهل الاخلاص والنفاق
كانه قيل ما كان الله ليذر
المخلصين منكم على الحال
التي أنتم عليها من اختلاط
بعضكم ببعض حتى يميزهم
مكم بالوحي الى نبيه

(ولهم عذاب مهين)
يهانون به يوم ما فيوم ساعة
بعد ساعة ويقال شديد
ويقال نزلت من قوله ولا
يحزنك الى ههنا في مشركي
أهل مكة يوم أحد ثم ذكر
مقالة المشركين لمحمد أنت
تقول لنا منكم كافر ومنكم
مؤمن فبين لنا يا محمد من
يؤمن منا ومن لا يؤمن
فقال الله (ما كان الله
ليذر المؤمنين) والكافرين
(على ما أنتم عليه) من الدين
حتى يصير المؤمن كافرا
والكافر مؤمناً كان في
قضائه كذلك (حتى
يميز الخبيث من الطيب)

المعتزلة لام العاقبة وقرى انما بالفتح هنا وبكسر الاولى ولا يحسن بالياء على معنى ولا يحسن
الذين كفروا أن أملاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما على لهم
خير اعتراض معناه أن أملاءنا لهم خير لهم ان تذهبوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم
عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو أى ليزدادوا انما معدالم عذاب
مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب
لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم
حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه بأحوالكم أو بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر
عليها ولا يدعن لها الا المخلص المخلصون منكم كذلك الاموال والانس في سبيل الله ليختبر النبي به
بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وقرأ جزءة والكسائي حتى يميزها وفي الانفال بضم
ولهم عذاب مهين يعني في الآخرة روى البغوي بسنده عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن
أبيه رضى الله عنهما قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس خير قال من طال
عمره وحين علمه قيل فأى الناس شر قال من طال عمره وساء علمه وروى ابن جرير
الطبري بسنده عن الأسود قال قال عبد الله ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير
لها وقرأ ولا تحسبن الذين كفروا أنما على لهم خيرا لانفسهم انما على لهم ليزدادوا انما وقرأ
نزلنا من عند الله وما عند الله خير الا برار قال ابن الانباري قال جماعة من أهل العلم انزل الله
عز وجل هذه الآية في قوم يعاندون الحق سبق في علمه أنهم لا يؤمنون فقال انما
تملى لهم ليزدادوا انما بعاندتهم الحق وخلافهم الرسول وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا رأيت الله يعطى على المعاصى فان ذلك استدراج من الله لخلقهم ثم تلا هذه
الآية وقال الزجاج هؤلاء قوم أعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم لا يؤمنون أبدا وان
نفاقهم يزيدهم كفرا وانما وهذه الآية حجة ظاهرة على القدرية حيث أخبر الله تعالى
انه يطيل أعمار قوم ويمهلهم ليزدادوا كفرا وانما وغيا قوله عز وجل ما كان
الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب اختلاف العلماء في
سبب نزول هذه الآية فقال الكلبي قالت قريش يا محمد تزعم ان من خالفك فهو
في النار والله عليه غضبان وأن من أطاعك وتبعك على دينك فهو في الجنة والله عنه راض
فأخبرنا عن يؤمن بك وعن لا يؤمن بك فانزل الله تعالى هذه الآية وقال السدي قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على أمتي في صورها في الطين كما عرضت على آدم وأعلمت
من يؤمن بي ومن يكفر بي فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد انه يعلم من يؤمن
به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقام على المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام طعنوا في علي
لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة الا نبأناكم به فقام عبدالله بن حذافة السهمي
فقال من أبى يا رسول الله فقال حذافة فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا بالله ربا
وبالاسلام ديننا وبالقرآن اماما وبك نبيا فاعف عنا عفالة عنك فقال النبي صلى الله عليه

واخباره بأحوالكم (وما

كان الله ليطلعكم على الغيب)

وما كان الله ليؤتي أحدا

منكم علم الغيوب فلاتوهموا

عند اخبار الرسول بتفاق

الرجل واخلاص الآخر

انه يطلع على ما في القلوب

اطلاع الله فيخبر عن كفرها

وايمانها (ولكن الله يجتبي

من رسله من يشاء) أى

ولكن الله يرسل الرسول

فيوحى اليه ويخبره بان

في الغيب كذا وان فلانا

في قلبه التفاق وفلانا في

قلبه الاخلاص فيعلم ذلك

من جهة اخبار الله لامن

جهة نفسه والآية حجة

على الباطنية فانهم يدعون

ذلك العلم لامامهم فان لم

يثبتوا النبوة له صاروا

مخالفين للنص حيث أثبتوا

علم الغيب لغير الرسول

وان أثبتوا النبوة له صاروا

مخالفين لنص آخر وهو

قوله وخاتم النبيين (فآمنوا

بالله ورسله) بصفة

من المخلص (وما كان الله

ليطلعكم) يأهل مكة (على

الغيب) على ذلك حتى

تعلموا من يؤمن ومن

لا يؤمن (ولكن الله يجتبي)

يصطفى (من رسله من يشاء)

يعنى محمدا فيطلعه على

الياء وفتح الميم وكسر الياء وتشديد هاو الباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء وما كان
الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي أحدا علم
الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسائله من يشاء فيوحى اليه
ويخبره ببعض المغيبات أو ينصب له ما يدل عليها ﴿فآمنوا بالله ورسله﴾ بصفة الاخلاص
أو بأن تعلموا الله وحده مطلقا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبيين لا يعلمون الا ما علمهم الله سبحانه
وتعالى ولا يقولون الا ما أوحى اليهم روى أن الكفرة قالوا أن كان محمدا صادقا فيخبرنا عن يؤمن
منا ومن يكفر فنزلت وعن السدى أنه عليه الصلاة والسلام قال عرضت على أمي وأعلمت من

وسلم فهل أنتم منتهون فهل أنتم منتهون ثم نزل عن المنبر فانزل الله هذه الآية وقيل
ان المؤمنين سألوا أن يعطوا آية يفرقون بها بين المؤمن والكافر فنزلت هذه الآية
وقيل ان قوما من المنافقين ادعوا أن ايمانهم كايان المؤمنين فأظهر الله نفاقهم يوم
أحد وأنزل هذه الآية واختلفوا في معنى الآية وحكمها فقال ابن عباس رضى الله
عنهما وأكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين والمعنى ما كان الله ليذر المؤمنين
على ما أنتم عليه يامعشر الكفار والمنافقين من الكفر والتفاق حتى يميز الخبيث من الطيب
وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما كان الله ليذركم يامعشر المؤمنين على ما أنتم عليه
من اختلاط المؤمن بالمنافق والتباس بعضهم ببعض حتى يميز الخبيث من الطيب يعنى
المنافق من المؤمن الخلاص فيز الله المؤمنين من المنافقين يوم أحد فأظهر المنافقون
التفاق وتخافوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انما حصل التمييز يوم أحد
بالقاء الجميع في الخوف والقتل والهزيمة فن كان مؤمنا ثبت على ايمانه وتصديقه
ولم يتزلزل ومن كان منافقا أظهر نفاقه وكفره وقيل في معنى الآية حتى يميز المؤمن
من المنافق والكافر بالجهاد والهجرة وقيل في معنى الآية ما كان الله ليذر المؤمنين في
أصلاب الرجال المشركين وأرحام النساء المشركات والمعنى ما كان الله ليذركم الذي
جرى لهم الحكم بالايمان على ما أنتم عليه من الشرك حتى يميز الخبيث من الطيب يعنى يفرق
بينكم وبين من في اصلابكم وأرحام نسائكم من المؤمنين فيحكم لاهل الايمان بالجنة
ولا لاهل الشرك والكفر والتفاق بالنار ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ الخطاب
في قوله ليطلعكم لكفار قريش الذين قالوا يا محمد أخبرنا عن يؤمن بك ومن لا يؤمن
والمعنى وما كان الله ليسين لكم أيها الكفار المؤمن من الكافر فيقول فلان يؤمن وفلان كافر
أو منافق لانه لا يعلم الغيب أحد غيره وان سنته الله جارية انه لا يطلع على غيبه آحاد الناس
فلا سبيل الى معرفة المؤمن من الكافر والمنافق الا بالامتحان بالآفات والمصائب
فيتميز المؤمن المخلص بثباته على ايمانه ويتزلزل المنافق عند المحن والبلايا وقيل
في معنى الآية وما كان الله ليطلع محمدا على الغيب فيخبركم بالمؤمن من الكافر
﴿ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء﴾ يعنى ولكن الله يصطفى ويختار من رسله من
يشاء فيطلعه على ما يشاء من غيبه ﴿فآمنوا بالله ورسله﴾ يعنى أنه لما قامت الدلائل
على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا الايمان بالله ورسوله محمد صلى الله

الاخلاص (وأن تؤمنوا وتتقوا) النفاق (فلنكم أجر عظيم) في الآخرة ونزل في ماني الزكاة (ولا تحسبن الذين
يخجلون بما آتاهم الله من فضله هو ﴿ ٦٣٧ ﴾ خير لهم) من قرأ بالثناء قدر { سورة آل عمران } مضافا محذوف أي ولا تحسبن

بخجل الباخلين وهو فصل
وخير لهم مفعول ثان وكذا
من قرأ بالياء وجعل فاعل
يحسبن ضمير رسول الله
أو ضمير أحد ومن جعل
فاعله الذين يخجلون كان
التقدير ولا يحسبن الذين
يخجلون بخجلهم خير لهم
وهو فصل وخير لهم
مفعول ثان (بل هو) أي
البخجل (شر لهم) لأن أموالهم
سترول عنهم ويبقى عليهم
وبال البخجل (سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيمة)
تفسير لقوله بل هو شر لهم
أي سيجمل مالهم الذي
منعوه عن الحق طوقا

والكتب (وأن تؤمنوا)
بأنه وبجملة الكتب والرسول
(وتتقوا) الكفر والشرك
(فلنكم أجر عظيم) ثواب
وافر في الجنة ثم ذكر بخجلهم
يعني اليهود والمنافقين
بما أعطاهم الله فقال
(ولا تحسبن) لا تظن
(الذين يخجلون بما آتاهم الله)
أعطاهم الله (من فضله)
من المال (هو خير لهم بل
هو شر لهم سيطوقون)
سيجمل (ما بخلوا به) من المال
يعني الذهب والفضة
طوقا من النار في عنتهم (يوم القيمة)

يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون أنه يزعم أنه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا
فنزات ﴿ وأن تؤمنوا ﴾ حق الايمان ﴿ وتتقوا ﴾ النفاق ﴿ فلنكم أجر عظيم ﴾ لا يقدر
قدره ﴿ ولا تحسبن الذين يخجلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم ﴾ القراءات فيه
ما سبق ومن قرأ بالثناء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه أي ولا تحسبن بخجل الذين يخجلون
هو خير لهم وكذا من قرأ بالياء أن جعل الفاعل ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم أو من
يحسب وأن جعله الموصول كان المفعول الاول محذوف للدلالة بخجلون عليه أي ولا يحسبن
البخلاء بخجلهم هو خير لهم ﴿ بل هو ﴾ أي البخجل ﴿ شر لهم ﴾ لاستجلاب العقاب
عليهم ﴿ سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ﴾ بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال
ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه الصلاة والسلام ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله

عليه وسلم وإنما قال ورسله على الجمع ولم يقل ورسوله على التوحيد لقوله ولكن الله
يحتج من رسله من يشاء ولانه اذا أقر بجميع الرسل كان مقرا بأحدهم وهذه صفة
المؤمنين لانهم آمنوا بجميع الرسل ﴿ وأن تؤمنوا وتتقوا ﴾ يعني وان تصدقوا من
اجتبيته برسالي وأطلعته على ما أشاء من غيبي وأعلمته بالمنافق منكم والمؤمن الخاص
وتتقوا ربكم فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿ فلنكم أجر عظيم ﴾ يعني فلنكم بإيمانكم
واتقائكم ثواب جزيل وهو الجنة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولا يحسبن الذين يخجلون بما
آتاهم الله من فضله هو خير لهم ﴿ يعني ولا يحسبن الذين يخجلون البخجل خير لهم
﴿ بل هو ﴾ يعني البخجل ﴿ شر لهم ﴾ والبخجل هو امساك المقتنيات عما لا يستحق حبسها
عنه والبخيل هو الذي يكثر منه البخجل والآية دالة على ذم البخجل ﴿ عن عبدالله بن عمر
رضي الله عنهما قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اياكم والشع فاما هلك
من كان قبلكم بالشع أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالفجور ففجروا أخرج جده أبو داود
﴿ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان
لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقال عبدالله بن مسعود وأبو هريرة وابن
عباس رضي الله عنهم في رواية أبي صالح عنه والشعبي ومجاهد نزلت هذه الآية في الذين
يخجلون أن يؤدوا زكاة أموالهم ووجه هذا القول ان أكثر العلماء ذهبوا الى أن البخل
عبارة عن منع الواجب وان منع التطوع لا يكون بخيلا ويبدل عليه الوعيد الشديد
في سياق الآية وهو قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به وهذا لا يكون الا ترك الواجب
لا في التطوع وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطية عنه وابن جريح عن مجاهد
انها نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وهذا
القول هو اختيار الزجاج ووجه هذا القول ان البخل عبارة عن منع الخير والنعمة ويدخل
فيه العلم كما يقال بخل فلان بعلمه وصحح الطبري القول الاول واختاره ﴿ وقوله
﴿ سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ﴾ أي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق

الا جعل الله له شجاءا في عنقه يوم القيامة ﴿ ولله ميراث السموات والارض ﴾ وله ما فيهما مما توارث فالهؤلاء يبخلون عليه بما له ولا ينفقونه في سبيله أو أنه يرث منهم ما يسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة

فان حلنا معنى الآية على منع الزكاة والبخل بها فقد قال ابن مسعود وابن عباس يحمل ما منعه من الزكاة حية تطوق في عنقه يوم القيامة تنهشه من فرقه الى قدمه ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آناه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاع أقرع له زبيتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شديقه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا ولا تحسبن الذين يبخلون بما آناه الله الآية أخرجه البخارى قوله زبيتان قيل هما النكتتان السوداوان فوق عيني الحية وقيل هما نقطتان يكتفان فاهما وقيل هما زبيتان في شديقيها وقد جاء في الحديث تفسير لهزمتيه بانهما شداها وقيل انهما مضغان في أصل الحنك وقيل هما منحنى اللحين أسفل من الاذنين وكله متقارب (ق) عن أبي ذر رضى الله عنه قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآنى قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فحجث حتى جلست فلم أتقار ان قت فقلت يا رسول الله فذاك أبى وامى من هم قال هم الاكثرون أموالا الامن قال هكذا وهكذا ومن يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقيل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكاتها الا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه باظلالها كلما نعدت اخرها عادت عليه أو لاها حتى يقضى بين الناس لفظ مسلم وفرقه البخارى بمعناه في موضعين وقيل في معنى الآية انه يحمل في أعناقهم أطواق من النار وقيل يكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به من أموالهم في الدنيا وان حلنا تفسير البخل على البخل بالعالم وكتمانها فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما في قوله سيطو قون ما بخلوا به يوم القيامة أى يحملون وزره وانهم فيكون على طريق التمثيل كما يقال قلديك هذا الامر وحملته في عنقك وقيل يحمل في رقابهم طوق من نار ويدل عليه ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه ألجم بلجام من نار أخرجه الزمذى وفي رواية أبى داود من سئل عن علم فكتمه ألجم الله بلجام من نار يوم القيامة قيل في معنى الحديث انهم لما سئلوا عن العلم فكتموه ولم ينطقوا به بالسنة ولم يخرجوه من أفواههم عوضوا عن ذلك بلجام من نار في أفواههم عقوبة لهم والله أعلم ﴿ قوله عن وجل ﴾ ولله ميراث السموات والارض ﴿ يعنى انه سبحانه وتعالى الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم فيموتون وتبقى أملاكهم فيرثها سبحانه والمقصود من الآية انه يبطل ملك جميع المالكين ويبقى الملك لله تعالى وقيل في معنى الآية وله ما فيهما مما توارثه أهلها من مال وعلم وغير ذلك فالهؤلاء البخلاء يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله

في أعناقهم كما جاء في الحديث من منع زكاة ماله يصير حية ذكرا أقرع له نابان فيطوق في عنقه فينهشه ويدفعه الى النار (ولله ميراث السموات والارض) وله ما فيهما مما يتوارثه أهلها من مال وغيره فالهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيل الله والاصل في ميراث موارث قفلت الواو ياء

ولله ميراث السموات والارض خزائن السموات المطر والارض النبات ويقال يموت أهل السموات والارض ويبقى الملك لله

بما تعلمون خير) وبالياء
مكى وأبو عمرو فالتاء على
طريقة الالتفات وهو
أبلغ في الوعيد والياء على
الظاهر (لقد سمع الله قول
الذين قالوا أن الله فقير
ونحن أغنياء) قال ذلك
اليهود حين سمعوا قوله

تعالى من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا وقالوا
أن الله محمد يستقرض منا
فحين إذا أغنياء وهو فقير
ومعنى سماع الله له أنه لم
يخف عليه وأنه أعد له
كفأه من العتاب (سكتب
ما قالوا) س أمر الحفظه
بكتابة ما قالوا في الصحائف
أو نسخه فلهذا الكتاب
من الخلق ليحفظ ما فيه
فسمى به مجازا أو ما مصدرية

الواحد القهار (والله بما
تعملون) من الخجل والسخاء
(خير) ثم ذكر مقالة
اليهود فمخاص بن عازوراء
وأصحابه حين قالوا يا محمد
أن الله فقير يطلب منا القرض
فقال (لقد سمع الله قول
الذين قالوا) يعني فمخاص
ابن عازوراء وأصحابه (أن الله
فقير) محتاج بطلب منا القرض
(ونحن أغنياء) ولا نحتاج
الى قرضه (سكتب ما قالوا)
سحفظ عليهم ما قالوا

والله بما يعملون من المنع والاعطاء خير فيجازيكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
وهزرة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو أبلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا
أن الله فقير ونحن أغنياء قالته اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروى أنه
عليه الصلاة والسلام كتب مع أبي بكر رضى الله تعالى عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم
الى الاسلام وأقام الصلاة وأيتاه الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فمخاص بن
عازوراء أن الله فقير حتى سأل القرض فلطمه أبو بكر رضى الله تعالى عنه على وجهه وقال
اولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعد
ماقاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وأنه أعد لهم العتاب عليه سكتب ما قالوا

والله بما يعملون خير قرى يعملون بالياء على الغيبة على طريقة الالتفات وهى أبلغ
في الوعيد والمعنى والله بما يعملون يعنى الخلاء من منعهم الحقوق خير فيجازيهم عليه وقرى
بالتاء على خطاب الحاضرين قوله عز وجل لقد سمع الله قول الذين قالوا أن الله
فقير ونحن أغنياء قال الحسن وقتادة لما نزلت هذه الآية من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء وذكر الحسن ان القائل
هذه المقالة هو حي بن أخطب وقد عكرمة والسدى ومقاتل ومحمد بن اسحق كتب
النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر الصديق رضى الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم
الى الاسلام والى اقامة الصلاة وابتاه الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل
أبو بكر ذات يوم بيت مدراسهم فوجدنا كثيرا قد اجتمعوا على فمخاص بن عازوراء
وكان من علمائهم ومعه حبر آخر يقال اسبيع فقال أبو بكر لفمخاص اتق الله وأسلم
فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه
مكتوبا عندكم في التوراة ما من وصدق واقرض الله قرضا حسنا يدلك الجمة ويضاعف
لك الثواب فقال فمخاص يا أبابكر تزعم ان ربنا يستقرض أموالنا وما يستقرض الا الفقير
من الغنى فان كان ما تقول حقا فان الله اذا فقير ونحن أغنياء فغضب أبو بكر وضرب وجه
فمخاص ضربة شديدة وقال والذي نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبينكم لضربت عنقك
يا عدو الله فذهب فمخاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر ما صنع
بى صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما حملك على ما صنعت فقال
يا رسول الله ان هذا عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم أغنياء فغضبت لله
وضربت وجهه فمحمد ذلك فمخاص فانزل الله تصديقا لابي بكر وتكذيبا لفمخاص
وردا عليه لقد سمع الله قول الذين قالوا أن الله فقير ونحن أغنياء وهذه المقالة وان كانت
قد صدرت من واحد من اليهود لكنهم يرضون بمقاتله هذه فمسبت الى جيبهم ولا يخلو
أن يكونوا قالوا هذه المقالة عن اعتقاد لذلك القول أرقالوها استهزاء وأيهما كان فهذه
المقالة عظيمة القبح لا تصدر عن عاقل وانما صدرت عن كافر متمرد فى كفره وضلاله
سكتب ما قالوا يعنى قولهم ان الله فقير ونحن أغنياء لان ذلك كذب واقترأه
والمعنى سحفظ عليهم ما قالوا وقيل سنبت ذلك القول فى صحائف أعمالهم التى كتبتها

أوبعنى الذى (وقتلهم الانبياء بغير حق) معطوف على ما جعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما فى العظم أخوان وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه (الجزء الرابع) الاجترأ على مثل ﴿ ٦٤٠ ﴾ هذا القول (ونقول) لهم يوم القيامة (ذوقوا

وقتلهم الانبياء بغير حق) أى سنكتبه فى صحائف الكتابة أو سنحفظه فى علمنا لانهم له لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله تعالى وأستهزاء بالقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك نظم مع قتل الانبياء وفيه تذييل على انه ليس أول جريمة ارتكبوها وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه أمثال هذا القول * وقراء حزة سيكتب بالياء وضمها وقبح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء * ونقول ذوقوا عذاب الحريق * أى وندقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغت فى الوعيد والذوق ادراك الطعموم وعلى الاتساع يستعمل لادراك أسائر المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم النائي عن البخل والتهاك على المال وغالب حاجة الانسان اليه للحصول الطعام ومعظم بخله بالخوف من فقده ولذلك كثرت ذكر الاكل مع المال * ذلك * اشارة الى العذاب * بما قدمت أيديكم * من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس لان أكثر أعمالها بهن * وأن الله ليس بظلام للعبيد * عطف على ما قدمت وسببته للعذاب من حيث أن نفي الظلم يستلزم العدل المقضى ائابة المحسن ومعاقبة المسمى * الذين قالوا * هم كعب بن الاشرف ومالك وحيثى وفضاص ووهب بن يهوذا * أن الله عهد الينا * أمرنا فى التوراة وأوصانا

الحفظة عليهم حق يوافقوا بها يوم القيامة فهو وعيد وتهديد لهم * وقتلهم الانبياء بنير حق * قيل معناه سنكتب ما قال هؤلاء اليهود ونكتب ما فعله أسلافهم فنجازى كلا الفريقين بما همز أهله وانما نسب قتل الانبياء الى اليهود الذين كانوا فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانما فعله أسلافهم وأوائلهم لانهم رضوا بفعلهم فنسب اليهم وقيل فى معنى الآية سنكتب على هؤلاء ما قالوا بأنفسهم ونكتب عليهم أيضا رضاهم بقتل آبائهم الانبياء والفائدة فى ضم قتلهم الانبياء الى ما وصفوا الله تعالى بالفقر الاعلام بذلك انهما أخوان فى العظم وان هذا القول منهم ليس بأول ما ارتكبه من العظائم وانهم أصلاء فى الكفر والجهل والضلال ولهم فى ذلك سوابق وان من قتل الانبياء لا يعد منه الاجترأ على مثل هذا القول العظيم الفحش والقبح * ونقول * يعنى لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة * ذوقوا عذاب الحريق * أى ندقم منهم بان نقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق كما أذقم المسلمين الغصص فى الدنيا * ذلك * أى ذلك العذاب المحرق جزاء فعلكم حيث وصفتم الله بالفقر وأقدمتم على قتل الانبياء * بما قدمت أيديكم * انما ذكر الايدي على سبيل المجاز لان الفاعل هو الانسان لا اليد الا ان اليد لما كانت آلة الفعل حسن اسناد الفعل اليها ولان أكثر الأعمال يكون باليد لحمل كل عمل كالواقف بالايدي على سبيل التلميح * وأن الله ليس بظلام للعبيد * فيعذب بغير ذنب بل هو سبحانه وتعالى عادل ومن العدل ان يعاقب المسمى ويثيب المحسن * قوله عز وجل * الذين قالوا أن الله عهد الينا * قال الكلبي نزلت فى كعب بن الاشرف

عذاب الحريق أى عذاب النار كما أذقم المسلمين الغصص قال الضحاك يقول لهم ذلك خزنة جهنم وانما أضيف الى الله تعالى لانه بأمره كما فى قوله سنكتب سيكتب وقتلهم ويقول حزة (ذلك) اشارة الى ما تقدم من عتابهم (بما قدمت أيديكم) أى ذلك العذاب بما قدمت من الكفر والمعاصى والاضافة الى اليد لان أكثر الاعمال يكون بالايدي فجعل كل عمل كالواقف بالايدي على سبيل التلميح ولانه يقال للأمر بالشيء فاعله فذكر الايدي للتحقيق يعنى انه فعل نفسه لا غيره بأمره (وأن الله ليس بظلام للعبيد) وأن الله لا يظلم عباده فلا يعاقبهم بغير جرم (الذين قالوا) فى موضع جر على البدل من الذين قالوا أو نصب باخمارهم أعنى أو رفع باخمارهم (أن الله عهد الينا) أمرنا

فى الآخرة (وقتلهم الانبياء) ونحفظ عليهم قتلهم الانبياء (بغير حق) بلا جرم

(ونقول ذوقوا عذاب الحريق) الشديد (ذلك) العذاب (بما قدمت) عملت (أيديكم) فى اليهودية (ومالك) (وأن الله ليس بظلام للعبيد) أن يأخذهم بلا جرم (الذين قالوا) هم الذين قالوا يعنى اليهود (أن الله عهد الينا)

في التوراة وأوصانا
 (الأنؤمن) بان لا تؤمن
 (لرسول حتى يأتينا بقربان
 تأكله النار) أي يقرب
 قربانا فتنزل نار من السماء
 فتأكله فان جئتنا به
 صدقتك وهذه دعوى باطلة
 وافتراء على الله لان أكل
 النار القربان سبب الايمان
 للرسول الآتي به لكونه
 معجزة فهو اذا وسائر المعجزات
 سواء (قل قد جاءكم رسل
 من قبلي بالبينات) بالمعجزات
 سوى القربان (وبالذي قلم)
 أي بالقربان يعني قد جاء
 أسلافكم الذين أتم على
 ملتهم وراضون بفعلهم
 (فلم قتلتموهم) أي ان كان
 امتناعكم عن الايمان لاجل
 هذا فلم لم تؤمنوا بالذين
 أمرنا في الكتاب
 (الأنؤمن لرسول) ان
 لانصدق أحدا بالرسالة
 (حتى يأتينا بقربان تأكله
 النار) يعنون حتى يأتينا
 بنار تأكله تأكل القربان
 كما كانت في زمن الانبياء
 (قل) يا محمد قد جاءكم رسل
 من قبلي بالبينات (بالامر
 والنهي والعلامات) وبالذي
 قلم (من القربان ذكرها
 ويحيى وعيسى (فلم قتلتموهم)
 يحيى وذكرها وقد كان

الأنؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ﴿﴾ بان لا تؤمن لرسول حتى يأتينا
 بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبيا بني اسرائيل وهو أن يقرب بقربان فيقوم
 النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله أي تحمله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم
 وأباطيلهم لان أكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات
 شرع في ذلك ﴿﴾ قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلم فلم قتلتموهم

ومالك بن صيفي ووهب بن يهوذا وزيد بن تابوت وفخاص بن عازوراء وحي بن
 أخطب من اليهود أنوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد تزعم ان الله بعثك الينا
 رسولا وأنزل عليك كتابا وان الله عهد الينا في التوراة ان لا تؤمن لرسول يزعم
 انه جاء من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار فان جئتنا به صدقتك فأنزل الله تعالى
 الذين قالوا يعني قد سمع الله قول الذين قالوا أن الله عهد الينا يعني أمرنا وأوصانا في كتبه
 ﴿﴾ أن لا تؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ﴿﴾ يعني فيكون ذلك دليلا على
 صدقه وذكر الواحدى عن السدى أنه قال أن الله تعالى أمر بني اسرائيل في التوراة
 من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار حتى يأتيكم
 المسيح ومحمد فاذا أتياكم فآمنوا بهما فانهما يأتيان بغير قربان زاد غير الواحدى عنه
 قال وكانت هذه العادة باقية فيهم الى مبعث المسيح عليه السلام ثم ارتفعت وزالت وقيل
 ان ادعاء هذا الشرط كذب على التوراة وهو من كذب اليهود وتحريفهم ويدل على
 ذلك ان المقصود في الدلالة على صدق النبي هو ظهور المعجزة الخارقة للمادة فاي معجزة
 أتى بها النبي قبلت منه وكانت دليلا على صدقه وقد أتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمعجزات
 الباهرات الدالة على صدقه فوجب على كافة الخلق اتباعه وتصديقه والقربان كل
 ما يقرب به العبد الى الله عز وجل من أعمال البر من نسك وصدقة وذبح وكل عمل
 صالح ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة والصلاة قربان يعني انها
 مما يقرب بها الى الله عز وجل وكانت القرابين والغنائم لا تحل لبني اسرائيل وكانوا اذا
 قربوا قربانا أو غنموا غنمية جمعوا ذلك وجاءت نار بيضاء من السماء لادخان لها ولها
 دوى وحفيف فتأكل ذلك القربان أو الغنمية وتحرقه فيكون ذلك دليلا وعلامة على
 القبول واذا لم يقبل بقي على حاله ولم تنزل نار وقال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله
 فيأخذون الثوب وأطياب اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم
 نبينهم عليه السلام في البيت ويناجي ربه عز وجل وبنو اسرائيل خارجون حول البيت
 فتنزل نار بيضاء لهادوى وحفيف ولادخان لها فتأكل ذلك القربان ثم قال الله عز وجل
 محيا عن هذه الشبهة التي ذكرها هؤلاء اليهود واقامة للحجة عليهم ﴿﴾ قل ﴿﴾ يعني قل
 يا محمد لهؤلاء اليهود ﴿﴾ قد جاءكم ﴿﴾ يعني يا معشر اليهود ﴿﴾ رسل من قبلي ﴿﴾ يعني مثل
 زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ﴿﴾ بالبينات ﴿﴾ يعني بالدلالات الواضحات الدالة على
 صدقهم ﴿﴾ وبالذي قلم ﴿﴾ يعني ما طلبوا من القربان ﴿﴾ فلم قتلتموهم ﴿﴾ يعني فلم قتلتم

أنابه ولم قتلتموه (أن كنتم صادقين) في قولكم انما نؤخر الايمان لهذا (فأن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك) فان كذبك اليهود فلا يهولك { الجزء الرابع } فقد فعلت الالم ﴿ ٦٤٢ ﴾ بانبيائها كذلك (جاؤا بالبينات) بالمعجزات

الظاهرات (والزبر)
الكتب جمع زبور من
الزبر وهو الكتابة وبالزبر
شامى (والكتاب) جنسه
(المنير) المضى قيل هما واحد
في الاصل وانما ذكر الاختلاف
الوصفين فالزبور كتاب فيه
حكم زاجرة والكتاب
المنير هو الكتاب الهادى
(كل نفس) مبتدأ والخبر
(ذائقة الموت) وجاز
الابتداء بالكرة لما فيه من
العموم والمعنى لا يحزنك
تكذيبهم اياك فرجع الخلق
الى فاجازيهم على التكذيب
وأجازيك على الصبر
وذلك قوله (وانما توفون
أجوركم يوم القيامة) أى
تعطون ثواب أعمالكم
على الكمال يوم القيامة

أن كنتم صادقين ﴿ تكذيب و الزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى في معجزات
آخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوه فلو كان الموجب للتصديق هو
الايان به وكان توقعهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فالهم لم يؤمنوا بمن جاء به
في معجزات أخر واجترأوا على قتله ﴿ فأن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا
بالبينات والزبر والكتاب المنير ﴾ تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم من تكذيب
قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت
الشيء اذا حبسته والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك
جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر
من زبرته اذ اجرته * وقرأ ابن عاصم وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة
للبينات بالذات ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ وعد ووعيد للمصدق والمكذب * وقرئ
ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله

« فألفيته غير مستعب » * ولا ذاكر الله الا قليلا

﴿ وانما توفون أجوركم ﴾ تعطون جزاء أعمالكم خيرا كان أو شرا تاما وافيا ﴿ يوم القيمة ﴾

الانبياء الذين أتوا بما طلبتم منهم مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الانبياء وأراد
بذلك فعل أسلافهم وانما خاطب بذلك اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
لانهم كانوا راضين بفعل أسلافهم ﴿ أن كنتم صادقين ﴾ يعنى فى دعواكم ومعناه تكذيبهم
أياك يا محمد مع علمهم بصدقك كقتل آباءهم الانبياء مع آتياهم بالقربان ثم قال تعالى مسلما
لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ فأن كذبوك ﴾ يعنى هؤلاء اليهود ﴿ فقد كذب رسل من
قبلك ﴾ يعنى مثل نوح وهود وصالح وابراهيم وغيرهم من الرسل ﴿ جاؤا بالبينات ﴾
يعنى بالدلالات الواضحات والمعجزات البهات ﴿ والزبر ﴾ أى الكتب واحدها
زبور وكل كتاب فيه حكمة فهو زبور وأصله من الزبر وهو الزجر وسمى الكتاب
الذى فيه الحكمة زبورا لانه يزبر أى يزجر عن الباطل ويدعو الى الحق ﴿ والكتاب
المنير ﴾ أى الواضح المضى وانما عطف الكتاب المنير على الزبر لشرفه وفضله وقيل
أراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التوراة والانجيل * قوله عز وجل ﴿ كل نفس
ذائقة الموت ﴾ يعنى أن كل نفس مخلوقة ذائقة الموت ولا بد لها منه قيل لما نزل قل
يتوفاكم ملك الموت قالوا يا رسول الله انما نزلت فى نبي آدم فاين ذكر الموت للجن والانعام
والوحوش والطير فنزلت هذه الآية وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام اشتكت الارض
الى ربها عز وجل مما أخذ منها فوعدها ان يرد فيها ما أخذ منها فما أحد يموت الا
ويدفن فى التربة التى خلق منها فأن قلت الحور والولدان نفوس مخلوقة فى الجنة لاندوق
الموت فاحكم لفظ كل فى قوله كل نفس ذائقة الموت * قلت لفظة كل لا تقتضى الشمول
والاحاطة بدليل قوله تعالى وأوتيت من كل شىء ولم تؤت ملك سليمان فتكون الآية
من العام المخصوص ويحتمل أن يكون المراد بهم المكلفين بدليل سياق الآية وهو قوله
تعالى ﴿ وانما توفون أجوركم ﴾ يعنى توفون جزاء أعمالكم ﴿ يوم القيمة ﴾ ان كان

القربان فى زمانهم (أن
كنتم صادقين) فى مقاتلتكم
فقالوا ما قتل آباؤنا الانبياء
زور ا فقال الله (فأن كذبوك)
يا محمد ما قلت لهم فلا تحزن
بذلك (فقد كذب رسل
من قبلك) كذبهم قومهم
(جاؤا بالبينات) بالاسم
والهى وعلامات النبوة
(والزبر) وبخبر كتب
الاولين (والكتاب المنير)
المبين للحلال والحرام ثم
ذكر موتهم وما بعد الموت

فقال (كل نفس) منقوسة (ذائقة الموت) تذوق الموت (وانما توفون) توفون (أجوركم) ثواب أعمالكم (يوم القيمة) خيرا

فان الدنيا ليست بدار الجزاء (فن زحزح) بعدوا الزحزحة الابداد (عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) ظفر بالخبر وقيل فقد حصل له الفوز المطلق وقيل الفوز نيل ﴿٦٤٣﴾ المحبوب والبعد عن {سورة آل عمران} المكروه (وما الحياة الدنيا

يوم قيامكم من القبور ولفظ التوفية يشعر بأنه قديكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام التبرؤة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ﴿فن زحزح عن النار﴾ بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بجملته ﴿وأدخل الجنة فقد فاز﴾ بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالغبية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدر كه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتى الى الناس ما يحب أن يؤتى اليه ﴿وما الحياة الدنيا﴾ أى لذاتها وزخارفها ﴿الامتع الغرور﴾ شبهها بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويفر حتى يشتريه ثم يتبين له فسادته وردائه والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ وعن الحسن كخضرة النباتات ولعب النبات لا حاصل لها (تلبون) والله تلبون أى لتخبين (في أموالكم) بالاتفاق فى سبيل الله وبما يقع فيها من الآفات (وانفسكم) بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب وهذه الآية دليل على ان النفس هى الجسم المعين دون

خيرا فخير وان كان شرا فشر ﴿فن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ يعنى فن نجا وأبعد عن النار وأدخل الجنة فقد ظفر بالنجاة ونجا من الخوف ﴿وما الحياة الدنيا الامتع الغرور﴾ يعنى ان العيش فى هذه الدار القانية يفر الانسان بما يمتنيه من طول البقاء وسينقطع عن قريب فوصفت بانها متاع الغرور لانها تفر ببذل المحبوب وتخيل للانسان أنه يدوم وليس بدائم والمتاع كل ما استمتع به الانسان من مال وغيره وقيل المتاع كالفأس والقدر والقصعة ونحوها والغرور ما يفر الانسان مما لا يدوم وقيل الغرور الباطل ومعنى الآية ان منفعة الانسان بالدنيا كمنفعته بهذه الاشياء التى يستمتع بها ثم تزول عن قريب وقيل متاع متروك يوشك ان يضمحل ويؤول فنحذوا من هذا المتاع واعملوا فيه بطاعة الله ما استطعتم قال سعيد بن جبير هى متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة فأما من اشتغل بطلب الآخرة فهى له متاع وبلاغ الى ما هو خير منها ﴿ق﴾ عن أبى هريرة

رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقروا أن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين* زاد الترمذى وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها واقروا أن شئتم وظل ممدود وموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها واقروا أن شئتم فن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الامتع الغرور ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿تلبون﴾ اللام لام القسم تقديره والله تلبون أى لتخبين فتوقع عليكم المحن ليعلم المؤمن من غيره والاختبار طلب المعرفة ليعرف الجيد من الردى وذلك فى وصف الله محال لان الله تعالى عالم بحقائق الاشياء كلها قبل ان يخلقها فعلى هذا يكون معنى الاختبار فى وصف الله تعالى أنه يعامل العبد معاملة المختبر ﴿فى أموالكم﴾ يعنى بالابتلاء فى الاموال بالنقصان منها وقيل باداء ما فرض فيها من الحقوق ﴿وانفسكم﴾ يعنى بالمصائب والامراض والقتل وفقد الاقارب والعشائر

(فى أموالكم) فى ذهاب أموالكم (وانفسكم) وفيما يصيب أنفسكم من الامراض والاوراجع والقتل والضرب وسائر

وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاع ﴿ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ﴾ من هجاء الرسول صلى الله عليه وسلم والظعن في الدين وأغراء الكفرة على المسلمين أخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا أنفسهم

خو طب بهذه الآية المسلمون ليوطنوا أنفسهم على احتمال الأذى وما سيلقون من الشدائد والمصائب ليصبروا على ذلك حتى إذا القوها القوهها وهم مستعدون بالصبر لها لا يرهقهم ما يرهق غيرهم عن تصديه الشدة بقتة فينكرها ويشتمونها ﴿ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ﴾ قال عكرمة نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفخاص بن عازوراء وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر الى فخاص سيد بني قينقاع يستمهه وكتب اليه معه كتابا وقال لابن بكر لاتفتان على بشي حتى ترجع فجاه أبو بكر وهو متوشع بالسيف الى فخاص وأعطاه الكتاب فلما قرأه قال فخاص قدا احتاج ربك حتى غده فهم أبو بكر أن يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لاتفتان على بشي حتى ترجع فنزلت الآية وقال الزهري نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وكعب بن الاشرف اليهودي وذلك انه كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على قتالهم في شعره (ق) عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب ابن الاشرف فانه قد أذى الله ورسوله قال محمد بن مسلمة أنجب أن قتله قال نعم قال أنذني فلما قل قال فأتاه فقال له وذكر ما بينهم وقال ان هذا الرجل قدا أراد الصدقة وقد عنانا فلما سمعه قال وأيضا والله لثلمته قال أنا قدا تبغنا ونكره الآن أن ندعه حتى ننظر الى أي شئ يصير أمره قال وقد أردت أن تسلفني سلفا قال فآثرهني أترهني نساء كم قال أنت أجمل العرب أن رهنتك نساء نا قال له ترهون أولادكم قال يسب ابن أحدنا فيقال رهن في وسقين من عمر ولكن رهنتك اللامة يعني السلاح قال نعم وواعده ان يأتيه بالحرث وأبي عيسى بن جبر وعباد بن بشر قال فجاء فذبحه ليل فذل اليهم قالت امرأته اني لاسمع صوتا كأنه صوت دم قال انما هو محمد ورضي أبو نائلة ان الكريم لودعي الى طعنة ليل لا جواب قال محمد اني اذا جاء نسوف أميدي الى رأسه فاذا استمكنت منه فدونكم قال فلما نزل نزل وهو متوشع فقالوا نجد منك ربح الطيب قال نعم تحتي فلانة أعطر نساء العرب قال فتأذن لي ان أشم منه قال نعم فشم فتناول فشم ثم قال أناذن لي ان أعود قال فاستمكت من رأسه ثم قال دونكم فقتلوه زاد في رواية ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وزاد أصحاب السير والمغازي فاختلف عليه أسيا فهم فلم تغن شيأ قال محمد بن مسلمة فذكرت معولا في سبي فاخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا أو قدت عليه نار قال فوضعت في مندوته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عاتقه ووقع عدو الله وقد أصيب الحرث بن أوس يجرح في رأسه أصابه بعض أسيا ففخر جنا وقد أبطأ علينا صاحبنا الحرث ونزفه الدم فوقفنا ساعة حتى أنانا يتبع آثارنا فحملنا وجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج علينا فأخبرناه بقتل

ما فيه من المعنى الباطن كما قال بعض أهل الكلام والفلاسفة كذا في شرح التأويلات (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني اليهود والنصارى (ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) كالظعن في الدين وصد من أراد الايمان وتخطئة من آمن ونحو

البلايا (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب) أعطوا الكتاب (من قبلكم) يعني اليهود والنصارى الشتم والظعن والكذب والزور على الله (ومن الذين أشركوا) يعني مشركي العرب أيضا (أذى كثيرا) بالشم والضرب والظعن والقتل والكذب والزور

ذلك (وأن تصبروا) على أذاهم وتتقوا مخالفة أمر الله (فأن ذلك) فإن الصبر والتقوى (من عزم الامور) من معزومات الامور أي مما يجب العزم عليه من الامور خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الشدائد والصبر عليها حتى اذلقوها وهم مستعدون ﴿٦٤٥﴾ لا يرهقهم ما يرهق من {سورة آل عمران} تصيبه الشدة بقتة فينكرها

وتشتمر منها نفسه (وَأَذ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب (لتبينه للناس ولا تكتمونه) عن الناس بالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفقدن وبالياء مكى وأبو عمرو وأبو بكر لانهم غيب والضمير للكتاب كدعليم ايجاب بيان الكتاب واجتباب كتمانته (فنبذوه وراء ظهورهم) فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم أي لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك

على الصبر والاحتمال ويستعدوا للآثام حتى لا يرهقهم نزولها ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُوا﴾ مخالفة أمر الله سبحانه وتعالى ﴿فَأَنْ ذَلِكَ﴾ يعني الصبر والتقوى ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ من معزومات الامور التي يجب العزم عليها أو مما عزم الله عليه أي أمره وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الرأي على الشيء نحو امضائه ﴿وَأَذْ أَخَذَ اللَّهُ﴾ أي اذكر وقت أخذه ﴿مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يريد به العلماء ﴿لَتَبَيَّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ حكاية لمخاطبتهم * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله أخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ أي الميثاق ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه * والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه وألقاه بين

كعب بن الاشرف وجناب رأسه اليه وتقل على جرح صاحبنا فرجعنا الى أهلنا وأصبحنا وقد خافت اليهود وقعتنا بعدوا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال اليهود فاقتلوه وأنزل الله عز وجل في شأن كعب بن الاشرف اليهودي تلبون في أموالكم وأنفسكم ولتسعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن الذين أشركوا يعني مشركي العرب أذى كثيرا يعني بالاذى قول اليهود ان الله فقير ونحن أغنياء وما أشبه ذلك من افتراءهم وكذبهم على الله ورسوله وما كان كعب ابن الاشرف يحجبه النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين فهذا هو الاذى الكثير ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين يعني وان تصبروا على أذاهم وتتقوا فيما أمركم به ونهاكم عنه لان الصبر عبارة عن احتمال الاذى والمكروه والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغي ﴿فَأَنْ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي من صواب التدبير الذي لا شك ان الرشد فيه ولا ينبغي لماعقل تركه وأصله من قولك عزمت عليك أن تفعل كذا أي أنزمتك أن تفعله للاحتمال ولا تتركه وقيل معناه فان ذلك مما قد عزم عليكم فعله أي أنزمتكم الاخذ به ﴿قوله عز وجل﴾ وأذ أخذ الله ﴿أَيْ وَاذْ أَخَذَ اللَّهُ﴾ واذكريا محذوقا إذ أخذ الله ﴿مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني اليهود والنصارى والمراد منهم العلماء خاصة وقيل المراد بالذين أوتوا الكتاب العلماء والاحبار من اليهود خاصة وأخذ الميثاق هو التوكيد والالزام لبيان ما أوتوه من الكتاب وهو قوله تعالى ﴿لَتَبَيَّنَهُ لِلنَّاسِ﴾ يعني ليبين ما في الكتاب وليظهره للناس حتى يعلموه وذلك ان الله أوجب على علماء التوراة والانجيل أن يشرحوا للناس ما في هذين الكتابين من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَا يَكْتُمُونَهُ﴾ يعني ولا يخفون ذلك عن الناس ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ يعني الكتب وقيل الميثاق ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي

على الله (وأن تصبروا) على أذاهم (وتقوا) معصية الله في الاذى (فأن ذلك) الصبر والاحتمال (من عزم الامور) من خير الامور وحزم أمورهم يعني المؤمنين * ثم ذكر ميثاقه على أهل الكتاب في الكتاب بيان صفة تيبه ونفته فقال (وَأَذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) أعطوا الكتاب يعني التوراة

والانجيل (لتبينه) صفة محمد ونفته (لن الناس ولا تكتمونه) لا تكتمون صفة محمد ونفته في الكتاب (فنبذوه) فطرحوا كتاب الله وعهده (وراء) خلف (ظهورهم) ولم يعلموا به

عنه ﴿واشتروا به﴾ واخذوا بدله ﴿ثمنا قليلا﴾ من حطام الدنيا واغراضها ﴿فبئس ما يشترون﴾ يختارون لانفسهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن أهله ألجم بلجام من النار وعن علي رضي الله تعالى عنه ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا ﴿لا تحسبن الذين يفرحون

ففرحوه وضيعوه وتركوا العمل به﴾ واشتروا به ثمنا قليلا ﴿يعنى المآكل والرشاش التي كانوا يأخذونها من عوامهم وسفلتهم﴾ فبئس ما يشترون ﴿ذمهم الله تعالى على فعلهم ذلك﴾ واعلم ان ظاهر هذه الآية وان كان مخصوصا بعلماء أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فلا يبعد ان يدخل فيه علماء هذه الامة الاسلامية لانهم أهل كتاب وهو القرآن وهو أشرف الكتب قال قتادة هذا ميثاق أخذ الله تعالى على أهل العلم فمن علم شيئا فليعلمه وأياكم وكتمان العلم فانه هلكة وقال أيضا مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم لا يأكل ولا يشرب وقال أيضا طوبى لعالم ناطق ومستمع واع هذا علم فبذله وهذا سمع خيرا فقبله ووعاه ﴿عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه ألجم بلجام من نار أخرجه الترمذى﴾ ولأبي داود من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة وقال أبو هريرة لولا ما أخذ الله عز وجل على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الآية واذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب الآية وقال الحسن ابن عماره أتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فالفيتة على بابه فقلت أريد أن تحدثني فقال أما علمت أي قد تركت الحديث فقلت اما ان تحدثني واما أن أحدثك قال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عيينة عن يحيى بن الخراز قال سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول ما أخذ الله على أهل جهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا قال فحدثني أربعين حديثا ﴿قوله عز وجل﴾ لا تحسبن الذين يفرحون ﴿قرئ﴾ بالتاء على الخطاب أي لا تحسبن يا محمد الفارحين الذين يفرحون وقرئ بالياء على الغيبة يعنى ولا يحسبن الفارحون والمعنى لا يحسبن الذين يفرحون فرحهم منجس لهم من العذاب نزلت هذه الآية في المنافقين ﴿ق﴾ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتدوا اليه وحلفوا له وأحبوا أن يحمدهم بما لم يفعلوا فنزلت لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية وقيل نزلت في اليهود ﴿ق﴾ عن جريد بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ان مروان قال لبوابه اذهب يرافع الى ابن عباس فقل لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمده بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون قال ابن عباس ما لكم واهذه الآية انما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب ثم تلا ابن عباس واذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لبيئته للناس الآية وتلا ابن عباس لا يحسبن الذين يفرحوا بما أتوا ويحبون

الاعتداد وهو دليل على أنه يجب على العلماء أن يبنيوا الحق للناس وما علموه وأن لا يكتفوا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطبيب لنفوسهم أو لجر منفعة أو دفع أذية أو لبخل بالعلم وفي الحديث من كتم علما عن أهله ألجمه الله بلجام من نار (وشتروا به ثمنا قليلا) عرضا يسيرا (فبئس ما يشترون) والخطاب في (لا تحسبن) لرسول الله وأحد المفعولين (الذين يفرحون) والثاني بمفازة وقوله ﴿لا تحسبنهم﴾ تأكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فآثرين

(واشتروا به) بكتمان صفة محمد ونعته في الكتاب (ثمنا قليلا) عرضا يسيرا من المآكل (فبئس ما يشترون) يختارون لانفسهم اليهودية وكتمان صفة محمد ونعته ثم ذكر طلبهم الثناء والحمد بما لم يكن فيهم يعنى اليهود فقال (لا تحسبن) لا تظنن يا محمد (الذين يفرحون

(بما أتوا) بما فعلوا وهي قراءة أبي وجاء وأتى يستعملان بمعنى فعل انه كان وعده مأثماً لقد جئت شيئاً فربما وقرأ النخعي بما أتوا أي أعطوا (ويحبون أن يحمداوا) عالم ﴿٦٤٧﴾ يفعلوا فلا تحسبنهم {سورة آل عمران} بمفازة من العذاب بمخافة منه

(ولهم عذاب أليم) مؤلم روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأرواه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا من تدليسهم فاطلع الله رسوله على ذلك وسأله بما أنزل من وعيدهم أي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من

تدليسهم عليك ويحبون أن يحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب وقيل هم المنافقون يفرحون بما أتوا من اظهار الايمان للمسلمين وتوصلهم بذلك الى أغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة وفيه وعيد لمن يأتي بحسنة فيفرح بها فرح أعجاب ويجب أن يحمده الناس

بما أتوا) بما غير واصفة بمحمد ونعتة في الكتاب (ويحبون أن يحمداوا بما لم يفعلوا) يحبون أن يقال فيهم الخير ولاخير فيهم ان يقولواهم على دين ابراهيم ويحسبون الى الفقراء (فلا تحسبنهم)

بما أتوا ويحبون أن يحمداوا بما فعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ﴿الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكنتم الحق ويحبون أن يحمداوا بما فعلوا من الوفاء بالميثاق وأظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمخافة من العذاب أي نأثرين بالنجاة منه * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء وقبح الباء في الاول وضمها في الثاني على أن الذين فاعل ومفعول لا يحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولاً مؤكداً وكانه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا فلا يحسبن أنفسهم بمفازة أو المفعول الاول محذوف وقوله فلا تحسبنهم تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول ﴿ولهم عذاب أليم﴾ بكفرهم وتدليسهم روى أنه عليه الصلاة والسلام سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فأخبروه بخلاف ما كان فيها وأرواه أنهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزوة ثم اعتذروا بأنهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بمناقضتهم

ان يحمداوا بما فعلوا وقال ابن عباس سألتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه أيه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أرواه أن قد أخبروه بما سألتهم عنه واستحمدوا اليه بذلك وفرحوا بما أتوا من كتمانهم أيه ما سألتهم عنه ﴿بما أتوا﴾ يعني يفرحون بما فعلوا ﴿ويحبون أن يحمداوا بما فعلوا﴾ أي ويحبون أن يحمدهم الناس على شيء لم يفعلوه قيل عنى بذلك قوما من اخبار اليهود كانوا يفرحون بأضلالهم الناس ونسبة الناس اليهم الى العلم قال ابن عباس واذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب الى قوله ولهم عذاب أليم يعني فمخاص واسبيح واشباههما من الاخبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون أن يحمداوا بما فعلوا أي بقول الناس لهم علماء وليسوا بأهل علم وقيل هم اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنهم كتبوا الى يهود العراق والشام واليمن ومن يبلغهم كتابهم من اليهود في الارض كلها ان محمداً ليس بنبي فآثبوا على دينكم فاجتمعت كلمتهم على الكفر فرحوا بذلك وقالوا نحن أهل الصوم والصلاة وأحبوا أن يحمداوا على ذلك وقيل فرحوا بما أتوا من تبديلهم التوراة وأحبوا أن يحمدهم الناس على ذلك وقيل ان يهود خيبر أتت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وقالوا لا يحسبه نحن على رأيكم ونحن لكم ردة وليس ذلك في قلوبهم وأحبوا أن يحمدهم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون على ذلك ﴿فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾ أي فلا تظننهم بمخافة من العذاب الذي أعد الله لهم في الدنيا من القتل والاسر وضرب الجزية والذلة والصغار ﴿ولهم عذاب أليم﴾ يعني في الآخرة وهذه الآية وان كانت قد نزلت في اليهود أو المنافقين خاصة فان حكمها عام في كل من أحب ان يحمداوا بما فعلوا من الخير والصلاح وينسب الى العلم وليس هو

يا محمد (بمفازة) بمعاودة (من العذاب ولهم عذاب أليم) وجمع

ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ﴿ والله ملك السموات والارض ﴾ فهو ملك أمرهم ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم أن الله فقير ﴿ أن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولى الالباب ﴾ لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوى العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة واصل الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الآية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة أنواعه فإنه أمان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار أو جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها أو الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل أوضاعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل

كذلك ﴿ قوله عز وجل ﴾ والله ملك السموات والارض ﴿ يعنى انه تعالى مالك لما فيها جميعا يتصرف فيه كيف يشاء وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير ونحن أغنياء يقول الله عز وجل ان من له جبع ما حوته السموات والارض من شيء كيف يكون فقيرا ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ يعنى انه تعالى قادر على تعجيب العقوبة لهم على ذلك القول لكنه تفضل على خلقه بأعمالهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ أن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولى الالباب ﴿ قال ابن عباس رضى الله عنهما ان أهل مكة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بآية فنزلت هذه الآية والمعنى تفكروا واعتبروا أيها الناس فيما خلقتهم وأنشأته من السموات والارض لما شكم وأرزاقكم وفيما عقت من ذلك بين الليل والنهار واختلافهما في الطول والقصر فجلت هما مختلفان ويعتقان عليكم لكي تتصرفوا فيهما لما شكم تطلبون أرزاقكم في النهار وتسكنون في الليل لراحة أجسادكم فاعتبروا وتفكروا يا أولى الالباب يعنى يذوى العقول الصافية يعنى الذين يفهمون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار لا ينظرون اليهما نظر البهائم غافلين عما فيهما من عجائب مخلوقاته وعزائب مبتدعاته (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه بات عند ميونة أم المؤمنين وهى خاله قال فقلت لا نظرن الى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرح لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في طولها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يسمع النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر آيات الخواتيم من سورة آل عمران ثم قام الى شن معلقة فتوضأ منها فاحسن وضوءه ثم قام يصلى قال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما فقامت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقامت الى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسى وأخذ بأذنى ففتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع حتى جاء المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح وفى رواية فقامت عن يساره فأخذنى فجعلنى عن يمينه وفى رواية قال بت فى بيت خالتي ميونة فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخير قد فنظر الى السماء فقال أن في خلق السموات

اللب عن القشر فيرى ان العرض المحدث في الجواهر يدل على حدوث الجواهر لان جوهرها ما لا ينفك عن عرض حادث وما لا يخلو عن الحادث فهو حادث ثم حدوثها يدل على محدثها وذا قديم والا احتاج الى محدث آخر الى ما لا يتناهى

(والله ملك السموات والارض) خزائن السموات والمطر والارض بالنبات (والله على كل شيء) من أهل السموات والارض وخزائنها (قدير) ثم بين علامة قدرته لكفار مكة لقولهم أثنا بآية يا محمد على ما تقول فقال (أن في خلق السموات) ان فيما خلق في السموات من الملائكة والشمس والقمر والنجوم والسحاب (والارض) وفى خلق الارض وما فى الارض من الجبال والبحور والشجر والداواب (واختلاف

لى ما لا يتناهى وحسن صنعه يدل على علمه واتقانه يدل على حكمته وبقاؤه يدل على قدرته قال عليه السلام ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وحكى أن في بني اسرائيل من اذا عبد الله ثلاثين سنة أظلمت سمحابة فعبدها فتى فلم تظلمه فقالت له أمه لعل فرطه فرطت منك في مدتك قال ما ذكر قالت لعلك ﴿٦٤٩﴾ نظرت مرة الى السماء {سورة آل عمران} ولم تعتبر قال لعل قالت فما

أوتيت الامن ذلك (الذين)

في موضع جر نعت لاولى

أو نصب باخمار أعنى أو

رفع باخمارهم (يذكرون

الله) يصلون (قياماً)

قائمين عند القدرة (وقعوداً)

قاعدين (وعلى جنوبهم)

أى مصطحبين عند المعجز

وقياماً وقعوداً حالان من

ضمير الفاعل في يذكرون

وعلى جنوبهم حال أيضاً أو

المراد الذكر على كل حال

لان الانسان لا يخلو عن

هذه الاحوال وفي الحديث

من أحب أن يرتع في رياض

الجنة فيلكتثر ذكر الله

(ويتفكرون في خلق

السموات والارض) وما

يدل عليه اختراع هذه

الاجرام العظام وابداع

صنعتها ومادبريقها مما تكل

الافهام عن ادراك بعض

معجزاته على عظم شأن

الصانع وكبرياء سلطانه

وعن النبي عليه السلام

بينارجل مستلق على فراشه

اذ رفع رأسه فنظر الى

النجوم والى السماء فقال

أشهد أن لك رباً وخالقاً

اللهم اغفرلى فظن الله اليه

فغفر له وقل عليه السلام

لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ أى يذكرونه دائماً على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومصطحبين وعنه عليه الصلاة والسلام من أحب أن يرتع في رياض الجنة فيلكتثر ذكرك الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم لانوله عليه الصلاة والسلام لعمران بن حصين صل قائماً فان لم تستطع فقاعداً فان لم تستطع فعلى جنب تومى ايماء فهو حجة للشافعى رضى الله عنه فى أن المريض يصلى مصطحباً على جنبه الايمن مستقبلاً بمقاديم بدنه ﴿ويتفكرون فى خلق السموات والارض﴾ استدلالاً واعتباراً وهو أفضل العبادات كما قال عليه الصلاة والسلام لاعبادة كالتفكير لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه الصلاة والسلام بينما رجل مستلق على فراشه

والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب وذكركه ﴿تولاه عز وجل﴾ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ﴿قال على بن أبى طالب وابن مسعود وابن عباس وقتادة هذا فى الصلاة يعنى الذين يصلون قياماً فان عجزوا فقعوداً فان عجزوا فعلى جنوبهم والمعنى انهم لا يتركون الصلاة فى حال من الاحوال بل يصلون فى كل حال﴾ (خ) عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال كانت بنى بواسير فسأت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال صل قائماً فان لم تستطع فقاعداً فان لم تستطع فعلى جنب أخرجه الترمذى وقال فيه سأته عن صلاة المريض وذكرك نحوه قال الشافعى رحمة الله تعالى اذا صلى المريض مصطحباً وجب عليه أن يصل على جنب ويومئ برأسه ايماء وقال أبو حنيفة رحمة الله تعالى بل يصل مستلقياً على ظهره فان وجد خفة قعد وحجة الشافعى ظاهر الآية وهو قوله تعالى وعلى جنوبهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين فان لم تستطع فعلى جنب ففص على الجنب دون غيره وقال أكسر المفسرين المراد به المداومة على الذكر فى غالب الاحوال لان الانسان قل ان يخلو من إحدى هذه الثلاث حالات وهى القيام والتعود وكونه قائماً على جنبه (م) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك الله عز وجل فى كل أحيائه ﴿عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد مقعداً لم يذكرك الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضطجماً لا يذكرك الله فيه كانت عليه من الله ترة ومامشى أحد ممشى لا يذكرك الله فيه الا كانت عليه من الله ترة أخرجه ابوداود* والترة النقص وقيل هى هنا التبعة ﴿قوله عز وجل﴾ ويتفكرون فى خلق السموات والارض ﴿أصل الفكر اعمال الخاطر فى الشئ وتردد القلب فى ذلك الشئ وهو قوة متطرفة للعلم الى المعلوم والتفكير جريان تلك القوة بحسب نظر العقل ولا يمكن التفكير الا فىما له صورة فى القلب ولهذا قيل تفكروا

العمول من الناس ثم نعمهم فقال (الذين يذكرون الله) (قا وخا ٨٢ ل) يصلون لله (قياماً) اذا استطاعوا (وقعوداً)

اذا لم يستطيعوا قياماً (وعلى جنوبهم) اذا لم يستطيعوا قياماً وقعوداً (ويتفكرون فى خلق السموات والارض)

على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل أهله ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾ على ارادة القول أي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه أو الخلق على انه أريد به المخلوق من السموات والارض أو اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جلها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا امامه ودليلا يدل على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الابدية والسعادة السمردية في جوارك ﴿سبحانك﴾ تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض ﴿فقنا عذاب النار﴾ للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة على أن علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حلهم على الاستعاذة ﴿ربنا أنك من تدخل النار فقد أخزيت﴾ فقد أخزيت غاية الاخزاء ونظيره قولهم من أدرك مرعى الصمان فقد أدرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم

في آلاء الله ولا تفكروا في الله اذ الله منزه ان يوصف بصورة فلذلك أخبر عن عباده الصالحين بأنهم يتفكرون في خلق السموات والارض وما أبدع الله فيهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ليداهم ذلك على كمال قدرة الصانع سبحانه وتعالى ويعلموا أن لهما خالقا قادرا مدبرا حكما لان عظم آثاره وأفعاله تدل على عظم خالقها سبحانه وتعالى كما قيل

وفي كل شيء له آية • تدل على أنه واحد

وقيل ان الفكر مقابوب عن الفكر لان الفكر مستعمل في المعاني وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقةها وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النماء وما جللت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة ﴿ربنا﴾ أي ويقولون ربنا وقيل معناه ويتفكرون في خلق السموات والارض قائلين ربنا ﴿ما خلقت هذا باطلا﴾ يعني عبثا وهزلا بل خلقته دليلا على وحدانيتك وكان قدرتك ﴿سبحانك﴾ تنزيها لك عن أن تخلق شيئا عبثا لغير حكمة ﴿فقنا عذاب النار﴾ يعني انا قد صدقنا بوحدانيتك وان لك جنة ونارا فقنا عذاب النار والمقصود من قوله سبحانك فقنا عذاب النار تعليم عباده كيفية الدعاء فمن أراد أن يدعو فليقدم الشاء على الله أولا وبذل عليه قوله سبحانك وبعد ذلك الشاء يأتي بالدعاء وبذل عليه قوله فقنا عذاب النار ﴿ربنا أنك من تدخل النار فقد أخزيت﴾ أي أهنته وأذلته وقيل أهلكته وقيل فضيحته وأبلفت في ابداه والغزى ضرب من الاستخفاف أو انكسار يلحق الانسان وهو الحياء المفرط • فأن قلت قد تمسكت المعتزلة بهذه الآية وقالوا قد أخبر الله انه لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه فوجب ان كل من يدخل النار لا يكون مؤمنا لقوله أنك من تدخل النار فقد أخزيت والمؤمن لا يخزي • قلت قد ذكر العلماء في الجواب وجوها أحدها ما روى عن أنس رضى الله عنه في تفسير قوله

الاحزان ولا استنارت بمثل الفكر (ربنا ما خلقت هذا باطلا) أي يقولون ذلك وهو في محل الحال أي يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لحكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وأدلة لهم على معرفتك وهذا اشارة الى الخلق على أن المراد به المخلوق أو الى السموات والارض لانها في معنى المخلوق كأنه قيل ما خلقت هذا المخلوق الجيب باطلا (سبحانك) تنزيها لك عن الوصف بخلق

الباطل وهو اعتراض (فقنا عذاب النار) الفاء دخلت لمعنى الجزاء تقديره اذ انزهاك فقنا (ربنا أنك من تدخل النار فقد أخزيت) أهنته وأهلكته أفضيحتته واحتج أهل الوعيد بالآية مع قوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه في أن من يدخل النار لا يكون مؤمنا ويخلد قلنا قال جابر اخزاء المؤمن تأديبه

من العجائب (ربنا) يقولون يا ربنا (ما خلقت هذا باطلا) جزافا (سبحانك) نزهاوا الله (فقنا عذاب النار) ادفع عنا عذاب النار

(ربنا) يقولون يا ربنا (أنك من تدخل النار فقد أخزيت) أهنته

وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني أفظع ﴿ومالظالمين من أنصار﴾
 أراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمير للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار
 وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة
 دفع بقهر ﴿ربنا أننا سمعنا مناديا ينادي للايمان﴾ أوقع الفعل على المسمع وحذف
 المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تشكير المنادى
 واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه والمراد به الرسول عليه الصلاة والسلام وقيل القرآن

وان فوق ذلك لخزيا (وما
 للظالمين) اللام اشارة الى
 من يدخل النار والمراد
 الكفار (من أنصار) من
 أعوان وشقراء يشفعون
 لهم كالمؤمنين (ربنا أننا
 سمعنا مناديا) تقول سمعت
 رجلا يقول كذا فتوقع
 الفعل على الرجل وتحذف
 المسموع لانك وصفته بما
 يسمع فاغناك عن ذكره
 ولو لا الوصف لم يكن منه
 بد وان يقال سمعت كلام
 فلان والمنادى هو الرسول
 عليه السلام أو القرآن
 (ينادي للايمان) لاجل
 الايمان بالله وفيه تفخيم
 لشأن المنادى اذ لا منادى
 أعظم من مناد ينادى

(ومالظالمين) للمشركين (من
 أنصار) من مانع بما يراد بهم
 في الآخرة والدينيا (ربنا)
 ويقولون يا ربنا (أنسا
 سمعنا مناديا) يعنون محمدا
 (ينادي للايمان) يدعو الى

تعالى أنك من تدخل النار فقد أخزيتك قال من يخذه وروى نحوه عن سعيد بن المسيب
 قال هي خاصة لمن لا يخرج منها وهذا الجواب انما يصح على مذهب أهل السنة
 الذين يرون اخراج الموحدين من النار أما على مذهب المعتزلة فلا يصح هذا الجواب
 لان مذهبهم ان الفاسق مخلد في النار فهو داخل في قوله تعالى فقد أخزيتك * الوجه
 الثاني في الجواب أن المدخل في النار مخزى في حال دخوله وان كانت عاقبته ان يخرج
 منها ومعنى الآية على هذا فقد أخزيتك بدخوله فيها وتعذيبها وبديل على صحة
 هذا المعنى ماروى عن عمرو بن دينار قال قدم علينا جابر بن عبد الله في عمرة فانهت
 اليه أنا وعطاء فسأته عن هذه الآية ربنا أنك من تدخل النار فقد أخزيتك فقال
 وما أخزاه حين أحرقه بالنار ان دون ذا لخزيا وهذا الوجه هو اختيار ابن جرير
 الطبري لان من أدخل النار فقد أخزى بدخوله اياها وان أخرج منها وذلك الخزي
 هو هتك المخزي وفضيخته وقال ابن الانباري جل الآية على العموم أولى من نقلها
 الى الخصوص اذ لا دليل عليه * الوجه الثالث في الجواب ما قاله أهل المعاني وهو
 ان الخزي يحتمل معاني منها الاهانة والاهلاك والابعاد وهذا للكفار ومنها الاخجال
 يقال خزي خزاية اذا استخى واذا عمل عملا يستخى منه ويخجل فيكون خزي
 المؤمن الذي يدخل النار الحياء من المؤمنين بدخوله النار الى ان يخرج منها وخزي
 الكافر الهلاك بالخلود في النار وحاصل هذا الجواب ان لفظ الاخزاء مشترك بين
 التنجيل والاهلاك واللفظ المشترك لا يمكن حمله في طرفي النفي والاثبات على معنيه
 جيبا وهذا يسقط الاستدلال * الوجه الرابع في الجواب وهو الذي اختاره الفخر
 الرازي وصححه أن قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه لا يقتضي
 نفي الاخزاء مطلقا وانما يقتضي أن لا يحصل الاخزاء حال ما يكونون مع النبي وهذا
 النفي لا يناقضه اثبات الاخزاء في الجملة لاحتمال أن يحصل ذلك الاثبات في وقت
 آخر والله أعلم * وقوله عز وجل ﴿ومالظالمين﴾ يعنى المشركين الذين وضعوا العبادة
 في غير موضعها ﴿من أنصار﴾ يعنى ينصرونهم يوم القيامة ويمنعونهم من العذاب
 * قوله عز وجل ﴿ربنا أننا سمعنا مناديا ينادي للايمان﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما
 وأكثر المفسرين المنادى هو محمد صلى الله عليه وسلم وبديل على صحة هذا قوله تعالى
 ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقوله وداعيا الى الله باذنه وقال محمد بن كعب القرظي

للإيمان (أن آمنوا) بان آمنوا أو أى آمنوا (بربكم فآمنوا) قال الشيخ أبو منصور رحمه الله فيه دليل بطلان الاستثناء في الإيمان (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) { الجزء الرابع } كبارنا (وكفرنا) ٦٥٢ ﴿ سيأتنا ﴾ صغائرنا (وتوفنا مع الأبرار)

والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص ﴿ أن آمنوا بربكم فآمنوا ﴾ أى بان آمنوا فآمننا ﴿ ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ﴾ كبارنا فانها ذات تبعه ﴿ وكفر عنا سيأتنا ﴾ صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجذب الكبائر ﴿ وتوفنا مع الأبرار ﴾ مخصوصين بحسبتهم معدودين في زمرة تهم وفيه تنبيه على أنهم يحبون لقاء الله ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه . والأبرار جمع بر أو بار كأرباب وأصحاب ﴿ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ﴾ أى ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما أظهر أمثاله لما مر به سأل ما وعد عليه لا خوفاً من أخلاف الوعد بل مخافة أن لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة أو قصور في الامتثال أو تعبدوا واستكانة ويجوز ان يتعلق على بمخدوف تقديره ما وعدتنا منزلاً على رسلك أو محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك ﴿ ولا تخزنا يوم القيمة ﴾

المنادى هو القرآن قال اذ ليس كل أحد لقي النبي صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول أن كل أحد يسمع القرآن ويفهمه فاذا وفقه الله تعالى للإيمان به فقد فاز به وذلك لان القرآن مشتمل على الرشد والهدى وأنواع الدلائل الدالة على الوجدانية فصار كالداعى اليها واللام في للإيمان بمعنى الى يعنى ينادى الى الإيمان ﴿ أن آمنوا بربكم فآمنوا ﴾ أى فصدقنا ﴿ ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ﴾ أى كبار ذنوبنا ﴿ وكفر عنا سيأتنا ﴾ أى صغائر ذنوبنا وقيل ان الفجر هو السر والتغطية وكذلك التكفير فهما بمعنى واحد وانما ذكرهما للتأكيد لان الإلحاح في الدعاء والمبالغة فيه مندوب اليد وقيل معناه اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وكفر عنا سيأتنا في المستقبل وقيل يريد بالغفران ما يزول بالتوبة من الذنوب وبالتكفير ما يكفر بالطاعات من الذنوب ﴿ وتوفنا مع الأبرار ﴾ يعنى في جلتهم وزمرتهم والأبرار هم الأنبياء والصالحون والمعنى توفنا على مثل أعمالهم حتى نكون في درجاتهم يوم القيامة وقيل توفنا في جلة أبنائهم وأشياهم ﴿ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ﴾ يعنى على السنة رسلك وقيل معناه وآتنا ما وعدتنا على تصديق رسلك . ذأن قلت كيف سألو الله انجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه انهم طلبوا من الله تعالى التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب انجاز الميعاد وقيل هو من باب اللجأ الى الله تعالى والتذلل له وأظهار الخضوع والعبودية كأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يستغفرون الله مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك لتذلل لرهبهم سبحانه وتعالى والتضرع اليه واللجأ اليه الذى هو سيما العبودية وقيل معناه ربنا واجعلنا ممن يستحق ثوابك وتؤتيهم ما وعدتهم على السنة رسلك لانهم لم يتيقنوا استحقاتهم انلك الكرامة فسألوه أن يجعلهم مستحقين لها وقيل انما سألوه تحيل ما وعدهم من النصر على الأعداء قالوا قد علمنا أنك لا تخلف الميعاد ولكن لاصبرنا على حلك ففعل هلاكهم وانصرنا عليهم ﴿ ولا تخزنا يوم القيمة ﴾ يعنى ولا تهلكنا ولا تفضحنا ولا تهنا في ذلك اليوم . فأن قلت قوله وآتنا ما وعدتنا على رسلك يدل على طلب الثواب

مخصوصين بحسبتهم معدودين في جلتهم والأبرار المتمسكون بالسنة جمع بر أو بار كركب وأرباب وصاحب واصحاب (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) أى على تصديق رسلك أو ما وعدتنا منزلاً على رسلك أو على السنة رسلك وعلى متعلق بوعدتنا والموعود هو الثواب أو النصر على الأعداء وانما طلبوا انجاز ما وعد الله والله لا يخلف الميعاد لان معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد أو المراد اجعلنا ممن لهم الوعد اذا الوعد غير مبين لمن هو أو المراد ثبتنا على ما وصلنا الى عدتك يؤيده وله (ولا تخزنا يوم القيمة) أو هو اظهار للخضوع

لتوحيد (أن آمنوا بربكم آمنوا ربنا) بك وبكتابك ورسولك (فاغفر لنا ذنوبنا) الكبائر (وكفر) تجاوز (عنا سيأتنا) دون الكبائر (وتوفنا مع الأبرار) اقبض أرواحنا على الإيمان واجمعها مع ارواح النبيين والصالحين (ربنا) ويقولون يا ربنا (وآتنا) اعطنا

(ما وعدتنا على رسلك) على لسان رسولك يعنى محمداً (ولا تخزنا) لا تعذبنا (يوم القيمة) كما تعذب الكفار (ومتى)

والضراعة (أنت لا تخلف الميعاد) هو مصدر بمعنى الوعد (فاستجاب لهم ربهم) أي أجب يقال استجاب له واستجابته (أنتي) (بأنى لأضيع عمل عامل منكم) منكم صفة لعامل (من ذكر أو أنتي) بيان لعامل (بعضكم من بعض) الذكر من الاثني والاثني من الذكر كلكم بنو آدم أو بعضكم ﴿٦٥٣﴾ من بعض في النصرة {سورة آل عمران} والدين وهذه جملة معترضة

بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزيه أمر فقال خسر مرات ربنا أجبنا الله بما يخاف وأعطاه ما أراد وقراء الآيات (فالذين هاجروا) مبتدأ وهو تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له كأنه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفاشقة وهي المهاجرة عن أوطانهم فارين الى الله بدينهم الى حيث يأمنون عليه فالمهجرة كأنسة في آخر الزمان كما كانت في أول الاسلام (وأخرجوا من ديارهم) التي ولدوا فيها ونشؤا (وأوذوا في سبيلي) بالثتم والضرب ونهب المال

(أنت لا تخلف الميعاد) البعث بعد الموت وما وعدت المؤمنين (فاستجاب لهم ربهم) فيما سألوه فقال (أنتي لأضيع) لأبطل (عمل عامل منكم) ثواب عمل عامل منكم (من ذكر أو أنتي) بعضكم من بعض

بان تصمنا عما يقتضيه ﴿أنت لا تخلف الميعاد﴾ بأبابة المؤمن وأجابة الداعي وعن ابن عباس رضي الله عنهما الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهاال والدلالة على استقلال المطالب وعاشأنها وفي الآثار من حزيه أمر فقال خسر مرات ربنا أجبنا الله بما يخاف ﴿فاستجاب لهم ربهم﴾ الى طلبتهم وهو أخص من أجب وبعدى بنفسه وباللام ﴿أنتي لأضيع عمل عامل منكم﴾ أي أنتي لأضيع وقري بالكسر الى ارادة القول ﴿من ذكر أو أنتي﴾ بيان عامل ﴿بعضكم من بعض﴾ لان الذكر من الاثني والاثني من الذكر أولانها من أصل واحد أو لفرط الاتصال والاتحاد أو للاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعامل روى أن أم سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله أنتي أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت ﴿فالذين هاجروا﴾ الى آخره تفصيل لاعمال العمال وما عدلهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا والشركاء والإوطان والمشارئ للدين ﴿وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي﴾ أي بسبب إيمانهم بالله ومن أجله

ومتى حصل الثواب اندفع العقاب لاحالة فامعنى قوله ولا تخزنا وهو طلب دفع العقاب عنهم قلت المقصود من الآية طلب التوفيق على الطاعة والعصمة عن فعل المعصية كأنهم قالوا وفقنا للطاعات واذا وفقنا لها فاعصمنا عن فعل ما يبطلها ويوقنا في الخزي وهو الهلاك ويحتمل أن يكون قوله ولا تخزنا يوم القيامة سببا لقوله تعالى وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانه ربما يظن الانسان انه على عمل صالح فاذا كان يوم القيامة ظهر انه على غير ما يظن فيحصل الخجل والحسرة والندامة في موقف القيامة فسألوا الله تعالى أن يزيل ذلك عنهم فقالوا ولا تخزنا يوم القيامة ﴿أنت لا تخلف الميعاد﴾ قوله عز وجل ﴿فاستجاب لهم ربهم﴾ يعني أجب دعاءهم وأعطاهم ما سألوه ﴿أنتي﴾ أي وقال لهم أنتي ﴿لأضيع عمل عامل منكم﴾ يعني لأحبط عملكم أيها المؤمنون بل أتيبكم عليه ﴿من ذكر أو أنتي﴾ يعني لأضيع عمل عامل منكم ذكرا كان أو أنتي ﴿عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله ما أسمع الله تعالى ذكر النساء في الهجرة بشيء﴾ فأنزل الله تعالى أنتي لأضيع عمل عامل من ذكر أو أنتي بعضكم من بعض الى والله عنده حسن الثواب أخرجه الترمذي وغيره ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿بعضكم من بعض﴾ يعني في الدين والنصرة والموالاتة وقيل كلكم من آدم وحواء وقيل من بمعنى الكاف أي بعضكم كبعض في الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية فهو كايقال فلان مني يعني على خلقي وسيرتي وقيل ان الرجال والنساء في الطاعة على شكل واحد ﴿فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي﴾ يعني المهاجرين الذين هجروا

(أنت لا تخلف الميعاد) البعث بعد الموت وما وعدت المؤمنين (فاستجاب لهم ربهم) فيما سألوه فقال (أنتي لأضيع) لأبطل (عمل عامل منكم) ثواب عمل عامل منكم (من ذكر أو أنتي) بعضكم من بعض

إذا كان بعضكم على دين بعض وأولياء بعض ثم بين كرامته للمهاجرين فقال (فالذين هاجروا) من مكة الى المدينة مع النبي عليه السلام وبعد النبي (وأخرجوا من ديارهم) أخرجوهم كقارمكة من منازلهم بمكة (وأوذوا في سبيلي) في طاعتي

يريد سبيل الدين (وقاتلوا وقتلوا) وغزوا المشركين واستشهدوا وقتلوا مكي وشامى وتملوا وقتلوا على التقديم والتأخير حجة وعلى وفيد دليل على ان الواو الجزء الرابع لا توجب الترتيب ﴿٦٤٤﴾ والخبر (لا كفرن عنهم سيئاتهم ولا دخلنهم جنات

تجرى من تحتها الانهار) وهو جواب قسم محذوف (ثوابا) في موضع المصدر المؤكد يعنى ائابة أو ثوبيا (من عند الله) لان قوله لا كفرن عنهم ولا دخلنهم في معنى لا يثيبهم (والله عنده حسن الثواب) أى يختص به ولا يقدر عليه غيره وروى ان طائفة من المؤمنين قالوا أرأعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع فنزل (لا يفرنك تغلب الذين كفروا في البلاد) والخطاب لكل أحد أولني عليه السلام والمراد به غيره ولان مدره القوم ومقدمهم يخاطب بشئ فيقوم خطابه مقام (وقاتلوا) العدو في سبيل الله (وقتلوا) حتى قتلوا في الجهاد مع نبي الله (لا كفرن عنهم سيئاتهم) ذنوبهم في الجهاد (ولادخلنهم جنات) بساين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها وما كانتا (الانهار) انهار الخرو الماء والعسل والابن (ثوابا من عند الله) جزاء لهم من الله (والله عنده حسن الثواب) المرجع الصالح أحسن من جزائهم ثم ذكرهم فناء الدنيا ورغبتهم عنها وبقاء الآخرة وحثهم على طلبها

﴿وقاتلوا﴾ الكفار ﴿وقتلوا﴾ في الجهاد * وقرأ حجة والكسائي بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثاني أفضل أولان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير ﴿لا كفرن عنهم سيئاتهم﴾ لا محونها ﴿ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار﴾ ثوابا من عند الله ﴿أى أئيبهم﴾ بذلك ائابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد ﴿والله عنده حسن الثواب﴾ على الطاعات قادر عليه ﴿لا يفرنك تغلب الذين كفروا في البلاد﴾ والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أو ثيبيته أو طائهم وأهليهم وآذاهم المشركون بسبب أسلامهم ومتابعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا مهاجرين الى الله ورسوله وتركوا أوطانهم وعشائرهم لله ورسوله ومعنى في سبيل في طاعتي ودينى وابتغاء مرضاتى وهم المهاجرون الذين أخرجهم المشركون من مكة فهاجر طائفة الى الحبشة وطائفة الى المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد هجرته فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة رجع اليه من كان هاجر الى الحبشة من المسلمين ﴿وقاتلوا وقتلوا﴾ يعنى واقتلوا العدو واستشهدوا في جهاد الكفار ﴿لا كفرن عنهم سيئاتهم﴾ يعنى لا محون عنهم ذنوبهم ولا غفرنا لهم ﴿ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار﴾ ثوابا من عند الله يعنى ذلك الذى أعطاهم من تكفير سيئاتهم وادخالهم الجنة ثوابا من فضل الله واحسانه اليهم ﴿والله عنده حسن الثواب﴾ وهذا تأكيد لكون ذلك الثواب الذى أعطاهم من فضله وكرمه لانه جواد كريم ﴿روى ابن حريز الطبرى بسنده عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ثلثة تدخل الجنة فقراء المهاجرين الذين يتقى بهم المكراه اذا أمروا سمعوا وأطاعوا وان كانت لرجل منهم حاجة الى سلطان لم تقض له حتى يموت وهى في صدره فان الله عز وجل يدعو يوم القيامة الجنة فتأتى بزخرفها وزينتها فيقول أين عبادى الذين قاتلوا في سبيلى وقتلوا وأوذوا في سبيلى وجاهدوا في سبيلى ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب وتأتى الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبحك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا فيقول ارب عز وجل هؤلاء عبادى الذين قاتلوا في سبيلى وأوذوا في سبيلى فتدخل الملائكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فعمى الدار قال بعضهم فى هذه الآيات تعليم من الله تعالى لعباده كيف يدعى وكيف يتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهاج واعلام بما يوجب حسن الاجابة وقال جعفر الصادق من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا نجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد وقرأ هذه الآيات وقال الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم أخبر انه استجاب لهم ﴿قوله عز وجل﴾ لا يفرنك تغلب الذين كفروا في البلاد ﴿نزلت في المشركين وذلك انهم كانوا فى رخاء ولين

فقال (لا يفرنك) يا محمد خاطب به محمد وعنى أصحابه (تغلب الذين كفروا في البلاد) ذهب اليهود والمشركين ومجيبهم (من)

خطابهم جميعا فكانه قيل لا يفرنكم ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه ما كان عليه
 وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين وهذا في النهى نظير قوله في الامر
 اهدنا الصراط المستقيم يا أيها الذين آمنوا آمنوا (متاع قليل) خبر مبتدأ محذوف أي قلبهم في البلاد متاع قليل وأراد
 قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو في جنب ما أعد الله للمؤمنين من الثواب أو أرادانه قليل في نفسه لا تقضاه
 وكل زائل قليل (ثم ما أوامهم جهنم ﴿٦٥٥﴾ وبئس المهاد) {سورة آل عمران} وساء ما مهدوا لانفسهم (لكن

الذين اتقوا ربهم) عن
 الشرك (لهم جنات تجري
 من تحتها الانهار خالدون
 فيها نزلا) النزل والنزل
 ما يقام للنازل وهو حال من
 جنات لتخصصها بالصفة
 والعامل اللام في لهم أو هو
 مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا
 أو عطاه (من عند الله)
 صفته (وما عنداته) من
 الكثير الدائم (خير للابرار)
 مما يتقلب فيه الفجار من
 اقليل الزائل لكن بالتشديد
 يزيد وهو للاستدراك أي
 لابقاء لمتعمهم لكن ذلك
 للذين اتقوا ونزلت في ابن
 سلام وغيره من مسلمي
 أهل الكتاب أو في أربعين
 من أهل نجران وأثنى
 وثلاثين من الحبشة وثمانية
 من الروم وكانوا على دين
 عيسى عليه السلام فاحلوا

في التجارة (متاع قليل) نفقة
 يسيرة في الدنيا (ثم ما أوامهم)
 مصيرهم (جهنم وبئس

على ما كان عليه كقوله فلا تطع المكذبين أو لكل أحد والنهي في المعنى للمخاطب واما جعل
 للقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما كان الكفرة عليه من السعة
 والحظ ولا تغتر بظاهرها ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روى
 أن بعض المسلمين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون أن أعداء الله فيما ترى
 من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت ﴿متاع قليل﴾ خبر مبتدأ محذوف
 أي ذلك القلب متاع قليل لقصر مدته في جنب ما أعد الله للمؤمنين قال عليه الصلاة
 والسلام ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر يرم يرجع
 ﴿ثم ما أوامهم جهنم وبئس المهاد﴾ أي ما مهدوا لانفسهم ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم
 جنات تجري من تحتها الانهار خالدون فيها نزلا من عند الله﴾ النزل والنزل ما يمد
 للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر الضبي

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهقات له نزلا

وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيه الظرف وقيل أنه مصدر مؤكد والتقدير
 انزلوها نزلا ﴿وما عند الله﴾ لكثرة ودوامه ﴿خير للابرار﴾ مما يتقلب فيه الفجار

من العيش يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان أعداء الله فيما ترى من الخير ونحن
 في الجهد فأنزل الله تعالى هذه الآية لا يفرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 والمراد به غيره من الامة لانه صلى الله عليه وسلم لم يفترقط والمعنى لا يفرنك أيها
 السامع قلب الذين كفروا في البلاد يعني ضربهم في الارض وتصرفهم في البلاد
 للتجارات وطلب الارباح والمكاسب ﴿متاع قليل﴾ أي ذلك متاع قليل وبلغته
 فانية ونعمة زائلة ﴿ثم ما أوامهم﴾ يعني مصيرهم في الآخرة ﴿جهنم وبئس
 المهاد﴾ أي وبئس الفراش هي ﴿قوله عز وجل﴾ لكن الذين اتقوا ربهم ﴿فما أمرهم
 به من العمل بطاعته واتباع مرضاته واجتناب ما نهاهم عنه من معاصيه﴾ لهم جنات
 تجري من تحتها الانهار خالدون فيها نزلا ﴿أي جزاء وثوابا والنزل ما يهبأ للضيف
 عند قدومه﴾ من عند الله ﴿يعني من فضل الله وكرمه وأحسانه﴾ وما عند الله ﴿
 يعني من الخير والكرامة والنعيم الدائم الذي لا ينقطع﴾ خير للابرار ﴿يعني ذلك

المهاد) الفراش والمصير (لكن الذين اتقوا ربهم) يقول والذين وحدوا ربهم بالتوبة من الكفر (لهم جنات)
 بساتين (تجري من تحتها) من تحت شجرها ومسكنها (الانهار) انهار الخمر والماء والمسل والابن (خالدون فيها)
 مقيمين في الجنة لا يموتون ولا يخرجون (نزلا) ثوابا (من عند الله وما عند الله) من الثواب (خير للابرار)
 للوحدين مما أعطى الكفار في الدنيا ثم نعت من آمن من أهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه فقل

لقلته وسرعة زواله ﴿ وأن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله ﴾ نزلت في عبدالله بن سلام وأصحابه وقيل في أربعين من نجران وأثنى وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فأسلموا وقيل في أئمة النجاشي لما نعا جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلى على عجل نصراني لم يره قط وإنما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين أن بالظرف ﴿ وما أنزل اليكم ﴾ من القرآن ﴿ وما أنزل اليهم ﴾ من الكتابين ﴿ خاشعين لله ﴾ حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى ﴿ لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا ﴾ كما يفعله المحرفون من أحبارهم ﴿ أولئك لهم أجرهم عند ربهم ﴾ ما خص بهم من الاجر ووعدوه في قوله تعالى أولئك

الفضل والنعمة التي أعدها الله للطيعين الأبرار خير مما يتقلب فيه هؤلاء الكفار من نعيم الدنيا ومتاعها فإنه قليل زائل (ق) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو في مشربة وأنه لعلى حصير ما بينه وبينه شئٌ وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف وعند رجله قرظ مصبور وعند رأسه أهب معلقة فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكت فقال ما يبكيك قلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيهما فيه وأنت رسول الله فقال أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة لفظ البخارى المشربة الغرفة والعلية والمشارب العلالى ﴿ قوله عز وجل ﴾ وأن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم ﴿ قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه أحممة ومعناه بالهرسية عطية وذلك انه لما مات نعا جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه اخرجوا فاصلوا على أخ لكم مات بغير أركم النجاشي فخرج إلى البقيع وكشفه إلى أرض الحبشة فابصر سرير النجاشي فصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفره فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلى على عجل حبشى نصراني لم يره قط وليس على دينه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في أربعين رجلا من أهل نجران وأثنى وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه الصلاة والسلام فآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقوه وقيل نزلت في عبدالله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في جميع مؤمنى أهل الكتاب وهذا القول أولى لانه لما ذكر أحوال الكفار وأحوال أهل الكتاب وان مصيرهم إلى النار ذكر حال من آمن من أهل الكتاب وان مصيرهم إلى الجنة فقال تعالى وان من أهل الكتاب يعنى بعض اليهود والنصارى أهل التوراة والانجيل لمن يؤمن بالله يعنى من بقر بوحسانية الله وما أنزل اليكم يعنى ويؤمن بما أنزل اليكم أيها المؤمنون يعنى القرآن وما أنزل اسم يعنى من الكتب المنزلة مثل التوراة والانجيل والزبور ﴿ خاشعين لله ﴾ يعنى خاضعين لله متواضعين له غير مستكبرين ﴿ لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا ﴾ يعنى لا يبيعون كتبهم ولا يحرفونها ولا يكتبون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الرياسة والمآكل والرشا كما يفعله غيرهم من رؤساء اليهود ﴿ أولئك ﴾ اشارة إلى من هذه صفة من أهل الكتاب ﴿ لهم أجرهم عند ربهم ﴾ يعنى لهم ثواب أعمالهم التي

(وأن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) دخلت لام الابتداء على اسم الفصل الظرف بينهما (وما أنزل اليكم) من القرآن (وما أنزل اليهم) من الكتابين (خاشعين لله) حال من فاعل يؤمن لان من يؤمن في معنى الجمع (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) كما يفعله من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم وهو حال بعد حال أى غير مشتريين (أولئك لهم أجرهم عند ربهم) أى ما يخص بهم من الاجر وهو ما وعدوه في قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين

(وأن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم) القرآن (وما أنزل اليهم) من الكتاب التوراة (خاشعين لله) متواضعين ذليبين لله في الطاعة (لا يشترون بآيات الله) بكتمان صفة محمد وبعثه في الكتاب (ثمنا قليلا) عوضا يسيرا من المأكلة (أولئك لهم أجرهم) ثوابهم (عند ربهم) في الجنة

يؤتون أجرهم مرتين ﴿ أن الله سريع الحساب ﴾ لعلمه بالأعمال وما يستوجبه من
الجزاء واستغناؤه عن التأمل والاحتياط والمراد أن الاجر الموعود سريع الوصول
فإن سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا ﴾ على مشاق
الطاعات وما يصيبكم من الشدائد ﴿ وصابروا ﴾ وغالبوا أعداء الله بالصبر على شدائد
الحرب أو أعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الأمر بالصبر مطلقا
لشدته ﴿ ورابطوا ﴾ أبدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وأنفسكم
على الطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة
وعنه عليه السلام من رباط يوم أو ليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه

(أن الله سريع الحساب)
لنفوذ علمه في كل شيء
(يا أيها الذين آمنوا اصبروا)
على الدين وتكاليفه قال
الجنيد رضى الله عنه الصبر
حبس النفس على المكروه
بنقى الجزع (وصابروا)
إعداء الله في الجهاد أى

غالبوهم في الصبر على
شدائد الحرب لا تكونوا
أقل صبرا منهم وثباتا
(ورابطوا) واقفوا في
الثغور رابطين خيلكم
فيها مترصدين مستعدين

(أن الله سريع الحساب) إذا
حاسب فحسابه سريع ثم حشم
على الصبر في الجهاد
والمرادى فقال (يا أيها الذين
آمنا) بمحمد والقرآن
(اصبروا) على الجهاد مع
نبيكم (وصابروا) كأروا
وغالبوا على عدوكم
(ورابطوا) أنفسكم على
عدوكم مع نبيكم ما أقاموا لكم
ويقال اصبروا على أداء
الفرائض واجتنب المعاصي
وصابروا غالبوا وكأثروا
أهل الأهواء والبدع
ورابطوا الخيول في سبيل الله

عملوها لله ذلك الثواب لهم ذخر عند الله يوفيه اليهم يوم القيامة ﴿ أن الله سريع
الحساب ﴾ يعنى انه تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده فيجازى
كل أحد على قدر عمله لانه سريع الحساب ﴿ قوله عز وجل ﴾ يا أيها الذين آمنوا
اصبروا ﴿ يعنى على دينكم الذى أنتم عليه ولا تدعوه لشدته ولا تغيرها وأصل الصبر
حبس النفس عما لا يقتضيه شرع ولا عقل والصبر لفظ عام تحته أنواع من المعانى
قال بعض الحكماء الصبر على ثلاثة أقسام ترك الشكوى وقبول القضاء وصدق الرضا
وقيل في معنى الآية اصبروا على طاعة الله وقيل على أداء الفرائض وقيل على تلاوة
القرآن وقيل اصبروا على أمر الله وقيل اصبروا على البلاء وقيل اصبروا على
الجهاد وقيل اصبروا على أحكام الكتاب والسنة ﴿ وصابروا ﴾ يعنى الكفار
والإعداء وجاهدوهم ﴿ ورابطوا ﴾ يعنى وداوموا على جهاد المشركين واثبتوا
عليه وأصل المرابطة أن يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم بحيث يكون كل
من الخصمين مستعدا لقتال الآخر ثم قيل لكل مقيم بثغر يدفع عن وراءه مرابط
وان لم يكن له مركب مربوط (ق) عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط
أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو
الغدوة خير من الدنيا وما عليها (م) عن سلمان الخير رضى الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات
فيه جرى عليه عمله الذى كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان وقيل المراد
بالمرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة قال أبو سلمة بن عبد الرحمن لم يكن في زمن النبي صلى الله
عليه وسلم غزو يربط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة ويدل على صحة هذا التأويل
ماروى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على
ما يحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره
وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط أخرجه مسلم

لا يظفر ولا ينفثل عن صلاته الا لحاجة ﴿ واتقوا الله لعلمكم تفلقون ﴾ فاتقوه بالتبى
 مما سواه لكي تفلقوا غاية الفلاح أو واتقوا القبائح لعلمكم تفلقون بنيل المقامات الثلاثة
 المترتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومراعاة
 السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشرعية والطريقة والحقيقة
 عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها
 أماناً على جسر جهنم * وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ السورة
 التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه
 وملائكته حتى تحب الشمس

﴿ واتقوا الله لعلمكم تفلقون ﴾ قال محمد بن كعب القرظي يقول الله عز وجل واتقوا
 الله فيما بيني وبينكم لعلمكم تفلقون غدا اذ القيتموني وقال أهل المعاني في معنى هذه الآية
 يأبها الذين آمنوا اصبروا على بلائى وصابروا على نعمائى ورابطوا على مجاهدة أعدائى
 واتقوا محبة سوائى لعلمكم تفلقون بلسائى وقيل اصبروا على النعماء وصابروا على
 البأساء والضراء ورابطوا فى دار الاعداء واتقوا اله الارض والسماء لعلمكم
 تفلقون فى دار البقاء وقيل اصبروا على الدنيا ومحنها رجاء السلامة وصابروا
 عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا على مجاهدة النفس اللوامة
 واتقوا ما يعقبكم الندامة لعلمكم تفلقون غدا فى دار الكرامة
 والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تم بحمد الله تعالى الجلد الاول ربه انه شاء الله تعالى الجلد الثانى

﴿ اول سورة النساء ﴾

الحمد لله اولاً وآخراً وباطناً وظاهراً وخفياً وجهاً على اتمام طبع الجلد الاول لقد بذلنا جهدنا
 وطاقتنا على حسب القوى البشرية فى تصحيحه وتهذيبه وتنقيحه * مع رفيق المصحح فى دار الطباعة
 العثمانية أعنى الحاج طاهر افندى القنوى المدرس بجامعة سلطان بايزيد ولى * فرحم الله امرأته نظريه
 بعين الانصاف فساح * ووقف فى التصحيح على خطأ فأصلح * وأعوذ بالله من حاسد اذا حسد
 وبنى * وأستغفره جل اسمه من قلم زل وسهى * أو حرف شياً عن موضعه وظنى
 وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم سبحانه
 ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
 والحمد لله رب العالمين

لاغزو (واتقوا الله لعلمكم
 تفلقون) الفلاح البقاء مع
 المحبوب بعد اخلاص عن
 المكروه ولعل لتغيب
 المال لئلا يتكلوا على
 الآمال عن تقديم الاعمال
 وقيل اصبروا فى محبتي
 وصابروا فى نعمتي ورابطوا
 أنفسكم فى خدمتي لعلمكم
 تفلقون تظفرون بقربتي
 قال النبي صلى الله عليه وسلم
 اقرؤا الزهراوين البقرة
 وسورة آل عمران فانهما
 يأبسان يوم القيمة كأنهما
 غمامتان أو غيابتان أو
 فرقان من طير صواف
 تحاجان عن أصحابهما والله
 أعلم بالصواب واليه المرجع
 والمآب

(واتقوا الله) أطيعوا الله
 فيما أمركم فلا تتركوه (لعلمكم
 تفلقون) لكي تنجوا
 من السخطة والعذاب
 قال فى السراج المنير ومارواه
 البيضاوى تبعاً للزمخشري
 وتبعهما ابن عادل من أنه
 صلى الله عليه وسلم قال من قرأ
 سورة آل عمران أعطى بكل
 آية منها أماناً على جسر جهنم
 فهو من الاحاديث الموضوعة
 على أبي بن كعب فى فضائل
 السور فليتنبه لذلك ويحذر منه
 وقد نبه أئمة الحديث قديماً
 وحديثاً على ذلك وعابهم
 اوردده من المفسرين فى
 تفاسيرهم اه بعبارة مصححه